مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
ت ١ ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك ٤٠

الجزء الأول — المحرم سنة ١٣٨١ هـ — يونية ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

الفهرس

أوبة الإسلام ونوبته

بقلم: أحمد حسن الزيات

فى غرة هذا المحرم من طلعة هذا العام يستطيع الراصد المسجل أن يرى فى سموات الشرق الإسلامى تباشير النور المحمدى تبزغ من جديد فى الآفاق المظلمة من آسيا وإفريقيا فتتضح السبل وتستبين المعالم وتتعارف الأوجه وتتلاقى الإخوة، فتهفو نفوس إلى نفوس، وتنعطف قلوب على قلوب، وتنضم أيد إلى أيد، وتتصل أوطان بأوطان، ويوم يتم الله نوره مرة أخرى يعود الإسلام كما كان: قومية عربية، ثم جامعة إسلامية، ثم أمة وسطا تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتجاهد فى سبيل الله، وتعاون على إقرار السلام.

قال طيب الذكر خالد الأثر الإمام محمد عبده لجبرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا فى رده المفحم على مقاله المعروف: «إن الإسلام إن طالت به غيبة، فله أوبة، وإن صدعته النوائب فله نوبة، وقد أذن الله اليوم لدينه أن يثوب من غيابه، ولنوره أن يسفر من حجابه، ولسلطانه أن يعود إلى نصابه».

وكانت غيبة الإسلام فى هذه الحقبة الطويلة عن ضمير الفرد وقلب الأسرة وروح المجتمع وسياسة الحكومة، أثرا لصدعات الرأى ونزوات الهوى وشتات الوحدة وعثرات الجد.

والإســـلام دين القوة فى حقيقته وطبيعته، وقوته إنما جاءته من الوحدة التى انبثقت من حقيقة التوحيد فيه، ومن الجماعة التى نشأت من طبيعة الدعوة إليه، فإذا أعوزتاه انفرط عقده فلا ينتظم، وتبدد شعاعه فلا يضىء، وإذا ضعف الدين فى نفوس أهله تركوا المقطوع به من كلام الله وسنة رسوله وأخذوا بما لفق أولو الزيغ من الأخبار والأحاديث فانقلب فى نفوسهم وضعه، وتغير فى عقولهم مدلوله، حتى ليحق فيهم قول الإمام على كرم الله وجهـــه: «إن هؤلاء القوم لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا». فالإيمان بالقدر زيفوه حتى أهملوا التوقى استسلاما للقضاء، وتركوا السعى اعتمادا على القسمة، والإسلام إلى الله زوروه حتى أسلموا وجوههم للمال والجاه، وآمنوا بالمالك والحاكم، فجعلوا لله شركاء من بينهم سخروهم للهوى، واستغلوهم للشهوة، واستذلوهم للمستعمر، فمزق وطنهم إلى دويلات بين كل منها حدود وجمرك. ولكل منها شعار وعلم، وعلى كل منها حماية أو وصاية

ثم كانت أوبة الإسلام حين ثابت إليه صحته وعادت إليه قوته. وعودة القوة إليه إنما كانت رهنا بإيمان الشعب الذى يتقبله

ويتمثله ، وبصدق الزعيم الذى يرعاه ويمثله . وإيمان الشعب لا يتحقق إلا باستكمال وجوده واستقلال إرادته ، وصدق الزعيم لا يتأتى إلا باستعداد من طبعه وتوفيق من ربه . وهذه السنين الناصرية العشر من تاريخنا الطويل الحفيل كانت خاتمة لاستعمار باغ عطل العقول وأبطل القيم ، وحكم طاغ أفسد الأخلاق وأضعف الهمم ، وفاتحة لاستقلال وطنى حرر النفوس وطهر الأخلاق ، وحكم شعبى قام على قواعد الشعب ودار على مصالح العامة ، واعتمد فى إحياء القديم الصالح ، وإنشاء الجديد المفيد ، على القوى المادية والفكرية والروحية . فسخر العلم للإنتاج ، واسترشد الدين فى العلاج ، ورفع من معنى العروبة بإعداد العدة وتوثيق العقدة ، وأيقن أن الظفر فى الصراع الدولى إنما يكون للقوة الأشد والسلاح الأحد والرأى الأسد ، فوقف من الطامعين فى أرض العرب وأرزاق المسلمين موقف السبع من السبع : مخلبا لمخلب ، ونابا لناب ، أخذا بقول أبى بكر الصديق لخالد بن الوليد حين أرسله إلى حرب اليمامة : « حاربهم بما يحاربونك : السيف بالسيف ، والرمح بالرمح » .

أما علة ارتباط الإسلام بالقوة والسلطان فلأنه دون سائر الأديان ، قائم على ركنين من دين ودنيا : من عبادة تديم الصلة بين المرء وربه ، وقيادة تصلح الأمر بين الحاكم وشعبه ، فهو بركنيه صراط الفرد يصل عليه إلى سلام نفسه ، ودستور الشعب يصل به إلى نظام مجتمعه والدستور لا يقوم إلا إذا قامت أمة ، والأمة لا تكون إلا إذا كانت وحدة ، والوحدة لا تجتمع إلا إذا ألفت بينها زعامة من دين تعتمد على قوة الله ، أو رياسة من دنيا تعتمد على قوة الشعب . فإذا فسد الزعيم بغلبة هواه ، أو ضعف أمره بضعف قواه تشققت الوحدة وتمزقت الأمة وتعطلت الشريعة وحل محلها أمر الطاغية أو حكم المستعمر . وآل أمر الدين فى النفوس الخانعة إلى عبادة صورية لا تتصل بالسلوك ، أو إلى صوفية سلبية لا ترتبط بالدنيا . ومن هنا تنفس صبح الإسلام وبدأت نهضة المسلمين فى الجمهورية العربية المتحدة ؛ لأنها كانت الدولة الإسلامية الأولى التى تجلى لها الله فأظهر فيها المصلح الذى أكمل لها معنى الاستقلال ، وأتم عليها نعمة الحرية ، وجعل سياستها وحدة العرب ، ورسالتها نهضة المسلمين ، ودفعها إلى صف القوة الضاربة فى ميادين السياسة ، ورفعها إلى مستوى القدرة العالمية فى حقول الإنتاج .

ومن هنا أيضاً شعر العرب والمسلمون بكيانهم يتميز ، وبوطنهم يتحرر ، وبسلطانهم يعود ، وبإرادتهم تسود ، فذكروا أنهم كانوا وهم على مثل هذه الحال من الحرية والقوة والمنعة قادة البشرية وأدلاءها ، يهدونها بنور

الله، ويحكمونها بدستور محمد، ويسوسونها بعبقرية الجنس، واعتقدوا أن نوبة الإسلام فى حمل المصباح قد أرهص لها هذا الوعى الدينى الذى اتسع وعمق فى قلوب المؤمنين، فحملهم على أن يتعاطفوا بأخوة الإيمان كما تتعاطف أبناء الأسرة بقرابة الدم، وأن يسووا صفوفهم فى الجهاد كما يسوونها فى صلاة الجماعة، وأن يولوا وجوههم شطر الغاية الجامعة كما يولونها شطر المسجد الحرام،

فالشعوب الإسلامية فى تضامن وتعاون، والأقطاب فى تزاور وتشاور، والحكومات تتنافس فى نشر الثقافة وإحياء التراث بما تنفق من أموال وتقيم من مؤتمرات وتنشئ من مجالس.

والأزهر يجدد ما رث من حبل الدين ويبين ما درس من معالم الشريعة بمن يخرج من دعاة ووعاظ، ويوفد من رسل وبعوث. وينشر من مجلات وكتب، وينشئ من كليات ومعاهد. والجمعيات الدينية الكثيرة تجاهد بأنفسها وأموالها فى سبيل الرسالة الخالدة، تدعو إليها بالقدوة، وتدفع عنها بالحجة. والعلماء والأدباء يغطون المكاتب ويفرشون الأفاريز بنتاج القرائح المؤمنة فى إظهار ما بطن فى العقيدة والشريعة من المبادئ التى وضعها العليم الخبير لتعمر بها الدنيا ويصلح عليها العيش ويعتدل بها الميزان ويجتمع للناس فيها الرخاء والنماء والأمن، والمنبر فى المسجد والمصوات فى الإذاعة والمطبعة فى الصحافة تذيع بالكلمات المقروءة والمسموعة مزايا الإسلام فى بناء مجتمع صالح على أنقاض هذا المجتمع الفاسد الذى تخلى عنه الله فدمره الشيطان بإثارة النزاع وإدامة الصراع بين كتلتين: شرقية شيوعية، وغربية رأسمالية، تزعمتا العالم بقوى المال والعلم والعدد فأضلتاه السبيل وحرمتاه السكينة، والاتحاد القومى يؤلف اللجان من أصحاب الكفايات والمؤهلات ليقتبسوا الهدى من نور الله فى تربية الأسرة وترقية المجتمع وتنمية الثروة وتقوية الحكومة.

والروح التى انبعثت فى هؤلاء جميعا إنما كانت مددا من تلك الروح التى بثها الله فى هذه الزعامة المؤمنة العاملة فأحيت الموات وضمت الشتات وأزالت الفروق وأوجبت الحقوق وجعلت الثورة لأول مرة فى تاريخ البشرية ثورة سلام ورحمة: للعرق لا للدم، وللبناء لا للهدم، وللأيادى لا الصدور، وللأكواخ لا القصور، وللذين استضعفوا فى الأرض على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، لا لوطن محدود ولا لشعب بعينه ثم اجتثت من فوق الأرض أصلى الشقاء وهما الجوع والخوف؛ فوضت معاقل الإقطاع فوجد المحرومون برد العيش، وحطمت هياكل الأصنام فلم ير الناس أمامهم غير وجه الله!

أحمد حسن الزيات

أسباب البدع ومضارها

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث الصحيحة تدور كلها حول التحذير من الابتداع . ومن أشهر تلك الأحاديث :

« من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد » .

وترجع البدعة فى واقعها إلى اختراع عبادة لم تكن معروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد بها نقل صحيح ولا تدل عليها أدلة شرعية معتبرة ، فهى أولا خاصة بما يتعبد به . وإذن فلا ابتداع فى العادات ولا فى الصناعات ولا فى وسائل الحياة العامة .

إن الابتداع فى الدين له أسباب توقع فيه ، ومضار تترتب عليه ، وشأن العاقل إذا عرف مضاراً لخطة ما ، أن يجتهد فى إبعاد نفسه عنها ، و يجعل بينه وبين الوقوع فى أسبابها المفضية إليها وقاية تعصمه من الوقوع فيها ، وينعقد لذلك فصلان : أحدهما فى بيان الأسباب التى توقع فى الابتداع وفى انتشار البدع ، والآخر فى بيان المضار التى تترتب على الابتداع والعمل بالبدعة .

الفصل الأول

فى أسباب الابتداع

لا بد لكل شريعة يراد لها البقاء كاملة لا يعتريها نقص ، سليمة لا يلحقها تحريف ، من أن تعنى بمعرفة النوافذ التى يتسرب منها الخلل إلى الشرائع فتسدها وتحكم غلقها ، وبخاصة إذا كانت هذه الشريعة قد جاءت على أساس من العموم لتنظم شعوبا تختلف ألسنتها ، وتتباين عاداتها ، وتتعدد دياناتها التى كانت عليها من قبل .

وهكذا فعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعته المطهرة ، فقدر وهو فى أول مراحله ، عليه الصلاة والسلام ، المداخل التى يمكن أن ينفذ منها الخلل إليها وينتشر فنهى عنها ، وحذر منها وبالغ فى التنكير على من حام حولها .

وقد رأينا بعد الاستقراء أن المداخل الموقعة فى البدعة ، منها ما يوقع فى ابتداعها ، ومنها ما يوقع فى العمل بها وانتشارها . وأن

الشريعة عنيت بالأمرين وأشارت إلى أسباب كل منهما ووضعت لهذه الأسباب العلاج الذى لو أحسن استعماله لسلم الدين ونجت الأمة منها وظل الدين نقيا سليما كما شرعه الله، وكما بلغه رسوله، ودرج عليه الأصحاب من بعده.

* * *

يرجع الابتداع إلى أسباب ثلاثة:

(ا) الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها من مصادرها.

(ب) متابعة الهوى فى الأحكام.

(ح) تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات.

الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها:

مصادر الأحكام الشرعية كتاب الله وسنة الرسول، وما ألحق بهما من الإجماع والقياس، والأصل فى هذه المصادر الذى يحكم على سائرها هو كتاب الله وتليه السنة، ثم الإجماع، ثم القياس، والقياس لا يرجع إليه فى أحكام العبادات، لأن من أركانه أن يكون الحكم فى الأصل معلولا بمعنى يوجد فى غيره، ومبنى العبادة على التعبد المحض والابتلاء الخالص. ومداخل الخلل الناشئة من هذه الجهة، ترجع إلى الجهل بالسنة، وإلى الجهل بمحل القياس، وإلى الجهل بأساليب اللغة العربية، وإلى الجهل بمرتبة القياس أما الجهل بالسنة فيشمل الجهل بالأحاديث الصحيحة والجهل بمكان السنة من التشريع، وقد يترتب على الأول إهدار الأحكام التى صحت بها أحاديث. كما يترتب على الثانى إهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها. وإحلال بدع مكانها لا يشهد لها أصل من التشريع، وقد نبه على ذلك حديث «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» وجاء فيه أيضا حديث «ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

وأما الجهل بمحل القياس فى التشريع، فقد نشأ عنه أيضا أن قاس الناس من متأخرى الفقهاء فى العبادات وأثبتوا به فى الدين ما لم ترد به سنة ولا عمل، مع توفر الحاجة إلى عمله وعدم المانع منه، ومن ذلك إسقاط الصلاة. فإن أصحابها قاسوها على فدية الصوم التى ورد النص بها، ولم يقفوا عند هذا الحكم بالجواز بل توسعوا فشرعوا لها من الحيل ما يجعلها صورة لا روح فيها ولا أثر لها.

والابتداع هنا من أغرب أنواع الابتداع، فهو ابتداع لأصل الحكم واحتيال لإسقاط تكاليف الحكم المبتدع، ثم اعتبار الأمرين البدعة والاحتيال فى إسقاطها من الدين - ويجدر بنا تسميته بالبدعة المركبة - يخرجان من عهدة التكليف، ويترتب عليهما ثواب الله الذى أعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وهذا نوع خاص من البدعة:

وأما الجهل بأساليب اللغة العربية، فقد نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها وكان ذلك سببا فى إحداث ما لا يعرفه الأولون. ومن ذلك قول بعض الناس إن حديث. «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على». يطلب الصلاة على النبى من المؤذن عقب الأذان، ولم يطلب منه أن تكون بغير كيفية الأذان، وهى الجهر، فدل على مشروعيتها بالكيفية المعروفة، ووجهوا دلالة الحديث على طلبها من المؤذن بأن الخطاب فى قوله صلى الله عليه وسلم لجميع المسلمين، والمؤذن داخل فيهم. أو بأن قوله (إذا سمعتم) يتناوله لأنه يسمع نفسه. وكلا التأويلين جهل بأساليب اللغة فى مثل هذا، فصدر الحديث لم يتناول المؤذن قطعا، وآخره جاء على أوله فلا يتناوله أيضا. ومن ذلك أيضا مازعمه بعض آخر من أن المحرم من الخنزير لحمه دون شحمه، لأن القرآن إنما حرم اللحم دون الشحم، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن كلمة «اللحم» فى اللغة العربية تطلق على الشحم ولا عكس. ومنه أيضا قول بعض المتكلمين إن لله (جنبا) بدليل قوله تعالى «أن تقول نفس يا حسرتا على مافرطت فى جنب الله»، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن العرب لاتعرف «الجنب» فى مثل هذا التركيب بمعنى العضو المعروف فهى تقول: هذا يصغر فى جنب ذاك تريد بالإضافة إليه. قال الإمام الرازى فى تفسيره: «القائلون بإثبات الأعضاء لله تعالى استدلوا على إثبات الجنب بهذه الآية، واعلم أن دلائلنا على نفى الأعضاء قد كثرت فلا فائدة فى الإعادة» وبعد أن ساق المأثور عند المتقدمين عن المراد بالجنب قال: «واعلم أن الإكثار من هذه العبادات لا يفيد شرح الصدور وشفاء الغليل فنقول: الجنب سمى جنبا لأنه جانب من جوانب الشىء، والشىء الذى يكون من لوازم الشىء وتوابعه يكون كأنه جانب من جوانبه. فلما حصلت هذه المشابهة بين الجنب الذى هو العضو، وبين ما يكون لازما للشىء وتابعا له صح الإطلاق، ولا جرم من إطلاق لفظ الجنب على الحق والأمر بالطاعة قال الشاعر:

أما تتقين الله فى جنب وامق ... له كبد حرى عليك تقطع

هذه جملة من الأمثلة يتضح بها كيف يأتى الابتداع من جهة الجهل باللغة العربية: مفرداتها وأساليبها، وقد أجمع الأولون على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسى فى جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها.

وأما الجهل بمرتبة القياس فى مصادر التشريع وهى التأخر عن السنة، فقد ترتب عليه أن قاس قوم مع وجود سنة ثابتة وأبوا أن يرجعوا إليها فوقعوا فى البدعة، والمتتبع لآراء الفقهاء يجد أمثلة كثيرة لهذا النوع، وأقربها ما قاله البعض من قياس المؤذن على المستمع فى الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام عقب الأذان مع وجود السنة التركية التى قد علمت حكمها وأنها مقدمة على القياس، ومع أن حديث « إذا سمعتم المؤذن » يدل بأسلوبه على اختصاص المستمعين بالصلاة عقب الآذان ».

متابعة الهوى فى الأحكام:

قد يكون الناظر فى الأدلة ممن تملكهم الأهواء فتدفعه إلى تقرير الحكم الذى يحقق غرضه ثم يأخذ فى تلمس الدليل الذى يعتمد عليه ويجادل به، وهذا فى الواقع يجعل الهوى أصلا تحمل الأدلة عليه ويحكم به على الأدلة، وهو قلب لقضية التشريع، وإفساد لغرض الشارع من نصب الأدلة. ومتابعة الهوى أصل الزيغ عن صراط الله المستقيم « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »، وقد جاء فى الصحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) والابتداع به يكثر عند أرباب المطامع فى خدمة الملوك والحصول على عرض الدنيا وحطامها، ولعل أكثر الحيل التى نراها منسوبة إلى الدين - والدين منها برى. - يرجع إلى هذا، ولا يبعد أن يكون منه الأذان السلطانى ونحوه من البدع التى لم نرها إلا فى صلاة الملوك والسلاطين، وكذلك بدعة المحمل، وبدعة الاجتماع لإحياء بعض الليالى وغير ذلك مما يغلب أن يكون رغبة لملك أو مشورة لمقرب إليه، ثم توارثتها الأجيال. وعمت الجماهير، وصارت عندهم دينا ينكرون على من أنكره.

والمبتدعون بمتابعة الهوى ينتسبون بهذه الخطة السيئة إلى أولئك الذين قال الله فيهم «ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون»، « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار. ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق، وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد »، والواقع أنه بمتابعة الهوى تكتسح الأديان

ويقتل كل خير ، والابتداع به أشد أنواع الابتداع إثما عند الله وأعظم جرما على الحق. فكم حرف الهوى من شرائع ، وبدل من ديانات ، وأوقع الإنسان فى ضلال مبين .

تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات :

إن الله جعل للعقول حداً تنتهى فى الإدراك إليه ، ولم يجعل لها سبيلا إلى إدراك كل شىء ، فمن الأشياء مالا يصل العقل إليه بحال . ومنها ما يصل إلى ظاهر منه دون اكتناه . وهى مع هذا القصور الذاتى لاتكاد تتفق فى فهم الحقائق التى أمكن لها إدراكها ، فإن قوى الإدراك ووسائله تختلف عند النظار اختلافا كثيراً ، ولهذا كان لا بد فيما لا سبيل للعقول إلى إدراكه ، وفيما تختلف فيه الأنظار ، من الرجوع إلى مخبر صادق ، يضطر العقل أمام معجزته إلى تصديقه ، وليس ذلك سوى الرسول المؤيد عند الله العليم بكل شىء ، الخبير بما خلق ، وعلى هذا الأصل بعث الله رسله يبينون للناس ما يرضى خالقهم ، ويضمن سعادتهم . ويجعل لهم حظاً وافراً فى خيرى الدنيا والآخرة .

وقد شذ عن هذا الأصل قوم رفعوا العقل عن مستواه الذى حدده الله ، وجعلوه حجة الله على عباده ، وحكموه فيما لا يدركه مما أنزل الله ، فرجعوا فى التشريع إليه وأنكروا فى النقل كل مالم يعهد فى إدراكه ، ثم توسعوا فى ذلك وجعلوه أصلا فى التشريع الإلهى ، واستباحوا بعقولهم فيه مالم يأذن به الله ، وما لا نعلم أنه يرضى الله أو يغضبه ، ولقد أعانهم على الابتداع فى العبادات أنهم نظروا فيما أدركه العلماء من أسرار التشريع وحكمه ، وزعموا أن هذه الأسرار هى المقصودة لله فى تشريع الحكم ، وأنها داعية إليه ، فشرعوا عبادات على مقتضى هذه الأسرار فى بعض تشريع الله .

وهذا هو الاستحسان الذى ذمه أصحاب الرسول وأئمة الهدى والدين ، وأنكروا على الآخذين به . ومن ذلك قول الشافعى : « الاستحسان تلذذ ، ولو جاز لأحد الاستحسان فى الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل العلم ، ولجاز أن يشرع فى الدين فى كل باب ، وأن يخرج كل أحد لنفسه شرعا » وقوله « ومن استحسن فقد شرع » ومعناه كما قال الريانى « أنه نصب من جهة نفسه شرعا غير الشرع » وقد وقع كثير من الابتداع بهذا الطريق ، فبحكم العقل القاصر رد كثير من الأمور الغيبية التى صحت بها الأحاديث كالصراط والميزان ، وحشر الأجساد والنعيم والعذاب الجسمى ورؤية البارى وما إلى ذلك مما لم يدركه العقل ولا ينهض على إدراكه .

وباستحسان العقل القاصر ترك العمل بكثير من الأحكام الشرعية جريا وراء أن غيرها

أقوى منها فى تحصيل الغرض المقصود من التكليف ، وباستحسان العقل القاصر زيدت عبادات وكيفيات ما كان يعرفها أشد الناس حرصاً على التقرب من الله .

هذا وكما يترتب الابتداع بتحسين الظن على عدم إدراك العقل أو على ظن أن الأسرار مسوغات للتشريع وداعية إليه ، يترتب أيضا على إرادة دفع منكر أو مخالفة لشرع ثابت فتستحسن بدعة يشتغل الناس بها عن مقارفة المنكر بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتكاب المنكر الصريح . ومن ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع فى المسجد ، وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعا كما يقولون لتحدث الناس بكلام الدنيا فى المسجد والجنائز .

ومنه الابتداع بقصد الحصول على زيادة المثوبة عند الله ، ويظن أن طريق هذا تحميل النفس مشقة فى جنس ما يتعبد الله به ، وهذا تارة يكون بإلحاق غير المشروع بالمشروع ، لأنه يزيد فى المقصود من التشريع ، ومن أمثلة ذلك التعبد بترك السحور لأنه يضاعف قهر النفس المقصود من مشروعية الصوم ، والتعبد بتحريم الزينة المباحة التى لم يحرمها الله لأنه يزيد فى الحكمة المقصودة من تحريم الذهب والحرير . ومن هذا النوع اختيار أشد الأمرين على النفس عند تعارض الروايات مع أن المأثور عنه صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما . وحمل جميع أفعال النبى صلى الله عليه وسلم على التعبد الذى يجب فيه التأسى مع أن كثيرا منها عادى لا تعبد فيه ولا يطلب فيه التأسى .

وتارة يكون باختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك التزوج والتزام السنن والآداب كالتزام الواجبات ، وقد جاء تحذير عن ذلك كله كما فى قوله عليه السلام : « ما بال قوم يتنزهون عن الشىء أصنعه ، فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم خشية له » ، وقوله عليه السلام : « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » ، وقوله : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم » ، وقد رد النبى صلى الله عليه وسلم على ابن عمر والرهط الذين تقللوا عبادته صلى الله عليه وسلم وأرادوا مشاق الطاعات .

وقد غفل قوم عن هذه التحذيرات واخترعوا لأنفسهم عبادات أو كيفيات فى العبادات أو التزامات خاصة ، وعبدوا بها وعلموها لأتباعهم على أنها دين ودين قوى ، وجهلوا أن القرب من الله إنما يكون بالتزام تشريع الله وأحكامه ، وأن وسائل التقرب إليه محصورة فيما شرعه وبلغه عنه رسوله الأمين فوقعوا بذلك فى البدعة والمخالفة وحرموا ثواب العمل وكانوا من الآثمين .

هذه الأسباب التى أوردناها هنا للابتداع قد أحاط بأطرافها وجمع أصولها حديث: « يحمل هذا العلم فى كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف المغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين »، فتحريف المغالين يشير إلى التعصب والتشدد ، وانتحال المبطلين يشير إلى تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات ومتابعة الهوى ، وتأويل الجاهلين يشير إلى الجهل بمصادر الأحكام وبأساليب فهمها من مصادرها .

الأسباب المفضية إلى ذيوع البدعة :

يرجع ذيوع البدعة وانتشارها بين الناس إلى أمرين شديدى الخطر على سلامة الأديان من التحريف والزيادة والنقص :

أولهما - اعتقاد العصمة فى غير المعصوم .

والآخر - التهاون فى بيان الشريعة على الوجه الذى به نقلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكثيرا ما ترى الأول فيمن ينتسبون إلى طرق التصوف وأنهم يقرءون عن شيخ طريقتهم شيئا من الأحوال التى تنافى الأحكام الشرعية ، فيعتقدون أنها من التشريع الذى خص الله به عباده المقربين ، وأن شيخهم لا يفعل إلا حقا ، ولا يقول إلا صدقا ، والفقه للعموم وهذه طريقة الخصوص ، فيتبعونه فى كل ما يؤثر عنه من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب إلى الله الموصل إلى رضاه .

وتراه أيضا فى أتباع الفقهاء يقرءون عنهم فى كتبهم ، ويعتقدون عصمتهم من الزلل ، فيتمسكون بكل آرائهم وإن وصلتهم الرواية الصحيحة عن رسول الله بخلاف رأى أئمتهم ، وقد أفرط الناس فى رفع مستوى العلماء ومؤلفى الكتب بالنسبة إلى ما خلفوه من آراء وأحكام واعتقد كل فريق أن رأى متبوعه هو الحق ، وقالوا : إنه لو كان الدين غيره لما استقر على توالى العصور ، ولأنكره من قبلنا من الشيوخ والأئمة ، وأنه لا حق لنا فى التمسك بالحديث يروى بخلاف رأى الأئمة والمدون فى الكتب ، لأنهم أعلم منا بالحديث وبمعناه ، فلا شأن لنا به ولا يصح أن نعدل إليه ونترك ما ألفناه من العبادة وكيفيتها .

سرى ذلك فى عقائد الناس فعملوا بالبدعة وتركوا السنة ، مبررين أعمالهم بكلمة مأثورة وضعها أرباب الابتداع لتكون سبيلا إلى ترويج بدعهم وهى « من قلد عالما لقى الله سالما » ، وقد فات هؤلاء أن التقليد المباح المطلوب ، شرطه الاستشراف إلى الحق ، والرجوع إليه ببينة وأنه ما من إمام إلا حذر من الاتباع وترك الحديث إذا صح ، وفاتهم أن هذه الطريقة قد أنكرها الله فى كتابه الكريم على من جعل اتباع الآباء والأسلاف أصلا فى الدين يرجع إليه دون سواه حتى ردوا برهان الرسالة

وحجة القرآن بقولهم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » وفاتهم أيضا أن التعصب لرأى العلماء إلى هذا الحد نوع من اتخاذ غير الله ربا . وكان ذلك سنة أتباع الأحبار والرهبان ، « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » وفاتهم أن الإجماع الذى عد مصدرا من مصادر التشريع يجب اتباعه . ويتصل بهذا أيضا الخطأ فى فهم معنى الإجماع الذى عد من مصادر التشريع الإسلامى ، فقد يقع فى أفهام كثير من الناس أن عمل الجمهور وبخاصة إذا اتفق توارثه عن أجيال سابقة ، وعم العمل به جميع الطبقات فى المساجد والمجتمعات وأندية العلماء من إجماع الأمة التى ورد أنها لاتجتمع على ضلالة ، فلا يجوز مخالفته ولو ظهر ما يخالفه ، ومن هنا يشتد تمسكهم بالبدع بل بالمحرمات بحجة أنها أشياء مأثورة وقد رآها العلماء وخالطوا أهلها ولم ينكروها ، فدل على أنها الشرع وغيرها الضلال المبين ، وقد انتشر عن هذا الطريق كثير من بدع المساجد والموالد ، وإحياء الليالى والاستئجار على الختمات والتهاليل والتسابيح إلى غير ذلك مما هو معروف بأنه دين والدين منه برىء .

أما الثانى وهو تهاون العلماء فى بيان الشريعة فإثمه على العلماء الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يبينوا للناس ما نزل إليهم ، وقد أهمل جمهور العلماء من زمن بعيد هذا الواجب الدينى العظيم الذى يتوقف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدران — أهملوه — إما ضعفا وخوفا من تألب العامة وغضب الخاصة ، وإما مجاملة للعظماء والحكام ، وإما تهاونا بأصل الواجب وجريا على قاعدة « دع الخلق للخالق » التى يبررون بها إحجامهم عن البيان ، وإما تواكلا نظراً إلى أن البيان واجب كفائى قيام البعض به يسقط وجوبه عن الباقين .

ولما سكت العلماء وألف الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلون ظن العامة أن ما يفعلونه دين وشرع ، وربما جاراهم بحكم الإلف والعادة العلماء لهم فيما يفعلون وبذلك صار ردهم عما ألفوا من البدع إلى ما تركوا من السنن شاقا على من يحاوله ، لأنهم يرونه إحداثا جديدا فى الدين لم يعرفوه فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولقد كان العلماء من تحذير الله ، ترك البيان وإهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما يدفع بهم إلى مكافحة البدع كلما ذر قرنها ، والعمل على حفظ السنن كلما هبت عليها ريح عاصف ، ونرجو أن يكون عن هذا ما ينبهنا إلى واجبنا وينقذنا من هول ما نحن فيه . هدانا الله إلى صراطه المستقيم .

الفصل الثانى :

فى مضار الابتداع

لو أن مضار الابتداع تقف عند المبتدع

ولا تتعداه إلى غيره لهان الأمر وسهل الخطب؛ ولكن مضار الابتداع منها ما يصيب المبتدع ومنها ما يصيبه ويصيب أتباعه في العمل بالبدعة، ومنها ما يصيب الدين نفسه، ومنها ما يصيب الأمة التي وقع الابتداع في دينها.

أما ما يصيب المبتدع فهو اغتصاب حق التشريع الذي لا يكون إلا لله وحده. وذلك أن المبتدع يرى أن الناس مكلفون ببدعة، ولذلك يقوم بالدعوة إليها والحث عليها. وهو من هذه الناحية يضع نفسه موضع المشرع الذي يتعبد الناس بأمره ونهيه، وهذا بعينه اغتصاب حق التشريع الذي لا يكون إلا لله. قصده المبتدع أم لم يقصده.

وقد وقع فيه مشركو العرب كما وقع فيه الأحبار والرهبان من أهل الكتاب، ونعى القرآن الكريم على الفريقين مسلكهم، وقص علينا شيئاً مما شرعه المشركون بغير حق. قال تعالى في سورة الأنعام: «وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حرمت ظهورها، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه، سيجزيهم بما كانوا يفترون. وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء، سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم». وقال تعالى في سورة النحل: «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون».

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله». أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا يحلون ويحرمون، وهذه الربوبية هي ربوبية التشريع التي تتحقق باغتصاب حق التحليل والتحريم.

ولا شك أن مسلك المبتدع في تحليل ما يحل وتحريم ما يحرم من غير سند شرعي، وفي دعوة الناس إلى بدعته هو بعينه مسلك هؤلاء الذين اغتصبوا لأنفسهم حق التشريع الذي لا يكون إلا لله.

ولهذا كان المبتدع في هذه الناحية واضعاً نفسه موضع المغتصب لحق التشريع الذي لا يكون إلا لله، وواضعاً نفسه موضع من يرى أن الحدود التي رسمها الله ليتقرب بها العباد إليه إما ناقصة وهو بابتداعه يستدرك ذلك النقص، وإما أن محمداً صلى الله عليه وسلم قصر في التبليغ وحجز عن أمته بعض ما يقربها إلى الله. وفي هذا المعنى قال الإمام مالك رضي الله عنه: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول: «اليوم أكملت لكم دينكم». فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً.

«وجاء في كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عدى ابن أرطأة عليك بالسنة فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق ، فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وتقوى» .

فإذا كان المبتدع يرى أن ابتداعه لم يكن إلا لخير الناس في دينهم فما أجدره بالحزن العميق على نفسه بموقفه من البدعة التي عرف الشارع ما فيها من خطأ وزلل وحمق .

وإذا كان الابتداع يتضمن هذا الوضع السيء من هاتين الناحيتين : «اغتصاب حق الله في التشريع ، والوقوف من التشريع موقف من يعتقد فيه النقص وعدم التمام» ، «فإنه من جهة ثالثة يوقع الناس في اعتقاد أن ما ليس من الدين دين ، وهو من التلبيس الذي أضل به كثير من أهل الكتاب وصرفوا به كثيراً من الناس عن سبيل الهدى والرشاد : «يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون» «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد» .

ومن هنا كان المبتدع ضالا عليه وزر عمله ، ومضلا عليه أوزار الذين اتبعوه في بدعته . قال تعالى: «ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم» ، وفي الصحيحين (ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها) وقد أشار إلى ذلك الحديث (وما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل) وفيه دلالة واضحة على أن من سن ما لا يرضاه الله ورسوله فهو كابن آدم الأول في تحمل قتل النفس التي تقتل ظلما لأن الإثم لم يتعلق بالقتل لخصوص كونه قتلا . وإنما لأنه عمل ما لا يرضاه الله وسن سنة لا يقرها الدين وإذا غاب عن المبتدع شيء من هذه المضار التي تحوم حول العقيدة وتوشك أن تمسها فإنه لا يغيب عنه أنه بابتداعه يعمل على إماتة السنن ، فقد ثبت أن من السنة ترك البدعة فلا يمكن إقامة إحداهما مع العمل بالأخرى ، وقد جاء عن حذيفة رضى الله عنه أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا يا أبا عبد الله ، ما نرى بينهما إلا قليلا ، قال : والذى نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور . وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : ما يأتى على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن .

وبهذه المعاني التي تلزم الابتداع في الدين

صحت الأحاديث في رد عمل المبتدع عليه وحرمانه من الثواب. وقد ورد عن يحيى بن يحيى أنه ذكر الأعراف وأهله فتوجع واسترجع ثم قال: قوم أرادوا وجها من الخير فلم يصيبوه، فقيل له: يا أبا محمد، أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب؟ فقال: ليس في خلاف السنة رجاء ثواب.

والوجه فيه ظاهر، فإن التقرب إلى الله لا ينال إلا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذي شرعه. أما مالم يشرعه من وسائل التقرب إليه فإنه لا يثيب عليه.

وصحت الأحاديث أيضا في استحقاقه اللعنة وحرمانه من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم. قال عليه السلام: (من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قال الشاطبي في الاعتصام: «وقد اشترك صاحب البدعة في اللعنة مع من كفر بعد إيمانه، وقد شهد أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لا شك فيها وجاءه الهدى من الله والبيان الشافي. وذلك قوله تعالى: كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق - إلى قوله - أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... إلخ».

واشترك أيضا مع من كتم ما أنزل الله وبينه في كتابه وذلك قوله تعالى: «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ... إلخ».

فتأملوا المعنى الذي أشرك المبتدع فيه مع هاتين الفرقتين. وذلك مضادة الشارع فيما شرع، لأن الله أنزل الكتاب وشرع الشرائع وبين الطريق للسالكين على غاية ما يمكن من البيان فضادها الكافر بأن جحدها جحدا، وضادها كاتمها بنفس الكتمان، لأن الشارع يبين ويظهر، وهذا يكتم ويخفي، وضاده المبتدع بأن وضع الوسيلة لترك ما بين وإخفاء ما ظهر.

أما ما يصيب أتباع المبتدع فهو الحرمان من الثواب، لأنهم يعبدون الله بالبدع التي لم يقرها دينا ولم يجعلها طريقا للعبادة، ولأنهم يتركون بكل بدعة يعملونها سنة من السنن التي جاء بها الرسول وحث عليها. ولهم بذلك كفل من العمل في هدم الدين عليه يجازون وبه يعاقبون، وقد حكى الله لنا شيئا من عاقبة الأتباع الذين أخذوا بأباطيل المبتدعين، وألقوا بأنفسهم في أحضانهم، وقد كان ميسورا لهم أن يعرفوا الحق من أهله وأن يرجعوا إليه. قال تعالى في سورة البقرة: «وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار» وقال في سورة الأحزاب: «يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله

وأطعنا الرسول . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » .

اما ما يصيب الدين نفسه من الابتداع فهو خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله . والاول سبب من أسباب اندراس الشرائع ، والثانى سبب من أسباب الإعراض عنها وعدم احترامها . ويتجلى هذا فى بدع أهل الطرق وغيرها مما يصور الدين تصويرا يأباه ما للدين من جمال وجلال ، وكثيرا ما تنتشر البدع وتأخذ مكانة الدين فى النفوس وتصبح هى الدين المتبع عند الناس ، وبقدر ذيوعها يكون اندراس الدين ، وهذا هو الطريق الذى اندرست به الشرائع السابقة . وانحرف عنها المتدينون ، ولهذا نعى القرآن الكريم على من حرفوا الكلم عن مواضعه وأخفوا كثيرا من الأحكام .

أما ما يصيب الأمة التى دخلت البدع فى دينها فهو إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام ، وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته ، والسنة لابد لها من طائفة تبينها وتقوم عليها ، وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعا وأحزابا ، وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض ، قالت عائشة : ألا إن نبيكم قد برىء ممن فرق دينه واحترب وتلت قوله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء . إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » .

وقد جاء فى الوصايا العشر بآخر سورة الأنعام قوله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

وروى أحمد والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : وهذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وقال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » .

وقد عنى القرآن كثيرا بتحذير الأمة من التفرق والاختلاف لأنه الداء الوبيل الذى يسرع بالفناء إلى الأمم .

وبعد : فهذا موجز القول فى بيان الأضرار المترتبة على الابتداع نرجو أن يجد فيها المبتدعون ما يردهم عن خطة الابتداع ، ويدفع بهم إلى تعرف السنن والتمسك بها .

هدانا الله إلى صراطه المستقيم ؟

محمود شلتوت

الحروف والمعانى فى اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إلى الشاعر الكبير الأستاذ رشيد سليم الخورى معقبا على رأيى فى دلالة الأوزان ومخارج الحروف باللغة العربية — من كتاب اللغة الشاعرة — فقال حفظه الله :

« ... قد تنبهت بطول المراجعة إلى أن حرف الفاء هو نقيض حرف الغين بدلالته على الإبانة والوضوح : فتح ، فضح ، فرح ، فلق ، فجر ، فسر ، إلخ ... مما يعيى إحصاؤه ويندر استثناؤه ، وأن حرف الضاد خص بالشؤم يسم جبين كل لفظة بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل : ضجر ، ضر ، ضير ، ضجيج ، ضوضاء ، ضياع . ضلال . ضنك ، ضيق ، ضنى ، ضوى ، ضراوة ضيزى ، وبعكسه الحاء التى تكاد تحتكر أشرف المعانى وأقواها : حب ، حق ، حرية ، حياة ، حسن ، حركة ، حكمة ، حلم ، حزم ، وأرى أنها لهذه المزية ولامتناعها — أو على الأقل مشقتها — دون سائر حروفنا الحلقية على حناجر الأعاجم هى أولى بأن تنسب إليها لغتنا ، فنقول لغة الحاء ، بدلا من قولنا لغة الضاد » .

• • •

والرأى الذى أوجزه الشاعر الكبير موضوع بحث مفيد يتصل ويتفرق بين المشتغلين بأسرار اللغة العربية أو بذوقياتها ، وطرائف تركيبها . وآخر مناقشة فيه حضرتها كانت بين رجلين من كبار رجال المحاماة عندنا وهما الأستاذ نجيب برادة الذى كان زميلا لنا بمجلس الشيوخ والأستاذ ابراهيم الهلباوى رحمهما الله ، وكان الأستاذ برادة يبحث عن أثر الحروف فى السمع وعلاقة ذلك بالفصاحة والإقناع ، ويعتقد أن « الحاء » أظهر الحروف أثرا فى الإيحاء بمعانى السعة — حسية كانت أو فكرية — ويعمم الحكم فيسوى بين موقع الحاء فى أول الكلمة وموقعها فى وسطها أو آخرها ، ويتمثل بكلمات الحرية والحياة والحلم والحكمة والحلاوة ، وهو — رحمه الله — قد كان فى خلائقه مثلا للحلم والحكمة والأناة . ولم تكن شدته فى الدفاع أو المناقشة والمناقضة تحول يوما دون ابتسامة اللطف والبشاشة على شفتيه .

ولقد كان زميله الهلباوى — على عادته فى الفكاهة والدعابة — يسخر من فلسفته

« الحائية » كما يسميها ، ويقول له إن اسم « الحمار » مبدوء بالحاء ، وإن أشيع اللفظات على ألسنة النادبات يتردد فيها حرف « الحاء » ..

وإن « حسين فلان » ... ويسمى صاحبا لهما باسمه واسم أبيه « من أضيق أصحاب العقول والصدر ... !

وكنا - إذا ضحكنا من هذه الدعابة - لا نسمح لها أن تخلط بين النكتة والحجة ولا ننسى خطر الفكاهة فى مقام الاستدلال على الجد والحقيقة . إلا أننا كنا نخالف الأستاذ برادة فى تعميم الحكم على الحرف بغير تفرقة بين مواقعه فى الكلمات ومواقعه فى السماع ، وقد ضربنا له المثل بكلمات لا تغيب عن الحامين على التخصيص : وهى كلمات « الحبس والحجر والحرج والحد والحساب والحرس » وغيرها من الكلمات التى تناقض معانى السعة بالحس أو بالتفكير .

ونحب أن نعود إلى هذا البحث لمناسبة الرأى الذى أبداه الأستاذ الخورى فنقول إن : « الحاء » حقا من الحروف التى تصور معنى السعة بلفظها ووقعها فى السمع ولكن على حسب موضعها من الكلمة ومصاحبة ذلك الموضع للدلالة الصوتية ، وليست دلالتها هذه مصاحبة للفظها حيث كانت من أوائل الكلمات أو أواسطها .

فالحكاية الصوتية واضحة فى الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات « الارتياح والسماح والفلاح والنجاح والفصاحة والسجاحة والفرح والمرح والصفح والفتح والتسبيح والترويح ، وما جرى مجراها فى دلالة نطقه على الراحة فى الضغط والقيد فى مخارج الأصوات .

ولا يمتنع مع هذا أن تكون « الحاء » المنفردة حرفا سهلا قليل الحاجة إلى الضغط فى مخارج الصوت ، ولكن يجوز أن يكون البدء بهما مقصوداً به عند وضع الكلمات الأولى أن تتبعه الحركة التى تناقض معنى السعة لتدل على الحجر والتقييد ، فإن الجيم الساكنة بعد الحاء أشبه شىء بعلامة الإلغاء التى توضع على صورة الرجل الماشى على قدميه ، ليستفاد منها « أن المشى ممنوع فى هذا المكان » ... وكذلك الباء الساكنة بعد الحاء فى اسم « الحبس » فإنها تنفى السعة بعد الإشارة إليها فى أول الكلمة ، وهذا - كما قدمنا - فرض يجوز أن يخطر على البال قبل رفض القول بدلالة الحاء على السعة فى أواخر الكلمات ، وهى دلالة يعززها التكرار والإحساس بموقع الكلمات المنتهية بالحاء من الأسماع .

وقد ينفعنا الالتفات إلى دلالة الحكاية الصوتية للتفرقة بين حروف الهجاء فى خصائصها المعنوية . إذ ليست كل الحروف سواء فى حكاية

الأصوات من أصوات الأحياء أو أصوات الجمادات ، وإنما يقع بينها الاختلاف بمقدار صلاحها لحكاية الأصوات المسموعة ، فلايلزم من مصاحبة بعض المعانى لبعض الحروف أن يكون ذلك شرطا ملازما لجميع حروف الهجاء .

فالميم – مثلا – فى أواخر الكلمات تدل دلالة لاشك فيها عند الاستماع إلى كلمات ، كالختم والحسم والجزم والحطم والختم والكتم . العزم والحزم . القضم والقطم والكظم ، وأمثالها كلمات لاتخلو من الدلالة على التوكيد والتشديد والقطع الذى يدل على المعانى الحسية كما يستعار أحيــانا لمعانى القطع بالرأى والإصرار على العزيمة .

وحرف السين على نقيض الميم لدلالته على المعانى اللطيفة كالهمس والوسوسة والنبس والتنفس والحس والمساس والاقتباس ، ولكنه يتغير إذا تغير موقعه من الكلمة كما يلاحظ فى المشابهة اللفظية والمعنوية بين ، السد والشد والصد ، ... ولعله سريان العدوى والمقاربة بين الألفاظ يتسرب بجمع طول الاستعمال إلى المعانى والدلالات .

وربما فعلت المجاورة فعلها عند نقل الحرف من الدلالة على المعانى اللطيفة إلى الدلالة على غيرها كما يحدث فى كلمات الكسر والقسر والعسر والأسر والحسر ومشتقاتها وفروعها ، وهى غير مجاورة اليــاء والفاء فى التيسير والتفسير .

وقد تكون الدلالة الصوتية مطردة متماثلة بين جميع الكلمات ولكنها تحسب من الاستثناء عنـــد النظر إلى المعنى على اعتبارين غير متماثلين .

فالكتمان من الكتم شبيه بالكظم والقطم فى الحركة الحسية التى تتصورها عند الإكراه على كتمان الصوت والنفس ، ولكن الكتمان يوحى إلى الذهن بالمعنى ا طيف حين تريد به الخفاء والسكوت ، ولا شذوذ هنا فى الدلالة الصوتية أو الدلالة الحسية وإنما يعرض الذهن وهم الشذوذ عند النظر إلى المعنى على اعتبارين مختلفين .

كذلك يتشابه السطر والشطر بصوت القطع ومعناه ، ولكننا إذا نقلنا السطر إلى معنى الخط المكتوب فقد يوحى إلى الذهن معنى من معانى النحافة واللطف والنحول ، ويتباعد المسطور والمشطور على هذا الاعتبار ، وهما فى الأصل متقاربان .

ومن الأصوات ما يلوح لنـا أنها متناقضة وهى لا تتناقض فى لبابها ولكنها تتناقض فى التقدير لأنها بطبيعتها متوقفة على المعانى التى تقترن بها ، وليست لها معان ثابتة بالنسبة إلى ذواتها .

ومن هذا القبيل كلمة الجليل وكلمة القليل .

فإننا إذا نظرنا إلى اعتبار اللفظ فيهما وجب أن يكون معناهما واحداً لأن القاف لا تقل في التفخيم وبروز اللفظ عن الجيم.

ولكن العبرة بالشيء الذي تضاف إليه القلة أو الكثرة، لا باللفظ الذي تسمعه الأذن من إلقاء الكلمة على انفراد.

فالقليل من القوة مثلا كثير من الضعف، والكثير من المرض قليل من الصحة والخطب إذا جل قل الصبر على احتماله، والجليل إذا غطى الشيء فالذي يظهر منه قليل.

وليس من العجيب - إذن - أن يأتي وصف الجلل بمعنى الجسامة كما يأتي بمعنى الهوان على الضدين.

° ° °

والنتيجة بعد هذه الملاحظات السريعة قد تكون كبيرة الجدوى مع التوسع فيها وتعدد الناظرين إليها من جميع جوانبها، وخلاصتها:

«أولا» أن هناك ارتباطا بين بعض الحروف ودلالة الكلمات.

و«ثانيا» أن الحروف لا تتساوى في هذه الدلالة، ولكنها تختلف باختلاف قوتها وبروزها في الحكاية الصوتية.

و«ثالثا» أن العبرة بموقع الحرف من الكلمة لا بمجرد دخوله في تركيبها.

و«رابعا» أن الاستثناء في الدلالة قد يأتي من اختلاف الاعتبار والتقدير ولا يلزم أن يكون شذوذاً في طبيعة الدلالة الحرفية.

ولا نعرف بين اللغات الكبرى لغة أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من أبواب الدراسات اللغوية؛ لأن مخارج حروفها مستوفاة متميزة: خلافا لأكثر اللغات التي تعوزها الحروف الحلقية أو تلتبس فيها مخارج حروف الهجاء.

عباس محمود العقاد

النصر في الاتحاد

من كتاب أبي بكر لقواد المسلمين في واقعة اليرموك:

«اجتمعوا فكونوا عسكرا واحدا، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين فإنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا، من تلقاء الذنوب؛ فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه».

الإسلام والمجتمع

للأستاذ الدكتور محمد البهى

إن أى مجتمع إسلامى فى أى بلد إسلامى فى الوقت الحاضر تخلى عنه الاستعمار نتيجة لحركة الاستقلال الوطنية فيه ، وأصبح بفضل هذه الحركة مستقلا سياسيا — أخذ يتطلع إلى المجتمعات الأخرى المعاصرة التى تفوقت فى الصناعة وتقدمت فى البحث العلمى ، وبالتالى فى استغلال الثروات الوطنية . وارتفع بذلك مستواها الاقتصادى ودخل الفرد على السواء .

ومن حق هذه المجتمعات الإسلامية أن تتطلع إلى التفوق فى الصناعة والبحث العلمى . ومن حقها أيضا أن تسعى إلى رفع دخول الأفراد ومستواها فى الحياة الاقتصادية .

ومن حق هذه المجتمعات كذلك أن تفتش عن أسباب الضعف فيها ، وعن عوامل التخلف لتزيلها وتقضى عليها ، ثم تأخذ بأسباب القوة والتفوق .

ولكن أين تكمن أسباب الضعف وعوامل التخلف ؟ .

أتكمن فى البعد عن الإيمان بالإسلام وتطبيق مبادئه ـ كما يصورها القرآن والسنة الصحيحة — فى حياة المسلمين ؟ .

أم تكمن هذه الأسباب وتلك العوامل فى الانتساب إلى الإسلام والأخذ بتعاليمه ؟

إن هناك استعمارا خرج ، واستعمارا آخر يريد أن يدخل . هناك الاستعمار الذى خرج وهو الاستعمار الذى واجهته الحركة الوطنية الاستقلالية . ولم يخرج هذا الاستعمار إلا بعد أن فرق المجتمع الإسلامى إلى طائفتين رئيسيتين : طائفة أعدها وقت استعماره لمعاونته فى جهاز الحكم الداخلى . وهذه الطائفة بقدر ما أبعدها عن القيم الإسلامية ، بقدر ما قربها إلى أهدافه هو فى الحياة . وطائفة أخرى أهملها وانتقص شأنها ، وهى تلك الطائفة التى احتضنت تلك القيم الإسلامية ودافعت عنها ، وربما كافحها وعمل على إذلالها .

وبذلك وضع القيم الإسلامية فى ميزان الصراع بين الطائفتين فى المجتمع ، إحداهما تواجه الأخرى بالخصومة حول هذه القيم . طائفة ترضى عنها وتريد منها سبيلها فى الحياة وأخرى تنفر منها وتريد أن تبعدها كلية من توجيه الحياة .

وطول فترة الاستعمار يزود المستعمر الطائفة

التي ابتعدت عن القيم الإسلامية وتحاول أن تتجنبها في توجيه الحياة — بالدراسات الإسلامية التي تصورها مصادر الاستشراق في أوربا على اختلاف عددها وألوانها ، باللغات الأوربية الحديثة . وهي دراسات تهدف إلى إضعاف صلة المسلمين بالإسلام :

مرة عن طريق تشويه شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بتصويره ذا ميل حيواني ، أكثر منه صاحب رسالة للإنسانية ، بسبب تعدد زوجاته وهن أمهات المؤمنين .

ومرة عن طريق تشويه الدعوة الإسلامية ، عن طريق دعوى انتشارها بالسيف ، وليس بالإقناع .

ومرة عن طريق تشويه المبادئ الإسلامية -كمبدأ الجهاد في سبيل الله ، ومبدأ ولاء المؤمن للمؤمن ، والمؤمنة للمؤمنة ، ومبدأ الطلاق . فيصفون الجهاد في سبيل الله بأنه حض على الاعتداء ، ويصفون ولاء المؤمنين بعضهم لبعض بأنه حض على العزلة وعدم الاتصال بالأمم والشعوب الأخرى، ويصفون الطلاق بأنه تفكيك لروابط الأسرة وتمهيد لإشباع الرغبة الحيوانية بالزواج في حدود الأربع .

ومرة رابعة عن طريق وصف الإسلام كله بأنه دين البدائية ، وأنه لا يتمشى مع الحضارة الإنسانية . لأنه ولد في الصحراء . وإن صلح فيما مضى فإنه لا يصلح لحياة المدنية والحضارة الإنسانية .

ويقرأ المثقفون على النمط الغربي هذه الأوصاف ولا يستطيعون أن يردوها أو ينقضوها لأنهم لا يعرفون من الإسلام إلا تلك المظاهر التي لمواطنيهم المسلمين . وهي مظاهر تدل في الجانب الفكري على جمود في الفهم ، وتدل في العادات على حرص على المألوف ، وفي السلوك على تواكل وتراخ في الأخذ بأسباب الحياة الإنسانية القوية .

بل كثيراً ما يصدقون وصف الغربيين المستشرقين للإسلام ومبادئه ورسوله . ومن أجل ذلك كانت رغبتهم القوية في تغيير وضع المجتمع على أساس من فصل الإسلام عن التوجيه وجعله عبادة تربط بين الفرد وربه ، دون أن يكون له أثر في علاقات الأفراد بعضهم ببعض أو في ربط المجتمع بمجتمع آخر .

ولكن مع ذلك لولا تلك الطائفة الأخرى التي احتضنت الإسلام ودافعت عنه ، وتعرضت لإذلال المستعمر وهجومه واستخفافه لما خرج المستعمر من أي بلد إسلامي احتله فترة طويلة .

إن إيمان هذه الطائفة بالله وبالإسلام -

مع ما قد يكون لها من بعض الأفهام الخاطئة لتعاليم الإسلام ـ هو الذى أقلق المستعمر فى استعماره ، وهو الذى أيأسه من البقاء ومن ثم آثر السلامة بالخروج من الوطن الإسلامى .

وإن المجتمعات الإسلامية التى تحررت من الاستعمار الغربى لم تتحرر منه نتيجة لجهود المنظمات الدولية ، وإنما تحررت بفضل تضحيات الوطنيين فى سبيل الله . ولولا مبدأ الجهاد فى سبيل الله ـ الذى هو مبدأ رئيسى فى النظام الإسلامى ، والذى يصفه الاستعمار بالرغبة فى الاعتداء ـ لما تحررت الشعوب الإسلامية ، ولفنيت فى مجتمعات المستعمرين كطبقة دنيا بين طبقاته .

وإن تلك الطائفة الثانية فى المجتمع الإسلامى لمدينة بوجودها فى صف قيادة المجتمع إلى الطائفة الأولى ، وإلى إسلامها وجودها فى التمسك بالإسلام . ولولاها لبقيت فى تبعية المستعمر وفى خدمته ، ولبقيت مستمرة هذه التبعية ، بل ربما جعلت من هذه التبعية مجداً وفخراً لها ، بدلا من أن تتخذ من صيانة الوطن والدفاع عن قيمه وأرضه مصدراً للفخر والمجد .

إن الجزائر فى حربها ـ فى السنة السابعة منها اليوم ـ ضد الاستعمار الفرنسى لم يكن لها من دافع على هذه الحرب وعلى الاستمرار فيها سوى الإيمان بالله والإيمان بالإسلام وإن هذا الإيمان بالإسلام لولا أن نقله شيوخ الجزائريين إلى شباب الجزائر لما قامت هذه الحرب ولما استمرت ، إذ فعل المستعمر الفرنسى فى الجزائر ما وسعه فى إبادة مقومات الشخصية الجزائرية : فحال دون تعلم اللغة العربية وتعليمها ، وحال دون دخول المساجد والتعبد فيها ، وحال دون الاطلاع على التاريخ العربى والإسلامى المجيد والتأثر بأحداثه فى استقلال شخصية المجتمع الإسلامى . وفى الوقت نفسه قدم فى المدارس التى أنشأها مسخاً شنيعاً للإسلام وتعاليمه ، وتمجيداً لإنسانية فرنسا ومدنيتها . ومع ذلك لولا الإيمان بالله وبالإسلام لما قامت هذه الحرب ، فضلا عن أن تستمر .

إن الذين يمارسون اليوم دور القيادة فى المجتمعات الإسلامية عليهم أن يراجعوا تاريخ أنفسهم وتاريخ خصومهم من الذين لا يزالون يحتضنون القيم الإسلامية ويدافعون عنها . وسيعلمون يقيناً أن دور خصومهم فى المجتمع أيام الاستعمار هو الذى هيأ لهم الطريق للقيادة فى عهد الاستقلال ، وأن بقاء المجتمع وقوته ليسا فى إبعاده عن تراثه الروحى والفكرى ، وإنما فى صيانة هذا التراث وحده .

الإسلام ليس وضع المسلمين فى سلوكهم :

ولكن مع ذلك لا نريد أن ندافع عن الوضع الحالى للمسلمين فى أى مجتمع ، كما لا نريد أن نشتق منه تعاليم الإسلام على نحو ما يصنع المستشرقون . إن وضع المسلمين فى أى عهد لا يمثل تماما تعاليم الإسلام . والقرآن - وحده ، والسنة الصحيحة بجانبه - هو الذى يصور هذه التعاليم حق تصويرها .

إن الإسلام دين المجتمع البشرى . ومن لا يدرك هذا فقد أدخل فى مفهوم الإسلام ما ليس منه .

هو دين تناول بناء الفرد ، وبناء الأسرة ، وسياسة الأفراد فى علاقاتهم بعضهم ببعض داخل المجتمع ، وتناول أيضا سياسة لمجتمع قام على الإيمان بالإسلام نحو مجتمع آخر لم يشاركه هذا الإيمان .

إن سياسة بعض الدول الكبرى فى عصرنا الحاضر تسقط اعتبار المواطن الذى لا يؤمن باتجاه الدولة فيها وسياسة البعض الآخر منها تعتبر ما لا يدور فى فلكها وفى اتجاه سياستها الدولية من شعوب أخرى فى حساب الخصوم والأعداء . ولكن الإسلام - لأنه دين الإنسانية - لا يمس كيان مجتمع آخر مقابل له فى الإيمان والنظرة إلى الحياة ولا ينظر إليه نظرة عدائية ، مادام أن هذا المجتمع يجنح إلى السلم وعدم الاعتداء : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » . كما أنه لا يجرد الفرد غير المسلم من اعتبار الإنسانية ووجوب الرعاية وبالأخص من ممارسة العدل معه ، ما دام لا يرتكب الظلم والعدوان : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله » .

ومع اختلاف الإسلام عن النظرات التى توجه المجتمع الإنسانى الحديث فى الموقف تجاه الذى لا يؤمن بالقيم التى يدعو إليها — فرداً أو مجتمعا — فهذه النظرات الفلسفية المعاصرة تحاول أن ترى الإسلام على أنه وجد لحقبة معينة من الزمن هى حقبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولمكان معين هو شبه الجزيرة العربية ، ، ولقوم خاصين هم القبائل العربية التى لم يكن لها حظ من الحضارة الإنسانية . ومن ثم فالإسلام لا يستطيع أن يسهم فى الحضارة البشرية المتطورة ، ولا فى الاحتفاظ بما حصلت عليه الإنسانية الآن من هذه الحضارة . والتمسك به معناه التمسك ببقاء الإنسانية فى طورها البدائى - وهو الطور الذى جاء فيه - أو معناه إمساك الإنسانية عن أن تسير نحو الأمام . وهذا أو ذاك ضد الطبيعة البشرية المتغيرة المتطورة .

إن المعيار الذى يخضع له الإسلام فى الحكم وتخضع له أيضا الاتجاهات الفلسفية المعاصرة من التقدمية أو الديمقراطية ، ومن الاشتراكية أو الحرية الفردية — هو المستوى الإنسانى الذى تتحقق فيه خصائص الإنسانية . فبقدر قرب المبادئ أو بعدها التى يتكون منها الإسلام أو تدعو إليها الاتجاهات المعاصرة من هذا المستوى ، وبقدر تمثيلها أو عدم تمثيلها إياه — بقدر ما يكون الإسلام أو تكون تلك الاتجاهات صالحة أو غير صالحة للطبيعة الإنسانية ولحياة الإنسان التى يريد أن يصعد إليها فى مراحل تطوره من الطفولة البشرية إلى نضوج الإنسانية .

ولا يختلف اثنان مطلقا فى أن المستوى الإنسانى هو غاية الحياة الإنسانية ، والهدف الأخير للتوجيه باسم هداية الله أو باسم التنوير والتبصير عن طريق المعرفة المستخلصة من واقع الكون أو التى يرسمها العقل البشرى .

ولا يختلف اثنان أيضا على الإطلاق فى أن التجربة التى يمر بها المجتمع الإنسانى فى ظل توجيه معين — مهما بدا فيها التقارب بين سلوك المجتمع ومبادئ التوجيه — لا تعبر تماما عن مبادئ التوجيه نفسها ، على نحو ما توحى هذه المبادئ عندما تستوحى ويطلب إليها الإدلاء بمضمونها أمام العقل غير المتأثر . فالتجربة الإنسانية فى ظل توجيه معين قد يعوقها عدم تفاعل بعض أفراد المجتمع مع المبادئ تفاعلا نفسيا داخليا ولذلك يكون تعبير المجتمع عن هذه المبادى غير صادق تماما .

ومن هنا كان « عمل أهل المدينة » — الذى ارتضاه المالكية دليلا معبراً عن مبدأ إسلامى تضمنته السنة القولية للرسول صلى الله عليه وسلم — غير كاف فى نظر الشافعية ليكون معبراً تماما عن هذا القول ويروى لذلك عن الشافعى أنه يقول : « إذا صح الحديث (القولى) فهو مذهبي » .

وهذا العمل الذى لم يقتنع به الشافعى كمعبر تماما عن السنة القولية هو عمل أهل المدينة ، أى عمل الرعيل الأول الذى باشر صحبة الرسول وعاش فى أحداث الوحى والدعوة إلى الإيمان بما نزل به عليه صلى الله عليه وسلم . فهو ألصق بمبادئ الإسلام وأدنى إليها من أى رعيل آخر بعده ولذلك كان أعلى منزلة ، والمجتمع الذى تكون منه كان أفضل المجتمعات الإسلامية :

(خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) .

وعلى هذين الأساسين كلما كانت طبيعة

مبادئ التوجيه مسابوقة للطبيعة البشرية : فى تكوينها ، وفى تطورها ، وفى غايتها فى الوجود - كان النظام القائم على هذه المبادئ أهدى للبشرية وأكثر إيجابية فى تفاعله معها ، لو نقيت هذه الطبيعة من الرواسب التى رسبت فى توجيهها اللاشعورى، وكونت فيها عاملا مضادا أو مصدراً للانحراف عن خصائص الطبيعة النقية الصافية .

والطبيعة البشرية طبيعة حيوانية عاقلة ، طبيعة مادية روحية . فيها الازدواج والتقابل فيها الميل إلى الارتباط بعالم الحس ، وفيها الاتجاه إلى الانفصال عنه والحكم عليه . تتكيف بالوجود الواقعى وتتأثر بما يدور فيه ، وترتفع فوق التأثرية فتؤثر فيه .

إن أريد لها عن طريق توجيه ما أن تظل متأثرة بالوجود الواقعى أو بما يسمى عالم الحس ، فهذا التوجيه قد بعد عن هذه الطبيعة البشرية بمقدار ما نحى عنها جانب الاتجاه فيها إلى الحكم عليه . وإن أريد لها عن طريق توجيه آخر أن تظل فوق هذا الوجود الواقعى لتحكم عليه فهذا التوجيه قد بعد عن هذه الطبيعة بمقدار ما أهمل فيها جانب النزوع إلى الارتباط بعالم الحس والواقع .

والواقعية أو المادية فى التوجيه هى التى تعطى القيمة الأولى والأخيرة لبقاء الإنسان متأثراً بالواقع دون غيره ؛ لذلك ليست بأكثر حظا فى الملاءمة للطبيعة البشرية من المثالية العقلية التى تعطى الوزن الأول لعقل الإنسان وتفكيره دون اعتبار كثير أو قليل للوجود الواقعى الذى يتأثر به الإنسان .

فإذا كان هناك توجيه متوازن ، يرعى التقابل فى طبيعة الإنسان ، ويرعى تأثره بالواقع وحكمه عليه - فذلك هو النظام التوجيهى الذى يلائم طبيعة الإنسان وهو الذى يعيش مع الإنسان ، ويصل به المجتمع إلى هدفه فى تحقيق المستوى الإنسانى .

الإسلام هو المصدر الطبيعى للتوجيه الإنسانى

فهل الإسلام هو مصدر ذلك التوجيه المتوازن ؟ . هل الإسلام يدعو الإنسان إلى الارتباط بالواقع والحكم عليه معا ؟ .

الإسلام فى توجيه الإنسان إلى الإيمان بالله دعاه إلى النزول إلى الواقع والتماس الدليل منه : « خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير

لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون ... هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه ، إن فى ذلك لآيات لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . والقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ، وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم »

وفى الوقت نفسه لم يجعل القرآن طبيعة الإنسان طبيعة انطباعية فحسب ، لم يجعلها طبيعة منفعلة بالواقع المحسوس دون أن يكون لها حكم عليه ، بل ناشد العقل والفكر فى هذه الطبيعة وناشد حكمها فقال : إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، والعقل لا يحكم حكما صحيحا والفكر لا يستقيم تأمله ثم لا يستقيم تخطيطه إلا إذا كان كل منهما فوق الانفعال والانطباع فى اللحظة التى يحكم و يفكر فيها .

وواضح أن الإسلام ، كما يطلب من الإنسان ألا يغفل واقعه المحسوس ، يطلب منه أيضاً أن يخرج الفكرة فوق واقعه المحسوس . هذا ليحكم عليه حكما صحيحاً ـ ذلك واضح من قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . والأنفس هى التى شرحها القرآن الكريم : « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » . « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . فنظرة الإنسان إلى نفسه ليست نظرته إلى واقعه ، وتأمله فيما زود به من مصادر المعرفة ـ وهى السمع والبصر والأفئدة ـ ليس هو تأمله فيما يحيط به من محس ملموس . والإنسان فى عزلته عن واقعه يستطيع أن يدرك الألوهية ، كما يستطيع أن يدركها من واقعه المشاهد .

وهكذا يستطيع الإنسان بفكره أن يكون فوق الواقع ، ولكنه مع ذلك يكون فى صلة بالواقع وليس بعيداً عنه .

ولكى يتمكن العقل من حكمه الصحيح ويتمكن الفكر من تخطيطه وتأمله المستقيم ، طالب الإسلام الطبيعة البشرية بألا تكون

تحت سلطان الواقع وحده ومتأثرة به غير مؤثرة فيه . وهنا كان مركز « الزهد » فى تعاليم الإسلام . والزهد ليس تنفيراً من الواقع ، إنما هو تنبيه فقط لعدم الانزلاق تحت طغيانه . فإذا قال القرآن الكريم : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » . وقال : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » . — لم يكن منفراً من الواقع إطلاقا . لأن إنكار تحريم الزينة فى هذه الصورة ، ثم طلب الزينة نفسها من الإنسان حتى بين يدى الله — تدل دلالة واضحة على أن الواقع والوجود المادى له قيمته واعتباره فى حياة الإنسان . ولكن الذى يطلب من الإنسان فى نظر الإسلام فى هذا المجال أن لا يؤثر الإنسان الدنيا على الآخرة : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق » . بل يكون للآخرة نصيب فيما يهدف إليه : « ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » .

ومعنى إيثار الإنسان الدنيا على الآخرة إيثاره الوجود المادى وحده على الوجود المعنوى . والوجود المعنوى هو وجود القيم التى يدركها العقل الإنسانى ويتصورها أهدافا لحياة الإنسان من العدل ، ورعاية الحرمات ، والأخوة الإنسانية ...... وتعبير الدين عن هذا الوجود المعنوى بالآخرة سببه أن آثاره باقية مع الإنسان ، والجزاء الأوفى عليها لا يكون بمتع الدنيا المادية وإنما يكون بمتع باقية أخرى . وهذه تكون فى العالم الباقى ، وهو ما وراء ذلك المحسوس المشاهد .

وهكذا تعاليم الإسلام فى توجيهها للإنسان لم تشأ أن تنقله من طبيعته ، ولم تحاول أن تقوم جانباً منها دون جانب آخر . ومحاولتها فى التوجيه هى أن تحقق للإنسان ذاتيته الإنسانية . وهى تلك الذاتية المتقابلة المزدوجة المتفاعلة التى تعش فى الواقع وفوق الواقع ، والتى تحس الشاهد وتفكر فيما وراء الشاهد ، والتى تتأثر بالوجود الواقعى الذى يعيش فيه الإنسان ، وتؤثر فى هذا الوجود بالحكم عليه وبتقديره .

ما دام الإسلام هو المصدر الطبيعى لتوجيه الإنسان فهو دين البشر والإنسانية . ولا انفكاك لمجتمع يريد أن يحقق إنسانيته من الإسلام إيمانا ومنهجاً فى الحياة .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

أسس التعامل فى الإسلام كما يقررها القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

١ — « إنى جاعل فى الأرض خليفة » :

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » .

« وسخر لكم ما فى السموات والأرض جميعاً منه » .

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

هذه نصوص كريمة من كتاب الله تعالى تقرر الحقيقة فى شأن الإنسان وعلاقته بالأرض التى يسكنها ، وما فيها من أموال وأشياء ذات قيمة يتصرف فيها .

فأول هذه النصوص يدل على أن الله استخلف فى هذا الكوكب الذى نعيش فيه أبا البشر الأول ، وهو آدم عليه السلام ، ومعنى استخلافه فى الأرض أنه خوله إياها ، وجعله صاحب السلطان فيها ، ليعمرها ويثيرها وينتفع بها ما شاء ، وهيأ له كل الوسائل التى تمكنه من تحقيق هذه الخلافة على أكمل وجه ، فعلمه الأسماء كلها ، أى أودع فيه من العقل وأساليب التفكير والتأمل ما يؤدى به إلى علم الأصول والعناصر والمبادىء التى منها تتكون الأشياء والحقائق ، كما أودع هذه الأرض كل ما تكون به صالحة للحياة ، متهيئة للتطور : « ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش » .

والنص الثانى يفيد أن هذا الوضع بالنسبة لآدم قد استمر بالنسبة لذريته ، فقد جعلهم الله أيضاً خلائف الأرض كما جعل أباهم ، فالبشر كلهم إلى يوم القيامة خلفاء فى الأرض لهم حق التصرف فيها ، وقد مكن الله لهم كل ما يحقق لهم معنى الخلافة من الأمور التى طبعهم عليها ، ومما ذرأ لهم فى الأرض نفسها .

والتعبير بمادة الخلافة فى تقرير هذا المعنى بالنسبة للأب الأول ولأبنائه الذين جاءوا من بعده يدل على أن تصرف الإنسان فى الأرض وما فيها ليس تصرف المالك بنفسه ، وإنما هو تصرف النائب والخليفة ، فالملك فى الحقيقة لله وما مثل الإنسان فى هذا الملك إلا كمثل العبد الذى أذن له سيده فى التصرف باسمه وفى حدود أمره وما يرسم من خطة ومنهج

والنص الثالث يقرب هذا المعنى أيضا فى جانب التسخير والتيسير والتطويع لكل ما

فى السموات والأرض حيث جعلها الله جميعاً بقوانين إلهيـة وسنن كونية من صنعه هو وحده ، خادمة للإنسان تعمـل من أجله ، وتخضع لنظره وانتفاعه واستغلاله بحسب ما علمه الله ، فهى أيضا برحمة من الله ، والإنسان فى شأنها أيضا لا يعمـل باسمه ولـكن باعتباره خليفة ونائبا عمن خوله هذا العمل ومكنه منه .

والنصان الرابع والخامس يقرران هـذه النيابة أيضا فى شأن المال وكل ماله قيمة فى هذه الحياة فإنما الإنسان فى هذا كله مستخلف فيه وليس مالـكا على الحقيقة ، والمال كله مال الله الذى آتاه الناس .

والخلاصـة : أنه لا ملك للإنسان على الحقيقة لشىء ما ، وإنما هو قائم بأمر الله على وجه الخلافة والنيابة ، ومن شأن النائب أو الخليفة أن يترسم أوامر من أنابه واستخلفه وألا يحيد عنها قيد أنملة .

٭ ٭ ٭

٢ — « وقل اعملوا » :

« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها »

« كل نفس بما كسبت رهينة » .

« قل كل يعمل على شاكلته » .

« من يعمل سوءاً يجز به » ، « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » .

وهذه النصوص كلها تتحدث عن (العمل) وتقرر أنه هو الأساس الذى بنى الله عليه استحقاق الإنسان للحياة الطيبة والآثار النافعة والجزاء الحسن ، ويغلب على أسلوب هذه النصوص ظاهرة التعليق بالشرط والجزاء أو ما فى معناه ، نريد بذلك الأسلوب الذى يتلخص فى (اعمل تجد ثمرة عملك) .

وهذا يوحى بأن الانتفاع بثمرات الأرض والأموال والأشياء التى استخلفنا فيها مرتبط تمام الارتباط بالسعى والعمل والجهـد والاجتهاد ومقدار ما يبذل المرء من نشاط — ذكرا كان أو أنثى — وأن هـذا قانون الله الذى استخلف عباده فى أرضه .

وبهذا يتبين أن الله تعالى يأمر كل فرد بأن يكون له فى هذه الحياة عمل يؤديه ، ولا يرضى لأحد من عبـاده أن يعيش كلا على مجتمعه ، وعبئاً وعالة على من دونه من الناس وأن كلا يجب أن يعمل على شاكلته : فهذا زارع وهذا تاجر وهذا صانع وهـذا معلم وهذا موجه وهـذا موظف على مرفق من مرافق الأمة . وبذلك يتحقق التعاون بين أفراد المجتمع بعضهم وبعض لمصلحة المجتمع ، ثم بين المجتمعات بعضها وبعض والشعوب بعضها وبعض لمصلحة العالم أجمع .

والخلاصة : أنه لا بد لمن استخلفه الله أن يعمل ، وأنه لا يباح لأحد أن يظل كسلان وأن يعيش عالة على من سواه .

٣ - « لا يستوى الخبيث والطيب » :

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام، لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين » .

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » .

« لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » .

« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا » .

هذه النصوص الكريمة ، وكثير غيرها فى كتاب الله تعالى ، ترسم النهج السوى والصراط المستقيم فى (الكسب المشروع) عن طريق تحريك المال واستثماره .

وهى تحرم أنواعا من الكسب كالربا والرشوة وأكل مال اليتيم، ومثل ذلك فى غير هذه الآيات تحريم الميسر والبغاء ، وذلك لأن الاكتساب عن هذه الطرق إنما هو ابتزاز للمال بدون مقابل من خدمة عملية أو تجارية فهى أبواب للتبطل وبقاء فريق من الأمة يعيش على كد سواه ولا يقدم عملا يكون به متعاونا مع مجتمعه ، وكذلك الشأن فى الاكتساب من أعمال غير مشروعة كأجر البغى أو الرشوة التى يأكلها المرتشى فى مقابل ما يسهله من عمل أو صفقة أو نحوها فإن من شأن هذا كله أن يوجد فى الأمة لونا من ألوان الاحتراف الباطل فى صورة من الصور .

والقرآن الكريم الذى يمنع هذه الصور من التعامل والكسب الحرام يبيح التجارة ، بل يحث عليها إذ يأمر المؤمنين أن يبتغوا فضل الله - أى الربح عن طريق التجارة أو العمل بعد الصلاة ، وينفى الحرج فى ابتغاء فضل الله بالنسبة لمن يلابسون أعمال الحج إذ يقول لهم : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ،فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله » ومثل هذا ما ورد فى سورة الجمعة حيث يقول عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

ومعنى هذا أن التجارة يمكن مزاولتها قبيل الصلاة وبعدها ، ويمكن مزاولتها أيضا فى أثناء عبادة الحج .

٤ — « ولا تَظلمون ولا تُظلمون » :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » .

« وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » .

« ولا تبغ الفساد فى الأرض » .

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

لكل معاملة من المعاملات أركان طبيعية هى : —

١ — العاقدان .

٢ — والشيء المعقود عليه .

٣ — والصيغة التى يكون بها العقد .

ونرى الشريعة الإسلامية تشترط فى كل ركن من هذه الأركان الطبيعية ما يقطع النزاع ، ويسد أبواب الخصومة والضغائن

فالعاقدان لابد أن يكونا راشدين عاقلين عالمين بما يتعاقدان عليه ، ولا يجوز التعامل مع السفيه ، ولا مع الصغير الذى لا يميز ، ولا مع المجنون ، ولا مع الغافل وذلك لأن التعاقد ما لم يكن على بصيرة وفهم وقدرة على الموازنة بين البذل والأخذ ، فإنه كثيراً ما يكون مثاراً للخلاف المؤدى إلى النزاع والخصام أو الحقد والاضطغان ، وكلاهما يكدر صفو المجتمع ، ويزلزل أمنه واستقراره.

والشيء المعقود عليه يجب أن يكون مملوكا لصاحبه ، وإلا كان تصرفه فيه باطلا ؛ لأنه تصرف فى ملك غيره .

ويجب أن يكون ذا فائدة معتد بها شرعا ، وإلا كان التصرف فيه ترويجا للفساد أو عبثاً.

وبهذا وذاك يصان المجتمع مما يؤدى إلى الخلاف أو يثير النزاع أو يروج للفساد.

والصيغة التى يكون بها التعاقد لا بد أن تكون واضحة فى إفادة معنى الرضا والقبول عادة دون تأثير أو ضغط بإرهاب أو تخجيل، أو استغلال للفظ على سبيل التلاعب ، أو نحو ذلك .

وقد اعتد الشارع بكل أمارة يتبين بها أن التعاقد صورى أو مشوب بنوع من أنواع الإكراه ، ورتب على ذلك فساد التعاقد ، وعدم استتباعه لآثاره .

تلك هى الشروط التى تشترط فى أركان العقد ، ولهذا نهى الشارع عن كل معاملة تثير نزاعا من أية ناحية فلا مزايدة ولا ملامسة ولا منابذة مما كان يفعله أهل الجاهلية .

ونهى عن بيع ما فى بيعه غرر : كالمجهول والآبق ونهى عن الغش والغبن الفاحش .

وقد كان للناس معاملات قبل الإسلام ، فأقر منها ما لا يؤدى إلى ضرر ، أو يجر إلى محرم ، وأبطل منها أو عدل ما يؤدى إلى ذلك .

وهذا هو أحد الأصول القاطعة فى تحليل ما أحل وتحريم ما حرم .

• • •

٥ – « ولا تنسوا الفضل بينكم » :

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

« ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » .

« إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » .

بعد أن يتحقق فى الكسب ما ذكرناه ، نرى الشريعة الإسلامية تسمو فوق هـذا المستوى فتنحو بالأمر نحواً خلقياً كريماً ، وترسم للمتعاملين سبيلا مهذباً من شأنه أن يجعل مجتمعهم راقياً فاضلا ، وأن يدعم بينهم مع التعاون معنى الحب والمودة والاحترام .

هـذه السبيل هى رعاية الجانب الخلقى ، والنظر إلى ما تقضى به الفضيلة حتى لا يكون التعامل جافا غليظا ، أو يكون غرض كل من المتعاملين استغلال مواهبه فى استلاب ما يمكن استلابه من صاحبه .

ويظهر ذلك من الأحكام الآتية :

١ – تستحب الإقالة إذا طلبها أحد المتبايعين ، وذلك أن يندم أحد المتعاقدين على ما التزم ، ويتبين له أن التزامه ليس من مصلحته فيطلب من صاحبه أن يقيله ، وقد ورد فى بعض المأثور .

(من أقال نادما أقاله الله يوم القيامة) .

٢ – يكره أن ينفلت الرجل من مجلس البيع متخفياً قصداً إلى تفويت حق صاحبه فى خيار المجلس .

ومعنى ذلك أن المتبايعين بالخيار ما لم يتفرقا ، فقد يشعر أحدهما بأنه الفائز ، فإذا استمر فى المجلس تبين صاحبه الأمر فرجع فى العقد ، فهو لذلك يغافله ويهرب من المجلس ليثبت العقد تثبيتا نهائياً بالتفرق ، فالشارع ينهى عن ذلك وهو معنى خلقى كريم يلتفت إليه الإسلام هذا الالتفات العجيب .

٣ – نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقى الركبان ، وذلك أن يخرج طالب السلعة إلى طريق جالبيها ، فيلقاهم قبل أن يصلوا بها إلى السوق العامة فيستأثر بها دون الناس .

ولا شك أن من يفعل ذلك أنانى يؤثر نفسه وفى النهى عن ذلك تأديب وتهذيب .

٤ – نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يبيع حاضر لباد ، وقال :

« دعوا الناس فى غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض » .

ولا شك أن أهل البادية إذا اعتمدوا فى بيعهم على أهل الحاضرة غلا السعر ، وبطل جانب من المساهلة والمسامحة .

[البقية على الصفحة التالية]

نفحات القرآن

حياتنا الدنيا مرحلة اختبار في العمل للدين وللدنيا ثم مردنا إلى الله ليجزينا بعدله ..!

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

> ا ـ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون
> ب ـ والدار الآخرة خير للذين يتقون: أفلا تعقلون؟

هذا شطر من آية كريمة وردت في معرض القصص عن اليهود . . . وقد كان من ذلك القصص أن الله اضفى عليهم خيرا كثيرا ، وأصابهم كذلك بشر كثير : فهم يتقلبون

---

٥ — يستحب السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء. وفي الحديث : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى » .

٦ — يحرم الاكتساب وابتغاء عرض الدنيا بما هو محرم أو بما ينافي الخلق والفضيلة ، كالربا والقمار ، واتخاذ النساء وسيلة ، واحتكار الطعام وما يضر احتكاره من الضروريات .

٧ — يحرم البيع ساعة النداء للجمعة ؛ لأن فيه إيثاراً لعرض الدنيا على الآخرة وفيه إلى جانب ذلك ظهور بمظهر الجشع والتلهف ، وهو مظهر ينافي الخلق الكريم .

٨ — نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف على السلعة لترويجها لأنه نزول باسم الله العظيم إلى موطن المساومة والتغرير .

هذه هي الأسس التي ينبني عليها أمر التعامل في الإسلام ، الأمر في « الكسب المشروع » ولم نقصد بما أوردناه من الأمثلة استيعابا ولا إفاضة في البيان وإنما أردنا لفت الأنظار إلى أنواعها بقدر المستطاع .

إن الفقه الإسلامي هو فكرتنا ومنهجنا في الحياة ، ولكل أمة نظام ونهج وفكرة تدعو إليها ، وتحاول جمع الناس عليها .

فليجمع المسلمون أمرهم على هذا التراث المجيد وليجعلوه مناهجهم الذي عليه يسيرون ، وإليه يدعون ، والله المستعان . والحمد لله رب العالمين ؟

محمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة

بين حسنات وسيئات لتكون لديهم فرصة الرجوع إلى الله إذا كانت فيهم طباع كريمة يستليها الخير، أو كانت فيهم نفوس لئيمة يقمعها الشر، ويردعها التخويف.

فإن يكن في اليهود هذا وذلك فقد أتاح الله لكلا النوعين ما يلائم نزعته، وهيأ له سبيل توبته.

فإذا لم يكن منهم تأثر بالخير، ولا عبرة بالشر فإن ذلك يكون امتحانا تتكشف به خباياهم، ويعلم منه اليهود، ومن حولهم، ومن بعدهم ما كان خافيا عليهم من طويات النفوس، وتقوم عليهم الحجة بما جنوا على أنفسهم في الحياة حتى خذلوا في الاختبار.

فماذا صنع اليهود إزاء ما ابتلاهم ربهم به من حسنات، وسيئات.

حدثنا القرآن بامتداح نفر منهم آمنوا بموسى من قبل: إيمانا صادقا «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق، وبه يعدلون».

ثم حدثنا القرآن كثيرا عن الآخرين منهم بغير ما ذكر عن صالحيهم الأولين «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب، يأخذون عرض هذا الأدنى، ويقولون سيغفر لنا، وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه..!!».

أي لم يكن منهم إيمان وشكر على النعمة، ولا عبرة وازدجار بالنقمة، بل توسع هؤلاء الخلف في الفتن، وأوغلوا في الفساد، وخالفوا ما عرفوه من التوراة، وأقبلوا على الدنيا في غير اعتدال، ولا تعفف: وهم مع ما يرتكبونه من نقائص يزعمون لأنفسهم مكانة عند الله، ويقولون: سيغفر لنا ما ارتكبنا. لأننا أبناء الله وأحباؤه! هم مع إسرافهم في الانحطاط، وشعورهم بأن وراءهم حسابا ينتظرهم يملون أنفسهم بأنهم من أهل المغفرة، ولا يكفون أنفسهم عن المخازي، بل يتمادون فيها، وإن يأتهم حطام دنيوي يفتنهم كما فتنهم الحطام الحاضر يقبلون عليه في كلب وجشع غير ذاكرين ما في التوراة من توجيهات، ولا مراعين ما بها من مواثيق، ولا مستشعرين ما يقتضيه الإيمان من الوفاء بعهد الله، كما هو شأن المؤمن الصادق في دعواه. وكما هو مفروض فيمن تصادفه النعمة فتثير فيه نزعة الخير ويشكر، أو تصادفه نقمة فتنبه فيه بلادة الحس، ويثوب إلى رشده، ويخشى بأس الله.

هم سادرون في غرورهم أو غفلتهم، ومزاعمهم. والله تعالى يزجرهم عن الكذب عليه، ويذكرهم بما في كتابهم من قبل أن يحرفوه، وبنفي كل ما يتعللون به من أمل في تكريمه لهم «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب - التوراة - ألا يقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه - فهم فاهمون له. ولا عذر لهم في الخروج عنه».

نعم!! في التوراة عهود أكيدة، بينها الله لبني إسرائيل، وكلفهم أن يأخذوا بها،

دون عبث فيها، ولا تنصل منها، وهم عارفون بها.

ولكن: أين الوفاء عند قوم تحولت ميولهم عن جانب الخير، وغلبت عليهم خسائسهم؟ وهنا: يكون اختبارهم بالحسنات أو بالسيئات غير مجد فى تقويمهم، ومظهرا لما علم الله من طويات نفوسهم: فهم عصاة معادون لله، لا أبناؤه، ولا أحباؤه!.

- والله تعالى - يبعدهم عن الأمل الكاذب الذى يتشبثون به، ويجعل وعده بالقبول والرضوان لغير من يكون على نمط اليهود، فيقول:

« والدار الآخرة خير للذين يتقون - أفلا تعقلون ».

فليست الآخرة خيراً للكاذبين على الله، ولا للناقضين مواثيقه وإنما هى خير للممتثلين لدعوة الله الذين لا يكفرون بنعمته، ولا يتبجحون عند بلائه.

وهذا مفهوم واضح توحى به آيات الله وتهتف به دعوة الرسل، وهو غاية مقررة يجب أن تمطن إليها العقول، فاعقلوها قبل أن تتورطوا فى الضلال، ولا تفرضوا مساواة بين المستجيب، والمتمرد: فضلا عن أن يكون المسىء خيرا من المحسن كما يتخبط اليهود فى أحلامهم وأوهامهم وقد أخزاهم الله بقوله « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم. وجعلنا قلوبهم قاسية ».

وهكذا: إذا رانت الشهوات، وراجت الأباطيل تخلفت البصائر عن إدراك الحق، والتبست المفاهيم على عقول المسرفين فيجنحون إلى الغواية، ويعيشون فى بعد عن جانب الهداية، ولا يفطنون إلى وعد الله ووعيده فيتركهم الله لأنفسهم، ولا يبصرهم بأمرهم.

ثم هو يطمئن المعتدلين بقوله: « والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ».

ذلك هو الوعد الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا.

وبعد:

فليس الاختبار بالحسنات والسيئات سنة قاصرة على اليهود، بل البلاء سنة مطردة فى حياة الناس عامة، وإنما اختص اليهود بذكرها كما فى موضوعنا، لأنهم تجاوزوا كل اعتبار، ونقضوا كل عهد، وتعرضوا للبلاء بالخير والشر كثيراً، ولم تكن لهم عظة بل تمادوا فى غيهم حتى كان القصص عنهم حافلا بالعجائب، وتاريخهم زاخراً بالأمثال أكثر من سواهم.

أما ما هناك من بلاء للناس فالقرآن يسوق لنا شواهد كثيرة تقرر أن سنة الله لا تتخلف والفرق أن أناسا يهتدون، وآخرون يتمردون ويشذون، والإيمان الشخصى هو الوسيلة التى يتعلق بها المرء فى

اجتياز الاختبار ، فلا تكون النعمة مطغية له ولا النقمة فاتنة موئسة من قبول التوبة والإنابة .

والله تعالى يقول فى ذلك : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » . . . « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونبلو أخباركم » « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم » . « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » ؟ « ولنبلونكم بشيء من الخوف ، والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . . . » .

فالبلاء بالخير وبالشر ضرب من ضروب التربية السماوية ، يصلح به أناس ، وينكشف به أمر آخرين ، والله تعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب ، ليكون الناس على علم بأنفسهم ويكونوا على اطمئنان ويقين من حكمة الله فيهم ، وعدله معهم .

والحق أن المرء فى موقفه أمام النعمة تكون له هزة ابتهاج ، ونشوة غرور بها ، فهل يذكر مصدرها ، ويحمد فضله ، ويرعاها حق رعايتها ، ويضعها بحسن التصرف فيها حيث ينبغى أن يضعها فى سبيل الخير لنفسه ، ولغيره : سواء أكانت نعمة بمال ، أو علم ، أو جاه ، أو صحة إلخ ؛ لتكون هذه النعمة مأمونة العاقبة له ، ولذريته من بعده ؟؟ .

أو تكون النعمة فاتنة لصاحبها عن حسن التقدير لها ، فيبطر على الله بسببها ، ويبدى حقها عليه فى الشكر ، وحسن التصرف فتكون فى مهب الزوال ، وتصبح ندما عليه ؟ وذكرى سيئة له ؟ ؟

وكذلك المرء فى موقفه إزاء ابتلائه بالسوء تكون له هزة اضطراب واستياء فهل يستقبل بلاءه هذا بالركون إلى الله ، والرضا عن القضاء ، والاعتصام بالإيمان ؟ وهل يعلق رجاءه بلطف الله ، ويلتمس من فضله تفريج كربه ، ليهون عليه الخطب ، ويكون غير متمرد على القدر ومحسوبا فى الصابرين الذين وعدهم ربهم بحسن الجزاء فى دنياهم وأخراهم أو يجزع عند الحادث المكروه ، والبلاء النازل ، ويضيق لأزمة تلاحقه فى ماله ، أو أهله أو صحته أو جاهه ؟ ؟ .

إن الجزع لا يرد قضاء ، ولا يخفف من هول ، بل يزيد فى الأسى ، ويثير الشجن ويبدد الإيمان ، حتى لينسى الإنسان جانب الله ، وييأس من روحه ولطفه ، وليس وراء ذلك إلا اعتراض على تدبير الله . وخروج عن دينه « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

شأن الإنسان أن تغريه النعمة ، وأن تحزنه النقمة . وقد يشتط فى تفكيره فيخرج عن جادة الاعتدال .

والقرآن ينبهنا إلى الحذر من التطرف «وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه : وإذا مسه الشر كان يئوسا» .

وينبهنا القرآن كذلك إلى أن شأن الدنيا عدم الاستقرار على حال واحدة ، وإنما هى بين خير وشر ، وعسر ويسر «فإن مع العسر يسرا» .

وينبهنا إلى أن اللائذ بجانب الله والمهتدى بهديه ، والواعى لدينه وعقيدته لا يخدعه عنه الحظ إذا أقبل ، بل يجب أن يقرره ، ويشكره ، لتتسع نعمة الله عليه وألا يسئمه الضنك فى حظه حتى يصرف عن حسن ظنه بالله والطمع فى فضله ! ! بل يذكر نفسه بمواقف الصابرين وتجلدهم ، ويؤمن بأن لله فى خلقه تصريفا يجب الاطمئنان إليه . . ويذكر نفسه بما هو عليه فى مسلكه دينا ودنيا ، فلعل ذلك البلاء بسبب من عمله السيء ولعله يستفيد بالعبرة والاتعاظ بما جرى عليه .

هذا — وكما يكون موقف المرء محسوبا عليه ، أو محسوبا له : يكون موقف الجماعة والأمة فى الأحداث العامة .

فأمة تغرها النعمة ، ويتوافر لها الأمن فتنحرف عن جادة رشدها لا تدوم عليها رفاهتها ، ولا يلبث عيشها أن يتبدل سوءا ، وإن طال بها الزمن .

وهذه قصة أهل اليمن فى عصورهم الخالية بلغ بهم نعيم الحياة ما بلغ ، فلما أسرفوا على أنفسهم بدل الله نعيمهم ، وأذهب بهجتهم وشوه تاريخهم ، فكانوا حديثا يذكر بالأسى والتحسر ، وكانت ذكراهم فى القرآن مثلا للآخرين .

وكذلك جرى البلاء على المسلمين حتى فى مطلع تاريخهم المشرق ، وحين وجود النبى الكريم فيهم — صلوات الله عليه وسلامه .

كانوا قلة فانتصروا ، وفقراء فاغتنوا ، وحين ساورتهم الخواطر فاغتروا بكثرتهم يوما ما لم يتركهم الله لغرورهم ، بل هزمهم أحيانا أمام عدوهم ، وذكرهم بأن كثرتهم لم تغن عنهم شيئا فى غزوة حنين وغيرها من غزوات أخرى لحقتهم فيها مهانات الهزيمة ثم تداركهم الله بنصره ورفع رايتهم أخيرا على أعدائهم وعلمهم أن هذا ابتلاء لهم ، ليكفوا عن الغرور ، وليثبتوا عند الاختبار بالسهر على إيمانهم وجهادهم ، والقرآن يردد على مسامعنا قوله تعالى فى كلتا الحالتين: «وسنجزى الشاكرين ـ والله مع الصابرين» .

عبد اللطيف السبكى

الإسلام فى أوغنده

للأستاذ عطيه صقر

تقع أوغندة فى منطقة البحيرات التى تمد النيل بالمياه، وهى تحد شمالا بالسودان، وغربا بالكونغو، وجنوبا بتنجانيقا ورواندا أوراندى، وشرقا بكينيا. وتبلغ مساحتها نحو ٨٠ ميلا مربعا، تغطى المياه منها مساحة قدرها ١٢٫٥ ميلا مربعا. ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين حسب إحصاء سنة ١٩٤٨، يتكونون من عدة قبائل موزعة فى الأقسام الإدارية الأربعة على النحو التالى :

١ — يوجندا : وسكانها ١٫٣ مليونا من شعب الباجندا، الذين هم أرقى الأهالى من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتقع فى هذه المديرية مدينة «عنتبة» وهى العاصمة، ومدينة «كامبالا».

٢ — المديرية الشرقية : وسكانها ١٫٥ مليونا من قبائل الباسوجا، وتقع بها مدينة «جنجا».

٣ — المديرية الغربية : وسكانها ١٫٢ مليونا، وأهم القبائل بها البانيور، الأنكولو.

٤ — المديرية الشمالية، وسكانها مليون، وأهم القبائل بها الآتشولى، الماضى.

ويوجد من بين هؤلاء السكان نحو ألف ونصف من العرب، وثلاثة آلاف ونصف من الأوربيين، ونحو أربعة وثلاثين ألفاً من الهنود.

واللغة السائدة فى البلاد هى السواحلية، المنتشرة فى شرقى إفريقيا، إلى جانب ثلاث لغات أخرى من أصل مجموعة لغات البانتو. واللغة الانجليزية هى لغة الحكام ولغة التبشير والتعليم والكتابة، وقد ساعد على انتشارها إنشاء كلية «ماكريرى» فى كامبالا سنة ١٩٢٢، وهى كلية ذات مستوى جامعى عال، تتبع جامعة لندن، وتسمى «كلية شرق إفريقيا الجامعية» وهى خاصة بمعتنق الديانات السماوية لا يدخلها الوثنيون.

والديانانة السائدة هى الوثنية، ويعتنقها نصف السكان، ويوجد نحو مليون ونصف من الكاثوليك، وثلاثة أرباع المليون من البروتستانت. أما المسلمون فتقدرهم مصادر الأنباء التبشيرية بربع مليون(1)، ويكثرون

---

1 — Fedes. 10 Dec. 1955.

فى المديريات الغربية . التى يوجد فيها ثمانية سلاطين من المسلمين .

وقد دخل الإسلام هذه البلاد على يد العرب الذين وفدوا إليها من ساحل إفريقيا الشرقية ، كما دخلها عن طريق السودان من الشمال . فالثابت أن العرب استوطنوا شرق إفريقيا منذ مئات السنين ، وهم الذين طردوا البرتغاليين فى القرن السادس عشر ، وكونوا هناك سلطنة « بوسعيد » التى عرفت فيما بعد باسم سلطنة « زنجبار » ، وقد أسس العرب على الساحل عدة مدن مثل « مقديشو » فى منتصف القرن العاشر الميلادى ، وصارت محطات عربية تجارية هامة . شجعت العرب على مواصلة رسالتهم داخل القارة ، وكانت هذه الرسالة ذات شقين ، الأول نشر الإسلام والثانى التجارة ، فكثرت القوافل العربية بين زنجبار وممباسا وبين داخل القارة . وراجت تجارة الملابس والحلى والأسلحة فى أوغندة ، كما أدخل العرب فيها نوعا من العملة وهى « المحار » المنظوم فى عقود متفاوتة القيمة . وشجع الأمراء والزعماء تجار العرب على ارتياد المناطق المجاورة ، لما لمسوه على أيديهم من خير ، ومنح الملك « أميتسا » حرية الاستيطان لهم فى مملكته ، كأساتذة دينيين ، وبهذه الطريقة أمكن للإسلام أن يؤدى مهمته فدخل كثير من الأهالى فى هذا الدين الجديد ، واعتنقه أيضا « أمبوجا » شقيق الملك .

وبانتشار الإسلام والتمكين له ازدهرت حضارة العرب ، وتلقن الإفريقيون منهم دروس الأخلاق العالية ، من الاعتداد بالنفس والحرص على الكرامة ، كما تعلموا منهم النظافة والنظام وحسن المظهر ، حتى لقد قال أحد الأوربيين عن تأثير العرب فى أوغندة : « لقد تمكنت المدنية العربية فى وقت قصير من تغيير اللباس الشائع إذ ذاك تغييراً كاملا ، وهو لباس لا شأن له على الإطلاق ، فأصبح أهل أوغندة اليوم يتخذون الملابس من الرأس إلى القدم ، وكذلك جيرانهم من « الأنيورو » حلت مكان الملابس القديمة المصنوعة من لحاء الشجر » [1] .

وكما دخل الإسلام أوغندة من الطريق الشرقى دخلها من الجهة الشمالية ، من السودان . فقد طلب الملك « أميتسا » من الحكومة المصرية التى كان لها السلطان فى المديرية الاستوائية جنوبى السودان فى أواخر القرن الماضى ، أن تبعث إليه عالمين يعلمان السكان قواعد الإسلام . وكانت الجماعات التى وصلت إلى بحيرة فيكتوريا بقيادة أمين باشا هى النواة التى تكونت منها ومن سلالاتها الجماعة الإسلامية فى أوغندة .

---

(١) ص ٣١ من كتاب : « أوغندة فى طريقها إلى الاستقلال » .

وقد كان لانتشار الإسلام فى هذه المنطقة عدة عوامل أهمها :ـــ

١ ـــ أن كل مسلم يعد داعية بنفسه ، يرى أن ذلك واجب دينى، لايحتاج إلى ترتيبات وتنظيمات خاصة كالتى يتخذها المبشرون .

٢ ـــ بساطة العقيدة الإسلامية وسهولة فهمها ، ويسر التكاليف الشرعية وملاءمتها لظروف الإفريقيين وأحوالهم الاجتماعية ، فهم لا يرون أن التحول عن وثنيتهم إلى الإسلام يحدث فجوة أو شذوذاً غير مألوف .

٣ ـــ اعتقاد الإفريقيين أن المسيحية هى ديانة البيض المستعمرين ، تحمل معها الظلم والاضطهاد والاستبداد والاستعمار . وهذا أثر من آثار القومية ، التى بدأ الإفريقيون يحسون خطرها فى محيط السياسة الدولية ، ويعملون على ضوئها للتخلص من نير الاستعمار .

٤ ـــ الداعية المسلم عند ما يحل ببلد يعد نفسه مواطنا ، عليه واجبات وله حقوق كبقية المواطنين ، فهو يندمج معهم ويعاملهم ويتزوج منهم ، ويكون سلوكه نفسه عاملا من العوامل التى تجذب قلوب الأهالى نحو هـذا الدين الذى يخلق فى أتباعه هذا السلوك الكريم .

٥ ـــ الإسلام يعلم أتباعه الحرية والاعتزاز بالوطن وكراهية المستعمر ، ويبين لهم المآسى التى يلحقها بهم المستعمرون ، والمصير المظلم الذى رسمه لهم هؤلاء الدخلاء ، والذى اتخذوا التبشير وسيلة له أو ستاراً يلعبون من ورائه أدوارهم الخطيرة فى مستقبل البلاد . وهذه النغمة يحبها كل إنسان وتتحرك لها عواطفه ، ويميل نحو من ينادى بها والدستور الذى يقررها ويحترمها .

وقد نتج عن انتشار الإسلام وكثرة أتباعه وتعشقهم لهـذه المبادئ الكريمة ، نزاع على النفوذ بين المسلمين والمسيحيين ، شجعه ثالوث الاستعمار : الانجليز والفرنسيون والألمان ، وقد قامت حرب طائفية سنة ١٨٨٩ تغلب فيها المسيحيون بمساعدة المستعمرين ، ومع ذلك فإن الإسلام لم يخرج من قلوب أتباعه ، بل زادهم قوة وتحفزاً للأخذ بالثأر من هؤلاء الذين امتصوا دماءهم عشرات السنين .

لقد دخل الاستعمار هذه البلاد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، عن طريق تكوين الشركات ، الذى هو أسلوبهم فى استعمار كثير من البلاد . وقد أقنع « ستانلى » الرحالة المشهور ، الجمعية الكنسية للتبشير بإرسال رجالها للعمل فى أوغندة سنة ١٨٧٧ ، فأسرع الكاثوليك بإرسال رجالهم إليها من المركز الذى أقاموه فى الجزائر تحت قيادة «لافيجرى» . وقد أذن الملك «أميتسا الأول» لهذه البعثات أن تزاول نشاطها ، ولما توفى بدأ الملك الجديد «موانجا» يلعب بالألمان

ضد الانجليز ، وساعده المسلمون فى ذلك ليحدوا من نفوذ الانجليز ونشاطهم التجارى . ولما عزل « موانجا » جاء بعده أخوه « كيويو » ، ثم أخوه المسلم « كاليما » ، غير أن الانجليز أعادوا « موانجا » للحكم فكافأهم على ذلك بإمضاء معاهدة مع الشركة الانجليزية ، قبل بها أخيراً الحماية على أوغندة سنة ١٨٩٤ . وقد حاول هو و « كاباريجا » ملك اليونيور تحرير البلاد غير أن الانجليز تغلبوا عليهما سنة ١٨٩٨ ونفوهما ، وعقدت انجلترا معاهدات مع الملوك والرؤساء لتثبيت حمايتها على البلاد ، وفى سنة ١٩٠٠ بدأت انجلترا توسع رقعة أوغندة ولاسيما على حساب السودان ، الذى صارت لها فيه الكلمة العليا بعد استرداده ، فمدوا حدودها الشمالية إلى « غوندوكرو » التى كانت إلى سنة ١٩١٤ هى الحد الجنوبى الأقصى للسودان .

هذا عمل الانجليز على إضعاف شوكة المسلمين منذ أن وطئت أقدامهم هذه المنطقة، وذلك شأنهم مع المسلمين فى كل مكان . فعينوا مبعوثا لهم يسمى « لوجارد » كان يتقن سياستهم التقليدية « فرق تسد » . فتمكن من الضغط على العرب وإلجائهم إلى السكن فى منطقة بحيث يكونون محصورين فيها بين القوتين الاستعماريتين ، فرنسا الكاثوليكية وألمانيا البروتستانتية ، وذلك لتسهل مراقبتهم ، وليكونوا عامل توازن يحد من أطماع الفرنسيين والألمان . وبعد سفر لوجارد تولى مهمته « بورتال » وسار على نفس الطريقة التى يريد التخلص بها من نفوذ العرب والحزب الإسلامى .

للمسلمين فى أوغندة حوالى ٣٠٠ مسجد ، وهى موزعة على الجمعيات لإدارتها ، والمساجد الرئيسية توجد فى : سوروتى ، بوجمب الغربية من جنجا ، مازاكا ، كاليرو . وأجمل المساجد وأوسعها هو مسجد « كامبالا » المقام على ربوة عالية فى وسط قطعة أرض تبلغ نحو ٤١٦ ألف متر مربع ، تبرع بها أحد أعيان المسلمين .

ومذهب الشافعية سائد هناك ، غير أن المسلمين ينقصهم التفقه الدينى الصحيح ، وكثيرا ما تنشب بينهم الخلافات على الفروع الفقهية ، فهناك فريقان : أحدهما يسمى فريق الجمعة ، وهم لا يصلون الظهر بعدها ، والثانى يسمى فريق الظهر ، يتمسكون بصلاتها بعد الجمعة ، ومن الغريب كما يقول أحد كبار المسلمين هناك : إن فريق الجمعة يدعى أنه يتبع فى ذلك قواعد المذهب الشافعى . مما يدل على أنهم فى أشد الحاجة إلى قيادة دينية رشيدة ، وبين الفريقين خصام دام أكثر من ٢٧ سنة انتهى إلى الاتفاق على صلاة الجمعة فقط ، وزعيم الشافعية هو الحاج أحمد ابن كعب ، ومن كبارهم الشريف عبد القادر أحمد الجفرى العلوى ، وهناك نشاط واسع

للإسماعيلية والقاديانية الأحمدية ، والسلطات الاستعمارية تشجعهم نظراً لقولهم بنسخ الجهاد وعـدم قتال المستعمرين .

والتعليم الإسلامى متأخر فى البلاد ، ذلك أن التعليم العام يقوم على عاتق المبشرين ، والمسلمون مضطرون إما إلى البقاء على الجهل وإما الالتحاق بمدارس الإرساليات . وقد أدركوا أخيراً خطر هذه الحالة فأنشئوا عدة مدارس ، غير أن المؤسف أن أكثر مدرسيها من المسيحيين وذلك لعدم وجود من يستطيع القيام بهذه المهمة من المسلمين . ويكفى لبيان سيطرة التعليم التبشيرى أن تعلم أن الدراسات الخاصة بتخريج المعلمين وإعداد المدرسين يقوم بها ١٢ مدرسا من الكاثوليك و ٨ من الإنجليكان ومدرس حكومى ، ومدرس مسلم واحد [1] . ومع كل ذلك فالمدارس الإسلامية قليلة لا تفى بالحاجة ، والقرآن يدرس بلغة غير سليمة ، وهم يحاولون ترجمته إلى اللغة السواحلية ، والقاديانية جادون فى ذلك ، وقد انتهوا فعلا من هذه الترجمة ، والمسلمون يشجعون من يحفظ القرآن فيعطونه ٥٠ جنيها .

ومما تجب ملاحظته أن الطائفة الإسماعيلية تبذل جهوداً جبارة فى نشر الإسلام فى أوغندة ومنطقة شرق إفريقيا على العموم .

وقد اجتذبوا كثيراً من المسلمين ومن الوثنيين إلى مذهبهم المعروف ، وقد وجه زعيمهم الراحل أغا خان فى يونيه سنة ١٩٤٥ نداء إلى أتباعه يقول فيه : « إنكم لا تحاسبون على صلاتكم وصيامكم فقط ، بل لابد من مواجهتكم بهذا السؤال الذى يتوقف على الإجابة عليه فلاحكم أو خسارتكم وهو : ما الذى فعله كل منكم لإنقاذ الإسلام فى وسط إفريقيا ؟ » .

وكان هذا النداء هو بدء الشروع فى تكوين « الجمعية الخيرية الإسلامية بإفريقيا الشرقية » فى ممباسا ، فى ١٦ من يونية سنه ١٩٤٥ ، وقد جمعت التبرعات ودفع الرئيس مبلغا مساويا لها ، وتكون رأس مال الجمعية ، فبنت عدة مساجد ومدارس فى أنحاء المنطقة وبنت أوساعدت على البناء فى أوغندة وحدها ٣٠ مسجدا ، ٤٨ مدرسة ، مدرسة واحدة للمعلمين ، ٣ مدارس فنية ، وواحدة داخلية . وهى توفد بعض الإفريقيين إلى كلية «ماكريرى» لتلقى دراساتهم العالية ، وتعطيهم منحا سخية . ولهذه الجمعية فروع كثيرة فى المدن والأقاليم .

هذا وتوجد فى أوغندة جمعيات إسلامية كثيرة منها سبع فى مدينة «كمبالا» وحدها لكنها غير منظمة ، وهى تدير المساجد وعدداً من المدارس الصغيرة ، وأشهر هذه الجمعيات هى :

(1) Feds. 10 Dee. 1955.

١ — جمعية مسلمى إفريقيا فى «كامبالا» ورئيسها الحاج أحمد بن كعب .

٢ — جمعية الإسلام ، ورئيسها الشيخ شعيب ، الذى حدث بينه وبين الأمير بدر نزاع كبير على إدارة المساجد وعلى الاختصاص .

٣ — جمعية السودانيين ، ورئيسها الشيخ محمود السودانى .

ومن الشخصيات المعروفة هناك غير رؤساء الجمعيات : —

١ — الأمير بدر ، وهو من أسرة «باجندا» الملكية ، وكان أبوه الأمير «مبوجو» صاحب فضل كبير على الإسلام وانتشاره فى أوائل هذا القرن ، وقد تبرع الأمير بدر بثمانية أفدنة لصالح المسلمين .

٢ — الشريف مبارك على ضاوى ، ممثل سلطان زنجبار ، وهو من الرواد الأول الذين دخل على أيديهم الإسلام فى أوغندة .

٣ — مولانا عبد الله شاه الهندى ، زعيم الهنود الحنفيين فى شرق إفريقيا .

٤ — الأميرة ماشقة بنت أميتسا الأول ملك أوغندة ، لها أياد بيضاء على المسلمين .

٥ — عبد القادر بن أحمد الجفرى العلوى الشافعى الذى وصل من شرق إفريقيا واشتغل بالتجارة ، ونشر الإسلام ، ثم استقر به المطاف فى أوغندة بمدينة «ماساكا» ، وبنى بها مدرسة إسلامية .

هذا وقد زارت مصر بعثة من أوغندة على رأسها «إدريس عامر» الذى كان كاثوليكيا وأسلم ، وترك توصيات وتقريرات عن حالة المسلمين هناك ، كما زار هذه المنطقة الدكتور محمود حب الله موفدا من الأزهر ، والسيد أحمد مراد البكرى ، وقد بينت التقارير أن الحاجة ماسة إلى تقوية القاعدة الإسلامية فى أوغندة ، وذلك لغرضين : الأول مقاومة التبشير الذى يقبع على حدود سودانا الشقيق ، والذى ينفث سمومه فى البلاد المجاورة ويعتمد عليه الاستعمار فى بسط نفوذه فى وسط إفريقيا التى تقوم الجمهورية العربية المتحدة بدور كبير فى تحريرها والنهوض بها ، والغرض الثانى تبصير المسلمين بشئون دينهم ومقاومة أدعياء العلم ، الذين يتصدرون لقيادة السذج ، ويتسلطون على أفكارهم بالشعوذة والتضليل .

وأحسب أن التوسع فى قبول الوافدين إلى الأزهر من هذه الجهات ، وتيسير حصولهم على أكبر قدر ممكن من المعرفة الواعية ، سيكون له أثره البالغ فى القضاء على ألاعيب الاستعمار ، وفى حسم الخلافات الدينية بين أنصاف المتعلمين ، وفى إبراز الصفحة المشرقة الحية للدين الإسلامى ، الذى يعشو إلى ضوئه كل راغب فى المعرفة الصحيحة والإرشاد السليم ؟

عطية صقر

شاعر أعمى يصف العمى

قال الشاعر الأندلسي أبو المخشى يصف عماه :

خضعت أم بناتى للعدا إذ قضى الله بأمر فقضى

ورأت أعمى ضريراً إنما مشيه فى الأرض لمس بالعصا

فبكت وجدا وقالت قولة ـ وهى حرى ـ بلغت منى المدى

ففؤادى قرح من قولها ما من الأدواء داء كالعمى

وإذا نال العمى ذا بصر كان حيا مثل ميت قد ثوى

وكأن الناعم المسرور لم يك مسرورا إذا لاقى الردى

أبصرت مستبدلا من طرفه قائدا يسعى به حيث سعى

بالعصا إن لم يقده قائد وسؤال الناس يمشى إن مشى

وإذا ركب دنوا كان لهم هوجلا فى المهمه الخرق الصوى[1]

لم يزل فى كل مخشى السرى يصطلى الحرب ويجتاب الدجى

«١» الهوجل : البطىء الثقيل . والمهمه : المفازة والخرق : القفر والصوى : جمع صوة وهى ما غلظ وارتفع من الأرض .

من شعر شوقى بعد المنفى

للأستاذ على العمارى

فى عام ١٩٢٠م أقيم حفل بدار (الأوبرا) الملكية لإنشاء جمعية لمساعدة الفقراء ، وقد نظم شوقى هذه القصيدة لتلقى فى هذا الحفل ، وهى أول قصيدة قالها بعد رجوعه إلى مصر من منفاه بالأندلس .

ويمكن تجزئة هذه القصيدة ، إلى أربعة أجزاء رئيسية :

(١) مقدمة القصيدة ، وقد بكى فيها الأطلال ونثر الدمع فى الدمن البوالى ، ووقف بها وقوفا طويلا أذهب صبره لأن لها عليه حقوقا فقد ذاق فيها طيب العيش مع أحبابه ، وهو رجل واف لأحبابه ولديارهم ، وقد ساءه ما لقيته هذه الديار من جور الزمان .

(٢) حديثه عن بلاد الأندلس ، وثناؤه عليها ، ووداعه لها ، وإشادته بفضلها عليه ، وأنها كانت جنة تغرب فيها ، وقد شكر الفلك يوم وصل تلك البلاد لأنها أراحته من مناظر كانت قذى فى عينه ومن أناس أهل غدر وخيانة . ثم أشاد بعمران بلاد الأندلس أيام العرب ، وتألم لما جرى عليها بعد ذلك من كدر ، وغاية كل صفو أن يشاب بالكدر .

(٣) فرحته بلقاء وطنه ، ومبالغته فى حبه له ، وقد ذكر أن قصائده سبقته إلى هذا الوطن ، وأنها حملت إليه ثناء يضيف تاجا جديدا إلى تاجه القديم . ووصف جزءا من رحلته ، وصفح عن الزمان ؛ لأنه تاب عما أسلف إليه بصبح اليوم الذى وصل فيه إلى الأسكندرية ، ثم حيا فتيان مصر الذين كسوا عطفيه ثيابا من الفخر ، وأطال الثناء عليهم ، وتواضع فقال : إن أدبه ليس أهلا لما أسداه إليه هؤلاء الكرام ، ولكن من أحب الشىء حابى .

(٤) الغرض الرئيسى من القصيدة ، ويتناول الحديث عن وطأة الغلاء ، ووصف التجار الجشعين ، وقلة الخير فى القلوب ، وانصرافها عن أداء الزكاة كأن الزكاة ليست فى كتاب الله ، وفى هذا الجزء من القصيدة رجاء إلى شباب مصر أن يتجهوا بالدعاء إلى الله ليرقق قلوب الأغنياء على الفقراء ، وفيه إشادة بما يجنى صاحب الخير

من فعل الجيل ، وتحذير من ترك البائسين يعانون آلام بؤسهم ، فإن هذه الشاء إذا اشتدبها الجوع انقلبت ذئابا تفتك برعيانها ، وتنتهى القصيدة بهذا البيت :

ولولا البر لم يبعث رسول
ولم يحمل إلى قوم كتابا

محاسن القصيدة :

يمتاز شعر شوقى - بعامة - بميزتين رئيسيتين ، وهما موجودتان فى هذه القصيدة ، إحداهما ، النغمة الموسيقية التى ترتاح لها الآذان ، وتصغى إليها النفوس ، والأخرى الألفاظ الرقيقة العذبة التى لا نكاد نجد بينها لفظة جاسية ، أو عبارة خشنة .

وفى القصيدة أبيات حكيمة تعود شوقى أن يرسل مثلها فى كل شعره ، وقد سار بعض هذه الأبيات ، وجرى على الألسنة أمثالا بارعة ، منها قوله :

وليس بعامر بنيان قوم
إذا أخلاقهم كانت خرابا

وقوله : (وغاية كل صفو أن يشابا) .

وله أبيات لاذعة ، قوية الأداء ، عميقة الإيحاء ، من مثل قوله :

أمَنْ أكل اليتيم له عقاب
ومن أكل الفقير فلا عقابا

وقوله :

أكلٌ فى كتاب الله إلا
زكاة المال ليست فيه بابا ؟!

وفى القصيدة أبيات بديعة المعنى والأداء والتصوير من نحو قوله :

ويا وطنى لقيتك بعد يأس
كأنى قد لقيت بك الشبابا

وشوقى مغرم بالإشــارة إلى الأماكن والأشخاص والأحداث التاريخية ، وهى خاصية فى شعره تدل على تمكنه من التاريخ وحبه للعرب والإسلام ، ومنها فى هذه القصيدة إشارته إلى (حرب البسوس) وإلى (وائل) و (الزهراء) و (بابل) و (المدينــة المنورة) و (نار الطور) و (يوسف) و (سنية) . إلخ . . .

مآخذ على القصيدة :

إذا كان البارودى صدر فى قصيدته التى درسناها فيما سبق عن عاطفة قوية نحو بنته التى زاره طيفها ، فإن (شوقيا) لم يصدر فى هذه القصيدة عن عاطفة نفسية وإنما خضع لمؤثر خارجى ، وأعنى بالمؤثر الخارجى ما لم يكن نابعا من النفس ، وأكثر شعر المناسبات هو استجابة لمؤثرات خارجية ، وشتان بين شاعر يصور لنا عواطفه ويحدثنا عن انفعالاته ،

وشاعر يطفو فوق السطح ، ويستدعى المعانى ، ويتكلفها ليكون منها قصيدة تلقى فى حفل أو تزف إلى أمير أو وزير .

ولا روح فى شعر المناسبات إلا ما يلتفت فيه الشاعر إلى نفسه فيصور خلجة من خلجاته . ولم تخل قصيدة شوقى من هذه النفحات ، ولكنها جد قليلة . أما أكثر القصيدة فهو خال من الانفعال العميق .

والغرض من القصيدة الدعوة إلى إنشاء جمعية لمساعدة الفقراء ، والقصيدة نحو الستين بيتا ، ولكننا لا نجد فى الغرض الأصيل إلا أقل من ثلثها ، وهذا عيب خطير إن دل على شىء فإنما يدل على أن الشاعر يهرب من الموضوع الأساسى لأنه سطحى الشعور به ، ولو ملك عليه الموضوع نفسه لجعل كل قصيدته أو أكثرها فيه .

على أن الروابط بين أجزاء القصيدة من الناحية الشعورية ليست قوية ، فالانتقال من الحديث عن الأندلس إلى الحديث عن الوطن مقبول ، ولكن الالتفات بعد ذلك إلى الشباب ، وطلبه منهم أن يهزوا العرش بالدعوات أشبه بالصناعة منه بالاتحاد فى الشعور .

* * *

من الواجب علىّ ـ هنا ـ أن أشير إلى أن هذه القصيدة نقدها الكاتب المهجرى الأستاذ (ميخائيل نعيمة) فى كتابه (الغربال) ، وفى نقده حق وباطل ، وسأنسب إليه ما عابه على شوقى فى هذه القصيدة ، وأعقب عليه .

فمن ذلك عيبه على شوقى بأنه نادى الرسم ، وبكى الدمن البوالى ، وقد أشرت إلى هذا فى مقال سبق عن شوقى ، وخلاصة رأيى ، أن بكاء الدمن ، والأطلال لا عيب فيه ، لأن هذا غرض من غرض الشعر يحس به بعض الشعراء فى كل عصر وفى كل مصر ، بل العيب أن (شوقى) تناول هذا المعنى تناول شعراء الجاهلية ، وجعله مقدمة لقصيدة كما كان يعمل الجاهليون ، ولو جعله غرضا مستقلا ، وتناوله تناولا واقعيا لخلا من الذم .

وقد اتهم شوقى بالتقليد فى هذا الابتداء ، ولكن ليس هذا الابتداء وحده هو الدليل على التقليد ، ففى القصيدة صور جاهلية من مثل قوله عن القوافى إنها (مقلدة أزمتها) فيشبهها بالنوق المقلدة ، ومن مثل تشبيه الحرب العالمية الأولى بحرب البسوس .

وعاب (نعيمة) على شوقى تسجيله بكاءه من أنه قام ينادى الرسم ، ويجزيه بدمعه ، ويقول : إن العبرات قلت لحقه ، وإنهن ـ يعنى العبرات ـ سبقن مقبلات الترب عنه ، وإنه نثر الدمع فى الدمن البوالى ، ثم يقول الناقد : « لو بقيت شهراً بل عاما أقول للناس : يا ناس إنى بكيت ، لما بكى معى

أحد غير أنى لو أدخلتهم قلبى ، وقد خيم الحزن فيه لانقبضت مع قبى قلوب ، ولتبللت مع عينى عيون ، وهذه كما يقول : هى مهمة الشاعر ، وكم هم الشعراء بيننا الذين يستعيضون عن وصف عاطفة بذكر نتيجتها الخارجية ، فإن حزنوا قالوا بكينا وإن فرحوا قالوا ضحكنا ... كأن لا سبيل لوصف الحزن إلا بالدموع أو لوصف الفرح إلا بالضحك ... قلت : وهذا حق .

وعاب على شوقى إتيانه بهذه الحكمة :

وليس بعامر بنيان قوم ... البيت

ذاكرا أنه من الحشو ، ومن الانتقال الفجائى ، وكان على شوقى — كما يرى — أن يتمم صورة حالة قومه الاجتماعية حتى إذا تجلت أمام أعين سامعيه بكل خطوطها وألوانها قالوا من تلقاء أنفسهم هذه الحكمة .

ولا أرى وجها من الصواب لهذا القول ؛ فإن انتقال الشاعر إلى الحكمة — ولو عن طريق الفجاءة — قد يكون له دلالته العميقة على ما يعتمل فى نفسه .. على أن (شوقى) ذكر قبل هذا البيت بعض الصور التى تنافى الأخلاق الكريمة ، فكان من الطبيعى أن يجىء هذا البيت بعدها ولا شىء فى التصريح بالحكمة ، وإلا لقضينا على أكثر الحكم فى الشعر العربى

وخطأ نعيمة جاء هنا من قياس الشعر على القصة ، فإذا كان مطلوبا من القاص أن يتفادى النطق بالحكمة أو بالموعظة ، وعليه أن يترك الحوادث تتكلم وحدها فإن ذلك لا يطلب من الشاعر ضرورة أن المطلوب فى القصة هو البسط ، والمطلوب فى الشعر إنما هو الإيجاز واللمحة الدالة .

واستحسن الناقد مما استحسن هذين البيتين

ولو أنى دعيت لكنت دينى
عليه أقابل الحتم المجابا

أدير إليك قبل البيت وجهى
إذا فهت الشهادة والمتابا

ورأى أن هذه المبالغة غير محمودة ، وكان للشاعر مندوحة عنها ، وأى معنى بديع فى فى أن يستهين الشاعر بدينه للمبالغة فى الدلالة على حب وطنه ، أليست ساعة الاحتضار هى الساعة التى يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر ؟ إذا أعرض الشاعر فى هذه الحالة عن أن يتجه نحو بيت الله الحرام ، واتجه نحو وطنه لا يكون هذا إلا من الذين يستهينون بالأديان ، ومن واجب الشاعر أن يخلى مقدسات الأديان فلا يتعرض لها ، وبخاصة إذا كان يدعو باسم الدين لتكوين جمعية تساعد الفقراء ، ثم كيف يكون الوطن دينا يقابل عليه الموت ؟ أليس ذلك إمعانا فى تجاهل هؤلاء الذين يخاطبهم باسم الدين ؟ .

بل ، يرى الشاعر أن الرسل إنما جاءوا وجاءت كتبهم للبر بالفقراء ... كان على

شوقى أن يتفادى كل معنى يمس شعور المتدينين خاصة فى هذا الوقت . ولكن لشوقى من مثل هذه المعانى ما كان فى غنى عن ذكره كقوله من قصيدة فى وصف حريق ميت غمر :

أو أنه ابتلى الخليل بمثلها
ـ أستغفر الرحمن ـ ولى مدبرا

واحتراسه بقوله (أستغفر الرحمن) لم يخفف من شناعة هذه الجرأة على خليل الله إبراهيم .

وعاب على شوقى تناقضا فاحشا فى المعانى — على حد تعبيره — ؛ فشوقى يشكر الغربة لأنها أراحته من كل أنف كأنف الميت ، ومن منظر كل خوان يراه بوجه كالبغى ، وينذر قومه بأن بنيانهم لا يقوم إذا أخلاقهم كانت خرابا ، ثم يعود بعد لحظة يخاطب وطنه وأولئك القوم أنفسهم بهذه اللهجة :

وحيا الله فتيانا سماحا
كسوا عطفى من فخر ثيابا

ويصفهم بأنهم ملائكة ، وأنهم بحور ، وأن الإيمان مؤتلق عليهم ، إلى آخر الأبيات ثم يقول نعيمة : فبلد فتيانه ملائكة ، لا يصح أن يقال فيه : إن أخلاق أهله خراب .

وواضح أن (شوقى) غمز أولا — بعض المصريين الذين يخونونه ، ويكيدون له ، وهذا الصنف موجود فى مصر ، وامتدح — ثانيا — بعض الشبان المصريين الذين استقبلوه استقبالا رائعا ، وحيوا أدبه تحية طيبة ، وهذا الصنف موجود كذلك فى مصر ، فالشاعر لم يكذب فى الأولى ، ولقد صدق فى الثانية . وإنما يتناقض الشاعر إذا عمم وحكم على هذا العموم بحكمين مختلفين .

والعيب الذى يمكن أن يوجه لشوقى فى نظرى هنا هو أنه بنى امتداحه لهؤلاء الفتيان على أنهم كسوا عطفيه من فخر ثيابا ، فقد صدر فى مدحه عن شعور خفى ، فهو يجازيهم على امتداحهم له بأن أطال فى مدحهم .

وقد سخر نعيمة من شوقى لهذا البيت :

وكل مسافر سيئوب يوما
إذا رزق السلامة والإيابا

وعده من الحشو ، ثم قال : فلا فرق عندى بين هذا البيت ، وبين قول القائل :

الليل ليل ، والنهار نهار
والأرض فيها الماء والأشجار

والحق أن البيت يبدو كذلك ، فإذا لجأنا إلى التمحل لتسويغه ـ كما يفعل بعض أنصار شوقى ـ لم تفلح كثيراً .

ثم نعود فننظر فى أبيات القصيدة مفردة لنرى ما فيها مما يعاب .

من ذلك ضرب المثل لصفو الليالى الذى يشاب بالكدر ، وذهاب ملك العرب فى الأندلس بالشمس حيث ذكر أنها وقد شيبت القرون ، قد شاب قرنها ، وأنها تنتظر فى الأفق يد القدر

تهبط بها ، وأنها وسيلة لعد الحساب على الأمم مع أنها لاتدرى الحساب حيث يقول :

مشيبة القرون أديل منها
ألم تر قرنها فى الجو شابا
معلقة تنظر صولجانا
يخر من السماء بها لعابا
تعد بها على الأمم الليالى
وماتدرى السنين ولا الحسابا

وكل ماقاله فى هذا المثل تافه ، فشيب قرن الشمس مجرد تخيل ، والمهم هنا أن يكون المثل محققا معترفا به حتى يكون شاهد صدق على تكدير الصفو ، ثم إن قرن الشمس شائب منذ رأى الكون هذه الشمس ، والأسلوب هنا من قبيل حسن التعليل ، وهو افتراض علة للشيء غير علته الحقيقية ، والطبع لا يستريح هنا إلا للأمر الواقع .

ومن ناحية أخرى فإن المقابلة بين ماحدث للعرب فى الأندلس ، وما ذكره الشاعر وتخيله مما حدث للشمس ينبئ عن شعور مضطرب للشاعر ، فلاشك أن (شوقى) لايريد أن الدولة دالت على العرب ، كما دالت على الشمس التى أساءت إلى القرون بأن شيبتها .

والسياق الطبيعى هنا أن يقول : إن العرب دالت دولتهم من الأندلس ، وهكذا كل كائن ألا ترى إلى الشمس ، وقد أحسنت الى الأكوان حقبا طوالا كيف دب إلى رأسها المشيب ؟ .

ومع هذا فلاتزال الفكرة ضعيفة لأن ضرب المثل هنا ينبغى - كما قلت - أن يكون بأمر مسلم به ، تقره النفوس ، وتعرفه ، وتؤمن به حقاً .

وأضعف من هذا انتظار الشمس ليد القدر إذ أنه أمر لا يزال طى الغيب وكل الكائنات تنتظر هذا المصير ، وكلمة (لعاب) ثقيلة باردة .

وأما البيت الثالث (تعد بها . . البيت) فهو فضول فى فضول ، وماذا يفيدنا هنا ونحن نتسمع للكلام عن غير الأيام ، وتكديرها كل صفو أن تكون الشمس تجهل الحساب ، وهى وسيلته ؟!

ولم أستطع أن أفهم قوله عن قوافيه فى خطاب الوطن :

تجوب الدهر نحوك والفيافى
وتقتحم الليالى لا العبابا

فأولا : جعل قوافيه تجوب الليالى ، فما المانع أن تقتحم العباب ، وإذا كان العباب له نهاية قريبة - كما يقول الشراح - فإن الفيافى كذلك ، بل إن الماء فى الكرة الأرضية أضعاف مضاعفة لليابس . وهذه عبارة شارحى القصيدة : « والمعنى أن قصائده باقية بقاء الدهر ، ولذلك نفى اقتحامها للعباب لأنه مهما اتسع فله نهاية قريبة » . وهو - كما يبدو - شرح عجيب ، لا يتفق مع البيت فى شىء .

وثانيا : ما الفرق بين جوبانها الدهر واقتحامها الليالى ؟ وعندى أن الرواية يجب أن تكون (والعباب) وفى البيت :

وإن حملتك أيديهم بحورا
بلغت على أكفهم السحابا

أفهم أن الأيدى التى تبلغ السحاب هى الأيدى القوية لا الأيدى المعطاءة فالمناسبة هنا للقوة لا للجود ، ولو قال (نسورا) بدل بحور لكان أحسن ، لكن الصنعة حكمت عليه أن يذكر البحر ما دام الارتفاع للسحاب ... ويشبه ذلك أن ينادى الشباب فيطلب منهم الدعاء ، والدعاء إنما يقترن - فى الشعور - بالشيوخ والعجائز، أما الشباب فإنما يطلب إليه أن يعمل بقوة لمساعدة الفقراء لا أن يكتفى بهز العرش بالدعوات ، ومن أين جاء شوقى أن لهذا الشباب صوتا مستجابا . مع أنه عنى فى وصفهم بالأوصاف الحسية .

ويضعف الشاعر حين لا يجد للحرب العالمية الأولى شبها إلا فى حرب البسوس فماذا عسى أن تكون حرب البسوس هذه ؟! إننا مهما أبعدنا فى التخيل حين نتصورها لا نعدل بها يوما واحدا من أيام الحرب العالمية . ولكنها متابعة الأقدمين والجرى وراءهم ، والاغتراف من معينهم ... أما خوفه من أن يعيد الغلاء إلى مصر السبع الشداد ، وهى سنو يوسف - عليه السلام - فهو معنى جيد ، وأقوى منه قوله :

عبادك رب قد جاءوا بمصر
أنيلا سقت فيهم أم شرابا

وإن كان صاحب (الغربال) سخر من هذا المعنى الأخير زاعما أن الشاعر يعاتب ربه على ما أنزل بمصر .

ولو اقتصر شوقى فى هذا البيت :

وهل فى القوم يوسف يتقيها
ويحسن حسبة ويرى صوابا

على الشطر الأول لاحتفظ بقوة الشعر وروعته ، ولكنه أراد أن يكمل البيت فتهافت بذكر إحسان يوسف الحسبة . وبصره بالصواب ، ولا ضرورة لهذا بعد قوله (يتقيها) مع هذا الاستفهام الرائع .

وقد سمعت وقرأت اختلافا فى شرح هذا البيت :

هدانا ضوء ثغرك من ثلاث
كما تهدى (المنورة) الركابا

فقال قائل أنه يريد بالثلاث الليالى . وقال آخر أنه يريد منارات الإسكندرية ، وأرى أن الأول أنسب ، إذا كان شوقى يريد الهداية المعنوية لأن المدينة المنورة لا تهدى الركاب بأضواء محسة . وإنما تهديهم بما فى نفوسهم من أشواق إليها ، ولولا أن (شوقى) ذكر نور المنار بعد ذلك وأنه غشى البحر نورا ، لقلت إنه يريد - قطعا - بالهداية ، الهداية

الروحية ، وهذا المعنى هو المناسب للشعر .

كما اختلف الشراح فى المراد بالتاجين فى قوله عن قصائده وما أسدته لمصر :

وتهديك الثناء الحر تاجا
على تاجيك مؤتلقا عجابا

فقالوا ، المراد بالتاجين (الأهرام وأبو الهول ، أو تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى ، أو تاج العروبة والإسلام) .

وشوقى مخطئ فى هذا لأن من الشروط الأساسية لاسلوب الجيد أن يكون الأسلوب واضحا ، ومن دلائل الوضوح ألا يذكر الأديب كلمة لا يعرف معناها إلا عن طريق الحدس والتخمين .

والشراح مخطئون كذلك - فلم يقل أحد : إن أبا الهول تاج على جبين مصر ، وتاج الوجهين أمر قد مضى عصره لا ينبغى أن يشير إليه شاعر مصر فى القرن العشرين ، وأما المعنى الثالث فليس فى البيت ولا فى القصيدة ما يشير إليه من قريب أو بعيد .

وقد جمع شوقى فى بعض أبيات القصيدة بائسا على بؤساء ، وأذكر أن المحققين من اللغويين لم يقروا هذا الجمع ، وحجتهم أن فاعلا لا تجمع على فعلاء ، وقد حكموا على شعراء فى جمع شاعر بأن طريقها السماع لا القياس .

وبعد . فإنى لا أحكم على شوقى بالحكم على هذه القصيدة ، وإنما أقول : إنها ليست من روائعه ، وإن اختيارها للدراسة على أنها كما قال مختاروها .

(الشوقية البارعة ، مثال رائع من شعر أمير الشعراء) اختيار غير موفق ، وأن الحكم عليها بالروعة حكم غير مقبول . ؟

على العمارى

من شعر إقبال

من أسكن الحب ظلام التراب	فأورق الزرع نضير الأهاب
من رفع الأمواج من بحرها	تسق عطاش القفر برد السحاب
من قلد الورد نسيم الصبا	ومن أعاد الشمس بعد احتجاب
من أنبت السنبل حتى غدت	جيوبه تحوى النضار العجاب
من قسم العام فصولا لها	بكل دور فى الزمان انقلاب

الوحدانية فى الأديان الإفريقية

للأستاذ محمد جلال عباس

« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

آية خاطب الله بها رسوله الكريم ليبين أن رسالة الإسلام العظمى إنما هى رسالة مسايرة للفطرة التى زود الله بها الإنسان فاستقرت فى نفسه وملأته شعورا بأن لهذا العالم خالقا ودفعته إلى التساؤل عن أصل الوجود ومنشأ الخلق ، وهداه عقله المفطور إلى أن الخالق لا بد أن يكون قوة عظمى ، فأعمل فكره ليصل إلى إدراك هذه القوة العظمى إدراكا عمليا يؤيد بها إدراكه الفطرى وشعوره الكامن فى نفسه .

ولقد ظل الإنسان منذ بداية الخليقة يفكر فى أسباب تلك الظواهر الكونية التى أحاطت به ، وتلك العجائب التى تميزت بها حياته ، ليصل إلى معرفة تلك القوة التى تسير الكون والحياة ومر الإنسان فى تفكيره بأطوار متعددة جاءت فى الآية الكريمة : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا . قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين » .

هذا تفكير إبراهيم عليه السلام وهو يمثل حقيقة التطور الفكرى للإنسان . ولا تكاد النظريات العلمية المتعددة التى فسرت أصل العقيدة الإنسانية تخرج عن هذا ، فتايلور وهربت سبنسر قالا بأن الإنسان بعد بحثه وتأمله فى مظاهر الحياة وتفكره فى الأطياف التى كانت تمر به فى منامه ، أخذ يرد مختلف الظواهر إلى أرواح تكمن فيها وتسيرها . وهو فى هذا الطور لم يرق إلى مرتبة فكرية تجعله يصل إلى عقيدة إلهية ، وإنما كانت عقيدته فى هذا الطور روحية خالصة ، أما جيمس فريزر فقد ذكر فى كتابه « عبادة الطبيعة » أن الاعتقاد فى الله عند الإفريقيين إنما يرجع إلى أن عقل الإنسان بطبيعته لم يقبل الظواهر على علاتها إنما أخذ يبحث عن شىء غير مادى فيما وراء هذه الظواهر يجعله يقنع عقله بها كأسباب لها ومن ثم لم يعبد الطبيعة ذاتها إنما كان تفكيره متجها إلى الاعتقاد فى قوة غير ملموسة .

وقد أكد بعض الكتاب والباحثين وجود فكرة الوحدانية فى عقائد الإفريقيين وعلى

رأس هؤلاء الأب شميــدت الذى يرى أن العقائد فى إفريقيا قد تطورت من مرحلة تعدد الآلهة إلى مرحلة الاعتقاد بإله واحد ، وقد تبعه بعض المــبشرين الذين بحثوا فى الأديان الإفريقية وبعضهم قال بأن اعتقادات الإفريقيين الحالية لا بد وأنها تطورت من وحدانية قديمة وقال آخرون بأن الديانات الإفريقية متأثرة بوحدانية اليهود القديمة كما ذكر البعض مثل الدكتور لوكاس أن آلهة إفريقيا الغربية إنما ترجع أصلا إلى العقائد المصرية القديمة وخاصة عقيدة أخناتون .

وأيا ما كانت الآراء فإن ديانات الإفريقيين الأصلية ذات طابع مميز لها فهى لا تدور حول عبادة القوى الطبيعية كما كان الحال عند الإغريق ، ولا عبادة الشمس كمصر القديمة ، ولا هى عبادة أوثان كالتى كانت عند العرب فى الجاهلية ، وهى لا تدور حول تقديس أشخاص لهم اعتباراتهم التاريخيــة ومبادئهم الأخــلاقية كالكنفوشية والزرادشتية والبوذية فى آسيا ، كما أنها لا تعتمد على الاعتقاد الروحى وحده .

لا تعتمد العقيدة الدينية عند الإفريقيين على أحد من هذه العناصر التى اعتمدت عليها الديانات الأخرى غير السماوية قديما وحديثا ، إنما تتميز بمميزات خاصة أهمها : —

١ — الاعتقاد بإله علوى .

٢ — تقديس أرواح بعض الشخصيات التى لها تاريخها ، وأهميتها فى حياة القبيلة .

٣ — الاعتقاد فى خلود الروح بصور شتى إما بحلولها فى أفراد من أبناء الأجيال التالية أو فى عوالم أخرى كالأشجار والأنهار والبحار والغابات أو باطن الأرض أو السماء ولهذا فهم يقدسون أرواح السلف ويقدمون لها القرابين .

٤ — الاعتقاد فى وجود كائنات غير إنسانية وغير مرئية بعضها خير وبعضها شرير والاتصال بها يتم بواسطة السحر .

من هذه المميزات يمكننا أن نقرر أن الديانات الإفريقية ديانات تجمع بين التوحيد والاعتقادات الروحية .

ويعتبر الإله العلوى الذى لا تخلو منه ديانة من ديانات الشعوب أو القبائل الإفريقية مظهراً للوحدانية فى هذه الديانات ، وتختلف أسماء هذا الإله باختلاف الشعوب ولغاتها ولكنها جميعاً تؤمن به كخالق للعالم إلى جانب إلمامها بصفات أخرى له لا تكاد تخرج عن صفات الله التى جاءت فى القرآن ، ونورد فيما يلى عشر أمثلة نمر بها على أقطار إفريقيا لنثبت هذه الحقيقة .

١ — فى سيراليون تؤمن قبائل الماندى بإله خالق « أنجووى » ، وتعتقد أنه وجد بذاته قبل الخلق ثم بث الحياة فى البشر . وملأ العالم بقوى من عنده تسير الرياح وتحدث البرق وتجرى الأنهار فهو مصدر كل قوة ،

واسمه يلهج به كل لسان فى التحية والسلام والدعاء . وتؤمن قبائل الكونو المجاورة للساندى أيضاً بأنجووى وتعتقد أنه الأول والآخر وأنه موجود فى كل الوجود ماضيه وحاضره ومستقبله ، وهو الذى يثيب البشر ويعاقبهم بالرعد والبرق والموت الغامض الأسباب .

٢ — جماعات الأشانتى التى تسكن غانا وبعضها لم يعتنق الإسلام ، هؤلاء يعتقدون بإله يسمى نيامى أو نيونمى وهو الإله العلوى الذى وجد قبل الخلق وتتجلى مظاهره فى السموات والأرض .

٣ — قبائل شمال غانا وبعض قبائل وسط نيجيريا تؤمن بالشمس كإيمان المصريين القدماء بها . على أنها مظهر لقوة الإله الواحد وهى نفس الفكرة التى نادى بها أخناتون فى مصر القديمة فالشمس هى مظهر لقوة الإله ، والأنهار تجرى بقوته والثراء منحة منه وأن الأرواح تعود إليه فى النهاية .

٤ — شعب اليوربا فى جنوب نيجيريا يؤمن « بأولورون » ، ومعناها اللغوى صاحب السموات ويعتقدون أنه خالق كل شىء وأنه هو القوى العزيز العليم القدير ، إليه ترجع الأمور ليقضى فيها بعدله .

٥ — يؤمن شعب الإيبو فى جنوب غرب نيجيريا بإله علوى يماثل إله اليوربا فى صفاته ويعرف باسم « آرو » .

٦ — تعتقد قبائل « انجومبى » فى الكونغو فى إله علوى يعرف باسم « أكونجو » ، هو خالق الكون لذى سوى الإنسان مثلما تسوى الآنية الفخارية من الطين ، وله أسماء متعددة منها الأول والآخر والقدير الذى يجل عن الوصف ، وهو الحافظ والرازق قريب من كل إنسان يجيب دعوته إذا دعاه دون وساطة .

٧ — لقبائل « الكيكويو » فى كينيا إله علوى يسمى « موروونجو » يعتقدون أنه حال فى أماكن كثيرة وتظهر قوته ووجوده فى الشمس والقمر والنجوم والرياح والأمطار ، والاعتقاد فى مورونجو أو مولونجو ينتشر فى جهات كثيرة من أواسط إفريقيا .

٨ — من أسماء الإله العلوى الواسعة الانتشار ليزا فى تنجانيقا وروديسيا وكاتنجا بالكونغو . ومعناها عند بعض القبائل الحافظ ومعناها عند قبائل التونجا فى تنجانيقا المسبب الأول ، وهو عند قبائل « إلبا - إيلا » فى روديسيا خالق كل شىء فهو المنشىء الذى سوى الأشياء الذى يرسل الرياح وينزل الأمطار .

٩ — فى جنوب إفريقيا ينتشر الاعتقاد أيضا بإله علوى فعند الباسوتلو نجد « موليمو » ، ومعناها فى لغتهم النور والحافظ والمظهر . وعند الزولو « اونكولونكولو » ومعناها العظيم الأعظم والقدير الأقدم .

١٠ — جميع القبائل النيلية التى تسكن جنوب السودان وأوغنده تؤمن بإله علوى

« هو الجوك » مثل قبائل الشلوك والأنشولى والموتوكو واللانجو ، وهو عندهم موجود عظيم لا يراه الناس وصفاته عندهم يمكن تلمسها في أغنية من أغانى الشلوك الشائعة تقول:

أنا أصلى لجوك .

الجوك هو المعطى وهو الحافظ .

آمنت بالجوك واستمنت بروح من عنده فأصبحت مخيفا لأعدائى .

وأصبح أعدائى يخشون الاعتداء على .

حينما ينسى الشلوك الجوك يضلون كالبقر .

ولا ينسى الشلكاوى الجوك إلا إذا غرق فى الخمر .

وتقول أغنية أخرى عند الشلوك :

أنا أصلى للجوك وحده .

أصلى له ليسدد سهامى .

أنا لا أرمى السهام وحدى .

ولكن الجوك يوجه سهامى للهدف المصيب .

هذه أمثلة مررنا بها فى أنحاء القارة الإفريقية تعطينا صورة واضحة على أن وحدانية حقيقية تسود فى أديان شعوب هذه القارة متأصلة فى فطرتهم ، ويتضح منها اتفاق كبير مع آيات القرآن الكريم فى خلقه وفى قدرته ، ولئن كانت العقائد الإفريقية مشوبة بمقدسات لا تسلم من الشرك والزلل والخطأ إلا أن ذلك يرجع إلى عاملين هامين :

الأول : المؤثرات التى انبثقت من صميم الحياة الإفريقية البدائية ووجهت العقيدة إلى مقدسات أفسدت تلك الوحدانية الفطرية.

والثانى : عدم وصول الهداية إلى تلك البلاد أو منع الاستعمار لهم من الوصول إليها فلم يجد الإفريقيون من التعاليم الخالصة السليمة ما ينقى عقيدتهم وتطهر عقولهم من تلك الشوائب .

ولقد قبل الكثير من القبائل التى وصل الدعاة والمعلمون المسلمون إليها الدخول فى الإسلام بعد أن تألفت قلوبها حول هذا الدين القيم الذى يساير الفطرة السليمة . وكان الإسلام يزحف بخطى حثيثة إلى قلب إفريقيا ليجمع الكلمة ويوحد الصفوف وينهض بالشعوب والقبائل إلى مراقى الإنسانية السامية التى تهدف إلى تحقيقها نظم الإسلام ، لولا أن أتاها الاستعمار ، فعمل بكل وسائله على وقف هذا الزحف المقدس الذى آن لنا أن نعيده . . .

آن لنا أن نعيد هذا الزحف المقدس لنحفظ للشعوب الإفريقية فطرتها السليمة التى تتمثل فى التوحيد وهو العنصر الأساسى للعقيدة الإسلامية والأصل الأول لها ، هذا الزحف الإسلامى الذى يأخذ بيد شعوب إفريقيا لتدعم حريتها السياسية التى حققتها بفكر نقى وعقيدة سليمة .

محمد جلال عباس

من تاريخ الصحافة :

مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر

للدكتور جمال الدين الرمادى

هذه مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر بيد أنها ليست هى المجلة التى تصدر عن الأزهر الشريف . أما منشؤها فهو الدكتور حسن بك رفقى الطبيب الشرعى لدى المحاكم الأهلية وإبراهيم بك مصطفى ناظر مدرسة دار العلوم وتاريخ إصدارها عام ١٨٨٧ ، وكانت مجلة علمية أدبية تضم كثيراً من المباحث والفصول فى الأدب والسياسة ، والدين والاجتماع . والعلم والفن .

ويحلو لنا فى هذا المقال أن نستعرض صفحات هذه المجلة القديمة حتى نستعرض الدور الذى قامت به فى خدمة الصحافة والمعرفة .

والشىء الواضح فى موضوعات هذه المجلة أنها لم تكن قاصرة على لون واحد من ألوان الثقافة إنما كانت جامعة لأشتات من الفنون وضروب من المعرفة . فعنيت بنشر مباحث فى الجغرافيا والهندسة ، والزراعة والعلوم مثل علوم الإيدروليكا أو علم التصرفات وهو العلم الذى يبحث فى حركة المياه ، كما نشرت بحوثا فى تاريخ للعرب وبحثا عن ترجمة الخطاطبة وحالة الرى فيها منذ الأزمان السابقة ، وعن وسائل تقليل الطمى فى الترع وتقريراً عن أحوال السكك الزراعية ، وتقريراً عن ضغط جسور النيل وما إلى ذلك كما ضمت المجلة بحوثاً عن الثروة الحيوانية فى البلاد ، وبحثاً قيما عن اللبن ، وعالجت بعض المسائل الطبية فى وقت كانت فيه المقالات الطبية شيئاً مستحدثا طريفا . فكتبت عن الحمى والرمد الحبيبى وتناولت بعض الثروات الاقتصادية بالبحث والدراسة مثل البترول الذى نشرت عنه بحثاً فى العدد الأول من السنة الخامسة عام ١٨٩١ .

ونشرت بحثا عن جمهورية شيلى وحروبها الداخلية ونظام الحكم فيها ، وكان المقال بقلم الزعيم محمد فريد الذى كتب تحت اسمه « مساعد النيابة العمومية » ، وبحثا عن تاريخ التعليم فى مصر وبلاد بلجيكا وتعرضت المجلة لخزانات النيل ومواضع إقامتها .

والطريف أن مجلة الأزهر نشرت فى عدد مارس عام ١٨٩٢ مقالا طويلا بعنوان « أفسحوا للشبان » لتشجيع الشباب على العمل وإفساح المجالات له ، كما نشرت بحثا طريفا

عن وسائل الاحتفاظ بعطرية مشروب القهوة مما يدخل فى باب التدبير المنزلى ، كما بشرت بالعثور على نسيج جديد يقرب فى الأهمية من الكتان والتيل ويغنى عن القطن فى كثير من الأحوال ويستخرج من ساقه الذى يبلغ طوله مترين ألياف يحصل منها على ورق جيد ، ويمكن أن يعمل من الألياف المذكورة الرقيقة اللينة أنسجة حريرية لطيفة الملمس ، ونشرت رأى « كوفمان » فى معالجة لدغ الأفاعى إذ ظهر له أن كلا من برمنجنات البوتاسيوم وحمض الكروميك بمقدار ١/١٠٠ أعظم دواء مضاد لسم الأفاعى إلا أن حمض الكروميك أقل أهمية من برمنجنات البوتاسيوم لأنه يجمد السوائل بسرعة ولا يمنع خاصيه انتشارها مثله .

كما نصحت مجلة الأزهر بتنظيف الزجاجات التى كانت محتوية على زيوت أو على أجسام دسمة ، بمحلول برمنجنات البوتاسيوم فيتكون فوق أوكسيد المنجنيز الإيدراتى ثم يضاف حينئذ حمض الكلورايدريك المركز فيتولد من إضافته تصاعد غاز الكلور الذى يحلل المواد العضوية فيسهل فصلها فغسلها بالماء . كما ذكرت المجلة أن الأطفال لايصيحون من غير سبب ، إنما يصيحون إذا شكهم شائك أو كانت معدتهم ممتلئة بغازات ، أو كان عندهم عسر هضم أو كانت أرجلهم باردة ، أو كان برأسهم ألم ، كما يصيحون إذا كان بهم عطش أو جوع أو كانوا يريدون النوم أو كان بهم غضب أو كان جسمهم ساخناً أو بارداً .

وصدر العدد الأول فى يناير عام ١٨٩٣ (السنة السادسة) بعبارة الشاعر جون ملتون المشهورة « أعطنى الحرية فى أن أعلم وأتكلم ، وأتباحث حسب ما منحته من الذمة وأعطيته من الحرية ، وإذا كانت كل رياح المذاهب تهب على وجه الأرض ، وكانت الحقيقة موجودة معها فمن العبث أن نمنع ظهورها ونحجزها خوفا من انهزامها . فلنترك الحق يحارب الكذب فإنه لم ير أحد أن الحق انهزم إذا انفتح له المجال . إن أكبر شىء بعد الله هو الحق ، فإنه لايحتاج فى انتصاره إلى السياسة والحيل بل تلك الأمور هى طرق الدفاع التى يستعملها الكذاب لإخفاء الحق .

ولم تغفل مجلة الأزهر البحوث الإسلامية . ومن ألطف البحوث المنشورة فيها بحث فى المكاييل والأقيسة والأوزان فى الإسلام ، ونقلت رأيا للمقريزى فحواه : أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : « إن النقود فى الإسلام على ما كانت عليه ، وأبو بكر لم يتعرض لها وكذا عمر غير أنه فى سنة ثمانى عشرة هجرية ، وضع الجريب والدرهم ، وضرب عمر الدرهم على نقش الدراهم الكسروية وشكلها وأعيانها وجعل وزن كل عشرة دراهم وزن ٦ مثاقيل .

أما عثمان فلم يضرب دراهم فى خلافته ، ولما اجتمع الأمر لمعاوية وجمع لزياد الكوفة والبصرة قال يا أمير المؤمنين : إن العبد الصالح صغر الدرهم وكبر القفيز ، فضرب معاوية السود الناقصة من ستة دوانق .

ونشرت مجلة الأزهر فى أبريل عام ١٨٩١ مقالا بعنوان « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه » فسرت به هذا الحديث النبوى الشريف ، وقالت : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان نبياً كسائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام طبيبا بالطب الروحانى الذى هو منصب النبوة الشريف ، وليس على الطبيب النطاسى إلا أن يشخص الداء ويصف لصاحبه من الأشفية ما يضاده ويحسمه ، كذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتفرس فى أحوال الناس ويرى من أمراض قلوبهم وآفات نفوسهم ما لا يرون هم من أنفسهم ، فيرشد الإنسان إلى ما يراه أنجع فى علاجه ، ويصف له دواء دائه بجمل وجيزة من الرفق والتلطف به حتى يكون لها فى نفسه نفوذ تام ، فعرض صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث بمن كان داؤه الخامر أنه يؤذى الناس بلسانه ويده ، كما عرض بمن كان يؤذى جاره فى قوله ، فليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه ، وليس التقييد بالمسلمين فى قوله : من سلم المسلمون لإخراج غيرهم من هذا الحكم ، فإن الشريعة الإسلامية تقضى بأن من كان بيننا وبينهم عهد وذمة ، فلهم مالنا وعليهم ما علينا ، وإنما قيد فى الحديث بالمسلمين لكونهم جيران المسلم الأقربين وعشيرته الذين أمر بمخالطتهم والارتباط بهم .

وإنما اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم باليد واللسان وآثرهما بالذكر لكونهما أقوم آلات الجسم وأكثرها نفوذاً فى الأعمال إذ لا يخفى أن اليد هى التى تستقل بغالب أعمال البدن من تناول الأشياء وتداولها ، وسائر أنواع الكسب والتصرف ولذلك كثر فى الكلام إضافة الفعل إليها مع كون الفاعل غيرها كقوله تعالى : « بما عملت أيدينا » ، « وما أصابتكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » ، ونحو ذلك ـ ولمثل ذلك أثر اللسان بالذكر أو كان ترجمان القلب الذى هو محل الإدراك ، وخازن الإنسان وأمينه الذى يحفظ عليه أسراره ويصون ذخائره ـ فإن قام هذا الخازن بوضع الأشياء فى مواضعها وتصرف بالحكمة ، فبذل فيما ينبغى وأمسك عمالا ينبغى كان كصانع الدواء الذى اطمأن الناس إلى حق نظره ومعرفته بمقادير الأدوية وكيفية تركيبها ، وأنه لا يعطى الدواء إلا بعد تثبت ووزن وتقدير ـ فمن أجل ذلك أقبل الناس عليه فنفع وانتفع وعاد عمله بالصحة والنجاح

عليه وعلى غيره، وإن هو تهاون بما تحت يده ولم يضبط أمر الأدوية التى يعطيها بل باع منها جزافا فقد أودى بنفسه وعبث بحياته وحياة غيره، كذلك حال اللسان، وقد قيل الكلام كالدواء إن قل نفع، وإن كثر صرع، ورب متكلم فيما لا يعنى. قال له الكلام دعنى.

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه
فليس على شىء سواه بخزان

بهذا الأسلوب طفقت مجلة الأزهر تعالج أمور الدين وتفسر الحديث النبوى الشريف وتضرب النماذج والأمثلة من الحياة الواقعة دون قصور أو تقصير، ولم تكن تغفل أثناء ذلك كله التراث العربى القديم - فاستعانت ببيت من أبيات الشاعر الجاهلى امرئ القيس فى تفسير هذا الحديث الكريم.

وخصصت مجلة الأزهر القديمة بعض صفحاتها لرجل التربية والتعليم الأول المغفور له على مبارك الذى كتب بعض المقالات التربوية القيمة وفيها مقاله المعنون «مفاتيح الكنوز» الذى نشرته المجلة فى يونيه عام ١٨٩١ الذى جاء فيه «والله سبحانه وتعالى لم يبح لنا من الأفعال إلا ما يهمنا فى صلاح ديننا أو دنيانا. وما لا يهمنا فى شىء منهما إن كان فيه ضرر يلحق أحدهما لحرام، وإلا فتركه والإغماض عنه أحق وأولى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وإنى طالما فكرت فى الإنسان ومزاياه، وما أودعه البارى من الحواس المرشدة والنفس المفكرة والعقل المدبر، والبيان المصور، واللسان المعبر، والقوى المنفذة، والأعضاء العاملة التى بجميعها تصرف فى أنواع العالم، وبسط يده على كل الكائنات، وكان له السلطان الأعظم على ما فى الأرض مع ما به من الضعف وتزاحم العلل والأغراض وكثرة الحاجة وقصر الحركة وهو منصرف بجميعها عن وجهتها منحرف بها عما خلقت لأجله، والبارى لم يركب فيه تلك القوى وهذه الآلات إلا ليجعلها عوامل تحت سلطة التمييز والتدبير يصرفانها بمعيار الحكمة فى مجارى ثمرات ما أحاطه من الكائنات وجعله حوله من كنوز الخيرات.

فعلى الإنسان أن يعمل طبق ما يحقق حكمة البارى فيه مع أنه لم يكلفه أن يأتى إلا بما فى وسعه من العمل، وسخر له ما تعجز عنه قدرته وتقصر دونه همته، ولم يبق له إلا ماهو بموازاة إمكانه كما أشير إلى ذلك فى قوله تعالى: «فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً. وزيتونا ونخلا، وقهر جميع الكائنات وجعلها مادة صنع حواسه

التى هى سبل عمله ومجارى تفكيره فى هذا العالم ، والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ». فالشمس والنجوم والهواء والماء والحيوان والنبات والتراب وسائر الموجودات على اختلاف أنواعها وتباين خصائصها مخلوقة ومذللة لفائدة الإنسان ومصلحته ، وقد امتن عليه الخالق بذلك فى مواضع شتى من كلامه المقدس فقال « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه»وقال : « وسخر لكم الفلك » وقال : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن الإنسان لظلوم كفار » .

وهكذا مضى المرحوم على مبارك يعالج موضوع العقل البشرى ، ويرسم سبل الصراط المستقيم كما وضحها الله تعالى فى كتابه العزيز ، ولا سبيل إلى الإتيان بالأعمال الحسنة إلا حيث يتثقف العقل بأنواع المعارف الحقة ويهذب بالتربية والآداب. فإذا تم هذا للمرء أتى بأعمال تامة الحسن رائعة الصنع ، رائعة الإبداع .

ما وهب الله لامرئ هبة
أحسن من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقدا
ففقده للحياة أليق به !

وفى العدد الصادر فى يوليو عام ١٨٩١ عاد المرحوم على مبارك ليتحدث عن العدل العام وكيف أنه بالعدل قامت السماء والأرض ، فبالعدل تخصب الأرض ، وتثمر الأموال ، وتنتظم الأحوال وتدر الأرزاق ، ويزول الشقاق ، وبه يستقيم الدين ، ويقوى حبله المتين. وذلك أن الشرع لا يحفظ إلا بالسلطان الذى يحرسه ويذب عن حرمه ، كما أن السلطان لا بقاء له إلا بالدين القويم حيث هو طريق العدل المستقيم .

فالدين بالملك يقوى
والملك بالدين يبقى

فإذا قاد الأمة راعيها بأزمته ، ونهج على شرعته ، اتصلت الأسباب ، وتفتحت الأبواب ، وسهل كل صعير فى الزمن اليسير ، واتجت الأمور ، وذهبت الشرور ، ووافى السرور ، والتأمت القلوب ، وانجلت الخطوب ، وغرست فى الأفئدة محبته ، وحمدت على مر الأيام سيرته .

هذا طرف من سيرة مجلة الأزهر القديمة التى صدرت فى القرن الماضى ، ولم تلبث أن أصدرت مشيخة الأزهر الشريف فى المحرم عام ١٣٤٩ مجلة تعبر عن نشاطها الدينى والثقافى بعنوان نور الإسلام .

وفى فاتحة السنة السادسة لها ، المحرم من سنة ١٣٥٤ ، تغير اسمها إلى « مجلة الأزهر » التى تصدر الآن فى مطلع كل شهر عربى وسنتها ، عشرة شهور ؟

دكتور جمال الدين الرمادى

رأى الأزهر
فى الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو

للأستاذ أحمد محمد محمد غنيم

يسرنى وأنا أحد الذين ربوا فى مدرسة النحو القديمة، واطلعوا على تعاليم المدرسة الحديثة، وعاشوا مع نحاة المدرستين طويلا. وعرفوا الكثير من مذاهبهم، أن أكون ممثل الأزهر فى هذه الحلقة [١]. للمشاركة فى بحث الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو. وكل أملى أن نوفق إلى اتخاذ قرار سديد يساير تطور الزمن، ويلائم روح العصر، ويحبب إلى التلاميذ دراسة النحو، بل يبث فيهم الحرص على التوسع فيه.

إن تيسير النحو على المتعلمين أمر محبوب، وغاية شريفة. وأمنية يحرص عليها المصلحون ولكن ينبغى ألا يكون ثمن ذلك التيسير بتر النحو، وإهمال بعض مسائله. ينبغى ألا يكون ثمن ذلك التيسير جهل التلميذ بالنحو وحرمانه من الانتفاع بكتب السابقين. وما فيها من كنوز ثمينة، وثمار طيبة.

وقد حرصت كل الحرص أن أقف موقفا وسطا، لا متحيزا للقديم، ولا معاديا للجديد، ولكن مؤيدا للحق حيث كان، والحق أحق أن يتبع.

وكان بودى أن تكون ثورة الثائرين على النحو القديم ثورة غير جامحة تسير مع العقل والحكمة، وتبقى على كل ما هو صالح من تراث السابقين. مما أنتجته عقولهم، وأثمرته قرائحهم، وانتفع به من بعدهم أجيال وأجيال ولا أظن أحدا من الحاضرين ينكر على القدامى أنهم وجهوا نشاطهم الذهنى وعقولهم الجبارة إلى علم النحو، فقعدوا قواعده، وفرعوا فروعه، وثار فيه بينهم الجدل والحوار حتى ليصح القول أنهم فلسفوا هذه المادة، وتركوا منها تراثا ذهنيا ثقافيا جديرا بالإعجاب والخلود.

ولا يمنعنا هذا أن ننكر من تعاليمهم ما تحتم الضرورة إنكاره. من خطأ قد يقع نتيجة لزلة قلم. أو نبوة فهم، ومن صواب قد يتعسر على الناشئين فهمه. ولا يسهل عليهم

[١] أقيمت فى كلية دار العلوم حلقة استغرقت أسبوعا من ٩ـ ١٤ فبراير ١٩٦١ لدراسة تيسير النحو اشترك فيها عن الأزهر الأستاذ أحمد محمد غنيم وألقى هذه المحاضرة.

تناوله . وهو يعد مما لا تدعو إليه حاجة ماسة ولا ضرورة ملحة . وإن مما نحمده أن أول توصية أوصى بها أعضاء هذه الندوة قالوا فيها :

« يعلن أعضاء الندوة اتفاقهم على ضرورة تيسير النحو العربي للطلاب على ألا يمس هذا التيسير أصلا من أصول اللغة العربية . وألا يقطع صلة الطالب العربي بتراثه القديم » .

وهذا مبدأ سام نبيل جدير ألا نحيد عنه في كل خطوة نخطوها في سبيل التيسير .

وقد رأيت أن أناقش أمام حضراتكم في هدوء بعض المحاولات التي يراد بها تيسير النحو :

المحاولة الأولى :

بتر النحو وإهمال بعض مسائله .

يرى أنصار التيسير الاقتصار على النواحي الضرورية من الأبواب المقررة في النحو وهكذا يرون إغفال الأبواب التي لا تدعو حاجة الطلاب إلى تعلمها أو لا تتسق مع مداركهم . وإني أعلن من فوق هذا المنبر تأييدي لهذا الاقتراح على طول الخط لكن فيما يتعلق بدراسة النحو للناشئين وغير المتخصصين، أما المتخصصون وطلاب المعاهد التي تخرج مدرسي اللغة العربية فهم بطبيعة الحال لا يسرى عليهم هذا التيسير فإن المدرس بل الكاتب والشاعر والصحفي والخطيب . كل منهم قد يضطره موقفه إلى التعمق في البحث ، والإلمام بكل ما قيل في النحو من دقائق وقضايا ، ولا يفوتني أن أعلن في غير تردد أننا معشر القوام على اللغة العربية قد أسرفنا في تدليل الناشئ ، وأشفقنا عليه في غير مشفق ، حتى وجدناه في كلمة فاعل وكلمة مبتدأ وكلمة خبر ما يجرح سمعه ، في حين أن غيرنا من القوام على المواد الأخرى لم يشفقوا هذا الإشفاق على الناشئ ، ويسردون عليه من قوانين الطبيعة ومبادئ الفلسفة والنظريات الهندسية والقواعد الجبرية ما يصدع الرءوس ، ويشتت الأذهان ، فهل يصح أن نبلغ الاستهانة باللغة العربية إلى هذا الحد ، وهي لغة آبائنا ، ولغة ديننا .

المحاولة الثانية :

اصطلاح المسند والمسند إليه .

يرى الاتجاه الجديد تسمية ركني الجملة بالمسند والمسند إليه والعدول عن التسمية بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر .

وإن مما لا ينازع فيه أحد أن التلميذ في مراحل التعلم الأولى إذا ألقى على سمعه نحو أكل محمد ، فإن أسهل عليه وأقرب إلى إدراكه وأكثر مناسبة لما هو مألوف له ويتردد على سمعه أن يستنبط بنفسه ، مع قليل من توجيه مدرسه وإرشاده . أن أكل لفظ يدل على الفعل الماضي وأن « محمد » لفظ يدل على

فاعل هذا الفعل ، فإذا ما جاءت الدراسة تؤيد هذا الذى أمكنه استنباطه بنفسه وهو فى دائرة مألوفة من الكلام ، رسخ فى ذهنه ، وأمكنه القياس عليه . وتلك هى الطريقة التى يفضلها علماء التربية . إنى أجاهر بصوتى عاليا ، أنه إذا أريد من التلميذ الناشىء أن يعرف أن أكل مسند ، وأن « محمد » مسند إليه فإن دون ذلك خرط القتاد ، مهما بذل المدرس من مساعدة وتوجيه . فإنها كلمات غامضة نابية ، غريبة على سمعه ، لم تطرق أذنه إلا فى قاعة الدرس ولا سبيل إلى وصوله لمعرفتها ، إلا أن يلقيها المدرس عليه إلقاء ويلقنها له تلقينا .

وهذه طريقة معيبة لا تناسب الناشئين مطلقا ، ولا تؤدى إلى التيسير الذى ندعو إليه ، والمدرسون أنفسهم يعترفون بذلك ولا أكون مغاليا إذا قلت : إنها تنفير وتعسير لا تسهيل فيها ولا تيسير ، وهكذا الحال فى نحو : محمد قائم .

وفضلا عن ذلك ، فإن الكتب القيمة التى تركها لنا السلف ، من المفسرين وشراح الحديث وشراح دواوين الشعر العربى . إنما يسير مؤلفوها فى أساليبهم ، على الطريقة الأولى . والمصطلحات المتوارثة ، ولا شك أن استمرار الدراسة على ما يراه أنصار التيسير من تغيير فى الأسماء والمصطلحات ، يحدث فجوة واسعة بيننا وبين تلك الكتب ، ويؤدى إلى حرمان الأجيال المقبلة ، من الانتفاع بما فيها . من أفكار سامية ، ومعارف رائعة . وذلك خروج على ما أوصى به أعضاء الندوة من ضرورة التيسير على ألا يقطع صلة الطالب العربى بتراثه القديم ، وأعتقد لو أن القدامى جمعوا الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ فى باب واحد تحت اسم المسند إليه ، لكان من مقتضيات التيسير أن ندعو إلى التقسيم والتفصيل ، لزيادة البيان والإيضاح ، وليدرك التلميذ الفرق بين ضُرب زيد وضَرب زيد وزيد ضرب ، فإن زيداً فى الأسلوب الأول مضروب ، وفى الثانى ضارب دون تقرير وتوكيد ، وفى الثالث ضارب مع زيادة التقرير والتوكيد ، وأما اختيار علماء البيان اسم المسند والمسند إليه فذلك ، لأن الأسرار البلاغية لا تختلف بالنسبة لكل منهما مهما كان نوعه ، وكذلك القول فى متعلقات الفعل وهى التكملات فلم تكن هناك حاجة إلى تمييز كل باسمه الخاص ، وإفراده بباب خاص .

أما النحاة فقد وجدوا أن لكل من أنواع المسند والمسند إليه والتكملات تقسيما خاصا وأحكاما خاصة . فلم يكن من المستحسن عندهم جمعها تحت اسم واحد كما صنع علماء البيان على أن الطالب لا ينتقل إلى دراسة علوم البيان ، إلا بعد أن يكون قد نال قسطا

كبيراً من دراسة القواعد ، وعرف الفعل والفاعل ، والمبتدأ والخبر ، والمفعول وغيره من الفضلات ، فمن السهل عليه بعد ذلك أن يقبل ما جمع منها تحت اسم واحد ، دون جهد أو عناء .

وأما ما يقوله بعض أنصار التيسير ، من اتحاد أحكام الفاعل والمبتدأ ، فلا نسلمه له ، وهو نفسه لا يعترف بهذا الاتحاد ، فهو بينما يقول : إن الحكم فى الحالين واحد ، نراه يقول : إذا تقدم المسند إليه كان من أحكامه كيت وكيت . وإذا تأخر تغيرت تلك الأحكام ، تبعا لتقدم المسند إليه وتأخره ، وذلك الذى يعترف به ، هو بعينه ما دعا النحاة إلى إفراد المسند إليه المتقدم بباب باسم المبتدأ ، والمسند إليه المتأخر بباب باسم الفاعل . وقبل أن أترك هذا الموضوع ، أستحسن أن أذكر أمام حضراتكم مثالا لفت نظرى إليه مقال نشر بمجلة الأزهر[1] لبعض زملائى بالكلية ، لتوازنوا بين إعرابه فى الاصطلاح القديم وإعرابه فى الاصطلاح الحديث ، وتتبينوا مقدار ما بين الإعرابين من تفاوت ذلكم المثال هو قول القائل « الطائر مقصوص جناحاه » .

يقال فى إعرابه فى الاصطلاح القديم ، الطائر مبتدأ ، ومقصوص خبر ، وجناحاه نائب فاعل والضمير مضاف إليه ، تلك كلمات لا تتجاوز العشر ، سهلة على اللسان ، ولا تمجها الآذان ويقال فى إعرابه فى الاصطلاح الحديث ، الطائر مسند إليه أول ، ومقصوص مسند ، وجناحاه مسند إليه ثان ، والمسند والمسند إليه الثانى مسند إلى المسند إليه الأول ، تلك كلمات تقارب العشرين وفيها من تكرار كلمة مسند سبع مرات ، ما يصك الآذان ، ويثقل على اللسان ، حكموا أنفسكم وانظروا ، ماذا يكون وقعها على سمع التلميذ المسكين ؟ وكيف يتعثر بها لسانه ثم فاضلوا بين الاصطلاحين ، وبحق يقول زميلى . لو أن علماء البلاغة ، وصل إلى سمعهم مثل هذا الإعراب ، لاستغنوا بالتمثيل به للتكرار المعيب ، وتنافر الكلمات ، عن التمثيل بقول أبى الطيب :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا
قلاقل عيش كلهن قلاقل

وقول الآخر :

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

المحاولة الثالثة : التيسير فى الضمائر .

يرى الاتجاه الجديد إلغاء الضمائر المستترة ،

---

(١) النحو بين التجديد والتقليد ـ ٣ ـ للأستاذ عبد الخالق عضيمه جزء شعبان ١٣٨٠ .

واعتبار ضمائر الرفع المتصلة البارزة حروفا يشار بها إلى نوع المسند إليه أو عدده . وفيما عدا ذلك من الضمائر ، فالقول كما قال النحاة ويؤدى هذا الاتجاه إلى أمور .

الأول : أن ضمير الرفع البارز المتصل حرف ، بخلاف ضميرى النصب والجر . ففى نحو قوله تعالى : « ربنا إننا آمنا » يكون الضمير الأول والثانى من قبيل الأسماء ، والثالث من قبيل الحروف . وأى بلبلة يقع فيها التلميذ من وراء تلك التفرقة التى لا يدرك لها سببا ، فاللفظ فى المواضع الثلاثة واحد . ويؤدى فيها معنى واحدا ، وهل هذا إلا تحكم وترجيح لأحد المتساويين على الآخر بدون مرجح .

الثانى : أن هذا الاتجاه يؤدى إلى أن يكون كل من قمت وأقوم مجرد فعل وليس فيه ضمير ، فالأول صيغة لماضى المتكلم . والثانى صيغة مضارع للمتكلم . واعتقادى أنه لا ينازع أحد فى أن كلا من الصيغتين كلام تام ، والكلام عمل اللسان . وهو ما تألف من ركنين ، مسند ومسند إليه . وكل منهما ملفوظ أو مقدر ، فإذا لم يكن فى اللفظ إلا الفعل ، وليس هناك ضمير فى اللفظ ولا فى النية كما يقولون ، فأين المسند إليه ؟ يقولون إن المسند إليه مفهوم ، وهو المتكلم نفسه فى الصيغتين . وعليه : فيكون نحو قمت وأقوم كلاما مؤلفا من ركنين أحدهما ملفوظ وهو الفعل ، والثانى لا هو ملفوظ ولا هو مقدر . وهو المتكلم نفسه ، المدلول عليه بالتاء فى قمت وبالهمزة فى أقوم . ويكون الكلام حينئذ مؤلفا من لفظ وذات ، ولست أدرى كيف نقبل هذا ؟ . وكلنا يعلم أن موضوع النحو . إنما هو الكلام العربى وليس من شأنه البحث فى الذوات . الحق أن هذا من أعجب ما تمخض عنه الفكر الحديث فى القرن العشرين . ولقد حاولت إقناع نفسى بقبوله بوجه من الوجوه ، فلم أجد لذلك سبيلا . ولا أظن معلما ولا متعلما يستطيع أن يسيغه .

الثالث : أنه يترتب على هذا الاتجاه ، ألا تقع تلك الضمائر بنوعيها متبوعة . ضرورة أن البارز منها حروف ، وأن المستتر ملغى ، وذلك ما لا يمكن قبوله . والشواهد على وقوع كل من النوعين متبوعا أكثر من أن يحيط بها الحصر ، ومن ذلك العطف على الضمير البارز فى قوله تعالى : « يدخلونها ومن صلح من آبائهم » ، وقوله : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا » ، وجاء الإبدال منه فى قول النابغة الجعدى :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا
وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

ولا يمنع مانع من وقوعه توكيدا فى نحو قول القائل : أنصتوا كلكم .

وجاء توكيد الضمير المستتر فى قول كثير:

فإن يك جثمانى بأرض سواكم
فإن فؤادى عندك الدهر أجمع

وجاء العطف عليه فى قول جرير:

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه
ما لم يكن وأب له لينالا

وقول عمر بن أبى ربيعة:

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى
كنعاج الفلا تعسّفن رملا

وقول بعض العرب فيما حكاه عنهم سيبويه: «مررت برجل سواء والعدم» برفع العدم وإذا ما سلكنا مسلكهم فى أن المسند إليه فى تلك الأساليب إنما هو الأشخاص لا الألفاظ. فلا يسعنا إلا أن نهنئ أولئك الأشخاص، بأن النحو الجديد، قد عرف مكانهم، ورفع توابعهم إكراما لهم.

ومما يدعو إلى العجب، أن بعض المؤيدين لهذا الاتجاه، حينما ورد عليه قول جرير وقول عمر، واستعصى عليه التخريج على المذهب الجديد. قال ما يأتى: «والواقع أن جريراً لم يعطف وأن عمر لم يعطف، ولكن النحاة هم الذين قدروا معطوفا عليه. ولم يرضوا كلهم عن هذا التخريج. واختلفوا فى مثل هذين الأسلوبين على آراء كثيرة، نعفى منها تلاميذنا ونعلمهم ألا يستعملوا مثل هذا الأسلوب إذا صادفهم».

وإذا كان جرير لم يعطف وعمر لم يعطف. فلماذا لم يبين لنا الأستاذ وظيفة الواو ووظيفة الاسم بعدها فى كلامهما، وإذا كان الأستاذ يريد أن يعلم تلاميذه ألا يستعملوا مثل هذا الأسلوب إذا صادفهم، فهل يعلمهم أيضا ألا يستعملوا مثل قوله تعالى: «ما أشركنا ولا آباؤنا»، وألا يستعملوا مثل قول النابغة «بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا»، ومن عجيب أمر الأستاذ أن الأسلوب الذى ينهى تلاميذه عن استعماله تدعو إليه ضرورة الكلام ويقع فيه كثيراً. والدليل على ذلك بسيط جداً وواضح جداً. ويتجلى ذلك فى أن الأستاذ نفسه لم يستطع أن يتخلص منه، وهو ينهى تلاميذه عنه. إذ يقول عن النحاة فى مقاله السابق قريبا ما نصه: «ولم يرضوا كلهم عن هذا التخريج»، ولا شك أن كلهم توكيد للضمير الذى يزعمونه حرفا. اللهم إلا أن يقول: إنه توكيد لأشخاص الغائبين، وقد رددنا ذلك قريبا.

الرابع أن هذا الاتجاه يضطر الدعاة إليه أن يقولوا فى نحو شاهدت الخطيب يخطب، ومررت برجل يكتب، الفعل فى الأول حال ولا ضمير فيه وهو باق على رفعه، وفى الثانى نعت. وهو أيضا باق على رفعه ولا ضمير فيه. ومعنى هذا أن الحال قد يجىء منصوبا وقد يجىء مرفوعا، وقد يجىء مجزوما كما فى قول القائل: غادرت معارضى لم ينبس ببنت شفه. وأن النعت يخالف منعوته فى الإعراب. فقد يكون المنعوت مجروراً ونعته مرفوع أو

مجزوم . بل قد يجيء كل من النعت والحال لا حظ له من الإعراب إذا كان الفعل ماضيا نحو سمعت محاضراً بهر سامعيه ، وسمعت المحاضر قد أخذ بألباب سامعيه ألستم ترون معى أن هذا الاتجاه ، يعارض قولهم : إن الحال من التكملات والحكم العام للتكملة هو النصب إلا أن يكون هناك داع للجر . ألستم ترون أن هذا الاتجاه ، يعارض القانون العام الذى يقضى بموافقة التابع لمتبوعه فى الإعراب ؟ . ألستم ترون أن التلميذ إذا تعلم النحو على هذا النحو ، يصبح فى حيرة مما يراه فى القواعد ، من اضطراب وعدم استقرار؟ .

ولقد أحس بعض أنصار التيسير بضعف هذا الاتجاه الجديد فى الضمائر ، فشمر عن ساعده وبذل فى توجيهه جهودا يستحق عليها الشكر ، وذكر لتأييده ثمانية أدلة ، ونحن نناقشها دليلا دليلا .

قال فى الدليل الأول ما خلاصته : أن سيبويه يرى أن الألف فى نحو قاما الزيدان حرف مؤذن بأن الفعل لاثنين : والواو فى قاموا الزيدون حرف مؤذن بأن الفعل لجماعة . فإذا كان سيبويه يعتبر هذه الحروف إشارات وعلامات للاسم قبل النطق به وقبل أن تستوفى الجملة ركنيها ، فمن باب أولى تعتبر إشارات للاسم بعد النطق به .

وإنى أطمئن الأستاذ إلى أن هذا الرأى ليس رأى سيبويه وحده ، وإنما هو رأى الجمهور ، وليرجع إذا شاء إلى شرح الأشمونى لقول ابن مالك .

وقد يقال سعدا وسعدوا
والفعل للظاهر بعد مسند

ولكن إنما يلجأ النحاة إلى هذا الرأى ، إذا وردت هذه الأساليب على لسان قوم مخصوصين من العرب هذه لغتهم ، وهى لغة شاذة . فإذا نطق بها غيرهم ، فسيبويه وغيره يجوزون أن يكون المتكلم محاكيا أصحاب تلك اللغة ، فتكون هذه الملحقات حروفا ، ويجوزون وجوها أخرى تكون فيها ضمائر ، وإذاً فلا سند للاتجاه الجديد من قول سيبويه .

وقال فى الدليل الثانى : « يرى المازنى أن هذه الأحرف علامات وليست ضمائر » .

وقال فى الدليل الثالث : « يرى الأخفش أن الياء فى تضربين ليست بضمير بل حرف تأنيث كما قيل فى هذى » ونسب هذين النقلين إلى الرضى ، والذى يرجع إلى شرح الرضى يتبين أن الأستاذ لم يكن أمينا فى النقل ، فقد نقل بعض القول وحذف البعض الآخر ، ليوهم أن الاتجاه الجديد ، ليس وليد اليوم ولكن قال به المازنى والأخفش من قبل ، وإلى حضراتكم نص عبارة الرضى قال : « ومذهب المازنى أن الحروف الأربعة فى المضارع والأمر ، أعنى الألف فى المثنيات ، والواو فى جمع المذكر ، والياء فى المخاطبة ، والنون فى جمع النسوة ، علامات كألف

الصفات وواوها ، وهى كلها حروف والفاعل مستكن عنده » . وكذلك قال الرضى : «يرى الأخفش أن الياء فى تضربين ليست بضمير ، بل حرف تأنيث كما قيل فى هذى ، والضمير لازم الاستتار » .

ويتبين مما قاله الرضى ، أن الاتجاه الجديد لا يتبع قول المازنى ، ولا قول الأخفش ؛ لأنهما يقولان باستتار الضمير ، والاتجاه الجديد ، لا يعترف بهذا الاستتار ، فهو إنما يأخذ من قول الأئمة طرفا ، ويترك طرفا ، ويذكرنى هذا بدعوى ابن الرومى حل الخمر ، مستنداً إلى أقوال أئمة الفقه حيث يقول :

أحل العراقى النبيذ وشربه
وقال الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد
فحلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما
وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وقال فى الدليل الرابع : « تقول الجنود مستعدون ، والجنود يستعدون . فأى فرق بين الواوين ، وكذلك الألف فى مستعدان ويستعدان » ، ويقول النحاة فى الجواب عن ذلك : إن الفرق بين واضح ، فالواو فى «مستعدون» والألف فى «مستعدان» حرفان جعلا علامتى إعراب مع دلالة الأول على معنى الجمعية ، والثانى على معنى التثنية ، ولذلك يتغيران فى حالتى النصب والجر ، تقول رأيت جنوداً مستعدين ، ومررت بجنود مستعدين وذلك بخلاف الواو فى يستعدون والألف فى يستعدان فإنهما ضميران . ولذلك لا يتغيران ويثبتان رفعا ونصبا وجزما . نحو لم يستعدوا ولم يستعدا ولن يستعدوا ولن يستعدا .

وقال فى الدليل الخامس : ما خلاصته أن أن مذهب النحاة فى إعراب يقرءون ونحوه ، يؤدى إلى الفصل بين الفعل وعلامة إعرابه ، وعلامة الإعراب إنما تلحق آخر الكلمة العربية ، وقد أجاب النحاة عن ذلك ، بأن الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة ، ولذلك سكن آخر الفعل فى نحو كتبت ، فجاز أن يلى الفاعل ما هو علامة إعراب الفعل ، كما جاز أن يتصل بالفعل ما هو علامة على معنى فى الفاعل ، وذلك تاء التأنيث .

وقال فى الدليل السادس : « يقول العرب الرجال جاءوا ، والرجال جاءت ، ويعلل النحاة جواز الصيغتين بأن فى جاءوا ملاحظة الجمع ، وفى جاءت ملاحظة الجماعة ، فلو سايرناهم فى هذا التعليل لتبين لنا أن الواو التى ترمز وتشير إلى الجمع ، تناظر التاء التى تشير إلى الجماعة وهذه التاء علامة التأنيث عند جميع النحاة ، أى علامة للنوع . فلم لا تكون نظيرتها الواو علامة للجمع أى العدد ؟ » .

ولإبطال هذا الدليل . أنقل إلى حضراتكم عبارة النحاة التى يستند إليها الأستاذ لتتبينوا منها مبلغ فهمه لكلامهم ، أو مقدار ما يريد من مغالطة .

قال الأشمونى : « تقول قامت الرجال وقام

الرجال فإثبات التاء لتأوله بالجماعة ، وحذفها لتأوله بالجمع ، وترون من هذا أن التعليل المذكور . فيما إذا تقدم الفعل وتأخر الفاعل حيث يتصل بالفعل علامة لنوع فقط . وتمتنع فى اللغة الفصحى علامة العدد وأن الذى يناظر التاء فى قامت الرجال ، إنما هو تجريد الفعل منها فى قام الرجال ، وأما إذا تأخر الفعل ، كما فى الأمثلة التى مثل بها الأستاذ ، فالواجب حينئذ أن يتصل بالفعل مايدل على النوع والعدد جميعا . فنى قولنا الرجال جاءت ، لوحظ أمران : الإفراد والتأنيث . ودل على الإفراد بالضمير المستتر ، وعلى التأنيث بالتاء وفى قولنا : الرجال جاءوا ، لوحظ معنى الجمع . ومعنى التذكير . ودل على الجمع بالواو . وعلى التذكير بترك التاء . وبهذا يتبين أن الذى يناظر التاء إنما هو تركها وأن الذى يناظر الواو إنما هو ضمير الإفراد المستتر ، وإذا استبدلنا المضارع بالماضى يظهر ذلك جليا . تقول الرجال يقومون . والرجال تقوم . فالتاء فى تقوم تناظرها الياء فى يقومون . والواو فى يقومون ، يناظرها الضمير المستتر فى تقوم . ويقينى بعد هذا البيان أنه لم تبق أية شبهة فى أن الواو تناظر التاء . فلا تكون مثلها حرفا .

وقال فى الدليل السابع . تقول البنتان تقرءان . فالألف فى تقرءان تدل على العدد وهو المثنى . ولما كانت الألف مشتركة بين المذكر والمؤنث احتجنا إلى التاء فى أول الفعل للدلالة على النوع وهو المؤنث . ولكننا نقول البنات يقرأن بدون علامة التأنيث فى أول الفعل ؛ وذلك لأن النون علامة على العدد والنوع معا . ولو كانت ضميراً حل محل الاسم الظاهر وكانت فاعلا ، لوجب تأنيث الفعل معها وقلنا البنات تقرأن» .

ونقول فى إبطال هذا الدليل : تقول للرجلين قرأتما وأنتما تقرءان . وللأنثيين قرأتما وأنتما تقرءان . والصيغة واحدة فى خطاب النوعين . ولم تلحق بالفعل علامة التأنيث فى خطاب الأنثيين . ويعلل النحاة ذلك بأن التاء إنما يؤتى بها عند الحاجة إليها . وتمتنع عند وجود مايغنى عنها . كما فى قمت خطابا للمفردة ، وقمتما اثناها ، وكما فى قول الأنثى : قمت ، والإناث قمنا ، لأن قرينة الخطاب والتكلم يعينان المراد ، وكما فى قمن ويقمن ، لأن النون متعينة للمؤنث فلا التباس . وبهذا يتبين أن امتناع التاء فى نحو البنات يقرأن ، لأن الضمير متعين للمؤنث ، فلا يؤتى معه بالتاء لعدم الحاجة إليها ، ولو كان امتناع التاء لأن النون علامة النوع والعدد معاً لوجبت التاء فى نحو قولنا للأنثيين قرأتما لفقد ما يدل على النوع ، فإن قال قائل : إذا كانت التاء إنما يؤتى بها عند الحاجة إليها ، فلم تلحق الفعل عند إسناده إلى الأسماء الظاهرة ، وألفاظها كافية فى الدلالة على النوع ؟ فالجواب أن كثيراً من الأسماء قد يشترك فى التسمية به المذكر والمؤنث نحو رجاء وضياء ووفاء

وهند وإحسان وسعاد، فاحتيج إلى التاء في الفعل عند الإسناد إلى تلك الأسماء الظاهرة المشتركة، للدلالة على نوع الفاعل وتمييزه إذا كان مؤنثاً، ثم اطرد في غيرها.

وقال في الدليل الثامن: ما خلاصته أن ما نسميه ضميراً في نحو قرأت وأخواته، يشبه تماما أحرف المضارعة من حيث الدلالة على المتكلم في نحو قرأت وأقرأ، وعلى المتكلمين في نحو قرأنا ونقرأ، وهكذا الباقي ولم يجعل النحاة أحرف المضارعة ضمائر، فكان من حق نظائرها في الفعل الماضي ألا تكون ضمائر.

وبقليل من النظر والتأمل، ندرك فرقا كبيراً بين التاء في قرأت والهمزة في أقرأ، فالتاء كلمة زائدة على الفعل الماضي مدلولها المتكلم والفعل يتحقق بدونها، وأما الهمزة فهي جزء من الفعل المضارع ومدلولها أن الفعل مسند إلى ضمير المتكلم ولا يتحقق المضارع بدونها، وهكذا الباقي.

ولا يفوتني أن أذكر على سبيل الفكاهة كلمتين للأستاذ:

قال في الأولى: «إن الاتجاه الجديد فيه نوع من التيسير، ويتجلى ذلك في إعراب نحو محمد لعب، فالاتجاه القديم يستدعي من التلميذ ثلاثا وعشرين كلمة. والاتجاه الجديد لا يكلفه أكثر من ست كلمات».

ولا أظن أحداً ينكر الإطناب في الشرح للإيضاح والتفهيم، على أنه من السهل إذا تحقق المدرس من فهم التلميذ القواعد، ورسوخها في ذهنه، أن يكتفي منه في إعراب الجملة المذكورة بست كلمات أيضاً فيقول، محمد مبتدأ ولعب وفاعله المستتر خبر.

وأما الكلمة الثانية، فهي قوله: «والاتجاه الجديد يعفي التلميذ من القلق النفسي الذي يستحوذ عليه ويستبد به حينما نريده على أن يفهم أن هناك فرقا بين قتل اللص التاجر، واللص قتل التاجر، ففي قتل اللص التاجر، اللص فاعل، فهو قاتل مجرم، وإذا فاقبضوا عليه وخذوا على يديه وفي اللص قتل التاجر، اللص مبتدأ وليس بفاعل، وإذا فهو برىء مظلوم، فأطلقوا سراحه، وابحثوا عن القاتل الحقيقي، تجدوه مختفيا ومختبأ ومستترا في زاوية من زوايا الفعل»، ألستم تعجبون معي من هذا المنطق؟، من ذا الذي قال من النحاة، إن قول القائل اللص قتل التاجر لا يقتضي كون اللص قاتلا لأنه ليس بفاعل؟ إن النحاة يقولون في هذا الأسلوب: إنه يثبت إدانة اللص بالقتل مرتين، لما فيه من تكرار الإسناد فهو بمثابة قولنا: قتل اللص التاجر، قتل اللص التاجر، فهو تقرير للاتهام على وجه لا يدع مجالا لاحتمال الشك، فهو في الأسلوب الأول مستحق لقصاص واحد وفي الأسلوب الثاني مستحق لقصاصين، إن صح هذا في القانون.

(البقية في العدد القادم)

أحمد محمد غنيم

ذكرى المحرم :

عاشوراء فى تاريخ الإسلام

للأستاذ محمد رجب البيومى

ليوم عاشوراء فى تاريخ الإسلام دوى رنان وصدى مجلجل ، فكم اهتزت له عروش ، وقامت به ثورات ، وما أعرف محنة من محن الأبطال تركت وراءها أثرها الفاجع عبر الأحقاب والقرون كمحنة الإمام الحسين .
وقد يكون فى كوارث التاريخ ما غلبها قوة وعاقبة كهجوم التتار فى المشرق واعتداء الصليبيين ، وسقوط الأندلس وغيرها من الخطوب ، إلا أن أثر هذا اليوم الرهيب قد فاق فى عمقه وروعته كل أثر سواه ، حتى لجاز لشاعر متعقل كأبى العلاء المعرى أن يجعل منه ظاهرة طبيعية تطالع الناس فى الصباح والمساء ، إذ يقول مصورا هول المأساة :

وعلى الأفق من دماء الشهيدين — على ونجله شاهدان
فهما فى أواخر الليل فجرا — ن وفى أولياته شفقان

ولو لم تكن هذه الكارثة الأليمة من حظ هذا اليوم البائس لمر غفلا مهملا بين الأيام ولكنها طبعته بطابع حزين سيقترن به فى تاريخ الإسلام مدى الحياة .

صحيح أن هذا اليوم كان معروفا فى الجاهلية ، فقد روت الآثار أن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصومه ! فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه » ، وأن البخارى ومسلم رويا عن ابن عباس « أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : يوم صالح ، نجى الله تعالى فيه بنى إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال صلى الله عليه وسلم : أنا أحق بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه » ، وإذن فقد صام الرسول يوم عاشوراء ! ولكن كم صام الرسول من أيام غير رمضان ، ومرت جميعا فى دورات الزمن دون أن تشير

ما أثاره هـذا اليوم منذ مصرع الإمام الشهيد .

قتل الحسين شهيد الظمأ والسيف والقيظ، وأحس شيعته المخلصون أنهم خذلوه فى أحلك ساعاته وأحرج مواقفه ، واندلع بركان الغيظ والأسف والندم يلهب الضمائر ويدفع بالأفواج الساخطة إلى الثأر والانتقام ، وأصبح يوم المصرع مأتما معولا تلطم فيه الوجوه ، وتهتك الغدائر المرسلة وتشق الجيوب، وتقام المناحات، وتقدمت الجيوش الثائرة تحارب كتائب الدولة المسيطرة فيتسع ميدان النضال وتتناثر الأشلاء والجماجم فى ساحات فياحة تجرى بها مسايل الدماء ، ونصل السيوف وتصهل الخيول .. . ونظر بنو أمية فوجدوا يوم عاشوراء فى كل محرم يهيج ما كمن من الحزن ويشب ما خمد من الضرام ، ورأو كربلاء تصير مزارا مقدسا يهرع إليه الثائرون ، ويتدافع من حوله الناقمون ، وقد أصبحت بركانا يقذف بالحمم وينذر بالثبور ، وكم أرق مضاجعهم أن يروا هلال المحرم فى أفق العام الجديد يلوح منذرا بالسخط والحداد والنواح ! وإنهم ليلتفتون فيجدون الأسواق فى الكوفة والبصرة تقفر ، والسواد فيما جاوز العراق يشيع ويعم ، وقصائد التأبين والرثاء ترن نائحة باكية ، حتى إذا مضت الأيام التسعة وحان اليوم العاشر كان الهول الأكبر ، والزلزال العاصف . ماذا عسى أن يفعلوا أمام هذا اليوم العصيب؟.

إن الحجاج طاغية العراق وسيف بنى مروان يعمل حيلته ، ويجهد قريحته ، فيرى أن الاحتكام إلى السيف يمد النار بوقود لا ينقطع، وأن من الأصوب أن تخترع الأحاديث الدينية فى فضائل هذا اليوم ، فيكون مجال توسعة فى النفقة ، وسرور للجماعة ، وانتعاش للتجارة ، ويندفع الوصوليون إلى اختلاق الروايات المسندة فى فضائل هذا اليوم ومزاياه ، ثم تنحر الذبائح وتفرق لحومها على المنازل ليأكل الفقراء مما أباح الله لهم فى هذا اليوم العجيب، ويجد الناس أنفسهم أمام فريقين من الداعين : فريق يذكر بمصرع الحسين فيلتاع ، وفريق يسرد أحاديث النفقة والتوسعة فيسر . . ولم يقف التلفيق عند التوسعة والبسط بل جاوزه إلى اختراع فضائل أخرى جمعت فى هذا اليوم ! ففى عاشوراء رفع الله إدريس إلى السماء ، ونجى نوحا من الطوفان ، وأنقذ إبراهيم من النار ، ونبذ يونس من قلب الحوت إلى العراء ! ! وكأن هذا اليوم بالذات كان موعد النجاة لكل نبى أظهره الله ، ولولا أن تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم معروف باليوم والشهر ، لقال قائلهم فى هذا اليوم هزم المشركون

فى بدر ، واندحرت الأحزاب فى معركة الخندق ، وفتحت مكة بعد طول امتناع ! ! على أن مغالاة الشيعة فى شعائر الحزن ومراسيم النواح قد دفعت بعض المحايدين إلى مهاجمتهم ، فحبذوا فضائل عاشوراء المختلقة . وصرنا نجد فريقا من أهل السنة يؤمن بها كحق مسلم لا يعترضه الظن بوهم ! ! وهكذا حار هـــذا اليوم العجيب بين المسرورين والمحزونين ! !

وحين سقطت الدولة الأموية كان مصرع الحسين فى رأى الباحثين أول عامل قوى أدى إلى سقوطها ، إذ ظل لغما هائلا يهدد كيانها بالانفجار ما بين حين وحين ، حتى إذا تحرجت الأمور أدى رسالته المدمرة فتصدع البناء الوطيد تصدعا طاح بالسلطان والمجد والجاه ، وجاءت الدولة العباسية فرأت يوم عاشوراء ينذرها بالويل والدمار ، ورغم مابذله الخلفاء تحببا إلى الشعراء والمفكرين فلم يستطيعوا أن يسكتوا الألسنة القوية التى أخذت تذكر بهذا اليوم الرهيب ، وسالت مراثى الحميرى والعبلى ودعبل وابن الرومى نادبة نائحة ، فتلهب الأحاسيس وتؤجج الضرام . وقد صدقت فيها العاطفة صدقا أورثها سهولة فى اللفظ وعمقا فى التأثير ونفاذاً إلى القلوب ، والنفوس ولع هائم بشعر المعارضة والمنابذة ، فكيف إذا ضم إلى ذلك بكاء مريراً على الحسين ، والتياعا محرقا لمضاجع كربلاء وملاحد الطف ، ولفجائع آل بيت الرسول !! مهما يكن من شىء لقد أصبحت الدولة العباسية تواجه فى بغداد والكوفة والبصرة ماتحذره وتخشاه ! فكيف تظن بخراسان وما وراء النهر وكل مكان قرب أو بان ! .

وكان ما لابد أن يكون ، فقد خضعت بغداد لبنى بويه وهم شيعيون علويون ، وأصبح الخليفة العباسى لايملك أمراً أو نهياً مع معز الدولة بن بويه الديلمى ، وكان من مبتدعاته فى مدينة السلام أن جعل يوم عاشوراء من أحفل أيام الأسى والنواح ، فأصدر منشوراً حاسما يأمر الناس قاطبة بارتداء ملابس الحزن ، وإغلاق الأسواق ، وإيصاد الحوانيت وتحريم البيع والشراء ، وتعطيل المطابخ والمطاعم ، على أن تكون المناحات عامة شاملة فيخرج النساء مرسلات الشعور ، ملطخات الوجوه ، مشققات الثياب ، صارخات نادبات . ومن عهد معز الدولة ، وشيعة العراق يحتفلون بيوم عاشوراء احتفالا حزينا ، تعلو به المناحة ويلبس فيه السواد . وقد حاول يس باشا الهاشمى أن يمنع هـذا التقليد منذ سنوات معدودة فتعرض إلى ثورة صاخبة ضاعت بإزائها شتى الجهود ، وأذكر أن صديقى المرحوم الأستاذ محمد هاشم عطية قد حدثنى عن احتفال نائح شهده هناك إذ كان أستاذاً

للأدب بدار المعلمين العالية ببغداد ، ورأى من الملاطم والمناح ما لم يكن يتصوره بل إنه اضطر إلى مشاركة النائحين كيلا يرجف به أحد المجتمعين فيتعرض إلى ما لا يحب ! !
وكم يقشعر جسمي حين أطالع تاريخ ابن الأثير فأجده يذكر في حوادث سنة ٤٤٣ هـ أن بعض رجال العباسيين حاول أن يمنع احتفال الشيعة بعاشوراء فأحرق جميع الأسواق والدور بالكرخ وما حوله ، وبلغت ضحاياه سبعة عشر ألف إنسان ! ! يا لله ، يذهب هذا العـــدد الضخم في غير مفخرة تعود على الإسلام ! ويقع بأس المسلمين بينهم فيشب المتهورون حربا رهيبا يحصد آلاف الأرواح وتهيج الحفائظ في الصدور فيندفع الموتورون إلى الانتقام ! وكلا الفريقين ممن يتنازعون الرأي على شفا خطر مبيد ! ! ولو عقل رجال الدولة لتركوا الناس يفعلون ما يبتغون بعد أن يدعوا المخالفين إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلوهم بالتي هي أحسن كما يأمر الإسلام !

هذه بعض الفظائع الدامية في بغداد . ولنا أن نأخذ منها بعض العبر الواعظة كيلا تتكرر المأساة من جديد ! ! .

أما يوم عاشوراء في مصر ، فقد قدر له أن يجد من الدفع والجذب ، والمد والجزر ، بعض ما وجده في بغداد . فقد كان الشيعة بمصر قبل ميلاد الدولة الفاطمية يحرصون على إحيائه بالأسف والبكاء ، فكانت طوائفهم يذهبون في حينه إلى قبري السيدتين نفيسة وكلثوم ، فيقرءون القرآن ، ويريقون الدموع ، ويصعدون الأنين ، ونفيسة هي بنت الحسن ابن زين العابدين ، وكلثوم هي بنت القاسم ابن محمد بن جعفر الصادق ! فالاجتماع لدى مشهديهما بما توحي به القرابة الدانية والوشيجة المعرقة ، وقد يتهور بعض الصارخين فيندفع إلى قرب السقائين وأواني البائعين بالتحطيم والتهشيم ، إلا أن العقلاء من المارة يعيدون الأمن ويدفعون التطرف حتى ينصرم اليوم بذكراه المؤسية ، وأسفه اللهيف .

ثم جاءت الدولة الفاطمية وهي من ناحية أولى تبذل اهتماما كبيراً بالمواسم والاحتفالات وتعدها مجالا فسيحا لمشغلة النفوس وانصراف الخواطر ، ومن ناحية ثانية تتخذ الإمام الحسين رمزاً للبطولة الساحرة والفدائية الشهيدة — وهو فعلا كذلك — وتتخذ من مأساته الدامية أساسا لتدعيم كيانها السياسي ووجودها الشرعي ، فلا غرو إذا اهتمت بيوم عاشوراء اهتماما بالغ الحد ففعلت ما يستطاع فعله في إظهار لواعج الأسف وشمائر الحزن ، إذ أمرت — في حزم حاسم — بتعطيل الأسواق ، ولبس الممزق من الثياب ، وأذنت للنساء تخرجن مولولات

نادبات ، وقد صبغن الوجوه بالسواد ، وأعلين النواح فى الشوارع والمنازل ، واندفع الشعراء يرسلون قصائد التفجع والتوجع ، والقصاص يروون فصول المأساة ويصفون مشاهد المحنة . ! ! وإذا كان لا بد من سماط كبير للطعام ينتهى به الاحتفال ويتصدره الخليفة كما يفعل فى المواسم والأعياد ، فإن سماط عاشوراء يتسم بطابع خاص ويسمى سماط الحزن وعليه توضع أنواع كثيرة من الأملاح والجبن والمخللات والمحرقات ، ولا يكون الخبز إلا من شعير مضى عليه الزمن فخشن وصلب . ثم يجلس الخليفة الفاطمى حزينا مطرقا على كرسى من جريد ممتهن دون وسادة أو حشية ومن حوله حاشيته ووزراؤه فى مثل حالته وعليهم ثياب قاتمة تظهر ما بالنفوس من ضيق وانقباض ، وحين أقيم المشهد الحسينى بالقاهرة بعد مجىء الرأس الطاهر صار من الحتم الملزم أن تتحلق الجموع حول المسجد وداخله وأن يذهب إليه الخليفة أو وزيره فى موكب حزين يلفه الأسى وتغشاه الكآبة ليستمع آيات القرآن، وخطب التأبين ، ويتلقى العزاء ثم يعود إلى القصر وقد طويت زخارفه وطنافسه وبسطه ، وفرش بالحصير البالى المتناثر ، وساد الجمع سكون لا يقطعه غير نشيج الباكين وتنهد الملتاعين :

وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن الفاطميين كانوا يذبحون الإبل والبقر والغنم حول مشهد الحسين ! وهذا ما حرتُ فى تعليله ، لأن الذبائح توحى بالمسرة وارتزاق الناس مع أن اليوم يوم حزين لا يأكل فيه الخليفة ورعاياه غير الشعير الجاف ! وإذا كانت هذه الذبائح صدقة للفقراء ، وتحية لروح الإمام فى هذا اليوم فلم إذن تغلق المطابخ والمطاعم والأسواق ، ويُحرّم على الناس أن يأكلوا مايشتهون ! أليس ذلك يتناقض مع نحر الذبائح ، وإراقة الدماء ! ! لا أعتقد أن هذه الرواية صحيحة ، وربما وقعت فى غير عهد الفاطميين مما تلاه ، وغفل المؤرخ فسبق بها الزمان !

وكان من الطبيعى بعد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية أن تزول مظاهر الأسف واللوعة فى مصر حين يفد هذا اليوم ، إلا أن الأيوبيين قد تورطوا فى الأمر تورطا جاوز القصد ، فلم يجعلوا يوم عاشوراء يوما عاديا كسائر الأيام ، بل أحيوا أحاديث التوسعة والنفقة والافتنان فى المطاعم والآكال مع الإغراق فى الحلوى والفطائر ! وذلك تطرف لا يقل خطورة عن تطرف المحزونين البائسين . ومر على مصر عامان متعاقبان كان أولهما مظهرا للترح البالغ والأسى الحزين فى عاشوراء ، وثانيهما

مجالا للفرحة والأنس والاغتباط ، ولو نظر الأيوبيون لهذا اليوم نظرة مقتصدة لاتقوا إثارة الخواطر وانفعال النفوس ! ! وقد ألفت الكتب المبسوطة فى فضائل هذا اليوم ، واندفع الناس إلى الإسراف فى ملذاتهم وما كلهم إسرافا غير مقتصد ، حتى أنشىء نوع خاص من الحلوى يعرف بعاشوراء وحرص الناس على صنعه فى هذا اليوم ، وما زالت مصر تحتفل بالنفقة والتوسعة فى أعوامها المتتابعة أيوبية ومملوكية وعثمانية حتى زارها المستشرق أدورد لين سنة ١٨٢٥ ورأى من مظاهر الاحتفال بيوم عاشوراء وما قبله من الأيام التسعة ما سجله فى كتابه المعروف « المصريون المحدثون » فى القرن التاسع عشر ، فتحدث بإسهاب عن مظاهر جديدة تعاقبت فى هذا اليوم ، إذ يخرج نساء كثيرات ينتمين إلى أسر محترمة إلى الشوارع المختلفة وكل سيدة تحمل طفلها على كتفها ، وتستوقف من يمر من الرجال ثم تسأله بعض النقد لتشترى به حلوى للطفل فيعيش ويسلم من الأمراض ! وهكذا أصبحت حلوى عاشوراء إكسيرا يمنح الحياة ، ولن يرزق هذه الخاصة المدهشة إلا إذا جاء عن طريق الصدقة والإحسان ! ! وقد بقيت مظاهر التوسعة فى هذا اليوم حتى الآن . وخطباء المساجد فى الريف يثبتون دعائمها بما يلقونه من خطب متوارثة تمتلىء بالموضوعات والمختلقات ، وإذا كان الريفيون يحبون الإمام الحسين حبا جاوز الحد ، ولا يكادون يغادرون الريف إلى القاهرة إلا تبركا بزيارة قبره ، فإنهم حين ينفقون عن سعة فى هذا اليوم لا يتصورون أدنى صلة تربط الإمام الشهيد بهذا الزمن المقدور ، وقصارى ما يعلمون أن أحاديث الرسول تحث على النفقة والتوسع فيجب أن تطاع .

أما سائر الأماكن الإسلامية المتشيعة فى العراق وإيران والهند والأفغان وجبل عامل فى لبنان ومحلة الأمن فى دمشق وبعض عشائر الحجاز حوالى المدينة وفى البحرين والكويت وتركستان وغيرها من مهاد التشيع فـــلا تزال تجلل مساجدها وشوارعها بالسواد فى هذا اليوم حدادا على السبط الشهيد . بل إن مؤرخى المسرحية فى الشرق يرجعون بنواتها البدائية إلى ما كان يصنعه شيعة إيران فى هذا اليوم من تمثيل لمأساة كربلاء إذ يبدءون الرواية بخروج الحسين من المدينة ثم التحامه بجيوش الأمويين فى كربلاء ويعرضون مشاهد للصيال والنضال والبطولة والاستشهاد ، ثم يقوم شيخ يثير شجون الناس بذكر ما لاقاه الحسين فى نغم حزين يهيج العواطف ، ويستدر الدموع ، ويمر بالناس ومعه قطعة من القطن يلتقط

فيها الدموع ثم يقطرها فى زجاجة تحفظ للاستشفاء ويختم التمثيل بحرق أعشاش فى جوانب الساحة ترمز إلى كربلاء، ويظهر قبر الإمام الشهيد مجللا بالسواد.

هذا فى إيران، أما القاهرة نفسها فغير بعيدة العهد بموكب الحسين فى الحى الفارسى وقد وصفها الأستاذ الكبير ابراهيم عبد القادر المازنى فى مجلة الرسالة [١]. إذ قال متحدثا عن صديق له تحت عنوان (مصرع الحسين):

« وقال لنا يوما خذوا وناولنا بطاقات فيها دعوة إلى ما كان يسمى « زفة الحسين » وما هى بزفة، وإنما هى مأتم، ولكنها هكذا تدعى على ألسنة العامة، فذهبنا فى الموعد المضروب إلى بيت رحيب، فى زقاق ضيق، فوجدنا هناك كثيرين من رجال مصر المعروفين، أجلسنا معهم ثم دعينا إلى مائدة مثقلة بالآكال [٢]. الشهية، وكان الأستاذ البرقوقى إلى جانبى فظمئ على الماء وأسر لى بذلك. فأومأت للخادم، فناوله كوبا رفعه إلى فمه، وما كاد يفعل حتى رده عنه: ذلك أنه كان سكرا مذابا لا ماء، فعجبنا واتقينا أن نشرب.

وانحدرنا إلى صحن الدار وكان فيها منبر ارتقى إليه شيخ فارسى، وانطلق يقول كلاما لا نفهمه ولكن صوته كان يتهدج، وكانت الدموع تتسايل على خده، وتبل لحيته الكثة، وقيل لنا: «إنه يرثى الحسين ويندب مصرعه، وكان الذين يفهمون كلامه من بنى جنسه، يبكون بل يعولون، ومنهم من كانت تهيج حرقانه فيلطم أو يضرب صدره أو ظهره العارى بسلسلة غليظة من الحديد، أو يضرب جبينه ببطن سيف مسلول، ولكن أحدهم اضطرب وهو يفعل ذلك فأصاب حد السيف جبينه فانفجر الدم كأنه من نافورة، وقد خفوا إليه وضمدوا جراحه وعصبوا له رأسه، وهال أحدنا منظر الدم، وظن أن الرجل لا محالة هالك فأغمى عليه وسقط على الأرض كما تسقط الخشبة فأنشقوه شيئا فى زجاجة، أنعشه ورد إليه روحه».

هذا ما يرويه بعض المعاصرين فى القاهرة، ولك أن تقيس عليه ما يجرى فى بلاد الشيعة مما يثبت أن هذا اليوم ذو صدى مجاجل لا ينقطع على تتابع الأحقاب، وإذا كنا قد نظرنا إليه من الناحية التاريخية وحدها فإن الناظرين إليه من الناحية الأدبية ليدهشون لكثرة ما ألهم من آثار وروائع، وأوحى من تآليف وأسفار.

محمد رجب البيومى

---

[١] الرسالة ـ العدد الممتاز [١٢٣].

[٢] هكذا قال المازنى ولا أدرى كيف تكون الآكال الشهية فى مأتم نواح.

التكبير فى أواخر السّور
هل له أساس صحيح ؟

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

درج القراء لكتاب الله عز وجل على أن يذيلوا أواخر قصار السور ابتداء من سورة « والضحى » حتى نهاية سورة الناس - بالتكبير . . . فمنهم من يقتصر على عبارة « الله أكبر » ، ومنهم من يزيد قبلها عبارة وبعدها أخرى ، فيقول : « لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد » . . وقد شاع ذلك وذاع ، ورددها الصغار حين يحفظون ، والكبار حين يرتلون . . حتى إن بعض السامعين يحسبونها جزءاً من التنزيل ، أو لازمة لا تنفك عن تلاوة أو ترتيل .

وقد صح هذا التكبير عند أهل مكة ، قرائهم ، وعلمائهم ، وأئمتهم ، ومن روى عنهم . . . حتى استفاض واشتهر ، وذاع وانتشر ، وبلغ حد التواتر ، وصار هذا العمل عند أهل الأمصار ، فى سائر الأقطار عند ختمهم فى المحافل ، واجتماعهم فى المجالس وكثير منهم يؤديه فى صلاة رمضان ، ولا يتركه على بحال .

قال أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى من أئمة القراءة : (لقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التكبير قبل الهجرة بزمان . . . فاستعمل ذلك المكيون ، ونقل خلفهم عن سلفهم ، ولم يستعمله غيرهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك بعد ، فأخذوا بالآخر من فعله) .

وإذا ناقشنا المسألة من جذورها . وجدنا أن كلمة « الله أكبر » فقط قد روى فيها الحافظ أبو العلاء بإسناده عن أحمد بن فرح عن البزى : أن الأصل فى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم انقطع عنه الوحى ، فقال المشركون : قلى محمداً ربه . . فنزلت سورة « والضحى » فقال النبى صلى الله عليه وسلم « الله أكبر » ، وأمر النبى أن يكبر إذا بلغ « والضحى » مع خاتمة كل سورة حتى يختم ، قال العلامة المحقق ابن الجزرى : « فى النشر على القراءات العشر » وهذا قول الجمهور من أئمتنا كأبى الحسن بن غلبون ، وأبى عمرو الدانى ، وأبى الحسن السخاوى وغيرهم من متقدم ومتأخر . . . قالوا فكبر النبى عليه

الصلاة والسلام شكراً لله لما كذب المشركين وقال بعضهم : قال الله أكبر تصديقا لما أنا عليه وتكذيباً للكافرين ، وقيل فرحا وسرورا . . أى بنزول الوحى .

على أننا لا نكاد نفرغ من قراءة هذا الحديث فى كتاب النشر حتى نجد الإمام ابن كثير الحافظ المفسر رحمه الله ، وهو من الأعلام ، فى هذا المقام ، يحكم على هذا الحديث بأنه لم يرتق إلى درجة الصحة ، كما لم ينزل إلى رتبة الضعف ويقول ما نصه : « لم يرو ذلك الحديث بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ، يعنى كون هذا سبب التكبير ، وأما انقطاع الوحى مدة وإبطاؤه فمشهور » .

ثم نجد أن ابن أبى بزة يروى بإسناده فيما أخرجه أحمد بن فرح عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدى إليه قطف عنب قبل أوانه فهم أن يأكل منه ، فجاءه سائل فقال أعطونى مما رزقكم الله ، فسلم إليه العنقود ، فلقيه بعض أصحابه فاشتراه منه وأهداه للنبى صلى الله عليه وسلم ، فعاد السائل فسأله فأعطاه إياه . فلقيه رجل آخر من الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبى . . فعاد السائل فانتهره النبى وقال : « إنك ملح » ، فانقطع الوحى عن النبى صلى الله عليه وسلم أربعين صباحا : فقال المنافقون : قلى محمداً ربه ، فجاء جبريل عليه السلام فقال : اقرأ يا محمد ، قال : « وما أقرأ » ؟ ، فقال : اقرأ « والضحى » فلقنه السورة . . فأمر النبى أبيا لما بلغ « والضحى » ، أن يكبر مع خاتمة كل سورة حتى يختم . . قال ابن الجزرى عقيب هذا الحديث : — وهذا سياق غريب جداً . . وهو مما انفرد به ابن أبى بزة أيضا ، وهو معضل . . وهكذا نجد أن الحديث الثانى فى تقرير التكبير فى خواتيم السور لم يكن فى الصحة أحسن حظا من سابقه . . الأمر الذى يستدعى التثبت والحذر فى معالجة هذه المسألة الدقيقة التى تتصل اتصالا مباشراً بالنص القرآنى الذى يجب أن يجرد عن كل ما ليس منه . . باستثناء ما أوصت به السنة الصحيحة كترديد « آمين » فى ختام الفاتحة ، وكقول السامع والتالى : « بلى » عقيب قوله تعالى : « أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » .

والعجيب أن بعض القراء كان يزيد التكبير فى أعقاب السور . . ثم يتعجب من نفسه حين يعترف بأنها زيادة لا ينبغى أن تكون ، ومن هؤلاء الإمام أبو عبد الله الكارزينى . . فإنه « كان إذا قرأ القرآن فى درسه على نفسه وبلغ إلى « والضحى » كبر لكل قارئ قرأ له . . وكان يبكى ويقول : — ما أحسنها من سنة . . لولا أنى لا أحب مخالفة سنة النقل — لكنت

أخذت على كل من قرأ على برواية بالتكبير ، لكن القراءة سنة تتبع ، ولا تبتدع ».

والملاحظ أن جميع الروايات المرفوعة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فى شأن التكبير مدارها كلها على البزى . . . ، والبزى من حيث هو قارئ يعتبر فى فن القراءة إماما ـ لكن من حيث هو محدث ليس بهذه المثابة بعد أن تكلم فيه رجال الحديث : فضعفه أبو حاتم ، والعقيلى .

وأما قنبل — أحد مشاهير القراء — فقد اضطرب النقل عنه فى التكبير : فالجمهور من المغاربة على عدم التكبير له كسائر القراء . . وهو الذى فى التيسير وغيره ، وروى عنه العراقيون التكبير .

وأما غير أهل مكة فلم نجد فى ذلك نصا عنهم . . حتى إن أصحاب الشافعى رضى الله عنه لم يرو عنهم فى هذا التكبير نص فى كتبهم المبسوطة أو المطولة الموضوعة للفقه . . اللهم إلا ما ذكره على سبيل الاستطراد الإمامان أبو الحسن السخاوى ، وأبو إسحاق الجعبرى من الشافعية ، ولم يفردا له بابا ، وذلك على الرغم من نسبة هذا التكبير إلى الإمام الشافعى — وإذا عرفنا أن أصحاب الشافعى يحرصون كل الحرص على إبراز ما نسب إلى إمامهم فى إطار من التبويب والتفصيل — لأدركنا إلى أى مدى يتردد النظر الصحيح فى قبول هـــذه النسبة إلى الإمام الشافعى .

وكان بعض الناس حين يسمعون إمامهم يكبر فى أعقاب السور القصيرة أثناء صلاته بهم فى رمضان ينكرون ذلك على الإمام . وقد حدث ذلك لبعض الأئمة فلما اعترض عليه بعض المأمومين قال : بهذا أمرنى ابن جريج . فلما ذهبوا إلى ابن جريج قال : نعم بهذا أمرته .

وهكذا نجد الأمر ينتهى عند ابن جريج من غير أن يرتفع فى نسبته إلى سنة صحيحة ، وهذا وحده لا يكفى فى باب الاستدلال .

وإذا قلبنا النظر فى كتب الأئمة الأربعة لم نجد فى كتب الحنفية على كثرتها وتنوعها إشارة من قريب أو بعيد إلى هذا التكبير ، وما قلناه عن الحنفية نقول مثله عن المالكية ، وأما الحنابلة فقال الفقيه الكبير أبو عبدالله محمد بن مفلح فى كتابه « الفروع » : « وهل يكبر لختمه من « والضحى » ، أو ألم نشرح آخر كل سورة ؟ .. فيه روايتان ، ولم يستحبه الحنابلة لقراءة غير ابن كثير .

هذا . . ولو سلمنا أن عمل أهل مكة حين يكبرون فى ختام السور مأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا كان قبل الهجرة بأزمان طويلة ، وأنه كان بعد عودة الوحى إليه ، إثر فترته عنه ، وفيما جاور ذلك

من الأوقات ـ فإن سكوت الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا التكبير ، وتركه له فيما بعد ، يمكن أن يعتبر نسخاً لما تقدم إذ من المعروف فى أصول الفقه أنه إذا علم المتقدم والمتأخر من عملين متخالفين ، فإن المتأخر ينسخ المتقدم .

وما روى عن البزى فى هذا المقام قد أخذ صفة التنوع ، فقد روى عنه الجمهور « الله أكبر » من غير زيادة ولا نقص ، وروى عنه بإضافة التهليل قبل التكبير ، ولفظه : لا إله إلا الله والله أكبر ، وزاد بعضهم عنه رواية التحميد عقب التهليل والتكبير فقالوا : ـ لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد » . . وهذا الأخير منسوب إلى على رضى الله عنه . . لكن هذه النسبة أيضا مدارها على البزى . . مما يجعلنا نقول : إن كل الآثار والأحاديث الواردة فى هذا الباب لم يروها أحد إلا البزى ـ ولو كان البزى لم يتعرض للقيل من رجال الحديث لوسعنا أن نعمل بما روى وما نقل .

وثمت من الآثار الصحيحة مايجعلنا نعيد النظر فى هذا التكبير الذى ذاع وشاع . . فقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قوله : « جرّدوا القرآن » وفى رواية أخرى : « جردوا المصاحف » ، وإذا كان هذا الأمر متوجها إلى تنزيه كتابة المصحف من الزوائد . . فمن الممكن أن يقال مثل ذلك بالنسبة إلى تلاوة القرآن أيضا إذ أن الهدف من هذا التجريد هو صيانة النص القرآنى من التحريف وغيره حتى تبقى قرآنية القرآن إلى الأبد قائمة على التحدى والإعجاز .

وبعد : فقد تبين مما تقدم : أن هذه الصيغة التى يرددها الصغار حين يحفظون ، والكبار حين يرتلون فى ختام قصار السور وهى « لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد » من سورة « والضحى » إلى سورة الناس لا تستند أساساً إلى حديث صحيح ـ على الرغم من كثرة من رددها .

وأن الحنفية والمالكية لايرون هذا التكبير ، وأن الحنابلة يستحبون تركه ، وأن الشافعى وإن نسب إليه التكبير فإن كتب أصحابه قد خلت من النص عليه والتبويب له إلا ما ذكر استطراداً عن السخاوى والجعبرى ، وأن الإمام الكازرينى قد اعترف بأن هذا التكبير بدعة لا سنة ، وتحرج من أخذ كل قارئ رواية بالتكبير محافظة على سنة النقل . . ومن حقنا إذن أن نقول : إن قراءة القرآن الكريم بدون هذا التكبير أدخل فى الحسن والصواب منها به ؟ .

محمد محمد الشرقاوى
المدرس بمعهد الاسكندرية

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٢ —

عرفنا فى بحث سابق أن المسلم لا يجوز له أن يتزوج بالمشركة ولا بالملحدة التى لا تدين بدين [١] . فما حكم زواجه بالكتابية ، وهى التى لها دين سماوى له كتاب من الله ، وله نبى يبلغه ؟ جمهور العلماء والفقهاء على جواز تزوج المسلم من غير المسلمة إذا كانت كتابية . واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم [٢] » . وبالحديث : « نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا » ، وإن جرير الطبرى يعلق على هذا الحديث بقوله « فهذا الخبر وإن كان فى إسناده ما فيه فالقول به لإجماع الجميع على صحة القول به » [٣] .

ورووا أن طلحة بن عبيد الله وحذيفة ابن اليمان تزوج كل منهما إمرأة كتابية

[١] انظر مجلة الأزهر ، عدد شوال ١٣٨٠ هـ ص ١١٣٦

[٢] سورة المائدة ، آية ٦ .

[٣] تفسير الطبرى ، ج ٢ ص ٣٧٨ .

ورووا أن عمر أراد التفريق بين حذيفة وزوجته ، فقال له حذيفة : « أتزعم أنها حرام فأخلى سبيلها يا أمير المؤمنين » ؟ . فقال عمر : « لا أزعم أنها حرام ، ولكنى أخاف أن تعاطوا المومسات منهن » .

وهناك رواية غير مسلمة تقول : إن عمر فرق بين طلحة وحذيفة وامرأتيهما اللتين كانتا كتابيتين ، وقد تعقب ابن جرير هذا القول بالنقد والتفنيد ، وقال عنه : « لا معنى له لخلافه ما الأمة مجتمعة على تحليله بكتاب الله تعالى ، وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم » . ثم روى ابن جرير عن عمر ما هو أصح إسنادا ، وهو قول عمر « المسلم يتزوج النصرانية ، ولا يتزوج النصرانى المسلمة » . ثم يقول : « وإنما كره عمر لطلحة وحذيفة رحمة الله عليهم - نكاح اليهودية والنصرانية حذرا من أن يقتدى بهما الناس فى ذلك ، فيزهدوا فى المسلمات ، أو لغير ذلك من المعانى ، فأمر بتخليتهما » [١] .

وآية المائدة : « اليوم أحل لكم الطيبات

[١] المرجع السابق

وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، هي من أواخر آيات القرآن الكريم نزولا . وإذا كان الفقهاء قد استدلوا بها على جواز زواج المسلم بالكتابية ، فقد اختلفوا في تحديد المراد بكلمة « المحصنات » فيها ، ففريق قال : إنه يجوز للمسلم أن يتزوج الكتابية العفيفة مطلقا : حرة كانت أو أمة حربية كانت أو ذمية ، وفريق قال إن الآية عامة في جميع الحرائر من الكتابيات ، فنكاح جميع الحرائر من اليهود والنصارى جائز ، حربيات كن أو ذميات ، من أي أجناس اليهود والنصارى كن . وفريق ثالث قال : إن المقصود هن نساء أهل الكتاب الذين لهم من المسلمين ذمة وعهد ، فأما أهل الحرب فإن نساءهم حرام على المسلمين [1] .

جمهور الفقهاء يقرر إذن جواز تزوج المسلم من الكتابية ، ولكن عبد الله بن عمر كان يحرم نكاح الكتابيات ، بدعوى أنهن مشركات ، وكان إذا سئل عن زواج المسلم بالنصرانية أو اليهودية يقول : « حرم الله المشركات على المؤمنين ، ولا أعرف شيئا من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى ، أو ربها عبد من عباد الله » ويقصد بقوله : عبد من عباد الله أن يشير إلى قول اليهود : عزيرا بن الله .

ويعلق النحاس على رأي ابن عمر بقوله : « وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة » .

وقد أشار « تفسير المنار » إلى ضعف حجة الذين قالوا بتحريم الكتابية على المسلم ، ثم قال : « ومنهم من التمس نقلا عن بعض المتقدمين ليجعله حجة على القرآن ، فوجدوا في بعض الكتب أن ابن عمر منع التزوج بالكتابية متأولا لآية البقرة [1] ، وأنه قال : لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى . وهو معارض بما رواه عبد بن حميد عن ميمون بن مهران ، قال : سألت ابن عمر عن نساء أهل الكتاب فتلا علي هذه الآية : « والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم - ولا تنكحوا المشركات » [2] اه من الدر المنثور ، وظاهر معنى العبارة أن الله أحل المحصنات من أهل الكتاب وحرم المشركات من العرب . والقول الأول رواه عنه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم ، مع التصريح بأنه تأول آية البقرة ، فهو إذا صح اجتهاد منه ، ولم يقل أحد من الأصوليين إن اجتهاد الصحابي يعمل به في

[١] تفسير ابن جرير الطبري ، ج ٦ ص ١٠٧ .

[١] هي قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن . . . » .

[٢] جمع ابن عمر هنا بين جزأين من آيتين للاستشهاد بهما .

مسألة فيها نص ، بل منعه الجمهور مطلقا ، ومن قال به اشترط عدم النص ، وألا يكون له مخالف من الصحابة ، أى لئلا يكون ترجيحا بغير مرجح ، وهذا القول مع وجود النص مخالف لما كان عليه سائر الصحابة ، ومنهم والده : عمر أمير المؤمنين ، فقد روى عنه عبد الرزاق وابن جرير أنه قال : « المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصرانى المسلمة » .

وتمسك بعضهم بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، وهو جهل عظيم ، فإن هذا نزل فى النساء المشركات اللواتى أسلم أزواجهن ، وبقين على شركهن » [١] .

وكذلك جاء فى بعض الروايات المنسوبة إلى ابن عباس فى تفسير الآية : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمن » ، قوله : « إن الآية عامة فى الوثنيات والمجوسيات والكتابيات ، وكل من على غير الإسلام حرام » ، ولكن هذه الرواية لم تتأيد ، وفيها كلام .

وذهب بعض الشيعة إلى تحريم نكاح المرأة الكتابية [٢] .

والذين منعوا زواج المسلم من الكتابية يرون أن الكتابية قد غيرت وبدلت وحرفت ، وأنكرت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهى داخلة تحت عنوان « المشركات » بعد هذا التحريف وهذا الإنكار ، وإيمانها بالله فقط لا يخرجها عن دائرة الشرك ، لقوله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

ويرون أن هناك آيات تفيد التحريض على الابتعاد عن غير المسلمين عموما ، والزواج اقتراب شديد ، فيكون منهيا عنه ، فيكون محرما ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم أولياء بعض » . وقوله : « لا تتخذوا بطانة من دونكم » . وقوله : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » ... إلخ .

ونحب أن نلاحظ أن الفقهاء الذين أجازوا زواج المسلم بالكتابية قالوا فى الوقت نفسه : إنه مكروه كراهة تنزيهية ، فيقول الكمال بن الهمام : « يجوز للمسلم أن يتزوج بالكتابيات ، والأولى أن لا يفعل إلا للضرورة » . ويقول ابن حبيب : « نكاح اليهودية والنصرانية - وإن كان قد أحله الله - مستثقل مذموم » [١] .

لعلهم قد لاحظوا فى تقرير هذه الكراهة وهذا الاستثقال أن الاختلاف فى العقيدة بين الزوج المسلم والزوجة الكتابية - كالنصرانية مثلا - يؤدى إلى زلزلة الحياة

---

[١] تفسير المنار ، ج ٦ ص ١٩٤ .

[٢] تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥٥ .

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٣ ص ٦٧ .

الزوجية والنظام المعيشى والعائلى ، فالزوج يردد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويؤمن بعقيدة التوحيد ، والزوجة تقول : الآب والابن وروح القدس إله واحد ، والزوج لا يستطيع أن يتقبل هذا القول ولا يقتنع به ، والزوجة لا تريد أن تترك عقيدتها إلى عقيدة زوجها ...

والزوج مسلم يرى من واجبه أن يصلى لربه خمسة فروض فى اليوم والليلة ، وهذه الصلوات تتطلب منه أن يتوضأ ويتطهر فى جسمه وثوبه ومكانه ، والزوجة النصرانية لها صلاة أخرى تغاير هذه الصلاة ، وقد ينهض الزوج لصلاة الفجر ، وليس على الزوجة النصرانية فرض فى هذا الوقت ، فتستثقل قيام زوجها ، وتعتبره مقلقا لراحتها .

والزوج يرى يوم عطلته هو الجمعة ، ويذهب فيه إلى المسجد ، والزوجة ترى يوم عطلتها الأحد ، وتريد أن تذهب فيه إلى الكنيسة ، والزوج المسلم يصوم رمضان المحدد للصوم من الله ، والمرأة تصوم فى غير هذا الشهر ، والزوج يصوم عن المفطرات كلها من الفجر إلى المغرب ، والزوجة لا تصوم عن المفطرات كلها ، بل عن أنواع خاصة منها .. والزوج إذا حج يحج إلى الكعبة فى مكة ، والزوجة إذا حجت تحج إلى بيت المقدس ...

وهكذا نرى أنهما على الرغم من اتفاقهما فى أصل الإيمان بالله ، قد اختلفا بحسب الدين فى أشياء تجمع فتسبب متاعب وقلاقل ...

وبينما نسمع مثل هذه الملاحظات ممن يحرمون زواج المسلم بالكتابية . أو ممن يكرهونه وينفرون منه ، قد نجد على الطرف الآخر من يلاحظ لونا من التقارب بين المسلم والكتابية ، فيقول مع صاحب « تفسير المنار » هذه العبارة :

« ولم يجمع الله بين المشركين والمؤمنين فى حكم كما جمع بين المؤمنين وأهل الكتاب فى مثل قوله فى سورة البقرة : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، وقوله فى سورة آل عمران : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » ، الآية ، وقوله فى البقرة ومثله فى آل عمران : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، ما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ، وقوله فيها : « قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم

أعمالكم ونحن له مخلصون » ، وقوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » .

وأمثال هذه الآيات كثير جدا ، وهى تصرح بأن إله المسلمين وأهل الكتاب واحد وربهم واحد، والذى أنزل عليهم شىء واحد، أى فى جوهره ، والمراد منه وهو الإيمان بالله وتوحيده والبعث والعمل الصالح ، ولكنها فى أواخرها تبين محل الدعوة والفرق ، وهو أننا مسلمون مخلصون ، وأنه طرأ عليهم الانحراف فاتخذوا من أنفسهم أربابا يحلون ويحرمون ، ويشرعون لهم ما لم يأذن به الله ، وأنهم غير مخلصين ولا مسلمين فى أعمالهم [1] » .

والقول الوسط الأمثل هنا هو أن يقال إن الأصل أو الشأن عند المسلم هو أن يتزوج مسلمة مثله ، وأن الشريعة أباحت له التزوج من الكتابية ، وإن نظر الفقهاء إلى هذا التزوج بعين الكراهية والاستثقال ، فينبغى ألا يقع هذا التزوج إلا عندما يدعو إليه داع أو تتطلبه حاجة ، ولذلك روى أن عمر كان ينهى عن الزواج من أهل الكتاب إلا إذا كان هناك داع أو هدف له قيمة من وراء ذلك الزواج ، كالمصلحة السياسية التى يقصد فيها إلى الترابط وتأليف القلوب بين عشيرة الزوج المسلم وعشيرة الزوجة الكتابية .

ومن الواضح أن زواج المسلم بالكتابية مظهر من مظاهر التعاون الإنسانى والتفاهم البشرى . وأن الزواج يكون هنا سفيراً للإسلام ، لأن الزوج مأمور بالمحافظة على أخلاق الإسلام العالية ، وبحسن المعاملة لزوجته ، فقد تطلع على حسن أخلاقه وجمال التعاليم فى دينه ، فيجذبها ذلك إلى الإسلام بلا قسر ولا رهبة ، وقد توجد مصلحة سياسية فى هذا الزواج ، كما إذا تزوج الحاكم من كتابية لإرضاء قومها وإشعارهم بأنهم ليسوا غرباء ، وقد يحب المسلم فتاة كتابية حبا جارفا لا حيلة له فيه ، فهو لا يستريح إلا بزواجها ، وربما لا يجد المسلم لظرف خاص به من لا تصلح له زوجة إلا كتابية ؛ إلى غير ذلك من الدواعى التى تجعل زواج المسلم بالكتابية أمراً مستساغا لا غضاضة فيه .

وقد وضعت الشريعة طائفة من الحوافظ والضمانات التى تتخذ عند زواج المسلم بالكتابية ، حتى لا يساء استغلاله ، وحتى لا يقع فى الزوجية غبن أو حيف ، ولعلنا نستعرض هذه الضمانات فى حديث آخر . ؟

أحمد الشرباصى

[١] تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥٥ .

المسلمون فى الهند أيضا ..!

للأستاذ عبد المنعم النمر

قرأت الكلمة التى نشرتها مجلة الأزهر تحت عنوان « المسلمون فى الهند » للأستاذ الهندى الكبير أبى الحسن على الندوى . وقد كتبها بعد رحلته إلى الشرق الأوسط سنة ١٩٥٠ م وكشف فيها عن حال المسلمين وجهودهم وحضارتهم فى الهند فى القرون الماضية باختصار . ولم يخف الكاتب أسفه لقلة المعلومات عن المسلمين فى الهند لدى المثقفين فى الشرق الأوسط .

وملاحظة الكاتب هذه صحيحة ولعلها هى التى دفعتنى لأن أكرس جهودى لإخراج كتابى « تاريخ الإسلام فى الهند » حين إقامتى فيها مدة سنتين وثلاثة شهور مبعوثا من الأزهر والمؤتمر الإسلامى ، حتى استطعت بحمد الله أن أقدم للمكتبة العربية تاريخا مفصلا عن الإسلام والمسلمين فى الهند منذ ظهر الإسلام حتى انقرض الحكم الإسلامى على يد الإنجليز سنة ١٨٥٧م . ولم أستطع — وأنا أقدم لهذا الكتاب — إهمال هذه الملاحظة وكتمان ما أحسسته من مرارة لقلة معلوماتنا عن الهند الإسلامية إذ عز على كثيراً أن يكون هذا التاريخ المجيد مجهولا من قراء العربية ، وأن يجد منا إهمالا تاما فى مناهجنا الدراسية ، فى الوقت الذى نعنى فيه بتاريخ الغرب إلى حد الوقوف على تفاصيله والاهتمام بنهضاته وأبطاله ، مع أن هذا التاريخ الإسلامى الزاهر فى الهند جزء من تاريخنا وصفحة مشرقة من صفحات أمجادنا كأمة واحدة يظلها علم الإسلام » .

« وتعجبت كيف أسدل على هذا التاريخ ذلك الحجاب الكثيف وحيل بيننا وبين معرفته والاعتزاز به قرونا متطاولة ولم يكن تاريخا هزيلا ، بل كان تاريخا عملاقا ، استمر كل هذه القرون وصنع حضارة من أزهى الحضارات الإسلامية التى عرفناها فى عواصم البلاد العربية يوم أن كانت هذه العواصم تصنع التاريخ وتصنع معه الحضارات » .

ولعل هذه المرارة أيضا هى التى دفعتنى — وأنا أقدم كتابى هذا لسيادة رئيس الجمهورية — فى أواخر عام ١٩٥٩ م إلى أن أرفق به رجاء العناية بدراسة تاريخ إخواننا المسلمين فى الهند ضمن دراسة التاريخ فى برامجنا بالأزهر ووزارة التربية والجامعات .

وكان كريما وساراً أن أجد بعد أسبوع صدى هذا الرجاء فى محادثة تليفونية من القصر الجمهورى لمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر ولوزارة التربية . . حتى أشير على بأن أقدم هذا الاقتراح مكتوبا لفضيلة الأستاذ الأكبر لتبحثه لجنة تعديل المناهج . وإن كنا لا نزال نرقب الأثر العملى لهـذا كله فى مناهج الدراسة للآن .

ولقد كان من حسن الصدف أن يطلع الأستاذ أبو الحسن على أصول هذا الكتاب فى إحدى زياراته لى بجامعة دار العلوم ـ (ديوبند) فيفرح له ويدفعه فرحه إلى أن يسارع بتقديمه ـ وهو لا يزال جنينا ـ فى مجلته العربية « البعث » التى يشرف على إصدارها من دار العلوم ندوة العلماء فى لكنو . . ويرجو أن يسد هذا الكتاب الفراغ الذى شعر به حين زيارته لنا . .

ولعل مما يزيد فى غبطة الأستاذ أبى الحسن واطمئنانه أن يعلم حسن استقبال القراء والهيئات الثقافية والصحافة فى البلاد العربية كلها لهذا الكتاب فيعرف أن إخوانه المسلمين العرب يبادلونهم حبا بحب ، وعناية بعناية ، وشغفا بمعرفة تاريخ أسلافهم ، كشغفهم بمعرفة تاريخ المسلمين وتبحرهم فيه ، فنحن جميعا أمة واحدة يظلها علم الإسلام . . ومن الواجب أن يعرف كل منا أخاه ـ ماضيه وحاضره ـ فإن هذه المعرفة هى الوسيلة الأولى للتقريب الطبيعى فيما بيننا . وللتعاون الذى جعله الإسلام شرعة لنا . .

وسيغتبط الأستاذ أبو الحسن وإخوانه فى الهند كذلك حين يعلم أننى لم أقف بالتأريخ لمسلمى الهنـد عند انتهاء الحكم الإسلامى سنة ١٨٥٧ م ، بل إننى عكفت بعد صدور الكتاب الأول على التأريخ لهم فى الفترة التى عاشوها تحت الحكم الانجليزى ؛ فقد لمست كذلك قلة المعلومات لدينا عن المسلمين فى هذه الفترة القريبة ، بل إننى لمست ظلما بينا ، وإجحافا واضحا لجهود المسلمين فى حركة تحرير الهند ، وموقفهم من الاستعمار ، حتى سمعت من أحد المثقفين الذين يتولون توجيه الشباب فى جامعاتنا ومجتمعاتنا اتهاما لهم ، يبرءون ونبرأ إلى الله منه ، ولعل هـذا والكثيرين معه معذورون فى معلوماتهم الخاطئة ؛ لأنه لم تتوفر أمامهم المعلومات الصحيحة عن جهود إخوانهم المسلمين فى الهند ولم يجدوا أمامهم إلا كتبا متعددة تعنى بإلقاء الأضواء التاريخية على شخصيات خاصة من غير المسلمين هناك . . وتجمع فى يدهم كل خيوط الجهاد والعمل لتحرير البلاد مع أنه كان قبلهم ومعهم شخصيات إسلامية نذروا أنفسهم للجهاد من أجل تحرير بلادهم ، وكانوا دائما سباقين إلى التضحية النبيلة من أجل

أهدافهم ، ورحلوا إلى الحياة الآخرة بعد حياة حافلة بالجهاد والتعب ، مقدرين كل التقدير ممن عاصروهم ، ولمسوا كفاحهم ، ولكنهم لم يجدوا بعد ذلك من ينصفهم حين كتابة تاريخ الحركة التحريرية للبلاد . فاتخذ هذا التاريخ وضعا جانبيا وتحدث عن أشخاص وأهمل أشخاصا آخرين ، وحين تناول بعض الكتاب العرب نشر كتيبات أو بحوث عن هذا التاريخ ، اعتمدوا على تلك المصادر ، فقرأنا عن أشخاص وعرفناهم وقدرناهم ، ولم نعرف أشخاصا آخرين مسلمين ربما كان لهم فى الجهاد والتضحية رصيد يفوق رصيد الآخرين . . !

ومن أجل هذا كله ، ومن أجل إنصاف إخوان لنا أبرار يهمنا معرفة تاريخهم الصحيح ، ويسرنا أن نقرأ صفحات جهادهم اللامعة رأيت من الواجب على أن أقدم لقراء العربية ما عرفته عن بعض هؤلاء ؛ خدمة للحق وإنصافا للتاريخ . . !

وقبل أن أقدم لقراء « مجلة الأزهر » بعض هذه الشخصيات أرى من الواجب أن أمهد لذلك بحديث عام مختصر عن حال المجتمع الهندى عموما والإسلامى بنوع خاص بعد الاحتلال حتى يمكن تكوين صورة عامة عن الجو الذى نبت فيه هؤلاء وعاشوا وجاهدوا ، وحتى يمكن أن نزن أعمالهم ونقدرها حق قدرها .

لقد سلب الإنجليز حكم الهند من المسلمين وتمكنوا فيها بعد ثورة قادها المسلمون ولم يقدر لهم فيها النجاح سنة ١٨٥٧ م ، فكان المسلمون بهذا الوضع الأعداء الألداء للمستعمر هم ينفرون منه ومن نظامه وثقافته ويدبر بعضهم المؤامرات الخفية للتخلص منه ، وهو يعاملهم معاملة الأعداء فيطاردهم فى أرزاقهم وأملاكهم وثقافتهم ، ويضيق عليهم الخناق - وهو الحاكم القادر المتسلط - فكانت النتيجة الطبيعية لهذا الموقف أن تأخر المسلمون اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ، وانطووا على أنفسهم ، إيثاراً للنجاة بدينهم وتقاليدهم ، والاحتفاظ بثقافتهم بعد ما فقدوا سلطانهم وكثيراً من وضعهم فى المجتمع .

وكان العلماء والصوفيون هم الذين يقودون حركة الانعزال هذه ، معتقدين أنها الطريقة الوحيدة للمحافظة على موروثاتهم الروحية من تيار الثقافة الاستعمارية ، قادوا هذه الحركة كما قادوا من قبل الحركة الشعبية المسلحة لمقاومة المستعمرين .

وإذا كانت الظروف المحيطة بهم لم تساعدهم على النجاح فى الحركة الشعبية المسلحة ، فليعملوا على النجاح فى حركتهم السلمية للاحتفاظ بهذه الموروثات الروحية وليكثروا من فتح المدارس الدينية التى يؤازرها الشعب

المسلم ويمدها بمعونته ، لتكون وسيلتهم إلى الإبقاء على دينهم وثقافتهم ، وإلى محاربة الثقافة الغربية الوافدة ، ونجحوا فى هذا المجال إلى حد كبير .

بل إن هؤلاء العلماء والصوفيين كانوا يؤازرون بعض الجيوب الإسلامية التى ظلت تحمل السلاح وتدبر المؤامرات للثورة ضد الانجليز ، ولا سيما فى مناطق الحدود الجبلية التى لم تلن قناتها للمستعمر ، وكانوا يجمعون لها المعونات ويرسلون لها المساعدات من الرجال والمال .

كانت هذه حال المسلمين باستثناء أمراء الولايات والإقطاعيين ، من المسلمين الذين قضت مصلحتهم بالسير فى ركاب المستعمر أو مهادنته .

أما الهندوس وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى فى الهند فقد رحبوا عموما بالسيد الجديد وعاونوه وأقبلوا على مدارسه وثقافته التى أهلتهم للعمل فى دواوين الحكومة وكان من الطبيعى أن يثق بهم الانجليز ويحتضنوهم ويملئوا بهم المراكز الصغيرة فى أعمال الحكومة .

كان هذا أمراً طبيعياً بالنسبة لهم ، وذلك لموقفهم الودى من الانجليز ، ولأنهم - أى الانجليز - كانوا يعتقدون كما قال « لورد ألنبرو » أحد حكام الهند الانجليز : « إن الأمة المسلمة معادية لنا بعقيدتها ، فالطريقة المثلى عندنا أن نبتغى مرضاة الهندوك » .

الأمة المسلمة معادية للانجليز بعقيدتهم ، هذا ما فهمه الانجليز ، ورتبوا عليه سياستهم فى الهند وخارج الهند ، ولقى منه المسلمون البلاء فى كل مكان ، وهم لم يعادوا الانجليز ولا غيرهم بحسب عقيدتهم ، ولكن لما وجدوه فى هؤلاء من روح عدائية لهم ولديهم يتعرفون على ضوئها ؛ ولأن الإسلام يرفض السيطرة والإذلال للمسلمين ، وهؤلاء يعيشون على السيطرة وامتصاص دماء غيرهم وإذلالهم . فكان من الواجب على المسلمين فى الهند أن يقفوا بالمرصاد للوافد المسيطر الطامع فى نهب بلادهم واستغلال خيراتها ولكن هذا لم يرض اللص . . ! يرضه أن يتنبه أصحاب البيت له ويحاولوا منعه من نهبهم وقتل حيويتهم .. فعاملوا المسلمين معاملة الأعداء وتفننوا فى الكيد لهم . وكبت أنفاسهم حتى لا تقوم لهم قائمة ، وكان مما يؤسف له أن يجد المسلمون شريكهم فى البيت يساعد اللص الناهب فى نهبه وإذلاله لمواطنيه . . !

لقد ظل المسلمون قرابة نصف القرن الأول من احتلال الأنجليز للهند يعانون أقسى ما تعانيه أمة ضعيفة من حاكم قوى مستبد متعنت ، ولم يحملهم أخيراً على التخفيف

من تعنتهم إلا شعورهم بالخوف من الشبيبة الهندوسية التى احتضنوها وعلوها فى الهند وانجلترا ، وعرفت معنى الحرية وعادت لبلادها تتحدث عن معانى الديمقراطية والحرية والاستبداد والظلم .

وحينئذ بدأ الانجليز ينظرون بشىء من العطف للمسلمين لا حبا فيهم ولكن رغبة فى بعث شىء من الحيوية فى الجسم الهامد ليأخذ له وضعا أمام القوة النامية فى الهندوس ، ويضربوا إحدى القوتين بالأخرى .

ولم يبدأ القرن العشرون حتى كان الانجليز قد أوجدوا فى الهند قوتين : قوة حزب المؤتمر الذى أسسوه تحت رعايتهم سنة ١٨٨٥م وقوة حزب الرابطة الإسلامية التى أسسها المسلمون تحت رعايتهم وبإشارتهم سنة ١٩٠٦م وأخذت القوتان تتصارعان ، وتصرفان أغلب جهودهما فى الخلافات بينهما ، ويلوذ كل منهما بأعتاب الحاكم ليفوز بوجهة نظره ، والحاكم يتلاعب بهذا وذاك ، ويذكى بينهما نار الخلاف ليستريح ويستقر ، ويسود . . . !

وفى هذا الجو كان هناك نفر من المسلمين لا ينكرون تفكير الآخرين وإنما كانوا يرفضون أى تفاهم مع المستعمر ، ويرون أنه داء لابد من اجتثاثه ، وأن دينهم الذى ارتضاه الله لهم يحتم عليهم الاستمرار فى الجهاد لطرد الأجنبى الدخيل عليهم ، فكانوا فى أمتهم هناك يشبهون عندنا طلائع الوطنية الصادقة من أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد ورجال الحزب الوطنى .

ولكن هؤلاء الأبرار المجاهدين لم يجدوا من الأقلام العربية ما يكشف دورهم العظيم الذى قاموا به فى خدمة قضية استقلال الهند وتحريرها .

وأود هنا أن أقدم لقراء العربية بعض هؤلاء ، ولعل أولهم وأجدرهم بالكلام أولا هو مولانا الشيخ « محمود الحسن » شيخ الهند وسجين مالطا أو أسير مالطا كما يطلقون عليه فى الهند .

وموعدى معكم العدد القادم إن شاء الله ؟

عبد المنعم النمر

قال الشعبى فى كلام له فى مجلس عبد الملك بن مروان : رجلان جاءونى . فقال عبد الملك : لحنت يا شعبى ! قال : لا يا أمير المؤمنين لم ألحن مع قول الله عز وجل : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم » فقال عبد الملك : لله درّك يا فقيه العراقين قد شفيت وكفيت .

شعر القاضي الفاضل

للدكتور أحمد أحمد بدوي

— ٢ —

ما للطيور على الخطى عاكفةً
تهز للرزق أعطافا لها سرطا (١)
قد علّمت لقطها للحب لهذمها (٢)
أما تراه لحب القلب قد لقطا

أما الصفات المثالية التي أشاد بها الشاعر فيمن مدحهم من عظماء الدولة فأهمها الشجاعة في الحرب، والبسالة في القتال، وتلك سمة العصر الذي عاش فيه القاضي الفاضل، فكثيراً ما تسمع في شعر الإشادة بها كقوله:

أهلا بدولة مالك
بكرت لنا هي والربيع
الحصن في يوم الوغى
من تحته الحصن المنيع
يثني سما نقع، ووا
بل مزنها السم النقيع
ووقائع رجفت على
أعدائه، فلها الوقوع
إن صلّت البيض الرقاق
فللرماح بها ركوع

وقلما أثنى على السياسة التي تحوج إلى امتشاق الحسام كما في قوله:

وتيقظت لك في السياسة عزمة
تدع الحسام، وجفنه وسنان

وإذا كان قد أشاد بالبطولة في الحرب، فإنه قد أشاد بحزم الحاكم في أيام السلم ولعل المثل الأعلى للحاكم الحازم عند القاضي الفاضل يتجلى في قوله:

أعد لجمع الحرب صفحة فاتك
وسرى لنشر السلم حلية حازم

وأشاد القاضي الفاضل بالجود، وأكثر من الحديث عنه، وما كان الأمير يحسن الأحدوثة يومئذ إلا إذا كان جوادا كريما، يقدم من ماله حق المجتمع عليه، وينفي عن نفسه سمة الأثرة البغيضة، وتفنن القاضي الفاضل في الإشادة بهذه الصفة، فحينا يقول:

كأنك مخلوق كما شاءت العلا
وفوق اقتراحات المنى والقرائح
وما أشتكى إلا نهوض نداكم
وتقصير ما أنهضته من مدائح

[١] سرط: جمع سارطة، وهي: اسم فاعل من سرطه: ابتلعه.

[٢] اللهذم: القاطع من الأسنة، والمعنى: هل علمت الطير الأسنة القاطعة كيف تلتقط الحب؟ لأنا نراها واسعة الدراية بالتقاط حبات القلوب.

تجاوز عفو [1] الفضل أقصى مطامعى
وراض مطيع الجود أقصى مطامحى
وحينما يقول :
لقد سالمتنا صروف الزمان
وما برحت قبلها عاندة
وأمطرت نوء الندى دائما
فهزت به أرضنا الهامدة
وأطفت حرارة آمالنا
مغانم إحسانك الباردة
وبوأك الجود يابن الكرام
نجائب أقوالنا الخالدة
فكم نعمة بعدها مثلها
وفائدة بعدها فائدة

ويطول بى وجه القول إذا أنا مضيت فى التمثيل لهذه الصفة .

وكان يكمل صفة الجود لديه بشاشة الجواد ، وهى مما استرعى انتباه القاضى الفاضل ، كما استرعت قبله انتباه زهير بن أبى سلمى [2] ، فمن ذلك قوله :
إذا ما كسوت الوفد للجود ملبسا
فقد لبسوه بالبشاشة مذهبا

وكان يرى شكر الجواد بمدحه شعراً كفئا لما يبذله الممدوح من إحسان :
الشكر والإحسان فى دين العلا
مثلان ، لكن يسبق الإحسان
رضى الإله به لأفضل نعمة
ثمنا ، فهانت بعده الأثمان

ومما استرعى نظر القاضى الفاضل فى ممدوحيه مقابلة أحداث الدهر بالهدوء والرزانة ، إذ يقول :
تصرف صرف الدهر فى كل ما ترى
سوى مابذاك الوجه الوجه من حلية البشر
ولم يستطع نقصا له وزيادة
عليه إذا ما من بالحلو والمر

ولم ينس أن يشيد ببلاغة الممدوح إذا كان كاتبا أو شاعراً ، وهو بذلك يلمس موضع غرور الممدوح ، وحين يمدح هذا النوع من الناس يغرب فى أسلوبه ويكثر من الصناعة والألفاظ الغريبة ، ولعله بذلك يظهر مقدرته على القول ، وتفننه فيه ، كهذه القصيدة التى مدح بها أبا الفتح بن قادوس صاحب ديوان الإنشاء ، ومنها فى مدح البلاغة الممدوح قوله :
قصار أقلامه يصنعن فى كتب
بالعقل ما تصنع القضبان فى كثب
كأن أحرفه كأس يدور بها
ساقى يراع ، عليها الشكل كالحبب
فأعجب لذا السكر تزداد العقول به
نعم ، إذا الخمر كانت لابنة العنب

---

[1] العطاء بدون مسألة .
[2] قال زهير بن أبى سلمى :
تراه إذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

صديقة العقل منها يستفاد ، وما
عداوة العقل إلا لابنة العنب
وهى المعانى التى الأسباب تخدمها
مسلولة ، وهى الألفاظ فى القرب

ومما مدح به أحد الشعراء ، وهو فى هذا المدح يمدح الإيجاز فى اللفظ مع غزارة المعنى ، قوله :

وشعر ما حسبت أخف روحا
وأثقب زهرة [١] ، وأغض [٢] زهرة
جلاه على فى أثواب ليلى
فأبصر منه ليل الهم فجره
ولجت البلاغة منه بحرا
أردت عبوره ، فخشيت عبره [٣]
ألذ من الرضا من بعد سخط
وأعذب من وصال بعد هجره
قليل اللفظ ، لكن فى المعانى
إذا حصلتها بالنقد كثرة
ويؤنس ، ثم يؤيس ، مثل بحر
تراه ، فيستهين الغمر [٤] غمره [٥]

[١] الزهرة : البياض والحسن .
[٢] أغض : أنظر .
[٣] العبر : الشاطئ والناحية .
[٤] الغمر : من لم يجرب الأمور .
[٥] غمر البحر : معظمه .

وفى شعر الورى غر [١] ، ودهم [٢]
وهذا كل بيت منه غرة [٣]

ومدح الشاعر من اتصل بهم من وزراء الدولة الفاطمية ، وكبار رجالها ، مثل وزيك ابن طلائع ، وشاور وشجاع بن شاور ، ومدح من كتابها ابن قادوس ، والأثير ابن بنان ، وإن لم أستطع أن أعين القصائد التى مدح بها هذا الأخير ؛ فى عصر الدولة الأيوبية مدح صلاح الدين ، وبنى أيوب ، والعزيز عثمان .

ولقيمة الشعر الكبرى عند القاضى الفاضل يرى أصحاب المجد فى حاجة إليه لتسجيل مظاهر مجدهم ، وتخليد آثارهم . فيقول لبعض من يمدحهم .

كل له حاجة منا بصاحبه
فالمدح عندى ، كما المعروف عندكم
سبقتم بى ، كما أنى سبقت بكم
فالسبق مقتسم بينى وبينكم

الفخر :

وهو قليل فى شعره ، وكان بيانه وبلاغته وشعره موضع فخاره ، ومن فخره ببلاغة قوله :

[١] غر : جمع أغر ، وهو الأبيض من كل شىء .
[٢] الدهم : جمع أدهم . وهو : الأسود .
[٣] الغرة : بياض فى الجبهة ، يريد به هنا الجمال والشهرة .

ولى قلم منـــه عين الطلا
م تجرى ، فتنظر عين الكمال
يراع تظلّ رياض الطرّو
س منها موشحة بالظلال
وكتب يفيض بأرجائها
يمين الجدا ، ولسان الجدال
وكم رتّبت ، وانبرت للعد
و، كوتب الشرّار، وهد الجبال
فيأطرنه مثل أطر القسى ،
ويبرينه مثل برى النبال (١)

ونخر القاضى الفاضل كذلك بهمته المستطلعة إلى المجد . فقال :

فلى همة قد أكرمتنى همومها
ولم أمتهنها بالطماح إلى الوفر

العتاب والشكوى :

وفى عتاب القاضى الفاضل رقة ووداعة ، وهو يجعل القطعة حيناً خالصة للعتاب ، وحيناً يمزج العتاب بالمدح ، ولا يشور فى عتابه إلا قليلا ، وإذا هدد فبغارة من الشعر ، ولعل من أقسى عتابه قوله :

عد العتاب ، فما أعدت عتابا
وكفيتك الإقلال والإعتابا

وفيه يقول :

ووضعت قدرك أن يكون سحابة
ورفعت قدرى أن يكون ترابا
أنذرتُ من خيل القوافى غارة
تدع القبور وأهلها أسلابا

وأما شعر الشكوى فأغلب الظن أنه كان فى المرحلة الأولى من مراحل حياته ، عند مالم تكن الظروف ممهدة أمامه إلى الحياة الجيدة السعيدة ، فنجده يأسى لحظ الكتاب بعامة ، فيقول :

تعس الكاتب الشقىّ فما
أشقاه بالأمر بين هذى الخليقة
خير أيامه ، ولا خير فيها
يوم يأتى من بكرة وجه ليقة(١)
والدراريع (٢) نخره ، وهو منها
فى ثياب من صدره مشقوقة

وحيناً يأسى لحظه من بين الكتاب بخاصة ، إذ يقول :

أرى الكتاب كلهم جميعا
بأرزاق تعمهم سنينا
ومالى بينهم رزق كأنى
خلقت من الكرام الكاتبينا

وقد كان القاضى الفاضل يؤمن بمواهبه ، ولذلك كان يشكو فى الفترة الأولى من حياته أنه لم ينتفع بهذه المواهب ، بل إن الجاهلين

---

[١] الأطر : عطف الشىء . والقسى جمع قوس. وبرى السهم : نحته . والنبال : السهام .

[١] الليقة : صوفة الدواة .
[٢] الداريع : جمع دراعة، وهى جبة مشقوقة المقدم

لم حظ أفضل من حظه ، بينما كانت زيادة حذقه أدعى إلى نقص رزقه، فنسمعه يقول :

ما ضر جهل الجاهلـ ـين ولا انتفعت أنا بحذقى
وزيادتى فى الحذق فهى زيادة فى نقص رزقى

وقلت الشكوى بعدئذ فى شعر الفاضل ، إلا هذه الشكوى من بعض منافسيه ، الذين كان يفخر عليهم بأدبه وما له من أثر فى النفوس.

الرثاء :

رثى القاضى الفاضل بعض رجالات الدولة وعزى بعضهم أحيانا ، ورثى أخاه وبعض صحبه .

وهو فى الرثاء يمزج عواطفه الشخصية بالحديث عن آثار المرثى وخلاله .

وخير قصائد رثائه وأقواها تلك التى رثى بها العزيز ، وبكى قصره ، ويحسن بنا أن نقف قليلا عند هذه القصيدة نحللها ؛ لنرى الانفعالات المختلفة التى لابسته عند إنشائها .

والذى دفعه إلى إنشاء هذه القصيدة هو ما أصاب قصر العزيز من بلى وعناء دفعه إلى ثورة جامحة على الأيام ، وعلى هذه اليد التى امتدت فدمرته ، وحزن على بقائه حتى رأى آثار الأحبة نهبا بيد البلى ، فقال :

وقفنا على قصر العزيز ، وقد عفا نعيب عليه الدهر ، لما تحكما
سلام عليه من معنى معذب وقل له من صاحب أن يسلما
بكيت له دمعا ، ولو كنت منصفا بكيت دما ، والدمع ضرب من الدما
تأخرت من بعد الأحبة مدة ولو أن لى أمرا لكنت المقدما
لئن صرت فوق الأرض أرضا فربما عهدناك من فوق السماء لنا سما
عزيز علينا أن نراك على البلى ترابا نهى المشغوف أن يتيمما
تصدى له من لا يراقب حرمة ومن ليس يرعى للمكارم محرما

وذاك صريح فى أن الذين ولوا الحكم بعد العزيز عملوا على تعفية آثاره ، وتدمير قصره ، فهل هو الأفضل أو العادل ؟ يصمت التاريخ ، ولا يجيب .

وتثور فى نفس الفاضل ذكريات الماضى قوية عنيفة فيقول :

وكم قد حججنا فيك للجد كعبة وكم قد أقمنا فيك للحمد موسما
وكم قد وجدنا فيك راحة راحة تقبل إذ تعطى حطيما وزمزما
كأن لم تكن فيك السعادة طلقة ووجه ظباها باسماً متبسما
ولا صار ذاك البهو ملكا محجبا ولا جر ذاك الرحب جيشاعرمرما

ولا كان قصد الوفد غرة كوكب
فلما بدت صلى عليها وسلما

ثم اتجه بعدئذ إلى الدار يناجيها ، متحدثا عما فى قلبه من آلام لما أصابها ، وما يضمره من آمال كان يتمنى تحققها ؛ ليحتفظ البيت الصلاحى بوحدته وتماسكه ، فيقول :

وقل : يا ديار الظاعنين ، برغمنا
وعهدك أن أضحى لك الدهر مرغما
خذوا أدمعى عقداً نثيراً . فطالما
نظمت له النعماء عقداً منظما
وما نظر الإنسان دنيا يحبها
وليس له فيها حبيب سوى العمى
وإنى لملآن الفؤاد عزائما
لو أنى وجدت اليوم للرأى معزما

وأكاد ألمح أنه لم يكن طيب المقام فى القاهرة يومئذ ، فإنه يتحدث عن الرحيل ومقاطعته بنى آدم ، إذ يقول :

فشد السرى[1] إن أرسل الليل عقربا
وكر الكرى[2] إن أرسل السوط[3] أرقما
فقاطع بنا أبناء حوا وآدم
وواصل بنا آل الجديل وشذقما[1]

ولم يرث القاضى الفاضل صلاح الدين بغير هذه الأبيات :

مضى يوسف الإحسان والخير والتقى
فياليت أنى قد مضيت إليه
وخلفها آثار صدق كريمة
بقين علينا ، بل بقين عليه
وقرت به عيناى دهرا ، فحقه
إذا أصبحت عيناى باكيتيه

وهى مع قلتها ، لا تناسب جلال الموقف ، ولا عظمة المرثى ، وليس أسلوبها بالقوى الأخاذ . ولعل هول المصاب وشدة وقعه على نفس الفاضل لهما دخل فى إلجام لسانه .

ومما يسترعى النظر فى رثائه أنه قد يبدؤه بغزل باك ، كقوله فى رثاء بنى رزيك :

أستودع الله فى أظعانهم قمرا
إليه ، لو ضلت الأقمار ، تحتكم

الهجاء :

وخير هجائه ما ملأه بالصور الزرية ، والتهكم والسخرية ، كقوله :

---

[١] أى اجعل السرى ، وهو السير ليلا ، مطية تشد سرجها وتمتطيها .

[٢] أى اجعل الكرى جوادا تركبه إن أرسل الليل ثعبانا أرقم واتخذه سوطا يضربك به . يريد : إذا نغصت الدنيا عليك الحياة فاتخذ المطى دارك ، وجانب النوم ، حتى تصل إلى مكان تطمئن فيه نفسك .

[٣] السوط : مفعول به ، و « أرقما » حال ، وفاعل أرسل ضمير يعود إلى الليل .

[١] الجديل : فحل للنعمان بن المنذر وشذقم : فحل له أيضا . يأمر السرى أن يمضى به حتى يقاطع بنى الإنسان ، ويتخذ المطى صديقا يصل بها إلى مكان الاطمئنان .

وجه عليه من القباحة مسحة
ظلم النهار ، وقد رآه ، فأظلما
وعليه أنف قد أجيبت دعوة
فيه من الداعى عليه ، فأرغما
فلو أنه ذنب لكان كبيرة
ولو أنه طود لكان مقطما
برص يرينا منه جلدا أبيضا
وأذى يرينا منه جلدا أسحما (١)
لو شئت أن أرقى لنيل قرونه
لجعلت ذاك الكتف تحتى سلما

ويهجو بخيلا كان أبوه كريما . فيقول :

إلى كم كل يوم فى حساب
عواقبه تئول إلى العذاب
حساب الناس منك بغير رزق
ورزق أبيك كان بلا حساب

القاضى الفاضل هجاء مكشوف ، وفيه سخرية وتهكم أيضا .

الوصف :

وهو قليل فى شعره ، وصف السفينة التى ركبها إلى الممدوح ، ووصف الخمر ، ووصف المكان الذى يجلس فيه ، ووصف سيوف صلاح الدين ، ووصف ممسحة الدواة ، وتحدث كثيراً عن الشيب فى مواضع شتى : وصفه فى مرأى العين ، وكما تحس به النفس ، فهو حينا يحس الشيب ذلا ، ويراه نذيراً للفناء :

ألم يأته أن المشيب نذير
بلى ، وشبيه للردى ، ونظير
وأنا خلعنا الكبرياء مع الصبا
وحسبك ذلا أن يقال : كبير

وهو داء بلا ألم ، وعدو أزرق ، يؤذن قدومه بانقضاء عهد الصبا ، وذهاب أحلام الشباب ، ويرى قدومه شقاء . بئس ما تخلف به الأيام عن الشباب :

لا تسأل الدنيا وإن أعطت فلا
تأخذ ، فبعد قدومها هذا الشقا

ولكنه كان يخفف ألم قدومه على نفسه بأن الشيب يزيده وقارا .

الحكم :

وهى منشورة فى شعره ، يوردها فى المكان اللائق بها ، يؤيد بها فكرة ، أو يسجل تجربة ، وقد ينشئ القطعة خالصة للحكمة . وكانت حكمه كلها تدور حول شئون الحياة .

ومن أصح آرائه دعوة ذوى السلطان إلى الرفق ، مذكراً إياهم بأن الأيام تعطى وتأخذ ، فلا معنى إذاً للغطرسة والكبرياء .

ترفق بنا ما دام أمرك نافذاً
فإنك لا تدرى متى ليس ينفذ
وإن تعطك الأيام ما قد أخذته
فما زالت الأيام تعطى . وتأخذ

---

[١] الأسحم : الأسود .

ويرى أن الغنى الحق إنما هو فى الاستغناء عن الناس :

أريد الغنى المغنى عن الناس ، والغنى
إذا كان يلجينى إليهم هو الفقر

وكان كأبى الطيب يرى العيش يصفو للجهلاء :

ألا ليت لى جهلا به العيش طيب
ولا عيش إلا عيش من هو جاهل

وربما كانت تلك إحدى نظراته فى أيامه الأولى .

فى رسائله :

والقاضى الفاضل قد بدأ رسائله بالشعر ، أو يأتى به فى أثناء رسائله ، ينفس به عن عواطفه . وأكثر شعر رسائله فى الشوق ، وهو مجيد فى أكثره ، يدل على عواطف حية متدفقة ، ولعل من أجمل شعره فى هذا الباب قوله فى الشوق :

ومن عجب أنى أحن إليهم
وأسأل عنهم من أرى ، وهم معى

وتطلبهم عينى ، وهم فى سوادها
ويشتاقهم قلبى ، وهم بين أضلعى

وقوله فى الاعتذار :

لا تحسبنى للعهــود مضيعا
حفظى لودك مذهب لا يذهب

عفت الترسل طامعا أن نلتقى
فأبى الزمان يبيح لى ما أطلب

لا عتب أخشاه لقطع كتابكم
واسمع ، فعذرى بعده لا يعتب

مهما وجدتك فى الضمير ممثلا
أبدا تناجينى ، إلى من أكتب

ولكن ينبغى أن أوجه النظر إلى أن الشعر الذى فى رسائله ليس جميعه من إنشاء القاضى الفاضل ، بل قد يتمثل فى رسائله بأشعار غيره من الشعراء .

أحمد أحمد بدوى .
وكيل كلية دار العلوم

لغويات

للأستاذ محمد على النجار

فلان كفء للعمل :

يكثر هذا فى كلام الناس فى الحديث عن مدح المرء بأنه يقوم بالعمل الذى كلفه، وأنه يجيده ويحسنه، وقد عاب هذا الاستعمال من قبل اليازجى، فهو يقول فى لغة الجرائد، ص ٨٠ : « ويقولون : هو كفء هذا الأمر أى أهل له أو قوام به، وهو من ذوى الكفاءة - بالهمز - . وإنما الكفء النظير، تقول : هو كفء لفلان أى معادل له . والكفاءة المصدر من ذلك ؛ تقول : لا كفاءة بيننا . وأما المعنى الذى يريدونه فهو من معانى (كفى) المعتل ؛ يقال : استكفيته أمر كذا - أى كلفته القيام به - فكفانيه، وهو كاف لهذا العمل وكفى له، أى قوام به، وهو من أهل الكفاية » .

فالوجه أن يقال : فلان كاف لهذا المنصب أو كفى له، وهم كفاة وأكفياء . وذلك أن الكفء إذ كان النظير لا يقرن إلا بمثله، فيقال : فلان كفء لفلان، ولا يقال : هو كفء للعمل، لأنه ليس من جنس العمل حتى تعقد بينه وبين العمل مناظرة، فكما لا يحسن أن يقال : هو نظير العمل لا يحسن أن يقال : هو كفء العمل : وإنما المعنى الصحيح أن يقال : هو يكفى فى العمل أى يقوم به ويغنى فيه غناء . فهو كاف أو كفى، وكان الصاحب بن عباد يقال له : كافى الكفاة، وفى معجم الأدباء ٦/١٧٣ فى ترجمة الصاحب : « وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة فلقبه بالصاحب كافى الكفاة » . وفى هذه الترجمة من كلام أبى حيان التوحيدى فى الصاحب : « وحقده سار إلى أهل الكفاية » . وكان ابن العميد يلقب ذا الكفايتين، أى الكفاية لشئون السيف ولشئون القلم، أو الأعمال العسكرية والأعمال المدنية .

وقد نبهنى الأستاذ الجليل محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة إسكندرية إلى أن الاستعمال المنقود ورد فى شعر لابن الرومى يهجو به المعتز العباسى فهو يقول :

تالله ما كان يرضاك المليك لها
قبل احتقابك ما أصبحت محتقبا
حتى أزالك عنها ثم أبدلها
كفئاً رضياً لذات الله منتخبا

والحديث عن الخلافة ، يقول إن الله لم يرض المعتز للخلافة ، وقد نزعها منه وأعطاها بدلا منه كفئا لها ، وهو المهتدى الذى ولى الخلافة بعده فى سنة ٢٥٥ هـ . والكلام عند ابن الرومى على التجوز والتوسع ، فقد جعل الخلافة كالعروس والزوج ، فكان المعتز غير كفء لها ، فلما جاء المهتدى كانت الكفاءة بين الزوجين ، وهذه استعارة مقبولة فى مقام الخلافة، فهل تصلح فى المناصب والأعمال غيرها ؟ إن ما صنعه ابن الرومى هنا فى الخلافة يدخل فيما صنعه الآخر إذ يقول:

أتته الخلافة منقادة
إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له
ولم يك يصلح إلا لها

وأيا كان الأمر فإن ابن الرومى أنس هذا الاستعمال وأزال الوحشة عنه . وإنى أقدم شكرى للأستاذ خلف الله أن أفادنى هذه الفائدة ، وقد رأيت أن أشرك فيها غيرى من القراء .

محمد كاتب أجود منه شاعر :

يجرى هذا فى الكلام . والواجب فى العربية نصب (كاتب) فيقال : محمد كاتبا أجود منه شاعراً .

وقد أورد النحويون من هذا الأسلوب المثال المشهور : هذا بسرا أطيب منه رطبا . وعقد له سيبويه فى الكتاب ١ / ١٩٩ بابا . ويقول السيرانى : « هذا الباب لتفضيل شئ فى زمن من أزمانه على نفسه فى سائر الأزمان » . ويحده الأشمونى بأن يقع اسم التفضيل متوسطا بين حالين من اسمين مختلفى المعنى أو متحديه ، مفضل أحدهما فى حالة على الأخرى فى أخرى . ومثال المختلفى المعنى ما جاء فى الألفية : زيد مفردا أنفع من عمرو معانا . ومثال متحدى المعنى : هذا بسرا أطيب منه رطبا .

والمنصوب الأول فى الأسلوب - وهو (كاتب) منصوب على الحال . ويرى سيبويه أنه حال من فاعل (كان) المحذوفة ، والتقدير عنه فى المثال المصدر به : محمد إذ كان عالما . و (كان) هنا تامة . ولم تكن ناقصة لالتزام تنكير هذا المنصوب ، ولو كانت ناقصة لورد معرفا ، وكان على ذلك خبرا لا حالا . وهو يقدر (إذ كان) فى غير المستقبل من الأخبار ، فإن كان الخبر عن المستقبل فالتقدير عنده : إذا كان تقول فى ثوب لم يصبغ : هذا الثوب مصبوغا بالزعفران خير منه مصبوغا بالعصفر ، فالتقدير : هذا الثوب إذا كان مصبوغا بالزعفران خير منه إذا كان مصبوغا بالعصفر ، وحكم المنصوب الثانى حكم المنصوب الأول كما رأيت .

ويرى متأخرو النحاة أن المنصوب الأول حال من ضمير اسم التفضيل أي فاعله ، وقد قـدم عليه ، والمنصوب الثاني حال من المجرور .

والذي دعا سيبويه إلى تجنب ما ذهب إليه متأخرو النحاة وجنوحه إلى التقدير أن اسم التفضيل ضعيف في العمل ، فلا يتقدم الحال على ضميره والمتأخرون استساغوا في هذا الأسلوب خاصة هذا التقديم لكثرة وروده عن العرب ، ولأن في تقدير سيبويه تكلفا وعسراً .

هـذا ، وقد بدا لبعض الباحثين توجيه الرفع في الأول على أن يكون خبرا ، واسم التفضيل خبر ثان . والتقدير : محمد كاتب ، وهو أجود منه شاعرا . ولكن المقصود من هذا الأسلوب هو المفاضلة بين الحالين ، فالخبر هو اسم التفضيل فقط ، والاسمان يمثلان الحالين اللذين وقع فيهما التفاضل ، على أن هذا الأسلوب يأتي كما قلنا في الحديث عن المستقبل ، كما في مثال الثوب المصبوغ ، ولا يتفق فيه الإخبار بالأول . في قولك : هذا الثوب مصبوغا بالزعفران خـير منه مصبوغا بالعصفر لا يصح أن يقال : هذا الثوب مصبوغ بالزعفران لأنه لم يصبغ بالزعفران بعد .

بعتك الدار بما فيها الأثاث :

يشيع هـذا في كلام الناس وكتاباتهم . وفي بعض الصحف : لا يمكن أن تنزل عن الجزائر ، بما فيها الصحراء الكبرى ، وفي بعضها : على البرنامج أن يوزع مختار الصحاح على المستمعين بما فيهم الأدباء أنفسهم .

والمعروف في هـذا أن يؤتى بحرف الجر (من) البيانية ، فيقال : بعتك الدار بما فيها من الأثاث ، ولا يمكن أن تنزل عن الجزائر بما فيها من الصحراء الكبرى ، وعلى البرنامج أن يوزع مختار الصحاح على المستمعين بما فيهم من الأدباء أنفسهم . وفي المثال الأخير كان الواجب أن يقال : بمن فيهم من الأدباء ، ولكن « لما » وجهاهنا ، وهـو الاتجاه إلى الصفة ، على حـد قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

وقد جاء من هذا الأسلوب في اللسان قوله في مادة (غرف) : « والغريف : الأجمة نفسها بما فيها من شجرها » .

وقد يخرج الأسلوب الشائع على البدل . فالمعنى : بعتك الدار بالذي فيها : الأثاث . فالأثاث مجرور بدل من اسم الموصول . وينبغي أن يراعى على هذا التخريج جر مايقع موقع الأثاث من الأسماء . فتقول : أحب أهل بلدي بما فيهم الأميين ، ولا تقول : الأميون .

أحبه كما لم يحب والد ولده :

يشيع هذا الأسلوب على أسلات كبار الكتاب . والأسلوب العربى لا نرى فيه الكاف . فنى اللسان (هد) : « ما هدنى أحد ما هدنى موت الأقران » وفى الأساس (عقل) « ما ينفع التحصن بالعقول ما ينفع التمسك بالعقول . وفسر العقول فى الجملة الأولى بالمعاقل والحصون :

فالوجه أن يقال : أحبه ما لم يحب والد ولده . وهذا يقال فى مقام المبالغة وتوكيد المعنى وتشديده . وتخريجه فى العربية أن يكون التقدير : أحبه حبا لم يحبه والد ولده ... فما نكرة موصوفة واقعة فى هذا المثال على حب وفى مثال اللسان المراد : ما هدنى موت أحد هداً هدنيه موت الأقران .

وقد قيل فى تصحيح الأسلوب الشائع إن الكاف زائدة ، وهى تزاد كثيراً فى الكلام ، وأورد من ذلك قول رؤبة : لواحق الأقراب فيها كالمقق : أى فيها المقق والمقق الطول . غير أن زيادة الكاف ليس لها قياس فى العربية ، وإنما يقبل منه ، ما ورد به السماع عن العرب .

وقد قيل : إن هذا الأسلوب ترجمة لأسلوب إفرنجى . وهذا أدعى إلى رفضه والتنكر له . وما لنا ندع بزنا ونستعير بز غيرنا ! .

الفصْر والفصل :

يتفق فى هذا العصر فى المقالات التى تنشر فى بعض المجلات أن تطبع المقالة التى أدرجت فى المجلة طبعة أخرى على حدة فى كتيب ، فيسمى الكتيب فصلة ، وتجمع على فصل . وقد روعى فى هذه التسمية أن المقالة فصلت عن أخواتها التى ضمنتها المجلة . فقيس على قول العرب . قطعة وقطع ، فقيل : فصلة وفصل .

ولا نجد الفصلة بهذا المعنى فى اللغة . بل فيها الفصلة — بفتح الفاء — وفى اللسان أن الفصلة : النخلة المنقولة المحولة ، وفى عبارة أخرى أنها الفسيلة (الشتلة) المحولة ، وظاهر التفسير الثانى عمومها لكل شجر وعدم اختصاصها بالنخلة . وقد جاء جمعها فى اللسان فى ضبط القلم : الفصلات بسكون الصاد . ويبدو أن هذا من خطأ النساخ ، والصواب فتح الصاد ، كما هو القياس .

واستعارة الفصلة من الفسيلة المحولة للمقالة تنتزع من المجلة وتنشر على حيالها استعارة قريبة .

فأرى أن تضبط الفصلة بالفتح ، وتجمع على فصلات .

وللإمام ابن حزم كتاب «الفصل فى الملل والنحل » ونرى فى ذيل عنوان الكتاب

[البقية على صفحة ١٠٨]

فى ذكرى الهجرة النبوية

للأستاذ عباس طه

كلما أتمت الأرض دورتها وهل شهر المحرم، ذكرنا الهجرة النبوية من مكة إلى يثرب، وما ذكرنا هذه الهجرة إلا ذكرنا الانقلاب العالمى الضخم الذى طرأ على الإنسانية فكان فاتحة لتطورات اجتماعية ليست من نوع ما حدث من أمثالها من قبل ولا من بعد.

نعم: لأن كل الانقلابات التى حدثت كانت حربية دعا إليها التزاحم على موارد الحياة، أو التوسع فى السلطان، ولكن الانقلاب الذى أحدثه الإسلام كان الباعث عليه أدبيا محضا هو جعل كلمة الله هى العليا فى الأرض.

غرض سام كل السمو لم تتطاول إلى بلوغه همة، ومطلب عظيم لم تتطلع إلى تحقيقه نفس. فلو أضفت إلى هذا أن موطن نشوئه بلاد العرب حيث كان لا يتوقع أحد أى انقلاب عالمى، كان العجب منه لا يمكن تقديره، ولو زدت على ذلك أنه أصبح أمراً واقعا فى سنين معدودة.

جرت السنة البشرية أن تتألف الدول محدودة بالحاجات الحيوية، فقد توجد قبائل متفرعة من جنس واحد تجد نفسها مهددة بعدو قوى مجاور لها، فتدفعها الضرورة للتضافر التماسا لمزايا الوحدة. وقد تصادف من صعوبات البيئة ما يدفعها لتطلب زيادة الأيدى العاملة فتضطر للترابط الوثيق للتغلب على ما يصادفها من عقبات المعيشة. وقد تبلغ درجة حسنة من التهذيب فتطلب زيادة الاستمتاع بنعم الحياة فيندمج بعضها فى بعض لتصبح أمة على شىء من التفكيك، ثم لا تزال تدفعها الحوادث لإحكام عرى ترابطها فى أجيال متعاقبة حتى تصير وثيقة الربط قوية التماسك ولكن الأمة الإسلامية قامت على غير هذه السنة الطبيعية فقد تألفت على أصول ومبادئ هى مثل عليا للحياة الشخصية والاجتماعية تصلح لأن تقدم عليها الأمم عامة لا أمة منها خاصة، فهى أمة عالية بأخص معانى هذه الكلمة، محقت فيها القوميات والفوارق الجنسية واللغوية، وجعلت مثالا لما تكون عليه البشرية حين تبلغ درجة النضج فى الأخلاق وأصول الاجتماع.

يقول الذين لا يتعدى علمهم بالشئون العالمية حدود ما ألفوه من رؤية التناحر

بين الأمم ، والتناهب بين الطوائف . والتزاحم على ينابيع الثروات الطبيعية يقولون . ماذا حمل الإسلام للناس غير أنه زاد فى عدد أديانهم ديناً جديداً يستدعى وجوده خلافات جديدة ومنازعات من ضروب شتى ؟

والحقيقة أن الإسلام ليس بدين جديد ولكنه بنص كتابه دين الله الأول الذى أوحاه إلى أول رسله وحرفته الأمم حتى أخرجته عن أصله ، أرسل الله خاتم النبيين محمدا ، ليثوب إليه الغالى والمقصر ويرجع إليه المفرط والمفرط ، فهو بهذا الاعتبار لم يجيء ليزيد فى عدد الأديان ديناً آخر ولكنه جاء ليعيدها جميعا إلى وحدتها فما كان الله ليذر الناس على ما هم عليه من الفوضى الدينية والخلافات المذهبية حول أديان محرفة يدعى كل قبيل من الناس أنه على دين الله دون أن ينزل إليهم صورة صحيحة من ذلك الدين نفسه « إن الدين عند الله الإسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتو الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » .

وقد شرع الإسلام لوضع الخلاف بين الناس لا للتفريق بينهم قال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء » . بل ذهب الإسلام إلى ما لا مذهب بعده فى العمل على رفع الخلاف من بين البشر ، بحذف جميع عوامل الشقاق من بينهم ، فاعتبر الدين وحدة لا تقبل التجزؤ ، قوامها الإيمان برسل الله كافة من غير تفرقة بينهم فقال تعالى: « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا » .

فى هذه الآية من القوة فى رفع الخلاف ما ليس لشيء ما ، يعمل فى هذا السبيل فإن الناس متى آمنوا بجميع المرسلين — سهل تفاهمهم على ما عسى أن يبق بينهم من الخلاف .

هذه الآية فوق ما تدل عليه من عمل الإسلام على حسب الخلافات بين الناس تشير إلى المهمة السامية التى شرعه الله لأدائها ، وهى أن يكون ديناً عاماً للبشرية كلها . وبجرد التأمل فى مدلول هذه الآية يرى أن أفضل وسيلة للوصول إلى هذه الغاية البعيدة هى ما اشترطه على من يقبله ديناً له أن يؤمن برسل الله كافة ، فإن الأمم المؤمنة بالأديان المختلفة متى آنست أن فى الأرض ديناً يعترف بأنبيائها ، ولا يبخسها حقها ، لا تجد فى نفسها غضاضة من الدخول

فيه إذ لا يستتبع ذلك تسفيه أحلام آبائها ولا الحط من كرامة أسلافها . وليس فى دين من أديان الأرض هذه الميزة .

نعم : إن الإسلام لم يراع ذلك مع الأمم الوثنية لأن الوثنية لا تستند إلى نبوة ولا تتقدم على أصل من العقل أو النظر ، فما هى إلا عصارة من الأهواء والأوهام ،

أما بقية الأمم فقد أثمر فيهم أسلوب الإسلام فى الدعوة إلى الإيمان بالمرسلين كافة بغير استثناء فدخل منها فى الإسلام عدد لا يروى التاريخ أنه دخل مثله فى دين من الأديان فى مثل هذه المدة القصيرة .

أليس من آيات الله الكبرى أن تدخل فى الإسلام أمم كالفرس والرومان والتتار وغيرهم ، أجانب عن العرب والعربية ، ويكون لها القدح المعلى فى رفع علم الإسلام إلى أعلى ما يصل إليه ، وفى خدمة لغة القرآن وآدابها إلى حد أن كان منه أكابر أئمته وأئمتها مما لم يصادف مثله فى تاريخ جماعة من الجماعات الإنسانية ؟

إن هذه الديمقراطية التى أتى بها الإسلام فى عهد لم يكن لهذه الكلمة غير الاسم يعتبر مثالا حيا لما نبهنا إليه مراراً من أن هذه الأصول هى المثل العليا التى ليس بعدها مثل ويدل دلالة قاطعة على أن مصدر الإسلام إلهى محض لم تختلط أصوله بكدور البشرية ولم تؤثر فيها الفروق الوهمية التى تواضع عليها البشر وأراقوا دماءهم فى سبيلها .

ليعرف المسلمون مكانة دينهم من هذه النواحى العلمية ، فلا يوجد فى جميع الأسلحة الجدلية ما يعدلها فى جذب النفوس له وجمع القلوب حوله .

عباس طه

(بقية المنشور على صفحة ١٠٥)

فى النسخة المطبوعة ما يأتى : « الفصل - بكسر ففتح جمع فصله بفتح فسكون ، كقصعة وقصع : النخلة المنقولة من محلها إلى محل آخر لتثمر » فتراه يجعل المفرد الفصله بفتح الفاء . وإن كان المتبادر من الجمع أن يكون المفرد الفصلة بكسر الفاء ، ولكن لما لم يوجد ذلك فى اللغة اقتصر على ما وجد . غير أن جمع فَعْلَة على فِعَل جمع عوز منه ما ذكره : قصعة وقصع ، ومنه حلقة وحلق وفلكة وفلك وبدرة وبدر ولم نره لفصلة والظاهر أن هذه الكتابة من ابن حزم ، وقد كان ابن حزم أديبا واسع الاطلاع فى اللغة فلعله اطلع على هذا الجمع لفصلة

وأذكر هنا أن أدباء الإقليم الشمالى يطلقون على الفِصْلة فى الاصطلاح المصرى الفسيلة ، وهو إطلاق صحيح .

محمد على النجار

ما يقال عن الإسلام

العلية الجديدة فى نيجيريا

للأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتاب الأستاذ هيوسميث مدوس علم الاجتماع وعلم الأجناس البشرية بكلية بروكلن ، وساعدته فى تأليفه الأستاذة مابل سميث مدرسة علم الاقتصاد بكلية مدينة نيويورك ، واسم الكتاب « العلية الجديدة فى نيجيريا » يشير إلى موضوعه ، وهو استقصاء تاريخ الطبقة المتعلمة التى تستولى الآن على مقاليد الحكم فى بلاد نهر النيجر بعد إعلان استقلالها منذ شهر اكتوبر من السنة الميلادية الماضية (١٩٦٠) .

وقد تناول المؤلفان دراسة أحوال النيجريين المسلمين بمقدار مساسها بهذا الموضوع فى حدوده الواسعة . فهما لا يبحثان فى الدين الإسلامى ولا فى شعائر الإسلام الدينية . ولكنهما يبحثان فى الأحوال الإسلامية التى كان لها أثر اجتماعى سياسى فى تكوين طبقة الرؤساء والقادة بين النيجيريين ، ولا سيما أبناء الشمال من بلاد نهر النيجر ، لأنها مقر العشائر المسلمة هناك .

ألمع المؤلفان فى مقدمة البحث ، إلماعا خفيفا إلى الفارق بين الشمال والجنوب فى عناصر الدراسة العامة التى تحيط بأطراف هذا الموضوع . فإن استجماع هذه العناصر فى الجنوب سهل ميسور من الوجهتين الجغرافية والاجتماعية ، لأن مواصلاته الطبيعية كثيرة مفتحة الأبواب ، وشئونه الاجتماعية لا تخفى على الأوربيين بعد انتشار التبشير بين العشائر الوثنية وتحويل بعض أبنائها إلى المذاهب المسيحية ، ومنهم من ارتقى إلى مناصب القساوسة والاساقفة ، ومن أهلته معلوماته الحديثة التى استفادها من مدارس المبشرين لولاية الوظائف الحكومية والاختلاط بالرؤساء البريطان وسائر النزلاء .

أما بلاد النيجر الشمالية فمواصلاتها الطبيعية غير ممهدة ، ولم يذكر المؤلفان أن الحكومة الاجنبية أهملت تذليل صعوباتها لحذرها من التقريب بين عشائرها وقلة اطمئنانها إلى رؤسائها الدينيين المسلمين وندوة الموظفين

من أبنائها لإعراضهم عن مدارس التبشير ، ولكن هذا الإهمال من جانب الحكومة ملحوظ من مراجعة فصول الكتاب وإن لم يذكره المؤلفان .

ويضاف إلى صعوبة المواصلات صعوبة أخرى اجتماعية هي انتظام العلاقات السياسية والحكومية في أنحاء الشمال على قواعد العادات الإسلامية ، ومنها الحجاب وشرائع الزواج والطلاق والميراث ، وقد يكون منها قلة الاختلاط بين قادة المجتمع ورؤساء الدواوين ، وندرة العارفين باللغة الإنجليزية من أبناء الشمال في أول عهد الاستعمار ، خلافاً للجنوبيين الذين أقبلوا على هذه اللغة وغيرها من اللغات الأوربية واستخدموها لتفاهم بينهم عند تعذر التفاهم باللهجات الوطنية .

ويرجع المؤلفان إلى أقوال المؤرخين عن أصول العلية الأولين فيذكر أن أقوال المرجحين لقدومهم من بلاد البربر وأقوال الآخرين الذين رجحوا أنهم طوائف من أبناء صعيد مصر هاجروا إلى المغرب ثم إلى الجنوب منذ ستة قرون ، ولكن المحقق في العصور التاريخية القريبة أن قبائل زغاوة زحفت خلال القرن السابع للميلاد إلى وادى النيجر فاستولت على مقاليد الحكم حول بحيرة شاد وما جاورها من الأقاليم الزراعية ، وأشاعت بين هذه الأقاليم لغة وطنية تمتزج فيها العربية والبربرية وتستخدم الآن لتبادل المعاملات التجارية من غانة إلى بلاد القمرون . وقد كانت ذبابة مرض النوم حائلا دون القبائل المغيرة التي تعتمد على الخيل في غزواتها ، لأنها تصيب الخيل كما تصيب الإنسان .

وقد اطلق اسم « الفلانية » على المسلمين الوافدين ومن دخل معهم في الإسلام ، وظهر منهم من تسمى باسم أمين المؤمنين ، وهو « ساركن مسلمي » في تلك اللغة الممزوجة بكثير من الألفاظ العربية والبربرية ، وتعتبر عشيرة « الهوسا » الفلاتية أقوى طوائف النيجر الشمالية ، تعيش معها أكثر من عشرة بطون صغيرة يدين معظم أبنائها بغير الإسلام .

والفوارق بين الشمال والجنوب - كما تدل عليها معلومات المؤلفين - تتلخص في فارق واحد يشملها وقد يغنى القارىء العجلان عن تفصيلها : وذلك أن الآداب الدينية في الشمال أقوى وأعم من الآداب الوطنية أو النزعة القومية ، وعلى نقيض ذلك تشتد المطالب الوطنية في الجنوب وتضعف المقاومة الدينية ، وهو أمر معقول يوافق المنتظر من أناس ليست لهم ديانة ذات « دعوة » تقاوم دعوة المبشرين ، وليس بينهم عشيرة

واحدة تستطيع أن تعمم عقائدها الدينية أو أساطيرها الموروثة ، بين جميع القبائل التى بقيت على الوثنية ... ويأتى بعد هذا الفارق الشامل فارق آخر يشمل الأقاليم الشمالية ويكاد أن يضم الاعتبارات المحلية الجغرافية إلى اعتبارات العقيدة والألفة الاجتماعية ، وذلك أن طوائف المسلمين المعروفة باسم الفلانية تعودت أن تأوى إلى المدن المسورة وهى على الأغلب الأعم تخلق أسباب الوحدة « المدنية » بين سكانها ولو كانوا من نحل متعددة ، فإذا كان الدين الغالب هنالك بين أبناء المجتمع المدنى دينا قويا يقابل دعوة التبشير بالمقاومة أو يقابلها بدعوة تماثلها فمن الطبيعى المنتظر فى هذه الحالة أن تسودها الآداب الدينية الغالبة وأن تسرى غيرة الكثرة العظيمة على عقيدتها إلى شركائهم فى الوطن من قبائل الوثنيين . دفاعا عن كيانهم الاجتماعى أو السياسى مع جيرانهم من أبناء الكثرة القوية ، أو المسلمين .

وقد أحس الشماليون بما يتعرضون له من هضم الحقوق الوطنية وجرائر الابتعاد عن وظائف الدولة إذا طال اعتزالهم لمدارس التعليم الحديث ، فنهضوا لتدارك هذا النقص وأسسوا (سنة ١٩٢٣) جماعة أنصار الدين ثم نشروا فروعها فى المدن الكبيرة وتمكنوا من الإشراف على المدارس الحكومية وغير الحكومية ، ونشطت منهم هيئة ـ على مثال النقابات ـ لجماعة المعلمين ، فأصبحت نواة للحركة السياسية وأسهم القائمون بها فى الحركة الوطنية سواء إلى جانب الحكومة أو إلى جانب المعارضة ، بعد قيام الحكم الدستورى وإعلان الاستقلال .

وتتألف العلية الشمالية من جماعة المتعلمين ومن كبار التجار وأصحاب المزارع والموظفين وربما سرى إليهم شئ من وعى « الطبقة » على اعتبارهم جميعا حكاما أو مرشحين للحكم قبل إعلان الاستقلال أو بعد إعلانه ، ولكنهم على الرغم من وحدة الطبقة لا ينفصلون عن قبائلهم ولا يزال أدب التوقير والرعاية بين شيوخهم وشبانهم ، وبين كبارهم وصغارهم ، يجرى على سنة الأسرة العريقة ولا يسمح للنزعات المتطرفة بالظهور .

ومن الأحاديث التى نقلها المؤلفان فى هذه المسألة ، وفيما يرتبط بها من مسائل الدرجات الاجتماعية ـ حديث منسوب إلى زعيم تنقل بين البلاد الأوربية بضع سنوات وسئل عن آثار حياة المدنية فى آداب قومه فقال : « إن الناس يفدون إلى المدن طلبا للعلم أو طلبا للمال أو رغبة فى المعيشة على مثال أفضل وأيسر من معيشة القرية الريفية العتيقة » . ولكنهم يظلون على الرغم من هذه الشواغل مستمسكين بعادات الاحترام والرعاية لكبراء

السن والمقام ... ويحبون أن يحتفظوا بالتراث القديم » .

وقال زعيم آخر من أسرة حاكمة : « إن الشعور بأواصر العشيرة يتغلغل فى أعماقنا . وتقوم عليه قواعد حياتنا السياسية ، وهو القوة المسيطرة فى البلاد النيجيرية الآن » .

* * *

والمؤلفان ينسبان إلى التقاليد الإسلامية تخلف الشمال فى حركة المقاومة ، أو حركة المعارضة للحكم الأجنبى ، ويقولان بعد الإشارة إلى النظام الإقطاعى : « إن بلاد الشمال الاقطاعى يندر فيها المتعلمون من الطبقة العالية وهم - على الجملة - حذرون متأدبون ، بل خاضعون احيانا فى علاقتهم بالحكام البريطانيين ومما يؤخر ظهور النزعة المستقلة بينهم أن المناصب الكبرى هنك يشغلها البريطانيون . وقد عودتهم مأثوراتهم الإسلامية عادات الاحترام من التسليم والسجود والانحناء وخلع النعال ، حتى ليغلب عليهم دون التفات منهم إلى ما يصنعون أن يبادروا إلى توقير كل من هو أرفع مقاما كيفما كان » .

وأغرب ما فى هذا التعليل أن يفهم المؤلفان أن خشوع المسلم فى صلاته يعوده أن يسجد لغير الإله المعبود ، وقد كان الأحرى بهما أن يعلما حقيقته فلا يفوتهما أن هذا الخشوع فى موقف العبادة خليق أن يذكر الإنسان باجتناب عبادة الإنسان ويحذره من التورط فى الكفر بالتسوية بين الصلاة للخالق والصلاة للمخلوق ، ولكنهما لو ذكرا للخضوع أو للخشوع سببا آخر لكشفا عن سبب لا يرضيهما أن يعترفا به وفيه ما فيه من المساس بالحكم الأجنبى ونظام التبشير وعلاقته بالسياسة الاستعمارية فى البلاد الأفريقية والبلاد الإسلامية منها على التخصيص .

فالسياسة البريطانية تقوم فى المستعمرات على الحذر من أصحاب الدولة الأقدمين وعلى الحذر قبل ذلك من الثقافات الاجتماعية التى تقاوم ثقافة الأجنبى وتوحى إلى أبنائها مذهبا من مذاهب الحكم والنظام يعارض المذهب الطارئ عليهم من أساسه ويستطيع أن يزود المحكومين بنظام يناظره ويتحداه . وقد صرح أساطين الاستعمار البريطانيون بخطتهم السياسية — الهندية — هذه غير مرة ، فقال لورد ألنبرو « ليس يسعنى ان أغمض عينى عن اليقين بأن هذا العنصر الإسلامى عدو أصيل العداوة لنا وأن سياستنا الحقة ينبغى أن تتجه إلى تقريب الهندين » .

وهذه الخطة بعينها هى الخطة التى جرت عليها السياسة الاستعمارية بين الأفريقيين كلما صادفتهم كثرة إسلامية تجاورها قلة متفرقة

من الوثنيين أو غير المسلمين على العموم ، فإنهم يتعمدون إقصاء الرءوس المطاعين بين العشائر المسلمة ولا يبالون أن يتبعوا خطة السماحة والإغضاء مع القبائل الوثنية المتفرقة ، لأنها لا تستطيع أن تقابلهم بإجماع متجانس يخافون عقباه . فإذا تولى وظائف الدواوين من أهل نيجريا الشمالية أناس مستضعفون لا يجدون لهم رءوسا من أبناء جلدتهم يطيعونها ويأتمرون بأمرها فهذه هى ذلة المستضعف أمام السادة الأجنبيين ، ولا حيلة للواحد أو الاثنين أو الثلاثة من علية الوطنيين المقبولين عند أولئك السادة غير الخشوع والاستسلام . وقد يكون الخشوع والاستسلام ديدناً معروفاً عنهم قبل أن يظفروا برضوان المستعمر واطمئنانه فيمهد إليهم بالوظيفة المرموقة ولو كانت ذات شأن خطير يخشاه المستعمر إذا تولاه المحكومون غير المأمونين .

واطردت هذه الخطة السياسية إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم تقرر نظام الوصاية والانتداب فاضطر الحكام الأجانب إلى اتباع النظم الدستورية والتعاون مع الزعماء الوطنيين الذين تنتخبهم شعوبهم ولا يتأتى للحاكم الأجنبي أن يتخطاهم مهما يبلغ من تلفيق الدساتير وتزوير الانتخابات ، فكان الاعتراف بزعماء المسلمين قضاء محتوما لا سبيل إلى اتقائه بغير الحيلة والمحاسنة ، وكان من أساليب هذه المحاسنة أنهم أخذوا يرحبون بأبناء العلية الأولين ويشجعونهم على إتمام دروسهم بالجامعات الانجليزية ، وثابروا عدة سنوات على اختيار أربعة من طلاب الجامعات فى كل سنة يتكفلون بهم ويسندون إليهم كبار المناصب بعد عودتهم إلى بلادهم ، ومنهم السيد أبو بكر طفاوة أول رئيس وزارة تولى رئاسة الحكومة الاتحادية بعد إعلان الاستقلال منذ ستة شهور .

وقد أراد الاستعمار أمراً وأراد الله غيره ، فكان أسبق النيجريين إلى ولاية الحكم بين أبناء وطنهم أولئك الذين أقصاهم المستعمرون عنه ودبروا بالأمس تدبيرهم الطويل لنفيهم عن الكبير والصغير من وظائف الدواوين؟

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

من وحي الإيمان :

موكب النور

للأستاذ محمد ابراهيم محمد نجا

إلى السائرين نحو بيت الله ومسجد الرسول ، يحملهم الحب ويدفعهم الإيمان . .
أهدى هذه القصيدة :

موكب هز خاطرى وجنانى ... وأثار الحنين فى وجدانى
ودعانى إلى البيان ، فهذا ... ذَوْبُ قلبى سكبته فى بيانى
موكب الحب للذى خلق الحب (م) وحلى به بنى الإنسان
موكب الحب للرسول الذى جا ... ء لنا بالهدى وبالفرقان
صاغه الله من سناه شعاعا ... باهر النور ، ساحر الألوان
لم تجد مثله القلوب ، ولم تنـ ... ـظر إلى مثله العيون الروانى
وبراه من رقة وصفاء ... وسلام ورحمة وحنان
فهفت نحوه القلوب سراعا ... كطيور تجد فى الطيران
ثم حامت عليه وهى ظماء ... فسقاه من نبعه الريان
ومضت نحوه الجموع تعانى ... من هواها وشوقها ما تعانى
موكب حاشد الوفود رحيب ... هو رمز لعزة الإيمان

وقلوب مرنحات من الشو ق ، سكارى بغير بنت الدنان
شربت خمرة « الحقيقة » ، واهتزت على « ذكر » مبدع الأكوان
كل من ذاقها فقد عاش ما عا ش ، بعيداً عن حرقة الظمآن
ووجوه تكاد تنطق بشراً حين نالت ما تشتهيه الأماني
والدفوف التي ترن رنيناً هو أشجى من رنة العيدان
هادئ الوقع في القلوب ، مثير حين نصغي إليه بالآذان
يملأ النفس بالخشوع ، فتبكى بدموع لم تبدها العينان
والزغاريد وهي تأسر قلبي والأغاني ، وما أرق الأغاني !
موكب هزني ، فغنى فؤادي وشعوري بأعذب الألحان
كل لحن فيه ضراعات مشتا ق ، وأشواق ضارع ولهان
موكب لج الحنين بقلبي ومضى في رعاية الرحمن
ليت من جمع المواكب ليلا ودعاها إليه كان دعاني

* * *

يا ديار « الحبيب » قلبي يناجيـ ـك ، وروحي ومهجتي وكياني
يا ديار الحبيب قد شفني النأ ى ، فقولي : متى يكون التداني !
يا ديار الحبيب هل يأذن اللـ ـه ، فألقاك مرة في زماني ؟
حيث أقضي شعائر الله مسرو را بما نلته من الرضوان
وأرود الصحراء وهي لقلبي موطن الشعر والهدى والأمان
صاعدا في الجبال حينا ، وحينا هابطا في السهول والوديان

* * *

ذاك حلم لو نلته في حياتي قلت : حسبي ما نلته وكفاني
يا ديار الحبيب زرتك بالرو ح ، وإن كنت ثاويا في مكاني

إبراهيم محمد نجا

آراء وأحاديث

من الشيخ الأكبر إلى العالم الإسلامى :

لقد أراد المولى سبحانه أن يجعل لنا من عيدنا الأكبر ذكرى للمسلمين تعيد إليهم صورتهم يوم أن أكمل الله لهم دينهم وأتم عليهم نعمته ، وقد جاء ذلك فيما أوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا » هذه الآية الكريمة تسجل ماضى الأمجاد وتبسط الحياة فى مستقبل المسلمين، وتركز المثل العليا فى قمتها، والمبادىء العالية على أعلى درجة فيها. هذه الآية الكريمة التى ما كاد يهودى يسمعها إلا ويقول لمن يحدثه من المسلمين : « إن فى كتابكم لآية لو نزلت علينا - معشر اليهود - لاتخذنا يوم نزولها عيدا ألا وهى « اليوم أكملت لكم دينكم » فقال عمر بن الخطاب مدرك أسرار التنزيل (ومن أنت يا هذا ؟ ما يدريك أننا لم نتخذ يوم نزولها عيدا ؟ لقد اتخذناه) واليوم الذى بعده عيدا (يومى عرفة والنحر).

وفى الواقع أن هذا العيد فى تاريخ المسلمين هو يوم الإكمال والإتمام للنظم والقوانين الشرعية التى أراد الله أن يبنى جماعة المسلمين على أساس منها .

وقد كان عيد الفطر هو اليوم الأول الذى يذكرنا بوضع حجر الأساس للبناء الشامخ لصرح هذه الأمة الإسلامية ، فقد وضع هذا الأساس بقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » يوم أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيرا . وهكذا كان عيدنا الأكبر بما اشتمل عليه من الأسس القويمة والمبادىء العالية هو اليوم الذى وصل فيه المسلمون إلى أرقى درجات الكمال وإلى أعلى قمم المجد الاجتماعى ، ففيه تلكم الذكريات التى تسجل الماضى ، وتشرح الصدر للمستقبل .

فهنا وهناك فى عرفات يستمع المسلمون بآذان القلوب إلى صوت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخطب آباءهم وهم فى أصلابهم يحمل لهم رسالته ويحثهم على صدق الإيمان وكمال المعرفة بحقوق الله وحقوق العباد ، ثم يستشهدهم فيشهدون أنه بلغ ، وأدى ، ونصح ، ويرفع إصبعه السبابة إلى السماء ثم يشير بها اليوم وهو يقول : « اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد » .

ولا شك أن الرسول قد أشهد علينا مولاه أنه بلغنا ، بلغنا المبادىء والمثل ، بلغنا أن

نكون أمة متحابين فى الله متعاونين متراحمين ، فى صف واحد وفى قوة واحدة ، ننصر الله فى أنفسنا فنتجرد عن الشرك ، ونخلص عقيدتنا لله وحده ، ونكون يدا قوية على من عادانا ، نقهر كل ظلم وطغيان ، ونرد كل بغى واستعباد ، لأننا أبناء الدين الذى بث الحرية فى نفوسنا ، وثبت دعائمها فى حياتنا ، لا نعبد إلا إياه سبحانه ، ولا نستعين إلا به .

إن قوتنا نستمدها من كتاب الله ، فلا نبقى فى أراضينا الطيبة خبثا من هؤلاء المستغلين ، ننصر الحرية فى كل مكان ينشدها ويطلب حقه منها فيعود أبناؤنا وإخواننا إلى فلسطين التى ما زالت ولا تزال عنوانا صارخا على ظلم هؤلاء الطغاة الآثمين الذين شردوا الآلاف المؤلفة .

وبعد : فما أجدر المسلمين أن يتخذوا من هذا اليوم فى كل حين أجمل الذكريات التى تنبه وعيهم وتحيى ضمائرهم وتجرى فى أجسادهم وقلوبهم وعقولهم مجرى الدم فى العروق ، فتدفعهم إلى العمل والتعاون والوحدة فى ثوب من التعاطف والتراحم ليكونوا أمة واحدة على قلب رجل واحد ، فيظفروا بحريتهم الكاملة ، ويتخلصوا من براثن الشرك التى ورثهم إياها الاستعمار ، وليتحرروا من سلطان الأجنبى الذى يهاجمهم فى كل آن فى عقائدهم وشرائعهم وشئونهم الاجتماعية .

ما أجدر المسلمين أن يتخذوا من هذا اليوم ذكريات تشد أزرهم لإعلاء شأنهم والرمى بالضلال والبهتان فى غياهب الأرض ، وبذا تطمئن الإنسانية ، وتنعم بالسلام عامة . ويتحرر كل راغب فى الحرية ، وتصبح إفريقيا للإفريقيين ، وآسيا للآسيويين ، وهكذا يتم الله نعمته على الخلف كما أتمها على السلف .

فسيروا على سنة آبائكم تصلوا إلى درجة المجد الذى وصلوا إليه ، والله يهىء لنا ولكم سبل العزة والكرامة ، ويمنح الإنسانية جمعاء أمنا وطمأنينة حتى تهدأ الضمائر وتسكن القلوب . وتطمئن النفوس للحياة الطيبة الكريمة ، حياة التعاون والتراحم والمحبة .

حقق الله لنا ولكم الحرية والمجد ، وأذل قوى البغى والطغيان « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

وإننا لنبعث إلى إخواننا المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بالتهنئة الصادقة . والدعوات الخالصة ، أن يعيد الله عليكم هذا العيد باليمن والرخاء والأمن والسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

الرئيس مكاريوس يزور شيخ الأزهر :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه

فى الخامسة من مساء الاثنين ٥/٦/١٩٦١ سيادة الرئيس مكاريوس رئيس جمهورية قبرص ، يرافقه الدكتور كمال رمزى استينو وزير التموين ، والسيد وزير خارجية قبرص والسيد سفير قبرص فى القاهرة ، والأستاذ عبد الحميد الحاج أمين القصر الجمهورى ، والسيد مدير المكتب السياسى للسيد الرئيس.

وقد رحب فضيلة الأستاذ الأكبر بالضيف الكبير قائلا : « لقد سر الأزهر بزيارتكم ، وإن الأزهر هذا الذى ظل عشرة قرون يدعو للسلام والحرية ، يرحب بكم ، ويدعو لكم بالنصر فى مستقبل حياتكم كما نصركم الله فى ماضى حياتكم ، أنتم ورؤساء الجمهوريات الذين يعملون من أجل البشرية جمعاء .

هذان شعبان متحابان ، على رأسهما رئيسان متحابان : الرئيس مكاريوس رئيس جمهورية قبرص ، والرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، إن الأزهر يرحب بكم ، وعلماء الأزهر يرحبون بكم ، ويأملون أن تستمروا فى كفاحكم من أجل الإنسانية ولتقفوا دائما هكذا » .

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

فقال الضيف الكبير : « إننى جد سعيد بهذه النهضة الطيبة ، وهذا الاستقبال الرائع الذى يعبر عن عميق ثقة وإيمان .

إننى أشيد بجهود الأزهر ، وأذكر بكل فخر مدى الجهود التى يبذلها الرئيس جمال عبد الناصر من أجل دعم السلام العالمى ، ومن أجل صالح الإنسانية — وخاصة فى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، لقد عرفت فيه قائداً عظيما ومصلحا كبيراً وأكرر لكم شكرى وامتنانى على هذا الاستقبال الرائع وأعاهدكم على أن نعمل من أجل البشرية ومن أجل السلام فى أنحاء الأرض .

وإننا ندعو الله أن يمنحكم الصحة والعافية لتظلوا فى خدمة الأزهر تخدمون هذه الجامعة كما خدمتموها فى الماضى » .

فقال الأستاذ الأكبر هذا عهدى معكم — وتصافح الضيف والمضيف — هذا عهدى معكم لنتعاون ونعمل من أجل الإنسانية الكاملة ، عهدى معكم لنعمل على تحقيق السلام العالمى ومن أجل الحرية فى كل مكان.

إن الإيمان بالله يقضى بخدمة الإنسانية ونحن جميعا مؤمنون بالله ، والإيمان بالله يقضى بالعمل على تأكيد الحرية ، حرية الملك: حرية البيت ، حرية الرأى : كل نوع من أنواع الحرية التى خلق الله الإنسان عليها .

عاونونا على هذا لننقذ الإنسانية من ورطتها يكن لنا ولكم الفضل الأكبر عند الله يجب أن نتكتل وننظر إلى الإنسان المعذب . أين هو :

فى الجزائر إنسان معذب ، فى فلسطين

إنسان معذب، فى كل جهة من جهات الأرض إنسان معذب .

إن الأديان السماوية كلها تدعو إلى الحرية والتعاون وإلى استئصال الظلم والطغيان حيثما كانا .

فلنعمل جميعاً على هذا العهد إن شاء الله .

« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » ، « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

قال السيد الزائر إن هذه الزيارة ستظل فى سجل حياتى ، لأنها قد هزت أوتار قلبى ، فقد سررت بهذا الاستقبال من علماء أقدم جامعة يعرف فضلها المسيحيون كما يعرفه المسلمون . ثم انصرف شاكراً الأستاذ الأكبر على هذه الحفاوة البالغة معبراً عن عظيم سروره وسعادته .

الأستاذ الأكبر يستقبل وفداً من أساتذة الجامعة الأمريكية :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر وفداً من أساتذة الجامعة الأمريكية بالقاهرة لمناسبة عودتهم إلى بلادهم ، يرافقهم الدكتور عبده الخولى أستاذ علم الاجتماع المساعد بالجامعة الأمريكية ، ومدرس اللغة الإنجليزية بمعهد الإعداد والتوجيه ، وهؤلاء الأساتذة هم :ـ

دكتور روبرت فرنيا وزوجه ، دكتور كارل ليدن وزجه ، مستر جيرى ستيوارت وابنته ، دكتور . و . كون وزوجه ، مستر تشارلس لويس وزوجه ، دكتور م . ل . شين وزوجه ، مستر روبرت مودى وزوجه ، مستر جوليمان وزوجه ، مستر لندى وزوجه ، دكتور ملدرد هاوارد وزوجه ، دكتور جين هاسلدن وزوجه .

وقد رحب بهم فضيلة الأستاذ الأكبر وشكرهم على هذه الزيارة ، قائلا : إن الأزهر إذ يستقبل فيكم ممثلين للعلوم على اختلاف أنواعها فى الجامعة الأمريكية ليسره أن يفتح صدره لكل زائر حتى يتعرف العالم على مدى نشاط الأزهر الثقافى والدينى ، وما يشعه من معرفة على العالم أجمع .

فقال مستر مودى أحد أعضاء الوفد : لقد سرنا أن لمسنا نشاط الأزهر فى مدينة البعوث الإسلامية . وعجبنا لأنها تضم أكثر من خمسين جنسية من مختلف بلاد العالم ، وسعدنا بحسن نظامها وتنسيقها ، وتوفيرها كل أسباب الراحة والاستقرار لطلاب البعوث الإسلامية ، كما سرنا ما شاهدناه فى الجامعة الأزهرية وكلياتها من تقدم وخاصة فى قاعة المحاضرات الأزهرية الكبرى وما تؤديه من رسالة ثقافية لشعب الجمهورية العربية . كما زاد من إعجابنا المكتبة الأزهرية وما تضمه من ذخائر الكتب فى جميع العلوم والفنون .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن ما شاهدتموه

هو ثمرة التعاون الوثيق بين رجال الأزهر ، وثمرة توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر ، واهتمامه بالأزهر وطلاب البعوث الإسلامية.

ثم أضاف فضيلته : إن الأزهر منبع إشعاع إنسانى للعالم بأسره ، فله مراكز ثقافية فى الولايات المتحدة ، وكندا ، ولندن ، وغيرها ويتطلع الآن لتعميم مراكزه الثقافية فى جميع أنحاء العالم .

ثم سأل أحد أعضاء الوفد فضيلة الأستاذ الأكبر عما إذا كان الأزهر يقبل الطلاب الذين يدرسون المذهب الشيعى فى رحابه .

فأجاب الأستاذ الأكبر : كان الأزهر من قبل لا يقبل إلا من يدرسون أحد المذاهب الأربعة ، ولكننا رفعنا هذا الشرط المذهبي الذى ليس من ورائه إلا التفرقة المذهبية . أما دراسة المذاهب على اختلافها فى الرأى ووجهات النظر فالغرض منها الاطلاع على أفكار العلماء وآرائهم ووجهات نظرهم الباحثة المتعمقة ، وليس من شك فى أن الإسلام ليس فيه مذهبية ولا طائفية ، ولكن المذهبية قد تعددت بتعدد الأفهام . والمرجع الأول لهذه الأفهام والآراء الكتاب والسنة.

وسأل عضو آخر من أعضاء الوفد فضيلته قائلا : هل هناك علاقات ثقافية بين الأزهر والجامعات الأخرى .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يحرص على إقامة علاقات ثقافية بينه وبين الجامعات الأخرى فيما يخدم البشرية ، ويقودها إلى سلام دائم واستقرار أكيد ، كما يرحب بتبادل الأساتذة والكتب الثقافية مع جامعات العلم .

وسأل أحد الأعضاء فضيلته عن أثر الرحلة التى قام بها إلى الملايو وأندونيسيا والفيلبين .

فقال فضيلته : لقد كان الغرض من الرحلة توطيد العلاقات الودية والثقافية بين المسلمين، ليفهموا ألا حواجز تفصل بين العالم الإسلامى، وأن المسلم فى الجمهورية العربية أخ لكل إنسان فى أى بقعة من بقاع العالم ، تحقيقا لدعوة الله إلى عباده فى قوله : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ».

ثم قال عضو آخر : إننا جد سعداء بهذه الزيارة الطيبة التى تفضلتم بإتاحتها لنا ، كما نشكر الظروف التى هيأت لنا الدكتور عبده الخولى وهو من خريجى الأزهر ، نشكره لأنه يمثل الأزهر فى الجامعة ، وبذلك صار فاتحة لإقامة علاقات ثقافية وودية بين الأزهر والجامعة الأمريكية فى القاهرة .

فقال الأستاذ الأكبر : إنه ليسرنى أن يكون حلقة اتصال بين الأزهر وبين الجامعة الأمريكية ، فالأزهر يسعده دائما أن تقوى الروابط بينه وبين جامعات العالم . وليعلم الناس أن الأزهر تتسع أروقته لكل من يشاء الانتهال من منهله ، بغض النظر عن الجنس واللون والطائفية وغيرها .

النشاط الثقافي للأزهر

إنشاء فصول جديدة للدراسات الإسلامية :

ملحقة بمعهد الإعداد والتوجيه
لخريجي الجامعات

وافق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر على إنشاء فصول جديدة تلحق بمعهد الإعداد والتوجيه بالأزهر لقبول دارسين جدد ممن يحملون مؤهلات دراسية عالية من الجامعات أو من المعاهد العليا .

ويتيح إنشاء هذه الفصول الفرصة لراغبي التعمق فى الموضوعات الإسلامية من خريجي الجامعات والمعاهد العليا رجالا ونساء ، ولمن يريد أن يتمكن من فهم الدين ورسالة الإسلام فهما صحيحاً . وتتناول هذه الدراسات الدراسة الموضوعية واللغوية والفقهية والفلسفية ، وستقرب هذه الفكرة بين الاتجاهين الديني والعلمي ، كما تتناول دراسة المجتمع الإسلامي المعاصر فى شتى جوانبه الجغرافية والتاريخية والسياسية والأدبية وغيرها .

وقد تقرر إنشاء هذه الفصول لما لوحظ من أن بعض المتخرجين فى الجامعات الأخرى لهم رغبة أكيدة فى الكتابة عن الإسلام ومعرفة الكثير عنه ، والإحاطة بالمذاهب الإسلامية المعاصرة حتى يخلق منهم دعاة صالحين للإسلام أينما كانوا .

وبذلك يتيح الأزهر لكل المثقفين من أبناء الجمهورية العربية المتحدة ، لحمل مشعل الثقافة الإسلامية المستنيرة ، ونشر القيم الإسلامية الفاضلة ، وزيادة فى تعميم هذه الفرصة أبيح الالتحاق فى هذه الفصول للراغبين فى الدراسة من الجنسين . كما تقرر أن تكون مواد الدراسة مستمدة من التراث الإسلامي الصحيح ، وأن يكون الهدف من دراسة المواد الجديدة هو مساعدة الدراسين على تفهم الفكر الإسلامي والقيم الصحيحة ومن ضمن هذه المواد :

التاريخ الإسلامي .
تاريخ الفكر الإسلامي .
المذاهب الإسلامية المعاصرة .
مقارنة الأديان .
صلات الإسلام بعالم اليوم والغد .
موضوعات منتخبة من الفقه الإسلامي .

كما تقرر إنشاء فصل للدراسات الإسلامية

وتعليم اللغة العربية ضمن هذه الفصول لرجال السلك السياسى على أن يلاحظ قوة العناية بأمر اللغة العربيـة وتجويدها حتى يمكن الاستعانة بها على التعرف الدقيق إلى المفاهيم الإسلامية . فإن فضيلة الأستاذ الأكبر ليرى أن تعلم اللغة العربية فرض لازم ؛ لأنها السبيل الوحيـد إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله واستنباط الأحكام الإسلامية .

وقد رشح الأزهر لذلك نخبـــة ممتازة من رجال الفكر والقانون لإلقاء محاضرات لتوضيح الجوانب الثقافية المشار إليها .

الأستاذ الأكبر يستقبل عميد كلية التربية

في الجامعة الإسلامية الحكومية

في جاكرتا بأندونيسيا

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه السيد / محمود يونس ـ عميد كلية التربية فى الجامعة الإسلامية الحكومية فى جاكرتا بأندونيسيا يرافقه الدكتور محمود هدايت ـ المستشـــار الثقافى لسفارة أندونيسيا فى القاهرة .

وقد عبر الضيف عن عظيم شكره وشكر أبناء أندونيسيا لفضيلة الأستاذ الأكبر على زيارته لأندونيسيا التى وثقت علاقات الود والإخاء بين المسلمين ، وكانت ثورة علميـة إسلامية فى بلاد الشرق الأقصى ، ويضيف الزائر بأن بعض المسلمين فى أندونيسيا أسفوا لأنهم لم تتح لهم الفرصة لرؤية الأستاذ الأكبر نتيجة لقصر المدة التى قضاها فضيلته فى أندونيسيا وهم يأملون أن تتكرر هذه الزيارة حتى يتمكنوا من لقاء الأستاذ الأكبر والتحدث إليه .

وقد طلب الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر بيـانات عن الأزهر ، والمناهج التعليمية التى تدرس بالأقسام الابتدائيـة والثانوية والجامعة الأزهرية وجميع الكتب المقررة . وقد أجابه فضيلته إلى طلبه فى الحال ثم حمله خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى جميع أبنـاء أندونيسيا متمنيا التوفيق للجامعة الإسلامية الحكومية فى جاكرتا .

مبعوثو الأزهر بأندونيسيا

(يلقون محاضرات فى الملايو)

وافقت مشيخة الأزهر على أن يزور الأساتذة مبعوثو الأزهـر إلى أندونيسيا الكلية الإسلامية العليا فى الملايو ، وعلى أن يتحمل الأزهر نفقات سفرهم من أندونيسيا إلى الملايو ذهابا وإيابا . وكانت هذه الدعوة بنـاء على طلب الأستاذ محمد عبد الرءوف عميد الكلية الإسلامية ومبعوث الأزهر فى الملايو لإلقاء بعض المحاضرات هناك .

وهؤلاء الأساتذة هم :

١ — الشيخ حسن محمد حسن بيومى .
٢ — « محمد أحمد السنباطى .
٣ — « على على الحتاتى .
٤ — « أحمد مرغنى محمد عيسوى .

رحلة مبعوث الأزهر فى الملايو إلى الفليبين

قام الأستاذ محمد عبد الرءوف مبعوث الأزهر بالملايو وعميد الكلية الإسلامية العليا هناك برحلة إلى الفيليبين بناء على دعوة السيد السناتور أحمد ألونتو رئيس الهيئات الإسلامية فى الفليبين لحضور حفل التخريج لكليات كامل الإسلام وفروعها فى مدينة مروای عاصمة منطقة لاناد بجزيرة مندناو بالفليبين .

وقد غادر الأستاذ محمد عبد الرءوف كوالا لمبور بالطائرة إلى مانيلا وألقى حديثا على جمع كبير من المسلمين هناك كان موضوعه « العناصر الأساسية للعقيدة الإسلامية » وقد تبع الحديث مناقشة طويلة أجاب فيها الأستاذ محمد عبد الرءوف عن كثير من الأسئلة .

وقد زار أيضا المناطق الإسلامية الآتية :

سامبوانجا ، جزيرة باسيلان ، جزر صولو . وقد ألقى محاضرة بجامعة الفيليبين فى مانيلا فى ٤ أبريل سنة ١٩٦١ .

عودة مدير الثقافة الإسلامية من مهمته الرسمية فى المغرب :

وجهت الجامعة المغربية الدعوة إلى السيد الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر لإلقاء عدد من المحاضرات الإسلامية والثقافية على طلبتها وعلى جمهور المغرب الشقيق فى المدن الكبرى . وقد استجابت مشيخة الأزهر لهذه الدعوة ، ووافقت على سفر سيادته إلى المغرب توثيقا لعرى المحبة ووشائج القربى ودعما للروابط الثقافية والروحية بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المغربية الشقيقة .

وقد سافر سيادته فى ١٩ من شوال سنة ١٣٨٠ هـ الموافق ٥ من أبريل سنة ١٩٦١ م تلبية لهذه الدعوة ، وألقى كثيراً من المحاضرات فى الجامعة المغربية وجامعة القرويين ومدن : الرباط ، وفاس ، وطنجة ، وغيرها ، وكانت محاضراته حديث الأوساط العلمية والدينية ، وحديث جمهور المغرب الذى استمع إليها . ثم عاد سيادته فى ٢١ من ذى القعدة سنة ١٣٨٠ هـ الموافق ٦ من مايو سنة ١٩٦١ م بعد رحلة موفقة فى خدمة الثقافة الإسلامية والوحدة العربية .



نقـــد وتعريف

بقلم ــ محمد عبد الله السمان

١ ــ السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى
للدكتور مصطفى السباعى

المؤلف ليس بحاجة إلى تعريف ، فهو رئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه فى جامعة دمشق ، وأستاذ الأحوال الشخصية فى كليتى الشريعة والحقوق هناك . وكتابه هذا هو الرسالة التى تقدم بها لنيل الشهادة العالمية من درجة أستاذ .

هذه الدراسة تتناول فى الباب الأول : معنى السنة وتعريفها وموقف الصحابة منها ، كيف نشأ الوضع فيها ومتى وأين ؟ جهود العلماء لتنقيتها وتصحيحها ، وتتناول فى الباب الثانى : ما تعرضت له السنة من شبه وخصومة ، قام عليها قديما فرق كالشيعة والخوارج والمعتزلة ، وحديثا آخرون كالمستشرقين والمرحوم الأستاذ أحمد أمين . والأستاذ أبى رية ، وتتناول فى الباب الثالث والأخير : مرتبة السنة فى التشريع الإسلامى .

وقد مهد للبحث برد ومناقشة لما كتبه الأستاذ محمود أبو رية فى كتابه أضواء على السنة كما ختم الدراسة بترجمة مركزة لكبار علماء الإسلام من مجتهدين ومحدثين : كالأئمة المجتهدين الأربعة ، وأصحاب كتب الحديث المشهورين . .

الكتاب دراسة واسعة شاملة ، بدا فيها الجهد الشاق الذى بذله فضيلة المؤلف ، فالموضوع دقيق له خطورته ، وأنت إذا قرأت كلمة المستشرق « جسب » : إن الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن . ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شىء . !

إذا قرأت هذا ، وضح لك أية نظرة خبيثة يسلطها الأعداء على كيان التشريع ، وأى واجب يفرضه الإسلام على المسلمين ليبلوا بلاء حسناً فى الدفاع عن السنة ، المصدر الثانى للتشريع الإسلامى . .

وفى الكتاب ظهر جهد المؤلف فى مناقشة الآراء القديمة للشيعة والخوارج والمعتزلة ، والآراء الحديثـــة للمستشرقين والمبشرين والكتاب المسلمين المحدثين . . كما ظهر جهده

فى مناقشة آراء علماء الإسلام المخلصين التى يلحق بعضها جانبا من الشبهة أو شبه الشبهة . . .

ولكن لنا ملاحظتين :

إحداهما : أن المؤلف حين ترجم لأصحاب كتب الحديث ، كانت ترجمته غاية فى الإيجاز ، وما كنا نطلب إسهابا فى دراسة شخصياتهم ، بقدر ما كنا بحاجة إلى توسع فى دراسة كتبهم .

وأما الملاحظة الأخرى ، فهى تتعلق برده على الشيخ أبى رية ، فالمؤلف بنى رده عليه على أساس إساءة الظن به ، وهذا ما لم نكن نتوقعه من عالم يملك علما وحجة ومنطقا . فالشيخ أبو رية قال فى إهدائه الكتاب لابنه : « ما قصدت بتأليفه إلا وجه الحق . . » وابنه فى جوار الحق ، كما ختم بحثه بقوله : وما دام عملنا قد جعلناه خالصاً لوجه الله تعالى فإنا لانطلب عليه من غيره أجراً . . وهذا يكفى لحسن نية الشيخ أبى رية ، والله وحده يتولى السرائر ...

٢ — بطولات عربية :

للأستاذ محمود الشرقاوى : سكرتير تحرير مجلة الأزهر .

جال الأستاذ الشرقاوى بنا جولة تاريخية ، جاءت فى أسلوب قصصى طريف ، أبرز فيها معالم البطولة العربية لعدد من الكهول والشباب ، أدوا أدوارا خالدة فى الكفاح والنضال ، خلد التاريخ البعض ، وأهمل البعض الآخر ، وهدف المؤلف من دراساته كما ذكر فى مقدمته أن يوفى هذا البعض المهمل قدرا من الوفاء . « فعشرات الكتب ألفت فى تاريخ وطننا العربى منذ مئات السنين ولكن السمة الغالبة عليها جميعا أنها تؤرخ للملوك والحكام والوزراء والعلماء وأصحاب الذكر والوجاهة والتصدر ، ولكنها لاتحفل بسواد الناس وعامتهم . . . »

فوق أرض المكسيك سجلت فرقة مصرية سودانية فى القرن التاسع عشر قصة من قصص البطولة . أرسلها خديو مصر سعيد باشا لتعين نابليون الثالث فى حربه ضد المكسيك . . . ورجال حاميتى حصن « الاطة » و « الاسبتالية » خلال عدوان انجلترا على مصر فى معركة عرابى ، سجلوا موقفا خالدا رائعا فى الدفاع عن الحصن فى الإسكندرية . . وفى أواسط القرن الثالث الهجرى سجل صاحب الزنج دورا من البطولة مشرفا فى تحرير العبيد ، وكانت ثورته شيئا فريدا نادرا .

وعلى يد « على بك الكبير » حققت مصر استقلالها ، ووحدت البلاد العربية ، وإن لم يكن مصريا إلا أنه وغيره من المماليك كانوا فى ذاك العهد يعتبرون أنفسهم مصريين[1] .

والمعلم يعقوب زعيم القبط . . والجبرتى ،

[١] كان المصريون يرون هذا الرأى فى المماليك أيضا . والجبرتى — مؤرخ العاطفة المصرية — يسمى المماليك : الأمراء المصرية « مؤلف الكتاب » .

أدى الأول دورا سياسيا والآخر دورا أدبيا حيث أرخ بشجاعة وبطولة لفترة من الفترات الحالكة ...

والأمير محمد الكيلانى قاد من طرابلس كتيبة ليدافع عن مصر خلال غزو نابليون وسجل دورا من البطولة النادرة .

و « أبو نضارة » أدى دورا من البطولة بقلمه ، كتب المسرحيات اللاذعة التى ترمى إلى غايات سياسية وإصلاحية ، ولقى ما يلقاه قادة أصحاب الفكر الحر من الاضطهاد .

ومن الشباب : أسامة بن زيد ودوره فى غزو الروم ، والمقداد بن الأسود الذى قال للرسول فى غزوة بدر : يا رسول الله امض بنا إلى ما تريد ، وعبد الله بن جحش ودوره فى غزوة مؤتة ، وسعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية ، ومحمد بن القاسم فى غزو الهند ، وموسى بن نصير فى فتوحاته بشمال إفريقيا ... وغيرهم .

الأستاذ الشرقاوى . . قدم دراسة تاريخية لا غبار عليها من حيث مقاييس الكتابة التاريخية ، ولكننا نختلف معه فى مقاييس البطولة التى اعتبرها فى بحثه .

فالفرقة المصرية السودانية التى ذهبت ـ مرغمة ـ لتسند بغيا [١] وتناصر عدوانا فوق أرض غريبة عن أرض الوطن ، لا يمكن أن تلحقها البطولة إلا من زاوية ضيقة ، هى احتمالها المشاق فى قتالها تحت راية عدوان أثيم ... ولا يمكن أن نضع هذه الفرقة بجانب فرقة الأبطال المغاربة التى قادها الأمير محمد الكيلانى إلى مصر لتقف بجانبها ضد عدوان فرنسا .

ثم المعلم نقولا الترك أى زاوية من زوايا البطولة يمكن أن نضعه فيها ، وقد قدم من لبنان ليعمل لحساب فرنسا ، ولا يمكن لعبارة سجلها وأشاد فيها ببطولة المصريين أن تؤهله للبطولة بحال من الأحوال [١] .

والأستاذ الشرقاوى فى تمهيده للبحث عاب التاريخ لأنه سجل للملوك والوزراء والقادة ، وكنا نود أن تقتصر دراساته على المجهولين الذين أهملهم التاريخ ، ولكن يظهر أنه نسى

---

[١] بطولة هذه الفرقة أمر لا شك فيه تسجله سيرتها التى فصلتها وقد أجمعت عليها كل الوثائق الخاصة بها والاعتبارات التى جعلت سعيدا يرسلها = إلى المكسيك شرحتها فى الكتاب ـ ص ١٠ ـ ولا تعارض بينها وبين ما أبدت هذه الفرقة من البطولة والشرف . المؤلف

(١) لم أصف نقولا الترك بالبطولة ، ولا يمكن أن يكون ذلك . وقد ترجمت له ترجمة وافية فى الكتاب : « ص ١٦٤ ـ ١٦٦ » . والفصل الذى يشير إليه الأستاذ الناقد عنوانه : « الفصل ماشهدت به الأعداء » ، والأعداء هنا هم نقولا الترك والفرنسيون الذين يتشيع لهم ويمدح قائدهم نابليون . والبطولة هى فى الأعمال التى قام بها المصريون بعامة والقاهريون بخاصة ضد نابليون وجنوده ، وهذا كله واضح مما كتبت فى هذا الفصل المؤلف

نفسه قليلا ، لحفل بالعظماء من أمثال عرابى وطومان باى وعلى بك الكبير وغيرهم .

٣ — بحوث فى تفسير القرآن :

للأستاذ محمد جمال الدين عياد

المؤلف شاب باحث تخرج فى الجامعة الأمريكية ، قدم لنا دراسة مستفيضة فى تفسير « سورة العلق » مناسبة نزولها ، والترتيب التاريخى لها ، وناقش آياتها آية آية ، مستعينا بكتب التفسير المعتمدة ، القديم منها والحديث والآراء العلمية أيضا .

وهو يقرر فى مقدمته أنه التزم فى هذه الدراسة القواعد المتبعة فى إعداد البحوث والرسالات الجامعية أيا كان موضوعها ، فالباحث فى الدين كالباحث فى العلم وفى الأدب وفى الفن . . كما قرر أن البحث ليس للعامة بل للخاصة ليكون مرجعا ، وقد قرر الواقع فى الفقرة الأخيرة ، إذ أن بحثا استوعب أكثر من مائة وستين صفحة من القطع الكبير ، فى تفسير سورة بلغت بضعة أسطر هذا البحث الطويل لا يفيد منه إلا من له وله بالبحث والدراسة .

المؤلف بذل مجهودا ضخما مضنيا فى تجميع الروايات المتعددة ، وناقشها مناقشة واسعة وعصها تمحيصا ، ورجح منها ما رجح ، وأثبت مرجع كل عبارة أوردها ، واستعان بالرسوم الموضحة فيما يتصل بالأجنة .

والذى يضفى على البحث جانباً من التقدير هو تجميع المؤلف للروايات المتباينة ومناقشتها وعرضها عرضا سليما ، ولكن الذى لا نكاد نلمسه إلا فى القليل من أبواب هذه الدراسة أن يكون المؤلف قد أتى بشىء جديد ، فترجيحه مثلا لكون سورة العلق أول القرآن نزولا بعد عرض الروايات الكثيرة ، معظم التفاسير قد سبقه إليه ، وفى مقدمتها تفسير الإمام القرطبى .

والمؤلف ناقش لفظة « العلق » ونفى أن تكون « دما جامدا » كما أشارت إلى ذلك تفاسير القرآن ، بل العلقة طور يلى النطفة وذكر أن تفسير العلقة بالدم الجامد تفسير تسمح به اللغة ولا يسمح به الطب أو علم الأجنة خاصة ، واستشهد لتأييد رأيه بدراسات لويس وهار تمان من العلماء ، وهى دراسات لها قيمتها العلمية .

أما قول المؤلف : إن تفسير لفظة « العلق » بالدم الجامد مما ذهب إليه المفسرون قديما وحديثا ، فما لا نقره عليه ؛ لأنه اتضح من المراجع التى أثبتها أنه لم يستوعب كل التفاسير القديمة ، والتفاسير الحديثة لم يرجع إلا إلى عدد يسير جدا منها . وعلى كل فالأدلة الشرعية كما لا تناقض قضايا العقول — كما يقول الشاطبى — فإنها أيضا لا تناقض نظريات العلم المجمع على صحتها .

وفى نهاية البحث ناقش آراء الدكتور

وصفى التى وردت فى مؤلفه،القرآن والطب، عن النطفة والعلقه ، وذكر المؤلف أن الدكتور يتفق معه فى أن العلقه ليست الدم الجامد والدكتور منذ ربع قرن دائب على نشر بحوثه ، وبقى أن نقرر نحن تقديرنا لجهود المؤلف فى هذا البحث القيم .

٤ — بين الأدب والصحافة :
للأستاذ فاروق خورشيد

المؤلف — كبير المذيعين بالقاهرة — أديب دارس ، وباحث متعمق ، أصيل التفكير ، وحر الرأى ، وكتاباته هذه فى مؤلفه الجديد دراسات عميقة تناولت : أزمة الأدب ، وأدب الصحافة ، وأزمة المجلات الأدبية ثم الصلة بين الأدباء والصحفيين .

أزمـــة الأدب فى صحافتنا قضية مسلمة لا جدال فيها ، فالصحافة التى كانت من قبل كامنة فى محراب الأدب تستمد منه وجودها وبقاءها . . كتاب الأدب والنقد هم العمد الأساسية فى بناء أى صحيفة ، وقارئ الأدب هو المستهلك الأول للصحيفة وكانت الصحف تصطرع فى احتكار أكبر عدد ممكن من الأسماء اللامعة فى دنيا الأدب ، تفرد لهم أهم صفحاتها وتخضع هذه الصفحات لاحتياجاتهم التى توضع فى الاعتبار . .

أما اليوم فقد غدا الأدب غريبا فى صحافتنا . يحس الجميع أنه ضعيف ثقيل ينبغى التخلص منه ، فهو تارة يهمل إهمالا تاما ، وهو مرة أخرى يبعد إلى ركن قصى بعيد حيث يتوارى فى خجل وحياء . .

الشعر خسر المعركة . . والقصة تصمد فى المعركة . . ولكن إلى أجل ، وهى اليوم قصة صحفية لا تعبر د ئما تحكى ، وبقى أدب الصحافة الذى أضر بقضية الأدب نفسه أيما ضرر ، وأما أزمة المجلات الأدبية فهو مما لا يحتاج إلى تعليق .

وقدم الأستاذ فاروق خورشيد دراسة مركزة بعد ذلك تناولت :

الخبر ، والريبورتاج ، والشعر ، والدراما ، والرواية ، والدراسة الأدبية ، والقصة القصيرة ، والمقال ، والنقد الأدبى ، قدم المؤلف الأديب هذه الدراسة لتوضيح العلاقة والرابطة بين الأدب والصحافة .

والحق . . أن المؤلف كأديب متقن ، أخلص للأدب فى دراساته ، وبدت على قلبه الغيرة على الأدب من أن تجرفه الصحافة ، لا سيما وقد أصبح أدب الصحافة يمثل مكانا مرموقا ، وهو أدب من شأنه أن يجعل من صورة حياتنا مسخا مشوها لا جدية فيه ، والأمل الوحيد هو الرعيل الذى يمثل خط الدفاع الأخير من أصحاب الأقلام الذين لا زالوا يرفعون القلم فى تشبث وإصرار ؟

محمد عبد الله السمان

in seclusion in its strictest from. The rise of modern society in Europe tended to create a change in this system, and the establishment of convents and nunneries served to ameliorate their conditions to some extent.

In the early days of Islam, till the extinction of the Saracenic Empire in the East, women continued to occupy an exalted position as in modern society. There are several women who have distinguished themselves and whose names remain outstanding. Zubaida the wife of Haroon, was well accomplished and played an important and prominent part in the history of the age. Humaida, the wife of Faruk and the mother of Rabya-ar-Ray, one of the most distinguished jurisconsults of the day, was the sole guardian of her son and educated him whilst Faruk was away for many years engaged in battles in Khoraasan. Further we could see in Sakina the grand-daughter of Ali, the most brilliant and accomplished and virtuous woman of her time. Besides them, the ladies of the family of the Prophet were famed for their knowledge virtues and strength of character. Sheikha Shuhda in the 5th century Hijra was called "FAKHR-Un-Nisa", lectured at the Cathedral Mosgue of Baghdad to multitudes on poetry, literature and rhetoric. Her name and glory has a revered place in the annals of Islam together with with the most distinguished "Ulema"

Besides these there are several instances of women who have distinguished themselves in Islam and "The short History of the Saracens" - Macmillan - deals with in more detail.

The improvement of the status of women in Islam by the Prophet cannot be doubted by any except the prejudiced. Under the laws as they exist at present, the legal position of the Muslim females compare favourably with that of their European counterparts. She remains under the parental roof only so far as she remains unmarried, and until she attains majority she is subject to parental control. On her coming of age the law vests in her all rights of an independent human being. As regards inheritance, she enjoys her right to her share although the proportion is different. As regards marriage, a woman who is a major cannot be forced to accept a marriage contract and upon her marriage she does not lose her individuality nor does she cease to be a separate member of society. The husband has no power over her person beyond limits specified by law and her goods and property are her own. Where she is a major, she acts in all matters relating to her person and property in her own individual right without intervention by the husband, or her father. She is considered in all respects a person SUI JURIS.

It must be considered that in many respects she occupys a better position than her European counterpart and if there is any backwardness it must be attributed to the cultural backwardness of the community as a whole.

of proper maintenance and unless proper cause was shown for a separation she lost her dower.

It must be borne in mind that in Islam, marriage is considered an insititution to which sanctity is attached so that human beings may guard themselves from unchastity and evil actions. Divorce therefore is detested and there are frequent admonitions in the Quran against separations and urging reconciliation between the parties.

The seclusion of women in Islam was an ancient system which was borne out of certain circumstances in uncertain and uncultured communities, and had its advantages. It has been frequently argued that this system tended to degrade the status of the women. But on the contrary it must be noted that this argument is incorrect and that it was borne out of necessity and that this system apart from being practised by the Muslims was also in force amongst the Persians, Chinese and the Spanish peoples in South America. The prophet, in view of the Laxity of morals which was widespread among all classes of people, recommended this system of observance of privacy but he did not intend that this observance must be as rigid as one finds it today amongst certain Muslims in countries such as India, Pakistan Ceylon and other oriental countries. As a matter of fact the strict seclusion of women is wholly contrary to the reforms the Prophet introduced and the Koran itself does not warrant he complete and strict or rigid sec-tlusion. It is therefore a mistake to conceive that there is anything in law to perpetuate such a custom whose growth was geographical and dependant upon circumstances.

There are several instances of immunity of seclusion enjoyed by the members of the family of the Prophet. Ayesha who was the daughter of Abu Bakr, married Mohammed on Khadija's death and she led ihe insurrection against Ali. She led the troops at the famous "Battle of the Camel". The Prophet's daughter Fatima often took part in deliberations regarding the succession to the Caliphate. Mohammed's grand-daughter, Zainab, shielded her nephew from the Ommayyads after the massacre of Karbala.

The Prophet's advice regarding the observation of privacy was to check the depravity of morals and the tide of immorality which had seeped into the foundation of society amongst the pre-Islamic Arabs, the Christians and the Jews, and which chaotic state of affairs needed some correction. Till the time of his admonition to observe seclusion, there existed among the pagan Arabs a custom of polyandry and his counsel only served and was intended to insulate his followers from this evil influence.

The position of women in Christianity was at its lowest. The orthodox church excluded women from the exercise of religious functions and from society. They were prohibited from appearing in public and from attending feasts and banquets, They were directed to remani

neglect and the whims and fancies of the man. This stringent condition has been subject of severe criticism by Sir William Muir who terms it as a "revolting condition". He erroneously thinks in citing a proverb that Islam positively supports or sanctions the hiring of a temporary husband, to legalize a remarriage with a thrice divorced wife. The idea of having the wife who had been divorced married to a third person, on an express understanding that he would divorce her in favour of her former husband, was denounced by the Prophet and hence the stringent condition imposed by Him. Its very existence demonstrates how strongly the principles of Islam are opposed to a dissolution of the marriage by divorce. The object of such a stringent condition was solely to avoid a definite dissolution of the marriage by appealing to the sense of honour of the people. Muir ignores, that amongst a proud, jealous and sensitive race such as the Arabs, such a condition was one of the strongest deterrents for the evil. The proverb itself denotes what a disgrace it would have been to a husband to suffer his wife to go through a "Shameful process" if he repudiated her finally and intended to get her back.

As stated earlier it was the habit and constant practice, widespread amongst the Jews and the pagan Arabs and with the Christians too, of repudiating the wife on every slight occasion, at every moment of senseless passion and caprice. This stringent measure was intended to check one of the most sensitive nations of the earth, by acting on the strongest feeling of their nature, their sense of honour.

On the other hand M. Sedillot speaks of the rule in full agreement with the Mohamedan jurists, in thinking that this rule was laid down with the sole object of restraining the frequency of divorce in Arabia where moral depravity amongst the Jews, pagan Arabs and Christians was rife. Sedillot speaks of the condition as a very wise measure which rendered separation more rare, by imposing a check on its constant practice among the Jews and pagan Arabs. Sautayra says that this check was intended to control a jealous, sensitive, but half cultured race, by appealing to their sense of honour.

The reforms of Mohammed therefore restrained the power of divorce of husbands and gave women the right of obtaining a separation on reasonable grounds, and towards the end of his life he practically forbid its exercise by men without the intervention of arbiters or a judge. To Him, " the pronouncement of Talak was to be the most detestable before God of all permitted things " for it thwarted conjugal happiness and constituted an interference with the upbringing of the children.

As much as the husband possesses the right to divorce his wife, Islam permits the wife to obtain a divorce from her husband for some serious cause such as Ill-usage, lack

Divorce had been recognized as a necessary corollary to marriage amongst all nations of antiquity. This right subject to exceptions was exclusively reserved for the man, and the woman was disentitled to claim a divorce. With the progress and advancement of civilization there began a partial amelioration of her condition and she acquired a qualified right of divorce.

The ancient Hebrew Law permitted the husband to divorce his wife for any cause which made her disagreeable to him and there were few or no checks to the arbitrary or capricious exercise of the husband's rights of dissolution of the matrimonial ties. The women on the other hand were deprived of the right to demand a divorce for any reason whatsoever. At the time of the advent of the Prophet, the doctrines of the school of Hillel were in force amongst the Jewish tribes of Arabia and repudiations by husbands were as common as amongst the pagan Arabs. This practice was followed by the Athenians too, whose rights were unrestricted in as much as amongst the ancient Israelites.

Divorce amongst the Romans was exercised since earliest times. The Laws of the Twelve Tables recognized divorce. The wife had no right to sue for a divorce and should she choose to do so, she was liable to punishment.

Amongst the Arabs, the husband had an unlimited power of divorce and they recognized no rule of humanity or justice in the treatment of their wives. Mohammed disapproved the custom of divorce and regarded its practise as calculated to undermine the foundation of society. Conditions at this time were such that it was difficult to abolish the custom In Toto. He was to mould the mind of an uncultured and semi-barbarous community to a higher development so that with the passage of time his lessons might change their hearts.

Although it being an undesirable custom he permitted the exercise of the right of divorce subject to conditions. In order to ensure reconciliation between the parties he permitted three periods and failing all attempts at reconciliation, the final separation was to take effect on the third period. He encouraged and prescribed arbitration as a mode of solution to matrimonial disputes rather than have recourse to the evil of exercising a divorce. It was further laid down that where the parties have been irrevocably separated after the third and final repudiation, the parties cannot reunite unless and until the wife had undergone her period of Idda and married another man and thereafter was divorced by him after consummation of the second marriage, and had undergone Idda thereafter.

It is therefore obvious that from the aforesaid condition regarding a reunion between parties after final repudiation, divorce has been discouraged and protection was afforded to the woman against willful

far as to destroy and burn alive many female children and this custom which was predominant among the tribes of the Koreish and Kindah was denounced by Mohammed in no uncertain terms and prohibited under severe punishment. The sacrificial offering of children to gods was also prohibited.

The reforms introduced by Mohammed was at a time when the social structure was falling apart on all sides and older systems were found wanting. The Prophet of Islam enforced "Respect for Women" as one of the essential teachings of his creed.

The laws which he promulgated strictly prohibited conditional marriages and though he at first tacitly permitted temporary marriages, later these were forbidden in the 3rd year of the Hijra. Mohammed in his system secured to women rights and previleges which they had been deprived of and never before possessed. Women were placed on a perfect footing of equality with men in the exercise of legal powers and functons. The practice of polygamy was restrained by limiting the maximum number of contemporaneous marriages and equity towards all was obligatory upon man. The Koran gives the permission to contract four contemporaneuos marriages.

This permission is however subject to the proviso contained in the following Koranic verse.

It is therefore clear that while one verse grants the right to contract a polygamous marriage, the succeeding proviso by imposing conditions merely restricts its exercise. The subsequent condition or proviso which is based on equity not merely limits to the requirements of food, clothing and shelter but also to complete equity in love, affection and esteem. It would obviously therefore seem that as abolute equity in affection is impossible, the proviso to the permission in the Koran for four contemporaneous marriages is merely a prohibition.

The existence of polygamy which was dependant upon circumstances of society such as the absolute necessity for the preservation of women from starvation or utter destitution—the greatest proportion of the mass of immorality in the west arises from absolute destitution — is fast disappearing in all advanced Moslem communities and the conviction is now being held that polygamy is as much opposed to the teachings of Prophet Mohammed as it is to the progress of a civilized state and society. The progress of human thought coupled with the changing conditions in the present world has caused a drift away from polygamy and its tacit abandonment.

With regard to the Koranic laws relating to treatment of women in divorce, it is manifestly clear that they are of better regard for justice than those of any other scripture. The subject of Divorce in Islamic Law has been a fruitful source of misconception and controversy.

this view has been incorrect. In point of fact it has been said that the greatest adviser of Justinian was an aetheist and a pagan. The Law of Justinian prohibiting polygamy although it represented a marked advancement of thought, failed to check the tendency of the age and was considered by the masses as a dead letter.

The upheaval of the barbarians in Western Europe and the intermingling of their ideas with those of the people amongst whom they settled tended to degrade the relations between man and wife. The Theodoric Code of Laws attempted to deal with polygamy but the monarchs who practised plurality of wives were quickly followed by the people. Despite the oath of perpetual celibacy held out to them by the Church, the clergy practised plurality of wives.

It is therefore undoubtedly clear that the institution of polygamy existed prior to Prophet Mohammed and the greatest error committed by the Christian writers is to state that Mohammed adopted or legalized polygamy. The notion entertained by most writers that Mohammed introduced it is either a display of crass ignorance or a deliberate attempt to distort facts.

Mohammed found polygamy practised not only among his own people but of the neighbouring people too where it was most degrading. The Laws of the Christian Empire had failed in its efforts to correct it and consequently polygamy flourished.

The corrupt and deplorable morals in Persia led to no recognized system of law of marriage and the Persians indulged in a multitude of marriages without taking into consideration the innumerable concubines they had in their possession.

Amongst the ancient Arabs and the Jews, besides the system of plurality of wives, there existed customs pertaining to conditional and temporary marriages and such loose morality had a disastrous effect on society.

The reform instituted by Mohammed in fact created a vast change and marked improvement in the position of women whose condition amongst the Jews and non-nomadic Arabs was degraded. The daughter of a Hebrew was in the position of a servant capable of being sold, if a minor, and also could be disposed of by will or testament. She inherited nothing except in the absence of males. Even among the settled pagan Arabs who were influenced very much by the neighbouring corrupt empires a woman was a mere chattel and she formed an integral part of the estate of her husband or father. The widows of a man descended to his son or sons by the right of succession and inheritance by patrimony. Thus we get the frequent unions between step-sons and step-mothers which were subsequently forbidden by Islam. Polyandry too was practised by the half-Jewish half-Saebaean tribes of Yemen.

The aversion towards women by the pre-Islamic Arabs went so

the subject of an ordinary sale or testamentary disposition. The Athenian was permitted to possess any number of wives and Dollinger in "The Gentile and the Jew" states that Demosthenes gloried in the possession by his people of three classes of women, two of which furnished the legal and semi-legal wives.

On the contrary it should be noted that while the Spartans were prohibited from adopting this practice unless for special circumstances, the women enjoyed the right, and always exercised the right to have more than one husband.

Plurality of marriage was a previleged custom amongst the Etruscans too. Amongst the Romans the sanctity of marriage was a mere byword and this was due to the constant contact for centuries with the other Italian states and principalities, the wars and conquests and the desire for luxurious habits engendered by success. Marriage became a simple practice of promiscuous concubinage. Concubinage recognized by the state laws acquired the force of a previleged institution. Consequently the loose marital ties that existed between the husband and wife and the frequency with which wives were changed or transfered made marriage a polygamous relationship and society became promiscuous where maternity was a fact while paternity was a matter of opinion.

The Laws introduced by Justinian prohibiting polygamy did not bring about a change in the moral ideas of the people but on the other hand continued till its condemnation by modern society. The wives of a person, with exception of the first wife, suffered severe disabilities and were deprived of any rights and safeguards. The children were considered illegitimates and deprived of any right of inheritance to their father and further, were ostracised from society.

This chaotic state of affairs was not merely confined to the aristocracy alone but even extended to the clergy who forgetting their vows of celibacy contracted more than one legal or illegal union. Until very recent times, polygamy was not considered so reprehensible as it is today. St. Augustine found no intrinsic immorality in it and declared that polygamy was not a crime where it was the legal institution of a country.

Hallam points out that the German reformers as late as the 16th century acquiesced in the validity of a second or third marriage contemporaneous with the first, in the absence of issue and other similar causes.

Emperor Valentinian II, by an Edict, permitted his subjects to marry several wives if they chose to do so, and the ecclesiastical churches and Bishops raised no objection to this law. All the succeeding Emperors practised polygamy and the people followed them likewise. These laws lasted till Justinian who brought to an end the prevailing state oj affairs. It has been said that the laws of Justinian were largely due to the influence of Christianity, but

"Polygamy and the Status of women in Islamic Society"

BY
A. M. M. SALMAN

Polygamous marriages in Islam and the status of women in Islamic society have been the subject of much discussion by many writers. It has led to an abundance of criticism some of which have been founded unjustifiably. Certain writers amongst the Orientalists have spared no pains to portray to their readers that the women in Islam enjoy an inferior position to that of their counterparts in the West and that they were treated as chattels. As a matter of fact this subject has not been treated in a just and equitable manner but on the contrary viewed with religious bias and prejudices.

The Holy Quran has dealt with this subject and it clearly indicates that women in Islam enjoy as much rights as they are subject to duties.

It is necessary at the outset to consider briefly the various stages of social development and upon a consideration of them, one is inevitably led to conclude that polygamy was an unavoidable circumstance. The system of polygamy must be attributed to the constant feuds that had arisen in society resulting in the decimation of manpower and the consequent increase of women in society.

Polygamy was a recognised institution in ancient times amongst the nations in the East and was largely practised by the Emperors who professed a divine right to rule and thus making the observance of such practice a sanctimonious one.

In as much as there was no restriction in ancient times among the Hindus as regards polygamy, this practice was followed by the ancient Persians, Assyrians and Babylonians as well, whose rights to possess as many wives as they wished were unrestricted. Even among the Israelites too, polygamy existed before the time of Moses, who continued such a custom without restricting the right of the Hebrew husband to contract as many marriages as he thought fit. Later the Talmud of Jerusalem restricted the number to the ability of the husband to maintain his wives properly. The custom of plurality of marriages was practised to an unlimited extent among the Thracians, Lydians and the Pelasgian races in Europe and Central Asia, and dwarfs all comparison with the practice prevalent elsewhere.

The Athenians, who were the most civilized and cultured amongs the nations of antiquity, considered the wife as a mere chattel capable of being

outcome of the Crusades. Sheikh Muhammad Abdu says : 'There is no other nation that detests the Moslem because he is a Moslem, not for any other reason, except France. Whenever I had an interview with a Frenchman to discuss the conditions of the East with him, I felt disgusted and all my body quivered. In case a Frenchman praises Islam and mentions some thing about its merits, he is certainly after a French benefit." when he states this, Muhammad Abdu gives a vived discription of the French mentality which was much more influenced, than any other western mentality, with the defeats of the Crusaders by the Moslems in the East during three centuries.

Bold as it has always been to stand the imperialistic challenge in general and the French one in particular, and because, despite this defiance, it has managed to exist and to preserve the Arabic and Islamic heritage which it has always cared for throughout its long history, Al-Qarawiyeen Mosque is, in fact, a fortress on the solid rocks of which are crushed all the attempts of the French imperialism to erect a barrier between the past and the present of the Arab community in Morocco and to induce the generations brought up within its sphere to forget the fundamentals of their original community. It is also regarded as a source of protection of the Islamic and Arabic revival motives with which it has pushed the Arabic awakening forward so as to ensure sovereignity of the Aarbs over themselves and superiority of Islamic values in their midst. In this way the independence of Morocco has been realised, so has the independence of Egypt, Libya and Tunis, and so will the independence of Algeria take place sooner or later, owing to the fact that it is but a portion of the Arab nation, and because the real fundamentals of the Algerian commnnity are only represented in the Arabic Language, Islam and in the common history of the Arabs. These are the factors that have led to victory over, liberation from, and defiance to, the imperialistic authority, and that have helped the Moslem Arabs in their struggle for victory and liberation.

Not only has Al-Qarawiyeen Mosque kept the spiritual, mental, Arabic and Moslem heritage and the Arabic Language from harm and decay, but it has also preserved the Arab nation in Morocco from dispersion, subordiancy and annihilation.

Notwithstanding the mockery, scorn and belittlement to which they may be exposed and regardless of the stagnation, conservatism and backwardness of which they are sometimes accused, the learned Qarawiyeen have to feel proud, simply because they are the valiant soldiers who have deprived themselves of enjoying a comfortable life for sheer exaltation of the Arab nation and to ensure the stability, purity and ever lastingness of the Islamic mission.

education of native children in the countries where they are founded· these French schools do not try to make the best use of the national energy to educute the natives, nor do they aim at instructing the national characteristics. On the contrary, they spare no effort to ' make ' the native children whom they teach (whether in Morcco, Egypt, Iran or Indo China) exactly the same as the french students in France in appearnce, language, way of thinking and adoration of france as a colonial country"[1].

Al-Snyed Abdel Meguid Ibn Galwin in his book ' This is Morocco ' describes the double-edged scheme of imperialists. Here we quote him. His description (translated into English) runs as folows : " The French and the Spanish have managed to bring the National Education Department under the imperialists' adminisration, thus utilising it as a political instrument. In this way, education has become restricted, controllable and exploitable, as the new governing authority has come to believe that the spread of learning is apt to menace it to the very root. Hence, education in the country is destined to be carried out according to imperialistic principles that aim at realising the following.

(1) 'Preachership and Imperialism in the Arab countries' : by Omar Faroukh & Mustapha El-Khalidi, Page 114.

1) The upbringing of a certain class of narrow-minded officials who will be mentally unfit but will only serve as ' mere instruments '.

2) At school, students should be given but very little knowledge lest those who acquire more should grow up into beings endowed with such a mentality as will enable them to have a good and thorough understanding of life.

3) The use of the Arabic Language in education should be brought to a minimum. Education should be devoid of all that creates national pride or inspires it, such as history and literature ; it should on the other hand be admirably overfilled with the glories of the French aud the Spanish.

4) Establishing French and Spanish schools.

5) Reviving the barbarian language and making it fit for writing.

6) Prevention of any contact with Egypt and bringing the cultural relations between the two countries to a stop. [1]

Well, if the French imperialists differ from other Westren imperialistic powers in the fact that they take wider and quicker steps in the execution of the common scheme devised by imperialism in the Arab countries, this is perhaps due to the abhorrences that were the natural

(1) 'This is Morocc' : by Abdel-Meguid Ibn Galwin, Pages 141-142.

the rules of which they assumed themselves to be strongly related.

It is important to note, however, that the imperialistic challenge which the Qarawiyeen Mosque faced and the fight raged against the values included in the Islamic and Arabic heritage (which the aforesaid mosque cared for and for the preservation of which it held itself responsible) were much more vigorous than any other fight or challenge faced by any other part of the Arab nation.

Similarly the bitterness of mockery and spite, to which the learned men of the Qarawiyeen Mosque and its students were exposed, as well as the bitterness of sectarianism that was created by imperialists under the pretext of 'old-fashionedness', was far greater and more deeply felt than in any other part of the Arab nation. In a description of the scheme devised by imperialists to ensure the forementioned challenge and to undermine values and mock at their adherents or those who boast of them, Monsleur Collièze, the French protectiun delegate says :

"When we signed the protection contract we were faced by an existent state of things. In Fez there was the Qarawiyeen University which, during ten centuries, kept supplying the African Moslem countries with eminent men of learning and genius. In towns as well as in the desert there were a large number of 'Kuttabs' for teaching the Quran. These 'Kuttabs' were provided with all they needed by the Sultan, the Wakfs or by common individuals. As a matter of fact there was a lively and charming collection of big and small schools in which teaching was carried out under the shade of tents in town qwarters. The protection waged war upon such cultural institution in Morocco by locking a large number of the schools that ware the remnants of the old-fashioned system of education. The protection also made continuous hostile attacks on Al-Qarawiyeen University and its branches in Morocco, Meknes, Rabat, Tangier and Wagda. and on all the Koran tutors". (1)

Concerning the aims of the schools established by imperialists especially the French ones, Ustaz Omar Faroukh (Ph. D) and Ustaz Mustapha El-Khalidi (Ph. D) state the following :

"The French schools follow one constant policy and, as a rule, one leadership of 'headquarters'. Wherever they open their gates for the

1) Morocco Since the First world war : by Alla El-Frssy, Pages 69 & 70.

exaggeration or promptness of action. What happened in Morocco after the French occupation in 1912 and in Tunisia in 1881 exactly resembled that which took place in Libya after the Italian occupation in 1912. It was a true copy of that occupation in Egypt after the English occupation in 1682. After occuptation no heed was paid, in any of the occupied countries, to the Arabic Language, the Arabic and Islamic heritage or to the characteristic ideals and values which prevailed among the Moslems and the Arabs and distinguished them from other communities.

At the time when there was but neglect of all the above-mentioned, so much care was increasingly and gradually given to the values and ideals of western life, and to the European culture and ways of thought, that the natives, wherever they were in any of the occupied Arab countries, were about to forget their past and boast of nothing but their present. There was neglect not merely of the Arabic Language and the Arabic and Islamic heritage whether spiritual or mental, but there was also sarcasm, mockery and belittlement of the language and of all those who had to deal with it. Furthermore, the natives who did nothing but mention the bare values of the language or boast of being related to or adherents of, it were met with mockery and belittlement whether in whispers or in public.

Consequently, Al – Qarawyeen Mosque in Morocco, Az – Zeitoonah Mosque in Tunisia, the Sinousian one in Libya and Al-Azhar Mosque in Cairo had to face this challenge which was sometimes hidden but mostly open. These mosques also had to oppose and resist this destructive assault which was directed to the dearest of the Arab nation's possessions the only thing on which its renaissance depended when time allowed it. This dearest property is represented in its mental and spiritual heritage, its values and ideals in life, and in its language and history which is full of glories, heroisms and deeds that inspire pride and exaltation.

The learned men of Al-Qarawiyeen, Az-Zeitoonah, the Senousian and Al-Azhar mosques had to shoulder the burden of struggle and endure the bitterness of contempt and mockery to which they were exposed under the pretext of either 'progress' or "western civilisation". It was their duty, then, to stand in the face of sectarianism which grew strong and which had been created by the imperialists aud given the name 'modernism as opposed to 'old-fashionedness' a modernism according to

selecting some 'tools' from the occupied country.

In order to ensure continuity of occupation, an easy exploitation of the economical resources of the occupied country and making use of the human energy of the occupied people, imperialism relies on undermining all relations between the past and the present: between the newly occupied generations and the mental and spitiual heritage, the past glory and the former pevailing values and ideals of their forefathers.

In order to guarantee such undermining of relations between the past and the present, imperialists follow various vile means!

A — Firstly imPerialists do their utmost to weaken the national language. With this end in view they neglect teaching it to the youngsters, underappreciate its characteristics and look down upon those who, in their conversation, pronunciation, writings and authorism, are bold enough to show their pride in it.

B — Secondly they do their best to find out faults and weaknesses in the works and thoughts of former writers and then seize the opportunity to belittle the whole heritage.

C — Thirdly the imperialists rewrite the history of these predecessors, depriving it of the heroic tales and all that incites pride and valour. Besides, they deliberately distort history by new false additions of various incidents and by wrong, misleading interpretations of some of the events that did happen.

d) Simultaneously, the imperialists present their language, mental heritage, ways of thinking and their history in such a way as can induce the reader to accept them with pleasure, care for them and admire their values. Imperialists also set the curriculum of the schools founded after the occupation so that their values, ideals and behaviour in life are deeply and strongly impressed in the minds and lives of young children. In this way the new generations that are doomed to live or be born after the occupation find no objection whatsoever to be subordinates of the occupying imperialists. Owing to the fact that these new generations are ignorant of their past, they fail to find any support if they want to be rather unfettered by this subordinacy or if they wish to restore, at a certain time, their independence in personality and administration.

What imperialists have been doing since the nineteenth century is always the same. They do not differ from one another except in

time, as regards life and religion. It might, as well, be due to the fact that they would rather remain within the circle religious culture, so as to devote all their time to care for it and to ensure its preservation from deterioration or decay.

Yet, had it not been for the sacredness of religion and the nature of faith in it, there would not have been any care for the Islamic Law, for the Prophet's sayings and traditions, for interpretation and all that has something to do with the explanation of religion nor for the study of the Arabic Language which is the only means to a keen and deep grasp of the principles of religion. Now, if the nature of religion means unchangeability of its maxims a matter which may be reflected on those working on the field, being in some period less responsive or less sensitive to the other revolutioary changes taking place either in their own community or in the outside world if this is so, then the very nature of religion and its main bases, namely, holiness and faith are the chief causes of the survival not only of the subjects related to it but also of the studies connected with the Arabic Language which serves as a means to the study of religion. We then come to the conclusion that Al-Qarawiyeon Mosque is the chief factor in the preservation of the Arabic and Islamic heritage owing to the fact that it is a 'mosque' and that all the diverse types of subjects taught in it did have a relationship with religion, though as a matter of fact, the people of this mosque, irresponsive as they were keep to the external events, could not pace with the outside world in the tremendous changes brought about in thought, authoring, research and types of representation. Thus the preservation of the Arabic and Islamic past culture was, throughout its long history, one of the characteristics of the Qarawiyeen Mosque though this preservation and the care for what was to be preserved took different forms.

After the French Occupation in 1912.

Since the nineteenth century Imperialism has primarily depended upon the establishment of chaos in the economy of the country which it intends to occupy, as a preliminary step to its intervention in the internal affairs. It has also depended on laning armed forces to occupy positions of strategic importance in the administration of the most important and sensitive parts in the machinery of the government by some of the men of the occupying country and by

the list are the following : Ibn Baja (a philosopher), Lessan Ed-Din Ibn-el-Khateebthe well-known minister, Abul-Ala Zuheir and Abu Muhammed El-Qasem Ibn Muhammed El-Ghassani (men of medicine), and Ash-Sheif El-Edreecy[1] (a vegeterian geographer).

Owing to the mingling of these learned immigrants with the learned people and students of the Qarawiyeen Mosque, the cultural revloution in the Islamic heritage flourished and covered nearly all the fields of culture previously known to the early Moslem learned people, such as religion, study of the universe, physics, philosophy and mathematics, besides the Arabic Language and all the studies related to it. That is why this very period is considered to be the golden era in the history of Al-Qarawiyeen Mosque. It reveals on the one hand, the vigour of scientific life and, on the other, the vast and deep understanding of what is termed " the Islamic heritage" and of its survival and Protection.

This state of affairs did not, however, last for long. The scientific movement which once flourished in the Qarawiyeen Mosque soon deteriorated even before the French occupation took place in 1912. This was not wholly due to the deterioration of the Islamic Arabic communiy in Morocco; it was mainly ascribed, as we have already indicated, to the isolation of the Qarawiyeen learned men away from life and the events that occurred in it. They were, perhaps, not to blame because of the close relation that exists between their cultural profession and mission on one side and the characteristics of the nature of religion on the other.

The principles of religion, exactly the same as other principles of life, are unchangeable. A principle, in the true sense of the word, cannot be so called unless it has attained a certain degree at which it is to be considered both as a model and a goal which everyone tries hard to reach or approach. Again, learned people whose scientific and cultural work is confined within the limits of sacred important and unchangeable maxims are not so much influenced by the events of the outside life, contrary to those who are fully engrossed in the events of life, the latter have got the chance to watch, study scrutinise and judge.

So if the learned Qarawiyeen laid aside the study of mathematics, philosophy and natural sciences away from the field of the Islamic Arab heritage this might be due to their own way of thinking, at that

(1) Lévi-Provençal, Initiation au Maroc.

people who preserved in their hearts the principles of their past culture, the defenders who protected their values through their own logic and thought, and, last but not least, they were the teachers who, through orally handed down this heritage to the generations to come. In this way, they proved to be the sole supporters of this heritage that could not have survived without their efforts.

The following is a translation of an extract quoted from an essay written by Lévi-Provençal in a book entitled : Initiation au Maroc. (P. 172):

I should like to draw the attention to Fez which has become an important centre of culture since the beginning of the fourteenth century in particular that is to say, after many Moslem learned people immigrated to Morocco, immediately after the Iberian Peninsula (Spain and Portugal) had fallen anew under the rule of Christianity. This occurred almost exactly in the fourteenth century. Thus, the fact that Fez has become an important centre of culture is mainly ascribed to the prominent role played by this ancient university : Al-Qarawiyeen Mosque".

Obstacles and Difficulties :

Al-Qarawiyeen Mosque throughout its long history is more or less like a living creature whose growth may, at a certain stage, be hindered owing to an internal factor which is closely connected with its own bodily construction. The hindrance may as well be due to an outside factor that resists its growth and prevents it from proving its own existence.

The Qarawiyeen Mosque was, as a matter of fact, influenced by both factors. If suffered from its own weakness as well as from foreign attack. If, at a certain period, the Arab community in Morocco was, to some extent, held responsible for the weakness that befell the mosque, the responsibility fell more heavily upon the learned Qarawiyeen themselves who were in charge of it. They were but little influenced by the events of life on account of the fact that they thought it better not to take any part in what was going on among the Arab community in Morocco and, at the same time, preferred to be isolated from the social and revolutionary ideas and events that occurred in the outside world.

We all know that after the fall of Andalusia under the reign of Christianity in the fourteenth century emigrated a large number of the Mohammedan eminent learned men who specialised in different fields ot science and knowledge. Leading

at Fez*in the year 245 after the Hejira, if we want to trace back the influence of this mosque on the culture of various successive generations from the beginning of the first half of the fourth century of the Hejira up tiiļ now, if we want to determine exactly its job (which was sometimes so difficult that it did but very little and sometimes so easy that much was achieved). If all this is taken into consideration, we shall soon come to the conclusion that the mission of the Qarawiyeen Mosque has been closely connected with the Arabic Language, with Islam, with the Islamic and Arabic knowledge handed down from father to son, and generally with what we call "the Islamic and Arabic characteristic past culture".

Moreover, if we look upon Morocco as a nation, we shall soon notice that it is an Arab one, that the language of the inhabitants is Arabic, that their religion is Islam and that the history of their culture and knowledge is closely connected with that of their ancestors whether they inhabited this very land or any other part of the Islamic Arab world.

Thus we see that the chief mission of the Qarawiyeen Mosque was to lay the foundations of the Arab community and the Arab nation in Morocco. It is therefore regarded as the centre of this national characteristic past culture that serves as a nucleus round which rotates the life of the Arabs whether in their guidance or in their struggle for existence in Morocco.

Al-Qarawiyeen Mosque, having achieved such a misson, or, in the least, preserved it from ruin or decay, has rendered an invaluable service to this Arab nation and simultaneously, to the Arabic and Islamic characteristic past culture in general.

It is not a disadvantage, however, that the Qarawiyeen Mosque, at a certain period, slowed down' remained stationary or was even confronted with obstacles and difficulties which it failed to overcome at times but succeeded to surmount many a time. This is not a disadvantage merely because this mosque did not slow down or remain stationary, nor was it at times overcome in the challenge, except for the good of this Arab nation and for the sheer benefit of the Islamic heritage. It does not matter either that the people of the Qarawiyeen Mosque were, and are perhaps still, exposed to bitter criticism and some defects pointed out. Suffice it that they were the force that helped the Qarawiyeen mosque to withstand the challenge, the

* If phonetically spelt, it is to be written thus : "Fass" according to the Arabic pronunciation.

AL-QARAWIYEEN UNIVERSITY
AND HOW FAR IT HAS PARTICIPATED

In the preservation of the characteristic past culture of Islam.

BY

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture Administration

Foreword :

It is taken for granted that the chief cultural fundamentals, of any community or of any nation, are mainly represented in the language of the people, the prevailing religion and in the common inherited humanities. The language, through words and expressions, conveys the highest types of values advocated by the religion of a community or a nation. It conveys, as well the facts of human knowledge bequeathed to the individuals of this community or nation, through the ages, by their ancestors. It was these high values, preached by the religion of the community or nation, that bound the guidance of the individuals, limited the mutual relations amongst them, and, at last, determined the common target which the individuals of the community tried hard to attain in their struggle in life.

Without a languague, without a religion, without inherited humanities, there would be no community, nor could a community or a nation be distinguished or characterised from another. The community which we mean here is the community of man, and by the word 'nation' we mean the 'home' of man. Taking this into consideration, a community or a nation is apt to be influenced by man's own characteristics. These characteristics which differentiate between one person and another are confined to his language, his way of thinking, his logic, his heart, his beliefs and his behaviour in life.

Al-Qarawiyeen Mosque and its influence on the Arab community culture

Now, if we seek to give a vivid idea of the part played by the Qarawiyeen Mosque which was founded

including the moorish strugglers and the upholders of justice from West Africa and from United Arab Republic. We urge you to hasten in putting an end to the Imperialism by being united and by responding to the Call of Allah to be joined together in the mutual teaching of truth and patience: "By declining Day, Lo! Man is in a state of ioss, save those who believe and do good works and exhort one another to truth and exhort one another to endurance".

We hope that you will banish away from the muslim society all the factors which dishearten the Muslim community, such as elements of relationship and tribalism, yielding to lusts, and supporting both, enemies of God and enemies of humanity.

O Brothers! Amongst you there are rulers, kings, scholars; and it has been destined that they will be brought before God, and they will be asked about their duties towards God, duties they did not perform and their duties towards humanity, duties they did not undertake.

"O ye who believe obey Allah and the Messenger when he calleth to that which quickeneth you". "O ye who believe choose not my enemy and your enemy for friends".

This is the word of Allah to which we call you hoping that you may respond, and hold fast to. If you do so, and keep doing good for humanity, God will reward you.

We ask God to give us his guidance and to give his guidance to the leaders of muslim Nation, so that justice and religion of Islam may prevail.

Peace may be upon you.

Mahmoud Shaltout.

Ibrahim Banias

Muhammad Abdul-Karim Al-Khattabi.

Muhammad Abd Allah Al-Khattabi.

8th Thel-Keada 1380

23 April 1961

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful

Joint Statement to the Islamic World

From

The Rector of Al-Azhar University, the Leader of Muslims in West Africa and the Prince Abdul-Karim El-Khattabi.

Praise be to God, the Lord of the worlds, and peace and blessing be upon the Prophet Muhammad and his followers.

Our Muslim brothers. Peace be upon you.

In the name of God and in the name of brotherhood, we, Abdul-Karim Al-Khattabi, Ibrahim Banias, Mahmoud Shaltout, and Muhammad Al-Khattabi, have held a meeting on the occasion of the departure of our brother in Islam, Shaykh Ibrahim Banias after his visit to the United Arab Republic.

Reviewing muslims'affairs and considering their present situation and what they have suffered from the opressive Imperialists, we are of the opinion that the one single call through which muslims can resume their illustrious past, is to give them the Word of Allah, which their predecessors were given in His saying: "And hold fast, all of you together, to the cable of Allah, and not separate". "O Ye who believe Take not for intimates other than your own folks, who would spare no pains to ruin you, they love to hamper you. Hatred is revealed by (the utterance of) their mouths, but that which their breasts hide is greater".

We all have already seen what the Imperialists have done, and we still see what they are doing, for the purpose of parting, scattering the peoples, and some other acts of such kind, which the honour and dignity of Islam cannot bear. The sufficient evidence we can simply give for their flagrant deeds and their bad faith, lies in what they are doing now at Algeria, in what they have lately committed in Palestine and in what they are preparing to suppress any voice rising for natural freedom bestowed by God.

O Brothers ! This is a call coming to you from such a group

within and from without, which the term "Colonialsm" includes. Nothing will put an end to this colonialism save the Arab Unity and Islamic League. So, the sustenance of this Bloc depends in realizing this Unity and, in strengthening this league.

As regards realizing Arab unity, it rests solely on the Arab freeman, and faithful reformer, Gamal Abdel-Nasser; who, for this mission was well-prepared by nature, and for its sake he devoted his soul, mind, and endeavour. And sooner or later the covetous greedy, and the supercilious colonialist will be banished away, and the Arab Nation will remain integral and strong.

As for trengthening the Islamic League, it will be due to the policy of the Islamic congress, which made legal by God, on the same day He ordained Pilgrimage. The congress that was prevented from being held in the past because of the stupidity and the conspiracy of foreigners, and because of division due to dependncy, relaxation, weakness and ignorance; which made the united nation disintegrate into so may small states; each has its own boundaries, custom-house, and policy: and each is being under command and patronage of foreigners.

But when God willed that His Nation (of Islam) which He created to follow the Via media amongst nations, so as to enjoin what is right and forbid what is wrong, He reminded it with His saying "And hold fast, all together by the rope which God (stretches out for you), and be not divided amongst yourselves; and remember with gratitude God's favour on you; for ye were enemies and He joined your hearts in love, so that by His grace, ye became brethren". Then, the hearts of the muslims inclined to one another; the hands of them held together; and the situation demanded the voice which should awaken and excite people; and of the congress which would pay response and guidance. The Nation of Muhammad responded to the Call of Truth and abandoned false and dishonest leaders, who misled the nation, directed it to the mirage and, push it into the abyss.

Now there is no alternative for these so-called leaders, except to come back to their position in the line, and return to the right way. By so doing, the Unity will be fulfilled and the parts of the community will be welded; then it will be able for the Islamic Bloc to realize the meaning of "Middle way" by which, it was described by God in His Book; and then the Islamic Bloc will be a measure of peace between the East and the West, and a mercy for the whole world.

League. Through this Unity and this League, the Third Bloc will be so powerful that it can retrieve with God's help, the world which was dispersed by greediness and war. It would then repair the world and its wounds. That, is because this Third Bloc which was based upon the unmixed beliefs, occupies the most blessed place on the earth, includes millions of people, watches over the first resources of economy, has faith in the ideal spiritual morals of society, and has brilliant deeds in the pages of history. With its religious rules and secular principles, the Third Bloc is the most suitable measure to inculcate love in hearts, and estabishing peace on earth. This is because its political and social systems were made by God who put them by His saying "The believers are but brothers." For, these systems, god ordained the Pilgrimage to be a congress; to make them fast; and made the Califate as an eternal bond to fasten them. These systems are suitable for every time and place. They resolve disputes arising between peoples; profess the Unity of god, placing no partner to Him; include all revelations ordained by god, without differentiation between the prophets; and finally fraternize all people in the spirit and in the faith; not in race nor in nation. They equalize all brethren in rights and puties so that there will be no distinction between classes, races, and colours. They appropriate the wealth of the rich, recognized dues which he must pay, willing or unwilling, so as to adjust the balance of justice. They submit the government to the mutual consultation between intelligent persons so that no tyrant could rule and no obstinate could halt any progress. They set free the mind, soul and spirit. They do not confine notion nor consideration. They do not accept the traditionalism or slavery. They ordered their followers to be just and tolerant with those who disagree with them in their religion or in their opinion. They connect the religions with the life to make consciousness, the superior force in the dealings; the belief, the creative influence in the conducts.

The Islamic Bloc is a force for peace

In short, these systems referred to, are the systems which would realize human Unity, for, it does not acknowledge party-spirit, racialism, nor nationalism. Instead, it does create brotherliness in belief, superiority in doing well, and co'operation in nothing but righteousness and piety.

The Islamic Bloc exists by virtue of the unity of its nations, the joint history, the one single religion and the prevailing language. And if it happened that parts of this Bloc grew weak or disintegrated, that, would be due to some factors from

East, so as to assert their supremacy. The Americans constitute obstructions before the Russians, to appropriate the East for themselves only. The muslims and Arabs of Asia and Africa are raising their voices complaining of injustice, raging for the sake of dignity, struggling for their rights and calling for freedom struggles; but their call for struggle is drowned in the noise of the other Blocs just as a gentle breeze when it goes in the sad jungle.

It is amazing that the outbreak of colonial war and the struggle of the great Blocs, have no field to take place on except where the Arab own and the muslim live; as if the Arab and muslims became a pillage to every marauder. Are not these people the ancestors of these former invadors for whose reign the age was subjected, and in their empire the world was included? It is not that the Islam which they are embracing now, is the same Islam of that former Abbasid caliph who, once, looked at the rain clouds driven by the wind to the extremities of the earth, then he said: " Rain where you wish, your fruit will be of mine." ? The muslims of today are indeed the ancestors of those predecessors; but the Islam they are now professing is no longer the Islam of that caliph. It is a remainder of the first Islam decayed and ended to be silly mysticism, who intoxicated with it, do not awake from their nap nor do they get rid of indolence. He does not care, to reach his object whither he was ridden upon his back or pulled on his pace.

The mean-spirited and narrow-minded, exploited and misinterpreted religions and seiences to suit their own ends, and they placed much reliance on superstitution belief, And thus we saw that the evolution of chemistry, has appointed its research to seek for what so-called Philosopher Stone; and the evolution of astronomy turned it to be something like sorcery and fortelling events via observing the stars and their positions. This change which has affected these two sciences, is similar to that which has happened to Islam. In Islam, we saw that the belief of Fate has been misinterpreted, until the people while yeilding to Destiny, neglected the precaution. They gave up endeavouring themselves depending upon this verse: "Verily never God change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls). But when (once) God willeth a people's punishment there can be no turning it back, nor will they find beside Him, any to protect ".

Then, the return to the orijinal Islam, is the one single way which leads to establishing and ensuring the Arabic Unity, and this is the chief cause for founding the Islamic

THE ISLAMIC BLOC IS A FORCE FOR PEACE AND MERCY

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief



The struggle for sovereignity and supremacy in the world has led to the excistence of two great Blocs, namely the Eastern Block or Commuism led by Russia and the Western Bloc or rather Capitalism led by the United State of America. These two Blocs hold contradictory views to each other and thus in their goals. As a matter of fact there is nothing in common between them except that they compete with each other to dominate the world and seek to conquer space. In their endeavour to conquer space and be unique in this feat, the two Blocs are preparing space rockets and spaceships, using their enormous resources of wealth and science, exploiting people, controlling nature and spreading terror.

Today there is no other Bloc which stands dignified, between these two Blocs except the third Bloc which obtains its guidance from the Light of God. This light is neither limited by a certain area nor concealed behind a veil, but it spreads a permanent brilliance, and is well illustrated by the following verse:

God is the Light of the heavens and the earth, the parable of His Light is as if there were a Niche, and within it a Lamp : The Lamp enclosed in Glass : The Glass as it were a Brilliant Star : Lit from a blessed Tree, an Olive neither of the East nor of the West, whose Oil is well-nigh luminous, though fire scarce touched it : Light upon Light ! God doth guide whom He will to His Light".

It is quite apparent, when one nowadays listens to the Radio or reads the newspapers, that this struggle has reached immense proportions and the Part played by the three Blocs have been spotlighted into prominence. The rest of the nations are merely witnessing the struggle that is taking place in an arena, just as spectators, jesters, or gamblers.

The Russians are desiring to spread out in the open fields of the



مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثاني — صفر سنة ١٣٨١ هـ — يولية ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الثورة الرابعة تتحقق

بقلم : أحمد حسن الزيات

قلت في عدد جمادى الأولى من سنة ١٣٨٠ أن الجمهورية العربية المتحدة تعيش اليوم في ثورات ثلاث : ثورة سياسية تحقق الحرية وتثبت الاستقلال على الوحدة والحيدة، وثورة اجتماعية تحقق الديمقراطية وتبني المجتمع على المساواة والتآخي، وثورة اقتصادية تحقق الاشتراكية وتقيم الثروة على العدل والتعاون . وهذه الثورات الثلاث هي جماع القوى العاقلة العاملة للشعب أخرجتها من الكمون والسكون والتعطل يد مصرفة حازمة، تحكم لتصلح، وتهدم لتبني، وتحرث لتزرع : ولكن هذه القوى الثائرة المعمرة لا تستطيع وحدها مهما تنشئ وتنتج أن تكفل لابن آدم المتمدن المجتمع الذي يجدر به ويليق له . نعم تستطيع الثورة أن تلين الحديد وتزرع الصخر وتقهر النيل وتنشر المعرفة وتبسط الرخاء، وتيسر الأداة والحياة للعامل والفلاح، وتوفر القوة والعدة للجيش والشرطة ؛ ولكنها لا تستطيع أن تضع التقوى في القلب الأغلف،

ولا أن تبعث الحياة فى الضمير الميت ؛ بدليل أننا أصبحنا فى مدى تسع سنوت أمة على وجه الأرض وفى جهة الركب ، نقول فنسمع ، ونطلب فنجاب ، ونعمل فنجد ، ونزرع فنحصد ، فى ظل حكم ديمقراطى عادل ، ونظام اشتراكى معتدل ، يضمنان للفرد ساعدة الكل ، ويكفلان للكل مساندة الفرد . ثم لا يزال فينا المرتشى والمختلس واللص والمزور والمستهتر والهدام والمنافق والخائن ، فلا بد إذن لهذه الثورات الثلاث من ثورة رابعة تقوم لهن مقام الروح الملهم والشعاع الهادى ، هى الثورة الدينية .

وليس لفظ الثورة نابيا على معنى الدين ولا مجافيا لروحه ؛ فإن الإسلام فى حقيقته وطبيعته ثورة مستمرة : ثورة على الفساد والشر ، وحرب على البغى والعدوان ، وما دامت هذه الكبائر فى الأرض فالثورة دائمة والحرب قائمة . إنما نريد إذكاء شعلتها وإعلاء سناها ، لتجد فيها ثورتنا العامة القبس الذى يحييها بحرارته ويهديها بنوره .

وهذا المصلح الناصر الذى أرسله الله على فترة من المصلحين ليجدد ما اندرس ، ويبين ما انطمس، ويقيم ما انهار، هو الذى يستطيع أن يرفع الإعجام عن كلمة الله ، ويدفع الإبهام عن رسالة محمد ، بإذكاء هذه الشعلة ووضعها فى مخطط السنين الخمس من سنى الإصلاح الثورى ؛ فإن النص فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لا يتحقق معناه إلا إذا كان للدين الأثر الفعال فى التربية والتعليم والتشريع والسلوك . والأزهر بفضل ما مكن الله له فى التاريخ . وهيأ له من الموضع ، وأتاح له من الكفاية ، أقدر ورّاث النبوة على تبليغ الرسالة العظمى ، وتوحيد الأمة الكبرى ، إذا تسنى له أن يؤدى رسالته على المرسوم الذى رسمته الثورة ، وبالمفهوم الذى أعلنه الاتحاد القومى فى مؤتمره العام للسنة الماضية [1] .

كنا على هذا النحو العلمى المأمول نفكر ، وكان الرئيس جمال على نحوه العملى الواقعى يدبر ، فرأى كما رأى المصلحون من قبل ، أن العالم لا يصلح إلا بالدين ، وأن الدين لا يتجدد إلا بالأزهر ، وأن الأزهر

---

(١) وهذا هو نص القرار : « يعلن المؤتمر — إيمانا بالدور الخطير الذى يؤديه الأزهر الشريف فى معركتنا المقدسة دفاعا عن عروبتنا وقيمنا الروحية — تمسكه بضرورة العمل على دعم هذا المعهد الإسلامى الجليل حتى يستمر منارة ترسل أشعتها العلمية والروحية إلى أرجاء العالم — وتمكينا له من مسايرة تطورنا الحاضر — يوصى المؤتمر بضرورة العمل على أن تؤمن للأزهر الوسائل ليكون أداة صالحة لخدمة أهدافنا الروحية والقومية من تحرير الوطن العربى وتحقيق وحدته الشاملة فى إطار مفهومات القومية العربية » .

متى استكمل أداة التعليم وساير حاجة العصر، نهض بالشرق نهضة أصيلة حرة، تنشأ من قواه وتقوم على مزاياه وتتغلغل فى أصوله. ذلك لأن ثقافته المشتقة من مصدر الوحى وقانون الطبيعة متى اتصلت بتيار الفكر الجديد تفاعلت هى وهو، فيكون من هذا التفاعل ما يريد به الله تجديد دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره.

ثم رأى كما رأى المصلحون من قبل أن خمسة وأربعين ألفاً من شباب الأمة فى الأزهر، فيهم مواهب وعليهم تكاليف ولهم مستقبل، فمن حقهم أن يتعلموا ليعيشوا ما دام الإسلام لا يتبنى الرهبان ولا يبتنى الأديرة. ولن يستطيعوا أن يعيشوا إلا إذا نزعوا بأنفسهم عن معرة التخلف، وشاركوا فى علوم الحضارة وسايروا عقلية العصر وأرادوا الدين للدنيا، وطلبوا العلم للحياة. ثم وضع على أساس ما رأى وعلم قانون الأزهر الجديد الذى تقرأه فى مكان آخر من هذا العدد، فجعل به الجامع جامعة، والدين سبيلا، والعلم دليلا، والعلماء قادة. ثم مكن له بإنشاء المجمع العلمى للبحوث الإسلامية أن يحرر العقل من التقليد الأعمى والتسليم العاجز، وأن يطهر السنة من الأحاديث المكذوبة والأقوال المشوبة؛ وأن يطور الشريعة فى حدود ما أنزل الله وبلغ الرسول؛ وأن ينقى العقيدة من المذاهب الباطلة والبدع الضارة، وأن ينشر الإسلام الصادق الصافى على الناس فى معرض واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم.

ثم أتاح له بما أضاف إلى كلياته الإسلامية والعربية كليات مدنية أخرى للمعاملات والإدارة والهندسة والصناعات والزراعة والطب أن يسند بيد الله أيدى العاملين فى بناء المجتمع الصالح، ويشارك بتقوى الله فى تفريج أزمة الضمير، فيخرج العالم المجتهد الذى يجعل من فقهه رسالة ومن بيانه دعوة، والطبيب الذى يجعل من عيادته عبادة ومن مرضاه إخوة، والمهندس التقى الذى يجعل من عمله جهاداً ومن خلقه قدوة، والموظف المتدين الذى يؤثر رضا ربه على رضا نفسه فى كل نزعة أو نزوة. وهذا هو الإصلاح الجوهرى الشامل الذى تمنى بعضه أئمة الأزهر الأربعة المصلحون من الإمام محمد عبده، إلى الإمام محمود شلتوت، فلم يجدوا من أصحاب الحكم والسلطان سبيلا إليه ولا معينا عليه، وكأن الله رب الأزهر قد ادخر نعمة تحقيقه لرئيس الدولة جمال، ونعمة تطبيقه لشيخ الأزهر شلتوت. ذاك لإخلاصه وصدقه وجهاده، وهذا لعلمه وورعه واجتهاده، وهما نعمتان

سيكون لها فى تاريخ الإسلام شأن أى شأن ، وفى مستقبل العروبة أثر أى أثر ، وستكون مشيخة شلتوت للأزهر عنوانا بارزا فى تاريخه ، يفصل بين ماض كان محدود الأفق محصور المجال ، لا يجد أهله ميسور الرزق ولا موفور الكرامة ، وحاضر سيكون رحب الجوانب واسع المضطرب ، يتمتع فيه أبناؤه بالمساواة فى الحق والواجب ، ويتكرم به علماؤه بالمشاركة فى الخدمة والإنتاج . يندمجون فى الشعب ولا يعيشون على هامشه ، ويتغلغلون فى البيت ولا يقفون ببابه ، ويتقدمون الركب ولا يسيرون فى ساقته .

لم يعد للمصلحين ما يرجونه ، ولا للأزهريين ما يشكونه . لقد ظفروا لجامعتهم الخالدة فى يوم وليلة بما طالما استرسلوا بآمالهم إليه وحاموا بنفوسهم عليه : ظفروا بالأصل الذى يرسو فى أعماق الغابر ، وبالفرع الذى يتشعب فى آفاق الحاضر . بالقديم الذى يحفظ التراث فلا يتبدد . وبالجديد الذى ينمى الموروث فلا يتضاءل .

لم يبق إلا أن يثبت الأزهريون ـ وسيثبتون على ما أعتقد ـ أنهم أجدر بهذا النظام وأذكر لهذه النعمة وأشكر على هذا الفضل . وخير الذكر والشكر ما صدرا عن يقين ووردا على فعل . والقول المؤمن إذا صحبه العمل الصالح لا يدع محالا إلا أمكن ، ولا بعيدا إلا دنا ، ولا ناقصا إلا استكمل .

فنجاح هذا النظام أوله وآخره فى أيديهم . هم الذين سيضعون المنهج ويؤلفون الكتاب ، وهم الذين سينفذون القانون ويطبقون اللائحة . فإذا ساروا بالإصلاح الجديد على الخطة القديمة ، فلم يغيروا إلا فى الصور ، ولم يبدلوا إلا فى العناوين ، كان قانون الأزهر بين أيديهم أشبه بدستور ما قبل الثورة بين الأحزاب ، جمع أحدث الآراء من دساتير الأمم ثم كان بين حقيقة وضعه وباطل تطبيقه كالمصحف فى بيت الزنديق ، أو كالمصباح فى غرفة الأعمى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

إن قصارى ما أقوله اليوم فى هذا التطوير الشامل الكامل للأزهر أنه يحقق ما تمنيناه وتمناه معنا المخلصون لدين الله ولغة كتابه وسنة نبيه وفقه شريعته : به يحتفظ الأزهر بقديمه ويشارك فى جديد الناس . وبه تمحى الفروق المعنوية والمادية بين طلابه وسائر الطلاب . وبه تتحقق وحدة الثقافة وتتقطع أسباب الفرقة ويسهم الأزهر فى شركة المدنية وقيادة العالم ؟

أحمد حسن الزيات

من وحى الهجرة

للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

أيها المسلمون :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :

فإن أعظم الذكريات وأقوى الأحداث التى كانت سببا فى انتشار النور الإلهى وإشراق الحق واحتجاب الباطل هو حادث الهجرة الذى قام به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الأخيار من مكة مهبط الوحى إلى المدينة رباط العزة وحلف الجهاد الحق والعمل الصالح .

هذه الهجرة التى صار لهم بها جوار غير الجوار عقدوا معه معاهدة الأمن والسلام ، وبذا اكتملت لهم عناصر الوجود الدولى فيما بينهم ، بتشريعات داخلية بنت مجتمعهم على عمد قوية ثابتة ونظمت معاملاتهم على أساس من العدل والمساواة فيما بينهم وبين غيرهم .

لقد كانت الهجرة هجرة قلوب قبل أن تكون هجرة أبدان . وعند الله سبحانه وتعالى لا تقع هجرة الأبدان موقعها إلا إذا كانت تلبية لهجرة القلوب ، وهكذا كانت هجرة الرسول وصحبه .

ولقد نوه القرآن الكريم بحادث الهجرة : فذكر الدرجات التى أنعم الله وينعم بها على المؤمنين ، واعتبر الهجرة فرضا دينيا ، وواجبا كان مصير من تخلف عنه - مع قدرته عليه - مصير من ترك الفروض الدينية من عقائد وعبادات : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا » .

والهجرة فى واقعها ضم للعناصر المجاهدة بعضها إلى بعض ، فهى نوع من التكتل الذى تنجح به الأمم وتقوى ، ولقد تكتل المهاجرون ، أبناء مكة ، مع الأنصار سكان المدينة ، وكونوا جميعا كتلة واحدة قوية ، زعزعت حصون الشرك ، وثلت عروش الوثنية ، وأقامت الحق على قواعد مستقرة

راسخة فى أجواف الأرض ، لا تتزعزع ولا تضعف ، وكانت الهجرة فى القرآن الكريم نصرا من الله لرسوله والمؤمنين .

وفى هذا يقول الله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

أجل لقد كانت إيواء ونصرا وتأييداً وفتحا مبينا .

إن الهجرة تملى على دعاة الخير والفضيلة - دعاة الإيمان والحرية ، دعاة الحق والعدالة ، دعاة الأمن والسلام - واجبهم فى مكافحة الشر والعدوان ومحاربة الوثنية والعبودية ، ما دام فى البشرية قلوب تنبض بالإيمان ، ولسان يلهج باسم محمد بن عبد الله .

إن حادث الهجرة صدى اتجاه الناس عن سبيل الشر والشقاء إلى سبيل الخير والسعادة وإنه لمن نتائج الهجرة أن نبذت قلوب المؤمنين عبادة الأوثان والأصنام ، واتجهت إلى عبادة خالقها ، والاستعانة ببارئها ، وأخذت تلتمس النجاة والتحول إلى الحق بعد الضلال ، وإلى النور بعد الظلام ، وإلى الحرية بعد الاستعباد والاستغلال ، وإلى القوة بعد الضعف ، وإلى الغنى بعد الفقر ، وهكذا إلى كل مبدأ من مبادئ الحياة الطيبة ، وإلى كل عنصر من عناصر الأمن السائد .

إن الداعى إلى الجديد لابد أن يعادى ، خصوصا إذا كان ذلك الجديد مما يمس العقيدة والخلق والعادة ، فإن النفوس البشرية قد أشربت حب ما نشأت عليه وتوارثته عن الآباء من عقائد وأخلاق وعادات .

وهكذا كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم مثار العداء من قريش لأنه حطم الوثنية التى كانوا يؤمنون بها ، والعقائد التى ساروا فى ظلالها . ومن واجب التأمل فيما كان من عمل الرسول أن نحذو حذو هذه النفوس العالية التى أبت أن تقيم على ضيم وأن تعيش فى ذل وخافت على غرسها الذى غرسته فى أرض لم تستطع أن تخرجه فتحولت بهذا الغرس إلى الأرض الطيبة الصالحة التى ينمو فيها النبت ويزكو فيها الزرع ، اقتداء بقوله تعالى : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا » .

وهكذا تبدت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم عامة . لم تكن خاصة بقبيل دون قبيل ، ولا بمكان دون مكان ، بل كانت دعوة للناس

كافة فى الغرب وفى الشرق. كانت دعوة لأبناء مكة ولأبناء المدينة ، دعوة الأقطار جميعا .
وإذن فما على أصحاب دعوة الحق إلا أن يعملوا على نشر دعوتهم وتثبيتها على دعائمها الطيبة القوية بأن يهيئوا للمبادئ والمثل المجتمع الصالح الذى يعى ويتقبل ويفهم ، فيؤمن ويعمل ويعمق فى الإيمان فيبذل ويضحى .

وهكذا تنجح المبادئ وتقوم على دعائم قوية وأسس سليمة .

هذا — والمعانى التى يجب أن تمتلئ بها نفوس المؤمنين كلما ذكروا الهجرة وقلبوا التاريخ وعرفوا الأسباب وفهموا الآثار التى ترتبت عليها — هى أن ينظروا إلى المبادئ وما حوت ، وإلى المثل التى تحتاجها الإنسانية كلما حزبها أمر، أو اشتد بها ضيق أو نزل بها عنت أو تحكم فيها مستبد .

فيأيها المسلمون — حرروا قلوبكم من تعظيم غير الله يضعف أمامكم الجبارون ، حرروا أخلاقكم من كل ما يشينها تملكوا على الناس قلوبهم ، حرروا نفوسكم من الملل والجزع واليأس وانشروا دعوة السلام فى الأرض تسلم لكم الدعوة ويستقم لكم الأمر ؛ فكم من دعوة حق اضمحلت وزالت بفقد أسلحة القوة ، وكم من دعوة ظالمة راجت سوقها بالصبر المادى والتمويه العالمى ، وما راج سوق الاستعمار والبغى إلا بالاعتماد على الصبر وإن كان ماديا ، ولكن البقاء الدائم لا يكون إلا لدعوة توافرت فيها هذه الأسلحة جميعا كما توفرت فى شخص صاحب الهجرة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أشبه عيد الهجرة اليوم بأصله بالأمس، فقد تجمعت فى أصله قوى الإيمان فزعزت قوى الشرك والباطل وها هى اليوم تتجمع قوى الحرية بتزاور الداعين إلى الحرية وتعاهدهم فتزلزل قوى الاستعمار والظلم « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

والله الموفق والمستعان .

محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

الظرف في اللغة العربيّة

للأستاذ عبّاس محمود العقاد

يستخدم الظرف فى اللغة - كما يدل عليه اسمه - لبيان الظروف التى تحدث فيها الأفعال والتمييز بين « كيفيات » وقوعها أو توقيعها .

ويستدل علماء اللغات ، بكثرة الظروف فى لغة من اللغات ، على أن المتكلمين بها يدركون الحوادث على كل صورة من صورها ويديرون النظر على كل وجه من وجوهه ، ولا يقصرون إدراكهم للحادث على صورة واحدة يكتفون بها ثم لا يخطر لهم أن يحيطوا بها على حسب تعدد جوانبها وتفاوت وجهات النظر إليها .

وقياسا على هذا يقارنون بين كثرة الظروف فى اللغات الهندية الجرمانية وقلتها فى اللغات السامية - وعلى رأسها اللغة العربية - فيرجعون بذلك إلى اختلاف أصيل بين المتكلمين بهـــذه اللغات فى النظر إلى الأمور والإحاطة بجوانب الحوادث واحتمال الظروف الممكنة لكل حادث منها غير ظرفها الواقع الذى هى فيه .

ولا جدال فى كثرة الظروف فى اللغات الهندية الجرمانية وقلتها فى اللغة العربية .

أو الصواب - على الأصح - أن تكوين الظروف فى اللغات الهندية الجرمانيـة سهل مستطاع لكل متكلم بها ولو لم تكن لتلك الظروف كلمات خاصة بمعناها ، فإن الظرف يتكون من الاسم ، أو من الصفة ، بإضافة مقطع صغير إليه ، ويوشك أن يكون عدد الظروف - من ثم - مساويا لعدد الأسماء والصفات .

وليس الأمر كذلك فى ظروف اللغة العربية ، فإن الكلمات التى تسمى ظروفا محدودة معدودة للزمان والمكان ، ولا خلاف فى قلة هـذه الظروف بالنسبة إلى الظروف التى يتيسر للمتكلم أن يستخدمها فى بعض اللغات الهندية الجرمانية .

ولو وقف الأمر عندذلك لصح - فعلا - أن قلة الظروف دليل على ضيق أفق التفكير وعجز العقل عن تصور « الكيفيات » والأشكال التى تحيط بالحادث وتجعله قابلا لكثير من الأوضاع تختلف قوة وضعفاً ، وظهوراً وخفاء ، واستقامة والتواء ، واطراداً

وشذوذا ، على حسب الفاعلين ، وحسب الأوقات ، وحسب الأحوال على الإجمال .

ولكن هل حقٌّ ما يقررونه من الفارق الكبير بين عدد الظروف فى لغتنا وعدد الظروف فى اللغات الهندية الجرمانية ؟ .

نقول ، عن ثقة ، إنه غير حق ، وإن الخطأ هنا فى أسلوب المقارنين لا فى قواعد المقارنة الصحيحة بين اللغات . وقد أشرنا فى مقالنا الآخر بهذا العدد إلى علة الخطأ فى أساليب بعض المقارنين بين الأديان ، ونرى من الفرصة الحسنة أن نشير بهذا المقال إلى خطأ يماثله عند بعض المقارنين بين اللغات ، وكلاهما يرجع إلى سبب واحد : وهو الأخذ بالظواهر والعناوين وإغفال الجوهر الثابت وراء الأعراض والقشور .

إن الكلمات التى تسمى ظروفا فى إعراب اللغة العربية قليله بالقياس إلى اللغات الهندية الجرمانية ما فى ذلك خلاف .

ولكن الوسائل اللغوية التى تؤدى معنى الظرف أوفر وأوسع فى لغتنا العربية من كل لغة هندية جرمانية نعرفها أو نستطيع مراجعتها .

إحدى هذه الوسائل أن اختلاف كيفيات الفعل ودرجاته متحقق من وفرة الأفعال التى تؤدى معنى كل فعل على أشكاله .

فإذا تحدث المتحدث عن هبوب الريح ففى وسعه أن يقول : إنها نسمت أو خفقت أو سرت ، أو هبت ، أو عصفت ،أو قصفت ، أو تهزمت ، إلى أشباه هذا الترتيب فى القوة والتأثير . . فيستغنى عن قول القائل بلغة هندية جرمانية : إنها هبت بقوة ، أو هبت بلطف ، أو هبت بصوت عنيف ، سواء أدى هذا المعنى بإضافة علامة الظرف أو بإلحاق الجار والمجرور .

وإحدى هذه الوسائل أن التضعيف والزيادة عندنا يؤديان معنى الفعل على درجات وأشكال يستغنى بها المتكلم عن الظروف ، فعندنا ـ مثلا ـ فتح وفتح بتشديد التاء ، وافتتح ، واستفتح . وفاتح ، وما يلحق بها من الأفعال المطاوعة تغنى المتكلم العربى عن أداء درجات الفعل وأشكاله بإضافة علامات الظرف إلى الصفات أو إلى الأسماء .

ومن وسائلنا أن صيغ التفضيل عندنا معروفة بأوزانها ولا حاجة بها إلى العلامات التى تؤدى معانيها باللغات الهندية الجرمانية .

فعندنا « جميل وأجمل والأجمل » تغنى المتكلم عن better, most, more, best, وما يماثلها أو يقابلها من أدوات المفاضلة بين الصفات أو الأفعال .

وعندنا الفرق بين مفضول ومفضل تغنى عن بعض الظروف ، كما يغنينا عن بعضها كل فرق عندنا بين اسم المفعول والصفة

المشبهة وبين الفعل الذى يدل على الأخلاق الملازمة والفعل الذى يدل على التخلق أو الأخلاق العارضة .

ومن وسائلنا « الحال » مفردا أو جملة - أو جاراً أو مجروراً متعلقين بمحذوف أو مذكور .

فأنت تقول « أقبل مبتسما » ، وأقبل يبتسم وأقبل وهو يبتسم ، وأقبل فى ابتسام ، وتترقى بالابتسام - مع قوة الفعل - من ابتسم إلى هش ، إلى استبشر ، إلى تهلل ، إلى ضحك إلى قهقه ، إلى أغرب ضاحكا ، كما تستطيع أن تحقق هذا التعبير فى ألوف من الكلمات غير كلمات هذه المادة قابلة مثلها للتعبير عن مختلف الظروف والدرجات والأشكال .

ومن وسائلنا « المفعول معه » وهو ظرف بكل معانى الظرفية فى اللغات الهندية الجرمانية ، وقولك « سار والجبل » أو سار والليل هو تعبير عن ظرفية المكان والزمان يؤديه أبناء اللغات الهندية الجرمانية بظروف عدة لا تزيد على معنى هذا المفعول .

ومن وسائلنا المفعول المطلق موصوفا وغير موصوف ، فى وسعنا أن نقول : « اندفع اندفاعا » لتوكيد قوة الاندفاع ، وأن نقول « اندفع اندفاعا شديداً » أو اندفع اندفاعا موقتا أو مضطرداً أو متلاحقا للتعبير عن معانى الظروف التى يعبرون عنها بالمقاطع والإضافات .

وليس باللازم فى لغة من اللغات أن يكون الظرف باب واحد من أبواب الأجرومية ، أو علامة واحدة من علامات النحت والاشتقاق وكل ما يلزم اللغة ويحسب عليها أن تؤدى معنى « الظرفية » بعبارة من عباراتها الصحيحة وأن تعطى العربى كلاما بلغة أخرى فينقله إلى العربية نقلا سليما يطابق مدلوله ولا يقصر عنه ، وقد تكون سعة الوسائل وتنويع الأدوات والعلامات أدل على ثروة اللغة ومرونتها ومطاوعتها لمواضع التعبير على مقتضى الحال .

ولست أذكر فى اللغة الأجنبية - التى أفهمها فهما أفضل من فهمى لغيرها - وهى الانجليزية أننى قرأت عبارات الظروف نثراً أو شعراً ولم أجد لها مقابلا يطابقها أحسن مطابقة بوسيلة من الوسائل التى أشرنا إليها .

فالمعول إذن على قوة التعبير اللغوى وليس على عنوان باب من الأبواب فى كتب الأجرومية ، وقد نرى أن نظرة عاجلة إلى قصة يقصها عربى عن إنسان أو حادث أو مكان تكفى لتصحيح الخطأ السريع فى مقارنات بعض اللغويين الآخذين بالقشور والعناوين ... فإننا لا نقرأ إحدى هذه القصص إلا أدركنا من كلماتها الأولى مبلغ حرص الراوية على تحقيق « الظرفية » بجميع ملابساتها وعوارضها الزمنية أو المكانية

(البقية على الصفحة التالية)

الحضارة الإسلامية

تقاس بالكيف دون الكم

للأستاذ الدكتور محمد البهى

ليس كل عمل فكرى أو تصورى أو فنى أوسلوكى يصدر من الإنسان يسهم فى الحضارة الإنسانية ، وإنما ذلك العمل وحده الذى يصدر من الإنسان ممثلا لخصيصة من الخصائص الإنسانية ويتميز به الإنسان لأنه إنسان ، هو الذى يكون أو ينمى رصيد الحضارة البشرية .

فالعمل الفكرى الدقيق ، والتصور الرفيع والفن فى صورته العاليه ، والسلوك فى رشده واستقامته ، هو أساس الحضارة الإنسانية والعامل فى نموها أو تقدمها ؛ لأن فى كل واحد منها يتجلى جهد الإنسان ، وتتجلى إرادته ، كما يبدو فيه أن الانسان ذا فاعلية ، خرج عن التأثر وأضحى مؤثراً : مؤثرا بفكره وبتصوره وبفنه وبسلوكه فى التوجيه والتعبير معا . والتوجيه والتعبير عندئذ له صلاحية تتجاوز الدائرة التى وجد ونشأ فيها المفكر أو الفنان أو صاحب السلوك الإنسانى .

(بقية مقال الظرف فى اللغة العربية ص ١٣٨)

أو النفسية فهو يتكلم عن بطل القصة ويذكر هيئة لقائه ومنهج حديثه وملامحه وهو يقبل أو يعرض أو يتجهم أو يطرق إطراق التأمل أو الارتياح ، ولا نذكر أن قصة رويت بلسان عربى لم تشتمل على جملة من الكلمات التى إذا نقلت إلى اللغات الأجنبية نقلت « ظروفا » كأحسن الظروف فى تلك اللغة دلالة على الأحوال والأشكال . وضمان المقارنة الصحيحة فى هذه الحالة أن تترجم الكلام العربى إلى كلام أجنبى فترى أن « الظروف » طرأت على الترجمة لتحل فيها محل المعانى العربية ولا تزيد عليها شيء أصيل فى لباب الكلام .

وعلى مثل هذه المقارنة « الجوهرية » يصح الحكم على نقد اللغات والموازنة بين القواعد والأجروميات : ولا لوم على المقارنة بين اللغات ولا بين الأديان ، وإنما اللوم على المقارنين كلما تركوا الحقائق ووقفوا عند العناوين ؟

عباس محمود العقاد

وهنا يمكن أن يقال : إن الحضارة الإنسانية هى مجموعة من القيم الإنسانية وضعها الإنسان بخالقيته أو توصل إليها بالجانب الإنسانى فيه وحده، ولها الصلاحية والاعتبار فيما وراء المجتمع أو البيئة التى وجد فيها صاحب الخالقية أو ذلك الذى بنى وأسهم فيها .

وكلما كان تفكير الإنسان ، أو تصوره ، أو فنه ، أو سلوكه أوسع شمولا فى الاعتبار والصلاحية فى التوجيه ، كلما كان أدخل فى الإسهام فى الحضارة البشرية أو فى تقدمها ونموها .

وإنتاج إنسان — لهذا — يتميز أو يختلف عن إنتاج إنسان آخر ، سواء فى الفلسفة أو الشعر أو الرسم والتصوير والنحت والتمثيل والموسيقى ، أو فى القانون . وأساس الاختلاف أو التميز حينئذ ليس هو كم الإنتاج ، بل نوعه وكيفه .

ويمكن أن يقال أيضا : إن الفلسفة التى توجه نحو العنصرية وتفضل جنسا من البشر على جنس آخر منه ، وتلك الأخرى التى تدعو إلى الحيوانية والسخرية من القيم الإنسانية لا تقوم عليها حضارة بشرية أو هى أقل فى الإسهام فى هذه الحضارة من فلسفة أخرى تدعو فى توجيهها إلى تقويم الخصائص الإنسانية أينما وجدت فى أفراد أو فى شعوب. والشعر الذى يمجد أمة أو فرداً أو أفرادا لأنها أمة بعينها أو فرد بذاته أو أفراد فى مجوعتهم — وليس لخصائص أو لقيم إنسانية تتمثل فى تلك الأمة أو ذلك الفرد أو أولئكم الأفراد — قليل الحظ فى بناء الحضارة الإنسانية ، وربما كان من عوامل ضعفها أو فنائها ، والفن فى أنواعه العديدة الذى يثير الإنسان ويدفعه نحو تقويم الجانب الحيوانى فيه ، أو نحو تقويم الشعوبية هو فن بعيد عن مقياس الحضارة ، وبالتالى بعيد عن الاتصال بها فى قيامها أو استمرارها . والقانون الذى لا يؤسس على الحرية الفردية والعدل بين أفراد المجتمع ورعاية السلوك الإنسانى الرشيد فيه — وكلها قيم إنسانية — شأنه ألا يتجاوز دائرة واضعه ، وليست له الصلاحية فى التوجيه الإنسانى العام ومن ثم ليس له الطابع الحضارى الإنسانى .

* * *

وإذا انتقلنا من هذه المقومات إلى الإسلام - كمصدر فى توجيه الإنسان - نجده يقدر الكيف والنوع ، أكثر مما يقدر الكم ، نجد صلاحيته فى التوجيه لا تقف عند قبيلة أو شعب أو جنس بعينه ، وإنما للإنسان أينما وجد ، وللشعوب مهما كان بينها من فوارق اللون ، أو المكان ، أو الزمان .

نجده يقدر الكيف والنوع فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » . وقوة المؤمن ليست فى قوة عضلاته بقدر ما هى فى قوة قلبه بالإيمان ، وقوة عقله بالمعرفة ، وقوة إرادته بالسلوك المستقيم . وهنا يمكن أن يكون قول الله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ؛ بأنهم قوم لا يفقهون » . موضحا لهذه القوة ؛ فالصبر الذى جعل أمارة على القوة حتى يكون العدد القليل المتحلى به أشد تفوقا على العدد الكثير الذى لم يكن له هذا الوصف ـ هو قوة نفسية وليست قوة مادية .

ونجد الكيف أيضا واضحا فى تقدير الرسول عليه الصلاة والسلام عندما يقول : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » . إذ لا شك أن الكم هنا قليل الاعتبار فى مواجهة النوع.

وبعد ذلك نجد القرآن الكريم فى قوله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ـ يحدد أن الطبيعة البشرية هى الطبيعة البشرية فى أى شعب أو مكان أو زمان ، وليس بين طبيعة وأخرى فضل وتميز من حيث إنها طبيعة بشرية . وإنما التفاوت الذى يقع بين فرد وفرد أو بين مجموعة من الأفراد ومجموعة أخرى منهم ، يقع وراء إمكانيات هذه الطبيعة ، ويرجع إلى مدى ما تحقق من هذه الإمكانيات فى دائرة الطبيعة البشرية نفسها . فكل طبيعة بشرية فردية لها القوى النفسية التى تتمثل فى الإدراك والوجدان والإرادة ، واختلاف طبيعة فردية عن طبيعة أخرى لا يعود إلى الزيادة أو النقص فى هذه القوى ، وإنما إلى الإفادة من هذه القوى فى التوجيه والتقوى التى جعلت فى القرآن سبب المفاضلة فى قوله : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ـ هى حسن توجيه هذه القوى النفسية بإدارك الله وحده ، وبالمحبة والأخوة بين الناس ، وبالعمل الصالح لخير الفرد والبشرية كلها . فإدراك الإنسان فى أصله يمكن أن يتجه به إلى الإيمان بالله الواحد أو إلى إنكاره ، ووجدانه يمكن أن يتجه إلى المحبة أو إلى ما يقابل المحبة من بغض وكراهية . وإرادته يمكن أن تحمله على كبت الهوى ، أو على الاسترسال فيه ، وهنا يتصور فى الإنسان ـ من حيث أن طبيعته البشرية ذات قوى نفسية ثلاث ـ أن يكون ذا تقوى وأن يكون غير تقى .

وبما يروى عن الرسول ويذكر فى القرآن

فيما سبق - بجد الإسلام بقدر ما هو توجيه للبشرية مصدرا للحضارة الإنسانية فى الوقت نفسه.

ودعوته هى دعوة لبناء الحضارة ولبقائها. وتعاليمه لا تتجه الى تكتيل الأفراد لغزو أو اعتداء، وإنما تتجه إلى «النوعية» فى الإنسان، وهى إنسانيته، وأخص ما يمثل هذه النوعية فى الإنسان صفتان: العدل والإحسان.

فالعدل هو موازنة فى الفرد بين ما يشتهى أن يحصل عليه وما يجب عليه أن يفعله ويؤديه، وفى أفراد المجتمع بين ما يؤدى من قبل كل فرد وما يؤخذ له، ليس هناك حرمان فى دائرة الفرد ولكن هناك اعتدال، وليست هناك أنانية فى دائرة المجتمع ولكن هناك اشتراك فى الوجود وفى حق الحياة وتوازن فيهما، ومن ثم ليس هناك مجال للطبقات ولا سبب للاحتكاك. وإنما هناك حق للجميع. والعدل كما يكون فى الفعل يكون فى القول، وكما يكون بين مشتركين فى هدف واحد فى الحياة يكون بين اثنين لا يربطهما هدف واحد ولكن تجمعهما خصائص الإنسانية. يقول الله تعالى:.

«أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين. وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين». ويقول: «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا»..«ويقول: «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا، هو أقرب للتقوى».

والإحسان - بدوره - فوق العدل والموازنة، لأنه ليس الإعطاء المادى لمحتاج، وإنما هو التهذيب فى أخص صوره. هو المنح بلا مقابل، والرد الكريم عند عدم الاستطاعة على الإعطاء. والمعاملة الإنسانية فى العشرة والمفارقة على السواء، والقول الجميل فى المحادثة. يقول الله تعالى: «قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى». ويقول: «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان». ويقول: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا»، ويقول: «ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا».

ولمنزلة العدل والإحسان فى المستوى البشرى وبين الخصائص النفسية طلبهما القرآن فى صورة الأمر الجازم فى قوله: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان». فإذا تحقق العدل الفردى والجماعى وأصبح التوازن ظاهرة فى تصرفات الفرد والمجتمع على السواء - تحققت صورة من صور «النوعية» الإنسانية. وإذا وجد الإحسان بالمعنى الذى قدمنا وجدت الصورة الأخيرة لهذه النوعية، وأضحى الفرد

ذا إنسانية وأصبح المجتمع مجتمع الإنسان فيما تؤدى إليه كلمة الإنسان من معنى أصيل وخاص بها .

* * *

وما جاءت به دعوة الإسلام فيما وراء العدل والإحسان لايعدو أن يكون دفعا لتحقيق العدل والإحسان أو خلقا لجو ييسر أمرهما على الإنسان كفرد وكعضو فى مجتمع . فصنوف العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج قصد منها حمل الإنسان على أن يرى نفسه ووضعه فى الحياة كما يرى غيره معه فى الوجود ويشركه فى أسباب الاستقرار . فتكرار الصلاة فى الحياة اليومية عدة مرات والوقوف فيها بين يدى الله ، والسيطرة على النفس بالصيام مدة شهر فى السنة ، وإخراج الزكاة عن إيمان قلبى بها كل عام ، والالتقاء فى بيت الله وفى مكان له حرماته مع تحمل المشقة فى الوصول إليه أو البقاء فيه ـ كل ذلك سيخلى فى حياة الإنسان مكانا للغير ويجعل لديه احتمالا قويا للتعاون مع الآخر ، وربما يصل هذا التعاون للتآخى بعد ذلك .

وكذا ما جاء فى دعوة الإسلام من تحديد فى المعاملات المالية والتجارية وفى العلاقات الأسرية ـ لايخرج عن كونه دفعا غير مباشر للبقاء فى دائرة العدل أو الارتقاء إلى دائرة « الإحسان » . أى إلى الصورة الأخيرة لنوعية الإنسان .

لم يكن الإسلام فى واحد من تعاليمه مقدراً للكم لأنه كم ، ولم يكن مقدراً الإنسان لمظاهر جسمه ، ولم يكن مقدراً الحياة لزينتها وبريقها مما يقاس بالامتداد أو العمق . ولكنه دائما يقدر النوع ويهدف إلى النوع ، ويحمل على السعى إلى معرفته ثم تقديره وتحقيقه فى حياة الإنسان .

الإسلام مصدر للحضارة الإنسانية . وقد أسهم المسلمون ـ عندما حققوا مبادئ الإسلام ـ فى بناء تلك الحضارة . ولعل ما أسهموا به كان أروع ما فى هذه الحضارة . وقد انقطعوا عن الإسهام والمشاركة فيها يوم أن ابتعدوا عن القيم الإسلامية فى حياتهم واكتفوا بانتسابهم إلى الأمة الإسلامية دون أن يصنعوا صنيع المسلم المعبر فى سلوكه عن الإسلام .

ويقظة المسلمين فى حاضرنا حين تبتدئ من تقدير النوع دون الكم ، ومن تقديم المبدأ دون الشخص ، ومن الإيمان بالإسلام دون الاعتراف به ، أو الاكتفاء بالانتساب إليه ، يومئذ تبتدئ فى الإسهام فى الحضارة البشرية بالنوع الرفيع منها .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ٦ —

١ — روى أحمد ، والبخاري ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم ، عن ابن عباس قال : سمعت عمر يقول : لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام عليه ، فلما وقف قلت : أتصلي على عدو الله عبد الله ابن أبي القائل كذا وكذا ، والقائل كذا وكذا - أعدد أيامه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم - حتى إذا أكثرت قال : « يا عمر أخر عني ، إني قد خيرت : قد قيل لي « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة - فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها » ، ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه . فعجبت لي ولجراءتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » ، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعده ، حتى قبضه الله عز وجل .

٢ — وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول ، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قيصه يكفن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما خيرني الله فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة ، وسأزيده على السبعين ! » ، قال : إنه منافق ، قال : فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » - زاد مسلم في رواية أخرى : فترك الصلاة عليهم .

٣ — وذكر ابن حجر العسقلاني في ترجمة أبي عطية من الجزء الرابع من (الإصابة) أنه قد أخرج البغوي وأبو أحمد الحاكم من طريق إسماعيل بن عياش ، وروى الطبراني

من طريق بقية ، كلاهما عن بحير بن سعد عن خالد بن سعدان ، عن أبى عطية : أن رجلا توفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم - وسيرد فى آخر الرواية ما يدل على أن هـذا البعض هو عمر - : يارسول الله ، لا تصل عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل رآه أحد منهم على شئ من أعمال الخير ؟ » ، فقال رجل : حرس معنا ليلة كذا وكذا ، قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مشى معه إلى قبره ، ثم حثا عليه وهو يقول : إن أصحابك يظنون أنك من أهل النار ، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : إنك لا تسأل عن أعمال الناس ، وإنما تسأل عن الغيبة ... الحديث ...

لم يزل العلماء يروون هـذه الروايات وأمثالها فى شأن الصلاة على المنافقين ، وموقف كل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعمر رضى الله عنه من ذلك

ونراهم يوردون عليها استشكالات كثيرة ، ثم يحاولون الإجابة عنها ، أو يقفون دون ذلك فى عجز وحيرة ، وقد عد بعضهم وجوه الإشكال والاضطراب فيها ، فكان منها :

١ — أن هذه الروايات تقرر أن الصلاة على ابن أبى كانت سببا لنزول آية النهى ، مع أن سياق القرآن صريح فى أن آية النهى « ولا تصل على أحد منهم » إلخ نزلت فى سفر غزوة تبوك سنة ثمان ، وإنما مات ابن أبى سنة تسع .

٢ — وقول عمر للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : « وقد نهاك ربك أن تصلى عليه » يدل على أن النهى عن هـذه الصلاة سابق لموت ابن أبى — وقوله بعده : « فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » صريح فى أنه نزل بعد موته والصلاة عليه .

٣ — وقوله : إنه صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى خيره فى الاستغفار لهم وعدمه ؛ إنما يظهر التخيير لو كانت الآية كما ذكر فى الحديث ، ولم يكن فيها بقيتها ، أى التصريح بأنه لن يغفر الله لهم بسبب كفرهم ، وأن الله لا يهدى القوم الفاسقين ، ومن ثم كان المتبادر من « أو » فيها أنها للتسوية بين ما بعدها وما قبلها ، لا للتخيير ، وذلك هو ما قرره المحققون ، وهو فهم عمر .

والواقع أن الإشكالين الأولين مبنيان على أن النهى الذى قصده عمر حين قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال ، هو النهى الوارد فى قوله تعالى: « ولا تصل على أحد منهم » ، مع أن الروايات تدل على أنه يريد النهى الذى فهمه من قوله تعالى: « استغفر لهم

أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ... » إلخ كما سيأتى بيانه .

ولذلك يعد الإشكال الثالث هو أهم الإشكالات فلنقصر حديثنا عليه فنقول :

لنا أن نتساءل أولا من أين عرف عمر أن الصلاة على المنافقين منهى عنها ، ولنا أن نجيب بأنه عرف ذلك استنباطا من آية : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

والذى يدل على أن عمر فهم هذا من الآية هو أن رسول الله قال له : (إنما خيرنى الله فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة » وسأزيده على السبعين) .

والخلاصة : أن عمر رضى الله عنه فهم من هذه الآية :

أولا : أن المراد بيان استواء الاستغفار وعدمه فى عدم القبول من الله .

قال ابن المنير : « هذا كقول كثير عزة :

أسيئي بنا أو أحسنى لا ملومة .

كأنه يقول لها : امتحنى محلك عندى وقرة محبتى لك ، وعامليني بالإساءة أو الإحسان ، وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة أو محسنة ، وكذلك معنى الآية « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » ، وانظر هل يغفر لهم فى حالتى الاستغفار وتركه ، وهل يتفاوت الحالان أولا ؟

قال : وقد ورد بصيغة الخبر فى الآية الأخرى فى قوله تعالى : « سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، لن يغفر الله لهم » اهـ كلام ابن المنير [1] ، وهو التعبير الواضح عن فهم عمر ، ثم تأتى مقدمة أخرى لتمام حجة عمر ، وهى أن يقال : ما دام الأمر فى استغفار الرسول وتركه على سواء فلا محل لاشتغال الرسول بالاستغفار لهم ، وهو أمر لا يؤدى إلى المقصود منه ، وكل ما كان كذلك يحرم الاشتغال به ، وإذن فالاستغفار لهم حرام ، ولما كانت الصلاة على الميت من المنافقين ما هى إلا استغفار له ، فإنها تحرم لأنها فرد من أفراد الاستغفار .

ثانيا : أن عمر فهم من قوله تعالى : « إن تستغفر لهم سبعين مرة » أنه مبالغة فى بيان عدم القبول حتى مع الكثرة ، وعدد السبعين لا مفهوم له ، بل هو جار فى كلامهم مجرى المثل لإفادة الكثرة كما قال الشاعر :

لأصبحن العاص وابن العاصى
سبعين ألفا عاقدى النواصى

وهنا يبرز إشكال ، فيقال : كيف خفى هذا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو

(١) ص ١٦٤ هامش الجزء الثانى من تفسير الكشاف ـ الطبعة الأولى لمصطفى محمد سنة ١٣٥٤هـ بمصر .

أفصح العرب ، وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته - والذى يفهم من هذا العدد كثرة الاستغفار ، كيف وقد تلاه بقوله : « ذلك بأنهم كفروا » الآية ، فبين الصارف عن المغفرة لهم - حتى قال قد رخص لى ربى فسأزيد على السبعين » [١] . ويقال : « لا يعقل أن يكون فهم عمر أو غيره أصح من فهم رسول الله لخطاب الله » [٢] .

وقد حاولوا الإجابة على هذا الإشكال .

فأما ابن المنير فقال : « إن مفهوم هذه الآية قد زلت فيه الأقدام حتى أنكر القاضى أبو بكر الباقلانى صحة الحديث وقال لا يجوز أن يقبل هذا ، ولا يصح أن الرسول قاله ا هـ . ولفظ القاضى أبى بكر الباقلانى فى التقريب : هذا الحديث من أخبار الآحاد التى لا يعلم ثبوتها ، وقال إمام الحرمين فى مختصره : هذا الحديث غير مخرج فى الصحيح ، وقال فى البرهان : لا يصححه أهل الحديث ، وقال الغزالى فى المستصفى : الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح ، وقال الداوودى الشارح : هذا الحديث غير محفوظ ، والسبب فى إنكارهم صحته ما تقرر عندهم ، وهو الذى فهمه عمر من حمل « أو » على التسوية لما يقتضيه سياق القصة وحمل السبعين على المبالغة . قال ابن المنير : ليس عند أهل البيان تردد أن التخصيص بالعدد فى هذا السياق غير مراد . ا هـ [١] .

ولكن الحافظ فى فتح البارى لم يرتض حل الإشكال على هذا الوجه بإنكار صحة الحديث ، فقال : « لقد أقدم هؤلاء الأكابر على الطعن فى صحة هذا الحديث مع كثرة طرقه واتفاق الشيخين وسائر الذين خرجوا الصحيح على تصحيحه ، وذلك ينادى على منكرى صحته بعدم معرفة الحديث وقلة الاطلاع على طرقه » [٢] .

وأما صاحب الكشاف فلا يجيب بإنكار صحة الحديث ، ولكن يخرجه تخريجا فيقول : « لم يخف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، ولكنه خيل بما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه ، كقول إبراهيم عليه السلام ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم ، وفى إظهار النبى صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض » [٣] .

ويتلخص هذا الرأى فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم مع علمه صحة ما استنبطه عمر ، وأنه الموافق لكلام العرب الذى لا يمكن أن يفهم غيره ، لكنه تغافل عن ذلك ، وخيل بما قال ، أى أظهر أنه مستمسك بوجه قد يفهم ، وذلك لأنه يريد أن يصل

(١) ص ١٦٤ من الكشاف - الطبعة المذكورة ج ٢ .

(٢) ص ٥٧٦ من الجزء العاشر من تفسير المنار .

(١) ص ٥٧٧ ج ١٠ من تفسير المنار .

(٢) المصدر والموضع السابق ذكرها .

(٣) الكشاف فى الموضع السابق ذكره .

فى مظهر الرأفة والرحمة إلى أبعد حد ، لطفا بالأمة ، وتعليما لهم إلى أى حد يتراحمون .

وقد ذكرنى هذا بكلام قرأته فى بعض كتب الأدب ، وهو أن شاعرا اسمه « النجاشى » هجا بنى العجلان بشعر أوجعهم ، فشكوه إلى عمر بن الخطاب. فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال عمر : وما قال ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة
فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب! فقالوا إنه قال :

قُبَيِّلة لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل !

فقال عمر : ليتنى من هؤلاء ، أو قال : ليت آل الخطاب كذلك ، أو كلاما يشبه هذا ، قالوا : فإنه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية
إذا صدر الوراد عن كل منهل !

فقال عمر : ذلك أقل للشكاك يعنى الزحام ، قالوا : فإنه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من كعب بن عوف ونهشل!

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا فإنه قال :

وما سمى « العجلان » إلا لقولهم
خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد، وخير القوم خادمهم!

فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال : ما أسمع ذلك ، فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله ، فقال : ما هجاهم ولكن سلح عليهم !

قال ابن رشيق فى كتابه « العمدة » بعد أن أورد هذه القصة : « وكان عمر رضى الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشى ، ولكنه أراد أن يدرأ الحد بالشبهات. فلما قال حسان ما قال سجن النجاشى ، وقيل إنه حده » [1] .

ولا شك أن التغافل مع الفطنة مسلك قد تقضى به المصلحة ، فهذا تقريب لما أراده الزمخشرى حين قال : « إن رسول الله لم يخف عليه ذلك ، ولكنه خيل بما قال » .

ونحن إذا نظرنا إلى سياق القرآن وحده ، بعيدين عن الروايات المروية ؛ وجدنا أن سورة التوبة ، قد عنيت بالحديث عن أصناف المنافقين ، وأساليب نفاقهم ، معطية لكل لون حكمه ، وذلك مثل قوله تعالى : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن » ، « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » « ومنهم من يلمزك فى الصدقات » ، « وممن حولكم من الأعراب منافقون » . . . إلخ ، فقوله تعالى فى هذه السورة : « فرح المخلفون

---

(١) العمدة لابن رشيق ص ٢٧ - ٢٨ من الجزء الأول طبع مصر سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م .

بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله» إلخ. إنما هو حديث عن صنف من أصناف المنافقين بعينه، وهم الذين تخلفوا عن واجب الجهاد والخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك، فهم ليسوا مجرد منافقين لهم مظهر المسلمين وباطن الكافرين؛ ولكنهم خرجوا على المظهر الإسلامى، حين تخلفوا عن الجهاد، فاعتبروا بذلك كفاراً صرحاء، وعوملوا على هذا الأساس، فقيل للرسول فى شأنهم: «فإن رجعك الله إلى طائفة منهم، فاستأذنوك للخروج، فقل لن تخرجوا معى أبدا، ولن تقاتلوا معى عدوا». وهذا طبيعى لأنه لا يمكن أن يتكون جيش الجهاد من مسلمين صرحاء وكافرين صرحاء، وقيل له: «ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره» وذلك لأن الصلاة إنما تكون على المؤمن باعتبار الظاهر، أما هؤلاء فتقول عنهم الآية: «إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون».

وبذلك يتبين أن هذه الآيات عن فريق معين من المنافقين، ظهر كفرهم بعد أن كان خافيا، وأعلنوا أمرهم، فكان لابد من معاملتهم معاملة الكافرين الواضحين.

ويقال مثل ذلك فيمن قصد بقوله تعالى: «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله» فإن احتجاز الزكاة والبخل بها، إعلان لمظهر من مظاهر الكفر، ولذلك قيل للرسول: «استغفر لهم أولا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله، والله لا يهدى القوم الفاسقين».

وأحب أن أنبه فى هذا المقام إلى أن القرآن وصف كلا من هذين الصنفين من المنافقين، مع الكفر بالله ورسوله، بوصف الفسق حيث يقول عن المخلفين: «وماتوا وهم فاسقون»، وعمن منع الزكاة: «والله لا يهدى القوم الفاسقين»، والفسق الخروج عن مقتضى الإيمان فى إعلان وإظهار، وفى اللغة: فسقت الرطبة، إذا خرجت عن قشرتها، فكأنهم بتخلفهم وبمنعهم الزكاة، أعلنوا ما كان مستخفيا من حقيقة أمرهم وظهروا بدون حجاب يسترهم، فاستحقوا أن يعاملوا معاملة الأعداء الصرحاء.

وإذا كانت هذه دلالة القرآن فى سياقه، فليس فى الأمر مشكلة، إنما المشكلة فى الجزء الأخير من الحديث الذى يقرر: أن عبد الله ابن أبى من المنافقين الذين لا تجوز الصلاة عليهم، وفى الجزء الذى يقرر أنه داخل ضمن المقصودين بقوله تعالى: «استغفر لهم أولا تستغفر لهم».

والواقع أن عبد الله بن أبى بن سلول، لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء، فلم يكن من المخلفين ولا من المانعين للزكاة، وإنما كان من

المنافقين المستخفين الذين لم يرتكبوا ظاهراً يفصح عن حقيقتهم ، فوجب معاملته بمبدأ الإسلام المعروف « أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » ، ولذلك صلى عليه الرسول ، وكفنه بقميصه وقام على قبره وله فى ذلك غرض بعيد المدى ، بفعل هذا الذى يباح له بحكم قواعد الإسلام أن يفعله مع أبى ، وهو أن يقرب أتباعه وأهله ، والمستظلين بلواء زعامته ، ولا شك أنه يجوز لكل إمام أن يجامل فى سبيل المصلحة العامة بفعل لا يتعارض مع أحكام الشريعة .

تلك هى نظرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهى نظرة الصواب والحق والنظرة التى توافق طبيعته صلى الله عليه وسلم باعتباره رسول الرحمة ، ومربى الأمة ، والحريص على أن يلين للناس ليستل من النفوس عوامل النفور والاستكبار ، ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، امتنع عن الصلاة على ابن أبى وهو لم يعلن كفره ، لبقى ذلك عاراً يدمغ به أهله وأتباعه أبدا ، ولكان هناك مثار للشك فى نفوس كثير ممن لا يعرفون حقيقة ابن أبى ، ولا يأخذون إلا بظاهر أمره .

وقد قيل له صلى الله عليه وسلم : لم وجهت قميصك إلى ابن أبى يكفن فيه ؟ فقال : إن قميصى لايغنى عنه من الله شيئا ، وإنى أؤمل أن يدخل بهذا السبب فى الإسلام خلق كثير ، فروى أنه أسلم بهذا السبب ألف من الخزرج .

فنعم ما فعل رسول الرحمة صلوات الله وسلامه عليه .

أما عمر رضى الله عنه ، فإن ما ترويه عنه الروايات ، شبيه بما يعرف من شدته وقوة شكيمته ، فهو ينظر إلى ابن أبى بعينه هو ، وبما يعرفه من خباياه ، فتنسيه تلك النظرة المظهر الذى يتستر به ابن أبى ، ولا يذكر إلا أن هذا منافق وكفى .

وشتان بين من ينظر إلى الأمر من جميع الزوايا ، ويعطيه الحكم اللائق به حسب المبادئ المقررة فى الحكم بالظاهر وفى « هلا شققت عن قلبه » وفى « إنك لا تسأل عن أعمال الناس وإنما تسأل عن الغيبة — أى عما تعمله أنت » شتان بين نظرة محيطة كهذه ونظرة من أفق فى ناحية واحدة كهذه النظرة التى نظرها عمر .

ولكن المولعين بإكثار الروايات أو القصص عن قوة الشخصية العمرية ربما أغراهم ذلك الولوع بمثل هذا اللون الذى يتضمن أن رأى عمر كان أوفق من رأى رسول الله ، وإن هذا الحكم خطير ، فلا ينبغى أن نعجل به دون أن نتأمل وندرس الأمر من جميع جوانبه .

والله المستعان .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

الوحدة العربية

للأستاذ عارف النكدى

إن هذه الانتفاضة الجبارة التى ابتعثتها مصر الخالدة ثورة بناءة لا قتل معها ولا سحل ، وما بالعهد أن تكون الثورات إلا حمرا ، هذه الثورة أيقظت العرب ، بل المستضعفين فى كل بقعة من بقاع الدنيا ، وتركت دويا أفزع المستعمر فى كل بلد من بلاده ، وفى كل أرض من استعماره . وجعلت الحديث عن العرب والعروبة وعن الوحدة العربية حديثا عذبا مستطابا . وكان من آثار هذه الثورة : هذه الوحدة خصت مصر وبعض الشام ، وستعم غدا المشرق والمغرب ، فتضم العرب فى كل مكان ، تحيي ما كاد يموت من آمالهم ، وتنشر ما كان انطوى من سلطانهم وأعلامهم .

وبعد : فهل هذه الوحدة ومبادئها ، وما سيكون بعدها بدعة لم يعرفها التاريخ ، قامت على نزعة جامحة ، اقتضتها مصلحة عارضة ، أم هى حقيقة ثابتة مستلة من صلب التاريخ ، يؤيدها منطق الأحداث ومتطلبات الحياة ؟ .

إن الوحدة العربية هى الحقيقة التاريخية ، والأمل المنشود ، قضى فى سبيلها من قضى ، وصلب من صلب ، واستشهد من استشهد ، وعيناه شاخصتان إليها ، مطمئن قلبه أنها آتية لا ريب فيها .

إنها الحقيقة لا خيال فيها ، قامت على وحدة الأصل ، ووحدة اللغة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة الأدب ، ووحدة الاشتراع ووحدة السياسة والإدارة ، ووحدة الرأى والمبدأ ، ووحدة العقيدة والإيمان ، ووحدة المصالح والأهداف . هى الرغبة فى أن نعيش أمة واحدة فى وطن واحد ، إلا من أضله الله وما له من هاد . وبحسب الجماعات بعض هذا ليكونوا أمة واحدة . فكيف بالعرب وقد اجتمعت لهم هذه العوامل والروابط كلها .

ولا نقف عند قولة نقولها ، وإن كانت الحق وصوت التاريخ ، فنرجع إلى من قبلنا وما قالوا فى تكوين الأمة وشرائط بنائها .

يقول لاون بورجوا :

« الأمة : حيث الناس وهم روح واحدة ووطن واحد ، ورغبة فى أن يحتفظوا بالحياة المشتركة التى ورثوها عن آبائهم وأن يورثوها أبناءهم من بعدهم » .

وأقدم من هذا وأوضح منه ، ما قاله

(أرنست رينان) : الأمة روح ، أو هى مبدأ روحى يتألف من شيئين اثنين هما فى الحقيقة شىء واحــد . أولهما إرث مشترك غنى بالذكريات . وثانيهما رضاء بالحاضر ، ورغبة فى الحياة المشتركة ، والعمل على أن نجعل لهذا الإرث القديم الذى انتهى إلينا شائعاً ، شأناً وقيمة .

وكما أن الرجل لا يرتجل ارتجالا ، فكذلك هى الأمـة ، نتاج ماض بعيد ، معمور بالإخلاص ، مملوء بالمساعى والضحايا » .

هذا بعض ما قاله بعض الغربيين عن الأمة عامة . أما الجاحظ فيقول عن العرب خاصة ما هو أبين وأبلغ ، يقول : « فأما الخواص الخاص فإنهم قالوا : العرب كلهم شىء واحد ؛ لأن الدار والجزيرة واحـدة ، والأخلاق والشيم واحدة . وبينهم التصاهر والتشابك ، والاتفاق فى الأخلاق والأعراق ، وبينهم الخئولة المرددة ، والعمومة المشتبكة .

ثم المناسبة التى بنيت على غريزة التربة ، وطابع الهواء والماء . فهم فى ذلك شىء واحد فى الطبيعة ، واللغة ، والهمة ، والشمائل ، وفى الرأى والراية ، والصناعة والشهوة .

فإذا بعث الله نبيا للعرب ــ تقول : أو زعيما ــ فقد بعثه إلى جميع العرب . كلهم قومه ، وهم جميعا يد على العجم ، وعلى كل من حاربهم من الأمم .

قالوا : والمشاكلة من جهة الاتفاق فى الطبيعة والعادة ، ربما كانت أبلغ وأوغل من جهة الرحم . نعم ! حتى تراه أغلب عليه من أخيه لأمه وأبيه . وربما كانت أشبه به خلقا وخلقا ، وأدبا ومذهبا » .

ولقد كانت الوحـدة العربية قائمة على عصبية قومية صحيحة : متينة الأواصر ، متسلسلة الحلقات ، متصلة الموجات والهجرات منبعث بعضها عن بعضها الآخر ، متولد آخرها عن أولها ، فى حياتها : الروحية والمدنية جميعاً . فلولا مكة ما كانت المدينة ، ولولا هذه لما كانت دمشق وبغداد ومصر ، وسائر العواصم العربية الكبرى فى المشرق والمغرب . ولولا هذه كلها ، وما كان فيها من مدارس ودور العلم ، وما أخرجت من فلاسفة ومحدثين وعلماء وأدباء وشعراء ومؤرخين لما كانت هذه الحضارة العربية الزاهرة الخلاقة الولود المؤلفة لهذه المجموعة من الحضارة ، متمم بعضها للبعض الآخر ، عروة متماسكة لا انفصام لها ، ولا ينهض منها جناح إلا بجناحه الآخر . ثم إنها كانت بعد ذلك حلقة الاتصال بين ماضى الحضارات وحاضرها . حضارة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . قامت فى كل بلد عربى ، أو دخل فى حكم العرب . وتركت آثاراً وضاءة لا يزال العلم فى كثير من شئونه يستنير بها ، ويستقى من معينها الثر الفياض .

وأى عربى صدقت وطنيته ، وصح تفكيره ، يرضى لنفسه أن ينكمش فى وكره متخليا عما فى الأقطار الأخرى من كرائم ومقومات ، خارجا عن حقه فى ملك هو ملكه ، وعن إرث هو إرثه ، خلفه له آباؤه الأولون فى كل قطر من أقطارهم .

ورجالات العربية فى العلم والأدب ، كان الوطن العربى كله ، وطنهم كلهم ، فكانوا حتى بعد ما أصيبت أوطانهم بما أصيبت به من تجزئة وانفصال ، قضت بها المنافع والمآرب الشخصية ، كانوا يتنقلون من جانب إلى جانب ومن دولة إلى دولة ، وهم يرون فى كل وطن نزلوه من المشرق أو المغرب وطنهم ، يتقلدون مناصبه ويتمتعون بخيراته . ظل ذلك إلى أن احتل الأجنبى ديارهم ، فتخرج به وعلى يديه جماعة عدوا كل طارئ عربى على قطر عربى غريبا عنه ، دخيلا فيه .

وقد يتساءل متسائل بعد هذا الذى بسطناه : وما الذى يمنع هذه الوحدة أن تتم كاملة شاملة ؟ نقول : يمنعها شيئان اثنان هما فى الحقيقة شىء واحد : الاستعمار والاستئثار أو الاستثمار :

أما الاستئثار : فيقوم بأن يستخدم الأجنبى المستعمر ، نفراً من أبناء البلاد ، ضعاف الإيمان واسعى الذمة ، يتخذهم أعوانا له على أبناء وطنهم ، فيكونون أسياداً بسيفه فى الظاهر ، عبدانا له فى الواقع ، فلا يزال يقاتل الوطنية والوطنيين باسمهم ، حتى إذا هو انتهى منهم ، وفرغ من حاجته إليهم ، نبذهم والتفت إلى غيرهم . هذا هو المعروف والمشاهد إلى يومنا هذا ، فى كل بلد اجتله الأجنبى ، فى الشرق أو الغرب .

والقضاء على أمثال هؤلاء الخارجين على أمتهم ، المارقين من صفوفها ، له فرص تنتهز : ليست ميسورة كل حين . وقد يجوز أن يطلق على هذا الوضع الاستعمار المستتر ، وإن كان فى كثير من الأحيان يكون مكشوفا مفضوحا .

الاستعمار : أما الاستعمار الصريح ، فهو السياسة التى يتبعها الأجانب فى الدول والبلدان التى يطمعون فى استذلالها ، أو فى دفع شرها أو استنزاف ثرواتها ، أو فى ذلك جميعه .

وهى تقوم على تمزيق وحدة الوطن الواحد ، وتحريض الناس بعضهم على بعض ، والتحريش بينهم إبقاء على سلطانه عليهم ، وتحكمه فيهم . وهى سياسة قديمة قائمة على قاعدة : اقسم تحكم ، أو فرق تسد . فصلها أرسطو فى جواب بعث به إلى الإسكندر ـ بعد تغلبه على بلاد فارس واستعلائه عليها ـ قال له فيه :

« واعمد إلى من قبلك من العظماء والأحرار ، فوزع بينهم مملكتهم ، وألزم اسم الملك

كل من وليته منهم ناحية ، واعقد التاج على رأسه ، وإن صغر ملكه . فالمنعقد له التاج لايخضع لغيره . ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم تدابرا ، وتغالباً على الملك ، وتفاخراً بالمال ، حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك ، وتعود بذلك حربهم لك حربا بينهم ... فإن دنوت منهم كانوا لك ، وإن نأيت عنهم تعززوا بك ، حتى يثب كل منهم على جاره باسمك . وفى ذلك شاغل لهم عنك ، وأمان لأحداثهم بعدك . ويعقب على ذلك فيقول : ولا أمان للدهر » .

والاستعمار ضد كل نهضة وعدو كل إصلاح . وهذا مثال من آلاف الأمثلة نضربه على ماوقع بين مصر والشام .

« لما دخلت مصر الشام . فى أواسط القرن التاسع عشر اصلحت فيه ما أفسدته السياسة التركية إصلاحا عاما شاملا . أترك وصفه للمستر برنت قنصل انكلترا بدمشق فى كتاب بعث به إلى سفيره فى الأستانة تاريخه ٦/١٤ سنة ١٨٥٨ هذا بعض مافيه :

لما كانت الإيالة - يريد ولاية الشام - تحت حكم الدولة المصرية ، عاد كثيرون إلى سكنى المدن والقرى المهجورة ، واستأنفوا حراثة الأرض المهملة . وهذا ماحدث فى حوران ، وفى النواحى الواقعة حوالى حمص وفى كل الجهات على حدود الصحراء . وقد أكره العربان على احترام سلطة الحكومة وصار السكان فى مأمن من اعتداءاتهم . وبحسن إدارة هذه الحكومة وطد الأمن ، فاطمأنت النفوس ، فسار الأهلون فى طريق التقدم ، وحسنت الحالة المالية ، وأما ما يشكو منه بعضهم من تشدد الحكومة فى إجراءاتها فشىء لم يكن منه بد ، ولم تكن الحكومة تستطيع أن تفعل غير ذلك . فقد كان عليها أن تصلح كثيراً من الأمور المختلة ، وأن تقضى على القلق والاضطراب اللذين كانا سائدين ، وتستبدل بهما الأمن والسكينة والعدل .

وأكثر أولئك الشاكين ، هم أصحاب المقامات العالية والأفندية والأغوات الذين كانوا يثرون من نهب أموال أصحاب التجارة والصناعة ، وسائر المستضعفين من أبناء الطبقات العاملة .

غير أن هؤلاء سروا كثيراً لخلاصهم من الظلم الذى رزحوا تحت عبئه زمناً طويلا . »

إلى أن يقول :

« والفلاحون الذين عادوا إلى قراهم ، وكانوا هجروها ، أسلفوا مالا لإصلاح بيوتهم وتموينها وأعفوا من الضرائب ثلاث سنوات .

وبذلت جميع المساعدات لتزيد الحاصلات وكانت الجنود المصرية تقوم بنفسها لإتلاف بيوض الجراد ، والقضاء على ما تقف منها . وبفضل هذا الحكم الحازم والعادل ، الذى احترمه الجمهور أخذت البلاد ترقى وتسير فى طريق النجاح والنماء ، فلو طال عليها

الحكم المصرى لاستفادت سورية منه استفادة عظيمة ، وازداد سكانها ، وأصابت حظا كبيراً من النجاح ، ومن الثروة التى كانت لها فى الماضى . بيد أنه ما كاد المصريون يخرجون من البلاد ، ويتقلص ظل سطوتهم ، حتى عاد القوم إلى مثل ما كانوا عليه من نبذ الطاعة . وعمت الرشوة ، وفشا التبذير فى إدارة المالية وفقدت النزاهة ، ومنى الدخل بالنقصان ، واضطرب حبل الأمن ، وعاد البدو إلى ما كانوا عليه من الغارات والتخريب . فأخلى الأهلون قراهم ومزارعهم فلا أمن على مال ، ولا على حياة .

ثم يقول :

« وكان الدخل أيام الحكم المصرى يدار بنزاهة واقتصاد . ولدى الحكومة المصرية جيش وافر العدد ، وهى تقوم بنفقات الإيالة المتوقع ازديادها تدريجاً . أما الحالة اليوم بعد جلاء القوات المصرية فهى على العكس تماما من جميع الوجوه . فالضرائب عبء ثقيل لا يطاق ، والأمن مفقود والدخل يقل يوما بعد يوم ، لإهمال القرويين حراثة الأرض . وكل ما يجمع ينفق بإسراف أو يسرقه الموظفون » .

هذا ما شهد به رجل كان يمثل دولة كانت فى تلك الأيام ، وكانت تزعم ـ فيصدقها الناس فيما تزعم ـ أنها تمثل العدل بروحه ، والنزاهة بكل معانيها .

فماذا كان موقف تلك الدولة ، من تلك الإصلاحات التى تعترف بها بلسان ممثل رسمى يمثلها؟ كان أن كانت أسرع الدول فى مقاومة هؤلاء المصلحين ، والقضاء على إصلاحاتهم ، والعودة بالشام من حكم صالح لم يكن فى مصلحتها أن يكون ، إلى حكم فاسد من مصلحتها أن يكون .

وهى سياسة صريحة واضحة لا تحتاج إلى تفسير ولا شرح ، تنادى على نفسها بأن الاستعمار والمستعمرين أعداء لكل نهضة وتقدم فى كل بلد يطمعون فيه ، أو يريدون أن يكون لهم عليه سلطان .

هذا الاستئثار ، وهذا الاستعمار هما اللذان جعلا اليوم من ألمانية ألمانيتين ، ومن الكونغو كنغوين ، ومن كورية كوريتين ، ومنا نحن العرب هذه الدول والدويلات ، والإمارات والأميرات ، يورثون بينهن الأحقاد ويحركون الضغائن ، ثم يدفعون الواحدة إلى الاعتداء على شقيقتها .

وإذا كانت هذه التجزئات غير الصحيحة لم يقرها التاريخ فتعيش ، فتوحدت إيطالية بعد تجزئتها ، واتحدت ألمانية بعد تمزيقها ، وكذلك فعلت روسية وأمريكة واليابان ، وغيرهن من الدول والدويلات قبلهن وبعدهن اتحد كل من أراد أن يتحد .

فكذلك ـ نحن العرب ـ سنتحد ، نعم سنتحد ، ولن تقوى قوة استعمارية ولا قوة استئثارية

أن تقف سيرنا ، فتحول دون وحدتنا وهى حقنا ، ومطلبنا ، وغاية أمرنا فى هذه الحياة.

إن الوحدة هى اليوم من حقوق الشعوب لا من حق الرؤساء ، وإن الحكم للشعب نفسه لا لمن يقوم على رأسه ، وإذا غلبت الشعوب على أمرها اليوم ، فهم بعد غلبهم سيغلبون .

يقول التاريخ : إن البوربون هم الذين خلقوا فرنسة ، ولكن فرنسة نفسها عادت فطاحت برءوس البوربون أنفسهم .

لا بقاء فى عصرنا هـذا للملوك والرؤساء ولا حياة لهم ، إلا إذا هم ماشوا الشعب فى مصالحه وسايروه وكانوا لسانه الناطق فى التعبير عن آماله وأمانيه .

حاول أربعة من كبار ملوك أوربة وقياصرتها أن يمضوا فى استبدادهم ، ويقضوا على كل حركة تحررية فى بلادهم ليطفئوا نور الحرية من قلوب الشعوب ، ويخفوها عن عيونهم ، فعقدوا سنة ١٨١٥ حلفا اقترحه عليهم مترنيخ ، وزير النمسة : العدو اللدود للمبادئ الثورية ، أسموه الاتحاد المقدس ، أجمعوا أمرهم فيه على أن يكونوا رأيا واحدا وكلمة واحدة على شعوبهم ، توطيدا لعروشهم وتوكيدا لسلطانهم ، وإبقاء على أنظمتهم أن يثور عليها ثائر ، أو ينتقص من حقوقهم منتقص ، ليظلوا على عروشهم والتيجان من فوق رءوسهم . حكم راسخ ، وملك خالد كل منهم ملك الأملاك . غلاب القدر .

وما هى إلا سنوات حتى قامت الثورات ، فدكت تلك العروش دكا ، فى فرنسة ثم فى روسية وفى ألمانية وفى نمسة : الدول التى عقد ملوكها اتحادهم المقدس .

وعاد الحكم فيهن وفى غيرهن من الدول التى سارت سيرتهن إلى صاحب الحق : إلى الشعب نفسه .

نعود متسائلين :

هل هذه الوحدة بين مصر وبعض الشام ، فورة جائشت ، وشقشقة هدرت ، أم هى وضع متين قائم على أسس صحيحة راسخة ، ورغبة تاريخية أكيدة متبادلة ؟ .

إن مصر والشام لم يعرفهما التاريخ منذ عرف الإسلام إلا وطنا واحدا ، تجمعهما دولة واحدة إلا فى فترات متقطعة كان للسياسة وللدسائس يد فيها . هذا من حيث التاريخ

أما من حيث واقعنا اليوم فإذا نحن نظرنا إلى هذه الوحدة نظرة ثاقبة صادقة رأينا أن كل قطر من القطرين كان له نصيب فى العمل لهذه الوحدة .

مما لا شك فيه أن سورية كانت فى هذه الفترة الأخيرة أخلص الأقطار العربية للوحدة العربية . وبذلك كان لها فى هـذه الوحدة وجه أظهر وأشرق ، كما كان لها فى مصر أساس أعمق وأعرق .

كان لكل من الإقليمين وجهة تختلف عن وجهة شقيقه الآخر .

كانت مصر قد بلغت شأوا بعيدا فى نهضتها، وخطت خطوات واسعة إلى استقلالها الناجز، وكانت وحدتها الداخلية متماسكة متراصة ، لا تجزئة ولا تمزيق ، وكانت الشام وغيرها من بلاد العرب ترزح تحت نير انتداب أو استعمار ، تنزى فى قيود لا تستطيع معها حراكا ولا منها فكاكا ، فأى مصلحة كانت لمصر فى وحدة لو تمت - وكان مستحيلا مع سلطان الأجنبى أن تتم — لعادت بمصر مراحل الى الوراء .

كان سعد : زعيم مصر يومئذ — ولم يكن غريبا عن الفكرة العربية وقد صرح بها مرارا ، وساندها أحيانا ، كان إذا سئل فى شئ من وحدة أو اتحاد أجاب ، إذا جمعت صفرا إلى صفر ، كان المجموع صفرا .

فالاستقلال أولا .

هذا ما جعل مصر تعمل فى يومها لنفسها فى معزل عن القضية العربية ، وهذا مما جعل بعض من فى مصر وفى غير مصر لغرض أو لمرض يزعمون أن مصر بعيدة عن القضية العربية غريبة عنها.

وأما سورية فكان أمرها غير هذا ، كان الانتداب عليها شر انتداب عرفته البلاد العربية: أحكام عسكرية غالبة، وثورات دموية متعاقبة، واستبداد مطلق مزق البلاد كل ممزق . جعل عشر دولات وحكومات فى قطر واحد لا يزيد عدد سكانه فى ذلك الحين على ثلاثة ملايين .

ذلك الوضع السيئ كان يحمل سورية على على أن تتلفت إلى قطر عربى تتحد معه فتتقوى به.

نعم إن الشام بحدوده الأصلية الطبيعية : داخله وساحله ، وجنوبه وشماله ، علق منه على المشانق وتساقط فيه تحت قنابل المدافع، فى سبيل القضية العربية ووحدتها ، عدد لم يكن مثله ، ولا مثل بعضه فى جميع الأقطار العربية ولكن هؤلاء الشيوخ والشبان - ولاسيما رعيلهم الأول - الذين قضوا شهداء العرب والعروبة أين تلقوا دروسهم فى الوطنية العربية ، ومن قلدوا فى حركاتهم التحررية القوميه ؟ .

مصر قلدوا ، وبها تشبهوا ، وعنها أخذوا، وإليها لجئوا ، وفيها عقدوا مؤتمراتهم ، ومنها ارتفعت صياحاتهم وصرخاتهم ، ولو لم تفتح مصر للعرب أبوابها ، لتعذر عليهم فى ذلك الحين أن يجدوا لأنفسهم المفزع الأمين .

إن رجالات العرب الأولين ، هم تلاميذ شيوخ المصريين ، أو تلاميذ الذين أقاموا بمصر من زعماء العرب اللاجئين .

كان شباب العرب يحفظون ما خطته أقلام جمال الدين ومحمد عبده فى العروة الوثقى ، ويتدارسون مقالات الطوبرانى ، ومكتوب

مصطفى كامل إلى مدام « آدم » الفرنسية ، ويعجبون بمقالاته فى اللواء ، ويطربون لخطبه الوطنية ، وكان كتابا الكواكبى الحلبى موطنا والمصرى مقاما : أم القرى ، وطبائع الاستبداد ، زادهم فى خلواتهم كما كانت خطب سعد غذاءهم ومادة مذاكراتهم ومسامراتهم . إلى ما لا يعد ولا يحصى من هؤلاء الشيوخ والزعماء الذين كانت كتاباتهم وأقوالهم مادة العرب فى ثوراتهم .

وتتبع العرب حركات مصر الاستقلالية ، منذ عمر مكرم ، إلى ثورة عرابى إلى حوادث سنة ١٩١٩ وما بعدها إلى أن كانت الثورة الأخيرة العظمى فغطت على كل ما سبقها من ثورات وحركات .

هذه هى المبادئ الفكرية ، والنزعات الثورية التى ألقتها مصر أم العرب على أبنائها العرب . أفيقال بعدهذا : إن مصر لم تشارك فى القضية العربية ! ومصر كانت للعرب مدرستهم الكبرى وحجتهم المثلى . وكانت قصائد شعرائها فى الحرية ومهاجمة الاستعمار ، المعلقات التى كانت تعبر عن شعور شبان العرب فيحفظونها ويتناشدونها فى منتدياتهم ومجتمعاتهم .

وقد طال بنا نفس الكلام فنقف وفى النفس بعد حاجات ، ونختم كلمتنا فنقول :

إن الوحدة العربية لا تزال فى نأنأتها ، وفى أول مرحلة من مراحلها ، فعلى رجال العلم وفى طليعتهم أشياخ المجامع العربية تلقى التبعة الكبرى والرسالة الأولى فى هذا الميدان .

إن مهمة أهل العلم والقلم هى تقوية هذه اللغة وبعث ما كان لأهلها من تاريخ وأمجاد ، والعمل على نشر العلوم فيها ، وتوحيد مصطلحاتها وتقريب الخلف بين العامية والفصحى إلى أن تكون كلمة هذه هى العليا .

فنعود ولساننا فى الجملة واحد ، فوحدة اللغة ، والنهضة الأدبية واللغوية كانت فى كل عصر وفى كل أمة المقدمة الممهدة للوحدة السياسية ، والوحدة لا تكون صحيحة ما لم تكن قائمة على دعائم راسخة ثابتة مستمدة من واقعنا التاريخى والاجتماعى ومن مصلحتنا العامة ، تتقبلها نفوسنا راضية مختارة . هذا هو السبيل الصحيح إليها والعمل الصالح لها .

والدعوة - دينية كانت أم سياسية - لا تفلح ، مهما كان صاحبها على حق ، إلا إذا صادفت هوى فى النفوس .

هذه آمالنا نحن العرب : ماض زاهر زاخر نريد إحياءه وإبقاءه ، وحاضر نعمل له صادقين مخلصين ، ونورثه بنينا صالحين .

ماض مشرق لحاضر مورق ، لغد محقق ، يكفله الزعيم الموفق ، مؤيدا بنصر من عند الله ؟

عارف النكدى

عضو مجمع اللغة العربية

نفحات القرآن

سوء الاختيار مهلكة

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

ا - واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .

ب - ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب : إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون .

١ — كثيراً ما يعتمد القرآن على ضرب الأمثال فى بيان قضاياه ، وتنبيه الوعى الإنسانى إلى ما يكون غافلا عنه .

ولأن الحواس أقرب الطرق إلى العلم ، وأقوى الوسائل فى الإقناع والاقتناع ، كانت حكمة الله أن يختار أمثلة من الواقع الذى نحسه ، لتبصيرنا بما نحن عليه فى مسلكنا العملى . . وكان من هذا القبيل أن يحدثنا الله فى كتابه عمن يخاطب بالدعوة إلى الهدى ، وترسم له معالم الطريق ، ثم لا يكون منه إلا إهدار عقله فلا يحتكم إليه . وإهمال الآيات فلا ينظر فيها ، والاستهانة بالمصير المشئوم فلا يحسب له حسابا فى حاضره .

وحينما يستبد المرء بنفسه ، ويشتط فى غوايته لا يكون مبقيا على كرامته ، ويكون نازلا إلى المنزلة الدون .

وهذا ما نقف أمامه بالآيات التى معنا الآن .

فالله - تعالى - يحدثنا فيها عن رجل من عباده هبط من مشارف الكرامة إلى مساقط المهانة ، حتى صار مثله فى قصص القرآن مثل الكلب ، وقد تعارف الناس أن الكلب من الخساسة والهوان بمكان .

رجل سمع دعوة رسوله ، وبلغته آيات ربه ، فلم يكلف نفسه أن يستمع ، ولم يسهل عليه أن يتبصر ، ويفطن .

بل تنحى عن جانب الدعوة ، وتنصل من الآيات كما لو كانت شيئا يضره ، أو مهلكة تحدق به .

أيكون ذلك الرجل من بنى إسرائيل : هو بلعم بن باعوراء ؟ ؟ .

أم يكون من أمة محمد : هو أمية بن أبى الصلت ؟ ؟ أم غيرهما ؟ ؟

القرآن لا يعنى بشخصية رجـــل تخبط فى ضلاله ، وإنما يعنى بقصته فى نفسها ، ويسوقها فى أسلوب جدير بها ، ويصورها لنا فى صورة مجلوة لنأخذ منها العبرة .

وهو على أى حال شخص من أولئك الذين كان لهم فى القوم شأنهم ، وحولهم أنظار ترمقهم ، ووراءهم أتباع يتعلقون بهم ، ولكنهم غرتهم دنياهم ، وفتنتهم مظاهرهم ، فغلبت عليهم ضلالتهم ، وكانوا مثل الخيبة فى عصورهم ، وأسوأ ذكرى فيمن بعدهم .

حصل هذا من كثيرين فى الأمم السابقة ، وحصل من أناس فى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ولكن رجالا منهم تجاوزوا فى إسرافهم ، وانخرطوا فى شر ما يختاره الحمق لأنفسهم فعمد القرآن إلى ذكر قصة تمثل أيهم فى صورة الكلب ، وأمر الله رسوله أن يتلو على النـاس نبأه لما فى ذكره من تشنيع عليه ، وتحقير له ، ولما فى قصته من هـول الموقف وبشاعة الحال . يقول الله لرسوله ما معناه : واتل على الناس نبأ ذلك الرجل الذى بلغته آياتنا فانسلخ . منها ، وطرحها كما تسلخ الشاة من جلدها ويطرح عنها ، فتصير وكأنه لم يكن منها ولم تكن فيه .

وما دامت للإنسان مدارك ، وله اختيار فى مسلكه فبطرحه للآيات ، وابتعاده عن تفهمهما يكون قد أسلم نفسه للهوى ، وأقبل راضيا على دعوة الشيطان .

والشيطان فى حرص على اجتذاب الغـواة إلى مصاف جنوده ، يزين لهم كل سوء ، وينفرهم من كل خير ، ويهون عليهم تكذيب الآيات ، والاستهانة بالنذر ، فيعيشون فى ضلال متراكم ومآثم متلاحقة .

وما كان عزيزاً على الله أن يهدى بآياته ذلك الضال ، وأن يرفع من شأنه بسببها ! ! ولكن : غلبت على الضال شقوته ، فأخلد إلى الهبوط كالنازل إلى الأرض ، وحاد عن مستواه الكريم .

والله يعلم من شأنه أنه لا يهتدى لسوء اختياره فتركه فى عمايته ، بين موجات من الفكر المضطرب ، تقذفه يمينا وشمالا بين ملاذه ينهمك فيها ، وتكالبه على جمع الحطام ، وحرصه على مظهره بين الملتفين حوله .

وبين خوفه على شىء من هذا أن يفلت من يده ، ومن طوارئ تنغص عليه متاعه ، فهو بين شواغل وهموم تساوره وعلى غـير قرار فى شأنه .

ولو أنه انتفع بالآيات فى توجيهاتها ، ورضى بما لديه ، وترك الأمر لتدبير الله بمشيئته وسلطانه لكان أسعد حياة ، وأهدأ بالا ، وأحظ عاقبة .

ولكن الرجل - وقد رضى لنفسه ما رضى - صار كالكلب الذى يجهد نفسه دائما فى تنسم الهواء فهو يلهث فى التنفس بشدة ، ويخرج لسانه من شدة ما به من إعياء فى إخراج تنفسه

ساخنا من جسمه ، والتماس الهواء الرطب .

ولا يستطيع الكلب أن يتخلص من هذا السبب يلازمه فى جهاز تنفسه الضعيف .

مجهود الكلب لا يريحه ، ومنظره لا يزايله وهو على حاله تلك : سواء أحمل عليه الإنسان ليبعده ، أم تركه قريبا .

كذلك الكافر المتحدث عنه ، وشأنه شأن أمثاله من المكذبين بالدين .

ولبئس هذا المثل الذى يتمثلون فيه بالكلب ، وقد كرمهم الله فلم يكرموا أنفسهم ، ودعاهم فلم يستجيبوا لدعوته .

فليعيشوا كما أحبوا لأنفسهم مقاطعين لله ، ولن يفلتوا مما أعد لهم من عذاب مقيم .

هذا قصص لا يراد منه تصحيح وضع سابق بعد أن تردى فيه أولئك الجاحدون .

وإنما يراد بهذا تذكير من غفل ، وتدارك الأحياء منا بالنصيحة أن تزل أقدامنا فيما زلت فيه أقدامهم .

وتشخيص النبأ فى صورة واقعية لا يقبل تكذيبا ، ولا ريبة .

وأن تكون هذه الصورة تمثيلا بالكلب أبلغ ما يضرب من الأمثال فى بيان شأن الكافرين بالله ورسوله وآياته .

والله تعالى يضرب المثل بما يليق بحالنا ، ويرجى منه أن يفيد فى توجيهنا ، وهو ـ سبحانه ـ لا يستحى أن يضرب مثلا ما !!

وإن يكن ظاهر القصص فى موضوعنا تهذيبا دينيا ، فالقصد تثقيف أعم وأوسع : مما يتصل بالحياتين .

وليس من صواب الفهم دائما أن تقصر الإرشاد على ناحيته ، وتقطع الصلة بين الإرشاد الدين والدنيا .

فإن الهدف الأكمل تربية المسلم تربية مثلى فى كل جانب من جوانبها .

وحض الإنسان على حسن الاختيار فى تصرفاته عامة يكفل فلاحه ، وطيب عيشه فى دنياه ، وبهذا يكون أكثر قدرة على الاحتفاظ بدينه ، وأكثر قوة فى المجتمع . .

والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

والله تعالى يختم آية الموضوع بتوصيتنا أن نفكر ، ونفطن ، حتى لا يكون النبأ الذى أمر الرسول بتلاوته علينا مجرد خبر عار عن الغاية منه . فيقول : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » .

وتلاوة الآيات ، أو سماعها دون الاستمداد منها والاهتداء بها يكون أشبه بانسلاخ الكافرين منها لما فى الحالتين من إعراض واستهانة بمقاصدها ، والله نرجو أن يكون عونا لنا على الوفاء بما يحبه منا ، ويرضاه ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

من أعلام الفقهاء :

شيخ الإسلام ابن تيمية

للأستاذ ابراهيم عبد الباقي

فى كل عصر وجيل يظهر أفذاذ من علماء نابغين ، وعباقرة مصلحين يشيدون من المجد صروحا ، ويقيمون للعلم والفضيلة بنيانا أى بنيان ، فمن هؤلاء الأفذاذ الذين ذاعت محامدهم ، وانتفعت الدنيا بمواهبهم ، شيخ الإسلام والمسلمين أحمد تقى الدين أبو العباس ابن الشيخ شهاب الدين ابن تيمية .

ولد فى اليوم العاشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة ، وكان مسقط رأسه (حران) معهد العلم والعلماء من أقدم عصور الإسلام وقد شاء الله - جلت حكمته - أن ينزح من هذا البلد هو وأسرته إلى دمشق على أثر الغارات التى شنها عليها التتار فى وقت كانت سنه لا تزيد على سبع سنين ، وهذه أولى المحن التى انتابته ، سنة الله فى المصلحين أن يحميهم من الترف والنعيم ، حتى يستطيعوا أن يصمدوا أمام ما يواجههم من كوارث الحياة وأحداثها .

كان أبوه - رحمه الله - من رجال الحديث فلزمه واتصل بعلماء الحديث بعد أن حفظ القرآن الكريم فأخذ يدرس ما جاء فى صحيح البخارى ومسلم ، وجامع الترمذى ، وسنن أبى داود ، وابن ماجه ، والنسائى ، والدارقطنى وبخاصة مسند الإمام أحمد ، حتى فاق أهل عصره فى فن الحديث وروايته .

ولما أغار التتار على الشام تقدم إلى ملكهم بالقول فكفوا عن دمشق ولكنهم عادوا إلى عدوانهم ، فلحق الناس رعب شديد ، ولكن قام فيهم هذا البطل وخطبهم خطبة أهاجت فيهم نيران الغيرة ، وقاد الجيش : جيش مصر ، وجيش الشام ، وأقسم بالله أن النصر حليفهم ، لأن الله وعدهم النصر والله لا يخلف وعده ، وما جاء اليوم الرابع من شهر رمضان حتى كبت الله عدوهم وولوا مدبرين ، يتحصنون بالجبال والتلال ، ومن هذا الحين بلغت مكانة ابن تيمية الذروة ،

وصار اسمه فى كل مكان ؛ لأنه كان العامل الأول فى هذه الانتصارات الرائعة ، وكان من السهل أن يتقلد منصبا من مناصب الدنيا ولكنه أبى ورضى أن يكون الواعظ المرشد.

لم يكتف ابن تيمية بتجريد السيف على المعتدين ، بل أخذ يحارب المبتدعين الذين شوهوا جلال الدين بما أدخلوا فيه من بدع وترهات ، ومواسم وأعياد ، وزيارات شركية وبخاصة الصوفية ، وإمامهم محى الدين ابن عربى الذى انتهت فلسفته إلى وحدة الوجود وهو مذهب ظاهر البطلان والفساد، ويستلزم أنه لا حلال ولا حرام . يقول شاعرهم :

أصبحت منفعلا لما تختاره مــنى ففعـــلى كله طاعات

ولقد توالت المحن على ابن تيمية وعصفت به الفتن حتى عذب عذابا شديدا وذاق مرارة السجن الذى يضم بين جدرانه حثالة الناس وهو صابر على ما أصابه ، رموه بالزيغ والإلحاد والخروج على الأئمة الأعلام ليصرفوا الناس من حوله ، ولما لم ينالوا مآربهم سلطوا عليه يد الظلم العاتية فحبسته فى قلعة دمشق ليقيدوا من علمه ، و ليطفئوا نوره ، ولكن الله غالب على أمره ، فكان يبعث علمه من طاقات السجن وتلاميذه ورواد منهله يجلسون تحت القلعة بمحابرهم وأوراقهم ، وهو يملى عليهم من حفظه .

منهجه فى فهم القرآن الكريم :

جعل لتفسير القرآن الكريم ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : تفسير القرآن بالقرآن ، فما أجمل فى آية يفصل فى أخرى ، ولنضرب لذلك مثلا واحدا : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [1] » ، وجاء فى سورة (طه) « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى [2] » ، فالأولى مجملة ، والثانية مفصلة وهكذا .

المرتبة الثانية : السنة فإن لم يجد فى القرآن ما يفسر القرآن اتجه إلى السنة ، لأنها شارحة للقرآن الكريم، قال سبحانه : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلهم يتفكرون » ، وكما أنها شارحة للقرآن الكريم، فهى تلى القرآن فى مرتبة الحكم ما دامت صحيحة .

المرتبة الثالثة : إذا لم يكن هناك قرآن ولا سنة يفسران القرآن الكريم يرجع إلى أقوال الصحابة ؛ لأنهم أدرى الناس بعلم القرآن حيث شاهدوا الرسول وتلقوا الشرح منه .

---

(١) : ١١٦ النساء .

(٢) : ٨٢ طه .

منهجه فى العقائد :

يرى أنه لاسبيل لمعرفة العقيدة والأحكام بكل ما يتصل بها إجمالا وتفصيلا إلا من القرآن والسنة المبينة له ، فما يقرره القرآن ، وما تشرحه السنة يقبله كما ورد ، ولا يجعل للعقل سلطانا فى تأويله أو تفسيره أو تخريجه إلا بالقدر الذى تؤديه العبارات، وتضافرت به الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ لهذا شدد النكير على الفلاسفة ومن تبعهم كحجة الإسلام الغزالى فى أن علم البرهان هو الميزان لكل العلوم ؛ ذلك بأن إدراك البشر محدود ، وحواسه مقصورة على عالم الماديات وما وراء ذلك غيب ، والغيب قد استأثر الله بعلمه ، قال سبحانه : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله[1] » لهذا جاء الكثير منها فى صورة حسية لندرك منها فى عالمها ما ندركه فى العالم المادى. وعلى هذا فإنه سلك مسلك السلف الصالح فى أن الله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله من غير غلو ولا تعطيل ، ولا كيف ولا تمثيل ، فكل ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف من الصفات التى يخالف ظاهر لفظها المراد منها كالفوقية والاستواء والنزول والغضب والحب واليد وغير ذلك يؤمن به ويفوض حقيقته إلى الله تعالى كما قال سبحانه : « وما يعلم تأويله إلا الله[1] » ، ولنضرب لذلك مثالين: الأول قوله سبحانه وتعالى : « الرحمن على العرش استوى[2] » ، الثانى : « وهو القاهر فوق عباده[3] » ، فليس استواءه على عرشه كاستواء الملوك على عروشهم ، ولا علوه على خلقه كعلو بعض الأجسام على بعض ، يدل على ذلك قول الإمام مالك رضى الله عنه لما سئل عن الاستواء : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

كذلك الفوقية يؤمن بها ، ويفوض حقيقتها إلى الله تعالى ، والمحذور فوقية المكان المعروف الذى يستلزم الإحاطة والجرم والجهة ؛ لأن هذا من صفات الحوادث .

منهجه فى التشريع :

يرى رضوان الله عليه أن التشريع نوعان : نوع يتعلق بالله تعالى وهو العبادات ، ونوع يتعلق بعباده وعلاقة بعضهم ببعض وهو

[١] سورة النمل الآية ٦٥ .

[١] سورة آل عمران ٧ .

[٢] سورة طه ٥ .

[٣] سورة الانعام ١٨ .

المعاملات فأما العبادات فهى حق لله تعالى ، وقد جاءت تامة أصلا وفرعا ، فلا يجوز فيها تبديل ولا تغيير ، ولا نقص ولا زيادة ، كما أنها من خواص الربوبية فمن زاد فيها فقد أشرك مع الله فى التشريع ، ويلزمه نقصان دين الصحابة . وأنه مكمل لشريعة الله تعالى ، قال الإمام مالك رضى الله عنه : (من زعم أن هناك بدعة حسنة فقد اتهم الرسول بأنه خان الأمانة ، لأن الله تعالى يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا »)(١) .

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : (من ابتدع فقد شرع) .

وبدهى أن العبادة ليست مقصورة على الصلاة والصوم والزكاة والحج فحسب ، بل هى فوق ذلك من إنابة ، وخشوع . واستعانة فى غير الأسباب المسخرة ، ونذر ، وطواف ، وما إلى ذلك مما اختص الله به سبحانه .

منهجه فى المعاملات الدنيوية :

لقد وقف منها موقف المصلح الاجتماعى الرشيد حيث إن أحكامها جاءت كلية ولم تنص على الجزئيات ليستنبط منها الأحكام الجزئية العلماء العارفون بمقاصد الدين التى تناسب كل زمان ومكان . والتى تحدث للناس مراعين فى ذلك درء المفاسد وجلب المصالح ، وعرف الناس ، وعاداتهم وطباعهم ، لأنها جاءت للبشرية جمعاء ؛ فكانت له نظريات فى استخراج الأحكام من تلك الكليات خالف فيها معاصريه فاتهموه بالزيغ والإلحاد لا عن دليل أقاموه أو علم عرفوه سوى التقليد الممقوت الذى هو آفة القديم والحديث .

من ذلك : عدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، وتحريم المحلل ، وشد الرحال إلى المساجد الثلاثة فقط ومنع جميع التوسلات إلا بثلاث : أولا - بالله أو بصفة من صفاته ثانيا : بعمل الشخص نفسه لا بغيره . ثالثا : بدعاء الحى لا الميت ولا الغائب نبيا كان أو غيره من الصالحين .

هذه النظريات التى كانت ولا تزال شجى فى حلاقيم الذين تنقصهم سعة الاطلاع ، ولو أنهم - عفا الله عنهم - اطلعوا على أدلته ، وحكموا العقل والصالح العام ، لما شنوا الغارة عليه ، ووضعوا أيديهم فى يده ، وعلموا أنه على الحق المبين ، وضل عنهم ما كانوا يفترون . وحسبى أن أبين شيئا من فقهه لعل هؤلاء يثوبون إلى رشدهم فيكفوا ألسنتهم عن المصلح الكبير ، والعالم الزاهد الجليل ، جزاه الله خيرا بقدر ما أسداه للإسلام من جميل .

(١) الطلاق الثلاث بلفظ واحد .

يرى شيخ الإسلام أنه يقع طلقة واحدة .

(١) سورة المائدة الآية ٣ .

ويرى الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب أن الطلاق الثلاث يقع بلفظ واحد، متبعين فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لأنه قد ثبت فى الأحاديث الصحيحة، أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد كان يقع طلقة واحدة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد أبى بكر، وفى سنتين من خلافة عمر، غير أن عمر وجد الناس قد أكثروا منه فعاقبهم بأن أوقعه ثلاثا تأديبا لهم، يؤيد ذلك حديث مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر، وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة. فقال عمر بن الخطاب: (إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم). والتأويلات التى تحاول إيقاع الطلاق بلفظ واحد لاتنهض دليلا على النسخ، لأنه لا يصح أن يبقى الحكم إلى خلافة عمر وهو منسوخ، وليعلم هؤلاء أن عمر لم يكن مشرعا، وإنما كان معاقبا، لأن الشرع الشريف أباح للحاكم الشرعى أن يسن عقوبة على الذين يتمادون فى المباحات حتى تصير دينا من الأديان.

ومن الأدلة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا فقام فغضب فقال: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم». فأنت ترى من غضب الرسول صلى الله عليه وسلم أن وقوعه دفعة واحدة ينافى قاعدة التيسير التى اختصت به الشريعة الإسلامية وينافى ماجاء عن الرسول من أنه بعث ميسرا لا معسراً، وأنه ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما، وقوله كذلك «بعثت بالحنيفية السمحاء».

هذا ولقد تنبه بعض الأمم الإسلامية فى السنين الأخيرة إلى تطبيق هذه النظرية فى الأحـــوال الشخصية وصار معمولا بها فى المحاكم الشرعية والأهلية فى الجمهورية العربية لما فيها من اليسر.

ابن تيمية والمذهبية:

كان ابن تيمية منتسباً للحنابلة، ولكنه كان حراً فى آرائه. خالف مذهبه بل خالف الأئمة الأربعة عن بينة وعلم فى مسائل مر بعضها، منها أن الطلاق البدعى، والطلاق الثانى من غير أن تتخلله رجعة لا يقعان، وكذلك الطلاق الذى يقصد به الحمل على فعل شىء أو الامتناع عنه، ولم يقصد الطلاق فإنه لا يقع، وقد أقام الأدلة على صحة آرائه من الكتاب والسنة مستشهداً على ذلك بآراء السلف الصالح ممن كانوا فى القرون الثلاثة الأولى. كما أنه يرى أن الغضب الشديد

الذى يستولى على الإنسان فيغلق عليه قصده ويفقده وعيه — لا يقع فيه الطلاق لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « لاطلاق فى إغلاق » وأن الله تعالى لم يعتب على موسى لما ألقى الألواح على الأرض ، ومن أراد التفاصيل فليطلع على كتابه : الفتاوى حتى يعلم علم اليقين أن ابن تيمية كان على نور من ربه ، وبينة من العلم .

ومن آرائه السديدة أن المحلل لم يحل فى شريعة من شرائع الله تعالى ، لأن أضراره جسيمة ولم يحقق المعنى الذى أراده الله تعالى فى قوله : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » إذ أن المقصود من الآية والله أعلم : أن المرأة التى أنذرها زوجها لترجع عن غيها بالطلاق الأول ، ولم يفدها هذا الإنذار ، فأنذرها ثانيا بالطلاق الثانى ، فلم يؤثر عليها ، فالحكمة تقضى بألا ترجع إليه ثالثاً إلا بعد أن تقترن بغيره وتتزوجه زواجا شرعياً وتعيش معه ليتبين لها الفرق بين الزوجين ، أكانت ظالمة ، أو مظلومة ، فإن كانت ظالمة ترجع إليه صاغرة إذا ما طلقها الثانى. وقد دلت التجارب الكثيرة على أن كثيراً من اللاتى تزوجن ثانيا يرغبن فى الرجوع إلى أزواجهن الأوائل؛ لأن العشرة الثانية أعطتهن درسا عمليا. وعلى هذا فإن زواج المحلل الذى يقصد به التحليل لا الزواج لم يحقق هذا المعنى ، ومن الأدلة التى ساقها على ذلك ما جاء فى الحديث الذى روى [1] عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا : بلى يا رسول الله قال : هو المحلل . لعن الله المحلل والمحلل له » وقال عمر : لا أوتى بمحلل ومحلل له إلا رجمتهما .

وجاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال له : « إن عمى طلق زوجته ثلاثا أيحلها رجل ؟ فقال : « من يخادع الله يخدعه » . وقد سئل ابن عمر رضى الله عنهما عن رجل طلق زوجته ثلاثا ، فيتزوجها أخ له من غير مؤامرة بينهما ليحلها لأخيه ، هل تحل للأول؟ قال لا : إلا نكاح رغبة. كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ومما خالف فيه ابن تيمية أهل عصره تحريم إنشاء سفر إلى غير زيارة الأحياء إلا لله تعالى مستدلا على ذلك بحديث الصحيحين : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » رأى ابن تيمية أن شد الرحال فيه من التعظيم ما لا يكون إلا لله وحده ، وهذه الثلاثة بيوت الله تعالى، فالصلاة فيها تعظيم لله وحده

---

(١) رواه ابن ماجة .

كصلاة تحية المسجد فإنها لرب المسجد لا للمسجد نفسه .

ومما احتج به ابن تيمية عليهم حديث البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه فبكى وبكى من معه ثم قال : إن الله قد أذن لى أن أزور قبر أمى ، ولم يأذن لى أن أدعو لها ، زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة . رواه ابن ماجه عن أبى هريرة .

والحق أن ابن تيمية لم يكن فى ذلك مغالياً ، ولا متجنيا على أولياء الله تعالى ، وإنما كان محافظا على توحيد الله تعالى ، وتحقيق معنى قول : لا إله إلا الله ، قولا وعملا وتصديقا ، وليس من شك فى أن الأوضاع التى درج عليها الكثيرون من الناس فى تشييد القبور ، وخلع الزينة فوقها ، ووضع العمائم وغيرها ، وإيقاد السرج عليها - هى التى ورطت دهماء الناس فى هذه الضلالات ، وصرفتهم عن التوحيد الذى من أجله أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وجردت سيوف الجهاد ، وقسمت الخليقة إلى أبرار وفجار ، وأقيمت الجنه والنار ، إن الوثنية لا تنحصر فى حجر فقط ، بل تعم كل ما صرف الناس عن الله تعالى ، قال عمر رضى الله تعالى عنه : (إنما ينقض الإسلام عروة عروة) إذا نشأ فى الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، وهذا يطابق ماقيل : إن من لا يعرف الشر أحرى أن يقع فيه ، وقد جاء فى التاريخ الصحيح أن عمر كان يقبل الحجر الأسود ، ويقول : (إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) . فيبدو لنا من كلام عمر أن تقبيل الحجر الأسود لا لدفع شر ، ولا لجلب نفع ، وإنما هو مظهر من مظاهر الخضوع لأمر الله ورسوله ، وهذا معنى العبودية ، لأنها لا تتحقق فى العبد إلا بالتسليم والإذعان ، والانقياد والطاعة ، ولقد تتابعت آيات القرآن الكريم تبين لنا أن مشركى العرب الذين حاربهم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجحدوا الخالق . ولم يشركوا بربهم ، وإنما كان إشراكهم فى الألوهية فقط : أعنى فى العبادة لا فى الربوبية ، وليس أدل على ذلك من أن كلمة التوحيد التى أسس عليها الإيمان : لا إله إلا الله ، (والإله المعبود بحق) ، ولم تكن لا رب إلا الله ، لأنها لم تكن موضع جحود .

قال الله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم [1] » .

كتب ابن تيمية :

كتاب موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول

[١] سورة الزخرف ٩ .

تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل كتاب الإيمان ، استوعب فيه جميع نواحى الايمان . كتاب الصراط المستقيم ، شرح الأصبهانية ، مجلدات ضخمة فى الرد على الفلاسفة ، وله رسائل كثيرة عرف منها الواسطية ، الحموية ، التدمرية ، الكيلانية ، البغدادية ، البعلبكية ، الإكليل ، الأزهرية ، مراتب الإرادة ، القضاء والقدر ، بيان الهدى من الضلال ، معارج الوصول ، السؤال عن العرش ، بيان الفرق الناجية ، منهاج السنة ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

ويقع هذا الكتاب فى أربع مجلدات ضخام بين فيها الكتاب حقيقة المسيحية التى زكاها القرآن الكريم وما اعتراها من تغيير وتبديل ، وبيان الأسباب التى جعلتهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، وإذا ما ذكر القرآن الكريم الإنجيل فى مقام الثناء ، فليس هو الإنجيل الذى بين أيديهم ، كما أنه ذكر فيه مسائل لا تتفق والعقل السليم والدين الصحيح ، وأن عيسى بعثه الله تعالى ليتمم شريعة موسى كما جاء عنه : « ماجئت لأنقض الناموس الذى جاء به موسى ولكن جئت متمما » .

أما كتبه فى الفقه فقد بلغت عدداً عظيما بعضها منشور وبعضها غير منشور ، فمن المنشور فتاواه المختلفة التى كان بعضها فى مصر ، وبعضها فى الشام ، وقد طبعت منها المجلدات الضخام ، وقد اشتملت هذه الفتاوى على قواعد كثيرة فى الوقف ، والوصايا والاجتهاد والتقليد ، وقاعدة شمول النصوص ، وقاعدة القياس ، ولعب الشطرنج ، وأحكام الكنائس ، ورجوع المغرور على من غره ، والضمان ، وطهارة سؤر ما يؤكل لحمه وبوله ، والجهاد والترغيب فيه ، وغير ذلك مما لا يحصى عددا .

وله كذلك رسائل كثيرة وكتب جليلة منها كتاب فى نكاح المحلل وكتاب العقود ، وله تعليق على كتاب المحرر فى الفقه لجده الشيخ مجد الدين فى عدة مجلدات ، وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب العمدة فى الفقه للشيخ موفق الدين فى مجلدات أيضا ، ومن رسائله رسالة الحسبة فى الإسلام ، وإيضاح الدلالة فى عموم الرسالة ، ورسالة وضع الحوائج ، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام ، وغيرها .

ابراهيم عبد الباقى
من علماء الأزهر الشريف

الإسلام في سيلان

للأستاذ عطية صقر

في المحيط الهندي وإلى الجنوب من شبه القارة الهندية تقع جزيرة كانت متصلة بها قديما بجسر عرف بجسر آدم تعرف بجزيرة سيلان ، دخلها الهنود فيما قبل التاريخ ، ثم تعرضت فيما بعد لعدة غزوات حتى عرفها الغربيون في مطلع القرن السادس عشر عندما نزل البرتغاليون إلى سواحلها سنة ١٥٠٥ ميلادية ، للتجارة في خيراتها الوفيرة واستمروا بها مدة طويلة حتى نافسهم الهولنديون وغلبوهم عليها ، ثم كانت الجولة الاستعمارية الأخيرة لبريطانيا التي ظلت تحكمها كمستعمرة حتى استقلت أخيرا في سنة ١٩٤٨ ، وأصبحت عضواً في المجموعة المعروفة بالكومنولث .

يسكن هذه الجزيرة - حسب إحصاء سنة ١٩٥٣ - ٨٠٩٨٦٠٠ نسمة ، وهم يقربون الآن من نحو عشرة ملايين ، منهم ٨٩ ٪ من أصل هندي ، ٦ ٪ من الملايويين ، ٣ ٪ من عرب شمالي إفريقيا ، ٢ ٪ من الأوربيين والعناصر المولدة ، والعنصر الغالب فيها هم السنهاليون ثم يليهم التاميليون .

والديانة السائدة في الجزيرة هي البوذية ، وقد دخلت إليها قبل خمسة قرون من الميلاد ثم انتشرت في القرن الثالث قبل الميلاد ، ويدين بها الآن نحو ستة ملايين ، ويوجد نحو مليون ونصف يعتنقون الدين الهندوكي ونحو ثلاثة أرباع المليون يدينون بالمسيحية التي بشر بها الرهبان الوافدون إلى الجزيرة مع الاستعمار .

أما المسلمون ويعرفون بالمورو ، وهو اللقب الذي أطلقه عليهم البرتغاليون ، فقد اختلفت النقول في تقدير عددهم ، وهذه التقديرات دائرة بين نصف المليون وثلاثة أرباع المليون ، وهم موزعون في أطراف الجزيرة من أقصى الشمال في : جفنا Jaffna وفي جالي galle في أقصى الجنوب ، وفي كولمبو Colombo العاصمة الحالية للبلاد ، وفي كاندي Kandy العاصمة القديمة ، وفي القرى المجاورة لها التي تسكنها غالبية مسلمة . وقرية « أقرنو » جميع سكانها من المسلمين من سلالة عربية ، ويعلل بعض المؤرخين ذلك بأن ثلاثة من العرب المسلمين نزلوا الجزيرة وأرادوا التزوج منها فطلبوا من الملك أن يسمح لهم بذلك فأجابهم إلى طلبهم ، لحاجته إلى جنود يدافعون عن مملكته ولما يعلمه عن هؤلاء من البأس والشجاعة . فتزوج

كل منهم ثلاث نساء أنجبن ذرية كانت النواة لقرية صغيرة ، ما زال يكثر عددها حتى أصبحت الآن تعد بالآلاف ، وكان فى هذه القرية داعية مخلص نشر الدعوة وعلم الأحكام وهدى إلى الحق ما زال قبره يزار إلى الآن واسمه الشيخ إبراهيم عبد الله بن خفيف .

ويؤخذ من مجموع الروايات التاريخية أن الإسلام وصل إلى هذه الجزيرة فى زمن مبكر جدا ، يبالغ بعض المؤرخين فيرجعه إلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن الثابت تاريخيا أن العرب كانوا يعرفون سيلان وسواحل الهند الجنوبية قبل الميلاد بعدة قرون ، وكانت لهم صلات تجارية بالمدن الشهيرة فى مياه المحيط الهندى والهادى .وقد أطلقوا على هذه الجزيرة اسمها المعروف الآن « سيلان » لسيلان أنهارها الكثيرة كما عرفت فى بعض الأزمان ببلاد "السمن والعسل لكثرة خيراتها ، وكان اسمها قبل معرفة العرب لها « لنكا » ، والذى حمل لواء النشاط التجارى فى تلك الأزمان هم العرب الحضارمة وسكان جنوبى الجزيرة العربية ، المعروفون بأسفارهم ومغامراتهم البحرية ،ومن الثابت أن هؤلاء دخلوا فى الإسلام فى العام التاسع والعاشر من الهجرة ، حيث جاءت وفودهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم معلنة إسلامها ، وأرسل إليهم البعوث للدعوة والتعليم ، ولا شك أن هؤلاء التجار ذكروا الإسلام فيما ذكروه ودعوا إليه وهم يمرون بالبلاد التى اعتادوا مزاولة نشاطهم التجارى فيها ، فى سيلان وسواحل الهند وجاوا والصين التى أسسوا فيها مستعمرة إسلامية فيما بعد فى « كانتون » . ويقول الملاح الفارسى « بزرك بن شهريار » فى كتابه الذى وصف فيه رحلته البحرية سنة ٤٠٤ هـ :

« لما سمع أهالى سيلان عن الرسول العربى أوفدوا رجلا ممتازاً إلى جزيرة العرب لاستطلاع حال الرسول ودعوته ، فوصل إليها فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه « ١٣ - ٢٣ هـ » فتشرف بمقابلته وتحدث إليه فيما جاء من أجله ،وعند عودته مات فى الطريق ، وكان معه خادم هندى هو الذى بلغ أهل الجزيرة ما شاهده وما حمل من معلومات ، وتفاصيل الحادثة التى جرت بينهما وبين عمر » (١) .

ويقول البلاذرى فى بيان أسباب فتح السند : « كان التجار العرب يذهبون إلى سيلان للتجارة واستوطن هناك بعض التجار المسلمين مع أسرهم ، وقد لاقى بعضهم حتفه فيها ، فلما أصبحت الأسر بدون عائل أرسلهم الملك الذى كان يحكم سيلان إلى الحجاج بن يوسف الثقفى بالكوفة بطريق البحر ، وزودهم

---

(١) ص ١٠٦ عجائب الهند ، بتصرف .

بهدايا قيمة على حسابه الخاص ، ولما وصلت السفينة التى تقلهم إلى بلدة « ديبل » بالسند أغار عليها جماعة من القراصنة واستولوا على الهدايا ، ولما سمع الحجاج هذا النبأ المؤلم قرر الهجوم على السند انتقاما من هؤلاء الظالمين ، وقد جرت هذه الوقائع فى عصر الوليد بن عبد الملك « ٨٦ - ٩٦ هـ » [1] .

وهذه الروايات تدلنا على قدم الإسلام فى هذه البلاد ، وأنه قد وصل إليها فى القرن الأول الهجرى وزاد اتصال المسلمين بها بعد ذلك فى فترات متتابعة من التاريخ .

يشتغل أكثر المسلمين بالتجارة التى ورثوها عن أسلافهم وبعضهم يشتغل بالزراعة ، وقد أدخل الملايويون مهنة صيد الأسماك إليها عندما جاءوا كجنود فى الجيش الألمانى، وما يزال كثير منهم يعمل فى إدارة البوليس والخدمات العسكرية .

والمسلمون جميعا سنيون ، ويؤدون عباداتهم على مذهب الإمام الشافعى إلا قليلا منهم يتبع أبا حنيفة ، وهم النازحون من الهند وباكستان ، والعادات المحلية المتوارثة ومظاهر الديانات القديمة لها أثر واضح فى الحياة الإسلامية ، ويقول السيد محمد علوى أبو الحسن عضو بعثة سيلان فى الأزهر سنة ١٩٥٢ : « إن الطرق الصوفية الوافدة منتشرة فى البلاد ، ولها طابعها المميز لها فى الوسط الإسلامى من الحرص على زيارة المقابر ، وقراءة المولد النبوى فى شهر ربيع الأول إحياء لذكراه الكريمة ، وفى شهر المحرم لذكرى الحسين ، وفى ربيع الآخر لذكرى محى الدين عبد القادر الجيلانى ، وفى جمادى الآخرة لذكرى شاه عبد الحميد الهندى .

والمساجد موجودة فى كل مكان فيه مسلمون ، وتكثر فى « كاندى » حيث توجد هناك خمسة مساجد ، وفى القرى المجاورة لها حيث يكثر المسلمون .

وقبل وصول البرتغاليين إلى البلاد فى مطلع القرن السادس عشر كان للمسلمين شأن عظيم فيها حيث أسسوا لتعليم أولادهم مدارس « كتاتيب » تدرس فيها مبادئ العلوم والشريعة ، ولكن الاستعمار البرتغالى والألمانى أضعف من شأن التعليم وأهمل المدارس الأولية فى القرى فصار التلاميذ يتعلمون فى المساجد .

وأهم المدارس الموجودة هناك :

١ - الكلية الزاهرة أو كلية الزهراء التى أسست سنة ١٨٩٢ وكانت مدرسة صغيرة فأصبحت اليوم كلية لها فروع فى المدن الهامة ، وتدرس فيها العلوم العصرية للشهادات الابتدائية والثانوية ، ويتخصص فيها الطلبة لدخول الجامعة ، تلك الجامعة الوحيدة التى

(١) ص ٤٣٦ فتوح البلدان بتصرف .

أقيمت مبانيها الحديثة فى « بارديفيا » على بعد مائة كيلومتر من كولومبو ، غير أن التعليم الإسلامى فى الكلية الزاهرة ضئيل جداً ، ومما يجدر ذكره أن الزعيم أحمد عرابى ، الذى نفى من مصر إلى هناك عقب الاحتلال البريطانى ، كان له الفضل فى إنشاء هذه الكلية ، وهو الذى اختار لها هذا الاسم ، ولعله اقتباس من اسم الجامع الأزهر ، وكان يتعهدها بالزيارة والتوجيهات القيمة .

٢ – المدرسة الغفورية العربية ، التى أنشأها المرحوم الحاج عبد الغفور نور الدين فى ضواحى العاصمة ، على نفقته الخاصة ، ويتلقى التلاميذ فيها العلم بالمجان إلى جانب إسكانهم والإنفاق عليهم .

٣ – كلية البنات المسلمات فى كولومبو ، وقد ساهمت مصر بعشرة آلاف روبية لاستكمال بنائها .

– مدرسة البهجة الإبراهيمية فى « فورت جالى » .

ولغة الدراسة فى هذه المدارس ، كمدارس الحكومة والمدارس الأخرى ، هى السنهالية والتاميلية . أما اللغة العربية فتدرس كلغة ، وفى سنة ١٩٤٨ كانت جمعية الثقافة العربية – برياسة السيد عبد الرحمن عبد الرازق – تجرى امتحانات سنوية فى اللغة العربية وتمنح الناجحين فيها شهادة تعادل الثانوية العامة المصرية وتسمى المولوى Moulvi ، تؤهل الحاصلين عليها لتدريس اللغة العربية بمدارس الحكومة ، وقد أنشئ فى السنوات القريبة كرسى للغة العربية فى جامعة سيلان .

ونفقات التعليم قائمة على التبرعات والهبات وفى رمضان من كل عام يفتح باب التبرع ، وينشط الأفراد والهيئات فى جمع هذه التبرعات ، التى كان يقدم بعضها باسم منح ، تحمل اسم صاحبها ، أو اسم أى إنسان عزيز عليه ، ولها صندوق خاص ومجلس إدارة يرأسه السيد ا . م . ا . عزيز .

وقد أنشئ مؤخرا مركز ثقافى إسلامى فى سنة ١٩٥٨ يتكون من مكتبة ضخمة وصالات للعرض وللمحاضرات ، وافتتحت فيه فصول لدراسة اللغة العربية ، يشرف عليها أستاذان من كلية الزاهرة ، أحدهما متخرج من كلية أصول الدين بالأزهر ، والآخر من قسم اللغة العربية بجامعة سيلان ، والدراسة لمدة عامين بحيث تكفى لقراءة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وفهمهما .

وتوجد رابطة إسلامية لمسلمى سيلان ، وأخرى للملايويين ، وهناك فروع لجمعية الشبان المسلمين ، وفى المسلمين شخصيات بارزة منها :

بديع الدين محمود وزير التربية والتعليم الذى زار القاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٦٠ ،

وشهاب الدين عز الدين سكرتير مجلس النواب وسكرتير عام الشبان المسلمين ، الذى ألقى محاضرة فى القاهرة بجمعية الشبان المسلمين فى مايو سنة ١٩٥٧ ، والحاج جوبا عضو مجلس النواب وأحد زعماء المسلمين ، والحاج فريد عبد الرازق وقد زارا الأزهر فى يوليو سنة ١٩٥٩ .

وليس للمسلمين حزب سياسى معين ، وكان لهم فى مجلس الشيوخ سنة ١٩٥٢ عضوان من بين ٣٠ عضوا ، وفى مجلس النواب ٧ أعضاء من ١٠٣ .

وللمسلمين آثار طيبة فى سيلان أشار إليها السير « ادوين ويجراتن » ممثل سيلان فى الهند ، حين ألقى خطابا فى جامعة « عليكرة » فى نوفمبر سنة ١٩٥٥ [1] ، منها عنايتهم بالطب وكان علماء المسلمين موضع احترام وتقدير من الحكام الذين أقطعوهم أراضى دليلا على مكانتهم عندهم ، وما يزال اسم أحد هؤلاء يذكر على مر الزمن ، وتعرف ذريته الآن بأعضاء أسرة « بيتج موديانس » Betge Mudiyanse ، وفى مبدأ الحكم الانجليزى عين أحد المسلمين فى وظيفة « الرئيس الوطنى للقسم الطبى » وكان لهذا العالم مجموعة فريدة من كتب النباتات الطبية المحلية ، وبإشرافه أنشئت الحديقة النباتية الملكية فى سيلان سنة ١٨١٠ .

وذكر السير ادوين أن الزعيم أحمد عرابى كان يعتبر ملكا غير متوج على مسلمى سيلان ، وكانوا يحبونه كثيرا واتخذوه مستشارا لهم ، حتى إنهم قلدوه فى ملبسه ، فالطربوش الأحمر والبنطلون الأوربى صارا زيا شعبيا لأنه زيه المختار .

وبعد فهذه لمحة خاطفة عن أحوال المسلمين فى سيلان ولا بد قبل أن أختم الحديث من الإشارة إلى أن هناك اتجاهين مطبوعين بطابعى الدين واللغة ، الاتجاه الأول بوذى سنهالى ، يعتمد على الكثرة العدديه والعصبية الدينية ، ويتزعمه الكهنة الذين كثروا كثرة فاحشة ، نظرا لسهولة الحصول على ما يؤهلهم لهذا العمل ، فى الوقت الذى يغشون فيه دور اللهو والمجون ويتنافى سلوكهم تماما مع المهمة التى ألقيت عليهم ، والاتجاه الثانى يتزعمه التاميل والمسلمون والعناصر المولدة ، ويعتمد على ثقافته ونفوذه ، ويجتهد الكهنة فى جعل اللغة السنهالية هى اللغة الرسمية للدولة ، بدل الانجليزية التى لا يعرفونها ، والتى يتقنها الآخرون ، كما يجتهدون فى جعل البوذية هى الديانة الرسمية ، وكل ذلك لإقصاء الموظفين من الجهة المقابلة ، وعدم مزاحمتهم مع قلتهم للكثرة الغالبة ، التى لم يكن لها من الثقافة والنشاط ما يمتاز به الآخرون .

(البقية على صفحة ١٨٠)

---

(١) مجلة مجلس الجامعة التى صدرت فى سيلان سنة ١٩٥٥ — ١٩٥٦ .

تأثير العقيدة الدّينية :

الإسلام فوق كلّ اعتبار

للأستاذ محمد رجب البيومي

لم أكن أعلم شيئاً عن تاريخ البطل الإفريقي الإمام أحمد ساموري توري ، حتى قدم حفيده الرئيس أحمد توري زعيم غينيا المتحررة إلى القاهرة ، فأفاضت الصحف والإذاعات في مآثر الجد والحفيد ، وراعني أن ألم بغرائب نادرة في دنيا البطولة الإسلامية سجلها كفاح هذا المسلم الخطير ، وغفل عن تسطيرها مؤرخو الحركات الإسلامية على كثرة ما ألفوا من أسفار ، وأذاعوا من أحاديث ، وإذا كنا في عهد المطبعة والصحافة والمذياع لا نعرف شيئاً من أمجاد إخواننا في العقيدة والجهاد ، فمن الذي يقدر على استرجاع ما نسيته الأحقاب الغابرة من روائع التضحية وخوارق التفدية في عهود حالكة أظلم فيها مصباح البحث والتنقيب ، !! إن التاريخ الإسلامي ليهيب برجاله أن دعوا المطروق الممهد من أبواب البحث في تواريخ الدول والملوك ، وعليكم أن تولوا أقلامكم شطر بلاد تدين بالإسلام وتأتلق بالبطولة ثم لا تجد تضحياتها الباسلة قلماً يرصد ، وكتاباً يذيع !! .

لقد كان الإمام أحمد ساموري توري بطلا منقطع النظير حين اعتنق العقيدة الإسلامية عن يقظة وإيمان ثم مضى ينشرها في قبائل الوثنيـــة في جنوب السنغال وغامبيا ، وعلى شواطيء نهر النيجر الأعلى وروافده حتى ألف بحجته الباهرة ودليله الممتنع أمة إسلامية مؤمنة تهيم بالإسلام عن دراسة واقتناع ! ، فمن مبلغ هؤلاء الذين يزعمون أن السيف قد مهد الطريق لدين الله أن فيما قام به الإمام أحمد دليلا مقنعاً على أن الإسلام دين الفطرة ، تنجذب إليه الضمائر المخلصة عن رغبة لا تعرف الرهبة ، وطواعية لا يشوبها إكراه !!

أجل لقد كافح الإمام في ميدان الدعوة حتى انتصر ، ثم حمل السيف مع شيعته لينازل المستعمرين الفرنسيين حين قدموا إلى بلادهم يحملون الصواعق والقـذائف . ويسلطون على الأبرياء الآمنين كوارث العدوان ، وفظائع الإرهاب ، وجمع الإمام الأعزل يجمع الصفوف ، ويلهب العزائم ، ويجمع الذخيرة مما ينهبه من سلاح المعتدين ، حتى كتب في سجل النضال صحيفة ناصعة تعبق بأريج العزة ، وتضيء بنور الإيمان ، ولسنا نسرد الآن تاريخه الحربي ، ولكننا نمهد لحادثة

خارقة كان بطلها المُعْلِمَ، ولها من سمو الدلالة وبالغ العظة ما تخشع له القلوب روعة وإكباراً، وهى وحدها جديرة أن تبوئه مقعد صدق فى الدنيا والآخرة من ناحية، وأن تمد الباحث المحلل بفيض دافق من المعانى الكاشفة السافرة من ناحية ثانية، ولها ـ مع ذلك ـ فى سجل الإسلام نظائر وأشباه!!

لقد التحمت كتائب البطل الباسل بشراذم الفرنسيين فى كفاح مرير ضاق به القائد الفرنسى «أرسيناد» ومرت ست سنوات دون أن يتقدم شبراً واحداً فى ميدانه، ومن قبله قاسى الكولونيل «برنى دى بورى» كئوس الهزيمة مترعة قاتلة، ورأى المعتدون أن القتال وحده لايفضى إلى نصر سريع، فأعملوا الحيلة حتى اختطفوا نجل الإمام، ليفتوا بذلك فى عضد أبيه، ولكنه قال لمن ساوموه على افتدائه: إن ولدى لن يزيد عن مسلم عادى كهؤلاء الذين تحصدون أرواحهم دون حياء، فإذا كنتم تتوهمون أن اعتقاله سينهى الحرب فقد أسأتم التقدير، ثم واصل الرجل جهاده مستميتاً فى الكفاح، ويئس الفرنسيون من النصر السريع فاحتالوا ثانية على اكتسابه، وعمدوا إلى النجل الأسير فاستمالوه بلذائذ النعيم، وطرائف الرفاهية، وبعثوا به إلى باريس ليرى البهجة والنضارة واللذة والعربدة فينتشى بما زين الشيطان من إثم. ويستكين لما أبدع الباطل من خداع، حتى إذا قطع الشوط إلى نهايته، ساوموه على مخالفة أبيه، والعمل على إنهاء الحرب، ليصبح الوالد ملكا مشمولا بالحماية الأجنبية، ثم ليكون الابن من بعده ولى العهد وحليف الاستعمار، ورجع الشاب المغرور متحمسا للخيانة النكراء، وبدأ بالسعى إلى استمالة الضعفاء لوجهته، فأدرك الإمام حقيقة ماكان!! والتهبت فى صدره عاطفتان قويتان: عاطفة الأبوة ذات الحنان والسماح، وعاطفة الإسلام ذات القمع للباطل والانتقام للحق، فآثر دينه ووطنه ثم حكم على ابنه بالإعدام السريع جزاء خيانته ومروقه، وبادر فأوقع الجزاء على رءوس الأشهاد فى ثقة وإيمان ...

هذا الموقف وحده يعلن أن البطل الثانى قد جعل الإسلام فوق كل اعتبار سواه، ولو لم نعرف من تاريخ حياته غير هذا العمل الجرىء لفهمنا بسهولة أن الإسلام قد صار دما ينبض فى عروقه، ويجرى فى مهجته، فهو الذى يسيطر على مشاعره، ويقهر كل عاطفة مضادة تحاول أن ترضى غريزة جامحة أو ميلا مغرضا، وكأنى بالبطل الخالد وقد درس القرآن الكريم دراسة مستنيرة، فعرف أن الله عز وجل يقول: قل إن كان

آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » . بل كأني به وقد طالع سير السابقين الأولين من أصحاب محمد ورجاله فرأى من سلوكهم البصير ، وسموهم النادر ما دفع به إلى القدوة الحسنة والاحتذاء النبيل ! إن هذا الرعيل الأول من كبار المجاهدين قد جعل الإسلام صلة عريقة تهون معها صلات الدم والأسرة والقرابة ، فإذا صدع الإسلام بأمر يعارض ما جبلت عليه بعض النفوس المتذبذبة ، كان أمره حبيبا مرغوبا ، فهو وحده النافذ المتحكم ، وهو وحده الحق الصريح ! ! هذا أمين الأمة أبو عبيدة الجراح رضى الله عنه يخف مع المسلمين من المدينة يوم بدر فيكافح الطغاة فى معركة الإسلام الأولى ، ويتعرض لأقسى امتحان عاطفي حين يجد والده أمامه ، فيحاول ألا يكون بينهما قتال مبيد ، فيولى وجهه شطر مشرك سواه ، ولكن الوالد الغاضب يتتبعه ليقول المشركون: إنه عاقب نجله العاصى شر عقاب ، فيحاول أبو عبيدة أن يتفاداه حتى إذا وجد التصميم الغادر من أب شاذ مريض ، اندفع مخلصا إلى منازلته وسيطر الإسلام على مشاعره فكان وحده الآب الأول دون هذا المعترض الأثيم ، وينتهى الموقف العاصف بمصرع الأب على يد النجل الباسل فلا يحرك فى قلبه غير عاطفة الرضا والارتياح ، ويبارك الله هذا السلوك المثالى من أبى عبيدة فيقول فى محكم كتابه : لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إن حـــزب الله هم المفلحون » ! !

وإن الناظر لهذا الموقف العصيب ليعجب من تيارين مختلفين ، فالوالد المتعاظم يبغى هلاك ولده ، لا لعقيدة ينافح عنها ، أو إله يبغى ثوابه وعدله . بل لينتشر ذكره فى الملأ من قريش فيقال: إن فلانا قد عاقب نجله يوم بدر إذ فر مع محمد إلى المدينة دون رضاه ، والابن الإنسانى الرحيم يرى أن يغمض العين عن غضب أبيه ، فيحاول أن يبتعد عنه ، وله فيمن حوله من المشركين مدد لا ينفد ! وإن إحساسه الإنسانى وشعوره الدينى معا ليوجبان هذا الابتعاد ، إذ ليس فى الموقف المشترك ما يدفع إلى التصادم الشخصى بين أب وابن

مع وجود البعداء ممن يتصارعون على أمر جلل ، حتى إذا حزبه الخطب وأدرك أن الموقف موقف انتقام متعمد ، تغير الوضع فى عينه وأقدم على مصرع أبيه راضى النفس مرتاح الضمير ! وقد استجاب فى الحالتين لتعاليم الإسلام معرضا ومقبلا ، ولنا أن نقدر منه هذا الاعتدال الحميد !!

ولم تكد تنتهى معركة بدر حتى جد من الحوادث مايثبت أن الإسلام فوق كل اعتبار سواه ، فقد وقع فى الأسر جماعة من أقرباء المسلمين ، فتقدم عمر بن الخطاب إلى رسول الله ليقول : مكنى من أخى زيد بن الخطاب لأقتله ومكن على بن أبى طالب من أخيه عقيل ابن أبى طالب ! ولكن محمداً قد آثر العفو الشامل عن القريب والبعيد ، وهو سلوك نبيل لا يفرق بين مشرك ومشرك حتى يقال إن عواطف القربى قد وجدت منفذا تتسرب منه ، على ان موضع العبرة هنا هو قول عمر فلو لم يكن يرى أن الإسلام وحده الجدير بالتقدير فى هذا المأزق ما اندفع إلى هذا الاقتراح .

ثم ما عسى أن نقول فى سعد بن أبى وقاص وقد امتنعت والدته عن الطعام والشراب حتى يرجع عن الإسلام إلى الشرك فقال لها فى حدة لو أن لك ألف نفس ، وقد جعلت كل نفس تهلك فى يوم ، ما رجع بى ذلك عن اعتقاد أهواء !! وفيه نزل قول الله : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا » .

بل ما عسى أن تقول فى الصحابى المخلص عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول حين قال لرسول الله : إن والدى قد آذاك وأذاع السوء عن أصحابك فإن كنت قاتله فمرنى بقتله ، كيلا أجد من يقتله سواى !! إن هذا النظر الأسمى إلى الإسلام ومنزلته المتمكنة من النفوس ليظهر فى أبسط دلائله أن من اعتنقوه قد آمنوا به عن حب وهيام ! فأصبح المهيمن على المشاعر ، النافذ الأمر فى المآزق مهما اختلفت البواعث والرغبات .

ولا يمكن أن نقف بهذه الخوارق النادرة عند الوعظ الخطابى وحده بل لا بد أن يجد فيها العمل الفنى ميدانا للتحليل والتصوير ، فتكون حادثة الإمام أحمد سامورى مثلا نواة لمسرحية شائقة تصطرع فيها الرغبات وتتعارض الأحاسيس ، ولها من خاتمتها المؤسية ما يكسبها ألوانا مثيرة من الانفعال والدهشة ، ووراء كل مشهد من مشاهدها النادرة عبرة بالغة ولمحة وامضة ! وإذ ذاك نعرض حوادث التاريخ الصادق عرضا مؤثرا وهو بواقعيته الملموسة يغنى عن التلفيق والاختلاق .

أذكر أن الكاتب الفرنسى الشهير

(فرانسوا كوبيه) قد اختلق رواية فى سبيل التاج التى لخصها المنفلوطى رحمه الله ليصور صراعا حاداً بين العاطفة والواجب إذ جعل الشاب الباسل قسطنطين يتحدى رغبة والده الأمير ميشيل برانكومير حين هم بخيانة وطنــه مستجيبا لرعونة حبيبته الحمقاء (بازيليد) ! ! فثارت فى النجل الأبى عواصف الكرامة والوطنية وأقدم على قتل والده مرتاح الضمير ، وقد أبدع الكاتب الفرنسى حقاً فى التصوير والتشخيص مما جعل أعلام الأدب الفرنسى مثل أناتول فرانس ، وإميل فاجيه ، وجول لومتر يسهبون فى الثناء عليها إسهابا جاوز الوصف حتى ألحق بعضهم مؤلف الرواية بكورنى ورسين وهيجو ، وفى مقدمة الترجمة العربية للرواية الخالدة تفصيل واف لذلك ! ! وأساس هذا التوفيق المبدع هو اختلاق التعارض بين الواجب والعاطفة فى نفس البطل الشاب قسطنطين ! ! فليت شعرى هل تعجز هذه الخوارق الإسلامية السالفة عن إيجاد مثل هذا التأثير إذا وجدت المسرحى المبدع الحصيف ؟ ! إنى لأجزم أن واقعة الزعيم الإفريقى المسلم ـ وهى الحق الصادق ـ تفوق فى تأثيرها واقعة البطل الخيالى قسطنطين ؛ لأن المؤلف الفرنسى قد جعل الابن يقتل والده ، أما حادثتنا تلك فقد قتل فيها الأب فلذة كبده ، وكلنا يعلم أن حب الوالد لولده أقوى بكثير من حب الابن لأبيه ، حتى سئل أرسطو عن ذلك فقال : إننا نحب أبناءنا أكثر من حبهم إيانا ، لأنهم قطع منا ولسنا قطعا منهم !! فعناصر التأثير إذن مكتملة دافقة لا ينقصها غير القلم الصناع !

وإذا كان الإسلام دينا ودولة ، فكل بطولة وطنية لديه تعتبر بطولة دينية إسلامية ، ولا كذلك فى بطولات الأمم الغربية التى تفرق بين الدين والدولة فتجعل الأول علاقة خاصة بين العبد وربه ! ثم تناقض نفسها فتؤلف الأحزاب السياسية وتلحقها بصفة مذهبية دينية ، فلا ندرى إذا كان هؤلاء يضحكون على أنفسهم أم يخدعوننا بما يدعو إلى فصل الدولة عن الدين ، ولهم رغم تناقضهم السافر فى كل دولة أذناب وأبواق .

وفى التاريخ المصرى حادثة فذة يمكن أن تضاف إلى ما أسلفناه من غرائب التضحية فى الإسلام ، فقد كان شاور الوزير الفاطمى رجل خيانة وحليف غدر وإسفاف ، وقد غلبته شقوته فتآمر مع الصليبيين على جنود الإسلام ، وحاك مؤامرة شائنة تفضى إلى مصرع أسد الدين شركوه وصلاح الدين الأيوبى ثم إلى وقوع مصر جميعها فى قبضة الملك الصليبى الغادر (مورى) صاحب بيت المقدس ، ولكن نجله الباسل الأبى (شجاع ابن شاور) قد وقف على أسرار المؤامرة

فواجه والده بالرأى الحاسم ورماه صراحة بالخيانة والانحطاط ، ثم أعلن أنه لن يصبر على مكروه يفد على بلاد الإسلام فاضطر الوالد الخبيث لمجاراته فى الظاهر ، ووالى اجتماعات المؤامرة ، ورسم طرق الخيانة ، فلما تأكد شجاع من دناءته بادر بمقابلة أسد الدين وأوقفه على ما يعتزم والده المجرم من غدر وعقوق ، وهو يعلم أنه يعرض أباه إلى موت محقق : ولكن النفس الشريفة التى هذبها الإسلام وأنارها اليقين قد تخطت رغبات الهوى ، فآثرت الباقية على العاجلة ، وأنقذت مصر والإسلام من شر موبق لا يدرى أحد ما كان يعقبه من الكوارث الماحقة لو سيطر المستعمر الغادر على ربوع آمنة مطمئنة لم تواجه أحدا بشر ، ولكن دهمها العدوان الآثم بوجهه الوقاح .

وبعد : فالإسلام خاتمة أديان سماوية شريفة متفقة الجوهر ، نظيفة اللباب ، واضحة الهدف وهو إذ يعتبر العقيدة الدينية أعز وأغلى ما يحرص عليه المؤمن الصادق إنما يكرر تعاليم نوح وإبراهيم وغيرهما من أنبياء الله ! ! فقد قال الله تعالى مخاطبا نبيه نوحا حين سأله الرحمة بولده العاق : « يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين » ، كما تحدث عز وجل عن استغفار ابراهيم لأبيه فقال تعالى « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن ابراهيم لأواه حليم ! ! » ، وهو بمثاليته الرائعة ، وتعاليمه الباهرة فوق كل اعتبار دون نزاع ؟

محمد رجب البيومى

(بقية المنشور على صفحة ١٧٤)

ولعل من الخير أن نساعد المسلمين فى هذه المنطقه ، ونأخذ بيدهم فى وسط هذا المعترك ، ولقد كان للأزهر دوره فى هذه الناحية فوفدت إليه البعوث لتلقى العلم ، ولكنها من القلة بحيث لا تكفى للوفاء بحاجة المسلمين ، والأمل أن تكون هناك مساعدة من نوع أكبر تقدمها جمهوريتنا الحريصة فى عهدها الجديد على كسب ود العالم الإسلامى فى آسيا وإفريقيا ، ولا شك أن المبعوثين الذين يختارون اختيارا خاصا يمكنهم أن يقوموا بدور إيجابى فى هذا الميدان ، إلى جانب الكتب والنشرات ووسائل التثقيف الأخرى ، التى تحمل الزاد الطيب المعبر بصدق عن الفكرة الإسلامية والمثل العليا - التى يقدر قدرها المؤمنون المخلصون للدين والوطن .

عطية صقر

موقف عمر بن الخطاب يوم السقيفه

للعلامة الهندى شبلى النعمان

ترجمة محمد لقمان الأعظمى

شبلى النعمانى علم من أعلام الهند وعالم من كبار العلماء واسع الاطلاع والمعرفة . ومؤرخ من عظماء المؤرخين ، وقد ألف فى السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى. ومؤلفاته هى خير ما ألف إلى الآن للجيل الجديد ولا يزال كتابه سيرة النبى فى ستة مجلدات كبار أعظم مؤلف فى السيرة النبوية وتعليمات الإسلام ، لا يوجد له نظير فى مكتبة الإسلام الحديثة وغير ذلك من الكتب القيمة منها : « الجزية فى الإسلام » ، و « شعر العجم » و « الانتقاد » على التمدن الإسلامى لجرجى زيدان. وهذه المقالة جزء من كتابه القيم « الفاروق » ، تلقى ضوءاً على شخصيته العظيمة وتعطى فكرة عن مدى قوته وعمقه ومنهجه فى التحليل توفى سنة ١٩١٤ .

الصورة التى تصورها كتب التاريخ والسيرة عن قضية المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم صورة غريبة جداً ، بل هى صورة تثير الدهشة والحيرة فى النفوس ، فما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتحق بالرفيق الأعلى حتى بدأ المسلمون يتنافسون ويتنازعون فى أمر الخلافة، كل يسعى لنفسه ولمصلحته .

وأغرب من ذلك أن المسلمين تركوا أمر دفن الرسول وشغلوا بأمر الخلافة والحكم ، كأن كل واحد يخاف أن يفلت زمام الحكم ، من يده ، ويتمكن الآخر منه ، وكأنهم كانوا يرون أن قضية الحكومة والخلافة أهم وأخطر وأولى بالاهتمام والعناية من دفن الرسول والاهتمام بجسده المبارك ، وكأن نفوسهم كانت تتشوف إلى الخلافة . وتطمع فى الإمارة ، وأعرضت عن حق النبى عليه الصلاة والسلام ـ هؤلاء الذين كانوا يدعون حبهم للرسول وإخلاصهم له، بل كانوا يدعون الفدا. والتضحية فى سبيل الرسول هم الآن ينحرفون ورا. السلطة والسلطان .

وتتضاعف الدهشة والحيرة حين نرى الصحابة: صغارهم وكبارهم يهتمون اهتماما بالغا بالخلافة حتى إن الذين كانوا يعتبرون النجوم اللامعة فى سماء الإسلام ، مثل أبى بكر وعمر ابن الخطاب هم ايضا يتركون جسد النبى عليه

ألف سلام ويسرعون إلى أمر الخلافة والسيطرة عليها .

وصورة القصة تزداد غرابة وشناعة حين ترى الذين كانوا يمتون إلى الرسول بصلة الرحم ولا تربطهم إلا أواصر القرابة والدم، هم فى غمار الحزن والهم ، وتشغلهم قضية دفن الرسول عن كل شىء حتى لا يجدوا فرصة ليفكروا فى أمر الخلافة

هكذا تصور لنا كتب التاريخ والسيرة هذه القصة ولا شك أن القصة صحيحة ، وأن الروايات فى هذا الصدد قوية الأسانيد ، وموثوقة الرواية وكلها توحى بهذه الفكرة .

ولكن حقيقة القضية ، غير ما يتصورها الناس ، وغير ما يفقهون من خلال هذه الروايات التى تروى هذه القصة . لا شك أن أبا بكر وعمر بن الخطاب تركا أمر دفن الرسول وذهبا إلى سقيفة بنى ساعدة ، حيث اشتركا فى المناقشة الحادة التى دارت بين الأنصار والمهاجرين؛ لأجل الخلافة بل جعلا يزاحمان الأنصار ، ويحاولان إزاحتهم وإبعادهم عن الخلافة، كأنهما فى نشوة الحكم والخلافة نسيا أمر دفن الرسول ، وكأن الرزيئة لوفاة الرسول لم تؤثر فيهما .

وصحيح أنهما أخذا أمر الخلافة بالحزم وأقنعا الأنصار أن ينسحبوا من الميدان كما فرضا سيطرتهما على بنى هاشم وأقنعاهم أيضا ألا يفكروا فى أمر الخلافة ، وبنو هاشم لم يخضعوا ويستسلموا إلا بعد محاولة شديدة، بل لم يخضعوا إلا بعد ما رأوا العنف والشدة وإلا لم يكن من السهل الميسور أن يسكت بنو هاشم عن الخلافة .

أرى أن هذه القضية تتطلب منا المناقشة والبحث فى الأمور الآتية .

١ — هل أثار قضية الخلافة عمر ابن الخطاب وأنصاره ؟

٢ — هل ذهب عمر بن الخطاب وأنصاره إلى سقيفة بنى ساعدة لحاجة فى النفس ؟ .

٣ — هل كان على وبنو هاشم يفكرون فى أمر الخلافة ؟ .

٤ — هل كانت الأمور والأعمال التى صدرت من عمر بن الخطاب فى محلها ؟ .

ونحن ننقل هنا نصا قيما من كتاب مسند أبى يعلى : وهو يوضح لنا صورة القضية ويكشف عن حقائقها ويكون جوابا عن السؤالين الأولين ، يقول عمر بن الخطاب : بينا نحن فى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا رجل ينادى من وراء الجدار : أن اخرج إلى يابن الخطاب . فقلت إليك عنى فإنا عنك مشاغيل ، يعنى : بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : قد حدثت أمور فإن الأنصار اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ، فأدركوهم قبل

أن يحدثوا أمرا يكون فيه حرب . فقلت : لأبى بكر انطلق [١] .

هذا النص يوضح أن عمر بن الخطاب وأنصاره لم يثيروا قضية الخلافة ولم يذهبوا إلى سقيفة بنى ساعدة إلا بعد ما طلبوا للذهاب وأنذروا من حدوث الفتنة والحرب .

أما السؤال الثالث فهو : هل فكر بنو هاشم فى أمر الخلافة ؟ .

بعد دراسة أحوال المسلمين فى تلك الفترة يمكن أن نقسمهم إلى ثلاثة أقسام :

(١) بنو هاشم وكان فيهم على بن أبى طالب .
(٢) المهاجرون وكان يرأسهم أبو بكر وعمر بن الخطاب .
(٣) الأنصار وكان رئيسهم وشيخهم عبادة ابن الصامت .

وهذه الفرق الثلاث كلها كانت تفكر فى أمر الخلافة وتبحث عنها ، أما الأنصار فإنهم أعلنوا رغبتهم فى الخلافة وصرحوا بما كانوا يريدون ـ وأما بنو هاشم فيمكن أن نفهم من خلال نص نورده هنا فى صحيح البخارى [٢] :

أن على بن أبى طالب خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أصبح بحمد الله بارئا . فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب ، فقال له أنت بعد ثلاث عبد العصا وإنى لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا . إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ، وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا ، فقال على : والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطينا الناس بعده ، وإنى والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذه الرواية توضح تماما فكرة العباس ابن عبد المطلب عن الخلافة وتعبر عما فى نفسه . أما على بن أبى طالب فإنه إلى الآن لم يبن على يقين أن رسول الله يتوفى فى هذا المرض ؛ لذلك لم يثر موضوع الخلافة كما أنه لم يكن على ثقة تامة أن رسول الله سيرشحه للخلافة .

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع بنو هاشم مع أتباعهم فى بيت فاطمة بنت الرسول ، وكان على بن أبى طالب يرأس هذه الجماعة ـ كما يظهر من رواية فى البخارى يرويها عمر بن الخطاب [١] .

« كان من خبرنا حين توفى الله نبيه أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم فى

---

[١] فتح البارى ص ٧٣ ج ٧ .
[٢] فتح البارى ص ١٠٩ ج ٨ باب مرض النبى .

[١] فتح البارى ص ١٠٩ ج ٨ باب مرض النبى .

سقيفة بنى ساعدة وخالفنا على والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر، لقد قال عمر بن الخطاب هذا الكلام فى خطبة ألقاها أمام جمع كبير من الصحابة فلا يتسرب الشك إلى صحتها، وتزداد هذه الرواية وضوحا وصراحة برواية عن مالك رضى الله عنه، يقول: إن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا فى بيت فاطمة بنت رسول الله - أما الطبرى فروايته هكذا (١) :

وتخلف على والزبير واخترط الزبير سيفه وقال لا أغمده حتى يبايع على. بعد دراسة هذه الروايات المختلفة نصل إلى عدة نتائج وهى - :

١ — أن الصحابة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام انقسموا فى قضية الخلافة إلى ثلاثة أقسام.

٢ — المهاجرون يريدون أبا بكر. وبنو هاشم كان ضلعهم مع على بن أبى طالب، كما أن عمر بن الخطاب وأنصاره جاءوا إلى سقيفة بنى ساعدة وتركوا الرسول فى بيته.

نرى أن على بن أبى طالب أيضا خرج من بيت النبى وجاء إلى بيت فاطمة حيث كان بنو هاشم مجتمعين. أما عدم ذهاب على بن أبى طالب إلى سقيفة بنى ساعدة فلا يدل على مدى تأثره بالفاجعة وتأسفه على ذلك، بل كان السبب الأساسى أنه لم ير الجو ملائما له ولا لترشيحه هناك.

بقى السؤال الأخير وهو أن الأعمال التى صدرت من عمر بن الخطاب هل كانت فى محلها ؟.

أعتقد أن من له أدنى إلمام بأسس الحضارة والسياسة والتاريخ يعرف تماما أن المدينة كان فيها عدد كبير من المنافقين الذين كانوا يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر، وينتهزون كل فرصة ليتغلبوا فيها نظام الحكم ويهدموا كيان المسلمين وكانت حادثة وفاة الرسول أكبر فرصة لتحقيق أغراضهم وآمالهم. ففى مثل هذه الظروف القاسرة والأوضاع الشديدة، والساعة الحرجة هل كان من المناسب أن يظل المسلمون قلقين نائحين، تسودهم الفوضى ويعمهم الاضطراب. أم كانت الحاجة تتطلب منهم أن يجتمعوا تحت راية الخليفة وقيادة الأمير ويلموا شعثهم وينظموا أمور دولتهم.

ومن جهة ثانية أن الأنصار زادوا الأمور اضطرابا بإثارة قضية الخلافة قبل أوانها وإثارة الجدل والمناقشة حولها.

ونحن نعرف أن قريشا لم تكن تقيم وزنا للأنصار. فحينما كانت معركة بدر الحاسمة وخرج جماعة من شبان الأنصار لمقاتلة قريش،

[١] الطبرى ص ١٨٢٠.

لم يملك عتبة نفسه وكشف عما فى طويته وقال مخاطبا محمداً عليه السلام فى لهجة الاستنكار كيف يطيب لنا القتال مع هؤلاء (يعنى الأنصار) ونحن قوم لا نحارب إلا الأكفاء ؟.

ثم من ناحية ثانية بقية العرب أيضاً ما كانت ترضى مثل قريش أن يكون الخليفة أو الأمير فى الأنصار حتى إن أبا بكر لما خطب فى سقيفة بنى ساعدة صرح بهذه الحقيقة : « إن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش » .

ثم نرى أيضا أن الأنصار أنفسهم كانوا منقسمين بين أوس وخزرج وما كانوا على وفاق ولا اتفاق .

ففى هذه الحالة الخطيرة كانت الحاجة ماسة لأن يقضى على دعوة الأنصار للخلافة ويبحث عن شخص جدير بتحمل أعباء الخلافة عن جدارة وإخلاص ، وكان أبو بكر أكثر الناس جدارة لحمل هذه الأعباء الثقيلة ، كما كان أكثر الناس احتراما وإجلالا بين المسلمين ، وأرسخهم علماً بأمور الدين وأشدهم تحملا لمشقات الحكم ؛ لأجل ذلك كان أصلحهم للخلافة ، وكاد انتخابه أن يتم بسرعة لولا قضية الخلافة التى أثارها الأنصار حيث وقع الناس فى حيرة وقلق وأدرك عمر بن الخطاب خطورة الموقف ، فأسرع إلى أبى بكر ووضع يده فى يده وبايعه صراحة وعلنا ، وتتابع الناس بعده فتقدم عثمان بن عفان ، وأبو عبيدة ابن الجراح وعبد الرحمن بن عوف ، واحدا بعد الآخر ، ثم تهافت الناس على مبايعة أبى بكر . . . وهكذا استطاع عمر بسياسته الحكيمة وبصيرته النافذة ، أن يوقف التيار الذى كاد أن ينجرف فيه المسلمون وانسد باب الفتنة التى كادت تزعزع كيان المسلمين وعادت الأمور سيرتها الأولى ، وهدأت العاصفة وانصرف الناس إلى أمورهم ، اللهم إلا فئة من بنى هاشم كانت تجتمع فى بيت فاطمة بنت الرسول حينا بعد حين ، تتكلم فى أمر الخلافة .

وحاول عمر أن يقنعهم باللين والحكمة ولكنه لم ينجح ، وقد ذكر ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرى فى تاريخه رواية فيها :

أن عمر بن الخطاب ذهب إلى بيت فاطمة بنت الرسول عليه السلام ، ووقف على الباب وقال مخاطبا إياها : (يابنت الرسول أنت أحب الناس لدى ، ومع ذلك لو استمر الناس فى الاجتماع عندك والتحدث فى أمر الخلافة ، لأحرقن هذا البيت بسبب هؤلاء) .

أنا لا أبدى رأياً فى صحة الرواية ومدى قوتها وإن كنت لا أرى حرجا فى قبولها لأن عمر بن الخطاب كان معروفا بين الناس بطبيعته ، ولا يستبعد أن تصدر منه هذه الكلمة أو أمثالها ، ولكنه لا يغيب عنا أنه لولا حكمة عمر وشدته لحدثت حروب أهلية بينهم كما حدثت بين معاوية وعلى ، وكأنهم كانوا يفتقدون حكمة عمر وسياسته الممزوجة باللين حينا وبالشدة حينا آخر ؟

شبلى النعمانى

رأى الأزهر
فى الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو

للأستاذ أحمد محمد غنيم

« تتمة ما نشر فى العدد الماضى »

المحاولة الرابعة :

إلغاء متعلق الظرف والجار والمجرور

جاء فى قرار مؤتمر المجمع اللغوى ما نصه :
« يجب إرشاد المبتدئين إلى أن المتعلق العام للظرف والجار والمجرور فى نحو زيد فى الدار ، وزيد عندك محذوف ، وإن كانوا لا يكلفون كل مرة تقديره عند الإعراب . بل يقبل منهم تخفيفاً عنهم أن يقولوا فى إعراب زيد فى الدار . فى الدار جار ومجرور مسند » ، وهذا تيسير مقبول . لا يخالف ما قاله القدامى إلا فى إبدال كلمة مسند بكلمة خبر .

أما ما يراه مؤلفو الكتب المدرسية ، من أنه لا متعلق للظرف ولا للجار والمجرور مقلدين فى ذلك ابن مضاء ، فذلك ما لا يقره النظر السليم . وإذا كانوا يعترفون بأن المتعلق الخاص هو المسند فى نحو قولنا : زيد مخلص فى عمله . فأى ضرر فى ملاحظة المتعلق العام حتى تكون الأساليب كلها على نمط واحد ومن طراز واحد ؟ ويحتج النحاة لتقدير المتعلق العام بقول كثير .

فإن يك جثمانى بأرض سواكم
فإن فؤادى عندك الدهر أجمع

فإن فؤادى توكيد مرفوع ، وليس فى الكلام المنطوق ما يصلح أن يكون متبوعا ، فكان لا مفر من تقدير أن الأصل كائن عندك ، وأن فى كائن ضميراً مرفوعا انتقل إلى الظرف حين حذف الوصف وجاء لفظ أجمع مرفوعا على نسقه توكيداً له . هذا من ناحية الصناعة ، وأما من ناحية المعنى فالخبر حكم على المبتدأ ووصف له . والوصف يدل قطعا على معنى فى الموصوف . فلابد إذن أن يدل الخبر على معنى فى المبتدأ . فإذا قيل فى زيد عندك . زيد مبتدأ والظرف خبر . وجب أن يدل الظرف على معنى فى زيد . والظرف من حيث هو ظرف مدلوله المكان . وزيد مدلوله الذات ولا ارتباط بينهما إلا على جهة حلول الذات فى المكان . وذلك هو ما يرشد إليه المتعلق

الذى يلاحظه النحاة . ولو لم يلاحظ هذا لم تكن لإحدى الكلمتين صلة بالأخرى .

وكذلك القول فى نحو زيد فى الدار . وإذن فلا وجه لما يقولون من أنه لامتعلق للظرف ولا للجار والمجرور .

المحاولة الخامسة :

إلغاء الإعراب التقديرى والمحلى

يرى مؤتمر المجمع ضم الإعراب التقديرى إلى المحلى . فيقال فى نحو جاء الفتى والقاضى . الفتى والقاضى مرفوعان محلا . ويرى مؤلفو تحرير النحو العربى . الإعراض عن تكلف الإعراب التقديرى والمحلى والاكتفاء ببيان وظيفة الكلمة فى الجملة وصلتها بما معها ، ولست أرى مبرراً للعدول عما يقوله القدامى . بل ينبغى الرجوع إلى قولهم لما يأتى :

أولا : ليتبين التلميذ كيف يضبط التوابع إذا كان المتبوع مما يعرب محلا أو تقديراً نحو جاء القاضى الفاضل وغلامى المطيع والفتى النشيط وهؤلاء المخلصون .

ثانياً : ليدرك المتعلمون الفرق بين ماهو مبنى كمن ، وما هو معرب تقديراً كالفتى والقاضى ؛ فإن المانع من إعراب الأول قائم بجوهر الكلمة ، والمانع من ظهور الإعراب على الثانى قائم بالحرف الأخير . ولذلك كان القاضى فى حالة النصب منصوبا بالفتحة الظاهرة لخفة الفتحة على الياء .

ثالثاً : ليطمئن التلميذ إلى أن الحكم الإعرابى الذى تقتضيه وظيفة الكلمة فى الجملة مطرد دائما لايتخلف . وإذا تخلف فى الظاهر فإن ذلك يعود لسبب من الأسباب . ولو لم يفهم التلميذ ذلك لسوغ لنفسه أن يقول جاء زيد ورأيت زيد بالجر قياسا على جاء هؤلاء ورأيت هؤلاء . وجاء غلامى ورأيت غلامى .

المحاولة السادسة :

إعراب التكملة

يرى أنصار التيسير أن يقال فى إعراب أكرمت زيداً : زيداً مفعول به تكملة . وفى قمت إجلالا لك : إجلالا تكملة الفعل لبيان السبب إلى آخر ماجاء فى القرار . ولا أستطيع أن أفهم وجه التيسير فى زيادة كلمة تكملة ، بعد أن أضافوا إليها كل ماذكره النحاة من مصطلحات مع بعض التغيير . وإذا كان غرضهم من زيادة تلك الكلمة بيان مكانتها فى الجملة . فالنحاة لم يغفلوا هذا ، فقد ذكروا أن كل ماسوى المرفوع فهو فضلة . إلا أنهم لم يروا التعرض لذكرها عند الإعراب تسهيلا على المتعلمين ، وإيثاراً للإيجاز . لهذا أستحسن الإبقاء على المصطلحات القديمة ، فهى أوضح وأيسر وأوجز .

المحاولة السابعة :

إعراب المستثنى

يرى أنصار التيسير فى إعراب المستثنى بإلا إذا كان الكلام تاما منفيا . الاقتصار على تعليم التلاميذ ، أنه يكون منصوبا دائما ، ونحن نقرهم على أن النصب فى هذه الحالة عربى كثير ، ولكن لا نزاع فى أن أكثر كلام العرب نظما ونثرا إنما جاء على الإتباع ومن شواهد ذلك قوله تعالى : « ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم » ، وقوله « ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » ، فى قراءة من رفع . وقوله « ومن يغفر الذنوب إلا الله » .

وقول الشاعر :

عشية لا تغنى الرماح مكانها
ولا النبل إلا المشرفى المصمم

وقول الآخر :

وبلدة ليس بها أنيس
إلا اليعافير وإلا العيس

وقول سعد بن مالك :

والحرب لا يبقى لجا
حمها التخيل والمراح
إلا الفتى الصبار فى الـ
ـنجدات والفرس الوقاح

وإذا كانت شواهد الإتباع من الكثرة كما ترى . والتلميذ لا يعرف إلا النصب ، فلا شك أنه يقف أمام تلك الشواهد الكثيرة حائراً مشدوها ، لا يدرى كيف يوفق بينها وبين معلوماته الناقصة .

المحاولة الثامنة :

إعراب المنادى

يرى جمهور النحاة أن المنادى إذا كان مضافا أو شبيها به أو نكرة غير مقصودة ينصب لفظا نحو : يا عبد الله . يا رحيما بالعباد . ونحو قول الشاعر :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن
نداماى من نجران أن لا تلاقيا

وإذا كان مفردا علما ، أو نكرة مقصودة فإنه يبنى على ما يرفع به ، ويكون منصوبا محلا نحو يا داود ، يا جبال أوبى معه ، وإنما يبنى فى هذين لوقوعه موقع كاف أدعوك وكونه مثلها إفرادا وتعريفا ، ولم يبن المضاف والشبيه به ، لأنهما ليسا كالكاف فى الإفراد ولم تبن النكرة غير المقصودة ، لأنها ليست كالكاف فى التعريف ، ولم تقع موقعها . وبالتأمل فى هذا التوجيه ، نجد أنه من الدقة والإحكام بحيث يقدره ويعترف به كل منصف ، ولا عسر فى فهمه وتفهيمه .

وفى الاتجاه الجديد يجعلون للمنادى ثلاثة أحوال :

ينصب إذا كان مضافا ، وهم فى ذلك موافقون للقدامى .

ويرفع ويمنع التنوين إذا كان علما غير مضاف .
وفيما عدا ذلك . إذا نون المنادى نصب وإذا منع التنوين رفع هذا كلامهم ويدخل فى هذا القسم الأخير النكرة غير المقصودة والنكرة المقصودة والشبيه بالمضاف ، ويلاحظ أنهم لم يبينوا للتلميذ متى ينون فينصب ، ومتى يترك التنوين فيرفع . وكأنهم يتركون له حرية الاختيار ، فينون وينصب إذا أراد . ويمنع التنوين ويرفع إذا أحب . وإذا فله أن يقول : يارحيم بالعباد . وهو ينادى شبيها بالمضاف . ويا شرطيا أمامك اللص ، وهو ينادى معينا . وللأعمى أن يقول يا رجل خذ بيدى ، وهو ينادى غير معين ، ولا نزاع أن استعمال الأساليب المذكورة ، على هذا الوجه يخالف ما جاء عن العرب .

وبالمقارنة بين المذهب القديم والمذهب الجديد يتبين لنا ما يأتى :

أولا : يرى القدامى أن المنادى منصوب دائما إما لفظا وإما محلا ؛ لأنهم يرون موضعه فى الكلام موضع الفضلة والتكملة ويراه المذهب الجديد تارة مرفوعا وتارة منصوبا مع أن موضعه فى الكلام واحد فى الحالين . فعلى أى أساس رفع ، وعلى أى أساس نصب ، لم يبينوا لنا ذلك ، ولا يجدى استنادهم فى هذا الاتجاه إلى بعض مذاهب القدماء فإنها مذاهب ضعيفة ، لا تنهض حجة للتيسير الذى يريدون .

ثانيا : يرى القدامى أن المنادى يكون مبنياً ، ويكون معربا : وقد عللوا ذلك بما يكفى للإقناع . ويرى أنصار التيسير أنه معرب دائما ، ولم يبينوا لنا سبب ترك التنوين فى حالة رفعه ، والمعروف أن التنوين لا يترك من المعرب إلا للإضافة أو للاقتران بأل ، أو للمنع من الصرف .

ثالثاً : عند نداء النكرة ، يعين القدامى للتلميذ متى تعرب ومتى تبنى ، وأنصار التيسير يعطونه الحرية المطلقة ، فإذا بداله أن ينون نصب ، وإذا بداله ترك التنوين رفع ولم يحددوا له معنى مقصودا .

المحاولة التاسعة :

دراسة التراكيب

فى دراسة التراكيب يرى أنصار التيسير دراستها على أنها أساليب تبين معانيها وطرق استعمالها ، والمناسبات التى تستعمل فيها . ويعيبون على القدامى أنهم أتعبوا أنفسهم فى تحليلها وتخريجها .

وإذا كان القدامى قد أتعبوا أنفسهم فيما ذهبوا إليه فى تلك التراكيب من تأويلات فإن لهم كل العذر . فقد أرادوا أن يخضعوها للقانون العام فى تأليف الكلام من ركنين

أساسيين . حتى لا يراها المتعلمون غريبة على الكلام العربى ، لا تدخل فى إطاره ، ولا ينطبق عليها نظامه .

ومع هذا فلا بأس من مسايرة أنصار التيسير، فى ترك هذه التخريجات ، إذا صح أن الجدوى من ورائها لا توازى ما يبذل فيها من مجهود. على أن يكون هذا مقصورا على الناشئين .

المحاولة العاشرة

كيفية تثنية المقصور الثلاثى

يرى واضعو المنهج أنه إذا أريد تثنية ما آخره ألف تقلب ألفه ياء دائما . إلا فى كلمات لا تتجاوز العشرين . وعدوا ثمانى كلمات قالوا إنها المشهور من هذا القبيل وهى « الحجا . الجدا . الخنا . الرضا . العصا . الصبا القرا . القفا » .

وجاء فى النحو انهجى أن الألف الثالثة التى أصلها واو بشبه إجماع لا تكاد تعدو عشر كلمات وهى « الشذا . الشفا . الصلا . الطلا . العشا . العصا . القرا . القنا . القفا . المها » وفى تحرير النحو العربى عدل مؤلفوه عن التحديد ، ورجعوا إلى قول القدامى فقالوا : « المقصور الثلاثى تقلب ألفه ياء إلا إذا كانت منقلبة عن واو فإنها ترد إلى أصلها كالعصا والقفا » . وأعتقد أنهم سلكوا الطريق الأسلم . فإن تحديد الكلمات الثلاثية الواوية بعشرين أو بعشر ، وتحديد المشهور منها بثمان أو بأكثر أو بأقل ليس من السهل إثباته . ويحضرنى الآن بعض كلمات أراها أشهر وأكثر استعمالا من بعض ما ذكروا وهى « العلا . الربا . الضحا » فهذه الكلمات الثلاث أشهر من كلمة القرا التى ذكروها ومعناها الظهر .

وفى رأيى أن تترك القاعدة القديمة كما هى . وإن كانت تشبه الإحالة على مجهول ، فإنها فضلا عن كونها أسلم ، تلجىء التلاميذ إلى الاطلاع على كتب اللغة والاستفادة منها .

ولست أدرى لم لم ينهجوا هذا النهج فى طريقة جمع الاسم بالألف والتاء فيعدوا لهم ما تقلب ألفه واوا نحو قطاة وقناة وأداة وفلاة .

ملاحظتان جديرتان بالذكر :

وقبل أن أختم كلامى أبدى ملاحظتين جديرتين بالذكر :

الأولى : أن اللغة العربية ليست وقفا على الجمهورية العربية المتحدة وحدها ، وإنما هى لغة جميع الناطقين بالضاد ، وهم لا يزالون يدرسون قواعدها على الطريقة المعروفة ، والمصطلحات المألوفة التى ورثوها عن أسلافهم ، وتواطأت عليها كتبهم ، وهى إحدى الروابط التى تربط بيننا وبينهم ، فلو قدر للثورة على النحو القديم أن تنجح فى ما تدعو إليه كما رسمه زعماؤها ودعا إليه القائمون بها ، لكنا قد أحدثنا ثغرة

فى بناء الجامعة التى تجمعنا ، وأعملنا معاولنا فى أساس الوحدة التى ندعو إليها ، ونحرص عليها ، وذلك ما ينبغى أن نفكر فيه ، قبل أن نخطو خطوة فى هذا السبيل .

الثانية : يقول أنصار التيسير : إنهم كانوا يترددون فى إظهار آرائهم ، ويخشون الرأى العام ، حتى جاءت الثورة المصرية ، فبعثت فيهم الجرأة ، وسهلت لهم مواجهة الناس بمذهبهم الجديد ـ ولست أدرى ماذا يريدون بهذا ـ وكأنهم يريدون الاحتماء بالثورة ، ويوهمون أن ثورتهم على النحو القديم ، من قبيل الثورة المصرية المباركة ، وأيا كان مرادهم ، ففرق كبير بين الثورتين ، فالثورة المصرية ثورة على الحكم الفاسد ، والاستعمار الغاشم ، والإقطاع المقيت ، ولذلك ظفرت بتأييد الجميع ، وكتب لها النجاح التام ، والنصر المؤزر ، وأما الثورة على النحو ، فهى ثورة على الكتب النافعة ، والآراء السديدة ، التى أثبتت الأيام صلاحيتها ، وأقرها العلماء فى جميع البلاد العربية ، وفى جميع العصور ، منذ قرون .

والثائرون أنفسهم يحسون بحرج موقفهم فيرجعون إلى القدامى يلتمسون منهم التأييد ، ويذكرون أنهم لم يخرجوا على آراء المتقدمين ، وأن كل ما يدعون إليه ، لهم فيه سند ممن قبلهم ، على أن هذا الاستناد لا يجديهم فتيلا ، فمن المعروف أن علم النحو ، كثير الخلافات ، متعدد الآراء ، وإنما يبقى من هذه الآراء ، الرأى القوى الراجح ، الذى يستطيع أن يصارع الزمن ، ويثبت أمام الجدل والنقاش .

أما الآراء الضعيفة التى يستندون إليها ، فقد تنوسيت على مر الزمن ، ولم تجد من أحد القبول ، وكفى بهذا دليلا على وهنها وسقوطها عند ذوى النظر « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

والآن يمكننى تلخيص رأيى فى أمرين :

الأول : الرجوع إلى الآراء المتواضع عليها فى تسمية ركنى الجملة بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر ، والاعتراف بالضمائر المرفوعة المتصلة ، والإعراب التقديرى والمحلى ، وإعراب التكملة ، وإعراب المستثنى والمنادى وكيفية التثنية .

الثانى : الموافقة على الأخذ بالتيسير فى دراسة التراكيب للناشئين . وعدم التعرض فى علامات الإعراب إلى أصلية وفرعية . والتخفيف من المصطلحات القديمة فى الإعراب : واعتبار متعلق الظرف محذوفا دون تكلف تقديره فى كل مرة وأسأل الله التوفيق . وأن يهدينا سواء السبيل ؟ .

أحمد محمد غنيم

التعليق على صفحة (٢٠٨)

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

تبين لنا فى بحث سابق فى هذه المجلة ، أن جمهور الفقهاء متفقون على جواز زواج المسلم من الكتابية التى لها دين سماوى له كتاب وله نبى بعث به . وقد يظن ظان أن هذا الزواج يجعل الزوجة فى مقام الظلم لها أو الهضم لحقوقها ، ولكن الشريعة أقامت الضمانات لتحقيق العدالة مع هذه الزوجة ، ومنها :

أولا : حسن العشرة من الزوج لها ، لأن هذا حقها ، وحينما استشهد الفقهاء على حسن العشرة بقوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » ، وقول الرسول : (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) قالوا إنه : لا فرق فى هذا بين المسلمة والكتابية ؛ وإذا كان للكتابية ضرة مسلمة وجب على الزوج أن يعدل بينهما فى النفقة والبيتوتة وغيرهما من أمور تقبل القسمة والعدل ، ومقتضى العدل والمساواة هنا أن الزوج لو أحب زوجته الكتابية أكثر من المسلمة لما عيب عليه ذلك ؛ لأنه لا يملك التحكم فى قلبه . ولا حيلة له فيه ، ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعدل بين نسائه فيما يمكن العدل فيه من أمور الحياة كالبيتوتة والكسوة والطعام ، ولكنه كان يحب بعض نسائه أكثر من بعضهن الآخر فكان يدعو ربه ويقول : (اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فاغفرلى ما تملك ولا أملك) ؛ يريد ميل القلب ، لأن الله مقلب القلوب .

ثانيا : ألا يرغم الزوج زوجته الكتابية على ترك دينها ، أو يحرضها على ذلك ، وعليه أن يمكنها من القيام بشعائرها الدينية إذا بقيت على دينها وارتضته لنفسها ، وله أن يقيم لها كنيسة فى بيته لتصلى فيها إذا رأى عدم ذهابها إلى الكنيسة ورضيت بذلك .

ونلاحظ هنا أن الزوجة غير المسلمة لن تتزوج المسلم إلا بالرضى والموافقة ، فليس هناك إرغام ، وفى هذه الحالة سيكون هناك أمان من سوء المعاملة .

ثالثا : إذا استقر رأى المسلم على أن يتزوج كتابية فإن هناك إجراءات خاصة بهذا الزواج فيها مزيد من الاحتياط والتبصير ، فعقد الزواج فى هذه الحالة يكون فى وثيقة خاصة ، ولا يتولى المأذون عقد العقد ، بل يتولاه القاضى الشرعى ، وبعد إلغاء المحاكم

الشرعية صار يتولاه المرثق المختص فى وزارة العدل ، وفى لائحة المأذونين جاءت هذه المادة « ليس للمأذون أن يباشر زواج من لا ولى له من الأيتام ، ولا العقود التى يكون فيها أحد الطرفين تابعا لدولة أجنبية ، أو كان غير مسلم إنما ذلك كله من اختصاص القضاة » .

وهذا نوع من الاحتياط ، حتى لا يقال : إن هناك تغريراً من الزوج المسلم بالزوجة الكتابية .

وفى وثيقة الزواج بين المسلم والكتابية جاء تبصير واضح للزوجة بحقيقة الموقف وتبعات الزواج التى تتعرض له حتى لا تؤخذ فيه على غرة ، فنص فى هذه الوثيقة على الأمور التالية التى يجب أن تعلم بها الزوجة وتوافق عليها :

١ — للزوج أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع ، ولا يتوقف ذلك على رضاها .

٢ — للزوج أن يطلقها حينما يشاء ، ولا يتوقف ذلك على رضاها .

٣ — للزوج أن يراجعها إذا طلقها طلاقا رجعيا ، ولا يتوقف ذلك على رضاها .

٤ — إن طلقها قبل الدخول فلها نصف المهر ، وإن دخل بها فلها مهرها .

٥ — من الواجب عليها أن تطيعه ، وألا تخرج إلا بإذنه ، وأن لها النفقة فى وقت الزواج وفى العدة .

٦ — الأولاد الذين سترزق بهم منه سيكونون مسلمين كأبيهم ، لأن الأولاد فى الشريعة الإسلامية يتبعون خير الأبوين دينا .

٧ — لا توارث بينهما ، فإذا مات فلن ترثه ، وإذا ماتت فلا يرثها .

٨ — لها حق الحضانة ، إلا إذا رأى القاضى غير ذلك لمسوغ شرعى [1] .

يقول الشيخ أبو زهرة : « واتحاد الدين بين الحاضنة والطفل ليس بشرط ، فإذا كان مسلم متزوجا مسيحية وله بنت منها وافترقا ، فإن الخلاف الذى بينها وبين بنتها لا يمنع حقها فى الحضانة ، إذ تكون البنت مسلمة تبعاً لأبيها ، وذلك لأن سبب ذلك الحق هو وفرة الشفقة . ولا يؤثر فيه اختلاف الدين ، ويستمر حق الحضانة ثابتا للحاضنة مع اختلاف الدين إلا أن يضر ذلك الطفل ، ولذلك ينزع الطفل من يدها إذا خيف على الطفل إفساد دينه ، وذلك فى حالتين :

إحداهما : إذا كان الطفل فى سن التميز ، فيعقل الأديان ويفهمها ، ويخشى من تأثره بدينها ، إذا رآها تقوم بصلواتها وطقوسها الدينية .

ثانيهما : إذا لم يبلغ الطفل سن التمييز ، ولكن ثبت أنها تحاول تلقينه دينها ، وتعويده عاداته وتنشئته عليه ، فإنه فى هذه الحالة ينزع من يدها ، إذ تصبح غير أمينة

(١) كتاب الأحوال الشخصية ، قسم الزواج ، للأستاذ محمد أبو زهره ، ص ١٠١ .

على دينه ، وقد علمت أن الأمانة شرط[1] .

ويصح فى زواج المسلم بالكتابية أن يكون شاهدا الزوج غير مسلمين ، ولو كانت الزوجة مسلمة لوجب أن يكونا مسلمين ، وكأن هذا أيضا نوع من إطلاع قوم الكتابية على حالتها ، وإشعارا بأن الزواج يتم فى حالة رضا وإعلان ، لأن الزوجة إذا اختارت شاهدا فستختاره غالبا من قومها وأهل دينها . مسيحية كانت أو يهودية .

ومن مظاهر سماحة الإسلام هنا أنه إذا تزوج المسلم مسيحية وانتقلت إلى اليهودية ، أو يهودية وانتقلت إلى المسيحية ، لا يضر ذلك الزواج ، ولكنها لو كانت كتابية وصارت مشركة أو بلا دين لزم التفريق بينهما .

وإن أسلم الزوج وبقيت زوجته على دينها ، فإن كانت غير كتابية عرضنا عليها الإسلام ، فإن استجابت له بقى الزواج ، وإن رفضت فرقنا بينهما ، وإن كانت كتابية جاز له إبقاؤها .

والأولاد الذين يكونون بين الزوج المسلم والزوجة غير المسلمة يكونون على دين أبيهم ، ويرثون منه ، ويرث منهم ، ولكن أمهم لا ترث منهم وهم لا يرثون منها مادامت غير مسلمة لأن شرط التوارث اتفاق الدين .

ومما يتصل بالموضوع حكم نكاح أهل الكتاب إذا كانوا حربا ؛ وهذا النكاح لا يحل ، وقد سئل ابن عباس عن ذلك فقال : لا يحل ، وتلا قوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

وقد أعجب بذلك إبراهيم النخعى ، وكره الإمام مالك تزوج الحربيات لعلة ترك الولد فى دار الحرب ، ولتصرفها فى الخمر والخنزير[1] وفى تفسير البيضاوى أن ابن عباس قال : لاتحل الحربيات[2] أى لا يحل زواجهن للمسلم .

ومن المتصل بالموضوع أيضا زواج المرتدة ، وقد نص الفقهاء على أن المرتدة لا تعتبر صاحبة دين ، سواء ارتدت عن الإسلام إلى الإشراك والوثنية . أو ارتدت إلى دين كتابى ، وحكم المرأة إذا ارتدت أن تحبس وتستتاب ، ولا يجوز للمسلم أن يتزوج امرأة مرتدة ، فحكمها فى ذلك حكم المشركة . أو من ليس لها دين سماوى .

وبمناسبة الحديث عن إسلام الزوج أو الزوجة ، يتحدث الفقهاء عما يلزم وجوده لنعتبر الشخص قد أسلم فعلا ، فلابد من النطق بالشهادتين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وأن تظهر منه الدلائل على اقتناعه بكل ماجاء فى الكتاب والسنة ، وكل ماثبت من الدين بالضرورة ، وألا يظهر منه مايدل على مناقضته لما أعلنه من الإسلام ، فلو أعلن إسلامه

---

(١) المصدر السابق ، ٤٠٨ .

(١) تفسير القرطبى ، ج ٣ ص ٦٩ .

(٢) تفسير البيضاوى ، ص ١٤١ .

وبقى يعمل عمل دينه الذى كان عليه من قبل، كان هذا دليلا على أنه غير صادق فى إسلامه وغير جاد فيه، فلو فرضنا أن شخصا نطق بشهادتى الإسلام، ولكنه بقى يصلى صلاة غير المسلمين أو يتخذ شعارهم، فإنه لا يعد مسلما.

ومن هنا نستطيع أن نحدد موقف أولئك الذين يتخذون النطق بشهادتى الإسلام وسيلة للتخلص من مأزق أو صعوبة، أو لتحقيق مأرب من المآرب، وهم لم يقتنعوا بالإسلام حقا، يقول الشيخ أبو زهرة: «وإنه يجب أن يتنبه القضاء لذلك، ويتحققه إن بدرت بوادر تعلن مستور أمره، وأنه يخفى ما لا يبديه، فإن فريقا من الناس قد اتخذوا الأديان ذريعة لإشباع الرغبات المادية، كإعلان الإسلام ليتزوج مسلمة، ويقضى منها أربا كما ذكرنا، أو يعلن الإسلام ليطلق امرأته، ولا يسهل الطلاق فى دينه، أو يعلن الإسلام كيدا للأمة، وليسهل عليه تدبير الشر.

وفى الشرع الإسلامى ما يقطع على أمثال هؤلاء الطريق، وإنه ليحدث للناس من الأقضية بمقدار ما يحدثون من شر، ولقد أغنانا ما عندنا من أحكام عن أن نحدث للعابثين بالمبادئ الدينية فى هذا الزمان جديدا، فلنتبع ما عندنا بكل ما فيه، لكى نمنع ذلك الشر الجديد [١]».

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن انتشار زواج المسلمين بالأجنبيات غير المسلمات يؤدى إلى أخطار كثيرة، وفى «تفسير المنار» هذه العبارة:

«فتن كثير من الشبان المصريين بنساء الإفرنج، فتزوجوا بهن فأفسدن عليهم أمورهم الدينية والوطنية، واضطر بعضهم إلى الطلاق، وغرم كثيرا من المال، ومنهم رجل غنى قتلته امرأته الفرنسية، وجاءت تطالب بميراثها منه، وقليل منهم من اهتدت به زوجته وأسلمت، وقد سرت العدوى إلى المسلمات، فمن الغنيات منهن من تزوجن بمن عشقن من رجال الإفرنج بدون مبالاة بالدين الذى لا تعرف عنه غير اللقب الوراثى، وقد عظمت الفتنة وقى الله البلاد شرها، ولن يكون إلا بتجديد التربية الإسلامية وإصلاح الحكومة [١]».

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت: «الإسلام يرى أن المسلم إذا شذ عن مركزه الطبيعى فى الأسرة بحكم ضعفه القوى، وألقى بمقاليد أمره بين يدى زوجته غير المسلمة وجب منعه من التزوج بالكتابية، ويوجب فى الوقت نفسه على الحكومة التى تدين بالإسلام ومبادئه فى الزوجية، وتغار على قوميتها وشعائرها فى أبنائها - أن تضع لهؤلاء الذين ينسلخون

---

(١) الأحوال الشخصية: قسم الزواج ص ١٠١.

(١) تفسير المنار، ج ٣ ص ٣٥٧.

عن مركزهم الطبيعى فى الأسرة ، حدا يردهم عن غيهم ، ويكفى فى المنع العام أن ترى الحكومة أكثرية الذين يتزوجون بأجنبيات يضعون أنفسهم من زوجاتهم هذا الوضع الذى يفسدون به أسرهم وقوميتهم .

إن حفظ مبادىء الدين ، وحفظ سياج القومية لمن أوجب الواجبات على الحكومات الإسلامية ، وما ضعف المسلمون وانحلت روابطهم إلا بهذا الذوبان الذى كثيراً ما كان منشؤه الافتتان برقى الأجنبية وتقدمها فى تنظيم البيوت وتربية الأبناء ، وهى فى الواقع تعمل على هدم الكيان وتقويض القومية ، وقد كاد يتم لها الأمر على أيدى هؤلاء السفهاء ، ضعاف الإيمان والقومية ، يؤازرهم فى ذلك من يقرءون عليهم - من غير فهم ولا تدبر ، ولا إدراك لحكمة التشريع - قوله تعالى : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » . وكم لعبت الزوجة الكتابية من أدوار فى خدمة أمتها وحكومتها ، وهى مقيمة فى بلاد الإسلام ، ترزق بخيراتها ، وتنعم بحياتها تحت رجل مسلم غر ، خدعته واتخذت منه جسراً تخطو على ظهره إلى نكبة بلاده ، والعمل على تركيز قومها فيها [1] » .

ويشير كتاب « الإبداع » إلى حكمة النهى عن زواج المسلم بغير المسلمة ، وهى أن هذا قد يؤدى إلى تضييع المسلمات وتركهن بلا زواج ، فيذكر الكتاب أن زواج المسلم بغير المسلمة كان محرما فى أول الأمر ، وأن ابن جرير روى الحديث : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات ، وحرم كل ذات دين غير الإسلام) . ويعلق صاحب الكتاب المرحوم الشيخ على محفوظ على ذلك بقوله : (لأن الرجال كانوا قلة ، وكان النساء المؤمنات كثيرات) [1] ! .

ونجد أيضا « تفسير المنار » يشير إلى حكمة الإباحة لزواج المسلم بالكتابية ، ثم يعود فيقول : (ولا يخفى أن هذا الأمر يختلف باختلاف الأشخاص ، فرب مسلم مقلد يتزوج بكتابية عالمة فتفسد عليه تقاليده ، ولا عوض له عنها ، فينبغى أن يعرف هذا) [2] .

قد يقال بعد هذا : إذا كان الإسلام قد أباح للمسلم أن يتزوج الكتابية ، فلماذا حرم على غير المسلم - سواء أكان كتابيا أو غير كتابى - أن يتزوج المسلمة ؟ وتفصيل الجواب عن هذا السؤال يحتاج إلى حديث مستقل قابل بمشيئة الله .

أحمد الشرباصى

---

(١) كتاب الفتاوى ص ٢٥٤ .

(١) كتاب الإبداع فى مضار الابتداع ص ٣٧٢ .

(٢) تفسير المنار ج ٢ ص ٣٥٧ .

زعماء المسلمين فى الهند

وموقفهم من الاستعمار الانجليزى

للأستاذ محمد اسماعيل الندوى

وطىء الاستعمار أرض الهند فى القرن السابع عشر حينما أسس فيها شركة الهند الشرقية . وفى هذه الأيام وقعت الفتنة بين أبناء (أورنك زيب) آخر امبراطور إسلامى فى الهند ، فتفرقت البلاد وقامت فى كل ناحية دول الطوائف ، وانتهزت الشركة الانجليزية هذه الفرصة فتدخلت فى الشئون السياسية لهذه البلاد واحدة بعد أخرى بمكرها وخداعها حتى أصبحت لها سلطة كبرى فى سنة ١٧٩٩ حينما انهزم الشهيد البطل تيبو سلطان فى معركة ميسور فى جنوب الهند .

ولكن المسلمين لم يرضوا بهذا الوضع ، فقد فقدوا امبراطورية إسلامية ظلت فى الهند أكثر من سبعة قرون . وكانوا يتألمون لذلك ألما شديدا ، وكان الإنجليز يعرفون ان المسلمين ما داموا فى وعى بما صاروا إليه فلن يستطيعوا أن يوطدوا أقدامهم فى الهند ، فالمسلمون وإن كانوا قد فقدوا حكومتهم فإنهم لم يفقدوا الشعور والوعى والصلاحية الإدارية والنبل والذكاء ، فمن الناحية الاقتصادية كان المسلمون هم الغالبين عليها ، ولم يفقدوا شيئا من المهارة فى الصناعة والزراعة ، ولكن الانجليز لم يستطيعوا الصبر على هذه الحال ، فأغلقوا المدارس وصادروا ممتلكاتهم وقطعوا أيدى الصناع فتغيرت حالهم وأصبحوا فقراء بعد أن كانوا ملوكا وأمراء ، وحرموهم الوظائف الرسمية أيضا ، وشغل الهندوكيون الموالون للانجليز وظائفهم حتى أظلمت الدنيا أمامهم [١] ، لقد كتب السر وليم هنتر (Sir willium Hunter) أحد دبلوماسى الانجليز فى كتابه « مسلمو الهند » أنه لا يكاد يوجد مسلم فى الوظائف الرسمية . وإذا وجد واحد منهم فهو إما أن يكون بوابا أو فراشا . ففى سنة ١٨٥٨ وظف ١٢٤ هنديا فى وظائف المحاكم ، ولم يكن بينهم إلا مسلم واحد . وفى الوظائف الأخرى فى العام نفسه كان هناك ٩٢ مسلما من بين ١٣٣٨ هندوكيا .

---

(١) نقش حياة للشيخ حسين أحمد المدنى ج ١ ص ١٣٦ .

لقد فكرت صفوة من العلماء فى هذه الحالة وكان على رأسهم الشيخ عبد العزيز الدهلوى ابن الشاه ولى الله صاحب حجة الله البالغة ، فأفتى عبد العزيز بأن الهند أصبحت الآن دار حرب ، فوجب على المسلمين أن يحاربوا الاستعمار الطاغى الغاشم الكافر ، فقام العلماء من الفقهاء والمحدثين والمتصوفين يجاهدون فى سبيل الله وفى سبيل إجلاء الانجليز من بلادهم ، وتكون منهم جيش كبير كان يقوده الشهيد الشيخ أحمد والشهيد الشيخ إسماعيل وغيرهم ، وكان هؤلاء من تلاميذ الشاه عبد العزيز ، وقد وقعت حرب دامية بينهم وبين الاستعمار وحلفائه وفتحوا مدنا كثيرة ورفعوا فيها راية الإسلام حتى سمى الشيخ أحمد بأمير المؤمنين، ولكن حدث فى سنة ١٨٣١ بمقاطعة بالاكوت فى بنجاب أن انهزم هؤلاء الأبرار على يد الخونة من المسلمين أنفسهم ، وكانت هذه أول ثورة ضد الاستعمار .

ولكن شعلة الجهاد وحماسة الثورة لم تنطفىء بهذه الهزيمة ، بل اضطرمت نيرانها وزادت قوة على قوة فى كل يوم وليلة ، لأن حالة المسلمين زادت سوءا على سوء ، فقد قبض الاستعمار على العلماء الذين اشتركوا فى الجهاد وألقاهم فى السجن وعذبهم أشد العذاب ، وبدأ يشدد على المسلمين جميعا فى معيشتهم وتعليمهم ، فألغيت جميع المدارس والمجلات الثقافية حتى تفشى فيهم الجهل والفقر وسوء الخلق ، وحرموا من الاشتراك فى جميع الهيئات الرسمية حتى لم يبق لهم أى نشاط [١] عند ذلك تهيأ تلاميذ الشاه عبد العزيز مرة ثانية لمقاومة الاستعمار ، ولقد خرج هذه المرة المسلمون والهندوكيون وغيرهم لمقاومة الطغاة ، وهذه الثورة هى التى سميت بالثورة الكبرى فى سنة ١٨٥٧ ، ولكنها لم تنجح أيضا بل كتب عليها الفشل ، ولقد أوقع الاستعمار العلماء فى محنة شديدة فقتل منهم الكثير وعذب كثيرون عذابا لم يسمع به فى التاريخ البشرى ، ونفى كثيرين إلى جزيرة « اندومان » والبحر الأسود ، وألغى الاستعمار هذه المرة بقايا النشاط الدينى للمسلمين حتى طال عليهم الأمد وقست قلوبهم .

وقد أنشأ الاستعمار من سنة ١٨٥٨ إلى سنة ١٨٨٧ خمس جامعات فى مدن الهند الكبيرة : كلكتة وبمباى ومدراس ولاهور وإله آباد . وبدأت تدرس فيها المواد الحديثة باللغة الانجليزية . كانت الحرب الدامية تقع بين الاستعمار والعلماء المسلمين كما سبق القول ، وكان العلماء دائما فى طليعة الثورات والمعارك وهم الذين كانوا يقودون المسلمين . فلم يسترح العلماء لهذه الجامعات التى أراد بها الاستعمار

---

[١] نقش حياة للشيخ حسين أحمد المدنى ، ج ١ ص ٢٠٧ .

القضاء على المدارس الدينية والنشاط الدينى فى الهند فامتنع المسلمون من دخول هذه الجامعات عملا برأى علمائهم . وكان هذا بغضا وعداوة للاستعمار ولم يكن عن ضيق نظر أو جمود كما شهر به أعوان الاستعمار ، وإن كان الجيل الذى جاء بعد هؤلاء العلماء قد وقع فعلا فى التزمت والرجعية وضيق الفكر .

لقد أنشأ هؤلاء العلماء من بقايا تلاميذ الشاه عبد العزيز مدرسة دينية عربية سموها دار العلوم بديوبند . وقد أنشئت هذه المدرسة لكى يحافظ فيها المسلمون على تراثهم المجيد ويتخرج فيها الدعاة والزعماء كى يقودوا المسلمين ويكافحو ضد الاستعمار ويرفعوا راية الإسلام فى الهند .

والذين أنشأوا هذه المدرسة هم الشيخ محمد قاسم النانتوى والشيخ رشيد أحمد الكنكوهى والشيخ حاجى إمداد الله وغيرهم من العلماء . وتخرج على أيديهم صفوة من العلماء الذين سلكوا مسلكهم فى الجهاد والكفاح ، وهم الشيخ محمود الحسن ، والشيخ محمد أشرف على التهانوى ، والشيخ حسين أحمد المدنى ، وغيرهم من العلماء الأبرار فى القرن العشرين .

لقد كانت هناك طائفتان من العلماء لم تشتركا فى الثورة الكبرى . الأولى طائفة الحياد . والثانية طائفة المسالمة أما طائفة الحياد فكان يتزعمها الشيخ محمد الذى كان يقول : إن المسلمين لا يجب عليهم الجهاد ، لأنهم ضعفاء وليست فى أيديهم القوة ولا السلطان . والجهاد لا يجب على المسلمين إلا إذا كانت لهم قوة وسلطة [1] .

والثانية طائفة المسالمين وكان يرأسها « السيد أحمد خان » الذى ولد فى سنة ١٨١٧ وكان من أسرة أرستقراطية نبيلة محترمة ، وأجداده كانوا يتقلبون فى مناصب كبرى فى أيام المغول . وكان موظفا فى شركة الهند الشرقية فى بداية عمره . ولذلك لم يشترك فى الثورة الكبرى بل بعكس ذلك كان صديقا للانجليز وأنصارهم . وقد رأى السيد أحمد بعد الثورة الكبرى فى سنة ١٨٥٧ أن المسلمين قد تخلفوا فى جميع الميادين فى الثقافة والتعليم والسياسة والاقتصاد .

ووجد أن الانجليز يشددون عليهم ويرهقونهم ويحرمونهم من جميع المجالات الرسمية . ووجد أن العلماء أيضاً قد منعوا المسلمين من الدخول فى الجامعات الرسمية حتى تخلفوا عن إخوانهم الهندوكيين فى جميع الميادين وحتى تفشى فيهم الجهل والفقر والقلق والاضطراب . ورأى أن الانجليز أصبحت لهم قوة وسلطان فى الهند ولهم القوة المادية من الأسلحة والذخائر فى البر والبحر والقوة

(١) نقش حياة للشيخ حسين أحمد المدنى ج ١ ص ٤٣ .

العلميـة والسياسية بحيث لا يستطيع أحد مقاومتهم ؛ فالأولى بالمسلمين مسالمة الانجليز والتفاهم معهم وأخذ ما يستطيع منهم لخير الشعب، وأن يفهموا الانجليز أن عليهم واجب النهضة بالشعوب التي يحكمونها، وأنهم مسئولون عن جهل هذه الأمة كما أنهم مسئولون عن فقرها وقلقها . ورأى أن التعليم والثقافة الحديثة في مصلحة المستعمِر والمستعمَر . ولنأخذ من الانجليز ما نستطيع أن نأخذه من طريق الإقناع والمسالمة . وبعد الثورة كتب كتابا أظهر فيه أسبابها قائلا بجرأة : إن الانجليز هم الباعث لهذه الثورة، لأنهم أوقعوا المسلمين في أنواع العذاب، وأرهقوهم في جميع الميادين، وضيقوا عليهم في السياسة والحرية . ولم يكن أحد يستطيع أن يجهر بهذا القول إلا السيد أحمد خان ؛ لأنه لم يكن من أعداء الانجليز . وقد طالب الانجليز أن ينشئوا مجلس القانون ويضموا فيه الهنود من المسلمين والهندوكيين وطالب أن تنشأ المحافظات والبلديات في أنحاء البلاد، وتتاح للهنود فرصة لكي يشتركوا في أمور السياسة ويتدربوا على شئونها . فوافق الانجليز على هذا بعد سنين وعملوا كما أشار به السيد احمد خان . فكافح هذا من أجل المسلمين ومستقبلهم ورفع مستواهم من الناحية الاقتصادية والثقافية .

ولقد رأى أن الجامعات التي أنشأها الاستعمار لا يدخلها المسلمون ، لأن العلماء يعارضونها ووجد أن الهندوكيين وحدهم يفيدون من هذه الجامعات وهم الذين يتولون الوظائف الكبرى في الحكومة ، أما المسلمون فليس أمامهم أي مجال يضمن مستقبلهم ومستقبل أبنائهم ورأى أن هـذه الطريقة في المقاومة لن تفيد الأمة الإسلامية في الهند أبداً ؛ لأن المسلمين إذا ابتعدوا عن هـذه الجامعات فإنهم لن يتخلفوا اقتصاديا وسياسيا فحسب ، بل يتخلفون كذلك عن موكب الحضارة والثقافة التي تمدهم بها البلاد الغربية المتحضرة . إن الجامعات العصرية التي تدرس فيها المواد الحديثة لم تخطر على بال أجدادنا ، وإن التراث المجيد الذي احتفظ به علماؤنا في مدرسة ديوبند وتمسكوا به لاشك أنه تراث حبيب إلينا ولكنه لن يكفي حاجاتنا في حياتنـــا المعاصرة . فلن تتطلع أمتنا إلى المستقبل بهذا التراث المجيد وحده ولابد لنا من أن نأخذ من العلوم الحديثة لكي نسير مع الشعوب المتحضرة . لذلك أنشأ السيد أحمد خان في سنة ١٨٧٧ كلية محمدية لكي يدرس فيها المسلمون ويتثقفوا ثقافة حديثة . وقد أضاف إلى المنهج بعض مواد دينيـة أيضا لكي لا يبقى جيل المستقبل جاهلا بثقافته القديمة وديانته . وهذه الكلية هي التي تقدمت بمرور الأيام وأصبحت الجامعة الإسلامية

بعليكرة . إن جامعة عليكرة ، يعتبرها المسلمون فى شبه القارة حصنا إسلامياً ومنارة للثقافة الإسلامية . ولو لم تكن هذه الجامعة لما ظهرت شخصيات فذة مثل محمد على ومحمد إقبال والزعماء المسلمين الكبار الذين قادوا الأمة الإسلامية فى الهند فى منتصف القرن العشرين . ونحن نشكر المرحوم الأستاذ أحمد أمين الذى وفى حق هذا الزعيم الإسلامى فى كتابه « زعماء الإصلاح » وعده من زعماء المسلمين فى العصر الحديث ، ولكن أحمد أمين قد خفف من شأن علمائنا الذين قاموا بالثورة ضد الانجليز لنصرة سيد أحمد خان وإظهار بطولته . وفى رأينا أن أحمد أمين قد اطلع فقط على المصادر الانجليزية التى وضعها الاستعمار وأعوانه واعتمد عليها كل الاعتماد وأخطأ فى فهم الحركات السياسية والدينية فى الهند . والباحث الذى يريد أن يكتب عن النهضات والحركات الإسلامية فى الهند وفى الباكستان لابد له من أن يطلع على المصادر التى توجد باللغة الأردية التى تعتبر اللغة المشتركة الثقافية فى شبه القارة .

ومن الغريب أن أحمد أمين سلك مسلك التقريظ والثناء على السيد أحمد خان وغالى فى هذا كثيراً . وأما الدكتور محمد البهى فإنه يعد السيد أحمد خان من عملاء الاستعمار وقادة الإلحاد والتفرقة ، ويعتبره من الحلقة الأولى للحركة القاديانية ، وهذا أيضاً مغالاة شديدة من ناحية أخرى . ولعل الدكتور محمد البهى تأثر بالمقال الذى كتبه الشيخان محمد عبده وجمال الدين الأفغانى فى مجلة العروة الوثقى والذى نقل منه بعض الاقتباس فى كتابه « الفكر الإسلامى الحديث » . إن جمال الدين الأفغانى مع جلالة قدره لم تتح له فرصة طيبة لكى يطلع على الحركة والدعوة التى قام بها معاصره فى الهند السيد أحمد خان . ولاشك أن جمال الدين الأفغانى أقام فى الهند فى مدينة حيدر آباد إلى مدة وجيزة ، ولكن فى هذه الإقامة البسيطة لم يطلع جمال الدين على دعوة السيد أحمد خان ، لأن مدينة حيدر آباد تبعد عن دهلى وعليكرة أكثر من ألف ميل ، ولم تكن المواصلات سهلة فى تلك الأيام كما هى اليوم . لقد سمع جمال الدين من عامة الناس والفقهاء فى حيدر آباد أقوالا كثيرة ضد السيد أحمد خان وسماه هؤلاء ملحداً وطبيعياً ونسبوا آراءه وأفكاره إلى الإلحاد ومخالفة الدين والشريعة الإسلامية ، ولذلك كتب جمال الدين « الرد على الدهريين » باللغة الفارسية وعنى بذلك الرد على السيد أحمد خان مع أن السيد أحمد خان كان بريئاً من هذه الآراء والأفكار التى أبطلها جمال الدين فى كتابه .

« البقية فى العدد القادم »

محمد إسماعيل الندوى

شىء من النقد :

مناجاة الهلال لحافظ ابراهيم

للأستاذ على العمارى

كان من التقاليد الجميلة فى مطلع هذا القرن ، وإلى عهد غير بعيد، أن يتخذ كبار الشعراء ، والكتاب من المناسبات الدينية مجالا لنشر آرائهم فى حياة المسلمين : الدينية والسياسية ، والاجتماعية ، وكان (هلال المحرم) أو بدء العام الهجرى الجديد من أبرز هذه المناسبات ، وربما اقتصر بعض الشعراء على الناحية الدينية ، يصف ما عليه المسلمون الآن ، وما كانوا عليه فى العهود الزاهرة الماضية ، وقد يمصدون إلى الحديث عن هجرة الرسول إلى المدينة ، وما كان لها من نتائج غيرت وجه التاريخ ولكن أكثر الشعراء كانوا يتخذون مناجاة الهلال فى أول العام الجديد مجرد مناسبة للحديث فى السياسة وفى الوطنية ، ومن هؤلاء حافظ إبراهيم .

ولعل من أسباب ذلك أن يتحاشى هؤلاء الشعراء الحديث المباشر فى السياسة ، فقد كان مجرد (العنوان السياسى) لقصيدة من القصائد كافيا للسؤال والمحاسبة ، فكانوا يبثون الهلال آمالهم وآلامهم ، لعل ذلك يبعد عنهم عين الرقيب .

وليس معنى ذلك أن الشعراء من أمثال حافظ لم يكونوا يخوضون فى السياسة خوضا فى بعض الأحايين ، ولكن معناه أن (الوقت) كان يتحكم فيهم ، والظروف السياسية توجههم ، فمرة يجدون متنفساً فيقولون ، ومرة تضيق بهم مذاهب القول ، فيلتمسون له الوسائل التى تباعد بينهم وبين السجن والتعذيب .

فى سنة ١٩٠٧ م نجد حافظا ينشر قصيدتين سياسيتين ، يودع بإحداهما اللورد كرومر ، ويستقبل بالأخرى السيرغورست ، وفى كلتا القصيدتين يعنف فى بعض الأبيات إلى حد يجعلنا نعتقد أن حافظا لم يكن يخشى بطش الانجليز وجبروتهم ، فيقول - مثلا - فى وداع كرومر :

يناديك قد أزريت بالعلم والحجى
ولم تبق للتعليم يا (لُرْدُ) معهداً

وإنك أخصبت البلاد تعمداً
وأجدبت فى مصر العقول تعمداً

قضيت على أم اللغات وإنه
قضاء علينا أو سبيل إلى الردى

وو افيت والقطران فى ظل راية
فما زلت بالسودان حتى تمردا
وأودعت تقرير الوداع مغامزاً
رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
فما عهد إسماعيل ، والعيش ضيق
بأجدب من عهد لكم كسال عسجدا[1]

ولا يخفف من عنف هذه المغامز ، ما ملأ به حافظ قصيدته من الثناء على اللورد ، فقد كان مضطرا لأن يلف ويدور حتى يتقى (القوم) ؛ ويكفى أنه استطاع أن يعدد مثالب (كرومر) وأن ينشرها على الناس ، وعلى رأسها تذكير الأمة بحادثة (دنشواى) .

ويقول فى استقبال غورست ، والخطاب للانجليز :

أذيقونا الرجاء فقد ظمئنا
بعهد المصلحين إلى الورود
ومنّوا بالوجود فقد جهلنا
بفضل وجودكم معنى الوجود

ثم يعود إلى اللورد كرومر فيرميه بالظلم ، ويذكر أنه أنبت فى نفوس المصريين جفاء للانجليز ، وأن الوحشة بلغت — بحادثة دنشواى — مداها ، ويطعن سياسة (دنلوب) فى المعارف ، ثم يختم هذه القصيدة بهذين البيتين :

أجئت تحوطنا وترُدُ عنا
وترفعنا إلى أوج السعود
أم اللورد الذى أنحى علينا
أتى فى ثوب معتمد جديد ؟ !

وبعد ذلك بسنتين يقول قصيدة فى (تحية العام الهجرى) ويبتدئها بالحديث عن الهجرة ، ويقول : إن الهلال ذكر المسلمين بيوم أغر محجل هو اليوم الذى هاجر فيه خير داع الهدى . وبعد ثمانية أبيات يسير مع طبعه من الحديث فى شئون مصر والعالم الإسلامى ، فيذكر أن العام السابق مضى ميمون الشهور ، وإن ذكروا له هنات ، فطبع الدهر الصفاء والكدر ، ويذكر من إحسان ذلك العام أن بعض الشعوب هبت تطالب بحريتها ، وأن (الترك) أدركوا بعض آمالهم ، وذلك بما حصلوا عليه من حياة دستورية بفضل (نيازى) و (أنور) وأن (الفرس) تنبهوا فيه إلى ما هم فيه من ظلم الشاه وطغيانه ، وبعد أن يعدد أحداثا راقته ، فى بلاد المغرب وفى الأفغان ، وفى الهند وفى (جاوة) و (الجزائر) يرجع إلى مصر فيقول: إنها سرت فيها روح جديدة ، ولكن حديثه يجرى هادئا حذرا ، فزمن التنويم مضى وانقضى ، والمصريون شعروا بحاجات الحياة ، وأنهم محتاجون إلى قادة تبنى وشعب يعمر ، وإلى عالم يدعو ، وعلم يقرّر ، وإلى حكمة تُملى ، وكف

---

(١) الديوان حـ ٢ ص ٢٨ ، ٢٩ .

تحرر ، وإلى رجال الغد المأمول ، يسدون النقص ، ويشمرون عن ساعد الجد ، فعليهم أن يكونوا رجالا عاملين ، وأن يصونوا حمى أوطانهم ، ويشير إلى المطالبة بالدستور ، ويحذر من اليأس فى هذه المطالبة . ثم يبلغ به الحذر أشده ، فينهى عن التهور ، ويأمر بالسداد فى النطق .

فلا تنطقوا إلا صوابا فإننى
أخاف عليكم أن يقال تهوّروا

ويدعو إلى الثقة بالأمير القائم . ويدعو له ألا يزال محروس الأريكة .

وهكذا نرى أن الروح الهادئة تسرى فى القصيدة ، وأن التهيب والحذر يملكان على الشاعر ناصية القول ، ولا تفسير لهذه الظاهرة إلا أن للزمن حكمه .

ففى سنة ١٩٠٧ م كانت حركة مصطفى كامل على أشدها ، وكانت نفوس المصريين تشتعل حماسا ، فكان حافظ صدى لهذه الروح ، فلما مات هذا الزعيم بعد ذلك بعام أصيبت الوطنية المصرية بنكسة ، وكان من ذلك الخوف الذى تمكن من نفوس الناس عامة ، وشعراء الوطنية خاصة .

وفى العام التالى ، أى فى سنة ١٩١٠ م وفى مطلع عام ١٣٢٨ ﻫ نظم حافظ قصيدته الثانية فى (تحيـــة العام الهجرى) . وهذه القصيدة هى موضوع حديثنا ؛ لأنها التى تدرس لطلاب المعاهد الدينية على أنها من روائع حافظ .

وقد ناجى حافظ بهذه القصيدة الهلال ، فأعلن ـ من أول بيت ـ أن له عنده أملا يسأل الله أن يتحقق ، ويسجل على هلال العام السابق أنه كان مشئوم المنازل ، فقد جر على مصر أحداثا ، ومآسى ، فى حين نالت بعض البلاد حريتها ، ويتحدث عن الصحافة وما لقيته فى عام ١٣٢٧ ﻫ من تمهيد لحريتها ، وتضييق على رجالها، كما يتحدث عن المساومة فى مد امتياز شركة قناة السويس أربعين سنة أخرى ، ثم يوجه نصائحه إلى الشباب فيدعوهم إلى اطراح اليأس ، وإلى اقتحام العظائم فى سبيل المجد ، وإلى التعلم ، فالسعادة فى العلم ، وأن يكونوا يقظين حذرين ، يزنون كلامهم . وينتبهون إلى المزالق التى يخبؤها لهم أعداؤهم (الانجليز) . وعلى الشباب أن يتحينوا فرص الجهاد ، وأن يسلكوا إليها طرق الحيلة والدهاء .

ولا ينسى فى أثناء ذلك أن يتحدث عن المستعمرين — ولكنه الحديث الهادئ الحذر — وما كان من قصهم حواشى الصحافة ، واستعانتهم ببعض المصريين ، وعن انتهازهم فرص أحداث الزمان، واتخاذها وسيلة للنيل من المصريين ، ومن يقظتهم وتنبههم لكل ما يقال وما يعمل. وقد نصبوا الفخاخ فى كل طريق يسلكه المصريون .

فن حافظ :

يقول بعض من كتبوا عن حافظ : « إن حافظا كان قريب الغور، لا يضرب فى سموات الخيال بسهم بعيد الرمية ولا يحلق إلا بأجنحة متكسرة ، ولابد للشاعر الفحل من الخيال السامى الجوال، الملتفت إلى المعانى، والمتغلغل فى ضمائر الأشياء ، الباحث فى أكنافها ، وعن خباياها، والمستنبط الدقائق، والمستخرج الدفائن ، ثم عرضها بعد ذلك فى صور فنية أنيقة ، تستهوى نفوسا كانت تحس هذه الأشياء ، ولا تستطيع التعبير عنها ، فهى مستغلقة فى هذه النفوس حتى يأتى الشاعر الملهم فيعرضها للناس مفتحة الجوانب ، فتصيب غرضا كانوا ينشدونه، ولا يستطيعون إبرازه فيبرزه لهم هذا الشاعر المعبر . ولم يكن حافظ من هؤلاء السحرة ، بل كان شاعرا قريب التعبير ، سهل المتناول ، لا يجد قارئه فى شعره ما يرضى خفاياه ، ولا ما يشبع هواه وخياله ، ولكنه رزق عطف القلوب، ولم يرزق عطف الأخيلة .

كان شعره لا يمله القلب ، فإن روحه الحلوة تنساب فيه ، فقد كان ينظم بقلبه لا بخياله .

وهذا الحكم يصدق على كثير من شعر حافظ ، ويصدق الجزء الأول منه على هذه القصيدة ، فهى قصيدة فقيرة من الخيال ، لا تعدو أن تكون نظما لمقال صحفى ، وفقيرة من الروح الثائرة التى تجذب القلوب ، وتثير النفوس ، وما هششت قط لقراءة هذه القصيدة ، وهى لا تختلف عندى عن قراءة نص فى كتاب علمى ، إذا استثنينا بعض أبيات منها .

وليست روعة الشاعر فى دقة التصوير ، ولا فى صحة النظم ، وصدق التوجيه وإنما روعته فيما يثيره فى نفوس القراء من انفعالات تكون صدى لحرارة عاطفته ، وقوة روحه.

ولا نزاع فى أن حافظا كان ذا ديباجة ناصعة ، وأسلوب محكم ، وألفاظ متخيرة حتى يقل أن تجد له لفظا ينبو به موضعه ، ويبدو أنه كان ينظم شعره وهو يترنم به فيأتى الشعر وفيه روح الخطابة ، وقد يروعك حين تسمعه ينشد ، أوحين تترنم به أنت ، فإذا فكرت فى معانيه ، وألقيت موسيقاه جانبا لم تجد فيه ما يروعك ، فلا عمق ولا خيال ، ولا انفعال يهز عواطفك . ويبدو هذا واضحا فى هذه القصيدة . اقرأ قوله ـ مثلا ـ عن هلال العام السابق :

لو كنت أعلم ما يخبئه لنا
لسألت ربى جاهدا أن يمحقا
أولى الأعاجم منة مذكورة
وأعاد للأتراك ذاك الرونقا
توغيرت فيه الخطوب بفارس
حتى رأيت الشاه يخشى البيدقا

وأدال من (عبد الحميد) لشعبه
فهوى ، وحاول أن يعود فأخفقا
ورمى على أرض الكنانة جرمه
بالنازلات السود حتى أرهقا

فأى روعة فى هذا الشعر ؟ أليست كل هذه الأبيات تحكى حكاية عادية ؟ .

الفرس نالوا حريتهم ، وعبد الحميد سقط ، وحاول الرجوع فلم يستطع ، ومصر نزلت بها خطوب سود .

وليس كل شعر حافظ بهذه المثابة ، فإن فى مراثيه من صدق العاطفة وتأججها ، وفى شكاواه من دم القلب ، وانفعالاته ، وفى بعض شعره الاجتماعى من أسى الألم أو روح الفكاهة ما يروع ويعجب .

وإنا لنجد هنات فى نظم هذه القصيدة ، فمن ذلك أن القافية اضطرته فى غير موضع إلى أن يأتى بلفظين مترادفين ، أو متقاربين ، يمكن الاكتفاء بأحدهما عن الآخر ، وهذا ما يسميه علماء البلاغة تطويلا مفسدا ، ومثلوا له بقول الشاعر (وألفى قولها كذبا ومينا) . ومن ذلك فى هذه القصيدة ، عن الهلال :

فنـأى بجانبه وخص بنحسه
مصراً ، وأسرف فى النحوس وأغرقا

فأى فرق بين الإسراف والإغراق ؟
ومن ذلك قوله عن الصحافة :

فإذا دعوت الدمع فاستعصى بكت
عنا أسى حتى تغص وتشرقا

فلا فرق بين الغصص والشرق ، وفى كتب اللغة : غص بالطعام وبالشراب كفرح إذا شرق . ومن ذلك قول الشاعر :

لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى

وفى قوله (ماذا ألم بها وماذا أحدقا) لا أرى داعيا لذكر الإلمام مع الإحداق ، إلا ما يتمحل به من أن الصحافة تارة تلم بها بعض الأحداث ، وتارة يحيق بها بعض آخر . على أن الذى نزل بها وأحدق هو شىء واحد ذاك تقييد حريتها ، ولكن القافية ـ كما ذكرت ـ هى التى اضطرته إلى هذه الركة . وكذلك قوله فى النيل : (فلكم أفاض عليكم وتدفقا) فالإفاضة والتدفق شىء واحد ، والقافية كذلك هى التى اضطرته إلى الابتذال فى قوله :

وأتى يساوم فى القناة خديعة
ولو أنها تمت لتم بها الشقا

وإلى التعبير عن نهب الانجليز لخيرات بلادنا ، وإعمالهم فى ذلك الحيل ، إلى التعبير عن ذلك (بالتأنق) (فتأنقوا فى سلبنا وتأنقا) . واعتراضى على هذه اللفظة أن فيها رقة لا تناسب مكر المستعمرين .

وإلى أن يجعل الخنادق مما يتقى به الأعداء فى هذا العصر ، فى قوله يخاطب الشباب :

وابنوا حوالى حوضكم من يقظة

سورا ، وخطوا من حذار خندقا

وقد يأتى بالمترادفات دون أن تضطره القافية كقوله عن طريق الحرية :

الموت فى غشيانه وطروقه

والموت كل الموت ألا يطرقا

فلا فرق بين الغشيان والطروق .

ولكن فى القصيدة أبياتا ، وأنصاف أبيات جميلة من ذلك قوله : (إن القوى بكل أرض يتقى) وقوله ، والاستفهام فيه رائع حقا .

أو كلما قالوا تجمع شملهم

لعب الشقاق بجمعنا فتفرقا ؟ !

ويبدو التفاوت واضحا إذا وضعنا بجانب هذا البيت قوله :

فتحينوا فرص الجهاد كثيرة

وتعجلوها بالعزائم والرقى

ومهما قيل إن هذه العزائم ، وتلك الرقى ليست سوى قوة الدهاء والتلطف فى الحيلة وحسن التأتى إلى المقاصد ، فإن الضعف والركة ظاهران فى هذا الشطر حتى ليبلغ إلى درجة الإسفاف .

ولا تعجبنى فى القصيدة هذه الأوامر والنواهى المتتابعة (لا تيأسوا فتجشموا — فتدفقوا — فتعلموا — وابنوا — وزنوا وسددوا — وامشوا — وتحينوا — واخلقوا) وذلك أن الشاعر المنفعل لا يسير على درب واحد ، ولا يجمد على أسلوب خاص من أساليب الكلام ، وإنما يخلط الأمر ، بالاستفهام ، بالخبر بالتمنى .

وبعــــد :

فالقصيدة سجل حافل بحوادث مصر وآلامها فى تلك الحقبة من الزمن ، وفيها تظهر وطنية حافظ ، ولكنها وطنية متحفظة حذرة ، تقدم رجلا ، وتؤخر رجلين .

ويظهر فى هذه القصيدة اعتزاز حافظ ببنى وطنه ، فأبن النيل سباق الورى والشباب جددوا العهد الذى قد أخلق ، والصحافة أحذق من المستعمرين ومن أعوانهم ، وهى المواسية فى الآلام ، والسوابق التى تملكها مصر يوم اللقاء ، والأسهم التى ترى بها فى الشدائد ، وهى صواعق على المستعمرين وأذنابهم .

وهذا يدلنا على أن نظرة حافظ للمصريين بدأت تتغير ، وبدأ هو يعدل عن أسلوبه فى تنقص بنى قومه ، والنيل منهم ، ورميهم بالخمول والتواكل .

وكم ذا بمصر من المضحكات
كما قال فيها أبو الطيب
وشعب يفر من الصالحات
فرار السليم من الأجرب
وصحف تطن طنين الذباب
وأخرى تشن على الأقرب

ألم يقل بعد حادثة دنشواى فى سنة ١٩٠٦ وهو يخاطب اللورد كرومر .

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم :
هى أمة تلهو وشعب يلعب

وربما كان هذا أسلوبا من أساليب حافظ فى استنهاض قومه ، وتقريعهم على سكوتهم عن المستعمرين ورضاهم بما هم فيه من ذل . ولكننا على كل حال نجد النغمة قد تغيرت ، والأسلوب قد سالم بنى الكنانة :

عار على ابن النيل سباق الورى
مهما تقلب دهره أن يلحقا

* * *

أهلا بنابتة البلاد ومرحبا
جددتم العهد الذى قد أخلقا
لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم
فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

على العمارى

بقية المنشور على صفحة (١٩١)

وبعد إلقاء هذه المحاضرة علق عليها رئيس الحلقة شيخ الأدباء الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات فوصفها بأنها كلمة علمية واعية تمثل الأزهر أصدق تمثيل .

وقد أوحت هذه الكلمة الكريمة إلى الدكتور صالح الأشتر أستاذ الأدب العربى بجامعة دمشق ، أحد مبعوثى الإقليم السورى فى حلقة التيسير بالأبيات الآتية :

تحية وإعجاب

الشيخ غنيم أمتعنا
بحديث عذب كالكوثر
قد زاد عن النحو السلفى
تيسيراً كالداء الأصفر
ولى التيسير ولم تثبت
قدماه كما ولى شرشر
ورئيس الحلقة قال لنا
قد أحسن تمثيل الأزهر
فيحق إذا لفضيلته
أن يزهى بالنصر الأكبر

ولما اطلع على الأبيات المذكورة الدكتور مهدى علام عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس أضاف إليها البيت التالى :

قسما بالله لقد صدقت
كلمات الحق من الأشتر

الجريمة والعقاب

في الشريعة الإسلامية والشرائع الوضعية

للأستاذ محمد سرحان

عنيت الشريعة الإسلامية ببناء المجتمع على أسس راسخة قوية ودعائم ثابتة مستقرة. وحرصت على تمكين أسباب الأمن والطمأنينة للأفراد والجماعات. وسنت أمثل الطرق وأقومها فى مكافحة الجريمة والضرب على أيدى العابثين والمنحرفين كى يسلم الناس من أذاهم. وتحفظ عليهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم. وقد جعلت لكل جريمة عقاباً يتكافأ مع نوعها ومقدار جسامتها وأثرها فى حياة الأمة ونظامها ومثلها، وأهابت بالمسلمين ألا يتهاونوا فى تنفيذ هذه العقوبات وألا تأخذهم بالجانى شفقة أو رحمة.

وقد طبقت الشريعة الإسلامية فى بيئات مختلفة، وضرب على يد جماعات مردت على السطو والنهب واستباحت الدماء والأعراض، فاجتثت جذور الشر من أصولها. وانصرف المسلمون فى ظلالها إلى العمل والكفاح فى سبيل رفعة بلادهم وإسعاد أنفسهم وأوطانهم. واستطاعوا أن يقيموا مجتمعاً فاضلا نزيها. وأن يضربوا أروع الأمثال فى التعاون والتراحم والإيثار والتضحية والفداء. وكانت لهم العزة على من عداهم من الممالك والدول. وأثبتت التجارب الطويلة أن التشريع الإسلامى هو وحده العلاج الناجع لأدواء المجتمع ومشاكله فى شتى الأزمنة والأمكنة والأحوال. وليس الأمر كذلك فى التشريعات الوضعية التى خضعت فى وضعها لاعتبارات تتصل بالبيئات المحلية والأحداث الطارئة. ومالت فى كثير من الأحيان مع الأهواء وإباحة كثير من نوازع النفوس وملذاتها - ومثل هذه التشريعات إن كتب لها بعض النجاح، فإنها لا تصلح فى بيئة غير التى نبتت فيها ولا بعد زوال الأحداث التى سيطرت على عقول واضعيها.

ولذا نرى التشريع الجنائى الوضعى قد تقلب فى أطوار عدة وامتدت إليه يد التغيير والتبديل فى كل حين. وبقى قاصراً عن إقامة مجتمع قوى سليم. ونمت فى ظلاله الجريمة وكثر المجرمون فى البلاد التى تزعم أنها قد بلغت الغاية فى المدنية والحضارة، فضلا عن الانحدار الخلقى الذى هوت إليه هذه البلاد وكان مثار الشكوى والألم من بعض النابهين من أبنائها.

وقد فتن المسلمون عن أحكام دينهم ومبادىء شريعتهم بعد انهيار دولتهم وقضاء المستعمرين على مجدهم وعزتهم ، واستطاع هؤلاء فى غمرة الأحداث التى طغت على البلاد الإسلامية أن يزعزوا عقائد المسلمين فى مبادىء دينهم ويصرفوهم عن مثلهم وأنظمتهم إلى الأخذ بالتشريعات الغربية باسم المدنية والحضارة . وخلقوا جيلا يظاهرهم ويروج لمبادئهم وشرائعهم . وبذلك انفرط عقد الحياة الفاضلة وفشت الجرائم فى بلاد الإسلام بصورة بشعة .

وهذه الجمهورية العربية وهى قلب الإسلام النابض وفؤاده الخفاق وهى بحق أعظم بلاد الإسلام قاطبة فى قوتها وحضارتها وثقافتها واستكمال نظمها وأجهزتها التشريعية والتنفيذية ما تزال برغم الجهود الصادقة التى تبذلها فى مكافحة الجريمة والمجرمين تلاقى كثيراً من المتاعب فى سبيل القضاء على هذا الخطر الوبيل . ولا سبب لذلك سوى القانون المجتلب والعقوبات اللينة التى فرضها .

إن هذه الجمهورية الفتية هى مركز الحضارة والإشعاع العلمى فى الشرق كله . وقد رسمت لنفسها سياسة وطنية استقلالية تنبع من واقع حياتها وأحوال أهلها . وهى تسير بخطوات واسعة نحو العزة والمجد وتطهير البلاد من أدران الاستعمار وألوان الفساد التى بذرها فى بلادنا ولوث بها عقول كثير من رجالنا وأبنائنا . فلم لا تكون جمهوريتنا كذلك منبعا لتشريع شامل تستمده من دينها ومثلها ومقدساتها وأحاسيس أبنائها ، ويكون علاجا حاسما لعللها وأمراضها ، وتأخذه عنها جميع البلاد التى تترسم خطاها وتعلق الآمال الكبار على عونها ورعايتها ؟ وبذلك نضع الأساس المكين لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية .

ها هى ذى جرائم السرقات على اختلاف ألوانها تمثل نسبة كبيرة بين الجرائم فى بلادنا . ومن أراد الوقوف على مدى استشراء هذا الخطر فى مجتمعنا فليذهب إلى ساحات المحاكم ليرى جرائم السرقات تمثل جانبا مخيفاً بين القضايا التى تنظرها وتأخذ من وقت القضاة الثمين قدرا يبلغ بهم غاية الجهد ويعوقهم عن النظر فى القضايا الأخرى فتظل أمامهم سنين طوالا .

المسئول عن ذلك هو التشريع الوضعى العقيم . والاستهانة بالعقاب الذى قرره . فاللص يقدم على جريمته وهو مطمئن إلى أن أقصى ما يتعرض له إن ظفر به هو السجن شهورا أو سنوات . وحياة السجن فى نظره ليست مما يخاف ويخشى . فوراءه من اللصوص من يعول أسرته ويرعاها . ويقضى هو هذه الفترة بين مجرمين يوثق صلته بهم ويعقد معهم الاتفاقات لاستئناف العمل بعد الإفراج عنهم وسجلات الشرطة مليئة بأسماء مجرمين عادوا إلى السرقة فى اليوم الذى خرجوا فيه من سجنهم .

ومع هذا كله لم نر أحدا من القائمين على شئون التشريع يفكر فى التماس العلاج الحاسم لهذه الحالة الخطيرة من مبادئ التشريع الإسلامى ، لأن الاستعمار قد لقن الناس أن هذا التشريع ينافى المدنية والحضارة . وأن قطع يد السارق قسوة ونكال . والعقوبة قد شرعت للتقويم والتهذيب والإصلاح .

حقا إن العقوبة قد وضعت للتهذيب والردع والإصلاح ولكن أين هى العقوبة الرادعة المصلحة ؟ ومتى رأينا لصا تاب وصلحت حاله بعد توقيع عقوبة الحبس عليه ؟ لا : بل إن هذه العقوبة اللينة هى التى ساقته وساقت غيره إلى ارتكاب هذه الجريمة وأشباهها فأين التهذيب وأين الإصلاح ؟ .

فلماذا لا نطبق الشريعة الإسلامية ونقطع يد السارق لينجو الناس من شره ويرتدع غيره عند ما يدرك أنه صائر إلى هذا المصير.

إن قطع يد السارق علاج ناجع وتشريع رادع يقضى قضاء مبرما على هذه الآفة الخطيرة . ولن يتجاوز عدد من ينفذ فيه هذا العقاب بضعة أفراد فى كل عام . وبذلك ينصرف الناس إلى حياة كريمة شريفة وتوفر الدولة جهود أجهزتها المختلفة للبناء والتعمير فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ حياتها .

لقد طبقت بعض الدول الشقيقة هذه العقوبة فى بلاد كانت قد تأصلت فيها بذور هذه الجريمة وعزت مكافحتها . فاستتب الأمن بين ربوعها . ولم يعد أحد يسمع بأى نوع من أنواعها إلا فى النزر اليسير .

ونستطيع نحن فى فترة الانتقال أن نعطى للقاضى الحق فى الحكم بالحبس مدة لا تقل عن ثلاث سنوات إذا بدت له اعتبارات تقضى بالتخفيف وتستوجب الشفقة والرحمة، وكانت هذه أول جريمة من نوعها يرتكبها المجرم . لقد فشل القانون الوضعى فشلا ذريعا فى مكافحة جريمة السرقة. وهو أشد فشلا فى مكافحة الزنى والجرائم الخلقية . وإذا نحن راجعنا نصوصه فى جريمة الزنى رأيناه يجعل الأصل فيها الإباحة ولا يفرض عقابا عليها إلا فى حالات خاصة وبشروط وقيود أضاعت الغرض المقصود منها وفتحت أمام الزناة عددا من النوافذ للإفلات من العقاب .

فالزانى لا يعاقب إلا إذا زنى بقاصر أو امرأة متزوجة ، أو كان الزنى بالإكراه أو فى منزل تقيم فيه زوجته — والزانية لا تعاقب إلا إذا كانت متزوجة وتمسك الزوج برفع الدعوى العمومية عليها ، ومعنى ذلك أن القانون الوضعى لا يفرض على الزنى فى ذاته عقابا . وإنما يفرض العقاب على ما يقترن به من تغرير أو إكراه أو اعتداء على حق فرد معين لم يتنازل عنه . ولا عقاب على الزانية المتزوجة إذا رضى زوجها أو اصطنعت لها زوجا يعلن عدم رغبته فى محاكمتها . وبذلك تخرج هذه الجريمة عن نطاق

الدعاوى العمومية إلى الحقوق الفردية التى لا تعتبر فى ذاتها جريمة . أما المجتمع فلاحق له قبل هذه الجريمة النكراء التى تلطخ شرف الأسرة وتزلزل كيان الجماعة وتدمر الكرامة الإنسانية وتورث الولد من غير ذويه وتنسبه إلى غير أبيه . ومن ثم فشت هذه الجريمة الخلقية وانبث فى المجتمع عدد كبير من الفجار والساقطات يرتكبون هذه الرذيلة المدمرة فى حماية القانون وفى غير ما حياء ولا خجل . وكثيراً ما يمتد هذا المرض الوبيل بطريق العدوى إلى أسر سعيدة آمنة فيحطمها ويقوض هناءتها وسعادتها .

سيقولون أيضا : إن الشريعة الإسلامية قد فرضت على الزنى عقوبة صارمة عنيفة تتراوح بين الجلد ، والرجم ومدنيتهم الزائفة وحريتهم الحمراء تأبى أن يتعرض الزانى للقسوة والنكال ؛ ويتناسون أن هذه الجريمة تدمر أخلاق الأمة وتقضى على معنوياتها وأن جميع الشرائع السماوية والوضعية لا تأخذها رأفة بمن يعرض سلامة أمته للدمار والانهيار ، على أن الشريعة الإسلامية قد أحاطت إثبات هذه الجريمة بضمانات قوية لا يقام الحد إلا بها ؛ رعاية لما يترتب على ثبوتها من مساس بكرامة الأسر والجماعات ، وتركت للقاضى حرية الحكم بأية عقوبة أخرى متى قام لديه الدليل المقنع بصحة الاتهام ولم تستوف الشروط المعتبرة لإقامة الحد ، وإذن فلن يطبق الحد إلا فى القليل النادر ولكن وضع هذه العقوبة فى القانون واعتبار الزنى جريمة ذاتية مهما كانت صورتها ، سيردع الناس عنها ويحمى المجتمع من شرورها وأوزارها إن على رأس البلاد الآن رجلا مؤمنا بربه ودينه ووطنه وقد آلى على نفسه أن يطهرها من أدران العهود الماضية ومباذلها وأن يحميها من الأمراض الفتاكة التى بذرها الاستعمار بين صفوفها . وقد نصره الله فى جميع خطواته وأيده بعنايته ورعايته . وهو لا يرضى أبدا ببقاء هذا الداء ينخر فى عظام الأمة ويفتك بأخلاقها وليس بعزيز عليه أن يأمر بحذف هذه النصوص الشاذة من قانوننا والإسراع بالتماس العلاج الشافى من مبادئ شريعتنا وأحكام ديننا .

لقد آن لنا أن نتحرر فى تشريعنا كما تحررنا فى سياستنا ، وأن نكون القدوة الصالحة للأمم المتطلعة إلينا وهى تضم سكان القارتين الكبيرتين آسيا وإفريقيا . وبذلك نحتفظ بزمام القيادة الحقة لهذه الشعوب . ونخلق فيها مجتمعا راسخ الأركان قوى البنيان . ويعود للشرق مجده وعظمته . ويربط حاضره الباسم بماضيه المشرق . ويغدو مصدراً للهدى والعرفان كما كان فى عهد النبوات .

حق علينا فى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل

حياتنا أن نخطو خطوات جريئة فى سبيل إصلاح تشريعنا مستلهمين أحكامه من مبادئ ديننا فنقطع يد السارق ونعاقب على الزنى فى جميع صوره وأحواله . ونحرم الخمر ونحد شاربها . ونضرب بيد قوية على المقامرين الذين يفتكون بالثروات وتدفعهم الموائد الخضر إلى السرقة والاختلاس . وقد ثبت بالدليل القاطع أن معظم الجرائم الكبرى يرتكبها السكارى ، وأنهم يتخذون من شرب الخمر عونا على المضى فى جرائمهم بلا خوف ولا تردد . وأن القمار كان سبباً فى أكثر حوادث الاختلاس من الأموال الحكومية وغير الحكومية .

إن أهم المصادر التى استقينا منها تشريعنا الجنائى هو القانون الفرنسى الذى صدر فى أعقاب الثورة الفرنسية . وامتلأت قلوب واضعيه بالحقد والضغينة على الكنيسة ورجال الدين ، لأسباب تاريخية معروفة . فمالوا فى تشريعهم إلى الإباحة والتحلل والتفلت من القيود الدينية والخلقية تملقا لعواطف الجماهير وإرضاء لنزواتهم وشهواتهم ، وخدعوا الناس باسم مبادئ الحرية والإخاء والمساواة . وهى حرية فاجرة وإخاء كاذب ومساواة فى القشور دون اللباب . فلماذا لا نتحرر من التبعية التشريعية كما تحررنا من التبعية السياسية ؟ .

لقد جربنا دستورهم فى بلادنا فزقها شيعا وأحزابا . وصرف الأمة عن أمانيها وأفسد الأخلاق والضمائر ونظام الحكم وأسلم البلاد للمستغلين والنفعيين وتجار السياسة وكاد يقضى على مقوماتها المادية والمعنوية حتى امتدت إليه حكمة الثورة فألغته واستبدلت به دستوراً نابعاً من صميم حياتها ومتوخيا مصالح أبنائها وجمع كلمتهم والربط بين قلوبهم ؛ ليقيموا بناء حضارتهم وينهضوا بمرافق بلادهم . واستطاعت الأمة فى ظل النظام الجديد أن تحقق المعجزات وأن تتوالى انتصاراتها فى الداخل والخارج . فلماذا لا نلجأ إلى هذه الطريقة نفسها فى إصلاح تشريعنا فنلغى النصوص التى لا تتفق مع ديننا ومبادئنا وواقع حياتنا ونستبدلها بنصوص أخرى تمين على دعم قوتنا وصيانة مجتمعنا . وتكفل لأمتنا الحياة الجادة الكريمة وتحفظ أخلاقنا من السقوط والتدهور والانحلال . وينصرف أبناؤنا إلى العمل المثمر والكفاح النافع . والجمهورية الآن موشكة أن تصدر قانونا موحداً يطبق فى إقليميها والفرصة سانحة للإصلاح والتعديل . ومن الخير أن نغتنمها ولا ندعها تفلت من أيدينا ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

محمد سرحان

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

رأى للمناقشة :

المسرح والتوجيه الدينى

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

فكرة راودتنى منذ سنوات ، ولا تزال تراودنى حتى اليوم ، وقد آمنت بها منذ راودتنى وازداد هذا الإيمان قوة وعمقا على مر الأيام ، وتوالى السنين .

كان ذلك حين أسند إلىّ الإشراف على التمثيل فى إحدى المدارس الثانوية ، فألفت بعض المسرحيات الدينية والوطنية ، وشاركت فى إخراجها على مسرح هذه المدرسة ، وحينئذ أدركت ما للتمثيل من أثر كبير فى التوجيه والإرشاد ، لأنه يوجه النفوس إلى معانى الخير والحق والفضيلة توجيها تلقائيا لا أثر فيه للضغط الذى يولد المقاومة ، والقسر الذى يثير العناد .

وأنا بطبيعة نشأتى الدينية من جهة ، وبحكم ميولى الفنية من جهة أخرى ، أحب أن تتغلغل النزعة الدينية فى كل نفس ، فتؤثر فيها تأثيراً عميقا ، وتوجهها توجيها واعيا ، وأحب أيضا أن تكون وسيلتنا إلى ذلك غاية فى اللطف والرفق . ولا توجد وسيلة ألطف لطفا ، وأرفق رفقا من الوسيلة الفنية التى تتسرب إلى النفس فى رقة ويسر فتملؤها بأنبل المشاعر ، وأجمل الأحاسيس .

وهكذا آمنت بأن فكرة المسرح الدينى يجب أن تبرز إلى حيز الوجود ، إذا أردنا أن نقوى فى النفوس ما ضعف فيها من معانى الدين ، وأن نرد إلى طريق الهداية ما انحرف منها عن هذا الطريق .

وقد يقول قائل: إن الوعظ والإرشاد على النمط المألوف يؤدى هذه المهمة ، ويوصل إلى تلك الغاية ، ولكننا نقول : إن تقوية النزعة الدينية ، وهداية النفوس العصية ، هما أسمى غاية يجب من أجلها أن تتضافر كل الجهود ، وتتعاون كل الهيئات ، وتتخذ كل الوسائل .

ومن المسلم به أن النفوس معادن ؛ فمنها ما لا يؤثر فيه غير الوعيد الشديد أو الوعد الأكيد ، فى لفظهما المباشر ، ومعناهما الصريح ، ومنها الذى لا يلين إلى بالمثل الذى يوحى ، والصورة التى ترمز . ولكل نفس حالات تختلف وتتباين ، فما يلائمها فى حال، قد لا يلائمها فى حال أخرى .

والعليم الخبير ، جل شأنه ، وتقدست حكمته . يقول فى محكم كتابه مخاطبا نبيه

الكريم : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . والمراد بالحكمة فى الآية الكريمة ، الدعوة إلى سبيل الله بالوسيلة الناجحة ، والعمل الصائب . والحكيم من لا يخرج عن الصواب فى قوله أو فعله . ومن الموعظة الحسنة ألا تتخذ العنف وسيلة دائمة إلى الهداية والإرشاد ، وصدق الله حيث يقول : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

ونحن حين نتخذ المسرح الدينى وسيلة من وسائل الهداية والإرشاد ، نجعل تاريخنا الإسلامى المجيد يتمثل أمامنا زاخرا بالحركة نابضا بالحياة ، ونستحضر شخصياته العظيمة بأخلاقها القويمة ، وأعمالها الكريمة ، ومثلها العالية ، فيملؤنا ذلك كله إيمانا بديننا ، واعتزازاً بتاريخنا ، ويحفزنا إلى العمل الدائب لنصرة دين الله ، وإعلاء كلمته . وإذا كانت قراءة التاريخ تجعل وقائعه تنفذ إلى النفوس ، فتؤثر فيها تأثيراً عميقا ، فإن تمثيل هذه الوقائع هو من غير شك أبعد نفاذاً ، وأعمق تأثيراً .

وأنا لا أنسى الأثر الكبير الذى أحدثه فيلم « الرداء » الذى يمثل تاريخ المسيح عليه السلام كما تؤمن به المسيحية أو فيلم « صياد الجليل » الذى يعرض حياة بطرس أحد الحواريين ، أقول لا أنسى الأثر الذى أحدثه هذان الفيلمان فى نفوس المسيحيين ، فقد ألهبا مشاعرهم الدينية ، وأذكيا وجدانهم المسيحى ، وكانا دعاية واسعة للمسيحية فى كل بلد عرضا فيه . ولا أنسى كذلك فيلم « ظهور الإسلام » ، وما كان له من تأثير عميق فى نفوسنا معشر المسلمين ، على ما تجلى فيه من نقص فى الوسائل المادية ، والكفاية الفنية .

وهنا نلمس المسألة الشائكة فى هـــذا الموضوع ، فنسأل هذا السؤال :

هل يباح تمثيل الشخصيات الإسلامية ذات القداسة والإجلال ؟

وأنا أستثنى شخصيات الرسل والأنبياء عليهم السلام . ثم أقرر أنى لا أجد مبرراً للامتناع عن تمثيل أية شخصية دينية أخرى ، ما دام هـذا التمثيل لن يغض من قداستها ، أو ينقص من جلالها .

إن تمثيل الشخصية هو فى جوهر أمره ، تجسيم حى لصفاتها النفسية ، وسلوكها العملى وهذا التمثيل لا يخلط شخصية الممثل والشخصية التى يمثلها ، لأنهما فى واقع الحياة شخصيتان متميزتان . وهل يكون الممثل فى حقيقة أمره نفس الشخصية التى يمثلها ؟ لو حدث ذلك لما رأينا ممثلا يرضى أن يمثل شخصية مارق من المجتمع . أو خارج على القانون .

فنحن إذاً نحتفظ للشخصية الدينية بكل ما لها من قداسة وإجلال حين نمثل على المسرح حياتها كلها ، أو قطاعا من هذه الحياة ، ومع ذلك كله ، فعندنا من أصحاب الاحتراف

أو الهـــواية فى التمثيل من يتصفون بكمال الإيمان ، وسلامة الأخلاق ، وحسن السلوك إلى جانب ما يمتازون به من مقدرة فى الفن ، وبراعة فى التمثيل ، فلنجعل تمثيل الشخصيات الدينية مقصوراً عليهم ، فلا يقوم اعتراض من هنا ، أو نقد من هناك .

وما ذا يبقى بعد ذلك ؟

تبقى الشخصيات النسائية التى قد توجد فى بعض الوقائع التاريخية .

ونحن حين نتعمق هذه المسألة ، لا نجد فيها ما ينافى الدين ، ويجافى الخلق ، ما دمنا سنحرص على أن يكون مظهر الممثلة وسلوكها فوق المسرح بعيداً كل البعد عما يخدش الحياء ويجرح الفضيلة . وعندنا من الكرائم من يجدن التمثيل ويزاولنه هواية لا احترافا وقد شاهدت بعضهن فى أدوار تاريخية على مسرح جمعية الشبان المسلمين ، فكن موضع التقدير والاحترام من الجميع .

والآن أظن أننى أستطيع أن أقترح على المسئولين فى الأزهر ووزارة الثقافة تكوين فرقة للمسرح الدينى تزاول نشاطها إلى جانب الفرق المسرحية الأخرى ، كفرقة المسرح القومى ، وفرقة المسرح العسكرى ، وغيرهما من الفرق .

وبطبيعة الحال ستختص هذه الفرقة بتقديم نوع من المسرحيات لا تتعداه إلى سـواه ، وهو المسرحيات الدينية المستمدة من تاريخنا الإسلامى . وعندنا من كتاب المسرح من يستطيعون أن يمدوا هذه الفرقة بالمسرحيات التى تلاقى النجاح ، وتحقق الغاية . ولا أشك فى أن وجود هذه الفرقة سيدفع الكثيرين من المؤلفين إلى العناية بالأحداث الجليلة التى يحفل بها تاريخنا الإسلامى المجيد والانصراف عن الموضوعات الضئيلة الشأن ، أو المنحرفة القصد ، التى تقوم عليها مسرحياتهم الرخيصة المزيلة ولا بد من الإشراف الواعى الحكيم على هذه الفرقة حتى لا تنحرف عن القصد وتضل عن الغاية ، وينبغى أن تقوم بهـذا الإشراف لجنة مختارة من رجال الأزهر ووزارة الثقافة وهذه اللجنه تراجع نصوص المسرحيات وتشهد تجاربها ، ولا تسمح بعرض مسرحية حتى تطمئن إلى سلامتها من ناحية الأداء الفنى ، والهدف الدينى على السواء .

إن تيار المادية يوشك أن يطغى على العالم الذى نعيش فيه ، ومن هذا التيار نشأ تيار آخر هو تيار الانحراف عن الدين والأخلاق فلنقاوم ذلك بكل وسيلة ممكنة ؛ لنحفظ للدين جلاله ، وللخلق جماله ، وللروح منزلتها فى شئون الحياة ، وسلوك الإنسان .

وبعد : فهذا رأى أعرضه للمناقشة ، لا أبتغى به غير الخير للدين والنفع للمجتمع والله الموفق إلى الصواب ؟

ابراهيم محمد نجا

المدرس الأول بوزارة التربية والعليم

أصول التشريع الإسلامي وفلسفته

للأستاذ عباس طه

يأمر كثير من السلف والخلف بالاجتهاد ويمدحونه ويحضون عليه، لما يترتب عليه من حماية الوطن الإسلامي من احتلال الشرائع والقوانين الأجنبية له، ولضمان حفظ الشريعة الإسلامية وسرمديتها واستمرارها، وجدتها ونشاطها في كل زمان ومكان، ولسد حاجات البشرية في التشريع وكفاء أحكام الحوادث والوقائع التي تتجدد وتحدث في كل يوم، ولتكون غنية المجتمع الإنساني في أقضيته، ومرافعاته، وعقوده وتوثيقاته وجميع معاملاته وتصرفاته التي تحتاج إلى تشريع وقوانين إلى يوم الدين.

ولعظم فوائد الاجتهاد، وجليل آثاره عول عليه الصحابة رضي الله عنهم بعد أن استأثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم، وسدوا به حاجات المسلمين في كل شأن من شئون الحياة الداخليه والخارجية التي تحتاج إلى تشريع ولم يرد لها نص خاص.

قال ولي الله الدهلوي: «لما انقضى عصر الرسول الأعظم، وتفرق الصحابة في البلاد، وصار كل صحابي مقتدى به في ناحية من النواحي، وكثرت الوقائع، ودارت المسائل، واستفتاهم الناس فيها، أفتى كل صحابي حسب ما رآه من عبادات الرسول، وبما حفظه وعقله من فتاواه وأقضيته صلى الله عليه وسلم، أو بما استنبطه من ذلك، وإن لم يجد فيما حفظه أو استنبطه ما يصلح للجواب اجتهد برأيه. وعرف العلة التي أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الحكم في منصوصاته، فطرد الحكم حيثما وجدها لا يألو جهداً في موافقة غرضه عليه الصلاة والسلام».

وقال الأستاذ أحمد أمين في «فجر الإسلام»: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانقطع الوحي، واتسعت المملكة الإسلامية اتساعا عظيما، فواجه المسلمون بهذا الفتح مسائل كثيرة، في كل شأن من شئون الحياة، تحتاج إلى تشريع، في جميع الشئون الداخلية والخارجية، ولم يدع أحد أن القرآن والسنة الصحيحة نصا في المسائل الجزئية على كل ما كان وما هو كائن فنتج عن هذا أن كان أصل آخر من أصول التشريع، وهو (الرأي) الذي نظم بعد ذلك وسمي (القياس).

جرى على كثير من الصحابة، فكانوا يستعملون رأيهم حيث لا نص. وقد نقل

إلينا المؤرخون ، والمحدثون والفقهاء ، جملة صالحة من المسائل التي استعمل فيها الصحابة رأيهم . فلم يكد يتوفى الرسول الأعظم حتى رأوا أنفسهم أمام أكبر مشكلة قانونية وهى : من يتولى الأمر بعده : أمن المهاجرين ، أم من الأنصار ، أم من هؤلاء أمير ومن هؤلاء أمير ؟ وإذا فصل فى ذلك ، فمن هو خير من يتولاها ؟ لم يرد فى كل ذلك نص من كتاب ولا سنة .

فلم يكن إلا أن يستعملوا رأيهم ، وقد كان ، فالمحضر الذى ذكره المؤرخون لاجتماع السقيفة يدلنا على كيفية استعمال رأيهم ، وتقليب الأمر على وجوهه .

ولم يفرغ أبو بكر من مبايعة الناس له حتى واجه مسألة الردة ، فاجتهد فيها ، واجتهد عمر .

وعرضت له مسألة الجد مع الأخوة : هل يرث الإخوة ؟ فالقرآن لم ينص على هذه المسألة إنما نص على الأب مع الإخوة ، فذهب ابن عباس وأبو بكر إلى أنه يحجبهم وذهب آخرون ومنهم زيد بن ثابت ، وعلى ، وعمر ، إلى إرثهم معه .

وأرادوا أن يعطو العطاء ، أعنى الغنائم التى يغنمونها فى الحروب ، فاختلفوا : هل يسوى بين المهاجرين والأنصار ؟ فقال عمر : لا نجعل من ترك دياره وأمواله مهاجرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم كمن دخل فى الإسلام كرها . فقال أبو بكر : إنما أسلموا وأجورهم على الله ، وإنما الدنيا بلاغ . وكان أبو بكر يعمل برأيه فيسوى بينهم ، ولما أفضت الخلافة إلى عمر فرق بينهم ، ووزع على تفاوت درجاتهم .

والمتتبع لما روى عن العصر الأول فى (الرأى) يرى أنهم كانوا يستعملون كلمة (الرأى) بالمعنى الذى نفهمه الآن من كلمة (العدالة) ، وبعبارة أخرى : ما يرشد إليه الذوق السليم مما فى الأمر من عدل وظلم ، وفسره ابن القيم « بأنه ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجهة الصواب » .

وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يجتهد فى تعرف المصلحة التى لأجلها كانت الآية ، أو الحديث ، ثم يسترشد بتلك المصلحة فى أحكامه ، وهو أقرب شيء إلى ما يعبر عنه الآن : بالاسترشاد بروح القانون لا بحرفيته .

فالاجتهاد كان سببا فى نماء الفقه الإسلامى ذلك النحو الفريد ، حتى أصبح بحراً زاخرا لا ساحل له ، وأضحى فى سعته وثرائه وشموله لا نظير له فى جميع الشرائع والقوانين القديمة والحديثة .

هل ورد فى كل حادثة نص :

تعرض القرآن الكريم لجميع ما يصدر عن الإنسان من أعمال : إلى العبادات من صلاة وصوم ، إلى النظم الاجتماعية من زكاة وحج ، وأحوال الأسرة من زواج وطلاق وميراث ، إلى الأمور المدنية كبيع وإجارة وربا ، إلى

الأمور الجنائية من قتل وسرقة وزنا وقطع يد ، إلى الشئون الدولية كالقتال وعلاقة المسلمين بالمحاربين وما بينهم من عهود وغنائم الحرب،وهو فى كل هذا يتعرض غالباً للأمور الكلية ، ولا يتعرض كثيراً للتفاصيل والأمور الجزئية ، فهو قد نص على الأصول وترك معرفة الحكم فى الجزئيات إلى النظر والاستدلال،ولذلك قال ابن برهان : البارى سبحانه قادر على التنصيص على حكم الحوادث والوقائع ، ولم يفعل ، ولكنه نص على أصول ، ورد معرفة الحكم فى الفروع إلى إلى النظر والاستدلال .

وقال الشهرستانى : نعلم قطعا ويقينا أن الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات مما لم يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعاً أنه لم يرد فى كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك ، والنصوص إذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية - وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى - علم قطعاً أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار ، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد.

وقال ابن سراقة فى كتابه إعجاز القرآن :لم ينص الله تعالى على جميع الحوادث مفصلا،وقال الإمام النووى فى شرح مسلم : إن النصوص الصريحة لا تفى إلا باليسير من المسائل الحادثة .

وقال العلامة ابن خلدون : نظرنا فى طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فإذا هم يقيسون الأشباه بالأشباه منهما ، ويناظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض فى ذلك ، فإن كثيراً من الواقعات والحوادث بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تندرج فى النصوص الثابتة ، فقاسوها بما ثبت ، وألحقوها بما نص عليه بشروط فى ذلك الإلحاق تصحح تلك المساواة بين الشيئين أو المثلين حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد ، وصار ذلك دليلا شرعياً بإجماعهم ، وهو (القياس) وهو رابع الأدلة . واتفق الجمهور من العلماء على أن أصول الأدلة هى : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وإن خالف بعضهم فى الإجماع والقياس ، إلا أنه شذوذ .

وقال إمام الحرمين فى البرهان :لم يخل أحد من الصحابة من اجتهاد. ومن أنصف لم يشكل عليه إذا نظر فى الفتاوى والأقضية أن تسعة أعشارها صادرة عن الرأى المحض،والاستنباط ، ولا تعلق لها بالنصوص ولا بالظواهر .

ومما ذكر يتبين أنه لم يكن لكل حادثة جزئية أو واقعة فرعية ، نص خاص ، لذلك عول الصحابة والتابعون وتابعوهم والأئمة والعلماء على جواز الاجتهاد فى دائرة الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فسدوا بهذا حاجات الناس فى التشريع .

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

خطأ المقارنين لا خطأ المقارنة

للأستاذ عباس محمود العقاد

تصدر باللغة الانجليزية مجلة كبيرة تسمى «تاريخ اليوم» History Today تختار أصحاب الشهرة بالمباحث التاريخية للكتابة فى المبحث الذى تفرغوا له وتوفروا عليه وتعرض المناسبة للكلام عنه تعليقاً على حادث مشهور من حوادث العصر الحاضر ، وقد كانت قضية فلسطين إحدى المناسبات التى دعت هذه المجلة إلى اقتراح الكتابة فى تاريخ الخليفة عمر رضى الله عنه ، فندبت لكتابة هذا التاريخ الأستاذ سوندرز Saunders المحاضر الأول لدروس التاريخ بجامعة كانتربرى بزيلانده الجديدة ، ونشرت له فى عددى شهر مارس وشهر أبريل الماضيين مبحثا مطولا فى هذا الموضوع بعنوان « الخليفة عمر المستعمر العربى ! » يخرج منه القارىء بنتيجة من أغرب النتائج عن الدعوة المحمدية والدولة الإسلامية ، فحواها أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان مصادفة كمصادفات الضرورات السياسية أو العسكرية ، وأن نبى الإسلام ، صلوات الله عليه ، لم يكن يفكر قط فى الدعوة إلى دينه خارج الجزيرة العربيـــة ، وأن الخليفة عمر بن الخطاب هو ناشر هذه الدعوة ، وموجه الإسلام إلى العالم بوحى من ضرورات السياسة ، بدا للخلفاء الذين بعد فتنة الردة وقلق الخلفاء على المسلمين أن يبقوا فى حدود الجزيرة العربية بغير شاغل يصرفهم عن منازعاتها وعن مشكلات الساعة التى تتولد بين قبائلها وشعوبها .

يقول الأستاذ سوندرز فى أول مقاله المطول : « ما من دليل واف يدل على أن محمداً ـ صلوات الله عليه ـ كان يتصور الإسلام دينا عالميا لجميع الناس ، أو يتصور أنه أرسل لهداية شعب من الشعوب غير شعبه العربى ، وليست قصة رسائله إلى الإمبراطور هرقل وشاه فارس وملك الحبشة وغيرهم من الرؤساء للدخول فى دينه بالقصة التى تقوم على أساس .

ثم يقول : « ولا شك أن محمداً لم يفكر فى فتح العالم وإنما أعتقد أن واجبه الأول أن يمهد لأبناء أمته أسباب الإيمان بدينه ، فإذا صدوه عن دعوته فواجبه إذن أن يقابل القوة بالقوة » .

ويرى الأستاذ الخبير باللغة العربية وتاريخ الإسلام ! : « أن كلمة ـ أمير ـ باللغة العربية تعنى أولا إمارة الجيش ، وأن تحويل لقب عمر من خليفة رسول الله إلى أمير المؤمنين كان على ما يظهر فاتحة عصر الفتوح ، إذ يصبح الخليفة قائداً أول للإمبراطورية التى أخذت فى الاتساع .. »

وبعد هذه المقدمات يسترسل المؤرخ فى تفصيل هذه الفكرة فيستند فى قواعدها إلى مصدرين بارزين : هما الأمير كايتانى الإيطالى والمبشر الفرنسى المتعصب بير لامنس الذى خلق قصة الثالوث المتسلط على دولة الإسلام الأولى من أبى بكر وعمر وأبى عبيدة !

ولا حاجة إلى الإطالة فى بيان جهل المؤرخ بالموضوع الذى تصدى له وحسبته المجلة المتخصصة للتاريخ فى العصر الحاضر أهلا للاعتماد عليه دون غيره فى هذه المسائل الإسلامية . فإن هذا المؤرخ لم يكن مطالبا بقراءة شىء عن الدعوة المحمدية غير ما وضعت به هذه الدعوة فى كتاب الإسلام الأول ، فإنه يعلم من القرآن فى كل وصف للدعوة المحمدية أن محمداً عليه السلام كان رسول رب العالمين إلى جميع العالمين : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » وأن رب الناس وملك الناس : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. »

ففى كل آية من آيات الدعوة المحمدية غنى للمؤرخ المحقق عن الرجوع إلى إسناد كإسناد كايتانى ولامنس ، وعن اصطناع « الدقة العلمية » فى استقصاء أخبار الرسائل النبوية إلى هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشى ، ولو ثبت له بعد ذلك الاستقصاء أنهم لم يوجـدوا فى زمانهم ولم تبلغهم رسالة من رسول . . . فمن جهل رسالة القرآن كلها فالعجب أن ينتظر الخبر اليقين من قرطاس مطوى فى بيزنطة أو فى غيرها يحتمل الشك والإنكار .

إن ضخامة الخطأ مع سهولة العلم بالصواب خليقة أن تفتح باب الاتهام فى سلامة المقصد قبل الاتهام فى سلامة التفكير ، وإذا كانت القضية قضية فلسطين فما أكثر الشبهات التى تحوم حول كل تاريخ يتصل بتاريخها الحديث؟ وما أكثر الدفائن والخبايا التى يستخرجونها من أعماق الزمن المجهول لتزييف الحاضر المعلوم ؟ !

يجوز أن يكون المقصد من ذلك « التحقيق العلمى » أن يعلم أبناء العصر أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان بعض الطوارى*

العارضة التي لم يقصد إليها نبي الإسلام ولم يلجأ إليها خليفته العظيم إلا انقياداً لمطمع عاجل من مطامع الاستعمار . . .

يجوز هذا ويعززه إن عدد شهر مارس الذي ظهر فيه المقال الأول عن « الخليفة المستعمر ! » قد تحلت صفحته الأولى بصورة النبي « موسى واضع الشريعة » ودارت أخباره كلها على « تأصيل » علاقة العبريين بفلسطين من عهد إبراهيم الخليل ، ثم على تسويغ هذه العلاقة بهجرة العبريين من مظالم وادي النيل إلى أرض الميعاد !

يجوز هذا ، ويدل مع هذا على « عمق أغوار » الدعاية التي تحيط بهذه القضية ، ولا تتورع عن تسخير العلم والتاريخ لتأصيل الدعوى حول جذورها من وراء السياسة والتبشير .

وعلينا عند النظر في أقوال هؤلاء المؤرخين للإسلام أن نرقب مقاصدهم ، ومظان الشبهة في آرائهم ودعاواهم ، لأن النيات والأعمال بمنزلة واحدة في قضايا الإسلام العصرية ، حيثما اشتبكت بمساعي الدول والحكومات .

ولكن الشبهة الغالبة في مجال البحث الديني إنما هي تلك الشبهة التي تملك عقولهم ونياتهم ولا يملكونها أو يملكون القصد والاختيار فيها ، وإنما ترد عليهم تلك الشبهة الغالبة من قبل هذه الدراسات الحديثة التي أولعت بعضهم « بالمقارنة بين الأديان » ، فذهبوا - مخلصين - في التماس وجوه الشبه بينها حيث يوجد الشبه وحيث تنقطع كل لمحة من ملامح المشابهة من قريب أو بعيد .

وأخطر هذه المشابهات والشبهات على عشاق المقارنة . أن المراجعة « السطحية » تقارب عندهم بين تواريخ الأنبياء الكبار في نشر دعوتهم أثناء حياتهم وبعد انتهائهم من أداء رسالتهم . فقضى موسى عليه السلام قبل أن يدخل أرض الميعاد ، وقام بولس الرسول بالعبء الأكبر في نشر المسيحية بعد ختام رسالة السيد المسيح ، وهكذا ينبغي في تقديرهم أن يكون عمر بن الخطاب هو ناشر الإسلام ومؤسس شريعته بعد النبي وصاحبه الصديق .

والخطأ - كما قلنا في عنوان المقال - إنما هو خطأ المقارنين وليس بخطأ المقارنة بين الأديان على إطلاقها ، أو خطأ المقارنة بين نشر المسيحية ونشر الإسلام على الخصوص .

ومرجع الخطأ في تقدير المقارنين أنهم نظروا إلى الحركات الظاهرة ولم ينظروا إلى أسبابها الأولى في طبيعة كل من هذه الدعوات وفي سيرة كل من أصحاب الديانات الذين اشتركوا في إبلاغها إلى الناس ، على نهج لم يتفق بين رسولين ولا بين رسالتين .

فمن الحركات الظاهرة أن الرسول بولس كان في مبدأ سيرته أشد الأعداء على المسيحية

ثم آمن بها فكان أكبر الناشرين لها خارج بلادها ، ويشبه هذا أن عمر بن الخطاب كان عدواً للإسلام ثم انتصر به الإسلام فى موطنه وانتصر به بعد ذلك فى مواطن الفرس والروم .

فالمقابلة - إذن - تامة بين الدعوتين - وبين الرجلين .

ولكنها - عند الرجوع إلى الأسباب الأولى - مقارنة مبتورة تبتدئ بعد منتصف الطريق وتنسى وجوه الاختلاف وهى - عند البحث عنها - أظهر من جميع هذه المشابهات .

فالسيد المسيح لم يجاوز فى نشر دعوته مدى أربع سنوات ولم يبلغ هذا المدى فى رأى بعض المؤرخين .

والنبى محمد عليه السلام قضى نحو عشرين سنة ولم يبق بقية لأحد من أصحابه يتمم رسالته أو يعلم المسلمين ركنا من أركان الدين لم يحفظوه من آيات القرآن ومن سنة رسوله .

وقد كان النبى عليه السلام يدعو العرب وغير العرب إلى الدخول فى دينه ، وكان يخاطب بنى إسرائيل برسالته ، كما كان يخاطب بها المهاجرين والأنصار من أبناء قومه ، وكان رسولا من الأميين إلى الأميين وإلى جميع العالمين كما علم منه أهل الكتاب والمشركون فى مكة وفى المدينة ، وفى كل مكان بلغت إليه الدعوة من الجزيرة العربية وما وراءها ، وليس جواب المقوقس له ولا زواجه عليه السلام من السيدة مارية القبطية بالخبر الذى يتوقف على تحقيقات ، لامنس ، ومن استمع إليه .

أما بولس الرسول فقد خاطب الأميين لأنه يئس من خطاب بنى إسرائيل ، وقد روى بولس وغيره عن السيد المسيح أنه بعث « لهداية خراف بيت إسرائيل الضالة » وأن الخبز الذى يحتاج إليه أبناء البيت حرام أن يطرح أمام الكلاب ، وقد ضرب المثل فى الأناجيل بالوليمة التى أعرض عنها المدعوون إليها فأمر السيد عبيده بدعوة الغرباء إلى البيت حتى يمتلئ ولا يبقى فيه مكان لمن دعاهم فلم يستجيبوا الدعاء .

ولم يكن فى وسع بولس الرسول أن يدعو اليونان والرومان إلى المسيحية ليقول لهم : إن السيد المسيح قد بعث لخلاص بنى إسرائيل منهم وأن الأمم الأخرى لا يحق لها أن تطمع فى الخلاص بهذه الرسالة وهو يدعوهم إليها ، فلم تكن لبولس الرسول من قبلة يلجأ إليها غير هذه القبلة ، ولم تكن خطة الخليفة الثانى ولا الخليفة الأول تجديدا لهذه الخطة أو وجها من وجوه المقارنة بين نشر الدعوة العالمية فى الإسلام ، ونشر تلك الدعوة من قبل فى المسيحية ، وإنما تقع المقارنة هنا

(البقية على الصفحة التالية)

بريد المجلة

ماذا تطوير الأزهر علم المفكرين :

قال الأستاذ فتحى عثمان فى كتابه (الفكر الإسلامى والتطور) ص ٢٥١ - ٢٦٤ :

« ... والجامعة الأزهرية ذاتها ، لماذا لا تحوى كليات للهندسة والطب والعلوم ؟؟ .

إن أكسفورد وكمبردج لها أصلهما الكنسى الدينى ، لكن هذا لم يحجزهما عن التطور ، وقديما كان الأزهر يدرس الرياضة والعلوم والفلك وفق معارف العصر ، فهل تراه ارتضى أن يسير إلى الوراء ؟ .

ولا بأس بأن يحتفظ الأزهر بشىء من تقاليده التى لا تتعارض مع العلم الصحيح ، وكثيراً ما تتخلف على الجامعات العريقة ظلال طفيفة من الماضى تكون طابعا تميز شخصيتها ...

ونحن لا نقول بأن يذهب طالب التعليم العام بوضعه الراهن إلى الأزهر ، ولكن لا بد من تدعيم الجانب الإسلامى فى المناهج والمقررات ، وتخصيص شعبة من الشهادة الثانوية تؤهل لدخول الأزهر أو التعمق فى فروع الدراسات الإسلامية فى كليات

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

للمقابلة بين حالتين متناقضتين . إذ كانت دعوة بولس للأمم بديلا من دعوة بنى إسرائيل المعرضين عنها ، وكانت قبلة بيت المقدس فى الإسلام أول قبلة أقيمت عليها الصلاة الجامعة ، ثم استقامت هذه القبلة على البيت الذى يستقبله أهل المشرق والمغرب من أمم « العالمين » .

* * *

وإذا انتهينا من هذه المقارنات إلى المجال الذى اختاره « مؤرخو العصر » لتحقيقاتهم « العلمية » فقد نعلم - إذن - أن دخول الإسلام إلى فلسطين لم يكن فلتة من فلتات المصادفة العشواء ، ولكنه كان نتيجة منتظرة لمقدمات مقررة ، وجواباً من القدر على عناد بنى إسرائيل ووفاء لوعد الله خليله إبراهيم ، مع أبناء له غير أبنائه الذين تنكروا لكل نبى من ذريته الصالحة ، من قبل موسى وهارون إلى ما بعد عيسى والحواريين .

عباس محمود العقاد

الحقوق والآداب ، وفى هـذه الشعبة التوجيهية يزود الطالب بعدة ملائمة لمثل هذه الدراسات العالية .

والطالب الأزهرى يدرس مثل زميله فى التعليم المدنى تقريباً مقررات الآداب والرياضة والعلوم ، وفى مقابل دراسة الطالب المدنى للغة أجنبية دراسة خفيفة يدرس الطالب الأزهرى أطنانا من الفقه ، والتفسير والحديث والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة والعروض والمنطق وخلافه ، وكل هذه دراسات مطولة والضغط فى التعليم الأزهرى منصب على الذاكرة ، والذاكرة وحدها ! .

يصل الطالب الأزهرى إلى أعلى الدرجات العلمية فى دراسة الشريعة . وبحثه مقصور على مذهب بعينه لا يحيد عنه ، بل على كتب معينة من كتب المذهب ، وربما لم يعرف من كتب الطبقة الأولى من أئمة المذهب إلا كلمات متناثرة فى كتب المتأخرين ! فمن إذن يدرس هذه المذاهب كلها دراسة مقارنة ... ويدرسها مقارنة بالشرائع اللاتينية والجرمانية والانجلوسكونية وسائر القوانين القديمة والحديثة ؟ ؟ .

أليس الأفضل فى التخصص أن يكون موضوعيا لا مذهبيا : فى الناحية الجنائية أو المدنية أو التجارية أو الأحوال الشخصية فى الناحيـة الدستورية أو الدوليـة أو الاقتصادية ؟ ؟ .

إن من التدين الصحيح أن نطلب الحق وراء كل مذهب ، وأن نلتمس الدليل الذى يظاهر كل رأى - لنأخذ بالأقوى أنى كان . وإن من العلم الصحيح أن يتعود أبناؤنا مقارنة الحجج ومقارنة الشرائع ...

وتدريس العقائد والديانات (أصول الدين) يتورط فى هذه المآخذ نفسها . . وما أحوجنا إلى دراسات مقارنة فى مختلف الأديان وتاريخها ، وفى الفلسفات ومذاهب الفكر وفى الآراء المعاصرة أيضاً ... وتستطيع أن تختبر مدرسا أو واعظا ينطلق مدافعا عن الإسلام ومهاجما غيره - تختبره فى الفكر اليونانى أو الفارسى ، فى العهد القديم أو الجديد أو المزامير أو نشيد الإنشاد ، فى البروتستنتية أو الكاثوليكية ، فى الشيوعية أو الوجودية .. وتستطيع بعد الاختبار أن تطمئن إلى مدى عمق الاعتقاد والعلم عند العلماء ! ! إنه علم ببواطن الأمور فى جدليات المجسمة والمشبهة والمعطلة والجهمية ، ممن انقرض معظمهم من الوجود وأمست آراؤهم قطعة من التاريخ ... !

هذه الرابطة متى تتحقق ؟ .

ذكرت الصحف أن الملك سعود دعا فى خطابه الذى وجهه إلى جموع الحجاج إلى إقامة رابطة إسلامية تجمع شمل المسلمين ، وتؤيد كفاح شعب الجزائر كما تؤيد قضية فلسطين .

ولا تخالجنا ذرة واحدة من الشك فى أن هذه الرابطة الإسلامية أمنية كل مسلم ، بل هى أعز أمانيه على الإطلاق ... وأى مسلم لا يرجو أن تكون للمسلمين رابطة قوية تأخذ بيد الشعوب المسلمة المستضعفة التى لم تزل تحت قبضة الاستعمار الغاشم ، وتؤيد قيم الحق والعدل والسلام فى أركان هذا العالم المضطرب .... ؟ .

إن قضيتى فلسطين والجزائر كانتا محكا للعقيدة الإسلامية ، ومجسا لقوة رابطتها ، فالمسلمون جميعا أسهم البعض منهم فى قضيتيهما وأبدى البعض الآخر استعداده للإسهام فيها.

نحن لا نريدها رابطة تبغى فى الأرض بغير الحق ، ولكن تدفع الباطل الجاثم فوق صدر الحق ، ولا نريدها رابطة تخدم الشرق أو الغرب ، ولكنا نريدها رابطة تقف عند حدود العدل .

ونحن لا نريدها رابطة ضعيفة لا تنهض بشعوب ، ولا تقوى على إقامة حق ، بل نريدها رابطة قوية ، وقوتها — كما يقول الأستاذ الأكبر — (مستمدة من مبادئنا التى ضمها كتاب الله . فلا تبقى فى أراضينا الطيبة خبثا من هؤلاء المستغلين. تنصر الحرية فى كل مكان ينشدها ويطلب حقه منها فى الحياة ، فيعود أبناؤنا وإخواننا إلى فلسطين التى ما تزال ولن تزال عنوانا صارخا على ظلم هؤلاء الطغاة الآثمين الذين شردوا الألوف المؤلفة لأن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ، ولأن عيونهم قد عميت عن الحق وآذانهم قد صمت عن الهدى ...) .

إن أربعمائة مليون مسلم أو يزيدون على ثقة من أن العقيدة الدينية أقوى الروابط لجمع شملهم ، حتى تأخذ دولتهم مكانها وسط هذا الصراع السياسى العنيف ، وكلهم أمل فى أن يحقق الله رجاءهم .

السمان

حول « فلان كفء للعمل »

أنا معجب بما يقدمه العالم اللغوى المحقق الأستاذ محمد على النجار من لغويات يتجلى فيها سعة العلم ، ودقة الفهم ، وحسن التخريج .

وقد قرأت ما كتبه فى لغويات عدد المحرم من مجلة الأزهر الغراء عن هذا التعبير : « فلان كفء للعمل » ، فوجدته لا يطمئن إلى صحته .

والذى أراه أن التعبير صحيح على التجوز والتوسع ، فإذا صح أن تقول : فلان كفء للخلافة ، فتصور الخلافة عروسا تنقاد لنظيرها وتخضع له ، فإنه يصح أن تقول : فلان كفء للعمل ، فتصور العمل إنسانا ينقاد لنظيره ، ويخضع له ، ألا ترى أنه يصح قياسا على قولنا هو كفء للخلافة ،

أن تقول هو كفء للمهمة ؟ ولا فرق بين العمل والمهمة .

وهناك تصحيح لهذا التعبير من جهة أخرى ، وذلك أنني وجدت الرجل من العامة إذا كلف القيام بمهمة من المهام قال : « أنا قدها وقدود » يقصد أنه نظيرها ، فإذا كانت عظيمة الشأن ، كثيرة الأعباء ، فإنه عظيم القدر ، تام المقدرة ، وإذا كلف القيام بعمل من الأعمال قال : « أنا قده وقدود » قاصدا هنا ما قصده هناك .

ولا جدال في أن لغتنا الفصحى تنزع إليها اللغة العامية بعرق ، فما يوجد في هذه ، فله أصل في تلك .

وبعد ، فللأستاذ المحقق تقديري وإعجابي .

ابراهيم محمد نجا

ملاحظات :

على مجلة معهد المخطوطات العربية

وقع في مجلة معهد المخطوطات العربية ما استوجب الملاحظات الآتية على الجزء الثاني من المجلد الخامس : —

١ — ص ٢٢٣ س ٤ ذكر ان نسخة من مؤلف لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني كتبت سنة ١٠٠٠ هـ أي قبل مولد المؤلف بخمس وخمسين سنة وهذا مستحيل فقد ولد سنة ١٠٥٥ هـ أما والده عبدالباقي الزرقاني فقد ولد سنة ١٠٢٠ هـ أي بعد تاريخ المخطوط أيضاً وكان يجب على ناشري المجلة وهم من أعيان الأدباء أن يتنبهوا لمثل هذا الخطأ الواضح .

٢ — في ص ٢٦٤ ورد ذكر (القانون في الطب) لابن سينا وذكر الأماكن التي بها نسخه المختلفة مع الإشارة إلى طبعة « بولاق » ولم أفهم السبب في عدم الإشارة إلى طبعة روما سنة ١٥٩٣ م أي منذ أكثر من ثلاثة قرون ونصف وهي من أقدم الكتب العربية المطبوعة وقد تكون أقدم ما طبع في اللغة العربية وكان ينبغي ذكر هذه الطبعة ولا سيما أنه يوجد بمصر منها نسخ في دار الكتب المصرية وفي بعض المكاتب الخاصة أيضاً مثل مكتبة (روضة خيري باشا) فكان يجب ذكرها أو على الأقل الإشارة إليها مع ذكر الملاحظات التي تجعل الدكتور المنجد يغفل هذه الطبعة :

٣ — ورد في ص ٢٨٥ كتاب (رجوع الشيخ إلى صباه) وكان يجب على الدكتور « المنجد » الإشارة إلى أنه طبع في بولاق سنة ١٣٠٩ منسوبا إلى ابن كمال باشا وهو خطأ . فابن كمال باشا ترجم إلى التركية بأمر « السلطان سليم » كما قيل ، والسكوت عن ذلك يوهم بأنهما كتابان أحدهما « للتيفاشي » لا يزال مخطوطا وهو الذي ذكره الدكتور المنجد والثاني لابن كمال باشا وهو الذي طبع

مع أن ما طبع باسم ابن كمال باشا هو نفس كتاب التيفاشي . والإشارة إلى ذلك تزيل ما قد يحدث من لبس وإيهام .

عبد السلام النجار
روضة خيري باشا

مجمع الأولياء :

قرأت في ملحق « لجريدة الأخبار » عن الإسكندرية ، ما أثار دهشتي ، وليس وجه العجب في أن حي الأنفوشي هناك ملتقى لزهاء ستة وعشرين ضريحا لأولياء الله وإنما لأن هؤلاء الأولياء – كما تقول الجريدة – يعملون هذه الأشياء :

« أبو وردة » يشفي الطفل المريض بالشلل مقابل قرش واحد يوضع في صندوق النذور

« ياقوت العرش » يرد للزوجة زوجها بمنتهى السهولة إذا وضعت قطعة فضية من فئة الخمسة قروش في الصندوق أيضا .

« مكين الدين . نصر الدين . سيدي كاظمان » يستطيع أي منهم شفاء المريض بشرط أن يذبح فرخة سوداء منقطة بأبيض أمام باب المسجد ليأكلها خادمه بالطبع .

« الجمراني » يستطيع إيجاد عمل لأي عاطل مقابل فتة عدس .

« سيدي الطرودي » يطرد أي ساكن ثقيل بمنزلك بمجرد أن تضع على عتبة الساكن الثقيل بعض التراب من الأرض الواقعة أمام مسجد الطرودي .

هذا هو قطاع الدجل والشعوذة في العاصمة الثانية للإقليم الجنوبي ومهبط السياح الأجانب من كل صوب وحدب .

إن السيد محافظ القاهرة في يناير الماضي أحدث انقلابا حين قضى على الخرافة والشعوذة في مولد السيدة زينب ، وجعل الاحتفال بالمولد تقديم ألوان النشاط الاجتماعي مما أثار صحيفة النيويورك تايمز فقالت :

« إن انقلابا اجتماعيا هاما وقع في القاهرة » وكانت الصحيفة تتحدث عن الاحتفال بمولد السيدة زينب ، وتساءلت : كيف أمكن للمسئولين في القاهرة أن يقضوا على مظاهر الشعوذة التي عاشت سنين طويلة حتى أصبحت وكأنها جزء من التراث الاجتماعي المصري . ؟ »

ونحن نقول : ماذا ستقوله هذه الصحيفة لو وقفت على الحال في حي الأنفوشي بالإسكندرية لا بد أنها ستصاب بنكسة قاسية ...

إن الخرافة والشعوذة والدجل لا زال لها مكان مرموق في مجتمعنا ، ولا نظن أن الوعظ والتوجيه وحدهما كافيان للقضاء على هذه الطواغيت ، ما لم تتحرك درة عمر رضي الله عنه .

(قارئ)

اللغة العربية في مدارسنا :

لا يشك أحد فى أن مستوى الطلبة فى مدارسنا ضعيف فى اللغة العربية قراءة وكتابة ومحادثة . ضعيف إلى الحد الذى يوجب علينا أن نتساءل فى دهشة عن السبب فى هذا الضعف ، وعما يمكن عمله لحل هذه المشكلة التى لا يصح السكوت عليها . هل السبب هو التيسير فى دراسة اللغة العربية ؟ فبعد أن كانت قواعدها وسائر فروعها تدرس دراسة جدية يلتزم بها المدرس ، ويحاسب عليها الطالب ويؤخذ بيده إلى الطريق القويم بمنتهى الحرص والحزم أصبحنا الآن نجد كتب اللغة ميسرة مبسطة تنحو نحو التخفيف والسهولة ، وترشد الطالب إلى النجاح فى الامتحان بأقل جهد يبذله ، وبأيسر طريق يسلكه .

وهل السبب هو السهولة التى يلجأ إليها المدرسون فى الامتحانات : فيسرفون فى الدرجات حتى لا يرسب التلميذ فى مادة أساسية يتخلف بسببها عاما ؟ وسواء لديهم أكتب لغة سليمة أم خليطا من العامية والعربية ، فحرام أن يرسب المسكين ، وما الذى يضير اللغة أن تكون النتيجة مائة فى المائة وفى مبدأ « يسر ولا تعسر » متسع للجميع ؟ .

وهل السبب هو تحرر مدرسى اللغة أنفسهم من التدريس بلغة عربية سليمة والتحول إلى العامية ليفهم التلميذ ما يقولون ، ولا يتعبهم فى طلب المزيد من الشرح والإيضاح ؟ .

لقد جربنا ذلك وكانت النتيجة أن عجمت ألسنة التلاميذ ، وظهر بجلاء ضعفهم فى القراءة والكتابة والحديث ، وأصبح من النادر أن نجد واحداً يستطيع أن يقرأ موضوعا أو يكتب رسالة بعربية سليمة .

أم أن السبب هو العداوة التقليدية بين مدرسى المواد الأخرى واللغة العربية ؟ فهم لا يألون جهداً فى التزام العامية والبعد عن العربية لأنها فى رأيهم جامدة لا تساير العصر .

وأصبح التلميذ الذى لا يدرس فى اللغة ـ والحالة هذه ـ إلا سبع حصص أو ستا فى الأسبوع مقابل ثلاثين حصة لسائر المواد معذوراً كل العذر إذا هو لحن فأفحش فى اللحن ، أو عجز عن التعبير السليم إذا أراد التعبير السليم .

بقى النشاط الذى يمارسه التلميذ خارج فصله من تمثيل وصحافة وخطابة وكان من الممكن أن يكون مجديا ومفيداً للتلميذ ، إلا أنه فى حالته الراهنة لا يخرج عن أن يكون مجرد نشاط يؤدى بأيسر السبل ، وأخف الطرق وأسهلها مئونة وتكليفا وكفى الله المؤمنين القتال .

فإذا ما ذهب التلميذ إلى المنزل واستمع إلى أمه وأبيه وباقى أسرته كان الحديث بلغة

لا تعبأ بالعربية ولا تعرفها ، وما أسهل ما يتجاوب التلميذ فى الحديث وينسى تلك القاعدة المزيلة التى علقت بذهنه المرفه فى دروس اللغة العربية .

وكثيراً مايجلس إلى المذياع ليستمع إلى التمثيليات والبرامج وكلنا يعرف لغتها ومستواها ، ولنا أن نحكم بعدذلك على مقدار تأثره بها ،وكثيراً مايتأثر بها سائر التلاميذ .

وفى السينما ولا أقول المسرح يذهب التلميذ وكثيراً ما يذهب ، فيستمع إلى اللغة التى يمكن أن نسميها بلا تحفظ بلغة السينما فيتأثر وغالبا مايتأثر، وينسى وكثيراً ماينسى ذلك الأسلوب الغريب الذى حفظه فى حصة النصوص .

كل هذا الإهمال الذى يدرج التلميذ عليه من أول سنة يدخل فيها المدرسة حتى آخر سنة يتخرج فيها نجد أثره فى طلبة الكليات فنادراً ما نجد طالباً فى كلية نظرية - ولاأقول عملية - يستطيع أن يقرأ بإتقان قصيدة لأبى تمام أو البحترى أو المتنبى أو مقالا للجاحظ أو الصاحب أو ابن العميد .

نقول هذا ولا نستطيع أن نطالب طالبا فى المرحلة الثانوية بشىء من هذا وإلا كنا كمن يتطلب فى الماء جذوة نار .

ونتيجة لهذا كله نجد الشكوى من خريجى الجامعات لا تنقطع ، والحديث عن مستواهم العلمى والأدبى لا يهدأ ، وهم كما نعرف الصفوة المثقفة من الجيل الصاعد ، والعدة التى ندخرها للمستقبل .

مشكلة خطيرة ولا شك ، والسكوت عنها خيانة للعربية والعرب . ومن غير « الأزهر » يقف عندها ، ويبحث فى أسبابها حتى نجد إلى الخروج منها سبيلا ؟!

أمين أمين بدر

مدرس ببور سعيد الإعدادية

حول الأولياء والقديسين :

حمل البريد إلى إدارة المجلة سؤالا من أحد القراء يسأل فيه عن رأى الإسلام فيما نشر على لسان إحدى الممثلات فى مجلة آخر ساعة ، وكانت الممثلة المسلمة ذكرت أنها تستشير فى كل أمورها صديقها ومستشارها « مارجرجس » فتذهب إلى هناك وتضىء شمعة وتقرأ الفاتحة ، ثم يأتيها مارجرجس مناما ليدلى لها برأيه .

كما جاء على لسانها قولها : « ... وأنا من النوع الذى يتفاءل بزيارة سيدنا الحسين والسيدة زينب والقديسة سانت تريزا ، وعندما أقوم بزيارتهم جميعا أقرأ الفاتحة على ضريح كل منهم دون أن أستشعر أى حرج بالنسبة لاختلاف الدين ... » .

ونحن نجيب الأخ بأن اللجوء إلى أضرحة الأولياء والصالحين من المسلمين للتوسل بهم يرى منعه بعض علماء الدين : كابن تيمية

ومحمد بن عبد الوهاب والإمام محمد عبده ، لأن الله وحده هو الذى يجيب المضطر إذا دعاه فكيف بالتوسل بأضرحة غير المسلمين ؟ .

حول كتاب بحوث فى تفسير القرآن :

فى مقال نشر فى عـــدد المحرم ، عرض الأستاذ محمد عبد الله السمان لكتابنا الجديد «بحوث فى تفسير القرآن» ، وقال: إن الكتاب لم يأت بجـديد ! واحتج لذلك بأن تقريرنا لأسبقية نزول مطالع العلق ليس بجديد ، إذ سبقنا الكثير من المفسرين إلى تقرير هذه الحقيقة !

وأحب أن : أذكر الأستاذ الناقد بشىء هو أن الباحث قـد يعرض لحقيقة مقررة ككروية الأرض ولا يكون مقلدا ، فقد يؤكد هذه الحقيقة بأدلة جديدة ، تكاد تعدل فى جدتها وقيمتها اكتشاف الحقيقة نفسها .

ونحن حين بحثنا الترتيب التاريخى لسورة العلق لم نقل إن مطالع العلق أول ما نزل ونسكت ، ولم تنقل ما احتج به أصحاب هذا الرأى فحسب . . . ولو فعلنا لكنا مقلدين أو مجرد ناقلين ؛ ولكننا سقنا من الأدلة ماهدانا إليه تفكيرنا الخاص .

هذا وقد تبين لنا بعد أن تم طبع الفصل الرابع أن الدكتور محمد وصفى قد بقنا إلى رفض تفسير العلق بالدم الجامد ، وإلى اعتبار العلقة من العلوق وهو التشبث بالشىء والاستمساك به كما هو ثابت فى اللغة ، فسارعنا - فى ملحق أضفناه للكتاب - نسجل له هذا السبق ، على أننا زدنا عليه أن بسطنا المسألة ، ودعمناها بالأدلة القائمة على أساس من علم الأجنة ، ووضحناها بعدد من الرسوم لا غنى عنها لبيان المعنى وبحثنا تركيب الدم السائل والدم الجامد ، ثم بحثنا تركيب العلقة وبينا اختلاف التركيبين بحيث يستحيل تفسير العلقة بالدم الجامد . وهى كلها مباحث لا تجدها فى كتاب الدكتور وصفى الذى صدر أخيرا بعنوان «القرآن والطب» .

أضف إلى هذا أننا خالفنا الدكتور فى مسألتين جوهريتين كنا نود أن يشير إليهما الأستاذ الناقد .

والخلاف بيننا وبين الطبيب الفاضل يدور حول كنه العلوق من الناحية الطبية ، ومايتبع هذا من تفسير طورى النطفة والعلقة .

فالطفه فى رأينا هى الطور الأول من أطوار الجنين ، الذى ينشأ من اتحاد الحيوان المنوى ببويضة المرأة . . . والنطفة فى رأى الطبيب الفاضل هى الحيوان المنوى وحده ، قبل أن يتحد ببويضة المرأة .

والعلقة فى رأينا هى الطور الثانى من أطوار الجنين ، حيث يعلق الجنين بجدار الرحم ثم يغوص فيه .. والعلقة فى رأى الطبيب الفاضل هى هذا الطور من أطوار الجنين الذى يعلق فيه الحيوان المنوى ببويضة المرأة فيكون التلقيح !

وقد بينا بالأدلة القاطعة صدق ما ذهبنا إليه فى ملحق ألحقناه بالكتاب[1]. ولكن الناقد الفاضل لم يشر فى نقده إلى هذا الخلاف.

ولم يخل هذا الفصل أيضا من مبحث مستقل عن العلقة فى الحديث[2]، هو فى جوهره جديد، لأننا بحثناه فى ضوء العلم الحديث، وهو شىء لا تجده فى كتابنا من من كتب التفسير أو الحديث.

والفصل الخامس تفسير جديد لقوله: «اقرأ وربك الأكرم»، بينا فيه اختلاف مدلول القراءة فى الآية التالية عن مدلولها فى الآية الأولى على وجه لم نسبق إليه بحيث لا يبدو لمعنى القراءة فى الآيتين صفة التكرار كما بدا لكثير من المفسرين!

م. جمال الدين عياد

خطأ فى ترقيم آيات المصحف:

تحت يدى الآن مصحف شريف مطبوع بشركة الشمرلى بالقاهرة ومختوم بختم للشيخ عامر عثمان عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف به خطأ فى أرقام آيات سورة الشعراء. فآيات هذه السورة (٢٢٧) آية كما هو معروف. وأرقام الآيات صحيحة إلى آخر قوله تعالى:

«ولو نزلناه على بعض الأعجمين ١٩٨، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ١٩٩، كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين ٢٠٠. والواجب أن يكون رقم آية: «لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم» ٢٠١ إلا أنه أثبت رقم ١٠١ بدلا من ٢٠١ واستمر هذا الخطأ إلى آخر السورة التى آخرها رقم ٢٢٧ ولكنه أثبته ١٢٧. فنرجو تفادى ذلك فى المستقبل حفظاً لكتاب الله وعليكم سلام الله.

فتحى عبد الخالق المصرى

طالب بمعهد سمنود الدينى

(١) ص ١٠٩.

(٢) ص ٧.

تصويب فى الجزء السابق

سقط سهواً جزء من الآيتين الكريمتين الواردتين بالسطر ٢٢ من النهر الأول صفحة ٥٤ من الجزء السابق ونعيد نشرهما هنا كاملتين:.

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون ... الخ



نقــد وتعريف

بقلم ـ محمد عبد الله السمان

١ – فلسفة تاريخ محمد :

للعلامة محمد جميل بيهم

أستاذنا العلامة الكبير من العلماء المحققين فى لبنان ، وممن لهم هناك يد طولى فى نشاط الحركات الإسلامية والفكرية والاجتماعية ، ومؤلفاته التاريخية والفلسفية والاجتماعية التى تبلغ ثمانية عشر مؤلفا لها مكان فى مكتبة المثقف الناضج .

ومؤلفه الأخير دراسات واعية لها تقديرها تناولت : شخصية محمد ـ صلوات الله عليه ـ بين خصومه وأنصاره فى الكتلتين الغربية والشرقية ، أحداث العالم الفكرية والدينية التى تقدمت الإسلام ومهدت له ، العناصر الداخلية الدينية والأدبية التى تقدمت الإسلام أيضاً ومهدت له ، العناصر السياسية والدينية والقومية والاقتصادية التى وفرت الأسباب لنجاح الإسلام ، نبوة محمد ورسالته ، تطور العلاقات بين محمد وأهل الكتاب ، وتطورها بينه وبين الدول ، كيف أسهمت شخصيته ـ صلوات الله عليه ـ فى انتصار الإسلام ، نفوذ محمد الروحى ، أثر الإسلام فى اكتساب الناس ، على أى شئ قام دين محمد ؟ مجمل العوامل التى مهدت للرسول ولانتصار رسالته .

هذه فصول الكتاب التى تناولها أستاذنا بالدراسة والتحليل ، وأضفى عليها من منطق التاريخ ما أكسبها جانباً كبيراً من التقدير .. فهو لم يعرض علينا هذه الدراسات عرضاً تاريخيا مفصلا ، دون أن يناقش الآراء الأجنبية ـ غربية كانت أو شرقية ـ هذه الآراء التى حاولت جاهدة أن تعرض بشخصية الرسول لتنال منها ، أو تعرض بنبوته لتشكك فيها .

فأستاذنا يذكر فى مقدمة كتابه أن الحافز على تأليفه كتاب دعاية للغرب تحت عنوانه : « الإسلام فى نظر الشيوعية والشيوعيين » وقد استعان مؤلفه بنشره ترجمة كتاب صدر عن موسكو عام ١٩٥٦ بقلم ل . أ كليموفتش

بعنوان : الإسلام . وينقله نتفا من الموسوعة الروسية الصادرة عن موسكو عام ١٩٥٤ ، والأمر الذى أثار اهتمام أستاذنا هو أن المؤلفين الأجانب دائبون على النيل من الرسول استناداً إلى الصورة المزوقة التى وضعها له بعض أصحاب السير على شكل لايتفق مع صورته الحقيقية .

فى البحث الأخير نفى أستاذنا أن يكون دين محمد قد قام على السيف كما يراه الأعداء من المستشرقين وغيرهم ، أو أنه قام على المعجزات التى كدسها له فى كتبهم أمثال : البيهقى وأبى نعيم والقاضى عياض .

فالرسول اختار السيف ليدافع عن دعوته ، بعد ثلاث عشرة سنة قضاها فى مكة مسالما محتملا لصنوف من الأذى والاضطهاد ، على أنه ـ صلوات الله عليه ـ وإن كان قد اضطر إلى إشهار السيف إلا أنه قد كان حريصا أيضا على اجتناب العدوان وعلى ألا تكون له المبادرة فى امتشاق الحسام .

ويرى أستاذنا أن محمداً أتيح له الفوز استناداً إلى مؤهلاته الخاصة وإلى عوامل طبيعية مختلفة داخلية وخارجية ، منها مايرجع إلى زمان سابق لزمانه ، ومنها ماكان معاصراً له .

إن بحوث الكتاب امتازت بالمسحة التاريخية ، وكنا نود أن يكون لمناقشة الآراء المفتراة : الشرقية الوافدة من الشيوعية ، والغربية الوافدة من عقليات الحروب الصليبية ، كنا نود أن يكون لمناقشة هذه وتلك نصيب أكبر فى مساحة هذا الكتاب الجليل . .

٢ – الأسرة فى الإسلام :

للأستاذ عوض عوض إبراهيم

المؤلف من شباب العلماء ، وهو مبعوث الأزهر فى لبنان ، وكتابه ليس مجرد آيات من القرآن عرضها عرضا ، ولا مجرد أحاديث نبوية سردها سردا ، ولكنه فى الواقع مناقشة سادها الأفق الواسع ، والقراءات الكثيرة لا فى أمهات الكتب الدينية وحدها بل فى المراجع الصحفية التى تناولت مقالاتها شئون الأسرة .

تناول الكتاب الزواج كأساس للأسرة ، والطلاق وتعدد الزوجات وتحديد النسل ، كمشكلات تعوق استقرارها ، والتبنى والتربية الجنسية والتلقيح الصناعى ، كقضايا كثر الجدل فيها وفى مسألة عمل المرأة واشتراكها فى الحياة العامة ، يذكر فضيلة المؤلف : أن الإسلام يقرر حق المرأة فى العلم ، وحقها فى العمل إن احتاج كلاهما إلى الآخر ، ويستشهد ببعض البحوث الاجتماعية فى أمريكا وأوربا التى اتجهت أخيراً إلى رجوع المرأة إلى البيت ، فيذكر لنا رأى الدكتورة إيدا إيلين التى قالت فيه نتيجة بحث قامت به :

« إن سبب الأزمات العائلية فى أمريكا وسر كثرة الجرائم فى المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة ، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق » .

وفى تحديد النسل يقول المؤلف : « إن الإسلام لا يقره كبدأ وقاعدة لا يحيد الناس عنها ، ولكنه يبيح التحكم فى النسل وتحديده بل ومنعه عند الداعية القاهرة .

إلا أن المؤلف كان يرجع فى استشهاده بالأحاديث النبوية إلى الكتب الجمعة للأحاديث ، ككتب التفسير ، وإحياء علوم الدين للغزالى ، ونيل الأوطار للشوكانى وغيرها دون ما نظر إلى درجة هذه الأحاديث من حيث الصحة والضعف والوضع . .

٣ — الفكر الإسلامى والتطور :

للأستاذ محمد فتحى عثمان :

الأستاذ المؤلف معروف لدى قراء هذه المجلة بحوثه ودراساته التى يقدمها من آن إلى آخر على صفحاتها .

وكتابه الجديد هذا دراسات عميقة واعية عن تطور الفكر الإسلامى ، جاء أشعة تكشف عن مجالات التطور فى ديننا ، ليكون المؤمن فى رحلة الحياة على بصيرة من حقيقة التدين وطبيعة الوجود . .

تناول الكتاب قضايا كبرى أثارها الفيلسوف إقبال ، وفجوات تنتظر السداد فى الفلسفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتطور نظام الدولة الإسلامية الأولى ، والفكر الإسلامى المبكر ، وقضية المرأة ، ورواد الفكر الحر المتطور من أمثال : الأفغانى — محمد عبده — رشيد رضا — الكواكبى .

وفى خاتمة الكتاب قدم الأستاذ فتحى بحثا عن المستقبل تناول فيه الأزهر والجامعات ، ومما يلفت النظر إليه أن المؤلف كأنما كان يتنبأ بقانون تنظيم الأزهر الذى صدر أخيراً فهو يقول بعد أن دعا إلى توحيد المرحلة الأولى من التعليم كله . وأن يكون للدين قسط واف حتى لا يكون التوحيد على حساب الثقافة الإسلامية ، ثم يترك الطالب يختار بعد أن ينضج ويتميز . فإن صار طبيبا أو مهندسا كان على علم بأصول دينه ، وإن اختار التعمق فى الدراسات الإسلامية كان على معرفة بعلوم الكون والحياة ، يقول بعد ذلك فى صفحة ٢٥٣ :

« والجامعة الأزهرية ذاتها ، لماذا لا تحوى كليات للهندسة والطب والعلوم . . إن أكسفورد وكمبردج لهما أصلهما الكنسى الدينى ، لكن هذا لم يعجزهما عن التطور ، وقديما كان الأزهر يدرس الرياضة والعلوم والفلك وفق معارف العصر ، فهل تراه ارتضى أن يسير إلى الوراء ؟ » .

ولا بأس بأن يحتفظ الأزهر بشيء من تقاليده التي لا تتعارض مع العلم الصحيح، وكثيراً ما تتخلف على الجامعات العريقة ظلال طفيفة من الماضي تكون طابعا يميز شخصيتها، ويوم يكون الأزهر جامعة متطورة فإنه يستحق استقلالا كاستقلال الجامعات، ليعلن رأيه العلمي وقد توفرت له الحصانات والضمانات ... ».

وفي مقدمة الكتاب رسم المؤلف المنهج الذي يقترحه في دراسة الفقه الإسلامي لإحيائه وللنهضة به نهضة علمية في ضوء القانون المقارن، يعني في هذه الدراسة بأمرين جوهريين: تدرس نشأة الفقه دراسة دقيقة، وتدرس مذاهب الفقه الإسلامي: السني والشيعي والخارجي والظاهري وغيرها دراسة مقارنة لتستخلص منها وجوه النظر المختلفة.

والكتاب بعد ذلك ثمرة قراءات كثيرة دينية وغير دينية، والمؤلف من المعنيين بالدراسات الإسلامية، والغيورين على فكرة الإسلام، وقد تكون في الكتاب بعض الآراء التي لا نتفق معه فيها، أرجو أن تتاح فرصة أخرى لمناقشتها.

٤ — البيان في تصحيح الأديان:

لفضيلة الشيخ ابراهيم محمد عبد الباقي:

هذا كتاب يقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع الكبير، جمع فأوعى من الموضوعات الشاملة الجامعة، التي يراها فضيلة المؤلف: بحوثا دينية في المشكلات العالمية، ومحاضرات شعبية وخطابة دينية.

شيخنا المؤلف مدرس وخطيب مسجد أولاد عنان بالقاهرة، ومن علماء الأزهر القلائل الذين يؤدون رسالة شعبية في مجتمع القاهرة الصاخب اللاغب، جاء كتابه أقساما: قسم العقائد، وقسم العبادات، وقسم المعاملات، وقسم المحاضرات الإرشادية والوعظية، وختم الكتاب بتلخيص لكتاب العلم يدعو إلى الإيمان، للكاتب الأمريكي، كرليس موريسون.

في هذا الكتاب تقرأ عن التوبة والتوسل وزهد الولاة والإسلام في نظر المستشرقين والمتشابه والمحكم، كما تقرأ رأي الإسلام في الأزياء الحديثة، التلقيح الصناعي، الوجودية، التدخين، البهائية، القاديانية.

إن شيخنا يؤدي خدمة للعامة ببحوثه وكتبه الدينية، وهم في مسيس الحاجة إلى الأسلوب السهل المبسط، الذي تنجذب إليه العواطف، ويتيسر فهمه للأذهان، وهضمه للعقول.

عبد الله السمان

قانون الأزهر الجديد
كما أقره مجلس الأمة

واقق مجلس الأمة على القانون الجديد لتنظيم الأزهر وتطويره مع الاحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته ، عالج القانون مشكلات الأزهر فى صميمها .

المذكرة الايضاحية :

لقد قام الأزهر بدور عظيم فى تاريخ العلم ، وفى تاريخ الإسلام ، وفى تاريخ العروبة . وفى تاريخ الكفاح القومى على توالى العصور ووقف قمة شامخة فى وجه كل المحاولات التى قصد منها استعبادنا والسيطرة علينا وتحطيم كياناتنا القومى والروحى .

وكانت التقاليد العلمية فى الأزهر أساسا للنظام الجامعى والتقاليد الجامعية فى كل بلاد الدنيا ، فهو أقدم جامعة فى العالم وإن لم يكن اسمه بين أسماء جامعاتنا .

ومن علم الأزهر شع نور الإسلام فى بلاد كثيرة من إفريقيا ومن آسيا وزاد عدد المسلمين عشرات الملايين . وكانت بعوث الأمم المختلفة إلى الأزهر سببا لتوثيق علاقاتنا ببلاد كثيرة وشعوب متعددة منذ أقدم العصور إلى اليوم ، وقد اكتسب اسم الأزهر بذلك قدسية ، واكتسب المنتسبون إليه احتراما ، وصار رأيه هو الرأى فى كل ما يتعلق بالعقيدة والشريعة ، وصار هو الجامعة الإسلامية الكبرى فى الشرق والغرب ، لا يطلب أحد علوم الإسلام إلا عن طريق الأزهر ، ولا تتجه قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى معهد يفد إليه أولادهم للتزود من أسباب المعرفة غير الأزهر .

على أن التزام الأزهر الوقوف قرونا طويلة فى وجه كل محاولات العدوان قد ألزمه نوعا من المحافظة لعلها كانت بعض خصائص الموقف الدفاعى الذى التزمه خلال تلك القرون ، فلما نشطت الحياة حواليه وزالت الأسباب التى كانت تضطره إلى المحافظة والتزمت ، لم يجد الوسيلة الملائمة التى تعينه على الحركة المتجددة التى تلائم بينه وبين عصره مع احتفاظه بخصائصه وقيامه بواجبه لحياطة الدين والمحافظة على تراث الإسلام ، من ذلك أن خريجيه لم يزالوا حتى اليوم — فيما يريدون لأنفسهم أو فيما يصفهم غيرهم — رجال دين ، لا يكادون يتصلون بعلوم الدنيا

اتصال النفع والانتفاع ، والإسلام فى حقيقته الأصيلة لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا ، لأنه دين اجتماعى ينظم سلوك الناس فى الحياة ليحيوا حياتهم فى حب الله عاملين مؤثرين فى المجتمع فى ظل طاعة الله ، ولأن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يأخذ بنصيبيه من الدين والدنيا ، فكل مسلم يجب أن يكون رجل دين ورجل دنيا فى وقت معا ، والله فى يقين المسلم أقرب إليه من حبل الوريد ، يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، فليس فى حاجة إلى شفيع أو وسيط يقربه إليه .

على أن العالم الإسلامى اليوم قد انفسح مداه واتسع نطاقه وأطل على آفاق فكر جديدة ووضعته الظروف السياسية التى تمر به موضع الاختبار فى مجالات شتى . وأكثره قد خرج منذ قريب من تحت النير الاستعمارى وفى نفوس أهله آمال ضخمة لاستكمال أسباب تحرره ونهضته والارتفاع بمستوى معيشته .

وكانت الثقافات الاستعمارية تحاول طوال السنين التى يسيطر فيها الاستعمار على العالم الإسلامى أن تلون أفكار أهله وعقائدهم وأن تضع فى نفوسهم موازين جديدة وقيما جديدة يمكن أن تباعد بينهم وبين الإسلام . فلولا طبيعة المقاومة فى نفوس المسلمين لسحقتهم المحاولات المتوالية خلال تلك السنين وأخرجتهم عن دينهم ، ولعلها قد بلغت من ذلك مبلغا ما حين أوقعت فى أذهان كثير منهم أن الإسلام عبادة وقربى إلى الله وفناء فى الله ، وأن العمل للحياة شىء آخر يختلف عن الدين أو يتعارض مع الدين . وربما أوقعت فى أذهان بعضهم كذلك أن المذاهب الاجتماعية المستحدثة تضمن للبشر سعادة ورفاهية لا يكفل مثلها الإسلام ، وربما لا يكفلها غير الإسلام من الأديان السماوية .

وفى كثير من البلاد التى تخلصت حديثا من ربقة الاستعمار رغبة فى التخطيط والعمل والإنتاج فى مجالات الصناعة والتجارة والتعدين والتعليم والصحة وغيرها من أسباب النهوض ، وهى حين تلتمس الخبراء فى كل نوع من أنواع هذا النشاط لا تكاد تجد إلا أجانب عن بيئتها ودينها من المواطنين أو من غير المواطنين ، وحين تلتمس من المواطنين خبراء يملكون مع الخبرة معارف دينية صحيحة وعقيدة واعية لا تكاد تعرف أين توفدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة وهى عناصر ثلاثة ضرورية لتستكمل هذه البلاد نهضتها وتمضى فى وجهها على الطريق السوى . وإذ كان الأزهر وحده هو المعهد أو الجامعة التى يحرص المسلمون وراء الحدود على أن يعد فيه أبناؤهم لهذه المسئوليات فقد كان من الطبيعى أن يكون نظام الأزهر وعلوم

الأزهر بحيث تعد هؤلاء الخبراء مستكملين لكل العناصر التى تهيئهم لحمل أعباء النهضة فى بلادهم .

ولكن الأزهر إذ يعد علماء فى الدين وفى لغة القرآن لم يتهيأ بعد لتأهيل العالم الدينى المتخصص فى عمل من أعمال الخبرة والإنتاج التى تحتاج إليها نهضة المسلمين فى كل البلاد . وحين تنبهت بعض البلاد الإسلامية إلى هذه الحقيقة المؤسفة حولت بعثاتها كلها أو بعضها إلى الجامعات المدنية فى الجمهورية العربية المتحدة أو فى غيرها من البلاد ، عاد إليها مبعوثوها بعد إتمام دراستهم وهم يملكون الخبرة ولا يكادون يعرفون الدين ، فى حين يعود المبعوثون منهم إلى الأزهر وقد حصلوا من علوم الدين وعلوم القرآن حظا كبيراً ، ولكنهم لا يحسنون عملا ولا يطيقون إنتاجا ولا يقدرون على المشاركة فى لون من ألوان النهضة التى أشرنا إليها آنفا . وبهؤلاء وأولئك تعقدت الحياة الاجتماعية فى كثير من بلاد العالم الإسلامى وتعثرت النهضة فى تلك البلاد .

ومن حسن الحظ أن يجمع كل أهل الغيرة فى كل البلاد الإسلامية على رأى واحد فى هذه المشكلة هو أن يعرف عالم الدين علوما أخرى يعيش بها ويشارك بها فى النهضة ليرتفع مقام الدين عن أن يكون حرفة أو أن يكون سبباً للتعطل والضياع فى المجتمع ، وسبيل ذلك أن تتطور معاهد الدراسات الإسلامية العالية بحيث تواجه احتياجات النهضة فلا تقتصر على الدراسات الدينية بل يجب أن تجمع إليها علوما أخرى تتحقق بها لكل خريج الخبرة والمعرفة وسلامة العقيدة ليعود هؤلاء الخريجون إلى مراكز القيادة فى كل مجال من مجالات النشاط فى العالم الإسلامى المتحرر .

هذه الحقائق المسلم بها لا تكاد تجد لها صورة صحيحة فى خريجى الأزهر لعصرنا ، ومن ثم كان نوع من الانعزال بينهم وبين المجتمع الذى يعيشون فيه . ونشأت مشكلة تعطل كبيرة بين هؤلاء الخريجين زادتهم انعزالا عن المجتمع . وأعقبت هذه المشكلة آثارا كبيرة فى نفوس الأزهريين وفى نفوس الشعب جميعا ، كما كان لها أثرها فى قوة العقيدة فى نفوس هؤلاء وأولئك ، أما فى نفوس الأزهريين فذلك أن خريج الأزهر حين يتعطل يمكن أن يقع فى وهمه أحد أمرين : إما أن عالم الدين مآله التعطل والهوان ، فيصيبه وهن العقيدة قبل أن يصيب غيره ، وإما أن الدولة لا تعترف به والشعب يحاربه ، فيعتزل الدولة والمجتمع .

وأما فى نفوس الشعب فإن الناس لا يكادون يعرفون الدين إلا من صورة عالم

الدين ، فإذا كان عالم الدين على ما وصفنا فما أسرع أن يرين الشك على بعض القلوب وتفسد بعض العقائد .

من ذلك أو من بعضه يكون وهن العقيدة وتكون بعض صور الانقسام فى المجتمع ، ويكون تعقد نفوس كثيرة ، ويكون سوء ظن بعض المواطنين ببعض ، وسوء رأى بعض المواطنين فى بعض .

ويمكن أن نلحظ مثل هذا الشعور فى بلاد أخرى وراء حدود وطننا ، إذ كان مآل كثيرين من المبعوثين من تلك البلاد إلى الأزهر بعد أن عادوا إلى بلادهم مثل مصير خريجى الأزهر فى بلادنا . فانتقلت هذه الآثار إلى مجتمعهم وكاد مجتمعهم يفقد ثقته بالأزهر ، ويوشك هذا الشعور إن عم أن يقطع كثيراً من الأواصر بيننا وبين تلك البلاد .

من أجل ذلك جميعه كان لا بد من تجديد الأزهر وتطويره والاعتراف بمكانته وأثره مع الاحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته التى استحق بها أن يبقى مسيطراً على تاريخنا وعلى العلاقات الوثيقة بيننا وبين إخوان لنا فى شرق الأرض وغربها أكثر من ألف سنة .

وقد تكررت محاولات لمثل هذا الغرض منذ أكثر من نصف قرن ، ولكنها جميعا لم تنفذ إلى صميم المشكلة ولم تحاول علاجها جذريا ، فكانت قشوراً من الإصلاح لعل بعضها كان أسوأ أثراً .

ولعلاج المشكلة من صميمها كان لا بد من تقرير مبادئ لتكون أساسا لكل محاولة إصلاح .

وعلى أساس المبادئ التى انتهينا إلى تقريرها كان مشروع الإصلاح الذى يتضمنه هذا القانون . وهذه المبادئ هى :

أولا : أن يبقى الأزهر أون يدعم ، ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى الشرق والغرب .

ثانيا : أن يظل كما كان منذ أكثر من ألف سنة حصنا للدين والعروبة ، يرتق به الإسلام ويتجدد ويتجلى فى جوهره الأصيل ويتسع نطاق العلم به فى كل مستوى وفى كل بيئة ويذاد عنه كل ما يشوبه وكل ما يرمى به .

ثالثا : أن يخرج علماء قد حصلوا كل ما يمكن تحصيله من علوم الدين وتهيئوا بكل ما يمكن من أسباب العلم والخبرة للعمل والإنتاج فى كل مجال من مجالات العمل والإنتاج فلا تكون كل حرفتهم أو كل بضاعتهم هى الدين .

رابعا : أن تحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم الأخرى وتزول الفوارق بين خريجيه وسائر الخريجين فى كل مستوى ، وتتكافأ فرصهم جميعا فى مجالات العلم ومجالات العمل .

خامسا: أن يتحقق قدر مشترك من المعرفة والخبرة بين المتعلمين فى جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية وبين سائر المتعلمين فى الجامعات والمدارس الأخرى-مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التى يمتاز بها الأزهر منذ كان- لتحقق لخريجى الأزهر الحديث وحدة فكرية ونفسية بين أبناء الوطن، ويتحقق بهم للوطن والعالم الإسلامى نوع من الخريجين مؤهل للقيادة فى كل مجال من المجالات الروحية والعلمية.

سادسا: أن توحد الشهادات الدراسية والجامعية فى كل الجامعات ومعاهد التعليم فى الجمهورية العربية المتحدة.

على أساس هذه المبادئ أعد مشروع القانون المرافق لتنظيم الأزهر فاحتفظ له بكيانه وصفته وخصائصه العلمية، وجعلت الهيئات التى يتكون منها خمسا هى:

١ ـ المجلس الأعلى للأزهر.

٢ ـ مجمع البحوث الإسلامية.

٣ ـ إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية.

٤ ـ جامعة الأزهر.

٥ ـ المعاهد الأزهرية.

أما المجلس الأعلى للأزهر، فهو الهيئة التى تحمل مسئوليات التوجيه فى كل شئون الأزهر وتخطط لأنواع النشاط فى هيئاته المختلفة، وتتابع تنفيذ سياسة البحث وسياسة التعليم فى أجهزته المختلفة، ويرأسها الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ويشترك فى عضويتها إلى جانب الكبار من العلماء - متخصصون وذوو خبرة فى التعليم وفى الإدارة.

وأما مجمع البحوث الإسلامية فوضع نظامه بحيث يكون هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، يقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث، ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجعل من مهمة هذا المجمع كذلك أن يتتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامى من بحوث الأجانب ودراساتهم، للانتفاع بما فيها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح والرد. كما يقوم المجمع على رسم نظام بعوث الأزهر إلى العالم الإسلامى ومن العالم الإسلامى، كما يعاون فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية فى جامعة الأزهر والإشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها، وجعلت شروط

العضوية فى هذا المجمع بحيث تضم أصلح العناصر لأداء مهمته .

وأما إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية فهى الجهاز الذى يهيئ لمجمع البحوث الإسلامية كل أسباب البحث والدراسة فى الموضوعات التى تتصل باختصاصاته ، كما تقوم بالإعداد والتحضير لهذه البحوث والدراسات وتحمل المسئولية الكاملة للمتابعة والتنفيذ ، وتضع نتائج هذه البحوث والدراسات موضع الانتفاع العام ، سواء فى المجالات الثقافية العامة أو فى فروع الدراسات الأزهرية.

وتقوم هذه الإدارة كذلك على إعداد مشروعات البعوث من الأزهر وإليه ، وتحمل مسئولية التنفيذ بالنسبة لهذه البعوث وتقويم نتائجها .

وأما جامعة الأزهر فقد وضع مشروعها على أساس أن تختص بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر ، وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه ، كما تهتم ببعث التراث العلمى والفكرى والروحى للشعوب الإسلامية والعربية ، وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى التفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية وعملية ومهنية تؤهلهم للمشاركة فى كل أنواع النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية والإسلامية والعربية والأجنبية . وقد نص القانون فى المادة ٣٤ على الكليات التى تشملها جامعة الأزهر وهى :

كليات الدراسات الإسلامية ، وكلية الدراسات العربية ، وكلية المعاملات والإدارة . وكلية الهندسة والصناعات ، وكلية الزراعة ، وكلية الطب ، مع النص على جواز إنشاء كليات أخرى كلما دعت الحاجة ، وطبيعى أن هذه الكليات كلها أو بعضها لا يمكن أن تكون صورة مكررة للكليات القائمة الآن فى الأزهر أو فى الجامعات الأخرى ، إذ لا بد أن تتحقق لها مع صفتها العامة صفة تلائم الصفة الخاصة بجامعة الأزهر ، بحيث يكون فيها إلى جانب الدراسات الفنية الخاصة ، دراسات إسلامية ودينية تتحقق بها للطالب ثقافة دينية عميقة وواعية إلى جانب الثقافة المهنية التى يحصلها نظراؤه فى الكليات المماثلة فى الجامعات الأخرى ، وبحيث تتاح لخريجيها بعد الحصول على درجة الإجازة العالية (الليسانس أو البكالوريوس) من أى كلية من كلياتها دراسة عليا فى مادة التخصص أو فى مادة من مواد الدراسات الإسلامية والعربية العالية للحصول بها على درجة التخصص أو العالمية

(الماجستير أو الدكتوراه) فى مادة الدراسة ، وليس مثل هذا النظام مستحدثا فى تاريخ الأزهر والجامعات الإسلاميه ، فإن أعظم علماء الطب والكيمياء والرياضة فى الماضى كانوا علماء فى الدين ، منهم ابن سينا والفارابى وابن الهيثم وجابر بن حيان وآخرون ...

ولابد أن يكون لكل كلية من هذه الكليات أقسام مختلفة تختص بها أو تشترك فيها مع غيرها من الكليات لتنويع الدراسات وتنويع الخريجين إلى أكثر مما يدل عليه عدد هذه الكليات .

وإذ كانت جامعة الأزهر هى جامعة المسلمين من كل بلد منذ كانت ، فقد نصت المادة الثامنة والثلاثون على أن تتساوى فرص القبول فى كلياتها والأقسام الملحقة بها للطلاب المسلمين من كل بلد .

ورعاية للصفة الخاصة لجامعة الأزهر ، رؤى أن تستقل عن الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة ، بتبعيتها لرياسة الجمهورية ، مع الحرص على التنسيق بينها وبين الجامعات الأخرى بقدر ما تقتضيه الصفة الخاصة بالأزهر وأغراض الدراسة فيه .

وحرص القانون على أن يكون أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ممثلين فى مجلس الجامعة بالقدر الذى يتيح لهم أن يوجهوا الدراسات الإسلامية فى الكليات المختلفة ، فتقرر أن يكون منهم فى مجلس الجامعة ثلاثة من أعضاء هذا المجمع ، مع احتمال زيادة عددهم ببعض الأعضاء الذين يمثلون هيئات أخرى من الأزهر أو من خارجه .

وإذ كان المأمول أن تكون بعض أنواع الدراسة فى كليات جامعة الأزهر على هذا الأساس نموذجا لنوع من الدراسات يلائم رغبات كثير من المواطنين ، لتحقق بها لأبنائهم معارف وثقافات دينية وقومية وكان من المتوقع لذلك أن يقبل بعض خريجى المدارس الثانوية على هذه الكليات ، فقد حرص مشروع القانون على مواجهة هذا الاحتمال باشتراط أداء الطلاب الذين لم تتهيأ لهم فرصة الدراسة فى المعاهد الأزهرية امتحان معادلة يؤهلهم لمتابعة الدراسة فى هذه الكليات مع زملائهم من خريجى المعاهد الأزهرية .

وأما المعاهد الأزهرية ، فإنه لكى يعد لكليات الجامعة الأزهرية على اختلافها طلاب على حظ من الثقافة الإسلامية والعربية لا يقل عن حظهم منها فى الوقت الحاضر ، إلى جانب المعارف والخبرات التى تتيح لهم الاستمرار فى الدراسات الجامعية على الوجه الذى وصفناه ، وضع نظام المعاهد الثانوية والابتدائية للأزهر ، بحيث يتهيأ فيها الطلاب إلى جانب دراساتهم الدينية والعربية للحصول على الشهادات الإعدادية والثانوية

بأنواعها المختلفة ، لتتكافأ فرصهم مع فرص غيرهم من التلاميذ فى مدارس الدولة فيحصل تلميذ القسم الابتدائى على الإعدادية العامة ، أو الإعدادية الفنية ، إلى جانب ما درس من علوم الدين واللغة ، ويحصل تلميذ القسم الثانوى على الثانوية العامة بأحد قسميها الأدبى أو العلمى ، أو على الثانوية الفنية بأنواعها من زراعية أو صناعية أو تجارية أو غير ذلك ، إلى جانب ما درس كذلك من علوم الدين أو اللغة ، وبهذا يتاح لكل تلميذ فى هذه الأقسام أن يوجه حياته الوجهة التى يريد والتى تلائم ميوله واستعداده ، فإن شاء خرج إلى الحياة ليعمل ويكسب بعد كل مرحلة ، وإن شاء استمر فى الدراسة مرحلة أخرى أو مرحلتين ليخرج بعدها مؤهلا للعمل والكسب ، وإن شاء تحول إلى المدارس الأخرى يتم فيها دراسته وفق ميوله ورغباته ، وتجد كليات جامعة الأزهر فى النهاية طلابا يجمعون بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، ولهم كل الأهلية لمتابعة الدراسة الجامعية فى كليات جامعة الأزهر أو فى غيرها من الكليات ومعاهد الدراسة العالية .

وقد حرص القانون فى هذه الناحية على أن يكون التعاون كاملا بين وزارة التربية والتعليم والإدارة المختصة بالإشراف على هذه الأقسام وإدارتها ليتحقق بهذا التعاون نوع من الثقة يدعم قيمة الشهادات التى يحصل عليها الطلاب من هذه الأقسام .

وقد واجه مشروع القانون مرحلة الانتقال بين وضع الأزهر وكلياته والأقسام الملحقة به فى الوقت الحاضر . ووضعها المنتظر بعد التطبيق الكامل لهذا القانون فنص على إنشاء دراسات إضافية فى الأقسام الثانوية والابتدائية منذ الموسم الدراسى المقبل لتهيئة تلاميذ هذه الأقسام الحاليين الحصول على شهادات معادلة تتيح لهم الانتفاع بمزايا هذا القانون فى أسرع وقت ممكن . كما حرص على الملاءمة بين وضع الطلاب الحاليين فى الكليات الأزهرية وبين مقتضيات تطبيق القانون .

كما نص مشروع القانون على أن يحتفظ العلماء الموظفين الآن والمدرسين فى أقسام الأزهر وأعضاء هيئات التدريس فى الكليات الأزهرية الحالية وأعضاء جماعة كبار العلماء ، ولطلاب الأزهر الحاليين ، بكل الحقوق المالية المقررة لهم فلا تتأثر هذه الحقوق بشىء نتيجة لتطبيق هذا القانون . سواء فى المرتبات أو فى المعاشات ومدة الخدمة . أو غير ذلك . لتكون النظم المستحدثة فى هذا الشأن بغير أثر رجعى .

ولكيلا يتضمن القانون تفصيلات يضخم بها رؤى أن يقتصر على الخطوط الرئيسية

التنظيم ، على أن تتضمن اللائحة التنفيذية التى يصدر بها قرار من رئيس الجمهورية كل التفصيلات التى توضح الصورة وتيسر التنفيذ.

وإذ كانت تفصيلات المشروع قد أحيل أكثرها على تلك اللائحة التنفيذية ، فقد نص المشروع على ألا يتأخر صدور هذه اللائحة عن تاريخ معين ، ليتهيأ الأخذ فى أسباب التنفيذ الكامل للمشروع قبل ابتداء الموسم الدراسى المقبل.

والمشروع معروض رجاء الموافقة على إصداره :

وزير الدولة

كمال الدين محمود رفعت

قانون الأزهر

باسم الأمـــة

رئيس الجمهورية :

قرر مجلس الأمة القانون الآتى نصه وقد أصدرناه :

مادة ١ ـ تستبدل النصوص المرافقة بأحكام القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له ويبطل كل ما يخالفه من القوانين .

الباب الأول فى الأحكام العامة

مادة ٢ ـ الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة ، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية، وإظهار أثر العرب فى تطور الإنسانية وتقدمها ، وتعمل على رقى الآداب وتقدم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والأهداف القومية والإنسانية والقيم الروحية، وتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن ، وتخريج علماء عاملين مثقفين فى الدين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح، كفاية علمية وعملية ومهنية ، لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أسباب النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة ، وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى

سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية ومقره القاهرة ، ويتبع رياسة الجمهورية.

مادة ٣ — يعين بقرار من رئيس الجمهورية وزير لشئون الأزهر .

مادة ٤ — شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام ، وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية فى الأزهر وهيئاته ويرأس المجلس الأعلى للأزهر .

مادة ٥ — يختار شيخ الأزهر من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة فى أعضاء هذه الهيئة . ويعين بقرار من رئيس الجمهورية فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضوا فى تلك الهيئة صار بمقتضى هذا التعيين عضوا فيها

مادة ٦ — يكون للأزهر شخصية معنوية عربية الجنس ويكون له الأهليـة الكاملة للمقاضاة وقبول التبرعات التى ترد إليه عن طريق الوقف والوصايا والهبات بشرط ألا تتعارض مع الغرض الذى يقوم عليه الأزهر .

وشيخ الأزهر هو الذى يمثل الأزهر ويكون له حق مقاضاة نظار الأوقاف التى للمدرسين أو الموظفين أو الطلاب نصيب فيها، وذلك دون إخلال بما لوزارة الأوقاف من الحقوق والاختصاصات المقررة فى اللوائح والقوانين .

مادة ٧ — يكون للأزهر وكيل يختار من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة . ويعين بقرار من رئيس الجمهورية ، فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضواً فى هيئة المجمع صار بمقتضى هذا التعيين عضواً فيها .

ويعاون الوكيل شيخ الأزهر ويقوم مقامه حين غيابه .

هيئات الأزهر :

مادة ٨ — يشمل الأزهر الهيئات الآتية :

١ — المجلس الأعلى للأزهر .
٢ — مجمع البحوث الإسلامية .
٣ — إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية .
٤ — جامعة الأزهر .
٥ — المعاهد الأزهرية .

الباب الثانى

المجلس الأعلى للأزهر

مادة ٩ — يكون للأزهـر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر ، ويتكون على الوجه الآتى :—

شيخ الأزهر وله رياسة المجلس .
وكيل الأزهر .

مدير جامعة الأزهر .

عمداء الكليات بجامعة الأزهر .

أربعة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يختارهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهورية بناء على ترشيح شيخ الأزهر لمدة سنتين .

أحد وكلاء الوزارات أو الوكلاء المساعدين من كل من وزارات الأوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة ، يصدر بتعيين كل منهم قرار من الوزير الذى يمثل وزارته فى المجلس .

مدير الثقافة والبعوث الإسلامية .

مدير المعاهد الأزهرية .

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوى الخبرة فى شئون التعليم الجامعى والشئون العامة المتعلقة به ، يكون أحدهم على الأقل من أعضاء المجلس الأعلى للجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة ، ويعينون بقرار من الوزير المختص بعد أخذ رأى المجلس ، وبناء على ترشيح شيخ الأزهر وذلك لمدة سنتين .

مادة ١٠ — يختص المجلس الأعلى للأزهر بالنظر فى الأمور الآتية : —

١ — التخطيط ورسم السياسة العامة لكل ما يحقق الأغراض التى يقوم عليها الأزهر ويعمل لها فى خدمة الفكرة الإسلامية الشاملة .

٢ — رسم السياسة التعليمية التى تسير عليها جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية والأقسام التعليمية فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية والعربية واقتراح المواد والمقررات التى تدرس لتحقيق أغراض الأزهر .

٣ — النظر فى مشروع ميزانية هيئات الأزهر وإعداد الحساب الختامى .

٤ — اقتراح إنشاء الكليات والمعاهد الأزهرية والأقسام التعليمية .

٥ — قبول الأوقاف والوصايا والهبات مع مراعاة أحكام المادة (٦) من هذا القانون .

٦ — النظر فى كل مشروع قانون أو قرار جمهورى يتعلق بأى شأن من شئون الأزهر .

٧ — النظر فى منح العالمية الفخرية لجامعة الأزهر أو إحدى كلياتها بناء على اقتراح الكلية أو الجامعة .

٨ — تشكيل اللجان الفنية الدائمة أو المؤقتة من بين أعضائه أو من غيرهم من المتخصصين لبحث الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه .

٩ — تدبير أموال الأزهر واستثمارها وإدارتها .

١٠ — النظر فيما يعهد إليه هذا القانون أو غيره من القوانين والقرارات واللوائح وفيما يعرضه عليه شيخ الأزهر ، وفى كل ما يرى المجلس فائدة فى بحثه من المسائل التى تدخل فى اختصاصه .

مادة ١١ — لا تنفذ قرارات المجلس الأعلى للأزهر فيما يحتاج إلى قرار من الوزير المختص

إلا بعد صدور هذا القرار - فإذا لم يصدر منه قرار فى شأنها خلال الستين يوما التالية لتاريخ وصولها مستوفاة إلى مكتبه تكون نافذة.

مادة ١٢ — يكون للمجلس الأعلى للأزهر أمين عام ، يصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية .

مادة ١٣ — يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مرتبات شيخ الأزهر ووكيله وأمين المجلس الأعلى للأزهر ومكافآت أعضائه .

مادة ١٤ — يكون للمجلس جهاز يتابع تنفيذ مقرراته ويرأسه الأمين العام للمجلس .

الباب الثالث

مجمع البحوث الإسلامية وإدارة الثقافة والبحوث الإسلامية :

مادة ١٥ — مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحــوث الإسلامية وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وتعاون جامعة الأزهر فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية والإشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها .

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون واجبات مجمع البحوث الإسلامية بالتفصيل الذى يساعد على تحقيق الغرض من إنشائه .

مادة ١٦ — يتألف مجمع البحوث الإسلامية من خمسين عضوا من كبار علماء الإسلام ، يمثلون جميع المذاهب الإسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ١٧ — يشترط فى عضو المجمع :

١ - ألا تقل سنه عن أربعين سنة .

٢ - أن يكون معروفا بالورع والتقوى فى ماضيه وحاضره .

٣ - أن يكون حائزاً لأحد المؤهلات العلمية العليا من الأزهر . أو إحدى الكليات أو المعاهد العليا التى تهتم بالدراسات الإسلامية.

٤ - أن يكون له إنتاج علمى بارز فى الدراسات الإسلامية ، أو اشتغل بالتدريس لمادة من مواد الدراسات الإسلامية فى كلية أو معهد من معاهد التعليم العالى لمدة أدناها ٥ سنوات أو شغل إحدى الوظائف الإسلامية فى القضاء أو الإفتاء أو التشريع لمدة أدناها خمس سنوات .

ويعتبر الأعضاء الحاليون فى جماعة كبار العلماء - فى حكم هذا القانون - مستوفين لهذا الشرط .

مادة ١٨ — يعين بقرار من رئيس الجمهورية أعضاء مجمع البحوث الإسلامية فى أول تشكيل له - بناء على عرض الوزير المختص باقتراح من شيخ الأزهر .

ويكون شيخ الأزهر رئيسا لهذا المجمع .

مادة ١٩ — يكون نصف أعضاء المجمع على الأقل متفرغين لعضويته ، وتبين اللائحة التنفيذية واجبات العضو المتفرغ والعضو غير المتفرغ .

مادة ٢٠ — هيئات المجمع هى :

(ا) مجلس المجمع : ويتألف من الرئيس ، والأعضاء المتفرغين ، والأعضاء غير المتفرغين من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ، والأمين العام للمجمع .

(ب) مؤتمر المجمع ويتألف من كل أعضاء المجمع .

(ج) الأمانة العامة للمجمع .

مادة ٢١ — يجتمع مجلس المجمع مرة فى كل شهر على الأقل - ولا يكون اجتماعه صحيحا إلا بحضور أكثرية أعضائه .

مادة ٢٢ — يجتمع مؤتمر المجمع اجتماعا عاديا مرة فى كل سنة . وتستمر دورة اجتماعه أربعة أسابيع للنظر فى جدول أعمال السنة ويجوز أن يدعى المؤتمر إلى اجتماع غير عادى إذا اقتضت الظروف ذلك بموافقة الوزير المختص وبناء على اقتراح شيخ الأزهر ويكون اجتماع المؤتمر صحيحا فى الحالتين بحضور أكثرية أعضائه ، بشرط أن يكون من بينهم ربع الأعضاء غير المواطنين على الأقل .

مادة ٢٣ — يكون للمجمع أمانة عامة دائمة يرأسها أمين عام ويشغل هذا المنصب مدير الثقافة والبعوث الإسلامية بشرط أن تتحقق فيه شروط العضوية المنصوص عليها فى المادة ١٧ من هذا القانون ، ويصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية . بناء على عرض الوزير المختص وبموافقة شيخ الأزهر ويكون الأمين العام للمجمع بمقتضى قرار التعيين عضوا فى المجمع ما دام شاغلا لهذه الوظيفة .

مادة ٢٤ — تتألف الأمانة العامة للمجمع من الأمين العام ، وأمين مساعد أو أكثر ، وعدد من الموظفين اللازمين لتصريف الشئون الفنية والإدارية للمجمع ومباشرة تنفيذ قراراته طبقا لما تبينه اللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٢٥ — تختص إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة واستقبال طلاب المنح وغيرهم من ذوى العلاقة . فى نطاق أغراض الأزهر ، وعليها إلى ذلك تنفيذ مقررات

المجمع ونشر بحوثه ودراساته وتجميع ما يلزمه من البيانات لهذه الدراسات .

وتبين اللائحة التنفيذية لهذا القانون تفصيل ذلك ووسائل تنفيذه .

مادة ٢٦ — يختار مؤتمر المجمع بالأغلبية المطلقة بناء على ترشيح اثنين من الأعضاء ، أعضاء مراسلين من مواطني الجمهورية العربية المتحدة أو من غيرهم ، ممن يرى الاستعانة بهم في تحقيق أغراضه ويصدر باعتماد عضويتهم قرار من الوزير المختص .

مادة ٢٧ — يجوز منح لقب عضو فخرى لأعضاء المجمع السابقين ، أو لمن يؤدى للإسلام خدمات علمية ذات أثر ، ويصدر بمنح هذا اللقب قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص باقتراح من مؤتمر المجمع .

مادة ٢٨ — يؤلف المجمع من أعضائه لجانا لتحقيق أغراضه المنصوص عليها في هذا القانون وفي اللائحة التنفيذية .

مادة ٢٩ — يجوز دعوة الأعضاء المراسلين والأعضاء الفخريين إلى جلسات المجمع بموافقة الوزير المختص بناء على قرار مجلس المجمع .

مادة ٣٠ — تسقط عضوية المجمع في إحدى الحالات الآتية :

(ا) إذا صدر ضد العضو حكم ماس بالشرف والأمانة .

(ب) إذا وقع من العضو ما لا يلائم صفة العضوية ، كالطعن في الإسلام ، أو إنكار ما علم منه بالضرورة ، أو سلك سلوكا ينقص من قدره كعالم مسلم ، ويكون سقوط العضوية في هذه الحالة بقرار مسبب يصدره المجمع بأغلبية الثلثين من أعضائه ويعتمده الوزير المختص .

(ج) إذا عجز العضو عن مباشرة أعماله لمرض أو لظروف أخرى ، ويكون سقوط العضوية في هذه الحالة بقرار جمهورى بعد موافقة المجمع .

(د) إذا تقرر قبول استقالته ، أو اعتبره المجمع مستقيلا بتخلفه عن حضور جلسات المجمع ، وفقا لما تفصله اللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٣١ — إذا خلا مكان عضو من أعضاء المجمع لأى سبب من الأسباب السابقة أو غيرها ، انتخب المجمع العضو الذى يخلفه من بين المرشحين للعضوية ويتم الترشيح بتزكية اثنين من الأعضاء ، ولا تكون جلسة الانتخاب صحيحة إلا إذا حضرها الثلثان على الأقل من أعضاء المجمع ، ويكون انتخاب المرشح صحيحا إذا حصل على أكثرية أصوات الحاضرين بشرط ألا يقل عددهم عن نصف العدد الكلى لأعضاء المجمع ويكون التصويت سريا ، ويصدر باعتماد العضوية قرار من

رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص .

مادة ٣٢ — يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مكافآت المتفرغين وغير المتفرغين من أعضاء المجمع ، كما يحدد مكافآت أعضاء اللجان من غير أعضاء المجمع الذين قد يستعان بهم لخبرتهم .

الباب الرابع

جامعة الأزهر :

مادة ٣٣ — تختص جامعه الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه وتقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره . وتؤدى رسالة الإسلام إلى الناس وتعمل على إظهار حقيقته وأثره فى تقدم البشر وكفالة السعادة لهم فى الدنيا وفى الآخرة كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى والروحى للأمة العربية وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أنواع النشاط ، والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها من أبناء الجمهورية وغيرهم كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية .

مادة ٣٤ — تتكون جامعة الأزهر من الكليات الآتية :

١ — كليات للدراسات الإسلامية تحدد عددها اللائحة التنفيذية .
٢ — كلية الدراسات العربية .
٣ — كلية المعاملات والإدارة .
٤ — كلية الهندسة والصناعات .
٥ — كلية الزراعة .
٦ — كلية الطب :

ويجوز إنشاء كليات أخرى أو معاهد عالية بقرار من رئيس الجمهورية .

وتتكون كل كلية من عدد من الأقسام العملية يتولى كل قسم منها تدريس المواد التى تدخل فى اختصاصه ويقوم على بحوثها فى الكلية أو فى غيرها من كليات الجامعة ومعاهدها وتعين هذه الأقسام بقرار من الوزير المختص.

ولا يجوز أن تتكرر الأقسام المتماثلة فى كليات الجامعة

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون الأقسام التى تتبع كل كلية من هذه الكليات

وأنواع الدراسات بها والدرجات العلمية التى تمنحها الجامعة من هذه الكليات .

مادة ٣٥ — يجوز أن تنشأ بقرار من الوزير المختص معاهد تابعة للكليات إذا كانت الدراسة فيها تتصل بأكثر من قسم من الأقسام ، وتسرى على هذه المعاهد الأحكام الخاصة بأقسام الكلية .

مادة ٣٦ — يجوز أن تلحق بكليات الجامعة أو بعضها مدارس تعليمية لمواد أو دراسات تتصل بأغراض الأزهر ، مثل مدرسة تجويد القرآن الكريم وتعليم القراءات ، أو أقسام الإرشاد العامة المنشأة لمراجعة حاجات الذين يريدون التزويد من المعارف الدينية والعربية وغيرها من فئات الشعب . ولا تنطبق على هذه المدارس والأقسام شروط الدراسة الجامعية ، وتحدد اللائحة التنفيذية نظام العمل بها .

مادة ٣٧ — اللغة العربية هى لغة التعليم فى جامعة الأزهر ، ما لم يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى .

مادة ٣٨ — تتساوى فرص القبول للتعليم بالمجان فى كليات الجامعة ومعاهدها المختلفة للطلاب المسلمين من كل جنس وكل بلد ، فى حدود الإمكانيات والميزانية والأعداد المقرر قبولها ، وفقا لما تقضى به اللائحة التنفيذية .

وتنظم الدراسات الخاصة لطلاب البعوث من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ، ليتأهلوا لمتابعة الدراسة فى الكليات والمعاهد مع نظرائهم من الطلاب العرب .

مادة ٣٩ — يتولى إدارة جامعة الأزهر : —

١ — مدير جامعة الأزهر .

٢ — مجلس الجامعه .

مادة ٤٠ — يتولى إدارة كل كلية : —

١ — عميد الكلية .

٢ — مجلس الكلية .

مادة ٤١ — يكون تعيين مدير الجامعة بقرار من رئيس الجمهورية ، بناء على ترشيح الوزير المختص واقتراح شيخ الأزهر ويشترط فيه أن يكون قد شغل أحد كراسى الأستاذية بجامعة الأزهر أو إحدى الجامعات فى الجمهورية العربيه المتحدة .

مادة ٤٢ — يتولى مدير الجامعه إدارة شئون الجامعه العلمية والإدارية والمالية . وهو الذى يمثلها أمام الهيئات الأخرى ، وهو مسئول عن تنفيذ القوانين واللوائح فى الجامعة وقرارات مجلس الجامعة فى حدود هذه القوانين واللوائح وله فى حالة الإخلال بالنظام أن يقف الدراسة كلها أو بعضها . على أن يعرض قرار الوقف على مجلس الجامعة خلال ثلاثة أيام .

مادة ٤٣ — يقدم مدير الجامعة إلى شيخ الأزهر فى نهاية كل سنة جامعية تقريرا عن شئون التعليم والبحوث العلمية وسائر نواحى النشاط الأخرى بالجامعة.

مادة ٤٤ — يكون لجامعة الأزهر وكيل يعاون المدير فى إدارة شئونها العلمية والإدارية والمالية ، ويقوم مقامه عند غيابه . ويكون تعيين وكيل الجامعة بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص واقتراح مدير الجامعة وموافقة شيخ الأزهر . ويشترط فيه ان يكون قد شغل أحد كراسى الأساتذة بجامعة الأزهر أو بإحدى الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة.

مادة ٤٥ — يكون للجامعة أمين يعين بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص بعد استطلاع رأى مدير الجامعة .

مادة ٤٦ — يدير الأمين العام للجامعة الأعمال المالية والإدارية بالجامعة تحت إشراف مدير الجامعة ووكيلها ، ويكون مسئولا عن تنفيذ القوانين واللوائح فى حدود اختصاصه .

مادة ٤٧ — يتكون مجلس جامعة الأزهر على الوجه الآتى :

مدير الجامعة : وله رياسة المجلس .

وكيل الجامعة .

عمداء الكليات .

ممثل لوزارة التربية والتعليم يختاره الوزير من بين كبار موظفيها .

ثلاثة أعضاء على الأكثر من بين أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يرشحهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من الوزير المختص ، وذلك لمدة سنتين .

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوى الخبرة فى شئون التعليم الجامعى والشئون العامة المتعلقة به ، يعينون بقرار من الوزير المختص وذلك لمدة سنتين .

مادة ٤٨ — يختص مجلس جامعة الأزهر بالنظر فى الأمور الآتية :

١ - وضع خطط الدراسة .

٢ - وضع النظام العام للدروس والمحاضرات والبحوث والأشغال العلمية وتوزيع الدروس والمحاضرات بالكليات .

٣ - تعيين مدة الدراسة ومدة الامتحان ومدة العطلة .

٤ - شروط قبول الطلاب فى الجامعة ونظام تأديبهم .

٥ - المكافآت والإعانات المالية على اختلاف أنواعها .

٦ - إدارة حركة الامتحانات وتشمل مدة اشتغال الممتحنين ولجان الامتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم .

٧ - منح الدرجات العلمية والشهادات .

٨ - تنظيم الشئون الاجتماعية للطلاب .

٩ - وضع اللوائح الخاصة بالمتاحف والمكتبات ومساكن الطلاب وغيرها من المنشآت الجامعية .

١٠ - تتبع النشاط العلمي للكليات والمعاهد والتنسيق بين الدراسات والبحوث القائمة بها .

١١ - تنظيم البحث العلمي وتوفير الإمكانيات اللازمة له

١٢ - إنشاء كراسي الاستاذية .

١٣ - تعيين أعضاء هيئات التدريس بالجامعة ونقلهم وإيفادهم للبعثات العلمية .

١٤ - ندب أعضاء هيئة التدريس وإعارتهم .

١٥ - إعداد مشروعات الميزانية والحساب الختامي .

١٦ - إقامة أبنية الجامعة وترميمها .

١٧ - منح العالمية الفخرية للجامعة أو إحدى كلياتها بناء على اقتراح مجلسها وبموافقة المجلس الأعلى للأزهر ، ويصدر بذلك قرار من رئيس الجمهورية .

١٨ - إبداء الرأي فيما يتعلق بجميع مسائل التعليم في درجاته المختلفة .

١٩ - الترخيص لمدير الجامعة في إجراء التصرفات القانونية .

٢٠ - وقف الدراسة بالكليات ومعاهد الجامعة .

٢١ - الموضوعات التي يحيلها عليه الوزير المختص أو شيخ الأزهر .

٢٢ - الموضوعات الأخرى التي تتصل باختصاص الجامعة وفقا لهذا القانون .

يؤلف مجلس الجامعة من بين أعضائه ومن غيره من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين لجانا فنية دائمة أو مؤقتة لبحث الموضوعات التي تدخل في اختصاصه .

مادة ٤٩ — لمجلس الجامعة أن يلغي القرارات الصادرة من مجالس الكليات أو المعاهد التابعة للجامعة إذا كانت مخالفة للقوانين واللوائح أو القرارات التنظيمية التي تعمل بها الجامعة .

مادة ٥٠ — لا تنفذ قرارات مجلس الجامعة فيما يحتاج تنفيذه في هذا القانون أو في اللائحة التنفيذية إلى تصديق من شيخ الأزهر أو من الوزير المختص إلا بعد صدور قرار التصديق . فإذا لم يصدر قرار في شأنها خلال الستين يوما التالية لتاريخ وصولها مستوفاة إلى مكتبه تكون نافذة .

مادة ٥١ — يعين الوزير المختص عميد الكلية من بين أساتذة الكلية بناء على ترشيح مدير الجامعة وموافقة شيخ الأزهر ويكون العميد مسئولا عن تنفيذ القوانين واللوائح الجامعية، وكذلك عن تنفيذ قرارات مجلس الكلية ومجلس الجامعة ، في حدود هذه القوانين

واللوائح، ويقدم العميد إلى مدير الجامعة فى كل سنة جامعية تقريراً عن شئون التعليم والبحوث العلمية وسائر نواحى النشاط بالكلية .

مادة ٥٢ — يكون لكل كلية وكيل يعاون العميد فى أعماله ويقوم مقامه عند غيابه ، ويكون تعيينه من بين أساتذة الكلية بترشيح من العميد وقرار من مجلس الجامعة

مادة ٥٣ — يكون تعيين كل من العميد والوكيل لمدة سنتين .

مادة ٥٤ — يؤلف مجلس الكلية من :

عميد الكلية .

رؤساء الأقسام بالكلية .

أحد الأساتذة من كل قسم .

وللوزير المختص بناء على اقتراح الجامعة أن يضم إلى مجلس الكليه عضوا أو عضوين من الخارج ممن لهم دراية خاصه فى المواد التى تدرس فى الكلية ، ويكون التعيين لمدة سنتين .

وتكون رياسة المجلس لعميد الكلية وعند غيابه للوكيل .

ويشترك رؤساء الأقسام التى تقوم بأعباء التدريس بكلية غير الكلية التابعة لها فى مجلس هذه الكلية عند النظر فى المسائل الداخلة فى اختصاص أقسامها .

مادة ٥٥ — يختص مجلس الكلية بالنظر فى الأمور الآتية :

١ — وضع القواعد المتعلقة بمواظبة الطلاب ونظام الدروس والمحاضرات والأعمال الجامعية الأخرى .

٢ — وضع مناهج الدراسة وبرامجها والتنسيق بينها فى الأقسام المختلفة وتوزيع الدروس والمحاضرات على أعضاء هيئة التدريس .

٣ — تنظيم البحوث العلمية وتنسيقها بين أقسام الكلية .

٤ — وضع نظام الامتحان وتوزيع أعماله على هيئة الممتحنين .

٥ — تقديم اقتراحاته إلى مجلس الجامعة بخطط الدراسة ومواعيد الامتحان وشروط منح الدرجات العلمية الدبلومات والشهادات .

٦ — رعاية الشئون الاجتماعية والرياضية للطلاب .

٧ — تقديم ما يراه من الاقتراحات إلى مجلس الجامعة فى شأن تيسير التعليم والنظام فى الكلية .

٨ — الأمور الأخرى التى يختص بها وفقاً للقانون .

ويؤلف المجلس من بين أعضائه وغيرهم من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين لجانا فنية دائمة أو مؤقتة لدراسة الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه .

مادة ٥٦ — أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة هم :

(١) الأساتذة .

(ب) الأساتذة المساعدون .

(ج) المدرسون .

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون شروط تعيينهم ونقلهم وندبهم وإعارتهم وإجازاتهم العلمية والإجازات الاعتيادية والمرضية وغير ذلك من شئون الوظيفة، كما تحدد اللائحة واجباتهم والنظم التأديبية الخاصة بهم وجدول مرتباتهم .

مادة ٥٧ — يجوز أن يعين فى هيئة التدريس مسلمون من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ممن تؤهلهم كفايتهم لذلك لمدة معينة ويكون التعيين بقرار من الوزير المختص بناء على طلب الجامعة .

مادة ٥٨ — يجوز الاستعانة بأساتذة مسلمين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة بصفة زائرين لمدة معينة ويكون ذلك بقرار من مدير الجامعة بناء على طلب الكلية المختصة .

مادة ٥٩ — يجوز أن يعين مدرسو لغات وموظفون فنيون مسلمون من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة لمدة معينة ويكون تعيينهم بقرار من مدير الجامعة بناء على طلب الكلية المختصة .

مادة ٦٠ — يجوز أن يعين فى الكلية معيدون يقومون بالدراسات والبحوث العلمية وبما يعهد إليهم القسم المختص من التمرينات والدروس العملية وسواها من الأعمال تحت إشراف أعضاء هيئة التدريس وبالأعمال الأخرى التى يكلفهم بها العميد وتحدد اللائحة التنفيذية شروط تعيينهم .

مادة ٦١ — مرتبات مدير الجامعة ووكيلها وأعضاء هيئة التدريس والمعيدين وقواعد تطبيقها ومكافآت الأساتذة غير المتفرغين يحددها الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٦٢ — مع مراعاة أحكام هذا القانون ولائحته التنفيذية : —

(ا) يطبق مجلس الجامعة دون الرجوع إلى وزارة الخزانة أو ديوان الموظفين اللوائح الخاصة بأعضاء هيئة التدريس، وتكون قراراته فى ذلك نهائية ونافذة .

(ب) يطبق مدير الجامعة دون الرجوع إلى وزارة الخزانة أو ديوان الموظفين القواعد المالية العامة المعمول بها فى حق جميع الموظفين والمستخدمين فى الدولة على المعيدين وعلى سائر الموظفين بالجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس، إلا أنه فى الحالات التى توجب القوانين إصدار قرار من رئيس الجمهورية يتعين إرسال القرارات إلى الوزير المختص لاتخاذ اللازم فى شأنها .

مادة ٦٣ — للجامعة فى حالة الضرورة التجاوز عن شرط الحصول على شهادة الدراسة

الثانوية العامة أو ما يعادلها عند التعيين فى وظائف مدرسى اللغات إذا كانت لدى المرشح أجازات علمية أخرى تعتبر كافية بالنسبة إلى الوظيفة التى سيعين فيها.

مادة ٦٤ — لمدير الجامعة إعفاء الموظفين من شروط اللياقة الطبية كلها أو بعضها بعد أخذ رأى اللجنة الطبية العامة « القومسيون الطبى العام ».

مادة ٦٥ — تكون الأجازات الاعتيادية السنوية لموظفى الجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس فى أثناء العطلة الصيفية فيما عدا المعاهد التى تكون طبيعة العمل فيها مختلفة فتحدد الأجازات فى هذه الحالة بقرار من مدير الجامعة بعد أخذ رأى عميد الكلية المختص.

ويجوز منح الموظف أجازة اعتيادية بمرتب كامل لتأدية فريضة الحج وذلك مرة واحدة خلال مدة خدمته.

قانون التوظف :

مادة ٦٦ — فيما عدا أعضاء هيئة التدريس فى كليات الجامعة، ومع مراعاة أحكام هذا القانون يطبق على الموظفين فى الأزهر بجميع هيئاته القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ بشأن نظام موظفى الدولة فى الإقليم المصرى والقوانين المعدلة له.

وذلك فيما يختص بتعيينهم وتأديبهم وإنهاء خدمتهم وإجازاتهم وترقياتهم وغير ذلك من شئونهم الوظيفية، ويكون للأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وللأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وللأمين العام للجامعة، ولمدير الثقافة والبعوث الإسلامية ولمدير المعاهد الأزهرية سلطة مدير المصلحة بالنسبة للموظفين التابعين لكل منهم ولوكيل الجامعة سلطة وكيل الوزارة بالنسبة للموظفين التابعين له ولمدير الجامعة سلطه الوزير فيما يختص بموظفى الجامعة طبقا لما تحدده اللائحة التنفيذيه.

مادة ٦٧ — إذا نسب إلى أحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ما يوجب التحقيق معه طلب مدير الجامعة إلى أحد أعضاء هيئة التدريس بإحدى الكليات أو طلب إلى النيابة الإدارية مباشرة التحقيق ويقدم عن التحقيق تقرير إلى مدير الجامعة، وإلى الوزير المختص إذا طلبه - ويحيل مدير الجامعة العضو المحقق معه إلى مجلس التأديب إن رأى محلا لذلك.

مادة ٦٨ — لمدير الجامعة أن يوقف أى عضو من أعضاء هيئة التدريس عن عمله احتياطياً إذا اقتضت مصلحة التحقيق معه ذلك. ولا يجوز أن تزيد مدة الوقف على ثلاثة أشهر إلا بقرار من المحكمة التأديبية ويترتب على وقف عضو هيئة للتدريس عن عمله وقف صرف مرتبه ابتداء من اليوم الذى

أوقف فيه، ما لم يقرر مجلس التأديب صرف المرتب كله أو بعضه بصفة مؤقتة إلى أن يقرر عند الفصل فى الدعوى التأديبية ما يتبع فى شأن المرتب عن مدة الوقف سواء بحرمان عضو هيئة التدريس منه أو بصرفه إليه كله أو بعضه .

مادة ٦٩ — يعلن مدير الجامعة عضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب ببيان التهم الموجهة إليه وبصورة من تقرير التحقيق وذلك بكتاب موصى عليه مصحوب بعلم وصول قبل الجلسة المعينة للمحاكمة بعشرين يوما على الأقل .

مادة ٧٠ — لعضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب الاطلاع على التحقيقات التى أجريت وذلك فى الأيام التى يعينها له مدير الجامعة .

مادة ٧١ — تكون محاكمة أعضاء هيئة التدريس بجميع درجاتهم أمام مجلس تأديب يشكل من : —

وكيل الجامعة رئيساً .

مستشار من مجلس الدولة .

أستاذ من إحدى كليات الجامعة يعينه مجلس الجامعة سنويا .

ويحل أقدم العمداء محل وكيل الجامعة عند غيابه .

وتسرى بالنسبة للمحاكمة أحكام القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٥٨ على أن تراعى بالنسبة للتحقيق والإحالة إلى مجلس التأديب أحكام المادة ٧٦ من ذلك القانون .

مادة ٧٢ — العقوبات التأديبية التى يجوز توقيعها على أعضاء هيئة التدريس هى :

١ — الإنذار

٢ — توجيه اللوم

٣ — توجيه اللوم مع تأخير العلاوة المستحقة .

٤ — العزل من الوظيفة مع الاحتفاظ بالمعاش أو المكافأة .

٥ — العزل مع الحرمان من كل أو بعض المعاش أو المكافأة وفقا للقوانين واللوائح المعمول بها فى هذا الشأن .

وكل فعل يزرى بشرف عضو هيئة التدريس أو لا يلائم صفته كعالم مسلم أو يتعارض مع حقائق الإسلام . أو يمس دينه ونزاهته يكون جزاؤه العزل .

مادة ٧٣ — تنقضى الدعوى التأديبية باستقالة عضو هيئة التدريس وقبول مجلس الجامعة لها وموافقة الوزير المختص وذلك فيما عدا الحالات التى نصت عليها القوانين واللوائح الخاصة بالمخالفات المالية ولا تأثير للدعوى التأديبية فى الدعوى الجنائية والدعوى المدنية الناشئتين عن الواقعة ذاتها

مادة ٧٤ — لمدير الجامعة أن يوجه تنبيها إلى أعضاء هيئة التدريس الذين يخلون بواجباتهم أو يتصرفون تصرفا لا يلائم صفتهم كعلماء مسلمين ، ويكون التنبيه شفهيا أو كتابياً وله توقيع عقوبتى الإنذار وتوجيه اللوم المنصوص عليهما فى المادة ٧٢ ، أو يطلب نقلهم إلى وظائف أخرى خارج نطاق الأزهر وذلك كله بعد سماع أقوال عضو هيئة التدريس وتحقيق دفاعه . ويكون قراره فى ذلك مسبيا ونهائياً وعلى عميد كل كلية أن يبلغ مدير الجامعة كل ما يقع من أعضاء هيئة التدريس فى كليته من إخلال بواجباتهم أو بمقتضيات وظيفتهم .

مادة ٧٥ — تمنح جامعه الأزهر الدرجات العلمية الآتية وفقاً لأحكام اللائحة التنفيذية :

أولا : درجة الإجازة العالية للكليات ، وتعادل الليسانس أو البكالوريوس فى الجامعات الأخرى بالجمهورية العربية المتحدة .

ثانياً : درجة التخصص فى دراسة من الدراسات المقررة فى إحدى الكليات وتعادل درجة الماجستير .

ثالثاً : درجة العالمية فى أى الدراسات الإسلامية أو العربية من إحدى كليات الدراسات الإسلامية والدراسات العربية للحاصلين على الإجازة العالية منهما أو من غيرها من الكليات : وتعادل درجة الدكتوراه .

رابعاً : درجة العالمية أو الدكتوراه فى أى الدراسات العليا من أى الكليات الأخرى .

مادة ٧٦ — تبين اللائحة التنفيذية تفصيل الدرجات العلمية والإجازات التى تمنحها جامعة الأزهر والشروط اللازمة للحصول على كل منها ، ويجوز بقرار من رئيس الجمهورية التعديل فى الدرجات العلمية بالإضافة أو بالحذف ويكون ذلك بناء على عرض الوزير المختص وبعد أخذ رأى مجلس الجامعة وموافقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه .

مادة ٧٧ — تبين اللائحة التنفيذية مناهج الدراسة والمقررات التى تدرس لنيل الدرجات العلمية والإجازات والشهادات التى تمنحها جامعة الأزهر كما تبين كيفيه توزيعها على سنى الدراسة وفصولها الدراسية .

ولمجلس الجامعة بناء على طلب الكلية أو المعهد وموافقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه أن يعدل فى هذه المناهج والمقررات بالإضافة أو بالحذف إذا اقتضت مصلحة التعليم ذلك .

مادة ٧٨ — تنظم اللائحة التنفيذية الامتحانات ، ولا تمنح الدرجات العلمية أو الأجازات العالية أو الشهادات إلا من نجح فى جميع الامتحانات المقررة لكل منها :

مادة ٧٩ — يشترط لنجاح الطالب فى الإمتحانات أن ترضى لجنة الامتحانات عن فهمه وتحصيله فى كل مقررات الدراسة ، وذلك وفقا لأحكام اللائحة التنفيذية .

مادة ٨٠ — لمجلس الجامعة بناء على طلب مجلس الكلية أو المعهد أن يعفى طالب الأجازة العالية من المقررات الدراسية كلها أو بعضها عدا مقررات السنة النهائية ، إذا ثبت أنه حضر مقررات دراسية تعادلها فى كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة .

وللمجلس أن يعفيه كذلك من امتحانات النقل كلها أو بعضها إذا ثبت أنه أدى بنجاح امتحانات تعادلها فى كلية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة .

وللمجلس أن يعفى طالب الدراسات العليا من بعض المقررات الدراسية ومن امتحاناتها إذا ثبت أنه حضر مقررات مماثلة فى كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما أو أدى بنجاح الامتحانات المقررة .

مادة ٨١ — يشترط فى قيد الطالب للتحضير لدرجة التخصص أو لدرجة العالمية أن يحصل على إذن من مجلس الكلية فى متابعة الدراسات والبحوث الخاصة بالدرجة .

مادة ٨٢ — يشترط فى رسالة العالمية : « الدكتوراه » أن تكون عملا ذا قيمة علمية يشهد للطالب بكفايته الشخصية فى بحوثه ودراساته ويأتى للعلم بفائدة محققة .

ويشترك مجمع البحوث الإسلامية فى الموضوعات التى تتصل باختصاصه .

الباب الخامس

المعاهد الأزهرية

مادة ٨٣ — تلحق بالأزهر المعاهد الأزهرية المذكورة فى اللائحة التنفيذية ، ويجوز أن تنشأ معاهد أخرى بقرار من الوزير المختص بعد موافقة المجلس الأعلى للأزهر .

وتسمى الأقسام الابتدائية منها المعاهد الاعدادية للأزهر وتسمى الأقسام الثانوية المعاهد الثانوية للأزهر .

مادة ٨٤ — تقوم مدارس تحفيظ القرآن مقام مدارس المرحلة الأولى بالنسبة للطلاب المتقدمين إلى المعاهد الإعدادية للأزهر .

وتحدد اللائحة التنفيذية نظام القبول وشروطه بالنسبة للمتقدمين من تلاميذ هذه المدارس ومن غيرها .

مادة ٨٥ — الغرض من المعاهد الأزهرية الملحقة بالأزهر تزويد تلاميذها بالقدر الكافى من الثقافة الإسلامية ، وإلى جانبها المعارف والخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الأخرى المماثلة ليخرجوا إلى الحياة مزودين بوسائلها وإعدادهم الإعداد الكامل للدخول فى كليات جامعة الأزهر ولتهيأ لهم جميعا فرص متكافئة فى مجال العمل والإنتاج ، كما تتهيأ لهم الفرص المتكافأة للدخول فى كليات الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة وسائر الكليات ومعاهد التعليم العالى .

مادة ٨٦ — مدة الدراسة فى المعاهد الاعدادية للأزهر أربع سنوات ، يعد فيها

التلميذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين واللغة الحصول على الشهادة الاعدادية العامة أو الفنية .

مادة ٨٧ — مدة الدراسة فى المعاهد الثانوية فى الأزهر خمس سنوات يعد فيها التلميذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين واللغة للحصول على الشهادة الثانوية العامة بأحد قسميها العلمى والأدبى ، أو للحصول على الشهادة الثانوية الفنية بأحد أنواعها الصناعى والتجارى والزراعى وغيرها .

ويجوز أن تعدل مدة الدراسة فى الأقسام الثانوية الفنية بالزيادة أو بالنقص بقرار من رئيس الجمهورية .

مادة ٨٨ — للحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر حق الدخول فى المعاهد الثانوية للأزهر ولهم إلى جانب ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى المدارس الأخرى التى تجعل الشهادة الإعدادية شرطا للقبول .

وتحدد وزارة التربية والتعليم مدى التجاوز عن شرط السن بالنسبة لهؤلاء التلاميذ على أن يوضح ذلك فى اللائحة التنفيذية كما يجوز للحاصلين على الشهادة الإعدادية من المدارس الإعدادية العامة أن يطلبوا الالتحاق بالمعاهد الثانوية بالأزهر بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر .

مادة ٨٩ — للحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر حق الدخول فى إحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها وفق قواعد القبول التى يقررها مجلس الجامعة ، ولهم إلى ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى الكليات المختلفة فى الجامعات الأخرى ، وإلى سائر الكليات ومعاهد التعليم العالى وفقا للقواعد المقررة لذلك . كما يجوز للحاصلين على الشهادة العامة من المدارس الثانوية العامة أن يطلبوا الالتحاق بإحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر .

مادة ٩٠ — مع مراعاة أحكام المواد ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ من هذا القانون تحدد اللائحة التنفيذية المواد التى تدرس فى كل من المعاهد الإعدادية والثانوية للأزهر بناء على اقتراح لجنة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم . كما تحدد اللائحة التنفيذية شروط القبول والنظام العام للدراسة والامتحانات فى هذه المعاهد .

مادة ٩١ — يكون للمعاهد الأزهرية إدارة عامة مهمتها الإشراف والإدارة وعلى وزارة التربية والتعليم تقديم المعونة اللازمة فى هذا الشأن مع الاستعانة بالأجهزة المختصة بوزارة التربية والتعليم . وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا

القانون مهمة هذه الإدارة ونظام العمل بها واختصاصات مديرها وموظفيها ووسائل التعاون بينها وبين وزارة التربية والتعليم .

مادة ٩٢ — تشكل لجنة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم لوضع المناهج وتخطيط المواد الدراسية فى المعاهد الأزهرية وفقا لأحكام هذا القانون وتحدد اللائحة التنفيذية نظام العمل فى هذه اللجنة .

مادة ٩٣ — تجرى الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية بالاشتراك مع وزارة التربية والتعليم امتحانات الشهادات الإعـــدادية والثانوية بأنواعها المختلفة فى المعاهد الأزهرية .

الباب السادس

فى الأحكام الانتقالية

مادة ٩٤ — إلى أن يتم تنفيذ هذا القانون ويتعادل خريجو الأقسام الابتدائية والثانوية بالمعاهد الأزهرية مع نظرائهم من خريجى المدارس الإعــدادية والثانوية تنظم دراسات إضافية للتلاميذ المقيدين فى هذه الأقسام حين صدور هذا القانون لتأهيلهم لدخول امتحانات معادلة للشهادة الإعــدادية بالنسبة لتلاميذ الأقسام الابتدائية للمعاهد الأزهرية والشهادة الثانوية العامة أو الفنية بالنسبة لتلاميذ الأقسام الثانوية لهذه المعاهد.

وعلى وزارة التربية والتعليم أن تعاون فى تنظيم هذه الدراسات وأن تعد العدة لعمل امتحانات المعادلة المشار إليها فى ختام العام الدراسى ١٩٦١/١٩٦٢ .

ومع ذلك فإن من حق كل حاصل على إحدى الشهادتين الابتدائية أو الثانوية من هذه الأقسام دخـــول امتحانات المعادلة المشار إليها وفقا للنظام الذى تحدده اللائحة التنفيذية وينتهى العمل بهذا النظام بانتهاء العام الدراسى ١٩٦٥ / ١٩٦٦ .

مادة ٩٥ — يستمر قبول التلاميذ الحاصلين على الشهادة الابتدائية من الأقسام الابتدائية فى المعاهد الأزهرية هذا العام فى الأقسام الثانوية بهذه المعاهد وفقا للنظام الذى تحدده اللائحة التنفيذية وتعدل مناهج الدراسة بالنسبة لهؤلاء التلاميذ ، وللتلاميذ المعيدين بالسنة الأولى بالأقسام الثانوية على الوجه الذى يحقق التعادل فى آخر المرحلة .

مادة ٩٦ — ابتداء من العام الدراسى ١٩٦٢ / ١٩٦٣ وإلى ابتداء العام الدراسى ١٩٦٦ / ١٩٦٧ يكون للتلاميذ الحاصلين على معادلة الشهادة الإعدادية أو معادلة الشهادة الثانوية المشار إليهما فى المادتين السابقتين كل الحقوق المقررة للحاصلين على الشهادة الإعدادية أو الشهادة الثانوية سواء فى القبول بالمدارس والكليات الجامعية ومعاهد التعليم

العالى ، أو فى غير ذلك من الحقوق المقررة باللوائح والقوانين والقرارات ، مع التجاوز عن شرط السن إلى سنتين بالنسبة للحاصلين على معادلة الإعدادية وإلى ثلاث سنوات بالنسبة للحاصلين على معادلة الثانوية أو طبقا لما تحدد اللائحة التنفيذية .

مادة ٩٧ — الطلاب المقيدون فى كليات الأزهر الحالية ، والذين ينتظر قيدهم فى أول الموسم الدراسى ١٩٦١/١٩٦٢ ، تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون النظام الذى يتبع للملاءمة بين وضعهم وبين مقتضيات تطبيق هذا القانون .

ومع ذلك فإنه يجوز أن تزاد سنو الدراسة بالنسبة للطلاب المقيدين حاليا فى كليات الأزهر سنة أو سنتين بصفة مؤقتة لتحقيق هذه الملاءمة .

كما يجوز للحاصلين على الشهادة العالية من كليات الأزهر الحالية أن ينتظموا فى دراسات عليا فى جامعة الأزهر الجديدة للحصول على درجة التخصص أو العالمية ، وللذين يحصلون منهم على إحدى هاتين الدرجتين أو كلتيهما مثل الحقوق المخولة للحاصلين عليهما أو على الماجستير أو الدكتوراه من جامعات الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ٩٨ — يحتفظ للعلماء الموظفين الآن وللمدرسين فى أقسام الأزهر المختلفة وفى المعاهد الأزهرية وأعضاء هيئات التدريس فى كليات الأزهر الحالية وأعضاء جماعة كبار العلماء ، كما يحتفظ بأصحاب الحقوق من أولاد العلماء والطلاب فى الكليات والمعاهد الأزهرية والأقسام العامة بكل الحقوق المالية المقررة لهم قبل صدور هذا القانون سواء فى المرتبات أو فى المعاشات أو فى الأوقاف أو فى مدة الخدمة بالنسبة للموظفين ، أو غير ذلك . على أن تتضمن اللائحة التنفيذية لهذا القانون تحديد كل ما يتعلق بهذه الحقوق بالنسبة للذين يعينون فى الوظائف أو يلتحقون بأقسام الدراسة المختلفة مستقبلا .

مادة ٩٩ — تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون المسائل الآتية وغيرها مما وردت الإشارة اليه فى هذا القانون :

١ — اختصاصات شيخ الأزهر، ووكيل الأزهر ، ومدير جامعة الأزهر ، ووكيل جامعة الأزهر ، وعمداء الكليات ، والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، والأمين العام للجامعة ، ومدير الثقافة والبحوث الإسلامية ، ومدير المعاهد الأزهرية ، والمجالس المختلفة ، وذلك فى الحدود المبينة فى هذا القانون .

٢ — جدول المرتبات والمكافآت لشيخ الأزهر ووكيل الأزهر وأعضاء المجلس الأعلى للأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية .

٣ — كيفية إدارة أموال جامعة الأزهر .

٤ — شروط قبول الطلاب فى الجامعة .

٥ — نظام تأديب الطلاب .

٦ — كل مايتعلق بالمنح والمكافآت والإعانة الخاصة بالطلاب .

٧ — مناهج الدراسة .

٨ — مدة الدراسة ومدة الامتحان ومدة العطلة .

٩ — الدرجات العلمية والشهادات التى تمنحها الجامعة وشروط كل منها .

١٠ — القواعد العامة للامتحان .

١١ — مدة اشتغال الممتحنين ولجان الامتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم .

١٢ — الانتداب للتدريس .

١٣ — تحديد المكافآت المالية والمنح لأعضاء هيئة التدريس والمعيدين .

١٤ — نظام تعيين أعضاء هيئة التدريس والمعيدين وجدول المرتبات والمكافآت فى الجامعة .

١٥ — قواعد الشئون الاجتماعية والرياضية للطلاب .

١٦ — القواعد العامة للتنظيم الدراسى والإدارى فى المعاهد الأزهرية الملحقة وذلك فى الحدود المبينة فى هذا القانون .

مادة ١٠٠ — تصدر اللائحة التنفيذية لهذا القانون فى مدى أربعة أشهر من تاريخ صدوره ، ويعمل بها من تاريخ صدورها . وللوزير المختص إصدار مايراه من قرارات تنظيمية أو تكميلية مؤقتة تتعلق بشئون الأزهر وهيئاته بما لا يتعارض مع نصوص هذا القانون وذلك خلال الفترة التى تعد فيها اللائحة التنفيذية لحين صدورها .

مادة ١٠١ — ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ نشره

يبصم هذا القانون بخاتم الدولة وينفذ كقانون من قوانينها .

order to enter into a controversey with him. And sometimes, he directs his attacks against Arab Nationalism, and this confirms our views that the writer desires our advanced Arab caravan to halt. And sometimes, we notice him doing his utmost to attack the personality of presedent Nassir. He accuses him with individuality, or the dictatorship to break our confid-ence in our leader, hoping that this will bring him out of his hateful disease.

On a complete reading of the book, we are inevitably led to the conclusion that the primary motive of the author of this book was not to serve the cause of education as he purports to do but was surrepti-tious means to achieve the cause of Imperialism and the Imperialists. This is further evidenced by certain characteristics of the author himself such as :

1 — The hatred towards Islam by the author Mr. Raymond Chorlie.

2 — His hatred towards the Arabs.

3 — His enmity towards the Arab leader Gamal Abd El-Nassir.

On a careful Scruting of this book one is led to conclude that it has no relation either to science or religion. It is nothing but a plan envisaged by the colonialists and imperialists to draw one to a futile debate and argument through this writer. Indeed, the above mentioned chacastaristics of the author are manifest throughout his book and abounds with lies and prejudices.

In my poinion, the cecond hypo-thesis is borne out by the authors Statements. Surely, we must consi-der that the imperialists have endea-voured to the best of their abilities to destroy what has been construc-ted by the occupied countries through interference in their affairs which they consider their avowed duty and according to their speech as a matter of right.

Hence, it is not astonishing to find a situation when the imperialists divert the rivers of those countries where Dams and irrigation projects are under construction, It is no less a surprise also to see them influence the thoughts of those peoples to veer them in support of their policies.

Upon a consideration of all these facts, we are led to conclude that this book was primarly intended to distract the attention of Muslim authors who devoted themselves to spot light the current problems facing Muslim countries. It was intended to dissuade them from expressing their feelings and opinion and on the contrary to compel them to write and to listen to the dictates of London, Paris and washington just as Mr. Raimond Charlie has been influen-ced to direct the thoughts of the Muslim peoples to serve the cause of imperialists and for the benefits of imperialism.

the Muslim Society. They paid full attention to the stationary aspict, while ignoring the active one in their considiration. As a result, this leads to a bad out look with regard to the islamic world in one of its two aspects : either. because he cannot conquer the laziness, or because he cannot adjust the wrong direction.

The writer personal comparison:

If we suppose that the book contains teachings, we shall know that the fault has arisen not from out, but from itself.

As a matter of fact, Mr. Raimond Charlie does not write according to the freedom of thought and the dictation of the heart, as it is the duty of the writer who devotes his life and struggle for the service of science and fact.

Therefore, he compells us to doubt his scientifical ability and spirit, in spite of what is written in his book of the various knowledges. Consequently, we find that he contradicts himself in many parts of his book.

As for example :

He refers to in page 8. that Islam is the sol religion whose followers enhance daily in our present time. And at the same time, he states in page 79. that the religion of Mohamad is the only one threatened by the wave of secularity which is sweeping the world in our present time.

From this, we conclude that the writer either contradicts without paying any attention to it, or creates immaginative contradictions. For instance, he tries in the page 38. to show the reader his mistakes with regard to the spirit of Islam which means that God is over his creatures, and at the same time considers Him with them. Indeed, Mr. Charlie does not understand that the Muslims consider God over everything, and at the same time, believe that He is nearer to them than the vein of throat.

This shows that the writer has gone astray, and as a result, he compels us to ignore his views in view of his contradictions. He makes us feel that Science is not — merely— knowledges written in a book.

The second hypothesis :

If we consider that the book contains teachings, then it is indeed a misconception. Surely, we consider Mr. Charlie the man who sacrifices his conscience and his scicntifical honesty for the benefits of the imperialists. His aim is to distruct our attention from the field of construction to the square of debate and contradiction.

Sometimes, we notice throughout his writings that he criticizes Islam by a method wherely we can conclude that he is baiting us ni

Under these circumstances, we shall ask : Do the book of Mr. Raim- ond Charlie of any benefit to us ? I am sorry, if my answer is in the negative. Whether we appreciate it or not, I am quite sure that it has no benefits to us, and I think, it will not be of any benefit to the others as well.

The first hypothesis :

If we suppose that the book is for studying, we must admit that it contains the following three defects :

1 — The title.

2 — The method of treatment in the book.

3 — The personal Comparison of the writer throughout the book.

The wrong title :

As regards the title, the writer has repleced the term " Islamic Society " which is the Subject of his book, with the word " Islam ".

Our criticism will be futile, if this error, is merely a literal mistake. Nevertheless, it means that the writer, by using his special term, is following the footsteps of other European writers. The term leads them to an insensate change of the Subject, and this in turn leads to the mental confusion between the Islamic Social facts which are subject to rise and decline according to certain time factors, and the other facts of Islam which are unexposed to the evolution as we understand it.

This confusion leads us to judge religion by the crimes which are committed by its followers, or rather, to judge the virtues of the creator, by the misdeeds of the creature.

The Qur'an affords the right Solution in the holy verse "Whatever good (a man) Happens to thee is from they (own) Soul ".

The wrong method of treatment in the book :

Since the 19 th Century, in Spite of their culture which had accepted the evolution principle, either in physics Since the time of Darwen, or in Social and economical Sciences Since the time of Brodon, The European writers who Studied the Islamic Sciences, refused to apply the evolution of principles in their studies.

In this respect, we notice that the writers, like Mr. Raimond charlie Study the present Social Conditions of Islamic Society, not in the context of its historical evolution, but as a permanent condition which the Muslim Society, not only can not get rid of but is also destined to live it. This gives us a clear idea about the European writers and their misconceptions of Islam and Muslims. They believe in the evolution theory, but do not apply it in their studies of

THE EVOLUTION OF ISLAM

By

RAIMOND CHARLIE

CRITICISM AND COMMENTARY

BY

Prof. Malik Ben Nabi

Contents :

Part (a) The traditional Islamic Society.

1 — Man and Woman.

2 — Society and its regulations.

(b) The reformers and Modernists in Islam.

(c) Islamic Nationalism.

(d) The present evolution in the Society and Islamic regulations.

1 — The political evolution.
2 — The economical evolution.

3 — The Social evolution.

4 — The evolution of the law.

5 — The Cultural evolution.

6 — The evolution of the Waman.

(e) The evolution of present Morocco and Algiers.

(f) The factors of Islamic Rise.

(g) The future.

(h) Islam and Communism.

The general base :

We shall have misunderstood, if we consider that what the Orientalists wrote about Islam was to preach the Islamic virtues among their European Citizens.

As a matter of fact, the Orientalist who writes about Islam and Muslims, is urged by many motives which sometimes are of noble purpose, such as the profession urges the professor — as Gibb — to write, or the intellectual tendencies urge one to write merely as a scholar, as it is done by (FLOFAL).

The works of this scholar or that professor, sometimes benefits the Muslims. This is because one of them — whatever was his aim — enlightened some points that had an effect on Islamic society, while the other devoted his life to explain the words of the holy Qur'an to place within the hands of unmemorizer be that Muslim or non-Muslim.

connection Aisha, the prodhet's wife said "Your prophet has repudiated from those who divise the religion and wage was against each other, and then she recited His glorious saying " Those who splitted their religion and bacame sects, they will be judged by God who will tell them of what They have already done.

The ten commandments in the Koranic chapter of the cattles include a verse which says : Surely this is my straight path follow it and do not follow their pathes for they will lead you away from Him. Thus Allah exhorts you so that you may guard yourselves against evil the Muslim scholars Ahmed and El Nasaiy related that the prophet drew a straight line and said this is the straight path then he drew several other lines on both sides of the first one and said : "and those are all the ways of Satan who do his best in order that they may be followed then he recited the verse : "Surely this is my straight path follow it and do not follow their pathes for they will lead you away from Him" and the verse "do not be as those who disunited and disagreed among themselves after the revelation of our signs to them".

The Koran has taken great care of warning the nation against the disunity and the dissension because they are fatal evils that lead nations to an utter decay.

Then after we have given a summary of the bad effects of innovation let us hope that it will serve to prevent the innovators from innovating and urge them to recognize the genuine Prophetic way and follow them strictly.

May God lead us to the straight path.

and it happend that it was contradicted by three parties: the disbeliever contradicted it by denying it, its consealer contradicted it by his concealment and the innovator contradicted it by introducing the meanse to leave what God clarified and to conceal what He explained.

As for what be fall the innovator's followers it is their deprivation from recompense because they worshipped God by the innovations that he did not sanction or permit and because they postponed the prophetic traditions (ways) by their adoption of innovations the matter which made them participate in the complete disappearance of the religion. They will be severly punished for that as relates the verse " When they face their punishment the leaders will disown their followers, and the bonds which now unite them will break asunder. Those who followed them will say " could we but live again we would disown them as they have now disown us. Thus Allah will make them see their own deeds with remorse but they Shall never come out of the Hell ,, and the verse " On the day when their heads will roll in Hell they shall say would that we obeyed Allah and the Apostle, and they shall say Lord, we obeyed our masters and our great ones but they lead us away from the right path. Lord let their punishment be doubled, lay on them a mighty curse ". As for what be fall the religion itself because of innavotion, it is the ambiguity of many of ifs precepts and tenets and the distortion of its beauty. The occurring ambiguity leads to the desertion of the relgions and the distortion in its turn baves the way to its coutempt and neglection. This is clearly manifested in the innovation of the Sufi orders and the others that exhibit the religion in away imconsistent with its beauty and solimnity. Innovations may repeatedly propagate, substitute for, the religion and bacome the follwed religion. The more innovations prevail the more the religions fade away and this is how the previous religions have disappeared and how their followers were parverted from them. Therefore the Koran rebuked those who change the meaning of this words and conceal many of this precedts.

As for what befall the nation through which innovations dominate enemity and hatred will be instilled in the hearts of its people, because the followers of the innovations will do their best to plead them while the defenders of the prophetic way will guard it and present it purely and explicitly the mather which results in the division of the nation into parties and sects. The conflict between those sects may be so tense that they may excommunicate and kill each other. In this

them altogether. It was related that Hodhayfa (may God be pleased with him) had taken two stones and put the one on the other and said "do you see any light between these two stones ?" they answered "O son of Abd Allah we do not see between then but a trifle gleam of light" then he said "upon the name of my Lord who held my soul in his hand innovations will exist so densely that one will not be able to see of the truth except such slight traces" It was also related that the son of Abbas said : "As ysars pass on people shall add innovations and desert the prophetic tradition (way) till come a time when innovation reachs a comperhensive prevalence while the prophetic trditions are domed to an utter absence.

There existed genuine traditions that charge the innovatore of the complete responspility of his innovation and declare his deprivation of any reward for it. It was related that yahya son of yahya mentioned the hieghts (in the hereafter) and its people and said "they are poeple who aimed at some sort of good but missed" then it was said to him : "O father of Mohamed may it be hoped that their endeavour will be rewarded ?" he said "There will be no reward for the deviation from the prophetic tradition (way) and this is self-evident because no one could reach God's pleasure except by doing his religious obligations and enjoinments as they were prescribed. There will be no gurrdon beyond these. There also existed genuine tradition that states the innovator's deprivation from the intercession of the prophet in the day of judgement. In this concern the prophet said "the culbable and who soever defend him are accursed by God, the Angels and the whole people. El-shatby said "The innovator will share the curse with the apostate. He has no excuse so far as he acknowledged the truthfulness of the prohet and the comperhenssive explanation of God's revelation God said in this relation :"How God guide a people who apostated after they have acknowledged Mohamd's message . . . etc until his saying" theose are accursed by God, the Angels and the whole people.

The innovator is also like this who consealed what God had revealed and clrafied in his Book as is shown by the verse :"Those who conceal God's revelation in the book are to be accursed by God, the Angels an the whole people Conceive the subject of similarity between the innovator and the two mentioned parties, that is the contradiction with the devine legislator in the Book what He revealed and in the laws what He legislated. This is so because God clarified His religion to its followers

of deviation error and foolishness so accept what the knowing and pious had accepted before".

If the innovator sees that his innovations are for the good of the people in their religion he should be greiviously sorry for himself because of his attitude towards the innovations of whice error the devine legislator was completely aware if Innovation emplies this bad position in the two points of consideration namely,the usurpation of the right of legislation and, the assumption of the position of those who attripute infirmity and unperfectness to the religion. It leads people to believe in what is alien to religion and this is the deceiving confusion that duped many of the people of the scriptures and pervert them with many others from the way of guidance and wisedom in this connection the Koran adressed them saying "O people of the book ! Why do you confound the truth with the false and knowingly hide the truth ?" and "Some wrangle obout Allah though they have neither knowledge nor guidance nor devine revelation. They turn their backs in scorn and lead others astray from Allah's path. Such men shall incure disgrace in this life and taste the torement of Hell on the day of resurrection. "This" we shall say, "is the reward of your misdeeds. Allah is not unjust to his servants.

From this the innovator was both an errant who is responsiple for his own deed and a deceiver who is charged with the deeds of the followers of his innovation. In this aspect God said "Let them carry all their sins and a lot of the sins of those whom they dupe unknowingly" and the geunine tradition said "Who soever introduce a bad way is to be responsiple for its bad effects and for the sins of those who adopt it " Another tradition referred also to this saying " Whenever a soul is killed Man is responsiple for it because he was the first who commits this crime " This tradition bear a clear evidence that who legislate what displease God and his messenger is like the first Man in shouldering the responsipility of Killing the soul wrongly because the denunciation of killing is not only due to itsharmful nature but due to that it is also a bad action that disleapses God and does not consist with the prophetic way. If the innovator did not perceive the bad effects caused to the religion by his innovation, he would not have failed to recognize that he contributed to the killing of the prophetic traditions (ways) because it has been stated that the avoidance of innovaten is enjoined by the prophetic tradition (way) This is so because it is impossible to carry out

assigned only to God no matter whether it was aimed at by the innovator or not.

The Arab infidels had committed this usurpation as well as the scholars and monks of the people of the scriptures. They all were denouned by the Koran that related to us some of what the infidels had legislated saying in the chapter of cuttle "They say : These animals and these crops are forbidden none may eat of them save those whom we permit; so they assetr. And there are other beasts which they probibit men from riding, and there are others over which they do not pronounce the name of Allah, thus committing a sin against Him. Allah will punish them for their invented lies· They also say the offspring of these beasfs is lawful to our males but not to our females, But if it is still-born they all partake of it Allah will punish them for what they impute to Him he is wise and all-knowing" and in the chapter of bees "Do not falsely declare" This is lawful and, this is forbidden in order to invent falsehood about Allah. Those who invent falsehood about Allah shall never prosper" In the enterpretation of the verse "They adopt their scholars and preists gods other than Allah" it was said that they did not adore them but see their opinion so they conferred upon them the devine right of legislation.

No doubt the behaviour of the innvator in legalizing and illegalazing what he pleases without any proof, and in urgiug people to accept his innovations is the same as the behaviour of those who usurp God,s right of legislation. The innovator in this field is considered a usarper of the right of legislation assigned only to God. In this respect he poses himself in the position of that who assume either that the devotions revealed by God in order to enable his servants to approach Him are defficient and try to do away with this defficiency or that Mohamed peace be upon him has betrayed the mission of which he concealed some that would enable its adherents to approach the pleasure of their God. The leading scholar Malik has said in this regard : "Whosever invent a hertic in Islam is assuming that Mohamed petrayed the mission because Allah says : "This day I have perfected your religion for you" and that what was not a religion in that time is not also a religion to day.

Omar son of Abd El Aziz said in this letter to Adey son of Artah : "Follo the way of the prophet because it was adopted by those who knew what is emplied in its avoidance

As for the second cause of the propagation of innovation. namely the laxity of the scholars in explaining the Muslim jurisprudence. It is the resposibility of the scholars who gave their covenant to God to fulfil it, to explain to people what was revealed for them but they committed the guilty of leaving it unaccomplished.

The majority of the scholars neglected for a long time their religious duty upon which relies the maintainence of the religion clear from deformation. They neglected their duty either because of their incabability and fear of the majority's discontent or because of their indifference of the anonymous duty. They, in behaving so, follwed the saying : leave creature to their creator.) Their neglection may be attriputed also either to their heedlessness or their knowing that this duty was anonymously imposed duty which is characterized by the fact that if it is fulfilled by some the others will be relieved from it its obligation.

When the scholars were silent and when the people were accustomed to the scholars' silence and headlessness concerning whatever people do. People thought that what they do is the religion and it was difficult to drive them away from what they were accustomed to, to the right that they had deserted.

God has warned the scholars against trifling the explaination and neglecting the enjoinment of good and the prohibition of evil so enough to urge them to strive against the innovation wherever it existed and to do their best to defend their religion against the tempests of whims.

Let us hope that we will find in this artcle what drow our attention to our duty and rescue us from the woes that have befallen us.

The second chapter
The bad effects of innovation

If the bad effects of innovation do not affect persons other than the innovator its matter would be trifle and its losses could be tolerated.But the bad effects of innovation have amongst them that which affect the innovator and his followers, that which affect the religion and that which affect the nation through which prevails the innovation. The sort that affect the innovator is the usurpation of the right of legislation which is confined to God only, because the innovator assume that people are obliged to follow a certain innovation so he plead it and urge its application. In this aspect he put himself in the position of the devine legislator and this is a usurpation of a right

are not to permit ourselves to consider the tradition and leave the devotions and ways of devotions we are accustomed to.

This viewpoint propagated among people and made them follow the heretics and desert the way of the prophet. The innovators justify their behavior by repeating a famous quotation forged by the innovators themoelues so as to propagate their heretics this quotaiion says " This who imitate a scholar meet his God safe ". They forgot that imitaion is only allowed on condition that it should search for truth and be modified according to the trnth when it proved to be wrong. They also forgot that all the leading scholars warned their followers against the attachment to their opinion when there is a genuine opposing tradition. They also missed that this conduct was denounced by God in the holy Koran when He rebuked those who made it a religious principle to follow their fathers and ancestors and to reject the proofs of the mission.

This rebuked conduct is represented in the verse, " we have found our fathers following a faith and we are following their foot steps". They missed also that the adherence to the opinion of the scholars to such an extent is a sort of believing in a god other than Allah. This is the behaviour of the followers of scholars and monks as the verse says, " Tkey made their scholars and monks their Gods other than Allah". In this connection the followers of innovation missed that the consensus of opinions included in the sources of legislation must be followed.

Many people think that the actions of the majority especially if they were, followed throughout the successive gnerations, propagated among the different classes and prevailed in mosques, communities and scholars clubs, are a form of the consensus of our Muslim nation. And since it has been said that Muslim nation does not accept to follow an errant action these people said that what is acceted by the masses of people is not to be rejected even if there are contradicting proofs. However, this is a misunderstanding of what is meant by the consensus of opinion. Owing to this misunderstanding they adhered firmly not only to innovation but also to what are forbidden on the assumption that these are acceptable matters at have been sanctioned by the the scholars the matter which proved that they are lawful. Great unmber of innovations prevailed through this way such as the Saint's Fairs, congrigational (Dhikr) and to the liking of what are known be of the true religion while they are really alien to it.

which says : "Our knwoledge and religious science are kept and maintained by the fair adhernts through the successive generations who removed from them the disformity introduced by the exagerators, the inventions of the errants and the misinterpretations of the ignorence" In this tradition the disformity intreduced by the exagerators alludes to blind prejudice and rigidity, the invention of the errants alludes to the trust of the human mind and the misinterpretations of ignorance alludes to the ignorance of the sources and of the ways of their understanding.

The causes that lead to the Propagation of Innovation

The propagation of innovation is due to two things that jeopardize the integrity of the religions and expose them to deformation either by encreasement or by decreasement to their tenets.

The first of these two is the conficdnce in the falible being. The other is the laxity in explaining the Islamic jurisprudence as it was deliverd and planned by the prophet peace be upon him. It happened that we see many of those who belong to Sufi orders and see that they are ordered by their chiefs to do thing alien to Islamic laws. They may think that their chiefs' orders are legislations revealed by God to his priviledged servants, that their chiefs do not do except the right and do not say except the truth and that the known jurisprudence is assigned to the common believers while their practices and ways are also another jurisprudence special for the choosed faithfuls. So they follow whatever their chiefs say as if it wsre the nearest way to God's pleasure. The confidence in the falible being may also be seen in the case of the followers of the jurists who study their works and believe in their infalibility. They accordingly hold fast to all their opinions even if their is an original tradition different to their leaders, opinions. There existed people who exagerate in uplifting their scholars and composers by vertue of theire heritage of opinions and works. They believe in the rightousness of their chiefs' opinion saying : If their opinions were wrong they would not have been followed throuhg our the ages and would have been denied by the former scholar and leaders." They also said that we are not entitled to consider a tradition different from the opinions of the leading scholars or contradicting their established works because their scholars are more knowing than us and even more clever in understanding and interpretting the tradition. So we have nothing to do with it and we

misunderstanding of mind or thinking that mysteries are justifications for legislation, it is also caused by the desire to push away an abominable action or to do away with the indifference to certain desired religious actions.

Innovation may gain approval in order to pervert people from doing this prohibited actions on the allegation that practising such innovation is preferable to the open practice of the prohibited ones. Reading Koran loudly in the mosques is an example for these innovations. This reading aims at preventing people from speaking nosense in the mosques.

There is a sort of innovation aiming at the increasement of God's reward by means of overloading the muslim by making him does actions similar to devotions. This kind of innovation may sometimes take the form of annexing the unenjoined actions to the enjoined ones because these annexed actions exagerate in acheiving the religious object such as fasting without eating at midnight which dubles the suppression of soul aimed at by fasting, and sometimes take the form of choosing hard devotions not enjoined by God such as the continuous fasting, the avoidance of marrige and the performance of the secondary religious duties on the same level as the obligatory ones. There have come many warngs against these, let us offer an example to these the tradition which says : "I wonder why some people avoid the actions that I do myself, on my God's name I am the most knowing and God fearing of them and nevertheless I practise these actions". And the tradition which says : Do not exagerate in this religion lest God should impose hard obligations on you".

The prophet reproved Ibn Omar and the group who were not satisfied of the amount of his devotion and meant to perform the hardest of them. Some people were not aware of these warnings and invented devotions or ways of devotions. They practised these invented ones, enjoined their followers to practise them as if they were parts of the religion. They ignore that the real approach to God is attained by the rigorous attachement to His orders and laws. They ignore also that the ways of approaching God is limited to what was revealed by Him and delivered by His honest prophet. Their mentioned ignorance lead them to commit casuistries and disagree with God's religion, the matter which makes them forfeit God's reward because they were sinful. These above mentioned causes of innovations are all encompassed in the tradition

who knows all about his creatures. Accordin to this principle God has sent his messengers to reveal to peole what please their God and what assure their ultimate happiness, and to enable them to enjoy their share of good in the world and the hereafter.

There exsisted people who denied this principle, exalted the human mind and uplifted it over its real degree. They said that it is the divine guide for man. They trust its judgements in the revealed questions of which he can know nothing. They sought its aid in legislation and rejected the texts that does not appeal to it exagerating in that attitude and making it a principle in legisiation. Accordingly they accepted what is not permitted by God, what we do not know whether it pleases or displeases God. They were aided in their innovation by the fact that they are in research for the reason d'etre or motive of legislation and they alleged that these motives were aimed at by the religious legislation. So they introduce certain devotions according to these motives into the religion of God.

This is the approbation denounced by the Prophet and the religious leaders. The great scholar El slhafiy said in this connection "Approbation is a passion" and if it is permitted in religion there is no reason to deprive the illetrate thinkers from its appliance. In this case legislation would be permitted in every aspect of the religious life. Every one would have a legislation of his own. El-shafiy said also : "Who sees the acceptability of opprobation in religious affairs is legislating from his own side" He meant as the Rayyani said : "That who accepted approbation makes for himself a legislation other than that of God."

Many of the adhernts of Islam have fallen in innovation through the lately mentioned cause to the degree that many of the unknown aspects were rejected while they were enjoined by original traditons, such as the Path to Paradise, the Balance, the Resurrection of the body, the vision of God and the likeng of which conseption mind is incapable and lacking the means. According to to apprabation of the minor human mind many religious tenets were deserted under the pretext that there exsisted others which are more effective in realising their objects. Throug approbation many devotions have been increased. Such devotions were unknown to the eagerest person to approach God.

As innovation throuh trusting the human mind is caused by a

This sort of innovation prevails among these who are to obey kings wishes so as to aquire the rubbish of the world and enjoy it spleasures. The greatest number of tricks from which religion repudiates may belong to this sort. Ir is probable that the sultanic call for prayer and such liking innovations that do not exist except in praying with kings and sultans are examples of this sort so are the seremonial sending of clothes for Kaaba, the conogrigational night devotions called the revival of night and others which are characterised by the intention to satisly a kings desires or obey the advice of one of his retinue. These matters practised by the succesive generations gained prevailance amingst them and became in their opinion creeds for the sake of which they disown who denounce them.

The innovators who follow their desires belong in their bad condnct to those who are addressed by God's saying, "Do not sell my revelations for a paltry price and fear me." and by, "These who concealed Gods revelations in the book and purchase for them miserable prefit they swallow into themselves naught but fire, God will not address them in the Day of ressurretion, nor purify them. Grievions will be their penalty. They are the ones who buy error in place of guidance and tornment in place of forgiveness. Ah what boldness (they show) for the fire. This is becouse that God has sent the Book for truth and that who differs about the Book are in greivions cleavage." In fact following the desies devasts religion and do. Away with their good. Innovation inspired by it is the most sinful sort of innovation in the eye of God and the most criminal in connection with the truth. How whims deviate religions, change creeds and lead to utter abberration.!

Trusting The Human Mind in the Issues of Legislation :

God has sited limits for minds after which they can not conceive any thing. They are not capable of undetstanding every thing. There exist among things some which mind can not comperhend at all and some other things which it can only conceive superfacially. Minds though so inert do not concord in understanding the facts which they manage to understand. This is due to the difference of the individual faculties and means of conception. Therefore it is necessary as regards the questions inaccessible to mind to rely on a truthful teller who force mind to believe him by means of his convincing meracles. This condition is not fulfilled except in the case of the God's messenger because he is supported by the omni-scient God

"Don't you fear God on the side of a lover who has a buring heart that is broken for you".

There are several examples which clarify how many an innovation arised from the ignorance of the charactaristics of the Arabic language such as the ignorance of the caractaristics of vocabulary and style. The former scholars has agreed that the knowledge of the charactaristics of the Arabic language upon which depends the understanding of the Koran and the prophetic traditions is issential for permitting the practice of individual interpretation dealing with or approaching the religions texts.

As for the ignorance of the rank of analogy among the legislative sources, it is self - evident that it comes after the prophetic traditions. The ignorance of these facts resulted in that some people recoursed to it while there were genuine prophetic traditions that were overlooked by these people the matter which paved the way to innovation. The investigater of the jurists' opinions finds many examples for this sort such as the above mentioned analogy that was held by some people between the caller for the prayer and his listeners (hearers) in the matter of praising the prophet. Though there existed certain prophetic traditions enjoining the abstention from that, though the order of these traditions as you know is proir to analogy and though the tradition,:- " When you hear the caller for prayeretc." indicates by its style that the hearers are ordered to praise the prophet after the call for prayer.

Following The Human Desire In Issuing Legistative Articles,

The seaker for proofs may be dominated by certain desires that urge him to issue certain laws so as to realise his ends consequently he would have to submit the supporting proofs upon which he relies in his argument. Such an errent scholar may consider his desire to be so radical that he does not scruple to twist the texts to serve his desires and he would estimates the value of the texts according to their concordance with them. This is really an invertion to the question of legislation and a flagrant violation to the aim for which God revealed the texual proofs. The following of human desire is the main cause of deviation from God's straight path. Those who are meant by the Koranic verse that reads, "Who is more erreno than that who follow his desires unguided by God." and by the original tradition that reads, " He is still unbliever who does not subject his desire to what I came for."

which intruded into the religion things that are completely unknown to the formers. Let us mention here for example the tradition which says, "When you hear the caller for prayer call for prayer say as he says and praise me". This tradition is understood by some people as an order to the caller to praise the prophet after his calling without determining way to do that other than the same way of calling, namily in a loud voice. Accordingly, they assume that this tradition prooves the enjoinment of praising the prophet in the known way To proove that this tradition emplies an order to the caller himself they assumed that this is an order to all Muslims and the caller is one of them or that the prophet's saying, " If you hear . . . . . includes the caller because he hears himself. These two conseptions of the tradition show an ignorance of the arabic style in such matter because in the begining of the tradition the calledr is not included at all and he is not also included at the end because it is based on the begining.

Another example of that sort of innovation is the assumption that the prohibited part of the pig is its meat and not its grease because Koran prohibited the meat but not the grease. This is an innovation arising from the ignorance that the arabic word meat includes grease also.

Another example is saying of some scholars that God has a side, as proved by the Koranic verse. "Lest the soul should say woe is me in that I neglected towards God's side".

This is also another innovation attributed to the ignorance of fact that the Arabs did not use the word side to mean a part of the body in such a sentense.

The Arabs say this thing is little in the side of that meaning in comparison with that. The scholar El Razy has said in his exegisis, "Those who say that God has bodily parts submit the already mentioned verse as a proof. Beware that our proofs to deny that God has bodily organs are so unmeurors that there is no need for their repetition." After the Razy had mentioned several quotations of the ancestors about what is meant by the word side he said, "Be aware that the increase of that interpretation has no good in heartening the hearts or satisfying the thirst. So say the side is named so because it is a part of thing. Similarly the thing which is always related to another thing is also similar to its side. Because of this similarity between the relation of the body and its side and the relation of the thing to its constant quality, the use of the word side for both meanings is right.' Moreover the word side was used to mean both privilage and obedience As is shown by that poet's saying.

There is a tradition refering to this case which says: " God does not remove knowledge by removing it from the breasts of people but it is removed by the death of the scholars. When there are no scholars people would follow ignorant cheifs who would give judgments though they have no knowledge so they will dupe and will be duped." dealing with this matter came another tradition which says: "all the prophets who were sent by God to their nations before me have had followers who traced the way of their prophets and carried on their orders but after those came a successors who said what they did not do and did what they did not say, who so ever, struggled them by his hand was a believer, who so ever struggled them by his tongue was a believer, who so ever struggled them by his heart was a believer and there is no form of faith other than these.

As for the ignorance of how and where to apply analogy in legislation it has caused that people of the late jurist apply analogy in issues of devotion. By so doing they intruded into the religin what are completely alien to it and what are inconsistant with the traditins and conduct of the prophet (though their existed a need in doing these matters in the time of the prophet. The prophet himsely did not practise such matters regardless that there arose a need in doing and there was no hindrance againt doing them).

Let us Take the (acquittanee) atonement for prayers as an example. This atonement was likend to the atonement for fastng disregarding that the latter has its supporting texts while the former has not. Those jnrists did not stop in that matter at claiming the acceptabiliy of atonement of prayers but they went so far as to submit many casuistries to proove this aceeptability and to support their claim. This point of view would make prayer a mere form that has niether spirit nor effect.

This sort of innovatin is the queerest one, because it invents new principles and try to exclude the religious obligations. To achief this goal innovation and casuistry are resorted to.

Therefore we must name this sort of innovation the compound innovation that relieves its appliants from the religious obligations and entitled them to enjoy the same reward as these who believe and do good deeds.

As for the ignoranne of the lingnistic style it resulted in misunderstanding of the texts. The matter

fallowers. Seeing that the prophet warned the Muslims against this gaps and bitterly reproved all those who venture approaching them.

We saw after thorough investigation that the ways leading to innovation are either ways leading to its creation or causing its application and diffusion, we knew also that the Islamic jurisprudence has looked after both and alluded to the causes of each and prescribed the remidy that guarantee the purification of the religion and the integration of the nation. Should this remidly be applied well it would keep the religion immacule and perfect as it was revealed from God, delivered by the prophet and fallowed by its true adherents.

Innovation as we have already stated has three main causes.

1 — The ignorance of legislative sources and of the effective ways of understanding and locating the legislative items in the original main sources.

2 — Fallowing the human desire in issuing the legislative laws.

3 — Trusting the human mind in the aspects of religion.

(1) The ignorance of legislative sources and of ways of their understanding and location.

The main sources of religious laws are the Koran, the prophetic traditions and their . annexes namely analogy and concensus of opinions. Among these source the Koran came first followed by the prophetic traditions followed by the concensus of opinions which is followed finally by analogy.

It is a matter of fact that analog is not recourse to in the questions of devotions because analogy is based on the existance of some sort of similarity among the matters applicable to it while devotions are not by any means bound to this consideration but they are rigorously based on the absolute adoration and on the pure ordeal.

The inlets of voilation throug this factor are ascribed to the ignorance of the prophetic tradition, the ignorance of the feild of analogy, the ignorance of the linguistic style and the ignorance of the rank of analogy.

As for the ignorance of the prophetic tradition it includes the ignorance of the genuine traditions and the ignorance of the rank of the prophetic tradition in legislation. The first matter causes the disregarding of some laws supported by original prophetic traditions. The second may lead to overlooking some genuine traditions and to substituting innovation for them.

CAUSES AND BAD EFFECTS OF INNOVATION

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Many traditions attriputed to the prophet peace be upon him aim at the warning of innovation. The most famous of these traditions is that which says " Whosœver intrude into our religion that is not making part of it is to be disproved".

The real cause of innovations is the desire to create some sort of devotions. This created sort is not authentically ascribed to the prophet, and void of any considerable legislative proof.

In fact innovation is confined to devotions, so there are no innovations in customs or in the general ways of life.

Innovation in religion has causes leading to it and bad effects arising from its application. Wise men are to exert all their efforts to be away from doing things that have bad effects and to erect bars betwean themselves and causes of bad actions in order that they may not bractise such abominable things.

In dealing with the subject o innovation we shall clasify it into two chapters, one is dedicated to the clarification of the causes tha insue innovation and cause its propagation. The other is assigned fof exposing the bad effects of innovation.

The first chapter,

causes of innovation.

It is essential for every religion destined to remain clear from defects and void of disfiguring, to take care of knowing the windows through which violation infilterates its pure doctrine so as to shut them firmly particularly if this religion was founded on the base of generality to organize numerous peoples different in languages, customes and creeds.

So did our prophet Mohamed in his pure religion He perceived at the first step the ways through which corruption may intrude into the religion and prevail among its

co-operation, their leaders are visiting and consulting each other, the governments are doing their utmost to propagate the Islamic culture by means of spending money and holding conferences.

At present time, Al-Azhar graduates advisors and preachers, establishes colleges and institutes and publishes religious publications to light the way in front of people and to show them the right way. The several religious associations are defending the abiding messege and preaching it as well. The theologists and erudites are striving hard to serve the faith which is revealed to please mankind and to consolidate co-operation and peace,

The pulpit in the mosque, the loudspeaker in the brodcasting station and the print in the press are declaring the advantages and the ability of Islam in replacing the sat tanic society by the good one. The evil-ridder society composed of the two blocs : eastern communism and western capitalism. These two blocs are leading the world at the present time with thier money, science and Power. They led the peoples falsely and caused them much troubles.

The National Union forms Commitees of those who possess wen of ability and qualifications and who follow the guidance of God for the favour of the family, to promote the Society, to develop the wealth and to increase the power of the government.

The sprit of all those peoples is a part of the sprit granted by God to the good and faithful leadership which, united the people, revived the dead, destroyed the system of classes gave every one his rights and made — for the first time in the history of mankind — the revolution a merciful, constructive and peaceful one. Moreover, it obliterated the fear and hungry, ended the feudalism, raised the standered of living among the poor and humiliated the tyrants. Hence, the people smelt the breeze of freedom, and now, they can see nothing in front of them but the mercy of God.

---

imperialists face to face in a great battle. In this matter, it was following the saying of the frist islamic caliph — Abu Bakr — to the Islamic hero — Khalid Ben Al-Waleed when he sent him to Yamamah fighting "Fight them with weapons like theirs: sword to sword and arrows to arrows."

Islam is the religion of power because it — unlike the other religions — based on two pillars : religion and treatments. Worship makes people in permanent contact with God and leadership controls the relations between the leader and the people. Because of these two pillars, Islam is considered as a way which leads the one to be in peace with himself. It is the constitution which governs the society. But without a nation, there is no constitution, and without unity, there is no nation. The Unity depends upon the support of religious power. and secular authority.

The deterioration of the leader leads to, disunity, division of the nation and suspension of the law. And this will be followed by a reign of terror by a tyrannical government or the criminal imperialist. This will not only be the result, but the religion will be turned also into an immaginative worship in the ill-souls people or changed into soffism which has no relation with the secular life.

Hence, the light of Islam began to reappear and the rise of Muslims began in the United Arab Republic, especially because it is the first Islamic country which is encountered by the mercy of God, Who granted it the great reformer and guided him, to complete its liberation, to realize its freedom, to make the Unity of Arab its policy and the rise of Muslims its messege and to raise it to the standerd of the big nations in both, political and economical fields.

Consequently, Arabs and Muslims became aware of their excellent situation, their free homeland and the restoration of their authority and will. They remembered their previous similar condition, when they were the rulers and the leaders of mankind, when they guided humanity to the straight path by the message of God and governed it by the constitution of his prophet Mohammad. They realized that Islam had gone deep in their hearts, advised them to respect each other as if they are the members of one family, requested them to organize themselves at war for the cause of God, as in the same manner in their congregational prayers, and to direct their faces towards their aim as they direct them towards the holy shrine of Mecca.

Now, the Islamic nations are in

in the hearts of its followers they will leave the Qur'an and the prophetic traditions aside, and f ollow the falsehoods of liars. This will result in the abandonment of the religion in their hearts, and its guidance to be changed in their minds. Here the Saying of Ali Ben Abi Talib has its place, he said : "Surely, those people wear the religion as well as the one who wears a turned fur ".

They yielded to the destiny, and, as a result, they did not take any step to protect themselves against the dangers. Besides this they avoided to work depending upon the Fate and subjugating themselves to property and dignity. They believed in Governors and considered them vice-gerents of God. Those governors harnessed them for their personal benefits, used them for their low desires, humiliated them and put them under the mercy of the imperialists who tore their homeland into pieces and created artificial leaders and barriers amongst them. They also created a special flages and emblems for every nation, and then put them under their protection or custodianship.

But now, Islam has come back after the restoration of its strength which came back to it, after its people had believed and accepted its instructions and guidance, and further after the appearance of the faithful leader who possesses the ability to represent and protect it.

Without complete existence and liberal will, the belief of the people will not be perfect. Without high ability and guidance of God, the faithfulness of the leader can not be realized. Both, the high ability and the guidance of God had been gothered in both our people and our leader.

The past ten years of Nasser's revolution marked the end of imperialism which stunted our thought to think and obliterated our values. They were the end of the tyrannical govern ment which corrupted the manners and weakened the good motives. They were the commencement of : The National liberation which freed the souls and bred a new spirit into life, the popular government which worked for the benefit of the nation, the government which revived what is good from the ancient and established what is useful from the modern on materialistic, rational and spritual foundations. The government, which harnessed science to serve production, used the advices of religion for protection and placed the Arabs on a high pedestal.

This government was aware of the fact that victory in modern warfare depended on strength. Hence it made preparations and met the

THE REVIVAL OF ISLAM AND ITS ROLE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief



On the frist day of Moharram, the observer could see the precursors of Islam throughout the horizon of the Islamic east. It reappeared to obliterate the darkness out of Asian and African Continents. The revival of Islam guided Moslims to Know each other, to cooperate, to love their brothers in Islam and guided Muslim nations to be Connected and united as well. On the day, when blessings of God be granted to Muslims, Islam will regain its pristine position : Arab Nationalism, the Islamic union and moderate nation which enjoins what is right, forbids what is wrong, struggles in the cause of God and co-operate with all to consolidate world peace.

In this respect, the observations and criticism made by the late Sheikh Mohamad Abduh regarding the well known article of Hamouto, minister of the french foreign affairs, deserves mention. He Say " However deep may Islam lay forgotten, it must reappear one day. And whatever misfortunes had befollen it, it Should regain its feet once again ".

To day, God has willed his religion to return after a long absence, his light to reappear after a long period of darkness, and his constitution to come back and control mankind again.

As a result of the decadence of Islam for a long time, it no longer commanded the consciouss of the Individual or of the family and further its spirit failed to exert its influence in society or the functions of the goverm ment. This led to disintegration of the islamic opinion, the disunity of Muslims and the wheel of fortune to be tuened a gainst them.

As a matter of fact, Islam is the religion of power. It arises from the unity which is one of its cardinal principles and from the society which is found as a result of its propaganda. It will not surprise you to know that it is called "the religion of Monotheism".

If Islam loses the characteristic of monotheism and the unity of its society, it will be relegated to the worse position and the light of its guidance will be put out to make a room for darkness. If Islam becomes faint

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ١ ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثالث — ربيع الأول سنة ١٣٨١ هـ — أغسطس ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

على بئر أريس

من ذكريات ربيع الأول في طيبة

بقلم : أحمد حسن الزيات

في غداة ضاحية من غدوات شهر ربيع الأول، وفي درب هادئ من دروب طيبة المقدسة، خرج الرسول صلوات الله عليه إلى ظاهر المدينة يطلب الخلوة إلى نفسه، والجلوة عند ربه. وكان صاحب الغار المهجور من جبل النور لا يزال يستحب العزلة، ويستطيب الوحدة، إمعانا في القرب من الله بالفكر والذكر والتأمل، فجعل وجهه إلى غربي المدينة تلقاء مسجد قباء، ومشى وحده تحوم عليه العيون وتهفو إليه القلوب من وراء الجدر وعلى حواشي الطريق وهو مطاطئ الرأس مطمئن النفس حتى بلغ بئر أريس (١).

وكانت هذه البئر العذبة الرحبة تستكن من الريح والشمس بظلة من جريد النخل لها باب منه، وتنظر إلى حقول خضر وبساتين

---

(١) حديث بئر أريس الذي جعلناه لبا لهذا المقال رواه البخاري ومسلم.

فيح تستمد من مائها المعين النماء والخصب ، فهي مستراض ومستراح ومنظر . دخلها الرسول على عادته فى كل يوم اثنين دخول المعتكف المسجد ، فتوضأ وصلى ثم جلس على قفها [1] وكان طوله ثلاثة أذرع ، واستغرق فى عبادة صامتة لا يتخالجها أمر من أمور الدنيا ولا شأن من شئون الناس . ومثل هذه العبادة الروحية النبوية التى تصل الرسول بالله ، والأرض بالسماء ، والشريعة بالحقيقة ، والمحدود باللامحدود ، لا يستطيع أن يدرك كنهها العقل القاصر ، ولا أن يبلغ وصفها البيان الناقص . وما كانت عبادة النبى فى بئر أريس بعد الهجرة إلا معنى من عبادة محمد فى غار حراء قبل البعثة ؛ استيحاء لحكمة الله وقدرته أن يؤيد دعوته بروحه ، وأن يجمع أمته على كتابه .

* * *

وكان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قد أصبح ونيته معقودة على أن يلزم الرسول عامة يومه ؛ جلاء لصدره من صدأ الدنيا ، وصفاء لنفسه من كدر العيش ، فطلبه فى مسجده فلم يجده ، فسأل عنه فقيل له اتخذ طريقه إلى حى قباء ، فما زال يتقصص خبره وأثره حتى تأدى إلى بئر أريس ، فدخلها فوجد الرسول جالسا على قفها وقد كشف عن ساقيه وأدلاهما فيها . فسلم عليه ، ثم عقدت لسانه الهيبة والجلالة فارتد إلى الباب وهو يقول لنفسه : لأكونن بواب الرسول هذا اليوم .

وما هى إلا هنيهة حتى دفع الباب دافع . فقال البواب الأواب : من بالباب ؟ فقال أنا أبو بكر ، فقال أبو موسى : يارسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن عليك ، وكان صاحب الدعوة حينئذ يستحضر فى ذهنه ما لقى فى سبيلها من البلاء فى نفسه وفى أهله وفى صحبه . وقد تمثل فى خاطره وفاء المهاجرين بعهدهم إلى الله ، واحتمالهم الغربة والفاقة والقلة والأذى ابتغاء مرضاته ، فأكبر ما فعلوه وما بذلوه ، وما هو إلا أن سمع أبا موسى يذكر اسم صديقه فى الدار وصاحبه فى الغار حتى قال له ائذن له وبشره بالجنة ، فلما أخبره بالإذن والبشرى دخل فجلس عن يمين رسول الله فوق القف وحذا حذوه ، فكشف عن ساقيه وأدلاهما فى البئر ، ورجع الأشعرى إلى مقامه بالباب ، وكان قد ترك أخاه يتوضأ ليلحق به عند الرسول ، فقال فى نفسه : إن يرد الله خيرا بأخى يأت به ، يرجو أن ينال من هذا الفيض النبوى ما ينفعه فى آخرته ، ولكن

[1] قف البئر : الدكة التى تقام من حول رأسها .

الله أراد هذا الخير لعمر ، فقد كان فى تلك اللحظة وراء الباب يحركه ، فلما قال أبو موسى فى سرعة ولهفة: من هذا؟ قال أنا عمر بن الخطاب ، فقال له: على رسلك يا عمر، ومضى إلى الرسول يستأذن له فقال له عليه صلوات الله وسلامه: ائذن له وبشره بالجنة! فدخل عمر وجلس على القف عن يسار الرسول وصنع ما صنع، وعاد الأشعرى إلى الباب يتسمع من ورائه أن تدب رجل أو يند صوت رجاة أن يكون أخوه قد قدم . فلم يمض غير يسير حتى لقلق الباب إنسان ، فخفق فؤاد أبى موسى وضاء بالأمل وجهه ، وصاح من القادم؟ فقال: أنا عثمان بن عفان ، فاستأناه وعاد إلى الرسول يستأذن له ، فقال من اصطفاه الله لحمل رسالته وارتضاه لعلم غيبه : ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه ، فلما بشره وأنذره دخل الشهيد على الثلاثة فلم يجد معهم مجلسا على القف . فتحول حتى جاء قبالتهم من الشق الآخر وجلس، ثم كشف عن ساقيه وأدلاهما فى البئر .

وهكذا شاء الله أن يجتمع فى هذه البئر الباضة بالخير ، النابضة بالحياة، فى وسط هذه الرمال القاحلة والصخور الصلدة، خمسة نفر كان لهم فى حياة العروبة أثر بالغ، وفى تاريخ الإنسانية خطر أبلغ: خليفة الله الذى قاد بنوره ركب البشرية التائه العامه فى الطريق الأقوم إلى الغاية الأكرم ؛ وخليفتا الرسول اللذان حملا دعوته من بعده فلأما صدعها يوم السقيفة، وقويا ضعفها سنة الردة ، ونشرا ضوءها وراء الجزيرة ؛ وخليفة الشورى الذى صدقت فيه نبوءة الرسول فأصابته البلوى التى فرقت الكلمة ومزقت الأمة ؛ وقاضى التحكيم الذى داهاه ابن العاص وداوره حتى حكم حكما جعلت نتيجته الخلافة خلافتين، والأمة أمتين، والدين المحكم القيم اثنتين وسبعين فرقة!

* * *

على أن بئر أريس كانت لها فى حياة الخليفة الثالث دلائل خاصة . فجلوس الرسول والعمرين معا على شق ، وجلوسه منفرداً قبالتهما على شق ، تأوله سعيد بن المسيب باجتماع قبور الثلاثة فى حجرة عائشة وانفراد قبره هو فى موضع آخر . وإنذار الرسول إياه بالبلوى التى أصابته وأصابت المسلمين معه كان طائفا من الهم يعتاده الحين بعد الحين فلا يصرفه عنه إلا اعتقاده الوثيق بالله ، وإيمانه العميق بالقدر ، وإمضاؤه النية على الجهاد فى سبيل الله بماله ونفسه . ثم سقوط الخاتم النبوى من يده فى هذه البئر كان نذير شؤم ومنار قلق ؛ فقد كان محمد خاتم النبيين قد اتخذ خاتما من فضة جعله فى يده بقية حياته ، ثم كان

فى يد أبى بكر مدة خلافته، ثم تختم به من بعده عمر، ثم انتقل من يده بعد مصرعه إلى يد عثمان. فكان معتزاً به حريصا عليه ، حتى ذهب يوما إلى بئر أريس يجلس فى مجلس الرسول وينعم بذكرى يومه فيه . وكانت هذه الزيارة ديدنه كما كانت ديدن الصديق والفاروق منذ اجتمعوا فيه برسول الله . فأخرج الخاتم من إصبعه وجعل يعبث به فسقط فى الماء . واختلف هو والناس إلى البئر ثلاثة أيام ينزحونها ويبحثون فيها فلم تقع يد عليه ، كأنما ضنت به الأرض فابتلعته ، أو تاقت إليه السماء فرفعته ، فاكتأب عثمان ووقع فى نفسه أن قوة كانت تسنده غابت فى الماء ، وأن نورا كان يرشده تبدد فى الريح ، وأن الخاتم النبوى كان فى يده عقدة تمسك عليه الناس ، وتريض له الأمر ، فتمضى خلافته كما مضت خلافتا الشيخين فى وحدة لا تشت ، وعروة لا تنفصم ، وسبيل لا تجور. فلما سقط منه فى البئر وأعجزه الحصول عليه لم ييأس من روح الله ، ولكن شكا اختلج فى نفسه الراضية المطمئنة ألا يكون كعمر بطل السقيفة ، وأبى بكر بطل الردة ، صلابة رأى وصرامة عزيمة ، ففوض الأمر إلى بعض أهله فحكموا الناس بالهوى وفرقوهم بالعصبية، وساسوهم بالمحاباة، حتى اضطرب الحبل وشاعت الفتنة وقتله الثوار فى داره وعلى مصلاه قتلة لا يزال يرعد من هولها الدهر .

كانت هذه الدلائل رموزا من لغة القدر خطها على صفحة وجهه وفى صحيفة حياته يوم جلس وحده تجاه الرسول وصاحبيه على بئر أريس ، فسرتها الأحداث رمزا بعد رمز ، وكابدها بمول جيش العسرة دلالة بعد دلالة . وما كانت فراسة الرسول الكريم فى عثمان ومآله سواء أكانت إعلاما من الوحى أم إلهاما من الروح إلا دليلا على ألمعية فى القائد الأعظم تكشف ما استكن من سر الطباع ، وتعلم ما استسر من عقبى الحوادث ، ولولا هذه الألمعية المستمدة من علم الله أو من لقانة الرسول لما تسنى لصاحب الرسالة أن يختار أسنادها وأمدادها من هذه الصفوة القليلة من المهاجرين الذين غرس فى قلوبهم البذرة ، ووضع فى أيديهم الشعلة ، وألقى على كواهلهم التبعة ، ثم لحق بالرفيق الأعلى وهو ينظر إليهم من ستور النور وهم يرفعون مسجده فوق إيوان كسرى ، وينصبون منبره على عرش قيصر ؟

أحمد حسن الزيات

عيد الثورة التاسع عيدان :

عيد الإصلاح الدنيوى و عيد الإصلاح الدينى

للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

ما أقوى الأمم التى ترسم لنفسها الطريق الذى يوصلها إلى أهدافها السامية ، وتحدد معالم العزة التى تريد أن تتبوأها ، ولن تستطيع أمة أن تصل إلى هذا إلا إذا اكتملت لها شخصيتها المعنوية التى تضمن لها الرأى السديد والوجود المعنوى . والأمم التى تكاملت لها هذه المعانى هى الجديرة بالحياة ، لأنها التى أحاطت بمعانى الحرية وأدركتها ، وهى فى الوجود من أقوى عناصر القوة والخلود .

ومن ثم يهيىء الله فيها شعبا واعيا ويصنع على عينه رجالا أحراراً يأبون الضيم ، ويضحون من أجل أمتهم بما يحقق لها الأمل الذى ترجوه . وقد يخبو شعاع هذه الشخصية المعنوية فترة من الزمن ، فتعيش فى هوان وضعف ، وفى قلة وذلة على الرغم مما هى فيه من كثرة فى العدد حتى لتتهافت عليها الأمم المستقلة المستعمرة كما تتهافت الأكلة على قصعتها ، بيد أن الأمم ذات الماضى العريق والمجد الخالد لا تستمر كثيراً فى حياة الاستعباد بل سرعان ما تنبت تربتها الطيبة نباتا حسنا من أبنائها يأخذ بيدها ويعيد إليها قوتها .

ولقد أتت علينا عهود أصبنا فيها بانتكاس فى حياتنا فتزلزلت فينا قوى الإيمان والعمل فى تنمية شخصية الأمة حتى جمدت عن الإنتاج ، فانكمشت القوة وساءت الإدارة واستولى الأعداء على منابع ثروتنا وعلى جهاز قوتنا ، وعلى وسائل ثقافتنا ، وأعانهم علينا قوم آخرون منا نفثوا سمومهم فأضاعوا المعانى الروحية التى ربانا عليها ديننا ، وتلقيناها عن آبائنا وأجدادنا ، وبذا جعلوا منا أمة أشتاتا وشعبا متفرقا حتى عشنا حيارى لا نعرف لنا مصيراً فى ظلمة حالكة لا ترى فيها نوراً ، حتى شاء الله أن يبدد هذه الظلمة ، ويكشف عنا هذه الحيرة ، فكانت ثورتنا المباركة ثورة ٢٣ يوليو فأتم الله علينا بها نعمته ، بأن جعل ولاة الأمر فينا من أنفسنا . لقد كانت ثورة الحق على الباطل ، والعدل على الظلم ، وثورة الحرية على الاستعباد ، فآمن الناس بأن الباطل مهما طال أمره واشتدت وطأته وقويت عناصره فهو أمام

الحق والعزم القوى والإيمان بالله خائر العزيمة مفكك الأوصال مهدم البنيان، وأن مصيره إلى التلاشى والزوال.

«فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض».

وقد أراد الله الخير لهذه الأمة حين أحياها بهذه الثورة المباركة؛ إذ كانت بشير خير وبركة علينا وعلى الناس أجمعين؛ فنشرت الحرية بين الناس، وفتحت لهم أبواب الخير بما مكنت لهم من مشاركة فعالة فى الرأى وفى الحكم.

وإذا كنا اليوم نحتفل بالعيد التاسع لهذه الثورة، فإننا لسعداء بالحرية التى نعمنا بها والإنتاج فى كل جانب من جوانب مجتمعنا، حتى حقق الله لنا الاكتفاء الذاتى فلم نعد عالة على أمة من الأمم، ولا ذيلا لشعب من الشعوب، لا نميل إلى شرق ولا إلى غرب إلا بقدر ما يحقق السلام الذى يدعو إليه الإسلام. وبذا غدونا أمة وسطا جديرة بوصف الله تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس» وإذا كانت ثورة الإيمان على الشرك قد حددت موقف المؤمنين من المشركين: «إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» فقد كان من فضل الله على ثورتنا أن حددت موقفنا من الاستعمار، وكما أراد الله أن يطهر أرض مكة من الشرك ولوازمه، طهر أرضنا من الاستعمار وتوابعه وبذا تبدلت حالنا وازدهرت نهضتنا وتعلق بنا إخواننا فى جميع أنحاء الأرض فكانت جمهوريتنا لهم نعم الأم الرءوم وبلدنا لهم نعم البلد الطيب.

وإنه لمن يمن الطالع أن يجتمع لنا فى عيد ثورتنا التاسع عيدان اثنان: عيد ثورة الحق على الباطل، وعيد ثورة علمية تجلت فى تنظيم الأزهر وهيئاته. هذا الأزهر الذى أنار للعالم طريق العلم والمعرفة ألف عام وعشرين مما ربط به قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

إن هذا التنظيم لهو خير وبركة؛ لأنه تمكين للأزهر من أداء رسالته، وإننا به ـ نحن المسلمين والعرب ـ لنستأنف طريقنا بإذنه تعالى إلى الغاية التى نهدف إليها ونسعى من أجلها، مترسمين خطا قائد نهضتنا الواسعة الشاملة، ونحن أشد ما نكون تماسكا وأقدر على أداء الرسالة التى جعلها الله أمانة فى عنقنا: رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. وعلى قدر حرص أمتنا على الأزهر ورسالته يكون حرصها على دين الله وتمسكها به وحفظها لأصوله، ورعايتها لمبادئه. وإن الأمم الإسلامية التى لا تفتأ تذكر الأزهر وتتعلق به لترجو من وراء هذا الإصلاح الخير الوفير

(البقية على الصفحة التالية)

درس من جزيرة مالطه

للأستاذ عباس محمود العقاد

اللغة المالطية « لهجة لغوية » لا يزيد عدد المتكلمين بها على ثلث المليون هم أبناء الأرخبيل المعروف بأرخبيل مالطة، ولكنها تزود علماء اللغات بمادة غزيرة لتحقيق آرائهم ونظرياتهم ؛ لأنها لهجة مستقلة تنعزل بشواهدها الحية على كل تطور يعرض للهجات بين الاتصال والانفصال وبين الاختلاط والاستقلال ، ويكاد أثر العوامل المختلفة فيها أن يتراءى للنظر كأنه عرق بارز يتخال بنيتها ولا يغيب عن النظر حيث يجرى فى مجاريها فليس فيها عامل من عوامل التطور يلتبس بعامل آخر كما يحدث فى أكثر اللغات المعروفة .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

فى دينها ودنياها ، ولما كان للأزهر مكانته العالمية التى جعلت أنظار العالم الإسلامى والعربى تتجه إليه ، وكان فى نفس الوقت حبل الترابط بين جمهوريتنا العزيزة من جانب وبين الشعوب الإسلامية والعربية من جانب آخر ، وبالتالى كانت القاهرة قبلة الدراسات لتلك الشعوب ، وحسب الناس جميعا أن يعلموا أن البعوث الوافدة إليه تمثل أربعا وخمسين جنسية ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وكلهم يجتمعون على صعيد واحد فى الأزهر الشريف مما يوحد بينهم ويقرب بين غاياتهم وأهدافهم .

لذا كان ضرورة أن تجتمع الخبرة والدين على الوجه الذى اشتمل عليه هذا الإصلاح حتى يؤدى الأزهر رسالته فى نهضة الشعوب الجديدة ويحقق رغبات هذه الشعوب : فى الدين والبناء والإنتاج ، والإصلاح .

وإننى بهذه المناسبة لأدعو الله لكل من وضع لبنة من لبنات إصلاح الأزهر وتمكينه من رسالته مخلصا لدينه راجيا الخير لهذه الجامعة العتيدة ، كما أدعوه سبحانه أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ، وأن تأتى ذكريات ثورتنا بكل جديد يشد أزرنا وينصر ديننا ، ويعلى كرامتنا . « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » .

محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

كان لها سكانها الأصلاء قبل التاريخ ، ثم سكنها الفينيقيون فالقرطاجيون من سنة ألف وخمسمائة إلى نحو سنة مائتين قبل الميلاد فغرسوا فيها أصول « النطق » السامى التى مهدت المكان بعد أكثر من عشرة قرون لغلبة اللغة العربية على ألسنة أهلها ، وتردد عليها أبناء أوربة الجنوبية من اللاتين والفرنك فى أثناء ذلك ، فدخلتها مئات الكلمات الإيطالية والإفرنجية ، ولا سيما الكلمات التى كانت تشيع فى جزيرة صقلية .

وقد ملكها العرب وبقيت فى حوزتهم من سنة سبعين وثمانمائة إلى سنة تسعين وألف للميلاد ، وهى السنة التى أغار فيها النورمان على الأرخبيل فملكوه وحكموه ، وبقيت فيه طوائف عربية إلى أوائل القرن الثالث عشر للميلاد أجلاهم عنها الامبراطور فردريك عاهل صقلية المشهور .

ولكن العرب تركوها وتركوا لغتهم فيها يتكلم بها أبناء الجزر المسيحيون كما كانوا يتكلمون بها وهم يحكمونها ويستخدمون العربية فى مخاطباتها الرسمية وإدارة دواوينها .

إلا أن لغة الحديث فيها كانت لهجة « عامية » لا ترتقى إلى طبقة الفصحى ولا تهبط إلى لهجة السوقة بعد بضعة قرون ، ولم يكتب بها المالطيون شيئا فى مصنفات الأدب أو العلم طوال القرون التالية إلى أواخر القرن السادس عشر ، ثم ظهرت فيهم بواكير التصانيف الأدبية والعلمية فكتبوها بلهجتهم العامية التى أضيفت إليها أشتات الألفاظ والتراكيب من اللغات الدخيلة ، بعد توالى الحكام عليها من الإيطاليين والفرنجة ، ولا يزالون يكتبون بتلك اللهجة بعد إضافة الدخيل إليها من الفرنسية والانجليزية ، على أثر حكم الفرنسيين والانجليز لتلك الجزيرة ، وقد سقطت منها الحروف المميزة للنطق العربى ، ولا سيما الصاد والظاء .

صدرت فى السنة الماضية مجموعة حسنة من مختارات الأدب الحديث فى اللغة المالطية ، وترجمت إلى اللغة الانجليزية ومعها بعض أصولها مكتوبة بالحروف اللاتينية ، وعنى مترجمها الأستاذ « آربرى » المستشرق المعروف بتمثيل الأدب الدارج والأدب المهذب فى هذه المجموعة بموضوعاته المنوعة ، فاحتوت مجموعته نخبة من الأمثال السائرة كما احتوت أنماطا من « الحكايات » المنثورة وأنماطا منوعة من الشعر الغنائى ، وهو فى المصطلح الغربى يشمل الشعر العاطفى كله وإن لم ينظم للغناء .

يطالع القارىء العربى هذه المختارات فيرى الكلمات العربية تتردد فى كل سطر من سطورها المنثورة وكل شطر من شطورها المنظومة ، وقد نقابل بين مفرداتها ومفردات اللهجات العامية فى مدن السواحل عندنا فلا نرى فرقا كبيراً بينها من حيث العدد إذا رجعنا بها إلى

أصولها العربية ، فقد تبلغ الكلمات من هذه الأصول سبعة أعشار المعجم المالطى الحديث، وقد أحصى أحد هذه المعجمات فقاربت كلماته عشرة آلاف ، منها نحو سبعة آلاف يفهمها القارئ العربى بغير جهد أو يفهمها بجهد قليل بعد المقارنة بينها وبين الدخيل من قبيله فى لهجاتنا العامية .

لكن الملاحظة الأولى التى يستفيدها دارس العلوم اللغوية من مطالعة اللهجة المالطية هى أن اللغة تفهم بالعلاقات بين مفرداتها فى الجمل قبل أن تفهم بحفظ كلماتها المنفصلة فى المعجمات .

فالقارئ العربى يفهم الجملة القصيرة بلهجتها المكتوبة فى المالطية ولكنه يفهمها على الأكثر بالقرينة إذا فهم الكلمة المهمة من أسمائها وأفعالها .

أما الصفحات المطولة فهى على الجملة أشبه باللغة الأجنبية بالنسبة إلينا ، وليست هناك مشابهة بينها وبين الكلام العامى مهما يبلغ من طوله فى لهجة من لهجاتنا الكثيرة ؛ فإن هذا الكلام لا يخفى علينا وأن خفيت مصطلحاته التى تتغير بين قطر وقطر فى ثنايا تراكيبه ومفرداته .

وأقرب ما تشبه به اللهجة المالطية بالنسبة إلينا أنها كاللغة الإيطالية أو الأسبانية بالنسبة إلى المعارف بالفرنسية أو الانجليزية فإن تشابه المفردات بين هذه اللغات قد يساعد على فهم الجمل القصار ولكنه لا يغنى كثيراً فى فهم المطولات ولا فى فهم التركيب الذى تختلف فيه قواعد التقديم والتأخير وخصائص القياس والشذوذ .

ومما يلاحظ فى هذه المجموعة أن الأمثال الموزونة أقرب إلى الفهم من الجمل المرسلة ولو تساوت فى عدد كلماتها .

وهذه نماذج من تلك الأمثال يظهر أنها حفظت بوزنها فلم تتبدل بما طرأ على اللغة من الزيادات الدخيلة .

يقولون فى أمثالهم :

« الله فينا إضافية ، كل ما يعمل علينا ، كل ما نعمل عليه » .

ويقولون :

« مين يرقوت (يرقد) مايقبضنش حوت » .

ويقولون :

« بدم الفقير ، جيد قط ما يصد » ،

ويقولون :

« واحد يموت فى سكرة والثانى يموت على قطرة » .

ويقولون :

« أخير هربة من كربة » .

ولا يصعب فهم الأبيات المقفاة إذا كانت منظومة فى أوزان قريبة من الأعاريض العربية ، ولكن المنظوم منها على قواعد التقطيعات الإيطالية أو الأوروبية على العموم

قلما يفهم موجزا ويتعذر جداً أن يفهم إذا جاوز البيتين أو الثلاث .

وهم ينظمون الشعر اليوم على مذاهب مختلفة :

فمنهم من يفضل النظم بالإيطالية أو الانجليزية لفظا ووزنا ، ومنهم من يختار النظم باللهجة المالطية فى أوزان أوربية ، ومنهم من يوحد القافية ويميل إلى الأوزان التى تقترب من الأعاريض العربية ويسهل نقلها إليها ، وهؤلاء هم أقرب الشعراء معنى ولفظا إلى قراء اللغة العربية الفصحى أو العامية .

ومن أمثلة الشعر الموزون الذى يسهل فهمه هذه الأبيات على لسان محب ينوى السفر :

حنينة إصابر انسافر
يا حسرة ما تخدوكش معاى
لك الله يعطيله الصبر
ويضحك فى « محبة وياى ؟ »

ولكن هذا الضرب من النظم يلحق بالأغانى الشعبية المحفوظة ويحكيها فى موضوعاتها وأوزانها ، ويندر أن ينظم فيه شعراء العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر ؛ لأنهم يميلون إلى النظم باللهجة المالطية على مثال نظمهم باللغة الإيطالية أو اللغه الانجليزية ، ويختارون من أجل ذلك عروضا توافق عروض الشعر اللاتينى القديم ، وتنطلق أحيانا من القوافى والأوزان .

* * *

فاللغة المالطية - إذن - لا تزال لهجة من لهجات اللغة العربية باعتبار عدد المفردات .

ولا تزال كذلك لهجة من لهجاتها باعتبار علاقات التركيب التى يحفظها الوزن وتدل عليها القرينة فى الجملة القصيرة .

ولكنها كادت أن تصبح لغة أجنبية فى مطولاتها المنثورة على الخصوص ؛ لأننا نقابل بين عشر صفحات مكتوبة بها وعشر صفحات مكتوبة باللهجات العامية فى أقطار بلاد العرب فلا نحصل مفهوم صفحة منها ولا يفوتنا مفهوم صفحة من اللهجات الأخرى .

والدرس المستفاد من تطور اللغة فى تلك الجزيرة يتلخص فى ملاحظتين ظاهرتين :

أولاهما : أن اللهجة العامية إذا انفصلت عن الفصحى تمام الانفصال فقدت ضوابطها وأهمها علاقات التركيب بين جملها وعباراتها المطولة ، وفقدت الحروف التى تتميز بها العربية .

وثانيهما : أن تسجيل اللهجة بالكتابة ينتهى إلى قطع الصلة بين فروع اللغة وجذورها ، ولا سيما الكتابة بالحروف اللاتينية .

وليست قيمة الوزن فى حفظ علاقات التركيب مما تفوتنا ملاحظته فى هذا المقام ؟

عباس محمود العقاد

التقابل - دون التشابه

عامل من عوامل النمو الاجتماعي، وسنة من سنن الطبيعة

للأستاذ الدكتور محمد البهى

هل يمكن أن يقوم مجتمع بشرى من أفراد لهم خصائص واحدة ؟ : هل يمكن مثلا أن يكون مجتمعَ ذكور أو مجتمع إناث فقط؟. هل يمكن أن يكون أفراده متساوين فى الثروة أو فى عدمها أو متساوين فى قوة الشخصية الفردية أو ضعفها ؟.

إن التقابل - وليس التشابه - مبدأ ضرورى لبقاء المجتمع البشرى . فى انسجامه وتماسكه .

١ - والأسرة - التى هى النواة الأولى للمجتمع - قيامها واستمرارها ليس رهناً فقط بمقابلة طرفيها من ذكورة وأنوثة بالمعنى الجنسى الذى يحقق التفاعل الحيوانى بينهما ويشكل النسل المقبل الصادر عنهما . وإنما يكون مع ذلك أو قبله بالتقابل فى الخصائص النفسية التى للذكورة والأخرى التى للأنوثة . وربما يتبع ذلك عدم التشابه فى التكوين البدنى بين الذكر والأنثى .

فرجولة الرجل تفرض عليه من طبيعته أن يكون ذا شخصية قوية فى الترجيح ، وفى التصميم والتنفيذ . والترجيح يستلزم التأمل والدراسة كما يستلزم الخبرة والتجربة . والتصميم يتطلب قوة الاحتمال وطول الأناة والكياسة وسعة الحيلة .

وأنوثة المرأة تفرض عليها من طبيعتها أن تكون متجاوبة : تملك الطاقة على الملاءمة والقدرة على التقبل . وهى بحكم أمومتها الكامنة فيها ، تعطف ، على ولدها وتميل إليه أو تميل نحوه فى حضانته ورعايته . والولد لا يتبع اتجاها واحداً فى صغره بل شأنه فى الاتجاه كشأنه فى الحركة التى يتحركها ، لا نُعرف معالمها على وجه محدد ثابت . فإذا لم تكن الأنثى من طبيعتها كأم ذات عطف وذات قدرة على الملاءمة لا تستطيع حضانة طفلها ولا قيادته فى السلوك وتكوين العادات فيه نحو اتجاه خاص مرغوب فيه .

والطبيعة البشرية كما تفرض على الرجل إذن أن يستمر فى خط واحد - وهذا ما يتطلب منه قوة الإرادة أو قوة الشخصية - تفرض على المرأة أن تعدّل اتجاهها ، كلما كانت هناك حاجة ماسة إلى التعديل فيه .

وهذا التعديل بدوره يتطلب منها قوة الملاءمة أو التجاوب أو العطف والميل كما ذكرنا .

ولو فرض العكس ، وكان الذكر ضعيف

الشخصية : يتردد عند الترجيح أو التصميم ، ويميل يمنة ويسرة فى اتجاهه ، وكانت الأنثى فى مقابل ذلك قوية الشخصية ، قليلة العطف والميل ، وقليلة التجاوب والملاءمة — فإن الاقتران بينهما لو قام لا يدوم ، وتفقد المرأة على وجه أخص أهم عامل فى حياتها الزوجية وأهم معاون يدفعها كزوجة على الاستمرار فى هذه الحياة الجديدة الطارئة عليها ، لأنها تشعر وقتئذ بالرجولة فى طبيعتها ، بينما لم تتخلص هذه الطبيعة بعد من جميع خصائص الأنثى .

وهنا يكون التناقض الداخلى فى نفسها ويكون الصراع بين عنصرين متنافرين فى مركب واحد ، وهو مركب طبيعتها المستوجلة . ثم بالإضافة إلى ذلك لو ولدت ولداً بحكم التفاعل الحيوانى مع زوجها لا تملك توجيه الأمومة عندئذ ، وبالتالى لا تصلح بحكم تشويش طبيعتها أن تكون حاضنة له . ومن ثم لا تكوّن مثل هذه الأسرة نواة طيبة لمجتمع سليم .

ولو فرض أيضا أن كليهما كان قوى الشخصية أو ضعيفها فالأمر لا يعدو استمرار الاحتكاك والنزاع فى حال قوة شخصيتهما معاً ، ولا يعدو الملل والسآمة والتخبط والاضطراب فى حال الضعف الذى يسيطر على شخصية كل منهما .

وأسرةٌ يبدأ الاحتكاك فيها ، من أول قيام العلاقة بين طرفيها ، ولا ينقطع هذا الاحتكاك طول قيامها بحكم الضرورة التى أوجبها افتراض قوة الشخصية فى الاثنين ، هى مثل الأسرة الأخرى التى يسود فى العلاقة فيها الملل والاضطراب والتخبط ، بناء على افتراض ضعف الشخصية لكل من الزوج والزوجة - لا تعتبر إحداهما هى الأسرة التى يقوم على أساس منها مجتمع قوى متماسك .

والقرآن الكريم عند ما يقول فى تنظيم العلاقة الأسرية : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » ، يعبر ضمنا عن مبدأ التقابل الذى بين الذكر والأنثى والذى هو سبب فى الانسجام واستمرار الزوجية الصالحة ، بعد أن يكشف صراحة عن خصيصة الرجل وهى رجولته التى تفرض عليه القيادة . تلك القيادة التى تتطلب بدورها قوة الشخصية فى الترجيح والتميز على السواء .

وليس فى القرآن هنا فى هذه الآية ما يفيد بعد ذلك أنه وراء قيادة الرجل - بناء على قوة الشخصية المفترضة فيه - معنى آخر يبرر له أن يسئ التصرف مع زوجه بما يخرج عن مفهوم القيادة الإنسانية الرشيدة . وليست قيادته أو قوة الشخصية المفترضة فيه إلا خاصة وجدت فى طبيعته ، كما وجدت الخاصة البشرية الأخرى وهى قوة التجاوب والملاءمة فى الأنثى كميزة لها تفضل بها طبيعة الرجل . وكلتا الميزتان تحققان مبدأ التقابل

الذي هو ضرورة للانسجام والتعويض فى التقاء فردين وبقائهما فى علاقة بشرية قوية .

وحديث المتحدثين عن المساواة بين المرأة والرجل ، أو بالأحرى حديث المتحدثين عن حرية المرأة إذا عنوا بالمساواة بين الاثنين أو عنوا بحرية المرأة عدم استغلال الرجل لقوة شخصيته وعدم إساءة استخدامه لقيادته فى سلوكه مع المرأة — فذلك منطق الطبيعة البشرية ، وبالتالى تعاليم الإسلام . ولكن إذا قصدوا — من وراء ذلك — كما يحاول كتاب الشيوعية — إلغاء هذا الفارق البشرى فى طبيعة كل من الاثنين ، فقبل ذلك يجب عليهم أن يزيلوا نتوء الثديين فى صدر المرأة ، عن طريق « إله العلم ! ! » أو ينموا بوسيلته أيضا صدر الرجل ليصبح مساويا لصدر المرأة . وعندئذ تكون الطبيعة البشرية العضوية متساوية ، كما تكون خصائصها التى تنبثق عنها واحدة ، لا تفترق إلا فى نموها واتجاه تطورها ، بعد أن تكون متحدة فى ذاتها وجوهرها .

والاشتراكية الاجتماعية التى يحاول بعض كتابنا العرب بعد أحداث الثورة فى عيدها التاسع أن يفرضها فى الأسرة العربية على أنها تنظيم إنسانى فى الدرجة الأولى : فتعطى المرأة نفس الحرية الشخصية التى تعطى للرجل بداهة ، وتعطى من المسئولية نفس المستوى الذى يعطيه الرجل لنفسه — هى اشتراكية بالمعنى الذى يحاول كتاب الشيوعية أن يجعلوه مبدأ إنسانيا ، لكنه لا ينبثق عن ازدواج الطبيعة البشرية للرجل والمرأة ، ذلك الازدواج الذى تكشف عنه الخصائص الجسمية ، ومعها الخصائص الإنسانية المميزة لكل من الاثنين .

إن هناك فرقا بين إساءة الرجل استخدام خصيصته البشرية وبين عدم اعتبار ما بين الرجل والمرأة من خصائص تميز أحدهما عن الآخر تمييزاً طبيعياً لا حيلة إطلاقا للإنسان فيه ، ولا يخضع لاختلاف التقدير والاعتبار .

ليس هناك كاتب إنسانى أو اجتماعى يرضى عن سوء السلوك الإنسانى أيا كانت دوافعه . ولكن يجب أن تحدد الحقائق طبقا لواقعها . لا طبقا لاعتبار خاص يملأ نفس الكاتب ويدفعه عند عرض معالجته لمشكل ما إلى اتجاه خاص .

إن معالجة بعض ظواهر النقص الاجتماعى لا تكون بإنكار مبدأ طبيعى واقعى فى حياة الإنسان ، وإنما بتتبع مصادر النقص نفسها ورفعها أو كبتها من حياة الإنسان فى المجتمع .

• • •

٢ — ولو انتقلنا إلى مظاهر الحياة الاجتماعية الأخرى فيما وراء الأسرة لوجدنا

أن « التقابل » كما هو ضرورة فى قيام الأسرة ـ كنواة للمجتمع ـ ضرورى لبقاء الحياة الاجتماعية وبقاء قوة المجتمع وتماسكه : التقابل فى الثروة والغنى والتقابل فى المعرفة ، والتقابل فى القيادة والتوجيه ، والتقابل فى الإمكانيات التى تجعل من بعضها عوضا عن البعض الآخر بين الأشخاص والتى من أجل ذلك تقرب الفردين لحاجة العوض إلى الإبقاء على العلاقة والترابط بينهما .

لحرمان الأفراد من الملكية الفردية إطلاقا ، والمساواة التامة فى توزيع الثروة بحيث لا يشذ فرد عن فرد فى عدد أو فى نوع ما يملك ـ ظاهرة غير طبيعية فى المجتمع ، وبالتالى لا تؤدى إلى لقاء الأفراد بعضهم مع بعض ولا إلى تماسكهم . لأن مبدأ العوض القائم على « التقابل » غير موجود الآن . وهنا كانت الشيوعية ـ فى الجانب الاقتصادى ـ القائمة على الحرمان من الملكية الفردية إطلاقا ظاهرة تفرض على المجتمع ، ولكنها لا تكون منبثقة عن تطوره الطبيعى . وكذلك الشأن فى توزيع الثروة القومية على الأفراد بنسب متساوية فى كمها نوعها أيضا ظاهرة تأتى من خارج المجتمع ، ولكنها لا تعبر عن تطور داخلى فيه .

والتقابل فى المعرفة كذلك مبدأ طبيعى ، والتخصص الناشئ عنه ظاهرة اجتماعية طبيعية . فليس من المعقول أن يكون جميع أفراد المجتمع أطباء ، أو علماء طبيعة أو جيولوجيا ، أو علماء اقتصاد قومى أو سياسى ، ولا من المعقول كذلك أن يكونوا متساوين بدرجة واحدة فى نفس المستوى الذى لكل واحد منهم . وإنما المفارقة أو التقابل تملى ضرورته حياة المجتمع نفسه بل يمليه تماسكه واستمراره كمجتمع : فهناك الطبيب وفى مقابله من لا يعرف الطب من رجال القانون أو الهندسة أو الطبيعة أو الكيمياء . وهناك القانونى ومن معرفته بالقانون معرفة سطحية أو قليلة الجدوى من رجال الطب أو العلماء الآخرين وهكذا ...

وهناك التقابل فى القيادة والتوجيه : هناك شخصية القائد الذى يأمر فيطاع ، وهناك شخصية الرعية التى تؤمر فتطيع . هذا التقابل حتمى لبقاء المجتمع وتماسكه وظاهرة طبيعية فيه . وليست شخصية القائد الذى يأمر فيطاع ترجع إلى العنف أو إلى القهر والإلزام ـ وإلا لا تكن عنصراً فى ظاهرة طبيعية ـ وإنما ترجع إلى كياسته وصبره وتحمله المشاق فى سبيل تنفيذ قيادته ، بعد فهمه الواعى لحياة مجتمعه ونفسية شعبه ، وبعد محبة له من رعيته بناء على إحساسهم الذى يكاد يكون مجسداً بما تنطوى عليه نفسه وينطوى عليه تفكيره وقلبه بالنسبة لخير مجتمعه .

وشخصية الرعية التى تؤمر فتطيع لا ترجع قابليتها للأمر وتنفيذها للطاعة إلى ضعف فى أفراد الرعية وإنما إلى تأثرهم بمحبة القائد الموجه ، وإلى إدراك لما تنطوى عليه نفسه من استقامة فى السلوك نحو رعيته وما ينطوى عليه تفكيره من حكمة وكياسة لقيادة مجتمعه والخروج به من الأزمات الداخلية والخارجية إلى ما يحقق رفاهيته وقوته .

ويستحيل أن يكون جميع أفراد المجتمع من أصحاب القيادة الذين يأمرون فيطاعون ، كما يستحيل أن يكونوا جميعا من الذين يقبلون الطاعة ، دون أن يكون من بينهم من يولىّ عليهم لصلاحيته للقيادة والتوجيه .

وهكذا التقابل بين أفراد المجتمع ، كما هو واضح بين الذكورة والأنوثة ، واضح أيضا بين أفراد المجتمع فيما يتميز به فرد عن فرد ، وفيما يتميز به مجموع الأفراد عن قائدهم ويتميز به القائد الموجّه عن بقية الرعية التى تقبل القيادة والتوجيه . والمساواة الحرفية فى كل شئ إذن مساواة تفرض أو تفتعل ، ولكنها لا تنبثق إطلاقا عن واقع المجتمع وعن علاقات الأفراد بعضهم مع بعض .

ولكن لا ينبغى إطلاقا أن تكون هذه المفارقات ، أو يكون مبدأ التقابل مؤديا إلى تكوين طائفية أو تكوين طبقات فى المجتمع . لأن الطائفية أو الطبقية ستقيم حُجُباً تمنع من التقاء الأفراد بعضهم مع بعض . والمفروض أن مبدأ التقابل هو للحمل على الالتقاء وليس للمنع من اللقاء .

فالطبقية والطائفية إذن مرض من أمراض المجتمع يجب أن ينحى ، ولكن التقابل نفسه أمر ضرورى يجب أن ينمى وأن يحافظ عليه لبقاء المجتمع وقوته .

وفى حديث الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد الثورة التاسع صور القوانين الاشتراكية التى أصدرتها الثورة للتنظيم الاجتماعى والاشتراكى : بأنها للقضاء على الطبقية ، وليست للقضاء على المفارقات الفردية . هذه المفارقات التى تكون مبدأ التقابل المذكور .

والإسلام عندما يشير فى آيات كثيرة من آيات القرآن الكريم إلى المفاضلة فى الرزق على نحو ما فى قوله : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » أو إلى المفاضلة فى الإمكانيات الأخرى الإنسانية : فى المعرفة والتوجيه والقيادة مثلا ، على نحو ما فى قوله : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وفى قوله : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » ، وفى قوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » — يقصد إلى المفارقات الفردية التى هى ضرورة فى المجتمع ، ولكنه لا يقصد

مجال إلى خلق الطائفية أو الطبقية التى تضع الحجاب بين فرد وفرد والتى تجعل تقدير الأفراد التقدير الإنسانى مختلفاً .

فنداء الله للمؤمنين بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن » — يعبر تعبيراً واضحا عن أن المفارقات الفردية ليست سببا لاختلاف التقدير الإنسانى الذى تقوم عليه الطائفية أو الطبقية . بل يجب أن يظل — كما هو شأنه فى الوجود — عاملا فى قوة المجتمع ونموه وليس عاملا فى هدمه أو فى تفتيته . إذ الطائفية أو الطبقية تنبئ عن قيام مجتمعات متعددة ، أو وحدات اجتماعية مختلفة داخل إطار المجتمع الأصلى . وهذا بدوره يعنى انحلال المجتمع الأول أو ضعفه على الأقل .

وبتقرير الإسلام المفارقات الفردية ، ومبدأ التقابل فى الحياة الإنسانية ، تختلف نظرته عن نظرة الشيوعية ويقف من أجل ذلك فى طرف آخر مقابل لها . ومن هنا ندرك لماذا تهاجم الشيوعية الإسلام ؟ وندرك بالتالى محاولة بعض كتابنا العرب الاشتراكيين التقليل من قيمة الدين فى حياة الإنسان واستبداله بما يسمى « العلم » وبالوسيلة العلمية فى الإقناع .

والعلم الذى تؤلهه الشيوعية وتحاول أن تجعل منه بديلا عن الدين هو علم صائر متطور ، ومتغير متنقل . لا يُعرف له استقرار ، طالما الإنسان يتطور ، وطالما الإنسان يسعى للكشف والمعرفة فى الحياة ، وما دامت وسائل العلم نفسها تتجدد وتتغير . وهو من أجل ذلك لا يعبر عن حقيقة نهائية ، فلا يصلح بذاته أن يكون وسيلة للإقناع لأجيال الإنسانية جميعها . وإنما ما يصلح منه اليوم لإقناع جيل بعينه قد لا يصلح فيما بعد لإقناع جيل الغد . فضلا عن أن عقلية الناس تختلف ويستحيل أن تكون واحدة ولها مستوى واحد واتجاه واحد — مما يحتمه مبدأ التقابل أو مبدأ المفارقات الفردية . والعلم إن صلح لإقناع بعض الناس قد لا يصلح للأكثرية الغالبة منهم .

ومن أجل ذلك كان العلم الذى تحاول الشيوعية أن تجعله بديلا عن الدين فى الإقناع — وسيلة قاصرة فى ذاتها ووسيلة محدودة بالنسبة للناس جميعاً .

والاشتراكية بمفهومها غير الملتوى تقريب للناس فيما يملكون وإعادة الوضع الإنسانى الطبيعى فيما يمارسونه فى حياتهم من حرية ومن علاقة ، طبقاً لخصائص الطبيعة البشرية ، وتبعا لما توحى به هذه الطبيعة من الكفاح فى سبيل المثل العليا ، وهى مثل الإنسانية : من عدل ، وكرامة وسلام واطمئنان وأخوة ، ومحبة ؟

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ٧ —

اشتهر بين الناس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حكم فى بعض الأمور بأحكام تخالف ظاهر الكتاب أو السنة ، ويمثلون لهذا بموقفه من المؤلفة قلوبهم ، وبإيقاعه الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ، وبتحريم بيع أمهات الأولاد ، وبمنع قطع الأيدى على السرقة فى عام المجاعة ، وغير ذلك .

وبعض المؤلفين والباحثين المعاصرين يطيب لهم أن يصفوا هذا الصنيع من عمر رضى الله عنه بأوصاف تفيد معنى التحرر ، أو التطـــور ، أو تعليق النصوص أو نسخها ... إلخ ، وهذه نزعة لا تمثل الواقع ، ولا تلائم مركز عمر فى فقهه وعلمه وإيمانه بكتاب الله وسنة رسوله .

وقد تحدثنا من قبل عن موقف عمر فى أمر المؤلفة قلوبهم ، وبينا أننا لا نرى فى صنيعه نسخا لآية قرآنية ، أو تعليقا لنصها ، أو تغييراً فى حكمها [١] .

والآن نعرض بالتحليل لموقفين آخرين من مواقف عمر التى مثلوا بها ، وهما : حكمه بعدم قطع الأيدى على السرقة فى عام المجاعة ، وإبطاله لعقوبة التغريب (النفى) للزانى غير المحصن ، بسبب التحاق ربيعة بن أمية بن خلف بالروم ، عند ما عاقبه بهذه العقوبة ، فقال عمر : « لا أغرب بعدها أبدا » وجرى من بعده على هذه السنة .

فنقول وبالله التوفيق :

إن الذين يقررون أن عمر رضى الله عنه خالف النص القرآنى حين منع قطع الأيدى بالسرقة فى عام المجاعة ، يريدون بالنص القرآنى قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ويقولون إن هذا النص عام مطلق ، فقد أمر الله بقطع يد السارق والسارقة أيا كانوا ، فعمم هذا الحكم تعميما ، وأطلق فيه فلم يقيده بما إذا كانت السرقة حدثت فى حالة مجاعة أو فى حالة يسر ، وقد فهم النبى صلى الله عليه وسلم هذا العموم ، حتى قال : « والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم تقييد القطع بما إذا كان

[١] راجع مقالنا الخامس من هذه النظرات فى ح ٧ الصادر فى رجب سنة ١٣٧٩

السارق فى حال يسر ، ومنعه إذا كان فى حال احتياج ، فمن أين أتى عمر بن الخطاب بهذا التقييد ؟ ثم إن عمر لم يكن يكلف نفسه البحث عن حالة السارق ، وهل كان فى حالة فاقة واحتياج ، أو كان فى حالة يسر وحرج من أمره ، ولكنه اكتفى بالحالة العامة للناس فى سنة المجاعة ، وقد يكون السارق بالذات غير محتاج ، فإن حالة المجاعة وإن عمت كثيراً من الناس قد يخرج عنها فرد أو أفراد ، فكيف ساغ لعمر أن يوقف حد القطع قبل أن يحقق حالة السارق نفسه ؟ فما ذلك إلا لأن عمر أعطى نفسه حق التصرف فى النصوص وتقييدها ، أو تعليقها بما يراه محققا للمصلحة .

والجواب ـ وبالله التوفيق :

أن عمر رضى الله عنه لم يعلق هنا نصا ، ولم يعدل ، ولم ينسخ ـ وحاشاه أن يرى لنفسه هذا الحق ـ وإنما فهم أن آخذ المال فى عام المجاعة لا يوصف بأنه سارق ؛ لأنه يرى لنفسه حقا فيما يأخذ ، والسرقة هى أخذ الإنسان ما لا حق له فيه خفية .

بيان ذلك : أن من أصول الإسلام القاطعة التكافل بين الناس ، على معنى أنه يجب على المجتمع وجوبا كفائيا أن يغيث أفراده الذين نزلت بهم الفاقة حتى أوردتهم موارد الضرورة ، فإذا لم يقم المجتمع بهذا الواجب الكفائى للمضطرين كان آثما ، وكان للمضطر أن يأخذ ما يقيت به نفسه ويدفع ضرورته .

وعام المجاعة من غير شك ، هو ظرف زمانى يغلب فيه وجود أفراد مضطرين على هذا النحو ، فهو مظنة لوجوب الحق لهم على المجتمع ، ولا ينظر فى هذا لتحقق الضرورة فعلا بالنسبة لشخص السارق ، أو عدم تحققها حتى يقطع أو لا يقطع ، فإن هذا موطن من مواطن الحدود ، والحدود تدرأ بالشبهات ، فيكفى أن يقول الحاكم لعل هذا إنما سرق لضرورة ألجأته إلى السرقة ، فتكون هذه شبهة قوية تدرأ عنه الحد ، أما لو كان العام ليس عام مجاعة ، وإنما هو عام يسر ورخاء فإن هذه الشبهة لا تكون قوية ، ولا يجوز درء الحد بها ، لأن العبرة فى الشبه التى تدرأ بها الحدود إنما هى بقوتها ، وتأييد الظروف لها

فعمر بن الخطاب ، يتعلق فقهه بلفظ ارد فى النص ، هو قوله تعالى : « والسارق والسارقة » فيفسره بأنه آخذ ما لا حق له فيه خفية ، ثم يطبق مفهومه على السارق فى عام المجاعة ، فيراه آخذا ماله حق فيه ، ومن ثم لا يشمله النص ، فلا يجب قطعه ، ثم يعمق فقهه فى هذا فيقرر أن مظنة الضرورة ، وهى عموم الأمر ظنا فى عام المجاعة ، تنزل منزلة الضرورة الفعلية ، ومن ثم لا يجب الفحص فى عام المجاعة عن حالة سارق بعينه ، ليعلم أكان فى فاقة وضرورة ، أم لم يكن .

ومما يدل على نظرة عمر رضى الله عنه فى تفسير السرقة بأنها أخذ الإنسان مالا حق له فيه ، ما رواه القاسم بن عبد الرحمن من أن رجلا سرق من بيت المال ، فكتب فيه سعد بن أبى وقاص ، لعمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : « أن لا قطع عليه ، لأن له فيه نصيبا » ولذلك أيضا نظير فيما يروى من فقه على رضى الله عنه ، فقد حدث سفيان الثورى عن سماك بن حرب عن عبيد بن الأبرص : « أن على بن أبى طالب أتى برجل قد سرق من الخمس مغفرا ، فلم يقطعه على وقال إن له فيه نصيباً » .

وفى صنيع عمر من منع القطع فى عام المجاعة ، يقول ابن حزم الظاهرى ، مع شدة تمسكه بتحكيم النص مطلقاً عاما فى قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ما نصه : —

« قال أبو محمد : من سرق من جهد أصابه فإن أخذ مقدار ما يغيث به نفسه فلا شىء عليه . وإنما أخذ حقه ، فإن لم يجد إلا شيئاً واحداً فيه فضل كثير كثوب واحد أو لؤلؤة واحدة أو بعير أو نحو ذلك فأخذه كذلك فلا شىء عليه أيضا ، لأنه يرد فضله لمن فضل عنه ، لأنه لم يقدر على فصل قوته منه ، فلو قدر على مقدار قوت يبلغه إلى مكان المعاش فأخذ أكثر من ذلك ، وهو ممكن ألا يأخذه فعليه القطع ؛ لأنه سرق ذلك عن غير ضرورة ، وإن فرضنا على الإنسان أخذ ما اضطر إليه فى معاشه ، فإن لم يفعل فهو قاتل نفسه ، وهو عاص لله تعالى ، قال الله تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم » وهو عموم لكل ما اقتضاه لفظه ، وبالله التوفيق » ص ٣٤٣ ج ١١ « من المحلى » .

وهكذا نرى ابن حزم يفهم ما فهمه عمر من أن آخذ حقه لا يكون سارقا ، نعم إنه خص عدم القطع بما إذا اقتصر الآخذ على أخذ حقه ، أو أخذ الأكثر الذى لا يمكن تجزئته ، وهذا خلاف فى تفصيل الرأى بعد الاتفاق على المبدأ ، وعمر أجرى الأمر ، فى عام المجاعة على التيسير فى تقرير الضرورة دون اعتبار ما اعتبره ابن حزم ؛ لأنه رأى ذلك أشبه بغرض الشارع من درء الحدود بالشبهات ، والشبهات كما تكون فى ثبوت الفعل تكون فى تقدير الحاجة وتكييف الفعل .

ومما يتلاقى مع فكرة عمر فى أن الآخذ لا يعد سارقا إلا إذا أخذ ما ليس له فيه حق ، ما قرره مالك وأبو حنيفة والشافعى وابن حنبل وغيرهم من أن الأبوين إذا أخذا شيئا من مال ابنهما أو بنتهما ولو على سبيل الخفية فلا قطع عليهما ، قال الشافعى : وكذلك الأجداد والجدات كيف كانوا لا قطع عليهم فيما أخذوه ولو على سبيل التخفى من مال من

تليه ولادتهم ، ودليلهم على ذلك أن للوالد حقاً فى مال ولده وقد فرض الله على الولد أن يعفف أباه إذا احتاج إلى الناس ، فله من ماله حق بذلك .

فاعتبارهم ثبوت حق الوالد فى مال الولد بما فرضه الله عليه من إعفافه إذا احتاج ، يرشدنا إلى أن من أخذ مال غيره لجهد أصابه لا يعد سارقا لأن الشارع أوجب له بمقتضى الجهد والحاجة حقا فى المال الذى أخذه ، ولا فرق فى هذا المعنى بين مجهود يأخذ من مال غيره ، وآخذ من بيت المال أو من الغنيمة ، إذ كل هؤلاء لهم نصيب فيما أخذوا منه .

وابن حزم يناقش فى مسألة الوالدين والآخذ من بيت المال أو من الغنيمة بما ناقش به فى مسألة الآخذ فى حالة الجهد ، ويصرح فى مسألة الوالدين بالمبدأ المتفق عليه فيقول :

« ولم يخالفهم أحد فى أن الوالدين إذا احتاجا فأخذا من مال ولدهما حاجتهما باختفاء أو بقهر أو كيف أخذاه ، فلا شىء عليهما فإنما أخذا حقهما » (٣٤٥ من المصدر نفسه) .

ويذهب ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين مذهبا قريباً مما ذهبنا إليه ، حيث يعتبر سقوط القطع للشبهة التى تدرأ الحد بناء على الضرورة الملجئة فيقول فى ص ٣٣ من الجزء الثالث :

« وقد وافق أحمد على سقوط القطع فى المجاعة الأوزاعى ، وهذا محض القياس ، ومقتضى قواعد الشرع ، فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه ، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له إما بالثمن أو مجانا ، الخلاف فى ذلك ، والصحيح وجوب بذله مجانا ،لوجوب المواساة وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج . وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج ، وهى أقوى من كثير من الشبه التى يذكرها كثير من الفقهاء ، بل إذا وازنت بين هذه الشبهة وبين ما يذكرونه ظهر لك التفاوت ، فأين شبهة كون المسروق مما يسرع إليه الفساد ، وكون أصله على الإباحة كالماء ، وشبهة القطع به مرة وشبهة دعوى ملكه بلا بينة ، وشبهة إتلافه فى الحرز بأكل أو احتلاب من الضرع ، وشبهة نقصان ماليته فى الحرز بذبح أو تحريق ثم إخراجه ، وغير ذلك من الشبه الضعيفة جداً ، إلى هذه الشبهة القوية ، لاسيما وهو مأذون له فى مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد به رمقه ، وعام المجاعة يكثر

فيه المحاويج والمضطرون ، ولا يتميز المستغنى منهم والسارق لغير حاجة من غيره ، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب فدرئ ، نعم إذا بان أن السارق لاحاجة به وهو مستغن عن السرقة قطع .

كل هذا يبين لنا أن الأمر فى نظر عمر لم يخرج عن النص ، وليس فيه إبطال له ولا نسخ ولا تعديل ، وإنما هو تطبيق دقيق للفظ المشرع مع ملاحظة رغبته الصريحة فى درء الحدود بالشبهات .

والأمر كذلك فى عقوبة التغريب ، أى نفى الزانى غير المحصن : ليس فى ترك عمر إياه نسخ لنص ، وذلك أنه إنما امتنع عن التغريب بعد التحاق ربيعة بن أمية بن خلف بالروم ، متبعا فى ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك يقول العلامة ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين ص ٢٩ جزء ٣ :

« إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو » ـ رواه أبو داود ، فهذا حد من حدود الله تعالى وقد نهى عن إقامته فى الغزو خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره ، من لحوق صاحبه بالمشركين حمية وغضبا كما قاله عمر وأبو الدرداء وحذيفة وغيرهم ، وقد نص أحمد وإسحق بن راهويه والأوزاعى وغيرهم من علماء الإسلام : على أن الحدود لا تقام فى أرض العدو ، وذكرها أبو القاسم الخرقى فى مختصره فقال : لا يقام الحد على مسلم فى أرض العدو ، وقد أتى بشر بن أرطأة برجل من الغزاة قد سرق بجنة ، فقال لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا تقطع الأيدى فى الغزو لقطعت يدك رواه أبو داود ، وقال أبو محمد المقدسى وهو إجماع الصحابة : روى سعيد بن منصور فى سننه بإسناده عن الأحوص بن حكيم عن أبيه : أن عمر كتب إلى الناس أن لا يجلدنّ أمير جيش ولا سرية ولا رجل من المسلمين أحدا وهو غاز ، حتى يقطع الدرب قافلا ، لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار . إلخ » .

ثم أورد ابن القيم فى ذلك أمثلة أخرى . وعقب بقوله :

« وليس فى هذا ما يخالف نصا ولا قياسا ولا قاعدة من قواعد الشرع ولا إجماعا ، بل لو ادعى أنه إجماع الصحابة كان أصوب ، قال الشيخ فى المغنى : وهذا اتفاق لم يظهر خلافه . « قلت » وأكثر ما فيه تأخير الحد لمصلحة راجحة إما من حاجة المسلمين إليه أو من خوف ارتداده ولحوقه بالكفار ، وتأخير الحد لعارض أمر وردت به الشريعة كما يؤخر عن الحامل والمرضع ، وعن وقت الحر والبرد والمرض ، فهذا تأخير لمصلحة المحدود ، فتأخيره لمصلحة الإسلام أولى » .

(ا ه ما ذكره ابن القيم ص ٣٠ من الجزء نفسه) .

وأقول : إن هذا البحث وإن كان فى تأخير الحد وليس فى مسألة التغريب ، إلا أنه يرشدنا إلى ما استند إليه عمر آخذا من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث رآه ينهى عن القطع فى الغزو ، وعن أن يحد مرتكب مع خوف لحوقه بالمشركين ، ففهم من ذلك أن الحرص على بقاء المسلم وعدم لحوقه بالكفار مقدم فى السنة على إقامة الحد ، ولا شك أن هذا رعاية للمصلحة ، ولكنها مصلحة أرشد إليها الشارع نفسه واعتبرها وطبقها ، فلا مناص من تطبيقها وتنزيل النص عليها ، والأمر فيها يرجع إلى القياس ، حيث معنا أصل وهو عدم تنفيذ الحد ، وعلته وهى خوف لحوق المحدود بالكفار ، وفرع وهو عدم التغريب للعلة نفسها .

وإذن فليس هذا نسخا من عمر لحكم شرعى وإنما هو اتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو أن الخوف من لحوق المسلم بالكفار زال لوجب الحد ، جلداً كان أو قطعا أو تغريبا .

هذا وفى التغريب كلام آخر من حيث كونه حدا أو تعزيرا ، وعلى أنه تعزير يكون الأمر فيه إلى الإمام ، إن شاء فعله وإن شاء تركه لمصلحة يقدرها ، وهو مفوض فى ذلك من الشارع ولا يعد حين الترك ناسخا لحكم؟

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

المرء بمخبره لا بمظهره

وقف رجل حسن الشارة ، حلو الإشارة على المبرد فسأله عن مسألة ، فأحال ولحن وتسكع فى الخطأ فقال له المبرد : يا هـــذا . أنصفنا من نفسك ، إما أن تلبس على قدر كلامك ، وإما أن تتكلم على قدر لباسك ! .

نفحات القرآن

مقارنات ومفارقات
بين الجن والأنس والأنعام

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

١ — بينما نجد القرآن الكريم يرفع من شأن الإنسان فى كثير من آياته ، حتى ليصرح بأن الله فضله على كثير من خلقه تفضيلا !! .

نجد القرآن فى مقامنا هذا ينزل بالإنسان إلى حضيض الهوان ، حتى ليجعله فى منزلة الأنعام من بقر ، وأغنام ، وإبل .

وهذا تنويع فى الحديث عن الإنسان يثير الانتباه إلى ما هنالك .

٢ — فتفضيل الإنسان باختياره خليفة فى الأرض ، وإيثاره بالمدارك والشعور ، وتخصيصه بالعلم والحكمة ، وتمييزه بالتشريع ، وتوجيه الخطاب إليه ، واختيار الأنبياء منه وفى كل ذلك إشادة بالإنسان ، وتقليد له بمقاليد الثقة فيه ، وانتظار الأمانة من جانبه ، والوفاء بما عهد إليه من طاعة ، وتعمير ، واستخدام للطبيعة فى إبراز معالم القدرة .

٣ — والنزول بالإنسان بعد ذلك منوط بأسباب من جهته هو ، وبما رضى لنفسه من تجاهل لمكانته ، وشأنه ، وتسامح فى أمانته وزهادة فى حسن علاقته بربه الذى بوأه مقعد السيادة بين خلائقه .

وقد مر بنا فى حديث قريب أن بعض بنى الإنسان هبط بنفسه حتى عاد فى لجاجه أشبه بالكلب اللاهث دائما والذى اعتاد الناس أن يذكروه فى معرض التسفيه والحقارة ، وإن كانت له مزايا مشكورة .

٤ — فإن يكن للإنسان مقام رفيع فى اعتبار القرآن فذلك بما آتاه الله من فضله ، وإن يكن للإنسان هوان ، ونزول فى قصص

القرآن ، فذلك بما اختار الإنسان لنفسه والجناية منه ، لا من سواه ، والإنسان ظلوم ، جبار ، كفار .

٥ - ومن عدالة القرآن فى حديثه أن يفصح فى موضوعنا الآن عن صفات أولئك الذين أساءوا ، ويذكر شأنهم ، وما كانوا عليه ، فلم يجعل الحكم لبنى الإنسان جميعا ، وإن كان له تعميم فى بعض الأحيان قاصدا إلى الجنس فى عمومه الإجمالى ، لا إلى التعميم فى حكمه وهو يقول هنا : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس » فهذا حديث عن عن فريق من الجن والإنس لا عن الجميع والحمد لله .

فالجن والإنس مكلفون جميعا ، وإن كانت الرسالة فى الإنس خاصة فالتبليغ عام بالوساطة ، ونحن نعلم أن الله إذ خلق الجميع جعل الغاية العليا المنظورة منهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به غيره « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

وهذه الغاية بحسب فطرتهم وما أتيح لهم من إدراك ، ومقارنة بين الخير والشر والحق والباطل، وتفضيل واختيار لأنفسهم.

وفى جانب ذلك يقول : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس » فكيف يخلقهم للعبادة ، ثم كيف يخبر أنه خلقهم وبهم فى كثرة ظاهرة ليكونوا لجهنم .

وهذه شبهة يتخيلها الفهم ، ولكن المراد أنه بعد أن خلقهم كانت عاقبة ذلك أن حصل من كثير منهم انحراف باختيارهم ، فعملوا عملا غير صالح ، فكانوا لهذا أهل جهنم ... والله تعالى يحيط بكل هذا من قبل أن يخلقهم ، ويعلم أن اختيارهم سيكون شرا على أنفسهم ، فذرأهم فى دنياهم عالما بمآلهم الأخير ، فكأنه خلقهم لهذا وحده بمقتضى اختيارهم الخاص وانصرافهم عن الهداية إلى غيرها .

وذكر الجن فى صدر الكلام يؤكد أنهم مكلفون كما تؤكد ذلك آيات كثيرة صريحة ، بل يؤكد أن حظهم فى العقاب أشد من الإنس لكثرة العصاة ، منهم وحسبنا أن الشياطين منهم. وفى هذا ما يزيل الجهالة التى دفعت بعض المتحدثين إلى إنكار تكليف الجن بما كلف به الإنس من شئون الدين .

٦ - ثم أخذ القرآن يواجهنا بسبب انحدار الإنسان مع المنحدرين من الجن عن مستواه الرفيع ، واتجاهه إلى غير أهدافه الكريمة .. فذكر أموراً ثلاثة .

الأول - أن لهم قلوبا - ولكن لا يفقهون بها .
الثانى - أن لهم أعينا - ولكن لا يبصرون بها.
الثالث - أن لهم آذانا - ولكن لا يسمعون بها.

(١) فالقلب للتعقل ، وهو هنا جانب روحى فى الإنسان ، ليس مرادا منه تلك القطعة المعروفة فى الجسم ويسمى عند العلماء

فى الجانب الشرعى عقلا بالنسبة لأنه أداة الفهم ، والتعقل ، ومن هذا قوله تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ؟؟ » .

ويسمى عندنا اليوم بالضمير ، ومن هذا قوله تعالى : « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » . أى تألمت ضمائرهم بسبب كفرهم .

(ب) والأعين للإبصار ، والمشاهدة ، وتعرف ما فى الدنيا من آثار القدرة وملامح الوجود فى هذه الحياة .

(ج) وكذلك الآذان للسمع ، واستماع القرآن والإرشاد والاعتبار .

ومن هذا يتبين أن الآيات الكونية المشاهدة ... وأن الآيات المتلوة فى القرآن تتلاقى كلها من طريق السمع ، والبصر ، وتستقر آثارها فى القلب الواعى ، فتكون النتيجة علما وإيمانا وفطنة إلى كل ما ينفع وتلك غاية الدعوة الدينية لخير الإنسان من هنا وهناك .

وهذه الوسائل موفورة للجن ، وللإنس خلقت لهم ؛ لأنهم أهلها ، وفى حاجة إلى الانتفاع بها ، فإذا عطلوها عن الجانب الدينى أو صرفوها إلى غير النواحى الجدية ، فلم يستفيدوا بها تعقلا ، ولا مشاهدة ، ولا متابعة لأحداث التاريخ ، كانوا فى هذه الناحية أشبه بالأنعام فى سذاجتها .

فإن الأنعام لا تعقل من دنياها إلا ما تدفعها إليه الغريزة من إحساس بالجوع أو العطش والتعب ، وليس لها فى دنيا العلم مجال ... وعلى هذا لا يتحقق الفرق فى الإنسان على الحيوان ما دامت الغاية واحدة فى أكل وشرب ، وملاذ ، ومتاعب .

بل المكلفون من الجن والإنس يكونون أكثر ضلالا من الأنعام ؛ لأن هذه معذورة بتجردها من تلك المزايا ، والوقوف بها عند تسخيرها للإنسان فى منافعه .

بل يكون المتكلفون كذلك أكثر ضلالا لسماعهم ما سمعوا من الآيات ، وشهودهم ما شهدوا ، ولعلمهم بأنهم مسئولون عن كل ذلك ، ومعاقبون على إغفاله ، فهم سادرون فى غير اكتراث .

مع أن الأنعام تتقى ما يخيفها ، وتتجنب ما يضرها إذا استشعرت شيئا من ذلك .

فوضح أن الإنسان والجن قد تنزل مكانتهما فى الاعتبار عن درجة الأنعام .

وصدق فيهم قول الله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ـ إلى قوله : إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل » .

ولو كانوا من غير قلوب ، أو من غير أعين ، وأسماع : لكان خطبهم أهون

ولكن الحجة قائمة عليهم بما أنعم الله ، وبما فضلهم به ، ولكنهم عطلوا هذه الأسباب التى أتيحت لهم فكانت عليهم مسئولياتها ، وصاروا فى غفلة عن أنفسهم لا تساويها غفلة الحيوان الأعجم. وكأنه لا غفلة من سواهم مهما يكن الشأن ، فحصرها القرآن فيهم « . . وأولئك هم الغافلون » وما زال القرآن يجدد الذكرى ، ويصدع بها فى الأسماع ، وهم على ما وصفوا به « إن السمع والبصر والفؤاد : كل أولئك كان عنه مسئولا . . » .

وما يزال الإنسان يعطى من نفسه دليلا على صدق ما ورد فى شأنهم ، وما يزال واقفا من دعوة الله موقف الأجنبى عنها ... كأن هناك إنسانا آخر ، وكأنه هو ذاهب إلى عاقبة مضمونة فى ناحية غير الناحية التى يحشر الناس إليها جميعا .

وإذا كانت الآيات التى عرضنا لها زاجرة : أو من شأنها أن تزجر المرء عن ضلاله ، فعليه فى حساب العقل الواعى أن يختار غير مسلكه .

ومن لطائف الكتاب العزيز أن ينتقل بنا من جانب الإنكار ، والتنديد فى هذا المقام : إلى جانب الإرشاد ، والتبصير . . وهذه سياسة علاجية يستريح إليها المنطق الناضج ، ويدركها الشعور الحصيف . وانظر إلى قول الله ـ سبحانه ـ عقب ذلك التهديد ، والتقريع : « ولله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون » نعم : من طرق العبادة التى رضيها الله لنا ودعانا إليها ، ويحاسبنا عليها . أن ندعوه بأسمائه ، ونقصد إليه فيما نحتاجه ونطلبه ، متوسلين بذكره والثناء عليه بما هو أهله ، وفى الذكر تواضع مفروض علينا ، وتعظيمه حق مطلوب منا ، وفى الثناء تقرب ، واستشفاع ، وحظوة .

ثم لم يضيق الله علينا فيما نذكره به ، بل له أسماء كثيرة ، وكلها ميسورة ، وله صفات كذلك تثبت له ما هو حق له وحده .

وطريق العلم بها كتابه وسنة رسوله فهو الله ، العلى ، الكبير ، الواحد ، الأحد ، المنعم ، الرحمن الرحيم ، السميع العليم ... وهكذا مما نعرف بداهة ومما نتلوه فى كتابه ، وباب ذلك واسع .

وهناك صفات وردت فى سياق آياته ولكنها لا تذكر إلا مقرونة بما يتعلق بها فالله يقول « أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟؟ » ، فلا يقال مثلا : الله زارع لأنه وصف لم يختص به تعالى بل يقال على أنه خالق الزرع .

ويقول تعالى عن الكفار : « الله يستهزئ بهم » ، فلا يقال فى دعائه : يا مستهزئ لأن ذلك ليس من الثناء المحض .

ويقول سبحانه : « ومكروا مكرا ، ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون » فلا يقال فى دعائه ولا فى جانبه مطلقا : يا ماكر أو الله ماكر .

لذلك نذكره بما هو مشهور لدينا من صفات الكمال .

وأما ما لا نعرفه فلنتوقف فى ذكره به ، وكفانا ما نعرف من أسمائه وصفاته . وللعلماء تفصيل مشكور فى مواضع الحديث عن أسماء الله تعالى .

وقد وصف الله الأسماء بقوله : « الحسنى فادعوه بها » بشير إلى أسمائه الواردة وإلى ما ليس بمحظور ، ولا شبهة فيه . وكل أسمائه الواردة وصفاته الكريمة : كلها حسن وحق وذكرها عبادة .

وكان الناس قديما يلحدون فى أسمائه ، فينكرون بعضها كلفظ الرحمن مثلا « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا : وما الرحمن؟» يجهلون ذلك أو يتجاهلونه وكانوا يدخلون فى أسمائه مالا يليق به كوصفه بالأب ... أو كانوا يطلقون بعض أسمائه المعروفة ويريدون بها غير الصواب .

والله سبحانه ينهانا عن الوقوع فى مثل هذا فيقول : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » أى اتركوا هؤلاء المشركين ، أو المختلقين ، أو المتأولين . فكل ذلك يسمى إلحادا ، وحشوا غير سائغ فى جانب الله .

وقد يمتد هذا الكلام إلى ما يدور فى صفوف الذاكرين من إخواننا الأتباع وما أحب أن أثير نقاشا حول هذا وفى ترجيحه أو عدم ترجيحه ، ومن الخير كثيرا أن نأخذ بما لا شبهة فيه ، والنبى صلوات الله عليه يقول: « دع ما يريبك إلى مالا يريبك » والله يعصمنا جميعا من الإلحاد والانحراف ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

قيل ليزيد بن المهلب : إنك لتلقى نفسك فى المهالك !

قال : إنى إن لم آت الموت مسترسلا أتانى مستعجلا ، إنى لست آتى الموت من حبه ، إنما آتيه من يقبضه ، ثم تمثل :

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

من تاريخ المماليك

مصر تحتفل بالمولد النبوى

للأستاذ محمد رجب البيومى

تحتاج العواطف النفسية إلى متنفس يجسدها للعيان فتتخذ مظهراً محسوساً يكون تعبيراً صادقا عن أوراها الملتهب ، وحب المسلمين عامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح للمتأمل فى مشاهد كثيرة لعل أعظمها روعة وخلابة هو الاحتفال بمولده الشريف ، فقد دأب أبناء الإسلام منذ أمد بعيد على الاهتمام بذكراه الطيبة فى كل مناسبة تحين ، ومصر الإسلامية كانت بحمد الله أسبق الدول كافة إلى الاحتفال بالمولد السعيد ، فلا يعرف التاريخ الإسلامى قبل الدولة الفاطمية بلداً إسلامياً بدأ بهذه السنة المباركة غير وادى النيل ، وقد لمس المعز لدين الله حقيقة هذا الحب الكامن فى النفوس لنبى الإسلام فقام لأول مرة فى التاريخ بالاحتفال بمولده الشريف ، ورأى من الاستجابة الصادقة والترحيب الحار ما جعله يتفنن فى استقباله عاما بعد عام ثم سار خلفاؤه من بعده على طريقته فكان لهذا اليوم الأغر فى تاريخهم صدى مسموع ، ولن يقول قائل : إن الدولة الفاطمية قد احتفلت بمواسم كثيرة غير المولد النبوى لتلفت إليها الأنظار ، لأن أكثر هذه المواسم قد فنيت بفناء الدولة الفاطمية ، ولكن الاحتفال بالمولد النبوى قد فرض وجوده على التاريخ فلم يذهب بذهاب الفاطميين ، إذ أنه يعبر عن رغبة حارة فى النفوس ، فهو يستمد وجوده الدائم من خلجات المشاعر ونبضات الأحاسيس !

وأنت ترى الآن جمهور المصريين فى الريف يحتفلون بالمولد النبوى حتى فى غير مناسبته ، فإذا ما أراد رب المنزل أن يظهر نعمة الله عليه فى مناسبة سعيدة أعلن عن وليمة خاصة يدعو إليها الفقراء والفقهاء ، ودعاها وليمة المولد النبوى ، وفى مساء هذه الليلة العامرة يحضر الأصدقاء والأقارب ليستمعوا قصة المولد النبوى من فقيه القرية !! ولدينا أدب خاص بالمولد النبوى فى تراثنا العلمى لا أدرى كيف غفل الباحثون عن تقييمه ورصده ، فعشرات العلماء والأدباء كالبرعى والبرزنجى والمناوى والنووى قد ألفوا قصص المولد النبوى ، وملئوها بالمعجزات الخارقة والأبيات السائرة ، وكاد الريفيون يحفظونها عن ظهر قلب لكثرة ما ترددت على أسماعهم فى الليالى العامرة والأمسيات السعيدة ، وأذكر أن وزارة الأوقاف لعهد غير بعيد قد دعت

إلى مسابقة عامة لوضع قصة معاصرة من قصص المولد النبوى وكان الأستاذ عبد الله عفيفى فائزها الأول ! ! ومع أن الشيخ على محمود قد قام بتلحينها وإذاعتها عدة مرات إلا أنها لم تلق قبول سابقها من القصص النبوية ، لأن أسلوبها الأدبى كان يعلو مستوى الجمهرة من السامعين ! وبقيت القصص القديمة تتردد إلى الآن فى شوق وإعجاب .

هذه القصص وحدها دليل لايخطىء على اهتمام الشعب المصرى بالمولد النبوى فى ربيع الأول وغير ربيع الأول من شهور العام ، وكأنى بنابليون الداهية ، وقد أدرك هذه الحقيقة القوية فأصدر أمره لأول عهده فى مصر بإقامة احتفال مشهود بالمولد النبوى ، فأقام السرادقات الفخمة ، وأوقد المصابيح المتلألئة وجعل الزوارق الجميلة تعبر مياه الخليج حاملة طوائف المغنين وأرباب اللهو والمسرة ، وقدم المطاعم والمشارب على نطاق متسع ! وكان فى هذا العمل الرائع ما يدعو الجمهور المصرى إلى المشاركة فيه ! ولكن العاطفة الصادقة تلمح أثر الرياء الكاذب فيما تشاهد وتلمس ، إذ لا يعقل فى منطق العقل أن يقوم بالاحتفال بمولد محمد صلى الله عليه وسلم إنسان لايؤمن بنبوته ولا يعرف حقيقة دينه ! فانصرف الناس عن هذا الاحتفال الرسمى ، وعكف كل مصرى ليلة الميلاد فى منزله يقرأ القصة النبوية ، ويولم لأصدقائه وأهله ، ويؤدى واجبه الدينى عن إخلاص وإيمان !

وسنجلو فى هذا الحديث صفحة رائعة لملك من ملوك الإسلام فى مصر هو الأشرف قايتباى إذ قام بالاحتفال بمولد الرسول الأعظم قياما لا يشاركه فى روعته وجلاله أحد فيما نعلم غير الملك المظفر صاحب إربل ، وقد تناولته بالحديث فى مناسبة سابقة على صفحات مجلة الهلال ، فلن أعود إليه الآن ، ولكنى أسجل هنا بعض ما قام به الأشرف قايتباى من احتفاء واستعداد ، ليعلم الناس كيف يدفع الحب المؤمن صاحبه إلى التفنن والإبداع .

لم تكن سلطنة الأشرف قايتباى - وقد ناهزت الثلاثين - مجالا للدعة والهدوء ، فيظن أحد أنه تفرغ للاحتفال بالمولد على هذا النطاق البديع حين خلا له الجو وسالمته الأيام ، ولكنه قاسى من الشدائد والأهوال ما يرهق النفس ويشغل الخاطر ، فقد انتقض عليه الثوار غير مرة فى شمال الشام ، وزحفت جنوده إلى قمع الثورة ، وإعادة الهدوء متكبدا شتى المصاعب والأهوال ، كما منى بإغارة ملك العراقيين لعهده على أطراف مملكته ، فلم يستطع السكوت وتحركت إليه الكتائب المصرية فردته على أعقابه بعد كفاح مرير وجهد شاق ، وكانت ثالثة الأثافى مناوشات

الدولة العثمانية التى بدأت تتطلع من ذلك الحين إلى مصر فكدرت الخواطر وألهبت الصدور واضطر الأشرف قايتباى إلى محاربة العثمانيين فى عقر دارهم ، واستولى على مدن كثيرة من ممتلكاتهم مثل أدنة وقيسارية ثم تصالح الطرفان وطويا الضلوع على شجون وآلام ! ! والعجب العاجب أن هؤلاء العثمانيين يتطلعون إلى مصر ، ويتركون الاندلس عن جانبهم تسقط مدينة وراء مدينة : وكان فى قوتهم الهائلة وذخيرتهم القاتلة ما يحفظون به الإسلام فى بلاد تتكالب على إبادته ، لو صدقت الهمم وأخلصت القلوب ، ولكن هذا ما كان :

أجل ، لم تحل هذه الكوارث المتتابعة دون إقامة الاحتفالات الباهرة بالمولد النبوى الكريم على نحو باهر عظيم ! ولعل من الغرائب النادرة أن نعرف أن قايتباى قد أعد سرادقا خاصا بالمولد النبوى كان يسمى إذ ذاك بالسرادق الأشرفى ، يضم آلافا من القطع المطرزة المبطنة بالحرائر والديباج ، وقد حليت بمختلف الزخارف والرسوم ، وكتب عليها نماذج متعددة من آيات القرآن وأحاديث الرسول وقلائد الأبيات بخطوط أنيقة مختلفة الألوان والحجوم ، وإذا كان الفن الزخرفى قد بلغ روعته فى هذا العصر كما يلحظ من يشاهد آثاره الناطقة فى دار الآثار العربية وفى مساجد السلاطين ومزارات الأولياء فإن هذا السرادق الحافل قد جمع من آيات الفن الإسلامى ما جعله حديث الناس فى الشرق والغرب ، حتى إن السلطان سليم الأول حين داهم مصر بخيوله وجبروته كان أول ما سأل عنه هو السرادق الأشرفى النبوى لحمله بنسيجه ومصابيحه وأثاثه ونمارقه إلى بلاده . ولو كان للفن مكانة ما لدى الأتراك لصين فى أحد المتاحف رمزا لتقدم الحضارة الفنية فى إحدى بلاد الإسلام: ولكنه استهلك فى أشياء تافهة ، ومن ورائه زفرات حارة يصعدها المصريون كل عام إذا عاد المولد النبوى ورأوا مكانه خاليا من الروعة والبهاء !

كان هذا السرادق النبوى يشبه إيوانا فخما متسع الجوانب ، متعدد الأرجاء ، وهو على هيئة دائرة فخمة ذات أبعاد وأطوال ، تعلوه قبة شاهقة تنهض على أربعة أساطين وقد زينت سماؤها بالمصابيح البلورية ذات الألوان المتعددة من أبيض وأحمر وأخضر فإذا تقابلت أنوارها نسجت للناظرين أبدع حلة من الضياء . أما الطنافس والأرائك والنمارق والبسط فمما يخلب ويروع ، وقد رتبت ترتيبا بديعا يرعى المقامات والمراسيم فالكراسى الذهبية لرجال الصف الأول من الحكام والرساء . والكراسى الموشاة بالفضة

لمن يليهم من صدور الأعيان ووجهاء القوم ، أما بقية المقاعد فقد كساها المخمل الناعم والديباج الوثير فأضحت رمزاً للبهجة الناعمة والترف الحضارى الجميل ، وقد جرت العادة أن ينصب هذا الإيوان الفخم فى الليلة الأولى من ليالى ربيع الأنوار ، ولا يقوم بتشييده وإعداده غير ستمائة بطل من أبطال الأسطول المصرى قد دربوا تدريباً كاملا على إحكامه وإتقانه مع جمهرة من المهندسين وأرباب الفن والذوق ، وقد وصفه أحد الرحالة : فقال إنه يشبه مدينة كبيرة ذات شوارع وميادين فى كل جانب من جوانبه ترى موضعا للتأمل والاستطلاع : ولقد كان الملك المظفر صاحب إربل يستعد للاحتفال بالمولد ابتداء من المحرم فيدعو الصناع إلى إقامة ميدان فاخر للاحتفال ولا يكادون يفرغون من عملهم حتى يمضى شهران ويشرق ربيع ، أما الأشرف قايتباى فلم ير ضرورة فى تكرار هذا العناء كل عام ، واهتدى إلى صنع هـــذا السرادق لينصب كل عام فى مناسبته السعيدة دون إجهاد : وحسناً فعل ، فقد ظل خلفاؤه من السلاطين يحرصون على استعماله فأصبح شاهداً ينطق بفضله بعد أن وورى فى التراب : وأخذ الناس ينظرون إلى رغبته فيترحمون عليه ، ويستغفرون له الله ، حتى عمت الكارثة بهجوم السلطان سليم فانفض السامر وانتقض الشمل وكأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ! ! .

أما مراسيم الاحتفال ؛ فقد جرت العادة على أن يحضر الناس إلى السرادق كل ليلة من الليالى السابقة لليلة الأخيرة دون ترتيب ، وإذ ذاك يسمعون الـــترتيل والوعظ ، ويقومون بالذكر والأدعية ويتناولون الخفيف من الشراب والطعام ، أما الليلة الثانية عشرة فلها تقليدها المتبع ، ومنهجها المرسوم ، إذ تقام الزينات فى الشوارع والميادين ، وتمر المواكب غاصة بالقراء والمنشدين ، وتدوى الطبول فى كل ساحة ثم تتوجه الجموع إلى السرادق ، وفق ترتيب خاص ، إذ يتقدم الموكب الأول الخليفة العباسى ومعه القضاة الأربعة وأصحاب المناصب الدينية فى الدولة من علماء وفقهاء ثم يأتى فى الموكب الثانى وفيه علية القوم من أمراء المماليك وقواد الجيش ووراءهم عظماء الدولة من أرباب الوظائف وحكام الأقاليم وأصحاب الحسبة والالتزام وفى الموكب الأخير رجال الشعب من العامة على ترتيب فى الأقدار ومراعاة لمكانة كل رجل واستحقاقه : أما طوائف المتصوفة وأصحاب الطريق فيظلون فى الساحة الواسعة ينشدون ويقرءون حتى ينزل السلطان فيصافح رجال المواكب ،

ويسامر الضيوف من السفراء والأجانب، ثم يأذن لمن بالخارج من العامة أن يأخذوا أماكنهم الخلفية فى هدوء!! فيهرع معهم المتصوفة إلى منتصف السرادق يرتلون وينشدون!! ثم يبدأ الاحتفال الرسمى على نحو يقرب من النحو الفاطمى إذ يرتل القرآن الكريم أولا، ثم يستمع الحاضرون إلى الوعظ الدينى متجها إلى سيرة الرسول مولدا وبعثة وغزوا وجهادا وانتصارا والتحاقا بالرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه: ثم تمد الأسمطة الزاخرة بالأطعمة، فلا يتخلف أحد من الحاضرين عن تناول أطايب الطعام، ولذائذ الشراب، ولك أن تقدر ما ينفق على هذا الحشد الزاخر من مال وما يذبح من حيوان، وما يبذل من هدايا، وما يخلع على العلية من تحف وأوسمه وما يفرق على المحتاجين من صدقات!! بل إن الدراهم والدنانير كانت تنثر نثرا على الجموع فيصيبهما من يشاء! وينتهى الحفل الساهر مع الفجر المشرق فى فرحة غامرة وسرور عميم.

ويظهر أن الأشرف قايتباى كان فنانا بطبعه، فهو يرى فى إعداد السرادق على نظامه السالف إشباعا لرغبته الفنية، يؤكد ذلك اهتمامه الحافل بالعمارة والتشييد فقد أقام برجا عظيما بالإسكندرية كان مثال البراعة والذوق، وبنى المساجد بناء يزينه الزخرف، ويحوطه الإبداع، كما قام برحلات مختلفة داخل القطر وخارجه فأمتع عينيه بروائع الطبيعة فى القرى والمدن، ورأى مشاهد الشروق والغروب فى الفضاء الممتد والمرج الشاسع، والبحر المحيط وذلك لا يتأتى لغير فنان متذوق يتعشق الحسن فى شتى مجاليه!

ويخيل إلى أن اهتمام الأدباء والشعراء بالمدائح النبوية فى العصر المملوكى لم يكن دافعه الأول هو الشغف بالمحاكاة والولوع بالبديع كما يرى بعض المؤرخين، ولكن الشعور الدينى العام، وانفساح المجال للإنشاء فى هذه الاحتفالات قد ساق الأدباء سوقا إلى الاهتمام بهذا الضرب من المديح!! فجاءت قصائدهم النبوية تنفيسا عن شعورهم الصادق! وإذا كان البديع المتكلف قد أثقلها ببعض الإغراب فإن ذلك لا يمنع القول بصدقها المخلص وإحساسها الأمين!! وهى فى رأيى الخاص احتفال آخر بالمولد النبوى فى دنيا الفكر قد يعادل احتفال السلاطين به فى دنيا الواقع! بل أنه أخلد أثراً وأبقى ذكرا من كل احتفال وقد ذهبت سرادقات الاجتماع مع الذاهبين، وبقيت قصائد البوصيرى وابن نباته وابن حجة وغيرهم من شعراء المماليك لتكون احتفالا نبويا لا تبلى جدته ولا ينقطع صداه.

محمد رجب البيومى

قولوا الجنس العربى لا السّامى

للأستاذ محمد عزة دروزه

لاحظ المستشرقون وعلماء اللغات والآثار تشاركا واسعا فى اللغات والأفكار والعقائد والتقاليد بين شعوب الشرق العربى القديمة فى جزيرة العرب ووادى النيل والهلال الخصيب وأثيوبية ، فرجحوا أنها ترجع إلى أصل واحد مشترك ، ثم رأى بعضهم أن بعض أسماء هذه الشعوب هى من الأسماء التى وردت فى سفر التكوين كأبناء وأحفاد سام بن نوح ، فأطلقوا عليهم اسم الشعوب السامية وعلى لغاتها اسم اللغات السامية [١] وتوسعوا فأدخلوا فى نطاق هذا الاسم أقواما لم ينسبهم السفر المذكور إلى سام كالحاميين أو الكوشيين الذين ينسبهم إلى حام بن نوح ، والكنعانيين الذين ينسبهم إلى حام ، والعبرانيين الذين ينسبهم إلى إبراهيم الكلدانى أو الآرامى حسب اختلاف الاستنتاج ، والكلدانيين والأكديين والعموريين الذين لم يذكروا فى الأنساب ، والأثيوبيين الذين قالوا إنهم حاميون ...

وهذا الاصطلاح حديث لم يبلغ من العمر مائتى سنة [١] وواضح أنه لا يستند إلى علم وثيق . ومع ذلك فإنه انتشر وتوطد بين الباحثين والأعاجم وسرى إلى كتّاب العرب ومؤرخيهم .

ولقد اختلف المستشرقون فى مهد الساميين الاول ، فمنهم من قال : إنه جزيرة العرب ، ومنهم من قال إنه جزيرة الفرات ، ومنهم من قال : إنه أرمينية ، ومنهم من قال : إنه أثيوبية ، ومنهم من تردد . غير أن كثيراً منهم بل أكثرهم يقررون أنه جزيرة العرب التى كانت فى ظروف مناخية مساعدة على ما أثبته الجيولوجيون والأثريون . ومنهم من يخصص جنوب الجزيرة ويقول: إن الشعوب السامية انساحت منه إلى سائر أنحاء الجزيرة ، ثم إلى الأقطار المجاورة لها شمالا وجنوبا .

على أنه يبدو من خلال أقوال المختلفين فى العهد الأول أن الخلاف هو فى مهد النواة

---

[١] انظر الجزء الأول من كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها كتاب الأساس فى الأمم السامية ولغاتها للابراشى ورفقاه ١ — ص ٣٥ وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولنفسون .

[١] انظر الصحيفة المذكورة فى الذيل الاول من الكتاب نفسه وما بعدها .

الأولى لهـــذه الشعوب قبل عهود التاريخ المعروفة . ومن الذين لم يقولوا : إن هـذا المهـد هو جزيرة العرب أو جنوبها بالتعيين من قالوا: إن النواة هاجرت من مهدها الأول خارج الجزيرة إلى الجزيرة قبل عهود التاريخ، ثم نمت وكثرت فأخذت تنساح منها موجات بعـد موجات إلى الأقطار المجاورة نتيجة لأسباب مناخيـــة وجغرافية واقتصادية واجتماعية . وبعبارة أخرى إن أصحاب هذا الرأى يلتقون مع أصحاب الرأى الأول فى دور من أدوار تاريخ جزيرة العرب[1] .

ولقد أصبح أمر انسياح الموجات من جزيرة العرب إلى الأقطار المجاورة لها منذ أقـدم الأزمنة ، ـ وكون الكلدانيين والأشـوريين والأكديين فى العراق والكنعانيين والعموريين والآراميين والعبرانيين فى جزيرة الفرات وبلاد الشام ومعظم سكان وادى النيل شماله وجنوبه ومعظم سكان أثيوبية والصومال من هؤلاء المنساحين فى القرون التاريخية من الحقائق التى لم تتحمل جدلا ولم تبق موضوعا قديما مضى وانقضى، وغدا محل إثبات ونفى وظن وتخمين . ولا سيا أن جزيرة العرب ظلت ترسل بموجاتها إلى هـذه الأقطار بدون انقطاع قبـل دور العروبة الصريحة ـ أى قبل أن تغدو اللغة العربية الصريحة لغة العرب ، واسم «العرب» اسماً لهم ـ ثم فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام ، ثم منذ الإسلام إلى اليوم . مما سجلت أحداثه القديمة نقوش المصريين والأشوريين والكلدانيين وأسفار العهد القديم وكتب اليونان والرومان القديمـــة وقرره علماء الآثار والتاريخ .

ومما تواصلت أحداثه فيما عرف يقيناً ، من انسياح القبائل العربية من الجزيرة العربية فى دور العروبة الصريحة قبـل الإسلام إلى العراق وجزيرة الفرات وبلاد الشام وشبه جزيرة سيناء ، ثم من انسياح القبائل تحت راية الإسلام إلى بلاد الشام والعراق ووادى النيل: شماله وجنوبه والأقطار المغربية فى شمال إفريقية ثم انسياح القبائل الذى استمر بعـد الموجة الإسلامية الأولى من الجزيرة إلى جميع هذه الأنحاء وإلى سواحل أثيوبيـة والصومال بدون انقطاع، ثم من الصورة الحية الماثلة اليوم بالقبائل والعشائر التى تمـــلأ جنبات هذه البلاد كذلك والتى منها ما يمت إلى القبائل القديمة ومنها من جاء قبل قرون قليلة بل منها من جاء قبل أجيال قليلة .

فكل ما تقـدم يبرر بدون ريب اعتبار

[1] انظر أيضا الجزء الأول من تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها ، فإن للمؤلف استعرض أقوال الباحثين التى استنتجنا منها ما ذكرناه .

سكان جزيرة العرب الأصليين القدماء ومن هاجر منهم إلى الأقطار المجاورة قبل دور العروبة الصريحة وبعده جنسا واحدا . ولا سيما أن التشارك فى اللغة والأفكار والعقائد والتقاليد ظل قائما بين الباقين فى الجزيرة والنازحين منها فى مختلف الأدوار .

ونحب أن نستدرك أمراً . وهو أننا حينما نقول: « الجنس العربي » ، لا نقصد المعنى الفنى الدقيق الذى يتميز فيه جنس بشرى من جنس آخر بخصائص جسمانية فى الدرجة الأولى، مما كاد أن يكون غير قائم منذ الأزمنة التاريخية المعروفة إلا نادراً فى إفريقية وآسيا الشرقية والوسطى بسبب ماحدث من هجرات الأمم وتمازجها دما ومصاهرة وتقاليد ولغة وعادات وأفكاراً ، وإنما نقصد المجموعة البشرية التى عاشت فى جزيرة العرب منذ أقدم الأزمنة التاريخية المعروفة وتشاركت فى اللغة والأفكار والتقاليد حتى صارت جنساً واحداً ، فلما أخذت تنساح من هذه المجموعة إلى البلاد المجاورة للجزيرة فى الشمال والجنوب موجات كان ذلك التشارك قد تم بينها ثم ظل قائما . والقول أن لغة أهل جنوب الجزيرة غير لغة أهل شمال الجزيرة ليس صحيحاً بمعناه الإجمالى [١] وكل ما فى الأمر تنوع اللهجات واختلاف فى المسميات . أما الاشتراك الفعلى فقد كان قائماً على ماتدل عليه نقوش الجنوب والشمال . وهذا لا يتعارض كما هو واضح مع احتمال كون المهد الأول لنواة هذه المجموعة ليس جزيرة العرب على ما يقرره بعض الباحثين ولا مع احتمال تكون هذه المجموعة فى عصور ما قبل التاريخ من عناصر إفريقية وآسيوية، على مايقرره بعض الباحثين كذلك [١] وكل هذا يقطع النظر كذلك عن احتمال تكون تلك المجموعة البشرية فى جزيرة العرب قبل الأزمنة التاريخية المعروفة بمدة طويلة وحينما كانت ذات مناخ وطبيعة غير ما هو عليه الآن معظم أقسامها ، وعن احتمال انسياح موجات منها إلى الأقطار المجاورة لها ثم إلى ما وراءها قبل الأزمنة التاريخية المعروفة وتوطنها فيها كالأقطار المغربية فى شمال إفريقيا مثلا مما لا سبيل إلى معرفته معرفة يقينية والكلام عنه بعلم ووثوق.

كذلك حينما نقول ذلك لا نريد أن ننفى تأثر الموجات التى هاجرت من جزيرة العرب فى القرون القديمة وقبل دور العروبة الصريحة

[١] انظر تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون ص ١٦٢ .

[١] انظر الكافى فى تاريخ مصر لشاروبيم ج ٦ ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ والقرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان ص ٣٤٥ والتاريخ العام بالتركى لأحمد رفيق ج ٤ ص ٤٩٥ ، ج ٢ ص ٢٦٦ وتسريع الابصار للأب لامانس اليسوعى ج ٢ ص ٣٥ ، ٣٨ والمجلد الثانى للحوليات السورية لسنة ١٩٥٢ .

إلى الهلال الخصيب ووادى النيل بالبيئة الطبيعية والاجتماعية الجديدة واختلاط دمائها بدماء أمم أخرى كانت فيها قبل هجرتها أو جاءت بعدها وتأثرها بأصحاب هذه الدماء لغة وعادات ، واكتسابها بذلك كله شخصية خاصة نوعا ما فى الأرض التى حلت فيها . غير أن ذلك ليس من شأنه أن ينقض دعوى وحدة الجنسية ، ولا سيما أن غالبية سكان الهلال الخصيب ووادى النيل كانت وظلت تمت إليها وتطعم بالهجرات المتوالية من الجزيرة والتى لم يكد سيلها ينقطع إلى دور العروبة الصريحة ثم دور الإسلام والتى تتمثل فى وحدة العروبة الشاملة وطابعها الذى يطبع هذه البلاد وسيظل يطبعها إلى الأبد ما دام وراءها الجزيرة وتظلها راية القرآن الكريم ، ولسنا نرى فرقا بين ما كان من ذلك قبل دور العروبة الصريحة وبعده حيث تأثر النازحون عن الجزيرة فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام وبعده بالبيئة الطبيعية والاجتماعية الجديدة ، واختلطت دماؤهم بدماء أمم أخرى كانت فيها أو طرأت عليها واكتسبت بذلك شخصية خاصة نوعا ما . غير أن ذلك لم يخرجها من نطاق العروبة وطابعها الشامل ، وقد ابتلعت كل هذه العناصر وفرضت عليها هذا الطابع .

ولقد حكم اليونان والرومان مصر وبلاد الشام ألف عام (٣٣٠ ق م . — ٦٤٠ ب . م) وجاء منهم إليها وبخاصة من اليونانيين الآلاف المؤلفة واستقروا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم . وقد جمع بينهم دين واحد هو المسيحية قرابة أربعة قرون . وترجمت إلى اليونانية الكتب المقدسة . وصارت لغة عبادة وطقوس لكثير من النصارى فيها . ومع ذلك فإنهم لم يستطيعوا أن يفرضوا طابعهم وصبغتهم ، بل كان جمهرة أهلها يرونهم غرباء عنهم وينقبضون عن معاشرتهم بل يعتبرونهم أنجاساً [1] وكذلك شأن الفرس الذين كانت لهم السيادة على العراق أكثر من ألف ومائتى عام (٥٣٨ ق . م — ٦٤٠ ب . م) وكان لمدنيتهم وثقافتهم انتشار واسع حتى لقد مجسوا كثيراً من أهل البلاد ، ومع ذلك لم يستطيعوا بدورهم أن يفرضوا طابعهم وصبغتهم ، فى حين أن الموجات العربية الصريحة التى جاءت إلى الهلال الخصيب فى حكمهم ورضخ ملوكها لسيادتهم العليا ، أخذت تفرض طابعها على البلاد وتمتزج بأهلها القدماء بسهولة ويسر . ثم جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الإسلام إلى بلاد الشام والعراق ووادى النيل ، فأخذ التمازج يشتد بينها وبين السكان السابقين ، ولم تكد تمضى بضعة أجيال أو قرون حتى توطدت

[1] انظر هامش العمود الثانى بالصفحة السابقة .

السيادة فى هذه البلاد للطابع العربى الصريح وغدا شاملا عاما .

وليس هناك من تعليل معقول لهذه الظاهرة التى تكررت فى عهد الإسلام بما كان من سيادة الترك على هذه البلاد قرابة أحد عشر قرنا (٢٠٠ - ١٣٣٢ هـ) وبما كان من زحوف تركية كبيرة إليها واستقرارها فيها إلا صدق نظرية وحدة الجنس التى كانت تجمع بين القادمين من جزيرة العرب فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام وبعده وبين سكان الهلال الخصيب ووادى النيل الذين يمتون فى أصولهم إلى جزيرة العرب والجنس العربى حيث سهلت تلك الوحدة ذلك التقارب والتمازج وسيادة الطابع العربى الشاملة لهذه البلاد .

وإذا كان قد بدا شيء من المناوأة ضد موجة الفتح من بعض سكان مصر والعراق والشام وتمرد على السلطان الإسلامى فى أوائل عهده فمرد ذلك إلى الاعتبارات الدينية التى كانت ذات التأثير الأقوى فى حياة الأمم والتى استغلتها الدسائس الأجنبية . وليس من شأن ذلك إضعاف النظرية . ولقد كان من جملة المناوئين والمتضامنين مع الفرس والروم فى بلاد الشام والعراق قبائل عربية صريحة من بهراء وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان فى بلاد الشام ، وبكر بن وائل وبنى العجل وتيم اللات وضبيعة فى بلاد العراق مثلا [١] .

وإذا كان حقا أن الذين ظلوا فى جزيرة العرب قد احتفظوا بنقاوة سلالتهم وأصالة لغتهم أكثر من الذين نزحوا إلى خارجها [٢] وأن هؤلاء قد اختلطوا بعناصر أخرى ممن كان فى الأرض الجديدة التى حلوا فيها ومن جاء إليها بعد حلولهم . فإن هذا ليس من شأنه أن يخرجهم من جنسية العروبة ويجعلهم أمماً أخرى ؛ لأن وجوه التشابه والتشارك بين أولئك المستقرين فى الجزيرة وبينهم ثم فيما بينهم أنفسهم على اختلاف الأقطار وعلى اختلاف الأدوار التى عاشوها كذلك ، ظلت بارزة قوية .

وأنسب الأسماء لهذا الجنس وأصحها فى دوره القديم هو الاسم الذى صار علما له فى دور العروبة الصريحة وهو «الجنس العربى» بدلا من اسم «الساميين» .

فجزيرة العرب أخذت تسمى باسم العروبة الصريح فى كتب اليونان والرومان وأسفار العهد القديم منذ ألفين وخمسمائة عام . واسم «العرب» الصريح أخذ يطلق على أهلها المستقرين فى داخلها وتخومها الشمالية جزئيا ثم كليا منذ ألفين وخمسمائة عام كذلك .

---

[١] انظر تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٥٦٠ و ٥٨٧ -

[٢] انظر تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ١ ص ١٦٩ وما بعدها و ج ٣ ص ٢٧٧ وما بعدها .

بل قبل ذلك على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة واللغة العربية التى تكلم بها سكان الجزيرة والنازحون منها منذ ألفين وخمسمائة سنة كذلك هى اللغة العربية الصريحة بقطع النظر عن تعدد لهجاتها وبعدها قليلا أو كثيراً عن اللغة الفصحى. على ما تدل عليه آثار وأسماء وأعلام ونقوش السبئيين والحجريين والنبطيين والتدمريين واللحيانيين والثموديين والصفويين العائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الخامس بعده [١]. وقد ساعدت عوامل متنوعة على سرعة تطورها بعد ذلك حتى بلغت ذروتها باللغة الفصحى قبل البعثة المحمدية بأمد ما.

فإطلاق هذا الاسم على الموجات القديمة التى انساحت من جزيرة العرب، وعلى الذين ظلوا مستقرين فيها فى القرون القديمة معا هو الأصح على كل حال الذى يجب أن يحل محل تلك التسمية الحديثة الأعجمية فى كتبنا ودروسنا ومحاضراتنا وبحوثنا. ولا سيما أنه يتفق مع الصلة التى لم تنقطع بين قدماء سكان الجزيرة وقدماء النازحين منها وبين الواقع الراهن الممتد إلى ألفين وخمسمائة عام ويصل بين قديم العروبة وحديثها. وقد قال بهذا جمهرة من علماء العرب وباحثيهم [١] غير أن التسمية «السامية» ظلت تجرى على ألسنة وأقلام علمائنا وكتبهم حتى الذين قالوا بوجوب وأولوية إطلاق اسم الجنس العربى بدلا منها. وهو ما يجب أن ينتهى فيما نعتقد. وليس من الحق والمنطق والعاطفة القومية معا أن نظل نجرى وراء الأعاجم فى تسمية الأقوام القديمة من جنسنا تسمية تحكمية حديثة لا تمت إلى العلم والواقع فى شىء.

واستتباعا لهذا يجب أن ننتهى من التفريق بين تاريخ جزيرة العرب وبين سكانها القدماء وبين تاريخ الموجات التى انساحت منها فى القديم، وأن نعيد تدوين تاريخ الجنس العربى فى سلسلة واحدة بدلا من تدوينه كتاريخ أمم قائمة بذاتها.

ولقد سلك مؤرخونا تاريخ المعينيين والسبئيين والحضرميين والقتبانيين وشعوب شمال جزيرة العرب وإماراتها فى القرون القديمة فى سلسلة تاريخ العرب، مع أن هؤلاء لم يوصفوا فى أى أثر قديم بصفة العروبة بالتخصيص ولم يكونوا أكثر

[١] انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد على ج ٢ ص ٨ – ٢٧٥ و ٢٧٧ – ٣٥٧ و ج ٣ ص ٥ – ١٢٩ و ١٣٦ – ٢٠٩ و ٢١٥ – ٢٦٨ و ٤٢٣ – ٤٦٣ و ج ٤ ص ٥ – ٣٢٩ و ج ٧ وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولنفسون ص ١٦١ – ٢٥٢.

[١] انظر تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ٢ ص ٢٨٧ ومعالم الحضارات فى الشرق والغرب للرفاعى ورفقاه مثلا.

قربا فى لغاتهم وصبغتهم الجنسية بوجه عام إلى العروبة الصريحة من الموجات التى انساحت من الجزيرة إلى وادى النيل والهلال الخصيب بل كانوا أكثر قربا على اعتبار تقارب الزمن التاريخى. بل هناك ما هو أدعى إلى العجب. فقد سلك جرجى زيدان الدولة البابلية التى من ملوكها حورابى ودولة الرعاة فى مصر فى كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام فى سلك تاريخ العرب [1] ولم يسلك بقية الدول التى قامت فى بابل ونينوى وسواحل بلاد الشام وداخلها وجنوبها، والتى يقرر هو بالذات أنها تمت بأصلها إلى الجزيرة العربية وتتشارك فى اللغة والعادات والأفكار والعقائد كالأكاديين والكلدانيين والآشوريين والآراميين والعموريين والعبرانيين والمؤابيين والعمونيين والأدوميين.

ويسعدنى أن أعلن أنى قد خطوت خطوة متواضعة فى هذا المضمار فوضعت خطة لتدوين تاريخ العرب على هذا الأساس بعنوان « تاريخ الجنس العربى فى مختلف الأدوار والأطوار والأقطار » بحيث تشمل سكان الجزيرة ومن هاجر منها إلى الهلال الخصيب ووادى النيل وشمال إفريقية المغربية فى القرون القديمة قبل دور العروبة الصريحة وفى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام، ثم فى العهد الإسلامى إلى اليوم فى سلسلة واحدة هادفا بذلك إلى تصحيح التوجيه التاريخى القومى ووصل حلقات تاريخ جنسنا بعضها ببعض ثم إلى إحباط مكر المستعمرين والمبشرين المغرضين وتلامذتهم ومأجوريهم وأعداء العروبة الذين يصرون على تجاهل الحقائق والمكابرة فيها ليوقروا فى أذهان سكان وادى النيل والهلال الخصيب وشمال إفريقية المغربية وهن الصلة بين أصولهم القديمة وبين العروبة ويجعلوهم يعتبرون العرب الذين جاءوا هذه المرة تحت راية الإسلام غزاة كسائر الغزاة الذين طرءوا عليهم ووطدوا حكمهم على بلادهم بالقوة وحسب، وكون ما هنالك من فرق هو أنهم أعطوهم دينهم ولغتهم، حتى بالرغم من السيل الذى أخذ وظل يتدفق من جزيرة العرب على هذه الأقطار فى دور العروبة الصريحة، وقبل الإسلام وبعده دون انقطاع، ويغمر مدنها وقراها وصحاريها وبواديها استمراراً لما كان يجرى قبل دور العروبة الصريحة والذى قد تفوق أعداده أعداد سكانها أضعافا، والذى يتمثل فى كل ناحية من أنحائها وفى كل مظهر من مظاهر حياتها وتقاليدها ولغتها تمثيلا شاملا. ولقد صدر من السلسلة ثلاثة أجزاء: الأول فى تاريخ الجنس العربى فى جزيرة العرب فى القرون القديمة ومآثره، والثانى فى تاريخ الموجات

---

[1] ص ٤٠ — ٥٢ و ٥٦ — ٦٠.

العربية إلى وادى النيل ومآثرها فى القرون القديمة ، والثالث فى تاريخ الموجات العربية إلى العراق فى القرون القديمة ومآثرها . وقد توخيت فيها الإيجاز مع عدم الإخلال بحيث يستطيع الناشئ العربى أن يلم بتاريخ قومه إلماما مجزيا . وأرجو أن يصدر فى هذا العام الجزء الرابع فى تاريخ الموجات العربية إلى بلاد الشام فى القرون القديمة ومآثرها ، والجزء الخامس فى مراحل تطور العروبة من دور العروبة غير الصريحة إلى دور العروبة الصريحة ، وتاريخ الجنس العربى فى هذا الدور قبل الإسلام . وقد تضمن كل منها من تقارير العلماء والباحثين ومن نصوص النقوش ما يؤيد جميع ما قررته فى هذا البحث .

وإنى لأناشد علماءنا ومؤرخينا وكتابنا أن يعيروا هذا الأمر عنايتهم وأن يتبنوه وأن يحلوا اسم « الجنس العربى » محل اسم « الساميين » فى الإشارة إلى سكان جزيرة العرب ومن هاجر منها فى القرون القديمة ، فيساعدوا بذلك على تثبيت الصلة بين تاريخ جنسنا القديم والحديث وواقعنا الراهن بما هو الأولى والأصح ، ويحبطوا مكر الماكرين أعداء قومنا وبلادنا ويبثوا فى ناشئتنا على اختلاف نحلهم شعور الفخار بجنسهم العظيم الذى كان أول من حمل مشاعل الحضارة والهداية ثم ظل يحملها ليهتدى بها الناس فى مشارق الأرض ومغاربها .

دمشق **محمد عزة دروزه**

بين المبرد وثعلب

كان النحو مادة الدراسة الأولى لكل متعلم . فكان الأدباء يتحلقون حلقتين متعارضتين : الأولى فى مذهب البصريين يتصدرها محمد بن يزيد المعروف بالمبرد وهو صاحب كتاب (الكامل) والثانية فى مذهب الكوفيين يتصدرها أحمد بن يحي أبو العباس ثعلب . وكلاهما كان حجة فى الأدب واللغة عالما بأصول الفقه . وكانت بينهما منافرات كثيرة أدت إلى عدم اجتماع أحدهما بالآخر . وقد سئل صهر ثعلب أبو عبد الله الدينورى وكان يتردد على المبرد : « لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ فقال : لأن المبرد حسن العبارة حلو الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين . فإذا اجتمعا فى محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن » .

بين العربيّة والفارسيّة

للدكتور حامد عبد القادر

عضو مجمع اللغة العربية

إذا سلمنا بأن اللغة ظاهرة اجتماعية وجب علينا أن نقول : إنها أبرز الظواهر الاجتماعية . وأعلاها شأنا وأعظمها قدرا ، وأن نقول أيضا : إنها ضرورة اجتماعية لاغنى عنها ؛ لأنها أداة التعليم والتعلم والتفاهم ونقل العلوم والمعارف من جيل إلى آخر ، ومرآة صادقة للمجتمع ، وسجل أمين لتطوراته فى مختلف عصور حياته .

وأن نقول مع هذا وفوق هذا : إنها كائن حى يعتريها ما يعترى الكائن الحى من قوة وضعف وتقدم وتأخر ، وفتوة وشيخوخة . وهى تتأثر فى أطوار حياتها بما يتأثر به الكائن الحى من عوامل ومؤثرات فى مقدمتها الوراثة والبيئة ، فلكل لغة مميزات أو خواص ترثها عن أصلها أو أصولها التى انحدرت عنها ، وكل لغة تتأثر بالبيئة التى تعيش فيها طبيعية كانت تلك البيئة أو اجتماعية ، فليست لغة البدو كلغة الحضر ، وليست لغات سكان الأقاليم الاستوائية كلغات سكان المناطق المعتدلة أو الباردة ، ولغات القبائل البدائية محدودة ليس فيها من الألفاظ والعبارات ما يكفى للتعبير عن تجارب الإنسان المتشابكة المتنوعة ، وعلومه ومعارفه الراقية ، وظروف حياته المتغيرة المتقلبة . أما لغات الأمم والشعوب الراقية الناهضة فتساير نهضتهم وتتسع للتعبير عن إحساساتهم الدقيقة وعواطفهم الرقيقة ، ولتسجيل علومهم ومعارفهم ونقل ثقافتهم ومظاهر حضارتهم من جيل إلى جيل .

ونستطيع أن نسير فى تشبيه اللغة بالكائن الحى إلى أبعد من هذا فنقول : إن اللغات قد تشعبت واختلفت فانقسمت إلى طوائف أو سلالات كما انقسم النوع الإنسانى إلى أجناس، وقديما كانت اللغات تنقسم إلى سامية وحامية ويافثية تبعا لانقسام النوع الإنسانى إلى ساميين وحاميين ويافثيين أيضا . ولا يزال تقسيم اللغات يبنى فى عصرنا هذا على أساس تقسيم الجماعة البشرية إلى طوائف تؤلف بين أفراد كل منها روابط مختلفة منها رابطة اللغة .

ونخطو خطوة أخرى فى هذا التشبيه فنقول إن كل لغة تتكون من أفراد هى ألفاظها أو كلماتها ، فهى بمثابة الجماعة ، وألفاظها بمثابة الأفراد ، وإن كل كلمة لها شخصية قائمة بذاتها

ذات ناحيتين: هما الناحية اللفظية أو الصوتية، والناحية المعنوية، فلفظ الكلمة أو صوتها بمثابة جسم الإنسان أو مادته التي يتكون منها، ومعناها بمثابة روح الإنسان التي تسرى في جسمه وتكسبه الحياة. وكما يتطور الإنسان جسما وروحا تتطور الكلمة لفظا ومعنى.

واللغات تتصارع وتتغالب كما تتصارع الشعوب. فيغلب القوى منها الضعيف، ولا يزال يصرعه حتى يقضى عليه.

ونذهب إلى أبعد من هذا كله فنقول: إن بعض أفراد اللغة أو ألفاظها قد تنتقل أو تهاجر من لغة إلى أخرى كما يهاجر بعض الناس من بلد إلى بلد، وعوامل الهجرة اللغوية تكاد تكون هي عينها عوامل الهجرة البشرية التي تشمل العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية والتجارية والحربية.

وكما تتصل الأمم والشعوب بعضها ببعض ويتأثر كل منها بالآخر تتصل اللغات بعضها ببعض وتتأثر كل منها بغيرها نتيجة لهذا الاتصال. وكذلك نجد أن اللغات أو اللهجات المختلفة قد يندمج بعضها في بعض فتتحد وتعتبر لغة واحدة حين تتحد الشعوب وتكون جماعة بشرية واحدة كما في الدول الإسلامية والولايات المتحدة. ويمدنا التاريخ بمثل يؤكد لنا هذه الحقيقة بصورة بارزة ذلكم هو مثل اللغة الأردية التي ولدت في عهد الإمبراطور أكبر امبراطور الهند سنة ١٥٥٦ — ١٦٠٥ م نتيجة لاجتماع طوائف مختلفة من الجنود في معسكر واحد جمع بين الفارسي والهندي والأفغاني والتركي، ومن ثم كانت هذه اللغة خليطا من العربية والفارسية والهندية والأفغانية والتركية، فما أشبه هذه اللغات بأصحابها.

هذا هو شأن اللغة أية لغة. وليست اللغة العربية بدعا من اللغات، بل إنها قد خضعت في نشأتها وتطورها لما خضع له غيرها من أسباب التطور، وعوامل القوة أو الضعف، ولولا القرآن الكريم كتاب العربية المقدس ومنار المسلمين في جميع أقطار الأرض لكان مصير العربيه كمصير اللاتينية والسنسكريتية. وغيرهما من اللغات القديمة التي فنيت أو حلت محلها فروعها.

ولئن كانت اللغة العربية قد اتصلت في عصور حياتها المختلفة بعدة لغات فإن اتصالها باللغة الفارسية كان أقوى وأظهر. وبيان الصلة بين هاتين اللغتين هو الموضوع الذى أكتب اليوم فيه.

وإنه لموضوع طويل متعدد النواحي لا يكفي لتفصيل القول فيه مقالة واحدة ذلك لأنه بحث يتطلب عرض ما كان بين العرب والفرس من علاقات سياسية وتجارية وغيرها قبل الإسلام وبعده. وغنى عن البيان

أن هذه العلاقات هى أساس ما حدث بين الشعبين العربى والفارسى من صلة لغوية وثيقة قبل الإسلام وبعده .

ولا ريب أن تفصيل هذه الصلة وبيان تلك العلاقات حقيق بأن يملأ صفحات وصفحات ، ومن ثم أرانى مضطراً إلى التزام جانب الإيجاز المعتدل والاكتفاء أحيانا بالإشارة إلى المراجع المطولة ، ليرجع إليها من يود التوسع فى البحث والإسهاب فى التحصيل .

ولأبدإ اليوم بالكلام على صلة العربية بالفارسية قبل الإسلام مرجئا إلى مناسبة أخرى الحديث عن هذه العلاقة بعد الإسلام .

من المعلوم أن بلاد العرب لم تكن بمعزل عن العالم قبل الإسلام ، فالواقع الذى لا مراء فيه أن جزيرة العرب وبخاصة أطرافها كانت على صلة بما حولها وما جاورها من البلاد .

كانت على صلة وثيقة ببلاد فارس الواقعة فى شمالها الشرقى ، وكانت العراق أو بعبارة أدق وكانت الحيرة مملكة المناذرة حلقة الاتصال بين العرب والعجم . وكانت بلاد العرب على صلة ببلاد الروم الواقعة فى أقصى شمالها الغربى ، وكانت مشارف الشام مملكة الغسانيين حلقة الاتصال بين العرب والروم .

وفى القرون الأخيرة قبل الميلاد والقرون الأولى بعده كان العرب على صلة بالأنباط [1] الذين امتدت بلادهم من شبه جزيرة طور سينا إلى ما حولها فى الركن الشمالى الغربى من جزيرة العرب .

وقديما قامت فى الجزء الجنوبى من بلاد العرب دول يمنية قوية كان لكل منها شأن عظيم فى مجرى الحوادث التاريخية . منهم المعينيون ، والسبئيون ، والحميريون ، والحضرميون . وكانت اليمن حلقة الاتصال بين العرب والأحباش بطريق بوغاز باب المندب ، وبين العرب والهنود والصينيين عبر البحر العربى وبحر الهند وغيرهما .

وكان اليهود يجاورون العرب فى فلسطين . وكانت لهم جالية بالعراق وأخرى فى الحجاز.

وكانت اليمن تمتاز فى العصور القديمة بموقع جغرافى يصل بينها وبين أمم العالم القديمة ويجعلها حلقة الاتصال التجارى بين الشرق والغرب ، فكان الهنود يحملون إليها من بلادهم ومن الصين البضائع التى يحتاج إليها المصريون والآشوريون والفينيقيون والروم ، كالذهب ، والقصدير ، والأحجار الكريمة ، والعاج ، وخشب الصندل ، والقطن والتوابل

[١] كانت دولة الأنباط بين فلسطين وبلاد العرب وكانت دولة ذات مدنية وحضارة اشتهرت بالزراعة وقيل: إن العرب أخذوا عنهم الكتابة واستمرت هذه الدولة من القرن الرابع ق . م إلى أن استولى عليها الرومان سنة ١٠٦ م .

والأفاويه كالفلفل والزنجبيل وبعض أنواع من الحرير . وكان التجار يأتون من بلاد إفريقية الشرقية بالعطور وخشب الأبنوس وريش النعام والعاج والذهب ويحملونها إلى اليمن . فكان اليمنيون ينقلون هذه البضائع وتلك إلى الأمم المذكورة آنفا بطريق البر أو بطريق البحر ، وكانوا يحملون إلى هذه الأمم ما تخرجه بلادهم من المر والبخور كالعود والند ، وبعض الأحجار الكريمة كاليشب والعقيق .

وكانت قوافل التجارة تسير فى قلب الجزيرة مخترقة طرقا خاصة بعيدة عن الجبال ومغاصات الرمال ذات مراحل ومرافق يقوم على حراستها أشخاص يختارون من البدو .

وكان أهم هذه الطرق طريق عمان أوحضرموت وكان يمر بالدهنا. فنجد ويصل إلى الحجاز فيمر بمكة فالمدينة فبطرا ثم يمتد شمالا إلى فينيقية وفلسطين وتدمر أو غربا إلى مصر .

وكما كانت قوافل التجارة تنقل بضائع الصين والهند وبلاد إفريقية الشرقية من الجنوب إلى الشمال كانت قوافل أخرى تنقل بضائع البلاد الشمالية إلى اليمن ومن ثم إلى الهند والصين وشرقى إفريقية ، أو تنقل بضائع أخرى مخترقة قلب الجزيرة من الغرب إلى الشرق أو بالعكس .

فقد هيئت طرق للقوافل منذ القدم بين مكة والشام ، وبينها وبين اليمن ، أو العراق ، أو مصر . وكان لتجارة الحبشة طريق معبد يبدأ من جدة على البحر الأحمر وينتهى بالقطيف على خليج العرب ببلاد الأحساء .

ويروى المؤرخون أن كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) كان يجهز كل سنة لطيمة أى قافلة تجارية تباع بعكاظ ، وأن بنى عامر بن صعصعة غزوا لطيمة فى بعض السنين فكان ذلك سبباً فى نشوب حرب بين النعمان ابن المنذر أبى قابوس (٥٨٥ — ٦١٣ م) صديق كسرى وعامله على الحيرة وبين بنى عامر . وتسمى هذه الحرب يوم السلان وفيها انهزمت جيوش النعمان .

ويشير القرآن الكريم إلى انتشار التجارة فى بلاد العرب فيقول : « أولم نمكن لهم حرما آمناً يجبى إليه ثمرات كل شىء » [1] ويقول : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف » .

ويروى المؤرخون أيضاً أن القدماء من

[١] القصص : ٥٧ . والمراد بالحرم الآمن بيت الله الحرام بمكة وكان العرب يقدسونه ويحجونه ويأتون إليه رجالا وركبانا من كل جانب حاملين إليه الخيرات المختلفة الأصناف والبضائع المختلفة الأنواع ليشهدوا منافع لهم بالتجارة ونحوها فكانت حركة البيع والشراء تشتد فى أيام الحج فى سوق عكاظ

المصريين والآشوريين غزوا بلاد العرب فى عصور مختلفة تمتد من أوائل القرن السابع عشر إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، وأن الفرس خلفوا البابليين فى الاستيلاء على العراق فى عهد كيروش حوالى سنة ٥٣٨ ق م . ويقال : إن العرب أو فريقاً منهم كانوا يؤدون له الجزية ، وأنهم كانوا عونا لقمبيز خليفة كيروش حين أغار على مصر (٥٢٩ — ٥٢٢ ق م) .

ويروون كذلك أن الأحباش غزوا اليمن سنة ٥٢٥م وظلوا يحكمونها حتى سنة ٥٩٩م ، وأن الفرس حاربوا الأحباش وأخرجوهم من اليمن سنة ٥٩٩ م فى عهد كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) .

وقد نشبت بين العرب والفرس قبل الإسلام حربان عظيمتان كان النصر فيهما للعرب : الأولى حرب استخلاص الملك لبهرام كور وسيأتى الكلام عليها ، والأخرى حرب ذى قار (يوم ذى قار) وكانت فى عهد كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨م) وإياس بن قبيصة ملك الحيرة (٦١٣ — ٦١٨ م) وفيها دارت الدائرة على الفرس فانهزموا بصفوفهم وخيلهم على كثرة عددهم . وقد وقعت هذه الحرب سنة ٦١٤ م أو فى السنة الثالثة من البعثة المحمدية . وتدل بعض الروايات التاريخية على أنه كانت بين الفرس والعرب بعض صلات اجتماعية ، فمن ذلك أن كسرى برويز كتب إلى المنذر الرابع أن يبعث له بقوم من العرب يترجمون الكتب له فبعث إليه بعدى بن زيد الشاعر وأخوين له فكانوا بين كتابه يترجمون له .

وقيل : إن الأكاسرة كانوا فى أوائل عهد دولة المناذرة يعجبون بنشاط العرب وأنفتهم ، ويعهدون إليهم بتربية أولادهم وتثقيفهم وذلك كما فى حال بهرام كور بن يزدكرد التى سنقص قصصها فيما بعد .

وقيل أيضاً : إن كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) هم بتزويج بعض أولاده من بنات العرب فاستشار فى ذلك زيد بن عدى الشاعر المعروف فأشار عليه أن يطلب من النعمان بن المنذر بعض بنات عمه وأثنى على جمالهن فأمره أن يذهب فى طلبهن . ولذلك قصة لا يتسع المقام لذكرها .

كل هذه الحوادث وغيرها مما لا قبل لنا باستقصائه تدل دلالة قاطعة على حقيقتين لا مناص من التسليم بصحتهما .

أما الأولى فهى أن العرب قد اتصلوا فى عصور حياتهم المختلفة قبل الإسلام بجميع الدول التى شاع أمرها فى العصور القديمة ، وأن هذه الصلة كانت متعددة النواحى شملت السياسية والاقتصادية والحربية والاجتماعية .

وأما الثانية فناشئة عن الأولى، وخلاصتها أن اللغة العربية قد احتكت بأمهات اللغات القديمة وتأثرت بها ومن بين هذه اللغات: الفارسية واليونانية، والنبطية والآرامية، والعبرية، والحبشية والهندية.

ومن ثم نعرف السبب الأساسى فى أننا نجد فى اللغة العربية كلمات أو أصولا لغوية منقولة أو مهاجرة من هذه اللغات حتى لقد قيل: إن معظم الألفاظ الدالة على الحضارة والملك والأثاث والرياش منقولة عن الفارسية. وإن معظم الألفاظ المتصلة بالعلم والفلسفة منقولة عن اليونانية، وإن كثيراً من الكلمات الدالة على النباتات وشئون الزراعة منقول عن النبطية، وأن ما يدل على طقوس دينية أكثره منقول عن العبرية أو السريانية أو الحبشية، وأن ما يدل على التوابل والأفاويه والعقاقير والأطياب والأحجار الكريمة فأصله فى الغالب سنسكريتى أو هندى.

وقد ذكر علماء اللغة من الألفاظ اللاتينية أو اليونانية الأصل: القسطاس، والدرهم، والقنطار، والقبان، والاصطرلاب والترياق، والبطريق، والقنطرة، ومن الألفاظ العبرية الأصل: الملكوت والرحموت، والجبروت والمشكاة واللهم وحج وكاهن وعاشوراء ومعظم أسماء الأنبياء ومن الألفاظ الحبشية الأصل: كفلين، مشكاة، وهرج، ومنبر. ونفاق، وحوارى (رسول) وبرهان (منير واضح) ومصحف، ومن الكلمات السنسكريتية الأصل: صبح وبهاء وضياء ومسك. ومن الألفاظ الهندية الأصل: كافور، وزنجبيل وفلفل. دخلت العربية هذه الألفاظ وغيرها من مئات الكلمات فصقلت بالصيقل العربى وصارت عربية الصبغة، ودخلت فى كيان اللغة العربية، ونزل القرآن الكريم فاستخدم كثيراً منها [1] ولم يقدح ذلك فى أنه أنزل بلسان عربى مبين.

أما ما نقل من الفارسية إلى العربية من الألفاظ فكثير لا يكاد يحصى، ذلك لأن علاقة العرب بالفرس كانت قبل الإسلام أوثق وأبعد مدى مما يعتقد كثير من الناس. لذا سأفيض فى بيان هذا الموضوع.

قلت من قبل: إن المناذرة ملوك الحيرة كانوا حلقة الاتصال بين العرب والفرس، ومع أنهم كانوا يحكمون العراق بالنيابة عن الفرس فقد كان ملوكهم ذوى حول وطول وأصحاب سلطان ونفوذ، وكان لكل منهم مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة لدى الأكاسرة.

---

[١] راجع فى هذا الموضوع الإتقان فى علوم القرآن والمزهر للسيوطى، والأصل والبيان فى معرب القرآن للشيخ حمزة فتح الله.

ولقد بلغ من ثقة الأكاسرة بملوك المناذرة واعتمادهم عليهم فى مهام أمورهم أن كان بعضهم يرسلون أبناءهم إلى البادية لينشئوا بها فى رعاية ملوك الحيرة وتحت إشرافهم . وتلك حقيقة تتجلى بأجلى مظاهرها فيما كان من أمر يزدكرد الأول بن بهرام الأثيم (٣٩٩-٤٢٠م) وابنه بهرام كور (٤٢٠ - ٤٣٨ م) الذى أجمع مؤرخو العرب والعجم على أنه تربى فى بلاد العرب .

ويعد بهرام هـذا أبرز حلقة اتصال بين العرب والفرس ثم بين العربية والفارسية قبل الإسلام . ويذكر المؤرخون فى سبب تربيته فى بلاد العرب أن أباه يزدكرد كان لا يعيش له ولد فلما ولد له بهرام هذا أصابته علة فى صغره ولما يزل رضيعا ، فأشار عليه الأطباء أن يخرجه إلى بلاد العرب ليعيش فى مكان هواؤه طلق نقى يساعد على شفائه فدفعه إلى أحد ملوك الحيرة ليربيه ويشرف على علاجه .

وهنا نسأل : من كان ملك الحيرة الذى أشرف على تربية بهرم كور ؟ فنجد أن المؤرخين قد اختلفوا فى الجواب عن هـذا السؤال فقال فريق منهم وعلى رأسهم حمزة الأصفهانى: إنه كان المنذر بن النعمان بن امرىء القيس (٤٣١ - ٤٧٣ م) الذى تولى الملك بعد أن تركه أبوه النعمان السائح وتزهد . وقال فريق آخر : إنه كان النعمان بن امرىء القيس (٤٠٧ - ٤٣٠ م) .

ويبدو لى أن الرأى الثانى هو الصواب لأن الرأى الأول لا يستقيم وما ذكره المؤرخون عن تاريخ حكم المنذر للحيرة وحكم بهرام لفارس ، فالمنذر تولى ملك العراق سنة ٤٣١ ، وبهرام جلس على عرش فارس سنة ٤٢٠ م ومعنى هذا - إذا صح هذان التاريخان - أن المنذر تولى الملك فى العراق بعد أن تولاه بهرام فى فارس بنحو إحدى عشرة سنة ، ومن ثم لا يمكن أن يكون هو الذى تولى تربية بهرام وساعده على استرداد عرشه ممن اغتصبه كما سنذكر فيما بعد .

ومهما يكن من أمر هذا المربى فمما لا شك فيه أن بهرام كورتربى فى بلاد العرب ، وربما كان ذلك فى مكان قريب من بادية الشام ، وقد عنى ملك الحيرة بعلاجه حتى برأ من علته . ويقال: إنه أحضر له ثلاث مراضع إحداهن فارسية والأخريان عربيتان ، وإنه هيأ له وسائل التربية الصحية والعقلية وأعد له عددا كافيا من المربين والمعلمين فعلموه القراءة والكتابة والرماية والفروسية . وكان لبيباً فطنا فأجاد التعلم فى صغره ، وطلب من المشرف على تربيته أن يأتى له بمعلمين آخرين لأنه قد استوعب جميع مالدى معلميه من علم ومهارة .

وقد أهله ذكاؤه النادر لأن يجيد تعلم اللغة العربية ويقرض الشعر العربى الموزون المقفى الذى لم ير له نظيرا فى الفارسية .

يقول محمد عوفى فى كتابه « لباب الألباب » الذى ألفه بالفارسية فى الأدب الفارسى فى أوائل القرن السابع الهجرى ما خلاصته مترجمة :

نشأ بهرام كور بين الأعراب وتعلم العربية وألم بأسرارها ووقف على دقائقها . ويقال إنه كان فى صباه متوقد الذكاء سريع الخاطر مرهف الحس ، وكان شجاعا مقداما بين السابقين من أبطال العجم . ويروى أنه كان ينظم شعرا جيداً بالعربية » .

ويمضى محمد عوفى فيقول إنه : اطلع فى إحدى دور الكتب على ديوان شعر لبهرام يحتوى على قصائد باللغة العربية وأنه قرأ بعض هذه القصائد وكتبها وحفظها ويذكر من بين تلك القصائد واحدة نظمها بهرام فى رفضه الزواج بعد أن عاد إلى بلاده وساعده العرب على الجلوس على عرش أبيه يزدكرد. وسبب ذلك أن جماعة من أقاربه ورجال دولته مثلوا بين يديه وقالوا له : أيها الملك العظيم : إن أيام الشباب هى موسم انتهاز الفرص لتحقيق الرغبات . وليس من المقبول أن تقضيها فى عزلة ووحدة ، وأن ماء الحياة إذا شربه الشاب من كأس العزوبة يفقد ما قد يكون فيه من عذوبة . فهل تتفضل فتأذن لنا أن نختار إحدى المخدرات من أكفاء الأميرات لتكون لك زوجا تؤانسك وتذهب بوحشتك ؟ فما كان منه إلا أن أجابهم بقطعة من الشعر منها هذان البيتان .

يرومون تزويجى من الكفء مطلبا
وما لى من جنس الملوك عديل

أرى أن مثلى كالمحال وجوده
وليس إلى مثل المحال سبيل

ويروى العوفى لبهرام بيتين آخرين هما :

فقلت له : لما نظرت جنوده
كأنك لم تسمع بصولات بهرام

فإنى لحامى ملك فارس كله
وما خير ملك لا يكون له حام

ولبهرام كور أشعار كثيرة بالفارسية كان يغنيها المغنى الفارسى الشهير المسمى « باربد » فى بلاط كسرى برويز ، ولكن هذه الأشعار لم تكن موزونة مقفاة كالشعر العربى بل إنها كانت خالية من الروى والقافية ولم تخضع لنظام البحور الذى اتبعه العرب .

ويروى أن أول بيت نظمه بهرام على مثال الشعر العربى هو قوله :

منم آن شير كله منم آن بيلى يله
نام من بهرام كور وكنيتم بوجبله

« أنا ذلك الليث الكاسر أنا ذلك الفيل الثائر .

اسمى بهرام كور وكنيتى أبو جبلة

ويروى دولتشاه السمرقندى فى كتابه « تذكرة الشعراء » الذى ألفه بالفارسية فى

الأدب الفارسي حوالى سنة ٨٩٢ هـ فى بيان السبب فى نظم هذا البيت ما خلاصته مترجمة .

ولم يجد العلماء والأدباء شعراً نظم باللغة الفارسية قبل الإسلام . ولم تقع أنظارهم على أسماء الشعراء فى ذلك العصر .

بيد أنه قد شاع على ألسنة الناس أن بهرام كور كان أول من نظم الشعر بالفارسية . وسبب ذلك أنه كان يعشق فتاة اسمها دلارام جنكى (جذابة القلوب فى ميدان الحروب) وكانت ممشوقة القوام ، مستقيمة الطبع ، رشيقة الحركات ، حاضرة البديهة طريفة الفكاهة . ولما كان بهرام لا يصبر على فراقها كان يصحبها كلما خرج للصيد والقنص .

وذات يوم خرجا للصيد فرأى بهرام أسدا فى إحدى الغابات ، فطارده وظفر به فأخذ بأذنيه وربط إحداهما بالأخرى ، وعاد به إلى عشيقته ، وقد بلغ من إعجابه بنفسه واغتباطه بشجاعته أن جرى على لسانه قوله :

منم آن بيل دمان
منم آن شيريله
أنا ذلك الفيل الثائر
أنا ذلك الليث الكاسر

وكانت عادة دلارام أن تعلق على كل عبارة يقولها بهرام بما يناسبها فحين جرت على لسانه العبارة السابقة قال لها : ماذا لديك يادلارام فى مناسبة هذا الكلام ؟ فأجابت :

نام بهرام ترا
وبدرت بوجبله
فبهرام لك لقب
وبوجبله لك الأب

فوافق هذا الكلام ذوق بهرام وحسن وقعه على نفسه وعرضه على الأدباء فقرروا أنه موزون مقفى من النوع الذى عرف فيما بعد باسم المثنوى فى الفارسية والمزدوج فى العربية .

ومن ثم يرى مؤرخو الأدب الفارسى أن بهرام كور كان أول من نظم الشعر الموزون المقفى بالفارسية وأنه هو الذى ابتكر نظام المثنوى . وسنوفى هذا الموضوع حقه فيما يأتى :

هذا وإن رواية دولتشاه للبيت ليست كرواية محمد عوفى له ، فليت شعرى هل أخذت بهرام نشوة أدبية حينما سمع كلام دلارام فقال مرددا لما قالاه فى صورة جديدة :

منم آن شير كله
منم آن بيل يله
نام من بهرام كور وكنيتم بوجبله

وكان لبهرام كور مغامرات فى أثناء إقامته فى بلاد العرب منها ما رواه الملاحين الواعظ الكاشفى فى كتابه « أخلاق محسنى » الذى ألفه بالفارسية فى أواخر القرن التاسع الهجرى حيث يقول ما ترجمته :

لقد أقام بهرام كور بعض الوقت فى بلاد العرب فى صحبة النعمان بن المنذر [1] ، وكان النعمان هذا يقوم على تربية بهرام بناء على طلب أبيه يزد كرد ، فحدث ذات يوم أن خرج بهرام لصيد الظباء فلاحت له ظبية فقصد إلى رميها ، فقفزت وفرت هاربة فطاردها واقتفى أثرها ، واشتد الحر فأدرك الظبية شىء غير يسير من الجهد والنصب من العطش ومتابعة العدو ، فاضطرت إلى أن تأوى إلى ديار إحدى قبائل العرب .

ودخلت خباء أعرابى اسمه قبيصة ، فأخذها وعقلها وما أن فعل ذلك حتى رأى رجلا يصل إلى باب خيمته متنكبا قوسه متلهفا يطلب الظبية ، ويصيح بأعلى صوته : يا صاحب هذه الدار ههنا صيدى فاخرج به إلىّ . فقال قبيصة ـ ولم يكن يعلم من الواقف ببابه ـ « أيها الفارس الطلق المحيا ليس من المروءة فى شىء أن أسلم حيوانا احتمى بدارى ولجأ إلى جوارى إلى يد إنسان ليقتله » .

وسمع بهرام هذا الكلام فاستشاط غضبا وأخذ يكلم قبيصة فى غلظة ، فقال قبيصة : لا تكثر من الكلام . فما دمت حيا ولم يصبنى أذى من سهمك الذى فى قوسك فلن تمتد يدك بسوء إلى هذه الظبية ولئن قتلتنى ليتبعنك قومى ليأخذوا بثأرى ويستردوا الظبية منك ، فاربأ بنفسك وتخل عن هذه الظبية وإذا أردت عوضا عنها فأمامك جوادى العربى مسرجا ملجما مقيدا أمام خبائى فخذه هدية منى إليك واركبه واجعل جوادك جنيبه من ورائك ، والحق بأهلك وديارك .

فأعجب بهرام بهذا الكلام وأكبر فى الأعرابى حمايته لجارته الضعيفة ، ولم يلتفت إلى جواد الأعرابى . بل إنه لوى عنان جواده هو وأغذ السير حتى وصل إلى موكبه .

ولما جلس بهرام على عرش أبيه (على النحو الذى سنشرحه) ودخل فى طاعته أبناء وطنه أرسل فى طلب قبيصة ولما وفد عليه أكرم وفادته وأطلق عليه لقب « مجير الظباء » فصارت مثلا .

وبينما كان بهرام كور يرتع ويلعب فى رحاب البادية ويستمتع بهوائها الطلق النقى إذ بلغه أن أباه يزدكرد قد مات ، وأن الفرس قد ملكوا عليهم رجلا اسمه خسرو من سلالة أردشيرين بابك ، وعلم أن السبب فى ذلك هو أن عظماء الفرس وأشرافهم تعاهدوا فيما بينهم على ألا يملكوا عليهم أحداً من نسل يزدكرد بعد وفاته لسوء سلوكه فيما بينهم ، ولأن ابنه الأكبر بهرام نشأ بين العرب وتخلق بأخلاقهم الجافة فى نظرهم ولا علم له

---

[1] لعل الصواب : ابن امرىء القيس كما بينا من قبل .

بسياسة الملك ولأن ابنه الأصغر محب لنفسه يؤثر مصلحته الخاصة على مصلحة الوطن، فقد كان واليا على أرمينية ولما بلغته وفاة أبيه تركها وشأنها دون أن ينيب عنه من يرعاها ، وأسرع فى العودة إلى عاصمة الدولة ليجلس على عرش أبيه قبل أن يسبقه إليه أخوه الأكبر بهرام .

علم بهرام بذلك فجن جنونه وهرع إلى النعمان بن امرئ القيس يستعديه على قومه ويتوسل إليه أن يعاونه على استرداد عرشه المسلوب فلبى النعمان طلبه وقال له : لايهولنك ذلك حتى ألطف الحيلة فيه ، ثم جهز جيشاً ضخما اقتحم به أرض فارس ، ورآه الفرس فأفزعتهم كثرة عدده وعدده ، وانتهى الأمر بانتصار العرب ، وإذعان الفرس لبهرام وجلوسه على العرش ، وعاد الجيش العربى منصورا مؤزرا ، وكانت للنعمان منزلة عظمى لدى بهرام ، وأدرك الفرس ذلك فتوسلوا إليه أن يخاطب بهرام فى أن يعفو عن عظمائهم وأشرافهم الذين كانوا قدخرجوا عليه ففعل .

وكان للجيش العربى موقف مشرف آخر مع بهرام كور وذلك حين نشبت الحرب بين الفرس والروم وحاصر الروم مدينة نصيبين من أرض الجزيرة ، فاستنصر بهرام بالمنذر ابن النعمان بن امرئ القيس (٤٣١ - ٤٧٣م) فلبى طلبه واضطرب أهل القسطنطينية فاضطر ملك الروم إلى طلب الصلح وعاد الجيش العربى ظافراً منصورا .

هذه هى قصة بهرام كور . وأذكر هنا على سبيل الاستطراد أن كلمة بهرام معناها المريخ ، وأن كلمة كور معناها الحمار الوحشى وقد لقب بهرام بهذا لأنه كان مولعا بصيد الحمر الوحشية ، وقد ظل على هذه العادة طول حياته حتى كانت سببا فى هلاكه ، ذلك أنه بينما كان يطارد حمارا وحشيا إذ عدا جواده إلى نهر من الرمل فغاصت فيه قوائمه فهلك وهلك معه راكبه .

وإنما أطلت فى سرد هذه القصة لأقرر :

١ — أن بعض الأكاسرة كانوا يرسلون أبناءهم إلى بلاد العرب ليتعلموا بها .

٢ — أن الأكاسرة كثيرا ما كانوا يستعدون العرب ويستعينون بالجيش العربى فى تحقيق أغراض عسكرية يعجزون عن تحقيقها .

٣ — أن بهرام كور أجاد العربية نثرا ونظما ونقل إلى الفارسية نظام الشعر العربى المنظوم ، المقفى ، وابتكر نظام المثنوى أو المزدوج .

٤ — أن الاتصال الوثيق بين العرب والعجم لكل ما ذكرت من الأسباب قد أدى إلى أن يدخل العربية فى العصر الجاهلى كثير من الألفاظ الفارسية ، وجاء الإسلام ونزل

القرآن الكريم وقد صقلت هذه الكلمات بالصيقل العربى واندمجت فى كيان اللغة العربية فاستعمل القرآن بعضها مثل سندس واستبرق لا على أنها كلمات أعجمية بل على أنها كلمات عربية الصيغة والصبغة .

ولم يكن بهرام كور هو وحده الذى تعلم العربية فإن بعض التراجمة ورجال الدولة من الفرس كانوا يعرفونها أيضا . يؤيد ذلك ما ورد فى قصة وفود النعمان على كسرى ومعه عدد كبير من خطباء العرب ، وكذلك ما روى من أن كسرى أرسل زيد بن عدى إلى النعمان ابن المنذر فى طلب بنات عمه ليكن زوجات لأبناء كسرى وأنفذ معه سفيرا يعرف العربية ليسمع جواب النعمان .

وكما كان بعض الفرس يجيدون العربية ، كان بعض العرب يجيدون الفارسية وخاصة من كانوا يسكنون الحيرة وما حولها . وقد ذكرنا من قبل أن بعض الكتاب والمترجمين فى بلاط كسرى كانوا من العرب .

من هذا كله نستطيع أن نستخلص حقيقة لا مجال للشك فى صحتها هى فى الواقع خلاصة هذا البحث هى أن صلة العرب بالعجم قبل الإسلام قد أدت إلى أن اتصلت العربية بالفارسية وتأثرت كل منهما بالأخرى .

أما تأثر العربية بالفارسية فيؤيده ما دخل العربية من كلمات فارسية ذكر بعضها معربا فى القرآن الكريم . وأما تأثر الفارسية بالعربية فأمر طبيعى معقول على الرغم من أنه ليس بين أيدينا الآن من المراجع أو الأدلة اليقينية ما يثبته ؛ لأن لغة فارس قبل الإسلام كانت اللغة الفهلوية التى حلت محلها العربية كما حل الإسلام محل الزرادشتية ، وحل القرآن الكريم محل الزند والأبستاق .

على أن تأثر كل من العربية والفارسية بالأخرى قبل الإسلام كان فى حدود نطاق ضيق . ذلك لأن الفرس تأثروا فى العصر الساسانى بالآرامية التى كانت لغـــة شبه رسمية فى الشرق الأوسط جميعه ، وقد ثبت أن الفرس قد استبدلوا بالخط المسمارى الخط الآرامى ، وأنهم اتبعوا فى الكتابة والقراءة طريقة الهزوارش أو الزوارش وهو ما يسميه ابن النديم الزوارش . ذلك أنهم كانوا يكتبون كثيراً من الكلمات بالآرامية ويقرءونها كلمات فارسية تؤدى معانيها كأن يكتبوا بالحروف الآرامية ملكان ملكا (ملك الملوك) ويقرؤوا شاهان شاه أو يكتبوا كلمة بسر (لحم) ويقرءوا كوشت ، أو يكتبوا كلمة « زانا » (ذلك) ويقرءوا آن ، ويكتبوا لحما (خبز) ويقرؤوا « نان » [1] .

---

[1] راجع كتاب : قصة الأدب الفارسى : ٨٤ — ٨٦ .

إن هذا يرجح أن تأثر الفرس بالآرامية كان أشد من تأثرهم بالعربية قبل الإسلام. أما فيما بعد الإسلام فقد تغيرت الأوضاع فتعلم الفرس العربية التي حلت محل الآرامية في الانتشار. ولما جد الفرس في إحياء لغتهم وآدابهم في القرن الثالث الهجري اتخذوا الأبجدية العربية.

ويبدو أن تعصب العرب للغتهم قد جعلهم ينفرون من تقبل الكلمات الفارسية التي لم يشعروا بحاجة إليها؛ فإننا إذا نظرنا في هذه الكلمات وجدنا:

١ — أنها قليلة لا تكاد تذكر بجانب الكلمات الأصيلة لأنها دخلت العربية بعد أن نمت وأثبتت صلاحيتها للبقاء، ولم تكن في حاجة لأن تقتبس من غيرها إلا القليل النادر من الألفاظ التي تدل على معان مستحدثة أو على مسميات لم يكن لها نظائر في بلاد العرب.

٢ — أنها أسماء، إذ لم يأخذ العرب عن غيرهم حروفاً ولا أفعالا، وإنما أخذوا عنهم أسماء، غير أن العرب بما طبعوا عليه من مرونة لغوية كانوا كثيراً ما يشتقون من الأسماء الدخيلة أفعالا، فاشتقوا من زركش (= الراسم بالذهب) زركش = نقش أو رسم بالذهب، ومن كهرباء كهرب، ومن مغناطيس مغطس، ومن قسطاس قسط بمعنى عدل وأقسط ظلم، ومن لجام ألجم، ومن مهر (= خاتم) مهر الكتاب بمعنى ختمه أو ذيله بتوقيعه. ومن ديوان دون وهكذا، ثم اشتقوا من هذه الأفعال أفعالا ومشتقات أخرى كما لا يخفى.

٣ — أنها أسماء من أنواع خاصة، كأسماء النبات، أو الحيوان أو المعادن، أو الآلات أو المأكولات أو المشروبات أو الملابس أو غيرها مما يدل على معان فلسفية أو على أشياء لم يعهدها العرب من قبل.

على أن العرب قد نقلوا إلى لغتهم ألفاظاً محدودة العدد لها نظائر في لغتهم إما لخفتها على اللسان أو السمع، وإما ليدلوا على سعة اطلاعهم على الفارسية وشدة اتصالهم بالفرس. فمن النوع الأول الكلمات: ورد، ومسك وتوت، وهاون، ورصاص، وميزاب، فقد استعملها العرب بدلا من حوجم، ومشموم، وفرصاد، ومهراس، وصرفان، ومشعب.

ومن النوع الثاني: بوصى (معرب بورى) وجوذقة، وسجنجل، وموزج، فقد استعملت بدلا من: سفينة، ورغيف، ومرآة، وخف.

٤ — أنها تنقل عن شعوب عرفوا بالمهارة والاختصاص أو السبق في استعمال مدلولاتها، فقد أخذ العرب عن الفرس كلمات يدل

معظمها على أنواع من الطعام أو الشراب أو الملابس أو الزهور وما إليها ، وأخذوا عن اليونان بعض كلمات تدل على معان فلسفية ، وعن الأنباط ألفاظاً تتصل بالزراعة وآلاتها . . وهكذا كما سبق شرحه .

وللسبب نفسه أخذت اللغات الأوربية عن العربية بعض المصطلحات الرياضية مثل : الجبر والصفر ، واللوغاريتمات (الخوارزميات)[1] وبعض المصطلحات الكيميائية كالكحل ، والقلويات وبعض كلمات أخرى كتعريفة ، وقالب .

٥ ـ أنها كثيراً ما تخضع فى أصواتها وموازينها الصرفية لما هو متبع فى العربية ، وهنا تظهر مهارة العرب واعتزازهم بلغتهم ، فإنهم لم يخضعوها للموازين والصيغ الغريبة عنها ، وإنما أخضعوا لها ما كان غريبا عنها من أصوات أو موازين ، متبعين فى ذلك قواعد معينة أهمها :

أولا : قلب هاء السكت المتطرفة جيما كما فى كوسج = الأمرد ، وموزج = الخف ، وطازج = الغض الطرى : فأصلها على الترتيب : كوسه ، وموزه ، وتازه . وقد تقلب هذه الهاء قافا كما فى جوسق = القصر ، وجردق = الرغيف أو الكعك ، وكربق = الحانوت ، وبراق = الحمل ، وباشق = صقر الصيد ، فأصولها على الترتيب هى : جوسه ، وجرده ، وكربه ، وبره ، وباشه .

وإذا كان قبل هذه الهاء دال قلبت الدال ذالا والهاء جيما كما فى : ساذج ، ونموذج ، وفالوذج ، فأصولها هى على الترتيب : ساده ، ونموده . وبالوذه .

وإذا كان قبل الهاء تاء قلبت دالا وقلبت الهاء قافا كما فى بودقة فأصلها بوته .

وإنما قلبوا هذه الهاء لأنه ليس فى العربية اسم ينتهى بهاء السكت ، وإنما قلبوها جيما لأنها تقلب كافا فارسية عند الجمع أو النسب أو اشتقاق اسم المعنى فى الفارسية كما فى بندكان = عبيد مفرده بنده ، وبندكى = العبودية . والجيم من أقرب الحروف إلى الكاف ويليها الكاف ثم القاف كما سترى بعد.

ثانياً : قلب الكاف الفارسية جيما كما فى لجام ، وبنج ، وجربز (= المكار الخادع) وجورب وجلنار (= زهر الرمان) فأصولها : لكام ، وبنك ، وكربز ، وكورب وكلنار .

وقد تنقلب الكاف كافا كما فى كوش (= الأذن) وكردن (= العنق) ، وكنز وبركار . فأصولها : كوش ، وكردن ، وكنج وبركار .

---

[١] نسبة إلى أبى جعفر محمد بن موسى الخوارزمى صاحب كتاب « الجبر والمقابلة » .

وقلما تقلب هذه الكاف قافا أو غينا كما فى قريز (= جريز) وقندفير (= العجوز الشمطاء المحطمة) وغربال ، فأصولها : كريز ، وكنده بير ، وكربال .

ثالثا : قلب الباء الثقيلة فاء أو باء خفيفة كما فى فرند السيف (= جوهره) وفالوذج ، وفستق ، وفيروزج ، وبندق (المأكول المعروف) وبيدق (= الجندى الماشى) ، فأصولها : پرند ، وپالوده ، وپستى ، وپيروزه وپندق ، وپياده .

رابعا : قلب الشين سينا فى بعض الحالات كما فى بنفسج ، دست (السهل) ، وسكر ، وسروال ، وسلجم (= اللفت) ، فأصولها : بنفشه ، ودشت ، وشكر ، وشلوار ، وشلغم .

خامسا : قد تقلب السين صادا كما فى صرد (البرد) وصنجة فأصلهما : سرد ، وسنج أو سنك . هذا وقد دخل العربية كثير من الكلمات الفارسية المركبة مثل الزركشة ، زر = ذهب + كش = الراسم والكلنار كل = زهر + نار = الرمان ، والسرداب سرد = بارد + آب = الماء أى ذو الماء البارد ، والميزاب ميز = مسيل + آب = الماء ، السراب سير = مملوء + آب = الماء ثم استعمل فيما يظن الرائى من بعد أنه ماء ، والجلاب كل = زهر أو ورد + آب = ماء ، وخشاب خوش = حلو + آب = الماء ، وسربوش سر الرأس + بوش = غطاء ، بابوج = الخف ، با = القدم + بوج = بوش = غطاء ، والمهردار = صاحب الختم = حامل أختام الدولة مهر = خاتم + دار = صاحب ، والمهماندار = المضيف = من يقوم بشئون الضيوف مهمان = ضيف + دار = صاحب .

ومن يرجع إلى المطولات من معاجم اللغة العربية يجد كلمات كثيرة من هذا النوع .

وبعد :

فأرجو أن أكون قد وفقت فى تصوير الجهود الموفقة التى بذلها أسلافنا الأقدمون رحمهم الله فى سبيل تنمية لغتنا الحبيبة ، وتوفير أسباب نهضتها وتقدمها ، والاحتفاظ بعزتها وشخصيتها حتى إنهم أخضعوا لسلطانها كل ما كان غريبا عنها أو دخيلا فيها .

فعسى الله أن يوفقنا كما وفقهم فى متابعة سيرنا نحو تحقيق الأغراض نفسها التى سعى فى تحقيقها هؤلاء السابقون الأولون .

والله المسئول أن يلهمنا القوة والصبر حتى نقف صامدين فى وجه ذلك الجيش الجرار من المصطلحات الأجنبية ، فلا نسمح له بأن يقتحم ديارنا ، ويدخل فى حمى لغتنا إلا بعد أن نقهره ونرغمه على أن يتعرب فيلبس إرداء العــــروبة ، أو يطرح جنسيته ويتجنس بالجنسية العربية .

حامد عبد القادر

(البقية فى العدد القادم)

الجلال السيوطي والتفسير

للأستاذ فوزي عرفه

ألف جلال الدين السيوطي نحوا من ثلاثين كتابا في التفسير والقرآن . وكان تعلقه بالتفسير من مطلع عمره حتى نهاية حياته ، ألف في شرح الاستعاذة والبسملة أول ما ألف . وكان شابا مفعما بالحيوية لا يجاوز عمره السادسة عشرة أو السابعة عشرة . وتقدم بهذا التفسير إلى شيخ الإسلام علم الدين البلقيني فأعجب به مما جعله يواصل الجهد ويكابد المشقة في سبيل تفسير القرآن تفسيرا جديدا يتلاءم مع اطلاعه الواسع وفهمه الدقيق .

ولقد حدثنا السيوطي عن نفسه بأنه رزق التبحر في سبعة علوم وجعل أولها التفسير . وإن هذا لحق لا مراء فيه ، فليس غريبا على من بدأ حياته بشرح الاستعاذة والبسملة وحدد خطوط هذه الحياة منذ شبابه بأن يتضلع في علم التفسير ، خاصة وقد أكثر من الاطلاع ، مما مكن له أن يكون حجة في التفسير لا يبارى .

وعندما بلغ الثلاثين وقع على كتاب يفسر نصف القرآن ألفه جلال الدين المحلي العالم المصري ، وكان قد توفي سنة أربع وستين وثمانمائة فابتدأ جلال الدين السيوطي يكمل هذا التفسير في سنة سبعين وثمانمائة وخرج بتفسير موجز لنصف القرآن الكريم ، يبدأ من سورة البقرة وينتهي عند سورة الإسراء تكملة لتفسير المحلي الذي بدأ تفسيره من الإسراء وانتهى عنه الفاتحة .

إن الجلال السيوطي لم يبلغ في هذا التفسير أقصى آماله فقد ألف بعد ذلك كتابيه القيمين « الإتقان في علوم القرآن » و « لباب النقول في أسباب النزول » .

وحسبك أن تقرأ كتابه « الإتقان في علوم القرآن » فترى أنه قد تبحر في دراسة القرآن حتى تناول موضوعات متعددة فدرس آيات القرآن : المكي والمدني والحضري والسفري والنهاري والليلي والصيفي والشتائي والفراشي والنومي والأرضي والسمائي ، وأول ما نزل وآخر ما ترك ، وسبب النزول ، وما نزل على لسان بعض الصحابة ، وما تكرر نزوله ، وحكمة نزوله وما نزل مفرقا ومجمعا ومفردا ومشيعا ، وما نزل على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيفية إنزال القرآن وأسمائه وأسماء سوره وجمعه وترتيبه وعدد كلماته وسوره

ومعرفة حفاظه والعالى والنازل من أسانيده، ومعرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج. ومعرفة الوقف والابتداء والإمالة والفتح والإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب والمد والقصر، وكيفيات القراءة وتجويد القرآن، وآداب تلاوته، وما وقع بغير لغة العرب وما يحتاج إليه المفسر ومعرفة إعرابه ومعرفة الوجوه والنظائر.

هذا ما يدرسه فى الكتاب الأول. أما الكتاب الثانى من الإتقان فيبحث فى المحكم والمتشابه ومقدمه ومؤخره وعامه وخاصة ومجمله وناسخه ومنسوخه ومشكله وموهم الاختلاف والتناقض ومطلقه ومقيده ومنطوقه ومفهومه وجميع مخاطباته وحقيقته ومجازه وتشبيهه واستعارته وكنايته وتعريضه والحصر والاختصاص والإيجاز والإطناب والخبر والإنشاء وبدائع القرآن وفواصل الآى وفواتح السور وخواتمها ومناسبة الآيات والآيات المتشابهات، وإعجاز القرآن والعلوم المستنبطة من القرآن وأمثال القرآن وأقسامه وجدل القرآن وما وقع فى القرآن من الأسماء والمبهمات وأسماء من نزل فيهم القرآن وفضائل القرآن وفضله ومفرداته وخـواصه وغـرائب التفسير وطبقات المفسرين.

ولعلك تسأل: ماذا يبقى بعد من المسائل التى تدور حول القرآن مما يمكن بحثه؟، ولعلك لا تمنع نفسك من العجب عندما تعرف أنه لم يكتف بهذا بل ألف فى مفردات هذه المسائل كتبا عدة منها كتاب «التحبير فى علوم التفسير» الذى ألفه سابقا لكتاب الإتقان ثم كتاب «لباب النقول فى أسباب النزول» الذى ألفه لاحقا لكتاب الإتقان. وعلى الجملة قد استطاع أن يهيئ نفسه تهيئا كاملا للخوض فى القرآن الكريم والتحدث عن مختلف النواحى التى تدور حول اللفظة والجملة والسورة على وجه العموم.

ولكن ما السبب الذى دعاه إلى هـذا التبحر؟ كان السبب أنه اعتقد اعتقادا جازما أن القرآن الكريم كتاب حوى من جميع الفنون والعلوم ما يجب على الباحث أن يستقى من منبعها وهو القائل: «إن كتابنا القرآن لهـو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شىء وأبان فيه كل هدى وغى فترى كل ذى فن منه يستمد وعليه يعتمد. فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوى يبنى منه قواعد إعرابه ويرجع إليه فى معرفة خطأ القول من صوابه. والبيانى يهتدى به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة فى صريح الكلام، وفيه من القصص والأخبـار ما يذكر أولى الأبصار.

ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها ، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب » .

وعلى هذا يجرى فى كتابه متبعا هذا الأسلوب ومعتقدا أن القرآن منبع العلوم ومفجرها ومعتمداً على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فالله تعالى يقول : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، ويقول : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » ، وقال صلى الله عليه وسلم (ستكون فتن قيل وما المخرج منها ؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم) .

إن الإيمان بشمول القرآن وعمومه وأنه آخر الكتب المنزلة قد أفضى بالجلال إلى فلسفة لا نزال نجد لها صدى فى وقتنا الحاضر ، فالذين يرجعون النتائج العلمية المعاصرة إلى آيات فى القرآن ويحاولون أن يردوها إلى هذه الآيات إنما يصدرون من نفس المنبع الذى استق منه الجلال ويتفقون معه فى أن القرآن جماع العلوم ومنبع الفنون وأصل الأفكار . ولقد حاول هو كما حاول السابقون أن يجدوا للعلوم والصنائع أصلا فى القرآن حيث يقول : « وقد احتوى - القرآن - على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك » . وألف فى ذلك كله كتاب « الإكليل فى استنباط التنزيل » . فذكر العلوم المستنبطة من القرآن علما علما بتوسع يشفى العليل ويروى الغليل .

لهذا عظم الجلال « علم التفسير » ، واهتم به منذ صغره وباكورة شبابه ، ذلك لأن العلوم وإن كثر عددها وانتشر فى الخافقين مددها فغايتها بحر قعره لا يدرك ونهايتها طود شامخ لا يستطاع إلى ذروته أن يسلك . ولهذا يفتح العالم بعد آخر من الأبواب ما لم يتطرق إليه من المتقدمين الأسباب . وإن مما أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلى فى آخر الزمان بأحسن زينة علم التفسير » .

فشعور الجلال بأن هناك موضوعات لم تطرق حول تفسير القرآن وبأنها لم تبوب وتنظم هو الذى جعله يؤلف كتبه العديدة فى تنظيم سور القرآن المكية والمدنية وآياته المكية والمدنية ثم معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وما إلى ذلك من الأمور . وشعوره بأن القرآن منبع العلوم وأصلها دفعه إلى التبحر فى فهم هذا الكتاب الكريم مما جعله ينتج فيه إنتاجا قيما ويحاول أن يتوج هذا العمل كله بتفسير كامل شامل للقرآن الكريم جميعه .

ولقد نشأ نشأة دينية وكانت صورة أبيه لا تزال ماثلة أمام عينيه وهو صبى صغير حيث كان الأب يختم القرآن كل أسبوع. فاهتمام الوالد بالقرآن واعتزاله الناس وإقباله على هذا الكتاب الكريم قد أثر فى نفس الطفل فأصبح يتمثل سلوته وراحته فى اللجوء إلى هذا الكتاب محققا لأبيه ما كان يصبو إليه.

كل هذه أسباب جعلت السيوطى يرزق التبحر فى التفسير كما وصف هو نفسه عند ما أرخ لحياته فى كتابه «حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة»، ولكن مع هذا كله لم يفسر القرآن بعد أن استكمل له عدة التفسير الذى كان يرجوه، ولا تعتبر تكملته لتفسير المحلى فة ما وصل إليه، لأنه فسره فى الثلاثين أى فى منتصف عمره تقريبا ولم يكن قد نضج تمام النضوج واستوى ورسخ كل الرسوخ. ومع ذلك فإننا نجد فى هذا التفسير نظرات فائقة وآراء ناضجة وتتجلى فيه شخصية الجلال القوية جلاء واضحا ولعلنا عند ما ننظر فى كلامه الذى ختم به تفسيره يتضح لنا عمق الجلال فى تفسيره المختصر. فما بالك لو كان قد أتحفنا بتفسيره المطول.

يقول «هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعى رضى الله عنه. وقد أفرغت فيه جهدى وبذلت فكرى فيه فى نفائس أراها إن شاء الله تعالى تجدى وألفته فى مدة قدر ميعاد الكليم، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو فى الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه فى الآى المتشابهة الاعتماد والمعول، فرحم الله امرءا نظر بعين الإنصاف إليه ووقف فيه على خطأ فأطلعنى عليه وقد قلت:

حمدت الله ربى إذ هدانى ... لما أبديت من عجزى وضعفى

فمن لى بالخطا فأرد عنه ... ومن لى بالقبول ولو بحرف

هذا ولم يكن قط فى خلدى أن أتعرض لذلك لعلمى بالعجز عن الخوض فى هذه المسالك وعسى الله أن ينفع به نفعا جما، ويفتح به قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وآذانا صما. وكأنى بمن اعتاد المطولات وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسما، وعدل إلى صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقها فهما، من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى، رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقا، واطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقا، وجعلنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا...

ثم يذكر قصة تهدف إلى تبيين الاختلاف بينه وبين جلال الدين المحلى حيث يقول: «قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر

الخطيب الطوخي أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى. أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور أيهما أحسن: وضعي أو وضعك؟ فقال وضعي، فقال: انظر. وعرض عليه مواضع فيها وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئا يجيبه والشيخ يبتسم ويضحك.

ويعلق على هذه القصة بقوله: «الذى أعتقده وأجزم به أن الوضع الذى وضعه الشيخ جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى فى قطعته أحسن من وضعى أنا بطبقات كثيرة: كيف وغالب ما وضع هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لامرية عندى فى ذلك. وأما الذى رؤى فى المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التى خالفت وضعه فيها لنكتة. وهى يسيرة جدا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع، منها أن الشيخ قال فى سورة ص: والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه وكنت تبعته أولا فذكرت هذا الحد فى سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى: «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى الآية: فهى صريحة أو كالصريحة فى أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه، فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال الشيخ تاج الدين ابن السبكى فى جمع الجوامع والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فتمسك عنها. ومنها أن الشيخ قال فى سورة الحج: «الصابئون فرقة من اليهود، فذكرت ذلك فى سورة البقرة: وزدت أو النصارى، بيانا لقول ثان فإنه المعروف خصوصا عند أصحابنا الفقهاء، وفى المنهاج: وإن خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى فى أصل دينهم وفى شرحه أن الشافعى رضى الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى ولا استحضر الآن موضعا ثالثا، فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب».

هذا كله يدل دلالة واضحة على أن الجلال لم يكن متبعا مقلدا ولا ضعيفا إمعة بل كان عميقا فى أفكاره دقيقا فى تفهمه، قويا فى شخصيته بحيث خالف جلال الدين المحلى وسنه ثلاثون عاما، وخالفه فى مسائل هامة تلتصق بالتفسير التصاقا كبيرا، وخاض فيها المسلمون حقبة طويلة من الزمن حتى أصبحت هناك فرق وشيع، وحتى استطاع هو - بعد - أن يختار من بين هذه الفرق والشيع ما يجده موافقا لرأيه ملائما لفهمه.

فوزى عرفة

زعماء المسلمين فى الهند

وموقفهم من الاستعمار الانجليزى

للأستاذ محمد اسماعيل الندوى

— ٢ —

إن السيد أحمد خان كافح وناضل لتحقيق غايتين : الأولى رفع مستوى المسلمين من ناحية اقتصادية وثقافية ويقربهم من تقدم الانجليز الذين كان يكرههم ويصب عليهم جام الغضب والسخط ويسقطهم فى جميع الميادين . والثانية قام كمصلح دينى ليذود عن كيان الدين من الحملات الفكرية الصليبية ويوجه المسلمين توجيها سليما دينيا ، ولم يرقه الكتب التى صنفها المستشرقون مثل السير وليم ميور (Sir william Mure) وغيره من الذين طعنوا فى الإسلام وصاحب الشريعة وتعاليمه من ناحية تاريخية وفكرية وعقيدية. لقد سافر لأجل ذلك إلى انجلترا وصنف بالأردية كتابا سماه بالخطبة الأحمدية ، رد فيه على المستشرقين رداً قاطعا . ولقد ترجم هذا الكتاب إلى الانجليزية فى انجلترا . وكذلك حاول فى كتابه تهذيب الأخلاق ـ وهو مجموعة من مقالاته التى كان يكتبها فى مجلة كان يصدرها بهذا الاسم ـ أن يفسر تفسيراً جديداً (يلائم روح العصر وثقافته) المسائل الإلهية والمعجزات وغيرها من المسائل المهمة . وذهب السيد أحمد خان فى هذا مذهب المعتزلة كالنظام والجاحظ وأندادهما . ولم يذهب مذهبا جديدا خطر على باله . ولكن البيئة الإسلامية فى تلك الأيام كانت متمسكة بعلم الحديث ولذلك خالفه علماء الحديث وسموه بالزنديق والملحد وأفتوا بكفره لأن هذه المسائل كانت مثيرة جداً .

وقد كتب مولانا أبو الكلام آزاد فى كتابه « التذكرة » أن السيد أحمد خان قد تناول هذه الموضوعات قبل أن يحين وقتها وقد أتعب نفسه لأنه لم يكن أحد فى الهند قد درس الفلسفة الغربية والكتب الانجليزية التى صنفها المستشرقون . ولم يترجم أى كتاب إلى اللغة الأردية الثقافية من الكتب الانجليزية الحديثة . كان الناس آمنين مطمئنين إلى أن آثار السيد أحمد خان هذه الموضوعات التى لم ترغب فيها الأمة الإسلامية فى تلك الأيام . ومن ناحية أخرى فإن السيد أحمد

خان لم يدرس اللغة الانجليزية ولم يطلع على الأفكار الحديثة من مصادرها الأصلية ولذلك أخطأ فى فهم النظريات والأفكار الحديثة لأنه أخذها بمجرد السماع . وكذلك لم يكن السيد أحمد خان ملماً بالدراسة الإسلامية كما ألم بها أقرانه مثل العلامة محمد شبلى النعمانى . ولم يستطع أن يبحث فى المسائل الإلهية والمعجزات بكل دقة وعمق حتى يعد نفسه من مفكرى الإسلام فى القرن التاسع عشر وينشئ مدرسة فكرية تجرى مع الزمان والظروف والثقافة المعاصرة . لقد أظهرت هذا الرأى فى مقالتى الأردية التى كتبتها لمجلة البصير التى أصدرتها جامعة بنجاب فى الباكستان فى سنة ١٩٥٨ .

إن أحمد أمين عد أمير على من زعماء الهند وخصص له بابا فى كتابه وترك محمد شبلى النعمانى الذى يعتبر من رواد النهضة الحديثة فى الهند . وأما أمير على الذى كتب عنه أحمد أمين فلا يعرفه أحد كزعيم دينى أوسياسى . فقد كان مجرد كاتب صنف كتباً كثيرة فى اللغة الانجليزية وأشهرها روح الإسلام (The Spirit of Islam) والقانون الإسلامى (The Islamic law) ولم يشتهر أبداً بين أوساط المسلمين كزعيم أو رائد الفكرة الإسلامية ولا يعرفه كثير من المسلمين إلى الآن ، لأن ثقافته كانت ثقافة انجليزية ولم يكن إنتاجه الفكرى باللغة الثقافية التى هى اللغة الأردية .

إن السيد أحمد خان كان رجلا مخلصاً دينا أميناً . ولا شك أنه وقع فى أخطاء شنيعة فى توجيهاته وشرحه وتفسيره لمبادئ الإسلام وعقائده وأفكاره فى ضوء العلم الحديث ، ولكنه كان مخلصاً فيما كتب ولذلك حينما أفتى العلماء بأنه ملحد وخارج عن الدين وأخذوا توقيعات كافة الفقهاء والمحدثين رفض الشيخ محمد قاسم النانتوى منشئ دار العلوم بديوبند أن يوقع على هذا وهو الذى يعتبر فى طليعة العلماء الأبرار من مدرسة الشاه عبد العزيز الدهلوى ومن أنصار العلماء الذين رفعوا راية الثورة فى الهند ، لقد أرسل الشيخ محمد قاسم رسالة إلى السيد أحمد خان وسأل فيها ثلاثة أسئلة ورد السيد أحمد خان عليها :

السؤال الأول : ما هو رأيك عن الله تبارك وتعالى ؟ .

الجواب : الله خالق السموات والأرض وهو أزلى وأبدى ومالك وصانع .

السؤال الثانى : هل تؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

الجواب : أشهد أن محمدا عبده ورسوله وحبيبه وصديقه .

السؤال الثالث : ما هى عقيدتك عن اليوم الآخر ؟ .

الجواب : إن اليوم الآخر حق لامناص منه ولما وصلت إلى الشيخ هذه الإجابة قال للعلماء هل تكفرون رجلا يؤمن بالله ورسوله وهو صادق فى إسلامه (البصير شبلى نمبر ص ١٦٦) .

شتان بين دعوة السيد/أحمد خان والدعوة القاديانية . إن دعوة السيد / أحمد خان كانت دعوة إيجابية متطورة . وهى قد قامت على أساس البناء والإصلاح وتطوير الفكر الإسلامى والوعى القومى . أما الدعوة القاديانية فهى دعوة سلبية رجعية وأساسها المنامات والإلهامات والخرافات والخزعبلات التى لايقبلها الفكر الإنسانى فى العصر الحديث .

وكتب مولانا أبو الكلام آزاد (وزير المعارف السابق بالجمهورية الهندية) فى التذكرة « أن غلام أحمد القاديانى لم يدع يوما من الأيام أنه نبى أو رسول بل أتباعه وأنصاره استغلوا اسمه وأضافوا إليه أقوالا غريبة وأنشئوا جماعة تبشيرية لكى يحصلوا على مركز بين أوساط الناس » . وانتهز الاستعمار هذه الفرصة واشترى هذه الطائفة لأغراضه السياسية وتشكيك أبناء المسلمين فى القيم الإسلامية . ولا شك أنه يوجد شبه بين السيد/ أحمد خان وغلام أحمد القاديانى فى بعض الأشياء ولكنهما يختلفان كل الاختلاف أو يبتعدان كل البعد . إن السيد أحمد خان خالف الجهاد ضد الانجليز وكان هذا رد فعل لنزعة العلماء الذين أفتوا بأن الهند دار كفر ووجب على المسلمين الجهاد فى سبيل الله أما مسالمته للانجليز فكانت لمصلحة المسلمين وترقية أحوالهم السياسية والاقتصادية والثقافية . وهو يشبه فى مسالمته للانجليز الشيخ محمد عبده فى مصر . وأما موالاة القاديانيين للانجليز كانت مبنية على تشتيت القيم الإسلامية كما قال الدكتور محمد البهى .

لقد وجدت فى الهند فى منتصف القرن التاسع عشر مدرستان : الأولى مدرسة المحافظة على التراث الدينى وكان يتزعم هذه المدرسة الشيخ محمد قاسم وكان مركزها دار العلوم بديوبند والمدرسة الثانية هى مدرسة التجديد وتطوير الفكر الإسلامى وكان السيد أحمد خان زعيمها وكانت جامعة عليكره مركزها . وقد ازدادت الفجوة بين هذين المدرستين اتساعا وعمقا بمرور الأيام . واشتدت الحاجة إلى إنشاء مدرسة ثالثة وهى مدرسة توفيقية . وزعيم هذه المدرسة معاصر السيد أحمد خان وزميله محمد شبلى النعمانى . إن شبلى رافق السيد أحمد خان فى جميع نشاطه وحركاته كما كان رفيقا له فى كلية المحمدية فى التدريس . ولكن شبلى كان يختلف عنه ببعض نزعاته . فقد كان يؤمن بالتمسك بالتراث الفكرى الذى خلفه أسلافنا مثل ابن حزم والغزالى وابن تيمية والشاه ولى الله الدهلوى وغيرهم من رجال الدين والفكر . وكان

يحب الوثبات الحديثة فى حدود الشريعة . ولذلك كتب عن رجال الفكر والدين وأظهر بطولتهم وأهدى هذه التحفة للجيل الناشئ . وقد كتب سيرة عمر رضى الله عنه بأسلوب علمى حديث وبحث فيه عن الجانب السياسى والديمقراطى والعدالة الاجتماعية فى الإسلام، وكان هذا بحثا طريفا على طريقة علماء الغرب من حيث التدقيق والتحقيق والإشارة إلى المصادر . وقد سافر لأجل هذا الكتاب فى سنة ١٣٠٩ ﻫ إلى الآستانه والقاهرة ليطلع على المخطوطات النادرة . وهو أول من عالج بحوثا علمية طريفة ردا على المستشرقين فى مسألة الجزية وإحراق مكتبة الإسكندرية فى عهد عمر رضى الله عنه وغير ذلك من موضوعات هامة لم يألفها العلماء المسلمون فى القرن التاسع عشر . وقد ترجمت هذه البحوث إلى اللغة الانجليزية . وقد أعجب بها السيد أحمد خان إعجابا شديداً وشجعه فى معالجة هذه الموضوعات الهامة .

وكذلك لم يتفق شبلى مع السيد أحمد خان فى مسالمته الانجليز بل كان ينتمى فى نزعته السياسية إلى العلماء الأبرار الذين قاموا بالثورة الأولى والثانية لطرد الانجليز من الهند . وانتسب إلى حزب المؤتمر .

إن جهود العلماء الأبرار الذين قضوا حياتهم فى محاربة الاستعمار لم تذهب سدى بل اندفعت هذه الحماسة فى بداية القرن العشرين بقوة دافقة . انضم هؤلاء العلماء إلى حزب المؤتمر الذى أنشئ فى سنة ١٨٨٥ وكانت رسالة هذا الحزب أن يحارب الاستعمار ويجليه عن أرض الهند بطريق سلمى لا بطريق الخشونة والثورة الذى باء بالفشل مرتين . يقول الشيخ حسين أحمد المدنى (الذى يعتبر فى منتصف القرن العشرين فى طليعة هؤلاء العلماء الذين انضموا إلى حزب المؤتمر وحاربوا الاستعمار حتى طردوه من بلادهم) ، يقول : إن حزب المؤتمر لم يكن أول حركة قومية لطرد الاستعمار بل سبقته حركات ومحاولات عديدة . أما هذه الحركة فهى حلقة أخيرة للمحاولات السابقة (نقش حيات ج ٢ ص ٧) . إن النزعة السياسية للسيد أحمد خان باءت بالفشل لأن أنصاره وتلاميذه وقادة جامعة عليكرة انضموا إلى الحركة الوطنية ولذلك أصبحت هذه الحركة قوة جبارة لم يستطع الاستعمار القضاء عليها بل ترك الهند وخرج منها فى سنة ١٩٤٧ .

أما شبلى النعمانى فكانت له جوانب عديدة فى خدمته للأمة الإسلامية . فقد كان من العلماء القدماء ولكن اتصل بالسيد أحمد خان واشترك معه فى جامعة عليكره أستاذا للشريعة الإسلامية واللغة العربية . وكذلك كان من

أصدقاء السير عقومس آرنولد Sir okomas Arnold وعرف منه كثيراً عن الثقافة الغربية وفلسفتها ونهضتها الحديثة وتعلم منه اللغة الفرنسية كما علمه اللغة العربية. وحصل على تجارب وخبرات استغلها فى بعث نهضتنا الحديثة مع التمسك بالدين. فدعا المدارس العربية فى الهند وعلى رأسها دار العلوم بديوبند إلى إصلاح مناهج التعليم وتغيير الكتب القديمة والعلوم البالية مثل الفلسفة والمنطق وعلم الفلك وغيرها. ودعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية قرآنية كما كانت فى العصر العباسى الأول وإضافة بعض مواد حديثة مثل علم الاجتماع والاقتصاد وتدريس المواد الحديثة بطريقة تطبيقية بين الشريعة الإسلامية والثقافة الغربية. وقد خالفه العلماء القدماء المتزمتين وعارضوه ولكنه لم يترك هذه الدعوة. وقد أتيحت له الفرصة فى سنة ١٨٩١ لزيارة مصر والآستانة. وقد قامت فى تلك الأيام حركة إصلاحية فى مصر أيضا تماثل حركته ونزعته. وكان رائد هذه النزعة فى نظره على مبارك منشئ مدرسة دار العلوم فى القاهرة. وقد تبادل الآراء مع على مبارك والشيخ محمد عبده فى جلسات متعددة وأعجب بمدرسة دار العلوم بالقاهرة ودراستها ورسالتها وكتب عنها صفحة كاملة فى مذكراته وأثنى عليها ثناء بالغا. وفى نفس الوقت أقلق باله منهج الأزهر القديم والحالة السيئة التى كان عليها طلاب الأزهر وأساتذته من حيث الفكر والنزعة ولذلك انتقد الأزهر نقداً لاذعا فى مذكراته التى سماها بسفرنا م مصر وروم (رحلة مصر والروم) وطبعت باللغة الأردية فى الهند سنة ١٨٩٢ (البصير شبلى نمر ص ١٠٤).

وحينما رجع إلى الهند طلب من جمعية ندوة العلماء التى أسسها العلماء الهنود أن ينشئوا مدرسة حديثة تماثل دار العلوم بالقاهرة تأخذ من كل من مدرسة دار العلوم بديوبند وجامعة عليكره وتكون وسطا بينهما. وكان شبلى عضواً فعالا فى هذه الجمعية. ولقد وافق العلماء فى الجمعية على هذا وأنشئوا مدرسة حديثة باسم دار العلوم لندوة العلماء. ونجحت هذه الدار فى رسالتها نجاحا بارزا فى مدة بسيطة لا تزيد على عشر سنين. ولقد تخرج على يديه فى هذه المدرسة كبار الكتاب والزعماء والمفكرين مثل مولانا أبو الكلام آزاد والسيد سليمان الندوى وعبد الماجد الدريابادى ومولانا عبد البارى الندوى. وهؤلاء هم الذين قادوا الأمة الإسلامية فى الهند فى منتصف القرن العشرين كما تخرج على أيديهم كبار العلماء. مثل الأستاذ أبى

[البقية على صفحة ٣٣٤]

أثر الحضارة الإسلامية في المدنية الأوروبية

للدكتور محمد غلاب

غرست السياسة الاستعمارية من جهة ، والعنجهية الجنسية من جهة أخرى فى نفوس الغربيين أنهم نشئوا من عنصر آخر غير عنصر الشرقيين ، وبالتالى هم أسمى منهم طبيعة وأرقى مدنية . وقد طفق الطغيان طوال أزمان الاستعباد الممقوت يعمل على تثبيت هذه الفكرة الخاطئة حتى جعلها بالنسبة إلى الغربيين أشبه الأشياء بالحق المكتسب الذى لا مشاحة فيه ولا نزاع ، وتمكن بوسائله الجهنمية من ترسيخها فى نفوس الشرقيين ترسيخا لم يلبث أن تحول إلى عقدة نفسية كانت إلى عهد قريب عسيرة الحل ، أو مركب نقص مرهق ظل إلى ما قبل الآن عسير الزوال . وكان من نتائج هذا المركب النقصى الخطر أن آمن الجيل الذى نشأ وربى بين أحضان الاستعمار ، وهدد بإرهابه ومخاوفه بأنه أدنى من الغربيين عنصرا ، وأقل منزلة ، وأحط مدنية ؛ ولولا هذا لما كان لهم على الشرق حق السيادة والامتلاك . ولا ريب أن هذه الفكرة بعيدة عن الحقيقة بعد الظلام من النور . ولا نريد أن نستشهد على ذلك إلا بما سجله أعلام كتابهم ، وأفذاذ علمائهم وباحثيهم النزهاء .

ففيما يتعلق بالعهود الأثرية ، يصرح الكاتب الانجليزى ريدر هيجارد مخاطبا مصر بقوله : (فى الوقت الذى كان فيه فراعنتك يتنزهون فى زوارق أنيقة يجذف لها بمجاذيف من ذهب ، كان أجداد أولئك الذين يستعمرونك الآن يقطنون الغابات ويقتلون الحيوانات بالأحجار ، فيشوون جلودها ، ويرمون لحومها جهلا منهم بما يؤكل وما يرمى.

أما فى العصور الوسيطة التى أنار فيها الإسلام مشاعل الحضارة العربية ، ورفع راياتها الخفاقة ، ونشر معارفها المتنوعة والتى التقى فيها الغربيون بالمسلمين فى أسبانيا عند نهاية القرن السابع ثم إبان الحروب الصليبية فى فلسطين وسوريا ومصر أثناء عدة قرون ، فإليك مايقوله فيها العالم الفرنسى جوزيف كالميت فى كتابه : « تاريخ أسبانيا » الذى ظهر فى سنة ١٩٤٧ :

« قد يبدو للوهلة الأولى أن تعارض الدينين كان يمكن أن يضع عقبة كأداء أمام

تبادل التأثير بين الثقافتين ، ومع ذلك فلم تقم هذه العقبة على الأرض الأسبانية ، إذ أن الظاهرة الملحوظة هى ظاهرة عمل متبادل مستمر متغلغل إلى الأعماق . غير أن فى وصفنا هذا التأثير بالتبادل شيئا من التجوز لأن الجانب الإسلامى كان أكثر نشاطا، أى أن الإسلام هو الذى قدم عنصر الإنتاج ، وأن العالم المسيحى هو الذى تلقى الأثر الانفعالى » .

وفى الواقع إن هذه العناصر النشيطة ، قد تناولت جميع جوانب المعرفة البشرية كعلوم : الطب والهندسة والجبر والفلك . ولقد أجمل الأستاذ رودينسون ذلك فى « مجلة تاريخ الأديان » الصادرة فى ديسمبر من سنة ١٩٥١ فى تلك العبارة الجامعة الشيقة فقال : « إن علوم الغرب فى ذلك العصر كلها علوم عربية » .

أما الفلسفه فحسبنا أن نذكر عنها رأى أحد الأعلام الفرنسيين المتخصصين فى دراسة فلسفة العصور الوسيطة وهو « إيتيين جيلسون » الذى يبرز تأثير فلاسفة المسلمين فى مفكرى المسيحيين فى كتابه : « التاريخ المذهبى والأدبى فى العصور الوسيطة » ، حيث يقول :

« إن أول الأوهام التى ينبغى تبديدها هو الذى يصور الفكر المسيحى والفكر الإسلامى على أنهما عالمان متباينان . تمكن معرفة أولهما مع جهل ثانيهما » .

ونحن لا نريد أن نسهب هنا فى تفاصيل هذا التأثير المعترف به من الجميع ، بل الذى بلغ من الشهرة حداً يجعل الحديث عنه ضربا من ضروب الإعادة والتكرار ، وإنما حسبنا أن نشير إلى تأثير ابن سينا فى « ألبير الأكبر » و « القديس توماس الأكوينى » وهما على رأس أعلام المفكرين الغربيين فى العصور الوسيطة . أما تأثير ابن رشد فى فلاسفة ومتفلسفى تلك العصور وعصر النهضة فهو غنى عن كل وصف وليس عليك إلا أن تلقى نظرة عاجلة على تاريخ جامعتى السوربون وبادوا وما كان يحدث فيهما من معارك فسلفية طاحنة حول آراء ابن رشد فى ذلك العهد ، وحسبنا أن نسجل هنا أن اسم « الشارح » كان إذا أطلق فى أوربا فى ذلك الحين لا ينصرف إلا إلى ابن رشد وحده ، وأن هذا الفيلسوف قد ترك فى الغرب مدرستين قيمتين أطلق المؤرخون على إحداهما اسم المدرسة اللاتينية ، وعلى الأخرى اسم المدرسة العبرية وأن رينان قد خصص لدراسة مذهبه كتابا عنوانه « ابن رشد والمدرسة الرشدية » ، وإذا أردت بيانا عن هذا كله فارجع إلى كتابنا : « الفلسفه الإسلاميه فى المغرب » .

وإذا غادرنا العلوم والفلسفة ، واتجهنا إلى الإلهيات التنسكية ، ألفينا المستشرق الأسبانى الكبير الأستاذ ميجيل أزين

بالاسيوس يلقى أعظم الأضواء وأسطعها على تأثير الأئمة : الغزالى وابن مسرة ومحيي الدين ابن عربى فى المدارس النسكية الأسبانية .

وكما قرر أولئك العلماء تأثير المسلمين فى جميع فروع العلوم المتنوعة ، كذلك سجلوا هذا التأثير فى الحضارة الأوروبية الرفيعة على اختلاف مناحيها المترامية الأطراف .

وفى هذا يقول إرينست رينان فى كتابه المذكور آنفا - رغم تحامله أحيانا على الإسلام والمسلمين - ما يلى :

« إن الميل إلى العلوم ، وتذوق الفنون الجميلة قد أنشأ فى أسبانيا فى القرن العاشر تسامحا لا تكاد العصور الحديثة تقدم إلينا منه مثلا واحدا ، إذ أن المسيحيين واليهود والمسلمين ، كانوا يتكلمون بنفس اللغة ، ويتناشدون ذات الأشعار ، ويتقاسمون عين الدراسات الأدبية والعلمية ، وأن كل الحواجز التى تفرق بين بنى الإنسان قد انهارت ، وأن الجميع كانوا يسهمون متفقين فى تشييد الحضارة المشتركة ، وأن مساجد قرطبة التى يعد طلابها بالآلاف قد صارت مراكز نشيطة للدراسات الفلسفية والعلمية » .

وكذلك يسجل العالم الفرنسى الأستاذ فوربيل ذلك فى كتابيه : « تاريخ الجول الجنوبى » و « تاريخ الشعر البروفانسى » فيقول :

« إن من الوقائع الجديرة بالملاحظة تلك الجاذبية وذلك الاتصال الاجتماعى اللذين استقرا منذ زمن بعيد بين العرب والأسبانيين وجعلا ينموان على التوالى ، وهاتيك السهولة التى خضع بها الأخيرون لذلك السمو النبيل الذى أفاضه عليهم الأولون ، إذ استهوتهم عبقريتهم اللطيفة فاستساغوا لغتهم ، وألفوا عاداتهم بل أخيلتهم ...

... إن طباع العرب ، وأنظمتهم هى التى لفتت أنظار أهل الجنوب فى فرنسا فى القرن الحادى عشر حين بدءوا يرون فى أولئك المسلمين - وهم الذين كانوا أول الأمر يرهبونهم بوصف أنهم أعداء للعقيدة المسيحية - رجالا أكثر منهم حضارة ...

« ... كان الإجماع فى ذلك العهد يعزو إلى العرب كل ما كان يبدو خليقا بالإعجاب ، أو كل ما كان يقتضى وجود فن من الفنون الرفيعة ... » .

وإذا تصفحنا كتاب : « حضارة العرب » تأليف جوستاف ليبون ، ألفينا أنه لا يقل عن سالفيه جزما بأن الفرنجة مدينون المسلمين بكثير من مدنيتهم التى يتيه بها اليوم أحفادهم عجبا وافتخارا . وهو فى هذا يقول : « إنما عن العرب وحدهم قد أخذ سكان أوروبا ، إلى جانب قوانين الفروسية ، الاحترام والتلطف اللذين تفرضهما هذه القوانين عليهم

للمرأة فرضاً . وإذن فليست المسيحية — كما يظن فى الغرب بصورة عامه — هى التى رفعت المرأة وإنما هو الإسلام » .

وفى الحق أن قوانين الفروسية التى يتحدث عنها جوستاف ليبون كانت أحد المؤثرات الهامة التى سجلها التاريخ للشرق على الغرب بأحرف الخلود ، وأن أبرز ميدان تلألأ هذا التأثير فى سمائه هو جبهات الحروب الصليبية إذ أن المسلمين هم الذين ألهموا فرسان الفرنجة الذين كانوا — مع شجاعتهم — معروفين بالجفاف والفظاظة مبادئ الشهامة والوفاء بالعهد والتسامح وكرم الخلق واحتقار الثروة واحترام المرأة ، ولقد قدم لنا السيد الأستاذ أحمد حسن الزيات فى مقال قيم نشرته له مجلة الأزهر فى أواخر العام المنصرم بعنوان « الفتوة فى الإسلام » مثلا رائعاً من سلوك قائد جيش المسلمين الأعلى صلاح الدين مع قائد جيش الفرنجة قلب الأسد ، وهو سلوك يسجل فى مباهاة سمو الفروسية الإسلامية الذى أعطى الغربيين درسا لا يمحوه الزمن ، ومما يستدعى الانتباه هنا أن هذه الرفعة الإسلامية قد سجلها الأستاذ بيير بونسواى فى كتابه « الإسلام والجرال » فى نزاهة وإخلاص دفعانا إلى أن نقتبس منه الفقرة التالية :

« يعلم الناس اليوم أكثر من ذى قبل أن المسيحية والإسلام فى العصور الوسيطة لم يلتقيا للتقاتل فحسب ... فهناك وقائع متضافرة ومحققة تشهد بأنه قد وجد بين صفوفهما المسئولتين — فيما وراء التلاعن والتقاتل — كثير من التآلف ، ولكنه لم يكن تآلفاً ناشئا من تبادل التفاهم السطحى الناجم عن المصادفة بل كان اتحادا روحياً حقيقياً لعبت فيه الثقافة الإسلامية أثناء عدة قرون دور الملهم والمرشد ... » .

وأوضح وأصرح من ذلك كله ما يحدثنا به الكاتب العصرى الكبير : « أناتول فرانس » إذ يسجل على لسان أحد أبطاله فى كتاب « الحياة مزهرة » ما يلى .

إن أشأم أيام التاريخ هو يوم معركة بواتييه فى سنة ٧٣٢ حين تقهقرت العلوم والفنون والحضارة العربية أمام البربرية الفرنجية » .

وفى الواقع أن هذا اليوم الذى ينعته أناتول فرانس بالشؤم هو الذى استطاع فيه جيش شارلمان بقيادة شارل مارتيل أن يقف زحف الغزو العربى الذى كان يجتاح أوروبا ثم وقف عند مدينة بواتييه فى وسط فرنسا ثم تراجع واكتفى بالثواء فى أسبانيا ، ويرى أناتول فرانس بهذا إلى أنه لو لم يقع هذا الحادث المشئوم . وشاءت الأقدار أن تتغلغل الحضارة العربية فى أوروبا حتى تشملها كلها لتغير وجه التاريخ ولكان للإنسانية -

بفضل المبادئ الإسلامية - شأن غير هذا الشأن البربري الذي تعيش فيه أوربا الآن غارقة في الطغيان والاستبداد والقسوة والوحشية والاستعمار تمتص دماء الضعفاء، وتخيف الآمنين الوادعين، وتغرى الخونة والمترددين، وتدمر المدن والقرى باسم المدنية والإنسانية وترقية المتأخرين وتعليم الجهلاء والقوامة على القاصرين، وهي في ذلك كله ليست سوى وحوش كاسرة لا تعرف الرحمة إلى قلوبها سبيلا.

بان من كل ما تقدم أن لدينا من تراث حضارتنا العالية ومن أخلاق أسلافنا الخالدين ما هو قمين بأن يملأ قلوبنا بالعزة، ويفعم نفوسنا بالكرامة بدلا من انزوائنا أو تخاذلنا أو اقتناعنا بأن الغرب أعرق منا مدنية كما أمر الاستعمار سماسرته في العهد البائد بأن يلقنوا شبابنا أساليب تلك الذلة البغيضة التي لم تكن ترمى إلا إلى ترسيخ أقدامه في بلادنا وخضوعنا لأوامره ونواهيه.

أما وقد شعت أنوار الحرية في الشرق كله، فليس على أبنائه الآن إلا أن يفتشوا في تاريخهم المجيد ليستخلصوا من بين سطوره المتلألئة مبادئه السامية التي أخفاها المستعمرون كل ذلك الزمن المظلم البغيض، والتي لا يستطيع بعد الآن كائن من كان أن يقف في طريق سيرها الجارف الذي اجتاح وسيجتاح الأخضر واليابس من غروس المستعمرين وتعاليم سماسرتهم من الذين مرنوا على العبودية حتى ألفوها والذين قضت وستقضى عليهم ثورتنا المباركة قضاءها الأخير.؟

الدكتور محمد غلاب

[بقية المنشور على صفحة ٣٢٩]

الحسن على الندوي، والأستاذ مسعود الندوي، والأستاذ أبو الليث الندوي. وغيرهم من الندويين. ولا يزال يتخرج منها العلماء والأدباء والكتاب ورواد النهضة الحديثة.

وهذه صورة وجيزة وضئيلة لكفاح الأمة الإسلامية في الهند وفي الباكستان ونضالها من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين مع عرض الأفكار والآراء والاتجاهات وإن كان هذا البحث يحتاج في الحقيقة إلى دراسة واسعة في عدة مقالات تزيد من توضيح وشرح هذه الأفكار والآراء والاتجاهات.

محمد اسماعيل الندوي

مولد الرسول
فى المدائح النبوية

للأستاذ على العمارى

كانت الأشعار التى قيلت فى مدح الرسول أو فى جهاد المشركين ، والرد عليهم ، على عهد حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وأبى سفيان بن الحارث ، وأضرابهم تزخر بالحديث عن الإسلام ، والقرآن ، وهداية البشر ، وقتال الكفار ، وتتضمن الاعتراف بوحدانية الله وطاعته ، والثناء عليه تعالى ، والحديث عن الجهاد ، كما قال كعب بن مالك حين اعتزم رسول الله السير إلى الطائف :

نطيع نبينا ونطيع ربا
هو الرحمن كان بنا رءوفا

فإن تلقوا إلينا السلم نقبل
ونجعلكم لنا عضدا وريفا

وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر
ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا (١)

كما كانت صورة من المديح الجاهلى ، فهى حافلة بوصف الرسول بما كان يصف به الشعراء السابقون للإسلام ممدوحيهم من الجود والشجاعة ، والوفاء ، وكرم الأصل ، وطيب العنصر ، كما قال عبد الله بن الزبعرى بعد إسلامه يمدح الرسول :

قرم علا بنيانه من هاشم
فرع تمكن فى الذرى وأروم (٢)

والنبى مهند من سيوف الله ، وهو خير من حملته ناقة على أوصالها ، وقد عمت فضائله كل العباد كما عم البرية ضوء الشمس والقمر ، وهو ركن معتمد وعصمة لائذ ، وجار مجاور ، وهو - كما قالت قتيلة بنت الحارث - نجل كريمة فى قومها ، والفحل فحل معرق ، وذكره - كما قال الأعشى - أغار فى البلاد وأنجد . وهكذا .

فلما صارت المدائح النبوية بابا واسعا فى الأدب العربى انتهج شعراء المديح مناهج جديدة ، فزادوا على الأوصاف السابقة نظم

---

(١) الريف : أرض فيها زرع وخصب . الرعش : الجبان .

(٢) القرم السيد . الذرى : جمع ذروة وهو أعلى الشىء . وأروم : جمع أرومة وهى الأصل .

السيرة النبوية بحيث تكاد ترى لكل صغيرة وكبيرة حدثت في عهد الرسول صداها في هذه المدائح .

وبعض المدائح تسجيل لحياة الرسول منذ ولادته إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى حتى لو نثرتها لم تعدُ أن تحصل على فصل أو فصول من كتب السيرة .

وكان مولد الرسول صلى الله عليه وسلم من الموضوعات التي عني بها شعراء المديح ، فقد اعتبروا ذاك اليوم - وهم محقون - أكثر الأيام بركة وخيرا في تاريخ البشرية ، فكل مكرمة نالتها الإنسانية أو ستنالها عن طريق الإسلام ، إنما مرجعها ومنتهاها إلى اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، الموافق العشرين من شهر أبريل عام ٥٧١ م (١) .

وقد تفتحت قرائح الشعراء عن صور من الحقيقة ، ومن الخيال ، أبرزوا فيها هذا اليوم المبارك فوصفوه بما يستحق من سنيّ الأوصاف ، وجلوه في معرض جميل رائع يليق بسيد المرسلين .

وأول ما يلفت النظر في تمجيد يوم الميلاد عند هؤلاء المداح هو الحديث عن الإرهاصات التي صحبت مولد النبي ، والتي جاءت في قصة سبقت مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وقد روتها كتب الأدب وألمت بها كتب السيرة ، وهذه صورة مما ورد لهذه القصة :

« جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ارتج إيوان كسرى ؛ فسقطت منه أربع عشرة شرفة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كان أو شك أن كتب إليه صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السماوة يخبره أن وادي السماوة انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران خمدت تلك الليلة ، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة ، فلما تواترت الكتب أبرز سريره ، وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر ، فقال الموبذان : أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني قال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، قد اقتحمت دجلة ، وانتشرت في بلادنا ، قال : رأيت عظيما ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى

---

(١) اتفق الثقات من الرواة على أن ولادة النبي كانت في يوم الاثنين ، واشتهر أنها كانت في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ولكن بعض الباحثين من المحدثين حقق أن الولادة كانت في اليوم التاسع من هذا الشهر . (انظر مجلة الأزهر عدد ربيع الأول سنة ١٣٦٧ هـ ص ٢٢٩) .

عاملك بالحيرة، يوجه إليك رجلا من علمائهم فإنهم أصحاب علم بالحدثان ... فبعث إليه عبد المسيح بن بقيلة الغساني، فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر فقال له أيها الملك، والله ماعندي فيها ولا في تأويلها شيء، ولكن، جهزني إلى خال لي بالشام يقال له (سطيح)، قال: جهزوه، فلما قدم على سطيح وجده قد احتضر، فناداه فلم يجبه، وكلمه فلم يرد عليه، فقال عبد المسيح:

أصم أم يسمع غطريف اليمن

يا فاصل الخطة أعيت مَن ومَن

أتاك شيخ الحي من آل سنن

أبيض فضفاض الرداء والبدن

رسول قيل العجم يهوى للوثن

لا يرهب الرعد، ولا ريب الزمن

فرفع إليه رأسه وقال: عبد المسيح، على جمل مشيح، إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاج الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا، قد اقتحمت في الواد، وانتشرت في البلاد، يا عبد المسيح، إذا كثرت التلاوة، وفاض وادي السماوة، وظهر صاحب الهراوة، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات عدد سقوط الشرفات، وكل ما هو آت آت ثم قال (أبيات من الشعر). ثم أتى كسرى فأخبره فغمه ذلك، ثم تعزى فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان فهلكوا كلهم في أربعين سنة[1].

وقد ردد أصحاب المدائح هذه الظواهر في أشعارهم، يشير أحدهم إلى بعضها، ويستقصي آخر، ومن أوائل من أشار إلى بعض هذه الإمام جمال الدين الصرصري[2] العراقي الضرير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ، وقد توفى شهيدا قتله التتر في بلده (صرصر) حيث قال يذكر ميلاد الرسول:

وطاف به الأملاك تمنع مهده

أذى كل شيطان يخاف اقتحامه

وكسرى أنو شروان زلزل قصره

وُشق، وتاج الملك فك نظامه

ونار مجوس الفرس أطفئ وقدها

ولم يك في الإعصار يخبو ضرامه

والشعر ضعيف، ولكن الذي يعنينا هو سبق الإشارة في الشعر إلى بعض الإرهاصات التي صحبت المولد.

---

[١] العقد الفريد جـ ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٤، ط. سعيد العريان

[٢] اشتهر عند مؤرخي الأدب أن أول من فتح باب للمدائح النبوية بعد أن سكت الشعراء زمنا طويلا، هو الإمام البوصيري وهذا خطأ لأن الصرصري سبق البوصيري حيث توفى الأخير سنة ٦٩٦ هـ وسبقهما الشيخ عبد الرحيم البرعي الذي عاش في القرن الخامس الهجري.

ولكن الذى أجاد تسجيل هذه الأحداث هو الإمام البوصيرى ، فقد ذكرها فى همزيته فقال :

وتداعى إيوان كسرى ولولا
آية منك ما تداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه
كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كا
ن لنيرانهم بها إطفاء

كما ألم بنفس المعانى فى قصيدته (البردة) فقال :

وبات إيوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

والنار خامدة الأنفاس من أسف
عليه ، والنهر ساهى العين من سدم

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغيظ حين ظمى

كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

ونلاحظ أنه صرح هنا باسم البحيرة التى غاض ماؤها ، وهى بحيرة (ساوة) وقد وردت فى القصة التى أثبتها آنفاً ، ومنها يفهم أن (ساوة) فى بلاد اليمن ، لأن الذى كتب لكسرى بشأنها إنما هو صاحب اليمن ، ولكن صاحب المولد المشهور بمولد البرزنجى حددها تحديدا آخر فقال :

« وغاضت بحيرة ساوة ، وكانت بين همذان وقم من البلاد العجمية » .

كما حدد وادى السماوة فى قوله : « وفاض ماء سماوة وهى مفازة فى فلاة وبرية » .

والمشهور أن بحيرة ساوة هى التى غاضت ، وقد تردد ذلك فى أشعار المديح ، ولكن القاضى عياض فى الشفاء ذكر أن البحيرة التى غاضت هى بحيرة طبرية (ح ٣ ص ٣١٤) . وقد علق الخفاجى على قول عياض فقال : المعروف بالغيض - كما فى البرهان - بحيرة ساوة ، ثم قال : والحق أنها بحيرة طبرية ، وقد سبق فى القصة أن البحيرتين كلتيهما غاضتا.

وساوة فى بلاد الفرس ، أما طبرية فهى بلدة بالشام معروفة ، بينها وبين القدس مرحلتان ، وبحيرتها عظيمة .

وتبع (شوقى) البوصيرى ، فى الإشارة إلى تصدع إيوان كسرى ، فقال فى نهج البردة :

سرت بشائر بالهادى ومولده
فى الشرق والغرب مسرى النور فى الظلم

تخطفت مهج الطاغين من عرب
وطيرت أنفس الباغين من عجم

ريعت لها شرف الإيوان فانصدعت
من صدمة الحق لا من صدمة القدم

وكرر ذلك مرة أخرى فى نفس القصيدة فقال

وخل كسرى وإيوانا يدل به
هوى على أثر النيران والأيم (١)

وقد روى حديث الإرهاصات البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السكن — كما في شرح الشفاء ومعنى هذا أنه لم يرد في الكتب الصحاح . ومن هنا تطرق الشك إلى هذه القصة ، وأول ما تمسك به هؤلاء الشاكون ، أن القصة تحمل في طياتها بعض المتناقضات ، فهي تقول : إن أربعة عشر ملكا من ملوك الفرس هلكوا في أربعين سنة ، ذكر ذلك غير واحد منهم صاحب الشفاء ، وقد جاء في شرحه أن النبي ولد في عهد كسرى أنو شروان ، وكتب كتابه المشهور إلى كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان .

وجاء في كتاب الكامل لابن الأثير « ولد رسول الله سنة اثنتين وأربعين من سلطان كسرى أنو شروان ، وبعث لاثنتين وعشرين من ملك كسرى أبرويز بن كسرى هرمز بن كسرى أنو شروان وهاجر لاثنتين وثلاثين مضت من ملك أبرويز » ج ١ صـ ١٨٥ .

فملوك الفرس في هذه الفترة ثلاثة فقط .

وسواء صحت هذه القصة أم لم تصح ، فإن الذي حدث فعلا أن ملك كسرى كله ذهب بعد قليل من ظهور الإسلام ، وأن الإيوان

[١] الأيم . الدخان .

لم تسقط منه أربع عشرة شرفة فحسب ، بل أصبح كله كما قال عنه البحتري في القرن الثالث الهجري :

لو تراه علمت أن الليالي
جعلت فيه مأتما بعد عرس

وكان فيما ذكر من طريف الحكايات أن رجلا من (غامد) كانت له غنم يرعاها فإذا جاءت الظهيرة لجأ بها إلى بقايا الإيوان فتقيل فيه ، فربما صعدت بعض الأغنام فنامت في مكان جلوس كسرى ، وذات يوم جلس هذا الرجل مع صاحب له يتذاكران أحداث الأيام ، وتقلبات الدهور ، فقال صاحبه : ومما رأينا من العجائب صعود غنيات الغامدي في سرير كسرى .

وكما أشار شوقي إلى تصدع إيوان كسرى أشار كذلك إلى خمود نار الفرس ، وإلى غيض الماء فقال :

ذعرت عروش الظالمين فزلزلت
وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم
خمدت ذوائبها وغاض الماء
والآى تترى ، والخوارق جمة
جبريل رواح بها غداء (١)

[١] فسر المعلق على الشوقيات كلمة تترى بكلمة (تتوالى) ظنا منه أنها فعل ، والحقيقة أنها اسم ، لأنه لا يوجد فعل ماض من هذه الصيغة حتى تكون هذه مضارعا له .

ومن هنا ترى أن: (شوقى) تبع البوصيرى فى كل هذه الأمور التى ظهرت أو قيل: إنها ظهرت عند مولد الرسول ولا نرى وجها لقول بعض الباحثين إن (شوقى كان أبعد نظراً من البوصيرى فى نقد الأخبار والآثار).

وقد أشار البوصيرى إلى قصة تشميت الملائكة للرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله:

شمّتته الأملاك إذ وضعته
وشفتنا بقولها الشفاء

والشّفاء هى أم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما، وحديث التشميت رواه سيدنا عبد الرحمن بن عوف، كما جاء فى كتاب الحلية لأبى نعيم، وقد حضرت الشفاء ولادة النبى، وأخبرت ابنها بذلك، ولم يشر إلى هذه القصة شوقى ولا أكثر المداح.

كما أشار كثير من المداح إلى قصة رضاع النبى فى بنى سعد، وكيف جاءت حليمة السعدية تبغى طفلا ترضعه، واضطرت أخيرا أن ترضى بهذا اليتيم فيكون بركة عليها، قالوا: إن نساء بنى سعد وفدن فى سنة مجدبة على مكة يلتمسن الرضعاء، وكان يهمهن المال، فما منهن واحدة إلا عرض عليها اليتيم فصدهن عنه يتمه، أما حليمة السعدية ذات الأتان العرجاء، والناقة المسنة فقالت: (والله ما بقى من صواحبى امرأة إلا أخذت رضيعاً غيرى، فلما لم أجد غيره قلت لزوجى: والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه). وأخذته فدرت شاتها، وأخصبت أرضها ولقيت من يمنه صلى الله عليه وسلم ما قرت به عينها، وقد أجاد البوصيرى فى عرض هذه القصة حيث قال:

وبدت فى رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء
إذ أبته ليتمه مرضعات
قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة
قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها
وبنيها ألبانهن الشاء
أصبحت شولا عجافا وأمست
ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل
إذ غدا للنّبى منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الأجر
عليها من جنسها والجزاء (م)

وإذا سخر الإله أناسا
لسعيد فإنهم سعداء

وهي أبيات جميلة حقا .

كما أشار بعض الشعراء المحدثين إلى حادثة (الفيل) ومعلوم أن الفيل نكل أن يمس الكعبة، وقد ولد النبي عام الفيل، قال الشاعر :

أدرك الفيل بالغريزة معنًى
كان عند الفيَّال معنى بعيدا

حاد - لما رأى الجلال - عن البيت
(م) ولولاه لم يكن ليحيدا

آية للوليد علمت العجم
فراحت تعظم المولودا

هذه كلها إشارات إلى قصص معلومة مشهورة، أما عمل الخيال في وصف يوم الميلاد فقد جاءتنا منه بدائع ، سطرها الشعراء قديما وحديثا ، ويعجبني قول شاعرنا محمد الأسمر عليه رحمة الله ، وبه أختم هذا الحديث :

يوم أغر كفاك منه أنه
يوم كأن الدهر فيه تجمعا

ويكاد غابر كل يوم قبله
يثني إليه جيده متطلعا

فلو استطاع لكر من أحقابه
وثبا على هام السنين ليرجعا

ويكاد مقبل كل يوم بعده
ينسل من خلف الزمان ليسرعا

فلو استطاع لجاء قبل أوانه
وانساب يخترق السنين وأتلعا

تتنافس الأيام في الشرف الذي
ملأ الوجود فلم يغادر إصبعا

خير أفاض الله منه على الورى
أنى جرى ترك الجناب الممرعا

علي العماري

قال الزجاج : وكنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو ، فلزمت المبرد لتعلمه فقال لي : أي شيء صناعتك ؟ قلت : أخرط الزجاج ، وكسبي في كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف ، وأريد أن تبالغ في تعليمي ، وأنا أعطيك كل يوم درهما — وأشرط لك أن أعطيك إياه أبداً إلى أن يفرق الموت بيننا ، استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه ، قال : فلزمته ، وكنت أخدمه في أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم ، فينصحني في العلم ، حتى استقللت .

من وحى الروضة النبوية

للأستاذ محمد محمد خليفه

هنا صحا التاريخ على صورة الحق ليكتب للزمان أمجد كتاب هز سمع الزمان لتاريخ إنسان .

هنا ولد التاريخ أمة جديدة رأى فيها العالم معجزة الحياة ، لأنها أمة الأميين المؤمنين الذين قوضوا عرش القياصرة وزلزلوا بأسهم سلطان الأكاسرة .

هنا خلق الإيمان قوة ممن اختلفت عليهم من قبل أسباب الفناء ، وفرقت قلوبهم الإحن والدماء ، وأسلمتهم عوادى الفتن إلى خوف قلقت به المضاجع ، وأرعشت عواصفه الفتاك والآمنين والمسالمين والمستسلمين قبل أن يكونوا مسلمين .

هنا وحدت كلمة التوحيد أولئك الذين عفروا جباههم بين يدى اللات والعزى والذين سجدوا فى الماضى للشعرى لا لرب الشعرى والذين عبدوا الشمس أو دانوا للجن ومن كانوا هودا أو نصارى كل أولئك جمعتهم هنا كلمة الله وخرت هاماتهم فى محراب الحق للحق .

هنا ولدت الإنسانية الكاملة فى ظل الإنسان الكامل وعاشت لا بين الألفاظ زخارف تتلألأ ولا على الألسنة عبارات تخلب بل عاشت بين القلوب رحمة وبين النفوس شعوراً وبين الجفون دموعا وبين المجتمع الإسلامى وجدانا صادقا تتآلف عنده الأرواح ، هذه هى الإنسانية التى أعلن للدنيا ميلادها ثم تقدمت تفتح قلوب الأمم قبل أن تفتح السيوف ، فكان المسلم إنسانا قبل أن يكون غازيا وصاحب دعوة قبل أن يكون صاحب سيف ، حكمته أخلاقه فحكم الناس حين رعاهم بالقانون الذى حكم به نفسه قانون الإنسانية السمحة لا السبعية الجارحة .

من هنا بدأت شريعة الحق تموج وتنطلق لا كما تنطلق أمواج البحر القوية ثم تتكسر على الصخور أو تمتد إلى الشاطئ ثم تعود واهية لتستمد من البحر قوتها فتظل فى صراع حتى تغلب على أمرها فتخلد إلى الدعة ، لا بل إن الشريعة انطلقت فى الزمان تجتاز سدوده وحدوده لا تحطمها القوى المداهمة ولا تردها النزعات المداهنة فهى أمضى من أن تسالم الجاحد أو تستسلم لغير الجاحد .

إنها نزلت من السماء فيها طبيعة الغيث الذى يغسل ويطهر ويروى ويحيى ويجرف ويعلو وزادت عن طبيعة الغيث أنها لا تتبخر أو تختفى فى أعماق الوجود مهما طال عمرها فى هذا الوجود .

وكما كانت هذه الشريعة فيها طبيعة الغيث وزيادة كان فى خلق صاحبها معنى السحائب الغر فيها الخير وليس فيها العبوس الذى قد يكون مع الخير .

فقد كان خلقه صلوات الله وسلامه عليه يفعل فى النفوس ما يفعل الماء الفرات فى الدوحة الصادية حين يسرى فيها فلا تلبث أن تحيا وتورق وكأنما تغيرت طبيعتها به ونسيت كل ما كانت فيه حين مد إليها حياة لا تقاس بمقاييس الحسن والازدهار بل بمعيار الخير الذى تتغذى به ثم تنفع به فى كل يوم من دنياها .

كانت هنا مجالس للهداية والتربية والتوجيه والقضاء والقيادة والاجتماع والشورى يهدى فيها ويربى ويوجه ويقضى ويقود ويرشد ويشير من لا ينطق عن الهوى ، ومن لا يبغى لنفسه من كل ذلك مجدا ولا جاها . كان صلوات الله وسلامه عليه يهدى فتنبعث إشعاعات هديه قلقا من صبح يقينه ينتشر فى النفوس فيبدد دياجى حيرتها فلا تلبث أن تشرق بما انعكس عليها من إشعاعه ثم تتحول إلى نفوس مشرقة تضىء ما حولها كالقمر يستمد نوره من الشمس ثم يهديه إلى دنيا الناس حين يغيب عنهم وجه الشمس .

وكان يربى فتتخلق تربيته من الطبيعة البشرية طبيعة جديدة تحمل فيها قوى السماء التى وهبها الله له عملها ، إن شاء الله حتى تبدو أحيانا أقرب إلى الطبيعة الملائكية منها إلى الطبيعة البشرية فهى طبيعة عابدة وتزيد عنها أنها عاملة لخير المجتمع البشرى بعد أن كانت طبيعة العربى تتحكم فيها الأنانية الذاتيه أو القبلية .

وكانت توجيهاته فيضاً من الحكمة تتدفق فيها حينا حكمة الحكيم الخبير وحينا حكمة الآسى الذى خبر أدواء البشرية وقد أصبحت لديه أمانه يؤمنها متاهات الحياة فهو يرسم لها سبلها وهى ناجية ما سلكت تلك السبل .

وهنا كان يجلس صلوات الله وسلامه عليه للقضاء فترى الأقضية الحائرة عنده شاطىء الرجاء تلمسته حتى لمسته فى حكم من السماء أو من رسول رب السماء يطمئن إليه المظلوم وتسكن عنده شرة الظالم .

وهنا كان يرسم الخطط ويعلن التعبئة ويرتب القادة ويحـــدد منازلهم ويعقد الرايات لهم ويوصيهم بالحق والصبر حتى إذا التقى الجمعان أدرك المسلمون أن الخير فيما فعل وأن ما رسمه سبيل النصر .

وهنا بنى كيان المجتمع الإسلامى على قواعد

أرسى وأرسخ من أن تغيرها دسائس الأعداء أو تغير عليها هوج الفتن ، وطال بناؤه فعز على كيد اليهود وغيظ اليهود ممن تربصوا وأوغلوا فى المكر به ، وعملت الأخوة الإسلامية والتعاون والتسامح والإيثار والرحمة وتوثيق عرى الأسرة والبذل فى سبيل الله وفى سبيل تدعيم الوحدة الإسلامية ، عمل كل ذلك على تقوية بناء ذلك المجتمع فكان أعظم مجتمع عرفه تاريخ البشرية ، ولم تزل المجتمعات المتعاقبة ترى فى المجتمع الإسلامى الأول قوى من الروابط كانت سببا فيما أفاء الله على المسلمين من الفتح والنصر ، وهنا كان مجلس الشورى حيث كانت تناقش الآراء ويديرها صلوات الله وسلامه عليه فى أناة لا تثير ثورة الغضب وحكمة لا توهنها حدة الجدل فلم يكن جبارا ولا فظا غليظ القلب ولا مستبدا برأى ، وكم نزل على رأى أصحابه حين نزل يؤيدهم أمر السماء .

كان يشاورهم فى شئون السلم والحرب فإذا رأى أقنع وإذا اقتنع برأى كان له من يقينه ما يدرأ ريب المعارض وينشر اليقين فى نفس المرتاب فجنب قافلة البعث الإسلامى اختلاف الآراء وتعصب أصحابها لها ، وقادها بهدى من الله إلى الخير الباقى لسمو الإنسانية المنشيد لمكانتها ولمعانيها ، ومن ثم كان رسول الإنسانية الداعى إلى إسعادها .

وهنا كانت لأرواح العابدين والعابدات انطلاقات تنفذ بها من عالم البشر إلى عوالم تلمس فيها قدرة الله وجلاله لتزيد ولاؤها لله تبارك جلاله ، إلى عوالم السموات وطباقها ومازينها به ، إلى ما وراءها من عوالم الملائكة والعرش ثم تعود سراعا من مطافها إلى حيث خلفت أشباحها الساجدة فتضىء جوانبها بالإيمان بالقادر الذى أمسك السموات والأرض أن تزولا ، فكم سجدت هنا جباه وكم خشعت هنا هامات وكم بكت هنا قلوب من خشية الله أرقها طلب الغفران فسهرت مع التوبة والدموع تكفر عن جرائرها وتغسل خطاياها بدموعها .

فى هذه الروضة تعارفت الأرواح وائتلفت النفوس وجمعها سبيل الله جمع الحق طلابه المؤمنين به ، ينفث فيهم القوة الغلابة فيندفعون لا يلوون على شىء حتى يظفروا بأكاليل الغار . وليس ثمت من مسلم يعيش مع تاريخ الروضة البعيد حتى يسمع صوت الماضى يهيب بالمسلمين : لا عزة لكم إلا بوحدة خالصة من شوائب الأنانية والسيطرة والسلطان ، وحتى يحس يد المجد تهزه لتوقظه وتنبه فيه روح الكلمات التى تعيش فى لغتنا ألفاظا بلا روح كالأخوة الإسلامية والتعاون والإيثار والتضحية وغيرها ... وكأن روح هذه الكلمات تعيش معها حين الذكرى فحسب ، ثم تتخلف عنها حين توغل فى شعاب الأهواء والأحقاب خطاها

وليس ثمت من مسلم يذكر هنا الأمجاد التي ماتت حتى يغلبه الدمع فيبكيها ويبكي أصحابها، وكأني به وهو غارق في عبراته محترق بنفثاته، يرجو عودة التاريخ ويدور بعينيه في وجودنا لعله يرى في الآفاق شعوبا زاحفة إلى الملتقى تحت ظلال وحدة إسلامية شاملة.

إن صوراً من ذكريات التاريخ تعرض هنا للكثير من الملمين بالتاريخ فتطوف بها أخيلتهم الباكية كثكلى سلبتها أجواف الثرى أنباءها فهي تتنقل بين قبورهم تتمثلهم وتسكب فوق كل قبر عبرات، فلذكريات العزة الشامخة صور، ولذكريات البذل والتضحية صور، ولذكريات النضال الصادق صور، ولذكريات القوى البانية والأيدي الطاهرة العاملة صور، ولذكريات الأخلاق والمثل العليا صور، فحق لكل مسلم وهو يرى المجتمع الإسلامي فقد كل ذلك وعبثت به الفتن وذهبت به مذاهب شتى أن يذكر ثم يبكي، ولعل حرارة الذكرى تثير نفسه فيصيح في هذه المجتمعات المنحلة: إن في تراثنا أمجاداً يجب أن نعود إليها أو نعيدها إلى وجودنا.

سيدي يا رسول الله:

إن المجتمع الإسلامي الذي تركته قوة تتحطم دونها المكايد قد تعاورته الفتن الجامحة في العصور والأحقاب فلا ينجو من فتنة حتى تلفه أخرى، وشر الفتن ما يحيق به من بنيه الذين تنكروا له بل أنكروه فهل من دعوة إلى الله أن يجنبه الانحلال والوهن حتى لا يتزلق في المهاوي التي يحفرها له الأعداء؟.

سيدي يا رسول الله:

لقد تذأبت البشرية لكل القيم الأخلاقية التي نادت بها رسالتك، وعبأت الأفكار والأقلام والأعمال والأموال بل السلاح للقضاء على تلك المقدسات، وكأنهم ورثوا عداوات الآباء للرسالة وصاحبها فهم أبدا لا ينسون التاريخ وهم أبدا ينقمون وينتقمون لتاريخهم. فاضرع إلى ربك يا رسول الله أن يجمع الأمة على خير ما جمعتها عليه وألا يفتنها عن دينها ولا عن كتابها وألا يجعل للأهواء عليها سبيلا!

سيدي يا رسول الله..!

برحابك الطاهر يقف المسلمون، وحول مقامك العظيم يطوف الخاشعون وفي روضتك الطاهرة يستروح المؤمنون عبير الجنة وينشقون أريجها، وكأني بأرواحهم الباكية المفزعة ترجو أن تثوى هنا في جنة روضتك، بعيدة عن فتن الدنيا العاصفة والمادية الجارفة حتى تخف إلى ربها في ركابك يوم تقع الواقعة وتقرع القارعة، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره..؟

محمد محمد خليفة
المدرس في الأزهر

القدوة الحية لأخلاق الحركة

للأستاذ فتحي عثمان

أوضح برجسون سمات الانفعال الأصيل الذى يفترق عن العقل الصرف و الذهن فى الحالة الأولى يعمل فى برود ، فيؤلف بين أفكار قد اندرجت منذ القديم فى ألفاظ وأسلمها إليه المجتمع جامدة متصلبة . أما فى الحالة الثانية فكأن المواد التى يقدمها العقل تنصهر فى بوتقة الانفعال ، ثم تخرج منها وقد صبغت أفكارا جديدة يعلنها الفكر ... »

وعلى أساس هذه النظرة أقام برجسون تفرقته بين أخلاق السكون وأخلاق الحركة « فإن بين القبول العقلى والانقلاب الإرادى لشقة بعيدة ... » ، وهو يتكلم عن الأخلاق التى يأتى بها الدين فيقول : « قبل الأخلاق الجديدة ، وقبل الميتافيزياء - هنالك الانفعال : يتجلى من جانب الإرادة فى وثبة ، ويتجلى من جانب العقل فى تصور مفسر ! انظر إلى هذه العاطفة التى بشرت بها المسيحية وأسمتها بالمحبة : إنها إذا استولت على النفوس تبعها سلوك معين وانتشرت فى إثرها عقيدة معينة ، فلا هذه الفلسفة هى التى فرضت تلك الأخلاق ، ولا تلك الأخلاق هى التى جعلتنا نفضل هذه الفلسفة ! وإنما كانتا الفلسفة والأخلاق تعبران عن شىء واحد : الأولى تعبر عنه بلغة العقل ، والثانية تعبر عنه بلغة الإرادة ، ونحن نسلم بكلا التعبيرين متى أحسسنا بالمعبر عنه » .

كذلك فرق برجسون بين المجتمع المغلق والمجتمع المفتوح « إن الغريزة الاجتماعية التى وجدناها فى أعماق الواجب الاجتماعى إنما تستهدف أبدا مجتمعا مغلقا ، مهما يكن هذا المجتمع واسعا ... لأن الأمة مهما اتسعت فإن بينها وبين الإنسانية ما بين المحدود واللامحدود ، ما بين المغلق والمفتوح . والفرق بين هذين الشيئين فرق فى النوع لا فى الدرجة فحسب ! » . وفى المجتمع المغلق تسود أخلاق الضغط بينما تسود فى المجتمع المتحرك أخلاق التطلع « فالنوع الأول أخلاق تتضمن فكرة مجتمع لا يبغى إلا البقاء ، فحركته الدائرية التى يسوق فيها الأفراد تجرى فى مكانها لا تحيد عنه ، فتحاكى ثبات الغريزة بوساطة العادة ، ولعل الشعور الذى يصاحب تحقيق هذه الواجبات الصرف حين تحقق هو الشعور بنعمى العيش ودعة المجتمع ، وهو كالشعور الذى يصاحب سير الكائن الحى سيراً طبيعيا سليما ، وهو أشبه باللذة لا بالفرح ! أما أخلاق التطلع

فتتضمن شعوراً بالتقدم ، والانفعال الذى يبعث عليها هو الحماسة للمضى قدما ... بل إن التقدم والمضى قدما يتحدان هنا أحدهما بالآخر » (١) .

كيف يتاح التوصل إلى الانفعال الأصيل الخلاق ، الذى يبعث أخلاق الحركة ويخلق المجتمع المفتوح ؟؟

هنا يتحدث برجسون عن (الوسط الحى) الذى لابد أن ينتقل خلاله إشعاع هذا النوع الإنسانى من الأخلاق ، خلافا للنوع الآخر الاجتماعى الذى تكفى فيه النظريات .

فبينما نرى الأخلاق (الاجتماعية) تزداد صفاء ونقاء على قدر ما نستطيع ردها إلى قوانين لا شخصية ، نجد أن الأخلاق (الإنسانية) لا تكون هى هى ذاتها ما لم تتجسد فى شخصية ممتازة تتخذ قدوة تحتذى .

فعمومية الأولى تأتى من قبول الناس عامة قانونا من القوانين ، بينما عمومية الثانية تأتى من محاكاة الناس لمثال يحتذونه ... والحق أن هذه الشخصية ترتسم فينا منذ نصطفى المثال ، فالرغبة فى المماثلة ـ وهى التى تولد نظريا الشكل الذى ينبغى اتخاذه ـ تصبح هى المماثلة نفسها ... إن الأخلاق الأولى كلما كانت ترد بوضوح إلى واجبات غير شخصية كانت أقوى وأشد ، وأما هذه فهى على عكس ذلك : فبعد أن تكون مبعثرة فى قواعد عامة يقابلها العقل من غير أن تصل إلى أن تهز الإرادة ، إذا بها تصبح جارفة قوية بنسبة ما تنصهر مواعظها المتعددة العامة فى وحدة إنسان فرد ! فالأخلاق الأولى هى التى نفكر فيها عادة حين نشعر أننا ملزمون إلزاما طبيعيا ، وفوق هذه الواجبات الواضحة تمام الوضوح نحب أن نتصور واجبات أخرى غامضة تتنضد فوق الأولى ـ كالإخلاص وبذل النفس وروح التضحية والمحبة ... على أنه يكفى أن تكون هذه الكلمات موجودة ، فسوف تستعيد معناها وتمتلىء بفكرتها الفعالة حين تتاح الفرصة ، وقد لا تتاح لكثيرين وقد يرجأ العمل إلى حين ، فبعض الناس لا تهتز إرادتهم إلا خفيفاً ، وتكون الهزة من الخفة بحيث يمكن أن يقال عنها هى الواجب الاجتماعى نفسه وإنما تحدد واتسع وضعف ، أما إذا امتلأت الصيغة بالمادة ثم اضطربت المادة بالحياة فإن حياة جديدة تؤذن نفسها ، فنفهم ونحس أن ثمة أخلاقا أخرى تنبثق !

وقد يحق لنا أن نتحدث هنا عن حب الإنسانية...والذين يشتغلون فى تربية الشبيبة يعرفون حق المعرفة أن الظفر على الأنانية لا يكون بالنصح بالغيرية ، حتى لقد يتفق أن ترى نفساً كريمة تتحرق للتفانى فى همة صادقة

(١) المجلد السابق من مجلة الأزهر .

فإذا عرفت أنها تعمل فى سبيل (النوع الإنسانى) أصابها فتور وبرود ، لأن الموضوع واسع والثمرة مشتتة !

ومن ميزات أخلاق الحركة أصالتها الباقية وحيويتها الكامنة ، وترابطها وتفاعلها معاً . وقد يخلف الانفعال شخالة — هى الأوامر التى استمرت فيما يمكن أن نسميه بالوجدان الاجتماعى إبان تكون المفهوم الجديد للحياة - أو قل الموقف الجديد منها الكامن فى هذا الانفعال .

فنحن إذن أمام رماد انفعال قد انطفأ ، فلن تستطيع الأوامر التى تبقت أن تهز إرادتنا ما لم تأخذ — بالعدوى — من الأوامر الأخرى التى تعبر عن المطالب الأساسية للحياة الاجتماعية شيئاً مما تتصف به من إلزام . وهكذا تغدو الأخلاق الأولى والثانية كأنهما أخلاق واحدة ، أخذت الثانية من الأولى صرامة وأكسبتها فى مقابل ذلك معنى إنسانياً ، لا اجتماعيا ضيقا ، حتى إذا هززنا الرماد قليلا ، وجدنا أن ثمة أجزاء ما تزال حارة ، ثم ما تلبث الشرادة أن تنبجس ، فيمكن للنار أن تشتعل ثانية ولكن بالتدريج ! ! أعنى أن قواعد هذه الأخلاق الثانية لا تفعل فينا منعزلة بعضها عن بعض ، شأن مواعظ الأخلاق الأولى ، فما تكاد إحدى هذه المواعظ تتخلص من التجريد وتمتلىء بالمعنى وتكتسب قوة الفعل حتى تلحقها سائر المواعظ ، فإذا بها تلتقى جميعاً فى هذا الانفعال الحار الذى خلفها من قبل ورائه ... »

أما المحرك الذى يثير نار الانفعال خلال الرماد حتى يستعيد الحياة والتوهج فهو الأنبياء والمصلحون ... هم القدوة الحية ، وهم الذين يشيعون الحيوية فى المحيط الذى يعيشون فيه ، وهم التجربة الشخصية الواقعة للانفعال الخلاق وأخلاق الحركة ، وعن طريقهم تنبعث الحياة فى المجتمع فيتحرر ويتفتح وينطلق :

« إن الضغط كلما كان غير شخصى ، وكان أدنى إلى القوى الطبيعية التى تسمى عادة أو غريزة كان أتم . وأما التطلع فيزداد سلطانا كلما كان الذى يوحى به إلينا أشخاصا ، وكلما كان أكثر ظفراً على الطبيعة ... يجب أن نمر بالبطولة حتى نصل إلى الحب ، والبطولة لا يوعظ بها وعظا ، وليس عليها إلا أن تظهر على المسرح حتى تهز الناس وتبعث فيهم الحركة ، ذلك أنها هى نفسها عودة إلى الحركة ، ولأنها تنبع من انفعال يمت إلى الفعل المبدع بقربى ، وهذه الحقيقة هى ما يلمح إليه الدين بقوله : إننا نحب الناس فى الله !! .. إن للإرادة عبقريتها كما للفكر ، والعبقرية تتحدى كل تنبؤ ، فمن طريق هذه فى الإرادات العبقرية استطاعت وثبة الحياة التى تجرى المادة أن تحصل من المادة على وعود تتعلق بمستقبل النوع ، ما كانت تخطر على بال حين كان النوع يتكون ! .

وهكذا فإننا بالانتقال من التعاون الاجتماعي إلى الأخوة الإنسانية ، نقطع صلتنا بنوع من الطبيعة لا بكل الطبيعة ، فنستطيع إذن أن نقتبس عبارة سبينوزا بعد أن نحور معناها فنقول : إننا ننفصل عن الطبيعة المطبوعة لنرتد ثانية إلى الطبيعة الطابعة . . . » ويتابع برجسون بيانه المشرق ، فيبرز دور التأثر الشخصي ويجلى أهميته وخطره « إن كل ما يستطيعه العقل هو أن يورد حججا ، وهذه الحجج من المباح دوما أن نرد عليها بأخرى !! فيجب ألا نكتفي بالقول إن العقل الموجود في كل منا يفرض علينا احترامه وينال خضوعنا لقيمه السامية ، بل يجب أن نضيف إلى ذلك أن هنالك وراء العقل الرجال الذين أسبغوا على الإنسانية حلة الألوهية ، فطبعوا العقل — وهو الصفة الأساسية في الإنسان — بطابع إلهي ، وهؤلاء هم الذين يجذبوننا إلى المجتمع المثالي ، في نفس الوقت الذي نخضع فيه لضغط المجتمع الواقعي » .

ويسوق برجسون مثالا على تأثير القدوة الحية من المسيحية التي يحبها ويفتن بشخصية صاحبها : « لقد انقضى ثمانية عشر قرنا قبل أن تعلن حقوق الإنسان في أمريكا أولا على يد المتطهرين ، ثم في فرنسا على يد رجال الثورة ، ولكن هذا لا يبطل أنها بتعاليم الإنجيل بدأت ثم استمرت بعد ذلك لا يحدها شيء . وشتان بين مثل أعلى يقدمه للناس حكماء وإن كانوا جديرين حقا بالإعجاب ، وبين مثل أعلى يقذف إلى العالم رسالة مترعة حبا تبشر بالحب » !!! .

ترى ما هو السر الدفين وراء هذا التأثير الرائع العميق : « الحق أن الأمر هنا ليس أمر حكمة محدودة يمكن أن تصاغ جميعها في قواعد ، بل هنا اتجاه ومنهج ... إن ذكرى النفوس الصوفية وما فعلته ثاوية في ذاكرة الإنسانية لا تبارحها ، وفي وسع كل منا أن يحييها في نفسه ، ولا سيما إذا قارب بينها وبين صورة شخص ساهم في هذه الصوفية وأشاعها من حوله ، وبقيت صورته حية في النفس . . وكما أنه وجد عباقرة وسعوا حدود العقل ، فأتيح لأفراد من حين إلى حين أكثر مما كان من الممكن أن يوهب للنوع دفعة واحدة ، كذلك قد انبثقت نفوس ممتازة شعرت أنها تمت بقربى إلى سائر النفوس ، فلم تقف عند حدود الجماعة ، ولا اكتفت بالتضامن الذي أقامته الطبيعة ، بل ارتفعت — في وثبة من حب — إلى الإنسانية كافة » .

تلك كلمات من كتاب برجسون عن الأخلاق والدين ...

كلمات مفيدة هادية ، تكشف عن حقيقة (الطاقة الروحية) في الإنسان ، وتبرز دور (الإيمان) في تربية النفوس والمجتمعات ...

ودعاة الدين في حاجة دائما إلى مطالعة مثل هذه التأملات الفكرية الرائعة ، والتماس الحكمة من شتى مصادرها ، ليجادلوا في الله على علم ، وهدى ، وكتاب منير ؟

فتحي عثمان

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

أخذت خمسة كتب فحسبُ

عاب بعض أدباء العصر هذه العبارة ، وأنكر دخول الفاء على (حسب) . والوجه عنده أن يقال : أخذت خمسة كتب حسبُ وكأن هذا جاء من الوقوف عند قول اللسان في (حسب) ففيه : « ولك أن تتكلم بحسب مفردة ؛ تقول : رأيت زيداً حسبُ يا فتى ؛ كما تقول ؛ جاءني زيد ليس غير ، تريد : ليس غيره عندي » ورب شيء سكتت عنه المعاجم وهو جائز من وجه آخر يسوّغه .

ومن المقرر أن حسب مثل قدْ وقطْ ، وهما يدخل عليهما الفاء ، ويذكر النحويون أن الفاء زيدت عليهما لتزيين اللفظ ، وجاء في اللسان في ترجمة (قدد) : « وتكون (قد) مثل (قط) بمنزلة (حسب) : يقولون : مالك عندي إلا هذا فقد ،أي فقط حكاه يعقوب ، وزعم أنه بدل ، فتقول : قدِي وقدْني ، وأنشد : إلى حمامتنا ونصفه فقدي ، ويريد صاحب اللسان بيعقوب ابن السكيت ، وعبارته في كتاب القلب والإبدال المطبوع في مجموعة الكنز اللغوي ص٤٧ : « ويقال : ماله عندي إلا هذا فقد ، وإلا هذا فقط » . والشطر الذي ورد في اللسان للنابغة يقوله في شعر في زرقاء اليمامة ، والبيت بتمامه .

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا ونصفه فقدِي

وقصتها معروفة ، ويشير صاحب اللسان بقوله : « وزعم أنه بدل » إلى أن هذا غير مرضي ، وذلك أن كلا من قد وقط من مادة مستقلة كاملة ، فالأول من قدّ والثاني من قطّ وهما يتلاقيان في معنى القطع . والعبرة فيما سقته أن الألفاظ الثلاثة : حَسْب ، وقد وقط من قبيل واحد ، وقد جاز في قد وقط دخول الفاء عليهما فهذا يقضي بجواز ذلك

فى حسب ، إذا لا خصوصية لحسب تمنعها هذا الحق وهذه الزينة .

وجاء فى شرح المفصل لابن يعيش ١٣١/٢ « وربما استعملوا قط وحسب مفردين من غير إضافة فقالوا : رأيته مرة واحدة فقط ، وأعطانى دينارا فحسب ، أى اكتف بذلك واقطع » . وانظر قوله : استعملوا . . فقالوا فهو يسند ذلك إلى العرب .

ويقول الأشمونى فى شرح الألفية فى مبحث الإضافة : « قبضت عشرة فحسب أى فحسبى ذلك » .

وقد فشت هذه العبارة فى كلام العلماء . فالرضى شارح الكافية — وهو نحوى دقيق متحفظ فى عبارته — يقول فى باب العدد ص ١٤٥ ج ٢ : « ولو قال : العدد ما وضع لكمية الشىء فحسب لم يدخل نحو رجل ورجلان » .

هل محمد يحضر :

المشهور فى النحو إنكار هذا الأسلوب . وذلك أن (هل) إنما تدخل على جملة فعلية أو جملة طرفاها اسمان ، نحو هل يحضر محمد ، وهل محمد حاضر فأما أن تدخل على اسم بعده فعل فذلك يحظره النحاة ويعللون هذا الحكم تعليلا شعريا طريفا . فيقولون : إن (هل) فى أصل وضعها بمعنى قد ، وكان من حقها لهذا أن تختص بالفعل كقد ؛ غير أنه كثر تضمنها للاستفهام ، فسوغ ذلك دخولها على الجملة الاستفهامية كهمزة الاستفهام . غير أنها إذا رأت الفعل فى حيزها عاودها رسيس من هوى الفعل فأبت إلا إياه . ويقول الرضى فى شرح الكافية ٣٨٨/٢ : « فلما كان أصلها قد ، وهى من لوازم الأفعال ، ثم تطفلت على الهمزة ، فإن رأت فعلا فى حيزها تذكرت عهوداً بالحمى ، وحنت إلى الإلف المألوف وعانقته . وإن لم تره فى حيزها تسلت عنه ذاهلة » . ومما يمتنع للمانع السابق أن تقول : هل زيدا أكرمت وهل زيدا أكرمته ، يقول الرضى فى الموضع السابق : « ومع وجود الفعل لا تقنع به أيضا مفسرا للفعل المقدر بعدها . فلا يجوز اختيارا : هل زيدا ضربته ، بل لابد من إيلائها إياه لفظا » .

ويذكر النحويون أن هذا الحظر يزول فى الشعر ، فتدخل هل على اسم خبره جملة فعلية ، ويذكرون من هذا قول علقمة الفحل فى قصيدة مفضلية :

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته
إثر الأحبة يوم البين مشكوم

وقد ود صاحب الخزانة (ص ٥١٦ ج ٤) الاستشهاد بالبيت على ما أرادوا بأن (هل) دخلت على جملة طرفاها إسمان هما كبير ومشكوم ، فأما جملة بكى فهى صفة المبتدأ ،

وتقديراً لكلام : أم هل كبير باك مشكوم أي مثاب مكافأ ، ولا شيء في هذا . وقد رأيت في شعر المحدثين ما يصلح شاهداً على هذا ، فقد جاء في نفح الطيب ٤ / ٣٨٩ (طبعة التجارية) لأبي حامد ابن شعيب الأندلسي شعر يقوله حين كبابه فرسه فحصل في أسر العدو :

وكنت أُعِدّ طِرفي للرزايا
يخلصني إذا جعلت تحوم
فأصبح للعدا عوني لأني
أطلت عناءه فأنا الظلوم
وكم دامت مسراتي عليه
وهل شيء على الدنيا يدوم

على أني وجدت قولا يجيز هل زيد يحضر في الاختيار ولا يقصره على ضرورة الشعر . فقد قال في الهمع ٢ / ٧٧ في هل : « وتختص بعدم دخولها على إسم بعده فعل إختيارا . ، وجوزه الكسائي فأجاز هل زيد قام جوازا حسنا ؛ لأنهم أجازوا هل زيد قائم وابتدءوا بعدها الأسماء فكذا مع وجود الفعل » . وترى أن الكسائي توسع في هذا القياس على عادته وعادة الكوفيين ، والقياس هنا غير دقيق كما علمت من الفرق بين هل زيد حاضر وهل زيد حضر ، ولكنه على كل حال رأي نحوي يصح أن يحتج به ويؤخذ بقوله للخروج من الغلط في أسلوب اشتهر عند الناس وأصبح من العسير اجتنابه .

أجب تحريريا ، تحدي ما أسامة جيدا ولا يخطئه

يدور الأسلوب الأول في أسئلة الامتحان . ويراد بالتحرير المنسوب إليه الكتابة . وقد عاب بعض النقاد استعمال التحرير في الكتابة ؛ إذ التحرير جعل الشيء حرا ، كما يحرر المالك مملوكه أي يعتقه ويخرجه من عقال الرق . ولكن المجاز يتسع لهذا المعنى ويسوغه . فالأصل في تحرير الكتابة تقويم الحروف وتنزيهها من عيوب الخط والرسم ثم استعمل التحرير في مطلق الكتابة ، فهنا مجاز على مجاز . وقد صرح الزمخشري بالمجاز الأول فقال في الأساس : « وحرر الكتاب : حسنه بإقامة حروفه وإصلاح سَقطه » .

ويعنيني هنا البحث في هذا الأسلوب من جهة أخرى . ذلك أن (تحريرياً) صفة مصدر محذوف للفعل السابق ومصدر أجاب إجابة ، وهي مؤنثة اللفظ ، فكان الوجه أن يقال : أجب تحريرية أي إجابة تحريرية .

والأمر هنا سهل . فالجواب اسم مصدر بمعنى الاجابة ، فليكن هو المقدر المحذوف ، والتقدير : أجب جوابا تحريريا ، ويكون هذا من قبيل قوله تعالى : « والله أنبتكم من الأرض نباتا » .

وثمة تخريج آخر ، وهو أن يكون المقدر إجابا دون تاء ، وهذا قد يأتي وإن كان

خلاف المشهور ، فالمشهور الاجابة ، نعم قد يأتى فى المشهور دون تاء مع الإضافة ، كما فى قوله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة » ، على أنه يصح أن يكون المقدر إجابة ، وأن يذهب فى وصفها مذهب المذكر لأنه مصدر مؤنث مجازى يؤول بالرد ونحوه ، كما سيأتى فى كلام الشهاب الخفاجى .

وفى الأسلوب الثانى (محمد يرى ما أمامه جيدا) تأتى المشكلة بعينها ، ذلك أن (جيدا) صفة مصدر (يرى) وهو (الرؤية) وهى مؤنثة اللفظ ، فكان الواجب أن يقال : يرى ما أمامه جيدة أى رؤية جيدة .

والمخرج من هذه المشكلة أن يعتبر فى (الرؤية) التذكير بتأويله بالنظر أو الإبصار ، ومثل هذا كثير فى الكلام العربى ، وإن كان لا يتوسع فيه لغير العرب ، ويسهل الأمر هنا أن الموصوف محذوف ، فلا يظهر القبح اللفظى من وصف المؤنث بالمذكر ، ويصح أن يقدر المصدر المحذوف (الرأى) وإن اشتهر هذا المصدر فى الاعتقاد واشتهرت الرؤية فى الإبصار .

وقد وقع قريب مما نحن فيه فى الكتاب العزيز ، فقد جاء فى الآية ١٦٧ من سورة البقرة «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » ، فقوله (كذلك) صفة مصدر محذوف من أرى وهو الإراءة ، وإذا كان الواجب أن يقال : كتلك أى إراءة كتلك الإراءة ، وقد خرج البيضاوى من هذا الإشكال بجعل المصدر الإراء لا الإراءة فقال : « (كذلك) مثل الإراء الفظيع » . وقال الشهاب الخفاجى فى كتابته عليه ٢ / ٢٦٥ : « (قوله : مثل ذلك الإراء) الإراء هنا مصدر أراء إراءة ، كما سمع إقاما وإقامة ، والمعروف فى مثله التاء لأنها عوض عن العين المحذوفة ، لكن حكى هذا سيبويه . قيل : واختاره مع أنه خلاف المشهور ليوافق تذكير (ذلك) ، وإن كان تأنيث المصدر غير معتبر ، أو لأن الإراءة فى معنى الرياء ، وهو غير صحيح هنا » ، ويشير بحكاية سيبويه إلى قوله فى الكتاب ٢/٢٤٥ : « وقالوا : أريته إراء مثل أقمته إقاما لأن من كلام العرب أن يحذفوا ولا يعوضوا » .

وفى الآية . من سورة الأحزاب : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » ، فهنا اسم الإشارة ، والضمير المستتر المرفوع فى (زادهم) والمتبادر عودهما على الرؤية ، وهما مذكران والرؤية مؤنثة . وقد خرج الشهاب الخفاجى من هذا بجعل الإشارة إلى الخطب والبلاء لا إلى الرؤية وخرج البيضاوى بجعل الضمير المستتر فى الفعل عائدا إلى ما رأوه أو إلى الخطب والبلاء . وانظر الشهاب على البيضاوى ٧ / ١٦٧ .

محمد على النجار

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٤ —

أباح الإسلام للمسلم - كما عرفنا من قبل - أن يتزوج الكتابية، وعرفنا أن الإسلام جعل لهذا الزواج شروطا يحفظ بها حق الزوجة، وإذا كان يباح للمسلم أن يتزوج الكتابية، فإنه لا يجوز لغير المسلم أن يتزوج المسلمة، سواء كان كتابيا أم كان غير كتابى، فما دام لا يدين بالإسلام ولا يؤمن به فإنه لا يجوز له أن يتزوج بمسلمة.

وقد استدل الفقهاء على ذلك بقول الله عز وجل: « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ». وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا هاجرت إليه امرأة أسلمت من دار الشرك امتحنها، فكان يجعلها تقسم بالله إنها ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله. فإذا حلفت على ذلك حرم ردها إلى المشركين، لأن الله تعالى يقول: فلا ترجعوهن، لأن المؤمنات لسن حلا للكفار، ولا الكفار يحلون للمؤمنات.

كما استدلوا على ذلك بقول الله تعالى فى سورة البقرة: « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ». يقول ابن جرير الطبرى: « يعنى تعالى ذكره بذلك: أن الله تعالى حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا كائنا من كان المشرك، من اى أصناف الشرك كان، ولا تنكحوهن أيها المؤمنون منكم، فإن ذلك حرام عليكم، ولأن تزوجوهن من عبد مؤمن مصدق بالله ورسوله، وبما جاء من عند الله، خير لكم من أن تزوجوهن من حر مشرك، ولو شرف نسبه وكرم أصله، وإن أعجبكم حسبه ونسبه » (١).

وقال الزهرى فى الآية: لا يحل للمسلمة أن تتزوج يهوديا أو نصرانيا أو مشركا.

ولقد جاء فى السنة قول الرسول عليه الصلاة والسلام: « تزوجوا نساء أهل الكتاب ولا تزوجوهم نساءكم » رواه جابر ابن عبد الله، وإذا حرم تزويج المسلمة فتحريم زواجها من المشرك أو من لا يدين بدين أولى وألزم.

وقد وردت فى السنة آثار صحيحة بالتفريق

(١) تفسير الطبرى، ج ٢ ص ٣٧٩.

بين النصرانى وزوجته إذا أسلمت ، يقول عبد الله بن عباس : « إذا أسلمت النصرانية قبل زوجها فهى أملك لنفسها » ومثل هذا القول لا يأتى من قبل الرأى يراه ابن عباس وأمثاله ، فلابد أنهم سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم . ولقد أجمعت الأمة على حرمة زواج المسلمة بالمشرك ، يقول القرطبى : « وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه ، لما فى ذلك من الغضاضة على الإسلام »[1] وكذلك أجمعت الأمة على أن الكتابى (كاليهودى والنصرانى) لا يجوز له أن يتزوج المسلمة .

ولذلك قرر الفقهاء أنه إذا أسلمت الزوجة وبقى الزوج على دين غير دين الإسلام — ولو كان كتابيا ـ يفرق بينهما ، وذلك بعد أن نعرض الإسلام على الزوج لتبقى معه زوجته ، فإن أسلم بقيت ، وإن أبى فسخ ما بينهما من زواج ، وقال الأئمة الثلاثة : مالك والشافعى وأحمد إن الفرقة تكون بعد انتهاء العدة ، فإن أسلم الزوج خلال العدة بقيت زوجته معه ، وإلا انقطعت صلتها به .

وقد تحدث « تفسير المنار » عند زواج المسلم بغير المسلمة وحرمة زواج المسلمة بغير المسلم ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك و أعجبكم » ، وأشار إلى أن المشركين بينهم وبين المسلمين غاية الخلاف والتباين فى الاعتقاد ، فلا يجوز للمسلمين أن يتصلوا بهم برابطة المصاهرة ، لا بتزويجهم ولا بالتزوج منهم ، وأن الكتابيات حلّ للمسلمين فى الزواج لقول الله تعالى فى سورة المائدة : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان » .

وإذا كانت آية البقرة : ولا تنكحوا المشركين ... » قد سكتت عن حكم تزويج المسلمة بالكتابى ، فإن أصل ذلك المنع ، وهو مؤيد بالسنة والإجماع ، فلا يقال بعد هذا التأييد أن الأصل الإباحة ، ولذلك جاء فى تفسير المنار هذه العبارة :

« ولكن قد يقال إن الأصل الإباحة فى الجميع ، فجاء النص بتحريم المشركين والمشركات تغليظا لأمر الشرك ، وبحل الكتابيات تألفا لأهل الكتاب ، ليروا حسن معاملتنا وسهولة شريعتنا ، وهذا إنما يظهر بالتزوج منهم ، لأن الرجل هو صاحب الولاية والسلطة على المرأة ، فإذا هو أحسن معاملتها كان ذلك دليلا على أن ما هو عليه من الدين القويم ، يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ،

(١) تفسير القرطبى ، ج ٣ ص ٧٢ .

والعدل بين المسلمين وغير المسلمين ، وسعة الصدر فى معاملة المخالفين ، وأما تزويجهم بالمؤمنات فلا تظهر منه مثل هذه الفائدة لأن المرأة أسيرة الرجل ، لا سيما فى ملل ليس للنساء فيها من الحقوق ما أعطاهن الإسلام ، وأهل الكتاب وسائر الملل كذلك[1] .

ويمضى التفسير فى بيان الحكمة لحل زواج المسلم بالكتابية ، ثم يتعرض للسبب فى تحريم زواج المسلمة بغير المسلم فيقول : « ومثل هذه الحكمة لا تظهر فى تزويج الكتابى بالمؤمنة ، فإنه بماله من السلطان عليها ، وبما يغلب عليها من الجهل والضعف فى بيان ما تعلم ، لا يسهل عليها أن تقنعه بحقية ما هى عليه ، بل يخشى أن يزيغها عن عقيدتها ويفسد منها دون أن تصلح منه ؛ وهذا المعنى يفهم من تعليل النهى عن مناكحة المشركين فى قوله عز وجل « أولئك يدعون إلى النار » أشار بأولئك إلى المذكورين من المشركين والمشركات ، أى من شأنهم الدعوة إلى أسباب دخول النار بأقوالهم وأفعالهم ، وصلة الزواج أقوى مساعد على تأثير الدعوة ، لأن من شأنها أن يتسامح معها فى شئون كثيرة ، وكل تساهل وتسامح مع المشرك أو المشركة محظور محذور الشر بما يخشى منه أن يسرى شئ من عقائد الشرك للمؤمن أو المؤمنة بضروب الشبه والتضليل التى جرى عليها المشركون[1] .

ونستطيع أن نقول فى حكمة المنع أيضا أن الإسلام له مجتمعه ودولته ، والقوامة فى دولة الإسلام للإسلام ، فلا يجوز للمسلم أن يحكمه غير المسلمين أو يسيطر عليه ، وقوامة الدولة قوامة عامة ، والزوج له قوامة على زوجته ، وهى قوامة أسرية خاصة ، وما دام المسلم محكوما فى دولته بالمسلم ، فلا يجوز أن تكن المسلمة محكومة فى أسرتها بغير المسلم ، لأن القوامة الخاصة فى الأسرة هى التى تتعدد وتتكرر فى الأسر الباقية ، فيتكون من التئامها وانسجامها جو القوامة العامة ، وهى قوامة الحاكم المسلم على الأمة المسلمة . وهناك الأولاد الذين ينشئون من زواج المسلمة بغير المسلم ماذا يكون شأنهم ومصيرهم لو أبيح هذا الزواج ، إنهم يتبعون خير الأبوين دينا ، ولكن هذه التبعية لن تمنع تعرض هؤلاء الأولاد للبلبلة والزلزلة ، فمن الطبيعى أن يحاول الوالد غير المسلم جرهم إلى دينه وعقيدته ، فما تبنيه لهم الأم المسلمة قد يهدمه الوالد غير المسلم ، ولا يبعد أن يتغلب الأب بسيطرته وقوامته وقوته على الأم فيفسد على الأولاد دينهم .

ثم إن هناك وجها آخر من الحكمة لا يقال معه : لماذا أباح الإسلام زواج المسلم بغير

(١) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥١ .

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

المسلمة ولم يبح زواج غير المسلم بالمسلمة ... هذا الوجه هو أن المسلم يؤمن بدين الكتابية في أصوله ويؤمن بنبيها الذى جاء بهذا الدين بينما الكتابى لا يؤمن بدين المسلمة ولا بنبيها فإيمان المسلم بدين الكتابية - غير محرف - وكفران الكتابى بالإسلام وبنى الإسلام منعه أن يتزوج المسلمة.

ولذلك يروى أن أوربيا قال منذ حين لأحد المسلمين : لماذا تمنعون أن يتزوج اليهودى أو النصرانى مسلمة ؟ فقال له المسلم : يستطيع هذا اليهودى أو النصرانى أن يؤمن بدين هذه المسلمة وبنبيها ، كما تؤمن هى بدينه وبنبيه ، ونحن نزوجها له ! !

* * *

هناك بعد هذا مسألة تتصل بالموضوع الأساسى لهذا البحث ، وهو الزواج بين بين المسلمين وغير المسلمين ... وهى مسألة التحديد للطوائف الكتابيين والتحديد للمراد بالمشركين ... فإذا كان الفقهاء قد اتفقوا على أن عبدة الأصنام مشركون ، ولا يجوز للمسلم أن يتزوج نساءهم ، واتفقوا كذلك - إلا من شذ برأى - على أن اليهود والنصارى من الكتابيين الذين يجوز للمسلم أن يتزوج نساءهم ، فقد اختلفوا بعد هذا فى طوائف أخرى . أمشركة هى أم كتابية ، ومن هذه الطوائف « الصابئة » ، وهم جماعة كانوا قديما فى العراق ، وبقيت منهم بقية إلى الإسلام ، وقالوا عن أنفسهم إنهم من النصارى ، ولكنهم قدسو الكواكب ، ولهم تعاليم وطقوس يخفونها .

اعتبرهم الإمام أبو حنيفة من أهل الكتاب النصارى، وأعتبرهم صاحباه محمد وأبو يوسف من المشركين الذين لا تحل نساؤهم للمسلمين . والفصل فى هذا الأمر يتوقف على اطلاعنا على حقيقة اعتقادهم وعباداتهم، ويميل الشيخ أبو زهرة إلى رأى الصاحبين اللذين منعا المسلم زواج نسائهم ، ويستند فى هذا إلى عبارة للجصاص عن الصائبين يقول فيها : « وأصل اعتقادهم تعظيم الكواكب السبعة وعبادتها ، واتخاذها آلهة ، فهم من عبدة الأوثان فى الأصل، إلا أنهم منذ ظهر الفرس على إقليم العراق ، وأزالوا مملكة الصائبين لم يجبروا على عبادة الأوثان ظاهرا ، لأنهم منعوهم من ذلك ، وكذلك كان أهل الشام والجزيرة صائبين ، فلما تنصر قسطنطين حملهم بالسيف على الدخول فى النصرانيه ، فبطلت عبادتهم الأوثان من ذلك الوقت ، ودخلوا فى غمار النصارى فى الظاهر ، وبقى كثير منهم على النحلة مستخفين بعبادة الأوثان ، فلما ظهر الإسلام دخلوا فى جملة النصارى إذ كانوا مستخفين بعبادة الأوثان كاتمين لأصل الاعتقاد ، وهم أكتم الناس

لعقائدهم ، وعنهم أخذت الاسماعيلية كتمان المذهب [1] .

وهناك من أحل زواج المسلم من المجوسية وهو أبو ثور صاحب الشافعى - لأنها تدعى نبوة زرادشت ، وجاء فى تفسير المنار ما يفيد أن المجوس والصابئين والبوذيين والبراهمة وأتباع كونفوشيوس فى الصين من أهل الملل الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب ، ثم قال : « وذلك أن كلا من الصائبين والمجوس عندهم كتب يعتقدون أنها إلهية ، ولكن بعد العهد وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لنا ، ولا يبعد أن يكون من جاءوا بها من المرسلين لأن الله تعالى يقول (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وقال (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) وإنما قويت فيهم الوثنية لبعد العهد بأنبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من أهل الكتاب عن هداية كتبهم ، ودخول نزغات الوثنية والشرك عليهم لم يسلبهم امتيازهم فى كتاب الله على المشركين وعدهم صنفا آخر [2] » .

ويستدل على أن المجوس ليسوا من المشركين بأن الجزية إنما تؤخذ من أهل الكتاب ، والنبى والخلفاء قد أخذوا الجزية من المجوس فى البحرين وهجر وفارس ، وجاء فى المجوس الحديث المنقطع : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » . وروى الشوكانى فى « نيل الأوطار » أن الإمام عليا قال فى المجوس : « كان المجوس أهل كتاب يدرسونه وعلم يقرأونه » ثم ذكر الإمام على ما طرأ لهم من فساد .

ويقول السيد رشيد رضا : « إن إطلاق كلمة (أهل الكتاب) على طائفتين من الناس لتحقق أصل كتبهما ولزيادة خصائصهما لا يقتضى أنه ليس فى العالم أهل كتاب غيرهم مع العلم بأن الله بعث فى كل أمة رسلا مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط [1] » .

ومما تقدم نفهم أن أساس الحكم بالإشراك على طائفة ، أو بأنها من أهل الكتاب ينهض على دراسة نشأة هذه الطائفة والوقوف على عقيدتها وعبادتها ، فإذا نهض الأساس على الوثنية أو الإشراك كانت الطائفة مشركة وإن كان لها كتاب سماوى ولو فى القديم كانت كتابية ، وإيضاح ذلك يستعان عليه بما جاء فى كتب الملل والنحل ، وهى كثيرة متعددة ...

أحمد الشرباصى

(١) الأحوال الشخصية « قسم الزواج » ص ٩٧ .

(٢) تفسير المنار ، ج ٦ ص ١٨٧ .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

في ذكرى مولد الرسول الكريم

للأستاذ عباس طه

إذا كنت ممن تخلى عن التعصب ، وتطلع إلى سيرة النبي الأمي الكريم ، وإلى مداومة شمائله الكريمة الطاهرة ، ثم حاولت أن تستخلص من كل ذلك معنى تستريح إليه ، ومثلا أعلى تتمثله وتحتذيه ، فسوف ترى كما رأيت معنى قد تظنه بادى الرأى لا شأن له ولا خطر، وهو فى الحقيقة القطب الذى تدور عليه رحى الخير كله ، وإن شئت قلت هو دستور هذا الوجود وناموسه . أتدرى ما هو هذا المعنى ؟ هو الطهارة . ولك أن تقول : النظافة ، النظافة بكل معانيها وسائر مجاليها . نظافة العقل ، نظافة الروح ، نظافة البدن « إنما المشركون نجس » ، « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » ، « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » (النظافة من الإيمان) .

كان العالم قبيل ظهور المصطفى صلوات الله وتسليماته عليه ، وخما قذراً ، غارقا فى قذارة عقلية ، وروحية ، وبدنية .

كانت قذارة عقله فى اعتقاده تلك العقائد البدائية الصبيانية الممعنة فى الجاهلية : من الشرك وعبادة الأصنام ، ومن سائر العقائد الفاسدة التى عششت وباضت ، ثم أفرخت وشاعت بين العرب وغير العرب فى سائر أمم العالم القديم ، والتى لا تزال آثارها باقية إلى اليوم بين من لا يدينون بالإسلام الصحيح .

وكانت قذارة روحه فى تخلقه بالأخلاق المرذولة : من الكذب ، والرياء والنفاق والجبن والبخل والطمع والأثرة وسائر الرذائل ، وفى حيوانيته وإسفافه وانغماسه فى الشهوات البهيمية .

وكانت قذارة بدنه فى تركه نفسه هملا كالعجماوات .

جاء الإسلام والعالم على هذه الحالة من الدنس والرجس ، فأذكى غارته المقدسة ، وحمل حملته الشعواء على هذه الأوبئة التى تجتاح العالم ، ودعا الناس أول ما دعا

إلى تطهير عقولهم من العقائد الفاسدة والترهات الباطلة . نهاهم عن الشرك ودعاهم إلى التوحيد ، وبحسبك هو من عقيدة هي أصل الفضائل ومنبع المحامد ، والمعنى الذي يسمو بالإنسان إلى الملأ الأعلى ، ويصل روحه مباشرة بالذات الأقدس « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفرما دون لمن يشاء » .

ودعا الناس إلى تطهير أرواحهم ، فسن لهم من مكارم الأخلاق ما سن ، وشرع لهم من الشرائع ما شرع ، مما تراه مثبوتا مستوفى فى تعاليم الإسلام وفى هدى المصطفى عليه السلام . ومما كان له أثر أى أثر فى تطهير أرواح المسلمين وتنزيه نفوسهم من كل ما علق بها من أقذار الجاهلية حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس .

فالنظافة الحسية والمعنوية هى روح الإسلام ، وهى الغرض الأسمى الذى يقصد إليه ، والمثل الأعلى الذى يحث على التمسك به . كان صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى للنظافة فى سائر مظاهرها . كان عقله أسمى العقول إذ كان عليه السلام من كمال العقل بحيث يند عن كل ما هو غير جدير بالكمال والمثل الأعلى . وقد أطبق أصحابه وكل من رآه على أنهم لم يروا عقلا كعقله ، ولا سمعوا بمثله أو بما يقاربه ، وإن من كان مثله فى نشأته الأولى التى لم يشبها شوب من دنس الجاهليه ، فلم يسجد لصنم ، ولا شارك قومه فى عيد من أعيادهم ، ولا ذاق لحوم قرابينهم ولا انغمس فيما انغمسوا فيه من ضلالاتهم وحماقاتهم . نقول : إن من كان مثله فى نشأته هذه ، وفى كياسته وحسن سياسته وسداد تدبيره حتى أعطاه العرب زمامهم وقيادتهم ، وهم من هم حمية ونعرة وعنجهية ، وخشونة مراس ، وشدة شكيمة ، وتوعر خلق ، وجفاء طبع ، مع ما أفاضه الله عليه من العلم والعرفان ، وأوحى إليه من القوانين والشرائع والآداب ، وهو النبى الأمى الذى لم يجلس إلى المعلمين ، ولم يختلف إلى المدارس والجامعات - نقول : إن من كان هذا شأنه لابد أن يكون عقله فوق مستوى العقول .

ومن هنا حفل كتاب الله وأحاديث المصطفى بالتنويه بالعقل والإشادة بذكره ، والحض على اللجوء إليه ، والتعويل فى سائر الأمور عليه ، بالكثير من الآيات والأحاديث : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » .

وكانت أخلاقه صلى الله عليه أطهر الأخلاق وأسماها وأجملها ، حتى قال الله تعالى فيه : « وإنك لعلى خلق عظيم » أى رسول الله : لقد فضلك ربك على الناس كافة فكنت خيرة الله من خلقه ، واصطفاك

لوحيه وإبلاغ رسالته ، فكنت عند العهد بك وبلغت ما أنزل إليك على أبدع وجه وأكمل تبليغ .

لقد كنت يارسول الله بسيرتك وأقوالك وأفعالك وشمائلك مثلا أعلى وقبساً يستضاء به فى الظلم الحوالك لم تجد الأقدار بمثله ولن تجود أبد الدهر ، فكنت فى الحق خاتم النبيين ، وكنت واسطة عقد المرسلين .

لقد جاهدت حق الجهاد فى سبيل الله وإعلاء كلمته ، وحوربت وعوديت ، وشوققت وضوررت وأوذيت أيما إيذاء ، فلم يثن ذلك من عزمك ، ولم يفل من إرادتك ، بل مضيت قدما لا تلوى على شىء ، فكنت بذلك حقاً من أولى العزم ، وكان ذلك منك مصداقا لما قلت لعمك - إذ طلب إليك أن تترك هذا الأمر اتقاء شر قريش ، كلمتك الخالدة التى رددها الدهر - : « والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه حتى يظهره الله ما تركته » . أى رسول الله : لقد قمت بالمهمة العظمى خير قيام ، وتركت لنا ديناً جمع بين خيرى الدنيا والآخرة ، فقد نظرنا فى حكمة الأولين وفلسفة الآخرين ، فلم نر فلسفة أجمع ولا أسمى وأروع من الإسلام « إن الدين عند الله الإسلام » « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » . . ؟

عباس طه

قال ابن الرومى فى حب الوطن :

ولى وطن آليت ألا أبيعه ... وألا أرى غيرى له الدهر مالكا

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا

ألا رحم الله الشعر!

للدكتور عارف قياسة

شعر نزار قباني :

لقد كنت أنتظر بتشوق ولهفة وصول (حبيبتي) ، الديوان الجديد للشاعر نزار قباني . فقد كتبت عنه الصحف كثيراً ، وأشادت به ، وأثنت عليه الثناء المستطاب ، ولكنني مع الأسف الشديد ، لم أجد فيه ماكنت أتوقع ، أو بعض ما سمعت ، أو بمعنى أصح لم أجد فيه شعراً يتناسب مع تلك الدعاية الواسعة التي بثت حوله . ويبدو لى أن تقييم الآثار الفنية أصبح اليوم فى أيدى الصحف السطحية العابرة ، ولم يعد بين الأيدى الأمينة الخبيرة التى لا تتأثر إلا بما فى الأثر الفنى من جمال ، مهما بلغ صاحبه من امتداد الشهرة ، وذيوع الصيت .

وأنا لا أنكر على نزار قبانى شاعريته ، فنزار شاعر حتى رءوس أنامله ، فقد قرأت له قصائد عابرة ، مشبعة بالصدق نابضة بالدفء والحياة انتزعها من صميم وجدانه وقلبه ، وجعل صورها الأبكار تختلج على الورق وتتحرك فى أبهة وخيلاء وبهاء .

ونزار لم نعرفه فى يوم من الأيام ، شاعرا متكلفاً يقول غير ما يحس ، وإنما هو شاعر أصيل يفيض ببساطة وعذوبة ونغم .

قد لا يعجب بعض الناس شعر نزار القبانى ، ويرون فيه معرضا لتجميل المرأة ، فأكثر شعره منصرف إلى وصف المرأة ، ووصف أدوات زينتها ، وستائر غرفتها ، وقوارير عطرها ، وألوان (فساتينها) ، وكيفية ارتدائها ملابسها ، وكيفية خلعها لها ، إلى آخر هذه الأشياء الصغيرة التافهة التى تداعب أحلام المراهقين ، وتستثير الشهوة فى غرائزهم الملتهبة .

ومما لا شك فيه أن إصغاء الشاعر للأحاسيس الرفيعة ، وتعبيره عن المشاعر البناءة يخلع على شعره هالة من السمو ، ويمده بطاقة أكبر من الجمال والفتنة ؛ لأن فى المشاعر النبيلة السامية سحراً يضاف إلى سحر التعبير ، فيضم الشاعر ، آنذاك الجمال من طرفيه ، ويغدو الشعر رائعا وبناء فى وقت واحد ، وبذلك يتم جماله كما يتم حسن الوجه بحسن الأخلاق فى الإنسان .

ومهما يكن من شئ فإننا لا نستطيع أن ننكر أن نزار قبانى وهو شاعر من شعراء الأدب المكشوف ، قد استطاع فى بعض شعره ، أن يزرع الجمال فى تلك الأشياء الصغيرة ، بما لديه من قدرة خصبة ، وبما تنطوى عليه نفسه من صدق وتوهج وموهبة . .

ولكن بيغاوية الشعر الحديث أدركته في ديوانه الجديد (حبيبتي) فإذا به ينق أحيانا كالضفادع على حواف السترع في الليالي القمراء . وإلا ما معنى هذا الشعر في قصيدته (أكبر من كل الكلمات) :

سيدتي :
في هذا الدفتر
تجدين ألوف الكلمات
الأبيض منها والأحمر
الأزرق منها والأصفر
لكنك يا قمري الأخضر
أحلى من كل الكلمات
أكبر من كل الكلمات .

أو في قصيدته (خطاب من حبيبتي) :

هذا خطاب منك
ما أخطأني شعوري
عرفته من خطك المنمنم الصغير
من حبرك الأخضر . . من أسلوبك الأمير
من رشة النقاط . . في أواخر السطور
من اسمك النائم . . عنقوداً من العبير
في آخر الصفحة
عنقوداً من العبير . .

أو في قصيدته (حبيبتي) التي اتخذها عنوانا لديوانه :

حبيبتي إن يسألوك عني يوما
فلا تفكري كثيراً
قولي لهم بكل كبرياء يحبني كثيرا ...

وينهي نزار هذه القصيدة العرجاء فيقول لا فض فوه :

حبيبـــتي
يا ألف يا حبيبتي
حبي لعينيك أنا كبير
وسوف يبقى
دائما كبير ...

وإني أدعو أنصار هذا النمط من الشعر الحديث ليدلوني على ما خفي من عبقرية في هـــذه الأشعار الخرساء ، فقد تكون في الزوايا خبايا لا تدركها كل العيون . وإذا كنا نغفر لشاعر مبتدئ مثل هذا التعبير الفج القاحل ، فإننا لا نغفر لنزار قباني ، وهو الشاعر الذي طبق صيته أرجاء العالم العربي مثل هذا الشعر الأبكم الكسيح ، وإننا في سكوتنا عنه نجني على الأدب العربي ، ونجعله يسير في دروب التفكك والانحلال .

لقد قلنا أكثر من مرة إن هذا النمط من الشعر الحديث يجني على أصالة الشاعرية في الشاعر ويجعله يركن إلى السهولة واليسر وينأى به عن التركيز والتكثيف . هذا الشعر المقتبس عن (اليوت) وأمثاله قد يلائم طبيعة غير طبيعتنا ، وبيئة غير بيئتنا ، ولكنه لا يزدهر في تربة متوهجة كتربتنا ، فالعرب لم يعرفوا في أدبهم المطمطن ومضغ اللبان ، وإنما كان كلامهم حكما ، وإيجازا مجنحا ، وكانت قصائدهم أشجارا تنوء بالأثمار .

إن نزار القبانى الذى عرفناه شاعرا يحمل الكلمة ثورته الحية فتنطلق كالسهم إلى أجواز الفضاء ، نراه فى أغلب هذا الديوان يزحف على الثرى مثقلا بالقيود ، لقد تخلى عن شاعريته الفياضة الحلوة وجنح إلى النثر الركيك ، وأخذ ينظم الشئون الصغيرة بذهنه وفكره ، لا بعاطفته وقلبه :

شئون صغيرة ...
تمر بها أنت دون التفات
تساوى لدى حياتى
جميع حياتى
حوادث قد لا تثير اهتمامك
أعمر منها قصور ...
وأحيا عليها شهـــور ...

لقد سيطر على نزار حب الغرابة ، فراح ينفض السهل والوعر ، والسماء والبحر ، لم يترك بهار الهند ولا مزارع البن فى البرازيل ولم ينس سجاير شيراز ولا خزف الصين ولا مانجو إفريقيا ولذلك جاء أكثر شعره حافلا بالصنعة والتكلف بما جعل بينه وبين القارىء جدارا كثيفا من الجليد لا يخترق :

يقول فى قصيدته (أوريانتيا) :

أوريانتيا
تكونت من رغوة البحار
من نكهة المانجو . .
من الأصداف والمحار
من كل ما فى الهند من طيب ، ومن بهار .
أوريانتيا
نهدان واقفان
كقبتى نحاس
فى ذهب المغيب
صحنان صينيان رائعان .
قلمان من لهيب تزودا من آسيا .
بزهر تى غاردينيا .
بعنبر
بفلفل
بطيب
وحبتى زبيب .

رحم الله أحاديث جدتى التى كانت تقصها علينا فى سن الطفولة ففيها كثير من هذا الشعر ، الذى يمليه الذهن إملاء دون أى انبثاق من أعماق الوجدان ، ودون أى فورة من فوران الشعور .

إنه شعر جامد يعالج الأمور من ظواهرها ولا يتدخل إلى غياهبها حيث الحياة الدافقة ، والحرارة المتوهجة .

لقد طوف نزار ، بحكم وظيفته الدبلوماسية ، فى أقاصى آسيا وأوربا وأمريكا وإفريقيا — ولا أدرى إذا كان بلغ استراليا . وما كان منه إلا أن جمع مارآه من فتات ، هنا وهناك ، ليقول لنا بعد ذلك : إنه أبدع قصائد جديدة .

ثم ماهذان البرجان العاجيان أو النهدان كقبتى الواقفان نحاس ، أو كصحنين رائعين من الصينى .

الشاعر الحق يجعل الجامد يتحرك ، ويبث فى الميت الحياة فيختلج ، ونزار هنا يمسخ النهدين بقدرة قادر أو شعوذة ساحر فإذا هما قبتا نحاس فى كاندرائية، ن كاندرائيات باريس أو روما - لا أدرى - أو صحنين من صحون الصينى .

أفهذا هو مفهوم التجديد الذى يراه نزار ضروريا للشعر العربى ؟ إن الشاعر القديم الذى شبه قد حبيبته بغصن البان ، هذه الصورة التى أصبحنا نمجها اليوم لفرط ما لاكتها الألسن ، هو عندى أصدق من نزار تعبيرا وأنفذ منه إلى مسارب الحياة والروح.

ثم ما هذا العنبر ، والفلفل والزبيب ؟ أنحن على مائدة الشعر الحافلة بغذاء الروح أم على مائدة أحد المطاعم الفقيرة ؟ .

ويقول نزار ، سائرا على طريقة (سعيد عقل) فى النحت الذهنى والاهتمام فقط بالرنين والشكل الخارجى :

وأنتظر الصوت - صوتك . يهمى على .
دفيئا . مليئا . قوى .
كصوت ارتطام النجوم .
كصوت سقوط الحلى .

فإذا بشعره فارغ من كل شىء إلا من الرنة الموسيقية ، والمبالغة الممقوتة المتكلفة ، وإلا فما هو وجه الشبه بين صوت حبيبته وصوت سقوط الحلى ، سوى ملء فراغ الروى . إن نزار يلعب هنا بالألفاظ ، ولما لم يجد لديه ما يقوله لجأ إلى هذه البهلوانيات القشرية ، ليوهم الناس بعمقه ، ولا شك أن هذه البهرجة الكاذبة التى لا تمت إلى الشعور بصلة ، لا تخفى على الأذواق المتفتحة ، فنزار هنا قد بز القدامى من أنصار البديع والتحذلق فى عهود الانحطاط الأدبى .

لقد كان نزار قبانى شاعرا يوم كان يستمد لوحاته من طبيعة بلاده ، من طبيعة الشام الضاحكة النقية ، أو من طبيعة جبل لبنان المتبرجة الشذية ، ولما راح يستمد صوره من هونج كونج ، وحانات باريس ومزارع البن فى البرازيل ، فقد الكثير من براءته وعفويته وغنائه .

لقد أعمت الشهرة نزار، فترك لخياله العنان، ولم يعد يحسب للقراء أو النقاد أى حساب. حسبه أن يمد يده إلى اسم أحد المسارح (القمر الأخضر) فيقتله ويخاطب به حبيبته قائلا : يا قرى الأخضر ، وحسبه أن يبث فى شعره الإسفنج والمحار ، والقراصنة ، والتبغ ، والمطر الأسود ، والفلفل والبهار ، على طريقة الشعر الأجنبى الحديث ، ليقول لنا بعد ذلك إنه أتى بشعر رائع جديد .

ألا رحم الله الشعر .. !

[عن الرائد]

الدكتور عارف قياسة

ما يقال عن الإسلام

الإسلام دعوة عالمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى العدد الأخير من مجلة « الأزهر » عقبنا على المقالين اللذين نشرتهما مجلة « التاريخ اليوم » الانجليزية للأستاذ سوندرس المحاضر الأول بقسم التاريخ فى جامعة نيوزيلاندة ، وقد جعل عنوان المقالين « الخليفة عمر المستعمر العربى ، وذهب فيهما إلى أن ابتداء انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية إنما كان من عمل هذا الخليفة ولم يكن عملا داخلا فى برنامج الدعوة المحمدية .. لأن محمدا عليه السلام لم يفكر فى دعوة أحد غير العرب إلى الإسلام .

وكان موضوع التعقيب أننا أخذنا على الكاتب دعواه هذه وقلنا إنها ، مع حسن النية ، سوء تطبيق لعلم المقارنة بين الأديان ، إلتماسا لوجوه الشبه التى لا وجود لها بين الدعوة إلى الموسوية والدعوة إلى المسيحية والدعوة إلى الإسلام . فإن أتباع موسى عليه السلام قد دخلوا أرض الميعاد بعد وفاته ، وأتباع عيسى عليه السلام هم الذين قاموا بتوجيه الدعوة إلى العالم بعد حصرها فى بنى إسرائيل ، فينبغى على هذا القياس ذهابا مع شهوة المقارنة بين الأديان فى غير موضع للمقارنة أن يكون خلفاء النبى هم الذين نشروا الإسلام بين الأمم غير العربية ، ولم يكن ذلك من برنامج محمد عليه السلام ولا من أصول رسالته إلى قومه .

أما إذا ساءت النيات ، وما أكثر الدواعى إلى سوء النية فى كتابة تاريخ فلسطين .. فقد يفهم من كلام الكاتب أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان عملا من أعمال الاستعمار العربى ولم يكن هداية دينية خالصة لوجه الله ، ويرد هذا على الخاطر — قسرا — إذا اطلع القارئ فى العدد نفسه على مقال مسهب عن دخول اليهود إلى فلسطين ، ليتخذوها مأوى لهم وموطنا موعودا من عهد الخليل إبراهيم .

وقد وصل إلينا عدد شهر يونيو من المجلة

الانجليزية فقرأنا فيه تصحيحا لدعوى الأستاذ النيوزيلاندى بقلم الأستاذ أحمد إبراهيم الشريف مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية ، أشار فيه إلى الأدلة الكثيرة التي تثبت دعوة الإسلام العامة ، ثم قال : « إننا إذا تركنا هذه الأدلة جانبا واكتفينا بالنظر فى القرآن الكريم وحده فهناك أكثر من أربعين آية يذكر فيها الله سبحانه وتعالى باسم رب العالمين ، وهذا عدا الآيات التي ذكر فيها بالنص الواضح أنه عليه السلام قد أرسل إلى الناس كافة ، وأن القرآن قد نزل عليه ليقرأه على الناس » .

وقد أحالت المجلة هذا الرد إلى الأستاذ سوندرس فعاد يقول إن هناك أدلة تفيد أن محمدا (صلوات الله عليه) قد أراد بدينه أن ينشر على الناس ، كما أن هناك أدلة أخرى تفيد أنه لم يفعل ذلك ، فهى إذن مسألة من مسائل الشك لا يقطع فيها بأى القولين .

قال : « أما إن محمدا قد آمن بأن الله هو إله الجميع فليس محل مناقشة ولكنه ليس بموضع البحث فيما نحن بصدده ، وإنما سند من القرآن نفسه حيث ترد الآيات التي يمكن الاستدلال بها على القولين ، فقوله فى أول سورة الفرقان « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » قد يقابله فى سورة القصص قوله : « ... لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون »

وهو يشير — كما هو واضح — إلى العرب ، ومثله قوله فى سورة الشورى : « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه » فإنه يدعو إلى التساؤل عن القرآن العربى هل يخاطب به أناس غير المتكلمين بالعربية .

قال : « إن الأوربيين المتخصصين للإسلاميات ينقسمون انقساما شديداً فى هذه المسألة . فإن موير يرى أن الدعوة من البداية إلى النهاية كانت دعوة للعرب وحدهم ولم يدع بها أحد غيرهم ... ولكن نولدكه وجلدزيهر وأرنولد وكلهم ثقات — يقولون إن محمداً عليه السلام أراد بدينه منذ أوائل الدعوة أن يكون ديناً عالمياً ولم يرد به أن يكون مجرد عقيدة وطنية محلية ، ونقول : إنه لو كان قد ثبت أنه كتب إلى هرقل وملك الفرس وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى الإسلام لانتفى الشك بالواقع . ولكن آراء الباحثين — مع الأسف — لا تميل إلى قبول هذه الأخبار ، ومونتغومرى وات يقول إن هذه القصة لا يمكن أن تقبل على حسب هذه الروايات » .

ثم ختم جوابه على تعليق الأستاذ الشريف قائلا : « وعندنا صعوبة كهذه فى أمر المسيحية . فهل كان المسيح عليه السلام ينظر إلى نفسه كأنه صاحب ديانة جديدة كما جاء فى متى حيث

يقول : إذهبوا وعلموا جميع الأمم ؟ أو كان ينظر إلى نفسه كأنه مصلح لليهودية ليس إلا وأنه ما جاء إلا لهداية خراف إسرائيل الضالة ؟ » . وأحسب أنني أمام هذا الخلاف قد كنت متحرزاً حيث قلت : إن البرهان القاطع غير موجود » .

والأمر البين بعد قراءة هذا الجواب أن الأستاذ لم يكن متحرزاً كما قال في ختام جوابه ولكنه — كما قدرنا — قبل الاطلاع على هذه المقارنة بين الدعوة المسيحية والدعوة المحمدية في كلامه الأخير كان منساقاً مع إغراء المقارنة في غير موضع للمقارنة ، فلم يظهر له الفارق الشاسع بين موقف الخلفاء من الدعوة المحمدية وموقف بولس الرسول وإخوانه من الدعوة المسيحية ، فإن بولس وإخوانه لم يكن في وسعهم أن يبشروا اليونان والرومان بمسيح منتظر في بني إسرائيل لخلاصهم واستعادة ملكهم الذي قضى عليه الرومان أنفسهم ، فلا جرم تتحول الدعوة من إسرائيلية إلى عالمية لهذه الضرورة التي لا محيص عنها ، وليست هناك مشابهة قط بين الدعوة الخاصة ببني إسرائيل وبين الدعوة إلى الناس كافة كما وردت في القرآن الكريم بذلك الوضوح الذي فهمه الكاتب ولم يستطع أن يتجاهله في جوابه على اعتراض الأستاذ الشريف .

فهذه هي الثغرة التي نفذ منها خطأ القياس إلى رأي الأستاذ النيوزيلاندي مع تقدير حسن النيه فيما قرره من حصر الدعوة الإسلاميه بين أبناء الجزيرة العربية .

ولسنا نرى دليلا على التحرز — ولا على الجد — في استناد الكاتب إلى نزول القرآن باللغة العربية لتعزيز حجته على تخصيص الإسلام بمن يتكلمون اللغة العربية ، إذ كيف كان يريد أن تكون الدعوة إن كانت عالمية إنسانية ولم تكن مقصورة على المتكلمين بلغة الرسول ؟ إنه يمنع بذلك أن توجد في العالم دعوة عالمية إنسانية على الإطلاق أو يفترض فيمن كان يرسل بهذه الدعوة أن ينطق بألسنة الناس أجمعين .

ولا نحسب قراء الأستاذ النيوزيلاندي قد استفادوا شيئاً من اليقين أو الترجيح بما استشهد به من أقوال المختلفين على عموم الرسالة المحمدية أو خصوصها بين زملائه المستشرقين بل كل ما يستفيده القارئ المطلع من وقوع هذا الخلاف أن أناسا غير قليلين بين « جهابذة المستشرقين » يقرءون الكتاب المبين ولا يستبينون منه أظهر معانيه ، بل أظهر كلماته ، التي لا تحتاج إلى مراجعة من أخبار الإسلام أو أخبار التواريخ .

فإذا كانت كلمة الناس كافة تحتمل اللبس في أذهان هؤلاء المستشرقين لسبب من أسباب

التأويل فى اللغة أو فى المنطق فما هو اللبس فى وصف العباد الذين تكرر الخطاب بإنذارهم ودعوتهم إلى الدين ؟ .

إننا نذكر من وصف هؤلاء العباد فى الكتاب العربى مثلا واحدا وهو قوله فى خطاب النبى بالعربية :

« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال . الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » .

فمن يقرأ وصف هؤلاء العباد الذين سخر لهم البحر وسخرت لهم الأنهار وسخر لهم الليل والنهار لا يخطر له لحظة أنهم أبناء الجزيرة العربية دون غيرهم من بنى الإنسان فى جميع البلدان .

وإذا كان عرب الجاهلية قوما لم يأتهم نذير من قبل فالدين الذى جاء به صاحب الدعوة المحمدية يعم المتدينين الذين سبقت إليهم الرسل ويقوم النبى العربى بالدعوة إليه ليظهر على الدين كله : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

وأيا كان القول فى اللغة التى تكلم بها النبى ، وفى صلاح هذه اللغة للدعوة العالمية ، فإن النوع الإنسانى يشمل أم القرى وما حولها ولا تعتبر هداية أهلها عزلا لهم عن عداهم من الناس ، إذ كان خطاب الناس كافة يمنع أن يكون الخطاب مقصورا على أم القرى ومن حولها ولكن خطاب أم القرى ومن حولها لا يمنع أن يعم الناس أجمعين .

وبعد ، فكيف يسيغ العقل أن يكون صاحب الدعوة المحمدية خاتم النبيين إذا كانت رسالته مقصورة على قوم لم يأتهم من قبل نذير .

إن طائفة من المستشرقين تسيغ مالا يسيغه العقل فى أمر القرآن وأمر الإسلام ، ولا نحب أن يشيع لأحد من هؤلاء قول مسموع فى العصر الحاضر ، لأننا نقرأ لغيرهم من فضلاء الأوربيين المحدثين صفوة من الآراء السديدة فى الإسلام ونبيه ، ينزهونها عن هوى الاستعمار والتبشير ما استطاعوا ويحسنون بها إلى قرائهم وقراء العربية غاية إحسان العالم الأمين على علمه ، وليس من هؤلاء — ولا ريب — من يذكر الخليفة الفاروق اليوم فلا يعرف له صفة إلا أنه مستعمر قديم ؟

عباس محمود العقاد

آراء وأحاديث

مؤتمر أديان لإقرار السلام :

استقبل الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر السيد / سوامى باسكرا نند ـ الفيلسوف الهندى .

وقد دار الحديث حول عقد مؤتمر تمثل فيه جميع الأديان للعمل على إقرار السلام فى الأرض والحث على التعاون والمحبة والمساواة بين البشرية جمعاء دون تمييز بين جنس ولون .

وقد صرح الزائر للإمام الأكبر بأنه كلما قدم مقترحه لدولة إسلامية اشترطت لعقد المؤتمر موافقة الأزهر .

ثم قال : وقد دفعنى ذلك إلى لقاء الإمام الأكبر ، وزيارة الأزهر ، وها أنا ذا قد سعدت بأن أتيحت لى هذه الفرصة .

فشكر له الإمام الأكبر مشاعره الطيبة واقتراحه ، ووعده ، ببحث الموضوع قريبا والاتصال به بعد ذلك .

ثم أبرز له فضيلته المبادئ السامية التى يدعو إليها الأزهر قائلا : إن الأزهر يدعو إلى الله ، والسلام ، والخلق الكريم ، والرحمة والتعاون ، والعطف على الفقراء والمساكين يدعو إلى كل خير يحبه الله .

هذا الأزهر يرحب بالفيلسوف الهندى ، ويسره أن يضع يده فى أيدى جميع الفلاسفة لنشر مبادئ الإسلام فى أنحاء الأرض .

ثم تلا قوله تعالى: « ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

ثم قال فضيلته : ومن يمت نفسه فى سبيل هذه المبادئ فهو حى على الإطلاق .

إن كل الرسالات السماوية تدعو الى ذلك ، وكلها تلبية للطبيعة الإنسانية ، والإنسان بنفسه معترف بربه ، حتى ولو عاش فى الجبل فإنه يعترف بوجود ربه ، ويكفى الإنسان فى الإيمان التأمل فى هذا الكون .

قال الزائر ـ إنه لمن عظيم سرورى أن أسمع ذلك من فضيلتكم ، وسيسعدنى أن أعمل على ضوء هذه المبادئ وسأستنير بها فى جميع غدواتى وروحاتى .

فقال الإمام الأكبر ـ إنها لفرصة طيبة أن اقترنت زيارتكم لنا بأعظم حادث فى تاريخ الأزهر ، وهو إعادة تنظيمه حتى ليؤدى رسالته كاملة للدين والدنيا .

الأستاذ الأكبر يستقبل زعيم المسلمين في مونتريال :

استقبل الإمام الأكبر بمكتبه السيد / محمد حبيب الله خان زعيم المسلمين فى مونتريال بكندا . وقد حضر المقابلة الأستاذ الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلامية ، والأستاذ أحمد نصار مدير مكتب شيخ الأزهر .

وقد حضر الزائر إلى القاهرة فى طريق عودته إلى كندا بعد أن أدى فريضة الحج هذا العام ، وزار الأزهر ليقدم إلى الإمام الأكبر خالص تحيات المسلمين فى كندا ، وبخاصة فى مونتريال ، ورغباتهم فى أن يعمل الأزهر على مساعدتهم فى إقامة مسجد بمونتريال وإيفاد إمام من الأزهر له يقوم بتدريس اللغة العربية والدين الإسلامى .

وقد أوضح الزائر أن عدد المسلمين فى مونتريال يبلغ ثلاثمائة مسلم ويأسف إذ ليس لهم مكان مخصص لإقامة الشعائر الدينية التى يؤدونها مؤقتا فى إحدى الكنائس ، كما ذكر الزائر أنهم يبذلون جهدهم لتعليم أبناء المسلمين هناك اللغة العربية عن طريق إنشاء مدرستين إحداهما للكبار والأخرى للصغار .

ثم قال السيد الزائر : إنه لما كان لهؤلاء المسلمين رغبة شديدة فى النهوض بمستواهم الثقافى الإسلامى فإنه يحمل هذه الرغبة إلى الإمام الأكبر وكله ثقة فى أن يحققها الأزهر لهم .

وقد رحب فضيلته برغبة السيد الزائر ، ووعده بأن يعمل على تحقيقها بكل الوسائل الممكنة .

ثم أكد له فضيلته أن الأزهر على استعداد لمعاونة المسلمين فى أنحاء العالم وبخاصة مسلمو مونتريال بكندا لإنشاء المساجد ، ومدهم بالمدرس والكتاب .

كما ذكر له فضيلته أن الأزهر سيعمل على الاتصال بالجامعة العربية لمنحهم ما يمكن من مساعدة من جانبها .

وقد أهدى فضيلته إليه وإلى زوجته ، التى كانت ترافقه بعض مؤلفاته ، وبعض الكتب الثقافية باللغة الانجليزية وحمله خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى جميع المسلمين فى كندا .

ومدير عام الأوقاف فى باكستان :

واستقبل فضيلته السيد أبو الحسن قريشى مدير عام الأوقاف فى باكستان يرافقه السيد إسماعيل كشميرى المستشار الصحفى فى سفارة باكستان .

وقد دار الحديث حول العلاقات الثقافية بين الأزهر وباكستان كما طلب من فضيلته أن يوفد الأزهر مبعوثا دينياً لتوجيه الأئمة

والوعاظ في باكستان توجيهاً فنياً في مضمار الوعظ والإرشاد ليستطيعوا القيام بهذه المهمة على خير وجه. فرحب الإمام الأكبر بهذه الرغبة، وأجاب الزائر بأن الأزهر سيعمل على تحقيق ذلك في أقرب فرصة، كما وعده بالعمل على إيفاد من يحتاجون إليه من العلماء الذين أعدوا إعداداً كاملا في الأزهر، وما يحتاجونه من الكتب الثقافية الإسلامية.

وأوصاه بأن يعمل على تعميم اللغة العربية في باكستان حتى تكون لغة التخاطب والتفاهم بين المسلمين، وحتى يمكن تفهم كتاب الله وسنة رسوله، باللغة العربية، لغة القرآن، وأسف فضيلته أن تكون اللغات الأجنبية وسيلة تفاهم بين المسلمين.

ثم قال فضيلته: ولو أن المسلمين وضعوا نصب أعينهم دراسة اللغة العربية لأدركوا مدى قيمة هذا العمل في كل ما يتعلق بشئون دينهم ودنياهم.

وقد أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته وحمله خالص تحياته وتمنياته الطيبة لجميع إخوانه الباكستانيين.

تكريم الأزهر لممثلي الجاليات الإسلامية: بالولايات المتحدة، وكندا:

زار ممثلو اتحاد الجاليات الإسلامية بالولايات المتحدة، وكندا الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة عيد الثورة التاسع، وأقام الأزهر ندوة لهؤلاء الضيوف في قاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر صباح الثلاثاء ١٨ / ٧ / ١٩٦١ تناولت البحث في بعض الشئون الإسلامية، وما يتعلق بحاجات المسلمين في تلك البلاد.

وألقى فضيلة الأستاذ الأكبر في هذه الحفلة الكلمة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا النور الذي أنزل معه.

أبنائي وإخواني:

إن الأزهر الذي مكث عشرة قرون كاملة يبحث كتاب الله، يستنبط منه أحكام الشريعة وينشر إرشاداته في النظر إلى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء.

إن هذا الأزهر يحييكم اليوم ويرحب بكم، ويمد يده إليكم باعتباركم أبناء من أبنائه وأنصاراً من أنصار دعوته، وليس من اختلاف الأماكن وجهات الإقامة في نظر الإسلام أن تختلف الأهداف والغايات.

فغاية المسلمين جميعا وأهدافهم في كل الأقطار واحدة، ونظرة الإسلام إليكم وأنتم

فى أمريكا وكندا هى نظرته اليكم وإلى غيركم من أبنائه فى أوربا ، وآسيا ، وإفريقيا ، واستراليا ، فالكل أبناؤه تجمعهم عقيدة التوحيد ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعقيدة اليوم الآخر ، وهذا هو المحور الذى يدور حوله المسلمون جميعاً ويعتدون به ، وهو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض الذى ربط الله به المسلمين بعضهم ببعض ، وجعل الإيمان به والعمل بأحكامه طريقاً من طرق السعادة الإنسانية فى الدنيا والآخرة .

هذا الحبل هو دين الله (الإسلام) الذى ليس لله دين سواه . وقد سجل تعالى هذه الحقيقة فى كتابه فقال تعالى: « إن الدين عند الله الإسلام » ونفى أن يقبل الله غير الإسلام ديناً فقال: « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

هذا هو الإسلام الذى يربط بين أبنائه ويجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى — ليجعلنا — ونحن هنا وأنتم فى دياركم — نشعر جميعاً بألم إخواننا فى فلسطين وفى الجزائر وفى عمان وفى البحرين . بل يجعلنا نشعر بألم كل مكافح فى سائر أنحاء الأرض ، فنشاركه ونعاونه فى جلب سرائه ودفع ضرائه .

إخوانى وأبنائى : إن الأزهر بهذه الاعتبارات كلها يرحب بكم ويمد يده إليكم وبخاصة فى هذه الآونة التى يقف فيها على باب تنظيم جديد ، يقرب بين عقليات المثقفين من أبناء الأمة الإسلامية ، ويفتح لأبنائه كثيراً من أبواب الحياة العلمية ويبسط أمامهم الكون وما حوى من سموات وأرض وماء وهواء ؛ فيعرفون أسرار الله فيها ويستخدمون سننه فى النهوض بالبشرية وسعادة الناس ، كما يفتح أمامهم أبواب استنباط أحكام الإسلام من كتاب الله وسنة رسوله ، وبذلك كله يعود إلى الأزهر الفقهاء المشرعون ، والأئمة المجتهدون ، والفلاسفة الباحثون ، والعلماء المخترعون وأئمة اللغة العربية لفهم كتاب الله وسنة الرسول .

لذلك كانت زيارتكم للأزهر حادثا جللا سيكون له فيما يأتى أعظم الذكريات فى حياة هذه الجامعة الجليلة التى تعتبر أقدم الجامعات التى نهضت بالإنسانية .

هذا الأزهر يحييكم ويرحب بكم ويعتبر هذا الاجتماع أداة ربط قوية بين مسلمى أمريكا ، وكندا ، وبين شعب الجمهورية العربية المتحدة . وذلك كله بفضل السيد الرئيس العظيم جمال عبد الناصر الذى تبنى الأزهر ونظر إلى سائر الجماعات الإسلامية نظرة الأخ لإخوانه — حقق الله لنا وله

الآمال وسدد خطاه وأنار لنا وله طريق العمل من أجل الإسلام والإنسانيه جمعاء .

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته .

وفى مساء اليوم نفسه أقام فضيلته حفل عشاء لتكريمهم فى نادى الشرطة بالجزيرة .

الإمام الأكبر يستقبل

رئيس وزراء نيجيريا الشمالية

استقبل فيضلته السيد الحاج أحمدو بللو رئيس وزراء نيجريا الشمالية ، وقد حضر المقابلة بعثة الشرف وكبار رجال الأزهر ، وقد رحب به فضيلة الإمام الأكبر قائلا :

« إن لأزهر يرحب بكم ، ويسعده أن يضع يده فى أيديكم للعمل من أجل الإسلام والمسلمين ولخدمة التراث الإسلامى . لقد احتفظ الأزهر باللغة لجمع شمل العرب ووحد كلمتهم وحمل رسالة محمد بن عبد الله ، واحتضنها أكثر من ألف عام مكن الله له فيها ليكون مصدر علم ونور ومعرفة وأمل باسم للمسلمين فى أنحاء الأرض ، ثم كان من فضل الله عليه أن جعله معينا لا ينضب ومنهلا عذبا ومصدر أمن واستقرار ، ينشر فى الأرض ألويته فى كل مكان وجد فيه . فهو مصدر الإشعاع الفكرى الذى بزغت شمسه ، وشع ضياؤه على الآفاق جميعا .

والأزهر بعد هذا حصن اللغة العربية ومصدر قوتها ، وروح نهضتها وأقوى العوامل على بقائها شابة فتية صامدة أمام الأحداث والحوادث التى تضافرت عليها ، وهى لغة القرآن ، دستورنا القويم ومنهاج أمتنا الواضح . إذ أنه الدستور الذى سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل مواقفه ، والذى سار عليه المسلمون فى كل العصور المتعاقبة فكان لهم مصدر القوة ، وأصل الرخاء ، ومبعث الحرية ومنار السلم والسلام .

يجب أن تعنى الأمة الإسلامية بدراسة اللغة العربية لتستطيع تفهم كتاب الله وسنة رسوله . وهذا الأزهر يرحب بكم ويفتح ذراعيه لاستقبالكم .

قال السيد رئيس الوزراء : « إننى أشكر لكم جهودكم ومشاعركم ، وأنا جد آسف لأن كثيراً من مواطنى فى نيجيريا يقرءون القرآن بالعربية ولكنهم لا يفهمونه ، نتيجة للاستعمار البغيض ، ونرجو أن نعمل على إزالة أسباب ذلك .

ويسرنا أن يفتح الأزهر بابه لنا ولأبنائنا ، ليعودوا حاملين لواء العلم ، وينشروه بين أهليهم وذويهم . ثم أضاف : « إن الأزهر ليس مقصوراً على العرب

ولكنه جامعة لكافة الشعوب الإسلامية ، وسأبعث بأولادي وأحفادي للدراسة في الأزهر الذي أعتبر نفسي جنديا من جنوده ، وبخاصة بعد أن عرفت مدى الإصلاح والتنظيم الذي سيأخذ بيده إلى الأمام قرونا طويلة . وإنني إذ أشكركم الآن على هذه الحفاوة أعدكم بأن يشكركم أبنائي من بعدي على اهتمامكم بهم » .

فقال الأستاذ الأكبر :

« إن مهمة الأزهر أن يشرح الإسلام المسلمين وأن يعمل من أجلهم ، إنه اليوم قد اتسع نطاقه فأدخل علوم الدنيا بجانب علوم الدين ، وفتح باب الكون على مصراعيه أمام طالب الأزهر ، ويسره أن يستقبل أبناءكم وأحفادكم ليعودوا رسل خير ورخاء لبلادهم .

وقد طلب السيد رئيس الوزراء من فضيلته أن يعمل الأزهر على إيفاد مبعوثين من الأزهر يختارهم فضيلته بنفسه لنشر الثقافة الإسلامية في نيجيريا .

كما دعا فضيلته رسميا لزيارة نيجيريا لأنهم في شوق للقائه . وقد وعد فضيلته أنه سيعمل في الحال على إيفاد المبعوثين إلى بلاده وسيختارهم بنفسه . كما قبل فضيلته الدعوة لزيارة نيجيريا .

ثم أهدى إليه فضيلته كتاب الله قائلا : « هذا عهد الله بيني وبينكم العمل من أجل الإسلام ومبادئه ، كما أهدى إليه مؤلفاته » .

ثم أهدى فضيلته إلى جميع مرافقيه كتاب الله ، ومؤلفاته . وقال : « إن الأزهر ليشيد بكل فخر وتقدير بالجهود التي يبذلها الرئيس جمال عبد الناصر للأخذ بيده ودعم كيانه وإعادة تنظيمه ليكون بحق مثل المسلمين الأعلى ليحقق آمالهم فيه ويرضى رغباتهم ويمكن لهم من الدين والدنيا .

ويدلي بحديث في قوانين الأزهر الجديدة لمراسل جريدة أمريكية :

واستقبل فضيلته بمكتبه مستر توم استريتهورست مراسل جريدة نيوزويك الأمريكية . الذي تقدم بعدة أسئلة عن قانون تنظيم الأزهر الجديد . وقد صرح له فضيلته بأن الهدف من تنظيم الأزهر هو خدمة الإسلام والإنسانية بتزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بعلماء متفقهين في الدين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة .

كما أجاب فضيلته عن سؤال وجهه إليه المراسل عن دور الأزهر في خدمة القومية العربية فقال : « إن الأزهر يعمل على نشر مبادئ الإسلام وينادي بدعم السلام في أنحاء الأرض وتأكيد الحريات ويدعو

إلى الوحدة والتعاون ، ورد الظلم والطغيان . وهو بهذا يخدم القومية العربية » .

كما سأل المراسل عن مدى اهتمام الرئيس جمال عبد الناصر بالأزهر ، فأجاب فضيلته : « إن الرئيس يعرف حاجة بلاده ، ويعمل جاهداً لتحقيق الأهداف التى تخدم الإسلام والوطن العربى والإنسانية جمعاء ، ولذلك أصدر قانون الأزهر ليمكن هذه الجامعة العتيقة من أداء مهمتها كاملة على أساس من كتاب الله وسنة رسوله فى العلم والدين » . كما سأل الزائر فضيلته عن المشكلة التى تعترض طالب الأزهر عندما يلتحق بالكليات الجديدة ، وأجاب فضيلته بأن الأزهر سيهيىء الطلاب برامج إعدادية وتوجيهية حتى يتمكنوا من متابعة هذه الدراسات ، وسأل الزائر عما إذا كان لقب « الإمام الأكبر » يعنى مسئولية جديدة ، وأجاب فضيلته بأنها نفس المسئولية لخدمة الدين والثقافة الإسلامية وتتناول نواحى الإشراف العام والتوجيه والإرشاد والتربية . وسأل الزائر عما إذا كان إصدار هذا القانون قد وجد معارضة من الأزهريين . فأجاب فضيلته بأن كل جديد له مادح وقادح ، ولكن معظم الأزهريين يرحبون بهذا القانون لأنه سيخدم العالم الإسلامى فى جميع الميادين بجانب التفقه فى الدين ، ويوم يفهم هؤلاء القلة مزايا هذا التنظيم فإنهم سيعضدونه بكل قلوبهم ومشاعرهم .

• • •

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد المتوكل أمير المسلمين فى غانا ، وقد حياه فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا له : « إن المكان العلمى الأول الذى يتجه إليه المسلمون إنما هو الأزهر فمرحباً بك فى هذا المكان ، وأنا مسرور معجب بك إذ تتكلم العربية وهو أحب شىء إلى ، لأن المسلمين جميعاً يجب أن تكون لهم لغة واحدة هى اللغة العربية التى نزل بها القرآن ، وأنا أعتبر أن الذين يبقون على لغة غيرها أو يقفون عليها دون تعلم اللغة العربية ، إنما يكونون ظلا للاستعمار ، ونحن نكره الاستعمار ونبغضه والأزهر الذى ظل حصنا للغة العربية والشريعة الإسلامية ألف عام وعشرين يمد يده لكل مسلم بالمدرسين والكتاب ليعلمه لغة نبيه ولغة القرآن الذى أنزله الله على رسوله . ثم قال فضيلته : « يجب أن نهجر الاستعمار فى لغته وفى حكمه وفى عقيدته ، فقد خلق الله المسلم مستقلا يقف على قدميه بنفسه لا يحتاج إلى من يكون سيداً له ، إنما هو سيد نفسه ، وأمير نفسه ، فنحن نريد أن يشعر بهذا كل مسلم سواء . أكان حكما أو محكوما . نريد أن يقدر المسلم

(البقية على الصفحة التالية)

بريد المجلة

على بتر أريس :

كتبت هذه المقالة لتنشر فى العدد الممتاز من الصحيفة الحجازية (المدينة المنورة) لصاحبها الأستاذ على حافظ ثم نقلتها مجلة الأزهر عنها .

أسئلة علمية وأجوبتها :

اطلعت فى جريدة « بريد الصومال » على إجابات عن أسئلة وجهت إلى السيد حاج علم عبد الله درر خادم الصوفية ، والسائل هو السيد جامع عمر عيسى السلفى . والسائل يريد أن يقف على الحق فيما سأل عنه ، ولكن إجابة المجيب لم تكن سديدة ولا موفقة .

وهأنذا أنقل للقراء الأسئلة والإجابة عنها ثم أعقبها بالجواب الصحيح .

١ — قال المجيب : أما سؤالكم هل الموتى يسمعون دعاء من يدعونهم ؟ فإنهم يسمعون بدليل ما فى الصحيحين لما قتل صناديد قريش فى يوم بدر وقف عليهم رسول الله وقال يا فلان بن فلان ويا فلان ابن فلان فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً . قال : فقال عمر : إنهم أجساد بلا أرواح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

البقية على الصفحة السابقة

كرامته ويعرف رسالته فى الحياة فلا يدين لغير الله ولا يستعين إلا به مصداقا لما يقرأه فى كل يوم مرات ومرات « إياك نعبد وإياك نستعين » .

قال السيد الزائر : « إننى يافضيلة الأستاذ الأكبر سمعت من آبائى أنه لا ينبغى لأحدنا أن يأخذ عن المستعمر لغة أو حكما ، وكنت لا أفهم سر هذا ولا معناه ، وكنت لا أعى الحكمة من هذا ، ولكننى الآن وبعد أن استمعت إلى حديثكم تبينت لى الحكمة ووضع المقصود ، وسأحمل هذا إلى المسلمين فى غانا أبشرهم به لندعم استقلالنا ونبنى نهضتنا على أساس من الفهم الواعى والمبادئ المستقلة ثم أهدى الأستاذ الأكبر للسيد الزائر القرآن الكريم وبعض مؤلفاته .

الجواب الصحيح :

والحق أن سماع الموتى من الأمور الغيبية التى لا تثبت إلا بنص قطعى والحديث الذى أورده المجيب أنكرته الصديقة بنت الصديق كما جاء فى صحيح البخارى وقالت : إنما قال إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت : « فإنك لا تسمع الموتى » ، « وما أنت بمسمع من فى القبور » . وعلى فرض صحة هذا الحديث فإن هذه حال خاصة لا يصح القياس عليها ولا تبنى عليها عقيدة . وقد قال قتادة كما فى صحيح البخارى : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندما .

فالحق أن الموتى لا يسمعون دعاء من يدعوهم من الأحياء بدليل قول الله تعالى « فإنك لا تسمع الموتى » ، « وما أنت بمسمع من فى القبور » ، وإذا ثبت بنص القرآن الكريم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمعهم فإن غيره أحق ألا يسمعهم

٢ – وأجاب المجيب عن سؤال السائل : « إذا قال قائل عجل لى بحاجاتى هل يدعو غير الله أم لا : إن قول الشخص : يا فلان جدلى بمرادى داخل فى التوسل إلى الله وصرف النداء إليه مجاز والمعنى يا فلان أتوسل بك إلى ربى أن يجود بمرادى فالمسئول حقيقة هو الله وإنما أطلق الاستغاثة بالنبى أو الولى وهو جائز شرعا وعرفا . والدليل قوله تعالى : « وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله » فأسند إليه إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى . وذلك من باب المجاز كأنبت الربيع البقل . وكقوله تعالى : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كلها فاسدة أتم فساد فإذا قال شخص لميت من الموتى : جد لى بمرادى أو عجل لى بحاجاتى أو أنت اعتمادى أو أغثنى يا غوث كان داعياً غير الله وسائلا غير الله . وهذا أمر فى غاية الوضوح ، ومحاولة تصحيحه محاولة لتصحيح الباطل . وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن سؤال غيره ودعاءه فقال : « فلا تدعوا مع الله أحداً » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سألت فاسأل الله » .

وقد نعى الله سبحانه وتعالى على من يدعون غيره بقوله : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » ، وقال تعالى : « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه » ، وقال تعالى : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » ، وقال تعالى : « ومن

أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون».

وأى مجاز هـذا الذى يتمحله ؟ والعامة لا يعرفون المجاز ، ولم يدرسوا فن البلاغة فإذا قالوا : يا فلان جد لنا بكذا فإنهم يقصدون حقيقة ما يقولون ويعتقدون أن هذا المدعو يستطيع أن يجيبهم إلى ماطلبوا ولولا ذلك ما دعوه .

ومن الافتيات على شريعة الله أن يقول المجيب : إن التوسل بالأشخاص جائز شرعاً وعرفاً . والاستدلال بقوله تعالى : «وأبرئ الأكمه والأبرص» استدلال غير صحيح إذ لا صلة للآية الكريمة بهذا الموضوع .

٣ — ثم قال المجيب : وأما سؤالكم هل يجوز سوق الهدايا إلى القبور وذبحها (عندها) ؟ وهل يكون ذبحها لوجه الله أو لغير الله ؟ وهل لحمها حلال أو حرام ؟ .

فالجواب : إن ذبحها مسلم أو كتابى ذبحاً شرعياً فهى حلال إن لم تذبح باسم الطواغيت وأما سوقها إلى القبور فهو تقرب إلى الله لأن الزائرين يقصدون الذبح لله وحده ويتصدقون بلحمها على حب الشيخ الولى . .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كلها مغالطة وتضليل ، فإن الذبح الشرعى هو ما تراعى فيه شروطه ، ويراد به أحد أمرين : إما أكله وإما التصدق به أو ببعضه بغير أن يكون للولى أو للقبر دخل فى ذلك .

أما سوق الذبيحة إلى قبر الولى فهو قرينة واضحة تدل على أن سائقها لا يقصد بذبح ذبيحته إلا التقرب إلى هذا الولى الذى يذبح له . وتكون هذه الذبيحة من قبيل ما ذبح على النصب . ولا يحل أكل لحمها شرعا ، بل هى كالميتة ولحم الخنزير ولو ذكر اسم الله عليها عند ذبحها كما لا يحل أكل لحم الخنزير ولو ذكر اسم الله عليه .

والقاعدة الأصولية تقرر أنه إذا تعارض المانع والمقتضى يقدم المانع . والمانع هنا قوله تعالى : «إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله» ، وقال : «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به — إلى أن قال — وما ذبح على النصب [1] » .

والمقتضى قوله تعالى: «وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم» .

وإذا كان الذابح يقصد الذبح لله وحده كما يقول المجيب فلم يسوق ذبيحته إلى قبر الميت ؟ ولم لا يذبحها فى بيته مثلا ؟ ولم يتصدق

---

(١) النصب كما قائم أمام الحجرة التى فيها الصنم تذبح عليه الذبائح التى يتقرب بها إلى الصنم وهو مربع يحيط به مجرى يجرى فيه الدم وبه ثقب ينزل منه الدم ليتلقى فى إناء ويقذف به فى الخارج .

بلحمها على حب الشيخ ؟ ولم لا تكون صدقته على حب الله ؟ وفى سبيل الله وابتغاء مرضاة الله ؟ .

٤ — ويقول المجيب للسائل : أما سؤالكم هل كانت هذه الطرق الصوفية المنتشرة اليوم بين الناس موجودة فى عهد رسول الله أو عهد الخلفاء الراشدين او عهد التابعين أو عهد الأئمة الأربعة ؟ نعم كانت هذه الطرق الصوفية موجودة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى فى الحديث أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه رقص بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم لما قال له : أشبهت خلق وخلق ، وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأيضا فإن الجنيد البغدادى كان فى زمن الخلفاء العباسيين وثبت فى محكمة قضاتهم أنه أهل الله وأن الشافعى وأحمد بن حنبل لقيا شيبان الراعى فقال الشافعى : أنا أسأل هذا الصوفى مسألة من الفقه فقال أحمد : لا تسأله فقال : لا بد . فقال : يا شيبان من نسى إحدى (صلوات) الخمس ولم يعرف عينها كيف يفعل ؟ فقال : قلوب غفلت عن الله وجب تأديبها بقضاء (الكل) ، (فغشى) الشافعى فقال أحمد : ألم أقل لك ؟ اه .

الجواب الصحيح :

وأقول إن كل هذه الإجابة بنجوة عن الحق ، وكلمة (تصوف) نفسها كلمة لا علاقة لها بالإسلام . ولا نجدها فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فى قول صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإنما دخلت فى الإسلام بعد ترجمة كتب اليونان إلى العربية فى عهد العباسيين ، وكلمة صوف Sophi يونانية الأصل ، وقد نقلها اليونان عن العجم وكانت تستعمل لقبا لملك العجم وتطلق على الحكيم والتقى فى لغتهم ، وقد يضيفون إليها مقطعا آخر فيقولون تيوصوفى (Theosophi) ومعناها عندهم الاعتقاد بالاتحاد بالله ، أى وحدة الوجود التى يقول بها المتصوفة .

ومهما يكن من أمر فهذه الطرق لم تكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ولا فى أيام القرون الخيرة .

ورقص جعفر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم - إن صح - لا علاقة له بالطرق الصوفية ولا يصح دليلا على وجودها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا على جوازها .

٥ — ثم قال المجيب : وأما سؤالكم هل من الناس من يعلمون الغيب ؟ فاعلموا .

قال الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » ، فأثبت الله لرسله علم الغيب بدليل الآية

الكريمة وكذلك الأولياء يلهمهم الله وقوع بعض الوقائع فى المستقبل ويدل على صحة ذلك ما روى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس ملهمون من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر بن الخطاب) أخرجه البخارى .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كسابقاتها كلها مغالطة فإن الرسل لا يعلمون الغيب علماً ذاتيا تلقائيا . وإنما يعلمون ما أخبرهم الله تعالى به بطريق الوحى للآية الكريمة . وقياس الأولياء على الرسل خطأ لأن الرسل يوحى إليهم والأولياء لا يوحى إليهم ، وقد أخبر رب العزة فى كتابه الكريم أن علم الغيب من خصائصه تعالى فقال سبحانه : « إنما الغيب لله » وإنما تفيد الحصر فى لغة العرب . وقال تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » وقال تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » .

فالزعم بأن الأولياء يعلمون الغيب زعم باطل وقد أخطأ المجيب فى نقل حديث البخارى ولفظه الصحيح هكذا (لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن فى أمتى أحد فعمر) .

والمراد بالتكليم هنا الإلهام كما يفهم من رواية مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : (قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم) . قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون .

والحق أحق أن يتبع وليس بعد الحق إلا الباطل وليس بعد الهدى إلا الضلال .

أبو الوفاء محمد درويش
رئيس أنصار السنة المحمدية بسوهاج

حول المهدى المنتظر :

دأب بعض الكتاب على تأويل أحاديث سيد البشر تأويلا يحدد وقت ظهور المسيخ الدجال وغير ذلك . وقد نشرت جريدة صوت الإسلام مقالا للسيد / حسن صبرى حــدد فيه ظهور المهدى بشهر رمضان سنة ١٣٨٠ هـ وخروج الدجال على رأس مائة سنة تبدأ فى سنة ١٣٨٧ (العدد ١٠٧) مسنداً ذلك إلى سيد البشر صلى الله عليه وسلم.

وذكر الكاتب أن الأحاديث النبوية الشريفة تدل على أن تركيا ستتحالف مع الاتحاد السوفيتى وقد تنقلب إلى جمهورية من جمهورياته . وذكر أنه لو أذن له فى نشر ما يعلم لحدد بأقصر العبارات مصير كل دولة فى السنوات المقبلة (العدد ١٠٨) .

كما ذكر أن إيران سوف تكون دولة من دول الاتحاد السوفيتي أو حليفة له ، مسترشدا فى ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا أخو زمام وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين ...) العدد ١٠٨

وتأويل هذه الآثار بما يحدد وقت قيام الساعة وأشراطها تحميل للنصوص فوق طاقتها وتدخل فى العلم بالغيب الذى لا يظهره الله تعالى على أحد من خلقه إلا من ارتضى من رسول قال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » .

ولما كان كاتب المقالات قد أسند ذلك إلى السنة النبوية الشريفة بطرق واهية لا يرتضيها العلم ولا الدين فإنه يجب أن تمتنع الصحف عن نشر أمثال هذه المهازل ، وهذا أضعف الإيمان .

وقد أسند الكاتب إلى من لقبه بإمام السنة الحافظ أبو الفيض أحمد بن الصديق الغمارى وشقيقه عبد الله الغمارى .

وتوضح للقوم أن ضمن مؤلفات هذا الحافظ كتاب (مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية) وهو ضمن ما استند إليه كاتب المقالات ، وقد ورد فى هذا الكتاب أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر علالا الفاسى زعيم حزب الاستقلال المراكشى ووصفه بأقبح وصف .

كما وضع هذا « الإمام الحافظ » كتابا أسماه (الإقناع بصحة صلاة الجمعة خلف المذياع) ذهب فيه إلى جواز صلاة الجمعة فى المنزل خلف المذياع والائتمام بإمام المذياع ، وقد بينا فساد هذا الرأى فى كتابنا الوجيز فى العبادات .

وقد قيل بأن ذلك كان خدمة للفرنسيين بمنع المجاهدين الجزائريين من التجمع بالمساجد يوم الجمعة وقد عرفت حقيقة عبد الله بن الصديق الغمارى هذا وأنه جاسوس لفرنسا وقد صدر ضده أخيراً حكم بالإعدام من المحكمة العسكرية العليا للإقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة .

أما ما ورد بشأن المهدى المنتظر من الأحاديث فليس فيه تحديد وقت ظهوره كما أن بعض الأحاديث فى متنها يجب التحفظ فى قبولها إذا سلمنا بصحة سندها :

١ — فهناك روايات تذكر أن المهدى اسمه الحارث ، من ذلك مارواه أبو داوود فى كتاب الفتن عن على رضى الله عنه قال (قال النبي صلى الله عليه وسلم) « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ، فإذا ظهر

وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته) .

٢ — روايات تذكر أن اسمه يوافق اسم النبى صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما رواه أبوداوود عن عبد الله ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم (لو لم يبق من الدنيا الا يوم - وفى رواية لطول الله ذلك اليوم - حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى ، وفى رواية يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

٣ — تذكر بعض الروايات أنه من أهل البيت كما فى الرواية السابقة وكما فى رواية أبو داوود أيضا عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدى من عترتى من ولد فاطمة ، وكما فى رواية الإمام أحمد عن على عن رسول الله (المهدى من أهل البيت يصلحه الله فى ليلة)

٤ — ذكر الأستاذ أبو الأعلى المودودى أن الأحزاب المختلفة المتنافسة فى ميدان السياسة فى مبدء الإسلام حاولت جميعا أن تستغل أخبار النبى صلى الله عليه وسلم بظهور المهدى وتصوغها حسب مصلحتها جميعا فقد جاء فى مسند الإمام أحمد عن ثوبان فى دلائل النبوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدى وروى ابن ماجه قريبا من هذا المعنى فى كتاب الفتن ، باب خروج المهدى .

وقد كانت الرايات السود شعاراً للعلويين، وأبو مسلم الخراسانى هو الذى مهد لدولتهم .

والخلاصة أنه لا شك أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بظهور المهدى آخر الزمان ولكنه لم يحدد ذلك بسنة معينة فلا يجوز استنباط هذا من الروايات مهما كانت دلالة ألفاظها . وكيف يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقد رد القرآن الكريم على العرب منكراً علم الرسول بالساعة فى كثير من الآيات وقرر أن علمها عند الله تبارك وتعالى . ولا خلاف بين الأمة فى تفسير هذه الآيات أو تأويلها .

ولا ينبغى استخدام الأحاديث النبوية فى الإخبار عن الملوك والزعماء قدحا أو مدحا حتى لا تصبح أحاديث سيد البشر مطية الأهواء والنزعات .

سامى على البهنساوى

المحامى

الكتب

نقد وتعريف

الطرق الحكمية :

لابن قيم الجوزية

قدم هذا الكتاب وحققه الأستاذ محمد جميل أحمد أحد علماء الأزهر الشريف ، وقد كتب الأستاذ السيد على صبح المدنى كلمة افتتاحية أشاد فيها بمكانة ابن قيم الجوزية ، وقال : إنه مجد من أمجادنا ، وأب كريم من آبائنا ، أولئك الذين نفاخر بهم الدنيا ، ونتحدى بهم التاريخ .

وكتابه هذا عمل جليل ينبغى أن يعنى به الدارسون والباحثون ، وأن يهتم به رواد الثقافة العالية .

أما المحقق فقد دعا فى مقدمته إلى العودة لأمجادنا الماضية ، وإلى أن نرفض بحزم وإصرار الأفكار والمبادىء والعقائد المستوردة من الخارج لأنها لا تتفق ومنهجنا فى الحياة .

وعلى الشرق أن يثق فى نفسه وفى قدراته حتى يواجه الحياة فى قوة وعزيمة وثبات وندد بمن يرون أن الإسلام دين طقوس ودروشة ، وليس له فى سياسة الأمم وفى الإصلاح الاجتماعى شأن يذكر :

والكتاب المحقق كتاب قيم ، تناول فيه مؤلفه مسائل على جانب كبير من الأهمية ، تتصل بالقضاء ، وتضع أسسا لمن يريد أن يحكم حكما سليما على وفق الشريعة الغراء .

وهدف مؤلفه أن يثبت أن الشريعة تعرضت لكل جليل ودقيق مما يعرض للناس فى شئون حياتهم ، وأن فهم أسرار الشريعة فهما حقيقيا هو سبب التقدم وقد عاب على الذين يقتصرون على ما ورد به الشرع ، وينفرون من الأحكام المستنبطة ولو وافقت الشريعة ، وقد قال فى ذلك: « وقال ابن عقيل فى الفنون : جرى فى جواز العمل فى السلطنة بالسياسة الشرعية : أنه هو الحزم ، ولا يخلو من القول به إمام . فقال شافعى : لا سياسة إلا ما وافق الشرع ، فقال ابن عقيل : السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه الرسول، صلى الله عليه وسلم ،ولا نزل به وحى.

فإن أردت بقولك « إلا ما وافق الشرع » أى لم يخالف ما نطق به الشرع : فصحيح ، وإن أردت لا سياسة إلا ما نطق به الشرع ،

فغلط ، وتغليط للصحابة ، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل مالا يجحده عالم بالسنة .

وهذا موضع مزلة أقدام ، ومضلة أفهام ، وهو مقام ضنك ، ومعترك صعب ، فرط فيه طائفة ، فعطلوا الحدود ، وضيعوا الحقوق ، وجرءوا أهل الفجور على الفساد ، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة إلى غيرها ، وسدوا على نفوسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق ، والتنفيذ له ... إلخ » .

وقد بالغ المؤلف فى الاعتماد على القرائن ، والفراسة ، وذكر من ذلك شواهد وقصصا ، وبهذا ابتدأ كتابه ، فقد ذكر فى أول الكتاب أن أخاه سأله عن الحكم يحكم بالفراسة والقرائن التى يظهر له فيها الحق والاستدلال بالأمارات ، ولا يقف مع مجرد ظواهر البينات والإقرار ، ثم قال : فهذه مسألة عظيمة النفع جليلة القدر ، إن أهملها الحاكم أو الوالى أضاع حقا كثيرا ، وأقام باطلا كثيرا ، وإن توسع فيها ، وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع فى أنواع من من الظلم والفساد .

وتحدث فى الكتاب عن أنماط من الأجوبة الحصيفة ، وعن جواز الحكم بشاهد واحد ، وعن شهادة النساء منفردات ، ومذاهب أهل المدينة فى الدعاوى وحق الحاكم فى اتخاذ الحبس ، وعن الطرق التى يحكم بها الحاكم ، وذكر منها ستة وعشرين طريقا .

ثم تكلم عن الحسبة ، وعن حكم التسعير ، وعن الغش ، والحجر الصحى ، والقرعة إلى غير ذلك من الشئون التى تعنى القضاة .

والمؤلف قوى الحجة ، ساطع البرهان ، واسع الاطلاع على مقاصد الشريعة يتمتع بقسط وافر من حرية الرأى .

ونعود إلى الأستاذ محقق الكتاب فنجده دعا فى حرارة وحماسة إلى فتح باب الاجتهاد الذى أغلقه — كما قال — التزمت العنيف ، والتعصب اللئيم ، والتقليد الأعمى .

والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد حبيبة إلى نفوسنا ، أثيرة عندنا ولكن ينبغى أن نحترس ، ونحن ندعو هذه الدعوة ، فإن قوما من دعاة التجديد يدخلون هذا الباب — باب الفتاوى والاجتهاد — دون أن يتسلحوا بالأسلحة التى يتطلبها هذا الميدان .

لقد وضع العلماء السابقون للاجتهاد شروطا ، وهى شروط لا بد منها لمن يقول فى شريعة الله برأيه ، ويخالف ما عليه الأئمة .

وكما ينبغى أن نضرب على أيدى دعاة الطب حتى لا يهلكوا الأبدان ينبغى أن نضرب على أيدى دعاة الاجتهاد حتى لا يهلكوا الأرواح .

ليفتح باب الاجتهاد ، ولكن ينبغى ألا

يلجه إلا أهله ، الذى هيأوا أنفسهم له ، وإلا شاعت الفوضى فى أحكام الدين .

وكلمة أخيرة :

الكتاب طبع قبل ذلك ، وفضيلة الطبعة الجديدة أنها اعتمدت على بعض المخطوطات التى ربما لم يطلع عليها الطابعون السابقون ، والفرق غير كبير بين هذه الصفة وبعض الطبعات السابقة .

ولكن المحقق يقول - مبررا إعادة طبع هذا الكتاب - أنه اعتمد على نسخة خطية تعتبر أقدم مرجع لهذا الكتاب ، وتمتاز بأنه لا نقص فيها بخلاف غيرها من المخطوطات وبعض النسخ - كما يقول - فيها نقص كبير ، وخطأ كثير ، وذكر أن بعض الأخطاء جسيمة .

وقد عنيت بتتبع الأخطاء التى نبه عليها فى هوامش الكتاب ، والنقص الذى استدركه ، ولكنى وجدت أكثر هذه الأخطاء مما يقع مثله فى أى طبعة .

علی العماری

الإسلام والقومية العربية :

للأستاذ عبد الرحيم فودة :

هذا كتاب جديد للأستاذ فودة ، يتصل بموضوع دقيق ، أثار جدلا فى غير مصر ، ونحن هنا نكتفى بالتعريف به دون مناقشته فيما تضمنه من آراء ، ولعل الفرصة قريبا تجعلنا نضع كتابه على المشرحة لنوفيه حقه من النقد .

يرى فضيلة المؤلف أن الإسلام شعار عام ، ولكن معنى العروبة قد التحم به أتم ما يكون الالتحام ، والإسلام لا يتعارض مع القوميات ولا يصادمها لأنها فطرية وهو دين الفطرة ، أما مقومات القومية ، فهى البيئة واللغة ، والتاريخ ، والمصالح المشتركة ، ثم الدين الذى يدخل فى كل عنصر من عناصرها ، ويشتبك معها بوشائج وأسباب لا يمكن تجاهلها أو التفاعل عنها .

وعرض الأستاذ فودة بعد ذلك لمفهوم الدين ، وهو يتلخص فى أنه وضع إلهى مقرر لنظام شامل كامل كما عرض لعلاقة العلم بالدين وعلاقته بالحضارة والمجتمع - أما القومية العربية فلم يكن تكوينها من هناء لا يقوم عليه بناء ، وإنما كان من عناصر صالحة للبقاء والارتقاء . أما القرآن وشخصية الرسول صلوات الله عليه - فهما وثيقا الصلة بالقومية العربية .

وبعد أن حدد المؤلف واجب المسلم تجاه القومية العربية ، وعرض نماذج من كفاح العرب فى سبيل الإسلام ، صب جام غضبه على أعداء الأمس واليوم ، أعداء الأمس فى مرحلة الإسلام الأولى ، من بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة ، وأعداء اليوم التى تربطهم الصهيونية الآثمة برباط من الخسة والغدر والخيانة ، ورجا الله من أعماق نفسه ، أن يهيء الله للأمة المحمدية من القوة ما يجعلها تخلص الإنسانية من شرور هذه الفئة الضالة ، كما خلصتها من قبل فى ساحة جزيرة العرب .

محمد عبد الله السمان

أنباء الأزهر

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر من الإمام الأكبر

أرسل فضيلة الإمام الأكبر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته — وبعد فإن التنظيم الجديد للأزهر الذى أمضيتموه والذى يحقق مبادئ الإسلام فى الإنسانية الفاضلة والذى يفتح لأبناء الأزهر أبواب العمل فى جميع نواحى الحياة ويحقق آمال المسلمين فى بقاع الأرض فى معهدهم العتيق ليعتبر بحق الحد الفاصل بين أزهر المعز لدين الله وبين أزهر جمال عبد الناصر .

وقد أدى الأزهر الأول رسالته بقدر ما يسرت له ظروفه فليؤد الثانى بقيادتكم — إن شاء الله — رسالته على وجه أعم يحقق مبادئ الإسلام العامة فى العالم الإسلامى وفى دراسة نواحى العلوم المختلفة ، والانتفاع بها .

فباسم الأزهر علمائه وطلابه — بل باسم ملايين المسلمين والعرب الذين سينتفعون بالأزهر الجديد ، ويتطلعون إليه — ترفع إليكم أعمق الشكر ، داعين الله أن يمد فى حياتكم حتى تروا ثمار هذا الغرس العظيم إعزازا لدين الله ، وسلاما للإنسانية ، وتقدما للعلم ، ونجاحا للاجتماع .

حياكم الله وسدد خطاكم ، وأدام لكم التوفيق .

محمود شلتوت

أجاب السيد الرئيس بالبرقية الآتية : —

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :

فقد تلقيت برقيتكم التى بعثتموها باسمكم وباسم السادة علماء الأزهر وطلابه والتى ضمنتموها أصدق مشاعركم بمناسبة التنظيم الجديد للأزهر .

وإنى لأعرب لكم عن أخلص الشكر وأطيب تمنيات الصحة راجين أن يوفقنا الله إلى ما فيه إعلاء منارة الأزهر حتى يؤدى رسالته كاملة فى خدمة العلم والدين .

وإنى لأبعث إليكم وإلى الجميع بأطيب تمنيات السداد والتوفيق .

جمال عبد الناصر

شيخ الأزهر يستقبل :

سفير الجمهورية العربية المتحدة فى اليابان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد / عبد الرحمن العظم سفير الجمهورية العربية المتحدة فى اليابان ، وقد دار الحديث حول بعض الشئون الإسلامية .

ويستقبل مستشار سفارة السنغال :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد / أحمد دام مستشار سفارة السنغال فى القاهرة . وقد دار الحديث حول بعض الشئون الإسلامية فى إفريقيا ، ثم دعا سيادته فضيلة الإمام الأكبر لزيارة السنغال ، حيث يكون لهذه الزيارة أثرها البالغ فى جمع كلمة الإفريقيين وتوحيد صفوفهم .

وقد وعده الإمام الأكبر بإجابة هذه الدعوة متى سمحت الظروف .

ووزير معارف قطر :

واستقبل سمو الأمير الشيخ قاسم ابن حمد الثانى ـ وزير معارف قطر ، يرافقه الأستاذ عبد الرحمن عطية مدير المعارف بقطر ، والشيخ عبد الله بن تركى مدير تفتيش العلوم الشرعية بها ، والشيخ كمال ناجى مدير الامتحانات ، والأستاذ رفيق شاكر مدير مكتب وزير المعارف وقد تناول الحديث العلاقات الثقافية بين الأزهر وقطر .

وأشاد الزائر بجهود مبعوثى الأزهر الذين قاموا بمهمتهم خير قيام وطلب المزيد منهم ، وقد وعده فضيلة الإمام الأكبر بتحقيق رغبته ، ثم أهدى إليه بعض مؤلفاته ليكون عهدا بينهما للعمل من أجل الإسلام والمسلمين ، والدعوة إلى الله ، وإلى الخير .

وقاضيا بالصومال :

واستقبل الشيخ نور الدين على القاضى بالصومال الذى طلب من فضيلته مساعدة الأزهر ماديا ومعنويا لإنشاء جمعية إسلامية فى الصومال تقوم على مبادئ الإسلام ، كما طلب بعض الكتب الثقافية لإنشاء مكتبة إسلامية فى مقدشو . وقد وعده فضيلته بتحقيق ذلك متى كان ممكنا .

وأحد تجار عدن :

كما استقبل السيد عبد الله صالح المحضار من كبار تجار عدن ، وقد حمل لفضيلته خالص تحيات المسلمين هناك . ودار الحديث حول بعض الشئون الإسلامية .

ويستقبل رسالة باكستانيا :

واستقبل السيد محمد عبد السلام إسماعيل

حسين الرحالة الباكستاني الذي يطوف العالم على دراجته الهوائية في مدة تستغرق خمس سنوات ، وقد وفد إلى الأزهر بعد خمسة شهور من قيامه بالرحلة حيث طاف فيها ببعض البلدان الإسلامية .

وقد طلب الزائر من فضيلته أن يعمل على إلحاقه بالأزهر لمدة ستة شهور يتعلم فيها اللغة العربية . وأن يزوده بآرائه الإصلاحية في سبيل الإسلام والمسلمين ، لأنه بصدد تأليف كتاب عن الإسلام يتناول فيه آراء عظماء المسلمين في العالم ، وخاصة رأى فضيلة الإمام الأكبر .

وقد أمر فضيلته بإلحاقه بالأزهر في الحال وزوده بكلمة تشجيعية أشاد فيها بالسياحة والسائحين إذا كان الغرض من ذلك معرفة سنن الله في الكون .

والمندوب الثقافي للمملكة العربية السعودية :

كما استقبل الشيخ عبد العزيز عبد الرحمن المسند - وكيل مدير عام الكليات والمعاهد العلمية بالمملكة السعودية والمندوب الثقافي بالقاهرة لندب الأساتذة .

وقد حمل الزائر إلى فضيلته رسالة من الشيخ محمد بن إبراهيم مفتى المملكة العربية السعودية ورئيس القضاة والكليات والمعاهد وتتضمن الرسالة شكر الإمام الأكبر على جهوده في سبيل الإسلام والمسلمين ، وعلى إيفاد المبعوثين من الأزهر إلى المملكة العربية السعودية .

وفد الاتحاد القومي في بني مزار :

واستقبل السيد / عبد العظيم أبو الليل عضو مجلس الأمة على رأس وفد من الاتحاد القومي في بني مزار يطلب العمل على ضم معهد بني مزار الديني للأزهر .

وقد وعدهم فضيلته ببحث الموضوع والعمل على تحقيق ذلك متى كان ممكنا .

وفد من علماء باكستان :

كذلك استقبل الإمام الأكبر الشيخ محمد عبد الحامد القادري - رئيس جمعية علماء باكستان .

والشيخ أحمد نوراني الصديق - سكرتير عام جمعية العلماء بباكستان .

والشيخ محمد عمر إلاهي - عضو جمعية العلماء بباكستان .

وقد رحب بهم الأستاذ الأكبر وسر لأنهم يتحدثون باللغة العربية وأوصاهم بأن يعملوا على تعميم اللغة العربية بباكستان فهي لغة القرآن ومن الأفضل تفهم القرآن باللغة العربية التي نزل بها ، ثم قال فضيلته : إن

الأزهر يرحب بكم، فهو فى خدمة المسلمين جميعا أينما كانوا. ولقد شرحتم صدورنا اليوم بهذه الزيارة المباركة.

ونرجو أن يجمع الله بلادنا على كلمة التوحيد، ويربط قلوبنا على الإيمان، وأن يزيل ما بيننا من حواجز، حتى يتم الاتصال الوثيق بين المسلمين كافة فى مشارق الأرض ومغاربها

فقال السيد رئيس الجمعية: إننا سنعمل جاهدين على أن ننفذ ما أوصيتم به، ونحن حريصون على الاقتداء بكم والسير على نهجكم الحكيم.

ولقد خاطبنا حكومة باكستان رسميا فى أن تكون اللغة الرسمية لباكستان هى اللغة العربية، ودعمنا طلبنا بكافة البراهين والدلائل التى توصلون بها.

وقد طلب الوفد من فضيلته أن يعمل الأزهر على إيفاد مبعوثين إلى باكستان.

كما دعا فضيلته لزيارة باكستان حيث يتشوق المسلمون هناك لرؤيته.

وقد وعدهم فضيلته بتحقيق رغبتهم فى إيفاد المبعوثين فى أقرب فرصة، ووعدهم بتلبية دعوتهم لزيارة باكستان متى سمحت الظروف بذلك.

ثم أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته.

شكر الأزهر للسيد الرئيس:

قصد قصر الجمهورية وفد كبير على رأسه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر لشكر السيد الرئيس جمال عبد الناصر على إصداره قانون تنظيم الأزهر الجديد.

وتكون الوفد من السادة أصحاب الفضيلة شيوخ الكليات الأزهرية والمعاهد الدينية ومدير ومفتشى الوعظ والإرشاد، ومدير التفتيش، ومراقبى العلوم الشرعية والعربية واللغات الأجنبية والعلوم ورعاية الشباب.

بعثة الأزهر فى مؤتمر الرباط:

سافر كل من الدكتور محمد عبد الله ماضى - المدير العام للمعاهد الدينية، والأستاذ عبد الفتاح صقر مراقب الآداب لحضور المؤتمر الثقافى للجامعة العربية المنعقد بالرباط فى المدة من ٣ - ١٠ يوليو سنة ١٩٦١.

وموضوع المؤتمر «الكتاب المدرسى».

وقد زار الدكتور محمد عبد الله ماضى المركز الثقافى بلندن أثناء عودته.

God in every prayer, the repress of soul throug fasting for a month in every year, the annual giving of alms out of profound cordial faith, and the meating in the holy mosque and the sacred places, the matter which necessitates the bearing of hardships and sufferings, all these forms of adoration are to make a room for others in the human heart and to efficiently prepare him to co-operate with them. This intended co-operation may afterwards reach fraternity.

The limitation of financial and commercial dealings and of the familial relations stated in Islam are not but on indirect urge to remain within the cercle of equity or to mount to the circle of charity : that is the ultimate qualitative property of man· Islam did not in any of its principles evaluate neither the quantity for its own sake nor Man for his superfacial appearance nor life for its laster and pleasures. That is to say it did not attach any importance in its estimation to what is measured in depth width and length, but it always estimates and aims at the quality. Accordingly it stimultes Muslims to know how to judge it (quality) and to regard it in their human ilfe.

Islam is prolefic sourse of the human civilisation. Thanks to Islam, Muslims have considerably porticipated in the bulding of this civilisation. In this connection it may be said that Muslims have contributed the most splendid share of the human civilisation. They only ceased to share in it when they abondoned the Islamic values and contented themselves of their being attributed to the Islamic nation. This abominable attitued ensue that they were no longer the Muslims who beneficially demonstrated Islam through teachings

When our present Islamic renaissance adopts for objective the evaluation of quality not quantity and the estimation of principles not individuals; when they refrain from the abandoment of the Islamic principles and ceased to be contented of their being atlributed to Islam; they would resume their effective contribuation to the human civilisation and submit the most eminent form of it as well.

offering to the needy, but it is also the highest form of refinement. It is the giving for no return. It is the polite refusal or excuse in the case of incapability to give. It is the human treatment in both co-existance and separation, It is manifested in the refined conversation as clarifies the following verses : "A kind word with forgiveness is better than charity fallowed by injury. And Allah is self-sufficient, Forbearing" (Surah Al-Baqarah : The cow. verse 263.)

"Divorce may be (Pronounced) twice, then keep (them) in good fellowship or let (them) go with kindness" (Surah Al-Baqarah : The Cow. verse, 229).

"And serve Allah, and associate naught with Him, and be good to the parents" (Surah. Al-Nisa. The women. verse 36).

And God said "And thy Lord has decreed that yhu serve none but Him, and do good to parents. If either or both of them reach old age with thee, say not " Fie " to them, nor chide them, and speak to them a generous word. And lower to them the wing of humility out of mercy, and say : My Lord, have mercy on them, as they brought me up (when was) little (Surah Al-Israa: The Israelites, verses32 and 24).

Owing to the high rank of equity and charity they are enjoined in the imperative mood in the Koran in God's saying : "Surely Allah enjoins justice and the doing of good (to others) (Surah Al-Nahl : The Bee, verse 90).

When the individual and social equity are establihsed and when equality becomes a common feature in both individual and social conduct this would mean the realisation of one of the two radical properties of humanity. When charity is manifested in the above stated sense that would finally means the achievement of fhe other radical proprety. Both individual and society would be human in the most proper and original sense of the word.

What has been emplied in the Islamic call other than equity and charity is but ways and means aiming at the realisation of this two paramount precepts or at least to pave the way to enable man both individually and socially to establish them. The different forms of adoration such as prayers, fasting, alms-giv ing and pilgrimage are seemingly intended to urge Man to perceive his nature and his status is life and to acknowledge the right of his associate to existance so as to share with him the means of estabilty. The several repetitions of prayers in everyday life, the presentation before

directed either to love or to grudge and hatred and human will may enable him either to supress his passion or to endulge in it. In this aspection man is conceived - since nature is composed of three psychological faculties - to be either a pious or impious.

From the above mentioned sayings of the prophet and verses of the Koran we find that Islam is a source of the human civilisation so much as it is a wise guidance of man at the same time.

The contribution of Islam in this aspect is its enjoinment for the construction and the continuation of the human civilisation. Its precepts, for this reason, do not aim at mobilizing individuals neither for invation nor for agression, but it aims at the qualitative qualifications of Man that is humanity. The very accurate representatives of these qualifications in Man are both equity and carity.

Equity in fact is the equilibration in the case of individuals between what is craved for by the individual and what must be done by him; and in the case of society is the balancing between the individual's rights and dutys. In so doing Islam has substituted equality for deprivation in the cercle of individuals, and equilibration for selfishness in the cercle of society. Hence there is no place in Islam for the social classses and for their conflitct since there is no reason for either. There exist only the common right of life for all. Equity is practised in saying as well as in doing. It can also be applied between two persons sharing the same goals as well as between other two with conflicting purposes as these are all enjoy the common properties of humanity. In this respect God said: "Give full measure. And be not of those who diminish. And weight with a true balance. And wrong not men of their dues, and act not corruptly in the earth, making mischief" (Surah Al-Shuora: the poets, vers 181 — 183).

And when you speak, be just, though it be (against) a relative. And fulfil Allah's covenant. This He enjoins on you that you may be mindful" (Surah Al-An'am : The cattle. verse 153).

And God said: "O you who believe, be upright for Allah, bearers of witness with justice; and let not hatred of people incite you not to act equitably. Bejust that is nearer to observance of duty. And keep your duty to Allah. Shurely Allah is is aware of what you do" (Surah Al-Maidah : The Food. verse, 8).

Charity in its turn ranks above equity because it is not only the

the strength of his muscles as it is ascribed to the strenght of his heart gained through its faith, the strength of his mind acquired by knowledge, and the strength of his will achieved by following the straight Conduct.

In this conjuncture God's saying :— "If there are twenty patient men among yot they shall vanguis two hundred; and if there are a hundred, they shall rout a thousand disbelievers, for they are devoid of understanding".

This verse of Koran may clarify the meant power-Patience, which was to be a sign of this power and by means of which the lesser number qualified by it would have the uper hand all the more number deprived from this attribute, is a psychological power not a physical one.

We shall also find the estimation of quality is clear in the prohht's saying : "There will come a time when nations will invite each other to assail you and devour you as do the eaters of a delicious dish". "This will be because of our little number then O God's prophet ?" said the hearers of the prophet. "No, you will be numerous then but you will be as weak and helpless as the foam of the torrant." Answered the prophet. Afterwards we find in the holy Koran His glorious saying : ,'O people we have created you from a male and a female and divided you into nations and tribes in order that you might get to know one another. The most nobleset of you in Allah's sight is the most pious".

These two verses state that the human nature is the same in every nation, in every place and in every time and that there is no differentiation in nature between a man and another. The distinction that could exist between an individual and another or between a group of individuals and another is not due to this nature but to what can be achieved within the circle of this human nature. Every individual human nature has the psychological faculties manifested in : Conception affection and will. The difference of an individual nature from another is not attributed to the increasement or the decreasement of these faculties but to the benefit of them in guidance. The piety that is made cause of differentiation in His glorious saying :— " The noblest of you in Allah,s sight is the most pious" is the wise directing of the psychological faculties to conceive God only, to extend fraternity and love among peoples and to perform good deeds in the benefit of both individual and humanity. The human conception in its origin may be directed to the belief on the denial of the one god, the human affection may also be

In this connection, the values produced by a human being differ from that which are produced by another, be they in philosophy, poetry, drawing, phatographing, sculpture, acting, music or law. The fundamental difference or distinction is not then due to the quantity of the production but to its quality.

It may be said too that the philosophy which is directed to racialism and that prefer certain races of human beings to others and the philosophy that adopts bestiality and mocks of the human values such philosophies are not fit for being a sound base for a human civilisation or rather such philosophies do not contribute substantially in this civilisation. In this respect they are surpassed by another philosophy that calls in its guidance for evaluating the human faculties wherever they are found either among individuals or among peoples.

The poetry which glorifies a nation, an individual or a group of individuals solely for their own sake not for the human values and faculties that are represented in this nation, this individual or these group of individuals, is valueless poetry that has a trifle share in building the human civilisation. Yet it may be a tool in its weakness and destruction. The different kinds of art which stimulate man and make him value his bestial side or confer his estimation on the sectarianism is an art inconsistant with the measures of civilisation and consequently has nothing to do with its evalution and duration. The law which is not based on the individual freedom, the equity among the members of society and the maintenance of the wise human behavior - these are human values - is destined not to go beyond the circle of its legislator and is void of fitness in the general human guidance. Hence it is lacking in the human form of civilisation.

***

If we leave these component aspects of life and consider Islam - as a source of guidance for man - we shall find it evaluates the quality more than it does with the quantity We shall find that its suitability in guidance is not confined to a particular tribe, people or race, but it pertains to the human being wherever he exists, and to people no matter how they are different in colour, place and time.

We shall find that the evaluation of quality in Islam represented in the saying of the prophet peace upon him : "The strong believer is better and more beloved to God than the weak one". The meant believers strength is not chiefly due

HUMAN CIVILISATION IS MEASURED

By

THE QUALITY NOT BY THE QUANTITY

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Dircetor General of Islamic Culture Administration

In fact not all human actions whether they are intellectual, conceptional, artistic, or actions pertaing to behavior participate in establishing the huma civilisation, but the establishing action of this civilisation is that which emanates from Man representing a human faculty which distinguishes the human being from other creatures through its bearing on its human nture. This action is the true contributor in increasing the outcome of the human civilisation.

That it because the fine intellectual action, the accurate conception, the eminent form of art, and the behavior in its wisdom and its straightforwardness are the radical basis of the human civilisation and the effective factors in its development and progress. This is so because in the above mentioned actions, the human effort is thoroughly represented and, the human will is clearly manifested. In these actions Man seems to have his own effectiveness because he, in these actions, seases to be affected and becomes effective. effective through his thought, effective through his art and effective through his conduct in guidance and expression altogether.

Guidance and expression then have certain fitness that go beyond the circle in which the thinker, the artist or the author of the human behavior, exists and originates.

In this respecf it may be said that human civilisation is a series of hauman values conposed by man by vertue of his inventiveness or reached by him through his human nature.

These values have the fitness and consideration beyond the field of the society and invironment where the inventor or the participant of these values exists.

The more the human thought, conception, art, or conduct is comprehensive in regarding the facts and in its guidance the more it contributes to the human civilisation and to its development and progress.

Al-Azhar will bridge the gap between the traditional systems of secular and religious education in the Muslim World. It will open the doors of practical life wide before its graduates to search for greater and new knowledge to help bringin about true happiness for mankind. The new reformatory system will help Al-Azhar to maintain its mission in graduating legislators, jurists, philosophers, scientists, and leaders of religion and Arabic language who understand God's Book and the Tradition of His Prophet.

Your visit to Al-Azhar may, therefore, be regarded as a great event that will be commemorated in the life of this university which is considered the oldest existing university serving humanity.

This University, while welcoming you, regards this meeting as a tool for strengthening the ties between the Muslims of the U.S.A. and Canada and the people of the U.A.R. The one who deserves most of the credit for providing us with this opportunity of meeting you here is our President Gamal Abdel Nasser who has been fathering Al-Azhar as well as the Islamic movement here and abroad. May God materialise his hopes. which are ours, for the sake of Islam and humanity in general.

The Greeting Speech of The Rector of Al-Azhar

Sheikh Muhmoud Shaltout at the Muslim Immigrants

Conference in Cairo

In the Name of the Compassionate, Merciful God.

Thanks to God, the Lord of the Universe, and peace upon the Prophet Muhammad and his deciples who followed the enlightenment revealed to him.

Sons and brothers. Peace be upon you and God's Mercy and His blessing.

Al-Azhar, which has, for ten centuries, been maintaining the unique position of searching in God's Book for the articles of Islamic Law as well as of seeking insight into this physica world, welcomes and greets you today. When this great Institution extends both hands, it considers you a part of its extended family. The common goal in Islam is the thing which counts and not the geographical distance which may separate the Muslim communities. Islam, therefore, looks at you, the Muslims in the United States and Canada, with the same eyes it looks at your brethers in Europe, Asia, Africa, and Australia. All are followers of the common faith : the oneness of God, the belief in the message of Mhuhammad, peace upon him, and the belief in the Judgement Day. This faith is the center around which the Muslims gather. It is the extended cord from heaven to earth to lead the Muslims unified to the path of hapPiness.

This cord is God's only religion, " The only religion in the sight of God is Islam." For God does not accept any other religion but Islam. " He who adepts a religion different from Islam is not accepted and will be among the losers in the Hereafter."

Islam, which strengthens the ties among Its followers to the degree that they become one integral unit, makes all of us feel the Pains and misery of our brothers in Palestine, Algeria, Oman, and Bahrein. It makes us feel the pains of every freedom fighter anywhere.

Brothers and sons :

Al-Azhar, in all its capacities and in its modern era, welcomes you. The modern reformatory system of

"And the parable of those who spend their wealth to seek Allah's pleasure and for the strengthening of their souls is as the parable of a garden on elevated ground, upon which heavy rain falls, so it brings forth its fruit twofold; but if heavy rain falls not on it, light rain (suffices) And Allah is Seer of what you do" (Surah Al-Baqarh. The caw, verse 265).

This the value of offering for the sake of God's call and this is the truthful promise to those who give their money for this cause. This value and promise are unique repayment that are not attached to any prescription other than offering. Prayer in spite of its importance and thouh it is the second pillar of faith is not accepted if it does not motivate the muslim to pay the assigned shore for the poor in his money. Fasting and pilgrimage were not accorded such care as is the case in offering for the sake of God's call.

From the previously mentioned facts we can state that Islam does not evaluate any of its principles if it does not plant in the muslim's heart the emotion of kindness that urge a muslim to offer his money for the sake of God's call. This is what I believe in and what is ment by the glorious Koran.

This is a style which considers the offering in God's way or for the sake of God's call on the same level as faith itself. If we turn over the pages of Koran we shall find that the feeding of the poor is a radical condition to enable man to acquire his happiness. In this connection Koran says : But he attempts not the uphill road. And what will make thee comprehend what the uphill road is ? (It is) to free a slave, or to feed in a day of hunger, And orphan nearly related, or the poor man lying in the dust. Then he is of those who believe and exhort one another to patience, and exhort one another to mercy. These are the people of the right hand" (Surah, Al-Balad : The City, verses 11 — 17).

And "Hast thou seen him who belies religion ? That is the one who is rough to the orphan, And urges not the feeding of the needy. So woe to the praying ones, Who are unmindful of their prayer ! Who do (good) to be seen. And refain from acts of kindness ! (Surah Al-Maun, Acts of kindness).

Related with this God informed us that the criminals would confess in their answer in the day of judgement when they would be asked as the Koran reads : What has brought you into hell ?

They would confess that their neglection in paying the poor's rights is among the cause of their torment saying in their answer as related in Koran : They will say : We were not of those who prayed; Nor did we feed the poor, and we indulged in vain talk with vain talkers, And we called the day of Judgment a lie; (Surah Al-Moddether : The one wrapping Himself up, verses, 43 — 46).

This is some styles that state the value of offering in God's way and for frightening from misery.

As for the urging of this offering Koran says : Who is it that will offer to Allah a goodly gift, so He multiplies it to him manifold ? (Surah Al-Baqarah, The Cow, versa 245).

"The parable of those who spend their wealth in the way of Allah is as the parable of a grain growing seven ears, in every ear a hundred grains, And Allah multiplies (further) for whom He pleases. And Allah is Ample-giving, knowing Those who spend their wealth in the way of Allah, then follow not up what they have spent with reproach or injury, their reward is with their Lord, and they shall have no fear nor shall they grieve". (Surah Al-Baqarh. The Caw. veres 261 and 262).

extravagance and luxury. Koran spares no effort to purify the Islamic group from these vicious attributes in order that it may prepare the souls for their duty towards both God and creatures, no matter what they give in this respect. Koran has original styles in asking for offering and in warning against misery that it fills the muslem's heart with sacrifice and that maks him certain that this offering is the right path to an indignant life through which both individual and group are guaranteed the happiness in this world and in the next world as well.

Of these expressive style the first, we are to meet every now and these throug our readings in Koran, is that God does not mention faith except accompanied with affering money in His way, and feeding the poor. The chapter of Surah Al-Baqra : The Cow clarifies the qualities of the pious who are most benefited of the Koran and its guidance stating that among these qualities : Who believe in the Unseen and keep up prayer and spend out of what We have given them".

In exposing the radical goods demanded by God from His creatures Koran says : It is not righteousness that you turn your face towards the East and the West, but righteous is the one who believes in Allah, and the Last Day, and the angels and the Book and the prophets, and gives away wealth out of love for Him to the near of Kin and the orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set slaves free and keeps up prayer and pays he poor-rate" (Surah Al-Baqarah. The Cow, verse, 177).

The chapter of th Spoil mentions offering among the ingrediants of faith saying : Those who keep up prayer and spend out of what We have given them. These are the believers in truth. For them are with their Lord exalted grades and protection and honourable sustenance' (Surah Al-Anfal : Volantary Gifts verses, 3 and 4).

The surahs of Women and Chambers mentioned faith accompanied only by the giving for the sake of God's call saying : And what (harm) would it do them if they believe in Allah and the Last Day and spend of that which Allah has given them? (Surah Al-Nisa. The Women, verse 39)

And "The believers are those only who believe in Allah and His Messenger, then they doubt not, and struggle hard with their wealth and their lives in the way of Allah. Such are the truthful ones" (Surah Al-Hograt : The Apartments, verse 15).

O my people, who will help me against Allah, if I drive them away? will you not then mind ?

Mohammed, guided by His Lord to the same answer, said : And drive not away those who call upon their Lord, morning and evening, desiring only His pleasure. Neither art thou accountable for then in ought, nor are they accountable for thee in ought, that than shouldst drive them away and thus be of the wrong-doers." (Surah Al-Anaam, The Cattle, verse 52).

Related to the matter of those luxursous people God has said : "And we never sent a worner to a town but those who led easy lives in it said : "We are disbelievers in that with which you are sent. And they say : "We have more wealth and children, and we can not be punished. Say : "Surely my Lord amplifies and straitens provision for whom He pleases, but most men know not. And it is not your wealth, nor your children, that bring you near to us in rank; but whoever believes and does good, for such is a duble reward for what they do, and they are secure in the highest places And those who strine in opposing Our messages, they will be brought to the chostisement. Say. "Surely my Lord amplifies provision for whom He pleases of His servants and straitens (it) for him. And whatsoever you spend, He increases it in reward, and He is the Best of Providers." (Surah Saba : verses : 34—39)

Explaining the harmful doom of the luxurious people in this world God has said : "And how many a town which was iniquitious did we demolish, and we raised up after it another people ! So when they felt Our might, Lo ! they began to flee from it. Flee not and return to the easy lives which you led, and to your dwellings, that you may be questioned. They said : "O woe to us ! Surely we were unjust. And this cry of theirs ceased not till we made them cut off, extinct." (Surah the prophets, verses 11—15).

And relating to their bad fate in the hereafter God said : And those on the lift hand; how (wretched) are those on the left hand ! In hot wind and boiling water, And shadoux of black somke. Neither coal nor refreshing. Surely they lived before that in ease." (Surah Al-Waqiah : The Event, verses, 41—45).

An Enjoinment for offerin money in God's way.

Through these previously mentioned ways Koran has fought misery,

The Ruler' right :

Islam has made it right to the ruler to take forcely the assigned share of the poor in the richs wealth. In application of this principle the first khaliph (Abo Bakr) may God be pleased with him, did not hesitate to fight those who had refused to pay Zakah (Alms giving) until they yielded to carry out God's ordinance. This matter led to stabilisation of the Islamic nation and healed its dengerous breach.

It had also made it right to the ruler to prevent the extravagants from managing the wealth of minors and their like of those who could not wisely manage their own affairs as the following verse explains : And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it, and clothe them and give them a good education. And taste the orphans until they reach the age of marraige. Then if you find in them maturity of intellect, make over to them their property, and consume it not extravagantly and hastly against their growing up. And whoever s rich, let him abstain, and whoever is poor let him consum reasonably (Surah Al-Nisa : The women, verses 5 and 6).

Luxury is a wicked source :

Islam has also stated that luxury is a wicked source which fills the hearts with hatred and rancour and do away with the secured and established life. This devilish quality leads the people who commit it to deny the truth and to denounce the religious legislators. It plants selfishness among the social classes. There is none contradictory to God's religions but the luxurious people who antagonise these religions because it either degraded them to the level of the poor and the weak or raised the laters to their level. This could be clearly seen in the first religions as well as the latest one.

The people of Noah, for example, said to their prophet, intrifling his followers, "We see thee not but a mortal like us, and we see not that any follow thee but those who are the meanst offus at first thought' (Surah Hud. verse 27).

While the luxurious people at the time of the prophet Mohammed took the same attitude towards Belal and his brotheren. The answer of Mohammed was the same as that of Noah when Noah said as it is related in Koran : And I am not going to drive away those who believe surely they will meet their Lord, but I see you a people who are ignorant. And

which Allah has given them out of His grace." (Surah Al-Nisa : The women, verse, 37).

"And those who hoard up gold and silver and spend it not in Aallah's way-announce to them a painful chastisement. On the day when it will be heated in the Fire of hells then their foreheads and their sides and their backs will be barned with it : This is what you hoard up for yourselves, so taste what you used to hoard" (Surah Baraat : The Immunity, verses, 34 and 35.

Islam has informed us that misery ensue man not to spend his money either in the performance of his duty or in the maintenance of his good and sends him to perdition as the following verse says : And spend in the way of Allah and cast not yourselves to perdition with your own hands and do good (to others). Surely Allah loves the doers of good). (Surah Al-Baqarah : The Cow, verse 195).

The prophet, peace be upon him, has said to warn against misery (Be ware of misery because it caused the perdition of your ancestors, it enjoined them desertion and debauchery and they follow its enjoinment) and (Be ware of misery because it sent your ancestors to their graves. It enjoined them to shed their blood and to profanate their sacred relations).

I could not find a more expressive term than the above mentioned expression in depicting the social denger caused by misery. There is no doubt that it is of the most detrimental flaws that lead to disintegrity in societies and do away with both the fife of nations and their development.

The Koran as well as the prophet,s saying have adopt this attribute towards extranagance as they have done with misery since it makes the nation spend its wealth uselessly. In this connection Koran says : "Surely the squanderers are the devil's brathren. And the devil is ever ungrateful to his Lord" (Surah, Al-Israa : The Israelites verse 27).

After depicting the bad results of both misery and extravagance Koran gathered them in one frame and guided us to the straight way that must be followed by the rich in order that they may preserve their lifes and be able to establish it on solid basis saying : " Make not thy hand tied (like a miggard's) to thy neck. Nor stretch it forth. To its utmost reach. So that thou become. Blameworthy and distitute" (Surah Al-Israa verse 29).

diffinite share in the rich's wealth for the poor and for those who struggle in God's way (for His call) or in the form of taxes imposed by the ruler according to the national need for reformative, and progressive projects.

The Koran has accorded great care to urge for the giving to the poor and distitutes and for the strive in the way of God. The word (way of God) is a word of the most distinguished words that have come in the Koran. This word particularly fills the heart with awe and solimnty and fills the universe with good and piety. Its meaning is but a sort of charity either in its private or its general meaning.

Islam fights misery and extravagance of the rich

Whereas the wealth belongs to God, men are all His servants and the world where they live and invest is God's wealth, whereas these all belong to God it is necessary that the wealth aught to be shared by His creatures, kept and utilised by them all. God has manifested this in His saying : "He it is who created for you all that is in the earth" (Surah, Al-Baqarah : The Cow, 29).

"And swallow not up your property among yourselves by false means" (Surah Al-Baqarah : The Cow verse 188).

"And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it and clothe them and give them a good education" (Surah, Al-Nisa : The women, verse, 5).

Islam has renounced misery that prevent the muslim from the wise giving and spending of his money. It also rebuked extravagance that leads to spending money wrongly. In doing that Islam aims at the purification of souls from selfishness and hatred. In this concern God has said : "And whoever is saved from the greediness of his soul, these it is that ar the successful". (Suraha. Al-Tagh-bun : The Manifestation of Losses, verse 16).

"And let not those who are niggardly in spending that which Allah has granted them out of His grace, think that is good for them, Nay, it is evil for them. They shall have a coller of their niggardliness on their necks on the Resurrection day. And Allah,s is the heritage of the heavens and the earth" (Surah, Al-Imran, The Family of Amran verse 179).

"Who are niggardly and bid people to be niggardly and hide that

This sort of co-ordination has nothing to do with the restrection of the right to ownership, but it is a direction required by the national need in order to enable the nation to enjoy its real freedom in full.

This coordination is, under these mentioned consideration, a duty encompent upon the ruler together with his nation. They are to be sinful in the case of its neglection or in completion.

The ruler is protecting both national interests and independence when he adopts this co-ordination aided by his people. They are, consequently preceeding their way that would lead them to their good and happiness. The ruler in applying this co-ordination is securing peace and tranquility for his nation.

Because of the usefulness fo wealth to all individuals of the people and to all societies God has sometimes attributed it to Himself and sometimes to the whole community making of its owner His agents for its preservation and investment. These agents are responsible to Him to spend this wealth sparingly and wisely. According to the teachings of His sacred books, this conception is clearly manifested in the following Koranic verses : " Believe in Allah and His messenger, and spend of that wherof He has made you heirs." (Surah Al-Hadid : Iron. verse, 7).

"And give them of the wealth of Allah which He has given you" (Surah Al-Nur : The light, verse 33). "And swallow not up your property among yourselves by false means" (Surah Al-Baqarh : The Cow, verse, 188).

And God said : "And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it, and clothe them and give them a good education" (Surah, Al-Nisa : The women, verse, 5).

In these verses God proved that both usurpation and mismangement of the wealth are realy either an agression on the nation or perplixty at its expense.

That wealth is a tool to be explioted for the interest of the entiro society.

A tool which ensues the fertilisation of land, result in the rising of industry and bring about the prosperity of Commerce. Wealth is the tool that enables its owner to satisfy the need of distitutes and that builds the general and usful establishments either out of the emotions of co-operation and kindness or obedience of God's ordinances that assigned a

every Muslim to take a part in building his community by working hard at any field for the benefit of mankind. Thus the religion of Islam has imposed work on Muslims to realise the principle of the economic indpendance which enable the Muslim community to satisfy its needs by the hands of Muslims and not to depend on any kind of help from other nations.

If Muslims carry on this principle they would protect their country and safeguard their community from the interference of imperialism which spare no effort to occupy other countries under the curtain of exchange trades.

No doubt that these three means (A griculture, industry, and commerce) are the strong pillars of the national economy of the nation who wants to live on indpendent sound life. Hence we have come to this conclusion it is necessary for the nation to do whatever can be done to realise the progressive achievements in the field of agriculture, industry and commerce, that is the call of Islam which encourages Muslims to live in sound and free life. It is so easy for us to know that the breach which allows imperialism to poke its nose into our affairs is the shortage in agriculure, industry and commerce. Therefore the religion of Islam has imposed work on Muslims in the three fields mentioned above for the Muslim's prosperity and welfare.

The State - duty in protecting the economic independane :

It is the duty of the Islamic ruler to look after the interests of the Islamic group to guide his subjects and to do his best to make the whole nation enjoy their common interests.

The ruler is religiously ordered to co-ordinate this matter so that there will not be a concentration of wealth in the hands of one class of the nation. When need rises he is permitted to transfer some of the arable lands to commercial capital or to industrial companies aiming only at the common welfare of the people. In so doing he is coordinating the national interest in a way that makes the nation self-sufficient one.

In this case strangers could not find inlets to interfer in the national affairs. They would find instead that they are only permitted the right to the common exchanges existing in the Muslim community. This coordination is a wise one that benefits the nation and rescue it from the external interference, domination, and imperialism.

robbery and plunder. It is forbidden for Muslims to earn money through dealing in wines and pigs, or earning money by gambling and dancing' The religion of Islam made this clear for Muslims asking them to avoid unlawful means such as bribery, robbery and corruption, advising them to listen to the voice of the sound Conscience and to turn a deaf ear to the voice of evil.

Koran says : And swallow not up your property among yourselves by false means, nor seek to gain access thereby to the judges, so that you may swallow up a part of the property of men wrongfull while you know. (Surah Al-Baquarah : the Cow verse 188).

We can easily understand the high position of money and its great value from these verses of Koran which tell that God had punished those who dealt wrongly in money and earned it through unlawful means.

Koran says : So for the iniquity of the Jews, We forbade them the good things which had been made lawful for them, and for their hindering many (people) from Allah's way. And for their taking usury - though indeed they were forbidden it - and their devouring the property of people falsely. And we have prepared for the disbelievers from among. them a painful chastisement. (Surah Al-Nisa : The Women. verse 190-161)

Economic Indpendance in Islam :

When the religion of Islam has ordered Muslims to earn wealth through agriculture, industry and Commerce, it aimed at satisfying the material needs of the Muslim community which is in great need for both agriculture to get food for its individuals,and industry to smooth the human being's affairs related to his clothes, his house and his transportation from place to another. By virtue of industry man has been able to have strong machines for digging canals, making roads and to adopt ways that play a great role in the progressive achievments of the nation.

At the same level of importance the Muslim conunity needs to get in touch with the other people to exchange food and various articles. So the Muslim scholars have decided that Muslim should learn whatever art or trade which can be needed in this world. They mentioned some trades and arts to be an example of these things such as agricIture, and sewing clothes etc. It is the duty of

against evil-that is the best. This is of the messages of Allah that they may be mindful. (Surah Al-A'raf, the Elevated places. verse 26).

It was said to her : "Enter the palace. But when she saw it she deemed it to be a great expense of water, and prepared herself to meat the difficulty. He said : "Surely it is a palace made smooth with glass She said : My Lord, surely I have wronged myself, and I submit with Salomon to Allah, the Lord of the worlds. (Surah Al-Naml verse 44).

Koran has advised Muslims to earn money through the three means mentioned above (Trade. Agriculture, and Industry), calling the earning of wealth seeking of Allah's grace" Hence wealth has this great value Islam has asked Muslims to go on with their work for seeking wealth except on the occasion of the Firday prayer, But when the Friday prayer is performed Muslims should go to their work and disperse abroad in the land seek Allah,s grace.

Koran says : "O y you who believe, when the call is sounded for prayer on Friday, hasten to the remembrance of Allah and leave off traffic. That is better for you, if you know. But when the prayer is ended, disperse abread in the land and seek of Allah's grace, and remember Allah much, that you may be suc. cessful. And when they see mershandise or sport, they break away to it, and leavd the standing. Say : "What is with Allah is better than sport and merchandise. And Allah is the Best of Providers. (Surh Al-Jumu'ah, the congregation. verses 9—11).

He it is who made the earth subseiivent to you, so go about in the spacious sides thereof, and eat of His sustenance. And to Him is the rising (after death). (surah Al-Mulk : the kingdom. verse 15).

Koran demands Muslims to take great care of money advising them to spend it reasonably and warns them not to be either extravagant or miser. Koran says : "And they who, when they spend are neither extravagant parsimonious, and the just mean is ever between these." (Surah Al-Furqan : the Discpimination. verse 67).

And make not they hand to be shackled to they neck, nor stretch it forth to the utmost (limit) of its stretching forth, lest thou sit down blamed, stripped off. (Surah Al-Esraa The Isrealites. verse 29).

While Koran has ordered Muslims to do their best to earn money by lawful means, it has warned them not to gain a penny through Usury,

It is clear now that Koran has considered wealth as the strong prop of the happy life and made equal to ones children. Islam is a practical religion which arranges its injunctions on factual basis, answering at the same time the demands of soul and that of the body. Islam has guided us to the right path for man's spiritual happiness as well as for the material life which enable the individual to enjoy the lawful delights of his life. Islam has enjoined the individual to work hard, doing his best to earn money by lawful and righteous means through commerce, and commercial co-operation exchange.

Means of earning wealth

Islam has ordered Muslims to earn money through commerce, so the journeys of Arbs for trading have been mentioned in koran. They made journeys north word to Syria and southword to yemen, the former of which was undertaken in summer and the latter in winter.

Koran says: For the taming (ie civilising) of Qureysh. For their taming (we cause) the caravans to set forth in winter and summer. So let them worship the Lord of this House. Who hath fed them against hunger. And hath made them safe from fear.) (Surah Queysh). Islam has ordered **Muslims** also to earn wealth through agriculture showing them how to prepare the land for cultivation. Koran says: "Then let man look at his food. How we pour down abundant water. Then cleave the earth, cleaving (it) asuder. Then cause the grain to grow therein. And grapes and clover. And the olive and the palm. And thick gardens. And fruits and herbage. A provision for you and your cattle. (Surah Abosa. verses 24-32).

Furthermore Islam has ordered Muslims to earn wealth through industry that Islam has considered as the strongest support for building up a powerful civilisation. In Koran you come accross meny verses about different kinds of industries such as the industry iron, of cloth, and tha, of mansions and houses building.

Koran says: "Certainly we sent our messengers with clear arguments. aud sent down with them the Book and the measure, that men may conduct themselves with equity. And we sent down iron, wherein is great violence and advantages to ment and that Allah may know who helps Him and His messangers, unseen, Surely Allah is strong, Mighty. (Surah Al-Hdid Iroe.verse 25).

O children of Adam, we have indeed sent down to you clothing to cover your shame, and (clothing) for beauty; and clothing that guards

mother is the sixth, after (payment of) a bequest he may have be queathed or a debt. Your parents and your children, you know not which of them is the nearer to you in benefit. This is an ordinance from Allah. Allah is surely ever knowing, wise.

And yours is half of what your wives leave if they have no child; but if they have a child, your share is a fourth of what they leave after (payment of) any bequest they may have bequeathed or a debt; and there is the fourth of what you leave if you have no child, but if you have a child, there is eight of what you leave after (payment of) a bequest you may have bequeathed or a debt.

And if a man or a woman, having no children, leaves property to be inherited and he (or she) has a brother or a sister, then for each of them is the sixth, but if they are more than that, they shall be shares in the third after (payment of) bequest that may have been bequeathed or a debt not injuring (others). This is an ordinance from Allah, and Allah is knowing, Forbearing.

These are Allah's limits. And whoever obeys Allah and His messenger, He will admit him to Gardens wherein flow rivers, to abide in them. And this is the great achievement. And whoever disobeys Allah and His messenger and goes beyond His limits, He will make him enter fire to abide in it, and for him is an abasing chastisement". (Surah 1, V 11 — 14).

In this article we are going to explain many things about money : the value of money in Islam, how to earn ir, how to invest it, how to spend it in lhe right ways, and why it is unlawful to be extravagant or miser.

The value of money in Islam

actually any one who studies Islam would come to a conclusion that Islam is the religion of life. So there is no wonder that wealth has a great value and high position in the Islamic system. Wealth undoubteadly is the foundation of the happy life. It is the strongest support to achieve scientific progress, to build cities, and to enable every body to live in good health enjoying a delightful life. Thus Koran has appreciated the value of wealth and described it as an adornment of the life of this world.

Koran says : wealth and children are an adornment of the life of this world; but the ever-abiding; the good works, are better with tley Lord in reword and better in hope, (Surah 18, Vers 46).

MONEY AND THE ECONOMIC INDPENDANCE IN ISLAM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The Islamic laws have arranged the financial affairs every of aspect of life and edeavoured to provide guidance and a proper solution to any financial problem. Islam has imposed Zakah (Alms giving) to solve the problom of poverty among the Muslim Community. Thus it is the duty of rich to offer a part of their wealth to the poor with the objective of building up a strong Community far from being weak or poor.

If the rich continue giving Zakah to the poor they would purify the poor's hearts and extinguish their hatred and ill feelings towards the rich. Hence love and friendship certainly would be engendered between them, and all of them would exchange good feelings and cause mercy and co-operation to prevail among them all.

The Islamic law has dealt with to solve the problem of personal property after the death of an individual. The right of Inheritance as an Islamic principle proceeds to divide wealth among relatives in order to strengthen the ties between the members of a family and for the generations to come, thereby sons can share the fruits of their father's efforts.

The Islamic law has set up the principle of inheritance on the basis of justice and sound reason, and God Himself has arranged the shares of heritage between heirs in the holy Koran.

Koran says: "Allah enjoins you concerning your childrern : for the male is the equal of the portion of two females; but if there be more than two females, two third of what the deceased leaves is theirs; and if there be one, for her is the half, and for his parents, for each of them is the sixth of what he leaves, if he has no child and (only) his two parents inherit him, for his mother is the third; but if has brothers, for his

have any cause for complaint, because their university have turned into an international one which combines both old and new, the past and the future, the religious and the temporal.

It is now the duty of Azharites to strive hard, to work with all their might, to do their utmost to put this new law into effective operation out and to affirm that they have the ability to take their part in the revolution. In my openion the Azharites are worthy of this reformation. They thank God for the realization of their hope and their full homage for the leader who issued the law and gave his best attention to that old university.

As a matter of fact, the successful outcome of this reformation is concentrated in Azharite's hands, because the government has issued the law and depended on them to lay the programme, to write the books and to carry both the law and the excutive regulations out according to the dictation of both heart and conscience.

If the Azharites carry the new law out according to old plans, it will be similar to the constitution of the old regime in that it had been quoted from up-to date rules and the best constitutions of great nations, but it was useless as a Koran inside an infidle's house or the light in a blind man's room. The Qur'an said in this respect : "Verily, never will God change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls) ". (Surah of the Thunder, Section. 2. Ver. 11).

Last but not the least, the reorganisation of Al-Azhar university is a great step towards the realisation of the dream which we and the other faithful people hoped to come true. This dream is to study the explanaitions of the Qur'an, the prophetic traditions, the Arabic language and the Islamic law on both religious and civic foundations. Consequently, Al-Azhar will maintain its old heritage and will share in modern progress, differences between its students and their counterpart in other institutions will be obliterated. Its culture will be united and Al-Azhar will occupy its worthy place in the field of modern civilization and the leadership of the world.

students in Al-Azhar university, have natural gifts of their own which are endowed on them by God, and that they look forward to a bright future. Because those students will perform their duties in the future for the benefit of the nation according to the teachings of Islam, they will have the right to be taught academic subjects in the interests of their life career. This cannot be realized unless they let aside their old thoughts, take part in modern progress, change their minds and thoughts to accompany the march of progress and carry out the instructions of the religion for their future personal happiness. Consequently, President Nasser has issued a law on the re-organisation of Al-Azhar, to be published in a series starting next month. The law has created a university of the previous mosque, made religion a mean of worldly achievements, used sciences as means of guidance and learned men as leaders. The law also set up a "Scientific commitee for Islamic researches", which will liberate minds and urge them to abandon blind imitation purse the prophetic traditions of lies Promote islamic **law** as dictated by God and the teachings of his Messenger and to preach Islam all over the world as efficiently and attractively as possible.

The new law gave Al-Azhar university the opportunity to graduate not only religious men, but also physicians with pious hearts, engineers of good character, makers and workers performing their duty honestly, and employers who work according to the dictation of conscience. The new law is also aimed at creating a good society: the dream of Azharite reformers from Sheikh Mohamad Abdoh till Sheikh Mahmoud Shaltout. Reformers who came before the present Rector, passed their life calling for the reformation of Al-Azhar, but failed to secure any official support.

God has willed that the reform to be effected by President Nasser and Sheikh Mahmoud Shaltout who are men of principle and strong faith. The history of Islam will record this reformation on its pages in bright words especially because it will be of great effect in the future of Arabism. Consequently, the Rectorship of Shaikh Shaltout for Al-Azhar will be very clear in its history. This is because his Rectorship constitutes an interval between the troubled times of the past, and present time in which the Azharites were accorded their full rights and a prosperous future assured for them.

By the re-organisation of Al-Azhar, the reformers have realized their hope and their dreams have come true. Azharites will no longer

This will provide a source of inspiration and guidance for the above three revolutions.

The term "Revolution" has no contradiction with the religion, neither is it against its spirit. As a matter of fact, Islam in itself is a revolution, a revolution against evil and corruption, and a war against tyrany and aggression. Because these abominable sins are still committed by the people, war against them and the revolution must continue. The revolutions needs only to be kindled by us to find the light which guides it on the right way.

The Good reformer and the Best leader who appeared by the will of God the almighty, is the only one who has the ability to kill Evil and replace it by good, to reconstruct what had been destroyed in the course of time, to raise the veil which covered the word of God to be very clear in all sights and to remove any doubts about the message of our Prophet Mohamed "Peace be upon Him". The leader can do this by flaming the candle of the religion and considering it a part of the five years reform project.

The Constitution of the United Arab Republic declares Islam as the official religion of the nation. The significance of this cannot be realized except if the religion has a great effect on education, legislation and conduct. As a matter of fact, Al-Azhar as the oldest university all over the world - by the grace of God - is the best institute that has the ability to preach the right message of Islam and to unite the great Islamic nations. This will be realized, if Al-Azhar is given the opportunity to perform its message as planned by the revolution in response to the wishes of the National Union at its general conference of last year.

While we aspired at this revolution in our dream, our president Nasser was preparing for it to come true. He had the openion of the reformers before him; it said that the world can be reformed only throuh the religion, and that the religion can be revived only by the re-organization of Al-Azhar university, and that Al-Azhar will bring about the progress of the east if it is developed to fit modern times. The importance of Al-Azhar is derived from its culture which has its origin in the source of revelation and the natural law. when this culture joins modern thought, they will interact with each other, and the result will be the cause of : the revival of God's religion, the efficiency of its legislaion and the perpetual remembrance of God.

President Nasser as other reformers before him, is of the openion that the forty five thousand Arab

FORTH REVOLUTION

COMES TRUE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Since the year 1952, the United Arab Republic has passed through three revolutions : Frist : the political revolution which liberated the country, brought about the withdrawal of British occupants and affirmed its independence on the bases of Unity, neutrality and peace. Second : the social revolution designed to establish a democratic system for the people and to build the new society on love, equality and brotherhood. Third : the economic revolution aimed at introducing socialism as a system of life in the country, and the establishment of the people's wealth on foundations of justice, fraternity and co-operation.

These three revolutions constitute the people's full active and creative power, unleashed by a wise leadership having the best interests of the people at heart, which distroyed the corrupt regimes of the past and constructed a new system on solid foundations and ploughed the land for the best fruit.

But the revolutionary constructional powers will not alone cope with the establishment of the good society which is worthy of the modern and progressive man. Indeed, the revolution is able to turn the iron very soft, to cultivate rocks, to harness the Nile, to extend knowledge, to spread prosperity and abundance, to facilitate the life of both the industrial worker and the land labourer and to provide the army with formidable means of power. But inspite of all that, the revolution cannot plant piety in the heart of the ill-souls, neither can it bring dead conscience back to life : As a proof, we notice that within nine years we have become an independent nation which says to be heard, asks to be answered, strives hard to succeed and plants to ripe. All those results are realized through a democratic and just Government and the moderate socialist system which urge one to help all and all to help one, we still find among us the theif, the bribed, the hypocrite, the dishonest' the distructive, the careless, the liar and the forgerers. Consquently, we find ourselves in need of a fourth revolution : The religious revolution

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
ت: ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الرابع — ربيع الآخر سنة ١٣٨١ هـ — سبتمبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

من ذكريات الأزهر

كيف عرفت الشنقيطي

بقلم: أحمد حسن الزيات

— ١ —

كنت في مولد هذا القرن غلاما ناشئا أهوى الأدب وأحفظ الشعر وأعالج القريض. وكان مجلسي المختار يقع في الركن الغربي من الرواق العباسي بالأزهر، في رفقة من الطلاب كانوا كأنجم الثريا لا يفترقون لا في الدرس ولا في المذاكرة ولا في الرياضة. وكنا على خلاف إخواننا الأزهريين في ذلك العهد نقرأ الصحف ونغشى الأندية ونتتبع المعارك الأدبية في الضياء لليازجي، ومصباح الشرق للمويلحي، والمؤيد لعلي يوسف. وكان حديثنا وحديث المتأدبين يدور على ما تتناقله الأفواه وتتداوله الصحف من الجدل المضطرم الحاد بين الحافظ الحجة الشيخ محمد محمود الشنقيطي وخصومه من علماء الأزهر وأدباء العصر، وكان الشيخ قد هاجر منذ قريب من مدينة الرسول إلى قاهرة المعز

فوجد من الإمام محمد عبده لقاء جميلا وعطفا كريما ، فأجرى عليه رزقا من الأوقاف ، ووكل إليه إحياء الأمهات العربية الكبرى ، فنشر المخصص وحرر القاموس وأملى الأراجيز ، وإلى ذلك يشير في رثائه لنفسه من قصيدته الميمية المطولة :

تذكرت من يبكى على فلم أجد
سوى كتب تحنان بعدى أو علمى

وغير الفتى المفتى محمد عبده
صديق الصدوق الصادق الود والكلم

فعصم العلوم كنت أنزلها له
إذا اعتاصت اروأها على كل ذى فهم

مخصصها المطبوع يشهد مفصحا
بحفظى عند الحذف والبتر والخرم

بذا يشهد المفتى وأصحاب طبعه
ولا يكتمون الحق كتمان من بكم

وقاموسها المشهور يشهد فى الضحى
بذاك وفى بيض الليالى وفى الدهم

وكان الأزهر قد درج طويلا على إغفال اللغة والأدب من مناهجه حتى أدخلهما الأستاذ الإمام فى الدراسة الحرة ، وجعل دراسة اللغة للشيخ الشنقيطى، ودراسة الأدب للشيخ المرصفى. وكان ابن التلاميد آية من آيات الله فى حفظ اللغة والحديث والشعر والأخبار والأمثال والأنساب لا يند عن ذهنه من كل أولئك نص ولا سند ولا رواية . وكان شموس الطبع حاد البادرة قوى العارضة ، يجادل عن نفسه بالجواب الحاضر والدليل المفحم واللسان السليط .

كان لا ينفك يتحدى رجال اللغة بالمسائل الدقيقة والنوادر الغريبة مستعينا على جهلهم بعلمه ، أو على نسيانهم بحفظه ، حتى هابوا جانبه وكرهوا لقاءه ، وأصبحت حياته سلسلة من الخصومات الأدبية سجلها بالشعر اللاذع والنثر القارص فى كتابه (الحماسة) . وأكثر هذه الخصومات كانت بينه وبين أحمد البرزنجى فى المدينة ، والنيفر فى تونس[1] ، وحمزة فتح الله وابراهيم اليازجى وسليم البشرى وعبد الكريم سلمان فى القاهرة .

اجتمع ليلة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فى دار السيد عبدالباقى البكرى بجماعة من كبار العلماء يتصدرهم إمام المالكية الشيخ سليم البشرى . فخلا لبعضهم أن يتحرش به فسأله سؤال المنكر عن رأيه فى صرف عمر وخروجه على إجماع النحاة ،

(١) كان موضوع الخصومة بينه وبين أديب المدينة وعالم تونس أنهما لحنا الامام مالكا رضى الله عنه فى قوله فى باب النذور من موطئه : (وعليه هدى : بدنة أو بقرة أو شاة إن لم يجد إلا هى) فهما يقولان : إن مقتضى الظاهر أن يقول : إن لم يجد إلا إياها ، وهو يقول : إن وجد معنى فى من الوجد وهو الغنى فلا تحتاج إلى مفعول ، وقد أفردوا فى المسألة مؤلفين ، مؤلفا لهما ومؤلفا له .

فقال له : إنما صرفته بالأدلة القاطعة والشواهد الصريحة ، وخطأت جميع النحويين من سيبويه إلى ابن هشام فى قولهم إن عمرا ممنوع من الصرف لأنه معدول عن عامر ، والحق اليقين أنه جمع لعمرة وهى الحجر الأصغر، وبه سمى عمر ابن الخطاب ومن قبله ومن بعده ، فهو علم منقول عن جمع نكرة ، وما كان كذلك من الأعلام صرف إتباعا لأصله ، ككلاب وضباب وأنصار وأنمار ، وجمعت من الشواهد على صرف عمر مائة شاهد ونيفا ، منها قول كعب الأشقرى :

يا أيها الزارى على عمر
قد قلت فيه غير ما تعلم

ومنها قول بشار العقيلى :

إذا أيقظتك حروب العدا
فنبه لها عمراً ثم نم

فقال الشيخ عبد الكريم سلمان : ولم لا يكون التنوين فى بيت بشار للضرورة ، وتكون الرواية فى بيت كعب بالفتح الممدود لا بالكسر المنون ؟ فقال له فى حدة عصبية ولهجة مغربية : إنك بالعروض أجهل منك بالنحو ، ومثلك لا يناقش ! .

فهم بالرد الشيخ سلمان ولكن الشيخ البشرى مال بالنقاش إلى جهة يراه القوم فيها واحد الآحاد وهى السنة . فقال للشنقيطى : إنك تلبس خفين أسودين وذلك من لباس النصارى . فقال له إنما ألبس ما كان يلبس الرسول ، أما أنتم فتلبسون الخفاف الحمر وهى لباس نساء المغرب ، والخفاف الصفر وهى لباس نساء المشرق ، فأنكر البشرى أن يكون الرسول صلوات الله عليه قد لبس خفين أسودين ، وقال إن الإجماع منعقد على خلاف ذلك، فرد عليه بأن رواية الإثبات تثبت أن النجاشى أهدى إلى الرسول خفين أسودين فلبسهما ، ثم انفجر عليه بما روى الترمذى وابن ماجة وأبو داود والبيهقى ، يؤديه عن ظهر قلبه كأنما كان يتلو من كتاب ، فلم يجد الشيخ البشرى رحمه الله درءا لهذا السيل إلا أن يطعن فى الرواية والرواة ، وانتقلت المجادلة من دار البكرى إلى دور الصحف ، فكتب الشيوخ ،ورد الشيخ ، واستطار بينهم الخلاف أكثر العام فسماه الناس «عام الخفين الأسودين» .

— ٢ —

ترامى إلى مجلسنا بالرواق ذات ليلة أن الشيخ الشنقيطى قد نشر كتابا سماه (الحماسة السنية ، الكاملة المزية ، فى الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية) صدرها بمعاولة له فى خمسة ومائتى بيت من بحر الطويل وقافية الميم مطلعها:

ألا طرقت مى فتى مطلع النجم
غريبا عن الأوطان فى أمم العُجم

روى فيها حديث سفره إلى مدينة استوكهلم عاصمة السويد إجابة لدعوة ملكها أسكار الثانى ليشهد مؤتمر المستشرقين الثامن الذى اجتمع بها فى سنة ١٣٠٦ هـ، فوصف الرحلة ومدح الداعى وذكر جملة من أمر حياته ورحلاته وتحقيقاته، ثم ختمها برثاء نفسه، وسرد لأسماء أشهر القبائل العربية جريا على المنهج الذى اقترحه عليه سفير السويد بمصر الكونت كارلودى لندبرج، وهو مستشرق سمى نفسه (عمر السويدى) ونشر بعض المخطوطات العربية كشرح ديوان زهير للأعلم الأندلسى الشنتمرى، وكان الشيخ يومئذ فى الآستانة فسافر إليها ليلقاه ويدعوه فشرط عليه الشيخ بعد إذن الخليفة عبد الحميد الثانى أن يصطحب ثلاثة من علماء العربية ومؤذنا من المتعلمين وطاهيا من المسلمين. فأجابه إلى ما شرط. ولكن الرحلة لم تتم لأسباب يعرفها قصر الخلافة.

كان الشيخ لا يبيع هذا الكتاب وإنما يهديه إلى من يحسن القراءة فيه من طلاب العلم أمامه. وكنت فى ذلك الحين هش العود لا أظننى أثبت على عجمه؟ فتفاديت ذلك الحرج بنظم قصيدة فى مدحه من بحر قصيدته وقافيتها. ثم حملتها متوكلا على الله وذهبت إليه. وكان صديق الطيب الذكر محمود حسن زناتى قد سبقنى إليه فأنبع قدرته وأخذ نسخته. فصحبنى إلى داره وقت الأصيل - وكانت بأول شارع الباطنية من حى الأزهر - فدخلناها فإذا هى دويرة ذات طابقين صغيرين ونصف طابق فوق السطح كان يسكنه الشيخ هو وزوجه وخادمه. صعدنا إليه فى درج براه الزمن وعوجه فلا تستقر عليه قدم، ودخلنا عليه ردهة غير مسقوفة انسدلت على نافذتها ستارة فلا تطلع على غيبها عين. كان جالسا على فروة بيضاء فوق كليم انبسط على نصف المكان وانتثرت على حواشيه بعض الأدوات المنزلية.

لم أكن رأيت الشيخ من قبل، كان شخصا ينصـرُّ كما يقولون فى صرة: هيكل ضئيل، وبدن نحيل، ووجه ضامر، ولون أخضر، وصوت خفيض. فمن يره أول مرة لا يصدق أن هذا الجرم الصغير قد جاب البر والبحر، وطاف الشرق والغرب، وكافح الأنداد والخصوم، ووعى صدره الضيق معاجم اللغة وصحاح السنة ودواوين الشعر وعلوم الأدب، وكان يلبس قفطانا أبيض من القطن، ويرتدى جبة دكناء من الصوف، ويعتم عمامة مكية قد أرخى لها عذبة على ظهره، فلما رآنا هش بعينه وبش بفمه، فقبلنا يده ثم جلسنا بين يديه. كان كل ما فى الردهة يرف بالهدوء ويشف عن النظافة، فلا حس ولا حركة ولا هباءة إلا ما يقع فى أسماعنا من أصوات الباعة على بعد وكانت الخادم الحبشية

العجوز قد أقبلت فى سكون وأدب بأكواب الشاى الأخضر فشربنا، ثم أخرجت القصيدة من جيبى وأخذت أتلوها فى رجفة خفية وهيبة ظاهرة، والشيخ يستمع ولا يظهر على مخايل وجهه البرنزى ما ينم على استحسانه أو استهجانه ؛ حتى بلغت إلى قولى منها :

رفعت درفس الدين بالعلم والتقى
وصنت لسان العُرب بالحفظ والفهم

فقال : ما الدرفس ؟ قلت : الراية . فقال : أتحفظ شاهدا عليها ؟ قلت : نعم ، قول البحترى :

والمنايا مواثل وأنو شر
وان يزجى الصفوف تحت الدرفس

فقال : أحسنت ، بارك الله فيك . وانتهت التلاوة والزيارة بأخذ النسخة ، ثم لزمته بعد ذلك إلى أن فارقنا إلى لقاء ربه . لزمته أنا وأربعة أو خمسة من الرفاق فكنا نصلى معه الجمعة من كل أسبوع فى الجامع الأزهر ، ثم نجلس أمامه بالجانب الأيمن من المنبر فنقرأ عليه ساعة وبعض الساعة ثم ينصرف إلى داره ، قرأنا عليه كتابه (الحماسة) ثم ديوان المعلقات . وكانت طريقته فى التلقين أن يعنى بدقة الضبط وصحة الرواية ؛ فلا يشرح لفظا ولا يفسر معنى إلا إذا سألناه . ومن النوادر التى أذكرها أن طالبا ممن كانوا معنا كانت فيه سذاجة وغفلة ، وكانت إحدى عينيه مظلمة .

وكان أحدنا يقرأ معلقة الشيخ الأولى وفيها قوله : إلى مثلها يصبو الحليم صبابة — فقال الطالب : إن هذه الشطرة مسروقة من معلقة امرىء القيس. فقال له الشيخ فى غضب وحدة : المسروقة عينك العوراء ! إن للعرب أبياتا وأشطارا شاعت شيوع الأمثال فلكل شاعر أن يستعملها كقولهم :

وقوفا بها صحبى على مطيهم .

وقولهم ، تبصر خليلى هل ترى من ظعائن .

وقولهم : فدعها وسل الهم عنك بجسرة ، وهذا من ذاك .

كذلك أذكر أن الشيخ كان كلما انفلت من صلاة الجمعة دعا بالشيخ إمام السقا خطيب الجامع فى تلك الأيام وكان رجلا طاهر القلب ظاهر الورع ، فإذا جاءه أخذ يعنفه أشد التعنيف على اقترافه الكذب على الرسول بما أورد من الأحاديث الموضوعة فى خطبته ثم لا يخليه حتى يستغفر الله ويتوب .

فلما تكرر هذا الموقف كان الشيخ السقا يتحاشاه فلا يكاد يخرج من الصلاة بالتسليم حتى يخرج من المسجد بالركض !

رحم الله الشيخ ومن جرى ذكرهم معه من الشيوخ ، وجزاه الخير وجزاهم على ما قدموا للغة القرآن وفقه السنة وعلم العربية من حسن القول وإخلاص العمل وصدق الغيرة .

أحمد حسن الزيات

الجمهورية العربية المتحدة تتلقى نور محمد باليمين

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

يحتفل المسلمون فى شهر ربيع الأول من كل عام بميلاد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو استجابة الله لدعوة أبينا إبراهيم عليه السلام إذ وقف هو وولده إسماعيل يرفعان القواعد من البيت ويدعوان : « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمــة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » ثم خصا وقالا : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » .

هذا هو محمد الذى حقق الله به دعوة أبينا إبراهيم ، وهو النور الذى جاء فى قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » ثم يمتن الله على المؤمنين نسل إبراهيم فيقول : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ثم يمتن به مرة أخرى فيذكر صلته بهم ، وما يملأ قلبه من الرأفة والحرص على خيرهم : « لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

كانوا فى ضلال مبين ، ضلوا به طريق الحكمة والهداية والإرشاد وأفسد عليهم تصورهم لخالقهم وتصورهم لمجتمعهم الإنسانى الفاضل وملأت قوى الشهوة والغضب ، وحب الاستعلاء والطغيان نفوسهم ، وبذلك ارتدت البشرية فى هذا الوقت رداء قاتما خشنا لا يرى من نسجه منفذ ترسل منه أشعة الهداية ضوءها عليه ، وبذلك قطعت صلتها بخالقها فأنكرت ألوهيته أو عبثت بها ، وعبدت ما لا يسمع ولا يبصر ، وخشعت لما لا ينفع

(*) الكلمة التى وجهها فضيلة الامام الاكبر إلى المسلمين فى عيد الهجرة النبوية الكريمة .

ولا يضر، وقطعت صلتها بأسرتها وروحها فوأدت البنت ولهامكانتها فى الحياة، وأكرهت الفتاة على البغاء ولها عفتها وشرفها، وقتلت الأولاد زينة الحياة الدنيا، وذخيرة الحياة الآخرة، وبهم قوام الحياة العاملة وقطعت صلتها بمجتمعها فتحكمت فى العقائد والأخلاق وسنن الاجتماع واتخذت أساس معاملتها القوة الغاشمة، والتسخير والإذلال، وبذلك خلت من الرحمة والشفقة، وعزف عنها البر والإحسان.

هذا مثل الروح الفطرى بعد ما أفسدته البشرية الضالة. والروح الفطرى روح نق طاهر لا يسكن فى ظل تلك الحياة الفاسدة المضطربة الملوثة بدم الأبرياء وأموال الضعفاء، فاختلس نظرات ضعيفة يستعطف بها خالقه، فنفذت تلك النظرات إلى ماوراء تلك الحجب المتراكمة واتجهت إلى مصدر الخلق والإيجاد، مصدر الرأفة والرحمة، مصدر الهداية والإنقاذ «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان».

فاستمع الله له وهو السميع العليم، ونظر إليه، وهو الرءوف الرحيم، وفى هذه الآونة انطلقت بشرى الإنقاذ بميلاد محمد بن عبد الله، فاهتز قلب العالم، واشرأب الروح الفطرى إلى السماء، وأخذ يقلب وجهه فيها. وما هى إلا فترة النمو والإعداد حتى وافته رسالة السماء «قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين. قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون».

جاءهم ذلك الشفاء يحمل عناصر دوائه رسول الله محمد بن عبد الله: «إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً» يهدى للتى هى أقوم فى العلاقة بالخالق وبالناس، فى العلاقة بالبناء والتعمير، فى العلاقة بالحرية والنظر فى ملكوت السموات والأرض، فى العلاقة بظاهر الكون وباطنه: «أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون» فى العلاقة بين الغنى والفقير، فى علاقة الناس وتعاون بعضهم ببعض: «قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون».

وبهذه الرسالة المحمدية تبوأ الروح الفطرى مكانه من الضمير العالمى، فبدل قسوته رحمة، وضلاله هدى، ومرضه شفاء، وانحرافه استقامة، وجهله علما، وخوفه

أمنا ، واضطرابه استقرارا ونظاما : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون» .

هذا هو محمد الذى تحتفل بمولده البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها فى شهر ربيع الأول من كل عام هجرى ، ولقد كان من حظ الجمهورية العربية أن تلقت باليمين نور ذلك النبى وهداية ذلك الرسول ، تلقته الجمهورية العربية باليمين ، واحتضنته ، واحتفظت بمنابعه : - كتاب الله وسنة رسوله ، ثم انفردت بحمله والاحتفاظ بتراثه ومعانيه وأحكامه وحكمه ، انفردت بحمله فى أزهرها بعد أن صبت فيه جميع أنهاره وجداوله التى انسابت من أماكنه الأولى ، وكانت الجمهورية العربية بذلك حقا هى الوارث البار للتركة الخالدة . وكان الأزهر خادمها الأمين ، وحارسها القوى ، حتى لفت أنظار العالم الإسلامى إليها ، بل العالم كله ، وبه اتخذها المسلمون فى جميع بقاع الأرض كعبة ثانية يحجون إليها فى كل حين ، ويغترفون من منهله العذب ما يضىء لهم طرق الحياة ، ويسعدهم فى الدنيا والآخرة ، وكان مصداق ذلك كله قوله تعالى : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» .

وقد تكاملت فى هذا الأزهر - وفى هذا العام - مواد الهداية والإرشاد ، والبناء والتعمير ، وأصبح المسلمون به فى جميع بقاع الأرض يلتفون حول مائدة واحدة ، هى مائدة العلم بكتاب الله وسنة رسوله ، مائدة البحث ومعرفة أسرار ذلك النور الإلهى الكريم .

أيها المسلمون : استقبلوا ذكرى ميلاد الرسول بالعلم والعمل ، وما كانت حياة الرسول إلا عملا متواصلا لخلق العزة والكرامة فى نفوس المؤمنين ، وخلق البر والإحسان بالفقراء والمساكين .

والسلام عليك يا رسول الله .

محمود شلتوت

من المقارنة بين اللغات
الجملة الإسمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

الجملة فى اللغات الأوربية اسمية ، يتقدم فيها الفاعل على الفعل ، ولا يتقدم الفعل فيها إلا شذوذاً فى حالات قليلة جداً أهمها حالة الدلالة على المفاجأة ووقوع الفعل على غير انتظار ، فإذا تقدم الفعل لمثل هذا السبب فهم لا يجعلون ذلك قسما معدوداً من أقسام التراكيب اللفظية ، أى إنهم لا يقسمون الجملة إلى اسمية وفعلية من أجل ذلك ، ولكنهم يحسبونه عارضا من عوارض القلب Inversion التى يحدث فيها أن يتقدم الفعل على الفاعل كما يتقدم حرف الجر أو الظرف أو الصفة ، لمناسبة يقتضيها التعبير .

وبعض الغربيين من أصحاب نزعة التصوف والتحليل النفسانى الحديث يردون تأخير الفاعل فى لغتنا إلى نوع من « القدرية » الشرقية التى تحيل كل شىء إلى الغيب ، ومنهم من يقول إن الاختلاف بين الأوربيين وأبناء اللغة العربية فى مسألة الجملة الاسمية إنما هو اختلاف فى درجة الشعور « بالثبوت » للشخصية الإنسانية ، فإن « ثبوت » هذه الشخصية ملازم للتفكير الأوربى ولكنه ضعيف عند الشرقيين يسرى ضعفه من الفكر إلى اللسان كما يظهر من غلبة الجملة الاسمية على ألسنة الأوربيين وغلبة الجملة الفعلية على ألسنة الناطقين بالضاد .

وقد سمعنا هذا الرأى الأخير من مستشرق معروف بالقاهرة يميل إلى التصوف ويكتب فى موضوعاته .

ولا يخفى أن هذا الاختلاف بين لغة الضاد واللغات الأوربية له دلالته التى لا ريب فيها ، ولا يمكن أن يحدث لغير سبب يقبل التعليل كما تقبله جميع الظواهر اللغوية ، على حسب نصيبها من الجلاء أو الغموض فى مراحلها التاريخية .

إلا أن التعليل الذى يرتضونه لهذا الاختلاف غير مقنع ، وقد يكون مناقضا للواقع عند التأمل فيه من بعض نواحيه .

وأول مواضع الخطأ فيه أن القول بتغليب الفاعل على الفعل فى اللغات الأوربية غير صحيح ، فإن مكان الفعل فى تلك اللغات أثبت من مكانه فى لغة الضاد ، ويجوز أن يخلو مكان الفعل الظاهر من الجملة العربية وتفيد معنـــاها المستقل مع تقديره أو تقدير ما ينوب عنه ، فيجوز مثلا أن يقال

(رجل فى الدار) ويفهم منها ما يفهم من قولهم باللغات الأوربية (رجل يوجد فى الدار) أو ما يفهم من قولنا بلغتنا العربية (رجل موجود فى الدار).

بل يجوز أن نفهم من الجار والمجرور بلغتنا ما يفهم من معنى الصفة حيث نقول: «رجل: فى الدار خير من ألف رجل فى الطريق».

ولكن الأوربيين لا تتم عندهم الجملة على وضع من هذه الأوضاع بغير الفعل الظاهر، فإذا وردت فى كلامهم فقرة من جار ومجرور لا يصحبهما فعل ظاهر أطلقوا عليها اسم «العبارة» Phrase تمييزاً لها من «الجملة» Sentence التى اشتقت عندهم أصلا من مادة الفهم أو مادة الإدراك... فكل كلام خلا من الفعل الظاهر عندهم فهو لفظ غير مفهوم.

فغير صحيح إذن أن اهتمام الأوربيين بالفعل دون الفاعل أضعف من اهتمام الشرقيين أو اهتمام الناطقين بالضاد.

وشبيه بهذا إن الصفة عندهم متقدمة على الاسم الموصوف؛ ولا يخفى إن الصفة تشبه الفعل على وجه من الوجوه، وهو وجه الإخبار عن الاسم الموصوف.

فالعربى يقول «كلام جميل» أو «فضل عظيم» فيلحق الصفة بالموصوف، ويجعل عنايته بالاسم مقدمة على عنايته بالإخبار عنه، ولكن الأوربى يعكس وضع الكلمتين على نحو لا يسيغه العربى، ولو لجأ فيه إلى التأويل والتقدير.

ويجب أن نذكر أن الفاعل لا يكون دائما «شخصية إنسانية» يدل تقديمها على ظاهرة «الثبوت» لهذه الشخصية، بل يتفق كثيراً أن يكون الفاعل جماداً أو نباتا أو معنى من معانى التى يضعها العقل العربى بموضعها الصحيح من الإدراك ومن الإعراب.

فالقول فى الذهن العربى هو اسم يقابل الفعل المسبوق بعلامة المصدر، ومن هنا يتساوى «القول» و «أن نقول» فى الإدراك الصحيح.

وإذا جاء الأوربى فقال بلغته مثلا: «إن القول يناسب المقام» فليس هنا ظاهرة من ظواهر الثبوت للاسم، لأن الاسم المصدرى فى حقيقته بديل من الفعل مسبوقا بالعلامة المصدرية.

وكذلك قوله: «الماء عذب، والهواء طلق، والنور ساطع» وغير ذلك من قبيله حين يكون الفاعل غير إنسان، فهذه كلها أسماء لا يدل تقديمها على توكيد ظاهرة «الثبوت» للشخصية الإنسانية، ولا فرق فيه بين «القدرية» الشرقية وبين «الواقعية» الأوربية بالنسبة إلى الفاعل الظاهر أو الفاعل المستور.

وقد نسى أصحاب التعليلات التى قدمناها أن اللغات الهندية الجرمانية تتكلم بها أمم كثيرة مختلفة الأمزجة والأفكار، من أقصى حدود الهند إلى أقصى حدود القارتين الأمريكيتين، فليست تراكيبها اللفظية دليلا صالحا لتعليل الاختلاف بالعقول والأفهام أو بقواعد النحو والبلاغة.

وليست التعليلات التى أشرنا إليها بصالحة إذن — لتفسير الاختلاف بين هذه اللغات وبين لغتنا العربية، ولا بد من علة أخرى تفسر هذا الاختلاف ويوافق تفسيرها الواقع على نحو أقرب إلى الإقناع.

هذه العلة الأخرى بسيطة سهلة على الذهن، وإن تكن من جانب الأوربيين عسيرة على العصبية القومية.

علة هذا الاختلاف أن اللغة العربية أرقى وأكمل من اللغات الأوربية، وأن اللغات الأوربية انتقلت من أطوارها الأولى إلى أطوارها التى ازدهرت فيها قبل أن «تتنوع» فيها أوضاع الكلمات والجمل على حسب موضوعات التفكير والإدراك.

ويغنينا عن الإطالة فى هذا الباب أن نذكر أن الجملة الاسمية موجودة فى اللغة العربية وليست مع وجودها قليلة الاستعمال فى مواضعها، فليس تقديم الفعل على الفاعل فيها عجزاً عن التركيب الذى يتقدم فيه الفاعل على الفعل، ولكنه تقسيم للكلام على حسب مواضعه، وتصحيح لموقع الفعل وموقع الفاعل من إرادة المتكلم وفهم السامع.

ومتى ثبت لنا الفرق بين موقع الفعل والفاعل فى الجملتين الاسمية والفعلية فالاكتفاء بالجملة الاسمية كما تقع فى كلام الأوربيين نقص منتقد وليس بالمزية التى تدل على الكمال والارتقاء.

وليس فى وسع من يفهم مواقع الكلم أن يجهل الفارق بين قولنا «محمد حضر» وقولنا «حضر محمد».

فإننا نقول «محمد حضر» إذا كنا ننتظر خبراً عن محمد أو عن حضوره على الخصوص؛ ولكننا نقول «حضر محمد» لمن يسمع خبراً من الأخبار على إطلاقه ولا يلزم أن يكون الخبر عن محمد ولا عن الحضور، بل لعل السامع كان ينتظر كلاما عن حسن وعن على كما ينتظره عن محمد، أو لعله خبر سفر وليس بخبر حضور منتظر أو غير منتظر.

وأوسع من ذلك فى وسائل التفرقة أن اللغة العربية تسمح بابتداء الجملة بحرف الجر وتؤدى بذلك معنى تحسبه الأجرومية الأوربية مجرداً من الكلام المفيد.

فإذا قال العربى: «فى الدار رجل» فهو كلام مفيد، وتقديم الجار والمجرور فيه

(البقية على الصفحة التالية)

كان مولد محمد مولد عالم جديد

للأستاذ حسن عباس زكى
وزير الاقتصاد والخزانه

لم تعرف الحقيقة الروحية ميلادها على هذه الأرض إلا منذ أربعة عشر قرنا . . . . في ميلاد محمد . . . . ولم تدرك غايتها عن الوجود إلا في وجوده .

كانت الأرض قبله في ظلام يلفها من أقطارها ، كانت مرتعا خصبا للأوهام والأباطيل ، ومنذ بدأ هذا النور بزحفه على ذلك الظلام ، أشرقت الحقيقة ، وأخذت شمسها تصعد إلى سماء المعرفة ، فتجلت مظاهرها في كل شيء واضحة جلية ملموسة ، وتحركت في النفوس أشواقها ، ونفضت عنها تراب اليأس ، وأغلال الجهل ، وانطلقت إلى ينبوع الحكمة ، لتعب من أسرارها ، ولتنهل من أحلامها ، والمستعين بها على كشف الغطاء عن عيونها

[*] نص المحاضرة التي ألقاها السيد الأستاذ حسن عباس زكى وزير الاقتصاد والخزانة في الاحتفال بالمولد النبوى الشريف .

بقية المنشور من مقال الأستاذ العقاد

مقصود لأنه يشتمل على تنبيه لا يؤديه هذا الأداء قول القائل « رجل في الدار » .

أما هذه العبارة بعينها باللغات الأوربية فهي لفظ غير مفيد Phrase سواء تقدم حرف الجر أو كان التقديم للرجل أو للدار في تركيب من التراكيب كقول القائل « الدار فيها رجل » أو الدار رجل فيها ... وهو تركيب سائغ عند الغربيين .

* * *

وبعد : فهذه مزية من المزايا التي تكشف عنها المقابلة بين لغة الضاد واللغات الأجنبية ، وهي مزية من مزايا كثيرة في الألفاظ وفي التراكيب ، تستحق التنبيه إليها في زمان يكثر فيه من يتحدثون من العرب أنفسهم عن اللغات التي تصلح أو لا تصلح للتعبير السليم أو الفصيح في أبواب العلوم والآداب .

عباس محمود العقاد

كانت الأرض تائهة فى فضاء اللانهاية ، وكان أهلها يحسون ، رغم وطأة الظلام الذى ران على قلوبهم ، أنهم فى حاجة ملحة إلى النور الذى ينقذهم . . . إلى الحادى الذى يرشدهم . . . إلى المعلم الذى يقودهم .ويهب لهم من نفسه المعرفة ، ومن قلبه الرحمة .

كان ظلام المادة يحجب عن الإنسانية طريق الروح ، ولكن كان هناك بصيص من النور ، يبزغ حينا ، وينطفىء حينا ، يشير إلى هذا الطريق ولم يهتد إليه الناس ، حتى أطل الصباح على الأرض ، وصاح البشير بالبشرى . . . هذا ميلاد حقيقتكم التى فقدتموها ، سوف تجدونها .

لقد ولد محمد ، وولد تاريخكم من جديد .

إنه تاريخ التطور البشرى ، وسبيل الحياة الوارفة الآمنة . إنه مولد العقيدة التى استلت من القلوب . . . والإيمان الذى سلب من الأفئدة .

ليس للإنسانية بعد اليوم أن تحيا بلا غاية . وليس لها أن تعيش فى يأس . هذه النظم المتداعية ستجد سبيلها إلى الإصلاح ، وهذه الثقة المفقودة ، ستأخذ سبيلها إلى الاستقرار.

لن تعيش الإنسانية بعد اليوم بين شق رحى من الظلم والاستغلال .

لن يكون النهم والطمع حظر الأقوياء ، ولن تكون الفاقة والحسرة نصيب الضعفاء .

هذا نداء البشير يوم مولد محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وسط ذلك الاضطراب السياسى ، والاستغلال الاقتصادى ، والظلم الاجتماعى ، حيث كانت النفوس تجيش بالثورة ، والقلوب تغلى بالصراع ، والأمانى تتجاوب فى الجوانح تجأر بشكوى الحال ، وتتمنى تغييرا ينقذها مما هى فيه .

فأذن الله بهذا الميلاد الكريم للإنسانية أن تخرج من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ضلال الرأى إلى هداية القلب ، ومن إسار الاستغلال والاستعباد إلى رحاب الحرية ، ومن مهاوى البطالة والكسل إلى مجال العمل والجد والتنافس ، ومن هيمنة الأوهام إلى سيطرة المنطق والعقل ، ومن التفاوت فى الألقاب والأوضاع إلى الأخوة والمساواة .

وشاء الله لهذا الوليد أن ينمو ، وأن يتحدث العرب عن سمو خلقه ، وعن تفرده بالعقل والتفكير ، وعن حبه للعدل والمساواة ، وعن عمله وأمانته ، وعفة نفسه

ولكن هذا الشاب وهو فى ريعان شبابه وقوة فتوته يعتزل الناس ، ويتخذ من الغار محرابا يقيم فيه . فما شأنه ؟ وما الخطب الجلل الذى ينتظره ؟ . .

لهذا قضى فى هذه العزلة خمسة عشر عاما ، يتصل بالملكوت الأعلى ، يستلهم منه قضية الإنسانية ، ووسائل إسعادها حتى آتاه الله

الحكمة وفصل الخطاب ، وأنزل عليه قانونا جامعاً فى كتاب محكم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجعل بعثته إلى الناس كافة كما جعل حياته وأعماله وأقواله مثلا يحتذى ، وتفسيراً لمواد القانون العامة ... فتجمع بذلك للإنسانية أكبر موسوعة تحوى أعظم التشريعات . مقدرة حاجات الإنسانية فى ترقيها وتطورها .. لأنها من وضع خالق الكون ، ومانحه الجلال والجمال ، المحيط بما يصلحه من نظم وماطبع عليه من أحاسيس ومشاعر .

وعلى هدى ما فى هذا القانون من المبادئ والتعاليم ، أقام المسلمون دولة ممتدة الأطراف وأسرع الناس من كل صوب يحتمون بهذه المبادئ ، ويعملون بهذه التعاليم ، وانتشر هذا الدين وهذه المبادئ والتعاليم انتشاراً كان معجزة التاريخ . . ذلك لأن فيه توفيقا بين الدين والدنيا . بلغ به المسلمون ذروة لم يسبق إليها دين ، وخطوا به نظاما لم يصل إليه بعده أى نظام ... غايته تربية العقيدة خالصة لوجه الله ، لا ابتغاء جاه ، ولا طمعا فى مال . ولا طلباً لسلطان أو ملك ، وإنما الغاية نصرة الحق وتقويم الأخلاق وتنظيم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان لتتحقق السعادة لبنى الإنسان على أسس من الشورى والأخوة والمساواة .. ولتتسع قاعدة السلام والحرية ، وتتهيأ فرص التكافؤ والعمل فى شتى مجالات الحياة ... وأخذ المسلمون بذلك مكان القيادة فى الوجود . وما أن اختلفت بهم الأهواء ، حتى تقسموا فرقا ودولا .. وسلط عليهم الأعداء ، فأصابهم الوهن والخوف ، وران عليهم الضلال ، وضربت عليهم الذلة ، وشاع فيهم التخاذل ، وتكونت الأقليات المستقلة ، ورسفت الغالبية فى قيود الفقر والمرض والجهل . وسامهم الخسف من كانوا أقل منهم علما ومالا وعدداً .

ولا خلاص لهم من هذا إلا بالرجوع إلى تاريخهم يستوحونه ، وإلى مبادئهم يستلهمون منها القوة ، وإلى شريعتهم يقتبسون منها النظام ، وإلى عقيدتهم يتخذون منها نبراسا تستضىء به جوانب نفوسهم وقلوبهم وعقولهم .

وهذه ذكرى مولد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فلنجعل من حفاوتنا بها أسوة لنا ، ولنختط من جهاده ما يؤكد كياننا ، ومن تعاليمه ما يعيننا على تنظيم بيئتنا وتطوير وجودنا ، وتنسيق الصلات بيننا ، لنحقق التكامل فى حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

إن التفاوت بيننا هو علتنا ، وما كان هذا

التفاوت إلا منذ انقطعنا عن تاريخنا وطبعنا ذوقنا ونظمنا بذوق غير نا ونظمهم، فانطمست شخصيتنا ، وخبت معانى العدل والكرامة فى نفوسنا ، وأصبحنا من حيرتنا كالسائر بين النور والظلام على دروب من الخداع والإبهام .

لقد نسينا أن من هنا بزغت شمس المدنية فغمرت أشعتها الوجود كله ، وفاتنا أن السحب التى حجبتها لا بد أن تنقشع ، ولا بد لهذه الشمس أن تسطع من جديد ، وأن يكون سطوعها ووهجها وسناها إلا من حيث أشرقت . . من هذه الأرض التى اهتزت بالعبقريات ، وازينت بالحكماء وشعت منها مشاعل النور والأمل ترسم سنن الأخلاق ، وتدفع المدنية والحضارة إلى مداها البعيد .

ولا بد أن تنحسر الغمرة عن موجة المادية الطاغية ، فتتألق الروحية وتأخذ الفضيلة مكانها ، ويحتل الحق موضعه . . . وها هو ذا نور اليقين قد بدا ، وصبح الإشراق قد آذن . . . فعلينا أن نحصن أنفسنا بهذه المبادىء حتى لا يستبدل الله بنا قوما يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . .

علينا أن نأخذ من هذه المبادىء ما تنمى به حياتنا الاقتصادية فنعمل على تداول المال حتى يزيد الإنتاج ، وعلى كل صاحب ثروة أو وظيفة أن يعلم أن لثروته أو وظيفته تكاليفها بالنسبة إلى غيره من أبناء المجتمع الذى يعيش فيه ، فيؤدى هذه التكاليف إلى مستحقيها . . .

إن فى الدستور الذى نزل على صاحب الذكرى الكريمة حلا لكل مشكل ، ومخرجا من كل مأزق ، وفرجا من كل أزمة ، فإذا استقمنا على نهجه وافينا غايتنا ، وانتهينا إلى وحدتنا ، ورسمنا للعالم طريق الخلاص مما يرسف فيه . . .

لقد حول هذا الدستور العالم من الجمود والضعف والأثرة ، إلى الحركة المتطورة ، والقوة الدافعة ، والإيثار الخير الكريم ، وجعل من حياة الفرد قبسا يستمد ضوءه من حياة الإنسانية كلها ، ورسم للنفوس التى استبد بها الهوى طريقا يردها إلى خالقها ، ذلك الطريق هو الوازع الدينى ، نروضه بالعبادة ، ونوقظه بالتذكير ، ونحرسه بالقانون ، حتى يكون دائما على اتصال بالملكوت الأعلى . . .

وسبيلنا إلى تطبيق ذلك أن نفهم هذا الدستور ، بروح العلم ، ونصوغ معانيه فى الأساليب الجديدة ، التى تتطلبها تطورات الزمن ، وتقدم عجلة الحياة ، وتشابك الأمم فى معاملاتها واتفاقياتها ، وارتباط بعضها ببعض مهما تباينت النظم ، واختلفت

الأوضاع ، ذلك لأنه لا سبيل إلى انفراد شخص بنفسه ، ولا سبيل إلى بقاء أمة بإمكانياتها ...

إننا فى هذه الذكرى أحوج ما نكون إلى منهاج صاحب الذكرى فى الحياة ، حتى تتلاقى عقولنا وقلوبنا ، فنستمد من قوة الله قوة لأنفسنا ، ومن قوة الإيمان وازعا لقلوبنا ، ومن قوة المعرفة قوة العلم ، ومن قوة المحبة قوة العمل لخير هذه الأمة ...

والعالم كله فى حاجة إلى مبادئ صاحب هذه الذكرى ، ليبنى عليها قاعدة السلام ، ويقيم ركائز المحبة ، ويقضى على المادية المقيتة التى لا تستهدف سوى الفناء والدمار ...

وهو فى حاجة إلى هذا التفكير ، ليتجنب الشهوات الصارخة ، ويتحاشى دعاوى التحلل ، وينجى عن بيئته الاستغلال بكافة صوره وألوانه .

ولن يتأتى للعالم ذلك إلا إذا آمن بالله وآمن بوحدة الإنسانية وبحق كل شعب فى الحياة الحرة الكريمة ، ليتيسر للإنسانية أن تبنى مستقبلها على أسس من العدالة والحرية والإخاء والمساواة ، تلك الفضائل التى تستمد أصولها من الإيجابية الروحية ، وتتسق مع الفطرة الإنسانية ، وتساير قواعد العلم الصحيح .

فالإسلام يعتبر الخارجين على حدوده هدامين لبناء المجتمع ، ولذا يطالب كل فرد بحراسة قوانينه ونظمه حماية لنفسه ، وحماية للمجتمع من حوله .

ومن هنا وجب على المجتمع أن يتعاون على إصلاح الفساد ومنع الضرر ، والضرب على أيدى العابثين والمستغلين ، ووجب على القائمين على شئون الأمة أن يسلكوا بأممهم المسالك التى تحقق العدالة والإخاء والمساواة ، وأن يسنوا القوانين اللازمة لذلك لتكون حارساً ومسيطراً على الاتجاهات المنحرفة حماية للدولة وللجماعات وللأفراد ، لتهيء بذلك التربة الصالحة والبيئة النظيفة ، فتنشأ الأجيال المتعاقبة متشبعة بالخصائص الإنسانية الكاملة ، وتسود بين أفرادها العلاقات الصالحة الطيبة .

فبهذه العلاقات تنمو الحياة الاقتصادية ، ويتوفر كل على إجادة العمل وكثرة الإنتاج فيه ، فيما يروى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قبل يدا ورمت فى العمل وقال « تلك يد يحبها الله ورسوله » وهو القائل « من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له » .

اشتراكية الإسلام :

ولقد شرح صلوات الله عليه معنى الاشتراكية شرحا لم تصل إليه النظريات المتعددة على كثرتها وتباينها . . . فى قوله : من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له .

وقال راوى الحديث فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا فى الفضل . والزيادة »

وهذه أسمى معانى الاشتراكية التى تكفل لكل فرد مطالب الحياة ، وتوجب على كل مستطيع أن يعين أخاه على الوصول إلى مطالبه بمقتضى التكافل والتضامن والأخوة التى أوجبها الإسلام بما جعل له من حق فيما فضل عن مطالب صاحبه ، لا منة لأحد فى ذلك ، ولا هو من باب الاستجداء .

واشتراكية الإسلام هذه تحارب الاحتكار بكل أنواعه ؛ لأن فيه استغلالا لفضل الأموال غير المشروع ، كما تحارب الربا لأنه استغلال بشع لحاجة الناس ، وتحارب كل ما نهى عنه الدين لأن المال الذى ينفق فيه زائد عن حاجة صاحبه ، وليس له أن يتصرف فيه ، وإنما الواجب عليه أن يسلمه لمستحقيه ...

وكذلك يحارب استغلال صاحب المصنع أو المتجر أو المزرعة أو الشركة للعامل الذى يعمل عنده ؛ لأنه بعمله يشارك صاحب المال فى الإنتاج ، فينبغى أن يعطى من الأجر ما يكفل له ولأسرته مطالب الحياة ...

واشتراكية الإسلام تدرك حاجة الأمة إلى المال ، فتحث الشعب على الادخار والاستثمار وتمنع كنز المال وحبسه : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » . وتدرك أن المال عصب الحياة الاجتماعية وقوامها ، وعلى قدر ما تنمو الحياة الاقتصادية فى الدولة يكون ثراؤها وتوفير أسباب الخدمات والرفاهية لأبنائها ... وهى لا تغفل الدوافع النفسية لكل فرد فيها فتطالب الدولة بالعمل على توفير الحاجيات التى لا تقوم الإنسانية إلا بها . ولا تهدأ النفوس والقلوب ، ولا تتهذب الأرواح ، ولا يقضى على الشر إلا بتنظيمها .

ومن هنا كان على الدولة أن تتخذ الوسائل لتمكين كل فرد من الحصول على عمل يحفظ به كرامته ، ويحقق للعقل والجسم والخلق مجال تحسين الإنتاج ، حتى لا تتبدد ثروة الأمة وتضيع بدل أن تزيد وتنمو .

والاشتراكية الإسلامية تربط السياسة الاقتصادية بالسياسة العلميــة والثقافية والاجتماعية والخلقية ، حتى تتفاعل هذه السياسات كلها ، فيتولد عنها الرخاء الذى يقضى على أسباب الفساد والجرائم .

وهذه الاشتراكية تتطلب من كل فرد أن يوازن بين موارده ومصارفه ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بالاعتدال فى الإنفاق دون إسراف أو تقتير :

« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

تكافؤ الفرص في رسالة الإسلام

للأستاذ الدكتور محمد البهي

معنى تكافؤ الفرص أن تكون مجالات الحياة متاحة لأفراد المجتمع على السواء . ومعنى تحقيق هذا التكافؤ هو أن تزال العوائق والحواجز التي تفرق بين الأفراد في المجتمع الواحد ، فتوصد الفرص أمام البعض وتيسر للبعض الآخر . هذه العوائق والحواجز التي هي وراء نشاط الأفراد الإنساني ، ووراء إمكانياتهم وطاقاتهم وكفاياتهم كبشر ، والتي ترجع إلى فصل القوة في أي جانب من جوانبها التي سادت يوما ما ، وكذا إلى أثر السلطان الذي مارسه أصحابه في إقامة التفرقة بين الأفراد في المجتمع

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وهي تبرز معاني المروءة فتحض على السخاء والبذل في سبيل الله ، وتوجب إقامة المؤسسات العامة التي تعود بالنفع على المجتمع صحيا وتعليميا ، وفتح أبواب العمل للقضاء على البطالة والتعطل .

وهي فوق ذلك كله تحتم على المسلمين أن يلتمسوا العمل الحلال ، والكسب بالطرق المشروعة .

وهي تعد الثروة في أيدي أصحابها ذات وظيفة اجتماعية من حق الأمة كلها أن تستفيد منها ، ومن حق الدولة أن توجهها للصالح العام ، كما أن من حقها أن تتخذ الوسائل التي تكفل التوازن الاقتصادي والاجتماعي بين أفراد الأمة وطوائفها ، حتى تهيئ للطبقة الكادحة الحياة الهنيئة والعيش الكريم .

إن هذه الذكرى الحبيبة لتشيع في أنفسنا العز والفخر بهذه المبادئ الجليلة التي جاء بها محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ليختط للإنسانية حياة عزيزة كريمة ، ويرسم لها طريق الفوز والنجاة .

وما أحوجنا نحن المسلمين إلى الاعتزاز بهذه الذكرى لنترسم خطاه . . . ولنا في رسول الله أسوة حسنة .

حسن عباس زكي
وزير الاقتصاد والخزانة

الواحد ، على أن يمكن للبعض ولا يمكن للبعض الآخر فى مزاولة وجه من أوجه نشاط الحياة الفردية أو الاجتماعية .

تكافؤ الفرص لا يخرج عن معنى العدل الاجتماعى ، وتحقيقه هو تحقيق العدل نفسه والمجتمع البشرى — منذ أن عرف له تاريخ تسوده هذه العدالة ، وبالتالى يتحقق فيه تكافؤ الفرص ، حينا ، ويختفى فيه أحيانا أو قرونا ، ذاك لأن الصراع بين القوة المادية والقوة المعنوية صراع غير متكافئ الطرفين ؛ فالقوة المادية كما تتمثل فى المال والملك ووسائل الغلب المادية ، تتمثل فى جاه الشرف وعراقة الأسرة .

أما القوة المعنوية فيصورها إدراك الإنسان للحياة الإنسانية وأنها حياة مشتركة يجب أن يسود فيها الاستقرار ويتحكم فى توجيهها منطق العقل ، دون قوة السواعد أو دون السيف والمدفع ، ودون القتل والسفك ، ودون التزاحم والاحتكاك . ومنطق العقل الخالص الذى لا يتأثر بالهوى والغرض هو منطق المحبة والأخوة فى البشرية ، ومنطق العدالة الاجتماعية فى المجتمع . وقلما يكون فهم الناس لهدف الحياة الإنسانية وقيمها فى منزلة تأثرهم بمظاهر القوة المادية الفاتنة . ولذا كانت دائرة القوة المادية أوسع نطاقا وأبعد عمقا فى حياة الإنسان من دائرة القوة المعنوية .

ومن أجل ذلك كان الصراع بين القوتين صراعا غير متكافئ ، وكانت من أجل ذلك أيضا سيادة القوة المعنوية أقصر من العهد أو العهود التى تملى فيها القوة المادية الرأى والتوجيه فى حياة المجتمع .

ولا تأتى السيادة المعنوية - وهى سيادة القيم الإنسانية فى المجتمع وفى مقدمتها العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص - إلا على أثر تحطيم الحواجز والعقبات التى اصطنعتها السيادة المادية ، وهى سيادة المال والملك ، وجاه الشرف . وكلما كانت هذه الحواجز والعقبات قوية فى أثرها وممتدة فى تغلغلها فى المجتمع ، كلما كانت رسالة إعادة الوضع الإنسانى ، ورسالة العدالة الاجتماعية وتحقيق تكافؤ الفرص شاقة ، وكلما احتاج الداعى إلى هذه الرسالة إلى إيمان وجلد وتحمل فى سبيلها .

ولقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم هى دعوة لإعادة الوضع الإنسانى فى المجتمع البشرى ، ودعوة لإعادة تقويم القيم الإنسانية على أساس من الأهداف الحقيقية للإنسان فى حياته الفردية وفى حياته فى أمته ومجتمعه . وقد كانت الحواجز والعقبات التى فرقت المجتمع البشرى إذ ذاك قوية فى رسوخها وممتدة فى تغلغلها وبعيدة الزمن فى تاريخ قيامها . حتى أصبح الإنسان

نفسه من ملك الإنسان ومتعته ، وأصبح يباع ويشترى بثمن يساوم عليه تبعا لقدرته على العمل أو تبعا لمهارته ، أو تبعا لمنظره ولون بشرته . وأصبح سوق الرقيق تجارة رابحة وأصبح المجتمع يتذوق هذه التجارة كما يتذوق ملك الرقيق نفسه . وبذلك لم يعد الإنسان مساويا للإنسان فى طبيعته البشرية وفى ممارسته لخصائص هذه الطبيعة .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان هناك جاه الشرف والملك ، كان هناك جاه الإمبراطوريات الرومانية والفارسية خارج شبه الجزيرة العربية ، وجاه القبائل العربية داخل شبه الجزيرة ، وما لهذا الجاه من أثر استبدادى فى القيادة ، وظلم اجتماعى كون فى المجتمع البشرى حاجز الطبقية ، فأتيحت فرصة الحياة لفريق من الأفراد ولم تتح لفريق آخر منهم : أتيحت فرصة حياة الترف والعبث لفريق ، على حساب الكرامة والحرية البشرية لفريق آخر .

وبالإضافة إلى هذين الجانبين فى المجتمع البشرى - وقت دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام - كان هناك جانب ثالث ، لعله أعمق الجوانب الثلاثة أثرا فى حياة المجتمع إذ ذاك وهو جانب العقيدة ، ومن يمارس دفع الناس إلى الاعتقاد ، كان هناك الشرك فى العقيدة ، وكان هناك الكهان فى دفع الناس إلى الاعتقاد ، أما الشرك فقد ربط الناس بالمحسوس وحجبهم عن إدراك القيم الإنسانية وعن تطبيقها بعد ذلك فى الحياة ، وأما الكهان فقد أقاموا من أنفسهم طبقة لها الوصايا وبيدها الشفاعة والغفران ومحو الذنوب ، ومن رسالتها الإخبار بالمستقبل ، كما تدعى لنفسها من خصوصية الاطلاع على الغيب ، وبذلك حجبوا الناس عن الكشف والاستطلاع بذواتهم ، وبما أعدوا به من عقل ووسائل الملاحظة والتجربة واحتكروا المعرفة ، ولم تكن معرفتهم يومذاك إلا مجموعة من الخرافة تحمل على التشاؤم كثيراً ولا تدع مجالا للتفاؤل إلا فى القليل من الحالات والأوضاع ، ولهذا الاحتكار لمعرفة المستقبل كان من ألقابهم « العرافون » .

ولقوة الحواجز والعقبات فى المجتمع البشرى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا بد له فى نجاح رسالته من قوة الإيمان وقوة التحمل والجلد ، وقد كان عليه السلام مثل المؤمن الكامل برسالته ومثل المتحمل الأول فى الدعوة إليها .

أما رسالته فقد كان يجب أن تكون لتحطيم هذه الحواجز وإزالة تلك العقبات فى المجتمع البشرى ، وهى الحواجز التى اصطنعتها العقيدة القائمة ، وجاه الشرف ، فى ذاك الوقت وسلطة المال والملك التى طغت حتى استرقت الإنسان واستعبدته ، وقد كانت رسالة لهذه الغاية .

فهى رسالة تحرير ، أو بالأحرى هى رسالة إعادة الوضع الإنسانى على أساس من القيم الإنسانية ، أو رسالة عدالة اجتماعية ، أو رسالة تحقيق تكافؤ الفرص للأفراد جميعا فى المجتمع البشرى :

فأولا :

فى دائرة العقيدة دعا الرسول عليه السلام إلى عبادة غير المحسوس الذى لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وبذلك رفع العبادة من الارتباط بالمادى المشاهد إلى القيم والمثل ، تلك القيم والمثل التى تتمثل فى صفات الله جل شأنه من العدل ، والرحمة ، والقوة والغنى ، والخلق ، والحياة ، والعلم ... إلى آخر تلك الصفات التى له جل شأنه .

وعن طريق هذه الدعوة لم يعد هناك مجال للتقرب إلى الله سوى أن يحاكى الإنسان المؤمن به هذه الصفات فيه ويتمثلها فى نفسه هو ويطبقها فى عمله . فيتقرب إليه بتمثل العدل وتطبيقه ، وبفهم الرحمة وممارستها ، وبالإعداد القوى والمواظبة عليه ، وبدفع الحاجة والسعى إلى الاكتفاء الذاتى ، وبالإيجابية والتفوق ، وبالحرص على الحياة الكريمة وعدم قبول الاستذلال فيها — لأن قبول الذل فى الحياة قبول للفناء فى صورة أخرى له — وبالكشف والاستطلاع وتحصيل المعرفة ... وهكذا يتخذ المؤمن من كل صفة لله مثالا أعلى يسعى نحوه ، ويتقرب منه فى حياته الإنسانية التى يحياها لنفسه وفى مجتمعه .

وبرفع الإنسان العبادة إلى الله مباشرة لم يعد هناك فى الإسلام كهان ، ولا كهانة ، ولم تعد هناك شفاعة ولا وساطة بالمعنى الذى يحيل عبادة الله إلى عبادة أرضية محضة : يقول الله تعالى لرسوله الكريم : « قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ، وبذلك حدد وظيفة الرسول ، ونفى عنه ما كان يحترف به الكهان وما تكونت بسببه الكهانة .

ويقول فى موضع آخر : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع » . وبهذا أيضاً نفى الشفاعة والوساطة فى صلة الإنسان بالله . كما نفاها نفياً واضحاً فى قوله تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » ، ثم أكد المسئولية الفردية بعد ذلك فى قوله : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة

وزر أخرى » . وبهذا كله أبعد الرسول عليه الصلاة والسلام — مع سمو منزلته فى المستوى الإنسانى الخالص ومع قربه من الله جل شأنه — من أن يكون عرافا يتحدث عن الغيب والمستقبل ، ولا وسيطاً يقرب من يشاء ويبعد من يشاء ، ولا بيده محو الذنوب أو غفرانها ، إن هو إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ، وإن كل نفس إلا مسئولة مسئولية فردية عما تعتقد ، أو تفعل وتتصرف .

وبذلك كله قوض الإسلام الطبقية فى دائرة العقيدة وأعاد الوضع الإنسانى للمجتمع فى هذه الدائرة ، وهى المساواة فى السعى نحو الله والتقرب منه . وبذلك أيضا حقق تكافؤ فى هذا الجانب ، وأصبحت القربى إلى الله مرهوبة بمدى سعى الإنسان نحوه ، وبمدى تحقيقه لرسالته ، التى هى فى واقع الأمر صفاته جل شأنه ، والتى عبر عنها قرآنه الكريم . وأصبح التقويم للأفراد مرتبطاً فقط بتحقيق معنى هذه الصفات فى سلوك الإنسان وتوجيهه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وثانياً —

فى دائرة جاه الشرف دعا الإسلام إلى إزالة حاجز الطبقية الذى اصطنعه هذا اللون من الجاه . فذكر أولا أن الناس جميعا من أصل واحد ومصدر واحد : « وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » . وبذلك أبعد ما استقر فى الأذهان — من طول استبداد جاه المال والشرف — إن الطبائع البشرية تختلف فى أصلها ، فمن بينها سائدة وأخرى مسودة . وبهذا أيضا وضع جميع الأفراد وضعا متساويا ، وحقق لهم فيما بينهم تكافؤ الفرص ، والذى يتفوق منهم بعد ذلك هو الذى يتفوق بحسب بعمله وباستخدام طاقاته البشرية وتنميتها . والطاقات البشرية لا تستخدم ولا تنمى إلا فى طريق إنسانى ولغاية بشرية خالصة . أما الشرف نفسه فلا اعتبار له فى هذا التقويم وفى المفاضلة بين إنسان وإنسان (لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى) .

وبجانب نص القرآن هنا فى هذه الآية على المساواة فى الطبيعة البشرية لجميع الأفراد ، نرى الرسول بعد ذلك يقول : (إخوانكم خولكم) فيؤكد الأخوة البشرية بين صاحب الجاه فى الشرف وخادمه ، ويطلب معاملة كل منهما الآخر على هذا الأساس . ولا يسعه المعاملة المادية وحدها ، وإنما قبلها الشعور النفسى الذى يجب أن يكون فى نفس صاحب الجاه وهو شعور الاحترام والاعتبار وعدم الإهدار لآدمية خادمه .

أما فى دائرة جاه المال والملك فقد دعا الإسلام إلى التحرر من استغلال الملكية الفردية للأفراد أو للأقوام والشعوب. فحرم الربا كمصدر أصيل لإذلال صاحب الحاجة.

ثم عمل على تخليص الإنسان المملوك وإعادة الحرية والكرامة الإنسانية إليه: عمل على تخليصه برصد نصيب معين من الزكاة المفروضة الواجبة: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله، والله عليم حكيم».

عمل على تخليصه بحمل الخيرين من ذوى اليسار على شراء المملوك وعتقه، أو بتوجيه من وقع منه خطأ سلوكى أو نفسى إلى أن يكون العتق هو كفارة ما ارتكب من خطأ:

«والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة، من قبل أن يتماسا».

«لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان: فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة ...».

وأخيراً - فى جانب عدم طغيان المال على حرية الأفراد وكرامتهم - فرض الزكاة وحدد الأنصبة فى الإرث بما يجعل من المال جاها ولكن لا يجعل منه احتكارا لحياة الآخرين، بما يجعل من إنفاقه قربى إلى الله دون أن يكون تحصيله وسيلة لرق الأعناق والنفوس: «الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

والإسلام بعد هذا كله ليس رسالة للوقت الذى قامت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. إذ أنه رسالة لإعادة الوضع الإنسانى وتثبيت القيم الإنسانية فى الحياة الفردية والاجتماعية. وهو لذلك رسالة مع الإنسانية طوال قيامها: ولكن أشد الأوقات احتياجا إليه هو الوقت الذى يطلب فيه إزالة العوائق وتحطيم الحواجز فى المجتمع لتحقيق تكافؤ الفرص وسيادة العدالة الاجتماعية.

فإذا زالت العوائق وتكافأت الفرص كان نشاط المال، ونشاط التفكير، ونشاط القلب والضمير مجالا للجميع. والسابق من الأفراد بعد ذلك هو المتفوق بذاته، وليس بشرفه الأصيل، أو جاهه الماضى، أو ماله الموروث. وبقاء الإسلام عندئذ والحاجة إليه لضمان عدم الانتكاس والرجوع إلى إقامة الحواجز من جديد، فهو علاج ووقاية معا.

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ٨ —

« قال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عُليّة عن ابن عون ، عن الحسن ، أن ناسا سألوا عبد الله بن عمرو بمصر ، فقالوا : نرى أشياء من كتاب الله عز وجل ، أمر أن يُعمَل بها ، لا يعمل بها ، فأردنا أن نلق أمير المؤمنين فى ذلك ، فقدم وقدموا معه ، فلقى عمر رضى الله عنه ، فقال : متى قدمت ؟ فقال : منذ كذا وكذا ، قال : أبإذن قدمت ؟ قال : فلا أدرى كيف رد عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن ناسا لقونى بمصر فقالوا : إنا نرى أشياء فى كتاب الله أمر أن يعمل بها فلا يعمل بها ، فأحبوا أن يلقوك فى ذلك ، قال : فاجمعهم لى ، قال : فجمعتهم له ، قال ابن عون أظنه قال فى بهو ، فأخذ أدناهم رجلا ، فقال : أنشدك بالله وبحق الإسلام عليك ، أقرأت القرآن كله ؟ قال : نعم ، قال : فهل أحصيته فى نفسك ؟ فقال : اللهم لا : قال : ولو قال نعم لخصمه ، قال : فهل أحصيته فى بصرك ؟ فهل أحصيته فى لفظك ؟ هل أحصيته فى أثرك ؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم ، فقال ثكلت عمر أمه ، أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله ؛ قد علم ربنا أن ستكون لنا سيآت ، قال : وتلا « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم » الآية ، ثم قال : هل علم أهل المدينة ، أو قال : هل علم أحد بما قدمتم ، قالوا : لا ، فقال لو علموا لوعظت بكم » .

أورد ابن كثير فى تفسيره هذه القصة ، عند قوله تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم » مروية عن ابن جرير بسنده المذكور ، وعلق عليها بقوله : إسناد صحيح ومتن حسن ، وإن كان من رواية الحسن عن عمر ، وفيها انقطاع ، إلا أن مثل هذا اشتهر فتكفى شهرته .

وهذه القصة جديرة بأن نعقد لها فصلا فى هذه النظرات ، فإنها تبين مذهب عمر رضى الله تعالى عنه فى جانب من جوانب السياسة الحكمية ، هدفه التيسير على المجتمع وعدم أخذه بسياسة التزمت والإرهاق ، وغرس الثقة فى أفراده بأنفسهم ، وعدم إقناطهم بإشعارهم أنهم خارجون على الجادة ، متنكبون سواء الصراط ، وفى هذه القصة لمحات عمرية ، تعتبر أسسا فى قواعد الحكم ، وسياسة الشعوب ، وتبين أن الإسلام ليس دينا مجافيا للواقع العملى ، متأبيا على إدراك ظروف الحياة .

١ — فأول ما يبدو من ذلك ، أن عبد الله

ابن عمرو بن العاص ـ وكان أبوه أمير مصر ـ اجتمع إليه جماعة من المصريين ، يمثلون نزعة دينية محافظة ، فيها كثير من التحرج وكثير من التزمت ، فهى تريد أن تراقب المجتمع فى سلوكه مراقبة دقيقة ، لتحمله على تطبيق كل شأن من شئون حياته على الدين وما جاء به الكتاب المبين ، لا فرق بين صغير من هذه الشئون أو كبير ، فإذا رأت المجتمع قد انحرف عن هذا التطبيق قيد أنملة ، هالها منه هذا الانحراف ، وآذنته بالويل والثبور وعظائم الأمور ، وظل أفرادها ومروجو فلسفتها منقبضين لهذا الانحراف ، يتميزون غيظا من هذا المجتمع ، أو حزنا عليه ، وقد ينتهى بهم الأمر إلى الحقد عليه والانكماش عنه ، نجاة بأنفسهم ، وترفعا بمثلهم العليا .

ومن يتتبع تاريخ عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، يدرك السر فى أن هذه الجماعة قد أنست إليه وآثرته بسرها ، والتمست فيه زعيما لدعوتها وقائدا لحملتها ، فقد كان عبد الله ابن عمرو رضى الله عنه يعتنق مذهبا شديد الحفاظ والتتبع لكل ما هو دين أو له صلة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه ليروى عنه إلزامه نفسه بأن يحب من الطعام والشراب واللباس ، ما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يتتبع المواضع التى كان يصلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المسجد أو غيره ، فيصلى فيها ، ويطيل السجود فى مواضع سجدات الرسول ، ملبيا بذلك ما كان يحمله من عاطفة الحب الكريم للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أشار العلماء إلى هذا الصنيع من عبد الله بن عمرو ، مبينين أن التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يكون فريضة محكمة ، أو سنة متبعة ، فى غير الأمور التى يفعلها الرسول بحكم عادته أو جبلته ، وأن مخالفة ما جاء بحكم العادة أو الجبلة ، لا يعد خروجا على السنة ، ولا مخالفة عن أمر الرسول ، ومع ذلك حمدوا لابن عمرو هذا الصنيع الذى يدل على التفانى فى حب الرسول ، ونظروا إليه على أنه خلق عاطفى فردى لاينبغى أن يحمل عليه جمهور الناس .

وجد هذا الفريق إذن عبد الله بن عمرو هو أصلح الناس لتقبل زعامة المحافظين ، ورفع لواء دعوتهم والسير بها إلى مركز الخلافة ، حيث يكاشفون بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكان جوهر هذه الدعوة ، أنهم راقبوا المجتمع ، فوجدوه لا يعمل بكل ما أمر الناس أن يعملوا به فى كتاب الله تعالى ، فكم من أشياء يأمر بأن تفعل ولا تفعل ، ولعلهم توسعوا فى معنى الأمر ، فأرادوا أيضا ، أن هناك أشياء ينهى القرآن عن فعلها وهى مع ذلك تفعل ، ويبدو من القصة ، أنهم إنما كانوا

يشكون من بعض الصغائر والهفوات التى لا تخلو عنها المجتمعات عادة، ولا يمكن أن يعتصم كل الأفراد عنها، ويتحرزوا من الوقوع فيها. وهذه الدعوة لها فى كل عصر قائمون بها، ومروجون لها، ولكنها قد تصدر فى بعض الأحيان عن إخلاص وحسن نية، ورغبة فى التقويم والتهذيب، ويغلب عليها حينئذ الهدوء والحكمة والدعوة بالموعظة الحسنة، وإسداء النصيحة إلى الأفراد والجماعات، فى أسلوب لا عنف فيه، ولا تعكير لصفو الأمن فى المجتمع: الأمن الحسى والأمن النفسى كليهما، وقد تخرج عن هذا النطاق فى كثير من الأحيان، فتكون دعوة معسولة براقة يراد من ورائها مغنم أو حظ فى الحكم، وعندئذ يكون لها ما لكلمة الحق يراد بها الباطل، ويكون لها أثر يتفاوت قوة وخطرا، بمقدار تفاوتها شدة ومراكز أصحابها شهرة ونفوذاً.

٢ — ذهب هذا الوفد إلى مركز الخلافة فما راع عمر أمير المؤمنين إلا أن وجد عبد الله ابن عمرو، ذلك الرجل الصالح، المعروف بتتبع آثار الرسول، يأتى على رأس هذا الوفد من المصريين، فسأله أسئلة تدل على ما كان يدور بنفسه تلقاء هذه المفاجأة، قال له: متى قدمت؟ فأجاب: قدمت منذ كذا وكذا. وإنما سأل عمر هذا السؤال لأنه فيما أعتقد كان يحس بالأمر الذى جاء فيه عبد الله بن عمرو، فأراد أن يعرف هل مضت مدة على هذا الوفد فى المدينة، يمكن أن تتسرب فيها إلى المجتمع المدنى أخباره وأخبار الأمر الذى جاء فيه، ثم سأله، أبإذن قدمت؟ وهو طبعا لا يقصد الإذن من أمير المؤمنين نفسه، لأنه يعلم أنه لم يأذن له فى هذا القدوم، ولكن أراد أن يعرف، هل أمير مصر وراء هذه الدعوة، ثم أفضى إليه عبد الله بن عمرو بالغاية التى قدم لها الوفد، وقدم هو على رأسه، ولم يشكر شيئا ولم يحاول أن يميل بالحقيقة عن وضعها الصحيح، ففهم عمر الأمر يقينا، بعد أن كان قد شعر به شعوراً، وهنا تتجلى موهبة عمر الحكمية، فإنه فصل عدة أشياء فى معالجة هذه الدعوة، ووأدها فى مهدها، قبل أن يستفحل خطرها، وينتشر فى الناس خبرها. أولها: أنه جمع الوفد كله فى بهو خاص، وكانت العادة أن يكون الاجتماع فى المسجد، وأن يخطب أمير المؤمنين خطبة عامة، ولكنه أراد أن يعالج هذا الموضوع فى سر وانقطاع عن الناس. ثانيها: أنه ناقشهم فيما جاءوا به مناقشة علنية بالأسلوب الذى يصلح لهم، لأنه أراد أن يستل هذه الفكرة من نفوسهم، فلا يكتفى بأن يريح المجتمع منها، حتى يريحهم منها هم أيضاً، وكان أسلوبه فى ذلك منطقيا، فإنه سأل كلا منهم أقرأ القرآن كله فأجابوه: نعم، ثم سأل كلا منهم هل أحصى كل ما جاء فيه، فى نفسه بأن

طبق جميع أوامره ونواهيه فى خاصة نفسه ؟ فكلهم أجاب : « لا » ، وإذن فهم معترفون فى هذه الإجابة ، بأن الإنسان معرض بحكم بشريته إلى الوقوع فى بعض الهفوات ، أو التقصير فى بعض المأمورات ، فلما تهيأوا لذلك قال لهم : ثكلت عمر أمه ، أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله ، قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات ، وتلا « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما » ، وبذلك انتهى فى محاجتهم إلى حد مس فيه شغاف قلوبهم ، وتركهم مقتنعين اقتناعا صحيحا ، بأنهم كانوا على خطأ حين طلبوا المحال ، بمحاولة إيجاد مجتمع مثالى لا تقع منه هفوة ما ، كأنه مجتمع من الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ثالثها : أنه سألهم هل علم أهل المدينة بما قدموا فيه ، قالوا : لا ، قال : لو علموا لوعظت بكم ، ومعنى هذا أنه أدرك من موقفهم حسن نيتهم ، وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا ، ابتغاء وجه الله ، لم يريدوا به شغبا ولا إحداث فتنة، ولا إرجافا بسوء ، وإذن فالخطأ فردى محصور فيهم ، وهم معذورون بحسب تفكيرهم ، فلا بأس من العفو عنهم ، أما لو كانوا قد أذاعوا الأمر فى الناس وأرجفوا به على أصحاب السلطة والحكم فيهم ، فإن النظرة إليهم كانت تتغير ، ويكون عليه أن يعاقبهم ليجعلهم مثلا للآخرين، فإن الجريمة إذا أعلنت وجب إعلان استنكارها بالعقوبة الرادعة تنزل بمقترفيها .

٣ — إن عمر رضى الله عنه قد بين أنه استخلص السياسة التى يجب أن يسير عليها أهل الحكم ، من كتاب الله عز وجل : وهى سياسة الترفق بالمجتمع ، والتماس المعذرة له إذا كان يخالط بعض الأخطاء ، ويقارف بعض السيئات الصغرى، مادام متجنبا الكبائر ، التى هى مواقف الإثم العظمى ، فإن هناك فرقا بين الآثام فى تقدير الله سبحانه وتعالى ، وميزان حسابه ، والكبائر هى التى تهز كيان المجتمع وتعرضه للانحلال ثم الفناء ، وهى كثيرة ، وقد ذكرت فى عشرات الأحاديث ، وفى الآيات الكثيرة المنبثة فى كتاب الله تعالى ، منها الإشراك بالله تعالى ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الأموال بالباطل ، وقرب مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ، وظلم النساء ، والزنا ، والربا ، والقمار ، وقذف المؤمنين والمؤمنات، وغير ذلك مما هو معلوم مشهور ، فإذا تطهر المجتمع من هذه الرذائل الكبرى فإن هذا التطهر فى ذاته مفخرة له ، ولو أن أفراده وقعوا بعد ذلك فى شئ من الصغائر والهفوات ، فإن الله يغفرها ويكفرها ، تحقيقا لوعده الكريم « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم » .

وقول عمر رضى الله عنه : « قد علم ربنا أن ستكون لنا سيآت » ، يشير إلى ما يفهم من القرآن الكريم ، من أن الإنسان خطاء ، وأن الله تعالى كلفه أن يقاوم نزعات الشر

والفساد والإغواء التى أحاطه بها ، ما استطاع إلى هذه المقاومة سبيلا ، وهو الذى يقول فى وصف الذين أحسنوا : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم » . وهذا التعليل لسعة المغفرة ، بالعلم بضعف الإنسان ، هو السر فيما أخذ به عمر نفسه ، من الترفق بالمجتمع ، وإدراك أنه مجتمع بشرى لا مجتمع ملائكى .

وقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة ، وهو أن الله خلق بجانب الإنسان ، عوامل الإغراء ، وعوامل الفتنة ، حيث يقول جل جلاله : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » .

وهذه الآية تتعاون مع الآية السابقة على بيان حقيقة هذا المخلوق الضعيف ، بحكم خلقه وتكوينه وماله من شهوات ورغبات ، والذى أحيط مع ذلك بعوامل الإغواء والإغراء والفتنة من الشيطان الخارجى ، فهو إذن محاط بهذا وذاك من داخل نفسه وخارجها ، فهل يتصور أن الله سبحانه وتعالى ، وهو الذى خلقه على هذا النحو ، ثم سلط عليه هذه القوة ، تتميما للاختبار والابتلاء ، هل يتصور مع ذلك أنه يريد من البشر أن يكونوا مجتمعا ملائكيا ، لا تظهر فيه أخطاء ولا تقع فيه ذنوب ؟

لذلك كله نعتبر فقه عمر فى هذا الجانب السياسى الحكمى ، فقها ملائما للتربية النفسية للمجتمعات ، إذ أنه يربط المجتمع بالدين ، ويفهم أفراده أن الدين ليس أمرا تعسفيا ولا تزمتيا ، وإنما هو أمر متيسر يستطيع الفرد العادى فى المجتمع العادى أن يصاحبه ، وأن يقبله وأن يعيش فى ظلاله ، دون أن يرى على نفسه حرجا ، ودون أن يشعر بأنه مكبل ، مترصدة عليه هفواته ، ويحاسب على التقصير والقطمير ، ويعامل بقسوة من الله سبحانه وتعالى ، وإنما يريد الله أن يعلم العبد أنه إذا أقلع عن الكبائر ، التى هى مواقف الإثم العظمى ، فإنه يكون متعرضا بذلك ، لا إلى مجرد أن تكفر عنه سيآته فحسب ، ولكن بأن يدخل مع هذا مدخلا كريما فى الدنيا والآخرة .

ولهذا يجدر بإخواننا أهل العلم ، أن يتدبروا هذا الفقه العمرى لدين الله ، فيكونوا فى بعض المواقف أصحاب سماحة كما هم أصحاب فضيلة !

محمد محمد المدنى

نفحات القرآن

من خصائص الرسالة، الأمانة فى العلم

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً : إلا ما شاء الله. ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » .

١ — لم يكن رسول الله من غير معجزة تؤيده من عند الله — سبحانه —

والمعجزة فى عنوانها ومفهومها مظهر عجيب لقدرة الله على غير ما ألف الناس ، ولا ينهضون إلى مطاولتها أو محاكاتها ولو تضافرت عليها قواهم جميعاً .

ثم هى معجزة دائما ولو انقضى زمنها كالمعجزات السابقة .

فقد ركب سليمان الريح ، وسخرت له الجن والإنس والطير جميعاً .

وقد نزلت التوراة على موسى ، وكلمه ربه تكليما ، وانشق له البحر فنجا بمن معه ، وغرق فرعون وجنوده ... ونزل الإنجيل على عيسى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وأحيا الميت .

ونزل القرآن على محمد ، وانتصر فى قلة من المؤمنين على جمهرة من الكافرين ، وظل كتابه قائماً بين الناس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . إلى غير ذلك من معجزات كثيرة نهض بها حقه على باطل أعدائه ، وخفقت راية الإسلام فى بقاع كان الكفر يخيم عليها طول حياتها .

وكل معجزة كانت فى ذاتها كافية لإقناع الناس بصدق صاحبها فى رسالته من ربه ، وفى دعوته إلى ما دعا إليه .

٢ — ولكن الناس درجوا قديما على

التردد فى الاستجابة ، وعلى التشكك فيما يأتيهم به رسول ربهم ، وإن كان داحضا للشبهات ، وآخذاً مأخذه من الصدق والقوة « وكان الإنسان أكثر شىء جدلا » .

ولم يقف لجاج الناس عند التردد بل كانوا يقترحون أموراً ويعلقون عليها إيمانهم ويتعللون فى أمانيهم الباطلة بأن من يكون رسولا من عند الله لا يعظم عليه أن يأتى بكل مطلوب .

وتلك هى المراوغة التى كان يفزع إليها المبطلون حين لا يجدون معذرة مستساغة فى الإعراض عن الحق الأبلج .

ثم ينتهى الأمر بزهوق الباطل على أى صورة من صور الفناء والدمار ، كما وعد الله تعالى « إن الباطل كان زهوقا » .

٣ — وكان من لجاج قريش مع النبى محمد — ص — أن يسألوه عن أمور كثيرة من علم الغيب ، كموعد الساعة - القيامة - التى يسمعون بها منه ، أو من غيره ... وكنزول المطر متى يكون ؟ وكنوع الحمل الذى فى بعض الزوجات ، وهكذا .

والنبى - ص - فى كل موقف من مواقف تحديهم له يبرأ إلى الله ، وإلى الناس من علم الغيب ، ومن دعوى القدرة على ما لم يتهيأ له ولم يكن مأذونا فيه ، ومن تجاوزه حدود البشرية إلى زعم الربوبية. بل كان يزداد فى براءته كثيراً من زعمهم أن للرسالة قدرة على شىء ويحاول دفعهم بالإقناع إلى جانب التوحيد . فمرة يقول عن الساعة « إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو » ومرة يقول بصيغة عامة « إنما الغيب لله » أو يقول « إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد » .

ثم يزداد فى التجرد من زعمهم فيقول ما علمه ربه « لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله » يعنى : لا تطلبوا منى مالا أستطيعه لكم : فإنى لا أملك لنفسى جلب منفعة ، ولا رفع مضرة : إلا ما يشاء الله أن أفعله بعونته وتيسيره : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ... وما مسنى السوء » يريد : لو عرفت الغيب وما يضمره القدر الذى استأثر الله به لأكثرت من عمل الخير لنفسى ، وحققت لها ما تصبو إليه من ظفر على العدو دائما ، ومن أجر أو ثواب أدخره بالسبق إلى أعمال طيبة ، ولا تعرضت لضرر يصيبنى مما تكرهه النفس ، وتود الإفلات منه .

إذ أن العلم بالغيب يكشف لى ما استتر عن سواى ، فأستطيع الاختيار لنفسى ، ولكنكم - يا معشر قريش - ترونى لا أفلت من المكروه الذى تدبرونه ، ولا أظفر بكل ما تتعلق به الرغبة ، فكيف أقدر على

كل ما تزعمون ، وتحقيق ما تطلبون ؟ ؟ .

٤ ـ هذه مواقف غير هينة ، يتعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل فيها جهالتهم ، ويصابرهم على لجاجهم ، بل كان يحلم عليهم أكثر مما يستحقون ، وطالما ساوره الأسف على حرمانهم من الهداية ، وجاهد نفسه فى العناية بشأنهم ، والحدب على اجتذابهم نحو الخير .

حتى كان لفرط انهماكه فى شأنهم يتلقى من عند الله مواساة على هذا الجهاد ، وتسلية عن ذلك الهم المرير «ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر ـ فلا تأس على القوم الكافرين ، فلا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون » .

٥ ـ ثم ما كان هذا العطف من جانبه ، أو التعنت من جانبهم لينحرف به عن قولة الحق .

إذ الأمانة طابع النبوة ، وخصيصة الرسالة وهى صفة المؤمنين الصادقين ، فما بالك فى تبليغ العلم إلى الناس . . ثم ما بالك بمقام الرسالة بين الله وعباده ؟ .

لقد برأه الله من مظنة الاتهام فيما يبلغه ، نقصا أو زيادة : « وما أرسلناك إلا لتبين الناس ما نزل إليهم ـ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين »

يعنى لو تزيد لأهلكناه بقوتنا ولا يستطيع أحد منكم أن ينجيه من إهلاكنا له ، ثم شهد له شهادة الكمال فى أمانته العلمية بقوله سبحانه « وما هو على الغيب بضنين » أى ليس متهما بنقص ولا بزيادة فيما يخبركم به عن ربه .

وفوق هذه الاعتبارات ، التى تتمثل فيها براءة محمد فى نبوته مما يشينها ،كان معهودا فى قومه بالصدق منذ طفولته ، وبالأمانة فى كل ما يتصل به أكثر مما كانوا يطمعون فى كبارهم أو يتوقعون من شبابهم السادر فى تقاليد البيئة .

فلا يكون مستساغا عقلا ـ بعد أن توثقت علاقته بالله رسولا من عنده ، واشتدت به المسئولية أمانة وعصمة ـ أن يكتم علما أو ينقص ، أو يزيد .

لا يكون مستساغا ـ عقلا ـ أن تزل قدمه بعد ثبوتها ، فينحرف عن تمام الأمانة ، أو يتعاظم فيزعم أنه فوق البشرية وأن له سلطانا يتيح له أن ينال نفعا ، أو يدفع ضرا ، « قل : سبحان ربى ، هل كنت إلا بشرا رسولا » ؟ .

هذا صنع الله فى نبيه ، وتأديبه لرسوله .

وفى ذلك مناعة لمحمد صلى الله عليه وسلم من التورط مع الكافرين ، ومناعة له من التعرض لعلم الغيب .

٦ — وهنا تكون قدوتنا بالرسول فى الأمانة العلمية حقا لازما، وأمرا مفروضا حتميا. إذ لا معنى لأن يكون إماما حقا، وقدوة مبعوثا، ورسولا داعيا، ثم نتخلف عن القدوة به ونزعم أننا على الجادة المرسومة لنا فى عمله، وهديه، وأننا حفاظ للأمانة التى ورثها العلماء عن الأنبياء!.

ولكننا منينا بالتجاوز لتواضعه، وأماناته، فتعالمنا بغير علم.

وهذه نزعة نبتت فينا وتفشت بيننا، حتى جرت منا مجرى الدم من اللحم، وغدت ظاهرة شخصية فى الكثير منا لجهلنا بخطر الأمانة العلمية.

ففينا من يتوسع فى فتواه بما يشتهى، متأولا فى نصوص الشريعة، وزاعما أنه فوق الأولين، وفى مقدمة الآخرين. وكم من مفتون بنفسه أضله الله على علم.

وفينا من يتقبض فى قلبه لدين الله، ويحجب إشعاع القرآن عن معترك الحياة، ويخيل للناس أن الله يتعبدهم بالانكماش فى دنياهم، والحرمان مما أحل لهم، وأن الحياة لا تفسح مجالا لتوجيهات العلم، وأن كل محاولة للاستمداد من هدى الدين الصحيح جرأة ذات أثر سىء فى المجتمع، وقد دلت هذه النزعة على سوء فهم لرحابة الإسلام، ومجاراته للحضارة السليمة،.

٧ — هذه ظاهرة وبيلة تنال من كرامة الدين كما تنال منه ظاهرة التحلل، والخروج عن نطاقه، فإحداها تضييق، واختناق، وصد للناس عن توسم الخير من جانب التشريع السماوى.

والثانية إفراط فى التسامح، واجتياز للحدود، وظلم للدين. وللنفس، وللناس جميعا. «ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه».

والأمانة فى العلم أمانة على حق من حقوق الله وحقوق عباده.

والأمانة كلها ودائع، ترد إلى أصحابها معافاة من المساس بها، كما أمر الله فى قوله «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها».

فالعلم كله ينتفع به فى وجوهه: دينا أو دنيا.. وبهذا تكون الأمانة مؤداة منا إلى الله، وإلى الناس على وجه الكمال.. وإلا كانت خيانة لله الذى وهب العلم وتركه أمانة عندنا.. وللرسول الذى بلغ وعلم، وحض على التزود منه، والعمل به فى وجوهه عامة. وللناس الذين جعل الله تبليغ العلم إليهم حقا لازما لهم على من استودعه الله علما.

وعلم الدين إن لم تكفله أمانة التبليغ كان تضليلا، ووسيلة شيطانية للإغراء وفتنة الناس عن الحق، والإيقاع بهم فى غير ما يراد لهم من خير وفلاح.

وليس شراً عند الله من تضليل على حساب العلم ، فإن ذلك تقويض لمعالم الرسالات .

وعلى الدنيا كذلك فى أمانته ، وخطره ، وشراً لا نحراف به عن سبيله فى نفع الناس

فإن العلم كله فيض من جانب الله ، وقبس من نوره لنفع عباده ، وهديهم فى دنياهم ، وهو فى الجملة نعمة يجب أن نشكر باستخدامها فى نواحيها الخيرة .

والله — تعالى — يحاسب كل ذى نعمة على نعمته ، ولن يترك الناس فى سبسب من الفوضى ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر !! » .

وقد تعلق الناس قديما بأهل العلم الدينى على ألوان شتى .

فمنهم من اعتدل فى تعلقه ، وأحسن فى تقديره ، فتهيأ من ذلك للعالم أن يفيد ، وللمتعلم أن يستفيد ، وهذا فى إطار من أدب العلم وأمانته والتماس هديه فى غير تزمت ، ولا مجازفة .

وهناك إسراف من الجانبين — ففى جانب أهل العلم زعم لبعضهم أنهم على خصوصيات من الله ورسوله ، وأن الله بوأهم منزلة الوساطة عنده فى أمور الناس ، ولهم نصيب من الجاه فى سلطانه - سبحانه - والإسراف من جانب الأتباع أنهم تأثروا بهذه الدعايات ، واستملوا عن طيب خاطر لأصحابها فالتفوا حول أفراد كثيرين ، وتكونت منهم أحزاب دينية ، وزعم كل حزب أن متبوعه ذو حظ وصاحب مقام كريم عند الله دون غيره من المتبوعين : وما أكثرهم !! حتى بلغ من أولئك المتحزبين لشيوخهم أن ينسبوا إليهم كل خير يصادفهم ، ويلتمسوا رضاهم فى كل أوقاتهم ، ليظفروا بما وراء ذلك من وساطة ، وزلفى إلى الله وحصول على الآمال ، وأن تكون هناك نفوس طيبة حقا ، ودعوات صالحة مرضية فذلك مع تقديرنا له لا يبيح أن نفرض لغير الله شأنا فى ملكه ، ولا تدخلا فى تدبيره ، ولا يبيح أن نذكر شيخنا عند كل مناسبة ، وننسى ديننا فى أى حال .

العمل الصالح يرفع صاحبه ، ودعوات الأبرار نافعة بمشيئة الله ، ولكن هذا لا يفيد أبداً أن لأحد عند الله شأنا ، أو تدخلا فى قضائه وقدره . . فلتكن دعاؤنا لله ، وتقديسنا لله ، ولتكن قدوتنا بالصالحين فى أعمالهم الطيبة ، دون أن نجعل لهم مقاما من مقامات الألوهية فهم بحاجة إلى دعوات ، وصدقات تنفعهم إذا تقبلها الله منا لهم .

وليس لعبد من عباده خطوة ترفعه أكثر من أنه مقبول بعمله ، إلا ما ثبت لمحمد صلى الله عليه وسلم وللأنبياء من قبل صلوات الله عليهم جميعا ، ورضى الله عن صالحى المؤمنين ، وهدانا بهديه .

عبد اللطيف السبكى

دراسة عن على مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوى

مقدمة :

كانت مصر . حتى نهاية القرن الثامن عشر فى عزلة تامة عن أوربا ، وعن الحياة الخارجية كلها . ونستطيع أن ندرك مدى هذه العزلة إذا درسنا سير حكام مصر من المماليك فى هذه الفترة الأخيرة . وعرفنا مدى جهلهم بما كان يجرى فى العالم إذ ذاك من أحداث كبار : ومع أنه كانت هناك صلات لا بد منها بين مصر — الولاية العثمانية — وبين الدولة العثمانية . فإن هذه الصلات كانت من القلة والتفاهة والاضطراب بحيث لم يكن لها أى أثر فى خروج مصر أو إخراجها ، من هذه العزلة الصارمة .

ولكى ندرك مبلغ العزلة التى كانت تعيش فيها مصر وحكامها وأهلها . تذكر أننا لا نجد أثراً على الإطلاق يدلنا على أن مصر أحست أو عرفت ما وقع فى ذلك القرن من أحداث جسام . حتى الثورة الفرنسيه وما جرى فيها من دماء . وما انتهت إليه من تطورات بعيدة الخطر فى حياة الإنسانية كلها ، وما دعت إليه من مذاهب وآراء .

كانت هذه كلها أمور لم يصل صداها إلى مصر فى عزلتها تلك .

ولكى ندرك إلى أى مدى كان حكام مصر وساداتها بعيدين عن معرفة ما يجرى خارج حدود مصر : نذكر أن أمير مصر وحاكمها عند قدوم الحملة الفرنسية : مراد بك ، لم يكن يدرى أى شئ على الإطلاق عن قوة جيوش نابليون وعن فتوحاته وانتصاراته فى أوربا . وأنه — كما ذكر على مبارك — عندما علم أن نابليون دخل الاسكندرية ، طلب إلى صديقه (كارلوروسيتى) : قنصل النمسا فى مصر ، أن يكتب له خطابا يطلب إليه فيه الخروج ، فقال له القنصل إن نابليون لم يدخل مصر بإذنى حتى يتركها بإذنى . ! وكأنه أراد أن يمعن فى السخرية من مراد فقال له إن كان لا بد من خطاب أرسله إلى نابليون فأرسل إليه معه خمسين ألف فرنك . حتى يرحل ... (١) .

---

[١] ص ٥٠٧ ج ٧ من الخطط . نقلا عن كلوت بك . وانظر أيضا الجزء — ٢ — من كتابنا « دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مصر فى القرن الثامن عشر » ص ٨٦ — ٨٨ من الطبعة الثانية .

فلما قدمت الحملة الفرنسية ، واستطاعت غزو مصر ، والاستقرار فيها ثلاث سنين ، ولو أنه كان استقراراً قلقا مشوبا بكثير من المتاعب ، بدأت ريح الغرب تهب على مصر وأخذت الحضارة الغربية والحياة الغربية ـ بما فيهما من خير وشر ـ تعرف فى مصر ؛ شيئا ما ، ولو أنها معرفة مشوبة أيضا بكثير من الحذر والريبة والاتهام .

ثم تولى محمد على حكم مصر فى سنة ١٨٠٥ فاستقبل هذه الريح القادمة من الغرب باسطاً ذراعيه . بل كان يستحثها لتسرع فى الهبوب على مصر فى قوة وشمول . وبدأت الحضارة الغربية والحياة الغربية تدخل حياة مصر ، وتتمكن منها . بما كان يرتبط به محمد على من صلات تجارية مع أوروبا ويستقدم من رجالها لخدمته وخدمة الدولة . وما كان يرسل إلى فرنسا بصفة خاصة ، من بعوث كثيرة من أبناء مصر .

فى هذه الفترة التى بدأ محمد على يفتح فيها أبواب مصر على مصاريعها لريح الغرب ، ولد فى قرية من قرى مصر الواقعة على نيلها السعيد . طفل مصرى كان له أكبر الأثر فى إفادة مصر ، إفادة جدية مثمرة ، من حضارة الغرب وعلمه . طفل أرسله ، فيما بعد ، محمد على ليدرس الهندسة العسكرية . ولكنه بعد أن اكتملت رجولته وعلمه ، قضى حياته كلها فى العمل على نشر العمران والحضارة والتعليم فى مدن مصر وقراها . وبلغ من ذلك مبلغا يشرفه أبعد الشرف وأسماه . ويشرف ذلك ، الفلاح المصرى ، الذى خرج من أصلابه . والذى كان محمد على والحاكمون من قبله ومن بعده ـ من أسرته ـ ينظرون إليه نظرة ملؤها السخرية والتحقير . وسنرى فى هذه الفصول من سيرته . إن هذا الذى وصفناه به ، لا مغالاة فيه ولا سرف .

كان على مبارك رائداً عملاقا فى حياة مصر فى القرن التاسع عشر . أنشأ لها من المشاريع الكبيرة ، وأقام فيها من الإصلاحات ، والإنشاءات ، والمدارس ، ما يصعب تحديده وحصره ، وإدراك الآثار العظيمة الهامة التى جنتها مصر بعد ذلك من مشاريعه وإصلاحاته وإنشاءاته ، أشد عسراً وأبعد منالا . وقد مست هذه المشاريع والإصلاحات مرافق مصر الرئيسية كلها . فى الزراعة ، والرى ، والهندسة ، والمواصلات ، والمدن ، والتعليم . بل نستطيع أن نقول أنها نهضت بهذه المرافق نهضة كبرى .

أما صفات على مبارك ومميزاته النفسية ، وخصائصه الذاتية ، فسنرى من ترجمته أنها كانت ، كذلك ، مثلا يشرفه ويشرف ذلك الفلاح المصرى الذى خرج من أصلابه .

وصف المرحوم الأستاذ إلياس الأيوبى

على مبارك ، فى كتابه : « عصر إسماعيل » ، بأنه « أبو التعليم فى مصر » . وقال تلميذه وصديقه المرحوم محمد باشا درى الحكيم فى ترجمته له إنه : « أنار العقول بالعلوم » وأفاد مصر المدنية » .

وسنجد فى هذه الفصول أنهما صدقا فى ذلك غاية الصدق .

حياته ووفاته :

ولد على مبارك فى سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣) فى قرية : « برنبال الجديدة » [1] من أسرة وأب يقول إنه كانت لها مكانة وقربى عند « الحكام » ، ومع ذلك فقد لقى أبوه ولقيت أسرته من الأذى والشر شيئاً كثيرا فصّل أمره فى ترجمته لنفسه ، حتى هاجر أبوه من قريته تلك إلى الشرقية فى حديث طويل شيق مؤثر .

وكان أبوه يقوم لأهل القرى التى عاش فيها وهاجر إليها بشىء كثير من العمل : فهو فقيههم وقاضيهم وخطيبهم وإمامهم وموثق العقود لزيجاتهم ، وهو إلى ذلك يزن لهم ويكيل ما يبيعون ويشترون ويحصدون من زروع .

لم يكن أبوه يريد له أن يتعلم . بل كان يريده أن يساعده ويعينه ويعمل معه فيما يعمل من الشئون . ولكنه خالف عن أمر أبيه وعصيه وهاجر وغامر حتى تعلم فى « الكتاب » وفى مدرسة قصر العينى ثم فى المهندسخانة ، ثم فى كلية « متز الهندسية العسكرية » بفرنسا . فكان من نوابغ خريجها فى الرياضة والهندسة . ومن الطرائف التى ذكرها عن نفسه أن موظفا كبيرا سأله وهو صبى فى المدرسة عن ضرب الواحد فى الواحد ، ما حاصله ... ؟ فقال اثنان ... ! فضربه السائل ، « بعقلاة بن » كانت فى يده فشج رأسه . . ! فلما عاد إلى أبيه ضربه وزجره واشتد عليه . ثم كان من هذا الصبى الذى لا يعرف ضرب الواحد فى الواحد نابغة من نوابغ الرياضيين والمهندسين ، بفضل جلده وصبره ومثابرته . وقد رحل إلى فرنسا وهو لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر تدرج فى وظائف الدولة حتى كان وزيرا لوزارات ثلاث فى وقت واحد ، ومديرا لمصلحة كبرى معها . أدى فيها جميعا لوطنه من الأعمال ما قد يعجز عن مثله جمع من الرجال .

وفى آخر حياته ترك القاهرة إلى قريته ، ثم عاد إليها مريضا حيث مات فى بيته بالحلمية ليلة الثلاثاء ١٤ من نوفمبر سنة ١٨٩٣ (١٣١٢) هـ وكانت له جنازة مشهودة .

(١) من قرى : « محلة دمنة فى محافظة الدقهلية .

صفاته وأخلاقه :

كان على مبارك عطوفا باراً ، رقيق القلب مرهف الحس ، شجاعا فى حرص ، مخلصاً فى عمله ، وديعاً مسالما . أما وداعته ومسالمته وحرصه ، فنجد مظاهرها والتدليل عليها فى حديثه عن علاقته بالثورة العرابية [١] . كما نجد ذلك فى حديث زواجه الثانى ، وما لقى فيه من رهق وعسر .

وأما عطفه ورقة قلبه ورهافة حسه ، فنجد مظاهر ذلك فى عطفه البالغ على أطفال المدارس ، وإشفاقه من سوء معاملة المعلمين لهم ، ودعوته إلى معاملتهم بالرفق والحسنى والمحبة . وكان ما لقيه فى طفولته وصباه من معلميه فى قصر العينى ، أكبر سبب لهذه العقلية التربوية الجديدة التى سبق بها علماء التربية فى عصره ، فى مصر على الأقل ، فنحن نحس من حديثه عن هذه الفترة أن هذه القسوة عليه وعلى زملائه من الصبيه ، بقى أثرها فى نفسه قويا بقية حياته كلها .

ونعرف أنه رقيق العاطفة ، مهذب النفس ، خير القلب ، من قصه زواجه من بنت معلمه فى مدرسة أبى زعبل . فقد رأينا أنه تزوجها عرفاناً لفضل أبيها عليه ، فى التربية والمعروف ، فلما مات أبوها وتركها فقيرة تزوجها .

ونعرف ذلك أيضاً من قصة زواجه الثانى . فقد تزوج قبل سفره إلى الحرب فى تركيا فتاة من أسرة كريمة هى قريبة المرحوم أحمد باشا طوب صقال . وكانت ذات مال كثير وثروة طائلة . ولكنها كانت غريرة ساذجة لا تحسن التصرف فى شئ . وكانت أمها قد تزوجت بغير أبيها ثم ماتت . وبقيت الفتاة عند زوج أمها هذا صغيرة يتيمة . وتزوج هو مرة أخرى فاستولت زوجه على شعور هذه الفتاة الساذجة وقلبها . واستولت كذلك على ثروتها ، بحيث لم تكن تعرف من أمر أموالها شيئا .

فلما دخل على مبارك بهذه الفتاة خشيت هذه السيدة أن يطالبها بثروة زوجه فكادت له كيداً عند والدة الخديوى عباس حتى خاف على مبارك على حياته . واستطاع أن يخرج من هذه المحنه . ولكن السيدة ـ كافلة زوجه ـ استطاعت ، فى غيبته فى الحرب ، أن تجرد زوجه من كل تملك .

وهى قصة طويلة معقدة فصلها فى ترجمته . نعرف منها أنه استطاع أن يخرج من جميع ما نسب إليه من تحيف زوجه فى مالها . وأنه أثبت إثباتا قاطعاً أنها مدينة له بمال كثير . فلما أثبت ذلك تنازل لها عن هذا

---

[١] أنظر مقالنا : « على مبارك والثورة العرابية فى الجزء ـ ٤١ ـ من « المجلة » التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد بالاقليم الجنوبى [مايو سنة ١٩٦٠] .

كله . وترك بيتها الذى أنفق على إصلاحه مالا كثيراً . وترك فيه الجوارى اللاتى كن فى ملكه . ولم يأخذ سوى إقرار بثبوت دينه قبلها . وإثبات تنازله عنه .

وهى قصة تخرج من حكايتها بأنه كان رجل مثل وخلق وكرم نفس وصفح وتسامح .

وفى وصفه لوداع صبية المدارس له عند خروجه للحرب ، صورة مؤثرة تدل أكبر الدلالة على ما كان عنده من رقة العاطفة ، وعلى ما ترك فى نفوس هؤلاء التلاميذ من حب له وتعلق به . فهو يقول إن جميع التلاميذ صغارا وكبارا ، خرجوا لوداعه ، رغم نهى ضباطهم ، ووقفوا على الساحل أمام السفينة التى تحمله ، وكانوا ينتحبون ويبكون « انتحاب الولد على والده » . حتى بكت عينه تأثرا لعاطفتهم وحبهم . ولكنه، كما يقول ، انشرح صدره لما رأى من ثمرات تربيته وتعليمه وغرس يده .

وفى حديثه عن أطفال باريس[1] وما فيهم من نضارة وغضارة ونظافة ونشاط ومرح ، ومقابلة حالهم بحال أطفال مصر . فى هذا الحديث الرقيق المليء بالحسرات والألم ، ما يشعرنا شعورا قويا بحب على مبارك لأطفاله من التلاميذ وأبناء الشعب. وإحساسه بما كانوا يعيشون فيه من شقاء ومحنة .

[1] ص ٩٦٤ - ٩٦٥ ج ٣ من كتابه « علم الدين » وسنفرد له حديثا خاصا .

أما بره بأهله فنحن نجد فى ذلك قصة مؤثرة رائعة فى حديثه عن زيارتهم ، بعد أن غاب عنهم أربعة عشر عاما، وكيف لقى أمه ولقيته وكيف أحس حرجها وحسرتها وغصة قلبها لأنها لا تستطيع أن تقدم له ما يليق من طعام. وهى قصة من أرق وأجمل ما نجد فى حديثه عن نفسه ، وأشدها مساسا بالقلب ، وتأثيرا على النفس والإحساس .

شجاع :

كان شجاعا ولكنه صاحب حيلة وبراعة فى سوق ما يريد أن يسوق من حديث قد يجر الأذى والشر .

من مظاهر شجاعته أنه سجل فى حديثه عن طلب عباس له ليقابله ، أنه خاف من ذلك خوفا شديدا . « لأنه كان يعلم ما يقع لمن يلوذ بالعائلة الخديوية من الإيذاء »[1] وهو

[1] لكى نستطيع أن ندرك الرعب الذى كان يسيطر على نفوس الوزراء وحاشية الخديوى فى ذلك الوقت ، ننقل هذه الفقرة عن المرحوم الدكتور يعقوب صروف . فى الترجمة التى كتبها لعلى مبارك وكان من أصدقائه الحميمين : « ولم نسمع أن وزيرا من الوزراء كان يجزع من ملكه كما جزع صاحب الترجمة من الخديوى الاسبق — على ما يشهد فيه من الشجاعة الادبية التى حملته على تقرير الحقائق فى ذلك الكتاب النفيس — يقصد تدبير الفكر فى نيل مصر لعلى مبارك — ولم يكن هذا الجزع خاصا به ، بل كان شاملا كل حاشية الخديوى . حتى أقرب المقربين إليه » ص ١٠٥ / ١٠٦ من كتاب أعلام المقتطف للدكتور يعقوب صروف .

مظهر أيضا لما كان يتصف به من الأمانة العلمية والتاريخية . ونجد دليلا آخر على شجاعته فى كتابه « تدبير الفكر فى نيل مصر » وقد جرّت عليه هذه الشجاعة الشر ، حيث اتخذ إسماعيل المفتش مما كتب فى هذا الكتاب ذريعة لإثارة غضب إسماعيل وسخطه عليه .

نجد فى كتاب نخبة الفكر هذا ، وفيما تحدث به عن أصل المصريين وأخلاقهم خاصة ، أشياء من اليسير جداً أن يثار بها غضب إسماعيل ويتحرك سخطه . فهو يقول « إن السائس الأعظم لابد أن يكون عالما شرعيا ، وكذلك نوابه وعماله . ويقول إن بلاد المسلمين بلغت ذروة مجدها وغاية سعادتها وعزها عندما كان السلاطين والعلماء كلاهما من أهل المعرفة ، يراقب بعضهم بعضا . ثم رجعت بلاد المسلمين القهقرى عندما تغلب على الحكم فيها أهل « الخشونة والجهل » ، فوقع المحكومون تحت تصرف الأهواء وتنازع الأغراض . فوقفوا فى السهو ، ثم تقهقروا حتى تدهوروا [1] .

ثم يقول إن أهل مصر كغيرهم من الأمم الأوربية فى قبولهم الصلاح والتقويم والإصلاح . إذا سار فيهم حكامهم سيرة الاستقامة والعدل . بل إن المصريين « أقرب الناس إلى الإصلاح وأسرعهم تقدما فى سبيل الفلاح إذا وجدوا حاملا على ذلك [1] .

ويلوم خلفاء محمد على على أنهم لم يعنوا بالمدرسة التى أنشأها لتعليم الزراعة حتى فشل مشروعها فكان ذلك خطأ منهم وتقصيرا يأسف له . وكان الواجب على من يلى الحكم فى بلد زراعى كمصر . ألا يحرص على هذه المدرسة وحدها فقط . بل يكثر من إنشاء غيرها فى الحواضر والمدن . ويكثر من إقامة أماكن خاصة للتجارب الزراعية ومستحدثاتها [2] .

ويقول إن زراعة القطن ، أضرت بخصوبة التربة المصرية ، وأن تكرار زراعته « من غير مراعاة قوانين الفلاحة قد امتص قواها وأضعفها » [3] وأن إنشاء ترعة الابراهيمية على النسق الذى أنشئت به أضر بالأراضى الواقعة من أسيوط إلى بنى سويف [4] . والتوسع فى زراعة القطن كان من سياسة محمد على ، وكان مؤرخوه يرون أنه من مفاخره وأفضاله على مصر ، وترعة الابراهيميه كان مؤرخو الأسرة العلوية يرونها أيضاً من مفاخرها .

---

[١] ص ١٧٣ من الكتاب .

[١] ص ١٧٥ من الكتاب .

[٢] ص ٢٢٥ من الكتاب .

[٣] ص ١٥٨ .

[٤] ص ١٥٩ .

ونجده يقول أيضاً إن نظم الزراعة في عهده وقد أثرت في التجارة والصناعة تأثيراً ذا بال في ثروة القطر العمومية، وذلك أن أغلب الأصناف التي أهمل زرعها كان باعثا عظيما على محاولة الصناعة وداعيا إلى توسع دائرة التجارة [1] وضرب لذلك مثلا زراعة الكتان والمراعي وإهمال تربية المواشي والأغنام، وغير ذلك.

وكذلك مخالفته عن أمر إسماعيل المفتش في شأن سكة الحديد وضمها إلى وزارة المالية. ونحن نعرف أن المفتش كان صاحب الحظوة الأولى والكلمة المطلقة عند سيده وأخيه - من الرضاع - إسماعيل. وقد جرت عليه هذه المخالفة غضب إسماعيل وسخطه. وإن كان قد رجع فترضاه، واستخدمه، فذلك لأن إسماعيل، ولأن الدولة أيضا لم تكن في غنى عن نشاط على مبارك وكفايته وإخلاصه وجهده.

ومن مظاهر شجاعته أنه دعا لأن يتعلم المصريون العلوم العصرية الأوربية. كالطب والتاريخ والجغرافيا، باللغة الانجليزية والفرنسية. لأن ذلك - في تقديره - أجدى وأنفع لهم وأيسر. وقد كان هذا الرأي الشجاع منه سببا في خصومات غير هينة له. وتهم غير يسيرة ألصقت به. منها أنه كان محباً للإنجليز متمارنا معهم بقلبه، بعد احتلالهم مصر.

وقد بلغت هذه التهم الجارحة الظالمة، حد وصفه بأنه خائن، كان يرشو بعض الأعراب بالمال ليكونوا عونا للانجليز في حربهم للعرابيين. ولكنا نذكر أنه عندما قرر تدريس بعض هذه المواد بغير اللغة العربية، اختار الفرنسية دون الانجليزية، وكان ذلك بعد الاحتلال. وهذا يذكر له في مواقف الشجاعة والإخلاص أيضا.

ومن هذه التهم التي جلبها عليه رأيه هذا، أنه خارج على وطنه، منسلخ من قوميته.

كان عبد الله النديم، داعية الثورة العرابية وخطيبها، من العائبين على على مبارك الذامين له. كتب مقالة [1] عرض فيها بمن يتعلم في أوربا من المصريين ثم يعود إلى وطنه وقد التوى لسانه وتنكر لأهله، ويصف واحدا من هؤلاء قد طرق على أهله بابهم بعد غيبته الطويلة في أوربا، فلما سألوه من هو... ؟ أجابهم بلغة أهل باريس، فلم يفهموا منه شيئا. كانوا يحدثونه، من وراء الباب، بلغة أهل الريف، وكان هو يجيبهم باللغة الفرنسية، وهذه إشارة تذكرنا،

---

[1] ص ١٦١.

[1] نشرت في العدد الأول من الجريدة التي كان يصدرها باسم « التنكيت والتبكيت » يونيو ١٨٨١، وكان عنوانها « عربي تفرنج ».

بلا شك، بما قصه على مبارك عن نفسه عند ما رجع إلى أهله بعد غيبة أربعة عشر عاما فى فرنسا.

وقد سمعت عن بعض المعمرين الذين عرفوا على مبارك، أن النديم كان يقصده بهذا التعريض. وأن العارفين الذين قرأوا مقالة النديم يوم ذاك لم يشك واحد منهم فى أنه يقصده.

ونجد أن على مبارك فى كتابه «الخطط الجديدة» قد مدح أسرة محمد على وأشاد به وبالخديويين من أبنائه. وقد يقول قائل إن هذا المدح لا يتفق مع ما وصفنا من شجاعته. ولكننا نقول: إنه يمدح فى خططه حقا الأسرة العلوية مدحا مقتصدا حينا، ويشيد بها إشادة فيها شىء من المبالغة حينا آخر. ويذكر بالخير ولاتها، وخاصة إسماعيل وتوفيق. وقد عرفنا من سيرته أنه نال فى ولاية إسماعيل أعظم ما ولى من مناصب الوزارة والحكم. وحقق فى عهده أعظم ما شاء الله له أن يحقق من مشاريع فى الهندسة والرى والتعليم والأوقاف وتعمير المدن وتنسيقها. إذا عرفنا ذلك كان من اليسير أن نعرف السبب فى هذا الخير الذى ذكر به عهد إسماعيل.

على أنه يبدو من سياق هذه الأحاديث التى ذكر فيها إسماعيل فدحه، أنه كتبها قبل أن تلتوى على إسماعيل أمور مصر وتتعقد شؤونها بسبب ما تورط فيه من الدين. ولم يكن يسيرا عليه، بعد ذلك، أن يعدل عن هذا الذى مدح به إسماعيل لاعتبارات من السهل علينا إدراكها وهذا أيضا يمكن أن يقال عن توفيق.

فموقفه من توفيق، كان موقف المدافع المشفق. لا موقف المشجع المؤيد. لأنه لم يكن من دعاة العنف. وكان يرى أنه خير لمصر أن تجدد حياتها فى هدوء. وأن تقيم بنيانها، برفق، حجراً بعد حجر، وخطوة بعد خطوة: وفى هذا قضى حياته الخصبة المنتجة العاملة كلها.

وكان على مبارك فى كثير من هذه الأحاديث التى مدح بها إسماعيل وأسرة محمد على، يقارن بين عهود ولاتها وعهود المماليك والأتراك التى سبقتها. فلم يكن مدحه مطلقا ولكنه نسبى.

ومع ذلك نجد فى بعض الحقائق والأرقام التى أوردها وسجلها، بعيدا عن الإشادة والمديح، ما ينقض هذا المديح والإطراء. ويظهر حكم محمد على على عكس ما يمدح به. فهو، مثلا، يقول فى حديثه عن مدينة الإسكندرية، إن تعداد سكانها: عند ولاية محمد على كان بين سبعمائة وثمانمائة ألف. وكان عند وفاته مائة ألف (١).

على أن هناك أمران يجب أن نلاحظهما قبل أن نترك حديث شجاعته ومدحه لإسماعيل

[١] ص ٤٥ جزء - ٧ - من الخطط.

وتوفيق وأشباههما من حكام مصر : الأمر الأول أن سياسة الحكم ونظمه ، وعدالة الحاكم وظلم الرعية ، من الأمور النسبية التى يختلف تقديرها والحكم فيها باختلاف العصور كما نعرف بل هو لا يختلف فقط بل يتباين ويتناقض ، ومن الخطأ أن نتخذ مفاهيم هذه الكلمات التى ندركها الآن منها ، مقياسا لمفاهيم تلك العصور ، وأن نحاسب على مبارك بهذه الموازين . والأمر الثانى أنا لا نأخذ الحكم على على مبارك وخصائصه النفسية بما كتبه فى الخطط وحدها . بل يجب أن ننظر بمعيار دقيق لما كتب فى «علم الدين» خاصة . ولعله قصد ، وهو يؤلف كتابه هذا ، أن يقول فيه ما لم يستطع أن يقوله فى الخطط ، أو أن يوازن بين هذا أو ذاك . وطريقة تأليفه لعلم الدين ، تعطيه قدرا عظيما من الحرية فى القول . كما نرى عند الحديث عن كتابه هذا .

وقد رأينا بعض حديثه عن الفلاح ، والعدل فى الرعية وذم الإسراف عند الحاكم ، ونجد عند قراءة الكتاب شيئا كثيراً من ذلك وما يشبهه . كأنما أراد به أن يذكر إسماعيل وتوفيق وأشباههما ، بما يجب أن يكون عليه الحكم والحاكم وكيف تساس الرعية .

ومن دلائل شجاعته ومظاهرها أنه عندما وضعت قنبلة تحت مجلس الخديوى إسماعيل فى الأوبرا واختير هو رئيساً لمحاكمة المتهمين فيها لم يدن أحداً منهم لما رأى من عدم كفاية الأدلة [١] .

مستقيم أمين :

وكان مستقيما أمينا على مال الدولة . نجد من سيرته أنه قد ركبه الدين بعد ما تولى من كبار الوظائف فى الجيش والحكومة والوزارة ، وألف كتبا تطبع منها الألوف لتلاميذ المدارس ، وأنعم عليه عباس بثلاثمائة فدان .

وهذه الثلاثمائة من الفدادين ، لا نجد لها ذكرا بعد الإنعام بها عليه . ولا نجد لها أثر فى ثروة خلفها بعد موته ، فلعله لم يستطع أن يستغلها ويستنبتها ، أو لعل عباسا أو غيره من الولاة عاد فاستردها منه ولم يستطع هو أن يذكر ذلك . ولا يبدو من سيرته وصفاته ، أنه كان متلافا للمال مسرفا .

مخلص متواضع جلد :

وكان مخلصا فى عمله غيوراً عليه متواضعاً فيه صبورا جلدا . لا يأنف أن يقوم بالعمل الصغير بعد أن تولى كبار المناصب . تراه ، وهو وزير للمعارف ، يلقى دروسا على التلاميذ

---

[١] ص ٨١٥ من كتاب : « تقويم النيل » لأمين باشا سامى المجلد الثانى . الجزء الثالث .

ويضع بنفسه، أو يشترك، فى تأليف الكتب لهم . ويقيم مطبعة يشرف بنفسه على طبع هذه الكتب فيها . وهو، إلى ذلك، يتولى بنفسه أيضا الإشراف على مأكل التلاميذ وملبسهم وراحتهم . حتى أنه يعلم التلميذ كيف يلبس، ويقرأ، ويكتب . كما يراقب المعلمين فى فصولهم الدراسية ، وفى تعليمهم وتأديبهم للتلاميذ . لا يمر يوم إلا وقد أشرف على ذلك كله بنفسه . حتى على خدمة الخدم .

وهو متواضع لا يأنف أن يعلم الضباط ومن دونهم « حروف الهجاء » بعد أن تولى كبار المناصب وقام بجليل الأعمال ، والتحق بحاشية سعيد . وتمتع بما تتمتع به حاشية الملوك من الأبهة ، والسطوة ، والوجاهة ، والصدارة . ويقبل أن يقوم بالإشراف على المكاتب الأهلية ، بعد أن كان يتولى ثلاث وزارات معاً . ومعها إدارت أخرى ومناصب لا تقل عنها أهمية وخطراً .

تحدث إليه المرحوم أدهم باشا فى أنه مأمور من سعيد باختيار معلمين يعلمون الضباط وصف الضباط القراءة والكتابة . ثم سأله عمن يليق لهذه المهمة . فقال له على مبارك : أنا ، فظن أدهم أنه يهزل ، فهو يعلم أنه أكبر جدا من هذا العمل الصغير بعد ما باشر من كبير الشئون والوظائف . وقال له أدهم : أترضى أن تكون معلما لهؤلاء ؟ . فأجابه على مبارك : « كيف لا أرغب انتهاز فرصة تعليم أبناء الوطن وبث فوائد العلوم..؟ فقد كنا مبتدئين نتعلم الهجاء . ثم وصلنا إلى ما وصلنا إليه » [1] . وقد رأينا أنه قام بهذا العمل فعلا .

وقد كان على مبارك يذهب إلى هؤلاء الأميين فيكتب لهم حروف الهجاء بيده ، ولأنهم لم يكونوا مستقرين فى مكان واحد كان يذهب إليهم فى خيامهم ويكتب لهم بيده تارة على الأرض ، وتارة بالفحم على البلاط [2] .

(البقية فى العدد القادم)

محمود الشرقاوى

---

[١] ص ٤٨ من الجزء التاسع من الخطط .

«٢» نفس الصفحة .

بين العربية والفارسية

للدكتور حامد عبد القادر

عضو مجمع اللغة العربية

بينت فى القسم الأول من هذا البحث ما كان بين العرب وغيرهم من الأمم المجاورة لهم من صلات وعلاقات سياسية وتجارية وغيرها، وأوضحت ما ترتب على هذه العلاقات من صلات لغوية أدت إلى تسرب كثير من الكلمات الأجنبية إلى اللغة العربية، وقلت إن القرآن الكريم نزل وقد صقل هذه الكلمات بالصيقل العربى فاستعمل بعضها، لا على أنها أعجمية بل على أنها كلمات معربة عربية الصيغة والصبغة.

كان هذا قبل الإسلام أما بعده فقد بلغت صلة العرب بالفرس منتهاها من القوة بعد أن دخل الإسلام بلاد الفرس، وامتزجت الثقافة العربية بالثقافة الفارسية، وتكونت منهما ثقافة إسلامية واحدة موطدة الأركان شامخة البنيان.

وكان دخول الإسلام بلاد الفرس إحدى نتائج انتصار العرب على الفرس انتصاراً نهائياً فى عهد عمر بن الخطاب، وكانت الموقعة الفاصلة بين الفريقين موقعة نهاوند (سنة ٢١ هـ ٦٤٣ م) التى لم يقع للعرب مثلها ولذا سميت: «فتح الفتوح».

وقد كان من الطبيعى أن يتبع الفتح العربى لبلاد الفرس انتشار الإسلام بها، وأن يتعلم الفرس اللغة العربية لغة القرآن والدين، وأن تحل الأبجدية العربية محل الأبجدية الآرامية، وأن يحدث فى إيران انقلاب أخذ يقوى شيئاً فشيئاً حتى شمل جميع مظاهر الحياة، وتغيرت العقلية الفارسية. فأخذت تنظر نحو الحياة الدنيا والحياة الآخرة نظرة جديدة، ولم يكن فى استطاعة الفرس أن يقاوموا القوة المادية الروحانية الإسلامية التى غمرتهم وأحدقت بهم من كل جانب.

غير أن آثاراً من دينهم القديم وتقاليدهم السابقة ظلت عالقة بأذهانهم، فأثرت - دون شعور منهم - فى عقائدهم وتقاليدهم الجديدة، وبقيت آثار من لغتهم وآرائهم كامنة فى صدورهم أو مدونة فى بطون كتبهم، أو متداولة فيما بينهم فى منازلهم إلى أن ظهر أمرها حين قامت قائمتهم، وتألق نجمهم فى أفق التاريخ مرة أخرى فحاولوا إعادة سالف مجدهم وإحياء ما درس من علومهم وآرائهم.

أما الآثار الدينية فقد تجلت فى مذهب

الشيعة الذى ظهر أمره بعد قتل الإمام على كرم الله وجهه . وأما التقاليد القديمة فقد ظهرت آثارها فى بعض الأعياد التى استمرت فى عهد الدولة الإسلامية ، وأما الآثار اللغوية الأدبية فمنها إدخال كثير من الألفاظ الفارسية فى اللغة العربية التى تعلموها .

ولا يعرف إلا قليل عن أحوال إيران الداخلية فى أثناء المائة والخمسين سنة التى تلت الفتح الإسلامى ، إذ كانت البلاد من الوجهة السياسية جزءاً من الخلافة الإسلامية يؤدى الزكاة أو الجزية ويراقب مراقبة شديدة طبقا لنظام دقيق وضعه معاوية أول خلفاء بنى أمية . وقد قضى الخليفة عمر على البقية الباقية من أنواع الآداب الأجنبية الأخرى ، بحجة أنها زائدة على حاجة المسلمين ، وأنه من الممكن الاستغناء عنها بالقرآن الكريم الذى يجب أن يكون مرجع جميع الآداب ، ومستق جميع المعلومات ، ومن ثم كانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى هذا العصر وفيما تلاه إلى عصر الدولة السلجوقية .

يقول دولتشاه السمرقندى فى كتابه تذكرة الشعراء ما خلاصته : (١)

« لما أخضع العرب بلاد فارس أرادوا نشر الشريعة الإسلامية والقضاء على كل ما كان من التقاليد والآثار الفارسية ، وقد لقيت اللغة والشعر والآداب الفارسية المصير نفسه ، ونسى الفرس أو تناسوا شعرهم وآدابهم . وكان حكام إيران من العرب فى عهد الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية يأبون إلا أن يكون الشعر والكتابة الفنية والحكم والأمثال باللغة العربية .

يقول نظام الملك وزير السلاجقة فى كتابه : « تاريخ الملوك » ، إن الوثائق والقوانين والنشرات والأمثال كانت كلها تصدر من بلاط السلاطين مكتوبة باللغة العربية من عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى (٣٨٨ - ٤٢١ هـ) وكانوا يعيبون على السلاطين أن يكتبوا الرسائل ونحوها بالفارسية .

« وفى أيام وزارة عميد الملك أبى نصر كندرى (٤٥٠) وزير أبى أرسلان ابن طغرل بك السلجوقى أصدر الوزير أمراً إلى الكتاب أن يضربوا صفحاً عن هذه العادة وأن يكتبوا الرسائل ونحوها بالفارسية .

ومن ثم يمكن أن يقال إن الأدب الفارسى كان فى عصر صدر الإسلام فى حالة ركود تام وظلام دامس .

وفى أواخر الدولة الأموية تذمر العرب والعجم من سوء تصرف الخلفاء فأجمعوا أمرهم على أن يخرجوا عليهم ، وبلغ التذمر قمته بقيام ثورة عامة ضد حكم بنى أمية كان

(١) انظر ص ٣٩ من هذا الكتاب .

للفرس فيها النصيب الأوفر بقيادة أبي مسلم الخراساني ، وانتهت الثورة بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، سنة ٧٥٠ م ، وحلت بغداد محل دمشق فكانت عاصمة الخلافة العباسية ، وكان انتصار المأمون على أخيه الأمين (١٩٨ هـ) انتصاراً آخر للفرس أنصار الأول . على العرب أنصار الثاني .

ويمتاز القرن الأول من الخلافة العباسية (١٣١ - ٢٣٢ هـ) - الذي يوصف أحياناً بأنه العصر الذهبي للخلافة الإسلامية - من الوجهة السياسية بقوة نفوذ الفرس ، وتوليهم زمام الحكم . وفي مقدمتهم البرامكة الذين كانت لهم الغلبة في إدارة شئون الخلافة زهاء خمسين سنة ، ومن الناحية الثقافية الفكرية بانعقاد مجالس الحوار والمناقشة في قصور الخلفاء . تلك المجالس التي كان يحضرها الخليفة ويشترك فيها في البحث والجدل ذوو العبقريات الممتازة من العلماء والأدباء ، وبكثرة الكتب المترجمة من اللغات الأخرى وبخاصة اليونانية والفارسية والنبطية ، ومن الناحية الدينية بقوة سلطان الشيعة ، وتغلب مذهب المعتزلة الذين كانوا يصفون أنفسهم بأنهم : « أهل العدل والتوحيد » ويصفهم الفرنجة بأنهم : « أرباب التفكير الحر في الإسلام » ، ومن الناحية الاجتماعية بشيوع بعض التقاليد الفارسية كالاحتفال بعيدي النيروز (يوم ٢١/٣) والمهرجان (٢١/٩) ، ولبس القلنسوة والملابس الفارسية المزركشة في قصور الخلافة . وقيل: إن أبا جعفر المنصور كان أول من لبس القلنسوة . ومن الناحية اللغوية الأدبية باهتمام الفرس بدراسة اللغة العربية وآدابها ، وعنايتهم بدراسة علوم اللغة والشريعة حتى صاروا في طليعة المؤلفين والكتاب .

ومن يدرس تاريخ التدوين والتأليف في الإسلام يجد أن معظم السباقين في هذا الميدان كانوا من الفرس ، فليس من ينكر فضل هؤلاء حتى في أشد العلوم اتصالا باللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشريعة الإسلامية ، فمنهم معظم أئمة اللغة والمفسرين وجامعي الأحاديث وعلماء الفقه .

وفي هذا الموضوع يقول ابن خلدون :

من الغريب الواقع أن حملة العلم الإسلامي أكثرهم العجم - إلا في القليل النادر ، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في مرباه ومشيخته - مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي . فكان صاحب صناعة النحو سيبويه (١٨٠ هـ) والفارسي من بعده (٣٧٧ هـ) والزجاج[1] من بعدهما ، وكلهم عجم في أنسابهم ،

---

(١) هكذا يقول ابن خلدون والمعروف أن أبا إسحق إبراهيم الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ أي قبل أبي علي الفارسي بنحو ٦٦ سنة فهو متقدم على الفارسي لا متأخر عنه كما يقول ابن خلدون . ويؤيد ذلك ما ذكره السيوطي في « بغية الرعاة » وهو أن الفارسي أخذ عن الزجاج وابن السراج .

وإنما ربوا فى اللسان العربى فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفنا من بعدهم . وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى ؛ وكان علماء أصول الفقه كلهم عجما كما يعرف [١] ، وكذا أكثر المفسرين ، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم .

وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها ، وخرجوا إليها من البداوة فشغلتهم الرياسة فى الدولة العباسية ، فإنهم كانوا أهل الدولة وحماتها ، وأولى سياستها ، مع مايلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع ، والرؤساء يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرى إليها ، ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين »[٢].

ومع أن الفرس قد حذقوا العربية ، وأتقنوا علومها ، وكانت لهم الأسبقية فى التأليف فى كثير من علوم اللغة والشريعة فقد مارس كثير منهم صناعة الشعر بالعربية ولم يزالوا يمارسونها حتى نبغوا فيها .

وقد عنى العلامة الثعالبى فى كتابه « يتيمة الدهر » بهذا الموضوع ، فتحدث عن كثير من شعراء العربية من الفرس الذين نشئوا فى أحضان الدولة البويهية فى بغداد والعراق العربى وأواسط فارس ، وفى رعاية الدولة الزيارية بطبرستان ، وبخاصة فى عهد شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وفى حماية الأمراء السامانيين فى خراسان وخوارزم .

فهذا الكتاب الأدبى القيم يعطينا فكرة واضحة عن حالة الأدب العربى من سنة ٣٥٠ هـ حتى سنة ٤٠٣ هـ فى بلاد إيران كلها من بغداد إلى خوارزم ، ومنه نعلم أن أدباء الفرس قد مهروا فى صناعة الشعر العربى ، وأن سوق هذا الشعر كانت نافقة فى طول إيران وعرضها حيث كان الشعراء من الفرس ينظمون القصائد بلسان عربى فصيح ويقدمونها لسادتهم من بنى وطنهم فيعجبون بها ويجزونهم عليها .

وخلاصة القول : أن قوة النفوذ الفارسى فى العصر العباسى لم تضعف من شأن اللغة العربية وآدابها ، بل إن هذه اللغة قد بقيت على ما كانت عليه من قبل لغة الدين والسياسة والعلم ، واتخذها علماء الفرس وأدباؤهم أداة للتعبير عن أفكارهم ، وتسجيل آرائهم ، وتصوير أخيلتهم وعواطفهم .

أما اللغة الفارسية فقد بقيت قابعة فى عقر دارها خلال القرنين الأول والثانى

---

(١) هكذا قال ابن خلدون ، ولا يخفى ما فيه من مبالغة فالمشهور أن الإمام الشافعى « عالم قريش » كان أول المؤلفين فى أصول الفقه ، وليس هناك من يشك فى عروبته .

(٢) المقدمة ص ٣١٢ — المطبعة الخيرية لعمر حسين الخشاب سنة ١٣٢٢ هـ .

من التاريخ الهجرى ، وجاء عصر المأمون فأخذت هذه اللغة تتنفس الصعداء وتتحفز للظهور فى ذلك العصر الذى غلبت عليه الصبغة الفارسية .

يقول محمد عرفى فى كتابه (لباب الألباب) ما خلاصته مترجمة :

لقد ظل الشعر الفارسى مجردا من الوزن والقافية غير خاضع لنظام البحور الشعرية العربية إلى أن دخل الإسلام بلاد الفرس وحذق أدباء الفارسية اللغة العربية ، ودرسوا نظام الشعر العربى ، وعرفوا بحوره ، وفهموا معنى الروى والقافية ، والزحاف والعلة ، وكيفية تقطيع الأبيات وغير هذا وذاك مما هو مذكور فى علمى العروض والقافية . حينئذ أخذ أدباء الفرس ينظمون فى أول الأمر الشعر بالعربية ، ثم أخذوا ينظمون الشعر بالفارسية على نحو ما هو متبع فى الشعر العربى » .

وقد سلكوا فى الأمرين مسلك التدرج ، لذلك نجدهم حين بدءوا نظم الشعر بالعربية يلحنون أو يخطئون فى النطق بالحروف العربية كالحاء والعين ، ويدخلون فى شعرهم العربى بعض كلمات أو عبارات فارسية .

ويروى أن أول من نظم الشعر الموزون المقفى بالفارسية بعد الإسلام أديب يسمى خواجة زاده عباس ، وكان شاعرا ماهرا ، بصيرا باللغتين العربية والفارسية . وأول قصيدة فارسية من نظمه كانت القصيدة التى أنشدها سنة ١٩٣ هـ بمدينة مرو أمام (الخليفة المأمون بن هرون الرشيد ومطلع هذه القصيدة :

أى رسانيده بدولت فرق خود تافرقدين
گسترانيده بجود وفضل در عالم يدين
مر خلافت را تو شايسته چو مردم ديده را
دين يزدان را تو بايسته چو رخ را هر دو عين

يامن سعد بدولته حتى ناطح برأسه الفرقدين
يامن بسط بالجود والفضل والعالم كلتا اليدين
إن الخلافة منك كالإنسان من العين
وإن دين الله فى حاجة إليك كما يحتاج الرخ إلى العينين

وفيها يقول :

كس برين منوال پيش از من چنين شعرى نگفت
مر زبان پارسى را هست تا اين نوع بين
ليك زان گفتم من اين مدحت ترا تا اين لغت
گيرد از مدح وثناى حضرت تو زيب وزين

لم ينسج أحد من قبلى شعرا على هذا المنوال
وكان بين الفارسية وهذا الشعر بعد المشرقين
ولكنى مدحتكم على هذا النمط الشعرى
كى تكتسب هذه اللغة من مدحكم كل بهاء وزين

ولما انتهى الشاعر من إنشاد قصيدته أطراه المأمون وأمر بالإنعام عليه بألف دينار من الذهب ، وأن يختص بكثير من العطف والعناية .

وعلم الأدباء بالشعر والشاعر فأقبلوا

يطرونهما ويشيدون بذكرها وأخذوا يحاولون نظم الشعر بالفارسية .

ولكننا لا نعرف أن أحداً نظم الشعر بالفارسية بعد هذا إلى أن جاء العصر الذى استقلت فيه بعض الأوطان الفارسية ، وأخذ أمراؤها ينافس بعضهم بعضاً فى نظم الشعر ويحببون إليهم العلماء والشعراء ، ويشجعونهم على أن ينظموا الشعر بالفارسية يسجلون به مآثرهم ويخلدون ذكرهم . فحينئذ أخذت اللغة الفارسية وآدابها تهب من سباتها ، وجاءت الدولة السامانية فاتجهت عناية أمرائها إلى إحياء الثقافة والآداب الفارسية القومية فنهضت تلك اللغة والآداب نهضة لم تعهدها من قبل .

وقد بدأ استقلال الأوطان الفارسيه فى عهد المأمون وبرغبته . فقد أراد أن يكافئ أكبر أعوانه وأنصاره من القواد بجعلهم ولاة على أقاليم يستقلون بإدارة شئونها وكان طاهر بن حسين أول من حظى بهذا الشرف فأسس الدولة الطاهرية فى خراسان وامتد حكمها لهذا الإقليم من سنه ٢٠٦ هـ إلى سنه ٢٥٩ هـ أى ما يزيد قليلا على نصف قرن ، ثم حلت محلها الدولة الصفارية (٢٥٤- ٢٩٠ هـ) والدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ) .

وكانت الدولة الطاهرية عربية النزعة حريصة على التقاليد والثقافة العربية فلم تنتشر فى عهدها التقاليد والآداب الفارسية :

يروى دولتشاه السمرقندى فى كتابه « تذكرة الشعراء » [1] ما ترجمته أن عبدالله بن طاهر بن حسين أحد أمراء الدولة (الطاهرية بخراسان ٢١٣ - ٢٣٠ هـ) كان ذات يوم بنيسابور فجاء رجل وقدم إليه كتاباً على أنه هدية أثرية ، فقال عبد الله : أى كتاب هذا ؟ فقال : هذه قصة وامق وعذراء ، وإنها لقصة طريفة ألفها الأدباء باسم الشاه نوشيروان . فقال الأمير : نحن قوم نقرأ القرآن ، ولا نقرأ شيئاً آخر غير القرآن الكريم والحديث الشريف ، فليس لهذا الكتاب ولا لما يشبهه قيمة ولا فائدة لدينا . هذا إلى أن مؤلفه مجوسى ومن ثم كان مردوداً فى نظرنا .

ثم أمر عبد الله بالكتاب فرمى فى اليم ، وأمر من كانوا فى إمارته أن يحرقوا كل ما لديهم من الكتب وغيرها من مخلفات العجم .

وفى عهد الدولة الصفارية ظهر نظام شعرى جديد شاع أمره فى الشعر الفارسى ثم فى الشعر العربى ذلك هو نظام الدوبيت أو الرباعى .

يقول دولتشاه السمرقندى فى كتابه الآنف ذكره فى بيان ذلك ما ترجمته : يحكى أن يعقوب ابن الليث الصفارى (٢٥٤ — ٢٦٥ هـ)

---

(١) راجع ص ٢٩ من هذا الكتاب .

أول من شقوا عصا الطاعة من الفرس على بني العباس كان له ابن يحبه حباً جماً ، وكان هذا الطفل يلعب في أحد الأعياد لعبة الجوز مع غيره من الأطفال ، وجاء الأمير يعقوب ووقف بعض الوقت على قارعة الطريق يتفرج على ابنه وهو يلعب ، فرآه يلقي الجوز على الأرض فتقع سبع جوزات في الحفرة ، ولم تلبث إحداها أن قفزت وخرجت من الحفرة فأسف ابن الأمير وفقد الأمل في عودة الجوزة إلى الحفرة . ولكنه رآها تعود مسرعة وتتحرك نحو الحفرة فسر الأمير الطفل ، واشتد اغتباطه ، وحينئذ جرى على لسانه هذه العبارة :

غلطان غلطان همى رود تالب كو :

متدحرجة متدحرجة جاءت تسعى نحو الحفرة .

ووقع هذا الكلام موقعاً حسنا على سمع الأمـــير يعقوب ، فاستدعى إليه الأدباء والوزراء وقال لهم إن هـذا الكلام جيد ، جار على نمط شعري . وتناول أبو دلف وابن الكعبي هذه العبارة بالبحث ، وبعد تقطيعها وجدا أنها يمكن أن تكون شطر بيت من بحر الهزج في إحـدى صوره أو أضربه ، فأكملا البيت بالشطر الثاني ، ثم نظما بيتا ثانياً من البحر والضرب نفسه ، وبذلك أكملا بيتين . وجرى الأدباء على أن يطلقوا على هذه الصـورة الشعرية أي القطعة المكونة من بيتين في نظام معين اسم « دوبيت » ، وبعد ردح من الزمن عدلوا عن هذه التسمية وسموا مثل هذه القطعة « الرباعي » .

ويروي شمس الدين محمد بن قيس الرازي من رجال القرن السابع الهجري — في كتابه « المعجم في معايير أشعار العجم » رواية أخرى في نشأة الرباعي فيقول :

إن بعض شعراء الفرس — ويظنه الروكي اخترع الرباعي حين مر في يوم عيد على صبية يلعبون ضربا من اللعب بالجوز وفيهم غلام صبيح نشيط ألقى جوزة فلم تستقر في الحفرة وخرجت منها ثم تدحرجت ورجعت إليها فصاح الغلام :

غلتان — غلتان . همى رود تابن كو

فأعجب الشاعر هـذا النغم — وما زال يعالجه حتى بنى عليه أنغام الرباعي .

والروايتان متقاربتان . وليس لدينا من الأدلة ما يرجع إحداهما على الأخرى . على أنهما تتفقان على أن الرباعي من مستحدثات الفرس . مثله في ذلك مثل المثنوي الذي اتفق الرواة على أنه من ابتكار بهرام كور - كما قلنا في القسم الأول من هذا البحث .

ويمكن أن يقال على وجه الإجمال : إن النهضة الأدبية الفارسية الحديثة قد بدأت في عهد الدولة السامانية ، فإليها يرجع الفضل في تشجيع أدباء الفرس وإغرائهم بالمال

والسلطان أن ينهضوا باللغة الفارسية وآدابها بجانب العربية وآدابها ، ولم يحل اشتغال أمراء هذه الدولة بالحروب المتواصلة دون عنايتهم بالفنون والآداب ، ومن ثم نجد كثيراً من المؤرخين والشعراء يلتفون حولهم يدونون انتصاراتهم ويتغنون بمفاخرهم ، وكان كثير من شعرائهم يجيدون الشعر بالعربية والفارسية ، وأن هذا لدليل على أنهم كانوا على علم تام بلغة العرب ، وبحور الشعر العربي ونظام تكوين القصيدة بالإضافة إلى ما ابتكروه من البحور والصور الشعرية.

وقد طرقوا أبوابا أو فنونا متعددة من فنون الشعر في مقدمتها الوصف والمدح ، وكان وصف الخمر والتحدث عن آثارها في النفس موضوعا محببا لديهم أجادوه أيما إجادة ، وجاءوا فيه بضروب من التشبيهات المستطرفة : وأتوا بأنواع من المعاني المبتكرة ، فكان وصفا خلابا جذابا لم يخل من الغلو والإغراق في المبالغة . فمن هذه المعاني قول أبي شكور البلخي : إن الخمر حين يعصرها البستاني روح مشرقة ، ولو رأى قطرة منها من لا عين له لقال هذه عيني ، ولو رآها الميت لقال هذه روحي ، وإنها كالهلال حين تصب من القنينة إلى الكأس ، وكالبدر حين تستقر في الكأس . ومنها قول الرودكي : إن تأثيرها يصل إلى أعالي المخ قبل أن تذاق ، ولو سقطت قطرة منها في نهر النيل لظل التمساح ثملا من رائحتها مائة عام ، وأن غزال السهل الوادع لو شرب قطرة منها لصار أسدا عربيدا لا يكترث بالفهد . ويبدو أن ولع هؤلاء الشعراء بذكر الخمر والتغني بها يرجع إلى بيئتهم الغنية ببساتينها الفيحاء وحدائقها الغناء المليئة بأنواع الزهور والفواكه التي تعتصر منها الخمر .

كما يرجع إقبالهم على المدح والمبالغة فيه إلى شدة اتصالهم بأمراء الدويلات المختلفة وولاتها ، وإلى تنافس هؤلاء الأمراء والولاة في اجتذاب الشعراء والأدباء نحوهم بإغداق العطايا والهبات عليهم ليشيدوا بذكرهم . ومن ثم نشأ التكسب بالشعر ثم شاع أمره بين الشعراء ، وهاهو ذا أبو زراعة الجرجاني يقرر أن تلك العطايا والهبات هي التي تغري الشعراء وتطلق ألسنتهم بعذب الكلام وجيد المدح ، وذلك حيث يقول :

أعطني جزءا من ألف مما نال الروكي من عطاء الملوك أعطك شعرا أعذب من شعره ألف مرة .

وقد سلكوا في المدح أيضا مسلك الغلو والمبالغة ، وتكاد مدائحهم تنحصر في وصف الممدوحين بالسخاء والشجاعة وحسن السياسة وإحكام التدبير .

وقد طرق هؤلاء الشعراء أبوابا أخرى من أبواب الشعر كالرثاء ، والحث على طلب

المعالى ، وعلى الإباء والشمم وعلو النفس ، وعلى العدل وحسن المعاملة ، والدعوة إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه ، وإلى القناعة والصبر والتوكل على الله والرضا بقضائه وقدره . ولا شك أنهم تأثروا فى كثير من هذه بالدعوة والتعاليم الإسلامية .

ويبدو أن هذه النهضة الأدبية الفارسية التى شملت الألفاظ والأساليب وأغراض الشعر وفنونه كان لها نظراء فى الأدب العربى فى العصر العباسى وبخاصة أشعار بشار ، وأبى نواس ، ١٤٥ — ١٩٩ ، وصريع الغوانى مسلم ٢٠٨ ، وأبى تمام ١٩٠ - ٢٣١ ، والبحترى ٢٠٦ - ٢٨٤ ، وابن الرومى ٢٣١ - ٢٨٣ ومن أتوا بعدهم وحاكوهم فى الاهتمام بالزخرف اللفظى والمبالغة فى المدح والوصف ، واتخاذ الشعر وسيلة للتكسب والتقرب إلى الخلفاء والأمراء وقادة الجيوش .

وهنا نسأل : أى الأدبين تأثر بالآخر فى هذه المظاهر اللفظية والمعنوية ؟ ويبدو أن أصح جواب عن هذا السؤال هو أن نهضة الأدبين كليهما كانت وليدة الظروف الجديدة وإحدى نتائج امتزاج الشعبين العربى والفارسى بعد الإسلام ، فهذه قد أدت إلى تغير العقلية لدى كل من الفريقين ، وقد وجد هذا التغير متنفسا له فى الأدب العربى ، ثم فى الأدب الفارسى ، لأن تلك النهضة كانت فى الأدب العربى أسبق منها فى الأدب الفارسى .

ونسأل مرة أخرى فنقول : ماذا كانت العناصر المتغلبة فى هذا المزيج ؟ أكانت العناصر العربية أم كانت العناصر الفارسية ؟ ويكاد يكون من المرجح فى نظرى أن العناصر الفارسية كانت لها الغلبة وإن كان للعناصر العربية فضل السبق ـ شأن الأدب فى ذلك شأن التدوين والتأليف فى العلوم والفنون المختلفة .

وقد يؤيد ذلك ما نراه من فروق واضحة بين الأساليب والمعانى الأدبية قبل الإسلام وبين نظائرها بعد أن اختلط العرب بالعجم ، وفى هذا المعنى يقول بعض الظرفاء : لغة العرب علم ، أما لغة الفرس فعسل .

ومن مظاهر الصلة بين العربية والفارسية الترجمة من إحدى اللغتين إلى الأخرى نثراً أو شعرا : فقد ترجم تاريخ الطبرى إلى الفارسية أبو على محمد البلعمى وزير منصور الأول ابن نوح الثانى السامانى (٣٥٠-٣٦٦هـ) وفى العصر نفسه ترجم فريق من العلماء تفسير الطبرى للقرآن الكريم من العربية إلى الفارسية وكذلك « كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية » لأبى منصور الموفق الهروى (حوالى سنة ٣٦٢) .

وترجم كليلة ودمنة إلى الفارسية شعرا أبو جعفر الرودكى شاعر الدولة السامانية ،

ويروى أن بديع الزمان الهمذانى ٣٢٩ - ٣٩٨، كان يجيد اللغتين ، فقد طلب إليه الصاحب بن عباد ٣٢٦ - ٣٨٥ ذات يوم أن ينظم له قصيدة فقال بديع الزمان : تفضل فاقترح على ماتريد فأنشد الصاحب ثلاثة أبيات بالفارسية ثم قال : ترجم هذه إلى العربية شعرا فقال بديع الزمان : تفضل فعين القافية التى تريدها ، فاختار الصاحب قافية الطاء ، فقال بديع الزمان : هل تتفضل فتعين البحر كما تشاء ؟ فقال الصاحب أسرع يا بديع فى البحر السريع . فأنشد بديع الزمان على البديهة :

سرقت من طرته شعرة
حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلجت بها مسرعا
تدلج النمل بحب الحناط
قال أبى من ولدى منكما
كلاكما يدخل سم الخياط

ويروى أيضاً أن أبا الفتح ، البستى ٤٠٠ كان يجيد اللغتين كذلك فقد ذكر أنه ترجم إلى العربية بيتين فى الغزل نظمهما أبو شكور البلخى من شعراء الدولة السامانية . معناهما :

نظرت من بعدك أراك
فجرحت وجنتك ذات الحسن والملاحه
فنظرت بطرفك العليل فجرحت قلبى
وهذا عدل فإن الجروح قصاص

وهذه هى ترجمة أبى الفتح للبيتين :

رميتك عن حكم القضاء بنظرة
ومالى عن حكم القضاء مناص
فلما جرحت الخد منكم بمقلتى
جرحت فؤادى والجروح قصاص

وغنى عن البيان أن فى الترجمة شيئا من التعسف وسوء التعبير .

وقد ترجم بدر الدين الجاجرمى (من الطبقة الرابعة من شعراء الفرس) إلى الفارسية شعراً قصيدة أبى الفتح التى مطلعها :

زيادة المرء فى دنياه نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان

• • •

ومن مظاهر تأثر كل من اللغتين بالأخرى استعمال العرب لكثير من الكلمات الفارسية بعد تعريبها تبعا للقواعد التى ذكرناها من قبل ، واستعمال الفرس لعدد أكبر من الكلمات العربية فى لغة التخاطب ولغة الأدب فى كلتا الحالين .

أما الظاهرة الأولى فقد شاعت بين العرب فى القرن الأول الهجرى وبخاصة بين سكان الكوفة والبصرة والمدينة الذين اختلطت بهم جاليات فارسية كثيرة العدد ، فقد قيل : إن سيلا من التجار والصناع وغيرهم كانوا يردون البصرة والكوفة ، وسرعان ما كونوا مع أسرى الحرب الكثيرى العدد ذوى الأصل الفارسى أغلبية السكان .

فى البصرة كانت اللغة الفارسية حينئذ لغة الخدمة فى الجيش ، وقد تأثر بعض العرب بطريقة النطق الفارسية فقد قيل :إن عبد الله ابن زياد (٣٠ - ٦٧ هـ) كان يقلب الحاء هاء والقاف كافا . وفى قصة يزيد (١) بن ربيعة بن مفرغ الحميرى أنه غلا فى هجاء آل أبى سفيان. فحكم عليه بأن يسق نبيذا حلوا خلط بالشبرم فأسهل بطنه ثم أمر به فجر فى طرق البصرة فى ثياب مهلهلة مشدوداً إلى هرة وخنزير ، وأن الصبيان كانوا يسخرون منه ويسألونه بالفارسية : إين جيست ؟ (= ما هذا ؟) فكان يجيبهم بالفارسية أيضا ويقول :

آب است - نبيذ است - عصارت زبيب است - سميه روسفيد است أوروسبى .

= هو ماء - هو نبيذ - هو عصارة الزبيب - سمية مشهورة أو بغى .

وقد حذا الكوفيون حذو البصريين فكانوا يؤثرون استعمال كلمات فارسية على استعمال نظيراتها العربية . فكانوا يقولون : خيار (= قثاء) وباذروج (حوك=رجلة) وفيدى (= مجذوم) ووازار (بازار = سوق) وجهار سوك (= جهار سو = مربعة أى سوق على مقطع طريقين) .

وفى سنن ابن ماجة ما يفيد أن أبا هريرة رضى الله عنه مرض ، فالتفت إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : شكم درد ؟ فقال نعم . فقال : قم فصل فإن فى الصلاة شفاء . ومعنى شكم : معدة . ومعنى درد : ألم ، فمعنى الجملة : هل وجعت معدتك ؟ (١) وقيل :إنه عليه الصلاة والسلام قال : العنب دودو ، والتمريك يك = كلوا العنب اثنتين اثنتين ، وكلوا التمر واحدة واحدة (٢) . وفى البيان والتبيين أن أهل المدينة نزل بهم ناس من الفرس فعلقوا بألفاظهم ، فسموا البطيخ الخربز والسميط (المنتوف الوبر) الروذق ، والمصوص (المزيل) المزوز (٣) .

وقد ورد فى الشعر العربى بعض كلمات فارسيه فقد استعمل جرير (١١٠ هـ) كلمه روذق بمعنى الحمل المنتوف الوبر فى قوله :

لا خير فى غضب الفرزدق بعد ما
سلخوا عجانك سلخ جلد الروذق

كما استعمل كلمه بيدق (إحدى قطع الشطرنج) بمعنى الشىء التافه فى قوله :

سبعون والوصفاء مهر بناتنا
إذ مهر جمثن مثل حز البيدق

واستعمل الفرزدق الكلمة نفسها مفرداً وجمعا فى قوله يخاطب جريراً :

ونحن إذا عدت تميم قديمها
مكان النواصى من وجوه السوابق

(١) البيان والتبيين : ٣ : ١٤٣ - ١ تحقيق الأستاذ عبد السلام هرون .

(١) شفاء الغليل : ص ٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣ - ٤ .

منعتك ميراث الملوك وتاجهم
وأنت لدرعي بيذق في البيادق[1]

يقول الجاحظ في هذا الموضوع :

وقد يتملح الأعرابي بأن يدخل في شعره شيئا من كلام الفارسية كقول العماني للرشيد في قصيدته التي مدحه فيها :

من يلقه من بطل مسرند في زغفة محكمة بالسرد تجول بين رأسه والكرد[2] يريد العنق . وفيها يقول أيضا :

لما هوى بين غياض الأسد وصار في كف الهزبر الورد آلى يذوق الدهر آب سرد

وكقول الآخر ؟ .

ودلهني وقع الأسنة والقنا
وكافركوبات لها عجر أقفد
بأيدي رجال ما كلامي كلامهم
يسومونني مردا وما أنا والمرد[3]

وكقول أسود بين أبي كريمة :

لزم الغرام ثوبي	بكرة في يوم سبت
فتمايلت عليهم	مثل زنكي بتى
قدحسا الداذي صرفا	أو عقاراً بانخست
ثم كفتم دورباد	ويحكم آن خركفت
إن جلدي دبغته	أهل صنعاء بجفت
وأبو عمرة عندي	آن كوربد نمست
جالس أندر مكناد	أبا عمد بهشت

ولعل الصواب : « أيا مرد »[1] .

= أمسك الغرماء بثوبي يوم سبت صباحا ـ فملت عليهم كما يميل الزنجي الثمل وقد احتسى شراب الفساق الخالصة أو الخمر المخلوطة بقليل من الماء ، ثم قلت : معاذ الله ويحكم لقد قال هذا الحمار إن جلدي دبغه أهل صنعاء بتمر البلوط ، وما أبو عمرة عندي إلا أعمى . وليس ثملا . حاشا لله أن نجلس في الجنة أيها الرجل .

ومما يتصل بهذا الموضوع أن يتظرف الشاعر الملم بالفارسية فيذكر في شعره بالعربية بعض إشارات أو عبارات لا يفهمها إلا من يجيد الفارسية ، كما في قول أبي علي الساجي يمدح مدينة مرو :

بلد طيب وماء معين
وثرى طيبه يفوق العبيرا

يشير الشاعر بالبيت الثاني إلى اسم مدينة مرو فإنه إذا قرئ (مرو) كان معناه بالفارسية : لا تذهب .

وكما في قول أبي القاسم العلوي الأطروش في بعض رؤساء جرجان :

[1] البيان والتبيين السابق ذكره : ١٤١ ـ ١/١٤٢ .

[1] راجع كتاب « العربية تأليف يوهان فوك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار » ص ٢٠ـ٢١ .

[2] المسرندي : الغلاب ، والزغفة : درع واسعة محكمة ، والسرد : سمر الزرد .

[3] كافركوب للارعة المجرة : المقدة في الخشب ونحوه ، والاقفد : الغليظ العنق .

خليـلى قرا من الدهخذا
خذا حذراً من وداده خذا
يـكنى بسعد ونحسا حذا
وكل الخلائق منه كذا

فالدهخذا معناه : عميد القرية وبينه وبين وداده خذا جناس تام ، ويشير الشاعر فى البيت الثانى إلى المعنى الأصلى للاسم « دهخذا » وهو عطية الله ، ويقول : إن هـذا الاسم على غـير مسمى لأن العميد يسىء معاملة رعيته .[1]

ومما تأثر به الشعر العربى فى الشرق الإكثار من ذكر عيدى ، النيروز : ٣/٢١ ، والمهرجان ٩/٢١ ، الذى يسمى رام روز ، أى يوم الرام .[2]

يقول الثعالبى : ومن عجيب ما يروى عن أبى الطيب الطاهرى أنه كتب إلى أخيـه أبى طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بكرة يوم الرام بهذين البيتين :

وإنى والمؤذن يوم رام
لمختلفان فى هذى الغـداة
أنادى بالصبوح كه كيادا
إذا نادى بحىّ على الصلاة

وإذا برسول من أبى طاهر جاء برقعة فيها :

وإنى والمؤذن يوم رام
لمختلفان فى هذا الصباح
أنادى بالصبوح كه كيادا
إذا نادى بحى على الفلاح

وكان التقاء رسوليهما بالرقعتين فى منتصف الطريق ![1]

وفى كل من الرسالتين نجد كلمتين فارسيتين هما كه = أن ، وكيادا أى كياده بمعنى الخمول أو الفشل ، فالمعنى : أنادى بالصبوح قائلا : خمولا أوحى على الخمول .

أما عيد النيروز فقد ورد ذكره فى كثير من القصائد المسماة « بالنيروزيات » ، فمن ذلك قول أبى محمد الحسن بن على بن مطران من نيروزيه :

قد أتاك النيروز وهو بعيد
مرّ من قبله قريبا وسيل
سل سبيلا فيه إلى راحة النـ
ـفس براح كأنها سلسبيل
وهدايا النيروز ما يفعل النا
س ولـكن هديتى ما أقول[2]

وأما الظاهرة الثانية وهى استعمال الـكلمات العربية فى الفارسية فأمرها بين ، فقد كانت القاعدة المقررة لدى أدباء الفرس هى أنه

[1] يتيمة الدهر : ٤٧ ، ٦٧ ، ٤/٧٦ .
[2] رام : اليوم الحادى والعشرون من كل شهر هذا هو الأصل ، ولـكنه اختص بالحادى والعشرين من سبتمبر ، أو بالملك الذى يشرف على هذا اليوم .

[1] اليتيمة : ٤/٦٩ .
[2] اليتيمة : ٢٩ /٤

يسوغ لكل أديب أن يقتبس فى نثره أو شعره ما يشاء أن يقتبس من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والحكم والأمثال بنصوصها العربية ، وأن يستعمل فى حديثه وكتابته ما يختار من ألفاظ اللغة العربية الفصحى .
ونكتفى أن نمثل لهذه الظاهرة من الشعر الفارسى بقول سعدى الشيرازى فى البوستان ٥٨٠ — ٦٩١ هـ : يمدح الرسول :

كريم السجايا جميل الشيم
نبى البرايا شفيع الأمم
إمام رسل پيشواى سبيل
أمين خدا مهبط جبرئيل
شفيع الورى خواجة بعث ونشر
إمام الهدى صدر ديوان حشر
چه نعت پسندیده گویم ترا
عليك السلام أى نبى الورا

ويقول حافظ الشيرازى « ٧٩١ هـ » فى مطلع قصيدة من غزلياته :

ألا يا أيها الساقى أدر كأسا وناولها
كه عشق آسان نمود أول ولى أفتاد مشكلها

* * *

وقد تأثر الشعر الفارسى بنظام الشعر العربى الموزون المقفى ، وقد بينا فى القسم الأول من هذا البحث أن بهرام كور كان أول من أدخل هذا النظام فى الشعر الفارسى . غير أن أدباء الفرس لم يحاكوا البحور الشعرية العربية كما هى ، بل إنهم أدخلوا فيها بعض التعديلات ، فأطالوا بعضها فجعلوا الهزج من مفاعيلن ثمانى مرات . والرجز من مستفعلن ثمانى مرات ، والرمل من فاعلاتن ثمانى مرات أيضا ، وأهملوا الطويل والبسيط والوافر والكامل . واستحدثوا بحوراً أخرى أهمها المشاكل (: فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن) والجديد (= فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن) والقريب (مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتن) .
وأكثروا من اختصار « مفاعيلن » فى أول المصراع أو وسطه أو آخره فى بحر الهزج فجعلوه أخرم (= مفعولن) أو أخرب (= مفعول) أو أشتر (= فاعلن) أو أهتم (= فعول) .

وقد أكثروا من اتباع نظام الرباعى وهو من اختراعهم كما قلنا من قبل ، وكذلك المثنوى أو المزدوج وهو من اختراعهم أيضا ، وكانوا يلتزمونه فى الشعر القصصى كما فى الشاهنامه (٦٠ ألف بيت) للفردوسى (٣٢٣ — ٤١٦ هـ) ، والكنوز الخمسة (پنج گنج) للنظامى الكنجوى (٥٣٥ — ٥٩٩ هـ) وفى الشعر التصوفى كما فى حديقة الحكيم السنائى (٤٥٥ هـ) والمثنـــوى (٢٦ ألفـا) لجـــلال الدين الرومى (٦٠٤ — ٦٧٢ هـ) .

حامد عبد القادر

ابن قيّم الجوزيّه

للأستاذ ابراهيم عبد الباقي

هو محمد[١] بن أبى بكر بن سعيد بن حريز الزرعى[٢] الدمشقى أبو عبد الله شمس الدين كان أبوه قيما على الجوزية[٣] ومدير الشئونها.

ولد فى صفر سنة ٦٩١ هـ وتوفى فى ١٣ رجب سنة ٧٥١ هـ، وهذه السن وإن لم تبلغ به مبلغ المعمرين، ولكنها كانت طويلة، لأنها عامرة بجلائل الأعمال، وعظيم الآثار. كان عصره يموج بالاضطرابات السياسة والمنازعات الحربية، وكان الناس يسودهم التقليد الأعمى الذى يقف حجر عثرة فى سبيل الوصول إلى الصواب، لهذا لقى من قومه ما لقيه شيخه ابن تيمية من قبل، فقد اعتقل معه بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة، وحبس لإنكاره شد الرحيل لزيارة قبر الخليل، وامتحن امتحانا قاسيا من القضاة الذين عاصروه حيث كان يخالفهم فيما أفتوا به، سنة الله فى المصلحين فى كل عصر وجيل: « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون. أتواصوا به بل هم قوم طاغون » [١] « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » [٢].

ومما أثر عنه هذا القول: (إن الفقه قانون الحياة، والحياة فى تطور، فيجب على الباحث أن يكون حرا فى حياته العملية فلا يلتزم مذهبا معينا، بل يتوخى المعنى الصحيح يسير مع الحق حيث سارت ركائبه).

لهذا كان يعتمد فى الفقه على النصوص، ويجعلها محور بحثه، وهى الكتاب والسنة وبعدهما الإجماع وفتاوى الصحابة، والقياس واستصحاب الأصل، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، والعرف.

ومن مؤلفاته فى الفقه كتاب أعلام الموقعين فى ثلاثة أجزاء — والطرق الحكمية فى السياسة الشرعية - والصلاة وأحكام تاركها، ومن كتبه القيمة فى الفقه والسيرة زاد المعاد، وجدير بكل شخص أن يقتنى هذا الكتاب،

---

(١) ٦٩١ – ٧٥١ هـ ١٢٩٣ – ١٣٥٦ م.

(٢) الزرعى نسبة إلى زرع قرية من حوران والمسماة الآن: أزرع.

(٣) الجوزية: مدرسة.

(١) سورة الذاريات آيتى ٥٢، ٥٣.

(٢) سورة يس آية ٣٠.

وكل مكتبة تخلو منه فهي ناقصة ، وكذلك إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان ، أما كتبه في علم الكلام : فالصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، والكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر ، مفتاح السعادة .

أما كتبه في التصوف فكثيرة أهمها : مدارج السالكين ، شرح كتاب منازل السائرين للهروى ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، الفوائد ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، زاد المسافر ، الفتح القدسي ، الصراط المستقيم ، التحفة المكية ، الداء والدواء ، الهجرتين وباب السعادتين . جلاء الأفهام ، بدائع الفوائد . وله مجموعة في التفسير جمعها السلفي الشيخ محمد أويس الندوى تسمى التفسير القيم لابن القيم .

ومن أشهر مؤلفاته في التاريخ (أخبار النساء) تناول فيه كثيرا من جوانب المجتمع ، وله فوق ذلك كتب تدل على أنه كان ذا ثقافة واسعة وعلم غزير .

آفة العالم التقليد :

وإن من يقرأ له كتاب أعلام الموقعين يتضح له أنه عدو التقليد والتعصب المذهبي ، ولذا حاربهما وشن الغارة على من اتبعهما ، وحجته في ذلك أن التقليد لم ينتشر في عهد الرسول ولا في عهد الصحابة ، ولا التابعين ولا تابعي التابعين ، وإنما انتشر منذ القرن الرابع الهجرى حيث استقرت المذاهب الأربعة في البلاد المختلفة ، وكان لكل مذهب أنصار وأتباع حرصوا على نشر مذهب إمامهم ، ولم يزالوا على ذلك حتى قيض الله للأمة الإسلامية بطلى الإسلام : ابن تيمية ثم تلميذه ابن القيم في القرن السابع والقرن الثامن الهجرى فقاما بهذه الثورة على أسراء التقليد ومن على شاكلتهم من المتعصبين للمذاهب فأخذوا يدعوان إلى التحرر الفكرى ، ونبذ التقاليد الضارة التي شوهت حقائق الدين .

هب هذا المصلح الكبير والعالم الجرىء في وجه المقلدين داعيا إلى تحرر العقول من ربقة التقليد ، والتعصب لمذاهب السابقين ، والتمسك بالكتاب والسنة ، بعد أن استعرض أدلتهم وردها دليلا دليلا ثم عرض منهج الصحابة ، ثم التابعين ثم تابعي التابعين ، ثم الأئمة وموقفهم من المسائل التي تعرض لهم .

أما الصحابة فكانوا يسألون عن سنة رسول الله كما فعل ابن عباس وغيره ، إذ كانوا يسألون أمهات المؤمنين عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته .

أما التابعون فكانوا يسألون الصحابة عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء تابعو التابعين فسلكوا مسلك التابعين ، ثم جاء الأئمة فساروا مثلهم ، ولم يكن الأئمة يقدمون على النص شيئا ، ولو كانوا مقلدين لما اختلفوا فى فهم الأحكام التى لم ينص عليها من كتاب ولا سنة .

وكان الصحابة يذمون التقليد ، ويسمون المقلد الإمعة . قال ابن مسعود : (الإمعة الذى يحقب[1] دينه الرجال ، وكانوا يسمونه الأعمى الذى لا بصيرة له . والمقلدون أتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح[2]) ، وقد سرد ابن القيم أقوال الأئمة فى التحذير عن التقليد إلا بعد معرفة الدليل فمن ذلك ، ما قاله مالك : (أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا فى رأيى : فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافق فاتركوه) وقال عند موته : (وددت أنى ضربت بكل مسألة تكلمت فيها برأيى سوطاً على أنه لا صبر لى على السياط[3]) .

وقال الشافعى لأحمد : (يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث منى ، فاذا صح الحديث فأعلمنى حتى أذهب إليه شاميا ، أو كوفيا ، أو بصريا[1] وقال أحمد : (لا تقلد فى دينك أحدا)[2] .

أدلة المقلدين والرد عليها من كلام ابن القيم :

دليلهم الأول : قول الله تعلى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »[3] أمر سبحانه من لا علم له أن يسأل من هو أعلم منه رد عليهم ابن القيم بأن هذا دليل عليهم لا لهم لأن أهل الذكر هم أهل القرآن والحديث ، فتفسير الذكر بغير القرآن والحديث خطأ محض ، يوضح ذلك أن الصحابة كان يسأل بعضهم بعضا عما قاله الرسول أو فعله .

وكانوا يرجعون إلى أمهات المؤمنين فى فعل الرسول فى بيته ، وكذلك التابعون يسألون من قبلهم .

فأهل الذكر فى نظر المقلدين العلماء ، وسؤالهم تقليد لهم ولكن ابن القيم يرد عليهم بأن الذكر فى القرآن يراد به القرآن والسنة محتجا بالآية : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة »[4] فالآية لا تدل على تقليد العلماء وإنما تدل على الرجوع إلى الكتاب والسنة .

---

(١) المحقب : المردف والمعنى أنه يسير وراء الرجال فى أحكام دينه .

(٢) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٣) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٤٩ .

(١) إعلام الموقعين ص ٣٢٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٠٩

(٣) الآية ٤٣ النحل .

(٤) الآية ٣٤ الأحزاب .

الدليل الثانى للمقلدين : أن عمر قلد أبا بكر فى الكلالة ، فعن الشعبى أن أبا بكر قال فى الكلالة : (أقضى فيها ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله منه برىء : هو ما دون الولد والوالد) فقال عمر بن الخطاب إنى لأستحى من الله أن أخالف أبا بكر (١) .

رد عليهم ابن القيم بأنهم اختصروا هذا الحديث ، وحذفوا منه ما يبطل استدلالهم ثم ساق الحديث بتمامه وهو : (قال شعبة عن عاصم الأحول عن الشعبى أن أبا بكر قال فى الكلالة : أقضى فيها برأيى ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله منه برىء : هو مادون الولد والوالد) فقال عمر بن الخطاب : (إنى لأستحى من الله أن أخالف أبا بكر) فاستحيا عمر من مخالفة أبى بكر فى اعترافه بجواز الخطأ عليه وأنه ليس كلامه كله صوابا مأمونا عليه من الخطأ ، ويدل على ذلك أن عمر أقر عند موته أنه لم يقض فى الكلالة بشىء . وقد اعترف بأنه لم يفهمها ، ولو سلمنا جدلا أن عمر قلد أبا بكر فالبون شاسع بين أبى بكر وبين من قلدتموه ، على أن تقليد عمر لأبى بكر فى مسألة لا ينهض حجة على اتخاذ أقوال رجل بعينه بمنزلة النصوص ، ولا يلتفت إلى سواها (١) .

دليلهم الثالث : أن الصحابة كانوا يفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى بين أظهرهم ، وهذا تقليد لهم قطعا إذ قولهم لا يكون حجة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم (٢) .

قال رحمه الله رداعليهم : قولكم كان الصحابة يفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى بين أظهرهم ، وهذا تقليد من المستفتين لهم ، جوابه : أن فتواهم إنما كانت عن الله ورسوله وأنهم كانوا بمنزلة المخبرين فقط ولم تكن فتواهم تقليداً لرأى فلان وفلان وإن خالفت النصوص فهم لم يكونوا مقلدين فى فتواهم ، ولا يفتون بغير النصوص ، ولم يكن المستفتون لهم يعتمدون إلا على مايبلغونهم إياه عن نبيهم فيقولون : أمر بكذا وكذا ، ونهى عن كذا ، هكذا كانت فتواهم فهى حجة على المستفتين كما هى حجة عليهم ، ولا فرق بينهم وبين المستفتين لهم فى ذلك إلا فى الواسطة بينهم وبين الرسول وعدمها (٣) .

الحيل باسم الدين ومحاربتها :

يذكر ابن القيم فى كتابه إعلام الموقعين أن الحيل ما هى إلا تلاعب بالدين لأنها تحل

---

(١) إعلام الموقعين جـ ٢ صـ ٢٣٠ .

(١) نفس المرجع صـ ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
(٢) إعلام الموقعين جـ ٢ صـ ٣٠٣ .
(٣) إعلام الموقعين جـ ٢ صـ ٣٣٧ : ٣٣٨ .

الحرام وتسقط الحقوق ، وأن فيها مخادعة لله ولم تظهر إلا بعد الصحابة ، وظلت شرذمة قليلة تحبذها ، ولكنها كانت من القلة بمكان فلا يقام لها وزن ولا يسمع لها قول ، حتى جاء المصلح الكبير ابن تيمية وبعده تلميذه ابن القيم فاعتبراها خروجا على الدين، ومجافية للعقل السليم ، ونقضاء على المصلحة المقصودة من التشريع ، فمثلا فسخ النكاح يثبت للمرأة إذا ظهر عيب من العيوب التى نص عليها الفقهاء عند الرجل كالعنة [1] ، والجنون ، والبرص ، والجذام ، والجب[2]. فإن للمرأة فسخ النكاح بسببها ، ولكنها تحتال على الفسخ بطريقة أخرى من تشريع الشيطان ، فتلجأ إلى الارتداد عن الدين لتفسخ النكاح وبالعكس ، كذلك أكل الصائم فى نهار رمضان إذا أراد وطء زوجته نهارا ليسقط الكفارة عن نفسه ؛ لأن من يفطر بوطء زوجته عامداً يلزمه عتق رقبة مؤمنة ، فإن عجز فصيام شهرين متتابعين ، فإن عجز فإطعام ستين مسكينا .

فهذا المحتال يقصد إلى التخلص من هذه الكفارة ؛ لأنه يعتبر مفطرا بتناول الطعام لا بالجماع ، ومن الحيل أيضا إقرار المريض بأن ماله كله أو بعضه لأحد الورثة أو الذكور دون الإناث ، يقصد بذلك حرمان البعض من الميراث ، ومنها التحايل على إسقاط الشفعة باتفاق البائع والمشترى على الثمن قبل العقد ، وعند العقد يعطى المشترى البائع صرة غير موزونة فلا يعرف الشفيع مقدار ما يدفع ، ويرى ابن القيم أن هذا فيه تفويتا لمقصود الشرع ؛ لأن الجار أحق بالمبيع من المشترى بثمنه ، وعلى هذا فلا يسقط حقه بهذا الخداع .

ومما ذكره من الحيل كذلك التحايل على إسقاط حد السرقة بدعوى الملكية ، فيدعى السارق أن المسروق ملكه ، وبدهى أنه لو أخذنا بهذه الحيلة لادعى الكثيرون هذا الادعاء الباطل ، ولعطلت الحدود التى فيها زجر للنفوس من الغى ، ومحافظة على أموال الناس ونفوسهم وأعراضهم ، وأعظم من هذا وذاك حيلة تحليل المرأة لزوجها ، فإن المقصود من زواج المرأة المطلقة ثلاثا أن تأخذ درسا فى الحياة وتعلم الفرق بين الحياتين حياة الزوج الأول ، وحياة الزوج الثانى ، حيث لم ينفعها الطلاق الأول الذى هو بمثابة إنذار أول ، والطلاق الثانى الذى هو بمثابة إنذار ثان ، وبدهى أنه لا يتحقق هذا المعنى إلا إذا تزوجت بآخر زواجا شرعيا يقصد به بناء أسرة ، لا هذه المتعة الرخيصة التى ليست

(١) العنه بضم العين وتشديد النون : مرض بسبب الضعف الجنسى عند الرجل .

[٢] الجب بفتح الجيم : قطع جميع الذكر أو بعضه.

المقصد الأسمى للزواج ، ولقد أفاض ابن القيم الحديث فى بيان أضرار هذه الحيلة ، ومما قاله فى كتاب إعلام الموقعين : التحليل من أقبح القبائح ، ومن أعظم الفضائح ، وهو عمى فى عين الدين ، وشجى فى حلوق المؤمنين ، لعن رسول الله فاعله ، وتوعده بالرجم ، إلى أن قال : لعمر الله كم أخرج التحليل مخدرة من سترها إلى البغاء ؟ .

وقد سبقه فى ذلك شيخه ابن تيمية فألف فيه كتابا سماه : « إقامة الدليل على بطلان التحليل » أبطل فيه جميع الحيل التى شاعت فى الناس باسم الدين ، والأضرار التى تنجم منها . وقد نهج ابن القيم منهج أستاذه فقال فى إعلام الموقعين : الحيل حرام من وجوه :

أولا : أنها مضادة لحكم الله ، ومفوتة لما يقصده الشرع الشريف .

ثانيا : فيها تحليل ما حرم الله .

ثالثا : فيها الخداع الذى نهى عنه الدين ، وقد جاء فى الحديث الصحيح على شرط الشيخين ـ أن رجلا جاء إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا فتزوجها أخ له من غير مؤامرة ليحلها لأخيه ، هل تحل للأول ؟ قال : لا إلا نكاح رغبة ، كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم .

وسئل أيضا ابن عباس فقيل له : (إن عمى طلق زوجته ثلاثا ، أيحلها رجل ، فقال : (من يخادع الله يخدعه) وصح عن أنس ، وعبد الله بن عباس أنهما سئلا عن العينة[1] فقال : إن الله لا يخدع ، هذا مما حرم الله ورسوله) والعينة : حيلة باطلة يتوصل بها إلى حل الربا ، وصورتها أن يبيع تاجر سلعته بثمن إلى أجل فى زمنه ، ثم يشتريها منه بأقل من ذلك الثمن نقدا وهكذا ونحن لسنا بصدد تعداد الحيل حتى نستوعبها ولقد اعترف ابن القيم فى كتابه أنه لو تتبع جميع الحيل لطال الكتاب ، ولكنه اكتفى بأمثلة ليتحقق القارئ أن الحيل أضرارها خطيرة وفيها قلب للأوضاع وتلاعب بالدين .

النصوص الدالة على بطلان الحيل :

جاء فى إعلام الموقعين أيضا أن اليهود حرم الله عليهم الصيد يوم السبت امتحانا لهم فعز عليهم الحرمان من الحيتان التى تأتيهم يوم السبت وتنقطع فى غيره ، فتحيلوا على صيدها بنصب الحبائل يوم الجمعة فصنعوا بركا قبل السبت لينزل السمك فيها فإذا كان يوم الأحد أخرجوا السمك وقد ظنوا أنهم قد تخلصوا من عقاب الله تعالى لهم ولكن الله عاقبهم شر عقاب حيث مسخهم قردة وأبعدهم من رحمته ، مصداق ذلك قول الله تعالى :

« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين[2] » ، وقال :

---

(١) العينة بكسر العين وفتح الياء والنون : السلف

(٢) آية البقرة ٦٥ .

« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت [١] » وقال : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون [٢] » .

وهذا النص من القرآن الكريم يصفعُ ناصية المحتالين ويردُّهم على أعقابهم خاسرين أما من السنة فحديث :

(إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه [٣]) استدل ابن القيم على بطلان الحيل بهذا الحديث فالجملة الأولى : (إنما الأعمال بالنيات) تفيد أن العمل لا يصح إلا بالنية ، والجملة الثانية : (وإنما لكل امرئ ما نوى) تفيد أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه ، وهذا يعم العبادات والمعاملات ، والأيمان والنذر وسائر العقود ، والأفعال ، وهذا دليل على أن من نوى الربا بالبيع حصل له الربا ولا يعصمه عن ذلك صورة البيع ، وأن من نوى بعقد النكاح التحليل كان محللا ، ولا يخرجه عن ذلك صورة عقد النكاح ، لأنه قد نوى ذلك ، وإنما لكل امرئ ما نوى .

فالمقدمة الأولى معلومة بالوجدان ، والثانية بالنص ، فإذا نوى بالعصير حصول الخمر كان له ما نواه ، ولذلك استحق اللعن ، وإذا نوى بالعقد التحليل على ما حرمه الله ورسوله كان له ما نواه . والدليل على أن القصد والنية معتبران من الكتاب والسنة ما يأتى : — قال تعالى : « وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحا [١] » .

وقال تعالى : « ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا [٢] » منطوق هاتين الآيتين الكريمتين أن الرجعة شرعت لمن قصد الصلاح دون الإضرار .

وقال تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار [٣] » فالوصية تنفذ إذا لم يقصد بها الإضرار بالورثة .

وجاء فى السنة ما يأتى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صيد البر لكم حلال وأنتم حرم مالم تصيدوه أو يصد لكم) يفيد

---

(١) ٤٧ النساء .
(٢) آية الاعراف ١٦٣ .
(٣) البخارى عن عمر بن الخطاب .

(١) آية البقرة ٢٢٨ .
(٢) آية البقرة ٢٣١ .
(٣) النساء ١٢ .

الحديث أنه يحرم على المحرم الأكل من صيد الحلال إذا صاده له صائد فقصد تحليل الصيد للمحرم حرم الصيد على المحرم .

ومن حديث أبي هريرة (... ومن استدان دينا ينوى ألا يقضيه فهو سارق) فنيته عدم الأداء حرمت عليه الأخذ ، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تزوج امرأة بصداق ينوى ألا يؤديه إليها فهو زان) فدل الحديث على أن المتزوج إذا قصد عدم أداء الصداق كانت زوجته حراما عليه ، فالنية جعلت النكاح زنا والدين سرقة .

كذلك لا يقع الطلاق إلا باللفظ والإرادة أعنى إرادة التكلم والقصد والمعنى ، فلو لم يعرف المعنى أو لم يقصد بأن كان مكرهاً لم يقع طلاقه بخلاف الهازل ؛ لأنه قاصد التكلم . ويستدل ابن القيم على ذلك بأن الله تعالى رتب الأحكام على الألفاظ لدلالتها على قصد المتكلم بها وإرادته ، فإذا عقد الكلام ولم يقصد المعنى ولم يقصد مخالفة ما التزمه ، ولا الحنث فلا يقع ، بل قد رفع المؤاخذة عنه بما لم يقصده .

الذرائع :

يرى ابن القيم أن كل ما أفضى إلى المحرم فهو محرم ، وكل ما أفضى إلى المكروه فهو مكروه ، وضرب لذلك أمثلة فى إعلام الموقعين وغيره منها : نهى النبي صلى الله عليه وسلم المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تتطيب ؛ لأن فى ذلك إغراء للرجال ، كما أمرها ألا تسافر أو تختلط بالرجل إلا إذا كان معها محرم أو زوج ، ومنها ألا يجمع فى النكاح بين الأخت وأختها ، وبين المرأة وعمتها أو خالتها أو بالعكس ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : (إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) .

ومنها قول الله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم »(1) فسب الآلهة مباح ، ولكن نهى الله عنه لأنه يفضى إلى محرم وهو سبهم لله ، وكذلك كل ما يفضى إلى الظنون السيئة ، كالخروج من المسجد حين الأذان ، والجلوس مع الأشرار وفى هذا جاء الحديث الشريف (من سلك مسالك التهم اتهم ولا أجر له) وفى عهد عمر ابن عبد العزيز أتى له بجماعة شربوا الخمر ليقام عليهم الحد وفيهم رجل لم يشرب معهم فأمر عمر رضى الله عنه أن يبدأ به ، وقال أولم يقرأ قول الله تعالى « فلا تقعدوا معهم »(2)

منزلة السنة من القرآن عند ابن القيم :

يرى ابن القيم أن السنة موافقة للقرآن من

(1) آية الأنعام : ١٠٨ .
(2) آية النساء : ١٤٠ .

من كل وجه ، فتارة تؤيده أو تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيراً له ، أو تبين حكما سكت القرآن عن إيجابه ، أو تحريمه ، فإذا ما جاءت السنة بما يفيد التعارض ، فإن أمكن التأويل وذهبت المعارضة فذاك ، وإلا فليضرب عن السنة صفحا حيث إنها عارضت القرآن المتواتر ودلت دلالة واضحة على أنها لم تثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأن القرآن والسنة خرجتا من بين شفتيه عليه السلام ، وقد أثرت عن الرسول أحاديث كثيرة تفيد أن السنة تزيد عما فى الكتاب .

روى المقدام بن معد يكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع) .

وفى لفظ آخر : (يوشك أن يقعد الرجل على أريكته فيحدث بحديثى فيقول : بينى وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله) قال الترمذى : حديث حسن ، وقال البيهقى : إسناده صحيح . ومن اطلع على السنة يرى كثيراً من الأحكام مفصلة لما فى الكتاب ، من ذلك : مقادير الزكاة وأنصبتها ، كيفية الصلاة ، نكاح المرأة على بنت أختها أو بنت أخيها ، تحريم الرضاع كتحريم النسب ، الشفعة ، توريث الجدة ، منع التوارث بين المسلم والكافر ، وتوريث بنت الابن الذى مع البنت ...

تصوف ابن القيم :

كان ابن القيم متصوفا ، وكان تصوفه وسطا بين الإفراط والتفريط ، فلم يغل غلو ابن العربى ومن على شاكلته ، ولم ينزل إلى التقصير كما عليه بعض المتصوفين من جهلة اليوم ، فهو يرى أن التصوف الحق هو العمل بالكتاب والسنة ، ونص على هؤلاء الذين جعلوا للشريعة ظاهرا وباطنا ، وأسقطوا التكاليف عمن وصل إلى علم الحقيقة ، وأنه ليس هناك خلق منفصل عن الله تعالى ، بل الله تجلى فيه وظهر ، وهذا ما يسمى بوحدة الوجود ، لهذا كان يحبذ طريقة المتصوفين القدامى ، ويثنى عليهم ثناء مستطابا مثل على ابن أبى طالب ، والحسن البصرى ، ومعروف الكرخى ، والجنيد وسفيان الثورى وأبى عثمان النيسابورى ، ومن أراد أن يعرف التصوف الحق فليطلع على كتابه (مدارك السالكين) شرح كتاب منازل السائرين للهروى وهو من أنفس كتب التصوف .

شهادة العلماء له :

قال عنه ابن حجر : كان جرىء الجنان ، واسع العلم عارفا بالخلاف ، ومذاهب السلف وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شىء من أقواله ، بل ينتصر له فى جميع ذلك ، وقد هذب كتبه ، وقال : وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى حتى يتعالى النهار ويقول : هذه غدوتى لو لم أقعدها سقطت قواى ، وكان يقول بالصبر والفقر تنال الإمامة فى الدين ، وقال القاضى برهان الدين الزرعى : ما تحت أديم السماء أوسع علما منه اه .

وإجمال القول أن ابن القيم كان من الشخصيات الإسلامية التى أخلصت لله ، وأفنت حياتها فى الدعوة إلى صحيح الإيمان فجزاه الله خيرا بقدر إخلاصه فى الدين ، وما سدى للإسلام من جميل ؟

ابراهيم عبد الباقى
من علماء الأزهر

طرائف

كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكى ، فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر ، قال زياد بن عمرو : يا أمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذى لا ينبو ، وسهمك الذى لا يطيش ، وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم ! فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه .

* * *

قال أسماء بن خارجة الفزارى : لا أشاتم رجلا ، ولا أرد سائلا ، فإنما هو كريم أسد خلته ، أو لئيم أشترى عرضى منه .

* * *

وقال سهل بن هارون : يجب على كل ذى مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بدىء بالنعمة قبل استحقاقها .

عندنا وعندهم :

الرأى العام فى الإسلام

للأستاذ محمد رجب البيومى

ينظر بعض المفكرين فى أوربا إلى الرأى العام نظرة مريبة فهو فى رأيهم آلة تسخرها الدعاية وتسيرها العاطفة دون تعمق فى أسباب أو ارتقاب إلى نتائج ، والكاتب اللبق يستطيع فى منطق هؤلاء أن يحول الجماهير عن رأى صائب إلى رأى مخطئ بما ينمق من خيالات ، وقد يكون هذا القول منطبقا على ما نشاهده فى التاريخ الأوربى المعاصر ، فهو يقدم لنا من ألوان الاحتيال على الحقائق ، وأفانين التهجم على القيم ما يدفعنا إلى إساءة الظن بالرأى العام الأوربى مهما يزعم لنفسه من تقدم وتثقيف ، فنحن نجد المعسكرين : الديمقراطى والشيوعى كليهما يقدسان فى ظواهر الأقوال مكانة الرأى العام ، ولكنك تجيل العين الفاحصة فتجد كل معسكر يخضع لساسة محترفين يوحون بالفكرة الفردية بادئ ذى بدء ، ثم يعبئون شتى الجهود اللسانية والقلمية للدعاية لها حتى تصبح بين يوم وآخر أمراً بدهيا لا يقبل المعارضة ، ويندفع الرأى العام هناك لتأييدها مطالبا متسرعا وكأنها قد انبعثت من أعماقه ، غافلا عما يكون بها من مآخذ تستأهل المراجعة ، وقد كان وجود المدرسة النازية فى ألمانيا معلما أول يلقن أساليب الدعاية والتمويه ، فاندفعت الدول الأخرى إلى تطبيق نظرياته ، واستلهام مذاهبه ، وأصبح كتاب الدكتور جوزيف جوبلز (نصيبى فى كفاح ألمانيا) دستوراً محترما فى واقع الأمر لدى الأوربيين ، وإن تظاهروا بالنقمة عليه ، والبعد عن اتجاهاته ، والحق أن الدكتور جوبلز وزير الدعاية الألمانى كان عجيباً جداً فى بابه ، وما نحسب أن دولة من الدول وهبت داعية عظيما فى مثل ملكته وكفايته ، فقد فرض عليه هتلر أن يضع برنامجا لتعليم الشعب الألمانى تعليما من شأنه أن يجمع كل القوى المؤثرة فى الشعب فى يد واحدة مطلقة السلطة والتصرف ، وجوبلز يقول بصدد ذلك : (لقد ألقى على عبء هذا العمل ، إنه ميدان فسيح تتجاوز حدوده مقدرة كل إنسان ، إنه عمل هائل يتطلب تحقيقه إنفاق العمر فى جهد متصل ، وصبر عظيم ، ويتطلب قوة ذهنية جبارة ومقدرة تامة على إدارة وسائل الدعاية الحديثة ، إدارة تشمل الشعب جماعة جماعة وفردا فردا) .

وقد ذهبت النازية، وبقى أعداؤها ليسيروا على نهجها فى غسق الليل، زاعمين أنهم يقفون منها على طرفى نقيض، وقل لى بربك كيف يوافق الرأى العام المثقف فى أمريكا وإنجلترا وفرنسا على فظائع الاستعماريين فى تونس والجزائر، وإبادة آلاف الضحايا، كما وافق من قبل على تشريد أمة عربية شهيدة دون أدنى جريرة !! كيف يوافق الرأى العام الأوربى والأمريكى على هذه الفظائع الدامية إن لم تكن أساليب الدكتور جوبلز فى الدعاية هى الدستور الأعظم لقادة هذه الشعوب !.

لسنا نتجنى على الرأى العام فى أوربا الديمقراطية حين ننص على أنه قد فقد حريته الطبيعية وأصبح آلة مسخرة تديرها الدعاية كما تشاء، فهناك عشرات من المفكرين الديمقراطيين يعلنون هذا الواقع الشائن فى مرارة، وها هو ذا الدكتور لوبيلز الأستاذ بجامعة كونتجن يجهر بذلك فى صراحة إذ يقول: « وفى الواقع لقد ابتعد الرأى العام فى دول الأحزاب الديمقراطية عن أن يكون التعبير الصادق فى المجتمع الحر، ويظهر ذلك من ملاحظة أن المبادئ الحرة فى هذا البلد - يريد انجلترا - قد احتفظت بقوتها أكثر من أى بلد آخر، ولكن رغم ذلك نرى كيف أخذ الرأى العام تحت الضغط الآلى، والسيطرة الجماعية يميل ليمس أكثر فأكثر نوعا غير منتظم الشكل يخضع لتيارات الأفكار التكتلية، وبهذا غدا الرأى العام الجماعى الذى فقد القوة المعبرة والكفاءة واقعا تحت تصرف أولئك الذين يديرون المجتمع [1] ».

وطبيعى أن يبحث الكاتب وأمثاله من المفكرين عن علاج ناجع لهذا الداء الخطير، ليرد على الرأى العام ما فقد من ضعفه، فيصبح كما تتخيله مثلهم الفكرية أمينا مخلصا يهدف إلى الكرامة والحرية والمساواة !! وقد أجهد الأستاذ ليبولز فكره منقبا عن هذا العلاج حتى اهتدى إلى القيم الروحية فهى التى تفعل ما لا يفعل القانون، وتصون ما لا تصون التقاليد المتوارثة. وإنه ليؤكد ذلك مكررا معاودا، فيقول فى استنتاج متعقل: (وقد أظهرت اختبارات القرن الماضى هبوط كل محاولة لبناء سياسى جديد على أسس إنسانية محضة، وثبت أن انبعاث الروح الحقيقى يكون عن طريق أولئك الذين يجمعون تجاربهم من موارد روحية عميقة). وهنا موضع العبرة من كلام الرجل، فإن تكوين رأى عام عن طريق القيم الروحية قد وجد تطبيقه العملى فى الإسلام وحده، ونجح نجاحا هائلا تتتابع دلائله فيما سطره المؤرخون شرقا وغربا عن حياة الإسلام الأولى فى عهده الخالص المخلص، ونحن نقول: إنه وجد تطبيقه العملى فى الإسلام وحده، لأن المسيحية لم تضع قوانين المعاملات، ونظم التعاقد والترابط فى كتاب مقدس

(١) ترجمة الأستاذ فؤاد طرزى ببغداد.

لتكون معروفة مؤكدة لا يختلف فيها اثنان ، بل اتجهت إلى التهذيب الروحى والتطهير الوجدانى مكتفية بقوانين المجتمع الرومانى ، أما الإسلام فقد عالج أمور الدولة وسن شرائع الناس ثم فرض اتباع تعاليمه فرضا ملزما فسار وراءها الرأى العام المسلم قبل أن تتجه إليه معاول التخريب .

وتاريخ الحقبة الأولى من حياة الإسلام شاهد لا يخطىء ، فقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم والعرب أحرار لا تجمعهم غير التقاليد الموروثة المتباينة ، فحمل إليهم رسالة العدالة والمساواة والإخاء والحرية ، وبلغ الناس كتابا يجمع ما أمر الله به أن يفعل ، فأصبح القرآن دستورا جامعا ، وإماما هاديا ، وبذلك كون رأيا عاما يتمسك بأهدابه فيعتصم بفضائله ويخالف مناهيه ، وأصبح كل مسلم يختط طريقه فى الحياة على هديه ، فإذا أطاع أمير المؤمنين ففى طاعة الله لا فى معصيته ، وإذا عامل رئيسه أومرءوسه ففى نطاق شريعة مقدسة مدروسة ، فلو نعق ناعق بما يخالف آية كريمة أو يعارض أثرا نبويا تحداه الرأى العام الإسلامى أن يأتى بدليل قرآنى يقف له ! وهكذا تكون الرأى العام فى ضوء ساطع من القيم الروحية ، وفى هدى واضح من كتاب الله ، وإنه ليحدد مكانة الأمة الإسلامية وواجبها الشرعى فيقول فى جلاء : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ، وينحى باللائمة على بنى إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، كما يذم المنافقين ذما شائنا لأن بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم .

وقد جاءت أفعال الرسول ـ وهو المثل الأعلى للإنسان فى الإسلام ـ وأقواله شارحة وموضحة لأوامر الكتاب فى تكوين رأى عام مستنير يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، والرأى العام حينئذ هو مقياس الترجيح وأداة الحكم ، تصدر الأمة عن رأيه ، وتنبعث قوانينها من هداه .

روى ابن عساكر عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : (قال رجل يارسول الله متى أكون محسنا ومتى أكون مسيئا ؟ فقال : إذا أثنى عليك جيرانك أنك محسن فأنت محسن ، وإذا أثنى عليك جيرانك أنك مسىء فأنت مسىء) !!

وروى البخارى عن حرملة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما تأمرنى به أعمل ، فقال: ائت المعروف ، واجتنب المنكر ، وانظر ما يعجب أذنك أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فائته ، وانظر الذى تكره أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فتجنبه .

وروى البيهقى فى الشعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه . ولا تقفن عند رجل يضرب

مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه) .

وقال أيضا فيما رواه البخارى عن النعمان ابن بشر « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأخذ كل واحد منهم نصيبا ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء يمرون به على الذين فى أعلاها ، فتأذى الذين فى أعلاها بالمار عليهم ، فقال الذين فى أسفلها : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فأخذ أحدهم فأسا ، فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه ، فقالوا مالك ؟ قال تأذيتم بى ، ولابد لى من الماء ، فإن أخذوا على يديه ومنعوه أنجوه ، ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » .

فى ضوء هذه المبادئ الصريحة قرآنا وحديثا تكون الرأى العام الناضج فقال أبو بكر رضى الله عنه فى أول خطبة له : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم » وقال عمر بن الخطاب « من رأى منكم اعوجاجا فى فليقومه ! فرد عليه أحد المستمعين « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فوافقه عمر وأيده !! وهكذا أصبح كل مسلم رجل سياسة مفهومة ، تتغلغل فى أعماقه ، فهو يلتزم حد الله فيما يأتى ويدع .. وأصبح الرأى العام الإسلامى إذ ذاك حقيقة واقعة يسيطر عليها القرآن ، وتجمعها روح الإسلام ...

ولو قدر للفكرة الإسلامية أن تطرد على سوائها المستقيم بعد النبوة والخلافة الراشدة ، لسعد بها المسلمون ، ولكنها انتكست على يد معاوية حين أخذ البيعة ليزيد ، فرغب ورهب ، وقارب وباعد ، وأسكت الأفواه بالمال تارة وبالزجر تارة أخرى ، فأخذ الرأى العام الحر ينحسر ويتقلص ، وأصبح المخالف الجرىء يهتف فى أذن العاصى الغوى بالآية الحاسمة والأثر القاطع فلا يجد السميع ، ثم جاء الخلفاء من بعده فنهجوا نهجه - إلا قليلا ممن عصم الله - فانطفأت جذوة الغيرة على توالى المحن ، وتكون رأى عام آخر يقبل الضيم ويستنيم للمكروه !! ولك أن تقرأ هاتين الحادثتين لتوازن بين عهدين متنافرين اجتمع فيهما الرأى العام على مبدأين متناقضين ، فعلت كلمته فى عهد ، وخبت ريحه فى عهود .

١ - كان عمر بن الخطاب يقسم بعض الغنائم فنقده بعض الحاضرين ، فصاح صائح بالناقد : اتق الله فإنه أمير المؤمنين !! فقال عمر : دعه فلا خير فيكم إن لم تقولوها فينا ، ولا خير فينا إن لم تقبلها منكم .

٢ - خطب أبو جعفر المنصور فقال : أيها الناس اتقوا الله ، فقام إليه رجل من عرض الناس ، فقال : أذكرك الله الذى تذكرنا به يا أمير المؤمنين ، فرد أبو جعفر : سمعاً لمن ذكر بالله ، وأعوذ بالله أن أذكر به فأنساه ،

وتأخذنى العزة بالإثم ، وأما أنت ، فوالله ما الله أردت بها ، ولكن ليقال : قال فعوقب فصبر ، وأهون بها لو كانت . وأنا أحذركم أيها الناس أمثالها فإن الموعظة علينا نزلت ومنا أخذت » .

فقوة الرأى الحر الملزم تتجلى بوضوح فى عهد الخليفة الراشد وتتضاءل فى انكماش فى ظل المتجبرين من الورثة ، والمدلين بالنسب ، ونحمد الله أن تقدم بنا الزمن فمضت عصور الاستبداد إلى غير رجعة ، وفاء المسلمون إلى دينهم يحفظون قرآنه ، ويتفهمون حديثه ، ويقرءون تاريخه ، وما أحراهم أن يكونوا رأيا عاما إسلاميا تجتمع كلمتهم عليه ، دون تراجع ونكوص .

على أن أشد ما يمنى به الرأى العام من أخطار هو أن يصاب بأبالسة يحرفون الكلم عن مواضعه فلا يعمدون إلى الصراحة فى فرض أفكارهم الخاصة ، وأهوائهم الشخصية بل يقصدون إلى القضايا المسلمة ، والحقائق المتعارفة ، فيشرحونها على غير وجهها ، ويحملونها ما لا تطيق من الاتجاهات ، والجمهور لا يفطن إلى الوجه الصائب ، وقد يجوز ذلك بكثرة فى القوانين الوضعية والمسلمات التقليدية ، ولكنه يصعب كثيراً فى دستور محكم فسرت آياته الكريمة فى شتى المراجع على توالى العصور ! واشتهرت منازعه اشتهاراً ظاهرته السنة المتداولة ، وأيده واقع التاريخ الإسلامى فى مده الحافل بشتى عظاته ومثله لأنه وجد فى كل جيل من يرسم الطريق الواضح على هديه ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ! ! وإن ضاعت صيحاتهم بددا فى خضم المتجبرين ، ولكنه ضياع مؤقت لا يلبث أن ينشد نفسه ، أما الزبد فيذهب جفاء . فالرأى العام الإسلامى يعرف مصادر وحيه ، ومصابيح هدايته ، وله إحساس يلهمه وجه الحق فيما اشتبه من الدليل ، والتبس من القول ، ولديه مراجعه المتوارثة على الأجيال من خلاصة التفاسير ، ولباب الأحاديث ومعتمد الكتب والنصوص ، فإذا حاول محاول ما أن يخدعه عن طريق الحق فلن يستطيع المسير ، لا سيما فى عصر مدنى كهذا العصر تعددت فيه ألوان المعارف ، وتيسرت سبل التحصيل ، ولا أظن رأيا عاما آخر لا يستند فى قيمه الخلقية ومعاملاته الشخصية . إلى كتاب واضح محكم ، يستطيع أن يجد من حرارة الإيمان ما يجده الرأى العام الإسلامى فى دفاعه عن المقدسات والذخائر ، وإذا كان المستنيرون من دارسى التاريخ الإسلامى يأسفون لانحراف حكامه حقبا طويلة عن طريق الحق ، فإن العهود الحديثة أصبحت تستبشع هذا الانحراف ولا تصبر عليه ، وتتطلع إلى عهود المساواة والأخوة والحرية فى شوق عظيم ! ! وقد سارت الجمهورية العربية شوطا حميدا فى هذا الطريق وإنا لنرجو أن تلحق بها أخواتها عن قريب .

محمد رجب البيومى

اللغة العربية فى إفريقيا

للأستاذ جلال عباس

أخذت اللغة العربية تنتشر فى أقطار القارة الإفريقية منذ الفتح العربى ، وقد امتدت خطوط هذا الانتشار مع الفتح العربى الذى صحبته هجرات من القبائل العربية فى الشرق والغرب ، فوصلت إلى خط العرض الخامس شمال خط الاستواء فى غرب القارة ، كما امتدت معرفة اللغة العربية واستعمالها فى شرق القارة إلى الداخل حتى حدود الكنغو والمناطق الشرقية منه ، وطبيعى أن انتشار اللغة العربية وعدد المتكلمين بها يقل تدريجيا كلما بعدنا عن مراكز إشعاع العروبة وتأثيرها فى شمال القارة وشرقها ؛ فى مناطق إفريقيا الغربية يقل عدد المتكلمين بالعربية تدريجيا كلما اتجهنا جنوبا تجاه ساحل غانا ، وفى الشرق يقل انتشارها كلما توغلنا بعيدا عن ساحل المحيط الهندى نحو الغرب فى المناطق الداخلية .

عوامل انتشار اللغة العربية فى إفريقيا :

ولقد ساعد على انتشار اللغة العربية فى القارة الأفريقية عوامل متعددة أهمها :

١ — هجرات القبائل العربية مثل بنى هلال وبنى سليم والفزارة فى غرب القارة ، وأبناء اليمن وجنوب الجزيرة العربية وعمان إلى الساحل الشرقى للقارة ، واختلاط هذه الجماعات بشعوب تلك المناطق .

٢ — اعتناق الشعوب الإفريقية للإسلام وشعورها بالحاجة إلى تفهم القرآن والأحاديث النبوية الشريفة دفعها إلى تعلم اللغة العربية فى الكتاتيب والخلوات العديدة التى انشأها فقهاء مسلمون هاجروا إلى تلك البلاد من مصر والحجاز أو من المغرب من أجل الدعوة للإسلام ونشر تعاليمه الصحيحة بين معتنقيه من القبائل الإفريقية .

٣ — تعدد اللغات الإفريقية وصعوبة التفاهم بها بين القبائل وبخاصة فى المعاملات التجارية جعل هذه الشعوب تقبل على اللغة العربية كلغة يمكن بها تحقيق التفاهم الكامل بينها .

٤ — انتشار التجار العرب فى الأسواق التجارية ساعد على تعلم الكثير من الإفريقيين لها ليسهل التعامل مع هؤلاء التجار العرب .

وبلغت قوة تأثير اللغة العربية فى القارة الإفريقية أن اللغات الأصلية القوية العظيمة الانتشار مثل لغة الهاوسا ولغة الماندنجو ولغة الولوف فى غرب القارة وكذلك اللغة

السواحلية فى شرق القارة واللغة الصومالية فى منطقة القرن الإفريقى ولغات التيجرة والدناكل فى أثيوبيا وأريتريا ، كل هذه اللغات استعارت الكثير من الألفاظ العربية نتيجة للاحتكاك بالعرب من جهة ونتيجة لاعتناق أبنائها الإسلام من جهة أخرى ، واتخذت هذه الألفاظ العربية التى دخلت اللغات الإفريقية إحدى صورتين :

الأولى : أنها تحورت بحيث تنطبق عليها قواعد التركيب اللفظى للغة الإفريقية كما حدث فى اللغة السواحلية ، وكذلك فى أكثر من نصف الألفاظ التى دخلت لغة الهاوسا .

والثانية : أنها احتفظت بشكلها العربى الخالص ، وهذه تمثلها الألفاظ التى تتعلق بشئون الدين والشرائع والنظم الإسلامية التى سادت فى المجتمعات التى اعتنقت الإسلام وتتكلم هذه اللغات مثل الهاوسا والفولا والمندنجو والولوف فى غرب القارة .

وليس معنى انتشار الألفاظ العربية فى اللغات الإفريقية أن تيار التعريب قد وقف عند هذا الحد ، ولكن على العكس فإن ذلك يدل على أن عملية امتصاص تدريجى كانت تسير بخطى حثيثة وبعمق متجهة إلى تحويل هذه اللغات إلى لهجات عربية خاصة بأصحابها ، كما حدث بالفعل فى غرب السودان حيث استطاعت القبائل العربية التى هاجرت إلى تلك المناطق أن تمتص الشعوب التى سبقتها وتحول اللغة فى تلك البلاد إلى لهجة عربية خاصة .

موقف الاستعمار من اللغة العربية :

أخذ تيار العروبة الذى كان يزحف بخطى حثيثة إلى قلب القارة الإفريقية يتعثر أو يتوقف منذ أواخر القرن الثامن عشر نتيجة للاصطدام بالاستعمار الأوروبى ، ونتيجة لجهود المستعمرين فى وقف هذا التيار العربى الذى رأوا أنه أخطر ما سيواجه أهدافهم فى السيطرة على شعوب القارة وعلى مواردها الاقتصادية .

ووقف المستعمر أمام الثقافة الإفريقية وقفة المتأمل الدارس ، فوجد نفسه يواجه نوعين من الثقافات :

الأولى الثقافة العربية القوية التى تستند إلى تراث فكرى وأدبى ودينى يعطيها صلابة ومناعة يجعل لها شخصيتها التى لا تذوب فى مؤثرات الثقافات الأخرى ولكن تشكلها وفق الاتجاهات العربية الصرفة لما لها من قوة الهضم والامتصاص .

والثانى الثقافات الإفريقية اللينة التى يسهل تشكيلها أو هضمها وتمثيلها فى الثقافات الأخرى القوية ، وكانت معظم هذه الثقافات بسبيلها إلى الاندماج فى الثقافة العربية والإسلامية .

ولقد ذهب المستعمرون فى سياستهم الثقافيـة مذاهب مختلفة ، فرأى الانجليز أن الوسيلة الوحيدة لوقف تيـار الثقافة العربية وتأثيرها هـو إحيـاء الثقافات الإفريقية الأصلية وصبغها بصبغة قبلية إقليمية تساعد على إثارة التعصب والقوميات المحلية المحدودة فى نطـاق قبـلى ليستغلوا هـذه الروح فى إقامة سـد فى وجـه انتشار الثقافة العربية التى يخشون منها على مركزهم ومصالحهم الاستعمارية .

وكانت خطة السياسة البريطانية هى التسلل التدريجى لنشر الثقافة واللغـة الانجليزية لتحقيق الاستعمار الثقافى الكامل وسارت خطتهم على النحو التالى :

أولا : تشجيع دراسة اللغات المحلية على يد المبشرين وعلماء اللغات لتحقيق المعرفة الأولية بها .

ثانياً : العمل على تكوين لغات جماعية لمواجهة احتياجات التعليم بحيث توضع لغات جديدة مختارة تطعم ببعض ألفاظ من لغات أخرى قريبة منها أو لهجات من نفس اللغـة كما تم وضع المجموعات اللغوية لجنوب السودان فى مؤتمر الرجاف الذى عقد سنة ١٩٢٨ لإحيائها على هذه الصورة .

ثالثا : لمـا قامت محاولات إيجاد لغات إفريقية شبه موحدة اتجه الرأى إلى اختيار إحدى اللهجات من كل مجموعة لغوية لإحيائها وتغليبها على سائر اللهجات الأخرى بترجمة الكتاب المقدس إليها وتعليمها فى المدارس فى مرحلة التعليم الابتدائى ، مع التقليل من حصصها تدريجيا فى السنوات العليا من هذه المرحلة وإلغائها نهائيا أو تدريجيا من مرحلة التعليم الوسطى والثانوية .

رابعا : تشجيع اللغـة الانجليزية المحلية Pidgin English كتمهيد لسيادة اللغـة الانجليزية .

وعلى طـول تلك المراحل كانت اللغة الإنجليزية هى لغـة التعليم فى المـراحل العـالية تدرسها تلك الصفوة التى يختارها المستعمر ليعدها لشغل الوظائف البسيطة فى المصـالح الحكومية والإدارات المحلية ، والشركات .

خامساً : إدخال اللغـة الإنجليزية كلغة أساسية فى مراحل التعليم المختلفة حتى مرحلة التعليم الابتدائى ويتم ذلك تدريجيا حتى يقضى تمـاما على الثقافات المحلية وتحل محلها الثقافة الإنجليزية .

أما الفرنسيون فقد اتبعوا سياسة مباشرة فى القضاء على اللغـات المحلية واللغـة العربية على حد سواء ، وهـذه السياسة تتفق مع مذهبهم الاستعمارى الذى يهدف إلى امتصاص الشعوب وفرنستها ، فأهملوا اللغـات المحليـة واللغة العربية إهمالا تاما ، مع قصر التعليم على اللغة الفرنسية فى المدارس وجعل هـذه

اللغة أيضا لغة رسمية فى المصالح الحكومية والشركات والإدارات المحلية ومن ثم قصر الانخراط فى سلك الوظائف والأعمال المختلفة على الملمين باللغة الفرنسية .

وكانت هذه السياسة نفسها هى السياسة التى اتبعتها كل من بلجيكا والبرتغال فى مستعمراتها .

أما الموقف المباشر من اللغة العربية فقد كان موحداً ويتلخص فى صرف الأنظار عن تعلم اللغة العربية بعدم قبول الذين يتخرجون من المدارس العربية فى المدارس الثانوية أو المدارس الفنية التى تؤهل للأعمال المختلفة ، إلى جانب موقفهم السلبى من التعليم العربى وعدم تقديم أى عون للقائمين عليه وعدم الاعتراف به ، وكل ذلك للتقليل من شأن هذه اللغة ولاضطرار المسلمين إلى الاتجاه إلى المدارس التبشيرية والمدارس الحكومية حتى يقعوا فريسة للاتجاهات الاستعمارية التى تعمل هذه المدارس على إشباع تلاميذها بها ليبعدوهم بكل الوسائل عن الثقافة العربية التى تبناها أجدادهم

اللغة العربية فى مستقبل الحياة الإفريقية :

فى ضوء الدراسة السابقة نستطيع أن نلمس حقيقة هامة هى أن مشكلة التعدد اللغوى فى القارة الإفريقية ما زالت قائمة ولم يستطع المستعمرون بجهودهم الجبارة التى بذلوها أن يجدوا حلا لها بل إنهم باتجاهاتهم الاستعمارية المغرضة زادوا المشكلة تعقيداً بأن أوقفوا التقارب الذى كانت خطواته تسير حثيثة قبل وصول الاستعمار عن طريق اللغة العربية ، ولقد ترتب على سياسة الاستعمار وإدخاله اللغات الأوربية أن أصبحت مشكلة التعدد اللغوى تتخذ شكلين .

١ — التعدد اللغوى الصارخ الذى تمثله اللغات المحلية التى حرمت من أن يتم التقارب بينها عن طريق اللغة العربية .

٢ — التعدد الصارخ فى اللغات الرسمية التى خلفها الاستعمار ، فهناك إفريقى يتكلم الإنجليزية وآخر يتكلم الفرنسية وثالث يتكلم البرتغالية أو الأسبانية أو الفلمنكية (إحدى لغات بلجيكا) ومع هؤلاء جميعا إفريقيون لا يعرفون إلا لغاتهم القبلية أو يعرفون اللغة العربية دون اللغات الأخرى .

ولما كانت اللغات الإفريقية الوطنية من التعدد لدرجة يصعب معها التفاهم بها بين شعوب القارة ، وكانت اللغات الأوروبية - فضلا عن التعدد الواضح فيها - تعتبر لغات دخيلة على القارة ، أصبح من الضرورى العودة إلى لغة كانت فى سبيلها إلى تحقيق الوحدة الثقافية فى أقطار القارة الإفريقية وبين شعوبها لحل هذه المشكلة التى تقف فى وجه الوحدة الإفريقية وتوجد للاستعمار مجالا للاحتفاظ بسيطرته الثقافية على عقول الإفريقيين واتجاهاتهم عن طريق لغاته المنتشرة بين المتعلمين.

وفضلا عن أن اللغة العربية هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق التفاهم الكامل بين شعوب القارة الإفريقية فإن هناك عوامل متعددة تجعل اللغة العربية هى أصلح اللغات للقارة الإفريقية وأهم هذه العوامل هو :

١ — أن اللغات الأوروبية الأخرى فضلا عن تعددها فإن عدد الذين يعرفونها من أبناء القارة الإفريقية ما زال محدودا ، ولذا لن تكون معرفة البعض للغات الأوروبية عقبة فى إدخال لغة جديدة فى أقطار إفريقية .

٢ — أن اللغة العربية منتشرة فى أنحاء كثيرة من القارة وبخاصة بين المسلمين الذين يشكلون أغلبية فى جهات كثيرة من إفريقية فيما يلى الصحراء .

٣ — الجوار المباشر بين الدول الإفريقية فيما يلى الصحراء والدول العربية فى شمال إفريقية ، إلى جانب الصلات المباشرة بين الدول الإفريقية فى شرق القارة وبين شعوب الجزيرة العربية فى مختلف الميادين الاقتصادية والثقافية .

٤ — انتشار الإسلام والحاجة إلى العربية لدى معتنقيه لتفهم أصوله الصحيحة .

٥ — وجود أساس من اللغة العربية فى أكثر اللغات الإفريقية نتيجة للإسلام وللاحتكاك بالعرب قبل الاستعمار .

٦ — أن هناك إقبال شعبى منقطع النظير لدى الشعوب الإفريقية على تعلم اللغة العربية لإعادة ما قطعه الاستعمار من صلاتها بالشمال الإفريقى وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة التى تنظر إليها هذه الشعوب على أنها رائدة الحركة التحررية وتتطلع إليها لتستمد منها مبادئ القومية والحياد والسلام ، ولتقتبس منها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتفيد منها دولها فى تقدمها وتدعيم استقلالها السياسى باقتصاد متين ومجتمع متماسك .

ويمكننا أن نلمس الرغبة القوية فى نشر اللغة العربية فى القارة الإفريقيه فى الإقبال على التعلم بالأزهر وفى مؤتمر اليونسكو لتنمية التربية والتعليم فى إفريقية ، الذى كان من بين التوصيات التى اتخذها ووافق عليها بأن تعاون الدول القادرة على إمداد الدول الإفريقية بحاجتها من المدرسين المؤهلين لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى وذلك بناء على ما قدمته معظم الدول الإفريقيـــه من احتياجات خاصة للمؤتمر .

وهكذا نستطيع القول أن اللغة العربية هى أهم وسائل تحقيق التحرير الثقافى بعد التحرير السياسى ، كما أنها هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق التفاهم الكامل بين أقطار القارة بعد أن تحقق لها التقارب فى الميادين السياسية والدولية ، وأن لغة إفريقية كبرى لأولى من لغات أخرى دخيلة بأن تحقق للقارة وحدتها وتعاونها الثقافى .

محمد جلال عباس

بدء هجرة المسلمين إلى أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشوارى

بدأت هجرة المسلمين إلى الدنيا الجديدة منذ زمن بعيد ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن هجرة المسلمين والعرب منهم ، بصفة خاصة بدأت إلى أمريكا قبل رحلة كريستوفر كولمبس ، وأن عددا كبيرا منهم استقر فى القارة الجديدة قبل رحلة كولمبس إليها .

على أن هجرة المسلمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى العصر الحديث بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر .

ولقد كان الحافز الأساسى للمسلمين الأول الذين هاجروا إلى أمريكا هو السعى فى طلب الرزق . ولقد قال لى بعض قدامى المهاجرين المسلمين ممن قابلتهم فى الولايات المتحدة : وما لنا لا نهاجر فى سبيل طلب العيش الحلال وقد قال الله تعالى : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

ثم نزحت بعد ذلك فى أوائل هذا القرن عائلة علوان استقر عائلها الأول فى أمريكا فى عام ١٩٠٢ وذلك بمدينة آشلند بولاية كنتوكى . ومن أبرز شخصيات هذه الأسرة السيد قاسم علوان الذى انتخب فى يوليو سنة ١٩٥٧ رئيسا لاتحاد الجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، وهكذا نرى أن هذه الأسرة أخذت تستقر وبدأت على مر الأيام تشجع عائلات أخرى على الهجرة إلى أمريكا ثم أخذت هذه الأسر بعد ذلك تتكتل فى صورة جمعيات صغيرة بدأت تكبر شيئا فشيئا .

ولقد نزح كذلك إلى الولايات المتحدة من فلسطين فى أوائل هذا القرن الأستاذ على محى الدين حيث استقر فى مدينة جرسى بولاية نيو جرسى وأخذ يتدرج فى نشاطه حتى صار الآن مليونيرا من كبار رجال الأعمال حيث يملك مصانع كبيرة للمنسوجات الحريرية .

ومن المعاصرين للسيد على محى الدين فى نيويورك الأستاذ حمدان غنام الذى وفد إلى أمريكا منذ أكثر من أربعين عاما وهو عميد عائلة كبيرة فى نيويورك هى عائلة غنام وقد برز غير فرد منها فى الأعمال التجارية وساهموا بنصيب كبير فى النشاط الإسلامى والاجتماعى للجالية الإسلامية بمدينة نيويورك .

وكان الأستاذ حمدان غنام المؤسس الأول ورئيس مؤسسة مسجد نيويورك .

ومن أبرز المسلمين الذين هاجروا إلى أمريكا السيد يوسف أبو الهدى الذى استقر به المقام فى واشنطون منذ حوالى نصف قرن ولقد أصبح الآن من كبار المقاولين فى العاصمة الأمريكية ويملك فيها عدة عمارات شاهقة تقع فى أرقى أحياء مدينة واشنطون . ولقد ساهم الأستاذ يوسف أبو الهدى ويسمى نفسه الآن Joseph hawar مساهمة فعالة فى بناء المركز الثقافى الإسلامى فى واشنطون بوصفه من كبار المقاولين فى المدينة وبقدر ما أنفقه فى بناء ذلك المركز سواء فى صورة أموال دفعت أو مساعدات فنية قدرت بمقدار ربع مليون دولار .

ومن الأسر التى نزحت إلى الولايات المتحدة أسرة جزينى ، فقد ولد رب هذه الأسرة وهو الأستاذ نعيم جزينى فى كفرعطا بلبنان عام ١٨٩٧ وهاجر أولا إلى المكسيك ثم منها إلى الولايات المتحدة حيث اتخذ من مدينة ميتشجان بولاية إنديانا مقراً له منذ عام ١٩١٠ .

ويعتبر السيد عمر دياب زعيم الجالية الإسلامية فى شيكاغو من أوائل العرب الذين هاجروا من فلسطين إلى شيكاغو حيث استقر بها عام ١٩٢٥ وأصبح من كبار رجال الأعمال فى المدينة . وقد أرسل أولاده لإتمام تعليمهم فى المدارس المصرية حتى يتأتى لهم إتقان اللغة العربية .

وليست الهجرة إلى أمريكا قاصرة على العرب بل إنها تشمل كثيراً من مسلمى الأقطار الأخرى ، فكما أن الأسر العربية التى أشرنا إليها كانت هى الأسر الأولى التى هاجرت إلى أمريكا وأخذت تجذب إليها أسراً أخرى من الوطن العربى حتى انتشر المسلمون العرب فى كثير من الولايات الأمريكية ، نرى أن أسراً أخرى هاجرت من كثير من بلاد العالم الإسلامى وأخذت تنمو فيما بينها وتجذب أسراً أخرى من وطنها الأصلى إلى أمريكا .

ومن الأمثلة التى يمكن أن نسوقها على ذلك فضيلة الأستاذ فضل محمد خان فقد هاجر من الهند حيث ترك قريته بأنديالا بمقاطعة البنجاب وسافر إلى أمريكا وعمره لا يتجاوز ١٥ عاما وقد هبط فى مدينة سكرنتو فى ولاية كاليفورنيا التى تمتاز بجوها الجميل وبمزارعها الواسعة وحدائقها الغناء .

وقد أخذ السيد فضل محمد خان يعمل فى الزراعة بجد ونشاط حتى أصبح يملك الآن مزرعة مساحتها ٢٥٠٠ فدان فى مدينة يوتى بولاية كاليفورنيا .

ويعتبر هذا نجاحا كبيرا لمسلم مهاجر تفتخر

به جميعاً ويفخر به العالم الإسلامى ، بل إن باكستان تجعل منه سفيراً غير رسمى لها فى الولايات المتحدة ، وهو حقاً من رجال الأعمال الناجحين ومن الشخصيات المعروفة فى جميع أنحاء تلك الولاية . ولقد أدى كثيراً من الخدمات للمسلمين بصفة عامة ولباكستان بصفة خاصة ويعمل جاهداً على توطيد أواصر الصداقة بين وطنه الجديد أمريكا وبين وطنه الأصلى . والسيد خان عضو فى مجلس الشئون العالية بشمال كاليفورنيا وعضو فى اتحاد الكومونولث بسان فرانسيسكو ، كما أنه عضو كذلك فى كل من اتحاد زراع الأرز فى ولاية كاليفورنيا وفى المكتب الأمريكى لكبار الزارعين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدداً ضئيلا جداً من الإقليم المصرى فى الجمهورية العربية المتحدة هاجر إلى أمريكا واستوطنها ، ولعل أبرزهم السيد حسن سليمان الذى هاجر إلى أمريكا منذ ما يقرب من عشرين عاما . ثم عمل جاهداً منذ سنوات على إنشاء جالية مصرية سودانية فأنشأ اتحاد وادى النيل هو وزملاؤه من رعايا الجمهورية العربية المتحدة ورعايا جمهورية السودان .

من ذلك يتبين أن الهجرة من العالم الإسلامى إلى أمريكا قد بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر وأخذت تزداد قليلا قليلا فى بداية القرن العشرين وظلت الأسر التى هاجرت تتناسل وبزداد عددها وتزدهر أمورهم حتى شقوا طريقهم فى وطنهم الجديد وبدأت بعد ذلك تفد جاليات كثيرة من مختلف دول العالم الإسلامى .

ولقد تلا ذلك كله بدء تكوين الجمعيات ثم مجالس إسلامية فى المدن الكبرى ، وفى عام ١٩٥٢ عقد أول مؤتمر للمسلمين فى أمريكا وتم تأليف الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا حيث يعمل على السهر على مصالح الجاليات الإسلامية فى أمريكا وإيجاد وحدة شاملة منهم .

ولقد بدأ الاتصال بين تلك الجاليات الإسلامية وبين العالم الإسلامى حينما بدأت الحكومات والهيئات الإسلامية فى العالم الإسلامى توجه عنايتها نحو هذه الجاليات ، فأنشئ المركز الثقافى الإسلامى فى واشنطون وتتولى جميع حكومات الدول الإسلامية الإنفاق عليه . كما بدأت الهيئات الإسلامية فى العالم الإسلامى ترسل الوفود لزيارة تلك الجاليات وإيجاد رابطة بينهم وبين إخوانهم فى العالم الإسلامى وأصبحوا بذلك قوة فعالة لإيجاد تفاهم متبادل ومودة مشتركة بين الشعب الأمريكى وشعوب العالم الإسلامى ؟

الدكتور محمود يوسف الشواربى
الأستاذ بجامعة القاهرة

المسلمون فى الهند أيضا ..!

للأستاذ عبد المنعم النمر

— ٢ —

وعدتك فى مقال سابق [1] أن أعرض عليك نماذج من المسلمين المجاهدين الذين وهبوا حياتهم لتحرير وطنهم « الهند » من المستعمرين الانجليز إنصافا لهم من الأفكار الخاطئة الظالمة التى زعمت أنهم لم يساهموا فى حركة التحرير أو أنهم كانوا حربا عليها وعونا للمستعمرين . .

وقد رأيت قبل أن أتحدث عن الشخصيات أن أكشف عن المبدأ الذى اعتنقه هؤلاء المسلمون وقامت عليه حركة جهادهم ، وضحى الذين ضحوا منهم فى سبيله ، فإن الذى يتتبع أحوال المسلمين فى الهند بعد دخول الانجليز وسيطرتهم على البلاد يجد أنه لم يخل جيل منهم من مجاهدين كانوا حريصين على رفع راية العصيان والجهاد ضد الانجليز حرصهم على أداء شعائر دينهم ، حتى بعد أن فشلت ثورتهم الكبرى سنة ١٨٥٧ لإخراج المستعمر وتخليص بلادهم من براثنه .

فما الذى كان يحرك بعض المسلمين ويدفعهم للتضحية ؟ .

هنا يكمن السر الذى لا بد أن يعرفه القراء السر الذى هو المفتاح لإنصاف هؤلاء الأبرار المجاهدين وإنصاف تاريخهم من الظلم الذى علق به . . .

كان المسلمون يحكمون الهند دولة بعد دولة وظلوا يحكمونها قرابة ثمانية قرون ونصف يقيمون فيها حكم الشريعة الإسلامية التى تعدل بين المسلم وغير المسلم ، وكانت آخر دولة لهم ــ وهى دولة المغول ــ شديدة الحرص على طبع حكمها بالطابع الوطنى الذى لم تفرق فيه بين مسلم وغير مسلم ، فاتخذت وزراء وقوادا للجيوش من غير المسلمين . ونعم سكان الهند جميعا فى ظلها بنوع من الحكم الوطنى الموحد ربما لم تشهده الهند من قبل ، ومع ذلك كان المسلمون طبعا يشعرون أنهم حكام البلاد وأن الشريعة الإسلامية هى شريعة الحاكم التى تظل بعدلها الجميع .

فلما جاء الانجليز فى زى التجار الأبرياء المتزلفين أولا ثم استطاعوا بوسائلهم الإيقاع بين الحكام ، والسيطرة على أداة الحكم ، وزحفوا قليلا قليلا حتى كانت لهم مستعمرات

---

[1] عدد شهر المحرم ١٣٨١ .

على رقعة الهند الواسعة ولهم جيوش يوسعون بها رقعة ممتلكاتهم ، ولهم نفوذ أيضا على الولايات الأخرى التى لم تدخلها جيوشهم ولاسيما فى الوقت الذى ضعف فيه الامبراطور المسلم فى دهلى ، وتمزقت البلاد إلى ولايات يحارب بعضها بعضا ، واستغل الانجليز الفرصة ونفذوا من خلال هذه الخلافات إلى السيطرة التامة على أغلب الولايات وحكامها حتى امتدت سيطرتهم إلى الامبراطور المسلم الضعيف القابع فى قلعته الحمراء فى دهلى وتصرفوا باسمه فى كل شىء ، ولم يكن له من الأمر شىء حتى صح فيه قول القائل :

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شىء فى يديه

فى هذا الوقت وأمام هذه الحالة القائمة التى ضعف فيها الحاكم المسلم إلى آخر مدى حتى لم يستطع التصرف والإذن لمن يدخل دهلى أو لا يدخلها ومن يزوره أو لا يزوره ، فى هذا الوقت شعر المخلصون بالخطر ، وقام العلماء وكان على رأسهم شاه ولى الله الدهلوى وحاول محاولات مخلصة لإنقاذ الملك المسلم والحكم الإسلامى من الوافد المتحكم ، ثم جاء من بعده ولده شاه عبد العزيز الدهلوى ، وكان الخطر قد تفاقم فأصدر فتواه المعروفة سنة ١٨٠٣ التى يقول فيها : إن الهند ما دامت تحت سلطان الانجليز ولم يعد للملك المسلم فيها أى نفوذ فإنها تكون قد تحولت إلى دار حرب ويجب على كل مسلم ومسلمة أن يعتبر الانجليز أعداء له يجب عليه حربهم والتخلص منهم ، ويحرم عليهم التعاون معهم حتى يخرجوا من البلاد .

واتخذ أساس هذه الفتوى من القرآن الكريم الذى يقول : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء [1] » . وقوله « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » [2] . وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى تكتل المسلمين ضد أعدائهم وقت الخطر الذى يحيق بهم وتحرم عليهم أى لون من ألوان التعاون معهم .

وكان شاه ولى الله الدهلوى وأولاده مثل شاه عبد العزيز صاحب هذه الفتوى وأحفاده يمثلون مدرسة فكرية خاصة قويت فى الهند واشتد ساعدها وتجمع العلماء والعامة حول أفكارها حتى كان الانتساب إليها مفخرة يحرص العلماء على التحلى بها ...

ومن أجل هذا ظلت هذه الفتوى حية فى النفوس ، فكانت نشيد الثوار سنة ١٨٥٧ لإلهاب الحماس فى نفوس المسلمين ، وكانت عقيدة المجاهدين بعد فشل الثورة حتى رأيناها

---

(١) سورة الممتحنة آية : ١ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .

تصنع منهم صوراً مكررة لمن رأيناهم من المسلمين الأول وتضحياتهم .

ثم رأيناها تعمل عملها فى حمل العلماء على إنشاء المدارس الدينية الخاصة حتى يتعلم فيها أبناء المسلمين ولا يتعلموا فى مدارس الحكومة ، ورأيناها بعد ذلك تحمل المسلمين على إنشاء مدارس وكليات مدنية لأبناء المسلمين ليتعلموا فيها ما يتعلمه غيرهم من العلوم الحديثة فى مدارس الحكومة وكلياتها .

ورأيناها أيضا من وراء حركة العصيان المدنى التى ارتفع لواؤها فى الهند وظن كثير من المؤرخين — خطأ — أنها فكرة « غاندية » خالصة ، ويندهش القراء لهذا ، ولكنى أعدهم بتقديم تحقيق واف عن هذا الموضوع لأصحح التاريخ من الخطأ الكبير الذى وقع فيه ولأرد لأصحاب الحقوق حقوقهم ... وهكذا كانت فكرة أن الانجليز المستعمرين أعداء للمسلمين سلبوا منهم الحكم ، وأن حربهم أصبحت لذلك فرضا على كل مسلم ومسلمة ؛ حتى يخرجوا من البلاد ، كانت هذه الفكرة هى التى تحرك بعض المسلمين للجهاد ضد الانجليز ، وهم وإن كانوا قليلين . . إلا أنهم كانوا يمثلون بقاءها حية فى بعض النفوس كانوا يمثلون روحا عنيدة من المقاومة لم تمت ولم تخمد ، بل ظلت رايتها تخفق ويسلمها جيل إلى جيل حتى تنبهت الأغلبية فقامت فى شبه دوار وخوف تلتمس الطريق فى رعب وتكتفى بغايات قصيرة ، وبمطالب موضوعية محلية . وربما قام من هذه الأغلبية متحمس فدائى فدعا إلى الاستقلال الذاتى ولم يجرؤ على طلب الاستقلال التام ... هذا فى الوقت الذى كان فيه المسلمون أو أغلبيتهم هم دعاة التضحية ، دعاة الاستقلال التام . دعاة طرد الانجليز ، وإخراجهم من الهند . يستهدون إلى ذلك كله بوحى من دينهم وعقيدتهم ، وإليك مثلا من أمثلة عديدة : رجلا من الرجال المجاهدين الذين تقدموا الصفوف وحملوا الشعلة فى وقت حالك الظلام يدعو إلى اليأس الشديد والانطواء إن لم يدع إلى التزلف والقربى للحكام المسيطرين الأقوياء .

هذا المثل أو هذا الرجل هو شيخ الهند « محمود الحسن » .

رجل نبت فى بيئة دينية ، خرجته مدرسة من المدارس الدينية التى أنشأها العلماء المجاهدون الذين حملوا السلاح وقادوا الجيوش لحرب الانجليز فى ثورة سنة ١٨٥٧ وعادوا من الهزيمة فى ميدان الحرب ليبدءوا نوعا من الكفاح السلمى فى ميدان العلم والدين ضد الانجليز وتعاليمهم وتقاليدهم وسمومهم ضد الإسلام .

تخرج فى مدرسة دار العلوم «ديوبند» بل كان أول طالب فيها عند إنشائها وتولى تربيته وتنشئته هؤلاء العلماء المجاهدون من أمثال مولانا محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد أحمد الجنجوهى وغيرهم ممن أنشئوا هذه القلعة الدينية فى مدينة صغيرة وفى مسجد صغير، وتخرج هذا الطالب سنة ١٢٩٠هـ — ١٨٧٧م — وكان أول ثمرة لهذه الدار. كان صغيراً عند ما قامت الثورة واندلعت شرارتها الأولى من البلدة التى كان يعمل فيها والده «ذو الفقار على خان» فانطبعت فى ذهنه وهو صبى المناظر المثيرة التى صاحبت قيام الثورة من قلعة مدينة «ميرث» ثم تلقى مع العلوم العربية والدينية روح الجهاد والتضحية من العلماء المجاهدين الذين درسوا له، وأحس منهم — وهو شاب روح المرارة التى أحسوها بعد هزيمتهم مع روح الكراهية للانجليز — الحقد عليهم فلما بدأ يدرس فى الدار التى تخرج فيها أخذ هو الآخر يقوم بدوره فى تربية الطلاب. ولكن الشحنة التى تلقاها من أساتذته كانت أقوى من أن يحصرها ميدان الدرس، فبدأ الشيخ يبحث عن ميادين جديدة يفرغ فيها هذه الشحنة التى تحركه وتؤرقه وتكاد تحرقه...

وكان لايزال هناك — كما قلت — مسلمون يعتنقون فكرة الجهاد، ولما يلقوا السلاح ضد العدو الدخيل، ويحاولون — قدر طاقتهم وكما ترسم لهم عقيدتهم — إخراجه من البلاد. يوجد قليل من هؤلاء فى قلب الهند، وكثير منهم على الحدود الغربية فى المناطق الجبلية. فأسرع الشيخ للاتصال بهم وتنظيم الحركة معهم.. واكتفى مبدئيا بجمع المال والمعونات من قلب الهند لهؤلاء المجاهدين ليستمروا فى حركتهم، ثم اختار تلميذاً من تلامذته الذين تخرجوا على يديه بعد أن توسم فيه روح العمل والجهاد، وأرسله إلى الحدود إلى الميدان الذى اختاره المجاهدون ليقوى عزمهم ويشد أزرهم ويحول بينهم وبين ما يحاوله الانجليز بألاعيبهم ودسائسهم من تفرقة صفوفهم والقضاء عليهم، وكان رسوله هذا عالما من العلماء هو «مولانا عبيدالله السندى» الذى أسلم وهو صغير، وشاء الله له أن يكون من الأفذاذ المجاهدين والعلماء العاملين، ومن حقه علينا أن نفرد له ترجمة خاصة، فلنتركه الآن على الحدود وفى أفغانستان لنستمر مع أستاذه شيخ الهند محمود الحسن.:

وكان تأليف حزب الرابطة الإسلامية سنة ١٩٠٦ يمثل فى رأى الانجليز تسليما من المسلمين عامة بالأمر الواقع. ولذلك فرحوا له، واغتبطوا به، وأشادت صحفهم فى لندن وفى الهند بمغزاه فكان كل شىء فى الهند يوحى

باليأس والاستسلام ، ولكن أمثال الشيخ من أصحاب الهمم والعزائم والرسالات الوطنية يتخذون دائما من عوامل اليأس وريحها السموم ريحا تلهب جذوات العزائم فيهم ، وتمدهم بطاقات تدفعهم إلى الأعمال التى تبقى على مر الزمن دروساً للمكافحين والمجاهدين وتعلمهم ألا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس . .

وكان الشيخ يعرف كل هذا ويحسه ويقدر الظروف التى يمر بها وتمر بها بلاده ، ويعرف بخبرته وخبرة أساتذته كثيراً من أساليب الحرب السرية التى تضمن له النجاح فى أهدافه وألا يزج به فى سهولة إلى أعماق السجون أو جزائر المنفى القاتلة . .

ولذلك رأيناه يتصل بأنصاره الكثيرين بطريقة عجيبة لم يكن من السهل أبداً أن تحوم حولها شبهة من الشبهات وهى التى عرفت فيما بعد باسم « حركة المناديل الحريرية » فكان يكتب لأنصاره على مناديل حريرية مستعملا حبراً سريا لا يمكن اكتشافه ، وبهذه الوسيلة الغريبة استطاع أن يتصل بالمجاهدين على الحدود وفى مختلف البلاد فى قلب الهند . . لم يستعمل الورق الذى تتجه إليه الأنظار وتبحث عنه أيدى المفتشين من رجال الشرطة . .

وكانت الفكرة التى يعمل لها الشيخ وأنصاره واضحة مفهومة لهم وهى إخراج الانجليز من الهند وبالتالى من البلاد الإسلامية التى استعمروها لتأمين طريقهم للهند مثل جنوب شبه الجزيرة العربية وعدن ومصر لأنهم حين يفقدون الهند لا يجدون مبرراً للتمسك بهذه البلاد . .

وكانت العاطفة الإسلامية المتأججة فى نفوس هؤلاء تبعث فيهم الإحساس دائماً بمسئوليتهم المشتركة فى استعمار البلاد العربية ، فلو أن الهند لم تستسلم للانجليز فى بادئ الأمر لما وجد هؤلاء ضرورة لاحتلال هذه البلاد الإسلامية . . وكان هذا الإحساس يؤرق هؤلاء المسلمين باستمرار .

كانت هذه فكرة الشيخ وأنصاره ، ومن المهم أن أكرر وأؤكد أن هذا الزعيم المسلم كان يعمل فى أوائل هذا القرن لإخراج الانجليز من الهند نهائيا بينما هذا المبدأ لم يعتنقه حزب المؤتمر إلا فى يناير سنة ١٩٣٠ .

أما الوسيلة التى أعدها لبلوغ هذا الهدف العظيم فكانت تتلخص فى نقطتين :ـــ

١ ــ إثارة المتاعب والقلاقل فى وجه الحكم الانجليزى فى الهند حتى لا ينعموا باستقرار فيها وحتى لا يظل الشعب مستقيما راضيا بحكمهم . .

٢ ـ انتهاز الفرص للاتفاق مع أعداء الانجليز ليقوموا بهجوم من الخارج على الهند ، ويقوم الشعب فى الوقت نفسه بثورة فى الداخل عليهم فتكون النهاية المحتومة لهم ، ويخرجوا من الهند . .

وقد واتت الشيخ فرص عديدة لتعبئة الرأى العام المسلم على الخصوص ضد الانجليز . فقد ساعد الانجليز أهل البلقان فى حربهم ضد دولة الخلافة ، وهم قد ساعدوا الطليان فى احتلال طرابلس إحدى ولايات دولة الخلافة ـ والمسلمون فى الهند كانوا ينظرون نظرة تقديس إلى الخليفة العثمانى ، ويعتبرونه الملاذ الأعلى لهم ، بعد أن فقدوا ملكهم فى أرض الهند .. فكانت حساسيتهم شديدة لكل ما يتعرض له من محن . ثم كانت ثالثة الأثافى ـ كما يقولون ـ وهى إعلان الانجليز الحرب على الخليفة عندما قامت الحرب العالمية الأولى ..

واستغل الشيخ وزملاؤه كل هذا لإثارة النفوس ضد الانجليز الذين شعروا بحقيقة الخطر الذى يتربص بهم من وراء ثورة المسلمين وقلقهم مما كبدهم كثيراً من المتاعب واضطرهم لبذل كثير من الوعود للمحافظة على دولة الخلافة والاعتذار للمسلمين بأنهم لم يبدءوا بإعلان الحرب عليها بل كانت هى البادئة إلى آخر ما نعرفه من وسائل الانجليز فى مثل هذه الظروف . . ولكن مرجل النفوس ظل مع ذلك يغلى . .

ووجد الشيخ أنه لابد له من عمل خارجى يتم به خطته ، ولكن كيف يتم له ذلك وهو فى قلب الهند ، ومن حوله العيون ، ترصد حركاته ، وتراقب تصرفاته ، إنه لا بد أن يسافر للخارج بنفسه ليتصل بأعداء الانجليز ، ويتفق معهم على وضع الخطط اللازمة لتنفيذ فكرته .

ولكن كيف يسافر والحرب قائمة وإلى أين ؟ لم تكن هناك إلا حيلة واحدة يمكن للشيخ أن يعتمد عليها . . وهى الحج . . الذهاب للأراضى المقدسة لأداء الفريضة ، الانجليز لم يتعودوا التعرض للناس فى عباداتهم أو هكذا يعلنون . . فلتكن الرحلة للحج ـ إذن ـ هى الثوب الذى يلبسه الزعيم ويتخفى تحته ليصل إلى غرضه ، والحجاز يحكمه الأتراك وهناك سيتاح له الاتصال بمن يشاء من زعماء الأتراك ومن هناك يمكنه السفر إلى استامبول ، ويتصل برجال الحرب والحكومة ويتفق معهم على وضع الخطط لإنقاذ الهند وطرد الانجليز .

وأعلن الشيخ أنه سيسافر إلى مكة لأداء فريضة الحج . . وأسقط فى أيدى الانجليز كيف يتصرفون ؟ هل يمنعونه ويتحملون تبعة منع مسلم من أداء الفريضة ؟ هل يتركونه

يتصل بزعماء الأتراك وفى هذا خطر عليهم ؟ ماذا يعملون ؟.

حاولوا بطرق مختلفة أن يحولوا بين الشيخ وبين السفر ... أحيانا لا يوجد له مكان ، وأحيانا الأوراق ربما تتأخر ، والانجليز يتقنون التصرف دائما من الأبواب الخلفية ، ولكن أنصار الشيخ كانوا بالمرصاد لكل هذه الألاعيب ، كانوا منبثين فى كل مكان ، وفى كل مصلحة ... فتمت الأوراق ... وبدأ الشيخ رحلته . . . من ديو نبد شمالى دهلى والشعب يتهافت على المحطات ، يرى الشيخ ، ويلقى عليه نظرة قبل أن يرحل ، وكان يظن أنه سيترك الهند ، ليقيم بالحجاز ، فراراً من المتاعب . ، ودهش الانجليز لاستقباله وتوديعه للشيخ فى كل محطة يمر بها .

كان ذلك فى شوال سنة ١٣٣٧هـ - ١٩١٥م واستطاع أنصار الشيخ وعلى رأسهم مولانا « محمد على » وأخوه « شوكت على » أن يفسدوا كل المؤمرات التى دبرها الانجليز ليقبضوا على الشيخ قبل رحيله من بومباى وسافر الشيخ ووصل إلى الأراضى المقدسة ليؤدى فريضة الحج ، وليبدأ أخطر اتصالاته بزعماء الأتراك ورجال الحرب فيها ، ويضعوا الخطط ، ويعقدوا الاتفاقيات لإنقاذ الهند .

ولكن الحوادث تجرى بسرعة وعلى غير ما كانوا يتوقعون ، ويتم للانجليز على الأرض المقدسة وبأيدى العرب المسلمين مالم يستطيعوا أن ينالوه فى الهند بما سأتناوله فى العدد القادم إن شاء الله .

عبد المنعم النمر

شرائط العلم وما يصلح له

١ — قالوا : لا يكون العالم عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على تعلم ثمناً .

٢ — ودخل رجل على عبد الملك بن مروان ، وكان لا يسأله عن شىء إلا وجد عنده علما ، فقال له : أنىّ لك هذا ؟ فقال : لم أمنع قط يا أمير المؤمنين علما أفيده . ولم أحتقر علما أستفيده ، وكنت إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته .

حيرة الأوهام

للأستاذ على العمارى

منذ فجر التاريخ والأوهام حائرة ، وستظل الأوهام بل العقول حائرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وما دام الغيب سراً مجهولا ، وما دام الغد حجابا مضروبا ، والحياة لغزاً مبهما ، فسيظل أصحاب العقول يتهمون عقولهم ، أو يخاطرون بعقائدهم ، أو يعتصمون بالإيمان ، أو يقفون حائرين مبهوتين ، تسمع منهم همهمة لا تبين ، أو تلمح فى عيونهم أطيافا لا تفصح عن شك أو يقين .

وسر الحيرة أن العقل يريد - دائما - أن يحلل ويعلل ويدلل ، ويظن أنه يستطيع أن يصل إلى كل سر ، وأن يكشف كل مُخبّأ ، وهو وإن راد الفضاء ، وطلع إلى سكنى الكواكب لا يزال يحبو فى مهده إذا ذكرنا حقائق الكون الكبرى ، ولن يزيده كشفه لهذه المجاهل من أسرار الكون إلا إيمانا بالجهل ويقينا بأن بينه وبين المعرفة الكاملة آماداً واسعة ، وكل يوم يطلع يأتى بجديد يدلنا على أن البشرية عاشت قرونا طويلة ترسف فى أغلال الجهل . وعقيدتى أن الغد المجهول سيجيئنا فى كل مطلع شمس بما يجعلنا نسخر من عقولنا ، ونكل العلم كله لله وحده .

وفى الحياة قضايا كثيرة ومشاكل ذوات عدد حيرت الأوهام فى الماضى ، ولا تزال تحيرها .

ومن هذه القضايا ما عبرت عنه هذه القصة القصيرة :

سأل معاوية بن أبى سفيان جلساءه يوما ما أعجب الأشياء ؟ فقال بعضهم : إكداء العاقل ، وحظ الجاهل ! .

وإذا كان جليس معاوية قد وصف هذه الظاهرة بأنها أعجب الأشياء ، فإن قوما من الشعراء والمارقين قد عرضوها فى معرض كريه ، ينكره المؤمنون ، فقال أحمد بن يحيى ابن اسحاق المشهور بابن الراوندى :

سبحان من وضع الأشياء موضعها
وفرق العز والإذلال تفريقا
كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقاً

وأشار أبو العلاء المعرى إلى هذه القضية بما حمل الناس على رميه بالكفر والإلحاد.

والحق أن هذه الظاهرة شغلت بال كثير من الفلاسفة والحكماء والشعراء حتى العوام فيها ، وخبطوا فى شأنها ، ويقل أن تجد كتابا من كتب الأدب القديمة خلا من الإشارة إليها ، ويقل أن تجد مجلسا يتعرض لحياة الناس وحظوظهم لم يخض فيها .

والناس فيها فرق :

فمنهم من اكتفى بتسجيل هذه الظاهرة، وقد رأينا هذا التسجيل فى العصر الجاهلى على لسان المأمور الحارثى فى خطبته المشهورة حيث يقول : « رب حوّل مكد ، وعاجز مثر » . وأكثر المعتدلين لا يتجاوزون هذا التسجيل .

ومنهم من يتجاوز هذا التعبير المتوقف إلى الإعلان عن حيرته ، والتعبير عما يعتلج فى نفسه من العجز عن تعليل هذه الظاهرة ، فلاهو بالمؤمن الخالص، ولا هو بالملحد الضال.

وطائفة ثالثة ضلت الطريق ، وكشفت القناع ، وضاقت صدورها ، واضطرب تفكيرها ، وبهت فى قلوبهم نور الإيمان ، وضعف فى نفوسهم وازع الدين ، وحرمهم الله برد اليقين ، فجاءوا بها عوراء مكشوفة ، وأرسلوها حمقاء مدخولة ، فمن ذلك ما يقوله عبدان المعروف بالحوزى ، وكان خفيف الحال ، متكلف المعيشة :

يكلفنى التصبر والقسلى
وهل يُسطاع إلا المستطاع
وقالوا قسمة نزلت بعدل
فقلنا ليته جور مشاع

وهذا القول مع ما فيه من سوء الأدب أخف مما قيل فى معناه .

* * *

أما الطائفة الأخيرة فقد حاولت تعليل هذه الظاهرة ، تعليلا ساذجا مرة ، وعميقا مرة أخرى ، وأكثر الشعراء ، والأدباء على أن الجد والمال لا يجتمعان ، وأن من أعطاه الله عقلا وافرا احتسب عليه من رزقه .

وفى ذلك يقول أبو تمام :

ينال الفتى من دهره وهو جاهل
ويكدى الفتى من دهره وهو عالم
ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد
ولا المجد فى كف امرئ والدراهم
ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجا
إذن هلكت من جهلهن البهائم

ويقول أبو الطيب المتنبى :

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى
بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

ومن ذلك قول أبى الخير المروزى الضرير :

تنافى العقل والمال فما بينهما شكل
هما كالورد والنرجس لا يحويهما فصل
فعقل حيث لا مال ومال حيث لا عقل

وبالغ الشعراء فى هـذا المعنى حتى قالوا : إن الإنسان إذا أراد أن يميز بين اثنين جمعت بينهما صناعة ، ويعرف أيهما أعقل، فلا ينظر فى شىء غير ما جرت به الأرزاق :

فحيث يكون الجهل فالرزق واسع
وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

وهـذا التعليل وإن صدق فى حالات ، يتخلف أيضا فى حالات كثيرة ، فنحن نجد كثيراً من العقلاء نالوا بسطة فى الرزق ، كما نجد جاهلين كثيرين لا يجدون قوت يومهم ، وقد تجمع الصناعة بين اثنين أو أكثر ، ثم نجد الأوفر رزقا ، هو الأوفر عقلا وعلما.

حقيقة نرى هـذه الظاهرة بارزة فى كل مجتمع : عاقل ما تبـلّ أنمله ، وجاهل باليدين يغترف — كما يقول الشاعر ابن لنكك — ولكن التعليل بالعداوة بين العقل والمال ، والصداقة بين الجهل والغنى ، تعليل شعرى .

ومن هؤلاء من وجد سلواه فى (الحظ) فهو يرجع ما يراه من حرمان العاقل العامل ، ووجدان الجاهل العاجز إلى ما قسمه الله للناس من الحظوظ ، وأكثر هؤلاء من الذين جار عليهم الزمن ، وأدركتهم حرفة الأدب ، فهم قد اعتقدوا أن ما أصابهم إنما هو سوء الحظ ، وليس غير ، وهذا باب واسع تفننوا فيه ، وأتوا بالمطرب المعجب ، ومن الجيد فى ذلك قول أبى العلاء المعرى .

لا تطلبنّ بآلة لك رتبة
قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السماكان السماء كلاهما
هـذا له رمح وهـذا أعزل

وهذه نظرة من أبى العلاء إلى اختلاف الحظوظ بين كل الكائنات ، وقد عدد الشعراء طائفة اختلفت بينها الحظوظ .

فالجدود هى التى جعلت جمادى تقصر عن رجب ، والحظ هو الذى جعل شهر الصوم عطلا من العيد ، وطوق هلال العيد فى جيد شوال :

والحظ حتى فى الحروف مؤثر
يختص بالترقيق والتفخيم

والتعليل بالحظ قريب من فكرة المتدينين ، وهم يرون أن أفعال الله تعالى لا تعلل ، وأنه سبحانه - كما أخبر عن نفسه - لا يسأل عما يفعل ، والله سبحانه خلق الغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والخصب والعقم ، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ، وفضّل بعض الكائنات على بعض فجعل من الأيام ليلة القدر ، ومن الشهور أربعة حرما ، وجعل من الأمكنة حرمه الآمن ، ومسجد رسوله الكريم .

والله سبحانه قد بين وأرشد ، ووضع المعالم لمن يريد أن يهتدى ، فقال فى كتابه

العزيز : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسرراً عليها يتكئون . وزخرفا ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين » .

والحق أن المال ليس كل شيء في الحياة ، وأنه وإن كان سببا من أسباب السعادة والاستقرار لكنه ليس كل السبب ، بل ربما كان مصدر بلاء وشقاء ، ولله سبحانه ألطاف كثيرة ، ونعم لا تعد ولا تحصى ، وطالما رأينا أناسا حرمهم القدر من المال ولكنه أعطاهم الصحة ، وأعطاهم الرضا فكانوا أسعد حالا من أصحاب الأموال .

والعقل نعمة كبيرة ، والعلم نعمة كبيرة ، فإذا حرم العاقل ، وساء حظ العالم ، فإن فيما عندهما خلفا .

ولو كان الغنى خالصا من مكدرات الحياة لكان شيئاً يؤسف عليه كل الأسف ولكن الإنسان يجد المال فيجد بجانبه المنغصات ، وربما كان أحد المنغصات همه بهذا المال ، وكثرة تفكيره فيه ، وتطلعه دائما إلى المزيد ، وهذا الذى سماه المتنبى فقرا فى قوله :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل الفقرُ

ومن الطرائف فى هذا الباب جواب رجل ظريف قيل له : أيسرك أن يكون لك ألف درهم ؟ فقال : نعم ، وأضرب مائة ، فقيل له : وضرب المائة لِمه ؟ فقال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

وربما غفل الفيلسوف الكبير عن نعمة الله عليه فأرسل كلمة تحمل نصف الحقيقة فقط ، سُئل برناردشو عن رأيه فى العالم فقال : إن العالم كلحيتى وصلعتى ، تفاوت فى الإنتاج ، وسوء فى التوزيع . يريد أن مخه يفكر كثيرا وليس له نصيب من الشعر ، وأن ذقنه مع أنها لا تفيد العالم شيئا خصيبة .

وهذا نصف الحقيقة ، أما النصف الآخر فهو أن صلعة هذا الفيلسوف هى التى خلدت فى التاريخ ، وليس لحيته .

(وبعد) فهذه جولة مع الأوهام الحائرة والعقول الزائغة ، والنفوس المؤمنة وليس له صلة بالنظم الاقتصادية السائدة فى العالم اليوم

سبحان من قسم الحظو
ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو
بصر وزرقاء اليمامه

وما أروع قول الله تعالى وما أصدقه : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

علي العماري

دراسات فى علم المعنى

« السيمانتيك »

للدكتور كمال بشر

إن الوعى اللغوى للعصر الذى نعيش فيه الآن آخذ فى الازدياد والنمو يوما بعد يوم وذلك راجع بالطبع الى شعور الناس بأن سبل الحياة ومسئولياتها أصبحت ضخمة معقدة ، بحيث أصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل - أن يعيش الفرد فى عزلة عن الجماعة التى ينتمى إليها ،أو الجماعات الأخرى المجاورة التى تشاركه نفس الشعور بالحاجة إلى الاختلاط والاندماج الاجتماعى .

وللغة بين وسائل الاتصال بين الناس مركز خاص ومكانة واضحة فى كل عصور التاريخ فلقد وجدت اللغة - لغة من نوع ما - منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض ، ووجد نفسه مضطرا إلى الاتصال بأخيه فى بيئته، كى يقضى حاجاته وينفذ رغباته التى لا غنى له عنها والتى لا يمكنه فى أغلب الأحايين الحصول عليها وحده بدون مساعدة أو معونة خارجية وقد تتعدد وسائل التعاون بين الناس وتتنوع ولكن ليس من شك فى أن اللغة هى أهم هذه الوسائل ، بل هى أساسها كلها ، فاللغة هى الطريق الأول إلى إزالة الحواجز بين الأفراد والجماعات ، وهى الدعامة الكبرى فى بناء أى مجتمع وتكوينه على أسس من التعاون والألفة والود . وهى ذلك الرباط المقدس الذى يربط بين الناس مهما اختلفت درجاتهم الثقافية والاجتماعية وفى الحق أن اللغة هى الأداة الكبرى التى تحفظ للمجتمع شخصيته وقوته ، وهى التى توحد بين أفراده وجماعاته مهما تعددت طرق الشقاق والنفوذ بينهم : وبالجملة يمكن القول أنه لا وجود لمجتمع إنسانى بدون لغة ، أى بدون وسيلة للتفاهم بين أفراد هذا المجتمع والتعاون فيما بينهم، كما لا يمكن تصور لغة بدون مجتمع تنمو فى أحضانه وتتفاعل مع مظاهر الحياة فيه .

وكما تكون اللغة وسيلة التفاهم والتعاون قد تكون طريقا من طرق إثارة الشقاق والخلاف بين الناس ، ويروى لنا التاريخ فى الماضى والحاضر أمثلة كثيرة من هذا القبيل . فما الأزمات السياسية فى الواقع إلا نتيجة لسوء فهم الفلسفات والأفكار الشائعة فى المجتمعات المختلفة ، وبعض هذا الفهم الخاطىء مرجعه إلى الاختلاف فى فهم

معانى الكلمات التى تعبر عن تلك الفلسفات والأفكار وعن العقائد والتقاليد والمثل التى تتبناها المجتمعات المتنوعة ، ومثل هذا ولا شك من شأنه أن يجر الناس إلى ويلات الحروب والإقدام على أعمال الخراب والدمار التى تتمثل فى الحروب الكبيرة والصغيرة على السواء .

ومعنى ما تقدم أن اللغة سلاح ذو حدين أو أداة يكمن فيها الخير والشر معا فقد تكون وسيلة من أنجح وسائل التعمير ، كما أنه من الممكن أيضا أن تتخذ معاول هدم وتخريب ولسنا نغالى إذا قررنا أن لفظا واحدا أو كلمة واحدة من قائد أهوج أو زعيم مغرور قد تعنى هلاكا ودمارا ، كما أن كلمة أخرى يحملها الأثير من فم إنسان خير نبيل قد تفسد على الأشرار خطتهم ، وتعود بالعالم إلى السلم والطمأنينة والرخاء .

كل هذا الذى قلناه جعل الموضوع بحثنا - وهو السيمانتيك أو علم المعنى - أهمية خاصة فى الدراسات الإنسانية بوجه عام . وفى الدراسات اللغوية بوجه خاص ، وذلك لأنه يتعرض لمشكلة دقيقة خطيرة ، هى مشكلة دلالة الألفاظ أو معانى الكلمات . وهى - كما ترى - مشكلة تتعلق بصميم حياتنا فى المجتمع ، ولا يمكن الهروب منها أو التنكر لها . لذلك لم يكن غريباً أن تشغل هذه المشكلة بال العلماء فى القديم والحديث ، وأن يتناولها بالبحث كثير من الدارسين فى مختلف العلوم والفنون فبحوث الألفاظ ودلالاتها أو الألفاظ وعلاقتها بمعانيها بحوث معروفة فى علم النفس والمنطق والفلسفة والاجتماع والأنتروبولوجيا والنقد الأدبى وعلوم البلاغة ، وفى علم اللغة أيضا دون شك : كل يتناول المشكلة من زاويته الخاصة طبقا لمبادئه وأسسه ، وكل يحاول الوصول إلى حلول سليمة لهذه المشكلة التى تتوقف عليها سعادتنا أو شقاؤنا فى هذه الدنيا التى نعيش فيها ، إذ أن الخلاف فى فهم معانى الكلمات قد يقودنا - كما سبق أن ذكرنا - إلى حروب طاحنة تقضى على الإنسانية وحضارتها . « فالديمقراطية كنظام سياسى يفهمها الروس فهما مباينا لفهم الأمريكى لها ، والاشتراكية عند الانجليز غيرها عند الألمان أيام هتلر ، والحرية لدى هؤلاء وهؤلاء تتخذ مظاهر متباينة »[1] . وليس ببعيد أن يؤدى مثل هذا الخلاف فى الفهم إلى حرب ضروس كتلك التى قاسينا أهوالها وشرورها فى أعوام ٣٩ - ٤٥ ، نتيجة لعدم اتفاق المعسكرين المتحاربين على دلالات هذه الكلمات وأمثالها . ولقد ألحت هذه الحقيقة إلحاحا شديداً على الفيلسوف ولدن ، حتى جعلته

(١) دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٠٥ .

يصرح - فى معرض الكلام على مفهوم كل من الديمقراطية والشيوعية - بأن « أكثرنا يود بإخلاص أن يعرف أسباب تفضيل الديمقراطية على الشيوعية أو الشيوعية على الديمقراطية . نريد أن نتأكد من ذلك ، لأن هذا الموضوع قد قتل من أجله عدد كبير جداً من الناس ، ويبدو أن عدداً أكبر سوف يلقى حتفه لنفس السبب فى المستقبل غير البعيد [1] » .

هـــذه الحقائق وغيرها دفعت العلماء والباحثين إلى دراسة معانى الكلمات ودلالاتها دراسة علمية دقيقة ، وإلى التعرف على جوانب المشكلة تعرفا كاملا ، واضطرتهم إلى رسم الخطط والمناهج الكفيلة بالوصول إلى نتائج صحيحة يمكن الاعتماد عليها والأخذ بها فى هذا المضمار . وفى السنوات الأخيرة تشعبت الدراسة الخاصة بهذا الموضوع إلى ثلاثة اتجاهات تمثل وجهات نظر مختلفة طبقا لمبادئ وأهداف الدارسين . هذه الاتجاهات أو المناهج تعرف جميعا باسم عام هـــو Semantics أو علم المعنى . ولكن بالرغم من هذا الاتفاق فى الاسم فإنها تختلف فيما بينها اختلافا واضحا ، وليس من المأمول أن يحدث بينها تنسيق كامل ، حيث إن كل جهة منها تتبع طريقا خاصا ، وتنهج نهجاً معينا .

وأول ما ظهر فى هذا المجال من هـذه الأنواع الثلاثة من الدراسات هو علم المعنى اللغــوى (Linguistic Semantics) . فدراسة المعنى كعلم مستقل ، أو شبه مستقل - إنما ظهرت أول ما ظهرت سنة ١٨٣٩ ، على أن البعض آنذاك كان يعد علم المعنى جزءا خاصا من علم القواعد ، كما يبدو ذلك واضحا فى بحث الأستاذ (Reisig) الخاص بعلم اللغـة اللاتينية . أما الدراسات اللغوية المنظمة ذات الصبغة العلمية فلم تظهر إلا فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر .

ولقد كان العالم الفرنسى Brèal أول من استعمل كلمـة Sémantique سنة ١٨٨٣ ليعنى بهـا « علم المعنى » فى رسالة له خاصة بهذا الموضوع ، ثم ظهرت ترجمة انجليزية لهذا البحث سنة ١٩٠٠ بعنوان Semantics وبتقادم الزمن أصـــاب هـذا المصطلح الانجليزى نوع من الغموض واللبس ، فاضطر الناس فى وقت من الأوقات إلى الاستعاضة عنه بالمصطلح Semasiology الذى كان معروفا من قبل ، والذى كان يطلق فى اللغة الانجليزية على نوع معين من دراسة المعنى . ولكن المصطلح Semantics نظراً لقصره وخفته فى النطق - لم يلبث أن استرد مكانته

---

(١) انظر The Vocabulary of Politics, T. D. Weldon, P. 10

وأصبح الآن ثابتاً مقرراً في الدراسات اللغوية الخاصة بالمعنى ومشكلاته (١) . ومن الجدير بالذكر أن Bréal لم يكن الرائد الأول في دراسة المعنى ، بل إنه كان الرائد في استعمال كلمة Sémantique التي نقلت إلى الانجليزية باسم Semantics . ولقد كانت هناك محاولات جدية في دراسة المعنى بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور قبل Bréal وقبل ظهور المصطلح الذي ابتكره (٢) .

أما الاتجاه أو المنهج الثاني من مناهج دراسة المعنى فهو المنهج الفلسفي ففي السنوات الأولى من العقد الثالث من هذا القرن الحاضر أدخل جماعة من الفلاسفة البولنديين المصطلح Semantics إلى علم المنطق الرمزي (Symbalic Logic) . وهناك أطلقوه على دراسة متخصصة تخصصاً عالياً ، تتعلق بالرموز والعلامات ومعانيها . ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه الدراسة تعرف بعلم المعنى الفلسفي (PhilosophicalSemantics) ويقرر أوعاف أن علم المعنى الفلسفي في صورته واتجاهاته الحاضرة يتسم بالصعوبة والتعقيد حتى إنه لم يعد من المستطاع فهمه

(1) انظر William, Words and theirUse, p.8.

(2) انظرFirth, papers in Linguistics, p.15.

أو إدراكه بسهولة إلا من مجموعة من العلماء المتضلعين ، وبخاصة أولئك الذين أدخلوا هذا النوع من الدراسة إلى هذا المجال الجديد (١) .

وفي السنوات الأخيرة نشطت حركة كبيرة في دراسة السيمانتيك على مستوى شعبي ، وبخاصة في أمريكا . وذلك لأن كثيراً من الظروف والملابسات في العالم الذي نعيش فيه الآن جعلت الناس في كل مكان يشعرون بأنهم فشلوا فشلا واضحاً في التفاهم فيما بينهم ولم يشذ عن ذلك أصحاب اللغة الواحدة وهذه الحقيقة قد خلقت في الناس روح التشاؤم وملأتهم بخيبة أمل ، غير أن المتفائلين منهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء هذه المشكلة فأخذوا يعملون على إيجاد الحلول المناسبة لها ، وينادون بأن كل ما نحتاج إليه هو أن نتفق على معاني الكلمات التي نستعملها وعلى مفهومات المصطلحات التي نحتاج إليها في حياتنا . وبمعنى آخر رأى هؤلاء أن دراسة السيمانتيك أمر ضروري لعلاج أمراض مجتمعنا الحديث .

ولقد كان العالم البولندي كورزيبسكي (Korzybski) رائد هذه الحركة الجديدة في الولايات المتحدة . وكانت له أهداف عملية يرمي إليها من وراء هذه الدراسة الشعبية التي

(1) انظر Williamm, op.p.8.

عرفت فيما بعد باسم « علم المعنى العام » (General Semantics) . وقد استمرت هذه الحركة فى النمو والانتشار حتى جاء ستوارت تشيس (Stuart Chase) وآخرون فدفعوا بها دفعة قوية أكسبتها شعبية ساحقة فى مختلف المجتمعات ، وأصبح القارىء العادى يهتم اهتماما كبيرا بهذا النوع من الدراسة .

ويتصل بهذه الحركة غير اللغوية فى دراسة المعنى ما قام به الأستاذان الانجليزيان أوجدن وريتشاردز (Ogden and Richards) من بحوث ودراسات أو دعاها كتابهما المشهور « معنى المعنى (The Meaning of Meaning) . كما يعد البحث الذى وضعه الأستاذ أوجدن وسماه « الانجليزية الأساسية » (Basic English) [1] خطوة أخرى فى سبيل إرساء قواعد هذا الفرع من الدراسة التى أحدثت فيما بعد ثورة واضحة الآثار فى نظريات الجمال والنقد الأدبى . غير أن كتابة الأستاذين أوجدن وريتشاردز فى هذا الموضوع تتسم بالطابع النفسانى المشوب بصبغة فلسفية . وليس هذا بمستنكر على الرجلين ، فهما عالمان نفسيان بالحرفة والصنعة ، ومن ثم كان الأسلوب النفسانى واضحا فيما دبجاه وسجلاه من بحث وتحليل فى هذا الموضوع .

وكان من أهم أهداف المنهج الثالث فى دراسة السيمانتيك تخليص الفكر الإنسانى من المغالطات اللغوية ، وتحريره من الزيف الناتج عن سوء استعمال الكلمات . وتخبرنا مارجريت شلاوش بأن سبب اهتمام كورزيبسكى بالسيمانتيك العام إنما يرجع إلى اعتقاده بأن دراسة المعنى من الممكن أن تكون دواء ناجعا لأمراض الإنسانية فى الحياة الاجتماعية [1] . ولقد تبع كورزيبسكى فى هذا الرأى كثير من العلماء ممن تأثروا بأفكاره وكتاباته التى صارت فيما بعد الدستور الأساسى فى دراسة المعنى على مستوى شعبى عام .

والواقع أن مذهب كورزيبسكى وأتباعه فيه شىء من المبالغة من وجهة نظر علماء اللغة . فكثيراً ما يتبين لنا أن تحليل المعنى قلما يؤدى إلى إيجاد حلول عملية لمشكلاتنا الاجتماعية . ولكن هذا لا يعنى أننا ننكر أهمية دراسة معانى الكلمات وتحديد هذه المعانى تحديداً دقيقاً . إن هذه الدراسة

---

(١) « الانجليزية الأساسية » بحث قصد به إلى تبسيط اللغة الانجليزية ، كى تصبح لغة عالمية ، وذلك بالتركيز على الكلمات الأساسية التى تكفى للفهم ومن رأى صاحب هذا البحث أن معرفة عدد محدود جدا من الكلمات الواضحة المعنى خير من معرفة أضعاف هذا العدد الكلمات الغامضة والمشكوك فى معانيها .

(١) انظر Hargaret Schlauch' The Gift of Tongues'p' 130 ·

تساعدنا بلا شك على توضيح معالم الطريق أمامنا ، وترشدنا إلى الموقف الذى يجب أن تتخذه تجاه معانى الكلمات ، بحيث يصبح من المستطاع أن نبدى رأيا واضحاً فى هذه المعانى سواء أأمكننا إقناع الناس بالمعانى الصحيحة أم لم يمكننا ذلك .

وترى مارجريت شلاوش أن هذا الموقف من اللغويين إزاء معانى الكلمات يجب أن يتبسع أيضا فيما لو أسىء استعمال الكلمات فى مجالات الحياة العامة . فمن المألوف أن يستغل بعض الناس — كالصحفيين غير المسئولين مثلا — استعمال الكلمات استغلالا سيئا ، ويضعوها فى معان غامضة أو غير محددة ، قصداً إلى خدمة هدف معين ، ترمى إليه الصحيفة ، دون أن يتعرض أصحابها لنقد القراء أو اعتراض القانون عليهم . وفى استطاعة اللغوى فى هذه الحالة أن يشير إلى الأخطاء التى وقعت من هؤلاء الصحفيين فى هذا الشأن . ولكنه — بوصفه لغويا — لا يمكنه أن يقدم حلولا عملية يفرضها عليهم فرضا ؛ لأن هذا ليس من اختصاصه فى شىء . كل ما يستطيع أن يعمله اللغوى هو أن يعرض خدماته لمن يشاء منهم ، ومن غيرهم من علماء الاجتماع والاقتصاد والعلوم الأخرى ، حين يتعاملون مع اللغة ويتعرضون لمشكلاتها . بل من الممكن أن يتعاون اللغوى مع هؤلاء جميعا فى دراسة مشتركة للمشكلات اللغوية التى تقابلهم فى مهنهم المختلفة . والدارسون فى هذه الحالة يقومون بهذا العمل الجماعى بوصفهم مواطنين عندهم رغبة صادقة فى تصحيح الأخطاء الشائعة فى استعمال الكلمات . ومن ثم فقد يضطرون جميعا إلى ترك مكاتبهم وقاعات بحثهم ، ويخرجون إلى الشارع والأسواق ليشتركوا مع الناس العاديين فى حياتهم اليومية ، بغية تصحيح الأوضاع فيما يختص بالسلوك اللغوى . ومعنى هذا فى نهاية الأمر أن اللغويين تكون لديهم الفرصة لأن يستفيدوا ويفيدوا فى وقت واحد ، وبخاصة إذا اتحدت الأهداف ووضحت المقاصد عند جميع الدارسين ، ومتى كان هناك احترام متبادل للطرق العلمية فى البحث ، واعتراف من الجميع بأمراض المجتمع ومشكلاته . وقد يحتاج اللغويون حينئذ إلى معونة العلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع . وتختتم مارجريت شلاوش رأيها فى هذا الشأن بأنه ليست هناك دراسة لغوية يمكنها أن تقدم فرصة للتعاون العلمى أطيب وأحسن من تلك التى تقدمها لنا بحوث المعنى ودراساته فى ظل الملابسات والظروف الاجتماعية المختلفة[1] ؟

دكتور كمال بشر

---

(١) انظر مارجريت شلاوش ، المرجع السابق ص ١٣١ - ١٣٢ .

رأى فى الشعر الجديد

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

نعنى بالشعر الجديد ذلك اللون من الشعر الذى ظهر فى العراق منذ نحو عشر سنوات ، ومن العراق انتشر فى لبنان ، ثم انحدر إلى مصر . ونسميه جديدا من باب التجاوز لأنه - كما سنرى - ليس جديدا فى المضمون ، وجدته فى الشكل جدة نسبية ؛ لأنه يقوم على جعل المقطع الصوتى - أو التفعيلة كما يعبر علماء العروض - هو الوحدة الجزئية التى تتألف منها القصيدة ، بدلا من البيت الذى يتألف من عدة مقاطع ويعد وحدة متماسكة تتألف منها القصيدة فى الشعر العربى المألوف ، وبذلك أصبح البيت فى الشعر الجديد لا يتألف من شطرين متساويين فى عدد المقاطع ، كما هو الشأن فى الشعر المألوف ، وإنما يتألف من مقطع أو عدة مقاطع يختلف عددها فى بيت عنه فى سائر الأبيات ، دون أن يخضع ذلك لقاعدة مقررة أو نظام معروف ... وهذا هو الفارق بين الشعر الذى يسمونه جديدا ، والشعر الذى نعرفه ونألفه ، وهو كما رأيت فارق شكلى نسبى ، لا يتعدى الشكل إلى المضمون بحال من الأحوال . ولكن ما الذى عمل على ظهور هذا الشعر ؟ .

فى رأينا أن هناك عدة عوامل أدت إلى ذلك ، ومن أهمها :

أولا : انتقال مجتمعنا العربى من إطار الحياة الخيالية السلبية ، إلى نطاق الحياة الواقعية الإيجابية ، فانحسر الشعر الرومانسى الخالص أو كاد ، على حين طغى الشعر الواقعى وساد .

والفارق بين اللونين فارق فى الهدف والاتجاه وطبيعة المضمون من غير شك ، ولكن بعض الشعراء تجاوزوا الحد ، فأحدثوا فى الشعر هذا التغيير الذى يمس الشكل ، متأثرين بالشعر الغربى الحديث من جهة ، وليثيروا انتباه الناس إليهم وإلى شعرهم من جهة أخرى .

ثانيا : تجنى بعض النقاد على الشعر العربى القديم خاصة ، والأدب العربى عامة ، واتهامهما بالجمود والضيق والتكلف ، مما حدا بالكثيرين من الشباب إلى إهمال هذا الأدب ، والاتجاه إلى الأدب الغربى لدراسته ومحاكاة كل ما فيه من صور وألوان .

ثالثا : سيطرة الصحافة على الأدب فى السنوات الأخيرة ، وضعف الثقافة العربية لدى الكثيرين من أدباء الشباب ، فمال الأدب

الحديث ، ومنه الشعر ، إلى السهولة التى توشك أن تكون ابتذالا ، وإلى الثورة الجامحة على القيود الفنية التى تتطلب جهداً ودراسة .

هذه هى أهم العوامل التى أدت إلى ظهور هذا الشعر ... ونسأل بعد ذلك : ما الذى ساعد على انتشاره ؟ .

ونجيب عن ذلك فنقول :

إن أول عامل ساعد على انتشار هذا الشعر ، هو توقف مجلة الرسالة عن الصدور ، بعد أن استمر يصدرها أديبنا العظيم الزيات سنوات طوالا ، وكانت الرسالة هى وحدها المجال الفسيح الذى لا يتحقق فى غيره الظهور والتفوق لشاعر من ناشئة الشعراء ، أو مذهب من مذاهب الشعر ، كما كانت تهدم كل محاولة يريد بها أصحابها هدم الثقافة العربية والأدب العربى ، سعيا وراء مآرب شخصية ، ومنافع ذاتية ، ولا تعترف بالثورة على القيود الفنية التى بدونها لا يكون الأدب فنا ، وإنما يصبح ثرثرة فارغة ، ولغوا عقيما .

ويلى ذلك فى الأهمية أن اختفاء الرسالة قد مكن لبعض المجلات اللبنانية فى مجال الأدب ، فوسعت صدرها لهذا اللون من الشعر ، ونوهت بأصحابه بينما طوت صفحاتها عن الشعر المألوف ، وأهملت أصحابه إهمالا منقطع النظير !

ويأتى بعد ذلك أن بعض النقاد المحدثين قد تعصبوا للشعر الجديد ، لا لإيمانهم بقيمته ، واعترافهم بجدواه ، ولكن لأنه سيفتح الطريق أمامهم إلى الشهرة السريعة المستفيضة ، إذا هم عملوا على أن تكون له السيادة والقيادة فى مجال الأدب .

وهكذا انتشر هذا الشعر ، وملك أصحابه الغرور ، فظنوا أنهم الشعراء ، وأن المجد قد دان لهم ، فأخذوا يطلعون علينا كل يوم بديوان جديد ، وساعدهم على ذلك أن أغلب هذا الشعر لا يحتاج إلى التأنى وبذل الجهد إلا إذا كانت الثرثرة الفارغة تحتاج إلى شىء من ذلك وأن الديوان الواحد لا يحتاج إلى أكثر من عشر قصائد تكتب كل كلمة أو كلمتين فى سطر ، فيمتلئ الديوان ويفيض .

ثم نسأل أصحاب هذا الشعر : لماذا تنكبتم طريق الشعر المألوف ، وسرتم فى طريق الشعر الجديد ؟ .

وتعال معى نسمع ما يقولون .

يقولون إن شعرنا الجديد ، فى إطاره الجديد ، يتيح لنا الحرية للتعبير عن تجاربنا الجديدة .

ويقولون إن شعرنا الجديد لا يجعل القصيدة مكونة من أجزاء لا يتم فيها التماسك والامتزاج ، ولكنه يجعلها وحدة متكاملة تنساب كما ينساب الماء فى النهر العظيم ،

أو الجدول الرقراق ، وبذلك تقدم لنا صورة متكاملة السمات والقسمات ، متآلفة الألوان والظلال .

ويقولون إن هذا الشعر لا يضطر صاحبه إلى استخدام كلمات يكمل بها بيته ، ويصل بها إلى قافيته ، دون أن تضيف هذه الكلمات شيئا إلى جوهر الصورة التي تتألف منها القصيدة .

هذا ما يقولون .

ونحن في رفق وهوادة نقول لهم :

إذا كنتم تريدون بالحرية في مجال الشعر ، الحرية المطلقة ، فنحن نعترض على ما تريدون ؛ لأن تلك الحرية هي الفوضى التي تهدم دون أن تبنى ، ومن ثم لا تصلح أساسا لعمل إيجابي نافع ، في أي مجال من مجالات الأدب ، وفي أي قطاع من قطاعات الحياة .

وإذا كنتم تريدون الحرية المنظمة الملائمة ، فإن هذه الحرية تتجلى في شعرنا المألوف المعاصر على نحو يحقق لهذا الشعر التطور المطلوب ، والحيوية المنشودة ، وإلا فهل كان امرؤ القيس والأعشى ، أو جرير والفرزدق ، أو أبو تمام والمتنبي . . هل كان هؤلاء يقولون قصائدهم على النمط الذي يقوله العقاد في قصيدته عن « المصرف » :

في سكتي أبدا ، وما
من سكة أبدا إليه ، ولست ألغز عندما
أصف الطريق أو الحمى
انظر بعينيك البناء سما وطال وأظلما
واسأل : أهذا مصرف ملئوا جوانبه دما ؟
تجد الصواب مجسما

أو على النحو الذي يقوله إلياس فرحات في قصيدته « الحمامة » :

يا عروس الروض يا ذات الجناح يا حمامة
سافرى مصحوبة عند الصباح بالسلامة
واحملى شوق فؤاد ذي جراح وهيامه

هذا هو التجديد الذي لا يقوم على التبديد ، وهذه هي الحرية التي لا تضل القصد ، ولا تنحرف عن الطريق ؛ لأنها دائما تنظر إلى الماضي ، وتتأمل الحاضر ، وتتطلع إلى المستقبل .

أما تماسك القصيدة تماسكا عضويا ، واعتمادها على الصورة المتكاملة الموحية ، فذلك أمر قد فرغ من تقريره نقاد الشعر منذ سنوات وسنوات ، ونحن نجده فيما كتبه العقاد وطه حسين وميخائيل نعيمة ، كما نلمسه واضحا في شعر العقاد وأبي ماضي وعلى طه وأمثالهم من الشعراء المعاصرين الذين لم يكتب واحد منهم قصيدة واحدة على مثال هذا الشعر الجديد ، وإن كانت قصائدهم حافلة بالتجديد ، كما ينبغي أن يكون التجديد .

بقى بعد ذلك ما يزعمه أنصار هذا الشعر « الجديد » من أن الشعر المألوف يضطر

صاحبه إلى أن يستخدم كلمات يكمل بها البيت، ويصل بها إلى القافية ، دون أن تضيف هذه الكلمات شيئاً جديداً إلى البيت أو القصيدة .

ونحب أن نقول أولا إن الكلمات تستعمل فى الشعر لأغراض أهمها إضافة معنى جديد ، أو إلقاء مزيد من الضوء على معنى سابق ، أو انسجام الصوت ، وتناسق النغم فى القصيدة ، فما يظنه هؤلاء الغافلون كلمات لا معنى لها فى الشعر المألوف ، ليس إلا كلمات ذات معنى مقصود ، حين نفهم « المعنى » فهما واسعا عميقا ، بحيث يشمل ما تشعه الكلمة من ضوء ، وما تبعثه من نغم ، وإن لم يكن لها فى سياقها معنى جديد .

وليس معنى ذلك أن الشعر المألوف يخلو من الكلمات التى كان ينبغى أن تستبعد منه ، ولكن معناه أن هذه الكلمات إن وجدت فى الشعر المألوف. فلها نظائرها فى الشعر الجديد، وهى هنا وهناك عيب من عيوب الشعر ، سواء كان هذا الشعر من هذا اللون أو ذاك .

ومن قال إن « كمية » الكلمات هى مقياس بلاغة الكلام ، فكلما زادت هذه الكمية ، نقصت البلاغة ، وحين تنقص تلك ، تعظم هذه وتزيد ؟! ألا يتذوق هؤلاء الناس بلاغة الكلمات إلا إذا عدوها على الأصابع ، أو قاسوها بالأشبار ، أو كالوها أو وزنوها بما شاءوا من المكاييل والموازين ؟ .

ثم أين الكلمات التى لا معنى لها فيما أسلفناه من شعر العقاد وفرحات ؟ أيمكن أن نحذف كلمة واحدة من هذا الشعر دون أن تختل الفكرة ، وتهتز الصورة ، ويضطرب الإيقاع .

والآن فلنقرأ هذه المقطوعة من قصيدة « جديدة » عنوانها « من شاعر سورى إلى مواطن أمريكى » :

لكن رئيسك يحسبنى
يحسبنى هنديا أصفر
هنديا من أو كلا هو ما
ويريد استملاك الدنيا
بالدولار
وأنا يؤسفنى . .
يؤسفنى . .
لن أرهن حجراً من وطنى
دولارك لا يشرى شيئا
لا يشرى ذمم الأحرار

فانظر كيف كرر الشاعر كلماته فى هذه المقطوعة الصغيرة من القصيدة ، لا لشىء إلا لمراعاة الإيقاع والتنغيم ؟ وهذا النموذج من الشعر ليس من شعر نكرة من نكرات ما يسمونه الشعر الجديد ، ولكنه من شعر نزار قبانى . وهو من رواد هذا الشعر، وإن كان قد نفض يديه منه ، وعاد إلى سواء السبيل .

قلنا فى أول المقال إن اختلاف عدد المقاطع فى بيت عنه فى سائر الأبيات - هو الفارق بين الشعر الجديد والشعر المألوف ، ونضيف هنا فارقا آخر بين هذين اللونين من الشعر ، وإن كان هذا الفارق لا يظهر إلا عند طائفة من الشعراء تجاوزت ثورتهم كل حد ، فأهملت القافية كل الإهمال ، أو منحتها الحرية المطلقة ، فهى تظهر كما تشاء ، وتختفى كما تريد ، من غير ضابط أو مقياس .

ولنقرأ معا هذه الأبيات :

يا سائرا والعزم فى عيونه أراه
احمل لهم ... لإخوتى هناك
دمى . . دم الرفاق حيث يوجدون
وعذرنا
فنحن لا نزال
عيوننا مشدودة إلى السماء
نذب عن حقولنا جحافل الجراه
والبوم والغربان ...

إلى آخر ما قال ، هذا الشاعر المفضال !

فهنا تختفى القافية التى لها أثر كبير فيما يشيع فى الشعر من إيقاع وترنيم ، وهنا أيضا تكرار للكلمات دون أن يكون هناك داع إلى هذا التكرار .

ثم يبقى بعد ذلك هذا السؤال الأخير : هل استطاع هذا الشعر الجديد أن يتسع لفن جديد من فنون الشعر لم يتسع له الشعر المألوف ؟

لقد قدم لنا الشعر المألوف أروع النماذج من الشعر القصصى والتمثيل وشعر الملاحم ، فأين النماذج التى قدمها الشعر الجديد فى هذه الفنون ؟ وأين الفن الجديد الذى أضافه إليها هؤلاء الشعراء « المجددون » ؟

على أن الشعر الجديد يفقد فى كل صوره عنصرا هاما من عناصر الفن ، هو عنصر التنسيق ؛ لأنه يوزع مقاطعه الموسيقية توزيعا أساسه الفوضى لا النظام ، ومن ثم تصبح موسيقا الشعر أقرب إلى موسيقا النثر ، مع أن الموسيقا هى العنصر الأساسى الذى الذى يفرق بين الشعر والنثر من أول وهلة ، وقبل أى تنقيب .

ونحن نجد فى قصيدة إلياس فرحات أن الشطر الأول يختلف عن الشطر الثانى فى عدد المقاطع ، ولكن انظر إلى الشاعر كيف جعل هذا الاختلاف لا يقف عند البيت ، ولكنه يتجاوزه إلى المقطوعة ، بل يتجاوزه إلى سائر المقطوعات ؟

وهاك مقطوعة أخرى من القصيدة ، لتتبين صدق ما نقول :

رفرفى فى روضة « الأفق الجميل » وتغنى
وانظرى محبوبتى عند الأصيل وتأنى
فهى إن تسألك عن صب عليل كان عنى

وكذلك صنع شاعرنا العظيم العقاد فى قصيدته ، فلاءم بين مقطوعاتها ، بحيث صارت القصيدة آية من آيات التوزيع الموسيقى الجميل ، والتناسق الصوتى البديع ، ولنستمع معا إلى هذه المقطوعة :

فيه دم لا شك فيه
فى كل طرس أو كتاب أو سجل يحتويه
ودم المقتر والسفيه
يجرى هناك ، وأنت تحسبه من الورق الرفيه
تغليه كالدم فى العروق سرى ، وكالدم تتقيه
وسل المدلس والنزيه

إنه التنسيق الذى يدرك الشاعر بحاسته الفنية الأصيلة أنه الإطار الذى لابد أن تتجلى فيه كل صورة من صور الفنون .

وإنصافا للحقيقة نقول إننا نتذوق جمال هذا الشعر الجديد فى بعض النماذج ، ولكنها نماذج نادرة قد حرص أصحابها على شىء من التنسيق فى توزيع المقاطع المختلفة ، والقوافى المنوعة ، فاحتفظوا لشعرهم بالنغم المميز ، والإيقاع الذى لا يشبهه فى النثر إيقاع .

وهؤلاء الشعراء كلهم من الذين درسوا موسيقا الشعر المألوف ، وفى ظلالها عاشوا يقولون الشعر سنوات .

فهذه النماذج نعدها لونا من ألوان التجديد لا تخرج الشعر من جوهره المعروف ، ولا تنحرف به عن تطوره الملائم ، وفرق كبير بين أن نجدد فى الشعر العربى ، وبين أن نأتى بما يخالف طبيعة هذا الشعر ، ثم نقول إننا قد أتينا بشعر جديد !

أما هذه « القصائد » الكثيرة التى جادت بها قرائح الكثيرين من « الشعراء » الذين انتهزوا فرصة هذه الفوضى فأحدثوا هذه الأشياء التى تجردت من كل لون من ألوان الإيقاع والتنسيق ، فلا نقول عنها إلا أنها لغو أطفال ، وإن صدرت عن رجال أو أشباه رجال !

وبعد ، فقد بدأ صوت هذا الشعر يخفت ، ولن يرتفع هذا الصوت بعد ذلك ، وبدأت أمواجه تنحسر عن الشاطىء ، ولن تعود إليه أبدا . وسيظل الشعر المألوف ، بجوهره الأصيل ، وطبيعته الفنية ، خالدا خلود الفن ، باقيا ما بقيت الحياة .

ابراهيم محمد نجا

مع قضايانا

إنّنا عائدون

للأستاذ احمد الشرباصي

لا يختلف عربيان واعيان ، ولا مسلمان عاقلان ، فى أن نكبة فلسطين كانت الشوكة الكبيرة المسمومة التى غرسها الاستعمار الغربى فى قلب الشرق العربى الإسلامى ، وإذا كانت هذه المحنة قد طوت بين جنباتها منحة - إذ أيقظت القلوب وهاجت النفوس فانبعثت الثورة ، وأقبلت الصحوة ، وأخذنا طريقنا نحو التحرير والتطهير والتعمير ، وشرعنا ندعم كياننا العربى ونثبت وجودنا المؤمن - فإنه ما زال فى رقابنا دين مستحق نحو عروبتنا وإسلامنا ، نذكره ولا ننساه ، وإذا كنا أحيانا نخفيه ولا نبديه ، فإننا على الدوام نتطلبه ونرتجيه ، وهو أن تعود فلسطين ، أو أن يعود أهل فلسطين إلى فلسطين ، لأن الله عز شأنه وجل أمره ، يريدها عربية إسلامية ، فيجب أن تكون . « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

يجب أن تعود فلسطين ، ولذلك نهتف فى الصباح والمساء قائلين مع المشردين من أبناء فلسطين : « إننا عائدون » ... ولكن من نحن حتى نقول « إننا » ؟ ... إن « نا » ضمير يدل على الجمع أو المعظمة ، فالله الكبير المتعال يقول مثلا : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، والله قادر بسلطانه وسطوته على أن يحفظ ذكره ، وأن يجمع له من أسباب التعظيم والتأييد ما يبقى به ويدوم ، فمن نحن ؟ ...

نحن أولا ننبسط ونتسع فى رحاب رقعة كبيرة قديمة هى الشرق الروحى المؤمن ، والشرق هو مهبط الديانات ومبعث الرسالات ومسرى دعوات السماء والروح ، ومن الشرق أشرقت المدنيات فى مصر والشام والهند ، ولذلك سمى « الشرق » ! ..

ثم نحن نتجمع ونتركز فى رقعة أضيق نطاقا ، ولكنها أعمق روحا ونفسا ، وهى رقعة العروبة التى تقع فى صميم الشرق ، فنحن العرب ، العرب الذين اختارهم ربهم ليكونوا

حملة رسالته وناشري دعوته بين العالمين ، فكان ذلك تكريما من الله أي تكريم .

ثم نعود فننبسط في رقعة أوسع وأفسح ، ننبسط في مجموعة المسلمين ، والمسلمون هم الذين يردد كل واحد منهم قوله تعالى : « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » ، « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وهم الذين يقول ربهم في كل من استقام ضميره منهم : « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين » .

ثم نعود فنكون مزاجا عجيبا في هذه المنطقة الكريمة - منطقة العروبة المؤمنة - فنمثل العرب المسلمين أو المسلمين العرب ، فيتمثل فينا الوعاء الطاهر والروح النبيل ؛ لأن العروبة وعاء الإسلام ، والإسلام روح العروبة ؛ فنحن العرب الذين أسلموا وآمنوا ونحن المسلمين الذين تجري في عروقهم خصال العروبة ، وإذا كان مهيار الديلمي يقول عن نفسه :

وجمعت المجد من أطرافه
سؤدد الفرس ودين العرب

فالعربي أولى بالفخار والازدهار ، لأنه تحلى بشيم العروبة الأصيلة التي زكاها وأعلاها وقواها رب العالمين ، حتى قال جل جلاله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ! .

والمسيحي العربي فينا - وإن كان مسيحيا في دينه وعقيدته وعبادته التي يتمتع بحريته فيها - هو في الوقت نفسه مسلم بلسانه وبيانه ، مسلم بلغة القرآن المجيد التي يتحدث بها ، مسلم بالعادات والتقاليد التي يشترك فيها مع جيرته وأبناء بيئته المسلمين ، مسلم بقوميته التي يغار عليها مع زملائه في الوطن المؤمن الكبير ، فالكل في خدمة العروبة وإعزازها سواء ! .

فنحن أبناء الشرق والعروبة والإسلام ، نحن الجامعين بين فضائل الإيمان وفضائل القومية ، نحن الموثقة أواصرنا بحمى ربنا وسمو مبادئنا وجلال تاريخنا ، نحن الذين نقول : « إننا عائدون » ! .

وإذا قلناها في إخلاص وإجماع ، وبعزم وتصميم ، استمعت الدنيا ووعى التاريخ واستجاب القدر ؛ لأن رسولنا الصادق المصدوق يقول : « يد الله مع الجماعة » ويقول : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ويقول : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة » .

وشاعرنا يقول :

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر !

نعم : إننا عائدون بإذن الله إلى أرضنا

ووطننا وحمانا فلسطين ، لأننا نؤمن بالله سبحانه ، والله جل جلاله من أسمائه « المبدئ المعيد » . ولأننا نريد أن نكون أعزة في بلادنا ، أبطالا في ديارنا ومن أجل حريتنا وكرامتنا . وآباؤنا العرب الأماجد يسمون البطل الشجاع « معاوداً » ، لأنه يعاود الكرة مرة بعد مرة ، ولا يمنعه ما رأى من شدة الحرب أن يعود إليها ، وأمير القوم عند العرب يسمونه « العود » تشبيها له بالجمل الكبير الذي تعود الرحلة ، وعاود المسير ، واعتاد تحمل المصاعب والمشقات ! .

إننا عائدون إلى فلسطين ، لأن فلسطين موطن أبينا إبراهيم عليه السلام ، ونحن أولى الناس بإبراهيم أبي الأنبياء لأن نبينا محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو أولى الناس بإبراهيم كما يقول القرآن الكريم : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » ويقول : « قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا » ويقول : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا » ويقول : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا » ويقول : « قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا » .

وما دام ديننا هو دين إبراهيم الحنيف الذي كان مسلما ، وما دام نبينا مأمورا بأن يتبع هذه الملة الحنيفية السمحة ملة إبراهيم ، وما دمنا مأمورين باتباع هذه الملة المسلمة المستقيمة التي دعا إليها إبراهيم وآمن بها ، فنحن إذن الأمة الوارثة لتراثه ، ونحن أولى الناس به ، وأحق الناس بأن يغار على موطنه ودياره .

وإننا عائدون إلى فلسطين ، لأن فلسطين مولد عيسى عليه السلام ، ونحن أحق الناس بعيسى عليه السلام ، لأنه النبي الذي سبق نبينا ، وهو الذي بشر بنبينا ، فكانت هذه البشارة إيذانا بأن محمداً الخاتم الجامع هو الوارث لعيسى كما أنه الوارث لغيره من الأنبياء : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .

ونحن أولى الناس بعيسى ، لأننا نحن الذين كرمناه وطهرناه ونزهناه ، ولم نحرف في قوله ، ولم نسرف في أمره ، ولم نغال في الارتفاع به ، كما أننا لم نظلم بهضمه حقه ، وهذا كتابنا ينطق في عيسى بالحق والصدق ، ويصفه وصف التكريم والتعظيم ، وينعته نعت التمجيد والتحميد ، فيقول عنه : « إذ قالت الملائكة يا مريم

إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهـــا فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » . ويقول : « إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليـــك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيـل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى ، وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى ، وإذ تخرج الموتى بإذنى ، وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين . وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » . ويقول على لسان عيسى : « قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون » .

إننا عائدن إلى فلسطين ، لأنها بلد الأنبياء والمرسلين فيها نبتت شجرة النبوة وتفرعت أغصان الرسالة ، ونحن الأمة التى انتهت إليها مواريث النبوات والرسالات ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » . ويقول : « الم ، الله لا إله إلا هـو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » . ويقول : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » . ويقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .

إننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأنها أولى القبلتين فى الإسلام ، فإلى عاصمتها بيت المقدس وإلى المسجد الأقصى فيها ، كان رسولنا عليه الصلاة والسلام يتجه فى صلواته ، وظل ردحا من الزمن يتخذ من بيت المقدس وجهة وقبلة ، حتى أمره الله جل جلاله بالاتجاه إلى الكعبة ، فكان هذا الجمع بين القبلتين فى الإسلام مزجا إلهيا كريماً يوحى بوثيق

الارتباط بين مكة والقدس ، وبين القبلة السابقة والقبلة اللاحقة الدائمة الباقية ، فإذا اتجه المسلمون إلى الكعبة فى صلواتهم مرت بخواطرهم ذكرى الاتجاه النبوى إلى بيت المقدس ، فأدركوا أن مواريث النبوة لا تتوزع ولا تتقطع ولا تتجزأ ، لأنها هبة الله ، فيجب أن تبقى مصونة تحت لواء الله : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم » .

إننا عائدون إلى فلسطين ، لأنها مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام ، ونهاية رحلته الأرضية فى حادث الإسراء ، وبداية رحلته السماوية فى حادث المعراج ، وكان اتخاذ فلسطين مقراً لهذه البداية وتلك النهاية رمزا قويا إلى أن فلسطين هى واسطة العقد فى وطن المسلمين . وأنها يجب أن تكون فى قمة الإعزاز عند المؤمنين ، وبخاصة أنها كانت الموطن لإمامة النبى محمد لإخوته الأنبياء والمرسلين ، فوق أنها بلد الإسراء والمعراج والله جل جلاله يكرم هذه الذكرى ، ويعطيها حقها من الرفعة والسمو . فيقول : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

وإننا عائدون إلى فلسطين لأنها ثالث الحرمين ، والرسول يقول : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا . والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى) ، ولا يتيسر لأبناء الإسلام أن يشدوا رحالهم إلى المسجد الأقصى آمنين مطمئنين ، أعزاء كرماء ، إلا إذا كانت فلسطين حرة عربية مسلمة ، ولذلك يجب أن نعود إلى فلسطين ، وأن نهتف من الأعماق قائلين : إننا عائدون ! .

أحمد الشرباصى

الإيثار

ذكر من قصص الإيثار أن كعب بن مامه آثر رفيقه النمرى بالماء على نفسه حتى مات هو عطشا ونجا النمرى ، وفيه يقول حبيب بن أوس الطائى :

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

كيف انتشر الاسلام

الأستاذ عباس طه

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » صدق الله العظيم .

أراد الله تعالى أن تكون بلاد العرب مهبطا لأنوار الدين العالمى الذى هو آخر الديانات والرسالات ، فأرسل به خاتم أنبيائه محمدا صلى الله عليه وسلم ، فلما تم نزوله ، واختار الله رسوله لجواره انتشر نوره فى الخافقين ، فعنى الباحثون بمعرفة المسالك التى سرى منها إلى العالم كله . ومن هؤلاء الباحثين المستشرق الألمانى الأستاذ « مارتن هارتمان » الذى عنى بهذا الموضوع فى كتابه « الإسلام » فكتب فيه بحثا قيما نعتمد عليه فى هذا المقال:

لبلاد العرب منفذان إلى الشرق وهما : العقبة ، وهى على طريق الشام والطف بجوار نهر الفرات ، وقد انتشر الإسلام منهما إلى الشام وأرمينية وبلاد القوقاز وأزربيجان ووصل إلى بخارى وكابل عاصمة بلاد الأفغان فى القرن السابع وإلى خوارزم فى أوائل القرن الثامن ، وما زال يمتد حتى تعدى حدود الصين من تيانشان ودخل مدينة كاشغار من بلاد المغول وبلغ بلاد السند ، وكانت مدينة مولتان مركزا للدعوة الإسلامية ، ومن هناك انتشر فى شمال الهند حيث ظهر فى سنة ١٠٠٥م رجل من مدينة لاهور يقال له الشيخ إسماعيل أبلى فى الدعوة إلى الإسلام بلاء حسنا ، وتلاه فى الدعوة إليه فى تلك الأصقاع رجل يقال له محيي الدين تشيشتى توفى توفى سنة (١٢٣٤) م .

وقد اشتد انتشار الإسلام فى ذلك العهد بشمال الهند حتى آل إلى المسلمين الملك فى البنغال (سنة ١٢٠٠) م كما توج أول ملك مسلم فى كشمير من بلاد المغول سنة ١٣٠٠ م ومنها انتقل الإسلام إلى تبت الصغرى ، وقد وصل إليها أيضا من ولاية يونان فى جنوب الصين .

دخل الإسلام إلى بلاد الصين من منفذين: الساحل الجنوبى ومن الولايات المتاخمة لبلاد التركستان .

وقد روى أن علاقات حسنة تبودلت بين بغداد والصين على عهد الخلفاء العباسيين وكان الدعاة المسلمون يؤمون تلك البلاد من طريق ما وراء النهر .

وقد ظهر الإسلام مبكرا فى بلاد الصين على بعد الشقة بينها وبين البلاد العربية حتى أنه بنى مسجد فى ولاية شينزى سنة ٧٤٢ م أى بعد البعثة المحمدية بنحو مائة سنة ، وكان

من أثر هذه الحركة أن انتشر الإسلام في شمال الصين بدخول قبائل الويجور فيه، وقد وصل بعضهم إلى المناصب الحكومية الرفيعة، ونزح لهذا السبب كثير من الفرس إلى الصين ونشروا فيها لغتهم حتى أن كثيرا من مسلمي الصين يعدون الفارسية لغة المثقفين منهم.

وقد دخل في الإسلام كثير من اليهود، هناك فزاد بهم زيادة كبيرة يصعب تقديرها.

ولما دخلت بلاد التركستان المسلمة إلى حوزة «الصين» واحتك المسلمون بأهلها تعرفوا منهم سماحة الإسلام وفضائله فكان ذلك سببا في زيادة انتشاره في تلك الأصقاع.

وفي هذا العهد بدأ ظهور رؤساء وقادة من أصل تركي في الصين حتى أن القيصر الصيني كين لنج تزوج أميرة تركية، وأمر ببناء مسجد إكراما لها ولحاشيتها.

وقد اشتهرت أسماء رجال من الترك تولوا الإدارة والقيادة العسكرية، كذلك وجد نحو عشرين ألف أسرة تركية في مدينة بكينج عاصمة الصين، وقد كان لهم ثلاثة عشر مسجدا يقيمون فيها الصلاة، وارتفع شأن المسلمين في الصين إلى حد أنهم أحدثوا ثورة في كانصو وشينزى سنة ١٨٦٤ فلم تنجح الحكومة في إخمادها إلا بعد مكافحتها عشر سنين، وفي هذه السنة نفسها تمكن يعقوب بك الطشقندي من اقتطاع التركستان من المملكة الصينية فلم تستطع الحكومة استردادها إلا بعد موت هذا الزعيم.

أما المنفذ الآخر الذي سلكه الإسلام إلى الصين: وهو الساحل الجنوبي، فقد عرفه العرب والفرس منذ زمن بعيد، وقد تأسست جالية إسلامية في كانتون منذ العصور الأولى في الإسلام. ويروى أن الخليفة العباسي أرسل أربعة آلاف جندي لمساعدة قيصر الصين في بعض حروبه. وكان المسلمون يفدون من بلادهم للعيش في الصين. لذلك قويت شكيمتهم هناك.

إن الذي يتأمل بعد الشقة بين بلاد الصين وبلاد العرب لا يسعه إلا أن يكبر تلك الروح التي كانت تدفع المسلمين إلى تجشم هذه المتاعب لنشر دينهم في الخافقين، ويدرك أنه بمثل هذه القلوب الكبيرة تعتز الأمم وترقى وتبني لنفسها ولخلفائها مجدا يخلد خلود الدهر. وقد عجز دعاة الأديان الأخرى عن أن يصلوا إلى الصين إلا في القرون المتأخرة، وعجزت المدنية الأوروبية عن أن تتعدى الحدود الشرقية للصين حتى آخر القرن التاسع عشر.

ولكن المسلمين لم يجتازوا حدود السواحل فحسب، بل استطاعوا نشر دياناتهم وثقافتهم فيها أيضا.

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

١- الدعوات الإسلامية
٢- والإسلام ووحدة الجماعة

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرضت صحيفة « التايمز » الأدبية لكتابين من الإسلام فى عدد واحد ، وهو العدد الصادر فى الحادى عشر من شهر أغسطس الماضى (سنة ١٩٦١) .

والكتابان هما : كتاب « الدعوات والصلوات الإسلامية» Moslem Devotions لمؤلفته السيدة كونستانس بادويك ، وكتاب « الإسلام ووحدة الجماعة » Islam and the Intepation of Society لمؤلفه : الدكتور مونتجومرى وات ، أشهر المؤلفين عن الإسلاميات من المستشرقين الانجليز فى الوقت الحاضر .

ينقسم كتاب الدعوات إلى ثلاثة أقسام : قسم الدعوات والصلوات المفروضة ، وقد جمعت فيه المؤلفة آيات من القرآن الكريم ، ومن التحيات ودعوات القنوت ، التى تتلى فى الصلوات الخمس وفى غيرها من صلوات يؤديها المسلم أحيانا وإن لم تكن من أركان العبادة .

والقسم الثانى : يشتمل على دعوات توافق دعوات الصلاة وتضاف إليها من قبيلها على سبيل التوسع والتفسير .

والقسم الثالث : تسبيحات مستقلة يتعبد بها المسلم على انفراد أو مع الجماعة ، وأكثرها من دعوات الصوفية باللغة العربية ، وغير العربية .

والمؤلفة تسمى هذه الأقسام الثلاثة بأسماء ترتضيها وتفضلها للدلالة على غرضها ، فمنها قسم داخل الصلاة المفروضة وقسم على عتبة الصلاة المفروضة ، وقسم خارج هذه الصلاة يختاره المسلم ولا يلزم أن يكون من باب الفرائض ولا من باب السنة النبوية ، بل يجوز لكل مسلم أن يختار له عبارته ومعناه ومناسبته على حدة أو مع إخوان له فى الطريق وفى حلقات الأذكار الخاصة .

وجملة ما اختارته المؤلفة مقبول عند جماعة المسلمين مع اختلاف المذاهب ، إلا طائفة منه يتمادى بها الشطط إلى القول بالحلول أو القول « بوحدة الوجود » على النهج الذى يرفضه أهل السنة بالإجماع ، وهو ذلك النهج

الذى يوشك أن يتطوح بأهله إلى تأليه الكون بمظاهره المادية وبواطنه الخفية ، وليس هذا القسم من الدعوات بالكثير وإن كان ناقد الكتاب يقول إن دعواته أقرب إلى تسبيحات المتصوفة منه إلى العبادات العامة أو العبادات المقررة للجميع ، وهى على حد تعبيراتهم « العبادات الأرثوذكسية » .

ويقول ناقد الصحيفة الأدبية : « إن نشر هذه الدعوات بين المسيحيين ، وهى مما يغلب عليه اللطف المستحب ، خليقة أن تقرب أسباب التفاهم بين الديانات فيما هو أقرب الأمور إلى جوهرها جميعا وهو العبادة . وإن العبادة الإسلامية بأسلوبها الصوفى على الخصوص لتحمل كثيراً من معانى المشابهة والمشاركة بينها وبين العبادة المسيحية » .

ويمضى الناقد قائلا : « ولم تقصر المؤلفة اختيارها على هذا النوع — يعنى نوع الدعوات الصوفية الخالصة ـ بل هى تعرض لنا ما يلتبس بشىء من الكثافة فى أوراد المتصوفين المعاصرين ، وأن هذين النمطين من أنماط الدعوات الصوفية ليظهران معا بين المسلمين كما يظهران متصاحبين فى تقاليد أكبر الكنائس الغربية » .

نقول : إن عيب هذا الكتاب وأمثاله أن مؤلفيها يحشرون فيها كل ما ينقلونه عن الإسلام إلى صعيد واحد ، ولا يكتفون بالجانب الخالص منه متعللين بدعوى الحيدة واجتناب التحيز لهذا الفريق أو ذاك فيما ينسبونه إلى أتباع الديانة التى هم غرباء عنها ، متهمون بالغرض إذا تشيعوا لفريق من أتباعها على غيره . . . ولولا هذا الخلط الذريع لكانت هذه الدعوات عنوانا صالحا للديانة الإسلامية فى جوهرها ، وهو جوهر العبادة كما قال ناقد الكتاب .

وعندنا أن الإسلاميات التى تنشر فى الغرب تحتمل الترتيب والتقديم بالأولية من وجهة النظر الإسلامية ، فأجدرها بالنشر ـ وأولها فى هذا الترتيب ـ أمثال هذه الدعوات والصلوات ، على شريطة السلامة من شوائب التصوف الكثيف كما وصفه ناقد الكتاب ، ومن شوائب التصوف المدخول الذى تطرق إلى الإسلام من بقايا الديانات الشرقية الخالية ومنه ذلك الإغراق فى دعوى الحلول ودعوى « الإلهية الكونية » التى تسمى عند أصحابها بوحدة الوجود ، ولا ينكر المسلم أن يؤمن بالتجلى الإلهى فى آيات الكون بين السموات والأرضين ، فإنه مأمور بالبحث عن هذه الآيات بنصوص الكتاب ووصايا الأحاديث النبوية ، ولكنه ينكر أن يؤمن بالوثنية الكونية التى تصدق على من يؤله الكون كما تصدق على من يؤله جزءا من أجزائه ، فهو فى تنزيهه للوجود الإلهى لا يرفض عقيدة من العقائد كما يرفض هذه « الوثنيات » .

فإذا سلم كتاب الدعوات الإسلامية من أوراد أدعياء الصوفية ، ومن لوثة الحلول ، ووحدة الوجود فكل ما بقى منها فهو الدين الحق على أفضل ما يكون فى عقل الإنسان وضميره ، وليس لدين من الأديان دعوات ، أو صلوات ترتقى إلى أفق من التنظيم أرفع من أفقها الذى ارتفعت إليه فى الإسلام .

فنى البرهمية سبحات من التصوف الروحانى تعلو إلى الذروة بين الدعوات الدينية ، ولكنها تفارق التوحيد دائما كلما أوغلت فى أعماق العقيدة أو رجعت إلى التشبيه بالقوى الطبيعية . وكثيراً ما ينتهى بها أسلوبها فى التنزيه إلى فناء : كالعدم يتساوى فيه الوجود المطلق و « اللاوجود » على الإطلاق !.

وفى غير البرهمية من الديانات الكبرى أوصاف للإله تهبط بالخالق إلى مشابهة الخليقة وتنسب إليه أفعال كأفعال أرباب الديانات الأولى ، وهذه جميعا شوائب للإيمان بالربوبية يتنزه عنها الإسلام . ولا تخفى على غير المسلمين بل يحسبها بعضهم غلوا فى « الإبعاد بين الخلق والخالق ! » .

ودعوات الإسلام حقيقة أن تسكت المتخرصين عليه ممن يتهمونه بالمادية أو بالوقوف عند حدود الحياة « العملية » التى تتجافى بالمسلمين عن صفاء الروح وتلصقهم بنعيم الأرض حتى حين يتصورون نعيم السماء .

ولو أن كتاب الدعوات الإسلامية خلا من الدعوات المدخولة لكان فى الطليعة من الكتب التى يحق لها النشر بين الأوربيين من وجهة النظر الإسلامية ، ولكننا نستكثر على مؤلف غير مسلم أو مؤلفة غير مسلمة أن يعمل لإبراز الإسلام على هذه الصورة المثلى ، وحسبه أنه يعف عن محاسنه فلا يطمسها .

* * *

أما الكتاب الآخر عن الإسلام ووحدة الجماعة فقد كتبنا عنه منذ شهرين فى مجلة منبر الإسلام ، وخلاصته فى بضعة سطور أن الدعوة المحمدية كانت دعوة تجديد بين أناس غير محافظين ؛ لأن كفار قريش كانوا قد تبدلوا فى معيشتهم وخالفوا سنن البداوة العربية من قبلهم . ولكن الفارق بين تجديدهم وتجديد الإسلام أن الإسلام أعطى ضمير الفرد « مثلا أعلى » يستقيم عليه وجوده بين أبناء قومه وبين بنى الإنسان عامة ، وأنه أعطى الجماعة الإسلامية كيانا يسمى « الأمة » ويجعل لها من ثمة قبلة واحدة وإمامة واحدة تثبت على تقلبات الأيام وصروف التاريخ .

وإنما نعود إلى الكتاب على هذه الصفحات لنعلق على تعليق الصحيفة الانجليزية ، فإن ناقد التاريخ - على خلاف العادة فى هذه

الصحيفة ـ قد أنحى على الكتاب ومؤلفه إنحاء يكاد أن ينحدر إلى الإهانة والتنديد، ولعله بهذا المسلك العجيب يعزز الشبهة التي تساور أذهان قراء الصحيفة في السنوات الأخيرة، وهي شبهة الهوى المصبوغ بصبغة التطرف الاجتماعي الذي يقترن أحيانا بالإسرائيليات ونزعات الهدم والفوضى في الفن والأدب. وكأنما استحق الدكتور مونتجومري ذلك الإنحاء عليه من ناقده المتطرف لأن كتابته في نظره قد تحسب من قبيل المحاباة للإسلام، وإن تكن في نظر القارئ المسلم دون حق الإسلام في التعظيم والتحقيق.

وأكبر مآخذ الناقد على مؤلف الكتاب أنه نسي « قابلية الدين » للمفارقات وهو يكتب عن الإسلام وعن النظم السياسية والاجتماعية في تاريخه، فاستعظم على الإسلام أن ينجو من الاتهام بمصادمة الواقع ومخالفة المعقول، كأنه كان يطالب المؤلف بتكرار المقال عن جمود النظام الاجتماعي في الإسلام لأنه لم يقرر مبادئ الاجتماع التي تتابعت بعد قيام دعوته لينقض بعضها بعضا إلى هذا الزمن الأخير، وليس تعليقنا على هذا التعليق إنكاراً لما ادعاه عن موقف الإسلام من المذاهب الاجتماعية التي ظهرت منذ قيامه ولا تزال تظهر إلى اليوم، ولكننا نعلق عليه لنقول إن الإسلام قد استوفى شرط الدين حتما لأنه عقيدة تثبت على تقلب المذاهب الاجتماعية ولا تزول مع كل عقيدة منها، وقد يزول نظام رأس المال ويزول غيره من النظم التي تعاديه أو تواليه، ولكن الإسلام يقيم للمجتمع نظاما قويما لا يعنيه تبدل الأسماء حين يكفل له تحريم الاحتكار ويوجب فيه إنصاف العاملين ومعونة العاجزين عن العمل، وأيما نظام يمتنع فيه كنز الذهب والفضة وتداول الثروة بين الأغنياء، ويلتزم فيه المجتمع بأعباء الضعفاء والمحرومين فهو نظام إسلامي مشروع، وهو كذلك نظام إنساني متجدد، والمسلمون الذين يطبقونه أناس مفروض فيهم أنهم خلائق عاقلة، تنطلق أيديها بتدبير مصالحها ولا تملى عليها قبل ولادتها إملاء الحروف والبنود، لكي تطاع على السماع، ولا تسمح لمن تملي عليهم بموقف غير موقف الخضوع والاتباع.

عباس محمود العقاد

آراء وأحاديث

كلمة الأستاذ الأكبر فى هيئة التخطيط:

فى مساء يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول (٢٨ أغسطس) اجتمعت هيئة التخطيط لقانون الأزهر الجديد ، وافتتحها فضيلة الإمام الأكبر بالكلمة التالية:

إخوانى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إن الأزهر الذى حمل رسالته بأمانة وسهر عليها فى مدى عشرة قرون كاملة يعالج فيها تفسير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبين للمسلمين أخلاق الإسلام وآداب الإسلام ، والمعاملة التى أخرجها الله لعباده — إنه الآن على أبواب عهد جديد مجيد إن شاء الله .

وإنى لأجد نفسى بين عدة لجان أتردد فى أيها أبدأ بشكره ، أنبدأ بشكر رجال الإقليم الشمالى على تلك الزيارة الكريمة ؟ أم بشكر رجال الإقليم الجنوبى على استقبال إخوانهم الشماليين للعمل على تنظيم الأزهر تنظيما يتفق مع مبادئه .

أيها الإخوان :

لقد مرت على الأزهر عدة تنظيمات ، ولكن لم يكن من بينها تنظيم كهذا التنظيم الذى صدر به القانون أخيرا . والذى أقره مجلس الأمة لإقليمى الدولة الشمالى والجنوبى ، هذا التنظيم الذى يتناول الأزهر من بدايته إلى قمته فيتناول جمعيات تحفيظ القرآن الكريم كما يتناول كليات الطب والزراعة والهندسة بجانب كليات الدراسات الإسلامية والعربية ، وهو يشتمل على الخير كله الذى يعم الأزهر ويعم العالم الإسلامى بهذا البعث الجديد ، وكلنا يعرف مهمة الأزهر فى الحياة وهى مهمة لها خطرها ومكانتها .

وهذا التنظيم يشمل هذه المهمة ويؤكدها .

وإنى أحمد الله وأشكره ، على ما أنعم علينا من هذه النخبة الكريمة من علماء الإقليمين الذين سيكون لجهودهم المشكور المتواصل أعظم الأثر فى تخليص الإسلام من الشبهات التى علقت به وليست منه وإظهاره دينا كريما لا شائبة فيه ولا جمود .

هذا شىء مما ستعالجونه أيها الإخوان ، والذى هو بين أيديكم ، تعالجونه بما أعرفه فيكم من الإخلاص والإيمان وما ينتظره منكم الأزهر والعالم الإسلامى كله .

وقد بدا لى فى رحلتى إلى الشرق الأقصى أن هناك شعوبا تتطلع إلى الأزهر وتنتظر منه الإيمان والإرشاد وتنتظر أن يقدم لها غذاء لأرواحها شهيا لاغصة فيه ، وقد مرت على الأزهر أطوار ذاق فيها مرارة الجمود ومرارة العقم .

وقد آن الأوان لأن ينفض هذا الغبار ويظهر مبادئ الإسلام قوية واضحة ، فلا اجتهاد أغلق بابه ، ولا حرية ناقمة يحجر فيها على الإنسان فى سبيل الفهم والعلم والتطور .

وإنى أضع هذه الرسالة بين أيديكم مع ثقتى فى أنكم ستبذلون جهدكم بما عرف فيكم من إخلاص وكفاءة وإيمان .

ولست أخص بالشكر جماعة دون جماعة ، ولكن أشكر الله الذى هيأ رجل الجمهورية الأول الرئيس جمال عبد الناصر وهيأ لرجال الأزهر ورجال الجمهورية جميعا لهذا الإعداد العظيم الذى يؤكد رسالة الأزهر ويدعمها .

وختاما لكم تمنياتى أن يكلل الله جهودكم بالنجاح والصلاح .

وفقنى الله وإياكم أجمعين .

وفى هيئة تخطيط المعاهد :

وفى الجلسة التى عقدتها هيئة التخطيط للمعاهد الأزهرية ألقى فضيلته الكلمة الآتية :

باسم الله ، وبحمد الله ، وشكره ، وباسم حق الأمة علينا فى التعليم ، وباسم حق الإسلام علينا فى الانتشار والذيوع نفتتح الجلسة مع إخوانى وأبنائى رجال التعليم والتهذيب والتثقيف مستعينين بالله للوصول إلى الغرض المقصود وإلى الهدف المحدد لهذا القانون الجديد الذى وحد بين طوائف الأمة وجعلها طائفة واحدة فى التفكير والتثقيف بعد أن كانت فيما أرى ويرى الناس طائفتين يشبه أن تكونا متخاصمتين كل طائفة لها تفكيرها ولها وجودها ولها دائرة عملها ، ولا شك أن الأمة التى تلتئم من طوائف هذا شأنها تكون أمة هزيلة ضعيفة فى تصورها لأهداف حياتها . أما الآن فنحن نرحب برجال التربية والتعليم ، والأزهر يضع يده وجميع إمكانياته معهم فى النهوض بالأمة والسير بها فى سبيل التقدم والازدهار . ولن يكون هناك بعد هذا رجل أزهرى ، ورجل تربوى ، بل الكل أزهرى والكل تربوى . وهذا من فضل الله علينا ، وهذا هو المنطق الوحيد الذى حظيت به تلك الوحدة التى سرنا إليها فى الجمهورية العربية .

وإنا نشكر الله سبحانه وتعالى على أن مهد لنا ذلك السبيل ، فكنا بالأمس طائفتين يشبه أن تكونا متخاصمتين ، كان الأزهرى ينظر إلى غيره وغيره ينظر إليه كما ينظر الأباعد بعضهم إلى بعض ، وكأن لم يجمعهما وطن واحد ولم تظلهما سماء واحدة ، ولم يفترشا أرضا واحدة ، ولكن من الأمس فقط اجتمع الأزهرى مع غير الأزهرى متصالحين متنافسين مشتركين فى المهمة وفى الهدف وفى السعى إلى الغاية التى يهيئونها لأبناء الجمهورية العربية لا فرق بين مصر ولا بين سورية فالكل سواء فى سورية ومصر والجمهورية العربية بإقليميها وبأجزاء كل إقليم ، أصبح الجميع وحدة لا تعدد بينها فى التفكير ولا فى الهدف ، وهذه غاية كنا نرجوها من الله من عهد بعيد . كان الأزهرى ينظر إلى غيره كما ينظر إلى الأجنبى ، وكان الأزهرى ينظر إلى غيره أيضا نظرة اشمئزاز أو كما يخيلها له وجوده الدينى ، فيفاضل بين نفسه وإخوانه الأزهريين وبين إخوانه غير الأزهريين ، ولكنا الآن والحمد لله قد اجتمعنا جميعا حول مائدة واحدة لبحث قانون التعليم فى الجامع الأزهر - التعليم المشترك بين أبناء الأمة جميعها - الذى يبتدئ بتحفيظ القرآن الكريم ، وهو هو الأساس فى التعليم العام والتعليم الخاص عندنا وعند غيرنا ، ومعاذ الله أن يكون هناك غيره فكلنا واحد ذو تفكير واحد ، فنبتدئ التعليم من تحفيظ القرآن الذى هو الأساس المقدس عند الجميع وينتهى بالكليات فى التعليم الجامعى العام . هذه هى الجلسة الثانية ، وقد سرتنى بالأمس الجلسة الأولى التى كانت تمثل طوائف التخطيط الجامعى الجامعة الأزهرية وقد وصلنا والحمد لله إلى ما اطمأنت إليه قلوبنا ونحن سائرون أيضا معهم إلى أن نصل إن شاء الله لما يطمئن قلوبنا فنحن متحابون والله سيسهل لنا بلوغ الأهداف والوصول إلى الأغراض ، وإنى أكل بعد ذلك العمل إلى الإخلاص الذى نؤمن به عند إخواننا رجال التربية والتعليم ، وبعد أن أشكرهم على تلك الجهود التى بذلوها . أما أبناؤنا رجال الأزهر فإنى أدخر لهم عند الله شكراً لا يعادله شكر لا منى ولا من أكبر منى فإن شكر الله وثواب الله هو أجزل من شكر العباد وعلى الله التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

فى لجنة التنظيمات الإدارية :

وألقى فضيلة الأستاذ الأكبر الكلمة التالية فى اجتماع هيئة تخطيط التنظيمات الإدارية والمالية واللوائح للمعاهد والكليات :

باسم الله والحمد لله نفتتح الاجتماع الثالث لهيئات التخطيط لقانون تنظيم الأزهر الجديد الخاص بهيئة تخطيط التنظيمات الإدارية والمالية واللوائح لمعاهد الأزهر وكلياته ، وإنى طالما تمنيت على ربى أن تجتمع طوائف المثقفين الدينيين والمدنيين حول مائدة واحدة هى مائدة العلم والتثقيف .

وإنى لأثق فى إخلاصكم للقيام بوضع الخطط والأسس التى تهدف الوصول بالأزهر إلى مستقبل متكامل ، وأكرر شكرى باسم الأزهر وباسم المسلمين لكم على جهودكم ، وإنى إذ أذكر هذا أسجله فى تاريخ حياتى وفى تاريخ الأزهر الذى ظل عشرة قرون كاملة يحمل رسالة الدين ونشر اللغة العربية .

وإن شاء الله سيستمر عشرات القرون حاملا لواء الدين والعلم كل ذلك بفضل إخلاصكم وتآزركم فى النهوض به ، وفقكم الله للخـــير .

والسلام عليكم ورحمة الله »

شيخ الأزهر يستقبل :

مدير جامعة الادفنتست بأمريكا :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه دكتور رالف واطسن ، مدير جامعة الادفنتست بواشنطن ، يرافقه مستر روبرت دارنل الأستاذ بكلية الشرق الأوسط فى بيروت ، ومستر وليم لاشر الأستاذ بكلية الادفنتست والأستاذ عنتر يعقوب سكرتير جمعية الادفنتست بمصر الجديدة .

وقد دار الحديث حول جهود الأزهر فى سبيل نشر الثقافة الإسلامية فى أنحاء العالم وفى سبيل نشر السلام فى الأرض ، كما تناول ما يقدمه الأزهر لطلاب البعوث الإسلامية الذين تزيد جنسياتهم على الخمسين وتهيئة أسباب الراحة والاستقرار لهم .

ثم سأل الزائر عن مستقبل الأزهر بعد إعادة تنظيمه ، فأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر بأن الأزهر فى ظل القانون الجديد سيكون دينياً وعلمانياً ، وسيخرج الأطباء والمهندسين ، وسيقدمهم إلى العالم الإسلامى وسيعالج الطبيب الأزهرى القلب والروح بجانب علاجه للبدن .

وسأل الزائر فضيلته عما إذا كان هناك وسيلة للتعاون بين الديانات للدعوة إلى السلام فى أنحاء الأرض ، فأجاب الأستاذ الأكبر بأن الديانات من الله ، والله وحده هو السلام ، ودعوته إلى خلقه باسم السلام . الذى هو عنوان الإسلام ، فالإسلام يدعو إلى السلام ، وإلى دار السلام والله تعالى يقول : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

فعبر الزائر عن إعجابه بمبادئ الإسلام. ثم صرح لفضيلة الأستاذ الأكبر بأنه عضو فى جمعية السبتيين التى توجد لها إدارة فى واشنطن، وفروع فى أنحاء العالم، وهى تقوم على الدعوة إلى السلام والبعد عن الخمر والميسر والتدخين وأكل الخنزير.

وقد دعا الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة الولايات المتحدة وقال: وسأكون فى استقبال فضيلتكم فى واشنطن وسيكون لهذه الزيارة أثرها الطيب.

فوعده فضيلته بتلبية هذه الزيارة، وشكره على مشاعره الطيبة.

ويستقبل أيضاً إمام عمان:

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمنزله سمو الأمير غالب بن على إمام عمان، يرافقه شقيقه الأمير طالب بن على، والشيخ أحمد ابن عبيد، والشيخ سليمان محمد.

وقد شهد المقابلة الأستاذ الدكتور محمد البهى مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية، والأستاذ أحمد نصار مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر.

ودار الحديث حول واجب العلماء والأمراء فى مؤازرة الكفاح من أجل الحرية فى جميع البقاع، وبخاصة فى عمان.

قال فضيلة الأستاذ الأكبر: إن الأزهر يضع يده فى أيديكم لنؤكد تضامننا ووحدتنا لمحاربة المستعمرين الطغاة بما حارب به رسول الله، والعمل على دعم السلام وتأكيده فى كل مكان، وإنى ليحزننى أن أسمع عن محميات عدن باعتبارها محمية من المستعمرين، إن هذا من باب الابتلاء، ابتلينا بهذه الحماية من المستعمرين ولكن فى وقت قريب سيزول هذا الاستعمار البغيض. إننا نريد أن تكون البلاد لأهل البلاد، نريد أن نكون أقوياء فى الدفاع عن أوطاننا، وفى الاحتفاظ بكرامتنا.

ثم تطرق الحديث حول إعادة تنظيم الأزهر فقال الزائر: لقد سررنا بتطوير الأزهر، ونهنئ أنفسنا بهذه النهضة الموفقة، كما زاد من سرورنا أن الأزهر سيكون له مجمع بحوث إسلامى يضم بين أعضائه ممثلين من مختلف البلاد الإسلامية للعمل لتوحيد الرأى ليخرج على جميع المسلمين فى رأى موحد على أساس من كتاب الله وسنة رسوله، بغض النظر عن اختلاف المذاهب.

ثم طلب سموه من فضيلة الأستاذ الأكبر أن تمثل «عمان» فى هذا المجمع الإسلامى الكبير، كما صرح بأنه سيعمل على إيفاد الطلاب من عمان للدراسة فى الأزهر بعد التخلص من الاحتلال البغيض.

ثم أضاف الزائر أن عدد سكان عمان

مليون ونصف مليون من المسلمين مذاهبهم مختلفة ، وأكثر المذاهب عددا مذهب الأباضية.

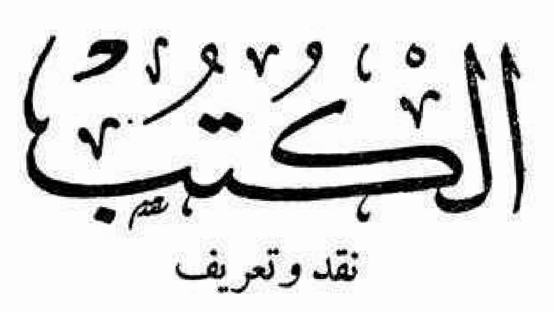
فقه الأباضية :

وقد صرح الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلاميه بأن الأزهر سيعنى بفحص تراث الأباضيين ، حتى تكون كلمة المسلمين واحدة ، ثم أعلن أن إدارة الثقافة على استعداد لتلبية كل رغبة لنشر الثقافة الإسلاميه فى أى مكان ، كما وعد ببحث كتاب « جامع ابن بركة » فى الفقه الإسلامى الذى قام بتأليفه الشيخ أبو محمد عبد الله بن بركة ، وهو من المخطوطات القيمة ، حتى يمكن الانتفاع به .

وقد شكر فضيلة الأستاذ الأكبر إمام عمان على زيارته وقال له : إنها لمناسبة سعيدة أن اقترنت زيارتكم لنا بمناسبة كريمة هى ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنه لفأل طيب نرجو أن يكون بادرة طيبة لجمع الكلمة وتوحيد الجهود لمقاومة الغاصب فى عمان وفى كل مكان ، وفى نشر السلام فى الأرض ونرجو أن يمنحنا الله القوة والوحدة ويهىء لنا سبيل التضامن لنواجه كل دولة باغية ، ولنعمل جاهدين حتى يعم بلادنا سلام وخير ورخاء .

وفاة عالم جليل

نعى إلينا ـ والمجلة ماثلة للطبع ـ فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن عيسى مدير المجلة السابق ومدير تفتيش العلوم الدينية والعربية ، والمجلة إذ تشارك أسرته وإخوانه وتلاميذه شعور الأسى تتوجه مخلصة إلى الله العلى القدير أن يتغمد فضيلته بالرحمة وأن يسكنه فسيح جناته ، وفاء ما قدم للعلم والدين من جليل الخدمات .



نقد وتعريف

محمد عبد الله السمان

١ – وسطية الإسلام

لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى :

رسالة لأستاذنا الشيخ محمد المدنى هى إحدى حلقات دراسات فى الإسلام التى تصدرها وزارة الأوقاف ، بحثها جاء مركزاً يوائم صغر حجمها ، وهدفه أولا أن يقتنع المسلم بأنه يعتنق أكمل الأديان وأعدلها ، وفكرته آية كريمة من كتاب الله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ... » .

أما أسلوب البحث فهو الإفصاح عما يراود الأفكار من شبه ، وأما معنى الوسط فتعريفه فى اللغة : اسم لما بين طرفى الشئ ، وهذه كلها بمثابة مقدمات بين يدى البحث .

عرض أستاذنا بعد ذلك لمظاهر الوسطية : المزاوجة فى طبيعة الإنسان ، الاعتراف بالواقع البشرى ، مسايرة الفطرة وتهذيب الغرائز ، بساطة العقيدة ويسر التكاليف .

وواصل فضيلته بحثه بفصل عن هدى الإسلام فى الزواج والطلاق ، فالزواج سنة طبيعية لا بد منها فى بقاء النوع الإنسانى ، ورابطته مقدسة أسماها القرآن « عقدة النكاح » إشعاراً بأنها رابطة وثيقة يجب الحرص عليها ، وأن فصم ميثاقه الغليظ مما لا يحبه الله تعالى .

وتحدث فضيلته عن الوضع الاجتماعى لكل من الرجل والمرأة . فالأحكام التى تشرع للناس ويصلح عليها شأنهم هى التى توافق طبيعتهم وواقع أمرهم ، ثم ختم أستاذنا بحثه بدراسة موجزة عن بعض أصول الأحكام : القطعيات والظنيات فى الشريعة .

أسلوب المشرع فى العقائد والعبادات والمعاملات ، بمجيء التكاليف فى حدود الاستطاعة ، وهو المعبر عنه بنفى الحرج .

إن موضوع الرسالة لم يلتزم كله المدلول اللفظى لكلمة الوسطية ، لأن أستاذنا لم يربط به بعض بحوثه . كالزواج والطلاق وتحديد الوضع الاجتماعى للمرأة والرجل ، وفضيلته عنى بعرض المعانى الإسلامية عرضاً موفقاً . وإن كان لم يتخلل هذا العرض مناقشة كما عودنا فى كثير من دراساته ، وهو بلا شك من المعروفين بغزارة العلم ، وعمق التفكير ...

٢ — تأملات فى المجتمع العربى

للأستاذ مالك بن نبى

المؤلف عالم جزائرى ، ثقافته أوربية فى التخطيط والمنهج ، إسلامية فى الفكرة والهدف ، وهو مهندس يعنى بالنظريات الرياضية فى شتى أبحاثه التى قدمها للمكتبة العربية تحت عنوان « مشكلات الحضارة » وهى زهاء العشرة .

وكتابه الجديد تناول فيه : الصعوبات فى المجتمع ، والمبروات فى المجتمع ، القيم الإنسانية والاقتصادية ، الديمقراطية فى الإسلام ، التضامن الإفريقى الآسيوى . .

وأستاذنا المؤلف يرى أن عبارة ... الديمقراطية فى الإسلام . . مما لا تشعر عادة بأنه يتضمن مسلمة لم يسلم بها أحد تسليم المقتنع ، وإنما نسلم بها خضوعا لمسايرة العرف الذى فرضته علينا الحضارة الغربية ، حتى أصبحنا نضم إلى الإسلام كل ما نعتقد أنه ذو قيمة حضارية دون أى تمحيص فيا يربطه أو يحدد درجة ارتباطه بالإسلام أو ينزه عنه الإسلام ، فلفظة الديمقراطية تعبر عن سلطة الشعب . وهى لفظة مستوردة عرفت فى اللغة اليونانية قبل خمسة قرون قبل الميلاد ، ولفظة الإسلام لم نعرف إلا فى القرآن ، إذن فالصلة التاريخية والجغرافية مفقودة ، ومعنى هذا أنه لا ارتباط بين الديمقراطية . . والإسلام .

لا ريب فى أن مدلول لفظة الديمقراطية هو حكم الشعب ، والإسلام لا يتنكر لهذا المبدأ ، والتزام المسلمين بالقرآن فى الحكم لا ينفى الاعتراف بوجوده ، فالقرآن نصوص بمثابة أصول . يفسرها ويخرج فروعها المسلمون ، والدساتير الوضعية القديمة والحديثه لها إطار وخطوط عريضه ، يعمل فكر الشعب داخلها ، ويشرف على تطبيقها ، وأعتقد أن أمر الشورى الوارد كمبدأ فى القرآن نفسه ، إن دل على شىء فإنما يدل على الاعتراف بوجود الشعب المسلم .

ولا يمكن بعد ذلك أن يكون التباعد التاريخى والجغرافى يبعد كلمة الديمقراطية عن الإسلام ،ما دامت مدلولات الديمقراطية هى الاعتراف بوجود الشعب ، والمؤلف فى نهاية هذا الفصل يتفق معنا ، بل يرى أن عناصر التشريع الإسلامى تكون الجانب الاجتماعى فى الديمقراطية الإسلامية ، وأن المبادىء التى قررها الإسلام فى المجالين السياسى والاجتماعى وضعها فى أساس ما يمكن أن نطلق عليه الديمقراطية الإسلامية .

المؤلف أستاذ متمكن من الثقافة الإسلامية . وإن كنا نود أن تكون عنايته بالأحاديث

النبوية أدق لاسيما فى الحديث المشهور الذى سأل فيه جبريل الرسول عن الإسلام والإيمان.

٣ — بين يدى عمر

للأستاذ خالد محمد خالد

الأستاذ خالد فى كتابه الأخير هذا ، أديب فنان رقيق الإحساس ، أجلسنا على مائدة عمر بن الخطاب ، وقدم لنا ألوانا شهية من سيرته ـ رضوان الله عليه ، وهو يذكر فى مقدمته أنه : لن يكتب تاريخا لعمر ، ولا يزيد الناس معرفة بعظمته وشأنه ، ولا يزكى على الله نفسه بالكتابة عن رجل أحبه واصطفاه ، والمحاولة التى يصدرها أكثر تواضعا من هـــذا كله ، إنه يصغى إلى أمير المؤمنين ... لا أكثر ، ويتطلع إليه لا أقل .

وهكذا يعرض الأستاذ خالد شخصية عمر الذى كان إسلامه استجابة لدعوة الرسول حين دعا الله أن يعز الإسـلام بأحب العمرين إليه : عمرو بن هشام «أبى جهل» وعمر بن الخطاب ، وفاز بها عمر ، ووسع الناس بإسلامه خيرا . ثم شخصية عمر الحاكم الكبير القلب ، التى كبرت أمانة الحكم لديه ، فتمثل المسئولية الدقيقة إزاء هذه الأمانة ، حتى كان دائب المناجاة لنفسه فى ظل عمل يظن نفسه أنه غير موفق فيه : ماذا تقول لربك غدا ؟ .

ثم شخصية عمر الحاكم الكبير القلب ، الذى كبرت لديه مسئولية الحكم ، فتعمق فى العدل والمساواة وإطلاق حرية الرأى والنقد لأساليب حكمه ، والسمو إلى أرفع درجات التواضع .

هكذا يعرض لنا الأستاذ خالد عمر بن الخطاب الذى لم يكن رجل سلطان لأنه فوق السلطان ، وإن مشهدا واحدا من مشاهده لخير مما طلعت عليه الشمس وغربت من عروش وتيجان وزخرف وصلف ، وإن الكمال الإنسانى حين أراد أن يحقق وجوده المادى المحسوس تجسد فى نماذج نادرة وباهرة من البشر ، وإن أحد هذه النماذج العليا ، لهو عمر بن الخطاب .

كما يقول العالم الأديب : الأستاذ خالد محمد خالد .

٤ — أحمد بن حنبل

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

كتاب الأستاذ الدومى يعرض شخصية أحمد بن حنبل ، الإمام الممتحن بين محنة الدين ومحنة الدنيا ، دعاه الكلام عن محنته هذه إلى إيراد تفسير لغوى للمحنة لم يسبق إليه فيمن كتبوا عن محنة الإمام ، وقد عرض هذا التفسير اللغوى فى سطور ص ٩٠ مستخرجا من قواميس اللغة مدلول لفظة «محن» .

أما الكتاب فى مجموعه فهو يقدم بشهادات من الفقهاء والمحدثين للإمام وترجمة موجزة لنشأته، ثم يعرضه كشخصية واضحة، ويتناول قصته مع المعتزلة، والنص الكامل لرسالته على الجهمية والزنادقة، وما لقيه من اضطهاد فى حكم المأمون وأخيه المعتصم، والواثق والمتوكل بنى المعتصم، ثم انفراج الأزمة فى عهد الأخير وإقبال الدنيا على الإمام وتعرضه لمحنتها.

وفى الكتاب تسجيل لقصة «خلق القرآن» وهى مخطوطة نادرة لابن الإمام، ثم للنص الكامل لكتاب الإمام عن الصلاة..

الحق أن المؤلف بذل مجهودا فى كتابه الذى يقع فى ثلثمائة وأربعين صفحة تقريبا، والمراجع التى اعتمد عليها مراجع أصيلة، ولم ينقصه جانب التحليل السريع لكثير من الأحداث والمواقف، ولا المسحة التاريخية لها، فجاء الكتاب بعد ذلك رحلة ذهنية ونفسية يقطعها القارئ فى أيام معدودة.

إلا أنه من الملاحظ أن قضية المؤلف لم يتقيد تقيدا تاما بالعنوان الذى رضيه لبحثه، فهو كما نعلم «الإمام أحمد بن حنبل» بين محنة الدين ومحنة الدنيا، ولا نظن أن إضافة رسالة الإمام عن الصلاة إلى الكتاب وهى فى أربعين صفحة مما يتصل بموضوع الكتاب، كما أن الاستشهاد بما يستلزمه البحث من مخطوطة ابن الإمام كان يكفى بدل تسجيل نص المخطوطة التى جاءت صفحاتها فى حوالى أربعين صفحة أيضا، وكنا نود أن يستغل هذه الصفحات الثمانين فى صلب موضوع، المحنة وهو موضوع الكتاب، لاسيما وأن المؤلف لم يناقش آراء المستشرقين فى المحنة وهى كثيرة، ولم يكن فى مراجعه إلا كتاب المستشرق «باتون».

ومع هذا فالكتاب جدير بأن يتخذ لنفسه مكانا فى المكتبة الإسلامية.

* * *

٥ — القضاء والقدر

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

الأستاذ عبد الكريم الخطيب قدم فى العامين الأخيرين بضعة بحوث إسلامية أخذت مكانها فى المكتبة الإسلامية، وهذا كتاب جديد يعرض قضية القضاء والقدر بين الفلسفة والدين، سنكتفى بالتعريف به فى هذه المرة لنعود إلى مناقشته مرة أخرى لجدارته بالمناقشة والنقد، لأنه يتناول مشكلة دينية خطيرة، لا زالت تشغل الأذهان، ويختلف حولها كثير من العلماء والفلاسفة والمفكرين.

والبحث دراسة كاشفة لمفاهيم ثلاثة:

«الجبر والاختيار. الأسباب والمسببات. الخير والشر».

قدم المؤلف لبحثه بمدخل يتناول بإيجاز عالم ما وراء المادة ، ثم اتبع هذا المدخل ببحث عن الإنسان هذا الكون الصغير ، ثم أفرد المؤلف بابا للجبر والاختيار عند الإنسان ، وبابا للخير والشر إذ كان القضاء والقدر متعلقا بهما ، ثم يجيء بعد هذا مبحث القضاء والقدر ، وينتهي الكتاب بخاتمة تؤيد أمرين : الإيمان بالقضاء والقدر ، وترك المنازعة فى القدر والتنقيب عنه .

والبحث فى مجمله دراسة منطقية متعمقة ، ومجهود فكرى ضخم لا غنى لباحث عنه .

* * *

٦ — تسلية المحزونين

للشيخ محمد محمود يوسف

فضيلة المؤلف لقى ربه بالأراضى الحجازية قبل أن يرى هذا الكتاب ، وموضوعه : جولة روحية ممتعة ، فى حقيقة الدنيا ، وحكمة الابتلاء ، ووسائل النجاة فى هذه الحياة ، وألوان من الحكم والطرائف الشهية ، ثم موعظة أبى الحسن . . على الرضا بن موسى الكاظم ابن محمد الباقر بن على زين العابدين ثم أرجوزة تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى ، وهى فى المواعظ والحكم ، وكذلك الموعظة الشعرية لصالح بن عبد القدوس .

إن موضوع الكتاب فيه تسلية حقا للذين تخلت عنهم الدنيا ، أو منحتهم الأيام نعمة الابتلاء ، والنفس فى حاجة ماسة إلى الترويح ، لاسيما إذا كانت وسيلته جولة روحية ممتعة فى كتاب الله وأحاديث رسوله وحكم السلف الصالح . .

* * *

٧ — إصلاح

للأديبة السيدة عزيزة الابراشى

هذه قصة تدور حول قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين » ، وهى قصة جديرة بالتقدير ، ودليل جدارتها تقريرها فى وزارة التربية والتعليم للإقليم الشمالى .

إن هذه القصة انتزعت وقائعها من صميم المجتمع الذى تحيا فيه ، كما يقول ناشرها ، الذى رأى فى نشرها تدعيما لأخلاق هذا الجيل الذى كثرت أمامه المزالق وأغراه ما فى الحضارة الحديثة من تهور وانطلاق . .

وحوادث القصة تدور حول فتاة عاشت فى بيئة منحرفة متحللة ، حاولت أن تتمرد على تقاليدها لتعود إلى حظيرة الأخلاق الإسلامية ، ولقيت صعابا ومتاعب ، وجاهدت جهاداً عنيفاً ، حتى استوت فى النهاية على سفينة النجاة . .

محمد عبد الله السمان

بريد المجلة

وفاة الأستاذ أحمد شفيع السيد :

نعت مشيخة الأزهر فى الثامن من ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ إلى ربوع العربية وديار الحنيفة فضيلة الأستاذ الكبير أحمد شفيع السيد أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية كما نعاه تلاميذه المدرسون الأوائل بوزارة التربية والتعليم ، فكان لرحيله المفاجئ وقع أليم فى الدوائر الدينيـة والتربوية والأدبية ، وتصاعدت عليه زفرات حارة لم يحبسها أنه انتقل إلى سعة عفو الله ورضوانه العميم .

لقد ظل الفقيد قرابة خمسة وعشرين عاما بمنصبه فى الكلية يغرس فى نفوس أبنائه حب الأدب والعلم وينمى ما يبرز من المواهب والملكات تنمية يسددها البصر الثاقب ويحوطها العطف النبيل ، فكان درسه الأدبى سلسلة تتصل بدروس من سبقه من أشياخ الأدب السلفى كالمرصفى والمهدى والسكندرى وعبد المطلب ، وكان رحمه الله راوية لا يشق له غبار فهو يحفظ من شعر الجاهلية والإسلام وتراث بنى العباس والأندلس ما لا يكاد يلم به سواه ، ومن جميل ما يحمد له أنه كان يروى كثيراً من القصائد السياسية المعاصرة التى كانت تقوم بعض الأسباب دون إذاعتها كهجاء المنفلوطى لعباس ، ومرثية محرم لابراهيم الوردانى الفدائى المصرى ، وكلام بيرم التونسى فى فؤاد ، وحديث شوقى عن عرابى ؛ فيمتعنا بهما فى مجالسه إمتاعا يزيده ما يرويه من الطرائف الأدبية التى تزدحم بها كتب الأمالى والنوادر ، وله فى هذا الميدان سبق ظافر ، حتى إن حديثه العادى لا يخلو من نكتة ذوقية أو تورية فنية يرسلها عفو الساعة كما تجىء .

وكان من عاداته أن يتبسط مع طلابه فى الموازنة والنقد تبسطا سمحا نبيلا ، حتى ليروق له أن يتخلى عن بعض آرائه تشجيعا لطالب أبدى ملاحظة مهمة ، أو عقب على شرحه بجديد ، وأذكر أنى عارضت بعض آرائه فى ابن زيدون مندفعا فى مغالاة أمام زملائى بالفصل ، فابتسم الرجل ابتسام من يستمع إلى التأييد لا التفنيد ، ثم أطرى وجهة نظرى إطراء مشجعا ، ومما قاله إذ ذاك إن سلامة المقدمات دليل لا يخطئ على صواب النظر مهما اختلفت النتائج بينى وبينه ، فكانت سماحته الكريمة درسا لا أنساه ،

كما أنى حدثته ذات مرة عن أسباب الخلاف الأدبى بين زكى مبارك وعبد العزيز البشرى ، ومضت سبعة أعوام أصدر بعدها ترجمة حافلة للبشرى ، وفى خلالها ما حدثته به منسوبا إلى فى عطف وتشجيع .

ولد رحمه الله بالإبراهيمية شرقية فى أبريل سنة ١٩٠٣ ثم التحق بالأزهر عشر سنوات نال بعدها شهادة العالمية سنة ١٩٢٦ متخطيا بعض سنى الدراسة عن طريق الامتحان الخارجى حيث لا يمنع القانون إذ ذاك ، ثم اشتغل بالمحاماة الشرعية فترة قصيرة جاوزها إلى التدريس بالمعاهد الدينية تسع سنوات فانتقل بعدها إلى كلية اللغة سنة ١٩٣٧ وصار أستاذ الأدب بها كما تقدم ، وقد أشرف على كثير من الرسائل العلمية التى تقدم بها طلبة تخصص المادة فى البلاغة والأدب فكان يقترح الموضوع ويعد مراجعه ويرسم منهجه ، حتى أعان نخبة ممتازة من طلابه أصبحوا بعد حين زملاءه بالكلية فرعوا له حق الإرشاد والتوجيه ، ولم يشغله التدريس عن التأليف فأصدر كتابا عن الأدب الفاطمى والأموى ورسالة قيمة عن المتنبى وأربع مجموعات مختارة من أدب العصور ، كما كتب عدة تراجم تحليلية للبارودى والمنفلوطى والبشرى وصفى الدين الحلى ، وله ديوان شعرى ينحو فيه منحى البحترى سلاسة ورونقا ، وقد اشترك مع مع زميله الأستاذ محمود رزق سليم فأخرجا كتابا حافلا عن الأدب الحديث وزعت ملازمه متفرقة على الطلاب دون أن يجمع ، وله غير ذلك مقالات ذائعة وبحوث شوارد .

أما أخلاقه الكريمة فشاهدنا القوى على أصالتها المتينة أنك لا تعرف بين زملائه العلماء وأبنائه الطلاب إنسانا واحدا لا يلهج بالثناء عليه ، فقد كان رحمه الله يعيش لغيره لا لنفسه ، وكثيرا ما تردد على المصالح العامة والوزارات المختلفة فى شئون الضعفاء من ذوى الحاجات متحملا كل عنت وإجهاد لينهض بعاثر ، أو يذهب بمحنة ، وقد يعطى من مرتبه المحدود إذا أعوزت الحاجة وقامت الموانع ، وله فى هذا المجال أنماط من الفتوة الإسلامية جديرة أن تعيد مجد الأريحية وقصص المروءة ، ولست أحابيه فى ذلك فقد تقدم إلى عمله بين يدى الله ولم يبق للمحاباة مجال يتوهمه الناس ، وكان يجشم نفسه الرد على كل رسالة تأتيه فى شأن من شئون البذل والمسعى بعد أن ينفق غاية الجهد فى تحقيق ما يستطيع ، كما كان يسطر لزملائه وطلابه رسائل بديعة تبتدئ دائما باسم الله وحمده والصلاة على نبيه ثم تفيض بضروب من المثل السائر والقافية الشرود كما نعهد فى رسائل حفنى ناصف ومحمد المويلحى

وحزه فتح الله مترسما فى أكثرها طريقة ذوى البلاغات من صدر القرن الرابع الهجرى مترسلا تارة ، وساجعا تارات ، فهو مرة أبو حيان ومرات ابن العميد ، ولك أن تزيد .

أما ديوانه الشعرى فسأجعله موضع حديثى القادم فى مجلة الأزهر ، وإنى إذ أستمطر عليه سحائب الرحمات أتلو قول الله عز وجل يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، وإنا لله ؟

محمد رجب البيومى

إلى صاحب اللغويات :

قال العلامة الأستاذ محمد على النجار فى لغوياته التى نشرت بعدد المحرم سنة ١٣٨١ تحت عنوان « فلان كفء للعمل » .

« وقد نبهنى الأستاذ الجليل محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية إلى أن الاستعمال المنقود . . » .

وقد لفت نظرى فى تعبيره السابق أنه عدى الفعل « نبه » إلى مفعوله الثانى بحرف الجر « إلى » والصواب أن يعدى بعلى : فكذا ورد فى المعجمات :

ففى « مختار الصحاح » - المعجم المدرسى - « ونبهه أيضا على الشىء وقفه عليه فتنبه هو عليه » .

وفى القاموس « وهذا منبهة على كذا » .

وفى الأساس « تنبهت على الأمر تفطنت له » وفى لسان العرب « ونبهته على الشىء وقفته عليه فتنبه هو عليه » .

وقد دفعنى إلى كتابة هذا ما أعرفه من حرص الأستاذ البحاثة الشديد على تقويم كل تعبير معوج . ورده إلى أصله العربى السليم ، وهو حرص يشكر عليه أجزل الشكر ؟

أحمد قاسم أحمد

مدرس أول بقنا الإعدادية للبنين

هل يجوز بناء حوانيت تحت المسجد ؟ :

وجه السيد محمد على حسين ، من عدن ، السؤال التالى إلى لجنة الفتوى بالأزهر وإلى لجنة الفتوى بإدارة الوعظ .

« مسجد قديم قد تخرب فى عدن وأراد أهله إعادة بنائه ، وليس له موارد ينفق عليه منها ويخشى أن تتعطل إقامة الشعائر فيه ، فهل يجوز بناؤه بحيث يجعل أسفله حوانيت ليصرف من ريعها على مصالح المسجد » .

فأجابت عنه اللجنة بهذا الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن ذلك جائز شرعا لا حجر فيه كما هو صريح مذهب الإمام أحمد رضى الله عنه ، قال فى « كشاف القناع »

الجزء الثانى صفحة ٤٧٣ طبعة العامرية الشرفية : (ويجوز رفعه ، أى المسجد ، إذا أراد أكثر أهله ذلك ، وجعل تحت سفله سقاية وحوانيت ، نص عليه فى رواية أبى داود) والله تعالى أعلم ؟ .

ووضعت لجنة الفتوى التابعة لإدارة الوعظ بالأزهر البحث التالى عن هذا الموضوع :

لم ترد نصوص من الكتاب والسنة تتناول هذا الموضوع بخصوصه ولذلك اجتهد الفقهاء فيه على ضوء المصلحة العامة التى أكدت وجوب مراعاتها النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة وعمل الخلفاء الراشدين والسلف الأخيار .

ومن هنا اختلف الفقهاء فى جواز استغلال شغل المساجد ببناء الحوانيت والمساكن أو عدم جواز ذلك ، وفى زوال صفة المسجدية عنها إذا تهدمت أو استغنى عنها ، أو عدم زوالها تبعا لرعاية المصلحة أو لرعاية التعظيم المطلوب لها ؛ ففى حاشية ابن عابدين - الجزء الثالث صفحة ٥١٢ — « إن شرط كونه مسجدا أن يكون سفله وعلوه مسجدا لينقطع حق العبد لقوله تعالى: وأن المساجد لله » .

بقاء صفة المسجدية وزوالها :

أما بقاء صفة المسجدية أو عدم بقائها فيرجع إلى الأسباب المباشرة فى إقامتها ، فهل إذا تهدم ما حولها واستغنى عنها تزول صفة المسجدية مراعاة لزوال هذه الأسباب أو لا تزول مراعاة للأثر الذى حدث واستقر ، فقد جاء فى فتح القدير — الجزء الخامس صفحة ٦٤ — ولو خرب ما حوله واستغنى عنه يبقى مسجدا عند أبى يوسف لأنه إسقاط منه فلا يعود إلى ملكه ، وعند محمد يعود إلى ملك البانى فصار كحصير المسجد وحشيشه إذا استغنى عنه ، وجاء فى حاشية ابن عابدين — الجزء الثالث صفحة ٥١٣ — ولو خرب ما حوله واستغنى عنه يبقى مسجدا عند الإمام، والثانى — أى أبى يوسف — أبدا إلى قيام الساعة وعاد إلى الملك — أى الباقى - أو ورثته عند محمد » .

فرأى محمد ، وهو من أئمة الأحناف ، أن المسجدية تزول عن المسجد عند ما يتهدم ما حوله ويستغنى عنه ، ويرجع أصله إلى المالك أو ورثته وحينئذ للمالك أو لورثته أن يتصرفوا فيه من جديد حسبما يشاءون .

بل إن المسجد يجوز أن ينقل من مكان إلى مكان آخر للمصلحة ، ويزول عن المكان الأول صفة المسجدية ؛ فقد جاء فى المغنى لابن قدامة - الجزء السادس كتاب الوقوف والعطايا — « لنا ما روى أن عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد لما بلغه أنه قد نقب

بيت المال الذى بالكوفة : انقل المسجد الذى بالتمارين واجعل بيتاً فيه قبلة المسجد ، فإنه لن يزال بالمسجد مصل ، وكان هذا بمشهد من الصحابة ولم يظهر خلافه ، وقد ذكر ابن قدامة هذا الدليل بعد أن ساق الخلاف فى هذا الموضوع يقوى به رأى الحنابلة فى جواز نقل المسجد وزوال صفة المسجدية عنه تبعا للمصلحة .

بقاء الحوانيت :

أما بقاء الحوانيت بأسفل المساجد أو استغلال علوها للسكنى فقد حكى ابن قدامة خلاف الفقهاء فيه وقوى الجانب الذى يرجحه حيث قال فى المغنى ـ الجزء السادس كتاب الوقوف والعطايا ـ « إذا جعل علو داره مسجدا دون سفلها أو سفلها دون علوها صح . وقال أبو حنيفة لا يصح لأن المسجد يتبعه هواؤه . ولنا أنه يصح بيعه ويصح وقفه كالدار جميعها ولأنه تصرف يزيل الملك إلى من يثبت له حق الاستقرار والتصرف فجاز فيما ذكرنا كالبيع » ، وجاء فى كتاب الدين الخالص للشيخ محمود خطاب « ويجوز نقض مناره وجعلها فى حائط المسجد لتحصينه ويجوز تحويل بابه من جهة إلى جهة أخرى للحاجة ويجوز رفعه أى تعليقه ـ إذا أراد أكثر أهله ـ أى أهل المنطقة التى يقع فيها المسجد وجعل تحت سفله سقاية وحوانيت » .

رأى اللجنة :

والذى نراه أن خلاف الفقهاء فى أمر الحوانيت أو السكنى فى سفل المسجد أو فى علوه لا يقف أمام الضرورة ، فإن المساجد ـ كى يبقى الإشراف عليها ويدوم الاهتمام بها ـ لا بد لها من موارد ثابتة ، وقد تكون هذه الموارد حوانيت للتجارة أو بيوتا للسكنى فى سفل المسجد أو فى علوه . وقد اعترف بالضرورة كمبدأ عام فقهاء الحنفية ومثلوا لها بضيق مساحة البلدة وكثرة السكان فيها فقد روى عن أبى يوسف أنه جوز الوجهين ـ أى العلو والسفل ـ حين قدم بغداد ورأى ضيق المنازل فكأنه اعتبر الضرورة ، وروى محمد بن الحسن أنه حين دخل الرى أجاز ذلك كله أى بناء الحوانيت والمساكن فى السفل والعلو » : فتح القدير الجزء الخامس ٦٣ والله أعلم .

فضل بعض الأيام بدعة :

لبعض الأيام فى الإسلام تاريخ وذكريات كيوم بدر وفتح مكة ، ولبعض الأماكن قدر وقداسة كالبيت الحرام والمسجد الأقصى .

ولبعض الليالى والأمسيات أضواء ونفحات كليالى الإسراء ، والهجرة ، والقدر فهى من أمسيات الله التى توحى بذكريات تحيا بها موات القلوب وتطامن بها من نزعات النفس ونزغات الإثم .

وقد امتدت المغالاة إلى بعض الليالى فألصقت بها ما ليس منها ، وأضفت عليها ما تبرأ الحقائق منه ، وما تؤيد الأسانيد بطلانه . وليلة النصف من شعبان من هاتيك الليالى التى تطاول عليها التمويه والتشويه حتى كاد يطمس وجه الحقيقة ، إذ اعتمد البعض على أحاديث واهية واهنة ، وأقوال مريضة عن فضلها ومكانتها وأن من صام نهارها وقام ليلها ودعا بدعائها فى مسجد مع جماعة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت أوضاره ومجترحاته مثل زبد البحر ! وهطل عليه الرزق من حيث لا يدرى ولا يحتسب ، ومن بعد ذلك كله ينسخ الله عمره المحدد ويكتب له فى هذه الليلة عمراً جديداً مديداً ! ! .

فلا عجب أن رأينا العامة ومن لا يعرف المساجد ولا تعرفه بيوت العبادة يسرع إلى المسجد قبيل غروب شمس يوم النصف من شعبان ويصلى ركعتين بنية طول العمر ، ثم يرفع يديه مع الرافعين ويجأر بالدعاء الموضوع الخاص بها وهو « اللهم ياذا المن ولا يمن عليه » ويكرر الدعاء مرة أخرى لرفع البلاء ومرة أخيرة لمنع الشقاء والاستغناء عن الناس !! . ويعتمد الداعى على ما فعله فى هذه الليلة ويركن إليه ثم يفعل ما بداله بعد ذلك معتقداً أن دعاء النصف يجب كل خطيئة ويمحو كل سيئة .

أما النصوص الشرعية التى يعتمد عليها الباحث ليعلم أن كل مظاهر هذه الليلة بدع دخيلة لا تقرها الشريعة الصرفة الخالصة ، ومفتريات زائفه ومحدثات باطلة وأضاليل وأباطيل من هذه النصوص ما جاء فى كتاب العارضة للقاضى أبى بكر بن العربى : « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه » وفى كتاب الأحكام « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه ، لا فى فضلها ، ولا فى نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليه » . وقال الإمام النووى فى كتاب المجموع « صلاة الرغائب لأول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان بدعتان منكرتان » .

ولا يغتر أحد بأنهما ذكرا فى كتابى : قوت القلوب ، وإحياء علوم الدين ، ولا بالحديث المذكور فيهما إذ أن كل ذلك باطل .

وهناك غير ذاك من الأدلة على أن هذه الليلة ليلة عادية تحيا كسائر أخواتها من ذلك

ما أورده الحافظ بن الجزرى فى كتابه «الحصن» والفقيه أبو شامة فى كتابه «الباعث».

وقد أزال المغفور له الأستاذ الإمام محمد عبده ما ران على وجه هذه الحقيقة من سحائب وشوائب فقال فى ص ١٣٢ من تفسيره جزء عم «... أما ما يقوله الكثير من الناس من أن الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة النصف من شعبان وأن الأمور التى تفرق فيها هى الأرزاق والأعمار، وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك فى ليلة القدر فهو من الجرأة على الكلام فى الغيب بغير حجة قاطعة، وليس من الجائز لنا أن نعتقد بشىء من ذلك ما لم يرد به خبر متواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم. ومثل ذلك لم يرد؛ لاضطراب الروايات وضعف أغلبها، وكذب الكثير منها.

ومثلها لا يصح به الأخذ فى باب العقائد ومثل ذلك يقال فى بيت العزة ونزول القرآن فيه جملة واحدة فى تلك الليلة، فإنه لا يجوز أن يدخل فى عقائد الدين لعدم تواتر خبره عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا الأخذ بالظن فى عقيدة مثل هذه وإلا كنا من الذين قيل فيهم «إن يتبعون إلا الظن». وقد وقع المسلمون فى هذه المصيبة: مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله ويعد من عقائد الدين وبين ما يظن به للعمل على فضيلة من الفضائل.

وعن هذه الليلة يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت فى كتابه الفتاوى ص ١٧٥، «والذى صح عن النبى صلى الله عليه وسلم وحفظت روايته عن أصحابه وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول إنما هو فقط فضل شهر شعبان كله لا فرق بين ليلة وليلة، وقد طلب فيه على وجه عام الإكثار من العبادة وعمل الخير، وطلب فيه الإكثار من الصوم على وجه خاص؛ تدريبا للنفس على الصوم وإعداداً لاستقبال رمضان؛ حتى لا يفاجأ الناس فيه بتغيير مألوفهم فيشق عليهم. وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم: أى الصوم أفضل بعد رمضان؟ فقال: شعبان لتعظيم رمضان. أما خصوص ليلة النصف والاجتماع لإحيائها وصلاتها ودعائها فإنه لم يرد فيها شىء صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم، ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول».

محمود بن الشريف
عضو مراقبة الكتاب
بوزارة التربية المركزية

Re-organisation of Al-Azhar University is a new revolution

By

Abd El-Moneim Khattab

More than one thousand years ago, The Fatimi leader "Gawher" had built Al-Azhar Mosque. He had built it to be a place for worshipping, but gradually, the Mosque has become, not only a place where prayers are performed, but also a school where Muslims receive religious educations.

At present time, the government of revolution issued the law of the re-organisation of Al-Azhar university. The new law stipulates that besides the faculties for Islamic studies, other faculties will also be established for Engineering, Industries, Agriculture, Medicine and Administration.

Moreover, the law maintains that Al-Azhar is the greatest Islamic authority, upholding Islamic heritage and its dissemination, and the graduation of highly educated men of Religion who participate in all fields of activity and production, besides being the cultural tie that binds Arab, Islamic and foreign institutions. According to the articles of the law Arabic will be the language of studies, other foreign languages will be taught compulsory and Al-Azhar will undertake everything related to higher education and research.

Also, the law stats that the university degrees will be made equivalent to other United Arab Republic universities. The facultie's degree will be equivalent to B.A. the Specialisation degree will be equivalent to the M.A., And the scholar degree in Islamic or Arabic Studies will be equivalent to Ph. D. . Due to the new law, Al-Azhar has become, not only a religious university, but also a civic one which shares in all fields of Religion and life.

which is situated on the east. A road about 90 k.M. long joins Mecca with Guda. The Former's height above the red sea level is about 280 Meters.

The sacred temple is situated in the middle of Mecca. Its area surface is about four feddans and a quarter. In the midst of the sacred mosque there is a building about 15 meter height and its area surface about 150 square meters. Its ceiling is adorned with attractive ornaments and set up on three pillars made of aloes wood, every pillar is about a quarter meter and it is built of strong blue stones.

This building is called Kaaba or the house. At times it is called the sacred home or the aged one. It is the Kibla of all Moslems throughout the world. Kibla or the prayer niche, is the place towards which all the prayers direct their faces and hearts.

The stone situated there now is a symbol which shows the place where Abraham stood up to pray.

It is ment by evident signs or plain memorials, the proofs that show the truth of Mohamad and that he calls unto the way of God on the basis of Abraham religion.

It is ment by "who entereth it is safe" that it is a place protected from harm or hurt, God says. "Have they not seen that we have appointed a sanctuary immuve (for violence) while mankind are ravaged all around them? Do they then believe in false and disbeliene the bounty of Allah" (The surah of the spider verse 67).

God replies Abraham's request to make it safe when he raised up his eyes to the sky and prayed for safety "And when Abraham said "My Lord made safe this teuitory and preserve me and my sons from serving idols" (the Surah of Abraham, verse. 35).

In the end, pilgrimage is not a compulsory duty, but one must be able to shoulder its task at first and foremost.

In fact, God is not in need of people. Mohamad is but a messenger, Messengers like of whom had passed away before him. He whom does not believe and he who turns back does no hurt to Allah, and Allah will reward the Handful.

Mohamed does not call the people to do something quite different from what the prophets before him had called.

God says "He hath ordained for you that religion which he commended unto Noah, and that which we inspire in three "Mohamed" and that which we commended unto Abraham and Moses and Jesus saying : Establish the religion, and be not divided therein. Dreadful for the idolaters is that unto which thou callest them. Allah chooseth for himself when he will, and guideth unto himself who turneth (to reward him) (Surah the counsel V. 13).

In another place God emphasizes this case plainly. He says "And strive for Allah with the endeavour which is his right. He hath chosen you and hath not laid upon you in religion any hardship, the faith of your father Abraham (in yours). He hath named you Muslims of old time and in this (scripture) that the messenger may be a witness against you, and that ye may be witnesses against mankind. So establish worship, pay the poor-due and hold fast to Allah. He is your protecting friend. A blessed Patron and a blessed Helper!"

Pilgrimage is one of the clear proofs that Islam is the same religion of Abraham. The sanctuary that Abraham had built with the help of his son Ismael is held in high respect and estimate in Islam.

To clarify this point of view God says : " Lo! the first sanctuary that was founded for mankind, was that in Becca-blessed and a guidance to human beings.

In it are evident signs, even the standing place of Abraham, and he who entereth it is safe. And the pilgrimage to the temple is a service due to God from those who are able to journey thither. And as to him who believeth not, verily God can afford to dispense with all creatures!" (Surah, the family of Imran, verse, 97).

If was said that the angles or Adem or his son shayth had built the Kaaba, but this is mere imagination. It is a matter of fact that it had been erected up by the Prophet Abraham and his son Ismael " And when Abraham and Ismael were raising the foundations of the house. Abraham prayed : Our Lord, Accept from us (this duty) Lo! thou only thou, art the hearer, the knower." (the Surah of the cow. verse 127).

It is not meant by the first sanctuary that it was the first one which had ever been built on the earth, but it is meant that it is the first sanctuary appointed with the view to worship God sincerely.

Becea is Mecca and it is called in some Arabic references "the mother of villages". Its harbour is Guda

THE FIRST SANCTUARY

BY

Dr. Gamal Eldin Al-Ramadi

The jews spared no effort to hinder Islam from spreading amongst the Arabs. They left no stone unturned, and used all the weapons of wickedness, mischievousness, slander, and calumny for that purpose.

They surrounded Islam with an atmosphere of falsehood. They pretended that the delicacies which God prohibted had been prohibited for many years ago on Noah, Abraham, Israel, and the children of Israel. They were not the only people interdicted form enjoying delicacies owing to their opression.

The jews pretended that, with the object to deny all sorts of opression and iniquity relating to them and to accuse the glorious Qur'an of being wrong.

But God says " Because of the wrong doing of the jews we forbade them good things which were before made lawful unto them, and because of their much hindering from Allah's ways and of their taking usury when they were forbidden it, and of devouring people's wealth by false pretences. We have prepared for those of them (who disbelieve) a painful doom " Surah the women verse 160.

God reveals their falsehood several times and shut their mouths with God's outstanding proofs. God says in the surah of the family of Imran.

"All food was lawful unto the children of Israel, save that which Israel forbade himself (in days) before the Torah was revealed. Say : produce the Torah and read it (unto us) if ye-are truthful.

[The Surah of the family of Imran verse 93].

Amongest their hollow lies they pretended that they followed the religion of Abraham and simulated that it did not differ from their religion with the intention of preventing the people from adopting Islam and inducing them to stick to the jewish religion.

God defies the jews once more and declares frankly in His glorious book that Islam does not differ from the old religion of Abraham, and

has forbidden the adornment of God which He has brought forth for His servants and the good provisions ?" (Verses 31-32, Surah 7.)

These verses do not call man to ignore the actuality of life. The second verse does not deny the adornment, while the other asks one to attend to his adornment especially at the time of devotion. Islam wants man not to perfer the life of the world on the other one. Qur'an says "Our God, give us (thy bounties) in this world !" But they will have no portion in the Hereafter. And there are men who say "Our God, give us good in this world and good in the Hereafter, and defend us from the torment of fire !" (Surah 2. verses 200-201.)

To prefer world on the Hereafter, means to prefer materialism on sPiritualism which is the human values that can be conceived by the human mind and which one considers it the goal of his life. These values are justice, respecting relationship, and human brotherhood ... etc. Because the spiritual existence will last for ever, the religion calls it Hereafter. And in the Hereafter, God will reward one or punish him accordind to his deeds during his life in the world.

Thus, Islam in its orientation of man, neither changes his nature, nor outweighs one side over the other. It wishes to creat an identety for the human being. That identety is dualistic, contradictious and positive, It may be subjected to materialism and perhaps controls it. That identety feels the tangible things, and thinks over the unseen ones, it may be influenced by the actual life and it may affects the sensational world and controls it.

Equitably and justly, Islam deals with that identety in all aspects of life. And because Islam is the normal source of orientation, it is the religion of mankind. Therefore, the society which strives hard to achieve a better life, should embrace Islam as its faith and system of life.

which He has multiplied in varying colours (and qualities): Verily in this is a sign for men who celebrate the praises of God (in gratitude). It is He who has made the sea subject, that Ye may eat there of flesh that is fresh and tender, and that Ye may extract there from ornaments to wear; And thou seest the ships therein that plough the waves, that you may seek (thus) of the bounty of God, and that you may be grateful. And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with you; and rivers and roads; that you may guide yourselves. And marks and sign-posts and by the stars (men) guide themselves. Is then who creats, like one that creats not? Will Ye not receive admonition? If Ye would count up the favours of God, never would Ye be able to number them: For God is oft-forgiving, most merciful." (Surah, the Bee, verses 4-18).

Not only the Qur'an describes the human nature as a positive and printable nature, or does not affected by sensational world but also appeals to human mind and comprehention for a rational judgement. So Qur'an says "Surely there is a sign in this for a people who reflect" "Surey there are signs in this for a people who understand."

It is quite obvious that mind cannot correctly judge, unless it is impartial and also out of any imprission. In order to issue a sound judgement, Islam wants man not to neglect his sensational life, but to raise his reasonable ideas upper it. The next verses explain these facts clearly "And in yourselves, do you not see" (Surah the wind, verse 21).

"And gave you ears and eyes and hearts, little it that you give thanks" (Verse 9. Surah 32).

"And God brought you forth from the wombs of your mothers-you know nothing and He gave you hearing and sight and hearts that you might give thanks." (Verse 18. Surah 16.)

In his loneliness, man can comprehense Divinity as well as he can apprehend that, from his actual life. Thus, man with the help of his thought, can be above the material actuality, with touch of it and without being far from it. To enable minds to issue a reasonable judgement, Islam wants people not to be under pressure of actuality and its influences. From this comes the meaning of the Ascecitism in Islam. Ascecitism does not mean to shun the actual life, but it attracts only the attention against resignation to materialism. Qur'an says "O children of Adam, attend to your adornment at every time of prayer." „Say : who

actual and sensational world, dismissing the relation between this orientation and the human nature.

Surely, materialistic or actuality in any orientation, gives the interest to man's life through its actuality alone. Hence, it is not more suitable to the human nature, than the ideal rationalism, which only considers the thinking and understanding, without giving the effects of actual existence upon man's life any consideration.

From the above mentioned facts it can be concluded that, if there is a reasonable orientation, which heeds the contradiction of the human nature, and heeds also the influences of the actuality upon man's life, this orientation will be more suitable and comfortable for the human nature. It will lead the man and his society to the required goal to realize a better human standard.

Islam is the natural origin of orientation :

But, is Islam the origin of that reasonable orientation ? Does it call the Prophet to be connected with the actuality and to examin it in the same time ? Surely, when Islam calls one to believe in God, it guides him to come nearer to actuality, and also to seek proofs, of the existence of God, in his actual life. Qur'an says :

"He has created man from a sperm-drop; and behold this same (man) becomes an open disputer ! And cattle He has created for you (men) : From them you drive warmth, and numerous benefits, and of their (meat) Ye eat. And Ye have a sense of pride and beauty in them, as you drive them home in the evening, and as you lead them forth to pasture in the morning. And they carry your heavy loads to lands that you could not (otherwise) reach except with souls distressed : For your God is indeed most kind, most merciful. And (He has created) horses, Mules, and donkeys, for you to ride and use for show, And He has created (other) things of which Ye have no knowledge. And unto God leads straight the way, but there are ways that turn aside : If God had willed, He could have guided all of you. It is He who sends down rain from the sky : From it Ye drink, and out of it (grows) the vegetation on which Ye feed your cattle. With it He produces for you corn, olives, Date-palms, grapes, and every kind of fruit : Verily, in this is a sign for those who give thought.

He has made subject to you the Night and the Day; the Sun and the Moon; and the Stars are in subjection by His command : Verily in this are signs for men who are wise. And the things on this earth

do not exactly represent the principles of that orientation as it is supposed to be, especially when it is examined by an impartial mind. However close the people reaction to these principles, it may be rejected by some of them, at least, in their interior feelings. They also cannot respond themselves with the principles of this orientation. Hence, we cannot consider this orientation as a true representation for this society.

Actually, the "deeds of the people of Al-Madinah" are not considered in the view of the Shafie school as an islamic regulations, although the Malakite school considered it as an islamic rules explained by the Prophet " peace may be upon him ". In this respect, Shafie said " I only accept the authentic and uttered Hadith ". It is quite apparent, that the deeds of Al-Madina people — that Shafie considered it as an incomplete proof for the authentic Hadith - are of those who had been closely associated with the Prophet and the time of revelation. They were the frist pioneers of Islam, and nearer to the islamic teachings than the others, therefore, we must put their time and society in our consideration. The Prophet Mohamad Said " The century in which I live is the best, then those who come after mine, then those who come after them ".

According to these two main sources, we come to conclusion that, when the principles of any orientation are compatible with the human nature in its formation, its developement and also its entention ; it will be completely convenient, especially, in guiding people and getting their interest. This will be realized after purifying their minds of other sediments so completely and replacing it with the new and the good.

Confidently, the human nature can be discribed as a nature of rational animalism and nature of spiritual materialism. It contains both dualistic and antagonistic. Moreover, it always inclines to have a connection with the sensational world, although it has the direction to be separated from it.

The human nature also has the ability to invistigate the actual existence of life, and also it can be affected by it. Being directed by a certain orientation and continuously affected by the actual existence, the human nature, or what so called the sensational world has been removed away from its normality, as if it is guided by another orientation to be higher than the actual existence, and to have the ability of testing this orientation. It will be, as far as it is away from the connection with the

enemy, so long as they are not aggressors. In this respect, Qur'ansays "And if they inclined to peace, incline thou also to it and trust in God, surely He is the hearer, the knower".

[Surah the fighting, verse 61].

Moreover, Islam neither degrades the unbelievers, nor deprives them any of their rights. It treats them kindly and justly, so long as they are not tyrant or aggressors. Qur'an says "And let not hatred of a people incite you not to act equitably. Be just that is nearer to observance of duty, and keep your duty to God".

[Surah the Table, verse 8].

Islam differs from other ideologies, which direct modern societies in thier attitude towards unbelievers, whether they are individuals or communities. These modern philosophical ideologies attempt to limit the scope of Islam and its effect, to a certain period, namely, the period of the prophet Mohamad "peace may be upon him", to a certain place which is the Arabian peninsula, and also to a certain people that is the primitive arabian tribes. They also claim that Islam cannot contribute its share towards the development of the modern human civilization, and also cannot keep what it already have obtained through this civilization. Therefore, they presumes that, to be a Muslim is to remain at the primitive stage or to cease the human progress to advance, and both the two, actually, are contrary to the human ever changing nature.

Surely, the criterion upon which the validity of Islam or the other modern ideologies, Such as Democracy, capitalism and Socialism ; is the human standard which assure the main human characteristics. The more, the principles of Islam or the modern ideologies, nearer to the human standard, is the more valid and suitable for human life. On the contrary, the more deviate and away from it, is the more unsuit to the human nature and unfit to the desirable life which man yearns and endeavours to attain through the stages of his life, from infancy to maturity.

Undoubtedly, the above mentioned standard is the goal of every one in his life, it is also the main purpose of the orientation in the name of the Divine guidance or the name of enlightening by means of knowledge, knowledge that comes from tbe contemplation of the universe or from the activity of the human minds.

As a matter of fact, when any human society is controlled by a certain orientation, its experiences

Actually, the party of the stooges of colonialists was indebted, in several ways, to the other party that held tight and adhered to Islam. It was kept away from belonging to colonialism, it felt dignity and honour because of maintainace and defence of their country against the colonialists, instead of gaining them because of serving the enemy. Now, it is the seventh year, since the begining of the Algerian war against french colonialism. The only motive for going on this long struggle is their belief and religion. Thanks to old Algerians who cultivated islamic teachings into the minds of youngesters. The french colonialism, in order to destroy the algerian nationalism, forbade the young men of learning Arabic language and attending mosques. Moreover, prevented teaching glorious islamic history, and at the same time, french imperialists provided their schools with false-knowledges about Islam, while glorifying France and its civilization. Neverthless, the struggle broke out and continued, mainly because of the algerian belief in God and Islam. Surely, it is the duty of all governments of the islamic states to revise their glorious history and that of their oponents for considering their turn, knowing that those who had embraced the islamic values, facilitated their way to leadership after gaining independence, and being sure that the existence and power of their country is not in ignoring Islam and its teachings, but in keeping the islamic spiritual and intellectual heritage.

Muslim's conduct does not represent Islam:

However, it is not our will to justify the Muslim's present condition in any society, also not to pick up the islamic teachings from their recent state as the the Orientalists mostly did. As a matter of fact, Muslim's conduct does not represent the islamic teachings completely, but the Qur'an and the prophetic traditions are the two fundamentals which represent, fully, Islam and its teachings.

Indeed, Islam is the religion which deals with all societies, it controls the structure of individuals and families, the relationship between person and another and also between Muslims and those who reject faith.

The present policy of some of the great nations is to depreciate any citizen who does not believe in their ideology, while other nations regard, as their enemies, any nation does not follow their policy and carries it out. But Islam due to its universality, neither harms any society which opposes its ideology and its way of life, nor regards it as an

Islam and its teaching, with some of islamic studies written by the European Orientalists into their own languages. The aim of these studies, was to undermine the relations between Muslims and their religion. In such studies for example, they assumed that the Prophet Mohamed "peace may be upon him" was of excessive sexual inclination, more than a person of devine message, because he married more than a woman. Also, they defamed Islam claiming that its spread was by sword not by complete conception. They tried to misinterpret the fundamental principles of Islam, such as Al-Jehad in God's way, the Muslims unity and Divorce. They explained Al-Jehad as an aggression and persumed that the untiy of Muslims, induce isolation and cut the relations between Muslims and others.

Moreover, they said that Divorce results in disintegration of family life. Muslims do it only to have a chance to satisfy their sexual lusts. It is said also that Islam is the religion of primitive people, hence, it does not suit the recent human civilisation. Being fit for people of the past, does not mean that it is suitable for people of the present time.

Those who have their culture in a western style, when they read these notions cannot refute or deny them, because what they know about Islam is limited by the outwordly features of their Muslim citizens. Unfortunately, these features on the hand of habits and customs, express their stagnation, while on the hand of behaviour, they denote to their laziness and headlessness of indulging into a new progressive life.

But mostly, those western cultured believe in the notions of the Orientalists, about Islam, its principles and Prophet. This may be why they strongly wish to turn the Islamic society, keeping religion's guidance away from the society's affairs. They attempt to confine Islam to be limited in worship, to be a mere relation between man and God without any connection with other individuals or societies.

Verily, the belief of this group in Islam and God — although wrongly understood — caused disturbance to colonialists and drove them out of the country. As a matter of fact, the present independent islamic societies did not obtain their freedom as a result of the international organization efforts, but their liberty was due to the strugggle of patriots in God's way. Therefore, all the islamic nations enjoyed their liberty and freedom as a result of Al-Jehad, one of the important islamic principles which, wrongly, considered by the imperialists as an aggressive extention.

ISLAM AND SOCIETY

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Director General of Islamic Culture Administration

When the colonialists evacuated the Islamic countries after the national movements which delivered them from its grip, and consequently, they obtained their political independence, the Islamic societies started to observe the contemporary societies which have been progressed in the industerial and scientific researches and they are trying to develop their national economical standard everywhere.

As a result of these efforts, the economical standard and the individual income increased. However, it is necessary also that these societies should look for the reasons and factors of its weakness and backwardness in the past, to eliminate it out completely.

But where these reasons and factors are ? Are they in being far from Islam and its principles as mentioned in Qur'an and prophetic traditions ? Or are they realized in the adherents of Islam, those who are following its principles and carrynig out its teachings ?

A sort of colonialism was evacuated, but another one was attempting to enter in the same time. The frist one, which faced the national independence movements, succeeded in deviding the society into two parties. Colonialists prepared the frist party to help them in the interior governmental affairs. Naturally it was nearer to their aim and intention, but far away from Islam and its principles.

The other party, embraced the Islamic values and principles, therefor, the colonialism weakened and humiliated it. The Islamic principles and values, after this separation, became a matter of controversy between these two parties, especially when one of them accepted the Islamic teachings and proceeded with moulding the life according to it. Meanwhile, the other party developed on aversion to the other's ideas and tried to displace Islam completely, particularly from being a way of life.

During the period of occupation, colonialists used to supply their party, who was keeping away from

at all times and places. For the call to be always successful, it must be properly owned both materially and spiritually. All these forces were provided by both the call and the personality of the greatest emigant " Mohamad peace be upon him ".

As a mtter of fact, present dey emigration, is an image of emigration in olden times, when the believers had conquered the infidles and scored a great Victory over them. Nowadays, Muslims exchange visits and their leaders are doing their utmost to serve their best interests. They could conquer the imperialists, and drove them to withdraw from their lands. This Victory has come as the realisation of God's promise to true Muslim in the Quranic Verse: " God had promised, to those among you who believe and work righteous deeds that He will, of a surety, grant them in the land, inhritance (of power), as He granted it to those before them, that He will establish in authority their religion — the one which He has chosen for them, and that He will change (their state), after the fear in which they (lived), to one of security and peace: They will worship Me (alone), and not associate aught with me, if any do reject faith, after this they are rebellious and wicked ".

[Sûrah Al-Noor, Verse 55].

had met with the hostility and antagonism of his family (koraish), because he had destroyed their idols and attacked their creeds and principles. The example set by the Prophet in resisting and eliminating the wrong, must therefore be followed by every one. The great harm done to Him by the people of Mecca, at the commencement of his call, must nspire our minds with lofty values. His conduct was to emigrate from a place of tyranny and aggression, to one of security and peace. When He found that it was defficult to plant his new principles in the land of Mecca, the prophet made his way to the good land of Medina where He preached his new Religion and sowed its good seeds, following in this matter the saying of God " From the land that is clean and good, by the will of its cherisher, springs up produce, (rich) after its kind : But from the land that is bad, springs up nothing But, that which is niggardly ".

The call of Islam is a universal one, It is for all peoples be those, in Mecca or in Medina, in the East or in the West. It is a call for all places and times as well. Therefore it is the duty of true Muslims to preach this faith and build it up on a basis of good society which accepts and performs its duties according to islamic instructions, right principles and best conduct.

The memory of the emigration its causes and results, must bring to the mind of true believers a sense of the greatness of the principles of Islam, lead them along the right way which humanity at large must follow at critical periods of its history and guide them to solve their problems in peace.

O Muslims, how I wish to recommend you to liberate your hearts from sins and to glorify no one besides God. This will lead the tyrants and the aggressors to fear you and respect you as well. I advise you to free your character from bad habits and hateful customs to win the hearts of all mankind. I advise you to liberate your souls from despair and to live your life in peace and brotherliness. I also advise you to preach your Religion all the world over with keenness and islamic enthusiasm. Many a wrong call had succeeded through international trickery and persistence its falsehood. For examplel the inperialists depended on such persistence in preaching their tyrannical principles, and their efforts unfortunately met with success, but a wrong call cannot remain successfu,

those who die in sin against their souls, they say "in what (plight) where ye?" They reply: "weak and oppressed were we in the earth" They say: "was not the earth of God spacious enough for you to move your selves away (from evil)? Such men will find their abode in Hell — what an evil refuge?". (Surah, the Women, section 14. verse 97).

As a matter of fact, emigration leads to solidarity which is the cause of success and victory of nations. The emigrants of Mecca had mobilized themselves and formed with the inhabitants of Medina the great force which conquered idol-worshippers, stamped out their kingdom and established Right on solid foundations. Verily, the Prophet's emigration was a victory bestowed on both the Prophet and his faithful followers by God. The Qur'an states in this context "If you help not (your leader), (it is no matter): For God did indeed help him, when the unbelievers drove him out: He had no more than one companion: They were two — in the cave — and He said to his companion "Have not fear, for God is with us".

This was indeed a great triumph and good support for the Prophet — peace be upon Him — and all the believers. It is also a good lesson for those who preach: good and vertues, belief in God and freedom, right, justice security and peace. It teaches them how to struggle against evil, aggression, idolatry and slavery.

Emigration had changed peoples' tendencies and inclinations. It turned them from the way of evil and misery to the path of good and happiness. Emigration resulted in heathens sitting aside the worship of their idols, believing heartly in their Creator, asking only their God's help, seeking salvation from their plight, substituting Right for wrong, light for darkness, freedom for exploitation and slavery, strength for weakness and prosperity for poverty. It had laid the foundations for a happy life and guided peoples to permanent security and peace.

One who preaches new principles usually faces defficulties and obstacles, especially if his Call has any relation with religion, faith or morality. This is because human souls would resist any change. Peoples usually are devoted to what they inherit from their predecessors whether it be faiths, habits or traditions. So was the Call for Islam. Prophet Mohamad — peace be upon him —

INSPIRATION OF PROPHETIC EMIGRATION

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

O Muslims, peace be upon you.

The emigration from Mecca to Madina by Prophet Mohamad and his faithful friends, is one of the most outstanding events in Muslim annals. It was an effective factor in the spread of the Religion, the Victory of Right and the defeat of the wrong.

The emigration brought the emigrants close to other peoples with whom they concluded consequent upon these contacts and agreements, emigrants developped into an independent nation and issued local laws to regulate and control relations with its neighbours. These laws constituted strong foundations' for the structure of a super society, they also helped towards the regulation of emigrants, dealings on a basis of justice, equality and peace with their new neighbours.

The Prophet's emigration was both spiritual and corporeal. Mohamad with a group of devoted followers had left their Motherland and abandoned their families and properties for the sake of the Religion with their hearts and souls full of unshakeable faith and profound belief in it. They were confident that God would not accept the emigration merely of the body, but required also the emigration of the soul.

The Qur'an glorified emigration as a religious rite, as well as one of the duties of every Muslim who can afford it if circumstances would justify emigrating. The Qur'an further stated that a wronged Muslim who has the ability to emigrate, but would not do it, is considered — in the sight of God — as one who has abandoned the prayer.

In this respect the Qur'an says: "When angels take the souls of

his frist khaliph (Abu Bakr), then to Omer's finger afterwards. The ring was put in the finger of Othman who was very careful to keep it, and who did his utmost in doing so untill he went, one day, to the well of Arice, so as to revive the memory of the prophet by visiting the well and sitting in its shed, the matter to which Othman as well as Omer and Abu Bakr was accustomed since they had gothered together with the prophet in this very shed.

On this day, Othman took the ring off his finger and began to move it between his fingers, but unfortunately it fill into the water. Then Othman and the people strived hard searching for the ring through the water but in vain. Othman was very sorry to lost the ring of the prophet and it occured to his mind that the lost ring was both a supporting force and guiding light. When Othman lost the ring, he did not despair of God's aid, but he doubted himself to be so efficient as the two khaliphs before him ; Omer the hero of the shed and Abu Bakr the hero of Apostasy. Consequently, he authorized some of his relations to rule over the people in his name. Those authorized agences, ruled the people according to their passion and were subjected in their ruling to favouritism and sectarianism, the matter which extended the disorder and dissintion and led at last to the attrocious assasination of Othman on the hands of the rioters.

The above mentioned indications which are the symbols of the language of Distiny were written on both the face of Othman and on the pages of his history. Symbols that were interpreted by the successive happenings one after the other. These bappenings were as a whole a group of sufferings met by Qthman who financed and supported the army of Usrah " difficulty ".

The genuine predications of the prophet concerning Othman and his fate, were items of revelation that show genuineness of the great leader who was chosen by God to deliver his noble Call. Through this genuineness, the prophet was able to choose this refind group of emmigrants in which hearts, the prophet sowed the seeds of piety, to which hands he delivered the torch of struggle and on which shoulders, he put the responsibility. Then the prophet left the world, left it sured of his follower's capacity, looking with satisfaction at them building mosques and expanding Islam on both Roman and Persian Impires.

the people of Paradise, and that he will also suffer certain misfortunes" said the Prophet that was chosen by God to deliver his mission and to recieve his revelation. When Abu Mousa told Othman this bad news and congratulated him for the good tidings, Othman the martyr entered, but he did not find a place for him on the bench, then he sat down facing them on the other side of the well.

It was the will of God that the five persons who have greatly influenced both the life of Arabism and the history of mankind, to be gothered together on the board of this well abounding in life among these arid sands and deaf stones. Those five persons were : The God's Prophet who had led through God's light, all the errant mankind to the most straight way and to the noblest end. The second was the two Khaliphs of the Prophet (Abu Bakr and Omer) who have proceeded with the Call after him, made up the preaches, strengthened the weakness during the year of Apostasy and extended the light of Islam beyond the Arabian beninsula. The third was the Khaliph through which the Prophet's prediction came true and who suffered the predicted misfortune that caused the dissension and disrupt of the Muslim nations. The last one was the Judge of the arbitration who was taken in by Amr son of Al-Aass to issue the Judgement that fractionalized the united nation into two different nations and that made of the one compact religion seventy two conflicting sects.

But the well of Arice has certain other indications in the life of the third khaliph. These indications are as follow : The sitting of the Prophet and the two Omers (Omer Ben Al-khattah and Abu Bakr) beside each other on one Side of the well, and the sitting of Othman alone on the opposite one, was interpreted by saied Ben Al-Mosaiab as a sign that the Prophet and the two omers will be tombed together in Aaisha's room, and that Othman will be tombed alone in another place.

The Prophet's prediction of Othman's misfortune, was a grieve that fill Othman's heart now and then, but Othman used to relieve himself from this grieve by means of his staunch believe in God, his firm believe in Distiny assigned by God, and his strong will to sacrifice his soul and money in the cause of God. The latest one of these indications was the fall of the Prophet's ring in the well of Arice. The story of this ring was that the prophet used to put a silver ring in his finger through the latest period of his life. After the death of the prophet, the ring found its way to the finger of

Abu Mousa traced the prophet's footsteps, untill he reached the well of Arice. Then he entered its shed and found the Prophet sitting down on a bench built around the well. No sooner had he saluted the Prophet, than he was taken by the power of the prophet's majesty and solemnity, that he said to himself " I shall be the Prophet's doorkeeper today ".

A while after, a knock at the door was heard. "Who is knocking at the door" said the pious doorkeeper : "This is I." Answered Abu Bakr "This is Abu Bakr asking permission said Abu Mousa to the Prophet". At this moment, the Prophet was considering the numerous hardships that has befallen him, his people, and his companions for the sake of the Call. He was also remembering the emmigrants' sincerity, their keeping of pledges and sufferings of expatriation, poverty and harm for the sake of God's pleasure. Then the Prophet was filled with admiration and contents. So when He heard Abu Mousa mentioning the name of his friend at home, and his companion in the cave of Hiràa, he said to Abu Mousa "let him enter, and tell him that he will be one of the people of Paradise."

When Abu Mousa allowed Abu Bakr to enter and informed him of the good tidings, he entered and sat down beside the Prophet on the bench. Abu Mousa returned once again to the door, expecting his brother to come, because he let him completing his ablution, with the intention of joining him at the Prophet's presence, while he was coming to the Prophet. But Abu Mousa said to himself : "If my brother comes at this moment, he shall have share of this prophetic goodness that would benefit him in the Hereafter. But this goodness was the share of Omer who was at that instance knocking at the door. " Who is it ?" said Abu Mousa in a hast and eagerness. " It is I." said Omer. "Wait a little" said Abu Mousa and he went to the Prophet to take the permission." let him enter and tell him that he will be one of the people of Paradise". Then Omer entered and sat down beside the Prophet and Abu Bakr on the bench. Abu Mousa returned again to the door, listening from behind it to any movement, hoping that it may be his brother footsteps. After a short time the door was knocked at. The matter which made Abu Mousa's heart beat rappidly and made the hope shown on his face. "Who is coming ?" said Abu Mousa. "This is I" answered Othman son of Affan. Then Abu Mousa asked him to wait, and went to the Prophet to take permission for the new commer. "Let him enter and tell him that he will be one of

ON THE WELL OF ARICE

from the memories of Rabia Al-Awal at (Yathrib) Tiba

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

On one splended morning of the spring in the lunar month of Rabia Al-Awal, and along the quiet way of the sacred city Tiba (Yathrb), The Prophet " peace be upon him " went out searching for calmness and contemplation. The Prophet who was accustomed to loneliness in the deserted cave of the mountain of light (Gabal Al-Nnoor), was still prefering the lonelinss as he was fond of thinking and contemplating, as means of approach to God. So he directed himself to the west of Yathreb, towards the mosque of Qubàa. He went alone besides the walls in good humour and with thankful spirit, wached by all and endeared in every heart, till he reached the well of Arice.

This spacious and pure well was protected against the sun by a shed of palm trees branches. That shed had had a door and was surrounded by gardens and fields everywhere. The Prophet entered the shed as he was accustomed to do so every monday, so as to practise his solititude. After he had performed his ablution, the prophet sat down on a bench built on the edge of the well and indulged in silent devotion, clear of every sign of worldly affairs. Such spiritual prophetic worship, that approaches the Prophet to his God, links earth with heaven, legislation with reality and the finite with the infinite, is not to be conceived, neither by the minor human mind, nor through the defective earthly explanation. The worship of Mohamad at the well of Arice was aiming, like his worship at the cave Hiraà, at seeking the aid and support of God through inspiring contemplation on God's wisdom and power.

On that particular day, Abu Mousa Al-Ashàri got up from his bed aiming to accompany the Prophet all the day. He looked for him in the mosque but did not find him, then he enquired about his place and was told that he has just led his way to the distrect of Qubàa, so.

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ — أكتوبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

شخصية البحتري

بقلم : أحمد حسن الزيات

الاحتفال بشاعر الشام الأكبر ، ونابغة العروبة الخالد ، تكريم لذكراه ، وتحية لفنه ، والتكريم والتحية يقتضيان الاقتصار على ما يجمل ذكره من أخلاق الشاعر وصفاته . وذلك يتسنى لمن يتحدث مختارا عن جانب من جوانب سلوكه ، أو مزية من مزايا فنه . أما من اقترح عليه أن يتحدث عن شخصيته فالأمر معه جد مختلف . ذلك لأن شخصية الرجل هي صورته المعنوية تركبت من آثار الفطرة والوراثة والبيئة والطبيعة ونمط العيش ونوع الثقافة ولون الحضارة . ولأولئك كله خطوط وألوان وظلال ، منها المستقيم والمعوج ، والسوي والشاذ ، والبارز والمستتر ، وبدونها كلها لا تكمل الصورة ولا تتم المعرفة . فإذا صورت البحتري على الطريقة الواقعية التي تعتمد على اعترافاته وشهادة مواطنيه ، لا على الطريقة الخيالية التي صور بها هو ممدوحيه ، كنت أقرب إلى إرضاء الحق وإنصاف التاريخ . وعذر البحتري في انطباع شخصيته على هذه الصورة حال المجتمع في عصره .

(*) نص الكلمة التي ألقيت في مهرجان البحتري يوم ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦١ بجامعة دمشق .

فقد كان العصر الثانى من عصور الدولة العباسية عصر نزاع على الخلافة وصراع بين الأجناس وصدام بين المذاهب وخصام بين الأسر وتنافس فى الثروة والجاه ، وتدفق فى الترف واللهو . وتورط فى الشهوة واللذة . والشاعر الذى يعيش على صلات الخلفاء والرؤساء مقضى عليه أن يساير ويشارك ويهاوى ويحتال، فيخرج من الرأى إلى نقيضه ، وينقلب من الرجل إلى عدوه .

شخصية الوليد أبى عبادة البحترى شخصية الإنسان المطبوع والفنان الموهوب ، كانت إنسانيته لا يختلف معناها عن معنى الحيوانية فى اكتساب القوت لتحيا ، واجتناب الأذى لتنجو ، وكانت فنيته لا يبعد مداها عن أن تكون وسيلة لهذه الحياة ، تهيء لها عدة القوة ، وتمد لها أسباب العزة كما يقول :

لى من الشعر نجوة واعتزاز
وهجوم على الأمور الشداد

كان الشعر فى عصر البحترى للشاعر بمثابة الناب والظفر للسبع ، يبتغى الرزق بالمدح ، ويتقى الأذى بالهجاء . والذى جعل للشعر هذه الوظيفة تلك الحساسية المرضية التى توارثها العرب للمدح استجابة لدواعى العصبية وطمعا فى خلود الذكر ، وكان البحترى وهو صبى يرتع بين أشجار التوت فى منبج ، أو يتنقل وهو يافع بين مضارب طيء على الفرات ، يرد على سمعه ما تتناقله الأفواه فى القرية والبادية عما ينال الشعراء فى قصور الخلفاء والأغنياء من الجاه والثراء ، وبخاصة مواطنه أبو تمام فيطمح إلى ذلك ، وينظر فى نفسه فيجد خاطره يسمح بالشعر على البديهة دون علم بالعروض إلا ما اكتسب بالسليقة ، ولا بصر باللغة إلا ما أخذ عن الأعراب ، فيعلم أنه أوتى الملكة وأعطى الوسيلة فيقرض الشعر فى كل شىء، وينشده فى كل مكان .

قال صالح بن الأصبغ التنوخى المنبجى : « رأيت البحترى هنا قبل أن يخرج إلى العراق يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر فى مجيئه وذهابه » ومعنى ذلك أن البحترى بدأ يتكسب بالشعر فى قريته على هذه الصورة المبتذلة ، لأنه قرر فى نفسه أن يتصيد رزقه فى بحور الشعر تارة من السمك وتارة من اللؤلؤ . وما كان لفتى منبج الطامع الطامح أن يقنع بالبصل والباذنجان، دون اللؤلؤ والمرجان، وهو الذى تمرد منذ صباه على الفقر وقضى العمر كله فى جهاده ، جاهده بسلاح الشعر وحده لا بالعلم ولا بالعمل ، وسلاح الشعر يدركه الفلول فى بعض الأوقات لإعراض خليفة أو صدود وزير فلا يعمل ، فيضطر إلى التنقل من قصر إلى قصر ، أو التحول من بلد إلى بلد ، فكانت حياته حياة الطائر الغَرِد ، قوام عيشه حنجرة رخيمة وجناح خفاق ومنقار لاقط ، يغنى

حيث يكون الروض ، ويقع حيث ينثر الحب . فإذا حل الشتاء وطمر الثلج روضه ، وحطم السيل عشه، قطع أجواز الفضاء وأثباج الماء إلى جو آخر يتوفر فيه الحب والأمن والدفء!

* * *

شخصية البحترى ككل شخصية إنسانية لها قوامان : قوام مادى مفتاحه حب المال ، وقوام معنوى مفتاحه حب الجمال وبهذين المفتاحين نستطيع أن نفتح ما استغلق من طباعه ، ونفسر ما استبهم من سلوكه .

كان حديث أحلامه ومنتجع أمانيه أن يقتنى ضيعة فى منبج ، فمدح من مدح من السادة والقادة حتى بلغ فى عهد المتوكل فوق ما تمنى . ثم صار همه بعد ذلك أن يمدح الولاة والعمال ليعفوا ضياعه من الخراج . قال أحمد بن إسماعيل : كان البحترى يلزم إبراهيم بن المدبر فى كل سنة أن يسقط أكثر خراجه أو يؤديه عنه . فأراد يوما أن يشترى ضيعة جديدة واستماح إبراهيم أن يؤدى عنه بعض ثمنها ، فلامه على طمعه وقال له : يكفيك ما تملك من الضياع فقد كثرت وعظمت ، فأنشده قصيدة كان قد أعدها بقول فى مطلعها : سفاها تمادى لومها ولجاجها . حتى بلغ قوله فيها :

وما زالت العيس المراسيل تنبرى
فيقضى لدى آل المدبر حاجها

فأمر له بإتمام ماله .

كان البحترى فى سبيل حب المال يبخل به ويحرص عليه . وهل البخل معنى غير حب المال ؟ فما رواه أبو الغوث ابنه وحكم ابن يحيى ، وأبو مسلم محمد بن الأصفهانى من حديث شحه على نفسه وتقتيره على خادمه وأخيه ليس بدعا من أخلاق الشعراء فى ذلك العصر ، فقد كان البخل طبعا مكتسبا فيهم لم يخل منه إلا أفراد قلائل غيبتهم نشوة الخمر عن الفكر فى المستقبل فعاشوا فى الحاضر يوما بيوم ، كمسلم بن الوليد وأبى نواس ، والشعراء البخلاء منطقيون مع الحياة ، يصنعون ما تصنع النحل والنمل ، يدخرون بعض ما يجدون ليوم لا يجدون ، لأن موارد أرزاقهم لم تكن مضمونة ولا مأمونة . كانوا يعيشون على صلات الخلفاء وأولى النعمة ، ينادمونهم على الشراب ، ويفاكهونهم فى السمر ، ويمالقونهم بالمدح ، ويدورون من وراء رضاهم فى السياسة والحكم ، فهم فى خير ما دامت أسبابهم موصولة بالقصر ، فإذا انقطعت انقطع رجاؤهم فى العيش . ولم يكن للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم جدء أعلى فى عصر البحترى يسنى لهم طرق العيش الكريم بالتأليف والترجمة والنشر والمعونة ، فكانوا بين مجدود كالجاحظ ، أو مكدود كالأخفش . أما الجاحظ فقد سئل يوما عن ثروته فتبسم ضاحكا وأجاب : إنما

أنا وجارية، وجارية تخدمها، وخادم، وحمار. وقد أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى أحمد بن أبي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار. وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار. فانصرفت إلى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد. وأما علي بن سليمان الأخفش النحوي الأديب فقد ضاقت به الحال في أواخر أيامه فسأل أبا علي بن مقلة أن يكلم له الوزير علي بن عيسى عسى أن يجري عليه رزقا في جملة الفقراء. فلما كلمه انتهره الوزير انتهارا شديدا، وأجابه جوابا غليظا، وكان ذلك في مجلس حافل، فبلغ ذلك الأخفش فاغتم، وانتهت به الحال إلى أن عاش على السلجم النيء، ويقال إنه قبض على قلبه من اليأس فمات فجأة.

* * *

وفي سبيل المال كان البحتري يحتال ويتدنى وينقل شعره من مقام إلى مقام، ومن ممدوح إلى ممدوح بعد تغيير تقتضيه الحال، قال يتحدث عن نفسه: دخلت على المتوكل يوما وفي يديه درتان لم أر أنقى منهما بياضا ولا أكبر حجما. فأدمت النظر إليهما، ولم أصرف طرفي عنهما. ورآني المتوكل على هذه الحال فرمى إلي بالتي كانت في يمناه. فقبلت الأرض وجعلت أفكر فيما يضحكه طمعا في الأخرى فعن لي أن قلت:

بسر من را لنا إمام ... تغرف من كفه البحار

خليفة يرتجى ويخشى ... كأنه جنة ونار

الملك فيه وفي بنيه ... ما اختلف الليل والنهار

يداه في الجود ضرتان ... هذي على هذه تغار

وليس تأتي اليمين شيئا ... إلا أتت مثله اليسار

فرمى بالدرة التي كانت في يساره وقال خذها يا عيار!، والعيار: المحتال. وقال أيضا يتحدث عن نفسه: كنا في مجلس المتوكل ومعنا الفتح بن خاقان، فاعترت المتوكل الفتح هزة من السرور والرضا فقام يقبله، ووثب الفتح فقام فقبل رجليه. والتفت الخليفة إلي وقال: قل في الفتح وفي شعرا، فأني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي، ولا يفقدني فيذل بعدي، فقل في هذا المعنى، فقلت قصيدة منها:

لا أرتني الأيام فقدك يا فتح ... ولا عرفتك ما عشت فقدي

أعظم الرزء أن تقدم قبلي ... ومن الرزء أن تؤخر بعدي

حسدا أن تكون إلفا لغيرى
إذ تفردت بالهوى قبل وحدى

فقال المتوكل : أحسنت والله يا أبا عبادة وجئت بما فى نفسى ، وأمر لى بألف دينار ، وكنت قد عملت هذه الأبيات فى غلام كنت أكلف به ، فلما أمرنى المتوكل بما أمرا تنحيت فقلت الأبيات وأريته أنى عملتها فى وقتى ، وما غيرت فيها إلا لفظة واحدة ، فإننى كنت قلت :

ما أرتنى الأيام فقدك ما عشت ، لجعلته يا فتح ، وقد قتلا معا وكنت حاضرا فرمحت هذه الضربة (وأومأ إلى ضربة فى ظهره) .

وقد قال الصولى إنه نقل نحوا من عشرين قصيدة من مدائحه ممن قيلت فيهم إلى غيرهم بعد أن غير أسماءهم مع سعة ذرعه فى قول الشعر ! ، وجدوى هذا أن تجاز القصيدة مرتين من غير جهد ولا كلفة .

ويدخل فى هذا الباب أمره مع غلامه نسيم ، فقد قال أحمد بن جعفر جحظة « كان نسيم ، غلام البحترى ، روميا ليس بحسن الوجه ، لجعله بابا من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه من بعض ذوى المروءة ممن ينفق عنده الأدب . فإذا صار فى ملكه مدحه وتشوق الغلام وشبب به وتحسر عليه بمثل قوله :

دعا عبرتى تجرى على الجور والقصد
أظن نسيما قارف الهم من بعدى
خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه
فيا عجبا للدهر ! فقد على فقد

فلا يسع من اشتراه إلا أن يهبه له ، ولم تزل تلك حاله حتى مات نسيم فكفى الناس أمره .

* * *

وفى سبيل المال تخلق البحترى بأخلاق التجار ، فسالم الناس ودعا إلى السلم ، وعايش الأضداد وبرىء من التحيز ، ولابس العقائد والمذاهب والطوائف والعشائر وخلا من التعصب ، ولد فى خلافة المأمون ثم تنفس به العمر حتى جاوز الثمانين ، فاستغرقت حياته حياة عشرة من الخلفاء تداولوا العرش العباسى وهو يميد من الفتن والخطوب من تفارس الخصوم وتنافس العناصر وتنازع الرؤساء ، وهو مضطر إلى مصانعة هؤلاء وهؤلاء ليسلم منهم جميعا ، ويغنم منهم جميعا . فمدح العلوى والعباسى والعربى والتركى والسنى والشيعى دون أن يجد غضاضة فى نفسه ولا مشقة على ضميره ، لأنه يمثل المادح ولا يكونه ، ويتخيل الممدوح ولا يعينه ، ويقول فى المدح ما يقول ولا يعتقده ، ومن هنا لم يجد صعوبة ولا حرجا فى أن ينقل القصيدة من ممدوح إلى آخر ، ولعله لم يقل الصدق إلا فى المتوكل لحبه إياه وإخلاصه له وبلوغه الحظوة والثروة فى أيامه حتى قال فيها :

أو ما ترى حسن الزمان وما بدا
وأعاد فى أيامـه المتـــوكل
أشرقن حتى كاد يقتبس الدجى
ورطبن حتى كاد يجرى الجندل

ومن معانى مسايرته ومهاواته أنه لم يتبع سياسة معينة ، ولم يعتقد نحلة خاصة ، وإنما كان يستن سنة الدولة ويذهب مذهب الحاكم. حدث إبراهيم بن عبد الله الكجى قال : قلت للبحترى ويحك ! أتقول فى قصيدتك التى رثيته بها أبا سعيد :

أأفاق صب من هوى فأفيقا :
... ...
يرمون خالقهم بأقبح فعلهم
ويحرفون كلامـــه المخلوقا

أصرت قدريا معتزليا ؟ فقال لى : كان هذا دينى فى أيام الواثق يعنى (أيام كانوا يقولون بخلق القرآن) ثم نزعت عنه فى أيام المتوكل (أى حين نزعوا عن هذا القول) .

فقلت له يا أبا عبادة : هـذا دين سوء يدور مع الدول .

وقد اتهمته العامة بالثنوية فى أيام المعتمد لقوله :

ولم أر كالدنيا حليلة صاحب
محب متى تحسن لعينيه تطلق
تراها عيانا وهى صنعة واحـــد
فتحسبها صنعى لطيف وأخرق

(والثنوية يقولون بالـهين إله للخير وإله شر كما تعلمون) فخاف على نفسه وقال لابنه أبى الغوث وكان مقيما معه : قم يا بنى نطفىء هذه النائرة بخرجة نلم بها شمشنا ثم نعود ، وهى الخرجة التى زار فيها إيوان كسرى وقال فيه قصيدته المعروفة . والحق أن البحترى كان لنشأته القروية البدوية بعيداً عن مذاهب الحضريين فى الدين والفلسفة ، فلم يستمد شعره إلا من إلهام الخاطر ووحى الطبيعة .

* * *

وفى سبيل المال ركب البحترى الأسفار وهو فى طور الحداثة ، يشهد على ذلك قوله :

وقائلة والدمع يصبغ خــدها
رويدك يا ابن الست عشرة كم تسرى
فقلت أحق الناس بالعزم والسرى
طلاب المعالى صاحب الست والعشر

وقـــوله :

تقاذفنى بـــلاد عن بــلاد
كأنى بينها خــبر شرود

فطوف بالشام ، وجول فى العراق ، وأوغل فى الجزيرة ، وبين جنبيه الأمل الحافز ، وفى يديه كتب الوصايا التى زوده بها أستاذه أبو تمـام إلى الممدحين من ذوى المروءات والرياسات فى تلك البلاد . ولـكنه كان دائب الحنين إلى الشام يستوقد شوقه إليها وافد النسيم من الغرب ، فيقول لنفسه :

حبذا العيش فى دمشـ ـق إذا ليلها برد
حيث يستقبل الزمـا ن ويستحسن البلد

أو يقول للمعتز :

هل أطلعن على الشآم مبجلا
في ظل دولتك الجديد المونق
شهران إن يسرت إذنى فيهما
كفلا بألفة شملى المتفرق
قد زاد فى شوقى الغمام وهاجنى
زجل الرواعد تحت ليل مطبق

أو يقول لأبى الصقر :

تراك تخلق فى غير أرضى
وإنما ضى إلى بلدى يسير
وأعتقنى الزمان فمر بعتق
إلى بلدى ، وأنت به جدير

• • •

ذلك بعض ما يفتحه علينا حب المال من شخصية البحترى ، أما ما يفتحه حب الجمال منها وهو مفتاحها الآخر فكل ماينبثق عن روحه ونفسه وقلبه وذوقه من الأعمال والخلال ، ولكن هذا المفتاح المعنوى لا يمكن أن يفضى بنا الباب الذى يفتحه إلى جانب مستقل من حياة الشاعر له مميزاته وخصائصه ، فإن العناصر المادية والمعنوية تتقارب وتتضارب وتتفاعل فيؤثر بعضها فى بعض، ويتأثر بعضها ببعض، فلا يكون هناك حس محض ولا معنى خالص ، فالأناقة التى اشتهر بها البحترى فى تنضيد ألفاظه وتنسيق جمله، وهى أثر من آثار حب الجمال ، تفارقه فى اختيار هندامه وتأثيث بيته ، فقد كان كما رووا من أوسخ خلق الله ثوبا وأداة ، ووساخة الثوب وقذارة الأداة أثر من آثار حب المال ، وحب الجمال مقتض، وحب المال مانع ، وهذا أقوى من ذلك وأولى .

على أن صفة القذارة فى الملبس والأثاث تعلل فى أيام الفقر والبداوة والتجوال ، ولكنها لا تكاد تصدق أيام النعمة السابغة والحياة المترفة أيام المتوكل والفتح ، إلا إذا كانا يحتملان منه ما كان الوزير المهلبى وزير معز الدولة بن بويه يحتمل من أبى الفرج الأصبهانى ، فقد كان المهلبى مترفا متنطسا يأنف من أن يأكل بالملعقة مرتين ، فكان له عن يمينه خادم يناوله فى كل لقمة ملعقة ، وعن يساره خادم يأخذها ، وكان صاحب الأغانى يجالسه ويؤاكله،وكان قذر الهيئة رث الثوب لا يغسله ولا يبدله ، فيحتمل الوزير ذلك منه لعلمه وحسن حديثه ، وحدث يوما أن المهلبى كان يأكل معه لونا من ألوان الحلوى صنع له ونسب إليه وهو المهلبية ، فسعل أبو الفرج سعلة شديدة خرجت معها نخامة غليظة فوقعت فى الصحفة ، فلم يزد الوزير على أن أمر برفع الصحفة ووضع أخرى واستأنف الأكل .

• • •

ومن أثر حب البحترى للجمال حبه للطبيعة، فقد فتن بها منذ الحداثة فى الغيم والصحو ، والجبال والأمواه ، والحقول والرياض ، كما فتن بروائع الصنعة فى القصور الفخمة والأبنية

العجيبة كإيوان كسرى وبركة المتوكل وقصر المعتز بالله، وقصائده فى وصف هذه البنى أمثلة فريدة فى الشعر العالمى، وهل تجدون أبدع وأرق من قوله فى وصف ليلة صافية ساجية تلألأت نجومها وتطاق دجاها :

كاد دجى الليل من طلاقته
يقمر والأفق ساقط قمره

ومن أثر حبه للجمال كلفه بالجوارى والغلمان، فقد أحب وهو يافع علوة الحلبية وهى من قيان الشام، وكان حبه إياها صبوة من صبوات المراهقة فانتهى بالجفاء منها وبالهجاء منه. ثم رحل إلى العراق فشارك شعراءه فى حياة اللهو والمتاع، وتتبع الجمال فى مظهريه المؤنث والمذكر، ووصف الحب فى حاليه الخيالى والواقع. ولكن حب البحترى كان حب الشهوان العابث لا حب الولهان المتيم. أحب المرأة بحسه لا بنفسه، وتغزل فيها بلسانه لا بقلبه. فمذهبه فى الغزل كمذهبه فى المدح: يصور أحوال المحبوب، كما يحلل أخلاق الممدوح، من ذاكرته وخياله، لا من وجدانه وواقعه، والفضل فى إخفاء هذا الزيف عن القارئ إنما هو لبراعة ذهنه، وعبقرية فنه، وواقعية خياله، وقدرته على تصوير النفس الإنسانية تصويرا مجردا يصدق جوهره على كل نفس. اسمعوا مثلا قوله يتغزل :

أصبا الأصائل إن برقة ثهمد
تشكو اختلافك بالهبوب السرمد
لا تتعبى عرصاتها إن الهوى
ملق على تلك الرسوم الهمد
دمن موائل كالنجوم فإن عفت
فبأى نجم فى الصبابة نهتدى

فهل تجدون فيما قرأتم أبدع من هذا التصوير وأرق من هذا الوصف وأصدق من هذا الشعور؟ ولكن الذى يكشفه هو أن تسألوه : مالك ولبرقة ثهمد وليس لك فيها خولة ؟!

إن زيف الغزل البحترى جاء من زيف حبه، وبعيد أن يحب المرأة الحب الصادق من لا يحترم جنسها ولا يثق به، أليس هو القائل فى النساء ؟

وعلى غيرهن أحزن يعقو
ب وقد جاءه بنوه عشاء
وشعيب من أجلهن رأى الوحدة
ضعفا فاستأجر الأنبياء
واستزل الشيطان آدم فى
الجنة لما أغرى به حواء
وتلفت إلى القبائل وانظر
أمهات ينسبن أم آباء
ولعمرى ما العجز عندى إلا
أن تبيت الرجال تبكى النساء

* * *

ومن أثر حبه للجمال النفسى حبه للصداقة

والصديق فقد كان لطبيعته المسالمة ونفسيته الشاعرة وحاجته إلى المعونة يطلب الصديق ويحرص عليه ويتعهده . وكثرة أشعاره فى العتاب والإعتاب تدل على استبقاء الأصدقاء ومعاودتهم ، وقصائده فى رثاء من ذهب منهم تنبئ عن الحزن عليهم والوفاء لهم . ولقد صادق أبا تمام ودعبلا والفتح بن خاقان وأبا العيناء والمبرد ومحمد ابن بسام وإبراهيم الصولى والفضل اليزيدى وغيرهم من نوابغ العصر فما ذموا عهده ولا أنكروا وده ، على الرغم مما يكون بين الأنداد من التنافس والتحاسد . ولكنه يقول أحيانا لمثل المبرد : أحبك ولكن الفتى أحب إلى منك !

حدث البحترى نفسه قال : خرجت من منزل أبى الصقر (أحد وزراء المعتمد) نصف النهار فى تموز ، فقلت ليس بقربى منزل أقرب من منزل المبرد ، وكان منزلى بعيداً بباب الشام ، فجئته ، فأدخلنى إلى حويشة له ، وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين وسقانى ماء باردا ، وقال لى : أحدثك إلى أن تنام ، فجعل يحدثنى أحسن حديث ، فحضرنى لشؤمى وقلة شكرى بيتان ، فسألته أن أنشدهما ، فقال ذلك إليك ، وهو يظن أنى مدحته بهما ، فقلت :

ويوم كحر الشوق فى صدر عاشق
على أنه منه أحر وأومد

ظللت به عند المبرد قائلا
فما زلت فى ألفاظه أتبرد

فقال لى : قد كان يسعك إذا لم تحمد ألا تذم ومالك عندى جزاء إلا أن أخرجك . والنكتة التى اصطادها من الحر ومن معنى المبرد هى التى ورطته هذه الورطة .

كذلك كان من أثر حبه للجمال النفسى حبه للعباقرة من كل جنس ، يشهد بذلك قوله فى سينيته التى وصف بها إيوان كسرى .

وأرانى من بعد أكلف بالأشراف
طرا من كل أس وجنس

وكذلك اعترافه بالجميل لأهله ، وذلك واضح فى قوله من هذه القصيدة نفسها :

عمرت للسرور دهراً فصارت
للتعزى رباعهم والتأسى

فلها أن أعينها بدموع
موقفات على الصبابة حبس

ذاك عندى وليست الدار دارى
باقتراب منها ولا الجنس جنسى

غير نعمى لأهلها عند أهلى
غرسوا من زكائها خير غرس

أيدوا ملكنا وشدوا قواه
بكماة تحت السنور حمس

وأمره مع أبى تمام شاهد آخر على أصالة هذا الخلق فيه . فقد رووا أن بعض الناس

سمع شعره فقال له : أنت والله أشعر من أبى تمام ، فقال والله ما ينفعنى هذا القول ولا يضر أبا تمام . والله ما أكلت الخبز إلا به . ولوددت الآن أن الأمر كما قلت ، ولكنى والله تابع له آخذ منه لائذ به . نسيمى يركد عند هوائه ، وأرضى تنخفض عند سمائه ، والاعتراف بالجميل والحق دليل الاعتداد بالنفس والثقة بالقدرة .

* * *

أما ما نسب إليه مما ينافى حب الجمال ويجافى سلامة الذوق ففيه نظر وله تأويل . قالوا إنه كان بغيض الإنشاد ، يتشادق ويتزاور فى مشيته جانبا أو القهقرى ، ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ، ثم يقبل على المستمعين قائلا : مالكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله .

وهذه الحادثة إن صحت لم تقع إلا مرة واحدة كانت فى مجلس المتوكل : ولم يروها إلا رجل واحد كان أبا العنبس الصيمرى ، وهو رجل ماجن مزاح كان ينادم رضاع الكأس فيخترع لهم الأضاحيك ويروى الأفاكيه ، قال يروى هذا الخبر لجحظة :

« كنت عند المتوكل والبحترى ينشده :

عن أى ثغر تبتسم
وبأى طرف تحتكم

فكان يتشادق ويتزاور إلى آخر ما وصف . فضجر المتوكل من ذلك وقال لى :

بحياتى اهجه على هذا الروى الذى أنشدنيه . فقلت :

أدخلت رأسك فى الحرم
وعلمت أنك تنهزم

إلى آخر ما أنشد من ركة وقحة ، فالحادثة إذا قبلنا فى إثباتها خبر الواحد وهو مجروح بمجونه ، مهزلة فى مجلس شراب زالت فيه الكلفة وذابت التفرقة وانطلق المكبوت من الوعى الباطن ، فما كان من البحترى كان سورة كأس ونشوة طرب ، وما كان من الصيمرى كان فرصة تهريج ونهزة دعابة ، وما كان من المتوكل كان عبثا بالشاعر ولهوا بالنديم ، على أن المرة الواحدة وإن وقعت فى الصحو لا تكسب خلقا ولا تنشىء عادة ولا تثبت نقيصة .

* * *

هذه أيها السادة صورة تقريبية لشخصية الشاعر الأكبر رسمتها فى إطار الزمن المقدر لعرضها عليكم ، فإذا أضفت إليها بعض الصفات الخلقية التى تجمعت كل صفة منها من طريق ، كقول أبى الفرج إن لحيته كانت سمراء طويلة ، وقول ابن الرومى إن وجهه

البقية على الصفحة التالية

الفاعل فى اللغة العربية

بين المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبنا فى العدد الماضى عن المقارنة بين لغتنا واللغات الهندية الجرمانية فى موضوع الجملة الإسمية والجملة الفعلية ، وأشرنا إلى رأى بعض المستشرقين الذين يعللون غلبة الفعل على الإسم فى ابتداء الجمل بالقدرية الشرقية وانطباع الشرقيين على إبطال كل فعل غير فعل القدر ، مع إنكار « الثبوت » على الشخصية الإنسانية ... وقلنا فى مناقشة ذلك أن لغة الضاد تستخدم كلا من الجملتين الإسمية والفعلية فى موضعها ، فهى أوفى من غيرها فى هذا الباب ، وأن الفاعل لا يكون فى كل جملة إنسانا أو كائنا حيا ، فلا محل هنا للقول بإنكار « الشخصية الإنسانية » .

ونعرض فى هذا المقال لمقارنة أخرى بين

« بقية المنشور فى الصفحة السابقة »

كان مسنونا ذنوبا ، وقول أبى العلاء إن قدميه كانتا كقدمى ديك ، وقول الصولى إن جسمه كان قصدا بين الطول والقصر وبين السمن والهزال ، وإن بدنه كان معافى طول عمره لاعتداله ، فلم يشك علة فى جسمه ، ولا عقدة فى نفسه ، استطعنا أن نتبين من خلالها على اختلاطها وإجمالها ، معارف هذا الفنان العظيم الذى حمل قيثارة الشعر بعد أبى تمام فزاد فى أوتارها وتر الوصف الدقيق المصور ، وفى ألحانها لحن الغزل الرقيق المعبر ، فكان خليقا بقول صاحب المثل السائر فيه : « أما البحترى فأراد أن يشعر فغنى » ، والفضل فى فضله إنما كان لأمه الشام مثابة الأدب الخالص والعروبة النقية والإسلام الصحيح ، فإنها بفضل ماحباها به الله من زكاوة التربة وأصالة الفطرة وفتون الطبيعة قدمت إلى هيكل الشعر فى حبيب والوليد وأحمد (عزّاه ولاته ومناته) كما قال ابن الأثير ، وأعادت إلى العرب الخلص سبق الشعر ممن غلبهم عليه من الشعراء الموالى بإنجابها العباقرة الخمسة : أبا تمام ، وأبا عبادة ، وأبا الطيب ، وأبا فراس ، وأبا العلاء . فالاحتفال بالبحترى احتفال بها ، وتكريم البحترى تكريم لها ، والله سبحانه وتعالى يخلد فى رحمته وجنته روح الإبن ، ويكلأ بعينه وعونه حياة الأم .

أحمد حسن الزيات

لغتنا وتلك اللغات ، وهى المقارنة بينها فى موضوع الفعل المبنى للعلوم والفعل المبنى للمجهول ، وهو موضوع له اتصال بموضوع الفاعلية ، واستعداد اللغة لإثبات الفاعل على حسب درجاته من الأثر أو درجات العلم به عند السامع .

فالفعل المبنى للمعلوم موجود فى لغتنا وفى اللغات الأخرى ، ولكن صيغة المبنى للمجهول تختلف كثيرا بين هذه اللغات ، لأن اللغة العربية تدل على المبنى للمجهول بصيغة خاصة فى أوزان الفعل الثلاثى والفعل الرباعى أو الخماسى أو الفعل المزيد على الجملة ، ولكن اللغات الأخرى تدل على المبنى للمجهول بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين .

نحن نقول فتح الرجل الباب ، ونقول « فتح الباب » بصيغة المجهول ، ولكن العبارة الأوربية التى تدل على ذلك تقابل قولنا (إن الباب يكون مفتوحا ، أو إن الباب صار مفتوحا) وهو تعبير يخلو من دقة الصيغة العربية ، لأنه أقرب إلى الوصف منه إلى الإخبار ، ولا سيا التعبير الغالب عندهم وهو ما يقابل قولنا (إن الباب مفتوح) .

وتزيد اللغة العربية بصيغة لا وجود لها عندهم . وهى صيغة الفعل المطاوع ، فيقول القائل (انفتح الباب) ويعبر بذلك عن معنى لا تدل عليه دلالته الدقيقة كل من صيغة المبنى للعلوم وصيغة المبنى للمجهول .

ويظهر الفارق فى الدلالة على المعانى المختلفة فى استخدام الفعل فى الجمل المفيدة على حسب دلالتها .

فإذا قلنا « فتح محمد الباب » فهذا خبر لمن يهمه أن يعرف من الذى فتح الباب .

وإذا قلنا « فتح الباب » فقد يكون الخبر موجها - أيضا - إلى سامع يهمه أن يعلم شيئا عن الفاعل ، ولكن المتكلم يخبره بأنه لا يعرفه أو يخبره بأنه يعرفه ولا يريد أن يذكره .

ولكن هناك حالة غير هذه وتلك ، وهى حالة إنسان ينتظر فتح الباب ولا يعنيه من الذى فتحه كما لا يعنيه أن يقول له المتكلم إنه يجهله أو يسكت عنه .

فى هذه الحالة يقول العربى : « انفتح الباب » فيؤدى المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين الحالات التى ينتظر السامعون خبرا عن فاعل الفتح ، معلوما كان أو مجهولا أو مسكوتا عنه مع علم السامع به تعمدا لإخفائه أو لإهماله .

واللغة الدقيقة التى استوفت وجوه الدلالة هى اللغة التى تلاحظ مقتضى الحال فى كل عبارة من العبارات الثلاث ، ولا تستخدم عبارة واحدة لموضعين ملتبسين ، بل تستخدم كل عبارة لموضعها الذى لا لبس فيه .

وهذه هى صفة اللغة العربية فى وفائها بالمعانى المقصودة على حسب إرادة المتكلم والسامع ، أو على حسب ضرورة التفاهم بين الإثنين .

على أن درجة الفاعلية فى الاسم تثبت فى اللغة العربية باستخدام صيغ أخرى تتمم هذه الصيغة من صيغ البناء للمعلوم أو البناء للمجهول أو فعل المطاوعة .

فهناك صيغة المبالغه من مادة الفعل نفسه بغير حاجة إلى مادة مستعارة من غيرها .

ففى اللغة العربية مثال للمبالغة تعطينا من مادة الفتح كلمة « فتاح » بمعنى الكثير الفتح والمقتدر على الفتح على السواء ، ولا مقابل لهذه الصيغة فى اللغات الهندية الجرمانية إلا باستخدام جملة أو عبارة مركبة من عدة كلمات .

وفى اللغة العربية صيغة من صيغ المبالغة تحكى الصفة المشبهة باسم الفاعل ، لأنها تدل على حالة ملازمة بغير اعتبار للحدث والزمان .

ومنها فى فتح كلمة « فتوح » بمعنى المطرق أول موسمه، فإن لها دلالة غير دلالة كلمة (فاتح) وغير مجرد المبالغة ، لأن الفاتح لا يلزم منه التكرار كما يلزم من الفتوح .

أما الصفة المشبهة - عموما - فهى أعجب من ذلك فى دقة الفهم ودقة الوضع وجريان الأوزان والمشتقات فى هذه اللغة على أساس عميق يدل على عراقتها كما يدل على بعد عهد أبنائها بالتفرقة بين المفاهيم الذهنية .

ومن هذه الدقة أن اسم الفاعل لا يوجد فى مواد الكلمات التى لا يقصد بها الحدث فى الزمان ، وإنما توجد الصفة المشبهة وحدها لأنها أوفق لأداء معنى الصفات الملازمة فى صيغة الفاعل أو صيغة الإحداث .

ولهذا تجرى على الألسنة كلمة « كريم » ولا تستخدم كلمة « كارم » مع سهولتها على اللسان فى وصفها المطرد ، لأن الكرم صفة لا تحدث فى كل عطاء أو كل منحة أو كل صنيع معدود من الصنائع الكريمة ، ولكنه صفة ملازمة ولو لم يحدث فعل الكرم غير مرة واحدة أو مرات معدودة ، فإن الذى يعمل عمل الكرماء « كريم » ولو لم تتعدد أعماله ، أو هباته ومروءاته ، ومن قيل إنه « كرم » فأفعال الكرم منتظرة منه على الدوام وليست كالحادث المرتهن بزمان محدود ، ولو تكاثر أو تعدد حينا بعد حين .

وإذا جاءت الصفة المشبهة على وزن « أفعل » كان بها الغنى عن أفعل التفضيل ، لأنها تدل كذلك على صفة ملازمة لا تختلف فى صاحبها بمرات الحدوث ولا بدرجاته ، إلا أن تكون المفاضلة بين موصوفين اثنين فإنها فى هذه الحالة تدل على التفضيل بزيادة فى نوع الصفة لا فى المرات والدرجات ، فيقال هذا أشد بياضاً من ذاك أو أوضح بياضا من ذاك ، ولا يقال هذا أبيض منه بهذا المعنى إلا لضرورة من ضرورات الشعر ينص عليها

لا جرم أن اللغة التى تثبت للفاعل درجاته وأنواعه بهذه الدقة لجديرة أن تعلو على مثال

النقد من هذه الناحية إن لم نقل إنها أعلى من منال الناقدين من نواحي شتى ، فلا يقال فيها إن تعبيراتها مقصورة على الجملة الفعلية لأنها تبطل «الثبوت» للفاعل ذهابا مع «القدرية» أو ذهابا مع سواها .

* * *

ونحن بصدد الكلام على المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول لا يفوتنا أن نعرض للأفعال التي ترد على الدوام مبنية للمجهول وتدل في الأغلب الأعم على الإصابة بالعلل والطوارئ التي لا عمل فيها لإرادة المصاب ، أو التي يكون المصاب فيها أبداً بمقام نائب الفاعل ولا يكون فاعلا مريدا لفعله .

من هذا القبيل كلمات «زكم ، وصرع ، وهزل وفلج ، وما جرى مجراها .

ومن اللغويين من يقول إن هذه الأفعال بنيت على المجهول اجتناباً لنسبة المرض إلى فاعله في هذا المقام ، وهو الله .

ولكنه سبب غير صحيح ، لأن العرب قبل الإسلام يقول في الدعاء «قاتله الله ، وأهلكه الله ، وأبعده الله» ، ولا يتجنب نسبة الفعل إلى الله ، مع أن القتل والهلاك والإبعاد أشد ولا شك من الزكام ، وأولى بالتحرز من ذكر الفاعل - إن كان هو السبب - أن يقع التحرز فيما هو أشد من تلك العلل جمعاء ، وهو الموت .

ولقد نزل القرآن الكريم وفيه آيات النكال والنقمة مقصودة بنسبة هذه الأفعال إلى الله جل وعلا ، لأن نسبتها إليه هي محل العبرة والتذكير .

فليس بناء تلك الأفعال على المجهول تجنبا لذكر الفاعل من عهد الجاهلية ، ولكنها ترد بهذا البناء على قدر عمل المصاب بها ، وليس عمل المصاب بها إلا كعمل نائب الفاعل أو عمل المفعول الواقع عليه فعل الإصابة .

وإننا لنزداد علما بالدقة في تكوين هذه اللغة إذا لحظنا أن كلمة «مات» تأتي على غير البناء للمجهول لأنها فعل لازم لا مفعول له غير المصاب به ، ولأن الإصابة بالموت سواء في كل من مات ولا اختلاف فيه بين المرات والدرجات .

ولمثل هذا السبب ترد الصفة المشبهة من اللازم في غير الثلاثي ، كالمطمئن والمستقيم وما في معناهما ، لأن اللازم أقرب من المتعدى إلى صفة اللزوم ، وأبعد منه عن الحدث المتكرر .

وهذه إحدى المقاونات التي تثبت للغة العربية فضلا لا يثبت لغيرها من لغات الحضارة ، فلعله شفيع لها عند أبنائها الذين يحتاجون منها إلى الشفاعة ، جهلا منهم بذنوبهم وجهلا منهم بفضائلها وحسناتها .

عباس محمود العقاد

التفكير الفلسفى فى الشعر العربى

للأستاذ الدكتور محمد البهى

إن الشعر لون من ألوان التعبير عن الحياة وعن تفاعل الإنسان مع أحداثها وعما يجرى فيها من تعبيرات ، من شأنها أن تحرك مشاعر الإنسان أو تلفت نظره إليها ولكنه يتميز عن أى لون آخر من ألوان التعبير - وبالأخص عما يسمى بالنثر - بجمال الخيال فى التصوير وبموسيقى الوزن فى الصياغة . وهو لذلك إن كان يعبر عن واقع فى الحياة فهو ينقل هذا الواقع - بفعل الخيال والسحر - من مجال الحقيقة إلى نطاق الذوق والإحساس الفنى ، وهو يجمع لهذا السبب بين الإمتاع من جانب وتقرير الواقع من جانب آخر .

وربما لهذا الازدواج يتميز الشعر عن الفلسفة التى هى تعبير دقيق عن الواقع ؛ وتعبير خال من فضفاضية الخيال وسحره ، ومن موسيقى الوزن ونغمته . وهنا إذا أخذ الشعر بمنطق التفكير الفلسفى وباتجاهه فى التعبير اقترب من الفلسفة أو أصبح فلسفة ، ولكن عندئذ روعى فى التعبير فيه مذهب الشعر فى الوزن ، دون أن يكون لخياله أو لنغم وزنه أية صلة به .

والتفكير الفلسفى هو العمل العقلى صاحب المنهج فى خطواته ، الشارح لحقائق الوجود العام والوجود الإنسانى بمفهومه الخاص .

فهو كما يحاول أن يشرح علة الوجود يحاول أن يشرح طبيعة الإنسان فى تكوينه ، وتفكيره ، وسلوكه ، وفى غايته فى الحياة . وإذن ليس التفكير الفلسفى قاصراً على بحث ما وراء الطبيعة ، أو على بحث المقاييس الخلقية ، وأسلوب التفكير لدى الإنسان . بل كما يتناول هذه المجالات يتناول أيضا الطبيعة والطبائع الحية فى أجناسها العديدة .

وإذا أخذنا الشعر بالمفهوم الذى ذكرناه أولا ، وأخذنا التفكير الفلسفى بهذا التحديد الأخير - فإنا لا نستطيع أن نؤرخ التفكير الفلسفى فى الشعر العربى إلا منذ أن كان هناك تفكير فلسفى بالمعنى المصطلح عليه فى تاريخ الثقافة العربية ، إلا منذ وقت دخول الفكر الإغريقى الجماعة الإسلامية واتصاله بالاتجاه الإسلامى الخاص وامتزاجه بمبادئ الإسلام .

أما الإسلام نفسه فلا نستطيع أن نسميه تفكيراً فلسفياً ، حين نتحدث عن التفكير

الفلسفى فى الشعر العربى ، منذ أن قامت الدعوة الإسلامية ، وتأثر العرب بوصايا الإسلام وتعاليمه . لا نستطيع أن نسمى الإسلام تفكيراً فلسفيا لأنه ليس صنعة لإنسان ، وإنما هو دعوة الخالق لهداية البشر كافة إلى الصراط المستقيم فى السلوك فى الحياة : فى تصرف الفرد مع نفسه وفى معاملته مع غيره . والخالق فوق الإنسان ووحيه فوق صنعة الإنسان كذلك .

وإذا أردنا أن نعبر عن تأثر الشعر العربى بالدعوة الإسلامية وبمبادىء الإسلام فذلك موضوع آخر يختلف كل الاختلاف عن الموضوع الذى نتناوله الآن ، وهو : التفكير الفلسفى فى الشعر العربى . ويجب أن يكون عندئذ عنوان الموضوع : « الإسلام والشعر العربى » .

والوقت الذى اتصل فيه الفكر الإغريقى بالأدب العربى وأصبح هذا الأدب فى نثره وشعره معبراً عن مشاكل هذا التفكير ، وعن حلول هذه المشاكل ، وعن الآراء المختلفة لهذه الحلول ـ متأخر عن دخـــول الفكر الإغريقى نفسه إلى الجماعة الإسلامية . إذ أن عملية الترجمة والنقل إلى اللغة العربية لهذا الفكر من لغته الأولى ، وهى الإغريقية ، أو من لغته الثانية وهى السريانية استغرقت وقتا طويلا . وبالأخص بعد ما احتاج الأمر إلى إعادة النقل من جديد إلى اللغة العربية على عهد الرشيد . هذا بالإضافة إلى ما يتطلبه من زمن آخر الاطلاع على قضايا هذا الفكر ، وفهمه ، ومراجعته ، والتعليق عليه بتبنيه أو برفضه .

على أننا لا ننسى أن تأثر الشعراء العرب بالتفكير الفلسفى الدخيل ، وتعبيرهم عما تأثروا به منه فى قصائدهم المختلفة ، لم يكن ليبدأ قبل أن تنتهى الخصومة الفكرية بين علماء العرب والمسلمين حول هذا الفكر الدخيل فى مجال الاتجاهات العقيدية ، وقبل إنتاج المفكرين العرب والمسلمين الإنتاج الأصيل فى مجالات علمية أخرى كمجال الرياضة والطبيعة ، وإن تأثروا فيما أنتجوا فيها بهذا الفكر .

لم يكن ليبدأ تأثر الشعراء العرب بالتفكير الفلسفى الدخيل قبل تلك الخصومة الفكرية فى مجال العقيدة وقبل الإنتاج الأصيل فى هذه المجالات العلمية ؛ لأن الطابع الذى سيطر على التوجيه والتفكير العربى والإسلامى بعد دخول المنطق الأرسطى ، ودخـــول بقية جوانب التفكير الإغريقى الأخرى ـ حمل المفكرين والموجهين العرب والمسلمين عامة على أن لا يتخذوا من الأدب المجال الذهنى ويجعلوه صاحب الحظوة الأولى ، وأنه كل شىء فى حياتهم كما كان الحال قبل الدعوة الإسلامية ،

وأبقى للمجالات التوجيهية والفكرية الأخرى غير الأدبية الأسبقية بين العلماء والموجهين العرب والمسلمين . وذلك أمر ضرورى ؛ لأن الدعوة الإسلامية ، منذ أن قامت شغلت قلوب العرب والمسلمين ، وشغلت تفكيرهم سواء فى نشر مبادئ الإسلام أو فى رد الهجوم عليها زمنا طويلا . ونشر العقيدة الإسلامية أو الدفاع عنها أصبح من أجل ذلك هدفا أوليا ، وأصبح ذا تقدير أول يسبق أى موضوع آخر ، وإن كان لهذا الموضوع الآخر شأن أى شأن سابق فى حياة العرب كالأدب مثلا ، وبالأخص الشعر منه .

ولم يكن من السهل على العرب والمسلمين بعد الدعوة الإسلامية ، وبعد أن قام مجتمعهم على أساس منها ، أن يعود تركيز التفكير الإسلامى ، وتوجيه الجماعة الإسلامية إلى ما كان عليه الوضع أيام الجاهلية وهو الأدب والشعر بوجه خاص ، عندما يزحف الفكر الإغريقى بوثنيته وبمنطقه الخادع المغرى ؛ لأنه إذا كانت حرارة الإيمان قد دفعت العرب وقت الدعوة الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تركيز أمر حياتهم فى شأنها - فإن الخطر الذى صاحب دخول الفكر الإغريقى وظهور الوثنية من جديد فى صورة فلسفية أيام العباسيين ، كان لابد أن يحمل هؤلاء العرب الذين تبنوا الدعوة الإسلامية من قبل ، والمسلمين من غير العرب الذين شاركوهم هذا التبنى ، على الدفاع عنه ، وعلى تركيز التوجيه والتقدير معا على الجانب الإسلامى عقيدة ومنهجا فى الحياة ، وعلى أن يظل الأدب العربى وبالأخص الشعر فى التقدير الثانى أو المحل الآخر . حتى إذا تبلورت المذاهب العقيدية ، وتحددت المجالات العلمية الرياضية والطبيعية لعلماء العرب ومفكريهم - ابتدأ الأدباء يعرضون فى أدبهم هذا التفكير الفلسفى ويعرضونه فى أشعارهم بوجه خاص .

والقرن الثالث الهجرى يعتبر على وجه التقريب المسرح الزمنى لظهور التفكير الفلسفى فى مبادئه أو فى التأثر به فى الشعر العربى . ونجد فى شعر أبى تمام والمتنبى وابن الرومى وأبى العلاء المعرى نماذج واضحة للتعبير عن هذا التفكير .

وتعبير هؤلاء الشعراء عن هذا التفكير الفلسفى يختلف فيما بينهم فى مدى التأثر به ، ولهذا التعبير صور مختلفة :

(ا) فترة يأخذ هذا التعبير صورة تمدح بالاطلاع عليه أو صورة رغبة فى الانصراف عنه. فيقول المتنبي مشيدا باطلاعه على الفلسفة الإغريقية وأربابها:

مَنْ مُبلغ الأعراب أنى بعدها
جالستُ رَسْطَاليسَ والإسكندرا
وسمعت بطليموس داوِى كُتْبِه
مُتملكاً مُتبديا مُتَحضِّرا
ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما
ردّ الإله نفوسَهم والأعصرا
نُسقوا كما نُسق الحسابُ مُقدَّما
وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

بينما يعبر البحترى مثلا ـ وهو ممن عاش بين أبى تمام والمتنبى ـ عن عدم حاجته على الأقل إلى الفكر الإغريقى فى أسلوب صياغته إذ يقول:

كلفتمونا حـــدودَ منطقكم
والشعرُ يُغْنِى عن صدقه كذبُهْ
ولم يكن ذو القروح يلهجُ بالمنـ
ـطقِ ما نوعُه وما سببُه

ونحن إذا وقفنا عند قول البحترى هذا نجده يصيب فى أن دائرة الشعر هى دائرة الوجدان وليست دائرة العقل والمنطق، وأن أثر فضفاضية الخيال فيه على الوجدان وعلى قيادة النفوس عن طريق إثارة هذا الوجدان وإلهابه ـ أشد وأقوى مما لو دخل الشاعر به مجال العقل والمنطق المجرد. وفى اعتقادنا أن البحترى لا يقصد بقوله: «والشعر يغنى عن صدقه كذبه» إطلاقا أن فى الكذب غناء. وإنما يقصد أن الهدف من الشعر يتحقق وإن كان التعبير فيه أوسع مدى من مدلوله، وأفسح رحابة من دائرة الواقع التى يريد أن يترجمها. وهذا الهدف هو إثارة الوجدان، وقيادة الجماعات والرأى العام عن طريقه.

(ب) وقد يكون هذا التعبير تمجيدا للعقل واستهانة بما عداه. فنرى المتنبى يقول:

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغمٍ
أدنى إلى شرفٍ منَ الإنسان

ونرى أبا العلاء المعرى فى إشادته بالعقل يقصر المعرفة على دائرته وعلى حصيلة إنتاجه فيقول:

سأتبع مَنْ يدعو إلى العقل جاهدا
وأرحلُ عنها ما أمامى سوى عقلى

ويقول فى قصيدة أخرى:

كذب الظنُّ لا إمامَ سوى العقـ
ـلِ مشيراً فى صبحه والمساء

فإذا ما أطعته جلبَ الر
حمةَ عند المسير والإرساء

(ج) وقد يكون تضمينا لفكرة فلسفية كما يعبر أبو العلاء عن العناصر فيما يقول :

تُرَدُّ إلى الأصولِ وكلُّ حيٍّ
له في الأربعِ القُدُمِ انتساب

كما يقول :

آليتُ لا ينفكُ جسميَ في أذى
حتى يردَّ إلى قديمِ العنصر

وكما يقول المتنبي :

تبخل أيدينا بأرواحنا
على زمان هُنَّ من كسبه
فهذه الأرواحُ من جوِّه
وهذه الأجساد من تُربِهِ

وكما يعبر أبو العلاء نفسه في صلة الجسم بالنفس عن تبعية الجسم لها في مظاهره وإعراضه في قوله :

فإناؤكِ الجسمُ الذي هو صورة
لك في الحياة لحاذري أن تُخدعي
لا فضلَ للقدحِ الذي استودعتهِ
ضَرَباً ولكن فضله للمودع

وفي قوله أيضا :

يا روحُ كمْ تحملين الجسمَ لاهيةً
أبليته فاطرحيه طالمَا لبِثَا

وعلى نحو ما يقول أبو تمام :

شاب رأسي وما رأيت مشيبَ الـ
ـرأسِ إلا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب في كلِّ بؤس
ونعيمٍ طلائعُ الأجساد

وعلى نحو ما يعبر أبو العلاء عن فكرة الجبر وعدم الاختيار :

ما باختياري ميلادي ولا هَرَمي
ولا حياتي فهل لي بعدُ تخيير
ولا إقامةَ إلا عن يدي قدر
ولا مسيرَ إذا لم يُقضَ تيسير

وفيما نراه في تحديد الفضيلة لأبي تمام في قوله :

إذا المرءُ لم يزهدْ وقد صُبِغَت له
بزخرفها الدنيا فليسَ بزاهد

وكما في قول المتنبي :

كل حلم أتى بغير اقتدار
حجةٌ لاجئٌ إليها اللئام

وكما يشير أبو العلاء إلى فكرة التناسخ التي جاءت إلى المسلمين عن طريق الفكر الإغريقي والفكر الديني الهندي معا . وإن لم يظهر إيمانه بها على الإطلاق :

يقولون : إنَّ الجسمَ ينقل روحه
إلى غيره حتى يُهذِّبه النقلُ

فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة
إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

(د) وقد يكون هذا التعبير عن التفكير الفلسفي في الشعر العربي تأثرا بمنهجه واسترابة في كل معرفة سابقة، وأبو العلاء المعري يعتبر مقدم الشعراء المتفلسفين في هذا الجانب ويذكر أولا أن الشك أمر طبيعي للنفوس فيما يقول:

ويعترى النفس إنكار ومعرفة
وكل معنى له نفي وإيجاب

ثم يأخذ في الشك في المعارف السابقة فيقول:

وما آدم في مذهب العقل واحد
ولكنه عند القياس أوادم

كما يقول أيضا:

دين وكفر وأنباء
تقص وتوراة وإنجيل
في كل جيل أباطيل ملفقة
فهل تفرد يوما بالهدى جيل

وكما يقول:

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت
ويهود حارت والمجوس مضللة
اثنان أهل الأرض: ذو عقل بلا
دين وآخر دين لا عقل له

على أنا قد نجد لأبي العلاء في شعره تعبيرا يثبت به وجود الله، سواء أكان ذلك من باب التقية أو من باب تردد النفس بين الإثبات والنفي، فيقول:

أثبت لي خالقا حكيما
ولست من معشر نفاة

ويقول:

انفرد الإله بسلطانه
فما له في كل حال كفاء
ما خفيت قدرته عنكم
وهل لها عن ذي رشاد خفاء

ويقول أيضا:

أما ترى الشهب في أفلاكها انتقلت
بقدرة من مليك غير منتقل

(هـ) وقد يكون التأثر بالفكر الفلسفي في الشعر سيرا به في منطق استدلاله وتركيب قضاياه على نحو ما يقول أبو تمام:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم
وإخالكم كي تغمدوا أسيافكم
إن الدم المغتر يحرسه الدم

ويقول أيضا:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي

ويقول :

ليس الحجابُ بمقص عنك لى أملا
إن السماءَ تُرَجى حين تحتجبُ

ويقول :

لا تنكروا ضربى له مَنْ دونه
مثلا شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقلَّ لنوره
مثلا من المشكاةِ والنبراسِ

وعلى نحو ما نرى للمتنبي فى قوله :

من يهن يَسْهلِ الهوانُ عليه
ما لجرحٍ بميت إيلامُ

وفى قوله كذلك :

فإن الجرحَ يَنْغَرُ بعدَ حين
إذا كان البناءُ على فسادِ

وعلى نحو ما نرى لابن الرومى فى قوله :

إذا غمَر المال البخيل وجدته
يزيد به يُبْساً وإن ظُنّ يَرْطبُ
وليس عجيباً ذاك منه فإنه
إذا غمرَ الماء الحجارةَ تصلُبُ

وفى قوله :

عدوكَ من صديقكَ مستفادُ
فلا تستكثرَنّ من الصحاب
فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ
يكونُ من الطعامِ أو الشراب

والشعراء الثلاثة : أبو تمام والمتنبي وأبو العلاء أكثر الشعراء الفلسفيين تأثراً بقضايا الفكر الإغريقى وبمنهجه . أما البحترى فهو أقل الشعراء الحكميين نقلا عن الفكر الإغريقى أو سيرا فى منهجه ، وإن لم يخل شعره من العقل الذى هو أحد مظاهر التفكير الفلسفى : فعندما يقول :

والعقلُ منْ صيغة وتَجْرُبة
شكلان : مولوده ومكتسبه

ويقول كذلك :

وسألت من لا يستجيب وكنت فى اسـ
ـتخباره كمجيب من لا يسأل

عند ما يقول هذا أو ذاك يعطى القارىء له صورة من الشعر فى صياغة الفلسفة ودقة المنطق.

أما ابن الرومى فتأثره بالتفكير الفلسفى كان أكثر بالنزعة التى سادت التصوف الشرقى ، وهو التصوف الهندى من الميل إلى العزلة والتنفير من الحياة القائمة . وصاحب مثل هذه النزعة يحاول من جانب آخر ، فى استمرار وفى تأكيد ، الاعتراف بالله والتدليل على وجوده . وهذه الظاهرة نجدها فى شعره عندما يقول :

وإخلاصُنا التوحيدَ لله وحدَه
وَتَدْيينُنا عن دينه فى المقاومِ
بمعرفة لا يَعْرفُ الشكُّ بابَها
ولا طعنُ ذى طعَن عليها بهاجم

وإعمالُنا التفكيرَ فى كلِّ شُبهةٍ
بها حجةٌ تُعْيِي دُهاةَ التراجم

ثم بعد ذلك نجده يدعو إلى عدم التأثر بالحياة التى يعيشها الإنسان على الأرض فى صور مختلفة .

مرة عن طريق استخدامه تجربته الخاصة فى قوله :

حضضتَ على حَطْبى لنارى فلا تدعْ
ـ لك الخيرُ ـ تحذيرى شرورَ المحاطب

ومن يلقَ ما لاقيتُ من كل مجتنى
من الشوكِ يزهدْ فى الثمارِ الأطايب

إذا اقتنى الأسفارُ ماكرهَ الغنى
إلىّ وأغرانى برفضِ المطالب

ومن نكبة لاقيتُها بعدَ نكبة
رهبتُ اعتسافَ الأرض ذاتِ المناكبِ

فصبرى على الإقتارِ أيسرُ مَطْلبا
على من التغريرِ بعدَ التجارب

ومرة بنصحه بالاكتفاء الذاتى فى قوله :

إذا لم يكن عندى سوى ما يَكُفُّنى
فشُحى عليه مثلُ شحى على عرضى

لأنى متى أتلفته احتجت حاجة
تُزيلُ مَصونَ العرضِ فى طلب القرْضِ

* * *

وعلى أية حال مهما كان للتفكير الفلسفى أثره الإيجابى فى توسيع رقعة التفكير فى الشعر أو فى صقل التعبير فيه فإن له أثرا آخر يبعد الشعر عن مجاله الأصيل وهو الوجدان ، وبذلك يفقد شيئا قليلا أو كثيرا من خاصيته فالخيال عنصر رئيسى فى إثارة الوجدان ، بينما المنطق هو الأساس الأول فى التفكير الفلسفى .

مجالان مختلفان : مجال العقل ومجال المنطق وتعبيران متقابلان : تعبير الفكر الفلسفى وتعبير الشعر ، وأولى — لكى يبقى للفكر الفلسفى منطقه وتأثيره على العقل ، ولكى يبقى للشعر خياله وتأثيره على الوجدان — ألا يخضع الشعر للتفكير الفلسفى ومنهجه وطريقة تعميقه ، كما لا يخضع التفكير الفلسفى فى أسلوبه وصياغته للعنصر الأساسى للشعر وهو الخيال .

وبذلك يبقى للإنسان فى التأثير طريقان :

طريق العقل لمن يؤثرون متعة العقل .

وطريق الخيال لمن يتأثرون بالوجدان أكثر من تأثرهم بالعقل ومنطقه .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

الأخلاق من أدب النبوة

الحياء

من كلام النبوة الأولى

للأستاذ محمد محمد المدني

روى البخاري فى صحيحه وأحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ماشئت) .

وهذا القول النبوى الكريم يمكن أن يفهم على معنيين .

أحدهما أنه إرشاد إلى علامة صادقة وبرهان مقنع يهدى المؤمن إلى ماهو خير فيقبل عليه وإلى ماهو شر فينصرف عنه .

فمعنى الكلام : أعرض على نفسك كل شىء قبل أن تفعله فإن أدركك حياء من فعله فهذا دليل على أنه فعل قبيح فانصرف عنه ، وإذا اطمأن إليه قلبك ولم تستح منه نفسك فاعلم بأنه خير وصلاح فأقبل عليه .

وهذه خاصية من خواص المؤمن الذى يعلم أن له ربا يطلع عليه ولا يغيب عنه فهو رقيب عليه حسيب على جميع أعماله ، إن هذا المؤمن كلما هم بفعل وجد نفسه من حيث يريد أو لا يريد معقبة على هذا العمل فيدركه حياء وانقباض إذا كان قبيحا ويدركه إقدام واطمئنان إن كان حسنا .

فهذا القول المأثور عن النبوة الأولى : يحيل المؤمن إلى هذه العلامة النفسية التى لا تفارقه ، وهى الحياء من الشىء أو عدم الحياء منه .

وفى القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » . فالفرقان الذى يجعله الله للمتقى هو ذلك الإحساس النفسى الخفى أو هذا الهتاف القلبى بأن شيئا ما ، حسن وشيئا ما ، قبيح .

فالمؤمن المتقى توجد عنده ملكة الفرق بين ما يرضى الله وما يغضبه وذلك هو الفرقان ولا مانع من أن يكون هو الحياء من الشىء أو عدم الحياء منه .

وقد وردت كلمة (الفرقان) فى كتاب الله

عز وجل بمعان كلها تتصل بالفرق بين الحق والباطل) ومن ذلك أن القرآن الكريم يسمى (الفرقان) : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » ، ومن ذلك أن الله تعالى أطلق على يوم التقاء الجمعين ببدر (يوم الفرقان) وفى بعض ما فسر به قوله تعالى : « ألم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل. من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » إن (الفرقان) فى هذه الآية ليس المراد به (القرآن) لأن القرآن قد ذكر فى صدر الكلام حيث قال: « نزل عليك الكتاب بالحق » فلا يحسن التفسير الذى يؤدى إلى أن فى الكلام تكرارا ولأن التعبير جاء فى شأن (الفرقان) بقوله (أنزل) دون قوله (نزل) كما جاء فى سورة الفرقان : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده » والغالب فى القرآن التعبير عن نزوله بقوله : (نزل) لإفادة معنى التنجيم وأنه لم ينزل دفعة واحدة ، وإذاً فالفرقان فى هذه الآية ليس هو القرآن وإنما أراد الله تعالى به (العقل) فإنه فرقان للإنسان يفرق به بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، وما ينبغى أن يقدم عليه أو يتركه .

والتعبير بالإنزال على هذا المعنى كالتعبير به فى قوله تعالى : « وأنزلنا الحديد » والقصد منه إفادة أن العقل منحة إلهية للإنسان بمقتضى الخلق والتكوين ، فهى فى أصلها وفى تفاوت الناس حظوظا منها ، هبة ونعمة ومنحة لا دخل فيها للإنسان .

وهذا المعنى يتلاقى من قريب بمعنى «الفرقان» الذى ذكرناه فى قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » فكلاهما يدل على أن الله يمنح بعض عباده ملكة أو قوة يفرق بها بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، ونحو ذلك ، وقد ربطت هذه الآية « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » بين التقوى والفرقان بأسلوب الشرط والجزاء لتدل على أن من ثمرات التقوى حصول ملكة التمييز والتفرقة ، وهى ملكة كريمة عظيمة الآثار فى حياة الناس ، فإن الذى يمنح ملكة الفرقة والتمييز بين الأشياء مثله كمثل الذى يمنح نعمة البصر ، والذى يحرمها مثله كمثل الأعمى ، والإنسان كما هو محتاج إلى نور البصر ، محتاج إلى نور البصيرة .

وقد ورد فى القرآن أيضا « واتقوا الله ويعلمكم الله » والمراد الربط بين التقوى والعلم لا على معنى أن الله تعالى يهب المتقين من لدنه علما ربانيا فحسب، كما يعتقد المتصوفة، ولكن على معنى أنه يجعله بالتقوى مستكملا لأسباب العلم والعرفان ، فيبحث ويستطلع ويستكشف متعلقا بهذه الأسباب ، فيعلم ، فالأساس فى هذا كله هو النور الذى يجعله الله تعالى للمؤمن.

وفى القرآن الكريم عن يوسف وامرأة العزيز : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » فالبرهان الذى رآه يوسف والذى لولاه لهم بها هو الحياء الذى يتحدث عنه القول النبوى المأثور ، وهو الفرقان الذى تتحدث عنه الآية السابقة ، ومما يدل على ذلك أن امرأة العزيز فقدت هذا البرهان فراودته عن نفسه والمرأة لا تراود الرجل عن نفسه إلا إذا لم يبق عندها ذرة واحدة من الحياء ، لكن يوسف لما رأى برهان ربه استعصم وما كان ذلك البرهان إلا الحياء كما يفهم من موضع آخر من هذه القصة « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال: معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى» فهى تراود وتغلق الأبواب وتعرض نفسها باذلة عرضها على هذا النحو لأنها لم تر البرهان الذى هو الحياء وهو يتمثل ربه الذى أكرم مثواه فيدركه الحياء من أن يراه مسيئا وقد أحسن إليه وسواء أفسرنا الرب فى قوله : « إنه ربى أحسن مثواى » بأنه الإله الخالق جل جلاله أو بأنه سيد القصر الذى اشترى يوسف فأصبح سيده وربه أى مالكه فإن المعنى أن يوسف يستحى من هذا الرب أن يراه فى هذا الوضع الشائن ولذلك يستعصم ويفر من المرأة الحسناء التى راودته وتهيأت له وهيأت له جو الأمان فيسبقها إلى الباب .

فالحياء إذا برهان للمؤمن وفرقان ونور مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ولذلك ورد أن رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم قال : (الحياء هو الدين كله) وقال : (من لا حياء فيه لا خير فيه) .

المعنى الثانى الذى يمكن أن يفهم عليه هذا القول النبوى هو معنى الإيعاد لا معنى الإرشاد يقول له :

إذا فقدت خلق الحياء فافعل ما بدا لك فقد أصبحت خارجا عن دائرة العتاب والحساب وهذا ينطوى على تهديد عظيم فإن قوله عليه الصلاة والسلام (فاصنع ما شئت) شبيه بقوله تعالى: « اعملوا ما شئتم إنى بما تعملون بصير » .

وسواء أكان معنى القول النبوى المأثور هو هذا أو ذاك فإن الأمر يدل مبلغ ما للحياء من أهمية وشأن خطير ، ولذلك اتصل خلق الحياء بحركات الجسم الطبيعية بتكوين إلهى فى الإنسان خاصة ، فهو الذى يحمر وجهه خجلا إذا رأى أو أقبل على ما يشينه وقد يبلغ الحياء الخلقى لبعض الأفراد إلى أنهم لا يستطيعون السيطرة على أعضائهم ولا يمكنهم التحرك فى المجالس التى يستحيون منها فهى إذا طبيعة جبلية تساعد على تركيز هذه الفضيلة النفسية .

ومما يؤسف له أن بعض المجتمعات تعمل

على إماتة هذه العاطفة حسا ونفسا وذلك بتهوين أمر الرذيلة وتفخيم شأن الحرية والمدنية الكاذبة ولذلك نرى البيئات الفطرية يظل الحياء فيها غضا بينما نرى البيئات الصناعية قد استهانت بكل الموازين واجترأت على اقتحام جميع الحدود .

فاللهم ارزقنا الحياء واجعله برهانا لنا وفرقانا وعصمة وهدى وأمانا .

وقد يظن بعض الناس أن الحياء خلق سلبي بمعنى أن الإنسان يقف بالحياء موقف الذى لا يفعل ، ليس بخلق إيجابي وهذا ظن خاطىء فإن الحياء كما هو خلق مانع ،هو أيضا خلق دافع فإنك إذا كنت مكلفا بعمل راودتك نفسك أن تتكاسل عنه ثم تذكرت موقفك بمن كلفك فإن الحياء حينئذ يدركك فتندفع إلى العمل حتى لا تقف موقف المقصر .

ثم إن ميادين الحياء لا تنحصر ، فكل جانب من جوانب الحياة يصلح بهذا الخلق ويفسد بضياعه : إذا كنت عالما وأفتيت الناس ارتجالا دون بحث ودرس واطمئنان إلى ما أفتيت به فإن هذا مناف للحياء .

إذا كنت قاضيا وحكمت بالهوى أو قصرت فى معرفة الحق فإن هذا وذاك منافيان للحياء .

إن صاحب الحياء يستحى من أخيه ومن ابنه ومن زوجته ومن المجتمع بل يستحى من نفسه وهو فى هذا كله يذكر ربه الذى يراه وإن لم يكن يراه ولابد لنا من أن نفرق بين الحياء والضعف والانكماش فإن للحياء حدا إذا تجاوزه انقلب ضعفا وقصورا وهذا هو الشأن فى جميع الفضائل فالشجاعة إذا خرجت عن حدودها ومواطنها أصبحت تهورا ،والصبر إذا خرج عن حدوده ومواطنه أصبح تبلدا فكذلك الحياء قد تزيد فى بعض النفوس أخلاطه وتختل مقاديره فيصبح ضعفا وانكماشا ونقصا ولذلك نرى فى المجتمعات بعض الأفراد يستحيون من الشىء لمجرد أنه لم يؤلف وإن كان صلاحا ورشادا وإلا فما هو المبرر لأن يستحى طالب الجامعة الفقير بأن يزاول عملا بعد الظهر يستعين به على إتمام دراسته مثلا ، وما هو المبرر لأن تستحى الفتاة من أن تغطى شعرها وهى فى الجامعة وما هو المبرر لأن يركب الفقير الدرجة الأولى حياء من أن يراه زميل له وهكذا .

إن بين الفضيلة والرذيلة فى العادة خيطا رفيعا واللبق الحصيف صاحب الوعى والفرقان والبرهان هو الذى يدرك الحد الذى يجب ألا يتجاوزه .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

العربُ فى أندونيسيا

للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفرى

فى مدينة صولو بأندونيسيا التقى صاحب هذه الدراسة الأستاذ عبد القادر عبد الله الجفرى بفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

وتوثيقا للتعارف بين المسلمين وتعاونهم فى مختلف ديارهم طلب الإمام الأكبر من الكاتب إعداد دراسة عن « العرب فى أندونيسيا » وحالتهم الاجتماعية ، وما ينقصهم ويعترض سبيلهم فى أداء رسالة الإسلام وتعاليمه .

وسوف يجد القارئ متعة فى التعرف على أحوال إخوانه فى الشرق الأقصى . . . وسوف يتحقق أننا جميعا أمة واحدة ـ حتى فى المتاعب والآلام ! وسيجد الاستعمار يصطنع بذور الشقاق ثم ينميها بين عرب أندونيسيا ، ليغدو العرب المسلمون : علويين وإرشاديين يضرب بعضهم وجوه بعض ، بأسهم بينهم شديد ، وعدوهم يتناحرهم سعيد .

والكاتب عربى علوى . . . وإن كان يدعو ويلح لوحدة الصف والتئام الشمل ، وهو يعرض نشاط المعاهد العربية فى ربوع أندونيسيا رغم ما يرهق العرب من خلافات ومشكلات ويعرض تجارب تعليمية تستحق الدرس والتقدير وهو يرجو لهذا النشاط المزيد حين تظفر هذه الجهود المحدودة برعاية الحكومات العربية والإسلامية ، وفى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة بأزهرها العتيد .

أشرق نور الإسلام فى الشرق الأقصى فى منتصف القرن السابع الهجرى ، ومنتصف القرن الرابع عشر الميلادى تقريباً ، وأخذ ينتشر ويمتد فى ربوع الأرخبيل الأندونيسى وشبه جزيرة الملايا وجزائر الفلبين بواسطة التجار والرواد الإسلاميين الذين كانوا يجوبون البحار . وكانت شبه جزيرة الملايا وسومطرة الغربية الشمالية وجزيرة صولو بالفلبين وجزيرة جاوة هى أول ما حظيت فى الشرق بالسعادة الدينية الإسلامية ، فقد وفد إليها التجار الحضرميون من طريق خليج البنغالا وسيلان ومن طريق الهند الصينية فى ذلك العهد . وهم أفراد من أسرة آل عبد الملك كما كشفت عن ذلك الوثائق وشواهد قبورهم . وعبد الملك هو ابن على ابن علوى

من أحفاد المهاجر السيد الشريف أحمد بن عيسى ابن محمد بن على العريضى الذى هاجر بأسرته من البصرة إلى حضرموت فى سنة ٣١٧ هجرية .

هاجر عبدالملك من حضرموت فى أواسط القرن السادس الهجرى [1] واستوطن عبد الملك فى السند فى أحمد آباد وأعقب هناك وانتشر أحفاده فى بلاد الهند .

تاريخ الإسلام فى جزائر الشرق الأقصى

لم يكن أولئك الدعاة الأولون للإسلام فى جزائر الشرق الأقصى رواداً للاستعمار ، ترعاهم حكومات وتسجل حركاتهم وتنقلاتهم ، ولم يكونوا بعثات تبشيرية تمولها منظمات وهيئات من ورائها الدول الاستعمارية فاتحة تخط لها خطوط سياستها وتدون تقاريرها . بل إنما كانوا رجالا مؤمنين فى صور تجار ترجح فى نفوسهم كفة الدين كفة الدنيا ، فلم تكن هناك لهم آثار كآثار الفاتحين ولا سجلات كسجلات المبشرين المأجورين . لهذا لم تكن هناك مصادر يستق منها المؤرخ لدخول الإسلام ما يشفى الغليل بل كان للاستعمار الهولندى فوق هذا وذاك جهود جبارة لطمس الآثار وجهود جبارة فى استئصال وتقصى الكتب التى لها علاقة بالإسلام حين دخوله واحتجازها بشتى الوسائل والأساليب ، لغرض هو فصل الحاضر عن الماضى ليتسنى له تشويه الحقائق التاريخية وبذر الخرافات وطمس الصلات التى ربطت بين الشعب الأندونيسى وأخيه الشعب العربى ، ودس الكذب على التاريخ وأبطاله .

بالرغم من ذلك كله فإنه لا تزال هنا وهناك قرائن ووثائق احتفظت بها بعض الأسر المالكة فى المقاطعات والجزائر . وهنا وهناك آثار وشواهد فى المعابد والمقابر تضىء لنا السبيل إلى الحقائق وتدل دلالة قاطعة لا مجال لإنكارها ولا مندوحة لأولئك الذين كتبوا التاريخ الإسلامى من المتأخرين فأساءوا إلى ماضى الوطن السعيد وتاريخ الشعب المجيد ، وقدموا للأجيال الناشئة صوراً تاريخية مضطربة مذبذبة كلها تشكك وافتراضات والتواء .

ترى ماذا كان يدفع أولئك الذين تصدوا للكتابة للأجيال ؟ وماذا دعا العلماء المسلمين فى الوقت الحاضر وبعد زوال أعداء الإسلام المستعمرين من رجال الأحزاب الإسلامية ألا يكشفوا عن تلك الحقائق اللامعة ، ويردوا هذه المغالطات والافتراضات التى كتبت ودرست للناشئة الإسلامية الأندونيسية فى عهد حريتها ؟ أكان هذا منهم لعدم تتبعهم للقرائن والوثائق وربط بعضها ببعض حتى تتكون الصورة الصادقة ويظهر الحق ؟ أم

---

[1] يراجع كتاب « عقود الماس » للعلامة المؤرخ السيد علوى بن طاهر الحداد العلوى — طبع سنغافورة .

أن الحزبيات والأغراض السياسية أضاعت بينهم هذه اللبنات الأساسية لبناء الوطن الجديد، لأن لكل أفهاما وأغراضا أنستهم هذه الناحية من تاريخ الوطن وغطت هذا الجانب العزيز من حضارته ونهضته فاختفت بين هذه المتناقضات ؟ أم أن حرارة القومية والوطنية طغت على الناس فبغضت إليهم أن يدخل فى تاريخ أوطانهم وحضارتها رجال ينتمون إلى أمة أخرى ؟ .

إن التاريخ مرآة الشعوب الصافية ، لا يكدرها ولا يشوهها إلا ما يلقى عليها من ظلال العصبية ، ودخان الأغراض الشخصية والسياسية ، وأن هذه إساءة متعمدة إلى الإنسانية جمعاء فى مراحل تطورها وفى مجال اتجاهاتها إلى الرقى والكمال وفى أدوار تقاربها فى سبيل الإخاء والتعاون .

ولعل هؤلاء الكتاب إنما كانوا يستقون من المستنقعات التى حفرها الاستعمار . وكم ترك الاستعمار من ألغام وبث من سموم فى أجزاء البلاد وثراها !

إن العرب الحضرميين ، والعلويين منهم بوجه خاص . هم السابقون الأولون الذين حملوا مشعل الإسلام إلى الشرق الأقصى وجزائر القمر ومدغشقر وإفريقيا الشرقية . ولكيلا نطيل بنقل النصوص فإنا نحيل الباحث أولا على كتاب : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر « للمؤرخ شمس الدين الأنصارى الدمشقى المعروف بشيخ الربوة المتوفى فى القرن الثامن الهجرى تقريبا - وقد طبع كتابه هذا سنة ١٢٨١ وإن كانت عليه ملاحظة فى أسباب هجرة العلويين إلى الشرق الأقصى ، وكتاب : عادات المورو ودينهم فى الفليبين للدكتور نجيب صليبى اللبنانى المطبوع فى جزءين عام ١٩٠٥ فى مانيلا . والدكتور نجيب صليبى مهاجر من أهالى حوران توفى عام ١٩٣٥ م والمورو هم المسلمون كما يسميهم الأسبان ، ونحيل أيضا إلى كتاب : حاضر العالم الإسلامى وتعليقات الأمير شكيب أرسلان وتعقيباته عليه : مادة دخول الإسلام إلى جاوه فى الجزء الأول من ص ٢٧٦ إلى ص ٣٧٥ الطبعة الثانية القاهرة ، ومادة : بيانات عن الحضارمة فى الجزء الثالث من ص ١٢٠ إلى ص ١٨٣ الطبعة الثانية القاهرة أيضا . كما أن فى إدارة أوقاف مسجد (امفيل) بسربايا الذى أسسه الداعية الإسلامى الأول بجزيرة « جاوه » الشرقية آثارا ووثائق من عهد ذلك الفاتح الدينى . وقد نشرت تلك الإدارة منذ عامين نشرة تتضمن سلسلة نسبته إلى السيد الشريف المهاجر أحمد بن عيسى النقيب ، الذى جاء حضرموت واستوطن بها سنة ٣١٧ هـ .

وقد اكتشف المكتب الدائم لضبط أنساب العلويين فى الشرق الأقصى التابع

الرابطة العلوية ، وثائق انتساب السلاطين والأمراء فى (فونتيانا) بجزيرة كالى مانتن الأندونيسية وفى فلباغ بجزيرة سومطرة الشرقية وسلاطين جاوة الوسطى وجاوة الغربية وأمراء وعلماء فى آجيه بسومطرة الغربية الشمالية .

على أنه توجد أسر كثيرة انصهر أبناؤها فى الشعب الأندونيسى فتسموا بأسمائه ، وحلوا ألقاب الشرف الأندونيسى منذ سبعة أجيال وخمسة ، لكنهم رغم ذلك لم يزالوا يحتفظون بوثائق سلاسل النسبة العلوية . وقد حداهم إلى حمل الأسماء والألقاب الأندونيسية التهرب من القانون الاستعمارى الذى لا يسمح بالتملك - وخصوصا للأراضى الزراعية - والتنقل فى أرجاء البلاد بحرية ، والتعلم فى المدارس الهولندية ، واحتلال الوظائف الإدارية البلدية ، إلا لأولئك الذين يتمتعون بالإضافة إلى أندونيسيتهم بشرف لقب (رادين) وهو لقب له دلالة على الاتصال بالأسر المالكة نسبا أو مصاهرة .

فالزعيم الإسلامى الكبير الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو مؤسس حزب (شركة إسلام) أول منظمة إسلامية أندنوسية ، وختنه الدكتور الشهير (سوتومو) أعلنت نسبتهم بعد وفاتهم فى زمن الاستعمار . ولا أزال أذكر يوم نشرت جريدة (ماتاهارى) بجاوة ثانى يوم وفاة الدكتور سوتومو عام ١٩٣٤ ميلادية - نسبة المنتمى إلى أسرة آل باعبود العلويين ، وهذا مجال يمتد ويدفع إلى الإطالة والإسهاب ، فلنكتف بهذا ، إذ أن القرائن والوثائق فى هذا الموضوع كثيرة ، ولا تزال شاخصة .

وقد جمع الأستاذ الشاعر المرحوم السيد أحمد بن عبد الله السقاف العلوى جزءين فى تاريخ الإسلام بأندونيسيا ، يصح أن يقال بحق إنه أصح تاريخ مدعم بالمصادر والبراهين: ولكنه لا يزال مسودة . . وقد أهدى من ورثة ذلك الأستاذ السيد العلامة المؤرخ علوى بن طاهر الحداد مفتى جهور بجزيرة ملايا . بدأ تاريخه رحمه الله بعهد ما قبيل الإسلام مباشرة وما كانت عليه الأمة الجاوية من دين وعادات إلى آخر عهد الاستعمار .

الدعاة الأولون وأسلوب نشر الإسلام بجاوة

كان الداعية الأول بجاوة الشرقية الشريف: رحمت ، وهو من أحفاد الشريف أحمد بن عبد الله بن عبد الملك بن محمد بن على صاحب مرباط — بظفار — العلوى — هاجر جده الأعلى عبد الملك المذكور إلى السند ، واستوطن أحمد أباد فى منتصف القرن السادس الهجرى وأعقب هناك وانتشر عقبه فى الهند ، وكان لهم هناك مقام سام ،

ويعرفون بآل عظمة خان ، وانتشر رجال تلك الأسرة خصوصا بعد اختلال الأمن فى الهند وحروب آل طلغلق والمهراجات ، فقد كان منهم من ذهب بطريق الهند الصينية، ومنهم من ذهب إلى البنغال ، وعبر من خليج بنغالة إلى شبه جزيرة الملايا وسومطرة وهما إسحق ، وأبو بكر ، فالأول أقام برهة فى (سيقون) فى الهند الصينية ، والثانى ذهب إلى الملايا وتزوج بكريمة سلطان جوهور ، وتتابع الإخوة وأبناء العمومة إلى جزائر الشرق .

وقد وطئ الداعية الأول بجاوة الشريف رحمة الله مؤسس مسجد أمفيل بسربايا جزيرة جاوة عن طريق الهند الصينية ، وتبعه بعده أخوه إسحق الآنف الذكر المقبور الآن فى بونغ بجاوة الشرقية ويعرف بلقب (سونن بونغ) ، ثم جاء بعدهما ابن إسحق ، الشريف محمد عين اليقين ، المقبور فى فيرى بجاوة الشرقية أيضا والمعروف أيضا بلقب (سونن فيرى) — وقد تزوج هذا بكريمة الملك البوذى فى ماجافاهيت بجاوة الشرقية ، تزوجها بعد أن أسلمت فى حكاية مشهورة يتناقلها الأحفاد عن الأجداد محفوفة بكثير من الخرافات والأساطير .

والمشهور ان الشريف محمد عين اليقين هذا مجاب الدعوة وقد ظهرت على يديه خوارق مشهورة . وكل أولئك أعقبوا فى هذه البلاد ، ومن أشهر أبناء الداعية الأول الشريف رحمة الله ابنه المدعو الملك ابراهيم المقبور فى مدينة قرسى بجاوة الشرقية ، وتلا أولئك الدعاة الشريف هداية الله المقبور فى (فونغ جاتى) جبل الساج فى مدينة شربون بجاوة الغربية . وفى تلك الأثناء اشتهر (رادين فتاح) وهو ابن ملك ماجافاهيت من زوجة ثرية صينية أسلم ذلك الأمير على يد الشريف إسحق وسمى عبد الفتاح ، وهو الذى أسس مدينة دماك بجاوة الوسطى . وهو أيضا أحد العلماء الإسلاميين الملقبين بلقب والى سوغو ، يعنى الأولياء التسعة الذين بنوا مسجد دمـــك الشهير القائم إلى اليوم ، وعبد الفتاح هذا هو الذى حارب أباه البوذى بعد أن ظهرت منه المقاومة للدعوة الإسلامية والتدابير للقضاء على أبطالها ، وعلى يده انهارت مملكة ماجافاهيت الشهيرة .

أما طريقة أولئك الدعاة فى نشر الإسلام : فانهم جعلوا من منازلهم معاهد ومدارس لإيواء المريدين والطلاب من أبناء الشعب وشبابه ، والقيام بتكاليف معاش بعضهم ، وتعليمهم العقائد الدينية والواجبات العينية والمبادئ الإسلامية الطاهرة دون أن يتعرضوا لإنكار العادات التى لا تمس العقائد ثم بث المتخرجين فى النواحى والقرى لإقامة

المصليات والمعاهد لتعليم القرآن والأحكام على ذلك الأسلوب.

ولقد كان لهذه الطريقة السهلة أثر فعال حيث إن أكثر الأهالى لم يزالوا على الفطرة، وقد سوا فى هذا الدين أشياء رفعت الروح الإنسانية فيهم من حضيض الحيوانية والاستعباد.

وقد وجد الدعاة الأولون التربة الخصبة الطاهرة، فسرعان ما انتشر الدين الحنيف فى أرجاء أندونيسيا، وكان لمرونة أولئك الدعاة وصبرهم نصيب وافر فى تحبيب هذا الدين الحنيف الذى أبقى على كثير من الأعياد والأفراح الموسمية وإحياء الليالى بالسهرات التمثيلية والرقص، بل أدخلوا فى كل ذلك عنصراً جديداً من الأغانى والأناشيد من الآداب والحكم والفلسفة وجعلوا من الأبطال الخياليين فى التمثيليات أبطالا إسلاميين، مما حول الصور الفنية إلى معانى إنسانية إسلامية وبهذا لقى انتشار الإسلام كل سهولة.

تتابع هجرة العلويين :

بفضل أولئك الدعاة الأولين وأبنائهم دخل الإسلام كل جزائر أندونيسيا والفيلبين وبالإسلام لمع اسم أندونيسيا، وكانت تعرف فى ذلك الزمان بواق واق، وأصبحت السفن التى يمتلكها التجار العلويون، أو يستأجرونها تمخر عباب بحر الهند ما بين خليج بنغال وملايا وسرنديب ومدغشقر يقودها ربابنة منهم، ولا تزال بقايا أسرهم الجديدة فى هذا المهجر معروفة إلى اليوم فى آجية بسومطرة الغربية وفليمباغ بسومطرة الشرقية وفى شبه جزيرة ملايا من أسرة آل الزاهر وآل الجفرى، وتتابع ورود أفراد العائلات العلوية إلى هذه الجزائر خصوصا بعد اختلال الأمن بحضرموت وتنازع القبائل على النفوذ والسيطرة. واستمر الاتصال المباشر بصورة دورية بين جزائر الشرق وحضرموت أثناء القرن الحادى عشر الهجرى. وتكونت أسر جديدة منهم فى المهجر من كل تلك الأسر المعروفة من العلويين فى حضرموت.

وتناسلوا وانبثوا فى أرجاء هذا الشرق الخصيب المسلم، ولم يكن غير العلويين أحد من الحضارم يعانى الأسفار ويغامر فى البحار؛ إذ أن أهالى حضرموت يومئذ كان أكثرهم بادية وزراع، والطبقة المتنورة التى لا تقل عن طبقة العلويين علما وثقافة هم المشايخ الصوفية المعروفون من آل عمودى وآل بافضل وآل باقشير وآل باوزير. وكانت هذه الأسر قليلة الأفراد، وكانت إلى ذلك تنعم

بسلطة روحية فى القطر الحضرمى ، ولهم مما تغله الأوقاف والأطيان المحبوسة ما يغنيهم عن النزوح عن الوطن الحضرمى .

الاستعمار الهولندى وأثره :

فى أواخر القرن العاشر الهجرى ومطلع القرن الحادى عشر منه بالذات عرفت أندونيسيا ذلك النوع الجشع من البشر الذى وفد باحثا عن خيرات الشرق وحاصلاته التى كان يشتريها فى بلاده أوروبا بوزنها ذهبا وفضة ، واستحكم الغريب الهولندى الذى منيت به أندونيسيا وثبتت أقدامه فيها بالخداع والمكر ثم بالقوة . وفى تلك الأجواء أخذت وسائل النقل والمواصلات فى الكثرة والتحسن ثم شقت قناة السويس ، وأضحت السفن والبواخر غادية رائحة من وإلى الشرق الخصيب الغنى ، وتطورت المنتجات وتنوعت المصنوعات . وشرع المهاجرون الحضرميون يغدقون على أسرهم وعائلاتهم بحضرموت من ثمرات جهودهم التجارية ، وظهر فى تلك الأسر الحضرمية تطور فى أسلوب المعيشة ، حينئذ تفتحت عيون الحضارم من سكان الأرياف والبوادى والزراع والعمال وبدأ سيل الهجرة يتدفق على هذه الجزائر الغنية ذات المعيشة السهلة ، والأهالى الطيبين .

وحمل هذا السيل الجارف فى غواربه أخلاطا وأوشابا من الآدميين والجهال والرعاع معتمدين على قوة سواعدهم وجلدهم لا سلاح لهم من دين ولا ثقافة ولا معرفة لهم بأساليب التجارة ، ولا مال يتأثلون به ولا شىء من المؤهلات ، فماذا يصنعون ؟ وفى أى سبيل لطلب المال والثروة يسلكون ؟ لم يكن أمام هؤلاء بادئ ذى بدء إلا الاستجداء ، ويتجمع من الاستجداء ، ما شاء الله من المال ! ! هنا يتدربون على البيع والشراء لبعض الحاجيات الصغيرة ، فيدورون فى الحارات والقرى والمنازل يبيعون بضائعهم بالدين والنسيئة ويدفع الثمن مقسطاً بأرباح كبيرة ، ثم تغريهم سذاجة الأهلين وطيبتهم فيبدءون فى السير فى طريق المراباة والحيل . ولقد نبغ منهم الكثير فى هذه العمليات فاحتلوا مكانا من هذه الدنيا الصاخبة بالسكان وامتازوا فى اختراع أساليب الابتزاز ، وانبثوا فى الدساكر والقرى ، وأثرى جلهم إن لم نقل كلهم ثراء فاحشاً حيث كانوا لا يتورعون فى الوسائل الابتزازية ، مستغلين الطيبة النفسية فى الأندونيسيين . وهكذا اشتد تيار الهجرة من جميع أجزاء الجنوب العربى ، ومن جراء ذلك كان بدء التحول فى تاريخ العرب بأندونيسيا .

صورة نظيفة :

لقد كان العربى المهاجر حتى أواخر القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر صورة صادقة للمسلم الداعية ، والعربى المجاهد . فقد كانوا إلى جانب أعمالهم التجارية النزيهة ومعاملاتهم الطيبة ، وصناعاتهم النافعة يجعلون من بيوتهم مدارس ومعاهد لتعليم الدين والقرآن واللغة العربية ، ومن المساجد التى أقاموها ملتقى للأخوة والتعارف والتعاون على البر والتقوى . وكانوا يوالون الزيارات ونشر الدعوة بين إخوانهم الأندونيسيين فى القرى النائية ويبنون فيها المعاهد والمساجد ، ويتصلون بشيوخها المسلمين ويعينونهم بالجاه والمال على نشر التعاليم الإسلامية ، وكان الاستعمار ينظر إلى هؤلاء الرجال نظر العدو الحاقد لأنه يراهم السد المنيع دون انتشار التبشير والتضليل ، والمصدر الذى يبعث روح المقاومة للإخلاد والرضى بحكم الأجنبى غير المسلم ويقدح فى وطنية الأندونيسيين زناداً يحول دون التعاون مع الأهداف الاستعمارية الهدامة ، وهم الروح القوية التى تشد أزر الإسلام فى هذه البلاد وبهم تتوحد صفوف المسلمين ، كان المستعمرون يسمون ذلك العربى : المدرسة الجوالة .

أما الأهالى فكانوا ينظرون إلى أولئك الرجال نظرهم إلى الآباء الروحيين ، فيجلون كل ما يتصل بهم وبهذا الدين الحنيف ، وقد بلغ بهم من إجلالهم أن يتبرك أهل القرى بآثار أقدامهم إذا مر أحدهم فى القرية فيأخذون التراب الذى مسته أقدامهم وينثرونه فى منازلهم ! وإذا رأى أحدهم قصاصة من الورق عليها كتابة عربية على الأرض رفعها وقبلها بكل حنان واحترام كأنها من المصحف الشريف ! .

فإذا كانت هذه الصورة من إجلالهم للعرب والعربية ، فناهيك بنفوذ تعاليمهم فيهم .

ولقد امتزج العرب الأولون حتى حدود هذا التاريخ بالأهالى وخالطوهم بالمصاهرة . والتحمت النسبة وتبادلوا المواريث ، ولهذا انصهر الكثير من أبنائهم وأحفادهم فى الأندونيسيين لغة وسحنة وعادات وأزياء بحكم البيئة والأمومة .

لقد كان ذلك العربى الطاهر النزيه هو العدو للاستعمار ، هناك بدأت السياسة الاستعمارية تفكر فى طريقة للحد من هذا النفوذ ، وظلت تضرب أخماسا فى أسداس كى توجد الثغرة التى تنفذ منها إلى حفر الهوة بين العرب والأهالى ، أما إيصاد الأبواب فى وجوه المهاجرين فقد بدأت فيه بسن القوانين

ووجوب دفع ضريبة دخول فاحشة على المهاجرين الواردين ، كما ضايقت تنقلات العرب بين القرى والدساكر بإيجاد أذونات رسمية للتنقلات لا يمكن الحصول عليها إلا بشق الأنفس تحديدا للنشاط العربى والروح الدينية.

الاستعمار يتعلق بالأوشاب :

لا شىء أمام الاستعمار لينفذ منه إلا أولئك الذين وفدوا أخيرا من الحضارم كالوباء الذى يحمل معه جراثيم الانحلال والانهيار ، نعم لم يكن هناك غير المرابين المنبثين فى الدساكر والمدن والقرى ، وأفسح الاستعمار لهم المجال وسمح لهم بمعاطاة الربا وبيع الأثاث المنزلى بالتقسيط المضمون قانونيا ، وعلمهم بواسطة المحامين مواد القانون الاستعمارى التى تضمن للدائن حق الحجز والمصادرة ، فاندفع أولئك الأجلاف يعيشون فى الأرض فسادا ، فأغرقوا الموظفين وأرباب المناصب الحكومية والصناع والعمال وصغار التجار حتى الجنود والشرطة بالديون الباهظة ورباها المضاعف ، وسهلوا نظريا طريقة الدفع بالتقسيط الشهرى والسنوى وتعلموا كيف تكتب الوثائق والبوالص التى تخول لهم حق المصادرة والحجز إذا تأخر الدفع أو تقرر الحجز ، فنبغ فى ذلك البدوى الأمى الحضرمى .

ولو ثقفت يوما حضرميا
لجاءك آية فى النابغينا

وغصت المحاكم بالمرافعات بين المرابين والأهالى وأرباب المناصب والموظفين والصناع منهم .

تشويه وتفرقة :

وهنا بدأت سمعة العرب تسوء لدى الأهالى وكانت الجرائد والمجلات الأجيرة للاستعمار تزيد الشقة اتساعا بما تنشره من الحوادث الجارية من هذا النوع لغرض تشويه سمعة العرب .

وحينئذ ألف الهولنديون كتب المطالعة باللغة الأندونيسية لتدرس فى المدارس الأهلية الحكومية ، والمهم هذه الحوادث مادة لإنشاء القصص والحكايات فيها ، فصوروا الحضرمى عندما يهبط إلى موانى جاوة ، وهو فى خشونة البداوة وقذارة الفقر ووحشية الجهل حافيا نحيفا لا يحمل إلا وسادة متسخة وغطاء قذرا ، وصوروه وهو يدور فى الشوارع على صغار الباعة يجمع الربا اليومى للدين ، متوشحا خريطة نقوده متأبطا هراوته حافيا مشمرا إزاره إلى ركبتيه ، وصوروه وقد انتفخ كرشه وترهل جسمه وغلظ وجهه وصوروه فى بيته وهو يضرب خادمه الأندونيسى وينهره ويطرده ، وأخيرا صوروه وهو يترافع فى المحاكم وبعض الأهالى ، وبين هذه الصور تساق القصص الشيقة ، بأسلوبها

(البقية على صفحة ٥٧٠)

دراسة عن علي مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوي

— ٢ —

كان إخلاص علي مبارك وشغفه بتعليم أبناء وطنه كفيلان بأن يبلغا بجهده غاية النجاح. فقد خرج من المدارس التي كان يشرف عليها ويؤلف لها ويدرس فيها، نوابغ ومجيدون للغة الفرنسية إجادة من درسوها في فرنسا [1] إذ وكان، مع ذلك، لا يشق على التلاميذ ولا يمتهنهم - كما كان الحال إذ ذاك - ولا يرهقهم. كان يمنع ضرب الأطفال منعا باتا ويشجعهم بالهدايا، ويحثهم على أن يلعبوا ويظهروا من نشاطهم البدني ما يستطيعون. ويوصي معلميهم بأن يأخذوهم بالرأفة والرقة والملاينة. وقد كانت نسبة المجانية في عهده ٤١ ٪ في المدارس الأميرية، و٢٣ ٪ في المكاتب الأهلية [2].

وآية إخلاصه في العمل وجلده عليه ما نجده منه عند ما تولى، مرة واحـــدة، جملة من أخطر المناصب وأضخمها مسئولية وأعظمها شأناً وأشقها أداء. فهو في وقت واحد، مدير لسكة الحديد، ووزير للمعارف، والأشغال، والأوقاف، وناظر للقناطر الخيرية، وملحق بحاشية إسماعيل. وقد قام بجهد هذه المناصب والأعمال كلها على أتم وجه وأكمله. وكان يعمل فيها بالليل والنهار. وهو فوق ذلك كله، يشتغل بأمر التلاميذ والمعلمين وكتبهم. ويزور «ديوان المدارس» مرتين في كل يوم. ويضع، في نفس الوقت أيضا، لائحته المشهورة لإصلاح التعليم في الكتاتيب. وينشىء مدرسة دار العلوم لتسد حاجة التعليم من المعلمين. وينشىء دار الكتب المصرية وينظمها. فقد صدر أمر إسماعيل بإنشائها في ٢٠ من ذي الحجة سنة ١٢٨٦ (١٨٧٠م) بناء على مذكرة رفعها إليه علي مبارك باعتباره وزيراً للمعارف، وكانت دار الكتب أول إنشائها تابعة لهذه الوزارة.

وفي ٢٢ صفر من سنة ١٢٨٨ (١٨٧١م) أصدر إسماعيل أمراً بضم جميع المدارس إلى «ديوان المدارس»، وفصل المدارس التي تتبع وزارة الأشغال وضمها إلى هذا الديوان، وأن

---

(١) ص ٤٥ من الجزء التاسع من الخطط.

(٢) من تقرير له بتاريخ أول يوليو سنة ١٨٨٩ رفعه للخديو ونشرته جريدة اللواء بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٠٧ [العدد ٢٢٩١].

يستقل على مبارك بإدارة هذا الديوان، لما رآه فى ذلك من صالح المصلحة، كما جاء فى أمر إسماعيل.

مدرسة دار العلوم :

وفى التاسع من ربيع الثانى سنة ١٢٨٨ (يوليو سنة ١٨٧١) صدر أمر إسماعيل بإنشاء مدرسة «دار العلوم»، وطلب منشئها ووزير المعارف على مبارك من شيخ الأزهر أن يختار له بعض العلماء ليدرس فيها التفسير - بمرتب أربعة جنيهات فى كل شهر - على أن يلقى فى كل أسبوع درسين زمن كل منهما ساعة ونصف. وأن يختار لهذه المدرسة عشرة من طلبة الأزهر يلحقون بها. على أن يمنح كل منهم إعانة شهرية قدرها خمسة وعشرين قرشاً[1] وكان الذين اختارهم شيخ الأزهر للتدريس فى «دار العلوم» هم: الشيخ حسين المرصفى، والشيخ عبد الرحمن الجيزاوى، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى. كما اختار للالتحاق بالمدرسة عشرة من الطلبة، نجد أسماءهم فى أمر من أوامر وزير الأوقاف، على مبارك[2].

(١) نص خطاب على مبارك إلى شيخ الأزهر موجود فى ص ٩٣٣ من الجزء الثانى من المجلد الثالث من كتاب تقويم النيل لأمين باشا سامى.

(٢) فى ص ٩٤٨ من المصدر السابق نص الأمر وأسماء الطلبة.

وكانت دار العلوم عند إنشائها ملحقة بدار الكتب، فى باب الخلق، وكانت تقبل الطالب إذا كانت سنه بين العشرين والثلاثين.

وقد بدأت دار العلوم سنتها الأولى بهؤلاء العشرة من الطلبة. ولكنها عند ما بدأت سنتها الدراسية الثانية يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٧٢ (٢٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٩ هـ) زاد عددهم إلى خمسين.

وممن تعلم فى دار العلوم: حسن باشا جلال، ومحمد باشا صالح، وعبد الرحمن باشا سيد أحمد، ممن بلغوا أرقى الدرجات فى التعليم وفى القضاء. وكلنا يعلم مكانة دار العلوم منذ نشأتها. وفضل رجالها على اللغة والتعليم والثقافة. فهى، بذلك، من أبرز أعمال على مبارك. لذلك نرجو أن نعتذر فى هذا الاستطراد الطويل فى الحديث عنها. إذ لولا إخلاصه وتفكيره وجلده ما كانت «دار العلوم»، أو على الأقل ما كانت بهذه المثابة والمنزلة فى تاريخنا الفكرى والتعليمى والثقافى.

عالم مؤرخ أديب :

وعلى مبارك يجمع بين صفات العالم وسمات الأديب وخصائص المؤرخ. فهو فى حديثه عن الزراعة[1] مثلا يذكر نشأتها وتطورها منذ كانت عملا بدائياً يقوم به الناس فى

(١) للمسامرة الثامنة والثمانون. ص ٨٠١ - ١٠٤١ - جزء - ٣ - من «علم الدين».

العصور القديمة ويستعملون فيه أيديهم وأرجلهم وتلك الأدوات الساذجة البسيطة من الخشب والحجارة. ويذكر إلى ذلك إحصاءات دقيقة عن تقدم الزراعة فى فرنسا فى القرن التاسع عشر ونماء الثروة القومية بسببها، وهو لا يدع حديث الزراعة حتى يذكر شيئاً من الشعر العربى القديم.

ونجد ذلك فى شىء كثير جداً من مسامراته فى «علم الدين».

وكان حريصاً على المعرفة والكشف مغرما بهما صبوراً على ما يقتضيان من مشقة وتأن وجهد. وفى حديثه عن زيارته وكشفه «لجبل المرمر»[1] فى بنى سويف، مظهر واضح الدلالة على ذلك.

مصرى العاطفة:

وكان مصرى القلب والعاطفة منصفا. يدل على ذلك - إلى جانب ما أسلفنا من الدلائل - ما قام به فى فترة يسيرة تولى فيها أمر وكالة مجلس التجار، فقد حمد له التجار المصريون عدله فيهم، وإنصافه لهم. بعد سلفه الأرمنى الذى كان يظلمهم ويتحيفهم. لذلك كان أسفهم طويلا، وحزنهم عميقا عندما فصل من عمله هذا.

وكان طبيعيا أن تؤهل هذه الصفات والأخلاق، وهذه الكفاية صاحبها لينال ثقة الحاكمين، وخاصة إسماعيل، فقد رأينا أنه ولاه فى سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧ م) ثلاث وزارات. ثم نجد أمراً من إسماعيل - تاريخه ١٣ جمادى الآخرة من نفس السنة - يقضى بتعيينه «وكيلا عاما لديوان المدارس»، ومن صيغة هذا الأمر ندرك الثقة التى كان يوليها إسماعيل إياه، والمكانة التى نالها عنده، وندرك الأهمية التى كان ينظر بها إسماعيل إلى مشروع على مبارك هذا الذى وضعه لإصلاح التعليم. حتى يضع المجلس الذى يناقش المشروع تحت رياسته. ونجد بعد ذلك - فى ٤ صفر من السنة نفسها - أمرا آخر من إسماعيل بتقرير النظام الذى وضعه على مبارك وأقره المجلس[1].

ثم نجد على مبارك قد تولى من إسماعيل هذه الوزارات نفسها بعد ذلك مرة أخرى

---

(١) ص ٢١ جزء ١٠ من الخطط.

(١) كان أعضاء المجلس هم: الشيخ عبد الهادى الإبيارى، والشيخ اسماعيل الحلبى، مفتى الأوقاف ووكيل الأزهر سابقا، وأحمد أبو مصطفى عمدة ملبج روضة، ومحمد الصيرفى عمدة بلقانة بحيرة، والسيد محمود العطار من عمد المحروسة، والحاج يوسف عبد الفتاح «سر تجار مصر»، وعبد الله بك من أعضاء مجلس استئناف مصر، واسماعيل بك ناظر للهندسخانة والرصدخانة، ورفاعه بك ناظر قلم ترجمة، وعلى بك مبارك وكيل «ديوان المدارس»: عن فرمان اسماعيل ص ٨٢ جزء ٣ مجلد ٢ من «تقويم النيل».

فى سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩ م) بعد ما أحرز من نجاح فيها فى المرة السابقة. فلما رأى إسماعيل بعد ذلك أن يكل أمر هذه الوزارات الثلاث إلى ابنه الأمـــير حسين كامل، بعد ضم بعضها إلى بعض، اختار على مبارك مستشارا له، فى ٢١ جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢ م).

وقد روى أمين باشا سامى قصة ذات دلالة كبيرة على إخلاص على مبارك لوطنه، وعلى بعد نظره، كما تدل على العقلية العالية التى كانت تسيطر على تفكيره. والتى كان يريد أن تتقدم عن طريقها مصر.

فقد كان فى مدرسة «أنجال إسماعيل» التى كانت فى المنيل، عالم فرنسى يدرس فيها علوم الرياضة والطبيعة والكيمياء. اسمه مسيو فيدال. ثم رأى إسماعيل أن يرسل أبناءه إلى أوربا، وأن يستغنى عن خدمات بعض المدرسين الأوروبيين، ومنهم العالم فيدال. وقدم مصر فى ذلك الوقت مبعوث من حكومة اليابان وطلب من فيدال أن يذهب معه إلى اليابان بمرتب أزيد مما كان يعطاه فى مصر، على أن يزاد فى كل سنة، وعلى ألا يترك اليابان إلى فرنسا إلا مرة كل خمس سنوات، فقبل. وعند ما علم على مبارك ذلك أبلغه إلى إسماعيل ملتمسا أن تحرص مصر على بقاء هذا العالم الكبير فيها، لتنتفع به.

واستطاع على مبارك إقناع إسماعيل بإبقائه فبقى، وتخرج على يديه عدد من كبار الرجال فى مصر [1].

ونجد آثارا من طبيعة على مبارك وخصائصه النفسية، لا فى تصرفاته وأعماله وحدها، بل فيما يضع من قوانين ولوائح ونظم أيضا. فقد رأينا فى مشروعه الذى وضعه للتعليم وإصـــلاح النظم المدرسية، أنه فرض «المصروفات المدرسية»، ولكنه تركها من غير تحديد، يدفع القادر منها ما يشاء عندما يشاء، فهو لم يضع لوائح ونظما للإعفاء منها ولا لتحديد مقاديرها ومواعيد سدادها، بل ترك للناس أن يصنعوا ذلك بوحى من ضمائرهم وخلقهم. أشعرهم بأن الحكومة لا تستطيع وحدها أن تعلمهم، وأن ما وقف على التعليم والبر لا يكفى لتعليم أبنائهم؛ وأن عليهم أن يسهموا فى ذلك، كل بالقدر الذى يستطيعه، بلا سطوة من قانون ولا قوة، ولا حرمان لمن لا يدفع، ولو كان قادرا، وهذه هى سماحة الإسلام وتربيته وتهذيبه. تلك التى تجعل للمحتاج حقا فى مال القادر، وتجعل ضمير هذا القادر هـــو الحافز

---

(١) ملخص عن ص: ٦٠٠ من كتاب تقويم النيل - المجلد الثانى من الجزء الثالث

على أن يفعل ويبذل ، وهـذه أيضا هى الاشتراكية الحديثة بأرفع دلائلها ومعانيها .

وقد رأينا أن ضمائر الناس وحدها كانت سببا فى ازدهار المدارس ، وزيادة عـــدد التلاميذ زيادة كبيرة .

على مبارك بقلمه :

هذا الرائد المصرى العظيم ، الذى قام ، وحده ، بجهد يقصر عنه جهد العشرات من الرجال . فى دفع مصر دفعا قويا مضطردا نحو الحضارة الحديثة فى مظاهرها المادية والثقافية . كما نجد تفصيله فى هذه الدراسة ، هذا الرائد العظيم كتب بنفسه قصة حياته وجهاده [1] ، فجاءت قصته هـذه صفحة من أجمل وأروع ما نجد فى الأدب العربى - إلى عصره - من صفحات . وكان صدقه فيها وتسجيله ، ببساطة وإخلاص ، أحداث حياته وشقوته وشقوة أهله وأشباههم من الفلاحين ، وتسجيله ما لقى فى طفولته وصباه من المحن . كان صدقه وهو يسجل ذلك كله ، من أهم ما أضفى على هـذه الترجمة من قوة وعمق ، وأبرز لها من قيمة وتقدير .

وبعض الذين ترجموا له يضيفون إلى اسمه لقب « الرومى » وإن كان جورجى زيدان يذكرها « الروجى » ، ولعله تصحيف . ولست أدرى هل نستطيع أن نتخذ من نسبته إلى « الروم » دلالة على أن فى أصله دماً غير مصرى أم لا . على أن كل الدلائل وما سمعته عن الذين كانت له بهم صلة صداقة أو قرابة أو نسب تدل على أنه كان أصيلا فى مصريته ليس فى عروقه دم دخيل .

وقبل أن نلخص هذه الترجمة الشائقة الفريدة عن سيرته . لابد أن نشير إلى أمر له دلالة كبرى فى التعريف بعلى مبارك ، وإدراك عظمته النفسية .

فهو فى هـذه الترجمة يذكر أشياء ندر أن يذكرها أحد عن صباه وطفولته . وبخاصة من بلغ مبلغه من الجاه والمجد والمكانة . نجد فى حديثه عن صباه وطفولته ما لقى هو وأهله من الهوان والمذلة ، وما قاسى وقاسوا من الفقر والشقاء والمحنة . وهو يفصل ذلك تفصيلا فيه صدق وعاطفة . لاتحس معه أنه يخجل مما كان فيه من هوان وذل ، وما كان فيه أهله من فقر وشقاء ومحنة . بل لعلك واجد من حديثه بعض شىء من الفخار والاعتزاز ، لأنه استطاع بكدحه وجهده وصبره أن يخرج من كل هـذا الفقر والذل والهوان ، وأن يعلو بقدره ويسمو بمكانته إلى أعلى مقام يمكن أن يصل إليه مصرى فى ذلك الزمان . وهو بذلك يضرب أروع المثل للشباب ، وأعظم القدوة لمن يريد ألا يعرف المستحيل ولا أن يعترف به .

---

[1] من ص ٣٧ إلى ص ٦١ من الجزء التاسع من الخطط .

وهذا الاعتراف من على مبارك بهوان أصله وحقارة ماضية . صادق كل الصدق من الناحية الفنية ، رائع أيضا من الناحية التصويرية . فأنت تقرأ له هذه الصفحات التى أطال فيها وأجاد ، فتحس معه بالحزن او الأسف أو الغضب أو الإشفاق . حسبما يتحدث هو من وقائع حياته وإحساسه . ولكنك فى كل هذا جميعا ، معجب أشد الإعجاب بقوة هذه النفس وعظمة هذه الشخصية التى لا تشعر بشئ ما من « مركب النقص » فيحاول صاحبها أن يخفى أو يتستر ، أو يدعى لنفسه ما يشاء . بل يجعل هذه الاعترافات منارا يهتدى به نظرائه وأشباهه من أبناء هذه الأمة من الفلاحين . فلا يعتقدون أن شيئا فى الحياة ، أو منصبا مهما سما وعلا ، بعيد على جهدهم وكفاحهم وصبرهم .

وهذا درس آخر من أعظم الدروس التى نفيدها من حياة على مبارك .

وهذه الترجمة الأمينة الصادقة المفصلة التى كتبها على مبارك لنفسه ، انتزعها صديقه وزميله وتلميذه محمد باشا درى الحكيم وطبعها فى رسالة صغيرة (١) . زاد عليها ذكر أعماله ومؤلفاته فى السنين الأخيرة . منذ وقف على مبارك بترجمته لنفسه حتى مات ، ويقول درى باشا فى مقدمة رسالته أنه هو الذى رسم لعلى مبارك الصورة المتداولة عنه من الذاكرة ثم أرسلها إلى أوربا فطبعت على النحاس ، وقد صدر بها رسالته تلك وكذلك لخص هذه الترجمة المرحوم الأستاذ إلياس الأيوبى (٢) ولخصها أيضا المرحوم الأستاذ أحمد أمين فى ترجمته له (٣) .

مؤلفاته :

لعلى مبارك عدد كبير من المؤلفات . تتناول مواضيع مختلفة كالتاريخ ، والأدب

---

(١) تاريخ حياة المغفور له على مبارك باشا : طبعت فى مطبعة محمد باشا درى التى سماها المطبعة الطبية الدرية بحارة السقايين بمصر المحمية سنة ١٣١١هـ ١٨٩٤م أما محمد باشا درى الحكيم فقد ولد بالقاهرة سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤٠م) ثم التحق بالجندية فى عهد محمد على ، ودخل مدرسة المهندسخانة وكان ناظرها على باشا مبارك ، ثم اتجه لدراسة الطب فدرسه فى باريس حتى أصبح أقدر الجراحين المصريين فى عصره ، وبعد الاحتلال الانجليزى أحيل إلى المعاش فأنشأ المطبعة التى أشرنا إليها واشتغل بها وبالتأليف حتى مات فى ٣٠ يولية سنة ١٩٠٠ [توجد ترجمة وافية له فى الجزء الثانى من كتاب تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر لجورجى زيدان ص ١٩٢ — ١٩٧ وكتاب البعثات العلمية فى عهد محمد على ثم فى عهد عباس الاول وسعيد ، للأمير عمر طوسون ص ٥٦٦ - ٥٦٩

(٢) راجع ص ١٧٢ — ١٩٧ من كتابه تاريخ مصر فى عهد إسماعيل الجزء الثانى .

(٣) فى كتابه زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ص : ١٨٤ — ٢٠١ .

والهندسة العسكرية ، والطب ، والجغرافية ، والحساب ، والحديث الشريف وشرحه ، والموازين والأقيسة ، والهجاء والتمرين على القراءة .

ومن عرض هذه الكتب ، نعرف أن على مبارك كان رجلا موسوعيا متنوع الثقافة ، محيطا بشيء كثير من المعارف التي كان يحتاجها أهل عصره . وكانت مصر تحتاج إليها وإلى من يعرفها في تلك الفترة الحاسمة من تاريخها .

وهذا ما عرف من مؤلفاته : (١) .

١ — تذكرة المهندسين ، وتبصرة الراغبين . طبع سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) م .

٢ — تقريب الهندسة لاستعمال العسكرية المصرية . طبع في مطبعة وادى النيل سنة ١٢٩٨ (١٨٨٠ - ١٨٨١) م .

٣ — تنوير الأفهام في تغذى الأجسام . طبع في مطبعة المدارس سنة ١٢٨٩ هـ ثم في مطبعة الجمهور سنة ١٩٠٣ م .

٤ — جغرافية مصر . طبع في مصر سنة ١٨٩٤ م .

٥ — حقائق الأخبار وأوصاف البحار . ألفه لتلاميذ روضة المدارس المصرية طبع مطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٧ هـ .

٦ — الخطط التوفيقية ، تكملة لخطط المقريزى . تم طبعها في مطبعة بولاق الأميرية سنة ١٣٠٦ هـ .

٧ — خلاصة تاريخ العرب . ترجمة كتاب العالم الفرنسى سيديو . طبع في مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٠٩ هـ .

٨ — خواص الأعداد . طبع في مطبعة المدارس سنة ١٢٨٩ هـ .

٩ — شرح الحديث الشريف : « اعمل بناك كأنك تعيش أبدا » .

١٠ — طريق الهجاء والتمرين .

١١ — علم الدين ، وهو مسامرات علمية أخلاقية عمرانية ، طبع في مطبعة جريدة المحروسة سنة ١٢٩٩ (١٨٨٢) م .

١٢ — الميزان في الأقيسة والمكاييل والأوزان . أثبت فيه أن أصل الأقيسة والأوزان كلها مصرى . وأن الأقيسة والأوزان العبرية والرومانية مقتبسة من الأقيسة والأوزان المصرية القديمة . طبع الجزء الأول في مصر سنة ١٣٠٩ .

١٣ — نخبة الفكر في تدبير نيل مصر طبع في مطبعة وادى النيل سنة ١٢٩٨ هـ وفي آخره جدول يحتوى على غاية التحاريق وزيادة النيل والصرف ، وتحوله إلى أمتار من ابتداء سنة ٢٠ هجرية .

هذه هي مؤلفاته المعروفة ، كما سجلها سركيس ، ولكن هناك مؤلفات له لم تطبع

---

(١) نقلا عن « معجم المطبوعات العربية والمعربة » . ليوسف سركيس .

فهو يقول فى ترجمته أنه ألف كتابا فى فن الاستحكامات العسكرية ، وسوق الجيوش وترتيبها ، والمناورات الحربية . ولكنه لم يطبع ، وفقد منه . وكذلك يقول فيها إنه ألف كتابا فى فن « العمارة » لم يطبع .

وكان على مبارك يستعين بمن يأنس عنده القدرة على أن يشاركه فى تأليف هذه الكتب وهو يسجل ذلك بنفسه . كما نجد فى ترجمته للمرحوم صالح مجدى بك ، فقد ذكر أنه أعانه فى تأليف كتابه « طريق الهجاء والتمرين » .

كذلك كتاب سيديو [1] « خلاصة تاريخ العرب » كان على مبارك هو الذى أمر بترجمته وراجع هذه الترجمة . ولكن الذى ترجمه إلى العربية فعلا ، هو محمد أفندى ابن أحمد عبد الرازق أحد المترجمين فى نظارة المعارف التى كان يتنظر عليها على مبارك . وقد هذب الترجمة ، وصحح عبارتها الشيخ سيد الشرقاوى الشرشيمى .

نجد فى المقدمة التى كتبها على مبارك لهذا الكتاب ما يلى : (... أمرت بترجمته وأنا ناظر على ديوان المعارف سنة ١٢٨٥ هـ المرحوم محمد أفندى بن أحمد عبد الرازق ، أحد المترجمين بقلم ترجمة الديوان ومعلمى اللغة الفرنسية . ثم أمرت أساتذة بقراءته فقرؤوه ثم أمرت بطبعه ، ثم خرج على مبارك من وزارة المعارف ، فلما عاد إليها فى سنة ١٣٠٥ وجد الكتاب لم يطبع ، ومنه أبواب لم تترجم وأخرى لم تستوف حقها من الترجمة : (فترجمنا ذلك وصححنا الكتاب وقابلناه على الأصل كلمة كلمة ثم كلفنا الشيخ عبد الرحمن بن العلامة الشيخ السيد الشرقاوى الشرشيمى المتوفى سنة ١٢٨٨ بأن يراجعه من الناحية العربية وكان ما يراجعه الشيخ يعرض علينا) .

كذلك نجد فى ترجمته لمحمد أفندى عثمان الونانى [1] ـ وهو أحد معاصريه الذين استكتبهم تاريخ حياتهم وضمنها كتابه « الخطط » ـ نجد فى هذه الترجمة أن صاحبها نقل إلى العربية قصصا فرنسية ، بتكليف من على مبارك .

ونجد على مبارك نفسه يقول فى ترجمته المرحوم صالح مجدى بك « ... وطالما استعنت بقلمه على تأليف كتب متنوعة فى فنون شتى [2] كما يقول فى ترجمته أيضا ... « أحيلت على عهدتى ، وإنا ناظر القناطر الخيرية ، مأمورية تأليف كتاب الهجاء والتمرين فطلبت المترجم من ديوان المدارس ، بأمر عال ، فحضر عندى

(١) مستشرق فرنسى من القرن التاسع عشر وهو مستشرق منصف للعرب وتاريخهم وحضارتهم .

(١) ص ٦٤ ـ ٧٥ جزء ٧١ من الخطط .
(٢) ص ٢٣ جزء ٨ من الخطط .

واشتغل معي بالكتاب المذكور»[1] ويقول أيضاً إنه — أي صالح بك — باشر معه « بعض التاريخ الذي عملته للديار المصرية في عدة مجلدات. وبعض رسائل جمعتها وطبعت بمعرفته في جرنال روضة المدارس التي أنشأتها في نظارتي على ديوان المدارس »[2].

ولست أدري ما هو الكتاب الذي يقصده على مبارك، والذي ألفه عن تاريخ مصر في عدة مجلدات. هل هو كتاب الخطط نفسه؟ لأننا لم نعرف له كتابا سواه «عن تاريخ مصر في عدة مجلدات»، ولكن لماذا لم يقل على مبارك أنه اشترك معه في تأليف «هذا الكتاب»، فقد ورد حديثه عن مجدي بك في كتاب الخطط نفسه.

هل نفهم هذا - رغم هذا الخروج عن مألوف الكتابة - أم أن لعلى مبارك كتابا آخر لم يعرف في تاريخ مصر. هو الذي قصده بهذه الإشارة وشاركه فيه صالح مجدي بك ...؟.

وفي مقدمته لكتاب «علم الدين» يقول أنه استعان «في تهذيب عبارته وتحسين إشارته ببعض جهابذة الأساتذه، لاسيما العالم الفاضل السيد الأجل عبد الله باشا فكرى وكيل ديوان المعارف — وكان على مبارك حين ألف الكتاب وزيرا لها — فإنه صرف عنايته إلى تنقيح ما اطلع عليه من هذا الكتاب وليس بالقليل، فهذب معانيه. وشذب مبانيه وقرب مجانيه[1].

الخطط التوفيقية:

ليس كتاب الخطط هـذا أهم وأعظم مؤلفات على مبارك فقط. بل هو من أهم وأعظم ما ألف في اللغة العربية كلها، في جميع العصور، أراد به على مبارك أن يكمل ما فات المقريزي في خططه، وأن يسجل ما طرأ على خطط مصر وبلادها وقراها من تغيير، بعد أن وصفها المقريزي، وأن يترجم لمن لا نجد ترجمتهم في خططه ممن تركهم، أو عاشوا بعده. فهو لذلك متأثر بالمقريزي، يقتديه ويقتبس منه أشياء كثيرة.

البقية في العدد القادم

محمود الشرقاوي

---

(١) ص ٢٤ جزء ٨ من الخطط.

(٢) ص ٢٤ جزء ٨ من الخطط.

(١) ص ٧ — ٨ من الجزء الأول

نفحات القرآن

الشخصية الأدبية ومقوماتها

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

ا ـ خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين .

ب ـ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم .

من خصائص الإنسان وصفه بالشخصية إن كان ذا شخصية .

وقد اتسع مجال القول فى تحديدها ، وبيان عناصرها . . ونحن نجد أن مفهوم الشخصية يتنوع ، وأن لكل نوع منها عناصر تلائمه فى بابه ، كشخصيات الأبطال فى الحروب ، والسياسة وعباقرة العلم ونحو هذا .

وما قصدت الاستيعاب ، ولا الموازنة فى مقامنا هذا ، وحسبنا أننا حينما نشهد لامرئ بشخصيته لا يشق علينا أن نذكر عناصرها البادية فيه ، والتى حملتنا على اعتباره ذا شخصية بين الرجال أو النساء ، بل بين الأحداث من الولدان .

وإنما قصدت الحديث عن الشخصية المرموقة فى القرآن فوجدتنى أمام فيض واسع من النعوت الكريمة التى يشهد الله لأصحابها ، ويعتبرهم فى مقدمة الجماعات الإنسانية .

وهم بمقتضى هذا أصحاب شخصيات رلاجرم ، وكذلك الناهجون منهجهم فى أى جانب من جوانب العظمة يكونون أشبه بهم إلى الحد المستطاع فى شأنهم المفروض .

وغير خاف أن الشخصية فى مثلها الأعلى من كل وجه إنما تتوافر عناصرها فى إنسان تعهده الله بالتربية ، وفضله على جميع خلقه ، وختم به رسالاته ، وشهد له بما لم يشهد به لغيره من أنه « على خلق عظيم » ، وأن فيه لنا أسوة حسنة ، أو هو الأسوة الحسنة بالذات .

فإذا شئنا التماس العناصر الأدبية فى شخصية هذا الإنسان الكامل ، وشئنا الاقتباس منها للأسوة به عزت علينا الإحاطة بها إلا فى جهد غير يسير — صلى الله عليه وسلم — .

ولدينا الآن فى هذا الحديث آيتان ، فيهما ثلاثة أصول كافية لمن شاء الأخذ بنصيب من كمال الشخصية بين خلطائه وعارفيه .

١ — خذ العفو — بهذا يأمر الله رسوله ومن تبعه على دينه . والعفو واسع المفهوم فهو التجاوز عن المسيء، وهو الترفق بالناس فيما يطلب إليهم ، وفيما يصدر عن طباعهم قولا ومعاملة ، والترفق بهم فى التوجيه إلى الطاعات ، والمواساة بما تسمح به أنفسهم من المال بعد حوائجهم ونحو هذا من التيسير على الناس دون تعسير .

والعفو بهذا التصوير الشامل أصل فى مكارم الأخلاق ، وفى الأخذ به دعم للشخصية . .

وهو من وراء ذلك أساس عتيد فى بناء المجتمع ، وغرس المحبة المتبادلة ، وبهذا التعميم أمرنا الرسول فى سنته كما علمنا فى مسلكه وسياسته فقال: (يسروا . ولا تعسروا) وقال (أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)

ولكن العفو على عمومه المرغوب فيه لا يكون شاملا للمسئ فى دينه ، والمنتهك لحقوق الله ، والمتعدى لحدوده فيما نهى عنه وإلا كان العفو مضيعة للحقوق . ونقضا لنظام المجتمع ، ونبذا لمبادئ الدين ، وليس الأمر كذلك :

٢ — « وأمر بالعرف » والعرف يرادف المعروف . وهو كل ما يكفل خيرا للناس مما شرع الله فى دينه أو تعارف عليه الناس فى مجرى حياتهم المتجددة ، أو اهتدت إليه العقول المستنيرة مما يساير المصالح المنشودة ، ولا يناقض مبادئ الدين ، ولا يكون ناجما عن الأهواء والتحلل والمعروف بهذا التفسير الفسيح يقابله المنكر : مما نهى الله عنه أو يكون مجلبة للضرر بالنفس أو بالغير فى شخص أو فى مال أو بنظام اجتماعى .

ومبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتبر خصيصة من خصائص الدين الحق على ألسنة الرسل جميعا .

وقد نبه القرآن أمة محمد بالذات على أن هذا المبدأ شعار يتصل بها أكثر من سواها .

ثم زكاها القرآن بهذا المبدأ ، حتى كأنه شأن خاص بها ، وذلك باعتبار ما تهيأ لها من دين كامل ، وتهذيب واسع حتى تيسر لها أن تتبادل النصح ، وتتسابق إلى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ولم يتهيأ لسواها أن يبلغ هذا المدى « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر » .

وليس ذلك مدحا فقط ، بل هو حض وإغراء على التزام هذا المبدأ ، وفيه ترفع عما كان عليه بنوا إسرائيل « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ومن مقتضيات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن تثور أحقاد الفئات الخبيثة ، وأن تطول ألسنة السفهاء ، حتى تنال من شخصيات النصحاء الخيرين .

فيكون الموقف بحاجة إلى صلابة فى الحق ، واستمرار على حسن التوجيه وإعراض عن سفه السافهين وذلك هو الأصل الثالث فى الآية .

٣ — « وأعرض عن الجاهلين » .

نعم !! من مقتضيات النجاح فى الخير إهمال الحمق ، وعدم النزول إلى مسايرتهم والاعتزاز بالذات وفى هذا المبدأ أكثر من سواه تتمثل عظمة الإنسان على من دونه شخصية .

وفى هذا المبدأ ترجمة لما تنطوى عليه النفس من كرامة ، واقتناع بالخير ، وبذله فى ارتياح إليه .

فهيهات أن تنجح دعوة ليست نابعة من القلب ، وليست نفحا لما فيه من إيمان مستقر بالمثل العليا .

هذه أصول ثلاثة ذات أثر كبير فى تكوين الشخصية فى الأفراد ، وربط الوشائج فى صفوف المجتمع .

غير أنها كما تحدثنا عنها أصول تعليمية ، تحتاج إلى حمل النفس عليها لتعتادها ، حتى تكون خلقا كسبيا ، وينعكس ضوءه على مسلك الإنسان فى حياته الخاصة ، والعامة .

لذلك كانت بحاجة إلى تعهدها من نزغات الشيطان ، والتحصن من هجماته الثائرة فى خفاء .

٤ — وقد رسم الله كيف نصده بسلاح لا يفل ، فقال سبحانه : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه سميع عليم » .

فالاستعاذة بالله سياج لتلك الأصول الأدبية أن ينتزعها الشيطان ممن يركن إليها ، ويأخذ بها .

والركون إلى الله كفيل ـ ولاشك ـ بحفظ المقومات الأدبية من الذبذبة والوهن ، فإن الشيطان دائب على غواية الإنسان كما تحدى ربه بذلك « لأغوينهم أجمعين » .

ولكن الله ـ تعالى ـ ألزم نفسه أن يرعى المحتمين فى جنابه ، ويدرأ عنهم الشيطان ومكايده « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » .

وقد يئس الشيطان نفسه من فتنة المستعيذين بالله منه ، فقال بعد تبجحه ، وتحديه ، إلا عبادك منهم المخلصين ـ بفتح اللام ـ يعنى لن أتغلب على من استعاذوا بك دائما ، واستخلصتهم من شرورى ، وهديتهم بهديك يا ألله !! .

وقد كان الركون إلى الله والاستعاذة به سنة أسلافنا الصالحين ، ولا يزال شأنهم كذلك : وقليل ما هم فى الجماعات اليوم .

والله ـ سبحانه ـ يردنا إلى معالم ديننا ، ويوجهنا إلى القدوة بصالحينا ، فيشيد بهم لنأخذ مأخذهم ، ونتأسى بهديهم فنفوز فوزهم أينما كنا .

« إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذاهم مبصرون » . كلما ألم الشيطان بخاطرهم تذكروا عداوته للإنسان ، وتهيبوا جانب ربهم فتزول عنهم الوساوس ، وتنجلى عن بصائرهم غشاوة الغفلة فيبصرون ما كان يحجبهم عنه الشيطان من مهاوى الزلل وقبح العاقبة ، فيثوبون إلى رشدهم ويحتفظون بنجوتهم من غضب الله ، ومن سقطاتهم فى البيئة المخالطة وغيرها .

هذه كلمات موجزة فى تكوين الشخصية ، وإن لم تكن هذه الأصول الثلاثة كل عناصرها فهى من أقوم العناصر المجدية فى اكتسابها ، ومن أشد الروابط بين صفوف المجتمع فى دنيانا .

ولعلها إذا اكتملت فى إنسان هانت عليه البقية منها ، فالجانب الخلقى آكد المبادىء الإنسانية ، وأبرز مشخصات الفرد والجماعة ، وأضمن وسيلة إلى النجاة هنا وهناك .

وإن لم يكن خلق فهى إنسانية واهنة ، وكرامة مثلوبة ، أو هى شخصية من باب الأضداد وإن شئت فقل : هى بهيمية ، أو أضل سبيلا .

فاللهم هيئ لنا خلقا نشيد عليه كرامتنا ، ونقيم به أركان مجتمعنا ، ونشرف به أمتنا ، ونكسب به رضوانك .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

(بقية المنشور على صفحة ٥٥٧)

المشحون بما تشمئز منه النفوس الإنسانية ، والواقع أنها صور من الواقع السيء !!.

نقرأ هذه القصص فى كتب المطالعة المدرسية المسماة : (ماناهارى تربيت) أى شروق الشمس بأجزائها الأربعة للمدارس الابتدائية الأهلية الحكومية الاستعمارية ، وخريجوها هم الطبقة المثقفة عصريا ! والجرائد اليومية الأجيرة تنشر سلسلة المرافعات وتفاصيل محاكمة ذلك العربى الذى تزوج فتاة أندونيسية بالرغم عنها لأن أباها زوجها ذلك العربى اتقاء محاكمته فى الديون والربا المتجمد عليه بعد عجزه عن وفائها ، وتطيل المحاكم القضية نحو سنة ! وتعلق المجلات على ما تنشره الجرائد ويدوى صدى ذلك فى العالم كله ، وتبيت القضية حديث السامر !!

(البقية فى العدد القادم)

عبد القادر عبد الله الجفرى

من شعراء الأزهر :

العاطفة الدّينيّة في شعر أحمد شفيع

للأستاذ محمد رجب البيّومي

رحم الله أستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد فقد كان مع شاعريته الأصيلة ، راوية قوى الحافظة ، وأكبر مميزات الأديب لديه أن يكون واسع المحفوظ من تراث الأوائل ، فإذا أتاه طالب من أبنائه يعرض عليه بعض آثاره استمع إليه ، ثم اتجه إلى مناقشته فيما يحفظ ويروى للشعراء ، وكان ينسب الركاكة والتهافت فى بعض ما نقرأ من الشعر الحديث إلى ضعف الرواية وقلة الإلمام بالروائع من أشعار السابقين ، ونحن الآن بحاجة ماسة إلى أساتذة من أمثاله يذودون عن البلاغة العربية والعبارة الحرة بما يروون من نماذج ويحللون من شواهد ، إذ أن أكثر متشاعرى اليوم لا يلتفتون إلى الآثار الشعرية فى أدب العرب قدر ما يلتفتون إلى المذاهب المعاصرة فى الأدب الأوربى فهم يلوكون المصطلحات الفنية لوكا سطحيا ، ثم يأتون فى قصائدهم بما يخيل إليهم أنه السبق الجرىء فى مضار التجديد ، وتقرأ ما تقرأ ، فلا تطالع غير الإسفاف الركيك ، والتهافت المتخاذل ،

ولو رجع هؤلاء إلى مذهب شفيع فى الرواية والإلمام لردوا على الشعر العربى ديباجته الناصعة ، وارتقوا باللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون - كما يحلو لهم أن يقولوا الآن - ارتقاء محمود عقباه .

وطبيعى أن يكون شعر أستاذنا الجليل من الطراز الأول نصاعة بيان ، وسلاسة تركيب وسنقصر الحديث هنا على عاطفته الدينية ، وأثرها فى إنتاجه الحافل ، إذ أن صداها القوى فى تراثه الأدبى قد فاق كل صدى سواه ، والرجـــل كأستاذ كبير بالأزهر له ثقافته الإسلامية الواسعة ، وروحه الدينى الشفاف يخضع لتأثير روحى يجذبه إلى نطاق الرسالة المحمدية ، فهو يجيد القول فى كل موضوع إسلامى مهما تكررت مناسبته ، وتعددت ظروفه ، فأنت تجد له إنتاجا متعددا فى موضوع واحد كالهجرة النبوية إذ لا يكاد يمر عام دون أن يستلهم هذا الحدث التاريخى الفذ ، فيفيض خاطره بإلهام رفيع ! ! وقل مثل ذلك فى المولد النبوى ، وفى الإسراء

والمعراج ، وفى ذكريات بدر ، وفتح مكة ، ومع تقارب هـــذه الموضوعات وتشابه ملابساتها تشابها يدعو إلى التكرار والترديد ، فلن تجد فى شعره الدينى على كثرته فضولا تضيق به ، أو توافقا تنكره ، فلكل قصيدة جوها الفريد ، وينبوعها البكر الذى يتدفق نميراً صافياً دون أن تغشى صفحته الوضيئة غاشية من سأم أو فتور ، وبعض الشعراء يكثرون القول فى الذكريات الإسلامية ، ولكنهم يتطرقون إلى الحاضر السياسى فرارا من الرتابة المألوفة والحديث المعاد ، ولكن شفيعا لا ينتقل من جوه الروحى الخالص ، بل يعرض لوحاته الشعرية مصقولة زاهية ، متميزة متفردة ، وفى معارج الخيال آفاق متباعدة تطل على مشاهـــد تختلف منحى وموضوعا ، وتتحد هدفا وغاية ، وهنا تأتى الطرافة الخالبة ، طرافة الخيال المجنح الذى يجانب الواقع المألوف مجانبة تجعل لكل موضوع زوايا كثيرة ؛ وفى كل زاوية منظر خاص ينفرد بلونه وجوه وأصدائه ، فتتلون المشاهد ، وتتفرج الزوايا ، والموضوع هو الموضوع .

خذ مثلا موضوعا إسلاميا كرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فإنك واجد فى الحديث عنها أفانين مختلفة ، فى قصيدة أولى يتجه الشاعر إلى هلال محرم وهو ذو صلة وثيقة بتطور الرسالة ، فيتحدث عن تألقه فى الأفق ، وبزوغه آلاف السنين دون سأم أو لغوب ، ويصور تعلق الأبصار برؤيته ، وازدياده على التعاقب لمعانا وجدة ، ويرسم أدوار القمر من هلال وليد إلى بدر كامل إلى محاق أسيف ثم يفلسف هذا التسلسل فيذكر أدوار الحياة للإنسان من طفولة مبشرة ، إلى شباب مونق إلى كهولة باهتة ، ثم ينتقل بعد هـذا التصوير الخيالى إلى موضوعه الأصلى فينسج حوله أضواء لامعة تتجه إلى مشرق الشمس التى عميت عنها العيون ، والخفاش الذى يتراقص فى الوهج المشع دون أن يبصر ضياء الضحى ورونق الصباح ، والنعام الهاجع فى كناسه ، والآساد الواثبة من أجم إلى أجم ، كل ذلك فى ديباجة مشرقة ووضوح مونق يتجلى فى مثل قوله عن الهلال .

طوى الأرض آلاف السنين فما ونت
ركائبه يوماً ولا كل دائره
وكم تشخص الأبصار فى مستهله
فأعجب إذ لا يسأم الدهر ناظره
تعد به الأعوام مهما تطاولت
فيا لسجل لم تُحَبَّر دفاتره
يمثل أطوار الحياة ، طفولة
يليها شباب يقطر الحسن ناضره
وبعدها شيب ، كذاك هـلاله
يكمل بدرا ، والمحاق أواخره

يذكرنا مسراه فى هدأة الدجى
بسرى رسول الله يرعاه آسره
رفيقان فى غار خفى تواريا
وحولهما نور تفيض بواهره
لقد عشيت عن مشرق الشمس أعين
يرين عليها من ضلال دياجره
وما يبصر الخفاش فى رونق الضحى
فهل يبصر الكفار ما الله ساتره
وليس فرارا ما أتاه محمد
فليس يطيق الضيم إلا أصاغره
يقيم النعام وادعاً فى كناسه
وتجلو عن الغاب المهين قساوره

وهو فى قصيدة ثانية يصور البعثة المحمدية تصويرا جميلا يبرز أثرها فى العالم، وصداها فى تقويم الأخلاق، وتصحيح المعايير، فيشبهها تارة بالمطر يهمى على الجديب المقفر فيورق ويخصب ويهتز، وتارة بالشفاء الناجع يحل محل الداء المستفحل، فينفح الجسم بالعافية والفتاء، وتارة بالربيع المزهر المونق وقد كسا الروض ديباجة خلابة تتراقص بها الطيوف والأضواء، وتعبق فيها الورود بالشذى المعطر، وتارة أخيرة بالصباح يبسم فى الكون بعد ظلام حالك ميئس فيرتفع ضياؤه منيرا فى الوجود وقد بهر العيون وخلب الألباب، ثم يفلسف الفكرة فيعقد موازنة بين نور الشمس ونور الرسالة وبين الشك واليقين، وكيف يمور الريب فى القلوب موراً يبعث الكدر والوحشة والانقباض، ولكن اليقين يبعث ارتياحا رائقا، وأنسا بهيجا، وهل الإيمان غير يقين رسخ أصله، وعمقت جذوره واستطالت سيقانه فتهدلت عليها الغصون بالأثمار.

أرأيت السماء تمطر قوما
بعد جدب يطول فيهم ثواؤه
أرأيت الشفاء وافى مريضا
بعدما أيأس الأساة شفاؤه
أرأيت الربيع يخطر فى الرو
ض فيهتز نوره ورواؤه
أرأيت الصباح يبسم فى الكو
ن فيسمو فوق الوجود لواؤه
إنه أحمد النبيين وافى
فزها الكون واستنارت سماؤه
مشرق الشمس دون مولد فذ
فاض فى الكون بالسلام ضياؤه
وضياء القلوب أجدى وأبقى
من ضياء إلى الجنون انتهاؤه
رب قلب يمور بالشك مَوْرا
زال بالدين ريبه ومراؤه
فاطمأنت من القلوب صدور
طاح عنها الهوى وطار هباؤه
يكدر القلب إذ يداخله الشك

ويبدو عند اليقين صفاؤه
وكذاك النفوس بالشك حيرى
وضياء الإيمان فيها جلاؤه

ثم فى قصيدة ثالثة يتجه الشاعر إلى القطر الحجازى ! هذا القطر الجديد الموحش يفيض عليه خير السماء فماذا يُنبت ؟ ! إنه ينبت للوجود خير الورى محمد بن عبد الله ! فيصير أخصب بقعة ذات رواء واخضرار ! ! هذه الحقيقة الهادئة تدفع الشاعر إلى فلسفة هادئة مثلها فينظر إلى الجدب الحقيقى فيراه فى النفوس الماحلة من الخير لا فى الصحراء القاحلة ذات الرمال والسموم ! وينظر إلى شعوب ترتفع بهمة بطل عظيم فيصل بها إلى المجد والعزة والاستقلال ، وشعوب ينتشر أبناؤها انتشار الجراد فى كل صقع ، ولكنهم يكرون عليها بالنوائب القاتلة ، والبلاء المحيق ، فمجد العرب فى مبدئه مجد بطل واحد هو الرســـول الأعظم وإذا أنبتته الصحراء القاحلة فأى بنات ذاك الذى سمت به على الحدائق والرياض ! ! ذلك تصوير شعرى وتفكير منطق زاوج بينهما الأستاذ حين قال :

تبسمت الدنيا فتاج القوافيا
وعاد صباحا مابدا قبل داجيا
وأسفر نور الدين فى الكون كله
فأضحى به القطر الحجازى زاهيا
قفار ولكن أنبتت أطيب الورى
وجدب ولكن كان أخصب واديا
وما الجدب إلا فى النفوس رخيصة
وما الخصب إلا فى النفوس غواليا
ورب شعوب مجدها مجد واحد
وأخرى من الآلاف تشكو الدواهيا

هذه نماذج مختارة من قصائد ثلاث ، تصور تعدد الزوايا المختلفة فى نظرة شاعر مؤمن إلى نبيه الكريم وللأستاذ غيرها - فى الموضوع نفسه - كثير وكثير . ومجلة الأزهر فى سنواتها المختلفة حافلة بقصائده الإسلامية وقد ألممنا ببعضها فى هذا النطاق لنرى كيف يخلق الخيال من النهر الدافق جداول متشعبة متفرعة تختلف مجرى ولونا وسمة ، وتلتقى عذوبة واطرادا وصفاء ، وهى بعد نزهة العين وبرد الصدر وشفاء القلوب .

وإذا كانت عاطفته الدينية قد ظهرت شفافة رائعة فى قصائده المحمدية . فقد اتخذت لها إطارا آخر فيما قال الشاعر تمجيدا الأزهر وزيادا عن رسالته ، إذ يراه - كما هو بحق - معقل الدين ومنار الهدى ، وموئل الحنيف ، وللأستاذ فى إطراء الجامعة الأزهرية شوارد سوائر ، وفرائد سواحر ، يؤيدها بالتاريخ الناطق ، والدليل الصادق ، فيتساءل عن زعماء الشعب من أبنائه ، وحماة البيان من أدبائه وأعلام الشريعة من فقهائه ، ويرد

على خصومه ردودا مقنعة لا تنحدر إلى المهاترة ولكنها تدعو إلى سبيل الحق بالحكمة الرائعة والموعظة الحسنة ، كأن يقول : ـ

معقل الدين وهو فى ريعانه
ومنار الهدى ومعلى مكانه

نهض الشرق بالرسالة فى الناس
وشب الحنيف فى إيوانه

لم يقم جوهر بناء واسكن
شاد صرح العلوم فى بنيانه

كم تولى بلاد مصر ولاة
فاستمدوا الولاء من سلطانه

زعماء البلاد منه أفاضوا
وحماة البيان من فرسانه

لغة العرب فى ذراه استطالت
فأواها بوارف من جنانه

جنة الأرض حين أقفرت الأرض
ولج الزمان فى عدوانه

قل لمن رام بالكنانة كيدا
فى الكنانى عصمة من طعانه

سائلوا مصر يوم ثار بنوها
كيف كان الجهاد من فتيانه

وهذا دفاع مجيد له أمثاله الكثيرة فى قصائد متعددة سمعتها منه قديما دون أن أجد لها مصدرا مطبوعا يرجع إليه الناس ، وللشيخ ـ رحمه الله ـ فى أعلام الأزهر من الراحلين مراث جيدة شفعها بدفاع حار عن رسالته فى نصرة الإسلام ، وحماية اللغة ، وصيانة العلم والأدب ، ولا أزال أذكر من بينها مرثيته الرائعة لصديقه الأستاذ محمود أبى العيون ، فقد جزع الرجل لمصرعه الأليم جزعا تؤججه اللهفة ، ويضرمه الالتياع ، وقد ملك الزمام فلم يندفع وراء عاطفة إلى النواح والعويل ، بل نظر نظرة موضوعية إلى جهاد الفقيد وكفاحه الدينى والسياسى فقال كلمة التاريخ عنه فى إطار شعرى جميل ، وأشهد لقد وفق فى مرثيته تلك ، فكرة وتصويرا وتعبيرا ، فهو يصور آثاره المتتابعة بالشآبيب الهاطلة ، وصوته المجلجل بالعاصفة المدوية ، وبيانه الرائع بالنمير تارة ، وباللظى تارة ثانية ، ثم يرسم صورة دامية آسفة ليوم نعيه ، وقد صبغ النهار بحالك غربيب ، فالليل ممدود الرواق ، وقد أمسكت العنادل لهواتها عن الشدو ، بينما انفجرت الغربان بالنعيب صور رائعة مشجية يضفى عليها الحزن ثوبا من الجلال والروعة والوقار ، وهى بعد عاطفة حية ترى فى الطبيعة انعكاسا صادقا لمرآة النفس الحزينة ، وما يشيع فى جنباتها من وحشة وانقباض ، ودونك بعض ما قال عن أبى العيون :

فى كل ناحية ترى آثاره
كالغيث شؤبوبا على شؤبوب

كم ذا يجلجل صوته فيهزنا
كالعاصفات تهز كل قضيب
وتخال من عجب نمير بيانه
ناراً تلظى فى نهى وقلوب
يا يوم نعى أبى العيون تركتنا
ربع النهار بحالك غربيب
فالليل ممدود الرواق مخيم
والصبح آنف ضوؤه بمغيب
وترى العنادل أمسكت لهواتها
شجناً ، والغربان شر نعيب
أدى رسالة ربه حتى إذا
هتف الحمام أجاب خير مجيب

ويستطيع القارئ أن يلمس روح البحترى فى هذه الدمعة الحارة ، فالوضوح والسلاسة والرقة مع الشجن واللوعة والأسف كل ذلك يذكرنا بمراثى الوليد !! وما زال البحترى صاحب مدرسة خاصة ترسم عواطف النفوس شفافة رقراقة تطالعها العيون دون ستار ، وقد كانت هذه الروح الصافية تسود شعراء الجيل الماضى فتتضح كثيرا فى أشعار صبرى وحافظ والرصافى والهراوى والجارم على تفاوت مختلف ، وها هى ذى تلوح فيما نطالعه من قصائد شنيع !! وأكاد أجزم أن الشاعر مع إعجابه بالمتنبى فى دروسه بالكلية لا يسير معه فى طريق ، وإنما أستاذه البحترى رضى أم أبى ، فهو يمتح من معينه ، ويسير فى طريقه! وكم للبحترى من أبناء معرقين ! .

على أن الإنصاف يدفعنا إلى الحديث عن الشعر الفكاهى الذى ساقه الأستاذ فى بعض أبنائه الأزهريين ، فهو مع تعصبه المفرط لمعهده الجليل ينحو باللائمة والنادرة على من يحيد عن القصد فى رأيه ، وعندى قصيدة مرحة — لم تنشر بعد — قالها الشاعر فى طالب أزهرى ظل يرتدى العمامة والكاكولة ردحا من الزمن ، ثم انقلب فجأة لا إلى الطربوش بل إلى القبعة ، فكان مرآه مدعاة عجب كثير ، ولم يفت شفيعا أن يرسم له صورة فكهة تقسم فى أولها بالجد والتوجيه ، ولكنها تنتقل شيئا فشيئا إلى الدعابة الطريفة حتى تثير الضحك ، ومن لا يضحك فينا من صورة ديك نافش لا يسحب هزم دجاجة ضعيفة ، ومن عجاجة ثائرة تنهض خلف الذيول الضافية التى تكنس كل طريق ، وقد أرسلت من غير حاجة !! مع أن الشاعر نفسه يرتدى الجبة الواسعة والقفطان الفضفاض ولكنه يقول:

أصبح الشيخ خواجة
بعد ما بدل تاجه
تاج عز ونخار
أطفأ الحمق سراجه
لم يبال الذوق لما
عرضت للنفس حاجة

آثر الضيق حتى ضيق الله رتاجه
أشعث الرأس حزينا كدر الدهر مزاجه
نافش كالديك لكن ماله عزم الدجاجه
وشيوخ العلم إن ساروا أثاروها عجاجة
ذات أذيال طوال أرسلت من غير حاجة
كنست كل طريق لم تدع حتى لجاجه ! !

فهل يكون هذا التندر الطريف غير إذعان مطيع لروح مطراب يرفرف فى جوانح الشيخ ويميل إلى الترويح والتنفيس ! ! ولو شئنا أن نسجل طرائف الرجل فى هذا المجال لاحتجنا إلى بحث آخر ، ولكننا نقف عند هذا القدر مترحمين على الراحل العزيز سائلين له أعلى الدرجات فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

محمد رجب البيومى

الرجل والعصفور

فى المثل أن رجلا نصب للعصافير فخا ، فارتبن به وبالفخ ، وضربه البرد ، فكلما مشى إلى الفخ وقد انضم على عصفور قبض عليه ودق جناحه وألقاه فى وعائه دمعت عينه مما كان يصك وجهه من برد الشمال . فتشاورت العصافير فى أمره ، وقلن : لا بأس عليكن ، فإنه رجل صالح رحيم رقيق الدمعة ، فقال عصفور منها :

« لا تنظروا إلى دموع عينيه ، ولكن انظروا إلى عمل يديه » .

صفحات مشرقة من تاريخ القضاء فى الإسلام

للدكتور جمال الدين الرمادى

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى أمور القضاء بنفسه فى صدر الإسلام، وكذلك كان شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أول الخلفاء الراشدين، فلما ولى عمر بن الخطاب الخلافة كانت رقعة الأمة الإسلامية قد امتدت واتسعت، وكانت أمور المسلمين قد تعددت وتعقدت وبلغ نفوذهم الشام والعراق ومصر وغيرها من الأقطار والأمصار مما دعا الخليفة عمر بن الخطاب إلى التفكير فى أمر القضاء بين الناس، وقد ساعده على هذا التفكير أن الخليفة كان قائد الجيوش، والمشرف على الأعمال الحربية، وشتى الغزوات والشئون الإدارية للجيش والحكومة.

ولذلك عول عمر بن الخطاب على فصل الولاية العامة عن القضاء، وخرجت فكرة الخليفة من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ، ومضى يعين من ينوب عنه فى القضاء والفصل فى المنازعات والمخاصمات بين الرعية فولى أبا الدرداء على المدينة وولى شريحا على الكوفة وولى أبا موسى الأشعرى على البصرة.

وكان عمر بن الخطاب يحاول بهذا النظام أن يتفرغ للأعمال الكبرى فى ولايته.

رسالة عمر بن الخطاب إلى الأشعرى:

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى رسالة قيمة توضح كيفية التقاضى فى الإسلام، وتعتبر من أروع النماذج الرفيعة فى قوانين المحاكمة والقضاء، ففيها يقول عمر «سوّ بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك».

وهو يشير فى هذه الفقرة إلى وجوب التسوية بين الخصمين فى كل شىء، ومما يروى فى هذا الصدد أنه كان بين أبى بن كعب وعمر ابن الخطاب منازعة وخصومة فى حائط فقال بينى وبينك زيد بن ثابت، فأتياه فضربا عليه الباب فخرج فقال: يا أمير المؤمنين ألا أرسلت إلى حتى آتيك..؟ فقال عمر فى بيته يؤتى الحكم، فأخرج زيد وسادة فألقاها عمر وقال: هذا أول جورك، وأبى أن يجلس عليها.

وهكذا أبى عمر بن الخطاب أن يجلس على وسادة وهو أحد الخصمين حتى لا يظن ظان أن القاضى يؤثر أحد الخصمين على الآخر بل يجب أن يسوى بينهما، فلا يرفع عظيما، ولا يضع حقيرا.

وطلب عمر فى هـذه الرسالة أن يصغى القاضى إلى مقال الخصمين ، وفى ذلك يقول فانهم إذا أدلى إليك الرجل بالحجة ، فامض إذا فهمت ، وامض إذا قضيت ، فإنه لا ينتفع منكم بحق لا نفاذ له .

بعض ما تضمنته الرسالة العمرية :

طالبت الرسالة العمرية بإحضار البينة حتى يستطيع القاضى أن يحكم بمقتضاها حسب قواعد الشريعة الإسلامية السمحاء . كما أشارت إلى الشهود حين ذكرت « المسلمون عدول إلا مجلوداً فى حد أو مجربا عليه شهادة الزور أو ظنينا فى ولاء » .

ونصحت بكظم المشاعر والعواطف وعدم الضيق والضجر كما وضحت موارد الشريعة الإسلامية الغراء .

وصفوة القول أنها أرست قواعد القضاء فى الإسلام لما تضمنته من نصائح غالية للقضاة توجههم إلى سواء السبيل، وتحول بينهم وبين اقتراف المنكر او الجنوح نحو الباطل والانحراف عن العدالة .

ولذلك اختار الخلفاء المسلمون القضاة أحسن اختيار ، واتقـــوا فى ذلك الله ما استطاعوا ، ولم يعينوا فى هذا المنصب إلا كل من وثقوا فى أخلاقه وسيرته، بل إنهم كانوا يمتحنون القضاة قبل أن يسندوا إليهم هذه الوظيفة ، واشتهر من القضاة المسلمين القاضى « شريح » الذى ظل فى منصبه نحو ستين عاما ، وطار صيته فى الآفاق .

واشتهر من قضاة الدولة الأموية عامر الشعبى إذ سأل عبد الملك بن مروان عن رجل يوليه القضاء فقال له روح ابن زنباع : « أدلك على رجل إن دعوتموه أجابكم ، وإن تركتموه لم يأتكم ، ليس بالملحف طلبا ، ولا بالمعز معروفا ، عامر الشعبى » .

فولاه قضاء البصرة ، وفى ذلك يقول ابن عيينه « ابن عباس فى زمانه والشعبى فى زمانه ، والثورى فى زمانه » . وذلك لحفظه ومكانته فى الفقه ، وثقة فى الحديث ، ورياسة فى العلم كالشمس فى الآفاق .

القضاء فى الدولة العباسية :

واعتمدت الدولة العباسية على طائفة ممتازة من القضاة نذكر منهم يحيى بن سعيد الأنصارى ، قاضى أبى العباس السفاح ، وشريك قاضى أبى جعفر المنصور ، وابن أبى دؤاد قاضى المعتصم والواثق .

كما نذكر منهم كذلك يحيى بن أكثم قاضى المتوكل ، والقاضى إسماعيل المالكى . وكان يقال له : مالك الأصغر . وفيه قال المعتضد لوزيره ابن وهب :

واستوصى بالشيخين الفاضلين اسماعيل بن

إسحق القاضي - وموسى بن إسحق الخطمي خيرا، فإنهما ممن إذا أراد أحد بأهل الأرض سوءا دفع عنهم بدعائهما.

واشتهر في المغرب والأندلس من القضاة أسد بن الفرات والباجي وابن العربي وابن رشد وعياض والمقري ومنذر بن سعيد وغيرهم من الثقاة.

عقد امتحانات للقضاة :

وكان قاضي قضاة المتوكل يحيى بن أكثم يتولى امتحان من يترشح للقضاء بنفسه حتى لا يتعين في منصب للقاضي إلا من أثبتت التجارب وأثبت ماضيه أنه جدير به. وجاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة أن يحيى ابن أكثم كان يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه، فولد لكل واحد من امرأته ولد. ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه.

وليس هذا الامتحان شططا من العمل أو بدعة جديدة أتى بها المسلمون المتأخرون إذ يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم امتحن معاذا لما أراد بعثه لقضاء اليمن فقال له : بم تحكم ؟ فقال : بكتاب الله والحديث الخ...

ولما أراد ابن هبيرة تولية إياس أرسل للامتحان فسأله بقوله : أتقرأ القرآن ؟ قال نعم، قال : أتفرض الفرائض ؟ قال : نعم. قال : أتعرف من أيام العرب شيئا ؟ قال نعم؟ قال أتعرف من أيام العجم شيئا قال : أنا بها أعرف فولاه القضاء.

وجاء في كتاب نفح الطيب لأبي العباس المقري : « كانوا في عاصمة الخلافة في الأندلس لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره، وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في أغلب الأحوال ».

وهكذا كان الامتحان عنصرا من عناصر التعيين في مناصب القضاة كما كان التعيين بالمعرفة السابقة أي بطول الخبرة دون تحيز أو محاباة، أو بشهادة الثقة أي أن يشهد له جماعة من الثقاة بطول الباع في فهم كتاب الله والسنة وغير ذلك من أمور الشرع الشريف.

شريح القاضي يحكم على الوالي :

وقد كان القضاة المسلمون يحكمون بالعدل والقسطاس المستقيم دون أن يخافوا لومة لائم بل إنهم كانوا لا يترددون في الحكم على الخليفة نفسه إن لم يستطع إحضار البينة. ومثال ذلك أن على ابن أبي طالب تحاكم إلى قاضيه شريح في درع له لقي نصرانيا يبيعها فقال له على : هذا درعي بيني وبينك قاضي المسلمين، ولما حضرا مجلس القضاء قال على : اقض بيني وبينه يا شريح فقال : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ فقال على : هذه درعي ذهبت مني

منذ زمان فقال شريح : ما أرى أن تخرج من يده ، فهل لك بنية ؟ فقال على : صدق شريح . فقال النصرانى : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يختار قاضيه ، وقاضيه يقضى عليه ، هى والله يا أمير المؤمنين درعك اتبعتك مع الجيش ، وقد زالت من جملك الأورق فأخذتها ، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال على : أما إذا أسلمت فهى لك ، وحمله على فرس عتيق .

عدالة القضاء فى الأندلس :

وحدث ما يشبه ذلك فى الأندلس على يد القاضى منذر بن سعيد البلوطى الذى تولى منصب القضاء فى خلافة الناصر الأموى وذلك أنه احتاج إلى شراء دار من قرطبة لحظية من نسائه ، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخى نجدة وكانت بقرب النشارين فى الربض الشرقى منفصلة عن دوره ، ويتصل بها حمام له غلة واسعة ، وكان أولاد زكريا أخى نجدة أيتاما فى حجر القاضى فأرسل الخليفة من يقومها ، وأرسل ناسا أمرهم بمداخلة وصى الأيتام فى بيعها عليهم ، فذكر أنه لا يجوز بيع هذه الدار إلا بأمر القاضى منذر ، فقال لرسوله : البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهى الشديد ومنها الغبطة . فأما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع ، أما الوهى فليس فيها ، وأما الغبطة فهذا مكانها فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين الغبطة أمرت وصيهم بالبيع ، وإلا فلا ، فنقل جوابه إلى الخليفة فأظهر الزهد فى شراء الدار طمعا فى أن يتوخى رغبته فيها .

وخاف القاضى أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام سورتها فأمر وصى الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ، ففعل وباع الأنقاض فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان.

فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وأمر بتوقيف الوصى على ما أحدثه فيها ، فأحال الوصى على القاضى أنه أمره بذلك فأرسل عند ذلك للقاضى منذر وقال : أنت أمرت بنقض دار أخى نجدة ؟ فقال له : نعم : فقال وما دعاك إلى ذلك ؟ قال : أخذت فيها بقول الله تعالى : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا»مقوموك لم يقوموها إلا بكذا ، وبذلك تعلق وهمك ، فقد بعنا أنقاضها بأكثر من ذلك ، وبقيت القاعة والحمام ، ونظر الله تعالى للأيتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك وقال : نحن أولى منك فى إنفاذ الحق .

والشاهد فى هذه القصة أن القاضى منذر ابن سعيد البلوطى لم يتأثر بكلام الخليفة ، بل

تصرف فى حدود الشرع الشريف دون خوف ولا وجل ورائده فى ذلك كتاب الله العزيز وسنته الكريمة ووجه الحق لا يرضى بغيره بديلا .

اختصاصات القاضى :

وقد استقر الرأى فى الشريعة الإسلامية على أن تولية القاضى إن كانت عامة شمل نظره فصل المنازعات والخصومات واستيفاء الحقوق وإيصالها إلى مستحقيها ، بعد الثبوت ، واختيار الأوصياء على من لا يجوز تصرفه من المجانين والصغار والسفهاء ، والمفلسين ، والنظر فى الأوقاف ، وتنفيذ الوصايات ، وتزويج الأيامى ، وإقامة الحدود ، والنظر فى المصالح العامة من منع الضرر فى الطرقات والأفنية وإحداث ما يضر بالمارة من البناء وغيره ، وتصفح الشهود والنواب عنه .

وقال ابن سهل فى مقدمة كتاب التبصرة : إن خطة القضاء أعظم الخطط قدرا وإليها المرجع فى الجليل والحقير بلا تحديد ، وإن على القاضى مدار الأحكام ، وإليه النظر فى جميع وجوه القضاء من القليل والكثير بلا تحديد وقال : ويختص القاضى بوجوه لا يشاركه فيها غيره من الحكام ، ومن ذلك النظر فى الوصايا والأحباس والترشيد والتحجير والتسفيه ، والقسم والمواريث والنظر للأيتام ، والنظر فى مال الغياب ، والنظر فى الأنساب ، وزادوا الجراحات والديات والتسجيل والإثبات .

وقال ابن الأمين القرطبى : « وللقاضى النظر فى جميع الأشياء إلا فى قضية الخراج واختلف هل له قبض أموال الصدقات وصرفها فى مستحقها إذا لم يحضر الناظر فقيل ذلك له وقيل لا .

المحتسب :

وأسندت إلى المحتسب بعد ذلك أمور النظر فى مصالح الأبنية من ضررها والمضايقة فى الطرقات ، كما أسندت إليه ثلاثة أنواع من الدعوى أحدها فيما يتعلق ببخس فى ثمن أو مثمن أو تطفيف ونقص فى كيل أو وزن ، وثانيها فيما يتعلق بفسق أو تدليس فى ثمن أو مثمن ، وثالثها فيما يتعلق بمطل غنى فى دين ثابت دون مناكرة ، ومن ذلك النفقات المقدرة من المجلس الشرعى على الزوجات والأقارب التى يماطل أصحابها .

كما يتفقد المحتسب مجارى المياه العامة فى المدينة فإن احتاجت إلى إصلاح أصلحها إن أمكن وإلا نبه ذوى السلطة إلى الإصلاح ، كما يأمر بتنقية الشوارع وتنظيفها ، كطرح الأزبال والقمامات وإراقة المياه التى تنشأ عنها الأوحال ، وربط الدواب ونحوها والمرور

بأعمال الحطب الكبيرة التى من شأنها إيذاء المارة وإطلاق الكلاب الضارة المؤذية ، وإلزام أصحاب البناء المتداعى بهدمه أو إصلاحه ، كما أسندت إليه أمور النظر فى الأسواق كترتيب مقاعد الباعة حتى لا تقع مضايقة أو شجار ، واختيار العرفاء والأمناء فيها ، واختيار القائمين على الوزن والكيل واختيار السماسرة والدلالين وفحص المبيعات التى يدخلها الغش كالسمن والزيت واللبن والدقيق ، ومراقبة بيع الفاكهة واللحوم حتى لا يختلط الجيد بالردىء منها ، ومنع الباعة من احتكار أو خزن ما يحتاج إليه الناس من طعام ونحو ذلك .

وللمحتسب كذلك النظر فى الحمامات والمساجد والمعاهد العلمية والوقوف فى مواطن الريب ، وارتداء الملابس الخارجة ونحو ذلك .

أما ما خرج عن هذه الأمور من سائر الدعاوى فى العقود والمعاملات ، والحقوق والمطالبات التى تتوقف على الشهود والبيانات فلا دخل للمحتسب فى الحكم فيها ولو كانت الدعوى فى شىء يسير .

كاتب المحكمة :

وكان الخلفاء المسلمون يدققون فى اختيار كاتب المحكمة ويروى ابن عبد ربه فى كتاب العقد الفريد ، أنه يشترط فيه أن يكون عالماً بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث .

ولذلك امتلأت وأمرا الخلفاء العباسيين وغيرهم بالتوصية فى اختيار الكاتب الذى يكتب المحاضر ويحرر السجلات ، ويوقع إعلانات الحضور .

الحاجب :

أما الحاجب فهو صاحب الباب الذى يقدم إلى القاضى أرباب الدعاوى والحاجات ويستأذن فى دخولهم إليه ، وفى ذلك يقول الحافظ بن حجر فى الفتح : وظيفة البواب أو الحاجب أن يطالع الحاكم بحال من حضر ولا سيما من الأعيان لاحتمال أن يجىء مخاصماً ، والحاكم يظن أنه جاء زائراً فيعطيه حقه من الإكرام الذى لا يجوز لمن يجىء مخاصماً ، وإيصال الخبر للحاكم بذلك أما بالمشافهة وإما بالمكاتبة .

أعوان القاضى :

وكان للقاضى أعوان وخدمة العدالة . والأعوان هم بمنزلة الشرطة للوالى وهم حرسه وجنده الذين يستعين بهم على جلب العصاة وزجر الطغاة .

أما الخدمة فهم خدام العدالة ويروى ابن ميارة أنهم من لهم معرفة ببعض مبادىء الخصام وفصول الكلام وهم الذين يتكلمون فى المسائل المهمة ويسمون الوكلاء .

رواتب القضاة :

وكان للقضاة يمنحون رواتب سخية حتى يتفرغوا للأحكام بعد أن يطمئنوا على معاشهم ورزقهم وقال الكرابيسى من الشافعية : « لا بأس للقاضى أن يأخذ الرزق على القضاء عند أهل العلم قاطبة لا أعلم بينهم اختلافا . وقد كره ذلك قوم منهم مسروق ولا أعلم أحدا حرمه » .

وقد اتسعت أرزاق القضاة لما ولى عمر ابن الخطاب وامتدت رقعة الأمة الإسلامية . وفى طبقات ابن سعد أن عمر رزق عياض ابن غنم حين ولاه حمص كل يوم دينارا وشاة واحدة .

وكان راتب القاضى فى مصر ألف دينار . ففى حسن المحاضرة ، ثم ولى عبد الرحمن الخولانى وجمع له القضاء والقصص وبيت المال فكان يأخذ رزقه فى السنة ألف دينار ، وفى الدولة العباسية كان راتب القاضى فى المدينة المنورة أربعة آلاف دينار ، وجاء فى كتاب القضاة للنبهانى : « وعرض أمير المؤمنين الرشيد على المغيرة ابن عبد الرحمن المخزومى قضاء المدينة وجائزته أربعة آلاف دينار ، فامتنع ، فأبى الرشيد إلا أن يلزمه فقال : والله يا أمير المؤمنين لأن يخنقنى الشيطان أحب إلى من القضاء ، فقال الرشيد : ما بعد هذا شىء ، وأعفاه وأجازه بألفى دينار .

القاضى والإمام العادل :

والشاهد فى هذه القصة أن القضاة كانوا يمنحون رواتب سخية فى شتى العصور الإسلامية لما كان لمنصب القاضى من حرمة ومكانة بل كان بعض المسلمين يتخوفون منه خشية أن يجوروا فى أحكامهم . وهذا مما زيد المنصب رفعة وعلوا .

وجاء فى حديث عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم : لا حسد إلا فى اثنتين : رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل أتاه الحكمة فهو يقضى بها . وجاء فى حديث عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال : هل تدرون من السابقون إلى ظل الله تعالى يوم القيامة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ، وإذا سئلوه بذلوه ، وإذا حكموا للمسلمين حكموا كحكمهم لأنفسهم .

وفى الحديث الصحيح سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه وبدأ بالإمام العادل » .

جمال الدين الرمادى

الرسول ... الإنسان

للأستاذ فتحي عثمان

> لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »

على قدر (واقعية الرسالة) .... يكون نصيبها من النجاح .

وعلى قدر (إنسانية الرسول) .... يكون إدراك الناس لطبيعة الرسالة الواقعية .

فالناس يعرفون الرسالة من خلال (شخصية) صاحبها ....

وقد تبهر الناس (الشخصية الملائكية) القدسية إلى حين ، ولكنهم لا يستريحون لصحبتها دواما في كل حين .

وقد تبهر الناس (الشخصية الساحقة الطاغية)، ولكن مثل هذه الشخصية إن صلحت للزعامة الموقوتة ، لا تصلح للهداية الموصولة والرسالة الخالدة .

ومن هنا كانت شخصية محمد (الرسول الإنسان) ، خير دعوة ودعاية لرسالته ... فيها البساطة الآسرة ، والإنسانية الغامرة ، والجاذبية الساحرة !

فيها يعرض الرسول الإنسان نفسه ... على كل إنسان !

فيها يكون المثل الأعلى قريبا ... قريبا ... إلى العقول والقلوب !

• • •

كان اختيار البيئة العربية لرسالة الإسلام في ذلك الوقت ، أول إشارة لطبيعة هذه الرسالة .... فالعرب كانوا خير النماذج (للإنسانية) في عصرهم .

• كانوا بسطاء .... ولكنهم ليسوا بالسذج التافهين . ففي أدبهم وشعرهم دليل الحكمة والحصافة ، والشعور والوعي ، والذوق والرقة .

• كانوا يحيون حياة الحرية والمساواة.... يحيونها ولا يفلسفونها ، ولذا لم يحتج الإسلام إلى تقرير هذين الأصلين تقريرا مباشرا كثيرا ، إذ هما شيء قائم وأمر واقع في (حياة) العرب ... في مشاعرهم ووجدانهم، في عاداتهم وتقاليدهم ... بديهية مقررة في كيانهم ذاته ، لم يعرفوا (الحق الإلهي المقدس) لحكم ، ولا (الدم الأرستقراطي الرفيع) لأسرة !

• كانوا يحيون حياة التكافل والتعاون، وكانت فوارق الثروات فوارق مادية لا إنسانية.. كان هناك حقا أغنياء ومترفون، ولكنهم لم يكونوا متسلطين أو متألهين!! كان العربى الفقير يخاطب أغنى الأغنياء فى بساطة وقوة ...

ولنترك وضع (الرقيق) جانبا، فقد كان وضعا اجتماعيا عالميا، وكان عند العرب أهون منه فى كثير من المجتمعات.

ومن هذا (الرصيد الإنسانى) الكبير، جاء (الرسول الإنسان):

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم
بالمؤمنين رءوف رحيم »

* * *

ولم تأت رسالة محمد من السماء إلى هذه البيئة الإنسانية، لتروع برهبة الغيب ما أمن منه الواقع القائم ...

• فمحمد لا تربطه بالسماء أسباب غير الوحى ...

« قل إنما أنا بشر مثلكم ... يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ».

« قل إن أدرى أقريب ما توعدون، أم يجعل له ربى أمدا. عالم الغيب، فلا يظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وأحاط بما لديهم، وأحصى كل شئ عددا ».

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا - إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ».

• ومحمد ليس رسولا من الملائكة، وإنما هو الرسول الإنسان ...

« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون. ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا، وللبسنا عليهم ما يلبسون ».

• وشاهد الرسول على رسالته هو المنطق والبيان ...

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى فى السماء - ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا!! وما منع الناس أن يؤمنوا

إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشرا رسولا ؟؟ قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا . قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا » .

« والوحى الذى ينزل على الرسول يقرئه القرآن ، فالسماء لا تنزل رسائلها ألواحا وقراطيس ، ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم ، لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » !! .

لقد استنفدت المعجزات الحسية الصارخة أغراضها ، وأضحت غير ذات موضوع ...

« وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا » .

وجاء الإسلام يكرم العقل الإنسانى ويخاطبه بالبرهان ، ويصرفه عن التماس الدليل فى غير الكون الفسيح وبغير المنهج الرشيد ...

« وقالوا : لولا نزل عليه آية من ربه ، قل إن الله قادر على أن ينزل آية ، ولكن أكثرهم لا يعلمون . وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شىء . ثم إلى ربهم يحشرون » .

« والوحى الإلهى الذى ينزل على الرسول يسد كل ذريعة للتعالى والتحكم باسم الله أو شريعته ...

« إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » .

« إن عليك إلا البلاغ » .

« لست عليهم بمسيطر » .

« قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى . وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم ، أنلزمكموها ـ وأنتم لها كارهون ؟ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، إن أجرى إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا ، إنهم ملاقو ربهم ، ولكنى أراكم قوما تجهلون . ويا قوم من ينصرنى من الله إن طردتهم ، أفلا تذكرون . ولا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إنى ملك ، ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذن لمن الظالمين » .

ولقد كان رسول الإسلام بعيدا عن الثروة أو السطوة . فلم يكن نبيا ملكا كداود أو سليمان ، بل كان يجوع ويشبع ، ويصبر على الضعف حتى يقوى .

« قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله ، لكل أمة أجل، إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

« قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك ، إن

أتبع إلا ما يوحى إلى ، قل هل يستوى الأعمى والبصير - أفلا تتفكرون ؟ ؟ » .

« وقالوا : مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ! أو يلقى إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ! انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا » . « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة - أتصبرون ؟ وكان ربك بصيرا » .

* * *

ورسول الإسلام ، إنسان فى مشاعره وأحاسيسه .

« قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين . وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء - فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين » .

« فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك ، وضائق به صدرك - أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل » .

« وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره - وإذن لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا » .

« فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

« وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .

«عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى ؟ أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة » .

نحن نحس إننا أمام الرسول الإنسان ، الذى تتبادله مشاعر الخوف والرجاء ، والإشفاق والثبات ... إنه لا يدعو بعجرفة المدعى المتعاظم ، أو الفارغ الأحمق .

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة الذين

فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، وإن الظالمين لفى شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ، وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم » .

« حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

* * *

ولقد كان رسول الإسلام يحيا حياة الإنسان : يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويتزوج النساء ، ويعلن أن هذه شريعته وسنته « فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

ورسول الله ، الأتقى والأعلم بالله ، والأزهد فى الدنيا والأحرص على الآخرة ، فسمع منه هذا اللحن الإنسانى الرائع : حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة !

ورسول الله ، إنسان فى مشاعره تجاه الزوجة والولد ... حتى ليهم أن يحرم على نفسه ما أحل الله له يبتغى مرضاة أزواجه !..

وحتى يصرح أن ابنته فاطمة قطعة منه — يريبه ما رابها ! ... وحتى يطيل السجود ، لأن ابنه ارتقى ظهره وهو ساجد ، فكره أن « يعجله » إلى الهبوط قبل أن يقضى رغبته فى الصعود !! .

فإذا ماقسى الرسول الإنسان يوما على نفسه ، فهو يعفى أمته من المتابعة والاقتداء ...

إنه يواصل الصيام وينهى المسلمين عن الوصال ويقول « لست كهيئتكم ، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقنى » .

وشريعته يقوم التكليف فيها على الطاقة والوسع « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ، والرسول الإنسان يقول « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . ومن هنا جاءت الشريعة بالإباحة فى حالة الضرورة : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم - إلا ما اضطررتم إليه » ، والرسول الإنسان يقول « رفع عن أمتى الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه » .

ذلكم هو الرسول الإنسان ، الذى تحتاجه الإنسانية فى كل زمان ...

بلا تهاويل ولا طلاسم ...

بلا تأسيس على الخوارق ...

بلا طغيان ولا تفزيع ...

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » .

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعرف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » .

فتحى عثمان

مراكز اللغة العربية فى الهند

للأستاذ محمد اسماعيل الندوى

ظلت الهند حصنا من حصون اللغة العربية طوال تاريخها الإسلامى المجيد . فقد فتح العرب السند سنة ٩١ ﻫ ، ومنذ ذلك الوقت بدأ تفاعل الثقافتين العربية والهندية . وظهر من الهنود أدباء وشعراء باللغة العربية أمثال أبى عطاء السندى ، شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، وابن الأعرابى لغوى شهير ، وأبى معشر نجيح السندى ، محدث شهير صاحب كتاب المغازى .

ولما انفصلت الهند عن الدولة العباسية بعد ما استشرى الضعف والانحلال فى جسد الخلافة العباسية ، تكونت للهند كيان مستقل ، وظلت تحت حكم الأتراك والمغول من المسلمين إلى القرن الثامن عشر الميلادى . وفى غضون هذه المدة استخدمت اللغة العربية لغة دينية وعلمية ، وألفت بها جميع الكتب فى الدين والعلم . وظهر من الهنود أدباء وشعراء ومصنفون وقد ألف الإمام حسن بن محمد الصغانى من رجال القرن السابع الهجرى ، « العباب الزاخر » الذى عد من مراجع اللغة العربية . وألف الشيخ محمد أعلى التهانوى من رجال القرن الثانى عشر ، « كشاف اصطلاحات الفنون » ، وهو معجم للمصطلحات العلمية يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات . وألف السيد مرتضى البلكرامى المشهور بالزبيدى الذى دفن فى مصر سنة (١٢٠٥ ﻫ) كتاب « تاج العروس » ، وهو أشهر من أن يعرف . وألف الشيخ محمد بن طاهر الفتنى سنة (٩٦٦ م) كتاب « مجمع بحار الأنوار فى التنزيل ولطائف الأخبار » ، جمع فيه غريب الحديث وما ألف فيه ، فجاء كالشرح للصحاح الستة .

وفى الشريعة الإسلامية أضاف العلماء الهنود إلى المكتبة العربية ثروة كبيرة ، مثل كتاب « كنز العمال » للشيخ على بن حسام الدين المتقى من رجال القرن العاشر . وهو ترتيب « جمع الجوامع » للسيوطى . وكتاب حجة الله البالغة للإمام ولى الله الدهلوى سنة (١١٧٩ م) فى أسرار أحكام الشريعة الإسلامية وفلسفة التشريع وهو كتاب مبتكر فى موضوعه لا يوجد له نظير فى المكتبة العربية على سعتها .

المركز الأول : المدارس العربية

هذه صورة اللغة العربية إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى . وبعد هذه الفترة

من الزمان حدثت حوادث هائلة فى الهند ، ومن أهمها احتلال الانجليز والثورة الكبرى ضدهم تلك التى قام بها العلماء المسلمون سنة ١٨٥٧ م . وقد ابتلى المسلمون بالانجليز فأوقفوا نشاطهم الدينى ، وأعدموا العلماء والزعماء ، ونفوا كثيراً من رجال الدين إلى البحر الأسود . وكانت هذه أكبر نكبة على كيان الأمة الإسلامية ومستقبلها فى الهند ، وعلى تراثها الدينى المجيد .

ونشأت هناك بعد ذلك نزعات عديدة لدى المسلمين للحفاظ على كيان الدين والتراث الإسلامى الذى توارثوه عن أجدادهم طوال هذه القرون ، وللذود عن الإسلام ضد الحملات المسيحية التى تمثلت فى الحركتين التبشيرية والاستشراقية .

وقد أنشأ صفوة من العلماء وعلى رأسهم العالم الجليل الشيخ محمد قاسم النانتوى معهداً عربياً كبيراً وهو مدرسة « دار العلوم » بمدينة « ديوبند » سنة ١٢٨٣ هـ . وكان من أهداف هذه المدرسة المحافظة على التراث العربى الدينى ودراسة اللغة العربية والشريعة الإسلامية ، وتخريج مجموعة من رجال الفكر والدين والزعماء المسلمين ليقودوا الأمة الإسلامية فى الهند .

ولم تكن هذه المدرسة حديثة ولا فريدة فى نوعها ورسالتها فى الهند . بل سبقتها مراحل شتى فى هذا المضمار . وظلت هذه المدارس العربية أكبر مركز للغة العربية وثقافة الإسلام طوال العصور الإسلامية . وقد مرت هذه المدارس بخمس مراحل فى تاريخها المجيد .

١ — القرون الثلاثة من السابع إلى العاشر الهجرى (١٣ — ١٦ م) .

٢ — من العاشر إلى الحادى عشر الهجرى (١٦ — ١٧ م) .

٣ — من الحادى عشر إلى الثانى عشر الهجرى (١٧ — ١٨ م) .

٤ — من الثانى عشر إلى الثالث عشر الهجرى (١٨ — ١٩ م) .

٥ — من الرابع عشر إلى يومنا هذا (١٩ — ٢٠ م) .

وكانت مدرسة ديوبند على منوال مدرسة نظام الدين فى المناهج ونظام التدريس . ولا يزال منهجها يسمى بالمنهج النظامى . وأما مدرسة نظام الدين فكانت تسمى بالمدرسة النظامية . نسبة الشيخ ملا نظام الدين (ولد سنة ١٦٧٩ م وتوفى سنة ١٧٤٨م وكانت له فى الهند شهرة لاتضارع) . ولم تكن مدرسة بالاصطلاح الحديث الذى تنقسم فيه المدرسة إلى مرحلتين ثانوية وابتدائية ، بل كان لها نظامها المأخوذ عن المدرسة النظامية التى كانت فى بغداد . وإذا أردنا أن نحدد هذا النظام فى ضوء النظم الدراسية المعاصرة ، فإننا نستطيع القول بأنها كانت ولا تزل تجمع بين المرحلتين التحضيرية

والجامعية فى آن واحد . وكان الشيخ ملا نظام الدين قد وضع منهجا جديدا لمدرسته . يشتمل على اللغة العربية أدبا ونحوا وصرفا وبلاغة ، والحديث والتفسير والفقه والأصول ، والمنطق والفلسفة . ولم يكن هناك نظام المحاضرات الذى اشتهرت به العصور الإسلامية واشتهر فيه أبو على القالى «صاحب الأمالى» والمبرد «صاحب الكامل» والمحدثون والفقهاء . بل كانت تدرس الكتب المشهورة فى المواد الأساسية التى ذكرناها . وهذا المنهج فى اختصار هو كما يلى :ـ

(١) فى الصرف ـ «الميزان» و «المنشعب» «الصرف للمبرد» و «الشافية» .

(٢) فى النحو ـ «النحو للمبرد» و «الكافية» «وشرح الجامى» .

(٣) فى المنطق ـ «إيساغوجى» ، و «الصغرى» ، و «الكبرى» ، و «التهذيب» ، و «القطب» .

(٤) فى الفلسفة ـ «الميبذى» ، و «صدرا» ، و «شمس البازغة» .

(٥) فى الرياضيات ـ «خلاصة الحساب» «والإقليدس» .

(٦) فى البلاغة ـ «المختصر المعانى» و «المطول» .

(٧) فى الفقه ـ «شرح الوقاية» و «الهداية» .

(٨) فى الأصول ـ «نور الأنوار» و «التلويح» ، و «مسلم الثبوت» .

(٩) فى الكلام ـ «العقائد النسفية» و «شرح العقائد للجلال» ، «والمير الزاهد» و «شرح المواقف» .

(١٠) فى التفسير ـ «تفسير الجلالين» و «تفسير البيضاوى» .

(١١) فى الحديث ـ مشكاة المصابيح .

ومن أهم مميزات هذا المنهج أن نظام الدين لم يركز جهوده كلها على الحفظ الأصم لهذه الكتب المقررة ونصوصها بل كان يهدف إلى أن يحصل الطالب على ملكة تفتح بواسطتها بصيرته على آفاق من العلوم المختلفة ، ويتمكن من البحث والتنقيب بغير أن يقتصر على الكتب المقررة .

وكان هذا النوع من المناهج مفيدا جدا لأهل القرن السادس والسابع عشر الميلاديين .

ولكن مدرسة ديوبند التى أنشئت فى بداية القرن العشرين لأهداف سامية ـ وهى إنشاء طائفة من العلماء الذين يحافظون على التراث العربى الإسلامى القديم ويقودون الأمة الإسلامية ويردون الحملات المسيحية ـ كانت الغاية من إنشائها تتطلب إعادة النظر فى هذا المنهج ونظم التدريس . ولكن هؤلاء العلماء لم يبالوا بهذه الحقيقة .

وقد ازدهرت مدرسة ديوبند بمرور الأيام وبدأت تسمى بالأزهر الآسيوى لكثرة

طلابها وأساتذتها وشهرتها فى الشرق الإسلامى ثم أنشئت مئات من المدارس العربية على منوال مدرسة ديوبند فى شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها . ومن هذه المدارس التى تعتبر كمدارس ثانوية أو كليات لجامعة ديوبند فى أنحاء الهند المدارس الآتى ذكرها بعد :

اسم المدارس	المدينة	الولاية	زمن إنشائها
مدرسة مظاهر العلوم	سهارنبور	يوبى	سنة ١٨٦٦م أنشأها الشيخ سعادت على .
المدرسة الأمينية	نيودلهى	دلهى	سنة ١٣١٥ هـ أنشأها الشيخ أمين الدين .
مدرسة الإصلاح	سراى مير	يوبى	سنة ١٣٢٧ هـ أنشأها الشيخ أصغر حسين .
جامعة مفتاح العلوم	مئو	يوبى	سنة ١٢٩٦ هـ الشيخ إمام الدين البنجابى
جامعة مظهر العلوم	بنارس	يوبى	بعد سنة ١٩٠٠ .
مدرسة الشاهى	ميراد آباد	يوبى	سنة ١٩٠٠ م .
الجامعة الحسينية	رانديو	بومباى	سنة ١٩١٧ م أنشأها الشيخ محمد اسماعيل .
المدرسة الأشرفية العربية	كجرات	بومباى	الشيخ أحمد على السهارنبورى .
الباقيات الصالحات	ويلور	مدراس	أنشأها الشيخ شاه عبد الوهاب بعد سنة ١٨٥٧م .
جامعة دار السلام	عمر آباد	»	أنشأها الشيخ محمد عمر سنة ١٩٢٤ م .
المدرسة الجمالية	مدراس	»	أنشأها الحاج جمال الدين راوتر .
الجامعة اللطيفية	ويلور	»	قبل سنة ١٨٥٧ م أنشأها الشيخ عبد اللطيف .
مدرسة معدن العلوم	وانمبارى	»	بعد سنة ١٩٠٠ م .
مدرسة إشاعة الحسنات	بيارم بيت	»	بعد سنة ١٩٠٠ م .
مدرسة منبع الأنوار	لال بيت	»	قبل سنة ١٨٥٧ م .
دار العلوم بهوبال	بهوبال	مدهيابهارت	سنة ١٩٠٠ م .
الجامعة المحمدية	راى درج	آندهرا	بعد سنة ١٩٠٠ م .
المدرسة الإسلامية	كرنول	آندهرا	أنشأها الشيخ سلطان أحمد سنة ١٨٩٦م .
المدرسة الإسلامية	غاريبور	»	بعد سنة ١٩٠٠ م
كلية حشمة رحمت	»	»	»
دار العلوم سلفية	لهراى سرائى	»	»
المدرسة النظامية	حيدر آباد	»	»
جامعة مدينة العلوم	بلسكل	كيرالا	»

اسم المدارس	المدينة	الولاية	زمن إنشائها
مدرسة سبيل الرشاد:	بنكلور :	ميسور	بعد سنة ١٩٠٠م
المدرسة العربية العالية:	كلكتا :	بنجال	الحكومة الهندية .

هذه صورة موجزة لأشهر المدارس العربية فى الهند . وهناك مئات من المدارس الأخرى فى كل ولاية من الولايات التى تضم أكثر من عشرين مديرية ، ويرسل الطلاب من هذه المدارس إلى مدرسة ديوبند للتخصص فى الحديث أو التفسير أو المنطق أو الفلسفة أو الفقه الحنفى . وقد تركنا مئات من المدارس العربية التى تقوم برسالتها فى أنحاء الهند ولكنها لم تنل أى شهرة . وعلى سبيل المثال نذكر بعض المدارس فى ولاية بهار وحدها التى تشتمل على أكثر من عشرين مديرية ولم نذكرها فى الجدول السابق . وفى مديرية « پتنه » مثلا توجد مدرسة شمس الهدى والمدرسة العزيزية ، والمدرسة الإسلامية كنذرى ، والمدرسة المحمدية والمدرسة القومية ، والمدرسة الحنفية ، ومدرسة منار الإسلام ، والمدرسة الإسلامية بهابورة وفى مديرية « آره » توجد أربع مدارس ، وفى مديرية « جيا » خمس مدارس ، وفى مديرية « مظفربور » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « تسارة » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « جمپارن » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « دربهنكا » ست مدارس ، وفى مديرية « بها كل پور » تسع مدارس ، وفى مديرية « سنتال پرجنا » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « پورنية » عشر مدارس ، وفى مديرية « ناكپور » مدرسة واحدة ، وفى مديرية « أريسة » ست مدارس ، وفى مديرية « پورُولية » مدرسة واحدة ، وفى مدرسة جهانى باسة مدرسة واحدة وكذلك حال الولايات الأخرى ومديرياتها فى أنحاء الهند ولا يمكن لنا أن نستوعب جميع هذه المدارس .

ويدرس فى جميع هذه المدارس نفس المنهج الذى سميناه بالمنهج النظامى ، وبمرور الأيام أنشئت بمدرسة ديو بند شعب وفروع للتخصص ، وقد لعبت مدرسة ديو بند دورا رائعا فى الهند وأنجبت كثيرا من العلماء والزعماء والمصنفين والكتاب .

ولكن هذه المدرسة أو الجامعة لم تهتم بالأدب العربى كما اهتمت بالصرف والنحو واللغة والمنطق ، ولا يدرس هناك فى الأدب العربى إلا المقامات للحريرى ، وديوان المتنبى وديوان الحماسة طوال السنين الجامعية ، ولذلك كان طلاب هذه المدرسة بعيدين عن تذوق الثقافة العربية السليمة ، ولم يظهر منها الأدباء والشعراء فى اللغة العربية كما

ظهروا فى العصور الماضية ، وكان حال هذه المدرسة الكبيرة وشقيقاتها فى شرق الهند وغربها إلى الآن كشأن الأزهر القديم قبل سنة ١٩٠٠ م . والعلوم التى لا تزال تدرس فى هذة المدرسة وشقيقاتها لا تصلح للعصور التى نعيش فيها الآن ، ولا يتمكن الطالب الذى يتخرج من هذه المدارس العربية أن يفهم الإسلام فهما سليما . ولا يستطيع هؤلاء المتخرجون أن يسيروا مع موكب الحضارة كما فشل هؤلاء فى قيادتهم وزعامتهم للأمة الإسلامية فى القرن العشرين .

ولذلك قام مصلح كبير فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى لإصلاح المنهج النظامى الذى لا يزال يدرس فى المدارس العربية ولا سيا فى مدرسة ديوبند ، وهو العلامه محمد شبلى النعمانى ، وهو أيضا تخرج على أيد العلماء القدماء ولكنه اشترك فى الحركة الإصلاحيه مع السيد أحمد خان منشئ الجامعة الإسلاميه بعليكرة فى بداية الأمر .

مدارس الهند والقرن العشرون :

ونحن لا نريد أن نتحدث عن السيد أحمد خان والجامعة الإسلامية بعليكرة . لأن الجامعة لم تكن جامعة عربية بل كانت على طراز الجامعات المعاصرة فى أوربا ، ولم تكن تدرس فيها اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلا كمواد إضافية كشأن جامعات العالم . ولذلك استطاع محمد شبلى النعمانى أن يحمل لواء الإصلاح فى الهند . فنقد المنهج النظامى ودعا إلى تغيير هذا المنهج وتقريبه إلى حياتنا المعاصرة . وبدأ ينشر مقالاته النقدية باللغة الأردية من سنة ١٨٩٠ م . وقد أتيحت له الفرصة بعدئذ لكى يسافر إلى مصر ويتصل بالشيخ محمد عبده معاصره فى الحركة الإصلاحية وعلى مبارك باشا منشئ دار العلوم بالقاهرة . وقد انصب نقد شبلى النعمانى على الأهمية الزائدة التى أعطيت للنص ومعانيه وما يتفرع عنه من استنتاجات وقلة العناية بالنواحى الواسعة من الموضوع . وكان مما نبه إليه أن الشيئين المهمين فى الدراسة اللاهوتية هما : أولا تحصيل الفرع الخاص ، وثانيا تعميق الفكر والقدرة على الدرس المستقل كما أوضح أن امتلاك ناحية العربيـــة لم يزل بعد دون المستوى المطلوب وأنه من الواجب مضاعفة الاهتمام بالعلوم القرآنية وعلى الأخص بدراسة الإعجاز . وأشار أخيراً إلى ما لاحظه من أن العلوم التى اتخذها العرب عن الإغريق لا تزال تدرس كما أخذت خلال العصور الوسطى دون أى تقدم .

ولم يكن لهذا النقد جدوى . لأن المدارس العربية فى الهند أثارت خصومات شديدة هذه وكفره علماء مدرسة ديوبند ولكنه استمر فى دعوته ونقده حتى قامت فى الهند منظمة كبيرة باسم « ندوة العلماء » لاصلاح المنهج

النظامى وإنشاء مدرسة عربية جديدة لتحقيق الأهداف التى ينادى بها المفكرون الجدد وقد انضم شبلى إلى هذه المنظمة وأنشئت مدرسة «دار العلوم لندوة العلماء» فى مدينة «لكهناو» سنة ١٣٨٣ هـ لتحقيق هذه الأهداف واختير محمد شبلى مديراً لهذه المدرسة، والشيخ عبد الحى الحسنى صاحب نزهة الخواطر وكيلا لها. وقد وضع محمد شبلى منهجا جديدا لهذه المدرسة الحديثة وألغى المنهج النظامى القديم وأضاف إلى هذا المنهج كثيرا من الكتب الأدبية واللغوية أمثال «نهج البلاغة» وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز والكشفات الزمخشرى، والمفصل للزمخشرى ومغنى اللبيب لابن هشام ومادة الإنشاء والتعبير والعلوم الحديثة الرائجة فى ذاك الوقت فى الجامعات المعاصرة:

وقد نجحت هذه المدرسة نجاحا عظيما فى رسالتها وأنجبت رجالات كبيرة مثل البحاثة والمؤرخ الكبير السيد سليمان الندوى الذى وضع قاموسا عصريا للغة العربية من العربية إلى الأردية.

والأسف أن مدرسة دار العلوم لندوة العلماء قد تناست رسالتها بمرور الأيام، وتتقرب كل يوم إلى مدرسة ديوبند لأن قادة هذه المدرسة لم يبذلوا جهودهم فى السنين التالية لتغيير المنهج القديم الذى وضعه محمد شبلى النعمانى لبداية القرن العشرين وتقريبه إلى حياتنا المعاصرة فى نهاية القرن العشرين

ولذلك نوافق نحن الدكتور فيضى مدير جامعة كشمير فى الهند الذى وجه نقده إلى جميع المدارس العربية فى محاضرته التى ألقاها فى مؤتمر الثقافة الإسلامية بجامعة برنستون فى الولايات المتحدة سنة ١٠٥٣ م. إذ قال: «إن دراسات المستشرقين من الغرب ليست معروفة عند علماء الهند، والذى تسوقه الصدفة منها إلى علمهم يقابل بالعداء الذى يكاد يصل إلى حد التعصب الأعمى وأنه لا اهتمام هناك بالتقدم الحديث فى العلم والفلسفة والتاريخ والدين المقارن ولا تقدير لضرورة معرفة اللغات السامية الأخرى كالسريانية، والعبرية، والآرمية، والحبشية مع أهميتها للبحث النقدى، وأن معرفة اللغات الأوربية الحديثة - الانجليزية، أو الألمانية تعتبر عند هؤلاء علما فارغا

واضح - إذن - أن التربية الدينيه التى كانت فى تلك المدارس تحتاج إلى إصلاح كبير من وجهة نظر القرن العشرين. وليس من المستطاع مقارنتها بالدراسة الجامعية فى اللاهوت، فى أى جامعة حديثة مثل أكسفورد أو روما أو شيكاجو. إذ لا اهتمام فى المدارس العربية فى الهند بدراسة التاريخ الحديث والدين المقارن والمنطق والحديث وعلم النفس والميتافيزيقيا كما يفهمها العصر الحديث.

(البقية فى الجزء القادم)

محمد اسماعيل الندوى

اختلاط الجنسين في نظر الإسلام

للأستاذ سعد الدين الجيزاوى

لم تغفل التشريعات الإسلامية أمر اختلاط الجنسين باعتبار أن ذلك أمر تقتضيه ظروف الحياة الاجتماعية التى عنى الإسلام بتنظيمها وبنائها على أسس سليمة غفل عنها الناس وأخذوا يتخبطون فيها ويلتمسون لمجتمعاتهم نظما يقتبسونها من الغرب أو من الشرق. فكان هذا العثار الذى لا قومة منه إلا بالأخذ من مناهل النظم التى اختطها الإسلام.

ونود هنا أن نعرض لموضوع اختلاط الجنسين على ضوء التعاليم الإسلامية لنرى كيف عالج الإسلام هذا الموضوع الحساس.

وقد هدانا البحث إلى إن أهم ما عنى به الإسلام حول هـذا الموضوع يرجع إلى أصول أربعة :

١ ــ الأصل الأول : وهو قاعدة عامة نطق بها الرسول الكريم تحدد ما ينبغى أن تكون عليه حال المختلطين حين تضطر الظروف الناس إلى اختلاط، وذلك الأصل هو قول النبى عليه الصلاة والسلام : « ما اختلى رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ». وبديهى أن المراد هنا المرأة الأجنبية عن الرجل، لا زوجته ولا إحدى محارمه، وإذن يكون منبع الفساد الناشىء عند الاختلاط إنما هو من الانفراد. انفراد الرجل والمرأة لا من مجرد اختلاط بين مجموعة من النساء والرجال.

وإذا نحن سألنا أنفسنا عما نشاهده ونراه ونسمعه تأكدت لنا دقة هذه القاعدة وعمق فلسفتها.

ولا يتسع بنا المقام لذكر ما ورد على لسان الشعراء عن (الرقيب) وما يتمناه الشاعر من الخلوة والانفراد بمن أحب كيفما كانت النتائج. كقول جميل بثينة على سبيل المثال :

وما أنس م الأشياء لا أنسَ قولها
وقد قربت نضوى : أمصر تريد ؟

ولا قولها : لولا العيون التى ترى
أتيتك. فاعذرنى، فدتك جدود

ونحن نعلم ما رتبه الفقهاء على الخلوة الصحيحة التى يختلى فيها الرجل بامرأة بحيث لا يدخل عليهما أحد فى مكان الاختلاء إلا بإذن. إذ جعلوا هذه الخلوة كالدخول الحقيقى فيما يتعلق بأحكام العدة والمهر

والنفقة ... فى حين أنهم اعتبروا الخلوة التى يمكن أن يدخل فيها على المختليين شخص آخر فى مكان الاختلاء بدون إذن . . خلوة فاسدة ولم يرتبوا عليها ما رتبوا على سابقتها من أحكام .

ومن هنا نرى أن الاختلاط من حيث هو اجتماع عدد من الجنسين لضرورة غير ممنوع ، وإنما الذى تجب مراعاته والحيلولة دونه هو اختلاط شخصين اثنين ذكر وأنثى فى خلوة وبعد عن أعين الناس . . لأن الغرائز الجنسية حينئذ تنطلق بعيدة عن « قيود المجتمع » أو « أعين الرقباء » كما يقول الشعراء ، وتجد النظرات منافذ إلى القلوب لا تتاح لها فى ملأ من الناس ، والأحاديث تجد حرية لا تجدها على مسمع من الناس فيحدث ما يحدث من مفاسد .

ومن ثم تجد الآباء والأمهات يشددون الرقابة على أولادهم وبناتهم ، ويحولون بقدر الإمكان دون إتاحة الفرصة لاختلاط أبنائهم بالغير فى مثل هذا الاختلاء .

ولنلق نظرة إلى مجتمعنا الحديث : هل اختلاط الفتيان والفتيات فى الجامعات وغيرها من المرافق العامة مدعاة إلى الفساد إذا روعيت حدود الآداب واللياقة ؟ .

لنعد إلى الماضى : فقد كانت هناك نسوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونسوة الصحابة الكرام ، يخرجن وراء الجيوش ، ويقمن بإعداد الطعام للمقاتلين . . وكن يضمدن جراح المصابين : من أزواجهن وغير أزواجهن . .

وكان نسوة يذهبن إلى النبى الكريم يسألنه عن أمور دينهن ، وكان رجال يذهبون إلى السيدة عائشة رضى الله عنها بعد انتقال الرسول الكريم يسألونها : « ما كان النبى يصنع فى بيته » ؟ وغير ذلك من أمور الدين . .

وعلى مر العصور كان نساء يتعلمن من رجال ويسرن وراء الجيوش ، وكان رجال يتعلمون من نساء . . ولم نسمع أن هناك فساداً نشأ من مثل هذا الاختلاط . . فماذا حدث إذاً ؟ ؟ .

إنه التبرج والاستهتار بالقيم الإنسانية لا مجرد الاختلاط ، لقد كانت المرأة فى العصور السالفة تحترم أنوثتها وتضن بها أن تبتذل وترخص . ومن ثم كانت لا تضار بالاختلاط .

أما اليوم فإن المفاسد التى تنشأ من الاختلاط الذى تدعو إليه الضرورة لم تنشأ من مجرد الاختلاط وإنما تنشأ من تبذل المرأة والفتاة وإرخاصهما لأنوثتهما ، وإبراز المحاسن التى ينبغى أن تضن بها المرأة العاقلة . ثم هذه المبالغة فى الزينة بلزوم ومن غير لزوم . إن نساءنا وفتياتنا لو فكرن قليلا

ورجعن إلى عقولهن ، لأدركن قيمة خطئهن ، وما وصلن إليه من إهدار لأنوثتهن بل لآدميتهن .

وأمسك عن تفصيل هذا الابتذال فهو أظهر من أن ينبه عليه قلم ! !

٢ ــ الأصل الثانى : وهو منع اختلاط الأطفال فى النوم عند بلوغ سن معينة ولو كانوا إخوة وأخوات وذلك الأصل قرره الحديث الشريف : « علموا أولادكم الصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

فالأطفال قبل السابعة أو الثامنة مثلا لا يميزون ، ولا يدركون المسائل الجنسية ولكن متى بدأ شعورهم يتجه إلى هذه الناحية فى العاشرة وما بعدها فهنا تجب اليقظة ، والتفريق بين الذكر والأنثى فى مكان النوم ؛ لأن ذلك أدعى إلى صرف الذهن عن التفكير ، وخير ألف مرة من وعظ الطفل أو زجره فى هذه المرحلة .

إن الأطفال فى هذه السن لا يميزون بين أخوة أو غيرها ، ومن ثم فالحديث الشريف يرشدنا إلى عزل الأطفال الذكور عن الإناث فى أماكن النوم؛لأنها أكثر مظنة لتوجيه النظر عند ما تبدأ الغرائز الجنسية فى التفتح .

٣ ــ والأصل الثالث : هو تخصيص الصفوف الخلفية للنساء فى صلاة الجماعة بالمساجد .

فللمرأة الحق فى أن تنال فضل ثواب الجماعة بالمسجد أسوة بالرجل ، ولها أن تصلى الجمعة ، وهى لا تؤدى إلا فى جماعة بالمساجد ...

فماذا كان موقف التشريع من ذلك ؟ ؟

إن التشريع لم يمنع الاختلاط لأداء الصلاة ، ولكنه نظمه تنظيما دقيقا يتناسب وحالة الصلاة التى تتكرر فى اليوم خمس مرات طوال العمر .

لقد جعلت الصفوف الأولى للرجال ، والتى تليها للصبيان والأخيرة للنساء . أتدرى لماذا لم يترك الاختلاط هنا على إطلاقه كما سترى فى الحج ؟ ذلك لأن الصلاة فى الجماعة تؤدى فى صفوف منتظمة تتلاحق فيها الأكتاف والأيدى بل سائر الأجساد لفترة قد تبلغ خمس عشرة دقيقة فى كل صلاة ، وفى هذا ما فيه من تنبه الغرائز الجنسية عن قصد أو عن غير قصد رغم هيبة المكان والحالة التى يكون عليها المصلون من الخشوع والهيبة ... فلم يكن مناص إذن من منع الاختلاط على هذه الصورة فى المساجد وفى أثناء الصلاة بالذات .

أما الاختلاط من حيث هو فى مجموعة من النساء والرجال بالمسجد ، واتمام النسوة برجل ، واستماعهن إلى وعظه ، وسؤاله عن

أمور دينهن فليس هناك ما يمنعه ما دامت قد روعيت الشروط الأخرى : فلا تبرج ولا تلاصق بالأجسام ولا خلوة بين اثنين .

٤ — والأصل الرابع : هو إباحة الاختلاط على إطلاقه فى مناسك الحج جميعا : فالرجال والنسوة يشتركون فى الطواف حول الكعبة وفى السعى بين الصفا والمروة ، وعند الوقوف بعرفة وعند رمى الجمرات ... دون تخصيص وقت لكل فريق أو تحديد صفوف للرجال وأخرى للنساء .

ولو تأملنا ذلك لوجدنا فلسفة عميقة وراء إباحة هذا الاختلاط فى أطهر الأماكن وأقدس الأوقات .

إن هذا الاختلاط فى تلك الظروف يعتبر مدرسة تدريب عملى ، وإعداد للنفوس إعدادا روحانيا حتى تواجه الاختلاط الذى يضطر إليه الناس فى ظروف كثيرة بعزيمة .

نعم : هناك فى المطاف وفى المسعى وفى عرفات ، يجد الرجل نفسه إلى جانب المرأة كتفاً لكتف . بل جسما إلى جسم ، ووجها إلى وجه فيتحاشى الالتصاق بها أو مسها ولو كانت زوجته ، وينفر من الاحتكاك بها على أية صورة نفوراً شديدا .

إنه لو خرج عن حدود الآداب قيد أنملة ارتكب جناية بل قد يفسد حجه نهائيا فهو إذن مضطر إلى الصبر ومقاومة النفس عن كل ما يتعلق بالمرأة ولو كانت حلالا .

ثم إن هذه المناسك تجمع النسوة من مختلف الجنسيات ، وقد يكون بينهن الفاتنات بقوامهن أو بجمال وجوههن فلا يستطيع أن يفكر فى التأمل وإعطاء العين حقها كما يقولون أو التغزل ولو كان من المستهترين لهيبة الموقف والشعور الذى يستولى على المرء حينذاك بأنه يقف بين يدى أحكم الحاكمين .

إن مدة الإحرام التى يقضيها الحاج يكون فيها منع عن أمور كثيرة مما هو مباح ، كالتطيب ولبس المخيط وقص الشعر ليشعر بعد الإباحة بقيمة النعيم ويحس بلذة امتثال الأمر ... وفى هذا ما فيه من تدريب النفوس على الصبر واحتمال المشقات عند الظروف التى تضطر الإنسان إلى الامتناع عن تناول المباح ... فما بالك إذن بتدريب النفس على منعها من المحرمات أو ما يؤدى إلى الحرام ؟؟ .

إن الزحام الذى يحدث فى المجتمعات العامة كالأسواق والسيارات يؤدى حتما إلى احتمال حدوث المفاسد ، فإذا أعدت النفس إعدادا قويا ، وتدربت على تذكر المثل العليا والقيم الروحية التى يعيش فيها الإنسان أثناء مناسك الحج . كان ذلك بمثابة مناعة تحول دون الشر .

وبعد : فهذه عجالة نحو موضوع هام يتصل بحياتنا العامة وما ينبغى أن تكون عليه من مثالية فى ظلال تعاليم الإسلام .

هدانا الله جميعا ووفقنا إلى الصواب .

سعد الدين الجيزاوى

الإسلام دين الوحدة الكبرى

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومي

يتميز الإسلام بأنه دين الوحدة لا الفرقة ، ودين الأمة لا الطبقة . وكانت هذه الميزة من الخصائص الذاتية للدين الإسلامي الحنيف ! ولذلك كان دينا عتداً بطبعه ، زاحفا بقوانينه وشرعته !! .

ولقد أسس الإسلام هذه الوحدة على أقوى الدعائم وأمتن البنيان . بدأها بالوحدة في الفرد ، فطلب منه أن يكون متناسق القلب والعقل ، والعاطفة والشعور ، واللسان والجوارح ، فلا يحب الإسلام من المسلم أن يكون العقل شاكا والقلب مؤمنا ، ولا يحب منه أن يكون اللسان مسلما واليد باطشة بظلم ، والبطن آكلا للحرام ، فلسان العاقل من وراء قلبه ، ولا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ! !

وإذا كان الدم يتوزع في الجسم كله من مكان واحد حساس ، فقد أعطى القلب هذه السلطة في توزيع الإيمان على جميع الجوارح لتكون الوحدة في السلوك متميزة كل التميز : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

وتوسع الإسلام في الوحـــدة لجعلها في الأسرة بين الزوج وزوجه : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة »[1] : وكانت الوحدة بين الأب وأبنائه !! « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا »[2]

وإذا كانت الوحـــدة في الفرد قائمة على الوازع النفسي المؤمن « ثم لم يرتابوا » . فإن الوحدة في الأسرة قائمة على المودة والرحمة كما أشار القرآن الكريم ، والوحدة في الأبوة مبنية على الطاعة والرعاية « إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »[3] .

وتوسع الإسلام في الوحدة لجعلها في أخوة النسب ، وقرابة العصب ، وفي العائلة أو القبيلة

[١] الروم - ٢١ .
[٢] الإسراء - ٢٣ .
[٣] الإسراء - ٢٣ ، ٢٤ .

أو العشيرة ، فوكد التواصل ، ووزع المغانم والمغارم والديات ، ليكون العبء أخف ، والمصيبة أهون « وبذى القربى » ولذلك كانت الرحم مشتقة من اسم الرحمن ، من وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله . واشترط الإسلام لهذه الوحدة أن تكون المناصرة على الحق لا على الظلم ، لأنه لا يقر العصبية ولا يعترف بها « ليس منا من قاتل على عصبية » . وبذلك تميز الإسلام عن وحدة العائلة ، أو القبيلة ، أو العشيرة فى الجاهلية وفى البيئات غير المتدينة.

ثم جعل الإسلام الوحدة بين الجار والجار « والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب »[1]. وقد أفاضت الأخبار فى التواصى على حسن معاملة الجار ، حتى ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل سيورثه . وليس معنى حسن الجوار مشاركة المجاملة فى كلمات التهانى والعزاء ، كما يفعل المتمدينون فى هذه الأيام ، إنما هى مشاركة تغوص فى أعماق النفس ، وتتبنى مشاكل الحياة .

وانظر إلى الحلقة الكريمة التى أحاط الإسلام بها الجوار عند ما جعلها تشمل الجار القريب والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وهل الأمة إلا جار يتلوه جار .

ثم جعل الإسلام الوحدة بين أهل الحى الواحد ، وجعل كل فرد مسئولا فيهم عن أبناء حيه فلا يصح أن يجوع أحدهم أو يعرى ، « أيما أهل عرصة بات امرؤ منهم جائعا فقد برئت منهم ذمة الله » ولقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعريين ؛ لأنهم كانوا متعاونين متراحمين متآلفين .

ثم جعل الإسلام الوحدة بين الحاكم والمحكوم ، وأسسها على العدل والرحمة ، والمشورة فى الأمر ، والتساوى فى الحقوق . « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »[1]

لقد كان الحاكم عند الأكاسرة من سلالة الآلهة ، وكان فى بعض الأمم لا يعارض ولا يدانى ، فجاء الإسلام بشرعة الوحدة بين الحاكم والمحكوم « لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها » .

ثم توسع الإسلام فى الوحدة فجعلها بين أفراد الأمة المسلمة جميعا ، وجعلها قائمة على التعاون الحسن : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »[2] وعلى التواصى بالصبر والرحمة « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة »[3] « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »[4] .

---

(١) ـ النساء ـ ٣٦ .

(١) ـ النساء ـ ٥٨ .

(٢) ـ المائدة ـ ٢ .

(٣) ـ البلد ـ ١٧ .

(٤) ـ العصر ـ ٣ .

وأسس الإسلام هذه الوحدة على التكافل الاجتماعي الصحيح ، فالأمة مسئولة عن الجوعى والعاطلين ، « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »(١) . « من كان عنده فضل ظهر ، فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد ، فليعد به على من لا زاد له ، وأخذ رسول الله يعدد من أصناف المال حتى ظن الصحابة أنه لا حق لأحد منهم فى الفضل . وقال عمر : « والله ما أحد أحق بمال الدولة من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، والله ما من أحد من الناس إلا وله فى هذا المال نصيب ، فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته . والله لئن بقيت لهم ليأتين الرجل بجبل صنعاء حظه من المال وهو فى مكانه يرعى » .

وكذلك اشترط الإسلام أن تكون الوحدة فى الأمة قائمة على الحقوق المشروعة ، والعدالة المفروضة ، ومراعاة إخواننا من أهل الذمة ما داموا قد عاشوا بيننا ، ولهم مالنا وعليهم ما علينا : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم . إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »(١) .

ونحب أن نضع هنا بعض البنود من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رسم فيه سياسة الأمة المسلمة بعد هجرتها إلى المدينة : سياستها مع أفرادها المسلمين ، وسياسة المسلمين مع غيرهم من أبناء الديانات الأخرى . ولقد ورد هذا الكتاب فى سيرة ابن هشام وهذه هى البنود : —

١ — وحدة الأمة المسلمة من غير تفرقة بينها .

٢ — تساوى أبناء الأمة جميعاً فى الحقوق والكرامة .

٣ — إجارة أدناهم على أعلاهم .

٤ — تكاتف الأمة كلها دون الظلم والإثم والعدوان والفساد كائنا من كان الظالم والمفسد .

٥ — اشتراك الأمة فى تقدير العلاقات مع أعدائها ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن .

٦ — تأسيس المجتمع على أحسن النظم وأهداها وأقومها .

٧ — مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام ووجوب الامتناع عن نصرتهم .

---

(١) ـ الذاريات ـ ١٩ .

(١) الممتحنة ـ ٨ ، ٩ .

٨ — حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالما متعاونا والامتناع عن ظلمهم والبغى عليهم .

٩ — لغير المسلمين دينهم وأموالهم لا يجبرون على دين المسلمين ، ولا تؤخذ منهم أموالهم .

١٠ — على غير المسلمين فى الدولة الإسلامية أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر عن كيان الدولة ضد كل عدوان .

١١ — على غير المسلمين أن يسهموا فى نفقات الدولة كما يسهم المسلمون .

١٢ — وعليهم أن يشتركوا فى نفقات القتال ما داموا محاربين .

١٣ — وعلى الدولة أن تنصر من يظلم منهم كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه .

١٤ — وعلى المسلمين وغيرهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ومن يناصرهم .

١٥ — إذا كانت مصلحة الأمة فى الصلح وجب على جميع أبنائها المسلمين وغير المسلمين أن يقبلوا الصلح .

١٦ — لا يؤاخذ إنسان بذنب غيره ، ولا يجنى جان إلا على نفسه .

١٧ — حرية الانتقال فى داخل الدولة وخارجها مصونة بحماية الدولة .

١٨ — لا حماية لآثم ولا لظالم .

١٩ — المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان .

٢٠ — هذه المبادىء تحميها قوتان : قوة معنوية وهى إيمان الشعب بالله ومراقبته له ورعاية الله لمن بر ووفى ، وقوة مادية وهى رئاسة الدولة التى يمثلها النبى صلى الله عليه وسلم [1] .

على هذه المبادىء الكريمة سارت الأمة المسلمة موحدة الصفوف ، عالية البنيان ، شامخة الذرى ، فشادت وسادت وحافظت على الأمجاد وسجلت تاريخا دونه كل تاريخ .

ولقد أكد القرآن الكريم حرص الأمة الإسلامية على وحدتها فقال فى سورة الأنبياء « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »[2] . وفى سورة المؤمنون : « وإن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون » [3] .

والأمة المسلمة لم تعرف الهزيمة فى صفوفها أو التأخر فى ثقافتها إلا بعد أن فرط الاستعمار عقدها ، وجزأ حدودها ، وأوجد السدود بين دولها وإماراتها ، إن الفرقة غريبة عن طبيعة الإسلام ! .

ولم يقف الإسلام عند الوحدة بين الأمة المسلمة ، بل توسع فجعلها وحدة إنسانية بين الإنسان والإنسان فى كل زمان ومكان ، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، والإنسان أخو الإنسان :

---

[١] راجع كتاب اشتراكية الإسلام .
[٢] الآية : ٩٢ .
[٣] الآية : ٥٢ .

ووحد بين الناس لا البعد مبعد
عن الساحة الكبرى ولا القرب مقرب
فليس لدى الإسلام شرق ومشرق
وليس لدى الإسلام غرب ومغرب

وقد أكد القرآن هذه الوحدة الإنسانية فقال: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء»[1].

وقال: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير»[2].

وهذه الوحدة الإنسانية تميز بها الإسلام من غيره من الأديان والشرائع، فلم يكن ديانة شعب معين يسمى نفسه (شعب الله المختار) ولم يكن ديانة قلب يهتم بالوصايا الخلقية فقط، بل كان دينا وشريعة ودستوراً ومنهاجا يضم إلى حناياه جميع البشر: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً»[3].

وقد توسع الإسـلام بعد هذه الوحدة الإنسانية القائمة على التعاطف والتواصل والتراحم، فانتقل إلى الوحدة الكونية بين السماء والأرض، إذ جعل العلاقة بين سكان السماء وسكان الأرض علاقة الود والرحمة، فالملائكة حفظة لنا، وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين: «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به، ويستغفرون للذين آمنوا»[1].

والملائكة يرصدون حسناتنا ويتعاقبون فينا بالليل والنهار، وتحف أجنحتهم بطلبة العلم وهكذا، وهذه الوحدة الكونية تميز بها الإسلام عن الحضارات المادية التى تفصل الأرض عن السماء، وتفصل بين سكان الأرض وسكان السماء حتى إن أرادت الحضارة المادية الاتصال بالفضاء فإنما تتصل به اتصال غزو واستكشاف لا اتصال إيمان ويقين.

وتوسع الإسلام مع هذا كله فجعل القلب المسلم يحمل فى طياته الوحدة بين الدنيا والآخرة، وجعل العقل المسلم يذكر فى وقت واحد الموت والحياة.

«ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين»[2]: البقرة.

«الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا»[3].

---

[١] النساء: ١.
[٢] الحجرات: ١٣.
[٣] سبأ: ٢٨.

[١] غافر: ٧.
[٢] البقرة: ١٧٧.
[٣] الملك: ٢.

وبهذه الوحدة الممتدة من وحدة الفرد المنتهية بالوحدة بين الدنيا والآخرة انفرد الإسلام وتميز من غيره من جميع الأديان والشرائع والمذاهب الأرضية، ولعل اتحاد المسلمين على القبلة في الصلاة وجعلها شرط صحة لهذه العبادة أكبر دليل على أنه دين التناسق والاجتماع.

ولقد كانت هذه الوحدة الكونية بارزة المعالم واضحة الخطوط في هذا الدعاء الذي كان يستفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم تهجده عند ما كان يقف بين يدي ربه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق: إلخ إلخ.

ثم شد الإسلام الإنسانية كلها في حبل متين ورباط قويم إلى ماذا؟ إلى الله «فأينما تولوا فثم وجه الله»[1].

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»[2]

وبهذا كله كنا نحن المسلمين مأمورين بأن نكون دعاة وحدة، وقواد إصلاح نثور على الفرقة بجميع أنواعها، ونحاربها في جميع أشكالها وألوانها:

«ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم»[1].

وإذا كان اليهود يتكتلون اليوم على صهيونيتهم، والرأسماليون يتكتلون اليوم على رأسماليتهم والملحدون يتكتلون اليوم على إلحادهم، فنحن معشر العرب يجب أن نتوحد اليوم على إسلامنا وعروبتنا.

ولغة الكفاح وحدها ستفرض نفسها لتزيل الأشواك من الطريق، وتصفي الماء من الكدر وما ذلك على الله بعزيز.

ولا يصح أبدا أن ننساق وراء الحوادث الانفصالية الأخيرة في الإقليم الشمالي فيدب اليأس في قلوبنا ونستبعد وقوع الوحدة الشاملة.

إن الحروب الصليبية قبيل عهد صلاح الدين استطاعت أن تمزق الوطن العربي وتصل إلى فلسطين وتبقى فيها عشرات السنين، ولكن صلاح الدين الأيوبي استطاع بتوفيق الله أن يحطم الجيوش الصليبية، ويوحد الوطن العربي من جديد.

أحمد عبد الجواد الدومي

---

[1] البقرة: ١١٥.
[2] آل عمران: ١٠٣.

[1] آل عمران: ١٠١.

مع قضايانا

إننا عائدون

للأستاذ احمد الشرباصي

— ٢ —

إننا عائدون بإذن الله إلى فلسطين ، لأنها بلدنا ووطننا وحمانا ، نحن العرب ما بين مسلمين ومسيحيين ، ففلسطين تضم المسجد الأقصى ثالث المساجد المقدسة فى الإسلام ، كما تضم كنيسة المهد وهى أقدس الكنائس فى نظر أتباع المسيح عليه السلام ، وفلسطين تضم مسجد عمر كما تضم كنيسة القيامة ، وكنيسة القيامة هى التى أبى عمر الفاروق أن يصلى فيها يوم زارها عقب فتح الإسلام القدس باسم الله عز وجل ، وخرج فصلى صلاته على مقربة منها ، فأقام المسلمون مكان صلاته مسجدا سموه مسجد عمر ، وتكرر بناء المساجد التى يسمى كل منها مسجد عمر فى بلاد فلسطين ، وكأن هذه إشارة دقيقة وعميقة إلى أن هذا الوطن العربى الفلسطينى يصون حرية العبادة لهؤلاء وهؤلاء ، ويضم أشياء مقدسة فى نظر المسلمين ، كما يضم أشياء مقدسة فى نظر المسيحيين ، فيجب أن يتضافر الجميع على تحرير هذا الوطن وصيانته وإعزازه.

بل هناك ما هو مشترك القداسة بين المسلمين والمسيحيين : هناك المكان الذى ولد فيه عيسى ، وأقيم عليه بناء كنيسة المهد ؛ فإن هذا المكان يثير ذكريات جميلة وجليلة فى نفس المسلم ، وإن كان متعلقا بالمسيح ، وإذا ذكر الإنسان المسلم مهد عيسى تذكر آيات كريمة كثيرة فى كتاب ربه عز وجل تتصل بهذا المهد وهذا الميلاد ، كقوله تبارك وتعالى : « واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لكِ غلاماً زكيا . قالت أنى يكون لى غلامٌ ولم يمسسنى بشرٌ ولم أكُ بغيا . قال كذلكِ قال ربُّكِ هو علىَّ هينٌ ولنجعله آيةً للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت

نسياً منسيا ، فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا ، فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا . » .

ولقد « زرت بيت لحم » أكثر من مرة ، وهى البلدة التى ولد فيها نبى الرحمة عيسى عليه السلام ، ونزلت فى أعماق كنيسة المهد بها ، ووقفت أمام المكان الذى ولد فيه عيسى .. وقفت ولا تكاد تحملنى قدماى . فقد مادت بى الذكرى . . إذن هنا جاءت مريم العذراء الطاهرة البتول سيدة نساء العالمين ، وهنا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، ومكانا قصيا . وهنا جاءها رسول ربها ليهب لها غلاما زكيا ، ليجعله آية للناس ورحمة منه وكان أمراً مقضيا ، وهنا حملت مريم ابنة عمران « التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » ! .

وهنا وضعت طفلها المسيح الذى جعله ربه « وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » !

هنا يقف المسلم خاشعا ويقف المسيحى خاضعا ، وهنا يلتقى المسيحى والمسلم على تكريم ذكرى المسيح وتنزيه البتول العذراء ، وهنا يتذكر المسيحى والمسلم على السواء أن هذه دارهما ، وتلك ذكرياتهما ، فلا يمكن لهما أن يفرطا فى هذا التراث الروحى العظيم ، ولا أن يهملا هذا الحمى الغالى العزيز ، ولا أن يتركاه ليستبد به الأخساء من الأعداء الدخلاء .

وإننا عائدون إلى فلسطين ، لأن فلسطين قد انتزعت من أيدينا بليل الخيانة والغدر ، ونحن لا نقبل أن نظل ضحية لهذه الخيانة وهذا الغدر ، وإلا لما كنا عربا ولما كنا مسلمين فنى مطلع الحرب العالمية الأولى ، وفى سنة ١٩١٥ بالذات خدع الإنجليز ـ وهم دهاقنة الاستعمار ـ الشريف الحسين بن على ، ومنوه بتاج يضعونه على رأسه عقب الحرب مباشرة وبأن يكون ملكا للعرب ، بعد أن يوحدوا له الدولة العربية الكبرى ، كما أوهموه يوم ذاك ، وتم التفاهم على هذا بين الملك حسين وبين الجنرال هنرى مكماهون المعتمد البريطانى وذلك فى مقابل أن ينضم العرب إلى انجلترا وحلفائها .

وبينما كان الحسين يهيم فى أودية الانخداع بهذا الوعد الكذوب ، كان الانجليز يعطون وعد بلفور فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ لتكون فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وبينما كانوا يمنون على اليهود بذلك كانت معاهدة (سايكس بيكو) قد سبقت هذا الوعد وهى المعاهدة التى عقدت بين انجلترا وفرنسا ،

وتضمنت تمزيق أوصال الدول العربية لتأخذ كل منهما نصيبها .

ثم كان التوطين ، والتهجير ، وبيع الأراضى وتتابع الثورات ، ومكائد الانتداب البريطانى وفظائع اليهود ، وإنهاء الانتداب اللئيم الخبيث الخسيس فى الرابع عشر من مايو سنة ١٩٤٨ بعد التمكين للصهيونية كى ترتكب فظائعها ومآثمها ، ثم كانت مأساة الحرب الفلسطينية ومهزلة الجيوش السبعة التى دخلت على غير اتفاق أو وفاق ، بل دخل بعضها بلا إخلاص من قادته أو أخلاق . وعجب الناس أن تنهزم سبعة جيوش عربية أمام حفنات من أبناء صهيون ، ولكن أحد المفكرين أجاب على هذا العجب بقوله : « لا يجوز أن يقال إن العرب خسروا معركة فلسطين ، مع أنهم كانوا سبع دول ، بل يجب أن يقال إن العرب خسروا معـــركة فلسطين لأنهم كانوا سبع دول » ! .

وإننا عائدون إلى فلسطين ، لأن ديننا الإسلامى قد علمنا العودة ، وتاريخنا قد علمنا العودة ، وإذا كنا نقرأ فى تاريخنا الإسلامى أن أسلافنا قد هاجروا مرة ومرة ومرة ، فنحن نقرأ كذلك أن هؤلاء الأسلاف قد عادوا من هجرتهم مرة ومرة ومرة ، ولقد أخرج الاحتلال الصهيونى الآلاف المؤلفة من أبناء فلسطين من ديارهم وعقارهم ، وشردهم فى بقاع الأرض ، وسماهم بالمهاجرين ولكن هؤلاء المهاجرين سيعودون كما عاد أسلاف لهم مهاجرون من قبل .

لقد هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة ، وقال لهم النبى : « إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » ، وخرجوا وكلهم أمل فى العودة ، وبعد شهور بلغتهم أنباء تقول إن قريشا قد عقلت فعدلت فاهتدت إلى سواء السبيل ، فرجع المهاجرون وعاد اللاجئون إلى ديارهم ولكنهم لم يجدوا تصديق الأنباء التى بلغتهم ، بل وجدوا الأذى أمامهم أشد مما كان ، فعادوا إلى الحبشة دون أن ينالهم يأس أو قنوط : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » ؟ !

وكان هؤلاء المهاجرون فى أثناء لجوئهم وهجرتهم أعزة كراما ، لا يذلون ولا يهونون ؛ يقودهم جعفر بن أبى طالب ويدخل على النجاشى ، فيسألهم من بباب النجاشى : من أنتم ؟ فيجيب جعفر : جعفر بن أبى طالب ومعه حزب الله !

ويدخل جعفر فيسلم بتحية السلام والأمان قائلا : السلام على من اتبع الهدى ، فيقال له : ما لك لا تسجد للملك كما تفعل الرعية معه ؟ فيستنكر جعفر ذلك ويقول : نحن لا نسجد لغير الله عز وجل ! .

ويسألهم النجاشي عن تعاليم دينهم فيجيب جعفر دون أن يرائي أو يداهن ويقول فيما يقول: «بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه». ثم يقول بعد أن يعدد تعاليم الإسلام: «فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك».

ولما أرسلت قريش وفدها بهداياها إلى النجاشي، لتحاول إرجاع هؤلاء اللاجئين لتفتنهم عن دينهم، وتعذبهم فى دنياهم، دافع المهاجرون عن أنفسهم حتى استبان للنجاشي الحق، ولما قال الوفد للنجاشي: إنهم يخالفون عقيدتك فى عيسى، ذكر جعفر للنجاشي ماجاء فى القرآن عن عيسى من تكريم وتمجيد من ناحية، ومن وصف له بالنبوة مع العبودية من ناحية أخرى . . .

وهكذا لم يمالئ المهاجرون ولم يداهنوا، مما جعل النجاشي يقدرهم ويصون حرمتهم، ويرد الوفد القرشي خائبا ...

ومرحين من الزمن قويت فيه شوكة المسلمين، فعاد المهاجرون الأولون ليأخذوا حظهم فى خدمة الدعوة وإعزاز كلمة الإسلام، وبقى منهم جعفر بن أبى طالب حتى عاد يوم فتح خيبر وإخراج اليهود البغاة منها، ففرح به الرسول فرحا شديدا، وقبله بين عينيه وقال: «ما أدرى أنا بقدوم جعفر أسر أم بفتح خيبر».

وقد هاجر المسلمون هجرة أكبر وأوسع بعد هجرة الحبشة، هاجروا إلى المدينة، وهاجر معهم رسولهم، ويروى أنه نزل عليه فى أثناء هجرته قول ربه: «إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين».

وقد روى الضحاك أن النبي لما خرج من مكة وبلغ «الجحفة» اشتد شوقه إلى مكة فأنزل الله عليه قوله: «إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» وإذا كان هناك من المفسرين من يقول: إن المعاد هو يوم القيامة، فإن الرازى المفسر يرجح أن المراد بالمعاد «مكة»، لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه وفارقه وحصل العود، وذلك لا يليق إلا بمكة، وإن كان غير هذا التفسير محتملا ..

وما هى إلا سنوات حتى عاد المهاجر

الأعظم ، الذى خرج وليس معه فى هجرته إلا صديق واحد ، عاد ومعه جيش قديرى الرائى أوله ثم لا يرى آخره ، أو يرى آخره ثم لا يرى أوله ، لكثرته وامتداده ، وعاد إلى مكة التى آذته وأخرجته وألبت عليه الجوع والأحزاب . ودخلها فاتحا قادرا ، وبسط فيها يد الرحمة والمغفرة والتطهير والتعمير.

فمن كان يظن يومئذ أن هذه الخطوات المهاجرة اللاغبة ستكون هى الخطوات الفاتحة المعمرة ؟ ومن كان يظن أن الذى خرج وليس معه إلا رفيق واحد سيعود ومعه الآلاف والآلاف ؟ ومن كان يظن أن الذى اختبأ فى الغار سيسطع سطوع البدر، ويطوف بالكعبة ويحطم الأصنام قائلا : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ؟ ومن كان يظن أن الذى خرج مهاجرا مطاردا من قوم سيعود ليحكم هؤلاء القوم ويسيطر عليهم ، ويقودهم إلى ساحات المجد وميادين الفخار ؟ ومن كان يظن أن المهاجر الذى خرج مرغما مشتاقا كل الشوق إلى وطنه الذى أخرج منه ، حتى يقول لمكة يخاطبها وهو يغادرها : « والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ، وأكرمها على الله ، وإنك لأحب أرض الله إلىّ ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك قهرا ما خرجت » ، سيعود عزيزا كريما ، فلا يبغى ولا يطغى ، بل يمن على من قهروه بالأمس وعذبوه ، ويقول لهم يوم الفتح : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فأرادوا أن يستثيروا نزعة الخير عند الكريم النبيل فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء !! .

وهكذا علمنا ديننا كيف تكون الهجرة مفتاحا للعزة والحرية: « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » ، وعلمنا تاريخنا الإسلامى أن الذين هاجروا عقدوا العزم على أن تكون هجرتهم طريقا للعودة ، وعلمنا إمامنا وقائدنا عليه الصلاة والسلام كيف تتصل الهجرة فى تاريخ المسلمين، ليتخذوا منها منفذا نحو السيادة والقيادة فى عالمى المادة والروح فقال: « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة . ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » ، أى عند قرب انتهاء الدنيا وإقبال الآخرة ! .

فإذا كان المشردون من أبناء فلسطين قد هاجروا ولجئوا حتى صاروا يسمون باللاجئين والمهاجرين ، فعما قريب يعودون، فيسمون بالعائدين المنتصرين : « إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » ! .

وإننا لعائدون الى فلسطين، لأننا مؤمنون راجون آملون ، علمنا ديننا ألا نعرف اليأس أو نألف القنوط ، فصار مما نرتله فى كتاب

ربنا ، ونتعبد بتلاوته وطاعته هذه الآيات البينات الساطعات : « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ، « لا تقنطوا من رحمة الله » ، « فلا تكن من القانطين » ، « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، « فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا » ، « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » .

ومن شعرائنا الذى قال :

إذا اشتملت على اليأس القلوب
وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت
وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها
ولا أغنى بحيلته الليبب
أتاك على قنوط منك غوث
يمن به اللطيف المستجيب
فكل النائبات إذا تناهت
فموصول بها الفرج القريب

ومنا الشاعر الذى قال :

وإنى لأرجو الله حتى كأننى
أرى بجميل الظن ما الله صانع

ومنا مصطفى كامل الذى قال : « لا حياة مع يأس ولا يأس مع الحياة » ، فمن واجبنا ألا نعرف اليأس ، وألا ينالنا القنوط ، بل نؤمن بأن فلسطين لن تضيع ، ونؤمن بأننا سنرجع إليها مستردين لها ونحن نهتف : إننا عائدون .

أحمد الشرباصى

من غريب قصص الحلم

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقرى ، رأيته قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه ، حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول : فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ! فوالله ما حلّ حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه ، فقال له : يابن أخى ، أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بنى فوار أخاك . وحلّ كتاف ابن عمك ، وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها ! .

دراسات في علم المعنى

« السيمانتيك »

للدكتور كمال بشر

— ٢ —

علم المعنى اللغوى :

تحدثنا فى المقال السابق[1] عن نقطتين رئيسيتين تتعلقان بالسيمانتيك أو علم المعنى ، وهاتان النقطتان هما :

١ — أهمية هذا العلم فى الدراسات المختلفة بوجه عام .

٢ — الاتجاهات الرئيسية التى اتبعت فى دراسته .

وهذه الاتجاهات أو الدراسات هى - بحسب ترتيبها الزمنى - دراسات لغوية ، وأخرى فلسفية ، ثم دراسات ذات طابع عام ، تستهدف تعريف عامة الناس بهذا العلم ، وترمى إلى محاولة علاج أدوائهم الاجتماعية عن طريق دراسته والبحث فيه .

والنوع الأول من هذه الدراسات هو الذى يعنينا فى هذا المجال بوجه خاص ؛ فهو الأصل الذى تفرعت عنه الاتجاهات الأخرى ، وهو الأساس الذى نما وامتدت جذوره حتى أصبح علما ذا قواعد ثابتة وأصول محددة . ويتضح من الفكرة التاريخية التى أشرنا إليها فى البحث السابق أن السيمانتيك أو علم المعنى اللغوى يعد أحدث فروع علم اللغة بمعناه الحديث . أما ما قد يدعيه البعض من أن علم الأصوات التنظيمى (Phonology) وعلم الأساليب (stylistics) ينازعانه هذه الحداثة ، فيمكن رفضه أو الرد عليه بأن هذين العلمين الأخيرين ما هما فى الواقع إلا فرعان تابعان - بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور - لدراسات قديمة ثابتة : دراسات تتمثل فى علم الأصوات العام (Phonetics) وعلم التراكيب أو علم النحو بمعناه الصحيح (syntax) [1] . كما أنه من الجائز أيضا الحكم على هذين العلمين بأنهما مجرد طرق فنية حديثة فى هذه الدراسات القديمة ، أو أنهما مجرد مناهج تطبيقية أو تنظيمية للحقائق أو القواعد العامة التى تتوصل إليها هذه الدراسات . أما علم

---

[1] نشر بعدد ربيع الآخر ١٣٨١ هـ .

(١) ويرى البعض - وبخاصة من ينتمون إلى المدرسة الفرنسية - أن stylistics (أى علم الأساليب) ليس فرعا من فروع علم اللغة ، وإنما يعدونه شقيقا له ذا فروع مماثلة ، ولكن مناهج الدراسة فيه مختلفة .

See Ullmann, The Principles of Semantics,p 1.

المعنى فله استقلاله الخاص ، وهو - مع هذا أو فوق هذا - ذو حدود ومجالات معينة ، لا تختلط بحدود أو مجالات غيره من العلوم ، ومن ثم فهو فى نظرنا فرع قائم بذاته من فروع علم اللغة ، وهو بهذا المعنى أيضا يعد أحدث هذه الفروع جميعا .

ومهما يكن من شىء ، فإن دراسة المعنى على مستوى لغوى كانت فى بداية أمرها تتسم بالطابع التاريخى الصرف ، حيث كان الباحثون فى علم المعنى آنذاك يوجهون كل اهتمامهم وعنايتهم إلى البحث فى التغيرات التى تصيب معانى الكلمات على فترات متعاقبة من الزمن ، وحيث كانوا يعنون بتقسيم هذه التغيرات إلى أنواع ومجموعات مختلفة ، كالتوسع فى المعنى والتضييق فيه ، أو تعميمه وتخصيصه ، أو تحويله إلى معنى آخر عن طريق المجاز أو الاستعارة أو نحو ذلك .

ولقد ارتبط هذا المنهج التاريخى فى انجلترا بأسماء مجموعة من اللغويين الذين كانوا يعرفون « بالباحثين فى أصول الكلمات وتاريخها » (the Etynologists) كما كان هذا النوع من الدراسة معروفا ومألوفا فى الدراسات اللغوية قبل ظهور رسالة بريال (Bréal) المسماة Essai de Sémantique والتى كان لها دور الريادة فى كثير من القضايا التى تتعلق بدراسة المعنى . ومن هذه القضايا ابتكار المصطلح la Sémantique الذى انتقل إلى اللغة الانجليزية فيما بعد باسم Semantics والذى أصبح الآن علما على كل الدراسات والبحوث التى تتعلق بالمعنى ومشكلاته . أما قبل ظهور هذا المصطلح . وفى أثناء القرن التاسع عشر كله تقريبا — فقد كان المتبع عند الدارسين الانجليز هو إطلاق الاسم Semasiology على هذه الدراسات التاريخية للمعنى وما يلحقه من تغيرات .

يتضح من هذا أن دراسة المعنى فى ذلك الوقت كانت فى الواقع دراسة تغير المعنى . والتغير — كما يتصوره أصحاب هذا المنهج — يعنى أن هناك شيئا ذا جوهر ثابت ومظاهر متغيرة ، أو شيئا مستمر الوجود فى صور مختلفة . أو بعبارة أخرى . يستلزم التغير وجود شىء أصلى أو أساسى لا يتغير إلى جانب وجود الصور الفرعية أو الثانوية المتغيرة لهذا الشىء الأصلى أو الأساسى فى الوقت نفسه . هذه الفكرة عن التغير كانت ولا تزال الأساس الذى بنى عليه الدارسون فى تغير المعنى فلسفتهم الخاصة بهذا الموضوع لقد كان هدف هؤلاء الدارسين البحث عن أصول الكلمات ومعانيها الأساسية أو الحقيقية ، ومحاولة ربط هذه المعانى بما اشتق منها أو تفرع عنها من معان أخرى وفى هذا الصدد يقول سكيت (Skeat) أحد الباحثين فى أصول الكلمات وتاريخها : « يمكننا أن نلخص الموضوع كله بقولنا :

إن هدفنا هو تاريخ الكلمات الذى بوساطته يمكننا أن نعطى فكرة صحيحة عن الأصل الحقيقى لهذه الكلمات » . وأصرح من هذا وأوضح فى بيان هذه الفلسفة وهذا الهدف الذى كان يرمى إليه هؤلاء اللغويون ما صرح به ترنش Trench — أحد رواد هذا المنهج التاريخى فى دراسة المعنى — حيث يقول : « إن متابعة القدر المشترك بين المعانى الكثيرة للكلمة ، ومتابعة ما يربط هذه المعانى بعضها ببعض لا يمكن أن تتم إلا بالوصول إلى الأساس ، أى إلى المعنى الأصلى الذى تتفرع عنه المعانى الأخرى ، شأنه فى ذلك شأن البذرة الخصبة المثمرة »[1] . ومضمون هذا الكلام أن الكلمة لها نوع من الأصل الحقيقى ، وأن لها معنى واحدا فى بادئ الأمر ، وأن كل المعانى الأخرى يمكن إرجاعها إليه وربطها به .

ولم تقتصر أعمال هؤلاء الباحثين وأمثالهم على وضع المبادئ والنظريات التى تعالج على ضوئها مشكلات تغير المعنى ، بل تعدوا ذلك إلى مجال التطبيق ، فأوردوا لنا الأمثلة الكثيرة التى يمكن أن يحتذيها كل من عنده الرغبة فى أن يسلك هذا المسلك فى دراسة المعنى من ذلك ما قام به ترنش من تتبع تاريخ الكلمة الانجليزية post ، ومن تتبع معانيها المختلفة فى الاستعمالات والسياقات المتنوعة . وجد ترنش أن هناك علاقة قوية تربط بين هذه المعانى جميعا ، هذه العلاقة تدور حول فكرة « الشىء الموضوع أو الثابت فى مكان ما » . كما وجد أن تاريخ هذه الكلمة يرجع إلى الكلمة اللاتينية positus التى تفيد هذا المعنى نفسه وكذلك فعل جرينو وكتردج (Greenough and kiettredge) ، بالنسبة للكلمة الانجليزية head ، فإنهما بعد أن سجلا عشرة معان مختلفة لهذه الكلمة ، يصرحان بأن « كل معنى من هذه المعانى يمتد امتدادا مباشرا من المعنى المركزى أو الأولى لها »[1] .

وكان من الضرورى أيضا أن يعرض الدارسون لمسألتين أخريين اقتضاهما منطق البحث فى تغير المعنى . المسألة الأولى — وقد أشرنا إليها آنفا — تتمثل فيما قام به هؤلاء اللغويون من تقسيم التغيرات التى تلحق بالمعنى إلى أنواع أو مجموعات ، كتعميم المعنى أو تخصيصه ، أو نقله إلى معنى آخر وهكذا . وكان الهدف من هذه الخطوة — فيما نرى — هو إخضاع الأمثلة الفردية الكثيرة لنوع من التنظيم والتنسيق بوضعها ضمن قاعدة أو إطار عام ، يضمن لها سهولة الحصر والمتابعة كما يضمن الحد نسبيا من ذكر التفاصيل والجزئيات .

---

(1) See J.R. Firth, Papers in Linguistics, 2nd.ed.pp. 815.

(١) انظر فيرث المرجع السابق ص ٩ .

أما المسألة الثانية التي نعنيها هنا فتختص بالبحث عن الأسباب التي تكمن خلف هذه التغيرات وعن الظروف التي دفعت بالمتكلم إلى مجاوزة المعنى الأصلي للكلمة واستغلالها في معنى أو معان أخرى.

ولقد اختلف الباحثون فيما بينهم إزاء الأسباب الحقيقية أو المباشرة للتغير في المعنى فبينما يميل البعض إلى رد التغيرات إلى أسباب منطقية، نرى فريقا آخر يعزوها إلى أسباب نفسية، وهناك فريق ثالث يرجع هذه التغيرات إلى أسباب اجتماعية صرفة، وممن سلك المسلك الأول في هذه القضية دارمستتر الذي لخص الظروف والأسباب المنطقية لتغير المعنى تحت عنوان مألوف في الدراسات اللغوية، هو «المجاز» بأنواعه.

وقد كان بريال أكثر ميلا إلى التفسير النفساني لتغير المعنى، ولكنه في الوقت نفسه كان يبدي اهتماما ببعض الأسباب الاجتماعية، أما الاعتماد على التفسير النفساني الصرف فيظهر واضحا فيما ذهب إليه سبيربار (Sperber) في هذا الشأن.

وقد ركز هذا العالم اهتمامه على مشكلات أو مجالات معينة، هي مجالات الاستعارة (wetaphors)، حيث يرى أن التفسير النفساني لتغير المعنى في هذه المجالات واضح بين، أما مييه (Meillet) فيرى أن تغير المعنى يرجع إلى مجموعة من الأسباب أهمها وأوضحها الأسباب اللغوية والتاريخية والاجتماعية، وقد تجتمع هذه الأنواع الثلاثة في المثال الواحد وقد تنفرد، ويتبين لنا من هذا أن مييه يمثل مدرسة قائمة بذاتها في هذا المضمار.

والذي نود أن نؤكده هنا - على كل حال - هو ما تضمنه هذا المنهج التاريخي في دراسة المعنى من مبادئ. هذه المبادئ تتلخص في ثلاث نقاط مهمة، هي أساس التفرقة بينه وبين المنهج الوصفي الذي سنشير إليه فيما بعد. هذه النقاط الثلاث هي:

١ - دراسة المعنى من الزاوية التاريخية تعني دراسة التغير الذي يصيب هذا المعنى من فترة زمنية إلى أخرى.

٢ - الكلمة الواحدة لها معنى أصلي واحد مستمر الوجود في صور أو معان مختلفة. هذه الصور أو المعاني يرتبط بعضها ببعض بوجه من الوجوه، ويمكن إرجاعها جميعاً إلى هذا الأصل الأول.

٣ - هذا المنهج يستلزم تشقيق المعنى إلى أجزاء أو عناصر، أي أنه يقتضي تشقيقه أو تحليله إلى ما يسمى بالمعاني الأصلية أو المركزية أو الأولية من جهة، وإلى ما يسمى بالمعاني الفرعية أو الهامشية أو الثانوية (أو التطبيقية) من جهة أخرى. وهذه النقطة الأخيرة - كما ترى - تتضمن أن كلمة «المعنى» نفسها تستعمل في أكثر

من معنى أو مدلول ؛ فهى مرة تطلق على المعنى المركزى ، وأخرى على المعنى الهامشى وهذا .

وقد ظلت دراسة المعنى تسير على هذا النهج التاريخى حتى جاء دى سوسير (de Saussure) فى أوائل هذا القرن وفرق تفريقا فنيا بين نوعين من الدراسة فى البحوث اللغوية : دراسة دياكرونية (diachronic) أو تاريخية (historical) ، ودراسة سينكرونية (Synchronic) أو وصفية (descriptive) . وكان من الطبيعى أن يطبق هذا التقسيم الثنائى على البحوث الخاصة بالمعنى ؛ فظهر فى الحقل اللغوى ما يعرف بالمنهج التاريخى أو الديناميكى (dynamic) والمنهج الوصفى أو الإستاتيكى (static) فى دراسة المعنى . واختص المنهج الأول بدراسة تغيرات المعنى والعلاقات بين هذه التغيرات من عصر إلى عصر ومن فترة زمنية إلى أخرى . أما المنهج الوصفى فوظيفته البحث فى المعنى فى حالة معينة من حالات اللغة وفى فترة زمنية محددة .

وبالرغم من أن دى سوسير قد حدد مجالات كل منهج واختصاصاته على حدة ، بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر ، هناك حالات كثيرة يجتمع فيها المنهجان ويعتمد فهم كل منهما على فهم الآخر . فالمشترك اللفظى مثلا (أى إذا أخذ فى حالة وفترة معينة) ظاهرة لغوية ثابتة ، ويقع بحثه حينئذ فى نطاق المنهج الوصفى ولكن التعارض أو الاختلاف فى المعنى بين أفراده لا يمكن فهمه أو الوقوف عليه إلا إذا تتبعنا تطوره التاريخى الذى أدى إلى هذا التعارض أو الاختلاف .

فكما ابتكر بريال المصطلح la Sémantique لإطلاقه على الدراسات الخاصة بالمعنى ، أو بعبارة أدق ، لإطلاقه على دراسة تغيرات المعنى ، كان دى سوسير الرائد الأول فى التفريق العلمى بين منهجى البحث فى المعنى المشار إليهما فيما سبق . ويفهم من كلامه فى هذا المجال أنه يقصر (Semantics) La Sémantique على المنهج الدياكرونى أو الدراسة التاريخية الخاصة ببحث تغير المعنى ، وهذا فى الواقع ما فعله كثير من اللغويين القدامى منهم والمحدثين على السواء . أما النظرة السنكرونية أو علم المعنى الوصفى فهو فى نظر دى سوسير يمثل جانباً واحداً من جوانب علم عام لم يتطور بعد سماه Semiology (أو علم الرموز) . هذا العلم الأخير وظيفته دراسة استعمال الرموز بوجه عام ودراسة وظائفها فى غمار الحياة اليومية . ومن البديهى أن تطبق هذه الدراسة على الكلمات والجمل ؛ فهى رموز أو مكونة من رموز لغوية .

ويعلق دى سوسير أهمية بالغة على هذا العلم الجديد فى ميادين مختلفة . فلو أخذنا الطقوس والشعائر الدينية والعادات والتقاليد مثلا ، ونظرنا إليها على أنها رموز عرفية ،

لاستطعنا أن نلقى ضوءاً على حقائق اجتماعية كثيرة ، ولاتضح لنا فى الوقت نفسه ضرورة ضم هذه « الرموز » إلى بحوث هذا العلم (أى علم السيميو لوجيا) ؛ حيث إن قوانينه — فيما لو وجد وتطور — كفيلة بتفسيرها وتوضيحها . ويرى دى سوسير أن « علم اللغة نفسه ماهو إلاجزء من علم الرموز العام » كما يرى أن علم اللغة لا يستأهل أن يكون علما ، ولن تصبح له قيمة للعلوم الأخرى إلا إذا اعترفنا بعلاقته وارتباطه الوثيق بهذا العلم(١).

ويؤخذ من هذا الكلام أن العلاقة بين « علم الرموز » وبين علم اللغة هى علاقة العام بالخاص ، ومن باب أولى تكون العلاقة بين العلم الأول وبين علم المعنى السنكرونى أو الوصفى ؛ حيث إن هذا الأخير ما هو إلا فرع من فروع علم اللغة(١) .

ومهما يكن من أمر فإن هذا المنهج الجديد الذى ابتكره دى سوسير فى دراسة المعنى (وفى دراسة مشكلات اللغة بوجه عام يعد أخطر حدث ظهر فى الحقل اللغوى فى القرن العشرين ، كما يعد فاتحة البحوث اللغوية الدقيقة المتخصصة . ذلك بأن التفريق بين ما هو تاريخى وبين ما هو وصفى ، أو الفصل بين منهجين متميزين من مناهج الدراسة — قد جنب العلماء كثيراً من التخبط الذى وقع فيه السابقون من اللغويين ؛ إذ كانوا يعقدون قضاياهم ويطمسون حقائقهم بالخلط بين مناهج الدراسة وأساليب البحث فى اللغة .

ولما ظهر هذا المنهج الوجود أخذت تتلقفه العواصم الأوربية المختلفة ، وعكفت على دراسته حتى استبانت معالمه واتضحت مزاياه ، ومنذ ذلك الوقت ودراسات المعنى (بل والدراسات اللغوية بوجه عام) تسلك مسلكين متميزين : مسلكا تاريخياً وآخر وصفيا ، وأصبح لكل مسلك أو منهج أنصار وأتباع بل ومدارس لغوية مستقلة . ويبدو أن المنهج الوصفى كان أكثر حظا من صاحبه ؛ حيث إنه اليوم أكثر شيوعا بين اللغويين المعاصرين ولعل ذلك راجع إلى سمة العصر الذى نعيش فيه من اهتمام بالحاضر والواقع الملموس .

الدكتور كمال بشر
مدرس علم اللغة العام بكلية دار العلوم

(1) See de Saussure, Cours in General Linguistics, translated into English by W. Baskin, pp. 16—17.

(٢) يفهم من كلام أستاذنا فيرث أن دى سوسير قد جعل المصطلح Semiology (علم الرموز) مرادفا للمصطلح Semantics Synchronic [أى علم المعنى السنكرونى أو الوصفى] . وقد تبع فيرث فى ذلك زميلنا الدكتور تمام حسان . والحق أن دى سوسير لم يجعل أحدهما مرادفا للآخر ، وكلامه واضح فى أن علم المعنى الوصفى (بل علم اللغة نفسه) ليس إلا جانباً من جوانب علم الرموز العام . انظر فيرث : المرجع السابق ص ١٧ ، والدكتور تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ص ٢٥١ ، ودى سوسير : المرجع السابق ص ١٦ — ١٧ .

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع

للأستاذ محمد محيي الدين المسيري

ولد عبد الرحمن بن خلدون فى تونس فى غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) وهو سليل أسرة عز ومجد. تقلب أجداده فى قصور الأندلس والمغرب، وتولى كثير منهم مناصب الدولة الرفيعة. أما والده فقد أخلد إلى التحصيل والدرس وبرز فى الفقه وعلوم اللغة، وقد أخذ ابن خلدون عن أبيه حبه للعلم والتحصيل ودرس على أشهر أساتذة تونس، وكانت حلقات العلم فيها مزدهرة، فما بلغ العشرين إلا وقد قرأ القرآن وحفظه ودرس الفقه والحديث وبخاصة الفقه المالكى وهو المذهب السائد فى المغرب والأندلس، وقد دأب ابن خلدون على التحصيل كلما وجد إلى ذلك سبيلا فدرس المنطق والفلسفة وتفوق فيهما

وقبيل بلوغه العشرين نادته الحياة العامة كما نادت أجداده من قبل فنزل إلى ميادينها وخاض غمارها. وكانت نفسه تجيش برغبة تجديد تقاليد أجداده فى إدارة الدولة وتصريف أمورها، وكان والده قد جانب تلك التقاليد وآثر عليها العزلة والاعتكاف للدراسة والبحث العلمى. وقد استطاع ابن خلدون أن يحقق أمنيتين كبيرتين، وهما مجد الرياسة والمجد العلمى. فتابع سيرة أبيه من حيث العلم وجدد سيرة أجداده وبزهم من حيث السياسة، وكان العالم المبتكر النابه والسياسى الحاذق الماهر والمقاتل الصامد المدبر والسفير الحكيم الموفق ورجل الدولة البصير الحازم والكاتب البليغ والشاعر المبدع والقاضى العالم ... والأستاذ الفقيه ...

وقد تولى ابن خلدون بنفسه كتابة تفاصيل حياته فى كتابه: «التعريف والعبر» فأغنانا بذلك عن الغوص عليها والجهد فى اجتلائها.

تميز ابن خلدون فى حياته بكثرة الأسفار ونحن نراه قبل أن يكتب المقدمة ينتقل من تونس إلى فاس إلى غرناطة إلى بجاية إلى الجزائر ... تلك الأسفار أتاحت له فرصة الاختلاط بمختلف الأوساط العلمية، كما زودته بثروة نفيسة من التجارب. وهو فى تنقله بين تلك البلاد قد درس الحضر والبدو وحالة الأسواق والتجارة والصناعة وطرق المعاش مما أفاده اطلاعا وتجربة ستكون لها أثر كبير فى تدوين المقدمة ... فالمقدمة وإن استغرقت

كتابتها خمسة أشهر إلا أنها ثمرة تفكير وتحصيل وفير سابق .

لقد كانت الحضارة بلغت شأوها فى الأندلس والمغرب ، فهناك المكتبات الحافلة بالمؤلفات ، وهناك جامعات منتشرة بين أرجائها ، وهناك تكريم العلماء من قبل أصحاب الدول . إذ كانوا يقربون اليهم العلماء وكان تنافسهم على تقريب العلماء أحد أوجه التنافس السياسى الشديد الدائر بينهم . فالأندلس والمغرب شيع ودويلات . وحول كل قصر حاشية من أهل العلم يسعى صاحب الدولة إلى أن يكسب دولته بهم أبهة وشهرة .

فالوسط العلمى المحيط بابن خلدون كان مشجعا له على المضى فى تحصيله وإنتاجه لولا كثرة الفتن والاضطرابات السياسية ... وأما الأحوال المعيشية فقد شهد ابن خلدون منها البدو على شدة بداوتهم والحضر فى مزيد من تنعمهم فبادية المغرب يسكنها البربر الذين اشتهروا بشظف العيش . والأندلس وحواضر المغرب قد بلغت الحضارة فيها أوجها ... لذلك كانت تنقلات ابن خلدون فى بقاع المغرب والأندلس مكسبة له ثروة لا تقدر من المعلومات عن أحوال الناس المعيشية ، فإذا أضفنا تجاربه إلى تحصيله العلمى إلى تشجيع أصحاب الدول على الإنتاج العلمى أدركنا أثر الزمان والمكان فى إنتاج ابن خلدون المبدع ، وخاصة فى مقدمته .

الطابع العلمى فى مؤلف ابن خلدون :

تمتاز النظرة العلمية الحديثة بتحكيم قانون السببية فى الظواهر المراد دراستها وتلك النظرة هى الفاصلة بين العتيق البالى من الدراسات وبين القديم المحافظ على قيمته العلمية . والعبرة فى الدراسات العلمية ليست فى الوصول إلى نتائج لا تخضع للإصلاح أو التقويم وإنما مقياس قيمتها فى الطريقة العلمية المتبعة فيها . أما نتائج الدراسات فلا زالت تخضع للتغيير والتبديل ، والنظريات الجديدة تحل محل النظريات القديمة أو تعدلها أو تكملها .

وقد بدأت تلك النظرة العلمية أول ما بدأت فى مجال الظواهر الآلية والمحسوسة مثل الكيمياء والطبيعة حيث يمكن للباحث تحقيق المسائل العلمية فى سهولة . ثم انتقلت تلك النظرة إلى مجال الظواهر الاجتماعية المجردة وأخذ العلماء يقررون أن بين الظواهر الاجتماعية علاقات تلازم ولزوم ، وأن هنالك قوانين ثابتة تحكمها وقد وضحت هذه النظرة العلمية فى دراسة الاقتصاد فى كتاب آدم سميث (ثروة الأمم) وإليه ينسب فضل تأسيس أول مدرسة علمية فى الاقتصاد .

وفى القرن الرابع عشر أى قبل آدم سميث بأربعة قرون درس العلامة ابن خلدون الظواهر العمرانية دراسة عميقة على أساس علمى متين مقرراً أن الظواهر العمرانية

قد تراحها وتواليها تحكمها قوانين . ومن تلك الظواهر العمرانية الظواهر الاقتصادية . وكانت وسيلته فى الدراســة الاستقراء والقياس وإن كان يغلب عليه طابع الملاحظة والاستقراء أكثر من مجرد تتبع الأفكار التجريدية . وهو إلى صواب طريقته وسعة آفاق بحثه وعمق تفكيره يمتاز باتزان فى الحكم واعتدال فى الرأى .

ربما لم يتصل الفكر الاقتصادى لابن خلدون بالمدرسة الاقتصادية الحديثة وقد يكون صوته قد ظل من غير صدى فى الأزمنة الحديثة التى شهدت تقدم علوم الاقتصاد . ولكن هذا لا يقلل من فضله فإن كتابته جديرة بأن تكون نقطة البدء للدرسة العلمية فى الاقتصاد . فهى ليست مجرد جمع لمعارف منوعة ولكنها مجموعة معارف منظمة ومرتبة ينطبق عليها لفظ العلم فى معناه الدقيق او كما يلاحظ الأستاذ شميدت (١) أنها مما يطلق عليه لفظ (wissenscheft) وليس مجرد لفظ (wissen) ، وأن البحوث الحديثــة وإن كانت تستند إلى وسائل بحث أنجع إلا أنها فى شكلها وموضوعها مماثلة لبحوثه (١) مما جعل الأستاذ فلينت يقول : « إن ما ألفه ابن خلدون عظيم الشأن كبير القيمة بحيث يحفظ اسمه وشهرته فى سجل الخالدين بين الأجيال المتعاقبة (٢) » .

لقد اكتملت لابن خلدون سبعة قرون من الحضارة الإســلامية تعاقبت فيها دول وظهرت أحزاب وشيع وتنازعت ممالك وإمبراطوريات وبدو وحضر وأدخلت صناعات جديدة وحاجات جديدة وأترفت مجتمعات . فوجد فى حوادث القرون السبعة مادة للتأمل ووجدت عبقريته فيهـــا ، وفى حوادث التاريخ الآخر مجالا للبحث والتدقيق والتحليل والاستنتاج لكشف سير العمران واتجاهاته وأســباب قوة الشعوب وأسباب الانحلال . من وجهة الاقتصادى

(1) "When Ibn Khaldoun speaks of science (ilm) he does not mean knowledge in the rough but that certain and systematized knowledge which to us is science not wissen but wissenschaft."

N, Schmidt, Ibn Khaldoun, Historian, sociologist and philosopher P. 21.

(1) "The work is of genuine merit. This is best evidenced by the fact that a similar structure is being built to day ona more solid basis. In its genesis and growth it resembles his . . ."

N. Schmidt, P. 21.

(2) "The work he left is sufficiently great and valuable to preserve his name and fame to latest generations. . ."

R. Plint, Historical Philosophy 1893, P. 157.

ورجل الدولة السياسى والاجتماعى والعالم النفسانى . وأن تقديم المدرسة العلمية فى الاقتصاد أربعة قرون بنسبتها إليه لما له أهميته بالنسبة لتاريخ الحضارة عموما والحضارة الإسلامية خاصة وبالنسبة لعلم تاريخ النظريات الاقتصادية.

مقدمة ابن خلدون والغرض منها :

ومقدمة ابن خلدون هى أشهر كتبه وهى الجزء الأول من كتابه المكون من ثلاثة أجزاء المسمى كتاب العبر فى ديوان المبتدأ والخبر عن العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر وهو محاولة لتحرير تاريخ عالمى مع توجيه عناية خاصة بتاريخ المغرب ...

وقد لاحظ ابن خلدون عند كتابة تاريخه أن المؤرخين كثيراً ما يقتصرون على النقل مع أن الروايات التاريخية يختلط فيها الغث بالثمين والباطل بالصحيح على مر الزمن . فلابد من رد تلك الروايات على معيار يبين وجه الصحة أو الخطأ فيها .

فالتاريخ الجدير بهذا الاسم ليس مجرد تسجيل وقائع تاريخية وأسماء ملوك وسنين مواقع وتعاقب أناس ودول . إنما هو ذلك العلم الذى يخرج للناس صورة حقيقية واضحة لتطور العمران والمجتمع البشرى .

ولكى يحقق مثل هذا العلم المقصود منه يجب أن يستند إلى معرفة طبائع العمران . وعلى المؤرخ أن يستند فى نقده الخبيث من الطيب إلى علم العمران يقيس على قواعده الروايات التاريخية . فما اتفق منها والسير الطبيعى للعمران أخذه بعين الاعتبار . وما كان غير ذلك أسقطه وزيفه .

تلك هى مهمة المؤرخ أصلا . فالمؤرخ ليس فقط ناقلا عليه إثبات صحة النقل إنما هو ناقل وناقد يتحرى صحة النقل واحتمال صحة المنقول ويحاول أن يستخلص من الجزئيات كلا متماسكا يمثل سير العمران على مر السنين.

ومهمة المؤرخ هذه كما صورها ابن خلدون تفترض وجود قواعد للعمران مقررة ومسلم بها ، يستعين بها المؤرخ . وقد أحس ابن خلدون بالنقص الحاصل لزمنه فى هذا الباب فأخذ على عاتقه تقريرها . ومحاولته هذه استغرقت الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وهو الجزء المعروف بمقدمة ابن خلدون .

يقول ابن خلدون موضحا غرضه هذا « وأما الإخبار عن الواقعات فلا بد فى صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن ينظر فى إمكان وقوعه وصار فيها ذلك اهم من التعديل ومقدما عليه إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة ، وإذا كان ذلك فالقانون فى تمييز

الحق من الباطل فى الإخبار بالإمكان واستحالة أن تنظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران وغير ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له - وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الإخبار والصدق من الكذب بوجه برهانى لا مدخل للشك فيه . وحينئذ فإذا سمعنا عن شىء من الأحوال الواقعة فى العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان ذلك لنا معياراً صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا وكأن هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الإنسانى وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى ، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقلياً [1] » .

فالغرض من المقدمة إذا ايجاد مقاييس أو قواعد علم العمران تعرض عليها الروايات التاريخية [2] . وعلى ذلك يكون موضوع المقدمة هو ما نسميه علم الاجتماع . ويكون ابن خلدون بذلك مكتشف علم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية .

لم يقتصر ابن خلدون على وضع أسس علم الاجتماع بل اكتشف فوق ذلك علم التاريخ . ذلك أنه رأى بين الظواهر التاريخية علاقات تلازم وتباين واستنتج أنه لا بد من وجود قواعد وقوانين ثابتة تنظم تلك الظواهر فسعى لاستخلاصها وكانت محاولته هذه الحجر الأول فى بناء علم التاريخ .

ولو أنه سجل جزئيات من هذا العلم لكفاه ذلك فخرا . لكنه أراد أن يسلك تلك الجزئيات فى عقد منتظم فوصل إلى فكرة كلية شاملة فى تفسير التاريخ . وتدل كتابته على أن التاريخ يخضع إلى حد كبير لعوامل اقتصادية فيكون ابن خلدون المؤسس الأول لمدرسة تفسير التاريخ تفسيرا اقتصاديا .

وعلى ذلك تكون مقدمة ابن خلدون دائرة معارف فى علوم الاجتماع وفى علم التاريخ وفى تفسير التاريخ . وإن كان الغرض الأول منها مجرد إيجاد قواعد لضبط الروايات التاريخية .

أثر المقدمة فى تاريخ ابن خلدون :

أفاض ابن خلدون فى شرح آرائه العلمية عن سير العمران فى كتاب المقدمة وقصد بحشد آرائه فيها إلى إظهار ما لعلم العمران من طابع مستقل فهو يقول : « وكأن هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو

(١) مقدمة ابن خلدون - المقدمة الأولى من الكتاب الاول ص ٣٦ .

(٢) يقول ابن خلدون : لا بد من رد الاخبار إلى الأصول وعرضها على القواعد المقدمة ص ٩ .

العمران البشرى والاجتماع الإنسانى وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى [1] » .

لذلك تناول فى الفصول التاريخية غرضا آخر فاقتصر على سرد كبريات حوادث التاريخ فى ترتيب محكم وتبويب دقيق وعالج تلك الحوادث لا على طريقة التأريخ (annaliste) أى حسب جداول السنين ، وإنما قسم تاريخه كتبا وقسم الكتب أبوابا وفصولا ، وضرب صفحا عن جداول السنين ، واتخذ الدولة المتصلة وحدة لمباحثه ، وإن كان قد سبقه إلى هذه الطريقة بعض المؤرخين المسلمين مثل المسعودى وابن عبد الحكم المصرى .

وقد رمى بعض المؤرخين ابن خلدون بالقصور فى بعض نواحى تاريخه ، على أنه هو نفسه يبادر بالاعتذار فيقول : « وأنا ذاكر فى كتابى هذا ما أمكننى منه فى هذا القطر المغربى إما صريحا أو مندرجا فى أخباره وتلويحا ، لاختصاص قصدى فى التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممه . وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار لعدم اطلاعى على أحوال المشرق وأممه وأن الأخبار المتناقلة لا توفى كنه ما أريده منه [2] » . فالقصد الأول هو ذكر تاريخ بلاد المغرب وتسجيل غير المدون من حوادثها . وتناول بالإضافة حوادث المشرق فكان من المتوقع أن يكون فى كتابه بعض القصور فيما يخص أخبار المشرق .

وفى الكتاب فصول كثيرة قيمة تعتبر من المراجع التاريخية النفيسة ، خاصة ما تعلق منها بدول البربر ودولة العرب فى صقلية وتاريخ الدول المسيحية المعاصرة .

يقول دوزى عن تاريخ ابن خلدون : « إن مؤرخا نصرانيا لم يوفق إلى كتابة تاريخ أية دولة إسلامية بمثل الدقة والوضوح اللذين امتازت بهما كتابة ابن خلدون عن دولة النصارى فى أسبانيا » .

ويقول شميدت : « لو أن ابن خلدون لم يترك سوى كتابه فى التاريخ لظل هذا رمزا قائما للبحث العميق والعلم الغزير والحكم الدقيق » .

وتناول ابن خلدون تاريخه ، فى مصر ، ببعض الإضافة . وفى هذه الإضافات يظهر طابع ابن خلدون كناقد اجتماعى مثال ذلك الفصول الخاصة بدولة السلطان برقوق ، إذ تراه يطبق نظريته فى العصبية وطغيان الحضارة عليها واندثار الدولة بتأثير الترف وانتقال الملك إلى من كانوا أكثر بداوة وبثهم روحا جديدة فى الدولة ، وكذلك تراه يطبق نظريته هذه بالنسبة لدولة المماليك المصرية .

(البقية فى العدد القادم)

محمد محيى الدين المسيرى

---

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٣٦ .

(٢) ابن خلدون المقدمة ص ٣٢ .

مقومات التطور فى الاسلام

الأستاذ عباس طه

تطور الجماعات فى الناحيتين الأدبية والاجتماعية من الأمور التى يجب أن تعنى بها الشرائع لأنها من أمس الأمور بحياة الأمم فالجماعات التى تعيش على حالة واحدة . تقف حيث هى ، ويسبقها من كان دونها من الجماعات .

وقد جنت شرائع كثيرة على أهلها من هذه الناحية جنايات تعتبر غاية فى العنت والشذوذ فمن ذلك أن المسيطرين على أوربا بعد القرن الرابع الميلادى ألفوا أهلها فى حالة جمود أكثر من عشرة قرون ، فلم ينجح منهم عالم واحد فى علم من العلوم ، وانحط ما كان لديهم من آثار اليونانيين والرومانيين من المعارف والفنون حتى بعث الله المسلمين فاستخرجوا تلك الكنوز المدفونة وأرسلوها نورا ساطعا غمروا به الناس ، وبما زادوا عليه من نورهم قرونا كثيرة ، حتى استأهلوا أن يلقبوا ببناة المدنية الحديثة ، وما أوتيت الأديان من مأمنها ودب إليها الوهن إلا من ناحية إغفال قادتها هذه الناحية فى تعاليمهم : ناحية التطور فى كل مجال من مجالات النشاط العلمى والعملى والذى حدا بأولئك القادة إلى سد طريق التطور فى وجوه أتباعهم ، أنهم تخيلوا أن التطور يخرج بهم عن الأصول القديمة ، ويفضى إلى ضياع ما ائتمنوا على حفظه وغفلوا عن أن التطور الحق إذا عدا على شىء فإنما يعدو على الباطل ، أما الحق فيزيده جلاء ولألاء .

أما شريعة الإسلام فلا أقول : إنها قد احتاطت لهذه الناحية فحسب ، ولكنى أقول: إنها فرضت التطور على أهلها فرضا ودفعتهم إليه دفعا ، لأنها شريعة عهد الرشد للأمم ، وقد علم الله أن الأمم فى هذا العهد تطفر فى الترقى طفرا ، وتقطع المراحل إليه قفزا ، فهى بحاجة إلى شريعة لا تناسب حالتها الراهنة فحسب بل تهيئ لها وسائل التقدم ، وتعبد لها طرقه ، وتمدها فيه بقوة معنوية فوق قواها الطبيعية .

قلنا : إن الإسلام قد فرض التطور على أهله فرضا ودفعهم إليه دفعا ، وإلا فكيف

نفسر انتقال المسلمين بعد أخذهم بهذا الدين من عداد الأمم الجاهلية المسودة، إلى مصاف الأمم العالمة السائدة، أستغفر الله بل إلى صف فوق الصفوف صارت فيه وحدها حافظة للعلم والحضارة والفنون دون سائر الأمم. وقد اعترفت الأمم كافة لها بالزعامة قرونا طويلة كانت فيه تؤم عواصمها تأخذ عنها العلم والحكمة، وأسرار الصنائع والفنون، أليس هذا لأن الإسلام يفرض على متبعيه التطور فرضا، ولا يكتفى بأن يسمح لها به؟.

هل وضع الإسلام حدا للتطور:

لا: إن الدين الذى يقول لمتبعيه: « ويخلق مالا تعلمون » يفتح أمامهم باحة اللانهائية فلا يدع فى أنفسهم حاجة إلى السؤال عن الحدود والغايات، لذلك كان المسلمون الأولون مندفعين وراء العلم اندفاعهم وراء الحياة، ولا عجب فإن الدين الذى يصرح بأن عقل آيات الله وإدراك أسرارها من حظ أهل العلم دون سواهم فيقول: « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » يجب أن يوصف بأنه دين العلم غير منازع.

هل وضع الإسلام لشهوات العقول حدا، وهل أوصد فى وجه مستفيد مجالا ؟.

اللهم لا. ولكنه أباح للعقول أن تجول فى كل مجال، وأن تجوس خلال كل مجهول تظن أن وراءه فائدة مادية أو معنوية، وقد ندب الإسلام المسلمين إلى تعلم اللغات الأجنبية وحضهم على تعلم كل علم.

هذا تسامح عظيم بل مراعاة قيمة للطبيعة البشرية، فإن الإنسان مدفوع بطبعه لأن يرد كل مجهول ويتحسس من كل محجوب ويرمى بنفسه إلى كل مرمى ولو كان وراءه حتفه فإن الدين الفطرى الماشى لطبائع النفوس لا يسمح أن يوصد على العقول باحة، ولا أن يضع لمرماها حدا، ومما هو خليق بالإشادة به أن المسلمين اشتغلوا كثيرا بكيمياء الذهب ووصلوا منها إلى نتائج عملية فقد صرح بعضهم بأنه نجح فيما تصدى له منها، وليس لنا أن نكذبهم كما كنا نفعل قبل سنين معدودة، إذ أعلن علماء من الكيمائيين فى أوربا بأنهم قد توصلوا إلى استخراج الذهب ولكن يمنعهم من صنع مقادير كبيرة منه أنه يتكلف قدر ما يصنع منه.

قال بعض المؤرخين الاجتماعيين: إن العرب وصلوا من بعض الفنون والصنائع إلى شأو لم يبلغه الأوربيون بعد. قال العلامه الدكتور (جوستاف لوبون) فى كتابه (تمدن العرب): (العرب مع ولوعهم بالبحوث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع والفنون فقد أكسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً، وإننا وإن كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التى سلكوها لذلك فإننا نعرف نتائجها

(البقية على صفحة ٦٣١)

ما يقال عن الإسلام

أطلس العالم العربي والشرق الأوسط

للأستاذ عباس محمود العقاد

ظهر فى العهد الأخير أطلس العالم العربي والشرق الأوسط باللغة الانجليزية ، وفيه نحو أربعين خريطة جغرافية للبلاد العربية وبلاد الشرق الأوسط على العموم ، مع بيان مرسوم لمواطن المسلمين فى قارتى آسيا وإفريقية وبعض المواقع الأخرى من العالم المصطلح على تسميته بالعالم القديم .

واختتم الأطلس ببحث مطول عن تاريخ العرب والإسلام كتبه الأستاذ بكنجهام Beckingham أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعـــة منشستر ، وقال فى فذلكته ما خلاصته .

« ويمكن أن يقال عن يقين : إن هناك عوامل ثلاثة هامة كلها جديد بحيث يصح عقلا أن نترقب منها بداءة صفحة أخرى من صفحات التاريخ العربي ، وهذه العوامل الثلاثة هى الوطنية وحركة التصنيع والحركة « العلمانية » أو حركة الانطلاق من الصبغة الدينية » .

« ففى القرن التاسع عشر أخذت الوطنية من الطراز الأوربى تعمل عملها بين أبناء البـلاد العربية الذين تلقوا شيئا من التعليم على المنهج الأوربى ، وكان الكثيرون منهم ضباطا عسكريين ، وبدأت الحركة على أقواها فى سورية ومصر ، ... وقد أعقب سقوط الدولة العثمانيـة قيام عدد من الحكومات العربية بعد استقلالها حدا شديدا نظام الوصاية من قبـل بريطانيا العظمى وفرنسا ويحول دون اتحادها الوطنى تنازع البيوت المالكة ومنافساتها ، ولم تتقرر روابط ... بين هذه الحكومات حتى فى مواجهة الصهيونية ، ولا كان زوال البيوت المالكة قاضيا على منازعاتها ومنافساتها ، ولكن لا خلاف فى استطاعة الدعوات الوطنية أن تثير الشعور فى البلاد وبخاصة بين أبناء الجيل الجديد الذين يكاد هذا الشعور أن يكون بينهم أقوى من الشعور بالإسلام . »

« أما حركة التصنيع فقد كانت ضربة لازب بعد الاحتكاك بالغرب وبعد أن تحولت مواطن آبار النفط من بلاد فقيرة إلى بلاد من أغنى جهات العالم المعمور . وقد أصبح الناس فى الجزيرة العربية حيث بقيت أحوال المعيشة على ما كانت عليه قبل الإسلام — جمهرة من (البرولتارية) الحديثة أى جمهرة الصناع الفقراء فى مراكز التصنيع . وقد اشتركت كل من حركة الوطنية وحركة التصنيع معا فى التمهيد لظهور الروح « العلمانية » التى أضعفت العقيدة الإسلامية ضعفا لم تصب بمثله فى جميع أدوارها التاريخية ، ولو أن الوطنية العربية على الإجمال تجنح إلى موالاة الإسلام أكثر من جنوحها إلى أية عقيدة أخرى . ومن المألوف الشائع أن ترى أناسا من العرب يدافعون عن ديانتهم مدافعة الغيرة والحماسة مع إهمالهم لأداء فرائضها والقيام بشعائرها ، وهى ظاهرة لا تراها مقصورة على الإسلام » .

« وإن طائفة من الأفكار القوية ذات الأثر الفعال فى العالم العربى لهى اليوم وليدة الحضارة الأوربية ، فإن فكرة الدولة الوطنية ذات السيادة كانت هى المثل الأعلى الذى توخاه الزعماء الوطنيون عند ثورتهم على السيطرة الأوربية وقد أفلحوا فى تحقيق استقلالهم السياسى باتباع الأساليب الإدارية وأساليب التنظيم والدعاية ، ومناورات السياسة الحديثة ، وهم يعتقدون أنهم إنما يحققون الاستقلال الاقتصادى باتباع الأساليب الفنية والصناعية الحديثة وأن محاولتهم أن ينهضوا بذلك كله دون مساس بتقاليدهم العربية والإسلامية لجديرة أن تكسبهم احترام الأمم الأخرى كما يكسبهم عطفها ... » .

* * *

ونرى كما يرى القارئ — فيما نحسب — أن صاحب هذه الدراسة يتحرى البحث العلمى فى ملاحظاته على تاريخ العرب والإسلام فى العصر الحديث ، وأن الخطأ إنما عرض له من جانب مذهب التفكير ولم يعرض له من جانب سوء النية .

فهو على عادة الكثيرين من المؤرخين المتأخرين يخلط عند الكلام على حركات التاريخ العربى بين الوطنية والقومية ، وهما على اقتراب الشبه بينهما مختلفتان بالنشأة والطبيعة ، وقد يقال فى التفرقة بينهما على وجه السرعة إن الوطنية أقرب إلى السياسة والاجتماع وإن القومية أقرب إلى العنصر والسلالة ، وأن الوطنية بمعناها فى مصطلح العلوم السياسية ظاهرة متأخرة نشأت فى الغرب بعد انحلال الدولة المقدسة وانفصال الحكومات عن سلطان الكنيسة ، مع ضعف النبلاء أصحاب الإقطاع وتقرير الحقوق

للشعوب بجميع طبقاتها ... أما القومية فهى بين العرب على الخصوص سابقة لتكوين الشعوب على الوضع الحديث ، ومنها القومية التى جمعت قبائل العرب فى وقعة ذى قار لمحاربة فارس ، ومنها كذلك قومية القبائل التى ساعدت بنى قومها العرب المسلمين عند فتح فلسطين وفتح مصر ، إذ كان عمرو ابن العاص ينتقل بجيشه من حدود فلسطين إلى المنزلة إلى الفيوم ولا يهتم بحماية ظهره من جنود الروم ، اعتماداً على معونة القبائل العربية فى تلك الأقاليم .

ولا يزال اسم الأمة باللغة العربية دليلا على صحة فهم هذه الكلمة ورجحانها بالاصطلاح العلمى على الكلمة الأوربية التى تجعل الوطنية علاقة اشتراك فى أرض المولد ، فإن الأمة بلغة الضاد تجعل الوطنية مرهونة بوحدة الوجهة والأمانة ، ولا تعلقها بموطن الميلاد كما تتعلق به عند الأوربيين فى اصطلاحها الحديث .

وعلى هذا الاعتبار يخطىء المؤرخ الذى يتوهم أن الشعور القومى بين العرب طارئ جديد يخشى منه على قوة العقيدة الدينية ، فإنه كان على أقوى ما يكون فى صدر الإسلام بعد فتوح الإسلام الأولى ، ومن أجل هذا قيل أن الشعوبية بين شعوب الإسلام غير العربية كانت بمثابة رد الفعل لقيام الدولة أولا على العنصر العربى دون غيره من عناصر الدولة المتعددة .

• • •

والوهم فى مسألة « العلمانية » أظهر من هذا الوهم فى مسألة الشعور الوطنى أو الشعور القومى ، إذا كان المقصود بالعلمانية مايقابل عندهم « الطقوس الكهنوتية » أو مراسم السلطة التى يفرضها رجال الدين على الدولة .

فالإسلام لم يعرف قط شيئا من قبيل الطقوس الكهنوتية منذ قيام النبى عليه السلام بالأمر وقيام خلفائه به من بعده . ولم يرفض خلفاء بنى العباس إدارة الميزانية فى دولتهم على حساب السنة النيروزية ، بل لم يرفضوا الاحتفال بالنيروز فى موسمه المألوف عند الأقدمين ، ولم يتبع أحد من الخلفاء أو الأمراء المسلمين طقوسا كهنوتية فى شئون الولاية أو فى شئون المعيشة العامة ، بل كانت أزياؤهم وتقاليدهم على سنة الأمم فى عهودهم فارسية وتركية ومتشبهة بالفرس والترك فى أزيائها وتقاليدها ، وقد كان خلفاء الأندلس قدوة للأوربيين فى المعيشة « العلمانية » ومنهم تعلم هؤلاء الاستقلال عن طقوس الكهنوت وشعائر السلطة المفروضة من جانب رجال الدين ، وليست الكسوة ذات « الجكتة والبنطلون » أول كسوة غربية قبلها المسلمون بعد اتصالهم بشعوب العالم من المشرق إلى

المغرب ، وليس فى العصر الحاضر « علمانية » لم تسبق لها مثيلات كثيرة منذ قيام الدعوة المحمدية دون أن تصيب العقيدة بالضعف أو تمس الولاء للدين فى قلوب أبنائه ، ولعل الصليبيين فى أشد أيام العصبية الدينية بين المعسكرين قد تعلموا من « علمانية » المسلمين أضعاف ما تعلمه المسلمون من علمانية الغرب فى زمانهم ، ولم يحدث قط أن الإسلام كان يوماً ما أشد إحساساً بوجوده مما كان أيام الحروب الصليبية ، ولا نستثنى من ذلك جماعة المسلمين الذين خضعوا لدولة بيت المقدس نحو قرن من الزمان ، ولم يطمع فى إسلامهم أحد من حكامهم العلمانيين ولا الكهنوتيين .

* * *

ولا شك أن الأستاذ بكنجهام كان يكتب كلامه عن التصنيع وفى ذهنه منشور ماركس وأنجلز إلى طبقة العمال بين جميع الطبقات ، وهو ذلك المنشور الذى جعل عهد « التصنيع » فى النهاية ختاماً لعهود الوطنية والدين ، وخيل إلى كاتبه أن طبقة العمال التى سموها بالبرولتارية مارقة جميعاً من الدين ومن كل إيمان بالله والرسل بعد شيوع التصنيع فى أمم الحضارة الأوربية .

ولكن هذه النبوءة المادية لم تصدق بين عمال الغرب نفسه إلا بمقدار محدود كان من الجائز أن ينحرف عن الدين فى قطر من الأقطار لم يسمع بالصناعة العصرية ولم يخضع قط لنظام التصنيع الحديث ، فإن المتدينين من عمال البلاد الأوربية والأمريكية يزيدون كثيراً على المنحرفين منهم عن الدين ، وعدد الكتب الدينية التى تنتشر بينهم يزيد على أضعاف أمثالها قبل عهد التصنيع ، وليس عند المؤرخين الاقتصاديين حجة على أن العقائد « الصورية » ظاهرة خاصة بزماننا هذا دون الأزمنة الخالية ، فلا تزال أوصاف المجتمع الأوربى فى القصص قبل مائتى سنة تمثل لنا « التدين » فى تلك الأيام على مثال من « العادات الصورية » لا تختلف عنه عادات العصر كثيراً بين جماعات المتدينين المحسوبين فى زمرة المتحللين من فرائض التدين الصحيح .

ويعلم الأستاذ بكنجهام — ولا ريب — أن الحركة النقابية فى بلادنا الشرقية لم تكن وليدة التصنيع الحديث ، لأن نقابات الصناع وأصحاب الحرف شاعت فى القاهرة على عهد الفاطميين شيوعها اليوم فى لندن وباريس وواشنطون ، وكانت هذه النقابات قوام المواكب الدينية التى تخلفت بقاياها إلى العصر الحاضر ، فلم ينقطع ما بينها وبين المعالم الدينية لارتباطها بتقاليد الحرفة واقترانها عن الطوائف الأخرى من اتباع رجال الطرق ورواد المساجد والأضرحة ، بل كان هؤلاء

جميعا ، موكبا ، واحداً فى كل احتفال عام ، يتسم بسمات العبادة أو يقوم على ذكرى من الذكريات الدينية .

* * *

إن العوامل الثلاثة التى أحصاها الأستاذ بكنجهام لها خطرها الذى لا يجهل ولا يهمل ولكنها على جدة أشكالها وأسمائها ليست بالعوارض الجديدة كل الجدة فى تاريخ الإسلام فقد سبقت لها فى هذا التاريخ مثيلات كثيرات ترددت عليه حقبة بعد حقبة ، وتركت آثارها حينا أو ذهبت بغير أثر يذكر ، وسيمر الإسلام بعوامل اليوم كما مر بمثيلاتها قبل اليوم بسلام .

عباس محمود العقاد

(بقية المنشور على صفحة ٦٢٦)

وآثارها . فنعرف مثلا أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وأنهم برعوا جداً فى الصباغة . ومهروا فى سق الفولاذ مهارة بعيدة المدى ، وأنهم فى كثير من فنون الصنائع . قد برعوا براعة لم يلحق لهم فيها شأو » .

نقول : — إذا كانت أوربا على ما وصلت إليه من الإبداع الفنى والصناعى تشهد على لسان أكابر ممثلى العلم والفنون فيها بأن المسلمين وصلوا من الكمال العملى فى كثير من الصنائع إلى أبعد مما وصلت هى إليه . فإن ذلك لا يمكن أن يكون ثمرة تعاليم دينية جامدة . وأزيد فأقول : ولا تعاليم حائمة عليه من الطراز المعروف ولكنها تعاليم من نوع أرفع تسندها بواعث تحضيض على الكمال . وبلوغ غايات السمو فى كل ضروب النشاط الروحى والعقلى قد مزجت مزجا مقيسا على القابليات البشرية فى كل دور من أدوارها .

عباس طه

آراء وأحاديث

من الأستاذ الأكبر إلى السيد الرئيس :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر :

باسم الله الذى خلق الناس من نفس واحدة وجعل التوحيد أساس العقيدة الصالحة ، كما جعل الوحدة رباطا لعباده لتكون مبعثا للقوة وداعيا للنصر .

باسم الله نؤيدكم ، نقف صفا واحـــداً لا نعرف الفرقة ولا التخاذل مؤمنين بالله مدافعين عن وحدتنا ، فلقد شددتم بهذا أزرنا وكسبتم حقوقا كثيرة لوطننا ورعيتم الله فيه حق رعايته ، وجمعتم بين إقليمين حبيبين ارتبطا برباط الأخوة الصادقة والمحبة العميقة كما أكد هذا الرباط وقواه لغة القرآن والتاريخ المجيد والغاية والهدف . فلم تكن الوحدة بينهما شيئا مصنوعا ولا أمراً مدفوعا إليه . وإنما انبثقت الوحدة من إيمان الشعب الذى يقدر مصالحه ويعرف أهدافه وواجباته . فكل خارج عليها يكون خارجا على مقومات الجماعة الفاضلة ، مفتتا لكيانها . ولن يرضى شعب أبى مؤمن حر كريم أن ينحرف مع من ينحرف ، أو أن يضل سواء السبيل ، أو أن يحقق ما قد يدعو إليه أعداؤنا وأعداء الحرية والإيمان ، فقد قهرناهم ورددنا سيوفهم إلى نحورهم ، وأصبحنا أمة قوية عملاقة يسير حاضرها مع ماضيها المجيد ، وترسم مستقبلها على واقع من الإيمان بحقها فى الحياة حقا كريما ، لا يعرف الضيم ولا الذل ، ولا تطأطىء رأسها ، وإنما تقف قوية أبية عزيزة كريمة .

إن يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار ، والله معك ما دمت معه يؤيدك بالحق ويؤيد الحق بك ، وإننا لندعو الله أن يجعل منا أمة قوية البناء متراصة حريصة على أمجادها ، فإن ديننا ليدعونا دائما إلى هذه الوحدة ، وهذا التماسك حتى تستطيع دائما أن نقف فى وجه أعدائها : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

وإننا بوازع من إيماننا بالله وثقتنا بالوحدة التى تجمع شملنا لنقف جميعا من ورائكم يا سيادة الرئيس وأنت الرجل المؤمن الذى شد الله به أزرنا وقوى به كياننا حتى تكون وحدتنا شاملة جامعة .

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » ، « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

والله يرعاكم ويديم توفيقكم ويسدد خطاكم .

محمود شلتوت

إلى إخواننا العرب :

لمناسبة الحركة الانفصالية الرجعية التي قام بها شرذمة من ضباط الجيش فى الإقليم الشمالى أذاع الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالى : —

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد : فإن أسمى مبدأ فى بناء المجتمعات بعد توحيد الله تعالى ، والإيمان برسله واليوم الآخر مبدأ الاعتصام بحبل الله الذى حث الله عليه ، ودعا إليه ، وحذر من الخروج عن حدوده . فقال فى الدعوة إليه : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقال فى التحذير من الخروج عليه : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

إنكم – إخوانى وأبنائى – لتعلمون حدب الإسلام وشديد حرصه على ائتلاف كلمة أهله ، وعلى أن يقيموا من قلوبهم وإيمانهم حصنا يقيهم شر الاعتداء عليهم ممن يعملون على كيدهم ، وتفريق شملهم ، وإضعاف نفوذهم ، وتضييع سلطانهم وتجريدهم من الحياة القوية الفاضلة ، وتعلمون : أن الله جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أبرز الواجبات ، وأقدس الفرائض التى بنى الإسلام عليها وأودع ذلك صريح كتابه فى آيات بينات ، وإنكم لتعلمون أن أنكر المنكرات وشرها يقوض دعائم الأمم هو الفتن التى تجعل الأمة أشتاتا وأحزابا ، بل تجعلهم أفرادا ولبنات فى بناء ضعيف ، لا يقوى على مقاومة الأحداث ، وإنكم لتعلمون بعد هذا كله أن الفتن التى تؤدى بالأمة إلى هذا المصير تضعف كيانها ، وتصرفها عن أهدافها ، وتجعلها مشغولة بتربص أعدائها بها – وإنكم لتعلمون أن أعظم ما يتقرب به الناس إلى ربهم فى مثل هذه الظروف أن يعملوا على إطفاء تلك الفتن ، وأن يعودوا إلى كلمة التوحيد ، وحدة فى العقيدة ، ووحدة فى السلوك ، ووحدة فى الأخلاق ، ووحدة فى الدعوة إلى ما يرضى الله ويقى البلاد من عوامل الضعف وأسباب الفرقة والانقسام .

أيها الأبناء والإخوان ، هذه دعوتنا لكم ، وهى دعوة الحق فى علاه نرسلها إليكم وندعوكم بها إلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بوحدتكم لتبقى لكم العزة والكرامة بين الدول الطامعة فيكم ، المتربصة بكم « ياقومنا أجيبوا داعى الله » « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » .

ندعو الله لكم بالتوفيق والهداية إلى أقوم طريق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



نقـــد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السمان

١ — فلسفة أرسطو للفارابي :

تحقيق الدكتور محسن مهدى

نشرت الكتاب دار مجلة شعر ببيروت ، وقام بتحقيقه الدكتور محسن مهدى ، الأستاذ المساعد فى دائرة اللغات والحضارات الشرقية فى جامعة شيكاغو .

قدم المحقق للكتاب بدراسة مسهبة فى أربعين صفحة ، استطاع خلالها أن يزيل كثيراً من الإبهام عن حقيقة الكتاب التاريخية ، فالكتاب هو الجزء الثالث والأخير من كتاب أبى نصر الفارابى ، أما الجزء الأول فقد نشر فى حيدر أباد عام ٣٤٥ هـ تحت عنوان : تحصيل السعادة ، وأما الجزء الثانى فقد نشر فى لندن عام ٩٤٣ م تحت عنوان : فلسفة أفلاطون .

ثم عرض النص الكامل لكتاب الفارابى معتمداً على النسخة المخطوطة الوحيدة المحفوظة فى آيا صوفيا فى القسطنطينية ، ويتضمن النص فلسفة أرسطو طاليس الذى يرى كمال الإنسان ما يراه أفلاطون ، فالمطلوبات الأول للإنسان أربعة : سلامة الأبدان ، سلامة الحواس ، سلامة القدرة على معرفة تمييز الأشياء التى بها سلامة هذه ، وسلامة القوة على السعى فيما يكون به سلامة هذه ، وفلسفة أرسطو ترى أن الإنسان ليس يمكنه استنباط الأشياء النافعة ما لم تعرف غاياتها . وإذا كان الإنسان جزءاً من العالم .. فمن اللازم أن تعرف أولا الغرض من كل العالم - ولما كانت الأشياء التى توجد للإنسان بالطبيعة والفطرة تتقدم فى الزمان الإرادة والاختيار ، وجب أن يقدم النظر فيما هو موجود بالطبيعة .

وهكذا يعرض النص فلسفة أرسطو على لسان الفارابى الذى ناقشها وعلق عليها .

المجهود الذى بذله المحقق مجهود ضخم ، ولكن كثرة الرموز والحواشى والفهارس التى استغرقت أكثر من ثلث الكتاب من حقها أن تنتزع من القارىء جزءاً كبيراً من الفائدة التى يرجوها . والمحقق عنى فى المقدمة بتحقيق

ثبوت النص دون أن تلقى ولو أضواء سريعة على ماهية النص نفسه ، كما أنه حين عرض النص لم يحاول شرح ما يبهم على القارئ المتوسط الثقافة من هذه الفلسفة الدسمة ، وإن كان نشر الكتاب بعد ذلك محاولة طيبة ، لاسيما وأنه من التراث الإسلامي الجليل .

• • •

٢ — خطوات فى النقد :

للأستاذ يحيي حقى

نشرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ يحيي حقى ، وعنوانه منطبق تماما على موضوعه ، إذ جاء مجموعة من المقالات النقدية خلال خمسة وثلاثين عاما ، فى عام ١٩٢٧ م نقد قصص الأستاذ طاهر لاشين التى نشرها على صفحات مجلة كوكب الشرق ، ثم توالى نقده لأغانى رامى بين عامى ٢٥ ، ٢٨ ولمصرع كليوباترة لشوقى عام ٣٠ ولكتاب الكاتب الفرنسى فرنسيس دى كرواسيه الذى يصف فيه رحلة طويلة بالهند عام ٩٣٠ ، والمخاصمة التى قامت بين تواستوى وتورجنيف عام ٩٣٣ ، ثم نقد قصص الأساتذة : توفيق الحكيم وعزيز أباظة وسعيد العريان ومحمد أبو طايلة وإحسان عبد القدوس ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويوسف الشارونى ، ومصطفى محمود . وأضاف إلى الكتاب دراسات عن القصة المصرية ماضيها وحاضرها ، وعن الأغنية وجدارتها بالدراسة الأدبية ، وعن حاجتنا إلى أسلوب جديد فى أوضاع مجتمعنا الجديد .

الواقع أن الأستاذ يحيي حقى ناقد يضفى على نقده ألوانا من الدراسات الجيدة لما ينقده ، والخبرة أساس فى نقده ، فهو لايلقى الكلام على عواهنه ، بل يملن الحيثيات التى تسنده من ثقافته ، أما روح المجاملة للمنقود فلا نكاد نحس بها فى كتاباته . والذى نلاحظه من خلال أبحاثه ومقالاته المرتبة ترتيبا زمنيا هو تطور النقد فى بلادنا ، غير أننا كنا نود أن يستقل بدراسة لتطور النقد والأسس الفنية التى يجب أن تعتمد عليها ، وكذلك المثل الأخلاقية التى يجب أن يرتبط بها الناقد ارتباطا وثيقا ..

• • •

٣ — إسلامنا :

الأستاذ الشيخ سيد سابق

نشرت دار الكتاب العربى بالقاهرة هذا الكتاب الجديد للأستاذ الشيخ سيد سابق مدير الثقافة بوزارة الأوقاف ، والكتاب كما يذكر المؤلف فى مقدمته : دراسات إسلامية صحيحة لم يعول فيها إلا على المصادر الأصيلة للإسلام ـ ولم يشأ أن يقحم فيها نفسه أو يؤولها تأويلا يخرجها عن مضمونها الصحيح .

أما هذه الدراسات التى توضح بعض حقائق

الإسلام فى جوانبه الثلاثة : الروحى والخلق والاجتماعى . فهى دراسات بمثابة موسوعة موجزة لكثير من المعانى الإسلامية يهضمها المثقف الناضج ، ويحتاج إليها من هو اقل منه ، ففى الجانب الروحى يتناول الفكر ، والإيمان ، والإخلاص ، والحب ، والشكر والخشية والثقة فى الله عز وجل ، ويتناول فى الجانب الخلقى : الخير والإحسان والحياء والأمانة . والصدق ، والرفق ، وفى الجانب الأخير الاجتماعى : يتناول الأسرة وقضاياها المتشعبة وصلة المسلم بأخيه المسلم

قلت : إن هذا الكتاب بمثابة موسوعة موجزة ، لأن كل هذه المعانى الإسلامية التى تناولها أيدها بنصوص إسلامية معتمدة ، فأصبحت مرجعاً معتمداً للقارىء ولو أن المؤلف استوعب فى كتابه الجيد الجوانب الإسلامية الأخرى : من سياسية واقتصادية وعقيدية ، لجاء موضوع الكتاب مطابقا تماما لعنوانه ، ولو أنه قارن الأفكار الإسلامية بالأفكار الغربية لا سيا المذاهب الخلقية ، والاجتماعية ، لإبراز قيمة الفكر الإسلامى لجاء الكتاب وافيا .

* * *

٤ — السياسة الشرعية :

لشيخ الإسلام ابن تيمية :

نشرت هذا الكتاب مكتبة أنصار السنة المحمدية وقمت بمراجعته والتعليق عليه ، والسياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية من الكتب الجديرة بالتقدير لشيخ الإسلام والعالم المصلح ابن تيمية .

الكتاب قسمان : الأول أداء الأمانات يتناول الولايات والأموال ، والثانى يتناول الحدود والحقوق ـ وابن تيمية الفقيه والمحدث والعالم المصلح الجرىء . يكتب دائما عن عمق وشجاعة . فهو فى الحديث عن الولاية لايفوته إبداء رأى الإسلام فى الظلم الواقع من الولاة على الرعية ، ومحاباتهم فى المعاملة لأصناف من المحسوبين ، وهم من أكبر الظلمة الذين يحشرون فى توابيت من نار ، هم وأعوانهم وأشباههم ثم يقذفون فى جهنم

وعند الحديث عن وجوب اتخاذ الإمارة يذكر أهداف الولاية لدى الكثير : فمنهم من يريد العلو على الناس والفساد ، ومنهم من يريد الرياسة لذاتها ، ومنهم من يريدها دينا وقربة يتقرب بها إلى الله عز وجل ، إنها رسالة فيها جوامع من السياسة الإلهية والإنابة النبوية ، وذلك كما يقول شيخ الإسلام فى مقدمتها :

* * *

٥ — السرقة فى التشريع الإسلامى :

للأستاذ إبراهيم الشهاوى :

هذه رسالة موجزة تناولت السرقة كإحدى

أمراض المجتمع ، عرفها المؤلف لغة وشرعا ووضح حكمها وحكمتها ، من واقع الكتاب والسنة والمراجع الفقهية والأصولية .

وتناولت معنى القطع وحكمه ، وحكمة مشروعيته ورد الشبهة الواردة عليه وشروط وجوبه ، ثم مسألة النصاب وقيمته ثم عرض مسائل اشتهر الخلاف فيها بين الفقهاء مثل : قطع الجماعة فى السرقة ، وقطع السارق إذا أظهر ملكه للمسروق وقطعه إذا رد المسروق إلى صاحبه ، وقطع من سرق من سارق ، وضمان المسروق . ثم ختم البحث بكلمة فى عقوبة السارق من الناحية التاريخية .

الحق أن فضيلة الأستاذ المؤلف ، وهو أستاذ بكلية الشريعة عرض قضية السرقة من الوجهة الفقهية والتشريعية بأمانة ودقة ، وناقش الخلاف فى الفرعيات بين الفقهاء ، واستطاع أن يجعل من بحثه مرجعا مركزا لمسألة السرقة ، إلا أن فضيلته لم يلتزم العنوان الذى اختاره ، فقد جعل عنوان كتابه : السرقة فى التشريع الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ، أما هذه المقارنة فلا يكاد يحس بها القارىء مع أنها ضرورية فى المسألة ، وحين عرضها من الزاوية التاريخية اختصر إلى درجة فيها إسراف ، فقد تعرض لها فى زمن يعقوب وموسى ، وأهمل تشريعات الرومان والفرس وبعض الفلاسفة وغيرهم .

٦ — من تاريخ الصحابة :

للأستاذ محمود النواوى

هذا كتيب للأستاذ النواوى مراقب العلوم الدينية بالأزهر ، نشرته دار الوينى بالقاهرة ، ترجم المؤلف فيه لجماعة من الصحابة كالخلفاء الأربعة وابن عباس وعمر ، وسعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير ، كما قدم بطاقات سريعة عن جماعة أخرى من الصحابة كأمهات المؤمنين ، وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس بن النضر وأبى سفيان وأبى الدرداء والبراء بن عازب .

فضيلة المؤلف كتب تراجم مسهبة بعض الإسهاب عن جماعة من الصحابة امتلأت آلاف الكتب بهم ، وكتب فى بطاقات تراجم موجزة إلى حد الإسراف عن جماعة أخرى من الصحابة لم تنفرد بهم تآليف ولا مؤلفات ، وكنا نود أن يكون هناك جديد فى الدراسة ، ولو أنه أفرد كتابه للصحابة الذين لم تعن بهم مؤلفاتنا كثيرا ، وهم من الكثرة بمكان ، لكان أجدى وأنفع ، والعبرة ليست بالتأليف وحسب ، وإنما بأن يكون فى تآليفنا ما قصرت عنه مؤلفات السابقين .

محمد عبد الله السمان

هكذا أنشد

(من الملحمة التى أنشدها الأستاذ إبراهيم محمد نجا
فى مهرجان الشعر العربى الذى عقد بمدينة دمشق
فى المدة من ٢٣ ستمبر إلى ٢٨ منه بدعوة من
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم
الاجتماعية فى القاهرة)

إننى أصنع بالقوة والعـزم مصيرى ... إننى أبعث نورى ، ثم أمضى خلف نورى
إننى أسمو إلى القمة كالنسر الكبير ... هاتفا بالريح إنى : لست أخشاك فثورى
هازئا بالضجة الرعناء فى الرعـد المثير ... رائيا للبرق يعدو فى الدجى كالمستجير

* * *

إننى أعبد ربى ، مثلما يرغب ربى ... وأراه أينما سرت مع الأيام ... قربى
فى ضميرى ، فى شعورى ، ملء نفسى ملء قلبى ... ويرى إشراق روحى فى مناجاة المحب
وإذا أذنبت يوما ، فهو يدرى سر ذنبى ... جل ربى ... إنه يعرف أشواقى وحبى

* * *

أنا نبع تتجلى روحه فى كل قطره ... ينبت البهجة فى الأرض ، وفى النفس المسرة
أنا ظل ليس يلقى الحر فيه مستقره ... أنا بحر قلبه الغضبان إعصار وثوره
مثلما كنت ترانى ، وترى قلبى وسره ... مرة نبعا وظلا ، وسوى ذلك مره

إننى ألمح خلف الأفق أسراب الحمام فوق أرض أينع الحب عليها والوئام
وعلى أغصانها الخضراء نور وابتسام إننى أهفو إليها فى حنين وهيام
لا أبالى قسوة الشوك ، وطغيان الضرام ومعى كل محب ، من رفاق ، للسلام

* * *

نحن قوم قد نهضنا ، وجمعنا شملنا ورفعنا علم الوحـــدة خفاق السنا
وسيبقى ما بقينا ، ثم يبقى بعدنا نحن بالأرواح نحميه ، فنحمى مجدنا
فاخسئوا يا من سعيتم كالأفاعى بيننا نحن ما دمنا جنود الله ، فالنصر لنا

من وحى الأحداث الحاضرة :

سلمت يا بلادى

سلمت يا بلادى ياموطن الأحرار
من سطوة العوادى وكيد الاستعمار
سلمت يا بلادى

* * *

سلمت للقومية والوحدة القوية
وعزة الحرية وروعة الأمجادِ
سلمت يا بلادى

* * *

سلمت للكفاحِ بالعلم والسلاحِ
فى موكب الإصلاحِ والخير والإسعادِ
سلمت يا بلادى

* * *

سلمت للسلامِ يضىء الأيامِ
بنوره البسام مثل المنار الهادى
سلمت يا بلادى

يا بسمة خضراء تمثلت رجاء
ونعمة فيحاء على ضفاف الوادى
سلمت يا بلادى

***

يا نغما تسمار تشدو به الدنيا فما
قد شاق حتى الأنجما بروعة الإنشاد
سلمت يا بلادى

***

يا قصة الحضارة وضيئة العبارة
تضئ كالمنارة من ساعة الميلاد
سلمت يا بلادى

***

يا مأمن المهاجر من بغى كل جائر
وعون كل ثائر فى وجه الاستعباد
سلمت يا بلادى

***

نفديك بالدماء يا منحة السماء
وكلنا فدائى فى ساعة الجهاد
سلمت يا بلادى

***

عيشى مع الخلود خفاقة البنود
وانتصرى وسودى على مدى الآباد
سلمت يا بلادى

ابراهيم محمد نجا

بريد المجلة

أبحاث ودراسات ... لحرب الاسلام

بعد نصف قرن من الدعاية الضخمة عن المادية الجدلية ، والحكم المباشر الذى يعمد إلى إخماد أنفاس الدين والمتدينين ...

بعد هذا الزمن الطويل ، والجهد المرير ، وجد (الإلحاد العلمى !) أنه فى حاجة لعقد مؤتمر : « لبحث موضوع مخلفات الدين الإسلامى ... ووسائل التغلب عليها ! » .

وتولت الدعوة إلى هذا المؤتمر جامعة حكومة داغستان ، وجمعية نشر المعارف السياسية والعلمية فيها . واشترك فيه ٣٥٠ شخصا من مدرسى التعليم العالى وممثلى الجمعية ، والعاملين فى ميدان الحزب ، وفى ميدان الانتاج ، والعلماء والكتاب ...

وكانت كلمة الافتتاح : « يتعين على المؤتمر أن يقدم للعمال مساعدات كبيرة فى الميدان المذهبى ، وأن يزود المحاضرين الإلحاديين بمواد واقعية للقيام بدعاية علمية إلحادية على أساس أحدث ما تحقق فى ميادين العلوم والتكنولوجيا والعلوم الطبيعية ، وأن يعمم الخبرات التى جمعتها المنظمات المحلية أثناء قيامها بهذه المهام بين العمال الكادحين ... » .

وجاء فى تقرير ا . ل . ليتيفوف عالم التاريخ : « ... إن إقامة الشعائر الدينية يصحبها فى عدد من الحالات انتهاك لنظم العمل والدولة ، ومن ثم فإنه يلحق الضرر بالاقتصاد ويفسد الناس من الناحية الروحية كما أن بقايا المخلفات الدينية تقف حجر عثرة فى سبيل تعزيز أواصر الصداقة بين الشعوب وتعمد إلى إبقاء المشاعر البورجوازية ... » .

وصاحب التقرير يشفق من تأييد المسلمين للاتجاهات الاشتراكية : « ومن ثم فلكى تكون الدعاية العلمية الإلحادية مجدية ، يتعين القيام بها بوسائل مختلفة ، على أن تضع نصب عينيها حاجات مختلف طبقات السكان : أى النساء والطاعنين فى السن والشبان والأطفال ، والفلاحين والعمال والمستنيرين .... الخ . ويتعين كذلك أن تستخدم على أوفى وجه جميع وسائل التأثير على الجماهير من الناحية المذهبية : أى الصحافة والسينما والإذاعة والتليفزيون والمعاهد الثقافية والتعليمية » .

وتتابعت التقارير : من دكتور فى العلوم التاريخية ، ورئيس لقسم الإلحاد العلمى ، وأستاذ فى الفلسفة والعلوم السياسية ... » .

وسوف نناقش فى هذه المجلة (موضوعيا) بعض المسائل التى أثيرت فى هذه التقارير . . لنعرف مواضع الهجوم ، ونتبين أساليب الدفاع .

ولعل دعاة الإسلام يقدرون ضخامة الجهود التى تبذلها أجهزة كبيرة مستعدة . . . . مابين شرقية وغربية .

ويلتقى على حرب الإسـلام (المـاديون الملحدون) و (المبشرون المتدينون) . .

والله المستعان على ما يصفون

فتحى عثمان

حول مشكلة الأغانى :

بدأ أحد الصحفيين المنتمين إلى إحدى دور الصحف الكبرى فى القاهرة حملة شعواء على الأغانى الخليعة التى احتلت الجزء الأكبر من برامج الإذاعة .

وكانت الحملة من القسوة بدرجة أثارت ثائرة الذين أطلقنا عليهم عن رضا وطيب خاطر لقب « الفنانين » فدافعوا عن أنفسهم على موجات الأثير وفوق صفحات الصحف .

ولقد جاءت حيثيات الصحفى الذى تولى الحملة قوية أعتمدت على عرض بعض عبارات مثيرة من الأغانى الهزيلة ، التى يرددها الشباب الغض من الجنسين ، والتى لا تليق بشعب يريد أن يكون جادا لا عابثا ، وذا عزمة صارمة لا متخاذلا ، كما جاء دفاع الفنانين بدون حيثيات اللهم إلا أن الشعب « عاوز كده » .

والواقع أننا لم نقدر بعد الأثر السيء الخطير الذى يصيب المجتمع من جراء الأغنية الخليعة ، التى أصبحت تمثل جزءا من كيان المراهقين والمراهقات ، وأشهد أنى حين كنت مدرسا منذ سنوات فى إحدى مدارس البنات الإعدادية ، أزعجنى استعصاء حفظ النصوص الأدبية على تلميذات الفرقة العليا ، وتلاشى هذا الإزعاج حين أجريت تفتيشا على أدراجهن فوجدت خمسا وثلاثين من سبع وثلاثين يحتفظن بأغانى مطربى ومطربات العواطف ، تلك التى طبعت ، وكانت تباع بملاليم أمام أبواب المدارس .

ومنذ أقل من عام اطلعت على خطاب عاطفى أرسله طالب بالسنة السادسة الابتدائية فى إحدى المدارس المشتركة إلى مدرسته الشابة يفيض غزلا ، وكان من صفحتين طويلتين عريضتين ، ولم يهمل جانبا من جسدها دون أن يتفرس فيه ليتغزل ، أما مادة الخطاب العاطفى فقد استمده الطالب بلباقة من الأغانى العاطفية المسفة .

ونحن إزاء هذه المشكلة لا تدفعنا المغالاة إلى المطالبة بإلغاء الأغانى العاطفية من حياتنا وإنما نطالب بالسمو بألفاظ الأغنية حتى تضفى على إحساساتنا ومشاعرنا مسحة من الرفاهية البريئة ، وبالسمو بالأداء حتى لا يكون أداة لإثارة غرائز المراهقين والمراهقات .

ويأتى دور المؤلف فى الدرجة الأولى ، كما يأتى دور الملحن فى الدرجة الثانيـــة ، فالألفاظ السامية قد تحمل الملحن على احترام ألحانه ، ولكن مؤلف الأغنية العاطفية اليوم محترف ، أصبح كالخباز إزاء بطون جائعة لم تستقبل طعاما منذ أسابيع ، فهو يستطيع على أحد المقاهى أن يؤلف أغنية قبل أن ينتهى من رشف كوب من الشاى ، وكثيراً ما سمعنا أن أحد مؤلفى الأغانى العاطفية — وهو على سرير المرض — أملى أغنية عاطفية بالتليفون على أحد الملحنين ، وأشك أن يكون لمؤلف الأغانى العاطفية اليوم صلة بالأدب العربى ، ولا بلغة العرب ، إذ الألفاظ العامية المبتذلة لا تحتاج إلى هذه أو ذاك ...

ولكن لم نلق اللوم كله على المطرب أو المطربة أو الملحن ، وندع الإذاعة والمشرفين على توجيهها . ألا يستطيع هؤلاء المسئولون وضع حد للمهزلة ؟ نحن نعلم أن هناك جهازاً يسمى « لجنة الاستماع » ولا تمر أغنية دون أن يقرها هذا الجهاز ، فهل تأكسد إلى درجة فقد معها حاسة الاستماع ؟ .

وبعد ... ...

فليست الأغانى العاطفية المسفة وحدها تمثل الخطر الأكبر ، فهناك الصورة الخليعة ، والقصة الخليعة ، والتمثيلية الخليعة ، ثم أفلامنـا السينمائية الهزيلة التى لا منهج لها ولا هدف .

إن أفلامنا هذه لا زالت دائبـة على لصق صور مثيرة مغرية ، تقشعر منها النفوس ، تراها كل لحظة على الجدران وفوق لوحات الإعـــلانات ، فى أضخم وأهم شوارع العواصم ، ويقولون : إن هناك رقابة على الأفلام وإعلاناتها . ولكن يظهر أن الرقابة فى واد ، ومهازل الأفلام فى واد آخر .

إن مجتمعا محترما يريد أن يثبت أن له كيانا لا يقبل بحال أن تسلط عليه مثل هذه المهازل التى تتمثل فى أغانينـا وصحافتنا وإذاعتنا وأفلامنا .

ولكن يظهر أن الكارثة أصبحت أضخم من أن تعالج ، لأن مهازلها تسد فراغا لا يمكن أن يسد بدونها .

والمجتمع هو الضحية أولا وآخراً .

محمد عبد الله السمان

ذو القرنين عربى مؤمن :

سأل أحد قراء مجلة المنار الغراء أستاذنا الإمام السيد محمد رشيد رضا عن ذى القرنين المذكور فى القرآن ، فأجابه بأنه عربى من أذواء اليمن ، كذى نواس ، وذى رعين ، وذى يزن الخ .

قال الأستاذ الشيخ يرد على كاتب مجلة المشرق اليسوعية فى قوله :

« إن القرآن الكريم ذكر إسكندر ذا القرنين بما لا يوافق أخبار التاريخ المحققة » : وجوابه أن ذا القرنين المذكور فى القرآن ليس باسكندر المقدونى وإنما هو أحد أذواء اليمن ، ولو خالف أخبار التاريخ (أى القرآن الكريم) لكان ما خالفها فيه هو الحق . اهـ . كلام أستاذنا وأنت تراه قد حصر أن ذا القرنين من أذواء اليمن .

ويقول الإمام ابن خلدون فى الجزء الثانى من تاريخه صفحة ٥٢ مطبعة النهضة : « ثم ملك المنذر بن امرىء القيس وهو ذو القرنين لضفيرتين كانتا له من شعره » . وأمه ماء السماء بنت عوف وصل نسبها بالنمر بن قاسطة الذى تملك تسعاً وأربعين سنة . فالعرب تعرف من أسماء ملوكها اسم ذى القرنين .

ولما أرخ ابن خلدون مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه كان فى عام الفيل لأربعين سنة من ملك كسرى أنو شروان وقيل لثمان وأربعين ولثمانمائة واثنتين وثمانين لذى القرنين . فذو القرنين معروف للناس يؤرخون بتوليته الملك كما يؤرخون بتولية كسرى أنو شروان وبالحوادث العظيمة الشأن . ويورد النظام النيسابورى فى تفسيره عدة أقوال فى ذى القرنين منها أنه من أذواء اليمن . وأرجح أن ما تقدم كاف كفاية قوية لنفى الفارسية عن ذى القرنين وإثبات أنه عربى يمنى بشهادة عمدة التاريخ وأستاذ المحققين. ثم نرجع إلى إيمانه فاسمع ما يقوله الله تعالى : قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنى . قال أما من ظلم (أشرك) فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا » ، وأنت عليم بأن من يخاطبه الله تعالى بهذا الخطاب ويجيبه بما أجابه به ، لا يتصور أن يكون اسكندر المقدونى الوثنى المشرك ولا قورش الفارسى الكافر .

أبو يعلى
حافظ حسن البطة

خان يونس بفلسطين

من الصحف والمجلات

تصدر الرياسة الدينية الإسلامية بسيراجيفو من الجمهورية الشعبية الاتحادية بيوغوسلافيا مجلة إسلامية شهرية باسم «غلاسنيق» تعنى بشئون الإسلام والمسلمين باللغة اليوغوسلافية، وتلحق بكل عدد منها خلاصة باللغة العربية لكل ما نشر فيها من آراء وأنباء، وعن ملحق عددها الصادر في سبتمبر سنة ١٩٦١ . ننشر هذه المقتطفات :

الإسلام فى فيليبين :

ألقى الحاج أحمد آلتنتودوموكاو عضو مجلس الشيوخ والسفير الخاص لرئيس جمهورية فيليبين وزعيم مسلمى فيليبين فى قاعة كلية الشريعة بجامعة دمشق محاضرة حضرها جمع غفير من الوزراء والأساتذة والطلاب وكبار رجال الدين والعلم والأدب .

اقتطفنا من هذه المحاضرة المنشورة فى مجلة «حضارة الإسلام» بعض المعلومات عن مسلمى فيليبين ونقدمها لقراء مجلتنا «غلاسنيق» .

دخل الإسلام فى بلاد فيليبين قبل ستمائة وثمانين سنة، عام ١٢٨٠م على يد القاضى مقدم من الغرب ثم توالى غيره من تجار العرب ونشروا الإسلام وأسسوا دولة إسلامية أخذ عدد المسلمين فى ظلها يزداد يوما إلى يوم حتى جاء الأسبانيون واحتلوا البلاد وحكموها أكثر من ٣٥٠ سنة ذاق المسلمون فيها من حكمهم الاضطهاد والظلم .

يعيش الآن فى فيليبين ٣ ملايين من المسلمين وهم من جراء ما لاقوا طوال قرون كثيرة من الظلم والاضطهاد، فى تخلف وتأخر . ولكنهم أخذوا فى التقدم، ولهم اليوم نشاط لا بأس به فى النهوض بحياتهم الدينية . وبينهم الآن ثلاثة من علماء الأزهر يرشدونهم إلى الصراط المستقيم . وقد أوفدوا إلى الأزهر ٨٣ طالبا ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

فولتير ومأساته : «محمد» :

واصل الأستاذ أنور بن طاهر بحثه عن فولتير وموقفه من الإسلام فأتى بتحليل نفسيته وشخصيته تحليلا علميا دقيقا لم يسبق إليه .

كان فولتير فى أول الأمر ، مع الأسف الشديد، ممن بذلوا جهدهم وسعوا فى هذا السبيل وقد ألف ، كما رأينا فى العدد الماضى ، عدة مؤلفات أراد بها النيل من الإسلام ومن رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق الأكاذيب والمفتريات ولكنه لما نضج وأفاق رجع إلى الحق واعترف بكل صراحة بتطاوله على الإسلام وبأنه نسب إليه ما لا صلة له به كذبا وافتراء .

وإذا أردت أن تقف على حقيقة تطورات الفيلسوف فولتير وتغير رأيه فى الإسلام ورجوعه إلى الحق واعترافه بأخطائه وضلالاته فعليك بالاطلاع على رسائله التى كان يبعث بها إلى أخص أصدقائه ، وقد أعرب فيها عن أسفه الشديد على محمد لا فترائه ، وادعائه ما ليس بحق واتخاذه الأكاذيب والأباطيل وسيلة لتملق البابا وبعض الملوك عملا بقاعدة : الغاية تبرر الوسيلة .

وفق فولتير فى الطور الأخير من حياته فى أن يتحرر من ربقة العبودية للملوك والكنيسة والرأى العام المسيحى الذى كان سائدا فى عصره وأصبح مستقلا فى آرائه وأفكاره وأخذ يفكر تفكيرا علميا صحيحا مبنيا على المنطق والعقل لا على التلفيق والأكاذيب والمفتريات كما كان شأنه من قبل . ومن هنا ظهر لنا الفيلسوف فى لونه الحقيق ، والذى أنتجه عبقريته وقريحته فى هذا الحين إنما يمثل فى الحقيقة دفاعا قويا عن الحق والحقيقة.

فأنت ترى فى مؤلفاته التى ألفها فى هذه الفترة وهى : البحث عن العادات، ومحمد، والجزيرة العربية وقاموس الفلسفة، والقرآن الحكيم، والمسلمون . وغيرها ترى فيلسوفا جديدا غير الذى كنت تراه فى مأساته : محمد ، ترى باحثا مدققا لا يتحرى فى بحثه إلا الحق ، ولذلك تجده يدافع فى مؤلفاته المذكورة عن الإسلام وعن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول : إن القرآن أفضل مجموعة من الأحكام وخير قانون أخرج للناس وإن محمدا غير وجه أعظم وأجمل جزء من العالم ، وأحدث انقلابا عاما جاء بفوائد لا تقدر فى صالح البشرية :

هذا هو الفيلسوف فولتير الذى أراد أولا ، لأغراض غير شريفة ، أن ينال من الإسلام فكتب ما كتب ثم اهتدى إلى الرشد واختتم حياته بخير خاتمة فى الدفاع عن الحق ...

هكذا ظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا — صدق ربنا العظيم ...

أوربا والإسلام :

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين

وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية على حد قول الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى السباعي - لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب وبلاد الإسلام فأعادوا الكرة ثانية واتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموه ، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية حاولوا إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم ، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيديهم من تراث وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية فيفقدون الثقة بأنفسهم ويرتمون في أحضان الغرب .

وقبل أن نختتم هذه الخلاصة نذكر أن مسلمي يوغسلافيا يتابعون ما تنشره أوربا من الدعاية ضد الإسلام لأغراضها المختلفة السياسية والدينية فيقومون بمهمة الرد وكشف نيتها ومقاصدها الخسيسة . وقد قام خصيصا بهذه المهمة الأستاذ أنور ابن طاهر من أبناء البوسنة والهرسك ومن المثقفين ثقافة عصرية وله إلمام تام بعدة لغات أوروبية يساعده على تتبع ما كتبه علماء أوربا من المستشرقين . وله بحوث قيمة في هذا الموضوع نشرتها له مجلتنا وهو لا يزال يواصل مهمته .

معنى العلم في الإسلام :

رفع الإسلام من شأن العلم بحيث جعله خير العبادات . جاء في الأثر أن فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، وقال سبحانه وتعالى في أول آية نزلت على الرسول : « اقرأ باسم ربك الذي خلق — هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وقد جعل الله الرجل خليفة له في الأرض لما أودعه فيه من ملكة العلم والمعرفة وسخر له جميع ما في الأرض والسموات وفضله على سائر المخلوقات حتى الملائكة .

لذلك اهتم المسلمون الأولون بنشر العلم وفتح المدارس وأولوا عناية عظيمة للتعليم . كانوا لا يفرقون بين علم وعلم لأن العلم في نظر الإسلام واحد . العلوم كلها إسلامية فلا يوجد علم ديني وعلم غير ديني . أما الذي وقع بعد ذلك من تقسيم العلم إلى ديني وكوني فهو باطل لا أساس له في الإسلام . الإسلام دين ودنيا وهو يؤدي إلى سعادة الدارين — « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

سلك الأولون هذا المسلك في فهم الإسلام ففهموه على أنه دين ودنيا فكانت مدارسهم

تدرس فيها جميع العلوم . كان العالم فقيها فيلسوفا طبيبا رياضيا طبيعيا جغرافيا كيماويا، كل ذلك فى آن واحد . ألا يكفيك أن الراهب الفرنسى جربرت الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م تعلم فى معاهد الأندلس . يقول الأستاذ الكبير مصطفى السباعى فى بحثه: « الاستشراق والمستشرقون » : من المؤكد أن كثيراً من الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس فى إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا فى مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم وبخاصة فى الفلسفة والطب والرياضيات ، منهم بطرس المحترم ١٠٩٢ — ١١٥٦ وجيراردى كريمون ١١١٤ — ١١٨٧ وغيرهما .

قامت المعاهد الإسلامية فى العصور الأولى من تاريخ الإسلام على فكرة عدم التفرقة بين الدين والاجتماع فكان للمسلمين ماكان من المجد والعظمة فى جميع ميادين الحياة .

وقد ذكر السيد وهبى حوفيتش فى المقال المذكور المراكز العلمية التى ازدهرت فيها العلوم ازدهارا لم يعهد له مثيل ، من تلك المراكز بغداد والقاهرة ودمشق وفاس وقرطبة وغرناطة وسمرقند وطاشقند وترمذ وبخارى والآستانة وغيرها ، وهذه المراكز كانت مصدر نشاط علمى وأدبى وفنى وثقافى وكانت مليئة بالمعاهد العلمية والمكاتب ، ويذكر المؤرخون أن بعض تلك المكاتب كان فيها من الكتب أكثر من ثلاثة ملايين كتاب ، أما مكتبة بغداد التى ألقت جيوش المغول بكتبها إلى دجلة حيث كنت تستطيع أن تعبر عليها النهر، فشهرتها تغنى عن ذكرها .

الاسلام فى أوربا :

يختم الأستاذ عبد الرحمن حوفتش بهذا البحث سلسلة من مقالات قيمة تناول فيها موضوع دخول الإسلام فى أوربا ، وقد تعرض فى مقاله الأخير لحالة الإسلام الراهن فى أوربا .

حاول المسلمون كما علمنا من المقالات السابقة ، فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، الدخول فى أوربا من ناحية الشرق ، فلما فشلت محاولاتهم المتعددة لفتح القسطنطينية اتجهوا نحو الغرب وفتحوا الأندلس ودام حكمهم فيها حوالى ثمانمائة سنة .

وفى نفس الوقت الذى قضت فيه محكمة التفتيش على الإسلام والمسلمين فى الأندلس فتح الأتراك القسطنطينية وتوغلوا فى أوربا واستولوا على شبه جزيرة البلقان واستمر حكمهم فى اليونان وبلغاريا ورومانيا وصربيا والبوسنة والهرسك وفى جزء من الجبل الأسود وهنغاريا أكثر من خمسمائة سنة.

ومما يجدر ذكره هنا أن الإسلام زال من الأندلس بزوال حكمه فلم يبق هناك أحد من المسلمين بعد ذهاب سلطتهم ، ولم يقع مثل ذلك بالإسلام الذى دخل فى أوربا من ناحية الشرق فإنه لم يزل بزوال حكمه، وإنما صمد وبقى إلى الآن برغم ماكان يتعرض له من الاضطهاد والانتقام فى بعض البلاد ، فأنت ترى اليوم الأقليات الإسلامية فى جميع البلاد المذكورة التى حكمها العثمانيون .

وفوق ذلك فإن الإسلام فى أوربا أخذ فى هذه الأيام يبدى نشاطا لا بأس به فى سبيل توسعة ونشر مبادئه وتعاليمه ومثله ، ففى فترة مابين الحربين العالميتين وما بعد الثانية انتشر الإسلام وجاوز حدود البلقان فتجد اليوم المراكز الاسلامية فى معظم بلاد أوربا وأمريكا ، فهناك فى أغلب عواصمها ومدنها الكثيرة مساجد يذكر فيها اسم الله وتقوم برسالة الإسلام .

حاولت بعض العناصر المتطرفة من المسيحيين والقوميين تشويه الدور الذى لعبه الإسلام فى أوربا لجعلوا حكم الأتراك فى البلقان عنوانا للظلم والطغيان والاضطهاد والقتل على أشنع وأبشع أساليبه .

وقد رحب الاستعمار بهذا التشويه وشجع القائمين به وقدم لهم كل مساعدة راجيا بذلك تبرير احتلاله للبلاد الإسلامية واستغلاله لثرواتها .

ولا شك أن هذه الدعاية القوية المشتركة ضد الإسلام أثرت فى الرأى العام حتى فى نفوس بعض الضعاف من المسلمين .

والحقيقة التى لا سبيل إلى إنكارها والتى أخذ المؤرخون المنصفون يعترفون بها أن حكم الإسلام فى أوربا كان يمتاز بالتسامح التام والعدالة والمساواة وأن دوره كان إيجابياً تقدمياً .

أما فى الأندلس فلا حاجة بنا إلى الكلام فيه . فمن المعلوم أن الإسلام أتى فى الأندلس بمعجزات فى جميع ميادين الحياة ، فمن الثابت ثبوتا لا شك فيه أن الحضارة الأوربية قامت على أسس وعلوم أخذها الأوربيون عن مسلمى الأندلس ، وللاسلام نصيب عظيم فى حركات أوربا العلمية والسياسية التى خرجت بها من ظلام القرون الوسطى وتخلصت من ربقة وطغيان الكنيسة وتحررت حياتها الفكرية من استبداد الكهنة والرهبان .

أما فى بلاد البلقان فدور الإسلام فيها لم يكن أقل أهمية من دوره فى بلاد الأندلس وخصوصا فى العدالة الاجتماعية ، وقد ترك الإسلام فى البلقان من المؤسسات الاجتماعية ما يمكن لأعظم الدول حضارة

أن تفتخر وتعتز به اليوم . فنى عهد الحكم الإسلامى ما كنت تجد مدينة حتى ولا قرية إلا وفيها بيت المسافرين الذى كان يمكن للسافر أن يبيت فيه ويأكل مجانا ، وكذلك ما كنت تجد مدينة فى البلقان إلا وفيها مطاعم عامة تقوم بإطعام الفقراء مجانا ثلاث وجبات كل يوم بدون تفرقة بين المسلمين وغيرهم من المسيحيين واليهود .

ومن ميزات حكم الإسلام فى البلقان عنايته الشديدة بالنظافة . فكان الأتراك لا يألون جهدا فى تزويد البلاد بالمياه وفى إقامة الأسبلة والحمامات العامة فكان فى القرن السابع عشر أثناء عهد الأتراك فى مدينة سراييفو مثلا عاصمة البوسنة والهرسك ١١ من الحمامات العامة واليوم لا يوجد فيها أكثر من حمامين .

هذه الأمور لا يجوز إغفالها وإهمالها عند النظر فى الدور الذى لعبه الإسلام فى بلاد البلقان . ولا بد من الملاحظة هنا أن نصيب مسلمى يوغسلافيا وعلى وجه الخصوص مسلمى البوسنة والهرسك فى تلك الخدمات الاجتماعية العامة كان غير قليل .

المسلمون فى اليونان :

فى اليونان طائفة إسلامية يصل تعدادها إلى ما يقرب من ١٥٠ ألفاً . منهم ١٠٠ ألف فى تراقيا الغربية و ٢٠ ألفاً فى دودكانيز و ٣٠ ألفا فى يانيا وأغلبهم ينتمون إلى أقلية تركية ومنهم أيضاً جراكسة وبوماق (الصقالبة) وأرناءود .

وإليك بعض المعلومات عن حياتهم الدينية : المفتى هو الرئيس الدينى الأعلى والمشرف العام على الحياة الدينية لمسلمى اليونان . ويوجد ثلاثة مفتين وبجانبهم هيئة دينية تنتخب أعضاءها لمدة أربع سنين . ولمسلمى اليونان أربع مدارس دينية ثانوية لتأهيل وإعداد الأئمة والوعاظ والخطباء ، وأكثر من ٣٠٠ من الكتاتيب لتعليم الأطفال مبادئ الإسلام . ولهم كذلك عدد عظيم من المساجد وثلاث جمعيات : جمعية اتحاد الإسلام وجمعية انتباه الإسلام وجمعية شبان الأتراك . وهذه الجمعيات تصدر أربع مجلات

These crimes were those which represented agression against the citizen's right for self-determination, property and his immediate family. The ruler was entrusted with the execution of these defined punishments according to what he consedered the best way of bringing about an orderly society. The ruler's aim was to provide tranquility for the citizens and security for their lives, property and immediate family.

This right which Islam gave the ruler is the "executive right" which is one pillar in the state system of the modern society. But Islam, nevertheless, concentrated Its primary attention on the reliance of the conscience of the people. Conscience is the creative power in the faithful individual. The ruler could not apply punishment in the absence of strong evidence. The Prophet, peace be upon him, says :"No punishment in lack of strong evidence". This shows the desirability of preventing the application of the prescribed punishment for certain crimes unless there is strong evidence against those who committed the crimes and consequently leaves room for the conscience in constructing the relationships among the citizens.

Islam, therefore, could not conceive of true believers committing such crimes, for the true believers are guided in their actions by the fear of God which crystallizes their conscience. The Prophet says : " The one who commits adultery would not do so if he were a true believer. He would not drink alcohol if he were a true believer. He would not steel if he were a true believer.

1) Thus, the foundation of the executive authority, which is one of the pillars of the state system in modern society, is also found in the nation which is the creation of God, but with the stress on conscience and belief in God. Belief in God is the path which leads to belief in humanity and brotherhood and consequently to cooperation, equality and happiness in life. Therefore, what the state system lost in neglecting the conscience of the individual by its complete reliance on the executive authority is found in the nation of God in addition to the executive authority and at the same time preserving the dignity of the human being. Human dignity is exemplified in the freedom of the individual and his free will in work and action. For this, the nation of God is far above the other societies which are controlled by outside force.

(Continued . .)

such a nation, its function would be to correct deviation which occurs in every society. However, security and tranquility among the people of this society depend, first of all, on conscience and understanding of the values as well as the difference between right and wrong instead of depending on the executive authority exerted by the state. It is the nation which has humanistic moral goals. From the beginning of its existence its targes and aims in life were clearly defined. These aims were humanity and discipline.

The individuals of this nation, at the time in which their moral and humanistic behavior sprang from their conscience and innate strong drives, carried the responsibilty for guidance to the degree that every individual was the guardian of himslf as well as of the others: " all of you are gurdians and all of you are responsible for those who are under the guardianship ". Man is guardian and he is responsible for his family, the woman is guardian in the home of her husband and she is responsible for her children, the servant is guardian of the property of his master and he is responsible for what he is entrusted with, therefore all the people are guardians and all of them are responsible for what they are entrusted with. Besides this responsibility of guardianship assumed by every individual in this nation, there existed the elements of personal freedom and collective cooperation among all the individuals. The etent of personal freedom, therefore, is limited by the conscience of the individual himself and his sense of responsibility for his activities. The source of collective cooperation is the sense of guardianship felt by each individual in his particular environment and the understanding of the environment of others and they all form one cohesive society. This means that when one takes care of himself in his particular environment, he provides for the others equal chances for coexistence. When man takes care of himself he knows his limitation according to his possibilities or to the conditions of society in which he lives.

As we mentioned before, the dependence of conscience which relies on the belief in God and his observance does not abolish the nation's need for the executive authority. But this authority does not play such an essential role as it does in the state system of the modern society.

Islam, which is the distinguished nation as the creation of God, gave the ruler the right to punish those who committed crimes in society.

explicitly for fear that the executive authority may harm them.

In brief, modern society by adopting the state system imposed disciplinary order on the individuals who obey regardless of their free will, and it is this free will that distinguishes man from other living creatures. In modern society the individuals are faced with the psychological struggle between the authority of state and religion. Modern society as a whole is not excluded from this struggle no matter how hard it tries to bridge the gap between the state system and belief in religion.

2. *The Nation which God Created*

" You were the best nation shaped for men, for you demand goodness, prevent evil and believe in God ". This is the nation that God created. It is the nation which knew good and evil and consequently demanded goodness and prevented evil and believed above all in God. It is, therefore, a nation with human maturity, discipline as well as high morals. It distinguished right from wrong and knew the ultimate truth : the divine being. This nation was disciplined, it did what was supposed to be done and avoided what man was supposed to avoid. It is a nation with strong will power as well as free will. It was able to distinguish between the patterns of human behavior and picked out the pattern which best represented true humanity.

It is a humanistic nation with true humanistic virtues. It does not interpret life in the light in which man tends to see it, but rather looks at it the way God wants it to be. This nation does not stumble on its way through life for it does not follow the path of man who is constantly under controversial and different influences, for he is the product of his particular environment, heredity, special indoctrination, political, religious or sectarian.

The individuals of this nation are not coevced to do good and to evade evil, but they choose their way voluntarily. A nation whose individuals have ambition and pride and whose actions are motivated by conscience is founded on the belief in God and His observance. And God is the center of all their higher values and ideals towards which the individuals strive and direct their actions.

The society of such a nation is a society without any surveillance system. It has no coercion for it does not need executive authority as fundamental basis of the state system. If an executive authority existed in

the church assumed in directing human life. It is the system of the "human age" and the human age is nothing but the period in which the human being sought to be independent of "control or guardianship" from any other source but himself. It is this period in which man became self-reliant to such degree that he overesimated the human mind and and what it creates. The system of the state, therefore, is the outcome of human philosophy, born from the self-recognition of man. Man, the owner and sustainer of this system, gives it its higher value as long as he believes in the independence of the human mind and its creativeness.

The original logic of the state system in modern society, according to this human philosophy, is the result of underevaluating the existing guiding values, which came out of religious missions, not originating from man, and which is the message from heaven. Perhaps the communistic society, at the present time, is the best example of following this logic. Other modern societies follow the same line but differ in degree. The greater the "duality between the state system and the faith in religion" the greater is the conflict of that society with the logic of human philosophy on which the state system is founded.

From another point of view, perharps, this conflict is inherent in the system of the state itself, for the structure of society is the exact pattern of the life of the individuals. But if the structure of society reflects the life of the individuals, the individuals themselves are the cells of the new as well as of the preceding society. It is not easy, even impossible, that individuals, after adopting the new system of society, detach themselves completely from old beliefs that are deep-rooted in their hearts. Therefore, the leaders of the new system of society try to keep the two aliaat elements, the modern state system and the system in which religious belief was prevailing. They follow this policy in order to maintain popularity among those people with strong religious belief.

This policy that the leaders of the new society seek to employ is actually a manifestation of the struggle between two powers, each of which desires to have the upper hand in guiding and orienting man's life: religion or state ?

The claim of the communistic society that it follows the logic of human philosophy by excluding religion from the system of society has no solid ground, for the individuals in such a system still express their belief in religion in different ways even though they don't declare it

from the factor that the legislators are influenced by their social background, environment, or the consideration of the people in power.

3) Neglecting the importance of the collective spirit in the relations among individuals to the degree that "individualism" became the prevailing feature of these relations.

The state system as seen cannot yield different results, for it is the product of man, and man is that being who has wisdom, mind, and drive. Man is the one who goes through the physical processes of infanthood till adulthood. He is the changing being who plans but does not create. His plans may materialize one time and fail another.

The architects of the state who constructed its system and advocated its validity thought that separation of the three authorities is sufficient guarantee for justice towards every citizen and for protecting the individual's rights : the right of freedom, of expression, belief and property ownership. They thought that this system was sufficient to bring about cooperation and strengthing social relations among the citizens. Separating the authorities, they claimed, is another check on the executive authority lest it trespasses the boundaries of the legislative and/or the judicial authority.

But the shortcomings inherent in this system does not spring from the fusion of the three authorities and can be corrected by such separation. Its fudamental defect results from enforcing control by outward coercion : the "police force" or the "security force" machinery. The state system relies on the "detective apparatus" regardless of whether people obey because of their belief or conviction in the validity of this system or not. This system, therefore, "pushes" the people to obey much against their true will. As a result it cannot suit man's nature which is distinguished from the nature of other kinds of living creatures. The actions of man are neither automatic nor the reflection of his nervous system, but rather the outcome of his flexible drive. His obedience or disobedience should come out of his volition or "free will" which springs from his innate conviction.

Man, the owner of this system in modern society, overestmates himself. He, as a matter of fact, exaggerates his own value and the value of his work. The state is the work of the human revolutionists who rebelled against being influenced and instructed by others — no matter how superior or wise the ruling power was.

The state system is the product of the European revolutions which opposed the influence of religion which in the past, exerted on the human mind and the responsibility

a high degree, on the three authorities. These authorities neither create consience nor initiate conviction, but rather force the citizen to follow and obey.

In drawing up the system of the communistic state, Karl Marx imagined that withdrawing the capital from the citizens and placing it in the hands of the state alone would eliminate the need for the "police" authority as a tool of security in the communistic state. The vindictive feelings as well as the friction among the citizens, he claimed, would be minimized once equality prevailed and the state owned the capital and paid the workers fair wages.

By eliminating the source of friction, Karl Marx envisaged the structure of a happy state which would not require control from above. Despite the withdrawal of the capital from the citizens and its concentration in the hands of the communistic state, the surreillance over the citizens because pervasive and itensified. That is because the state system in itself is founded on strict control over the people. This control did not spring from conscience or original creative power mobilizing the individuals towards the goal of society.

It is evidently clear from the system of surveillance the extreme importance the state attaches to the executive authority. This is apparent from the size of security-apparartus, and the numerous devices of control it exercises over the people. The great attention the state pays to the executive authority is again evidence that without the physical power, concentrated in the executive authority, the web of society would tear and the relationships among people, would result in chaos.

Apparently the state system seems to enclose the relationships among the people in the social frame, but in fact, the social relationships were not formed in this system. Individualism become the factor which shapes the relation - and inter-relationships, for the numerous types of crimes reveal so many kinds of friction among the individuals of the society and consequently the superficiality of the state system is trying to cover these disharmonious relationships.

Thus, there are three factors characterizing the state system in the modern society :

1) Neglecting the importance of the conscience, or neglecting the importance of the creative drive of the individual toward collective work.

2) Neglecting the law to represent public welfare, justice, or equality of opportunity. This stems

is the ultimate value of society to protect its individuals and the purpose for which society exists.

The executive authority executes the law as codified by the legislative and applied by the judicial branch. The division of authority necessitates specialization in each field. The purpose of this specialization is to secure a high degree of perfection for the protection of public interest. This public interest may be harmed by entrusting this function to a non-expert.

This separation of powers entrusted to specialized persons enables the state to protect public interest and to ensures justice for its citizens as well as to provide equal opportunities in life. This improves the relationships among the people and fosters the spirit of cooperation to realize the ultimate aim of society. The system of the state, according to this conception, is an ideal one, but when applied, this system seems to be concerned only superficially with human behavior rather than exerting any influence on the people to work towards the ultimate goal set by the system of the state. The actual system of the state is concerned with the artificial picture of justice and the picture of public interest rather than urging the individuals to behave justly and to perform public interest by way of shaping their conscience.

The system of the state in modern society is imposed on the people by the executive authority. The subjects have to abide by the law which is codified by the legislative authority. Some people may not believe in the justice of this law or its suitability to their welfare as citizens of society. As to the law, no matter how carefully coded, the legislators themselves are exposed to so many kinds of influence. They may be influenced by high state officials, the environment in which they live, specific orientation, or particular outlook on life. Therefore, law is not necessarily the embodiment of justice, not is it the reflection of the " spirit of abstract " which shou,d guide in the making of the law.

The stability of state which rests on the individuals of the society, depends on the system of vigilance which is the machinery of executive authority. A shake-up of the state system as well as a fading of the relationships of the individuals in the society depends on the degree to which this apparatus succeeds to implement the law. That is, because the state system, as mentioned before, did not lay down as its principle the shaping of the creative conscience, but rather depended, to

THE STATE THAT MAN MADE AND THE NATION WHICH GOD CREATED

by

Dr. Mohammad El-Bahay

Director General of the Islamic culture Administration

1 — The State that Man Made:

Modern society is distinguished by the system of the "state", that is, society has executive authority delegated to what is called government. Society also has law codified by man and implemented for the sake of the citizen. Its legislative authority may amend or change an article or more of its constitution according to the circumstances the society and the surrounding conditions as seem fit for the existence or defence of society.

Thus exist three authorities: executive, judicial and legislative authority, each of which has specialized functions. However, on the whole, these three authorities cooperate in order to protect the structure of society as well as enable the individuals to perform their duties cooperatively in society and to strive towards the goal which unified them as a state.

The function of the legislative authority is to codify the law for organizing the inter-relationships of individuals, protecting their freedom of expression and belief, their rights to property, guarantee private life, and personal freedom. The legislative authority also provides equal opportunities for every citizen at every level, thus eliminating opportunistic infiltration initiated by outside elements such as religious, political or economic factors rather than personal qualification.

Since law is supposed to safe guard public interest, modern society entrusts the legislative function to a body which represents public opinion. This is done either by national election or the executive outhority appoints experts in every field connected with the life of society.

The function of the judicial authority is to apply the law codified by the legislative body. In applying the law, the judicial authority should always keep in mind the purpose for which the law was codified, that

out our hopes and prospects. In this respect, we should follow our leader's footsteps with faithful hearts and pure souls. And consequently, we shall have the ability to preach Islam faithfully. From the above mentioned, we can conclude that our nation is giving a great attention to Al-Azhar and its devine message, and this undoubtedly, denotes its carefulness, particularly, to the islamic religion, its teachinges and principles.

The Muslim nations all over the world look at Al-Azhar university with respectability and appreciation, they are waiting, indeed, for a great result from this reformation. Because Al-Azhar is the source of the islamic religion, as it contains the university which connects the United Arab Republic with all Arab and Muslim countries. And because it has an international position, it must teach the students both religious and temporal sciences which enable the graduate to know his religion completely.

This new organisation will satisfy the fifty-four nations that have delegates students in Al-Azhar university and this satisfaction will streach many fields as, religion, construction, production and reformation.

I ask God to support every one in doing completely his share in the re-organisation of Al-Azhar university, and to enable him to perform his devine message in the right way. I ask God to help us all, and to guide the leaders of our revolution to do every good for the religion "God will certainly aid those who aid His (cause) for verily God is full of strength exalted in might (able to enforce his will)". " O ye who believe! if you will aid (the cause of God), He will aid you, and plant your feet firmly " " There is no help except from God, the exalted, the wise".

---

our good society on solid foundations: Equality, fraternity and peace. We became a nation with self-sufficient production. Befor the revolution, we were depending upon the foreign nations for our different needs, but today, our Arabic factories which produce and manufasture all kinds of goods, are spreading here and there. So, we are now the the masters of our selves, depending not on East or west, but only on the help of God and our hands. Hence, we deserve to be the moderate nation as Qur'an states in the following verse " Thus we have made of you an ummat (nation) justly balanced, that might be witnesses over the nations, and Apostle a witness over your-selves ".

(Surah the Cow, verse 143).

The advent of Islam had cleared the situation of both believers and unbelievers, it was the revolution of belief against the idolatry. In this respect Qur'an says : " O ye who believe, truely the pagans are unclean, so let them not, after this year of theirs, approach the sacred mosque. And if you fear poverty ; soon will God enrich you, if He wills, out of his bounty, for God is all knowing, all wise ".

(Surah the Repentance, v. 28).

Our revolution - by the grace of God - declared its situation in relation to the imperialists. In olden times, it was the will of God to purify the land of Mecca from the idolators and their supporters, and in the present times, it is his will to clean our land from the imperialists and their followers. As a result of that, all our conditions changed from the badness to the goodness, our renaissance grew in the different fields and flourished very quickly, our brothers all over the world attached to us with a solid friendliness, and our Republic became the best place for freedom, peace and satisfaction.

It is a great opportunity to celebrate two feasts in one day : The feast of our revolution against the tyranny, and the other is the feast of the scientific revolution which is completely illustrated in the new law of the re-organisation of Al-Azhar university; Al-Azhar which lightened the way of knowledge and education for about one thousand and twenty years ago, and linked the whole Muslim's hearts all over the world.

Surely, the re-organisation of Al-Azhar university is a blessed step, and it will enable Al-Azhar to perform its message perfectly. By means of this new law, we the Arabs and Muslims all over the world, can resume our activity and carry

themselves to support the tyrants, and the imperialists who possissed the wealth of the nation and humiliated its people. During this period, it happened that we mislayed the ideas of our religion, the instructions of our constitution, and set away from the teachings of our prophet. Consequently, our unity had been devided into sects and different groups, every one hated the other, so, we lived in a complete darkness.

While we were passing through this bad condition, and while we failed to know our way through this darkness, the Will of God was preparing for our good and benefit. It was the will of God to uphold us from darkness to light, from this bad circumstances to the best one, and from difficulty to easiness. God had inspired some of our faithful youngmen to revolt against the tyrants and disruption, He supported them to accomplish their revolution : The revolution of 23d Joly 1952. It was the blessings of God to grant them help and success in this revolution, to kick the tyrants out, to evacuate the imperialists and to cause our dream to come true. It is not astonishing that the revolution has done its best to realize the dream and the hope of the people. This is because, it is the revolution of, right against the wrong, Justice against the tyranny and the revolution of freedom against slavery and colonialism.

Hence, people believed that wrong must be defeated by right, whatever was the time it needs. This is because wrong is very weak in face of Right. The Qur'an states that wrong cannot last long time, but only right always stands longer, it says : "For the scum disappears like forth cast out; while that which is for the good of mankind remains on the earth ".

[Surah the Thunder, verse 17].

Surely, it was the will of the almighty God to revive our nation and to take it out of its bad condition. He bestowed it with some faithful free youngmen who were very glad to sacrifice themselves and to revolt against tyranny and slavery, And He also supported them with his care. Consequently, they succeeded in their revolution which is a good movement, not only for Egypt, but also for all mankind. This is because it expanded freedom, fighting against slavery and aggression, wherever they are, and gave people the opportunity to take a part in their legislation and their governmental affairs.

Today, we are celebrating the ninth anniversary of our revolution, so we are very happy to succeed in our movement, which led us to form

TWO FEASTS IN ONE DAY

BY

His eminence shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

How great and strong is, the nation which draws the way that leads it to its superiority, and the nation which is striving hard to achieve dignity and suitable standard of living which fits its situation. Indeed, there is no nation which has the ability to matirialize its hope or realize its dream, unless it has a perfect spiritual personality, which provides it with good opinions and spiritual existance. It is absolutely right to say that, the nation of the perfect spiritual personality, is actually the one which deserves life, because it understands the meaning of liberty and freedom, and this is one of the strongest factors of power and immortality in the life.

Hence, God creates mindful people for the above mentioned nation, as well as, He creates free leaders who refuse humbleness, and who sacrifice their lives and property for the sake of their homeland, and for its dreams to become true. As a matter of fact, a nation which has a perfect spiritual personality, sometimes this nation comes to decline, or rather, inclines to a weakness. And consequently, it passes its life with defficulty, and its people will live with a kind of humiliation in spite of their great number. This life of humiliation and weakness will encourage the independent and imperialist nations to try to dominate and occupy it fiercely. But the nation of the glorious past, never like to be governed by the rules of the imperialists or their regulations. Promptly, its people will strive hard to evacuate the imperialists and eradicate the dominators, and God will create among them the leader who sacrifices his life for the restoration of his nation strength and its happiness.

Our nation had passed through a crucial period of its history, it was the time of deterioration and the age of weakness, which caused man to stop his work, nation to come to deterioration and people to live almost in a complete poverty. Not only the result was that, but there were also other things, for example : the governors who ruled the country by force, the assistants who devoted

for the power of the society. This is because the existance of sects inside the frame of the society, leads to weakness and disintegration.

The agreement of Islam for the individual differences and the rule of opposition in the human life, is deffering from the communists thinking. Hence, we understand why communists are attacking Islam, and also why some of the socialist Arab writers are trying to lower the value of the Religion in man's life and replacing it with what, so called, " Science " and " Scientific way of conviction."

The Science, which is deified by the communists is really changeable, as long as man develops and endeavours to discover for more knowledges. Consequently, science does not represent a final actuality, and it cannot be considered a way of conviction for the whole human generation, because what satisfies one generation, will not satisfy the other.

Indeed, Socialism in its correct meaning, is to distribute the wealth among the people justly, to establish friendly relations among the individuals of the society, and to spread among them peace, love and brotherhood.

the society or the relations among its individuals.

The differences or the opposition rule, should not be the factor which leads to creation of the sectarianism, or the formation of classes among the individuals of the society. This because sectarianism or classes will prevent the actual meetings among the individuals, while it is supposed that the opposition is the way to the relation among them.

Surely, sectarianism, as well as classes is social sickness, ought to be removed. But opposition, itself, is an important factor for the power of the soeiety, and the friendly relation among its members. So, it should be raised and preserved.

Presedent Gamal Abd El-Nasser, in his adress of the ninth anniversary of the revolution, declared that the socialist's laws which were issued by the government for the social organisation, were an end for the classes system, not for the individual differences. These differences form what we mean here by " opposition ".

In the following verses " God has bestowed his gifts of sustenance more freely on some of you than on others " (Surah the Bee, V. 71). " Are those equal, those who know, and those who do not know ? " (Surah the Crowds, v. 9). " It is He who hath made you (His) agents, inheritors of the earth : He hath raised you in ranks, some above others : that he may try you in the gifts He hath given you : For thy Lord is quick in punishment : Yet is indeed oft - forgiving, Most merciful ". (Surah the Cattle, v. 165). " God will raise up to (suitable) ranks (and degrees), those of you who believe and who have been granted (mystic) knowledge ". (Surah the woman who pleads, verse, 11). Wheather they indicate to the preference in means of living or in the other human abilities such as knowledges, guidance or direction. Indeed Islam means the individual differences which are very important for the society, but in the mean time, it does not aim at forming classes or sects which are nothing but obstacles before the people.

God call to the believers as follows " O ye who believe ! let not some men among you laugh at others : it may be that the (latter) are better than the (former) ".

(Surah the Rooms, verse, 11).

This call gives people a clear expression that the individual differences are not reasons for the human valuation which classes and sects are based on it. And this human valuation should be a constructional factor

it does not express any aspect of its interval development. Also, the opposition of knowledges is a natural rule, and the specialization which is arising by it, is a natural and social feature.

Actually, it is impossible that all the individuals of any society, can be physicians, geologists, economical scientists or political experiants. As it is impossible that they can be at one rank or the same level. As a matter of fact, the life of the society dictates the necessity of the opposition, which should be in its life to realize its duration and firmness.

In the society, we find the physician, and the one who does not know about medicin, but he is a man of law, engineering or chemestry. As there are among physicians who does not know any thing about law or the other knowledges. On the other hand, we notice the opposition in leadership and direction, for example: There is the leader who gives orders to be obeyed, and there are people who always obey these orders. This opposition is a natural quality and an important factor, especially, for the continuace and firmness of the societies.

The identity of the leader who orders and finds obediance, is not based on violence, compulsion and aggression, but it is built on his intillegence, patience, the ability to face the difficulties and the well understanding of the spiritual and psycological problems of his people who exchange love with him, because he does all his utmost to realize welfare and high standard of living for them

With regard to the people who obey the orders of their leader, their obediance or acceptance springs from their love for him, and also from their understanding that he is the man of a good conduct, of ability, intelligence, of the good treatment for the internal and external crisises and of the aim to realize prosprity, progress and welfare for them.

It is impossible for all the individuals of the society, to be the leaders who order and find obediance. As it is also impossible for them all to obey, unless a good one from among them, has the ability to govern them justly.

Thus, opposition, as it is very clear between male and femal, it is also very obvious among the individuals, especially, between person and person, between people and their leader and vice versa. So the complete (similarity) equivalent is only a suppositive or a forged thing, and this does not express the actuality of

responsibility which man gives to himself - is the socialism that communist writers are making their utmost to convence people that it is a human principle. But their appeal does not spring from the dual human nature of both man and woman. This dual which is phisical and human characteristic, is clearing and distinguishing man from woman, in addition to the other human qualities.

Indeed, there is a difference between the misapplying of man for his human quality, and between the inconsideration of the natural quality of man and woman, This quality which distinguishes, phisically, man from woman. And this distinction can not be changed by the man.

The bad human conduct — whatever were its motives — never satisfies any human or social writer. But facts should be define according to its actuality, not due to certain personal pias of the writer, who tries to make it nearer to his intention.

To handle some of the social imperfect features, it cannot be, at all, cured with denying the natural and the actual rule of the life, but by means of following the sources of imperfect feature, it self — and improving it or stifling it out of the man's social life.

(2) Moving to the other social feature of the life, other than the family's one, we will find that opposition is very important, not only for the existance of the family as a seed of the society — but it is necessary also for the existance of the society, to assure the duration of the social life and to last the society's power and firmness: The opposition of wealth and firmness, the opposition of enlightment, the opposition of leadership and direction, and the opposition of abilities which some of it can be considered as a compensation for the others among individuals. Hence, these abilities join the individuals in friendly relations.

To deprive individuals, absolutely, of their possessions, or to distribute the wealth among them with complete equality, is an upnormal feature in the society. Hence, the friendly relations among them will be cut, because the compensation rule which is based upon (opposition), is not founded at that time. So Communism — in the economical field — which based upon absolute deprivation from one's personal property, is a feature against the will of the society, and this of course does not emanate from its natural development needs.

The distribution of the nationa wealth — with equality — among the individuals, is the feature which springs also from out of the society, as

So we have, accordingly, such two families to be members in the powerful and united society. In regulating the family relations, holy Qur'an says : "Men are the protectors and maintainers of women, because God has given the one more (strength) than the other."
(Surah the women, verse 34.)

This verse expresses emplicitly the importance of opposition rule which, surely, causes the comfortable and the continuous happy life of the family. This happy life will be realized after the opposition rule-openly-assures the manly characteristics of the man which force him to be a leader, and this leadership-by turn-in need of a strong personality, especially, in lack of preponderance or distinction as well.

It is obviously known that this verse does not combine any indication which gives man-according to his supposed strong personality the right to misconduct his wife, or to misunderstand the real meaning of the right which is given to him as a protector of the family. But there is no doubt that the leadership of the man and his supposed strong personality are natural characteristics. The ability of acceptation and modification which distinguishes and differs woman from man, is also a natural characteristic in her-And both the two characteristics of man and woman are affirming the needs to the opposition rule which is very important for the duration of comfortable, suitable and long happy life.

Those who talk much about equality between woman and man, or rather who ask more freedom for the woman, if they actually means to prevent man from misapplying his strong personality towards his wife, or to advise him not to misuse his leadership to her, their appeal is naturally logic, also it is one of the teachings of Islam. But if their aim is to abolish the human natural differences between male and female as the communist writers are trying to do, they should remove the projection of the woman's breast, at frist, by means of "God of science", or at least to prominent the man's breast by means of the same God, to be equal to the woman's one. When this will be realized, the organic human nature will be similar, and its characteristic will be equal. But it will only differ into its growth and development, though united in its substance.

The Socialism-which some of our writers, after the ninth anniversary of the revolution, tried to presume it, as if it is a frist classe human organisation, which gives woman, intuitively, the same persona freedom of man, and the same

his aimlessly movements here and there. And if his mother is not of natural kindness and normal conformity, she will not be able anyhow to direct or control his manners, habits and conduct, or at least to turn him towards the desired direction.

The human nature compells man to follow one direction in his life and this of course needs him to be of a strong personality and self-insistance. It also forces woman to modify her manner wherever modification is needed. This modification-by turn- needs her to have the ability of conformity, suitability, kindness and inclination, as we mentioned before.

Suppose that man is of a frail personality, he is in need of preponderance and firmness, and he is reluctant : turns once to the right side, and other to the left one, and at the same time, woman is of a strong personality, slight inclination and less experiences and modification, surely, any combination between the two will not last for a long time. This is because the woman, particularly, lost the main factor and the important element of her life as a wife. And consequently, she naturally feels manhood, and at the same time, she does not completely lost all her charcteristics as a woman.

Undoubtedly, there will be internal contradictions and conflict between the two discordant elements of her nature. In addition to that, if she gives a boy as a result of sexual meetings with her husband, she will not be able to guide or nurse him correctly, because her nature is confused and mixed up. So, it is very obvious that, this family can not be considered a good brick in the structure of the perfect and strong society.

And if we also suppose that every one of the two is of similar personality to the other, - wheather it is a strong or a weak one -, the matter in this case will not be more than a continuous struggle, disagreement and permanent friction. When every one of them is of a strong personality or a frail one, the matter will be exhaustion, confusion and perplexity.

The family which begins its life or relation with disagreement and continuous struggle, is exactly like the other one, which both of its members are of frail personality. This is because every one of them is similar to the other. In such family weariness and perplexity prevail upon the relations between the husband and his wife.

OPPOSITION - NOT SIMILARITY

Is one of the social development factors and one

OF THE NATURE'S RULES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Director General of Islamic Culture Administration

It is absolutely impossible to find the human society which consists of individuals of similar characteristics. For instance, is it possible to find the human society which combines only males or females ? or is it possible to find that its individuals have the same wealth, the same power or the same weakness ? Surely, it is absolutely impossible, because the opposition-not similarity, is the very important principle for the duration of any human society, especially, in its firmness and tenacity.

1 — The existance and the continuance of the family — the frist brick in the structure of the society — are not only the result of sexual meeting between male and female, which forms the new generations, but also the opposition between the psycological characteristics of male and female, plays a great part in this connection. And perhaps this will be followed by the dissimilar of bodily formation of man and woman. Certainly, the manly character compells him, by nature, to be of a strong and powerful personality, especially, in case of preponderance, firmness, determination and performance. It is obvious that preponderance needs meditation and studies, as it needs experiences and demonstrations. Also, determination needs self-control and intellegence.

On the contrary, the fiminine character enforces woman, by nature, to have the ability of conformity modification, acceptation, and suitability. Due to her interior motherhood inclination, she kindly nurses her child, takes care of him, supply him with all his needs and keeps an eye on him all the times. But the direction of the child is not stable during his childhood, it completely likewise

contingent from evey expedition remained behind, they could devote themselves to studies in Religion and admonish the people when they return to them-that thus they (may learn) to guard themselves (against evil.)" (Surah the Repentance, verse 122.)

This year, the United Arab Republic government issued the law of the re-organisation of Al-Azhar university. By means of this new law, Al-Azhar will combine both religious and temporal education. Muslims all over the world, will be gothered together around one table, it is the table of the holy Quran and the prophetic traditions and the table of seeking knowledges of the holy divine light.

O Muslims, I hope that you will receive this anniversary birthday of the prophet Mohamad with faithful hearts, as I hope that you will follow the prophet Mohamad's footsteps, especially in deeds and knowledges, taking signs and sermons from what had happened during his lifetime, because he was a continuous labour to create dignity and honour into believer's hearts and also to furnish your hearts with love and mercy for the poor and needy people.

O Prophet Mohamed, peace may be upon you.

Qur'an says : " Say : O men, I am sent unto you all, as the Apostle of God' to whom belongeth the dominion of the heavens and the earth : There is no God but He : It is He that giveth both life add death. So believe in God and his Apostle, the unlettered Prophet, who believeth in God and His words : Follow him that (so) ye may be guided." (Surah the Heights, verse 158.)

The spiritual Islamic call went deeper into the universal conscience and particularly into believer's hearts it consequently, turned the cruelty to a mercy, the error to a guidance, the weakness to a power, the ignorrance to a knowledge, the fear to a security and the confusion to a stability and peace. In this connection, Qur'an says : "God had promised to those among you who believe and work righteous deeds, that He will of a surety, grant them in the land, inheritance (of power), as He granted it to those before them; that He will establish in authority their Religion — the one which he has chosen for them; and that He will change (their state) after the fear in which they (lived), to one of security and peace : They will worship Me (alone) and not associate aught with Me, if any do reject faith after this, they are rebellious and wicked. So establish regular prayer and give regular charity and obey the Apostle; that Ye may receive mercy."

(Surah the light, verses 55-65)

This is Mohamed who all the Muslim countries wherever they are, celcbrate the memory of his birthday during the lunar month "Rabia Al-Awal" every year. It is a good opportunity and best luck for the United Arab Republic to adopt Islam, its sdtudise and teachings. Since the United Arab Republic embraced Islam, it has kept its sources specially, the holy Qur'an and the prophetic traditions. The university of Al-Azhar, which is one of the United Arab Republic universities, and which is the religious one, had shouldered to teach Islam many centuries ago. It contains thousands of the foreign students who left their countries and families and came to Al-Azhar for the sake of studying Islam and its teachins. They consider Al-Azher the second sanctuary, this because it provides them with knowledges and education, which they will preach among their citizens after returning back to their homeland. In this respect Qur'an says : "Nor sould the believers all go forth together, if a

says : "When my servants ask thee concerning Me, I am indeed close (to them) : I listen to the prayer of every suppliant when he calleth on Me : let them also, with a will, listen to my call, and believe in Me : That they may walk in the right way" (Surah the cow, verse 186).

Hoping that they will be saved from their bad life and be guided to the straight path, people prayed to God, and He accepted their prayer, for He is all hearer, all knower and most kind, most mercifnl. A while after, good tidings of Mohamad's birth spread here and there. These tidings of his birth shaked the whole world, and human souls looked at the sky asking relief and support. After a short time, the message of Islam was revealed to him, it was a cure for the hearts' diseases as Qur'an diseribed that in the following werse "O mankind, there hath come to you a direction from your God and a healing for the (diseases) in your hearts — and for those who helieve a guidance and a mercy. Say : " In the bounty of God and in his mercy — In that let them rejoice : " that is better than the (wealth) they hoard ".

[Surah Younus, verses 57-58.]

Prophet Mohamad had been sent to mankind with the islamic guidance, Qur'an says in this aspect " Verily, this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward ".

[Surah, the children of Israel, verse 9].

Indeed, Qur'an guides humanity to the straight way in every sphere of life, as it obviously clears up to the best way of relations between man and his Lord, man and his brother, man and his life affairs, man and his freedom, man and the universe in which he lives, and also clears up the relation between the surface of the earth and its bottom. Qur'an says : " Do thy see nothing in the government of the heavens and the earth and all that God hath created? (Do they not see) that it may will be that their term is nigh drawing to an end ? In what message after this will they then believe ? ".

(Surah the Heights, verse 185.)

Moreover, Islam declares the relation between the wealthy person and the poor one, it guides humanity to live in peace and co-operation.

In addition to that, Qur'an declares God's blessings which had been granted to the descendants of the prophet Ebraham, those who believe in God and his messages, it says: "God did confer a great favour on the believers when He sent among them an Apostle from among themselves, rehearsing unto them the signs of God, sanctifying them, and instructing them in Scripture and wisdom, while, before that, they had been in manifest error."

[Surah the Family of Imran, verse 163]

Qur'an also indicates to the blissings once more, and mentions the relation between people and the prophet Mohamad who has the heart which is full of mercy and kindness, it says: "Now hath come to you An Apostle from amongst yourselves. It grieves him that should perish: Ardently anxious as he over you: to the believers as he most kind and mercful."

[Surah the Repentance, verse 128.]

Before the rovelation of the peophet Mohamad "peace may be upon him", people were living in complete darkness, and consequently, they denied the existance of God. They also did not consider the human vertues, and their souls filled with tyrany and agression. It was very difficult to guide them to the straight way, because they rejected faith, denied Divinity, cut all the relations between them and their creator, worshipped idols and prostrated to the useless stones. Moreover, people at that time, used to do bad social habits, they for example, buried girls alive in spite of their importance in formation of their families and society. They also compelled girls to commit adultery in spite of their purity and chastity. The worst habit was that they killed boys though they were the allurements and pillar of their life. Also they cut the relations between them and their society: They abandoned faiths, morality and the natural ways of life, They used the force as a solution for all problems. Consequently, mercy and kindness could not find any way to people's hearts.

There is no doubt that Islam guided human souls to the right way, after they had been corrupted by those who went astray. Indeed, the spirit of Islam is the pure one, which has no place in such society because it was full of tyrany and aggression. Islam is an easy Religion, it calls people to ask only God's help, and their application will benetrate the viels to the source of creating and existing, source of mercy and kindness, and also the source of relief and guidance. In this respect Qur'an

THE UNITED ARAB REPUBLIC CELEBRATES

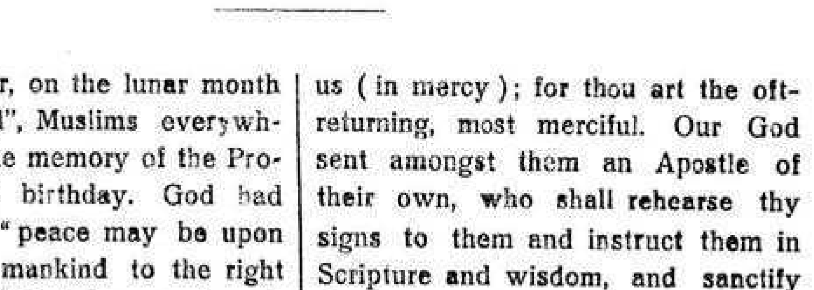
The anniversary of the Prophet Mohamad birthday

WITH A FAITHFUL HEART

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University



Every year, on the lunar month "Rabia Al-Awal", Muslims everywhere celebrate the memory of the Prophet Mohamad birthday. God had sent Mohamad "peace may be upon him" to lead mankind to the right way of life, and to take peoples out of the darkness which they were living in. The revelation of the Prophet Mohamad was an expression declared that God had accepted the prayer of the two prophets "Ebraham and his son Ismail" while they were laying the foundation of the first sanctuary "The sacred Mosque". Qur'an repeats their prayer in the verse "Our Lord! accept (this service) from us: For thou art the all hearing, the all knowing. Our Lord! Make of us Muslims bowing to thy (will), and of our progeny a people Muslim, bowing to thy (will), and show us our places for the celebration of (due) rites, and turn unto us (in mercy); for thou art the oft-returning, most merciful. Our God sent amongst them an Apostle of their own, who shall rehearse thy signs to them and instruct them in Scripture and wisdom, and sanctify them: For thou art the exalted in might, the wise."

[Surah the Cow, verses 127 — 129]

This is Mohamad, who had been sent by God to humanity as an acceptance for the prayer of our father Ebraham and his son, and who Qur'an called him "The light" in the verse "Thre hath come to you from God a (new) light and a perspicuous Book. Where with God guideth all who seek his good pleasure to ways of peace and safety, and leadeth them out of darkness by his will, unto the light-guideth them to a path that is straight."

[Surah the table, verses 17 — 18]

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السادس ــ جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ هـ ــ نوفمبر ١٩٦١ م ــ المجلد الثالث والثلاثون

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

عاشَ شقيًا بالدنيا ...
ومَاتَ سَعيدًا بالدين

بقلم: أحمد حسن الزيات

سعادة فى شقاء :

لا أريد بالسعادة ما تناله من لذاذات العيش فتاتا أو على أجزاء. كلقاء صديق بعد فرقة ، أو وصال حبيب بعد قطيعة ، أو قضاء ساعة فى ملهى ، أو انبساط قلب فى نزهة ، أو انتشاء نفس فى منادمة ، أو استغراق حس فى جمال ؛ فإن تلك الحالات فلتات عرضية كالانطلاق والضحك والأنس ، تنفك ولا تلزم ، وتنقطع ولا تدوم .

إنما أريد بالسعادة تلك الحال التى تغلب على المرء فى أكثر عمره فيستلذ معها ألم التعب وذل الحرمان ومض اللوم وقبح السمعة ، وهى حال لا أستطيع تعيينها بحد ، ولا توضيحها بتعريف ، وقصارى ما أستطيعه أن أسوق إليك مثلا من أمثالها الكثيرة المختلفة ستجد فى ذاكرتك من غرائبها ما يؤكد لك أن السعادة لا تعرف الإطلاق ، وإنما هى بالإضافة إلى كل إنسان ما ينبثق من الرضا فى نفسه ، ويصح من الهوى فى اعتقاده .

عرفت وأنا فى سن الحداثة رجلا فى أعقاب العمر كان يعيش فى قرية مجاورة . كنت أراه وهو يمر بقريتنا على الطريق الزراعى العام ذاهبا إلى البندر فى الصباح ، أو آيبا منه فى المساء ، فيلفتنى إليه جثته الضخمة على بغلته السوداء ، وعمامته المكورة على رأسه الحليق ، وجبته الجرداء على جسمه البدين ، ووجهه المطهم على صدره العريض ، وبطنه المنتفخ على بردعته المضلعة ، فأملأ عينى من منظره العجيب ، وأتبعه بصرى إلى أن يغيب .

وكان فى موعدى غدوه ورواحه أدق ضبطا من قطار الصبح فى ذهابه إلى دمياط ، ومن قطار المغرب فى عودته إلى المنصورة ، فكان أصحاب الحقول الواقعة على جانبى طريقه يوقتون بهما فيقول أحدهم للآخر : سأعلق الساقية أو سأحل الحراث عند مرور الشيخ على .

وترددت بحكم الجوار القريب على قرية الشيخ على فعلمت أن له فى حياة الناس شأنا لا يقل عن شأن القدر والحظ . كانت بغلته كبغلة العشر التى توزع الذهب والجوهر على الموعودين فى ليلة عاشوراء كما تقول الأسطورة . كان خرجها كحواصل الطير يغدو فارغا إلى البنك ثم يروح ملآن إلى القرية ، فيجد أصحاب الحاجات من رجال ونساء قد تكدسوا أمام الباب وفوق المصطبة ينتظرون ساعة الفرج ومع كل منهم قطعة من نحاس فى يده ، أو حلية من ذهب فى جيبه . فيدخل الشيخ الحجرة الخاصة ويتبعه كاتبه مبروك أفندى ، فيجلس بجانب الخزانة المغبرة ويقعد الكاتب أمام المنضدة العتيقة ، ثم يدعو المنتظرين واحدا بعد واحد ، فمن كان رهنه ذهبا وضعه فى الخزانة ، ومن كان رهنه نحاسا ألقاه فى المخزن ، ومن كان رهنه عقارا أخذ منه سند الملكية ، ويختم الراهن أو يوقع على بياض ثم ينصرف ! حتى إذا خلت المصطبة والزقاق من المأزومين والمعوزين صلى المرابى العشاء وتبلغ بشىء من الخبز الجاف مفتوتا فى اللبن الحليب ، ثم أخذ يباشر هو والكاتب تحقيق الأشخاص وتقويم الرهون وتقرير السلفة وتقدير الفوائد وتحرير الصكوك ، حتى ينقضى الهزيع الثانى من الليل فيصرف الكاتب ويعمد هو إلى الخزانة فيحكم القفل ، وإلى المخزن فيوثق الرتاج ، وإلى الدهليز فيغلق الباب . فإذا اطمأن قلبه على أولئك كله تسلل إلى حجرة نومه دون أن يتيح الفرصة لزوجته الصابرة فتطلب النفقة ، أو لأولاده التسعة فيشكوا الضيق ، فينام نوم المهموم القلق حتى يطلع الفجر فيصلى ، ثم يجد الخادم قد وضعت بجانبه على العادة موقد الكحول وبكرج اللبن ، ورغيفين من الخبز الرقيق اليابس ، فيشعل النار ويغلى الحليب ويفت الخبز ويفطر ، ثم يتهيأ للانتقال إلى حجرة العمل.

فيختبر فى طريقه إليها الأبواب ويفحص الأقفال ثم يفتح الخزانة باسم الله ويمد عينه ويده إلى كل موضع من مواضعها الظاهرة والباطنة ، حتى إذا لم يجد ما يريبه أخرج النقود المطلوبة على حسب البيان الذى كتبه فى الليل مبروك ، وجاء المقترضون بعد بزوغ الشمس ليقبض كل منهم المبلغ الذى قدره له رهنه وشأنه . ثم تقف بغلة الشيخ فى ميعادها المألوف على الباب فيركبها إلى المنصورة ، ليقدم إلى المحامى مستندات قضية ، أو ليحضر معه جلسة الحكم فى نزع ملكية !

لم يكن الشيخ على يذوق اللحم إلا مدعواً ، ولا يشترى الثوب إلا مضطراً . ولا يعرف الأنس فى أسرة ولا مجلس ، ولا متعة الحديث فى قهوة ولا دار ، فيئست زوجته من عطفه فانصرفت إلى الدجاج والبط ، وقنط أولاده من عونه فتصرفوا فى الربا والتجارة ، وحصر هو دنياه فى البغلة

والخادم ، وفى الخزانة ومبروك ، وفى المحكمة والمحامى ، وفى البورصة والسمسار ، فأصبح لا يجد سعادة نفسه ولا لذة عيشه إلا فى مال يقبضه ، أو حكم يكسبه ، أو ملك ينزعه ، أو عقار يشتريه . أما الألم الذى يسببه الحرمان ، والذل الذى يجلبه الطمع ، والندم الذى يبعثه الضمير ، فقد مات ذلك كله فى شعوره وغاب أثره عن باله . عنده البنون ولا يجد فيهم عزاً ولا زينة ، وفى بيته الخير ولا يبلغ به رضا ولا سكينة ، وفى يده المال ولا يأكل فى الدار إلا الخبز فى اللبن ، ولا فى القهوة إلا السميذ فى الشاى . وكل عزه وغاية رضاه أن يرى المحتاجين يترامون على بابه باكين أو ضارعين يتوسلون إليه أن يعجل السلفة أو يؤجل السداد أو يرفع الحجز وهو يزور عنهم ويتدلل عليهم رافعا رأسه من التيه ، لاويا شدقه من الكبر .

ومرت الأعوام على خطوات البغلة وصفقات المرابى فخربت دور لتعمر دوره ، وغاضت موارد لتفيض موارده ، وطفحت الخزانة بالذهب فترك البغلة وركب القطار ، وأنكر المنصورة وعرف الإسكندرية ، وأفرغ خزانة النقود ، ليضارب فى بورصة العقود ، فلم يحل عليه الحول حتى خسر تسعين ألف جنيه عينا . وحينئذ أحس بالشقاء وشعر بالفراغ وأدرك أن كل شخص يزدريه ، وأن كل شىء يعوزه . فلما رجع إلى مبروك أفندى صفى معه الحساب فوجد ما خسره فى المضاربة هو كل ما ربحه من الربا ، فانبعث فى صدره إيمان كان قد مات ، وتيقظ فى ضميره شعور كان قد رقد . ورأى أن هناك غير المال الذى عبده إلها آخر لا يضيع فى البورصة ولا يغيب فى المصيبة ولا يتخلى فى الشدة ، فرجع إلى الله وأصبح يصلى ووجهه إلى القبلة بعد أن كان يصلى ووجهه إلى الخزانة . ثم ضم زوجه إلى قلبه ، وآوى بنيه إلى عطفه ، وأطلق أيديهم فيما بقى من ثروته وهى الأرض الطيبة والتجارة الحلال ، وتفرغ هو لاستقبال التوجيه السماوى للخير ، فمسح بالصدقة دموع الربا ، وفرج بالمعروف كروب المنكر ، وتغير فى ذهنه مدلول السعادة فاعتقده فى إيثار الغير لا فى أثرة النفس ، وفى بسمة الشاكر لا فى دمعة المحتاج . وانحصرت فى دنياه حدود للغبطة فلم تعد الإيمان بالله والإحسان إلى الناس ، فحج البيت وتطهر فيه ، وبنى المسجد ووقف عليه . ثم تنفس به العمر حتى شارف المائة فانتقل إلى جوار ربه . وحياته الحافلة بالكد والدأب ، والربح والخسارة ، والشر والخير ، مصداق لقول الرسول الكريم : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » ، تغمده الله بالغفران على ما أساء ، ومن عليه بالرضوان على ما أحسن .

أحمد حسن الزيات

أمانة القومية العربية في ذمة الأزهر

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

وجهت إلينا مجموعة من الأسئلة تدور حول القومية العربية ، ومدى ما يمكن أن تؤديه فى توجيه العالم إلى نواحى البر والخير ، ومكان الجامعة الأزهرية فى كل هذه النواحى

ولا بد أن نقدم بين يدى الموضوع بحقائق تمهد له وتلقى مزيداً من الضوء عليه ، فإن لكل أمة شخصية حسية تتصل بالجو والإقليم والمساحة وطبيعة الأرض ونظام البيئة ، وما يتبع ذلك من تأثير هذه العوامل فى أبنائها من حيث الطول والعرض واللون وما إلى هذه السمات من الأوصاف الحسية الملموسة أو الأصول التى تنتسب إليها .

ولكل أمة كذلك شخصية معنوية تتمثل فى إيمانها ومبادئها وأهدافها وخططها التى تسير عليها وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها .

ولاشك أن الشخصية المعنوية للأمة تقوى بمقدار قوة الروابط القلبية والعقلية والشعورية ، وكلما قويت هذه المعانى فى أمة كان لها بين الأمم المركز القوى والمكان السامى .

ولقد كان التراث الإسلامى الأصيل الذى انتشر فى أنحاء العالم هو الحبل السماوى الذى ربط الأمة العربية من جميع أطرافها .

وكان تدوين هذا التراث باللغة العربية ، فإنها اللغة التى عبر بها المسلمون عن شتى جوانب الفكر فى حياة المجتمع الإسلامى والعربى .

والمتتبع لاتجاه هذا التراث فى كل نواحيه يجد منبعه من القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل من القرآن الكريم وأقوال الرسول عليه السلام بلسان عربى مبين ، هذه العربية التى كانت لغة التنزيل ووسيلة البيان للرسول هى التى وحدت بين الأمم التى شع فيها نور القرآن ، وتألق فيها هدى النبى عليه السلام ، وبذلك تعرب كثير من المسلمين ، ورأوا فى اللغة العربية وسيلة اتصالهم بهذا الدين الذى أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

وكم من شعب غير عربى صار بالإسلام والقرآن عربيا .

وعلى هذا النحو التقت العروبة والإسلام فى محيط الثقافة التى تدفقت من القرآن لهذه الأمة، وامتزجتا كل الامتزاج، وأصبحتا لا انفكاك لأحدهما عن الآخر، بل كان ترابطهما ترابطا فعالا قويا وعلى هذا الأساس تواصلت الأمم الإسلامية واتحدت أهدافها وتقاربت أغراضها، لأن العربى غير المسلم يفزع بقلبه إلى القرآن، ويتجه بشوقه إليه.

إن المسلم من غير العرب يميل بقوة نحو القرآن، لأنه الذى يذكى إيمانه، ويغذى دينه، ويروى جذور عقيدته، فذلكم هو الرباط القوى الذى ربط الله به بين الأمم العربية فكان أقوى من رباط اللون، ورباط الجو، فإذا تألق نجم القومية العربية الآن وازدهر فذلك للمعانى القلبية التى أذكاها المخلصون من أبناء هذه الأمة. إنما هى كوامن راسخة فى الضمير ومعان ثابتة فى الشعور والتفكير.

إن العربية التى تحركت وسارت الآن بخطى واسعة وانطلقت فى عمل متصل لتحقيق معانى البر والخير للعرب وللإنسانية، ليست عربية الجو ولا عربية الإقليم ولا عربية النسب إلى العرب، إنما هى عربية الشخصية المعنوية التى تتكون ملامحها من طبيعة الشعور والضمير والتفكير.

هذه هى الأسس التى قامت عليها القومية العربية وستظل تروى من هذا المعين الذى لا ينضب.

والقومية العربية الآن رائدها البصير وقائدها الملهم الرئيس جمال عبد الناصر، فإنه آمن بها ورأى فيها القوة التى تتحطم على صخورها الصلدة قوى الأمم الظالمة الطاغية التى حبست معانى الحياة عن الأمم الضعيفة أو الآخذة فى أسباب القوة.

إن القومية العربية هى التى ستوقف نشاط التسلح الذى تتسابق فى ميادينه دول دأبها الاعتداء ودول تقوم على أكتاف دول الاعتداء، إنها تقف وراء كل دولة ضعيفة تناصرها وتشد أزرها وتذود عنها، وهى إلى ذلك تقيم الاقتصاد العربى على دعائم قوية.

فقد أتى على الاقتصاد العربى حين من الدهر غط فى نوم عميق واعتدى بغاة كل زمن عليه، وكنا فى هذه الحقبة من الزمن نكاد ننسلخ عن مقوماتنا فى حياتنا العربية القومية الأصيلة، إذ تدفقت عليه تيارات جارفة وأمم مستعمرة محطمة، فسارع كثير منا إليها وارتموا فى أحضانها ناسين أصلهم العريق ومجدهم التالد «فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة».

وإذا كانت هذه التيارات التى تدفقت علينا شاءت أن تحطم كياننا وإذا كان الرائد الأول جمال عبد الناصر، قد جعله الله منقذا لقوميتنا. فقد وقف الأزهر فى هذه الحقبة من الزمن وقفة الصامد الذى لا تزعزعه

الخطوب ولا تهده الأحداث ، وكان من بين المراكز التى قامت على خدمة الشخصية العربية بل كان هو المركز الوحيد الذى يعد الآن مركزا عاما هاما للدراسات الإسلامية وما يتصل بها من دراسات عربية لجميع الشعوب الإسلامية والعربية .

فرسالة هذه الجامعة من يوم أن أنشئت هى المعارف الإلهية التى رسمت بها السماء شخصية الأمة الإسلامية ، وإذا قلنا الإسلامية دخلت فيها العربية بكل معانيها ، كما بيناها ووفينا الكلام فيها .

إن الأزهر فى الواقع هو الجامعة التى ألقى على كاهلها منذ أنشئت الاحتفاظ بهذه الشخصية المعنوية لهذه الأمة .

إنه المعهد الذى سلمت إليه أمانة الاحتفاظ بالقومية العربية .

هذا الأزهر بالرغم من وجوده وحياته فى قلب الجمهورية العربية المتحدة له طابع دولى وعرقى هام ، إذ هو المنارة العالية التى تتوجه إليها أبصار طلاب المعرفة من كل مكان ، والباحثين عن الحقائق العربية والإسلامية فى كل زمان .

إن الجامعة الأزهرية تعتبر فى كل نواحيها مصدر الإشعاع الدائم والتوجيه المتواصل لخدمة شعوب العربية .

فكل دول العربية وكل دول المسلمين ارتشفت من منهل هذه الجامعة واستقت من ماء الحياة فيها ، وهو ماء لا يعرف الفرقة وإنما يتجه إلى الوحدة الشاملة والغايات المتحدة والقوى المترابطة ، فالأزهر يبنى هذه المعانى فى كل هذه الدول .

فمهمة الأزهر ليست مهمة محلية من حيث الدراسات فى بعض نواحى الإنسانية العامة التى يتناولها الناس جميعا ، وإنما هى مهمة تجاوزت ظاهر الحياة إلى باطنها فى كل نواحيها ، تجاوزت توصيل المعرفة إلى الأفراد والجماعات إلى تنمية العلاقات بين الشعوب والأمم عن طريق القلب والإيمان والشعور القوى بمهام الأمور ودقائقها .

إن رسالة هذه الجامعة الكبرى هى القوة المتينة والحبل الممدود من السماء إلى الأرض المعهد للسياسة العربية والممهد للمجال الحيوى لشعوب تلكم السياسة .

هذا هو دور الأزهر فى مجال القومية العربية ، وإنه اليوم لأصلب عودا وأقوى شخصية بمقدار ما يبذله رجال ثورتنا الخالدة ويمنحه له قلب هذا الرجل القوى فى إيمانه وفكرته : جمال ، الذى يحرص على أن تكون جامعة الشعوب (الأزهر) فى أبهى ثيابها وأجمل معانيها وأقوى أهدافها لتواصل السير بالأمم العربية والإسلامية إلى الأمام ، إلى القمة والذروة العليا .

محمود شلتوت

مقارنة لغوية في ضمائر الجنس والعدد

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أقدم ألفاظ اللغة الضمائر وما إليها من الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة ، لأنها وجدت مع أقدم الأسماء في وقت واحد ، لتنوب عن اسم الشخص المخاطب والغائب ومن هو في حكمه ، فيقول المتكلم لمن يخاطبه (أنت) ويقول عن الغائب أو الحاضر الذي لا يتجه إليه الخطاب (هو) ويستغني بذلك عن إعادة الأسماء في كل خطاب أو إشارة .

ولا يخفى أن الأسماء لا توجد في القدم دفعة واحدة ولا تزال في ازدياد وتغيير مع تطور اللغة واتساعها ، فهي - لهذا - لا تصلح كلها للمقارنة بين اللغات المختلفة ، وبخاصة مقارنة اللغات التي يراد بها الدلالة على القدم أو على أحوال اللغات في مادتها الأولى .

أما الضمائر فهي محدودة معدودة لا يصعب إحصاؤها أو تتبع أدوارها في تطوراتها وتبديلاتها ، فهي - لهذا - موضوع من موضوعات المقارنة بين أقدم اللغات وأحدثها وهي أدل من الأسماء على عراقة اللغة وتطور استعمالها على حسب الحاجة إليها .

وبهذا المقياس من مقاييس المقارنة يمكن أن يقال إن اللغة العربية أقدم اللغات الحية بلا استثناء ، وإنها من أقدم اللغات جميعا إذا شملنا بها اللغات المنتثرة التي تعرف بالتعليم ولا يجرى بها الخطاب اليوم بين الأمم الحية .

وبهذا القياس أيضا يمكن أن يقال إن اللغة العربية أعرقها تطوراً وتدرجا في الاستعمال على حسب الحاجة ، فليست مزيتها الكبرى أنها قديمة معرقة وحسب ، ولكننا نضيف إلى ذلك مزية أخرى وهي تمام التطور في استعمال الضمائر حيث تظل اللغات الحية ناقصة أو جامدة لا تقبل النمو على جذورها الحية من جديد .

أما إنها أقدم اللغات الحية بدلالة الضمائر والأسماء الموصولة فهو ظاهر من احتوائها عليها جميعا وبقاء أصولها جميعا فيها إلى اليوم مستعملة لأغراضها التي تناسبها .

فالضمائر في اللغات الجرمانية واللاتينية هائية أو ذالية أو لامية . ونعني بالهائية ما يظهر فيها حرف الهاء ، وبالذالية ما يظهر فيها حرف الذال ومقابلاته في اللغات الأخرى ، وباللامية ما يظهر فيها حرف اللام كما يظهر في الألف واللام الموصولة عندنا .

ففي اللغة الانجليزية تستعمل he (هي) لضمير المذكر الغائب (هو) باللغة العربية

وكانت (هيو) تستعمل لضمير المؤنث الغائب heo إلى القرن الثانى عشر ، مقابلة (هى) باللغة العربية .

ومن أسمائهم الموصولة what (هواط) بضم الهاء ، و whose (هوز) وهى تستعمل عندهم كثيراً فى مواضع الذى والتى والإضافة للملكية.

وفى اللهجات الجرمانية والتيوتونية تستعمل (زى) Zij فى الدنمركية و (زيو) فى السكسونية القديمة و (زو) فى الايسلاندية بمعنى (هى) العربية .

وفى اللغات اللاتينية تستعمل (ال) IL بمعنى (هو) وتدخل (ال) التعريف بلفظها ومعناها على بعض الأسماء الأسبانية .

ولا يجوز أن ننسى حرف (التاء) فى هذا المقام ، فإنها ـ وإن لم تثبت مع كلمات الضمائر كحروف الهاء والذال واللام ـ إلا أنها تعم فى اللغة العربية للدلالة على التأنيث وتأتى عرضا فى بعض اللغات للدلالة على التأنيث والتذكير معا كما جاءت فى (توا) toi الفرنسية و thou الانجليزية ، وغيرها .

ويدل هذا على أنها أصيلة فى اللغة العربية مستعارة ـ أو عرضية ـ فيما وردت فيه من اللغات الأخرى .

وعلامة التطور أظهر من علامة القدم فى استعمال الضمائر وتحديد مواضعها ؛ كما هو ظاهر فى الدلالة على الجنس والدلالة على العدد ولا مثيل للغة العربية فى كلتا الدلالتين .

فالجنس فى الأغلب الأعم من اللغات الهندية الأوربية ينقسم إلى ثلاثة أقسام : مذكر ومؤنث ومحايد ، أى ليس بالمذكر ولا بالمؤنث .

وهذا وضع عقلى مخطئ ، لأن التقسيم الصحيح فى الجنس المتميز أنه مذكر ومؤنث وليس هناك جنس ثالث متميز يسمى بالمحايد بل هناك أشياء لاجنس لها أصلا يستعار لها الجنس على سبيل المجاز ، فتلحق بالمذكر أو بالمؤنث على حسب المناسبة عند وضعها ، وليس هناك جنس ثالث ولو على الشذوذ كما يعرض للذكر المشكل أو للأنثى المشكل ، فإنهما فى حقيقة التقسيم ذكر غير متميز أو أنثى غير متميزة ، ولا ثالث للجنسين يسمى بالجنس المحايد بينهما .

وفى اللغة العربية تمييز بين الضمائر فى حالات الإفراد والجمع لا يعرف لغيرها بعمومه ودقته وتنوع تصريفاته ، فـ (هم) لجمع المذكر و(هن) لجمع المؤنث ، و (أنت) بفتح التاء للمخاطب المفرد و (أنت) بكسرها للمخاطبة المفردة و(أنتم) و(أنتن) للمخاطبين والمخاطبات ، وهذا عدا التمييز بين علامات جمع الأسماء كالمؤمنين والمؤمنات والمتكلمين والمتكلمات ، وهذا التمييز بين الضمائر فى حالات الفصل النحوية والصرفية بالنسبة للجنسين .

ولا توجد لغة حية تلتزم التفرقة على قواعدها المطردة كما تلتزمها اللغة العربية .

ومن أدق الفوارق العقلية الملحوظة فى

مسألة الجنس أن اللغة العربية لا تفرق بين الدلالات الجنسية بتقسيمها إلى مذكر ومؤنث أو محايد بين الجنسين ، ولكنها تفرق بينها بتقسيمها إلى ما يدل على العاقل وما يدل على غير العاقل ، وهذا هو التقسيم العقلى المنطقى الصحيح مستقرا فى تكوين اللغة لأنها لغة متطورة بالاستعمال إلى ما يناسب الكلام والتفكير ، فالفرق بين (من وما) فى اللغة العربية هو فرق بين عاقل وغير عاقل وليس فرقا بين جنس مذكر أو مؤنث وجنس محايد بينهما لا هو بالمذكر ولا بالمؤنث ولا بالمشكل الذى يحسب مذكرا تارة ومؤنثا تارة أخرى.

ولولا أننا نتكلم هنا عن الضمائر لاستطردنا إلى الكلمات التى تطلق على الجنسين ويجعلون لها عندهم جنسا نحويا يسمى بالجنس المشترك Common ولكنه بحث آخر نرجئه إلى غير هذا المقال لأنه يحتاج إلى تفصيل يستوفيه مقال خاص .

* * *

ومن علامات التطور فى ضمائر اللغة العربية دلالتها الصحيحة على العدد كدلالتها الصحيحة على الجنسين أصلا واستعارة .

فالضمائر فى اللغات الهندية الجرمانية لا تعرف غير حالتين لضمير العدد هما حالة الإفراد وحالة الجمع .

ولكن اللغة العربية تعرف لها حالة ثالثة هى حالة المثنى وهو من وجهة التفكير المنطقى ليس بالمفرد ولا بالجمع ، فإن اثنين لا يكونان جماعة من الناس أو غيرهم ، والواحد لا يقابل حالة الجمع وحدها بل يقابل أيضا حالة الواحد مع واحد آخر لا أكثر ، وليس واحد وواحد بالكثرة الجماعية ، ولكنهما واحدان غير منفردين .

والدقة البالغة فى اللغة العربية أنها لا ترى لزوما عقليا لتنويع ضمائر الثلاثة وما فوقها ، لأن الفرق بين الثلاثة والأربعة كالفرق بين الثلاثة والعشرة والعشرين ، ليس فرقا فى كنه (الجمعية) أو فى الخاصة الجمعية ، ولكنه فرق فى صغر الجماعة وكبرها ، فالثلاثة جماعة صغيرة والألف جماعة كبيرة ، وقد تكون الألف جماعة صغيرة بالقياس إلى عشرات الملايين ، وكلها (جماعة) من وجهة الحد العقلى أو الحد المنطقى ، وإن كانت من وجهة الحساب جماعة صغيرة وجماعة كبيرة وجماعة أصغر أو جماعة أكبر ، على حسب المقدار الحسابى الذى لا يحصر فى تحديد معنى الجمع والتثنية والإفراد .

وتتم الدقة حين نلاحظ أن اللغة العربية تستدرك التفرقة بين الضمائر بالتفرقة بين جموع القلة وجموع الكثرة ، فإن التفرقة بين الثلاثة والألف بضمير خاص غير معقولة فى باب التفرقة بين الجماعة وغير الجماعة ، ولكن التفرقة بين جمع للقلة وجمع للكثرة هو المعقول

(البقية على صفحة ٦٦٤)

كيف دخلت فى الإسلام

للدكتور أندريه رومانى

مقدمة :

كاتب هذا المقال لم يولد من أبوين مسلمين حتى يقال « إنه ورث الإسلام عنهما بدون نظر أو تفكير » . . ولم ينشأ فى بيئة إسلامية حتى يقال . . « إن عوامل البيئة قد أثرت فى عقيدته الدينية ، لكنه ولد لأبوين مسيحيين ومكان ميلاده : (كازولا آن لونيجيانا — توسكانا — إيطاليا) .

وزمن الميلاد هو عام ١٩٠٤ ، وقد تلقى فى إيطاليا تعليمه الابتدائى والثانوى والجامعى ونال شهادة الدبلوم والدكتوراه فى الطب . . وكذلك فى علم النفس .

ولقد بدأ قراءته الواعية اليقظة لكتب القديس توما الإكوينى الكاثوليكى الأكبر لعقيدة التثليث ولم يستطع عقله أن يقبل هذه العقيدة فاتجه إلى التفكير فى عقيدة التوحيد وأعلن إسلامه وابتدأ يعلن رأيه فى عقيدة التثليث . ولقى ألوانا من الأذى والاضطهاد من بنى جنسه . حتى أنه سجن زمنا طويلا أيام الفاشست . مما دفعه إلى أن يسافر إلى فرنسا ، ثم يتجه إلى إفريقيا فيزور السنغال والكونغو وتنجانيقا ومنها رحل إلى آسيا بحثا وراء المعرفة ليقيم باليابان زمنا ثم ينتقل إلى أندونيسيا وينتهى به المطاف إلى الصومال ، هذا البلد الذى يعتنق أبناؤه جميعا عقيدة الإسلام عن إيمان وتدبر فأنس إلى أبناء البلاد . وأقام بينهم وتزوج إحدى فتياتهم وهو الآن يعمل مدرسا للغة الإيطالية بمعهد الدراسات الإسلامية بمقديشيو ابتداء من العام الدراسى الحالى .

وإنى أعرفه ويعرفنى منذ سنوات لكننا لم نشترك فى عمل واحد إلا فى هذا العام وأذكر أنه لما لقينى فى المعهد أول يوم عمل فيه ، أقبل على معانقا وشد على يدى وقال : الآن وجدت الطريق لأتعلم اللغة العربية وأتزود من ثقافة الإسلام على أيديكم .

إن أمنيته أن يجيد اللغة العربية قراءة وكتابة حتى يستطيع كما يقول أن يقرأ كتاب الله الكريم باللغة التى أنزل بها على محمد بن عبد الله وها هى ذى ترجمة مقالته التى كتبها بالإيطالية . . .

(عبد الرحمن النجار)

١ — الطريق إلى الإسلام :

لقد كان طريقاً طويلا ذلك الذى أدى بى إلى الإسلام ، وأستطيع أن أؤكد أن لتحولى جذوراً دينية عميقة وأسبابا ثابتة سواء أكان ذلك لمزاجى وطبيعتى الخاصة التى تميل إلى نوع من البحث الفلسفى أم لميل فطرى إلى التوحيد ذى الفكرة الدينية النقية الصافية ، فمنذ شبابى الباكر أحسست دائماً

باهتمام « بالأعمال » الدينية للإنسانية ، وقد كنت أستند بوجه خاص إلى تاريخ مختلف الأديان، ولأنني ولدت في أسرة شديدة المحافظة على التعاليم الكاثوليكية فقد أرغمت منذ طفولتي على القيام « بالواجبات » الطقسية الكاثوليكية ، وأعترف بأنني شعرت دائماً بنفور شديد وكراهية عميقة لبعض الطقوس القائمة أساساً على الاعتقاد في الصور ... والتماثيل ، لقد كانت مظاهر تترك في نفسي فراغا روحيا حادا وعدم رضاء متواصلا دائما ، وفي أثناء تلك « الواجبات » كان عقلي يسرح غريزياً في الطقوس الوثنية ويميل إلى أن يرى الدين الكاثوليكي الوثنية الفعلية تحت شعار المسيحية .

وأمضي قدما في دراسة الآباء الكبار لكنيسة روما : الأمر الذي كان يقوي في نفسي - أكثر فأكثر - يقيني بوحدانية الله !!! إن الله واحد وليس له ولد !!!

وليس هنا مجال مناقشة فكرة « تثليث الإلـــه الكاثوليكية » التي هي في بعض أجزائها ... بروتستانية أيضا .

وقد دفعتني القراءة الواعية اليقظة لكتب القديس توما الإكويني العالم النظري الكاثوليكي الأكبر لعقيدة التثليث ، دفعتني - أكثر دائما - نحو فكرة « وحدانية الله » القوية الثابتة .

إنها طريق قطعتها بمشقة وتعب ، أبعدتني عن الكاثوليكية وقربتني ، بدون انتباه ، إلى الإسلام ، دين الوحدانية الرائع الذي هو أكثر الأديان صفاء وانطلاقا .

وكان الدليل الروحي لي في هذا السهد كتابات كبار الموحدين زمن النهضة الأوربية أمثال سوشينو دا سيينا ، والأسباني سيرفيتو أكبر المفكرين لفكرة تثليث الإله . وقد عملت وسائل بييتشي ديلا ميراندولا التي كتبها ضد مذهب الصور والتماثيل الوثني - ذلك الذي طالما أثار في الاشمئزاز - عملت هذه الرسائل على إقناعي بصحة تفكيري ، ولقد أحسست دائما نحو الإسلام - وبصورة تكاد تكون طبيعية ومقدرة من السابق - بميل شديد وانجذاب قوي فعال ، وكنت أرى في إيطاليا أن عددا قليلا جداً من الناس يعرف هذا الدين للشريف المعظم ، الذي تعتبره الأغلبية هناك دينا المتعصبين وقتلة المسيحيين .

وعندما وصلت في دراستي إلى الجامعة كان من حظي متابعة دروس « الدوبراندينو مال ثازي » ، أستاذ الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي الذي ربما يمكن اعتباره حتى اليوم أكبر دارس للإسلام في أوربا كلها ، إنه لإيطالي عظيم ولكنه غير معروف في الصومال .

٢ — هكذا عرفت الإسلام :

وهكذا عرفت الإسلام بعمق ، في تاريخه وشريعته وأحكامه ، وفي مبادئه الإلهية السامية وعرفت أن الإسلام ليس مجرد مظاهر زائفة كما روج المسيحيون قرونا ،

ولكنه كان وما زال مظهرا لفكرة دينية صافية خالصة تشكل من نفسها حضارة كاملة ، وإنه لمن الغريب أن يعرف الأوربيون القليل عن الإسلام والحضارة الإسلامية ، وهم الذين عاشوا قرونا على اتصال بالمسلمين ! ! .

وفى أوربا يتحدث الناس عما يسمى بالتعصب الإسلامى ، ولكنهم ينسون أن يقولوا إن المسيحيين استطاعوا أن يواصلوا الحياة بين المسلمين بينما لم يقدر المسلمون أبدا على أن ينالوا حظا من ذلك . ولنفكر فقط فيما حدث للمسلمين فى أسبانيا وصقلية لنصمت عما بقى كله ، هذه هى الحقيقة .

وبالرغم من أننى أجبرت على أن « أظهر » كاثوليكيا (وفى إيطاليا من الضرورى أن « تظهر » فقط لا أن « تكون ») . بالرغم من ذلك يمكننى أن أعلن وأنا واعى الضمير أننى لم أكن أبدا كاثوليكيا لنفور طبيعى أشعر به نحو المبادئ الأساسية لهذا الدين ونحو الفكرة اللاهوتية للتثليث ونحو مذهب الصور والتماثيل الداعى إلى الوثنية .

إن ثقافتى الواسعة وتجاربى الأليمة فى الحياة ، والاضطهاد الخاص الذى عانيت منه فى البيئة الكاثوليكية الإيطالية ـ هذه كلها دفعتنى ـ أكثر فأكثر ـ وبلا انتباه تقريبا فى طريق الإسلام بسبب حاجتى إلى دين يدعو إلى التوحيد فى قوة ، ويسمح بالقرب المباشر ، دون وسطاء بين الإنسان والخالق ، دين ذى روح عالمى وشعور عال بالتضامن بين المؤمنين المخلصين .

وواضح أن الإسلام فقط هو الذى كان بإمكانه أن يقدم إلى ما طلبت من تهدئة روحى المعذبة .

ومن قبل أن أترك البلد الذى نشأت فيه كنت أحس بنفسى مسلما ، وكان القرآن يمثل قراءتى المفضلة المتروية ، بإنسانيتى وبوثباتى وانطلاقاتى الروحية الصافية الخالصة العظيمة نحو الله ، الرحيم القوى .

لقد كان على منضدتى الصغيرة بالقرب من السرير وفى متناول اليد .

وليعلم جيدا أننى جئت إلى الصومال كمسلم لأمارس بحرية عقيدتى بين إخوانى ولم آت لمنصب أو لجاه أو نفوذ . إننى مسلم باقتناعى العميق وليس من أجل استجداء شىء من أحد وقد توصلت إلى الإسلام عن طريق دراساتى وتجاربى القاسية فى البيئة الكاثوليكية وعن طريق مختلف الاضطهادات التى لاقيتها والتى استمرت أيضا فى الصومال البلد الإسلامى .

٣ — أنا مؤمن بإله واحد :

أنا مؤمن بإله واحد لم يلد ولم يولد ، مؤمن بأنبيائه مؤمن بمحمد خاتم رسله العظام وإن رسول الله عيسى ليظهر لى الآن إنسانا عظيما أوحى

الله إليه فأنار قلبه وليس تلك الصورة القائمة للإله أو ابن الإله ، الشخص الثاني في عقيدة (التثليث) كما يعلم الكاثوليكيون وكاريدون.

إن الصلاة الإسلامية التي هي عامل خضوعي عظيم ترضى روحى تماما وتمكنها بجعلها على اتصال مباشر بالله ، وفي صلاة الجماعة بالمسجد راحة لي وطمأنينة فهي تجعلني أشعر بتضامن الأخوة الإسلامية .

وهكذا أخيرا أسبغت على وجودى صفاء ووضوحا لجبين . ونظرا لعدم استطاعتي التسليم بأن للإنسان (إرادة حرة) — اعتنقت الدين العظيم ، الدين الحق دين الإسلام والخضوع لأوامر الله العالم بكل شيء المقرر لكل شيء والمقدر له .

ومع كل المرارة التي عانيتها والإهانات التي كابدتها في الصومال وفعل مواطني القدامى فإن هذه السنوات التي أمضيتها في هذا البلد المضياف بين إخوتي المسلمين كانت أجمل وأصفى وأهدأ سني حياتي .

٤ — ماذا وجدت في الاسلام ؟

لقد وجدت في الإسلام أخيرا سلام نفسي وسكينة روحي وأشكر الله القوي الرحيم .

الدكتور أندريه روماني

ترجم المقال الأستاذ محمد علي ناصر
المدرس بالمدرسة الوسطى (بمقديشيو)

(بقية المنشور على صفحة ٦٦٠)

في حساب الفكر وفي حساب الأرقام على السواء ، وإن السامع ليدرك من مجرد السماع أي الجمعين يدل على القلة وأيها يدل على الكثرة مع اختلاف الأوزان بين بعض الكلمات ، فلا التباس بين دلالة أبسطة وبسط ولا بين دلالة أرغفة ورغفان ، ولا بين دلالة أقفل وقفول ، لأن السامع العربي يفهم على الأثر أن أبسطة وأرغفة وأقفلة للقلة وأن (بسط ورغفان وقفول) للكثرة مع اختلاف أوزان فعول وفعلان وفعل بضم الفاء والعين .

ولا بد لهذا الاطراد في الاستعداد لفهم هذه الفروق من أصل صوتي أو اصطلاحي متشابه يرجع إليه ارتباط كل وزن من هذه الأوزان بمعنى القلة أو بمعنى الكثرة . وقد يكون للأصل الصوتي ارتباط بالإشارة المصاحبة لإظهار الحيز أو الصورة المقللة ، والمكثرة على حسب المشاهدة بالنظر ، وكل ذلك مما يصعب تحقيقه الآن ونحاول أن نحقق بعضه على التقريب جهد المستطاع ، ولكنه يشير على جميع الحالات إلى القوانين العريقة التي عملت في هذه اللغة الجميلة الوافية عملها العميق ، فبلغت مبلغها الذي لا مثيل له بين اللغات من التطور الوافي والتمييز المفيد ؟

عباس محمود العقاد

الأزهر فى نظامه الجديد

للأستاذ الدكتور محمد البهى

---

١ - لكى يحكم أى إنسان على نظام الأزهر الجديد الذى حدد إطاره القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وكذلك لائحته التنفيذية التى تطبق ابتداء من اليوم الرابع من شهر نوفمبر الجارى يجب أن يقف على أهداف رسالة الأزهر أولا.

ورسالة الأزهر - من تاريخه ومن أطوار هذا التاريخ التى مرت عليه - هى: العمل على فهم الإسلام ومبادئه وتعاليمه ، ثم نقل هذا الفهم إلى المستويات المختلفة بين المسلمين . وهذا الفهم ونقله معا للمستويات المختلفة هو: عبارة عن الملاءمة بين تعاليم الإسلام وبين الحياة التى يعيشها الإنسان المسلم فى أى جيل . على معنى ألا تكون هناك فجوة - فضلا عن أن تكون هناك ثغرة - بين الإسلام وبين حياة الإنسان المسلم . وبذلك يبقى إيمان المسلم بالإسلام فى مستوى بعيد عن التردد أو الاهتزاز .

وهذا الفهم للإسلام ولتعاليمه مع ملاءمته لحياة المسلم ، كلما بعد الزمن الذى يعيش فيه المسلمون عن عهد القرآن والسنة كلما اتسع نطاق مراجعة التراث الفكرى والثقافى الذى كان للمسلمين والذى كونه المسلمون - عربا وأعاجم على السواء - منذ أن ابتدأوا يتفقهون ومنذ أن ابتدأ تكون لهم ثقافة إسلامية .

وكذلك كلما تعددت جوانب حياة الإنسان المعاصر - عن طريق تقدم العلم ، وكثرة مشاكل الحضارة الحديثة - كلما اشتدت دواعى الفهم للإسلام ولتعاليمه ، وكلما برزت الحاجة إلى الملاءمة بين هذه التعاليم وبين الحياة التى يعيشها المسلم فى زمن العلم ومشاكل الحضارة .

وترتيبا على ما للمسلمين من ماض فى التراث الثقافى والفكرى يجب أن تتوفر الدراسة عليه ، وتحدد مناهج الباحثين والمفكرين المسلمين فيما مضى ، وتوزن نتائج بحوثهم وتفكيرهم فى ضوء الإسلام نفسه وفى نطاق الأحداث التى مرت بالمسلمين فى ماضيهم ، كما يجب أن يدخل فى الاعتبار ما للعلم الحديث من قوانين أو نتائج ، وما للحضارة الإنسانية من مشاكل .

وهنا يجب على الذى يحاول فهم الإسلام ويحاول تطبيقه فى الحياة أن يعيش فى الماضى والحاضر على السواء ، لا يقف عند الماضى ، ولا يتركه ليقيم فى الحاضر وحده .

* * *

٢ — وماضى المسلمين فى التراث الثقافى

والفكرى كان متنوع الجوانب وكان مختلفا فى مستوياته : منه مذاهب الفقه فى المعاملات وفروض العبادات ، ومنه مدارس المتكلمين فى أصول العقيدة ، ومنه معرفة العلماء فى الرياضة ، واتجاهات المفكرين فى شرح الكون وعلله ، وفى تحليل الطبيعة وعناصرها ، ومنه المحاولات والتجارب الإنسانية لتحديد طبيعة الإنسان المادية والمعنوية ، ومنه تحديد منهج البحث والتفكير ... إلى غير ذلك من المعارف اللغوية والاتجاهات الأدبية التى كانت تبحث ، لخدمة فهم القرآن وشرح تعاليمه ككتاب أنزل بلسان عربى مبين.

أما حاضر المسلمين فهو ذلك الحاضر الذى يزهو فيه العلم على الدين بمنهج بحثه ونتائجه التجريبية ، وهو ذلك الحاضر أيضا الذى تتقدم فيه الآلة وتكاد تستعبد بتقدمها الإنسان فى منطقه وفى سلوكه معا ، وهو كذلك الحاضر الذى تتصارع فيه الاتجاهات التوجيهية وتتغالب فيه وسائل الإعلام المختلفة كى تميز اتجاها توجيهيا على اتجاه آخر ، أو كى تحاول الإقناع بمذهب معين أو بعقيدة معينة . ذلك كله فى حاضر المسلمين مضاف إلى قوى الاستعمار المختلفة فى الأسلوب والصورة ، وإن اتحدت فى الأهداف والغايات .

وماضى المسلمين وحاضرهم معا يدفع من يحاول أن يكون صاحب معرفة إسلامية من بين المسلمين المعاصرين إلى المزاوجة فى الدراسة وفى تحصيل المعرفة ، كما يدفعه إلى أن يقف موقف صاحب الحكم على ما مضى وعلى ما يجرى فى حاضره . لا يكون مقلدا لماضيه ولا تابعا ليومه أو غده . وإنما يكون صاحب ملكة وصاحب بصر : صاحب ملكة فى فهم الإسلام ، وصاحب بصر فيما يدفع إليه من نتائج وقوانين باسم العلم ، أو فيما يقع فيه من مشاكل باسم الحضارة والمدنية .

* * *

٣ — وإذا حددت رسالة الأزهر بفهم الإسلام ، وبملاءمته مع أحداث الحياة ومشاكلها ، وإذا ارتبط ذاك الفهم وهذه الملاءمة بما مضى من تراث ، وبما يجد من علم أو أحداث ـ فالنظام الجديد للأزهر الذى قام على أساس من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ إذ أعان الأزهر على تحقيق هذه الرسالة كان نظاما صالحا فى نفسه ، وكان الخير من ورائه فى اجتماع كل القوى على تنفيذه :

(١) تناول النظام الجديد الوضع التعليمى فيما سماه من مراحل التعليم المختلفة من التعليم الابتدائى إلى التعليم الجامعى . وفى هذا الوضع التعليمى فى جميع المراحل زاوج بين الماضى والحاضر : حرص على المستوى الثقافى الذى يؤهل الطالب ليكون ذا صلة وثيقة بالإسلام

ومبادئه ، وذا إدراك لأساليب اللغة العربية فى فهم نصوص القرآن والسنة النبوية ، ونصوص كتب السابقين فيما دونوه عن تراثنا الفكرى الإسلامى . وبهذا عمل على إعداده ليكون رائدا فى فهم الإسلام ، وفى طريقة هذا الفهم .

كما حرص هذا النظام فى الوضع التعليمى فى جميع المراحل أيضا على أن يفتح الطالب عينيه على ما يجرى من أحداث أمامه فى حياته اليومية ، وما يواجهه من مشاكل فى هذه الحياة ، وما يلتقى به من توجيهات يدفعها الأثير ، وتدفع بها المطابع ودور النشر ، وما يطلع عليه من نتائج علمية ترصدها التجارب ، ومعامل الاختبارات .

لم يغفل هذا النظام الجديد القرآن وحفظه ، بل أكده فيما خطط من منهج . ولم يضعف من شأن العلوم الإسلامية بل خلصها مما يعوق الطالب عن فهمها ، كما زاد فى مادتها وموضوعاتها . ولم يهمل شأن علوم اللغة وآدابها وتاريخ المسلمين ومجتمعهم الإسلامى والعربى ، بل فى ذلك كله عنى بالتجلية والتوضيح والزيادة .

وأضاف فى منهاج الطالب علوم الرياضة والطبيعة ــ وهى علوم اليوم والغد ــ وجغرافية العالم البشرية والاقتصادية والتاريخية ومذاهبه الفلسفية ومناهجه فى البحث ، كى يصل بالطالب إلى أن يكون ذا صلة بالمجتمع الحاضر ، وذا صلة بمواطنيه وبجيرانه فى الوطن القريب أو البعيد . وبذلك يكون هذا الطالب ذا استطاعة خاصة لا لفهم الإسلام وحده ، وإنما كذلك للوقوف على الطريق الأقوم فى الريادة ، التى هى رسالته كطالب تخرج فى الأزهر .

فإذا أنشأ هذا القانون كليات عملية ، أو كليات علمية بجانب الكليات الإسلامية والعربية فإنه لا يكون ــ بناء على ما مضى ــ متجنيا على المستوى الثقافى والعربى ، أو محاولا الانتقاص منه . بل على العكس فى إنشائه لهذه الكليات ساعد على توسيع نطاق المستوى الإسلامى والعربى فى التعليم ، كما ساعد على توسيع نطاق الريادة للطالب الأزهرى . فكليات الطب والهندسة والزراعة ، وكلية المعاملات والإدارة ستقوم بتزويد طلابها بالمعرفة الإسلامية والعربية فوق ما تقدمه لهم من معرفة رياضية وطبيعية وطبية واقتصادية وتجارية .

والطالب بالأزهر الذى ستزيد سنو الدراسة بالنسبة له سنة فى المرحلة الإعدادية وسنتين فى المرحلة الثانوية سيكون طالبا فريدا فى الجمهورية العربية وفى البلاد الإسلامية . أو بعبارة أخرى سيكون الطالب الذى تقتضيه ظروف حياتنا هنا وحياة المسلمين فيما وراء وطننا العزيز . وربما بتميزه بذلك يصبح التعليم فى الأزهر تعليما نموذجيا يحتذى هنا وهناك .

ومن الخطأ أن يظن أن الطالب الأزهرى

سيتحمل عبئا زمنيا فى حياته الدراسية أكثر مما يتحمله الطالب الآخر فى نظام تعليمى آخر

فليس نظام التعليم فى العالم نظاما واحدا ، وليس نظام الإعداد ذى السنوات الثلاث والنظام الثانوى ذى السنوات الثلاث أيضا هو الأوحد أو الأمثل فى نظم التعليم المدرسية فى إدارة التربية والتعليم فى الأمم والشعوب المختلفة .

على أنه من جانب آخر كان التعليم فى الأزهر على أساس النظام الماضى قبل هذا القانون هو التعليم المتميز بزيادة السنوات الثلاث فى مرحلتين من مراحله عن نظام التعليم الجارى فى الجمهورية العربية المتحدة ، ومع ذلك لم يقل أحد أن الطالب الأزهرى رغم ذلك يتحمل عبئا زمنيا أكثر مما يتحمله غيره .

ب — وتناول هذا النظام الجديد أيضا وضع اتصال الأزهر بالمسلمين فى مستوياتهم المختلفة ، ومعاونتهم على فهم الإسلام فى مبادئه ونظامه فى الحياة فأنشأ مجمع البحوث الإسلامية ، وحدد جهازه التنفيذى فيما سماه بإدارة الثقافة والبعوث . والمجمع فى تخطيطه فى ظل هذا النظام أكاديمية للبحوث الإسلامية تعكس صورة الأروقة التى تجمع المتفرغين للبحث لذات البحث ، ولخدمة المبادئ والمثل التى يمثلها الإسلام فى نظامه للفرد والجماعة ، وعلى جهازه التنفيذى أن يدفع بمستويات البحوث المختلفة التى تؤدى فيه إلى مستويات العقول والأفهام فى مختلف المجتمعات فى صورة طالب وافد يعد ، أو مبعوث أزهرى يرسل ، أو كتاب ينشر ، أو مجلة تطلع على الناس فى فترات معينة برأى الإسلام فى مشاكل المسلمين ومشاكل العالم .

* * *

٤ — وبهذا الوضع الجديد للأزهر فى النظام التعليمى ، وفى دائرة البحث يستطيع الأزهر أن يدفع إشعاعه فى قوة أكثر ، وأن يصل برسالته إلى أعماق المجتمعات الإسلامية والعربية على السواء ، كما يستطيع الطالب المتخرج فيه أن يكون أخا ورائدا لا خصما يخاصم الآخرين ويخاصمونه ، وينازعونه الرأى وينازعهم ، فوق أنه يصبح ذا صلاحية لأن يعيش فى الحياة عن غير الاحتراف برسالة الإسلام .

وذلك كان شأن المسلمين الأول أيام عزتهم وفهمهم للإسلام فهما صحيحا ، وبتطبيقه فى حياتهم اليومية : فلم يكونوا أصحاب حرفة بالدعوة ، وإنما كانوا أصحاب رسالة يؤدونها فى سبيله . ولم يكونوا ذا عزلة عن أفراد المجتمع الآخرين ، وإنما كانوا منهم وذوى ريادة لهم .

هذا هو هدف النظام الجديد للأزهر نرجو الخير العميم من ورائه ، وندعو للذين صنعوه ، ودفعوا به إلى الوجود بتسديد الخطى ، والثواب الكبير عند الله ؟

الدكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر

اشتراكية الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

---

١ — العالم والنظام الطبقي :

لقد جعلت عنوان هذا البحث « اشتراكية الإسلام » ، لأني أومن بأن للإسلام منهجا خاصا يمثل ما لا يمكن أن يرقى إليه الفكر الإنساني من تصور اشتراكية عادلة منصفة ملائمة للطبيعة ، لا هي مصنوعة ولا موضوعة. فإنه إذا قام مجتمع ما على أساس إنكار طبائع الأشياء أو وجد فيه من أحكام التعامل والسلوك ما ينافرها ويغالبها ، فذلك هو المجتمع المصطنع الذي لا يلبث أن تأباه الطبيعة وتقاومه ، فلا يستطيع أن يثبت أمام مقاومتها .

ومن مزايا التشريع الإسلامي أنه يدرك هذا الأمر حق الإدراك ، وأنه يجرى على مقتضاه جريانا كليا ، لا يختلف أسلوبه فيه مهما تعددت الأحكام ، وليس ذلك بعجيب فهو تنزيل الحكيم الحميد ، الذي يعلم السر في السموات والأرض .

إن أول أساس من أسس هذه الاشتراكية الإسلامية هو المساواة بين الناس .

ولكي نعرف المدى الذي وصل إليه الإسلام في شأن المساواة ، يحسن بنا أن نعرض الصورة التي كان عليها العالم قبل الإسلام مما هو ثابت في تاريخ الأمم والشعوب قبل الإسلام : إن الناس كانوا منقسمين إلى طبقات ، كما كانوا يعتقدون أن الدماء الآدمية تختلف ، ويعتبرون أن الحقوق تبعا لذلك تتفاوت ، فلهذه الطبقة من الحقوق ما ليس لتلك ، ولهذا الدم أن يحكم وأن يورث الحكم .

وبهذا فترت الهمم ، وانحلت العزائم ، لأن الناس أصبحوا يدورون في فلك ضيق ، فالطبقة المستعلية لا تشعر أنها في حاجة إلى أن تسلك في الحياة سبيلا قويما لأن أحداً منها لا يخاف أن يضيع مجده أو ينزل إلى مرتبة العامة ، والطبقات العامة لا تسمو نفوسهم إلى حياة أرفع لأنهم يائسون من ذلك في ظل هذا المجتمع الطبقي ، ومن ثم استرخى هؤلاء وهؤلاء ، وصار العز والرفعة ميراثا يصل إلى الأبناء ، عن طريق الآباء ، كما صار الفقر والشقاء ميراثا لقوم آخرين .

هذا النظام الطبقي هو النظام الذي كان يعرفه

العالم، ويرضخ له، وكانت الشعوب تسير على مقتضاه مسخرة. ولا تعرف الأكثرية فى ظله حقا، ولا تستطيع من طول ما أصابها من الذل أن تفكر فى التخلص منه.

وكانت هذه الطبقية تظهر آثارها متمثلة فى المناصب ومن تسند إليهم، وفى الأرض ومن يمتلكها، وفى العقوبات واختلافها بحسب مراكز المستحقين لها إلى غير ذلك.

وكذلك كان للعرب فى جاهليتهم على نحو من هذا النظام الطبقى: فيهم قبائل رفيعة، وفيهم قبائل أقل شأنا، فنرى الفرزدق الشاعر يفاخر بقبيلته جريرا فيقول:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ونرى غيره يوازن بين قبيلة (نمير) وقبيلتى (كعب وكلاب) فيقول:

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وبلغ من أمرهم أنهم كانوا يعتقدون أن دماء الأشراف تشفى من داء الكلب، وفى ذلك يقول شاعر منهم.

أحلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم تشفى من الكلب

هكذا كان شأن العالم قبل الإسلام، يستوى فى ذلك العرب وغير العرب: عالم تسوده الطبقية وتفرق بين أفراده وقبائله وأجناسه هذا التفريق العجيب، وبذلك انهدم ركن المساواة الذى هو أهم ركن من أركان المجتمعات المثالية.

فماذا فعل الإسلام بإزاء هذا النظام الطبقى الظالم الذى ساد العالم كله شرقيه وغربيه؟.

٢ — المساواة فى الإسلام:

بيّن الله تعالى للناس أنهم جميعا متساوون فى أمرين أساسيين:

أحدهما: أنهم مخلوقون لإله واحد هو الله ربهم الذى وهبهم الحياة وهيأهم لها ومنحهم جميع أسبابها، وإذا فنسبتهم إليه جل جلاله واحدة لا تفاوت فيها بين أفرادهم وطبقاتهم فليس لأحد أن يزعم أن له امتيازا فى هذه الناحية على أحد، ومن ثم لا يوجد فى الإسلام كهنوت، وليس رجال الدين فيه إلا كغيرهم فالكل مربوبون لله وليس بينه وبين عباده أية واسطة فهو أقرب إلى كل منهم من حبل الوريد ويمكن لكل إنسان أن يدعوه دون توسيط أحد فى هذا الدعاء فيسمع دعاءه ويستجيب له «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد». «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان».

الأمر الآخر: أنهم جميعا ناشئون من أصل واحد. «إنا خلقناكم من ذكر وأنثى».

(كلكم لآدم وآدم من تراب) بهذين الأصلين استقر فى الناس أن إنسانيتهم واحدة وربهم واحد فلا يمكن أن يمتاز فرد من أفرادهم أو طبقة من طبقاتهم أو جنس من أجناسهم أو لون من ألوانهم أو سكان إقليم من أقاليمهم أو سلالة شعب من شعوبهم امتيازا مرجعه إلى الدين أو السلالة والدم .

والقرآن الكريم يقرر مبدأ الكرامة الإنسانية ويجعلها حقا من حقوق بنى آدم التى فاض بها الجود الإلهى عليه كما فاض بتقويمهم فى الخلق وتمييزهم بالعقل وتسخير كل شىء فى السموات والأرض لهم . يقول الله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » فهذا تكريم شامل مستغرق لجميع هذا النوع من الخلق ، ولذلك اتخذ لهم فيه أعم عنوان ، وهو كونهم (بنى آدم) فلا تمييز فيه بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين آرى وسامى ، ولا بين شرقى وغربى ، ولا بين ذكر وأنثى ، ولا بين قوى وضعيف ، ولا بين غنى وفقير .

هذا هو مبدأ الكرامة الإنسانية تقرره الجملة الأولى فى هذه الآية واضحا حاسما ، أما الجمل الثلاث بعدها فتذكر المظاهر الرئيسية لهذا التكريم الإلهى ، فقوله تعالى : « وحملناهم فى البر والبحر » تصوير لمظهر العلو وأن الإنسان مخدوم محمول حيثما حل : سخر الله له فى البر مايحمله وسخر له فى البحر مايحمله .

وقوله تعالى : « ورزقناهم من الطيبات » تصوير للمستوى الرفيع الذى عليه الإنسان فى مطعمه ومشربه ومسكنه وملبسه وهو ما يمتاز به على ما سواه من الأجناس الحية .

وقوله تعالى « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » إجمال للمزايا الإنسانية والمواهب التى فطر الله عليها هذا النوع ، مواهب العقل والقدرة على متابعة التفكير وإدراك الروابط الحسية والمعنوية والاستعداد للانتفاع بما فى هذا الكون ، وغير ذلك من ملكات انفرد بها أو امتاز فيها فكان من أجل هذا مفضلا على غيره من أصناف المخلوقات الحية ، هذه هى الأسس الثلاثة العظمى التى أقام الإسلام عليها صرح المساواة.

الناس جميعا متساوون أمام الخالق — الناس جميعا ناشئون من أصل واحد — الناس جميعا مشتركون بالكرامة الإنسانية ومظاهرها التى فاض عليهم بها الجود الإلهى.

ولكن هل تركت هذه الاشتراكية فى المساواة دون أن يرد عليها أى قيد وبعبارة أخرى هل تقتضى المساواة أن يترك الناس أحراراً ولو انتهت بهم حريتهم إلى لون أو ألوان من الفوضى ؟ .

٣ — اشتراكية العلم والمعرفة :

إن عقيدة الإسلام وجميع معارفه النظرية والعملية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وهى من أجل ذلك كلأ مباح لكل ذى عقل مفكر ، فليس هناك سر مقصور على رجال يعرفون بأنهم رجال الدين ، بل ليس هناك رجال بهذا الاسم ، فكل عالم بصير منصف هو رجل دين كما هو رجل دنيا ، ورجل علم.

ومن هنا نستطيع أن نقول : ليس فى علم الإسلام كدين أى احتكار ، أو أية طبقية أو إقطاعية ، إذا صحت هذه التعابير .

بل إن الإسلام على العكس من ذلك يوجب على كل رجل أن يعلم ، وعلى كل امرأة أن تعلم وينكر التسوية بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ويرفع أولى العلم إلى أسمى مكانة حين يجمع بينهم وبين الله وملائكته فى الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو قائما بالقسط ، أى أنهم عدول فى أعظم قضية ، وأكبر شهادة . يقول جل شأنه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، ويقول « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

ويصل الأمر بالإسلام فى تكريم العلم ، والإقرار بشأن البرهان العقلى إلى أن يقول القرآن الكريم : « ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ، فإنما حسابه عند ربه » فمن المعلوم أنه لا برهان أبدا على شريك مع الله ، وأن واقع الأمر هو الوحدانية . ولكن القرآن مع ذلك يفرض المحال - تعظيما لشأن البرهان وإقرارا بسلطان العقل - ويقرر أن الأمر حق فى هذا أمر برهان وحجة : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ، « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين » إلى هذا الحد يحكم الدليل وما يؤثر من علم وحجة وما ذلك إلا تعظيما لشأن العقل والعلم .

والقرآن الكريم يقرر أن الله لا يرضى باحتكار العلم وكتمانه وأنه سبحانه قد أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، كما يقرر لعنة الله والناس على كاتمى العلم إلا أن يتوبوا ويبينوا فيقول : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » .

والفقه الإسلامى يقرر أحكاما كثيرة على أساس أن العلم حق لكل إنسان لا يجوز صده عنه :

فالابن له أن يخرج لطلب العلم المفروض ولو بدون إذن والديه، وللزوجة هذا الحق ولو بدون إذن زوجها إذا أبى أن يعلمها ما افترض الشارع عليها من علم.

ونفقة طالب العلم واجبة على أبيه الموسر ولو كان الطالب قادراً على الكسب.

وكتب العلم لأصحابها من طلاب وعلماء هى من الحوائج الضرورية كالدار والطعام واللباس فلا تدخل قيمتها فى نصاب الزكاة.

ولا يلزم أصحابها أن يبيعوها لأداء فريضة الحج وإذا أفلس مدين بيع عليه كل شىء إلا كتب العلم للعالم أو الطالب فلا تباع عليه.

والسر فى ذلك كله أمران: أحدهما أن الإسلام واثق من حقائقه وقضاياه، فهو يعرضها على العقول مطمئنا إلى أنها ستؤيدها.

والأمر الثانى: أنه يدرك تمام الإدراك أن عظمة الإنسان، بالقياس إلى غيره ـ حتى الملائكة ـ إنما ترجع إلى علمه واستعداده لمتابعة التفكير، واستنباط المجهول من المعلوم.

هذا قليل من كثير فى بيان (اشتراكية العلم) فى الإسلام، وحسبنا أن الله تعالى علم نبيه وصفوة خلقه أن يدعوه بقوله: «وقل رب زدنى علما» وأنه يقول لخلقه من لدن خلقهم إلى أن تقوم الساعة «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

وسبحان ربنا الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم.

٤ — الحرية:

إن المساواة والكرامة يتولد منهما أعز شىء فى هذا الوجود، وهو «الحرية»، ذلك بأن الاستعباد إنما يكون حيث يعترف بفارق بين سيد ومسود، فى الأصل والمنشأ، أو فى الصلة بالرب الذى خلق وأنعم، أو فى الكرامة والاعتزاز بالنفس.

ولذلك كان الإسلام منطقيا حين قرر الحرية، بعد أن قرر المساواة والكرامة الإنسانية.

فالإنسان حر منذ ولدته أمه، وفى ذلك يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) والإنسان حر فى عقيدته «لا إكراه فى الدين». حر فى إبداء رأيه «وأمرهم شورى بينهم» حر فى تأييد الخير والصلاح وإنكار الشر والفساد «يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» حر فى اختيار الأسلوب الذى يريده فى العمل «قل كل يعمل على شاكلته» إلى غير ذلك من مظاهر الحرية التى كفلها الإسلام للناس.

ولكن هذه الحرية إنما هى الحرية التى تعطى لصاحب الشخصية المسئولة، وليست هى حرية الفوضى من التكاليف المتحللة والضوابط.

يقول القرآن الكريم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » ، « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وفى هذا الختام يتجلى المعنى الذى يريد به الإسلام أن يوجه الحرية إلى العمل الصالح والسلوك القويم ، وذلك يقتضى أموراً أساسية.

منها أن يستمتع الفرد بحريته إلى الحد الذى لايخرج به من إنسانيته ، إلى الحيوانية المندفعة فى مراتع الشهوات ، أو مزالق الغضب والانتقام ، وفى هذا ضمان دون الانفلات باسم الحرية ، إلى ما يعرف بالوجودية ، تلك التى تريد أن تجعل من الإنسان ، بهيما لا صلة له بالمعانى الروحية .

ومنها أن يلتزم الإنسان فى حريته عدم التعدى على حقوق الآخرين فى حريتهم وإلا كان بانيا نفسه على أنقاض غيره ، وقد عنى الإسلام بتهذيب النفوس من هذا الخلق حيث اعتبر من دعائم الإيمان . أن يحب المرء لأخيه مايحب لنفسه ، وأن يكره له مايكره لها ، وبذلك أعطى كل إنسان ميزانا خاصا يعدل به حريته بالنسبة لغيره .

ومنها أن يعرف الإنسان أن مبدأ المساواة والكرامة مجال يتحقق فيه تكافؤ الفرص أمام العاملين ، وبذلك يسعى إلى اكتساب الميزات ودرجات الفضل ، ويؤمن بالقيم ويستهدف المثل .

ومنها أن يعرف الإنسان أن هناك رقيبا عليه ، يعلم سره ونجواه ، ويتقاضاه حقوق التقوى ، وحقوق الأرحام التى بين بنى الإنسان ، ولذلك يختم القرآن الكريم بعض آيات المساواة بقوله « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

والناحية التوجيهية فى هذا الختام ذات شعبتين :

إحداهما راجعة إلى العقل ، وهى الأمر بتقوى الله ، الذى خلقهم ورباهم بنعمته ، والذى له بحكم الفطرة فى نفوس خلقه كل مهابة وإجلال .

والشعبة الأخرى راجعة إلى العاطفة ، فإن الإنسان إذا عرف أن بينه وبين إخوانه فى الإنسانية أرحاما ، تتحرك عاطفته ، فتكون الرحمة ، ويكون الحنان ، ويكون التعاون .

والأرحام دائرة متسعة :

فالزملاء فى علم بينهم رحم من هذه الزمالة يجب أن ترعى ، والزملاء فى زراعة كذلك ، وفى تجارة كذلك ، وفى وطن كذلك ، وفى جوار كذلك ، وهكذا تتعدد الأرحام بتعدد الصلات والزمالات ، فتكون منها روابط عاطفية من شأنها أن تيسر أمر المجتمع ، وتعينه على أن يشق طريقه فى الحياة ، قويا عادلا متعاونا متراحما .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

المطامع مثار الفرقة بين الناس

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

١ - «قل الأنفالُ لله والرسول . ٢ - فاتقوا الله ٣ - وأصلحوا ذات بينكم . ٤ - وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين» .

تكاد لا تجد ثغرة من خلاف ، ولا تصدعا بين قوم : إلا وجدت المطامع ، والتزاحم على إشباع الرغبة سببا أول فى المشادة ، والالتواء ، والتدابر والقطيعة ... وهؤلاء : هم أصحاب الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - وطليعة المجاهدين معه ممن آثروا التضحية بالروح فى سبيل العقيدة والوطن ، لم يتجردوا من التعلق بالمال ، ولم يتحرروا أول أمرهم من النزوع إلى النفعية ، والجنوح إلى حطام الدنيا إلا بعد أن صقلهم الإسلام ، وتعاهدهم الرسول بالتهذيب حتى تبدلت فيهم النزعة ، وأصبح لبعضهم عزوف عن متع الحياة المشروعة ، وخيل إليهم أن التفرغ من الدنيا لأجل العبادة هو الدين كله .

ولكن النبى صلى الله عليه وسلم - يعلمهم أن الإسلام دين ودنيا ، وأن للطبيعة البشرية حظها من الزاد ، والتبسط ، والنوم والراحة ، كما أن للروح نصيبها الحتمى من التزود بالعلم ، والتدين ، وتوثيق الصلة بالله والتعلق بمتاع الآخرة .

وبين الدين والدنيا وسط منشود والوسط هو طابع الإسلام ، ومنهجه الصحيح وانظر - معى - فى موقف المسلمين الأولين من تطلعهم إلى عرض الدنيا : فأهل بدر وهم أهل السبق إلى ساحات الجهاد ، وأصحاب الحظ الأوفر من رضوان الله : حينما فرغوا من جهاد عدوهم ، وأطاحوا بكثرة من جيش الكافرين تطلعوا إلى الغنيمة التى وقعت فى أيديهم من أموال العدو المهزوم .

وبدأ الشيوخ والشبان ممن كانوا فى مواجهة الكافرين بالملحمة ، أو كانوا فى الحراسة ، يتفاضلون فى استحقاق الغنيمة ، ويختلفون على قسمتها : مساواة . أو تمييزا !!

ولولا دين يحكمهم ، واطمئنان إلى هدى

الرسول فيهم لكان للأنانيـــة ، وغلبة المطامع شأنهما فى تفرق المسلمين ، وتمزيق وحدتهم الجـــديدة التى يتناولها الرسـول بالتكوين والتقوية .

ولكن رجعتهم إلى الرسول فى بيان تقسيم الغنيمة جنبتهم تصدع وحدتهم ، من فتنة المال وهم جماعة حديثو عهد بالإسلام لم تتأصل فيهم زهادة المتدين المتعفف المحب لغيره ما يحب لنفسه ، تداركهم الله ، فأوحى إلى رسوله « يسألونك عن الأنفال ، قل : الأنفال لله والرسول » .

يعنى تقسيم الأنفال ـ وهى الغنائم ـ موكول إلى حكم الله الذى يبلغه الرسول إلى الناس ، وليس منوطا برأيهم ، ولا متروكا لتقديراتهم حتى لا يختلفوا فى استحقاق ، ولا فى مقدار عطاء .

عندئذ خشعت أصوات الجدل ، واطمأنت نفوس الجميع ، مع أن هذا أول موقف يغنم المسلمون فيه مالا فى حرب عدوهم ، ومع أن نزعتهم إلى المال كانت نزعة مشبوبة متحكمة ، ولكنها كلمة الله نزلت بين قوم عاهدوا الله ، وأوفوا بعهده على الطاعة والسمع .

غير أن القرآن فى هذا المقام أرجأ تفصيل الحكم فى استحقاق الغنيمة ، وبيان سهامها ، وسارع بالدخول فى أمور جوهرية ذات شأن فى حياة الجماعة ـ تلك الأمور : ثلاثة :

(١) اتقوا الله .

(٢) وأصلحوا ذات بينكم .

(٣) وأطيعوا الله ورسوله .

فتقوى الله بتجنب ما يغضبه ، وعمـــل ما يرضيه ، وحينما يعمر القلب بالتقوى يكون تعلقه بأعراض الحياة معتدلا ، ولا تجرفه فتنة المال ، ولا شىء سواه من زخرف الدنيا ويكون دائما على نور من ربه فلا يستهويه شيطان ، ولا يدافع الناس عن خير مشترك .

(٢) والأمر الثانى ـ إصلاح ذات البين ـ إصلاح العلاقة التى تربط بين الناس ، وصيانتها من شوائب الخلف ، والتلطف مع الغير لتظل الأنفس قريبة إلى بعضها ، فلا تتسع بينهم لجوة الغضب ولا يزداد الأمر سوءا بالتقاطع فإن دين الله يدعو الناس إلى الجماعة ، ويعلمهم الرسول أن من شذ عن الجماعة شذ إلى النار .

وكم علمتنا الحياة أن الشقاق لا يعود بخير أبدا ، إن لم يجلب الشر حتما .

فتوجيه القرآن إلى إصلاح ما بيننا ، وتوثيق الإخاء فينا توجيه إلى ما تقتضيه الحياة التى تنشدها لأنفسنا إن كنا بأنفسنا رحماء .

(٣) الأمر الثالث ـ إطاعة الله ورسوله فى ناحية الأموال والروابط وسـواهما من كل ما نعرف عن الدين ، والاستئناس بهدى الدين ينير لنا سبيل السعى فى دنيانا ، فنسير فى حياتنا آمنين الانحراف ، والعثرات التى يتردى فيها من يتخبط فى ظلمات الضلال وراء شهواته وشيطانه .

هذه الدعائم الثلاث ـ التقوى والإصلاح ـ

وملازمة الطاعة هى المبادئ الجامعة لعناصر الدعوة الإسلامية كلها ، وهى المسالك التى تتمثل فيها الإنسانية بالنسبة لموقف العبد من ربه وحسن سيره فى مناكب الحياة مع الناس.

وقديما درج عليها أسلافنا ، ودرج عليها صالحو المؤمنين ، فكانوا خير مثل يحتذى ، وكانت محامدهم أنشودة التاريخ .

وعجيب : أن تكون هذه المبادئ هينة فى ذاتها ، وأن تكون من وحى الواقع الذى نلمسه ، ثم نرى أنفسنا فى صدود عنها كأنها ظنون مشكوكة ، أو فكرة مرجوحة ، وهى لا تكون واهنة كذلك إلا عند من لا يفطن إلى ما يلامسه ، وعند من يستقبل دعوة الدين بغير ثقة ، ولا اطمئنان .

وكان من تنبيه القرآن على خطر الأمر فى ذلك التوجيه أن يختم الله نصحه هذا بقوله: « إن كنتم مؤمنين » .

يعنى : هذا نصح واجب الاتباع ، إن كان إيمانكم صادقا ، فإن أثر الإيمان الحق هو السمع والطاعة . . وإلا كان إيمانا واهنا غير وثيق .

ثم انظر : موقف من المواقف بين المسلمين يغريهم حب المال فيه بالتسابق فى الاستحقاق يكون خطراً على مجتمعهم إلى أمد بعيد ، حتى إن القرآن ينزل بتفصيل البيان فى شأن الغنيمة التى كانت سببا ، ويبادر إلى تثقيفهم بما هو أنزم لهم ، وأضمن لاستقامة الأمر فيهم وهو الخيط الذى ينتظم فيه عقدهم .

ثم يعود القرآن فى مقام آخر ويبين لهم تفصيلا تقسيم الغنائم « واعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول » الآية .

وحينما خوطب النبى وأصحابه فى هذا الشأن كان ملحوظا بالضرورة أنه خطاب لجميع المسلمين على اختلاف أزمنتهم ، وجنسياتهم .

ولئن كان إيمان الصحابة يومذاك إيمانا حقا - ولا ريب - فمقام التعليم يتناول حاضرى المسلمين ، وغائبيهم ، واقتضى ذلك تذكير الناس بالحث ، والاستنهاض بقوله سبحانه : « إن كنتم مؤمنين » .

وليس فى هذا الشرط تشكيك فيهم ، ولا ريبة فى إيمانهم ، وإنما القصد أن الإيمان الحق يستلزم الرجوع إلى حكم الله ، والأخذ بدينه ، والحفاظ على سلامة الجماعة من التفرق ، ولن يستطيع أحد أن يرتاب فى حقية تعاليم القرآن ، ولكنها مطامع الدنيا تغلبهم ، وتفرق بين جماعتهم

وقديما كان الطمع مشأمة على أبيهم آدم وزوجه ، حينما بوأهما الله الجنة يعيشان فى نعيمها ، ويهنئان فى ظلالها ، آمنين من مذلة الحاجة ، وشقوة الحياة الدنيا ، واثقين من كفالة الله لهما ألا يمسهما سوء ما دام على عهد الله : « يا آدم ، اسكن أنت وزوجك الجنة ... إن لك ألا تجوع فيها ، ولا تعرى ،

وأنك لا تظمأ فيها ، ولا تضحى ... » وليس بعد ذلك من عهد أكيد يعطيه الله على نفسه - سبحانه - لآدم وزوجه ألا ينقصهما تعالى من طعام وشراب ، وكساء وراحة من المجهود ، والتعرض للشمس فى سبيل الكد كما هو شأن الكادحين فى العيش « كلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

لم يكلف الله آدم ولا زوجه بشىء غير تحذير من الأكل من شجرة خاصة لا يريد الله أن يأكلا منها ، ولكن نزعة الطمع، والرغبة فى المزيد إلى غير حد لم تدع للقناعة أثرا عند آدم ، وما كفاه أن تتسع له ولزوجه جنة فسيحة حافلة بخير لا يحصيه غير خالقه القادر، الكريم البديع الصنع .

ومن هذه الثغرة النفسية - ثغرة الطمع - استطاع إبليس أن يفتن آدم وزوجه ، ونصحهما أن يأكلا من هذه الشجرة ليضمنا الخلود فى هذا النعيم الفضفاض وأقسم إبليس كاذبا على صدقه فى نصحه ، فخدعهما حتى نسيا عهد الله عليهما ألا يأكلا من هذه الشجرة ، ونسى آدم كذلك أن هذا الشيطان عدوهما الذى حذرهما الله من كيده ، وأنه هو الشيطان الذى تمرد على أمر الله بتعظيم آدم ، وطرده الله من رحمته ، وسجل عليه لعنته إلى يوم القيامة بسبب احتقاره لآدم .

نسى آدم كل هذا ، واندفع طامعا إلى الأكل من الشجرة فكانت حرمانا له من كل ما يغمره من خير ومتاع ، وراحة وأمان ، ونزلا مع الشيطان إلى الأرض يلاقيان فيها ما قدر عليهما ولهما ، فى الأرض استقرار بين عداوات ، وبين شقاء ، أو متاع إلى حين .

ذلك هو الطمع الذى يساورنا دائما ، والذى يجعل الكثير قليلا فى أعيننا ، وينسينا ما وراءه من شغب، ومن أكدار، وخصومات ، ونغص فى هذه الدنيا .

ومن هذا الحديث يتضح لنا الوجه فى عناية الله بتركيز الروح الدينى فى نفوس المسلمين ، ليتخذوا من دينهم مقاومة للأنانية بينهم ، وليحاولوا أن يجتمعوا دائما على السمع والطاعة فى ظل النظام الإسلامى الكفيل ببقائهم كالبنيان المرصوص .

وبهذا البيان من جانب الله يعرف المسلمون لو تجمعوا أن يكونوا أمة مريرة الطعم فى أفواه خصومها ، وأن لا يكونوا طعاما مستساغا تتداعى عليه الأكلة من وحوش الإنسانية .

أو لا يظل المسلمون مخادعين لأنفسهم بحسن الظن فيمن علمنا الله أنهم لا يريدون بنا إلا خبالا ، وذلة ، وضياعا « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم - أصدقاء من أعدائكم - لا يألونكم خبالا - لا يترددون فى الإضرار بكم » .

والهداية من الله .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

دراسة تاريخ العلم وبخاصة عند المسلمين
واجب الكليات العلمية بجامعة الأزهر
للأستاذ فتحي عثمان

في نهاية عام ١٩٤١ م ، كتب علامة العرب المعاصر الدكتور على مصطفى مشرفة - تغمده الله برحمته - يقدم كتاب الأستاذ قدرى حافظ طوقان « تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك » فقال : « فى يونية من عام ١٩٣٥ م كتبت فى جريدة (الجهاد) تحت عنوان (ثقافتنا العلمية) ، فذكرت أننا فى مصر اليوم ننقل المعرفة عن غيرنا ، ثم نتركها عائمة لا تمت بصلة إلى تاريخنا ، ولا تتصل بتربيتنا . وقلت : إن شجرة المعرفة يجب أن تطعم على أسس من ماضينا فتتصل اتصالا طبيعيا بمنابع ثقافتنا ، ودعوت إلى نشر المؤلفات العربية المخزونة فى بطون المكاتب وبين جدران المعاهد الأثرية ، وإلى إحياء ذكرى علماء العرب بين ظهرانينا ، فعندئذ يمكن وضع ثقافتنا العلمية على أسس متينة ، وعندئذ يمكن أن تتطور هذه الثقافة تطوراً طبيعيا من شأنه أن يعيد إليها مجدها وقوتها ومهابتها ... » .

إن هذا الكلام النفيس من العلامة الكبير يجب أن يكون دستور نهضتنا العلمية .

ولو عقله الناس لما استغربوا فى شىء أن يتطور الأزهر فيضم كليات الزراعة والهندسة والطب ، لأنهم يعلمون أن الأزهر يعـــود إلى ماضيه الزاهر يوم كان منار العلم بكل فروعه وألوانه .

ولو عقل الناس كلام علامتنا الكبير لما استغربوا كيف يجمع الأزهر فى كلياته التجريبية الجديدة بين العلم التجريبى والدراسة الإسلامية ، لأن عصرنا قد عرف الحاجة إلى (الثقافة) بجانب الحاجة إلى (العلم) ، ولأن عصرنا قد بات يشكو متاعب التخصص المحدود ، ولأن عصرنا يشاهد تطعيم العلم (بالإيديولوجيات) المذهبية فى جامعات الشرق والغرب على السواء .

وأذكر أن قراراً قد اتخذ بشأن تدريس (تاريخ العلم عند العرب) فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة ، وهو قرار يجد مجالا طيبا لتنفيذه فى جامعة الأزهر العتيدة ، بحكم تاريخها العريق .

ونحن نجد فى القرآن فاتحة مباركة لتاريخ العلم عند المسلمين . . .

لقد فتح القرآن العيون على الكون العظيم ، فكانت عقيدته هى (العلم بالكون) ، وعبادته هى (العمل فى الكون) . تقرأ فى سورة واحدة من القرآن - سورة فاطر - هذه الآيات :

« والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا ، فسقناه إلى بلد ميت ، فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » .

« والله خلقكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم جعلكم أزواجا ، وما تحمل من أنثى ولا تضع

إلا بعلمه ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير » . وما يستوى البحران . هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون . يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك » .

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور » .

وهكذا كان الإسلام إعلانا لنضوج العقل البشرى ، ودعوة لالتماس الدليل فى الكون الفسيح ، بالمنهج الرشيد ...

لقد أورد القرآن ملامح قصة الكون ... ومضات مشرقة تثير الرغبة فى البحث والكشف عن المستور ، لكنها لا تعج بالتفاصيل التى تزحم العقل وتسد عليه السبيل. ومن هنا كان أسلوب القرآن فى قصة الكون غير أسلوب التوراة مثلا فى سفر التكوين ، كان أسلوب القرآن مسايرا خطته فى فتح الأبصار والبصائر على الكون ، وترك المجال فسيحا للعقل البشرى ، إذ الناس أعلم بأمور دنياهم . وقد بحث الكثيرون فى إعجاز القرآن فيما أتى به من حقائق علمية ... وأسرف كثيرون فى اعتساف التأويل حقا ، ولكن هناك قدراً أساسيا من الحقيقة تنطق به آيات القرآن نفسه ، ولا تحتاج إلا إلى الإشارة اللماحة والعرض الواعى من راسخ فى العلم .

يقول الأستاذ محمد محمود إبراهيم أستاذ الجيولوجيا وهندسة التعدين بجامعة القاهرة فى الجزء الثانى من كتاب « إعجاز القرآن فى علم طبقات الأرض » .

« ... نرجع بتاريخ الأرض وقت أن انفصلت عن الشمس، وكانت على هيئة سديم ودخان ملتهب فى سماء ملكوته ، فأوحى بالانفصال « ثم استوى إلى السماء وهى دخان، فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين » . « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما، وجعلنا من الماء كل شىء حى » . انفصل من الشمس الأولى الكواكب ومنها الأرض. « أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها » — أى بردت الأرض من الغاز إلى السائل بعد انفصالها من الدخان ، وقد كانت وهى فى حالة السيولة تدور حول نفسها وتدور حول الشمس فأصبحت بيضاوية الشكل كما فى قوله تعالى

«والأرض بعد ذلك دحاها» ... وإن تلك الأجرام السماوية وهى ملتهبة عند انفصالها لا تشعر بليل أو بنهار رغم أنها تدور حول محورها أمام الشمس، فهى نفسها مضيئة، ولكنها إذا بردت تتجلى حكمة الخالق فى قوله «وأغطش ليلها وأخرج ضحاها» — أى أصبحت تشعر بالليل وبالنهار وهى تدور حول محورها أمام الشمس. ولما وصل قوامها إلى السيولة أصبحت تشبه الدحية أو البيضة، ثم فقدت حرارتها تباعا حتى أصبحت ملائمة لاستقبال الماء. فالترتيب وحده الوارد فى الآيات الكريمة له دلالته.. بل إذا نظرنا بعين العرفان نجد أن الآية الكريمة «أخرج منها ماءها ومرعاها» أى أن الماء أخرج منها لما بردت وأصبح لها قشرة صلبة، وكون الماء منها نتيجة لازمة للتفاعلات الكيمائية التى حدثت أثناء تصلب القشرة الأرضية، وهذا ما يحدث فى تكوين الكتل النارية التى تعطى الصخور النارية. والمياه النارية المتخلفة من الصخور النارية، أوجدت الثروة المعدنية القاطعة للصخور... وفى البداية كانت المياه على هيئة أبخرة عالقة فى جو الأرض أو غلاف ملازم لها حتى بردت القشرة، وسمحت لأبخرة الماء أن تتكاثف وتسقط من السماء على الأرض، فالماء منها وإليها. «وأنزلنا من السماء ماء بقدر، فأسكناه فى الأرض، وإنا على ذهاب به لقادرون» ... يفسر الغلاف الجوى على الكواكب: فمنها ما فقد الماء، ومنها مالا يزال الماء فيه بخارا لم ينزل على سطحه حتى الآن، وفيها ما ضاع منه جزء من الماء، وفيها ما احتفظ بالماء جميعه ... وقد فقد كوكب المريخ الكثير من بخار الماء».

وبهذا التوجيه العلمى للحواس والعقول، وجد المسلمون أنفسهم أمام دعوة ربانية للعلم. ولم يجدوا أنفسهم أمام طائفة متناهية من المعلومات تعطى إليهم كحقائق نهائية كاملة لا سبيل إلى العلم بغيرها. ومن هنا أقبل المسلمون على البحث التجريبى، وأدركوا أن العلوم لا تتقدم بمجرد النظر والتخمين بل لابد من امتحان الطبيعة بالتجارب العملية، وابتكروا آلات للرصد الفلكى والتجربة المعملية. وحسبنا شهادة الفيلسوف الرياضى العظيم برتراندرسل فى كتابه (النظرة العلمية) «كان العرب أميل إلى التجريب من الإغريق — وبخاصة فى الكيمياء ... وقد حمل العرب تقاليد المدنية طوال عصور الظلام، وإليهم مرجع كثير من الفضل فى أن بعض المسيحيين مثل روجر بيكون قد حصلوا كل المعارف العلمية التى تهيأت للشطر الأخير من العصور الوسطى».

ومن هنا كانت مدائن المسلمين منارات للعلم فى كل مكان. يقول لين-بول: «كانت عقول أهل قرطبة كقصورها فى الحسن والروعة فإن

علماءها وأساتذتها جعلوا منها مركزاً للثقافة الأوربية. فكان الطلبة يفدون إليها من جميع أنحاء أوربا ليتلقوا العلم عن جهابذتها الأعلام. وكان يدرس بقرطبة كل فرع للعلوم البحتة، ونال الطب بكشف طباء الأندلس وجراحيها من النمو والازدهار نصيبا أعظم مما ناله من قبلهم منذ أيام جالينوس وكان أبو الطيب خلف جراحا ذائع الصيت فى القرن الحادى عشر (الميلادى)، وبعض عملياته الجراحيـــة يطابق اليوم العمليات الحديثة. وجاء ابن زهر بعده بقليل فكشف عن أساليب كثيرة فى العلاج والجراحة، أما ابن البيطار العالم النباتى فإنه سافر إلى كل بقاع الشرق للبحث عن العقاقير الطبية، وألف فى ذلك كتابا جامعا، ويقول هرنشو: ولقد انتقل أثر هذه الثقافة العربية إلى أوربا النصرانية من طريق مدارس الأندلس وجنوب إيطاليا، فكان من العوامل القوية فى انتهاء العصور الوسطى وانبثاق فجر العصور الحديثة».

وقد ضمت المكتبة الإسلامية مراجع متخصصة فى تاريخ العلم، منها المراجع (الببليوجرافية) التى تسجل أسماء الكتب: مثل الفهرست لابن النديم وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة، والمراجع التى تتعرض للعلوم: مثل مدينة العلوم وأبجد العلوم وكشاف اصطلاحات الفنون ومفتاح السعادة. ومن مراجع تاريخ العلم عند المسلمين المراجع (البيوجرافية) أى كتب التراجم: مثل أخبار الحكماء للقفطى وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة وطبقات صاعد الأندلسى وما إلى ذلك. أما الكتابات الحديثة فى هذا الباب فقد برز فيها سارتون على وجه الخصوص، وهناك كتابات عربية لقدرى طوقان (الرياضيات والفلك) ومصطفى نظيف (الطبيعيات) والخالدى (الكيمياء) وعبد العزيز إسماعيل وكثير من الأطباء (الطب) وفنواتى (الصيدلة) وقد عرض كاتب هذه السطور لمن عالجوا موضوع (الجغرافيا) عند المسلمين فى تقديمه المسهب لكتاب الأستاذ نفيس أحمد «جهود المسلمين فى الجغرافيا» الذى ترجمه الكاتب إلى العربية ونشرته وزارة التربية والتعليم ضمن سلسلة الألف كتاب.

إن فى تطوير الأزهر تصحيحا لمفهوم الإسلام نفسه ....

إنه رجوع بالأزهر إلى مجده كجامعة، ورجوع بالإسلام والعلم الإسلامى إلى معناه الشامل وأفقه الواسع. إنه رجوع إلى الحق .... وهو النور المبين.

فتحى عثمان

دراسة عن علي مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوي

— ٣ —

ملاحظات ومآخذ :

مع ما نعرف ونشهد به من سعة العلم ، وغزارة المعرفة عند علي مبارك . وما نجده من أثر هذه السعة فى كتبه . وخاصة « الخطط التوفيقية » و « علم الدين » فنحن نقع له على مآخذ أو أخطاء يعجب الإنسان لوقوعه فيها .

وليس من اليسير ، ولا من المستساغ ، أن نصف هذه المآخذ بأنها أخطاء . وأن نجهل أو نخطئ من كان فى منزلة علي مبارك ومكانته من العلم والمعرفة والدرس . لذلك آثرت أن أسميها « ملاحظات على علي مبارك » . وهي ملاحظات يسيرة هينة ، إذا ذكر بجانبها ذلك الفيض الغزير من العلم الصادق والمعارف الحقة المفيدة . والمباحث التاريخية الغزيرة الهامة التى جمعها بين دفتى كتابيه هذين .

وقد أشرنا فى المقال السابق ، لما ذكره بعض مؤرخيه من أنه كان يطلب إلى بعض أصدقائه من القادرين أن يجمعوا له ، أو يعينوه ، على جمع شيء من المواد التى ضمنها كتبه وإلى تلك الإشارات فى كتبه ، التى تدل على صحة ذلك ، أو ترجيحه على الأقل ، فلعل هذه المآخذ أو بعضها مما وقع فيه هؤلاء المعاونون ، ضمها علي مبارك لما كتب أو جمع ، من غير مراجعة ولا تمحيص .

من هذه المآخذ أنه يقول عن الفيلسوف العظيم المشهور ، ابن رشد ، أنه من الموصل[1] والذى نعرفه ويعرفه المؤرخون جميعا ، أن ابن رشد ، وأباه ، وجده ، كانوا فى الأندلس . وأن فيلسوفنا الذى يقصده ، ولد فى قرطبة . وتولى قضاءها ، مثل جده ، وقضاء أشبيلية . وأنه عاش فى الأندلس . ثم زار المغرب وأقام فيه بعضا من الزمن . ولقى ، فى مراكش ، سلطانها الفيلسوف أبا يعقوب الموحدى . فهو إذن لم يولد بالموصل ، ولم يعش فيه ، ولم يزره ، ولم يعرفه ولم يعرف غير الأندلس ، وطنه ، ومراكش التى زارها ، كما قلنا ومات فيها .

---

[1] ص ٣٣٥ من كتاب علم الدين . الجزء الأول . ونص عبارته هو : وكان فى القرن الثالث عشر من الميلاد بالموصل العالم الكبير ، والعلامة الشهير ابن رشد شارح مؤلفات أرسطو .

على أن على مبارك يجعل ابن رشد أيضا من رجال القرن الثالث عشر الميلادى . وهو لم يكن من رجاله ، بل من رجال القرن الثانى عشر . فقد ولد فى سنة ١١٢٦ ومات فى سنة ١١٩٨ قبل أن يبدأ القرن الثالث عشر .

ومن هذه الملاحظات أننا نجده يقول ، على لسان الشيخ علم الدين : إنه عند ماهاجر من بلده إلى القاهرة لطلب العلم فى الأزهر ، كان كلما سمع شيئا من حوادث الفرنسيين عند ماغزوا مصر ، قيده . حتى جمع فى ذلك كتابا . ثم نجده بعد سطور قليلة يذكر حوادث الفرنسيين فى مصر ، وأحداث حملتهم فيها ، وحربهم لأهل القاهرة ، وما فرضوه على أهلها من الضرائب . نجده يذكر ذلك كما سجله الجبرتى فى كتابه « عجائب الآثار » . بل ينقل بعض حديث الجبرتى من ذلك بنصه وحرفه .

ومن هذه المآخذ أنه جعل الشيخ علم الدين فى حديثه عن نهر النيل ، يقول : إن من مزاياه أو من خواصه « أنه لا يعلم مبدؤه » [1] ويقول مرة أخرى : إنه يجىء من الجنة .

ونحن نعلم أن منابع النيل قد كشفت قبل تحريره هذا الكتاب ، وعرفت ، فى عهد إسماعيل ، البحيرات التى يتجمع منها ماؤه ، ويسيل نهرا جاريا . ولست أدرى كيف يغيب ذلك عن المهندس العظيم على مبارك ، وهو الذى خصص جزءا من خططه للحديث عن النيل وما أقيم عليه من القنوات والترع والجسور والقناطر . والذى أقام بنفسه ، أو اشترك ، فى عدد كبير من هذه المشاريع الهندسية على النيل ، بل تحدث هو نفسه عن منابع النيل وأسباب فيضانه حديثا علميا[2] .

ومن هذه المآخذ أنه ، وهو يتحدث عن العرب . ويجعل هذه الكلمة عنوانا على المسامرة التى خصصها لهذا الحديث ، يذكر أسماء غير عربية ، ويتحدث عن رجال ليسوا منهم مثل تيمور لنك .

ومع تلك الدعوة التقدمية التى رأيناها فى حديث على مبارك ودعوته لأن تتعلم المرأة وتعمل وتربح وتنتج . نراه فى مكان آخر[1] يدافع دفاعا قويا عن تعدد الزوجات وعن التسرى . ويزعم أن الشيخ بهاء الدين تحدث فى ذلك إلى حسان باريس وحاججهن فى ذلك حتى أفحمهن وأصبحن من رأيه فى أنه لاضرر على الحياة العامة ولا مهانة للمرأة فى تعدد الزوجات والتسرى .

ولست أدرى كيف يمكن ، أن يدعو مفكر إلى أن تتعلم المرأة وتعمل . ويكون لها بذلك

---

[1] ص ١٣٨٦ من الجزء الرابع .

[1] ص ٣٥ — ٣٨ من كتابه نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر .

[2] للمسامرة السادسة والثمانون . ص ٩٧٣ ـ ٩٨٢ ج ٣ من علم الدين .

استقلال فـــردى واقتصادى . ثم ترضى بالضرة والسرّية ... (١) .

ولا أستطيع أن أفهم كيف يؤمن الأوربيون ، على أى وجه من الوجوه ، بأنه لا بأس على حياتهم من تعدد الزوجات ، وأنه لا ضرر منه ولا مهانة للمرأة فيه .. أو فى التسرى .

ولو أن على مبارك قال : إن بهاء الدين أقنع بهذا رجالا من الأوربيين ، لكان الخطب أيسر . على بعده أو استحالته . ولكن العجيب أن يزعم أن الشيخ الشاب تحدث حديثه هذا عن تعدد الزوجات . إلى حسان باريس ، وأنه أقنعهن . حتى أصبحن من رأيه . وحتى آمنّ بألا ضرر على الحياة العامة ، ولا مهانة للمرأة فى تعدد الزوجات ، ولا فى التسرى .

وهذا هو الأمر المستحيل الذى لا يمكن تصوره .

ومن هذه الملاحظات أنه يقول ـ فى ثنائه على محمد على ــ ولم يعلم قبله ، أى قبل محمد على ، أن أحدا من المصريين سافر إلى بلاد أوربا .

ولكننا نعلم ، ولابد أن على مبارك يعلم أيضا ، أن كبيرا من أمراء المماليك ، عاصر محمدا عليا وكان أكبر خصومه وأشدهم عليه خطرا ، سافر إلى انجلترا ، وصحب معه عددا من قومه . وأقام فى تلك البلاد أكثر من سنة ثم عاد ، وهذا الأمير هو محمد بك الألفى .

ولعل مجاملة على مبارك لأبناء محمد على وحرصه على أن يسند له أولهم كل فكرة جديدة أو عمل مبتكر ، هو الذى حمله على أن يهمل أمر الألفى .

اهماله ترجمة عمر مكرم :

على أن هناك إهمالا تعجبت منه عندما أدركت أمره عند على مبارك . وتحيرت فى أن أجد له سببا مقبولا لا يسىء إلى مكانة على مبارك وأمانته كعالم مؤرخ منصف ، ذلك هو إهماله ذكر السيد عمر مكرم والترجمة له . والسيد عمر مكرم كان زعيما جليل المكانة عظيم المنزلة فى تاريخ مصر الحديث ، هو الذى مكن لمحمد على من الاستقلال بحكم مصر ، وهو الذى أعانه بسعيه ومكانته وإخلاصه على أن يغلب كيد خصومه الكثيرين الأقوياء . كان محمد على يكثر من زيارته فى بيته ، ويناديه « بيا والدى » ، وعرض عليه ، فى السنين الأولى من حكمه ، أن يقيمه نائبا عنه فى ولاية مصر فأبى السيد عمر . وبمعونة عمر مكرم وتدبيره استطاع المجاهدون فى رشيد أن يصدوا الحملة الانجليزية الأولى على مصر ، وكان محمد على عند ما علم نبأها خارج

---

(١) السرية الأمة التى جعل لها سيدها بيتا خاصا عن القاموس المحيط .

القاهرة يوشك أن يترك مصر كلها إلى الشام. وبمعونة السيد عمر ومكانته لدى الشعب. استطاع محمد على أن يقهر كيد الألفى ويفل من عزمه وعزم جيوشه الكثيرة التى جمعها وكاد أن يخرج بها محمد على من مصر. كما استطاع أن يرجح كفة محمد على على كفة منافسيه جميعا من المماليك، وأعـــدائه من العثمانيين.

فلما استقر الأمر لمحمد على، تنكر لوالده السيد عمر مكرم، وتصدى له بالشر والأذى وأخرجه من القاهرة منفيا إلى دمياط ثم إلى طنطا. ولم يأذن له بالعـــودة إلى القاهرة إلا وقد أصبح شيخا كبيراً فانيا لا يخشى خطره. وبعد أن صارت مصر كلها فى قبضة محمد على القوية.

السيد عمر مكرم. وله هذه المكانة والمنزلة فى تاريخ مصر، ولتصرفاته ومواقفه هـذا الأثر البين البارز فى أحداثها الجسام. لا نجد له ترجمة فيما كتب على مبارك، وبين تراجم هؤلاء المئات الكثيرة التى تحدث عن حياتها وسيرها فى خططه. والتى نجد عشرات كثيرة منهم لا تدانى منزلتها منزلة عمر مكرم ولا تطاولها، بل تقع منها موقعاً صغيراً جداً.

لا نجد فى خطط على مبارك غير إشارة عابرة ذكر فيها السيد عمر مكرم فى حديثه عن مدينة طنطا. وعندما تحدث عن مدينة أسيوط[1] التى كان ينتسب لها مكرم، لم يتحدث عنه بشىء. وقد ذكرت منذ قريب، أنه من العسير أن نجد سببا لهذا الإهمال لا يسىء إلى على مبارك. إذ لا يمكن أن يقال أبدا: إنه يجهل مكانة السيد عمر وسيرته، وضرورة الترجمة له فى كتاب يؤرخ لمصر ويتضمن سير رجالها. وليس هناك سبب مقبول لهذا الإهمال سوى الحرص على ألا يتعرض لسيرة محمد على بما يشينها، والحرص على إرضاء توفيق بألا يذكر من كان جده كارها له وخصيما، وعليه حاقدا[2].

ومن ملاحظاتنا على على مبارك أنه عندما جعل السائح الانجليزى يطلب إلى الشيخ علم الدين أن يرافقه إلى أوربا. فرض له على نفسه عشرين جنيها فى كل شهر. فوق مؤنته ومؤنة ولده بهاء الدين. وقال إنه سيؤدى له هذه الأجر كله مدة رحلته معه جميعها [3].

وغريب أن يفرض هذا السائح أو يفرض على مبارك، هذا الأجر الفاحش للشيخ وولده فقد ذكر هو نفسه ما يشعرنا بقيمة النقد ومستوى الحياة المادية التى كان الناس يحيونها فى عصره.

(١) ص ١٠٣ - ١١١ ج ٢.

(٢) انظر ترجمة السيد عمر مكرم فى كتابنا: [دراسات فى تاريخ الجبرتى، مصر فى القرن الثامن عشر] الجزء ٣.

(٣) ص ٢٢٦ من الجزء الأول من علم الدين.

ألم يقل إن أهله عندما هاجروا من قريتهم باعوا كل ما يملكون بأربعة جنيهات ؟ .

ألم يفرض له ولإخوانه من أعضاء البعثة التى سافرت إلى باريس ، مع أنجال محمد على جنيهان ونصف فى كل شهر ؟ .

بل نجد من أحاديث على مبارك نفسه ، أن بعض موظفى الحكومة كان مرتبه أربعين قرشا . وبعضهم كان مرتبه مائة وخمسين . وأن بعض أصحاب الرتب العسكرية الكبيرة كان مرتبهم ثلاثمائة وستين قرشا . وكان مرتب « الصاغ » عشرة جنيهات .

فكيف أوقع السائح الانجليزى فى هذا الشطط . وجعله يفرض على نفسه لصديقه الشيخ هذا القدر الجسيم من المال فى كل شهر ؟.

الحضارة والموقع الجغرافى :

وعلى مبارك داعية جهير الصوت لتطوير الحياة الشرقية ، وإلى أن ينهج أهل الشرق منهج الغربيين فى العلم والتقدم الصناعى بل فى الحياة الاجتماعية نفسها . ولكننا نجده فى فصل من فصول كتابه «علم الدين» يتحدث عن البيئة الجغرافية وأثرها فى سكان البلاد ، فيقول إن البلاد الحارة يقضى مناخها وتقضى بيئتها الجغرافية على سكانها بأن يقفوا عند حدود خاصة من التقدم والدراية والمعرفة . كما تحكم هذه البيئة الجغرافية وهذا المناخ الإقليمى على سكان البلاد بأن تكون لهم أخلاق خاصة ، تغاير أو تناقض تلك الأخلاق التى يتصف بها أهل البلاد الباردة . فسكان البلاد الباردة « بعيدون عن الظنون والأوهام ، خالون عن الكذب والنفاق والخداع والمكر ونحوها ، »[1] وسكان البلاد الحارة أخلاقهم تغاير ذلك . وكلما بعدت البلاد عن هذا المناخ البارد ، كلما بعدت أخلاق أهلها عن هذه الصفات الطيبة . وكذلك العكس . أما النشاط البدنى والعقلى فهما يدوران حيث تدور البرودة والحرارة . فأهل « البقاع المعتدلة لا ثبات لهم على حال » . فطورا فى الفضائل وطورا فى الرذائل . يغشون كل ناد ، ويهيمون فى كل واد . وكلما زادت درجة الحرارة ضعفت القوى البدنية ويتعدى ذلك إلى القوى العقلية . فتتساوى لديهم الأمور ، فلا تنبعث خواطرهم إلى شىء ، ولا يهتمون بشىء ، ويغلب عليهم الكسل ، ويتحملون العذاب فى الدنيا بلا ملل ، ولا يجتهدون فى الدنيا بعقولهم فى سياسة أنفسهم فيكون فى ذلك استرقاقهم ، ويرون الرق أهون عليهم من العمل »[2] ومن الأدلة التى ساقها على صدق رأيه هذا أن « سكان جزيرة سيام يقولون : إن النعيم الأبدى هو كون الإنسان لا يجبر على الحركة وإتعاب الجسم .

---

[١] ص ١٢٠٧ من الجزء الرابع من « علم الدين » .
[٢] ص ١٢٠٢ من الجزء الرابع من « علم الدين » .

فلذلك كان السكون وعدم الاشتغال عندهم أمرا مرغوبا فيه فى تلك البلاد الحارة المضعفة لجميع القوى. ولأن الراحة عندهم أمر طبيعى هو المقصود بالذات»[1] وهو يجعل أيضا أهل البلاد الباردة أقوى أجساما، وأسلم أعصابا من الشرقيين.

وهنا نلاحظ أمرين. الأول أن على مبارك يردد ويؤكد تلك الدعوى التى كان يروج لها المستعمرون من الأوربيين: من أن البلاد الشرقية بوضعها الجغرافى والمناخى مقضى عليها إلى الأبد بالجهالة والذل؛ لأن أخلاقها وطبائع أهلها لا تجعلهم أهلا لغير ذلك. وأنه لاحيلة لهم فى ذلك لأن أجواءهم ومناخاتهم لن تتغير. وهى التى حكمت عليهم بهذا الوضع. وليس يخاف ما فى هذه الدعوى من العنصرية الطاغية. وأنها لم تقم، ولم يروج لها حتى تصبح قاعدة من قواعد العلم المقررة، إلا لأن أهل الغرب يريدون أن يثبتوا سلطانهم على بلاد الشرق وأن يجعلوه دائما قائما على حكم الله أو على حكم الطبيعة التى لا فكاك منه ولا مخرج. ولأنهم يريدون أن ييئسوا أهل الشرق حتى يقبلوا هذا الوضع ولا يحاولو أن يخرجوا عليه أو يغيروا منه شيئا. وقد رأينا فى أول هذا القرن. وفى السنوات العشرين الأخيرة منه خاصة. ما ينقض هذا الرأى - أو هذه الدعوى - نقضا باتا. والأمر الثانى: أن على مبارك بتقريره هذه النظرية أو هذه الدعوى الفاسدة - قد ناقض نفسه، ونقض رأيه الذى دعا إليه بالصوت الجهير. وهو تطوير الحياة الشرقية ودفعها إلى أن تسير حيث سارت الحياة الأوربية. وكيف يكون ذلك وبين أهل الغرب وأهل الشرق هذا التناقض البيّن فى الصفات والكفاية الذاتية والأخلاق والنشاط والرغبة فى العمل والحرص على الحرية ...؟.

لقد سلب على مبارك من أهل البلاد المعتدلة والحارة كل سبب للحياة الحرة، والرغبة فى العمل، والإقدام عليه، بله النشاط، وجعل الجنة التى يحلمون بها هى ألا يجبروا على حركة ولا إتعاب جسم، وجردهم من كل خلق كريم. وجعل هذا كله قاصرا على أهل البلاد الباردة. فماذا يجدى أهل الشرق أن يدعوهم على مبارك لحياة القوة والحرية والعلم والنشاط، مادام هذا حالهم الذى لاحيلة لهم فى الخروج منه مهما فعلوا ...؟

ومما يلاحظ أيضا أن كثيرا من الآراء والنظريات يعرضها على مبارك بلسان الشيخ أو السائح الانجليزى أو أحد رفقائهما. ويجعل بعضا منهم يعارضها ويردها. ولكنه فى هذا الرأى الذى قرره عن الأمم، وعن

---

[1] ص ١٢٥٩ من الجزء الرابع من «علم الدين».

الشرق والغرب ، جمله بما اتفق عليه الشيخ وابنه والسائح الانجليزى . وبما أيده كل واحد منهم تأييدا قويا جازما .

على أنا نجد بعد ذلك بقليل رأيا له ، يدحض هذا الرأى الشعوبى وينقضه . ولا يجعل العامل الجغرافى سببا للتخلف والتأخر . نجد هذا الرأى المناقض فى مسامرته العاشرة بعد المائة (١) .

ونجده فى كتاب « نخبة الفكر » يقول رأيا آخر يغاير هذا الرأى ، بل يناقضه ، فهو يتحدث عن « أصل سكان مصر وأخلاقهم » فيقول : (إن البقعة المصرية لا تقتضى بطبعها شيئاً من الأخلاق المخلة بنظام الهيئة الاجتماعية أصلا ، ولا يقوم لأحد على ذلك دليل ، وإنما هى الحوادث الدهرية قد وجهت سهامها نحو هذه الديار السيئة الحظ ، فتوالت عليها غارات المتغلبين) (٢) .

وقد روى على مبارك فى تلك الوصية التى وصّى بها الشيخ علم الدين ابنه عند ما نزح لطلب العلم فى الأزهر ، روى أن بعض المشايخ « لقى أول طلبة العلم فى الأزهر عناء شديدا وجانبه فتوح الله وتوفيقه حتى يئس من الفلاح وفترت همته فى الطلب وعزم على أن يعود إلى قريته ، فلما هم بأن يرحل من

[١] مسامرة « السلف والخلف فى الإسلام » ص ١٣٤٧ - ١٣٥٩ من الجزء الرابع من « علم الدين »

[٢] ص ١٧٤ من الكتاب .

الأزهر يائسا حزينا ، شاهد حشرة من حشرات الأرض تحاول الصعود إلى مرتقى صعب عسير فوقعت . ولكنها عادت تصعد مرة أخرى ، فوقف الشيخ يرقبها وهى كلما وقعت عاودت الصعود ، حتى تمكنت آخر الأمر مما تريد . » فقال فى نفسه والله لا أكون أعجز من هذه الحشرة » .

وهذه قصة النملة القديمة المعروفة ، التى رواها الرواة من قديم ، ولعلهم نسبوها إلى تيمورلنك

هذه ملاحظات لنا على كتابى على مبارك الخطط ، وعلم الدين . وهما ، كما قلنا ، أعظم أعماله الأدبية وأجلها شأنا ، وهى ملاحظات أجد من العسير ومن غير المستساغ ، كما سبق القول ، أن نقول إنها أخطاء ، ولا أن نجهل بها على مبارك أو ننقص من مكانته السامية وقدره الشامخ فى تاريخنا الحديث .

على أن هذه أخطاء أو ملاحظات أدركتها فى بدوات القراءة ، فإنى لم أتقص له الأخطاء ولم أتعقب الأغلاط والمآخذ والهفوات .

* * *

البر بالفلاح :

ومن العواطف الكريمة والدعوات البارة التى نجدها عند على مبارك ، عطفه على الفلاح والتنبيه إلى رعايته والبر به ودعوته « ولى الأمر » إلى أن يخص (١) أهل الفلاحة بمزيد

[١] ص ٤٥ من الخطط الجزء التاسع

العناية والالتفات . لأنهم الحاملون لأثقاله القائمون بمصالحه وأعماله إذ لولاهم لما كان للملك قوام ، ولا تم له نظام . ويجب على كل حاكم احترام المشتغلين بها والالتفات إليهم كل الالتفات ومساعدتهم بأنواع المساعدات وتطييب قلوبهم والرأفة بهم . وإلا كان كمن هدم أساس بيته بفأسه (١) .

ومن الكلمات التي يقف القارئ عندها ليتأمل ما وراءها هذه الكلمات : « إن أقوى الأسباب لتأخر الزراعة — على الرغم من أنها قوام حياة الأمة — احتقار الفلاحين وعدم الالتفات إليهم ، وترك التبصر في أحوالهم . وارتكاب ما تضيع به ثمرات الفلاحة من تسخير أهلها بالعسف والقهر والتعدي عليهم بما يقهقر حالهم ويفسد عليهم أعمالهم . وكالتغالي في الزينة والزهو والإكباب على اللعب واللهو . خلافا لما يزعمه أخساء العقول من أن ذلك من لوازم الثروة » (٢) .

وإذا ذكرنا كيف كان حال الفلاحين يوم كتب على مبارك هذا الكلام . وكيف السادة والحكام ينظرون إليهم . ثم ذكرنا كذلك سرف إسماعيل وكيف كان ينفق مال الفلاحين في اللهو والزينة . والانكباب على اللعب واللهو إذا ذكرنا هذا وذاك ، أدركنا شرف هذه العاطفة التي دفعت على مبارك لأن يكتب هذا الذي كتب كأنه يقصد به إسماعيل وشيعته . وأدركنا أيضا ما كان عند على مبارك من شجاعة استطاع بها أن يكتب هذا . وما كان عنده من حيلة ولطف مدخل ، حين وضع هذا الحديث على لسان عالم فرنسي يتحدث إلى الشيخ علم الدين وأصدقائه .

ولم يكن عطف على مبارك على الفلاح وبره به دعوة مجردة . بل كان له مع هذه الدعوة عمل دائب مثابر تحدثنا عن كثير منه من قبل . ونذكر فوق ذلك أن إحساسه بالكرامة الإنسانية التي يجب أن تصان للفلاح وللمواطن المصري على العموم . هذا الإحساس جعله يحزن ويبتئس لما رأى من حال السجون المصرية ويعمل على تحسينها يقول إن هذه « الحبوس » كانت « حواصل » مظلمة لا يدخلها النور إلا قليلا . وكان المحكوم عليهم . اختلاف جرائمهم ، يخزنون فيها كالأمتعة . وداخلها يختنق بمجرد استنشاق هوائها . فوضع على مبارك نماذج لسجون صحية نظيفة وأقرت الحكومة مشروعه . وبنى منها في عهده سجن في الشرقية وآخر في المنوفية .

وكذلك كانت المستشفيات في الأقاليم تقام كما يقول في « ورشة ونحوها وأكثرها متهدم والسليم منها كمربط البهائم » فوضع كذلك مشروعا لبناء كثير منها بالتدريج وتم منها في عهده واحد في الدقهلية وآخر في الغربية .

محمود الشرقاوي

---

[١] ص ١٠٣٦ – ١٠٣٧ جزء ٣ من علم الدين .

[٢] ص ١٠٣٣ جزء ٣ من علم الدين .

مدينة كانو

أكبر مراكز الإسلام فى إفريقية الغربية

للأستاذ محمد جلال عباس

مقدمة :

أخذ الإسلام ينتشر فى إفريقية الغربية منذ القرن التاسع الميلادى بعد أن أقام الكثير من التجار العرب والمهاجرين من قبائل البربر فى مدن الإقليم ومراكزه التى نشأت عند نهايات الطرق التى تعبر الصحراء الكبرى وتسير فيها القوافل إلى بلاد السودان آتية من الشمال الإفريقى ، وقد ترتب على ذلك أن تحولت بعض هذه المدن إلى مراكز للثقافة الإسلامية ، ونقط ارتكاز للدعوة ، وكعبة يحج إليها الراغبون فى التزود من علوم الدين والتفقه فيه من أبناء القبائل التى تسكن إفريقية الغربية والتى اعتنقت الإسلام .

وأول تلك المدن التى برزت كمراكز إشعاع الثقافة الإسلامية فى غرب إفريقية هى مدينة « تمبكتو » أو « تنبكت » على نهر النيجر ، ثم مدينة جاو وجنى المجاورتين على النهر أيضا ، إلى الجنوب قليلا من « تنبكت » ، ومنذ القرن الخامس عشر اضمحلت مدن النيجر نتيجة لتعرضها للفتن والحروب والغزوات وتحول مركز إشعاع الثقافة الإسلامية إلى مدينة كانو التى ظلت محتفظة بمركزها الأول حتى وقتنا الحاضر .

وسوف نتناول فى هـــذا المقال دراسة موجزة لنشأة المدينة وتطورها ثم تحولها إلى مركز إشعاع إسلامى فى نيجيريا ، واعتلائها مركز الصدارة بين المدن الإسلامية فى إفريقية الغربية لما مر بتاريخها من حركات تجديد وإحياء للثقافة الإسلامية والدعوة إلى الإسلام فضلا عن مركز المدينة فى وقتنا الحاضر .

نشأة المدينة وتطورها :

كانت هناك قمتان ترتفعان عن الأرض المحيطة بهما بضع مئات من الأمتار على خط العرض الثانى عشر شمال خط الاستواء وإلى الشرق قليلا من تقاطع هذا الخط بخط الطول الثامن شرقى جرينتش وتطل هاتان القمتان على الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى إلى شمالها ، وعلى الأطراف الشمالية من نطاق حشائش السفانا — الذى يعرف باسم النطاق السودانى — إلى جنوبهما ، وفى وقت مبكر من القرون الأولى للميلاد اكتشفت الجماعات

المشتغلة بصهر وصناعة الحديد أن تربة هذين التلين — دالا وجورون — غنية برواسب الحديد، فأخذت تتجمع عندهما أسر الحدادين التي تزعمها فيما بعد رجل يسمى كانو حول هذه التجمعات العارضة إلى محلة صغيرة عند سفوح تل دالا أو دارا. وأخذت هذه المحلة تنمو تدريجا إلى أن أصبحت مدينة واشتهر سكانها باسم أباجازاوا [1] وهو الاسم الذي ما زال يطلق على طبقة الحدادين حتى وقتنا الحاضر.

ولقد ظلت مناطق شمال نيجيريا تسكنها عشائر متفرقة إلى أن أتت إليها هجرات القبائل الشهيرة المعروفة باسم الهاوسا والتي تكون الغالبية العظمى من سكان الإقليم الشمالي في نيجيريا، وفي عهد هذه القبائل أخذت مدينة كانو تنمو وتتطور تطورا سريعا حتى أصبحت مدينة لها مركزها الهام بين مدن الإقليم.

وتحكي أسطورة الهاوسا أنهم أبناء بايزيد حفيد أحد خلفاء بغداد، وقد تزوج من ابنة ملك برنو فأنجب منها سبعة أبناء توزعوا في البلاد وكون كل منهم إمارة من إمارات الهاوسا السبع: هاوسا وبوكوي وهي جوبير، وكانو، ورانو، وكانسينا، وداورا، وزاريا [2].

وأول من عرف من ملوك كانو هو الملك يوجودا حفيد بايزيد وقد عاش في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وتتابع بعده ثمان وأربعون ملكا، وقد ظلت كانو صغيرة إلى أن تكونت بها منطقة السوق (جاكارا) وأخذت تنمو حولها المساكن وأصبح سوق كانو أحد الأسواق الرئيسية التي تنتهي عندها طرق قوافل الصحراء، حيث كانت «تلي» و«الأوجورون» تعتبران دليلا لهذه القوافل.

وفي القرن الثاني عشر بنيت أسوار المدينة القديمة لحمايتها من الغزوات التي كانت تأتي إليها من الجنوب والشمال واستطاعت المدينة بذلك أن تؤمن داخل أسوارها تجار القوافل القادمين من الشمال الإفريقي.

وظلت السلطة في المدينة يتنازعها زعماء الحدادين وهم السكان الأصليون والهاوسا السكان الوافدون إلى أن اعتنق ملوك الهاوسا الإسلام واستطاعوا في ظل هذا الدين الجديد ونظامه الدقيق أن يوجهوا الحكم في المنطقة الوجهة التي أكسبتهم كل نفوذ وسلطان، وقد تطورت المدينة في عهدها الإسلامي تطورا تدريجا حتى احتلت مكان الصدارة بين مدن غرب إفريقية.

فجر الإسلام في كانو:

علمنا أن أساطير الهاوسا تجمع على أنهم

---

[١] سير آلان بيرنز ص ٤٨.
[٢] نيفين ص ٣٦

يرجعون أصلا إلى أحد أحفاد ملوك بغداد المسمى بايازيد الذى وفد إلى البلاد فى أواخر القرن العاشر الميلادى ، ويدل ذلك على أن الهاوسا كانوا منذ بداية عهدهم مسلمين ، غير أن الرواية التاريخية تدلنا على خلاف ذلك ، فإن الهاوسا فى شمال نيجيريا ظلوا حتى القرن الثانى عشر يدينون بديانة قبلية وأن الإسلام بدأ ينتشر بين شعب الهاوسا تدريجا منذ ذلك القرن ، وأن أول ملوك الهاوسا الذين اعتنقوا الإسلام هو الملك ياجى .

وفى معرض هـــذا الخلاف ، وفى ضوء الظروف التى كانت تحيط بمدينـة كانو خاصة وبلاد الهاوسا بصفة عامة يمكننا القول إن الإسلام أخذ ينتشر بين قبائل الهاوسا نتيجة لاحتكاكه مع شعب البرنو فى الشرق وشعوب مالى فى الغـرب والمهاجـرين من الطوارق والتجار العرب الوافدين من الشمال ، وكانت كل هذه الشعوب قد اعتنقت الإسـلام منذ وقت سابق فى القرنين التاسع والعـاشر الميلادى .

أما فيما يتعلق بملوك كانو فالمرجح أن بعضهم كان يعتنق الإسلام على يد رجال الحاشية ، وكان أغلبهم من المسلمين ، واستعان بهم ملوك كانو لتنظيم الملك وإرساء الحكم فى بلادهم على أساس النظم التى أتى بها الإسلام .

وواقع الأمر أن بعض الهاوسا كانوا قد اعتنقوا الإسـلام ولـكن بأعداد قليلة نتيجة للاختلاط بالمسلمين ولـكنهم أقبـلوا على الإسـلام منذ أن اعتنقه ملـكهم ياجى وأخذ يبنى المساجد ، ويحـكم البلاد وينظم العـلاقات والمعاملات ، على أساس النظم الإسـلامية ، فلما شاهد الهاوسا حسنات الإسـلام أقبلوا عليه بل تحولوا بعـد ذلك بقليل إلى دعاة لهذا الدين بين القبائل البدائية التى كانت تسكن إلى جنوب كانو فى حوض نهر النيجر ، وقـد سبق شعب كانو بذلك سائر إمارات الهاوسا بقرن ونصف من الزمان فى اعتناقه للإسلام [1] .

ازدهار كانو فى ظل الإسلام :

وفى عهد الأمير يعقوب (١٤٥٢/١٤٦٣م) وهو الملك التاسع عشر ، حدثت هجرة كبيرة انتقل فيها إلى كانو الـكثير من جمـاعات الوانجارا ، وهم من العناصر الرئيسية التى كونت امبراطورية مالى ، وذلك بعد أن زاد ضغط الغزوات الخارجيـة على هـــذه الامبراطورية الإسلامية العظيمة من الموسى فى الجنوب ومن المغاربة والطوارق فى الشمال وكان لهؤلاء المهاجرين الجدد بعد أن اختلطوا بسكان مدينة كانو أثرهم الـكبير فى تعميق جذور العقيدة الإسلامية عند الهاوسا .

---

[١] يوفيل ص ١٢١ .

وفى عهد محمد رومفا ، الملك العشرون لكانو ، (من ١٤٦٣ إلى ١٤٩٣) وأشهر ملوكها المسلمين . بلغت المدينة ذروة مجدها وبدأ فيها عهد إسلامى جديد سادت فيه كل مظاهر الحياة الإسلامية فكان إحياء رمضان بالصوم والتعبد وكانت الاحتفالات بالأعياد الإسلامية المختلفة ، كما أقامت حركة لتنقية عقيدة الهاوسا مما شابها من أفكار وعقائد الحياة القبلية السابقة .

جهود الأزهر :

وقد ساعد على ازدهار الإسلام فى عهد محمد رومفا أن استوفد عددا من علماء الأزهر من مصر ليعلموا وينشروا مبادىء الإسلام الصحيح فى المدارس العديدة التى افتتحها والمساجد العظيمة التى أقامها ، وفى مجلس بلاطه العلمى الذى كان يعقد فى قصره العظيم الذى شيده فى جبل والا ، ومما يذكر بالفضل للملك محمد رومفا أنه أعاد تنظيم الحكم فى كانو وتوابعها على أساس إسلامى مقتبسا النظم التى كانت متبعة فى ذلك العهد فى مصر .

واستمر ازدهار الحياة العلمية الإسلامية فى كانو فى عهد الملك محمد كيسوكى (من سنة ١٥٠٩ إلى ١٥٦٥ ، وذلك رغم غزوات السنغاى وتعرض البلاد لغزوات أخرى من قبائل الكوارارافا البدائية فى الجنوب . والغريب فى الأمر أن هذه الغزوات كانت مما ساعد على تقوية مركز كانو وتحولها إلى مركز إشعاع إسلامى فى الغرب الأوسط من إفريقية ، ويرجع ذلك إلى عاملين :

الأول : أن غزوات أسكيا محمد امبراطور السنغاى واشتداد مقاومة شعب كانو قد أكسبا هذه المدينة وشعبها احتراما لدى أسكيا محمد مما ، جعله يوقف هذه الغزوات ويعقد مع كانو هدنة يقر بمقتضاها إمارة كانو ويزوج أميرها بإحدى بناته مما أعطاها قوة واستقرارا .

الثانى : أن هزيمة قبائل الكوراراقا ، أمام قوة الهاوسا فى كانو ، ومشاهدة هذه القبائل الغازية المهزومة للنظم الدقيقة والحياة الرفيعة التى يحياها سكان هذه المدينة جعلتهم يقبلون على الإسلام ويستوفدون المسلمين من الهاوسا لنشر تعاليم هذا الدين القيم ثم أوقفوا بعد ذلك غزواتهم .

كانو تصبح ملجأ العلماء :

ومما ساعد على ازدهار الحياة العلمية الإسلامية فى كانو أن تعرضت تمبكتو وجاو وجنى للضعف نتيجة لغزوات البربر والمغاربة التى شغلت بها زمنا ، فاضطر الكثير من علمائهما إلى الهجرة إلى كانو التى

كان الإسلام قد استقر فيها وازدهر فى عهد محمد رومفا ، ومن هؤلاء العلماء الذين نزلوا بكانو وأقاموا فيها يعلمون الدين والفقه الحاج أحمد التنبكتى ومخلوف بن على ومحمد ابن أحمد ، ولكن أشهرهم جميعا محمد بن عبد الكريم المغيلى الشهير باسم البغدادى أيضـا .

اشتهر المغيلى بين قبائل الطوارق كداعية للإسلام ولا يزال اسمه يلق بينهم احتراما وتقديسا، ولكن الفتنة التى أحدثها اليهود وأدت إلى قتل الكثير منهم فى طوات وغيرها من واحات الصحراء الكبرى واستغلال اليهود لها باتهامه بتدبيرها جعله يؤثر الهجرة إلى بلاد الهاوسا[١] حيث أسلم على يديه ملوك كاتسينا ثم انتقل إلى كانو بعد أن كتب لأميرها خطابا يقول فيه :

إن الكفار ببلادكم ما زالوا بين المسلمين فى الأسواق والمنازل فان لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر فى رمضان كان ذلك ذريعة لأن يفعل كفعلهم ضعفة العقول من عامة شعبكم ونسائه [٢] .

فدعاه ملك كانو لينقى البلاد من الشرك والكفر وأقام زمنا يعلم الفقه وأصول الدين وكتب لأمير كانو كتابا بعنوان « واجبات الأمير » ويدل كتابه هذا على إلمامه الكبير بشئون الحكم ومشكلاته ومتاعبه، وقد كتب كتابه هذا بالعربية مما يدل على أنها كانت لغة منتشرة فى تلك البلاد فى ذلك العهد.

ومما يذكر أيضا أن جلال الدين السيوطى العالم المصرى المشهور قد زار كانو وأقام فيها بضع سنين يعلم القرآن ويفقه فى الدين وعاد منها إلى مصر عام ٨٧٦ هـ .

العهد الفولانى فى كانو :

ظلت مدينة كانو تعيش فى ظل أمراء الهاوسا كمدينة إسلامية ، وكسوق للتجارة ، وكمحطة للقوافل الآتية من الشمال عبر الصحراء الكبرى ،وقد كانت بلاد الهاوسا كلها ابتداء من القرن الخامس عشر تتعرض لهجرات سلمية آتية من الغرب تحمل جماعات مسلمة بعضها يشتغل بالرعى وبعضها يحترف التجارة . فنزل الرعاة من هؤلاء المهاجرين فى مهامه السافانا يرعون أبقارهم جنبا إلى جنب مع الهاوسا الذين كانت غالبية أهل القرى منهم تشتغل بالزراعة وقد عرف المهاجرون الرعاة باسم بورورو جى أى الفولانى البقارة أو أهل البقر، وعرف التجار الذين نزلوا المدن الكبيرة ومنها مدينة كانو باسم فولانى جيدا أى فولانى

---

[١] إ. وارد هوبن ص ٧ و ٨ .

[٢] عن حسن محمود فى كتابه تاريخ انتشار الإسلام والثقافة العربية فى إفريقية .

الحضر [1] ، وقد كان هذا التوزيع للسكان محققا لنوع من التكامل الاقتصادى فى حياة الهاوسا وبخاصة كانو والمنطقة المحيطة بها الخاضعة لها ، ذلك أن الهاوسا الزراع والبورورجى أو الفولانى البقارة تعاونوا فى مناطق الريف ، كما أن فولانى جيدا أو فولانى الحضر قد ساعدوا على زيادة ازدهار الصناعات القائمة فى مدينة كانو واستطاعوا أن يتاجروا بها لمسافات بعيدة عبر الصحراء فى الشمال أو على طول امتداد نطاق السفانا إلى ساحل الأطلسى فى الغرب .

إلى جانب التعاون الاقتصادى الذى قام بين الهاوسا والفولانى نجد أن الوئام والاختلاط بل الاندماج الكامل قد ظهرت بوادره منذ أن بدأ المهاجرون الجدد من الفولانى يفدون إلى بلاد الهاوسا ، ولم يجد الهاوسا والفولانى أى نوع من الصعوبات تحول دون اختلاطهم فكلهم مسلمون ينتمون إلى دين واحد ويتبعون شريعة القرآن وقد ساعد ذلك على ظهور اتجاه جديد نحو دراسة الدين والتفقه فيه والتعاون من أجل إحياء سننه وشرائعه والعمل على نشره بين القبائل التى لم تكن قد استظلت بظله أو تفتحت أعينها على نوره .

وفى مطلع القرن التاسع عشر ظهر على مسرح الحياة فى نيجريا الشمالية رجل يدعى عثمان دن فديو تفقه فى الدين ، وتعمق فى علوم القرآن والحديث والشرائع والأصول على يد علماء تعلموا فى الأزهر أو فى المدينة المنورة أو فى الزيتونة بتونس أو فى مسجد القرويين بالمغرب ، وقد بدأ حياته معلما ثم جمع حوله الأتباع وبث فيهم روح الكفاح من أجل تخليص البلاد من كل شوائب الحياة القبلية ، ونشر الإسلام بين من لم يسلم منهم ، والعمل على توحيد البلاد فى ملك إسلامى يقيم شرائع القرآن ويحيى أمجاد الإسلام ، ومن ثم أعلن الجهاد على ما كان هناك من بدع ، وعلى التفرق وعلى القبلية القديمة .

وهكذا بدأ الجهاد لتوحيد الإمارات فى مملكة واحدة قوية تكون مصدر إشعاع لهذا الدين القويم ، وبدأت الدعوة من سوكوتو ، ولكن كانو سرعان ما انضمت إلى اللواء الذى عقده لها أمير المؤمنين أو ساراكين مسلمافى كما يسمى بلغة الهاوسا وكانت هى المدينة النيجيرية الوحيدة التى قبلت اللواء دون صراع بين الزعماء ودون حاجة إلى غزو أو حرب أو معارك وذلك لإدراك أهلها أن الوحدة هى سبيل تحقيق الأهداف العظمى من نشر الإسلام وتنقية العقيدة [1] .

وعاشت كانو فى اتحاد إمارات الفولا قرنا

---

[1] سير آلان بيرنز ص ٤٧ .

[1] نيفين ص ١٢٤ .

كاملا حفل بالاستقرار والازدهار فى ظل نظام إسلامى دقيق تعاون أمراء الفولا مع شعب الهاوسا على إقامته والمحافظة عليه، وقد زادت شهرتها كمركز تجارى، واستقر بها الكثير من تجار الشمال الإفريقى من العرب والمغاربة، كما زارها كل الرحالة الذين ارتادوا مناطق غرب إفريقية خلال القرن التاسع عشر وكتب عنها الرحالة الألمانى بارث يقول: «إنها مدينة صناعية تجارية تأتيها القوافل من الشمال من ساحل البحر المتوسط، ومن الغرب من ساحل المحيط الأطلسى، وتمتد شهرتها فى آفاق بعيدة» [1].

ومن أهم الصناعات التى ازدهرت فى كانو صناعة المنسوجات القطنية وصباغة الأقمشة، وكان تجار غدامس يحملون إليها المنسوجات الخام من المغرب لتصبغ فى كانو، ويعودون بها فى ذلك الطريق الطويل ويتكبدون هذه المشقة والتكاليف الباهظة ليحصلوا على نسيج مصبوغ صباغة جيدة بألوان جميلة ثابتة، وإلى جانب صناعة المنسوجات والصباغة اشتهرت كذلك بدبغ الجلود وذاع صيت جلود كانو فى بلاد المغرب وكانت تستورد لتستخدم فى صنع الأحذية فى مراكش.

[1] بوفيل ص ٢١٧.

ثم أتاها الاستعمار:

ومنذ منتصف القرن التاسع بدأت كانو تشهد طلائع الاستعمار البريطانى، ممثلة فى الشركات التجارية التى أخذت تعقد الاتفاقات التجارية مع الأمراء، ولكن هذه الشركات لم تستطع أن تتغلغل بنفوذها فى مدينة كانو على الرغم من أهمية موقع كانو التجارى، إلا أن شركة النيجر الملكية لم تستطع إقامة مركزها هناك بل اتخذت من كادونا المدينة الناشئة مقرا لها وظلت تعمل فى شمال نيجيريا إلى أن أعلنت الحماية البريطانية على هذا الإقليم الشمالى عام ١٩٠٠ ورفض أمراء الفولا فى كانو وبعض مدن الشمال الأخرى الخضوع للنفوذ البريطانى فاضطر اللورد لوجارد أن يرسل حملات لإخضاع هذه المدن ولقيت هذه الحملات رغم قوتها وتسلحها بأسلحة حديثة مقاومة شديدة من شعب الهاوسا والفولا فى كانو وغيرها من مدن الشمال، وقد استمرت هذه المقاومة حتى سنة ١٩٠٣. ثم تغلبت القوة بمساعدة الخونة وقامت السلطات البريطانية بخلع أمير كانو وتنصيب آخر اضطر لتوقيع اتفاقية الحماية.

وبدأت السلطات الاستعمارية تعمل على خلق المشكلات وإثارة الفرقة بين الأهالى فشجعت هجرة الكثير من عناصر الإيبو وهيأت لهم السكن فى كانو على وجه الخصوص وكانت تهدف من وراء ذلك إلى خلق خلاف

كبير بين السكان الأصليين المسلمين وبين هؤلاء المهاجرين من القبائل غير الإسلامية وقد نجحت فى ذلك حيث حدثت اصطدامات عنيفة بين الفريقين أدت إلى تدخل السلطات الاستعمارية ، واتخذ البريطانيون أيضا من وجود هؤلاء المهاجرين ذريعة لإدخال التبشير إلى هذه المناطق الإسلامية الصرفة بحجة تعليم هؤلاء السكان الذين لا يقبلون على التعليم الإسلامى وهى حجة واهية فى الواقع لأن الكثير منهم بعد أن اختلطوا بالمسلمين وشاهدوا محاسن الإسلام أقبلوا على الدخول فى هذا الدين القويم ولكن الاستعمار أوقف هذا التيار بخططه الحادقة .

ومما يذكر أن مدينة كانو قد شاركت مشاركة فعلية فى الحركة التحررية بنيجيريا فكانت مقر حزب شعوب الشمال وكان زعماؤها يؤمنون بوحدة نيجيريا التى أراد الاستعمار تفتيتها وقد استقبلت كانو الرئيس الدكتور نامادى أزيكوى استقبالا رائعا من جانب الشعب والزعماء وتم فى هذا الاستقبال اتفاق بين حزب شعب الشمال وحزب وحدة نيجيريا على النضال المشترك من أجل استقلال نيجيريا ووحدتها .

مدرسة العلوم العربية فى كانو (١)

وكان معظم الذين قادوا الحركة التحررية فى نيجيريا الشمالية من أبناء المسلمين من الهاوسا والفولا الذين تخرجوا فى معهد عربى أنشأه السلطان محمد السنوسى أمير كانو السابق سنة ١٩٣٤ وقد ساعده فى إنشاء هذا المعهد تاجر من الإقليم المصرى كان يقيم هناك ويعلم إلى جانب تجارته علوم الدين وهو الحاج أحمد أحمد أبو السعود ، واستوفد الأمير السنوسى بعض العلماء من مصر والسودان للتدريس فى هذه المدرسة التى كانت تسمى فى أول الأمر باسم مدرسة الشريعة الإسلامية ثم تحولت فأصبحت تسمى مدرسة العلوم العربية ، وتخرج منها طليعة الزعماء الذين قادوا الحركة السياسية فى نيجيريا الشمالية وأكثرهم كانوا معلمين أو قضاة ، وما يزال هذا المعهد قائما حتى يومنا هذا يتطلع إلى التدعيم وإلى التخلص من آثار النفوذ الاستعمارى التى دخلت إليه ممثلة فى رجال إدارته الذين عينتهم وزارة التعليم فى العهد الاستعمارى فى نيجيريا فما يزال وكيل المعهد انجليزيا . وهذه المدرسة تتطلع فى تدعيمها إلى عون البلاد العربية والإسلامية لتقوم على أقدامها كمركز للتعليم الإسلامى والدعوة الإسلامية فى غرب إفريقيا .

يوم كانو وغدها :

ولئن كانت مدينة كانو اليوم هى أكبر المدن الإسلامية فى غرب إفريقية إذ يبلغ عدد

---

[١] معلومات من بعض أبناء نيجيريا فى الأزهر الشريف .

سكانها نحو ١٣٠ ألف نسمة فإنها أيضا تعتبر أهم مركز إسلامى فى مستقبل الحياة الإفريقية للعوامل الآتية :

١ — الاستعداد الكبير لدى شعبها وأمرائها لمواصلة الكفاح من أجل نشر الإسلام وتعاليمه الصحيحة بين شعوب نيجيريا والبلاد المجاورة .

٢ — وجود أكبر معهد دينى إسلامى فى غرب إفريقيا بها وهو مدرسة العلوم العربية التى يمكن أن تكون فى المستقبل نواة لجامعة إسلامية تتعاون مع الأزهر الشريف وجامعات الشمال الإفريقى على إحياء التراث الإسلامى وإعداد الدعاة والرواد والمعلمين .

٣ — موقعها الجغرافى الذى يسهل اتصالها بجهات إفريقيا الأخرى .

٤ — وجود أقليات من أبناء نيجيريا وجهات إفريقية أخرى يشغلون بعض الوظائف ومختلف الأعمال فى مصانع وشركات مدينة كانو الأمر الذى يمكن أن يكون عاملا يساعد على انتخاب صفوة منهم يتعلمون أصول الإسلام ويتفقهون فى الدين ليعودوا إلى قبائلهم التى لم تنعم بعد بنور الإسلام دعاة صالحين لهذا الدين القويم .

وهكذا نجد فى قلب القارة الإفريقية مركزا من مراكز الإسلام ينتظر له مستقبل زاهر فى الدعوة إلى الإسلام وتنقية العقيدة وتثبيت شريعة القرآن ونظم الإسلام ومبادئه فى عقول الإفريقيين وحياتهم .

محمد مهول عباس

فضل الاقتصاد

أتى قوم قيس بن سعد بن عبادة يسألونه فى دية فصادفوه فى حائط يتبع ما يسقط من التمر فيعزل جيده عن رديئه ، ويجعل كل صنف منها على حدته فهموا أن يرجعوا عنه وقالوا : ما نظن عند هذا خيرا . فلما فرغ من حائطه كلموه فأعطاهم .

فقال رجل من القوم : لقد رأيناك تصنع شيئا لا يشبه فعالك وأخبروه .

فقال : إن الذى رأيتم من صنيعى قضيت به حاجتكم .

الشك قبل الإيمان

عبرة فى حياة أديب

للأستاذ محمد رجب البيومى

فى حياة كل إنسان ، جل أوهان ، موضع للعبرة ، ومجال التأمل ، وحياة الأديب المفكر بنوع خاص ، أفسح مجالا ، وأدعى مناسبة للعظة والاعتبار ، فهو باطلاعه الثاقب ، وإحساسه الثائر يأتى من الآراء ويبدى من الأعمال ما يتسع للنقاش والتعليل ، ورب موقف صغير من مواقفه الحسية يستحيل فى رأى الدارس المحلل فكرة معنوية ، لها مكانها البارز فى دنيا التعليل والاستقراء ، حتى تنفرد لها الشروح المتنوعة وتوضع المبررات المحتملة ، وكأنها حدث خارق قلب وجه التاريخ .

وسنتعرض اليوم إلى مفكر معاصر ، تربى فى المدارس المصرية فى أظلم عهود الاستعمار تربية مدنية لا تمت إلى التربية الروحية بسبب ، ثم انتقل إلى باريس فدرس تعاليم الإسلام ممسوخة شائهة على أناس يضطغنون عليه ، ويحاولون أن يطفئوا نور الله بأيديهم حتى إذا فعلت مفترياتهم السامة فعلها فى نفس الناشىء المتطلع ، كتب رسالة الدكتوراة عن (حال المرأة فى الإسلام) كتابة لا تسير مع الحق فى طريق ، ثم قدم إلى مصر فثارت عليه الثائرة ، وأتاح الله له من دعاه إلى سبيله ، بالحكمة الحسنة والموعظة الصائبة ، فعرف الحق من الضلال ، وتبرأ مما أسلف فى غربته براءة يغمرها الندم ، وتوقظها النفس اللوامة ، ثم تغلغل الإيمان فى قلبه فأصبح بحمد الله من أقوى المسلمين غيرة على محارم الإسلام ، وأشدهم دعاية إلى سننه وآدابه ، وهكذا جاء يقينه الثابت عن دراسة فاحصة ، وبحث متعقل ، فتمكن من نفسه تمكنا لا تزعزعه الشكوك ، ولا تعبث به الأراجيف ، وفى هذا كله عبرة بالغة لمن ألقى السمع وهو شهيد .

يقول أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات فى عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ هـ من مجلة الأزهر : « أذكر أن أحد الأساتذة الكبار عليه رحمة الله قدم رسالة بالفرنسية إلى السوربون عن حال المرأة فى الإسلام نال فيها

من خلق الرسول وشرعه وسلوكه ، فلما أنكر عليه من أنكر استدل على كل ما ادّعى بأحاديث مروية فى (طبقات ابن سعد) وفى (الشفاء) للقاضى عياض ، ولما ردوا حجته بأن هذه الأحاديث موضوعة قال : وما يدرينى أنها موضوعة ! والكتب التى نقلت عنها معتمدة متداولة » .

وأستاذنا الزيات - كما يعرفه تلاميذه - إنسان كله الله بالأدب والذوق ، فلم يشأ أن يصرح باسم صديقه الكبير الدكتور منصور فهمى ، ولكن الرجل رحمه الله قد شاء لنفسه غير ما شاءه الأستاذ الزيات إذ تحدث كثيراً عن سابقته هذه حديث من لا يفوته اصطياد العبرة من حوادث الزمن وتصاريف الأيام ، فقال فى صراحة محببة نقلا عن مجلة « حياتك » ديسمبر سنة ١٩٥٨ :

« كانت رسالتى فى الدكتوراة عن المرأة فى الإسلام ، واندفعت أكتب بحرارة الشباب المندفع ، ويظهر أنى انحرفت قليلا حيث كانت معلوماتى عن الإسلام طفيفة ، وحين قوبلت فى مصر بضجة كبرى ازددت عناداً ، ولكن الله كتب لى أن أجلس طويلا مع بعض مشايخ العلماء من ذوى الأفق الواسع والصدر الرحيب من أمثال الشيخ حسونة النواوى والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ على الزنكلونى : هؤلاء الذين يمثلون رجل الدين الحقيق ، فى عقولهم وعلومهم ، فبدأت أتخلص من الزيغ لأعود إلى حظيرة الدين والحمد لله » .

ثم يفصل الدكتور منصور الطريقة التى شرح الله بها صدره للحق فيقول فى موضع آخر ، نقلا عن مجلة لواء الإسلام عدد شوال سنة ١٣٧٨ هـ ما نصه :

« لقيت المرحوم الشيخ الأكبر حسونة النواوى حين زرته فى منزله ، فوجدت شيخا وقورا يملأ القلب بمهابته وتقواه وكنت أسمع الكثير عن شجاعته وهمته ، واستهانته بشئون الدنيا ، فلما قدمت إليه ، قال لى : أأنت الذى يقال عنك إنك ملحد !؟ فقلت : نعم يامولاى ! فربت على كتفى وقال لى : اقرأ القرآن واقرأ البخارى إن لم تكن قرأته ، فوعدت الشيخ الوقور بذلك ، ولما خرجت استحييت ألا أفى بعهدى ، فعكفت على قراءة البخارى ، وعجبت لغفلتى الأولى ، وجدت حكما ونظما ، وأخذت أقارن ذلك بما درست من فلسفة ، فوجدت ما جاء به محمد أعلى من كل فلسفة ، وأن الإلهام الصادق يبدو فى كل حديث ، فلم أجد إلا أن أقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

هذا هو كلام الدكتور رحمه الله عن نفسه ،

ولن نستخلص منه وجه العبرة النافعة إلا إذا استعرضنا ظروف رسالته الجامعية، وما أحاط بها من ملابسات مصرية وفرنسية، جعلته يشتط فى آرائه شططا يدفع به إلى الانحراف، حتى إذا ذهبت غشاوة الضلال عن عينيه أبصر الفجر الوضيء فخرج إلى النور من الظلمات.

لقد سافر الدكتور إلى باريس سنة ١٩٠٨م وهى السنة التى توفى فيها المصلح الاجتماعى قاسم أمين محرر المرأة بعد أن ترك وراءه دويا هائلا يتردد صداه فى كل مجتمع، وقد جذب إلى آرائه الاجتماعية فريقا كبيرا من جمهرة الشباب المندفع، وفيهم من درس آراء الرجل فى يقظة وانتباه فعرف ما لا يريد وما يريد، وفيهم من فهم عن قاسم فهما يعوزه التبصر والروية، فاعتقد - مخطئا - أنه يرجع تأخر المرأة وجهلها إلى مبادئ الإسلام وتعاليم الشريعة !! وما هكذا يقول قاسم، ولكنها فرية مزورة عزاها إليه المرجفون، وتناقلها متوسطو الثقافة وأصحاب القشور من الدراسات تناقلا أعان عليه أعداء الإسلام بما اختلقوا من مزاعم، وعللوا من أشياء، وقد رسخ هذا الوهم فى نفس الدكتور منصور عن قصور فى الاطلاع، وأخذت جذوره المريضة تمتد فى نفسه حتى اختار أن تكون رسالته الجامعية عن (حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها) فجاءت تنفيسا لما يختلج فى صدره من أوهام، ومن نكد الطالع أن الذى أشرف عليها من أساتذة السوربون هو الأستاذ (ليفى بريل) وهو معروف فى دوائر الاستشراق بتحامله المغرض على الإسلام، وقد وجد من الشاب المتحمس عجينة لينة فى يده، يفعل بها ما يشاء فأخذ يمده بما يدخر الاستشراق من روايات موهومة وأراجيف مزعومة، وافتراضات متخيلة ونتائج مزورة، ليكون ذلك كله مادة شططه ومطية جموحه، حتى جاز له أن يقول مثلا ص ١٦ عن رسول الله مترجما عن النص الفرنسى [1].

« وهكذا نجد أنه - محمدا - بعد أن ينام نوما عميقا، يقوم ليؤدى صلواته دون أن يجدد طهوره ووضوءه على حين أن المؤمنين الآخرين كان عليهم الشروع فى وضوء وطهور جديدين، ومن أجل أن يبرر الاستثناء الذى عمل لصالحه اكتفى بأن قال: إن عينى تنام وأن قلبى لاينام أبدا ».

ثم يقول فى ص ١٨ « وقد حد النبى من نظام تعدد الزوجات، إلا أنه تعدى بالنسبة لنفسه ما وضعه من حدود للآخرين، فمع أن بقية المؤمنين لم يكن فى مقدورهم

---

(١) ترجم هذه الفقرات الأستاذ محمد السيد كيلانى فى كتابه « فصول ممتعة » ص ٦، ٧.

أن يتزوجوا بأكثر من أربع نساء فإن محمدا أن جاز لنفسه أيتزوج بأكثر من ذلك ».

ثم تبالغ الرسالة السوربونية فى مثل هذا الشطط الأرعن لتنتهى إلى القول بأن الإسلام قد ساعد على تأخر المرأة وانحطاطها ، وأن اللائق بالأمم الإسلامية أن تأخذ من أوربا مثلا حيا لنهوض المرأة واختلاطها بالرجل فى المتجر والمصنع وأماكن النزهة والترويح ، ليسعد المجتمع الإسلامى فى الشرق سعادة المجتمع المسيحى فى الغرب ، وإلا فعلى المسلمين العفاء !!

هذه نماذج قليلة مما تورط فيه صاحب هذه الرسالة ، وبعضه اختلاق محض كالقول بصلاة الرسول دون وضوء والبعض جهل بدقائق التشريع فى حكمة التعدد من ناحية ، واهتمام الإسلام بتربية المرأة وتثقيفها من ناحية ثانية ، وقد كانت جريدة المؤيد ما بين شهرى يناير ومارس سنة ١٩١٤ معرضا فسيحا للرد على هذه المزاعم بقوة وإفحام . ولسنا نحتاج اليوم إلى إيضاح الحقيقة فيها ، فكل مسلم قارئ يعرف الآن حكمة التعدد ، ويطالع صحفا ميسرة مما خط فى هذا المضمار !! ولعل من الوفاء أن نذكر أن الأساتذة الأفذاذ محمد فريد وجدى ومحمد لطفى جمعة وطنطاوى جوهرى قد قاوموا هذه الأراجيف حين صدورها فى رسالة الدكتور مقاومة تتسلح بالمنطق والدليل ، فوضعوا الأمر فى نصابه وجعلوا أقلامهم منارة تهدى الطريق ، وقد انتقلوا جميعا إلى رحمة الله ، ولم يبق فى جيلنا من يذكر لهم غيرتهم فى الدفاع وسابقتهم فى الهداية ، وقد قرأ الدكتور منصور فهمى ما كتبه هؤلاء ، ثم اهتدى بمجالسة أصحابه من العلماء ، فتبين فى أسف لاذع خطورة ما ورطه فيه أستاذه السوربونى ، وانتدب نفسه للدفاع المخلص الحار عن نبى الإسلام ، وشريعة القرآن ، فانضم إلى الجمعيات الإسلامية محاضرا ومؤسسا ، ورفع صوت القرآن فى الجامعة المصرية مكافحا من ينزعون إلى الغواية والاعوجاج ، حتى جاز للمجلة الجديدة أن تنعته بالرجعية المتأخرة ، وأن تذكر فى بعض أعدادها أن الدكتورين منصـــور فهمى وعبد الوهاب عزام أصبحا رمز التخلف والجمود فى كلية الآداب ، وإذا هاجمت المجلة الجديدة أستاذا من أساتذة الفكر فتهمته الأولى لديها هى الوفاء للعروبة والإسلام !!

أجل ، لقد رجع الدكتور عن آرائه رجوع المقتنع الدارس ، فنزل اليقين من قلبه نزول الطود الراسخ فما يستطيع أن يلم به شك يزعزع استقراره ، وكأنى به وقد استشعر غيظا أليما لما كان ، فاندفع من أقصى

اليسار إلى أقصى اليمين فى حماس متأجج ، وانضم إلى نوادى الإيمان ومحافل العقيدة ليوضح للشباب ـ ما أمكنه الوقت ـ فى محاضراته وتعقيباته محاسن الإسلام ومبادئ الشريعة ، فكشف عن كثير من العيون ما ران عليها من غشاوة تطمس أمامها خداع المدنية الكاذبة ، وتمويه الحضارة الزائفة ، وتريها الباطل متشحا بوشى خلاب تغمره الزخارف والأضواء ، وقد كان ينتهز المناسبات الدينية فيفيض فى الحديث عن نبى الإسلام إفاضة مسهبة ثم يعدد ما يفترى عليه المغرضون فى ألم نفسى تنعكس سحابته على وجهه المنفعل المعبر ، والدكتور منصور إذا كتب ، فهو فى الكتابة فيلسوف متعقل يزن المعانى الدقيقة ويقدر لها ما يناسبها من اللفظ الموجز والتعبير الفاصل ، أما ارتجاله الخطابى فبحر عجاج متدفق ، وكنت أتخيله وأنا أسمعه فى جمعية الشبان المسلمين داعية دينيا من رجال الوعظ والإرشاد لا أستاذا فى الفلسفة من السوربون ! وكانت المجلات الإسلامية تتزاحم عليه فى مناسبات الهجرة والمولد والغزوات ـ وبعضها دون مستواه ـ فيجيبها عن سماحة وإقبال ، يميل بحديثه إلى جلاء موقف رائع من مواقف صاحب الرسالة ، ولو جُمع ما سال به قلمه فى هذا المضمار لكان سفرا جليلا من أسفار النبوة ، والأعمال بخواتيمها كما يقال .

أما نظرته إلى المرأة فى ظل التقاليد الإسلامية فقد انقلبت بعد الدراسة الفاحصة من النقيض إلى النقيض ، فلم يعد الإسلام فى رأيه عامل تحجر وجمود ، بل أصبح تهافت المرأة فى أوربا على الأعمال الشاقة مهزلة أليمة تهدم بناء الأسرة ، وتحول أمنها المنتظر إلى اضطراب قلق لا بهجة معه ولا ارتياح ! وقد نشر الدكتور فى مجلة الرسالة الغراء بالعددين (٤٠٤ ، ٤٠٥) السنة التاسعة بحثا ضافيا عن وجهة نظره الأخيرة فى هذا الموضوع يقرؤه القارئ فيجد تأييداً حارا لنداء الإسلام ، وتأكيدا قويا لما ارتطمت فيه أوربا من انحلال ، وتوضيحا صريحا لموقف قاسم أمين من المرأة فهو كمصلح اجتماعى لم يرد لها التبذل والانحراف ، وإنما كان يعتقد « أن المرأة قد تسمو إلى ما تنشده لها من المكانة لو كملت تربية النساء على مقتضى الدين ، وقواعد الأدب ، ووقف بالحجاب عند الحد المعروف فى أغلب المسائل الإسلامية [1] » .

ثم إنه ينتقد الحضارة الأوربية انتقاداً مريرا إذ دفعت بالمرأة إلى ميادين العمل

(١) مجلة الرسالة العدد [٤٠٤] تحت عنوان [تساؤنا بين التقاليد والتجديد] .

الشاق فزاحمت الرجل فى ميدانه دون أن تتسلح بمواهبه وبأسه وقوة عضلاته واحتمال أعصابه !! يا لله ! هذا الكلام عينه اعتراف صريح بتخطئة الأسس العلمية التى استندت إليها رسالة السوربون ! فقد كانت دعوة صاحبة إلى إنقاذ المرأة من هدوئها الساكن، والزج بها فى أتون العمل والكفاح الشاق كأختها الأوربية سواء بسواء، والدكتور يهاجم وضع المرأة الأخير فى أوربا مهاجمة من تبرأ من قول إلى قول فهو يقول بصدد ذلك: «فقد يغرر العصر الحاضر بالنساء حين يدفعهن إلى ميادين من الأعمال الشاقة كان من الخير أن يزاولها الرجال وأن يتحملوا أوصابها وتبعاتها دون النساء حرصا على أن تسلم وظيفة الأمومة التى هيئت لها المرأة، ووقاية من الزج فى الجهود المضنية التى تعطل فيها صحة أنسجتها العضوية، وتفسد عليها رقة الطبع وسلامة الأعصاب، فمحاكاتنا الغرب تدفع نساءنا الحديثات إلى كل ميادين العمل الاجتماعى، ليسرن فى هذا السبيل من غير قيد ولا حذر، وقد توقع الكثير من علماء الاجتماع سوء عاقبة هذا التمادى فى التغرير بالمرأة، وتوريط المجتمع فى كوارث اقتصادية وخلقية حتى إن «أوجست كومت»، وهو رأس من رءوس فلاسفة الغربيين كان يرى من واجب الهيئة الاجتماعية أن تضمن للنساء حياة ناعمة مريحة إذا أعوزهن من يكفلهن من الأقارب والأزواج وذلك لكى تتجه النساء وجهتهن فيما خلقن له من إسعاد الأسرة، ودعم أسسها، ومن إنعاش جو المحبة ومن إشاعة نسمات السلام، وذلك ما يوافق تعاليم الإسلام[1]».

وقد أفاض الدكتور فى بحثه المركز بالرسالة فى الحديث عن مغريات العصر الزائف وسوء فهم الناس للحرية وانقلابها إلى فوضى عارمة تحفل بمعاول الهدم فى المجتمع، وتحدث عن قيود الأسرة فى عهود الهمجية الأولى قبل الإسلام، ومبررات من يزعمون الائتناس والبهجة فى اشتراك النوعين، ثم ندد بالاختلاط تنديدا صارما حين قال[2].

«فقد يزدحم النساء والرجال فى مجتمع من مجتمعات الشاى والخمر، فلا يلبث هذا المجتمع أن يتحول إلى معارض للتزين والأناقة، وإلى مضمار للتأنق بالأقوال الرخيصة، وبذل التظرف المصنوع، واتخاذ الابتسامات المنافقة، وإذا كان لبعض النساء من وسائل الزينة ما ينحدر فى المرتبة عن زينة الأخريات، فسرعان ما تنبض القلوب بالغيرة والحسد، أو تدق دقات الزهو الأجوف، وإذا كان فى هذه المجتمعات من تعوزه يقظة الفضيلة

(١) مجلة الرسالة العدد ٤٠٥ .
(٢) مجلة الرسالة العدد ٤٠٤ .

وصلابة الحلق ، فثم النظرات المسمومة ، وثم الأحاديث المهيئة لنزغات الشيطان ، ومن ثم فضائح للغواية ، ومآسى الغيرة ، وما قد يجره ذلك من الكوارث فى هدم سعادة الأسر . . . الخ » .

وفى اعتقادى أن هذا البحث المتصف على إيجازه الدقيق نقد شديد لاذع لرسالة السوربون ؟ ! وكأن الأقدار العادلة شاءت للرجل أن يتولى هدم مزاعمه بنفسه ليقيم على أنقاضها فى كهولته العاقلة بناء أصيلا ينهض على الدعائم الراسخة والأركان الوطيدة ، ومما لاحظته على الدكتور أنه استشهد غير مرة فى بحثه الأخير بآراء الأستاذ محمد فريد وجدى فى كتابه « المرأة المسلمة » مع أن الأستاذ وجدى رحمه الله قد ألف كتابه هذا قبل أن يخط الدكتور رسالته الجامعية . وربما لو قرأها إذ ذاك لصححت وجهة نظره ، أقول ربما فقط ، لأن كتاب قاسم أمين كان ذا سحر أخاذ فى نفوس الشباب من أمثال الدكتور ، فقارئه الشاب يغمض عينيه ليحلم بجنة مثالية للمجتمع الإسلامى تصبح بها المرأة حورية طاهرة قديسة ! ! ثم يفتح عينيه ليرى القيود والسدود فتندفع أشواقه إلى الجنة البعيدة ، والمجتمع المثالى ! ! وقد كان الدكتور كذلك ثم فتح عينيه - بعد التجربة المريرة والفحص المتعقل - على ما انحدرت إليه المرأة فى مضمار العمل الشاق والاختلاط الدائب من أهوال ، فعرف الفرق بين الواقع الذى يعيشه الناس ، والمثال الذى يحلم به قاسم ! ! ورأى فيما كتبه الأستاذ وجدى منطقاً واقعياً يضع العلاج ويرسم الطريق فاستشهد به عن اقتناع ! !

إن من يعرف أن الدكتور منصور فهمى كان فى حياته العلمية متأثراً أشد التأثر بفلسفة « كانت » الألمانى التى تقوم على التفكير العميق فى ترجيح الشىء وضده ، ليقدر تمام التقدير أى تفكير حاد عنيف بذله الرجل فى سبيل المعرفة حتى اقتطف ثمرة إيمانه اقتطافاً حياً ، فوجد برد الراحة فى يقينه ، وعاش بقية عمره مثلج الصدر قرير النفس ، ولماذا لا نشبهه بالإمام الغزالى حين تعرض لنوبة عارمة من الشك حبست لسانه فى حلقه وألجأته إلى صومعته الموحشة حتى إذا سطع نور اليقين على فؤاده أصدر كتابه (المنقذ من الضلال) فكان آية الآيات فى قوة اليقين وسلامة الاعتقاد ، والفرق بين الرجلين واضح بعيد ، ولكننا نقرن شكا بشك ويقينا بيقين .

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بمعهد المعلمات بالفيوم

رائد الفضاء

للأستاذ محمد محمد خليفه

حدث يا رائد الفضاء لعل حديثك يهدى السادرين فى ظلمات الحيرة الغارقين بين متاهات الشكوك والظنون ، إلى الحقيقة التى هوتك معالمها فى الفضاء . ، إلى الحقيقة التى أذهلتك حين شاهدت الأرض معلقة وليس هناك مايحملها وكل ما حولها فراغ ... فراغ .

إلى الحقيقة التى جعلتك تسأل نفسك فى دهشة ترى ما الذى يبقيها هكذا معلقة هناك .

إلى الحقيقة التى فوق طاقة الدنيا وما فى الدنيا ومن فى الدنيا . حقيقة القادر الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا .

حدث يا رائد الفضاء عن الكرة الأرضية : عن جبالها ووديانها وبحارها ، وعن ظلها الذى عشت فيه ساعة من الزمن وعن المحيطات الشاسعة التى تتخللها وتحيط بها ثم عنها جميعها وهى معلقة فى الفضاء كما نشاهدها على (الخريطة) ثم سل المنكرين معى ا قدرة مَن تلك التى جمعت اليابس والماء وجعلت منهما كرة معلقة تدور فى هذا الفضاء ؟ .

وأية قدرة هذه التى أمسكت الماء فلم يطغ على الأرض حين دورانها وصانت الأرض فلم يحطم الماء على الأحقاب صخرها ولا أذاب ترابها ؟ فإن طلبوا الجواب فقل لهم : إنها القدرة التى فوق كل قدرة . إنها قدرة الله .

لقد شاهدت الأرض بعد احتجاب أشعة الشمس وأحسست بالجمال : جمال المنظر وجمال الألوان وجمال المشهد نفسه ، فقل لمن يجحد الصانع الحكيم : إن هذا الجمال الذى يشاهد فى المنظر والألوان والمشهد أسمى وأعظم من أن يصنعه البشر وإن طبيعته تشير إلى صانع تولت قدرته إبراز المناظر فى صور تذهل اللب وتسحر الناظر ، وكيف لا وذلك الجمال من صنع الله ؟ .

ورأيت الأرض تسبح فى مدارها مقيدة بفلكها لا تخرجها عنه غضبة الطبيعة ولا يؤرجحها ثوران الأنواء بل هى أبداً تبدو ساكنة لا تحس لها قلقاً ولا اهتزازاً ، فقل لمن كفر بنعمة الخالق فى جعلها ساكنة وهى جياشة هادئة وهى دائرة لينعم البشر فوقها بالسكون والاستقرار . إنما دبّر ذلك المدبر : من بيده ملكوت كل شىء من له مقاليد السموات والأرض .

حدث يا رائد الفضاء عن ذلك الفضاء الواسع الذى تضل فى تحديده العقول بل تعيا فيه الأوهام والظنون وقد رأيت ما حول الأرض من فراغ . . فراغ يقصر عن بلوغ

مداه علم البشر ولا يصل إلى غايته ما يصنعه من سفن وغير سفن ، فقل للتطلعين إلى ذلك الفضاء : لا أحد يعلم مداه ، إنما علم ذلك عند مَن مدَّ الفضاء ، عند العزيز الجبار ، عند الله .

ثم لماذا كانت عوالم الفضاء تنتظر خيال الشعراء وأقلام الرسامين ولا تنتظر عقول العلماء والمفكرين ليلتقوا هنالك وليسرحوا أبصارهم وليرسلوا بصائرهم تجول فيما وراء هذا الكون تستشف الحقيقة من العوالم البعيدة عن هذه الأرض التى غيرت المادة وظلماتها كل ما فيها وصرفت عن التفكير فيمن له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

لقد دارت بك سفينة الفضاء واقتربت بها من النجوم فرأيتها أكثر تألقاً وسطوعا ورأيتها معلقة كما رأيت القمر كذلك فقل للمرتابين والمشككين إن صاحب القدرة التى علقت النجوم والقمر والشمس وأدارتها فى أفلاكها بإحكام فهى لا تصطدم أبداً وهى لا تتحطم أبداً حتى يحين انشقاق القمر وتكوير الشمس وكدرة النجوم وانتثار الكواكب وانفطار السماء وزلزلة الأرض ، صاحب هذه القدرة خليق بأن تعنو له الوجوه وتؤمن به النفوس هو الحى القيوم هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

يا رائد الفضاء :

لقد بلغت بسفينتك من السمو ما لم يبلغه أحد من البشر قبلك على مثل هذه السفينة المزودة بأجهـــزة الإرسال والاستقبال والتصوير والحساب وغير ذلك وعلوت بها إلى ما عجز عنه الطيران المختلف وقضيت فى الفضاء خمسا وعشرين ساعة درت فيها حول الأرض دورات ، فحدثنا : هل رأيت تحت السماء عمداً تعتمد عليها وتصون فوقها عوالمها وهل صورت أجهزة السفينة شيئا من تلك العمد التى عساها قد خفيت على سكان الأرض ثم هل رأيت فى تلك السماء التى عملت فيها يد القـدرة البناءة شيئاً من الفطور أو التفاوت فى أجزاء ذلك البناء ؟ فإن لم تكن شاهدت للسماء عمداً ولا رأيت فى خلقها فطورا ولا تفاوتا فقل لمن وهبوا العلم حياتهم وكرسوا له جهودهم : إنكم أولى النـاس بالإيمان بهذا القادر الذى رفع السموات بغير عمد ترونها . رفـــع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها .

وقد رأيت القمر فى موضعه من الأرض والشمس ، ورأيت أشعة الشمس تنفذ إلى صفحته ثم تنعكس إلى الأرض فضية لامعة وفى ومضة تحدث حركة الاستقبال والانعكاس على البعد الذى بين الشمس والقمر ثم الذى بين القمر والأرض فمن ذا الذى جعل فى أشعة الشمس ذلك النفاذ وفى صفحة القمر الاستقبال والانعكاس ؟ إنه الحكيم تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمراً منيراً

ولقد كنت تخشى فى رحلتك سيل النيازك ونشاط الإشعاع الشمسى ، فقد آمنتم بقوة النيازك وخطر الإشعاع الشمسى ، وآمنتم وراء ذلك بأن القوة الحرارية المودعة فى الشمس تخيف وتحرق وتدمر كل من يتطلع إلى طبقات الفضاء العليا ، فسل أولئك الذين جنحوا عن رب الشمس والقمر والأرض والسماء : من الذى خلق النور والحرارة فى الشمس ؟ ومن الذى أمد القمر بنور الشمس ومن الذى أودع القوة الحرارية الجبارة فى الشمس وجعلها فى بعد بحيث ينتفع بالطاقة التى يحتاجها الإنسان والنبات والحيوان فإن أخرسهم طغيان الجحود فقل لهم: هو الله الذى سخر لكم الشمس والقمر والنجوم.

أيها الرائد :

كنت رائد قومك إلى الفضاء ، إلى الكشف عما غاب من عوالمه عن البشرية من الأجواء والأنواء والنيازك وحالة الشمس ونشاطها الإشعاعى، فكن رائد قومك إلى خير الدنيا والآخرة ، إلى الإيمان بمن خلق السموات والأرض .

إن الأرض التى كانت معلقة فوق رأسك وأنت تدور آية من آيات الله .

وإن القمر والنجوم والشمس التى تعلقت كلها فى هذا الفضاء من آيات الله وإن الكون الذى لا ندرى مداه كله من آيات الله .

فقل لكل من نحاه العناد عن التفكير فى الحق : إنى ما رأيت الله ولكنى رأيت آياته البينات التى تشير إليه والتى تنطق بأن هنالك قوة أعظم من النجوم والقمر والشمس والسماء ، هى القوة الخالقة ، وأن هذه القوة تتحكم فى كل ذلك وتدبر وتدبر كل ذلك .

وصاحب هذه القوة خليق بأن يدين له الكون ومن فيه، وخليق بأن يؤمن به الناس لأنه رب الناس ملك الناس .

أيها الرائد الذى تجرد حينا من ظلمات الأرض حين رآها معلقة لا يحملها شىء فسأل ما الذى يبقيها هكذا ليمسك بأول خيط الحقيقة ، قل لقومك ما قاله أعظم رائد عرفته الأرض والسماء حين راد قومه إلى الله فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ... إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ... يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات .

أيها الرائد :

قل لرواد الفضاء الذين ستنطلق بهم السفن بعد : تتبعوا هنالك الآيات وأرسلوا عقولكم وراءها تستجلى الحقيقة التى تطل من كل آية على الألباب التى تخيم عليها ظلمات الجحود أو التقليد ثم عودوا إلى عالمنا فهزوا موجات الأثير بصيحات الحق : الله أكبر، الله أكبر؟

محمد محمد خليفة
المدرس فى الأزهر

الوحدة العربية فى شعر الرصافى

للأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم

شاء الله للرصافة الواقعة شرقى دجلة فى بغداد أن تسمو مكانتها بشاعر عربى حر يحمل اسمها وضاء يرف سناه فى كل مكان بنور الحرية والعروبة ، إذ بها شاعرنا العربى « معروف الرصافى » .

والشاعر الصادق إنسان شفاف الإحساس حاد الذكاء قوى الإدراك يحب لأمته الخير يرجو لها النهوض والتقدم ويدفعها إلى اعتناق المثل العالية وإلى العمل على تحقيق الغايات السامية . وشاعرنا فى طليعة فحول الشعراء الذين ضربوا بسهم وافر فى التحلى بهذه المفاخر جميعها .

وللشعر عين لو نظرت بنورها - إلى الغيب لاستشففت ما فى بطونه . والعبقريات الفذة والنفوس الطلعة تعرف مقدار ما للإنسانية من سمو واحترام ، وتعرف أن الله خلقها حرة طليقة فى هذا الوجود ومن حقها أن تتنسم عبير الحرية وتستظل بأدواحها الوارفة وتتنقل بين أفنانها النابضة بالحياة وتعبر عن وجودها فى قوة وثبات .

وبمقدار حب النفوس للحرية وتعطشها لرحيقها نرى قوة الدفاع عن حياضها والدعوة إلى رحابها . وقد أشرقت روح الحرية والقوة واضحة جلية أخاذه فى شعر الرصافى فقد حمل علم الثورة على أعداء الحرية والعروبة فثار على الحدود المصطنعة والخطوط الوهمية التى رسمها الاستعمار بدسائسه وفتنه وغدره ليجعل منها حاجزاً منيعا وسوراً حديديا بين أمم العروبة التى يجمعها لسان عربى مبين .

والمتصفح لديوان الرصافى يجد تحمسه القوى ودعوته الحارة للوحدة العربية فى كل مناسبة وأنه لم يمل العزف بهذه النغمة الحبيبة . وتحريك ذلك الوتر الحساس فى وقت كان فيه الاستعمار له سطوته وصولته يتحكم بها فى الشعوب ولغاتها وأرزاقها . وقد رأينا من جراء هذا الاستعباد الاستعمارى وتفرقته بين الشعوب كثيرا من الشعوب الإسلامية وزعمائها ، ولغتهم القرآن العربى المبين ، لا يستطيعون التحدث بالعربية لأن الاستعمار فرض عليهم لغته وعزلهم عن أبناء جلدتهم بالاعيبه وفتنه .

وشاعرنا لا يرضى بهذه التفرقة بل يدعو إلى الاتحاد والتعاون والإخاء وإنكار الذات ونسيان الأحقاد والفوارق الدينية فى سبيل رفعة العروبة ووحدتها .

فيقول :

إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة
لسان ، وأوطان ، وبالله إيمان
فأى اعتقاد مانع من أخوة
بها قال إنجيل كما قال قرآن . ؟
تمسكم إلى المجد المؤثل تغلب
كما قد نمتكم للمكارم غسان
فلا تنكروا عهد الإخاء وقد أتت
تصافحكم فيه نزار ـ وعدنان
أجب أيها الندب المسيحى مسلما
صفا لك منه اليوم سر وإعلان
ألا فانهضا نحو العلا وكلا كما
لصاحبه فى المأزق الضنك معوان

والنهضة الحقيقية عند الشاعر هى التى تضرب خيامها البيضاء على مغانى العروبة جميعها وتشرق فى سمائها الصافية وحدة أساسها الإيمان والإخلاص والأخوة والتضامن لرفعة العروبة .

سننهض للمجد المؤثل نهضة
يقربها «حوران» عينا و «لبنان»
وتعتز فى أرض الشآم دمشقها
وتهتز من أرض العراقين بغداد
وتطرب فى البيت المقدس صخرة
وترتاح فى البيت المحرم أركان
وتحسن للعرب الكرام عواقب
فيحمدها شيخ ويشكر مطران

شاعر العراق يبايع مصر بالقيادة :

وشاعرنا مؤمن بالعروبة والوحدة الكبرى أمر طبيعى ، فلا بد أن تشرق شمسها وضاءة المحيا فى يوم من الأيام ، وكأنه كان يستشف بذكائه وشاعريته أحداث المستقبل المشرق فهو يسلم لواء القيادة لمصر تاج العروبة

إذا العروبة حلت عرش دولتها
فمصر تاج لها قد صيغ من ذهب

والشاعر الرصافى يدين لمصر بالحب والولاء يزف لها التحايا متصلة ويترجم لغة الأمواج فى دجلة والفرات بأنها تحية للنيل رب الشعر والخطب ، ومصر تاج العروبة يصاغ لها من أندر المعادن وأكرمها ، قامت بها دولة السيف مثل دولة العلم منذ طلعت شمسها فى الشرق عند الفتح الإسلامى من أفق الفسطاط :

منى إلى مصر ذات المجد والحسب
تحية ذات ود غير مقتضب
تدلى بها دجلة اللسناء عن مقة
منها إلى النيل رب الشعر والخطب
إذا العروبة حلت عرش دولتها
فمصر تاج لها قد صيغ من ذهب

كم قام للمجد فى أرجائها علم
تهفو ذوائبه بالعلم والأدب
قامت بمعترك الأسياف دولتها
من قبل معترك الأقلام والكتب
من أفق فسطاطها فى الشرق قد طلعت
شمس إذا غاب قرص الشمس لم تغب
إنى أرى مصر والتاريخ يشهد لى
تحيا بعرف بها من منتضىً العرب
يمت للعرب ماضيها وحاضرها
بنسبة غضة فى المجد والحسب

وشاعر الوحدة العربية يعيش بقلبه ونفسه وسط أحداث العروبة وبلدانها فتراه يصدح ويحلق فى أجوائها ، ونحن هنا نذكر طرفا من أشعاره كنماذج للثروة الضخمة التى حلى بها جيد بلدانها .

الجزيرة العربية :

يتحدث الشاعر عن الجزيرة العربية مشرق صاحب الرسالة وحامل لواء الوحدة الشاملة الذى غمر العالم بأضوائه الربانية ووحد بينهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا :

كفى الجزيرة فخرا من مفاخرها
قبر أناف بها قدرا على الشهب
قامت بصاحبهم للعرب نهضتهم
تذكو بعزم لهم كالنار ملتهب
قد وحدوا الله عن علم فوحدهم
روحا تخيلوا لأم كلهم وأب

إذ أصبحوا كبنى الأعيان تجمعهم
لله وحدتهم فى كل مطلب
ما كانت الناس فى أيام دولتهم
إلا سواسية فى الحكم والرتب
من أجل ذاك الرعايا فيهم اندمجوا
مستعربين وما كانوا من العرب

طرابلس الغرب :

وهى العاصمة الثانية للملكة الليبية المتحدة التى تضم تحت لوائها ثلاث ولايات : برقة ، وطرابلس الغرب ، وفزان . وطرابلس مدينة جميلة مشيدة البناء بها كثير من الآثار التاريخية تقع على ساحل البحر الأبيض ولها تاريخ مجيد فى الكفاح والبطولة ولقد لمست فى أهلها الأخلاق الكريمة وحبهم العظيم لمصر وقائدها الزعيم جمال بطل العروبة ولقد شهدت هذه المدينة المعارك الدامية منذ سنة ١٩١٢ ضد الاستعمار الطليانى وشاعرنا يسهم فى المعركة بشعره فيقول :

لك الله يا قتلى طرابلس التى
بها حكم الطليان أسيافهم غدرا
أداموا بها قتل النفوس نكاية
إلى أن أحالوا كل بيت بها قبرا
ولما أحاط المسلمون بجيشهم
فعاد الفضاء الرحب فى عينهم شبرا

تقهقر يبغى فى البلاد تحصنا
فقربها من خشية الموت[1] واستذرى

تونس :

وشاعر العروبة يشعر بأواصر المحبة والصداقة بين بلدان العروبة ومغانيها التى تجمع بينها روابط قدسية توحد بين صفوفها رغم التيارات السياسية المفتعلة التى لا ثبات لها أمام قوة الحق :—

أتونس إن فى بغداد قوما
ترف قلوبهم لك بالوداد
ويجمعهم وإياك انتساب
إلى من خص منطقهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلا
نواصع آية سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قربى
وإن قضت السياسة بالبعاد
وإن المسلمين على التآخى
وإن أغرى الأجانب بالتعادى
يحييــك العراق برافديه
تحية مخلص لك فى الوداد

وقفة أمام بطل الوحدة صلاح الدين الأيوبى

يدعو الشاعر العرب ليحيوا بطل العروبة صلاح الدين الأيوبى وهو بذلك إنما يدعوهم للوحدة والتكتل فى وجه الغرب .

[1] استتر واختبأ .

خليل قوما بى نطأطئ رءوسنا
إلى جدث تعنو لمن ضم أجيال
لدى الجدث الفرد الذى فيه قد ثوى
من الملك الفرد ابن أيوب رئبال
حنانيك يا قبر ابن أيوب فانصدع
لينهض ثاو فى مطاويك مفضال

الوحدة العربية طريق الفلاح :

وعند الرصافى أن الطريق العملى لنجاح العرب وفلاحهم هو السير قدما فى ضوء الوحدة العربية وأن من العار الاستسلام للتفرقة التى منيت بها بعض دول العرب مخالفة بذلك الطريق القويم والتعاليم السماوية :

لا تكتفوا بافتخار فى أوائلكم
فنشوة الخمر لا تغنى عن العنب
بل فانهضوا للمعالى مثل نهضتهم
واستعصموا باتحاد محكم السبب
كانت أوائلكم فى وحدة تركت
أعداءهم قددا فى قبضة الرهب
سلوا بذلكم اليرموك واديه
فإنه بسوى ما قلت لم يجب
عن خالد بطل الأبطال يخبرنا
إذ فل جيش العدا بالقتل والهرب
والقادسية عن سعد محدثة
بقتل رستم رب العسكر اللجب
إذا علمنا بأن النصر طالعهم
من أفق وحدتهم ، لم يبق من عجب

الحسينى عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق الدينى

الفقه في الدين أمان من الزلل

للأستاذ علي العماري

من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، هذا حديث نبوي كريم ، وهو من أصدق الكلم وأنفعها ، وأحقها بأن يتمثله المؤمن في كل صباح ومساء ، حتى يحقق لنفسه الخير ، ويضمن لعقيدته السلامة ، ولعمله القبول .

وإذا كان الدين ضرورة لازمة لحياة الفرد ، ولحياة المجتمع الإنساني بأسره حياة سعيدة كريمة ، فإن فهم الدين على حقيقته أكثر لزوما . وما ابتلى العالم الإسلامي بشيء أشد من ابتلائه بفهم الاسلام فهما سطحيا ساذجا ، ولو أن بعض المسلمين ممن فاتتهم الدراسة العميقة وقفوا عند علمهم ، ورجعوا إلى أهل العلم في المشاكل الدينية أو حاولوا أن يستكملوا ما نقصهم ، ثم تصرفوا وكتبوا على قدر ما يعرفون لأمنا كثيرا من الأخطاء .

والناس - إلا قليلا - أحرص على سلامة أبدانهم منهم على سلامة أديانهم ، ولو تعهد المؤمن دينه كما يتعهد أي شأن من شئون دنياه لمشى على الماء ، ولكن أمر الدين من الهوان عند بعض الناس إلى حد أنه يقول فيه بغير علم ، ويتقحم على الفتوى بغير اكتراث .

ونحن لم نقل أبدا : إن دراسة الدين قصر على طائفة دون طائفة ، ولا إن في الإسلام كهنوتا كما يحلو دائما لبعض الناس أن يتقولوا على رجال الدين ، وهي تهمة اعتاد العابثون بتعاليم الإسلام أن يلقوها في وجه كل عالم يريد أن يردهم إلى الصواب ، أو يحاسبهم الحساب على ما يقترفون من نكر حين ينشرون في كتبهم أو في مقالاتهم ما لا يتفق ونصوص الدين .

قال مؤلف مرة في أحد كتبه : إن ضرب الرجل زوجته من شريعة الغاب ، ولما قيل له وماذا تقول في قول الله تعالى : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن » هل يكون تشريع الله وحشية وافتئاتا على حقوق الإنسان ؟ لما قيل له ذلك صاح: لا كهنوت في الإسلام، كأنه يريد أن يقول دون أن يجد من يقول له أخطأت ، ومن يدعو إلى رده إلى الصواب حتى لا يفسد عقائد الآخرين ، والناس في كل عصر وفي كل مصر يقفون في وجه كل

من يحاول أن يفسد على الناس شئون حياتهم، فكيف ينكر على العلماء أن يقفوا فى وجه من يحاول أن يفسد على الناس دينهم ؟!

ولا أدرى لماذا يلجأ الناس إلى كبار الأطباء ليعالجوا أمراضهم الجسمية ، ولا يلجأون إلى كبار العلماء ليعالجوا أمراضهم الروحية ؟ ولماذا يتحرج صغار الأطباء من إجراء عمليات جراحية خطيرة ، ويحيلونها على أساتذتهم ، ولا يتحرج أصحاب الدراسات الضحلة فى الدين من القول فيه بغير علم ؟ .

إننا نؤمن بأن دين الله للجميع ، وأن علوم الدين حرم مباح لكل من يريد أن يوسع دراسته الدينية ، ولكننا نقول مع ذلك إن القول فى الدين يحتاج إلى تخصص ، وإلى دراسة عميقة واعية متأنية ، وإنه ليس من حق كل من قرأ آيات من القرآن ، ونظر فى بعض كتب السنة أن يقول ما شاء .

إن بعض العلماء السابقين كانوا - مع طول دراستهم فى علوم الدين ، وصحة أفهامهم - يتورعون فى كثير من الأحيان عن الفتوى ، ويحجمون عن تولى القضاء ، وكان العالم منهم إذا أخطأ فى فتوى أعلم الناس بخطئه ، ولم تأخذه العزة والكبرياء أن يقول : إنى أخطأت ، وقد حدث أن أفتى العز بن عبد السلام - وكان يلقب بسلطان العلماء . أفتى رجلا فى أمر من أمور الدين فلما رجع إلى كتبه تبين له خطأ فتواه ، فأمر من ينادى فى مصر والقاهرة ، من أفتاه العز بكذا فلا يعمل به ، فقد أخطأ .

أما نحن فكل إنسان يدعى لنفسه الحق فى الحديث عن الدين ، وعن أصول الشرع ، وإن لم يكن له باع قصير أو طويل فى الدراسات الإسلامية .

وسأضرب أمثلة من هذه (التورطات) لنرى إلى أى حد تجنى الجراءة على دين الله على أصحابها ، وعلى المجتمع .

مسألة الفقر والغنى مسألة عالجها الإسلام معالجة صريحة واضحة ، ولا يوجد إنسان فيه معنى الإنسانية ، ولا يوجد مؤمن صحيح الإيمان ينكر على الفقير حقه فى مال الغنى ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما آمن بالله من بات شبعان وجاره بجواره طاو » .

وقد شرع الإسلام وسائل كثيرة بعضها عن طريق الإلزام وبعضها عن طريق الاختيار تكفل للفقراء حقوقهم ، وتوفر لهم أقواتهم وأقوات من يعولون ، ولم يتوان أحد من رجال الإسلام المخلصين لدينهم فى تنفيذ هذه السياسية الإسلامية الرشيدة وقد شن أول خلفاء الإسلام حربا ضروسا كان سببها الأول منع الزكاة وقال فى ذلك قولته المشهورة : « والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه » .

وجرى كبار الصحابة على هذه السنة ، وعمل فقهاء المسلمين على وضع الأسس السليمة فى هذا الشأن ، وخلاصتها : أن المسلمين لو عملوا بتعاليم دينهم على وجه مرض لما وجد فقير يشكو الحاجة .

كل هذا نحن نؤمن به ، وندين الله عليه ، ونود - دائما - أن تنفذ أحكام الإسلام حتى يتحقق للمجتمعات الإسلامية ما كفله لها الإسلام من عيشة راضية طيبة ، وحياة رغدة سعيدة .

ولكن للمسألة وجها آخر ، ذلك أمر يتصل بالعقيدة ، فنحن - المسلمين - نعتقد أن كل شىء من الله ، ونؤمن بما تضمنه هذا البيت ، وهو مشهور فى كتب العقائد .

وكل شىء بقضاء وقدر

وكل مقدور فما عنه مفر

نحن نؤمن بهذا ، فالصحة والمرض والغنى والفقر ، والذكاء والبلادة ، كلها مقدرات من عند الله وفى القرآن الكريم آيات كثيرة صريحة تدل على هذا المعنى ، ومنها قوله تعالى : (وأنه هو أغنى وأقنى) وقوله تعالى : « له مقاليد السموات والأرض ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شىء عليم » . وقوله تعالى : « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » ، وقوله : « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

فهل بعد هذا يحملنا التحمس لإعطاء الفقير حقه أن نقول : إن شيئا فى هذه الحياة ليس من الله ، وإنما هو أمر صنعه الناس ، ووضعوه فى أذهان الفقراء ، فننكر بذلك نصا صريحاً فى كتاب الله .

إن الله الذى قال : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً » أمر فى الوقت ذاته هؤلاء الأغنياء أن يعودوا بفضل ما لهم على الفقراء . وأمر الحكام أن ينظروا فى مصلحة الرعية ، وأن يأخذوا من أغنيائها ليردوا على فقرائها فلا منافاة بين بين قضيتين ، الله هو المقدر للغنى والفقر ، وهو الذى جعل الناس طبقات ، وبين أن يأخذ كل إنسان حقه من مال الله الذى فى أيدى الأغنياء ، وإذا وجد من الناس من غفل عن إحدى هاتين القضيتين فينبغى رده إلى الصواب ، ولكن لا يكون ذلك بإنكار القضية التى يتبسط فى الحديث عنها ، وإنما يكون بوضع القضية الأخرى بجانبها ، وبذلك تسلم للمؤمن عقيدته ، ويؤدى حكم الله كما نزل ، فإذا وجد من أشباه العلماء فى القديم أو فى الحديث من ذل للطبقات المستعلية وأخذ يمينها على استعلائها وجبروتها ، ويخدر

الطبقات المستدنية ، ويفهمها أن حالها لن تتحول ، فالإسلام برىء من هؤلاء ، لأن الله الذى قدر المرض أوجد الدواء للشفاء منه فالمرض مقدر والبحث عن الدواء مطلوب .

ومثل آخر :

القضية المعروفة عندنا فى الإسلام أن الآخرة خير وأبقى ، وأن رحمة الله خير مما يجمع الناس من الأموال ، وأن الغاية من كل عمل يعمله المسلم الصادق الإسلام إنما هى طلب ما عند الله من الثواب ، وبذلك جاء الإسلام ، ونصوصه صريحة واضحة ولكن كاتبا ـ لا أسميه ـ أخذ يعيد ويزيد ليفهم القراء أن « الدنيويات مفضلة على الأخرويات ، وإن قلنا بغير ذلك « تخلفنا عن ركب الحضارة وانحدرنا وانحدر الإسلام معنا إلى حيث لا يكون شيئا ، و « أن الدنيويات المباحة المطابقة لروح الإسلام سابقة فى الأفضلية على الأخرويات » .

كل هذا كلام لا يتفق ونصوص الإسلام ، ولا يتوائم مع روحه ، فالله سبحانه يقول : « فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » ويقول مخاطبا رسوله الكريم : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير مما يجمعون » ونصوص أخرى كثيرة .

والعمل للدنيا واجب ، وهو فى طبيعة الإنسان ، والعمل للآخرة واجب كذلك ولكن الآخرة خير من الأولى ، والمسابقة يجب أن تكون إلى مغفرة الله ورحمته ولينظر من يشاء فى هذه الآيات : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان،وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء،والله ذو الفضل العظيم » . « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » وكيف يكون القول بأفضلية الآخرة على الدنيا انحدارا بنا وبالإسلام إلى أن يصبح لا شىء . هذا عجيب ! .

ونحن حين نلتمس لأعمالنا سندا من نصوص الإسلام أو من روحه إنما نريد أن يطمئن المسلم إلى هذه الأعمال ، ولا ينفر منها ، واطمئنان الناس إلى أى عمل هو الدعامة الأولى لنفعه وبقائه ، فلا ينبغى أن نلجأ إلى التخيلات لنؤيد بها أعمالنا ، وقد قلت : إن للإسلام وسائل كثيرة لإيصال حق الفقير إليه ، وهذه الوسائل بين أيدى

العلماء والدارسين ، ولكن كاتبا أراد أن يشرع لنا تشريعا جديدا.فأضر بذلك القضية أكثر مما نفعها لأنه بناها على كليات استنبطها هو . وهذه الكليات تحكم الفطرة فى حدود تتسع لما يمكن أن يبلغ الإنسان من تطور فى حالات حياته ، وأول هذه الكليات أن الإسلام قد جعل من أجل الإنسان ، ولم يجعل الإنسان من أجل الإسلام ، وإذن فكل إصلاح اجتماعى أو تشريعى تقوم الدلالة المادية على أنه من صالح الإنسان يكون بذلك من روح الإسلام » .

أليس هذا كلاما غريبا ؟ مصادر التشريع عند ناهى:الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولا نعرف أحدا أقر أن يفتى أحد دون أن يعرف هذه المصادر ، فضلا عن معرفته بوجوه المتشابه .

فمن أى مصدر من هذه المصادر أخذ الكاتب فتواه هذه ؟ مصلحة الإنسان شىء جميل ، ولكن من يقدر هذه المصلحة ، أظن أن المصلحة كانت مكفولة فى كثير من الأنظمة القديمة التى لا تمت إلى الإسلام بصلة . وإذا شاء قائل أن يقول : إن الدلالة المادية تقوم على أن مصلحة الإنسان فى الشيوعية كان معنى ذلك أن الشيوعية من روح الإسلام ، وإذا أراد آخر أن يقول: إن مصلحة الإنسان فى الرأسمالية ، ويقيم الدليل المادى على ذلك ، كانت الرأسمالية من روح الإسلام . وهكذا تجمع روح الإسلام بين نظامين اقتصاديين متناقضين .

* * *

ولا أدرى لماذا يتعرض الإسلام لحملات ظالمة من بعض الكتاب،إلا إذا كان الغرض من ذلك أن نترك هذا الدين ، أو نترك تعاليمه مع أنه ليس فى تعاليم الدين ما يحول دون أى إصلاح اجتماعى معقول ، ولكن يحلو لبعض الناس أن يرى الإسلام بالجمود والتخلف ، ويرى علماءه بالانحراف عن سواء السبيل ، فهذا كاتب يهذى ويقول : إن الشعور الدينى من أكبر الدعائم التى يعتمد عليها كل انتكاس وطنى واجتماعى خطير ، وطبيعى أن يقذف الأزهر ، وهو المربى لهذا الشعور الدينى ، بعوراء منكرة فيقول : والتعليم الأزهرى صورة منحرفة من صور استغلال الدين والاعتماد عليه كأداة لتعطيل التطور ، بل يرمى التراث الإسلامى بكلمة نكراء فيقول : إن التراث الإسلامى نشأ فى أحضان حكام ظالمين .

أى جهل هذا ؟ وأى تجن على الحقائق ؟ أنا لا أعرف خلطا وخبطا مثل هذا إن لعلماء الإسلام السابقين الذين وضعوا التراث الإسلامى مواقف جليلة فى خدمة البشرية ، والذى يقرأ كتبهم يوقن بأنهم وضعوا أدق

(البقية على صفحة ٧٣٢)

فريضة الصلاة تطهير للنفس

للدكتور محمد غلاب

سنتحدث فى إلماعات عاجلة عن الحكمة والحقيقة والعدالة والسكينة والنبل الخلق الذى بلغ حد الكمال ، وقد يبدو غريبا - إن لم يكن داعيا إلى السخرية فى هذا العصر - أن يتحدث المرء عن هذه المبادئ الرفيعة وأن يدعو إلى السكينة الروحية فى وسط هذا القلق النفسى الذى يكتنف العالم ، وذلك الشقاء المعنوى الذى يحدق به إحداق السوار بالمعصم . أو أن يتحدث عن العدالة المثالية فى وسط ذلك الخضم الدولى المائج بالمظالم ، المفعم بالأنانية والوحشية والطغيان . ولكن رسالتنا فى هذه الحياة تحتم علينا ألا نغفل أى مبدأ من هذه المبادئ السامية لنحارب أضدادها بكل ما أوتينا من قوة ، وإلا جارينا غيرنا من أهل العصر فى الاستهتار ، أو فى الإغضاء عن الرذائل ، أو فى الاكتفاء بالسخط القلبى عليها ، وهو أضعف الإيمان ، قد يأخذ علينا البعض أننا نعنى بالمبادئ الرفيعة فى عصر بل فى عالم أصبحت الأكثرية الغالبة من أهله عملية بل مادية ، وأن نصائحنا ستذهب صرخة فى واد أو نفخة فى رماد ، وأن الناس فى وسط ضوضاء هذه المدنية الصاخبة ، لن يستجيبوا لنا ، وأن الحكمة تقضى علينا بأن نشغل بشئ مثمر بدلا من هذا العبث المحقق وأن نعنى بأمر منتج كمعالجة الآلام المادية للفقر والمرض مثلا فإن نتائج جهودها أسرع ، وثمار العمل فى حقولها أنفع ولكن هذا خطأ ، فاقتناص الثمرة العاجلة ليس من الحكمة دائما إذ أنه عندما يهدد النهر مثلا قرية من القرى فإن ارتقاب الثمرة العاجلة يقتضى من أهل تلك القرية سرعة إنقاذ أمتعتهم من طريق الفيضان . بينما أن الحكمة أو الإذعان للمبادئ العالية يتطلب منهم أن يتجهوا فورا إلى التعاون والتضافر على تقوية الحاجز العام الذى يقى قريتهم وغيرها من قرى الدولة ، من الغرق . وإذن يجب أن تتجه الآمال نحو المبادئ العاليـــة ، وصوب صالح الجماعة ينبغى أن تسير كل الجهود متكاتفة متعاونة مبتدئة من تعاليم السماء ، منتهية إلى تطهير المجتمع من أدوائه الخلقية ، وذلك لعمرى أخلد المجهودات ، وأنفع الثمرات ، وقصوى الغايات وعليا السعادات .

ليس لهذه الكلمات هدف آخر غير دعوة

ذوى الاستعدادات الصالحة ، والنيات الصادقة ، والمقاصد الخيرية إلى التنقيب عن أصول الفضائل النفسية العظمى التى نبعت من مبادئ الإسلام الفطرية ، والتى توجد عناصرها فى الكتاب الكريم والسنة الغراء ، والتى برزت للعيان فى تلك المبادئ الرائعة وهاتيك الشعائر الساطعة ، وإلى التأمل فى دلالاتها التى تنتهى حتما إلى مضاعفة القوى الأمينة التى لا تقبل الفساد ، ولا يلحقها الدنس ، والتى إذا غذيت بالتأمل تمت لها السيطرة على الحياتين الباطنية والظاهرية .

وبيان هذا أن النفوس البشرية فى أمس الحاجة إلى الهدوء والسكينة ، لأن ضجيج الحياة المادية وعجيج الرغبات الحسية وصلصلة أصوات الأثرة والأنانية ، تجفف النفوس ، وتجعلها أشبه الأشياء بالأرض الفاحلة المقفرة فى نهاية الصيف القائظ حيث تكون فى أشد حالات الافتقار إلى الماء الذى يعيد إليها حياتها وخصوبتها . ومن ثم فإن تلك النفوس قد أصبحت دائبة التطلع إلى المثل العليا التى تقدم إليها هذه المعونة اللازمة لسكينتها التى فقدتها فى وسط تلك الضوضاء الحيوانية . ومن ثم أيضا كان كل ما يعينها فى العثور على طريق هذا الملجأ الخفى ، ويقدم إليها مفاتيح سر الحياة الباطنية ، هو الذى يحقق لها تلك السكينة المنشودة ، وهناك فقط تستطيع أن تظفر بالاعتدال والانسجام والثراء الخلقى الذى هو وحده الوسيلة المثلى التى ترفع الإنسانية ، لأن التقدم الحقيقى هو تقدم النفس لا تقدم الجوانب الدنيا فى الإنسان . ولا غرو فتلك المبادئ الإسلامية التى سنمر بها معك ، كانت كلها منابع طهر وسمو ونور ظهرت فيها عناصر الفضائل الخلقية والفوائد الاجتماعية على يدى ذلك النبى الجليل الذى كان بريد الرحمة السماوية التى أنقذت البشرية من أدوائها وأقالتها من عثراتها ورسمت لها طرق سعادتها وهنائها .

ومن الوسائل التى أراد الله بها السعادة للمسلمين تلك الفرائض التى أمرهم بها أمر المستغنى الذى لا يناله شىء من تلك العبادات وإنما أمرهم بها لتطهيرهم وتسييرهم نحو المثل الأعلى فى الكمال كالصلاة التى سنتحدث عنها اليوم والتى كان لها فى فجر الإسلام أثر رائع يتبينه الباحث فى تاريخ هذا الدين واضحا جليا .

فى ليلة المعراج التاريخية الساطعة فرضت الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ إنما هى التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والتى لو لم تنتج هذه النتيجة لم يزدد فاعلها من الله إلا بعدا ، والتى ليست مجرد حركات ظاهرية لا روح فيها ولا حياة إذ لو كانت كذلك لكانت عبثا رخيصا يترفع عنه أقل عقلاء البشر

فضلا عن أحكم الحاكمين ، الذى ليست قصوى حكمة الحكماء إلى جانب حكمته سوى قشور أو طفولة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وإنما مرماها الحقيقى هو ألا يهمل الإنسان نفسه تتيه فى ضلالات المادة ، وتنغمس فى بحار الرغبات الدنيا غافلة عن ربها وضميرها متناسية مبدأها ومصيرها .

ومن هذا يبدو أن من أبسط التعريفات التى يمكن وضعها للصلاة هو إدامة التفكير فى النفس ، ووزن مقادير اقترابها من خالقها وابتعادها عنه بسبب مزاولتها للفضائل والرذائل ، والثقة بأنها تمثل خمس مرات فى اليوم بين يدى من : « يعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » .

ولا ريب أن هذا المثول المتكرر بين يدى الله يحفز أقسى القلوب ، وأجف النفوس إلى الشعور بسلوكها والخجل من آثامها ، والندم على ما فرط منها من ذنوب وسيئات ، والتصميم على عدم العودة إلى مخالفة هذا الإله الأعظم الذى سيمثل بين يديه فى الصلاة الآتية بعد قليل . وبهذا يظل نحو ربه على ذكر دائم لا يعتوره النسيان رغم تلك الفوضى النفسية الناشئة عن ضوضاء المادة ، وضجيج الرغبات وتلك أولى مراتب الطمأنينة والسلام.

وبعبارة أوضح موضع طريق الفوز والنجاة ، وعلى أثر وصول المؤمن إلى هذه المرتبة تبدأ درجات صعوده نحو الكمال . وفى الحق أن هذه الدرجات التى تحققها الصلاة الحقة للمصلين الذين يبتغون وجه الله وحده ، ليست بالشىء الهين إذا تأملنا فى أولئك الذين لا يراقبون أنفسهم ، ولا يعنون بتطهير أرواحهم من أدناس الرغبات المحظورة ، ولا يحاولون الاعتدال فى الأنانية ، أو فى حب الظفر بأكبر قدر ممكن من أعراض الحياة إذ نحن نعرف أولئك الذين لا يكادون يستيقظون فى الصباح الباكر حتى يقذفوا بأنفسهم بين زوابع الحيـــاة العملية التى لا تكترث بالمعنـويات ، ولا تعنى بأوامر السماء ، ولا تلتفت إلى أى جانب من جوانب الحياة الروحية التى هى أولى مميزات البشرية عن بقية الكائنات الأخرى ، بل هم ينتقلون من عمل إلى عمل ، ومن موضوع إلى آخر انتقالات سريعة بل مشوبة بالحدة والعنف كأنهم آلات ميكانيكية ليس للعقل فيها مجال إلا بالقدر الذى يحقق لهم النجاح والربح والامتلاك والاستيلاء بل الابتلاع الجشع الذى لا يعرف الوقوف عند حد من الحدود الفاصلة بين المباح والمحظور وعندما تتاح لأحدهم لحظة عزلة وهدوء يكون من الممكن أن يستعملها فى الاختلاء بنفسه أو فى التفكير

فى روحه ، هو يستخدمها فى تقييد ما ربحه أو فى كتابة ما عسى أن يربحه لو أنه اتبع خطة أشد حرصا ، وأكثر مكرا وأبعد خداعا ، وأدخل فى باب المداهنة والمراوغة . وفيما بين ذلك هم يأكلون ويشربون ، ويمعنون فى إشباع رغباتهم وإذا أقام بعضهم لبعض المأدبات ، فإنما يرمون من ورائها إلى أهداف تدر عليهم ما يساوى عشرات أو مئات أضعاف قيمة نفقاتها . وإذا أرهقت الجهود المتواصلة قوى الواحد منهم أسلم نفسه إلى نوم عميق شاق يتعب ولا يريح ، ويغمس النفس فى الظلام بدلا من أن ينتقل بها إلى عالم الرؤى والأحلام التى تزيل الغواشى بينه وبين الملأ الأعلى .

وعندما يرى المتأمل فى الحياة المعنوية أولئك التعساء ـ وهم فى أكثر الأحايين من ذوى المكانات العالية ـ تبدو له نفوسهم كأنها عجوز فقيرة كسيحة سجينة فى حجرة حقيرة مظلمة من حجرات قصر الحياة المعنوية المغمورة فى النور والسعادة دون أن يعنى بها أحد من قاطنيه الهانئين .

وأكثر من ذلك أن فريقا من الشاعرين منهم بهذه الحياة البائسة ، يرد على ناقديه من المتعقلين بقوله : إن سعادتى فى هذه الزوبعة المضطربة المستمرة ، وفى ذلك الهياج الجنونى ، وفى تلك الأعمال المادية التى تنبذونها وتنظرون إليها نظرات المهانة والازدراء . بينما لو لم تحدق بى لقتلنى الضجر والضيق . وكأنى شخص أطبقت عليه الهموم من كل جانب ، وأصبح فى أشد الحاجة إلى أن يتجرع الكحول ليغيب عن صوابه فلا يحس بآلامه المتوالية . ولكن ماذا ينتوى هؤلاء التعساء أن يصنعوا بعقولهم التى تقضى عليهم الضرورة بسترها عن طريق مغيبات الأعمال المادية التى لا تفتر ولا تدع مجالا للروحية التى تحقق الفوارق بين الإنسان وبقية الكائنات الدنيا .

أجل إن هذا النوع من الحياة المادية الهائجة المضطربة التى اجتاحت كثيراً من شعوب العصر الراهن ، يبدو أنها ستنتهى إلى إقامة حواجز سميكة بين الأرواح البشرية والمثل العليا ، بل إلى تكميم تلك الأرواح وحجبها نهائيا عن التأمل فى منشئها ومصيرها ولهذا فإن الإسلام ينبذ هذه الحياة البهيمية نبذا تاما . وإننا نحن نهيب بالصفوة من المهيمنين على الشئون العقلية والدينية فى الأمة ، أن يبذلوا كل ما فى وسعهم من جهود لتحقيق سيادة القوى الروحية وإعطائها القيادة والسيطرة وأن يوقنوا بأن عالما أقصيت منه الروحانيات لا يكون سوى تمهيد للحياة الجهنمية .

ومن ثم فإن تلك اللحظات السعيدة التى تحقق الصلاة فيها العزلة الباطنية ، هى المنابع

الصامتة التى تتطهر فيها أرواحنا ، وتظفر بالحزم وقوة الإرادة على تجنب الرذائل ، وسلوك سبيل الاعتدال فى الحياة المادية التى لا بد منها . وفى هذه الحالة المطمئنة تستمتع الروح النقية بالسعادة الناشئة عن الاتحاد العميق المتين مع العالم اللامرئى دون أن تفصم عرى علائقها بالعالم المرئى ثم تظل تحيا حياة مليئة بالأشعة النورانية التى تظفر بالغلبة على سلطان الرغبات فتكبح جماحها وتكرهها على الاعتدال والاتزان .

وعندما تنخفض ضوضاء أصوات الرغبات الحيوانية ، تستطيع النفس أن تنحنى على حياتها تدرسها وتتأمل فى بواطنها حيث تجدها تحتوى على مزيج من مظاهرها كالذى ينظر وهو على مقربة من النهر فيرى أمامه خليطا مما قذفت به أمواجه على الشاطىء من حقير ونفيس فينتقى منه ما يحلو له ، فإذا وقع اختياره على الحقير الضئيل أى تلك الحياة الصاخبة فكأنما اختار الرمال وإذا فضل الحياة الروحية فقد اختار التبر . وهناك فريق آخر بين بين أى أنه يقوم بالمظاهر الخارجية للصلاة ويقتصر على حركاتها الرياضية من قيام وقعود وركوع وسجود دون أن تنال من نفسه أدنى منال فلا يظفر منها إلا بالمشقة المادية إذا صح أن تكون المشقة العابثة ظفرا وفوزا . ونحن نجزم بأن المصلى الذى لا تنهاه صلاته عن آثام الحياة وسيئاتها لا يربح شيئا بل يخسر كل شىء حتى موقفه الذى كان له قبل أن يصلى إذ هو يتقهقر إلى الوراء خطوات وخطوات لأن الخالق أحكم من أن يفرض الصلاة لهذه الحركات الرياضية التى روح فيها ولا حياة وليس وراءها هدف سام ولا غاية نبيلة وهل يمكن أن يرضى أحكم الحكماء عن مصل يقوم فى كل يوم بتلك الحركات الظاهرية وهو يلغ فى الكذب والخيانة والغدر والدس والإيقاع والملق والرياء وما إلى ذلك من الآثام ؟ وهل من يجل غير الله وينظر إلى غير وجهه ، ويخشى غير سلطانه يحقق فى صلاته معنى تلك الآية الكريمة التى يرددها فى كل ركعة وهى : « إياك نعبد وإياك نستعين » . أولا يعلم أن تقديم « إياك » فى هذه الآية هو بمثابة ميثاق بينه وبين ربه يتعهد فيه بقصر تقديسه واستعانته على القوة الإلهية وحدها دون أن يعمل حسابا لغيرها ، أيا كان سلطانه بل طغيانه وهل يعتبر من المصلين هؤلاء الرؤساء الذين يحابون ويجورون . وأولئك الأثرياء وأصحاب الأعمال الذين يأكلون حقوق العمال بعد أن يستوفوا أعمالهم ويستنفدوا قواهم ؟ وهؤلاء العمال الذين يتقاضون أجورهم ويلحفون فى المزيد منها دون أن يؤدوا الأعمال بإتقان وإخلاص ؟

الدكتور محمد غلاب

العربُ في أندونيسيا

للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري

— ٢ —

إنشاء مدارس إسلامية عصرية :

بالرغم من كل ما تقدم ظل الذين يهمهم نشر الدين والثقافة الإسلامية وصيانة ذلك الميراث المقدس بهذه الأقطار ، ظل أولئك يقاومون سياسة الاستعمار والتبشير الغربيين .

إنهم عندما رأوا المدارس الحكومية والتبشيرية بدأت تجتذب أبناء المسلمين وبناتهم وتتجه بهم إلى ثقافة لا شرقية ولا غربية بل استعمارية لعينة من نتائجها بذر التحقير والاستهانة بالدين والحط من شأن العرب وما يقوم بإنشائه المسلمون من كتاتيب ومعاهد ، لقاء نشر ثقافة ومدنية غايتها المظاهر الخلابة الفارغة والتفرنج البغيض . قرر أولئك المخلصون أنه لابد من مجاراة الزمن لئلا يجرف بتياره النشء الحديث وهم غير مزودين ولا مسلحين بمناعة من العقائد الإيمانية والمبادئ الضرورية للرجل المسلم . ففتحوا المدارس على الطراز الحديث ودرسوا فيها إلى جانب التعاليم الإسلامية ولغة القرآن المبادئ النظرية في العلوم الطبيعية .

وكانت أولى المدارس هي : (جمعية خير) بجاكرتا ، ومدرسة حضرموت والخيرية بسربايا ، وشمائل الهدى بفاكالوغان ، والمدرسة العربية الإسلامية بصولو ، ومدرسة المعاونة بشانجور ، والمدرسة العربية الإسلامية بابوواغى . وقام بالتدريس فيها أساتذة أكفاء ، ومن أشهرهم : الأستاذ محمد بن هاشم ابن طاهر العلوى ، والأستاذ أحمد بن عبد الله السقاف العلوى ، والأستاذ طاهر الدباغ ، والأستاذ رباح حسونة ، والأستاذ عبد القادر بلفقيه العلوى ، والأستاذ حسن ناصر ، والأستاذ عيدروس بن سالم الجفرى العلوى . وغيرهم من العرب والأندونيسيين .

تعاون وتساند العرب المخلصون على إقامة هذه المدارس بالتكاتف وإخوانهم الأندونيسيين وبعض أفراد الجاليات الأخرى كالهنود وغيرهم .

وأخذت هذه المدارس تزدهر وتجتذب الطلاب ، وتؤتى أكلها وتتسع وتتعدد فى المدن والقرى . وشرعوا يجلبون لها الأساتذة الأكفاء من خارج أندونيسيا فقد جىء بالأستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتى السنارى السودانى من مكة ليعلم فى جاكرتا ، وجىء بالأستاذ محمد المكى التونسى ليعلم فى صولو ، وهكذا ظل العرب وحدة متماسكة ، متعاونين على العمل للمحافظة على مقوماتهم وواجباتهم نحو الدين والتربية الصحيحة واللغة العربية .

وقد نبغ من خريجى هذه المدارس طائفة يشار إليها بالبنان فى المجتمع الأندونيسى ، كالأستاذ الجنرال عمر الصنداوى الذى صار قائداً لكتيبة (سيلى واغى) فى الجيش الأندونيسى الباسل ، والحاج محمد دمياطى الذى أسس المدارس السلفية فى مقاطعة سوراكرتا بجاوة الوسطى ، والأستاذ الكبير على بن يحيى العلوى ، والأستاذ الشاعر على أحمد باكثير المقيم حالياً بالقاهرة . وغيرهم ممن لا يتسع المقام لحصرهم .

الاستعمار يحرك الشباك :

كانت إدارة مدرسة جمعية خير بجاكرتا تحت رئاسة السيد الشريف محمد بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوى أحد زعماء العرب ممن يحملون روحا إسلامية كبيرة ، كان لها أبعد الأثر فى تأسيس جمعيات إسلامية عظيمة بأندونيسيا مثل الجمعية المحمدية . فقد كانت صلات رئيسها ومؤسسها الأول الشيخ الكياهى دحلان بالسيد محمد المذكور صلات وطيدة قوية ، كما كانت نفس هذه العلاقات بينه وبين الزعيم الوطنى الكبير الحاج عمر سعيد الذى تعاون معه على تأسيس الجمعية الإسلامية الوطنية : شركة إسلام ، التى صمدت لمقاومة السياسة الاستعمارية فى مظاهرها المتعددة من سياسية ودينية وغيرها . فقد كان السيد محمد المذكور معروفا بشدة غيرته الدينية . يخطب فى الجموع المحتشدة ويلهب الحماس الدينى بين الأندونيسيين . وعليه فقد كان محسوبا له حسابه من جانب المستعمر الهولندى . وكانت بين رئيس جمعية خير هذا وبين الشيخ أحمد السوركتى وهو إذ ذاك بالحجاز اتفاقية على أن يأتى إلى جاوة ويعلم التعليم الدينى فى مدرسة (جمعية خير) ، وكان كل ذلك وتم الأمر وبوشر العمل . فرأت الحكومة الاستعمارية فى هذا زيادة توسع فى النشاط الإسلامى يتعارض مع مصلحة الاستعمار .

فما تم أن مضت أشهر من مباشرة الأستاذ السوركتى لوظيفته كمدرس ، وابتهج بذلك المشتغلون بقضايا التربية والتعليم ، حينئذ بدأت هولندة تنصب شباكها المسمومة ، فأوفدت مستشارها الدينى المستشرق سنجريك

الهولندى وهو معروف بروحه المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين يتماق للشيخ الأستاذ السوركتى بأساليبه الخلابة ويتردد على منزله فى مظهر وداعة المريد المستفيد تارة وتارة بمظهر المعجب المغرم بمفاهيمه. وازداد هذا التردد، وبدأ زملاء الشيخ السوركتى يستريبون من هذه الزيارات المتكررة مما جعل كثيرا منهم من بينهم السيد محمد بن عبد الرحمن نفسه يفاتح الأستاذ السوركتى بهذا الشأن محذرا إياه من هؤلاء المستشرقين سيما من كان منهم فى خدمة حكومتهم الاستعمارية رسميا مثل ذلك المستشار الدينى. وبدلا من أن تقل الزيارات، إذا بالأستاذ السوركتى يجعل للمستشار الهولندى أوقاتا خاصة يظهر فيها المستشرق بمظهر التلميذ الذى يريد دراسة اللغة العربية بتعمق. فساور الجميع قلق تحقق لما بدأت الخلافات بين الشيخ السوركتى وبين إدارة جمعية خير بشأن مطالبة الأستاذ بزيادة مرتبه الشهرى وبمسكن أحسن وبمبلغ معين كإعانة له على الاقتران وغير ذلك مما تضيق به ميزانية الجمعية ولم يرد الشيخ السوركتى أن يمهل كثيرا فى الأمر، بل لوح وهدد بالاستقالة، الأمر الذى تخوف زملاؤه أن يكون من بواعث التأثر بالسياسة الهولندية الخلابة. وعندما جس النبض تبين أن الأستاذ لاينوى العودة إلى الحجاز إذا استقال، فإنه رفض عرض زملائه دفع مصاريف العودة، بل قرر الإقامة بجاوة حتى بعد الاستقالة.

وهكذا كان! ثم ما مضت إلا أيام قليلة حتى انتقل إلى دار أفخم، وافتتح قسما داخليا ومدرسة للتعاليم الإسلامية واللغة العربية اتضح أن ميزانيتها تعتمد على نصيب خاص من اليانصيب الحكومى تدفعه إدارة المستشار الدينى سنجريك - الأمر الذى لم يسبق له نظير من قبل. وقد ازداد استياء زملائه والوطنيين المخلصين من الأندونيسيين لما جاء فى تصريحاته الصحفية التى أدلى بها فى الحجاز حينما أتيحت له فرصة زيارتها من امتداح وثناء على مسلك السياسة الهولندية فى مستعمراتها فى الهند الهولندية حتى ضجت الجرائد إذ ذاك بالاستياء. وبرزت أول مدرسة من نوعها فى جاكرتا فى الربع الأول من هذا القرن العشرين وسميت مدرسة الإرشاد والإصلاح.

فى تلك الأثناء نشرت صحيفة (صولواندیا) الملايوية أسئلة موجهة إلى الأستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتى تتضمن هذه المسائل:

١ — حكم مسألة: الكفاءة فى النكاح.

٢ — حكم مسألة: التفاضل.

٣ — حكم مسألة: تلقين الميت بعد دفنه.

٤ — حكم مسألة: زيارة القبور والأبنية عليها.

٥ ــ حكم مسألة : إهداء ثواب القرءاة والتهليل لروح المتوفى .
٦ ــ حكم مسألة : تأميم لقب الشريف ولقب السيد .
٧ ــ حكم مسألة : تقبيل اليد .

ولم تمض إلا أيام قلائل حتى صدر الجواب المسمى : « صورة الجواب » للشيخ الأستاذ أحمد محمد السوركتى فى كتيب صغير مطبوع ، وزع فى جميع المدن والقرى فى المساجد والدكاكين والشوارع بالمجان . وشرع بعض العلماء من العلويين وغير العلويين ، شرعوا يردون ويعترضون وينتقدون على أجوبة الشيخ التى يشم فيها الغمز والتلويح والاستفزاز ، فنهم من يجرح ويعدل رواة أحاديث استدلاله ويضعفها ويصححها ، ومنهم من يقابل بفتاوى العلماء الآخرين . ومنهم من يشير صراحة إلى الغايات والعواقب التى ترمى إليها إثارة مثل هذه المسائل الخلافية فى الوسط الإسلامى الذى يسوده الإخاء والتعاون والوئام .

استفزاز مقصود :

والحق أن العمل بهذه المسائل التى قدمت إلى الأستاذ الشيخ السوركتى كان شائعا فى حضرموت والمهجر كشىء عادى درجوا عليه منذ أجيال ، والخلاف فى حكمها الدينى معروف لا يستلزم حدة الخصومة والشقاق .

ولكن الجواب وسياقه فى صورة الجواب ، هول هذه المسائل وجعل أنها من الشرك والكفر والخروج عن الإسلام . وأن الذين يدافعون عنها قد أضلوا الأمة الحضرمية بهذه البدع وأنهم فرضوها على العامة وألصقوها بالدين ، وأن الدين برىء منهم . بهذه التهويلات والتصويرات كانت تطالعنا مجلة الأستاذ أحمد السوركتى (الذخيرة) الصحيفة الأولى لجمعية الإرشاد والإصلاح التى أسسها الشيخ فى تلك الأيام ، وانضم إلى تلك الجمعية كثير من أرباب الثراء وشبابهم بجاوة ، وصدرت بعدها مجلة (المصباح) و (الدهنا) وكانت باللغة الدارجة وعندما نشرت الاعتراضات والردود من قبل الجانب الآخر ركزت هذه الصحف حملاتها على العلويين أجمع من سلف منهم ومن خلف ، ووجهت إليهم الهجوم القاسى العنيف فصورتهم بصور الدجالين الضالين المضلين المستعبدين للشعب الحضرمى بهذه الخلافات والضلالات .

وبلغت هذه الاستفزازات إلى حد قذف الآباء والأجداد وذكر الأنساب وأن هؤلاء العلويين ليسوا من السلالة النبوية وإنما هم من مجوس الفرس . إلى غير ذلك من الفحش والسباب .

بذور الفتنة تثمر :

تأسست جمعية الإرشاد والإصلاح برئاسة الشيخ أحمد محمد السوركتى السنارى السودانى

فى جاكرتا (بتاوى إذ ذاك) ، ومن ضمن مواد قانونها الداخلى الأول مادة تنص على أن لاحق (للسيد) — وكان هـذا اللقب المصطلح عليه لا يطلق إلا على كل علوى أو منتسب إلى أحد سبطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ذاك الحين فى حضرموت والمهجر وغيرهما من الأقطار — تنص المادة: أن لا حق للسيد أن ينتخب كعضو فى إدارة الهيئة المركزية ولا فروعها — كأنهم ليسوا من المسلمين ! ثم عدل القانون أخيراً بعد أن قرروا تعميم لقب : « السيد » لكل رجل مسلم وكافر ، وأبدل هـذا اللفظ الصريح بنص آخر .

أما كان من الأجدر بالأستاذ الشيخ السوركتى والأولى به وقد أسس تلك الجمعية التى تحمل اسم الإرشاد والإصلاح الدينى أن يسلك غير هذا المسلك الوعر الذى أطاح بوحدة أبناء العروبة ؟ نعم . وما أحوج الأمة الحضرمية فى مهجرها إلى جهوده ونشاطه وعلمه ، لو سلك طريق الهدى الصحيح ويسر ولا عسر ولا نفر ، وقارب ولا فرق . .فرحم الله أمير الشعراء إذ يقول :

وإذا المعلم لم يكن عدلا مشى
روح العدالة فى الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة
جاءت على يده البصائر حولا
وإذا أتى الإرشاد من قبل الهوى
ومن الغرور فسمه التضليلا

وأخيراً تطورت جمعية الإرشاد والإصلاح عن مسماها إلى واقعها ونتائجها ، فتمخضت عن تكوين طائفة عنصرية بعد أن تكتل فيها المهاجرون والمتأخرون من الحضارم الذين واتتهم الظروف لجمعوا الأموال وأثروا بشتى الوسائل ، وهم من عرفنا تدينا وثقافة ومركزاً اجتماعياً وكفاءة . وأصبح العلويون بطبيعة الحال يمثلون هم ومن والاهم طائفة أخرى . وبات الحضارم حتى الساعة الراهنة طائفتين . هما: الإرشاديون والعلويون ورغم المحاولات والوساطات التى قدمها العلويون لإعادة توحيد الصفوف والعمل على صعيد واحد ، فإن الأمور كانت بأيدى أناس ليس من صالحهم الشخصى التصافى والاتحاد . ورحم الله الأستاذ الشاعر المرحوم أحمد ابن عبدالله السقا إذ يقول فى قصيدة أنشأها وتلاها فى حفل بمدرسة الإرشاد بصولو بمناسبة افتتاحها عام ١٩٣٨ ميلادى قال :

ليس منا من لا يريد الوئاما
أو يرى الخير فرقة وانقساما
وطن واحد ويعرب جد لـ
كل والكل يخدم الإسلاما

وهكذا نجحت سياسة الاستعمار الهولندى بواسطة المستشار الدينى المتملق ، وفعلت

سمومها مفعولها فى تفكيك عرى النشاط الإسلامى الذى وجه إلى غرس المبادئ الدينية القوية بتعاليمها فصرف إلى حملات الانقسامات والفتن فى الصفوف الإسلامية ولم يستفد من ذلك إلا المستعمر وأذنابه وزعانفه .

كان على العلويين أن يفوتوا الفرصة على المستعمر :

إن العلويين قد أخطئوا وفارقهم التوفيق لما اضطروا إلى الدفاع عن أنفسهم حينما هاجمتهم صحف الإرشاديين بكل عظيمة . فأخذت صحيفة العلويين (حضرموت) تنافح وتكافح ، وتضطر فى سبيل هذه المنافحة إلى ذكر مالهم من أعمال وأمجاد مفيدة مشرقة ... تأججت فى الجانب الآخر من أجل ذلك كوامن الكره واتقدت نيران البغضاء فزادت الطين بلة والابالة ضغثا . فجعلت هذه المكافحة والمنافحة والمقارنة الفتنة ناراً تلظى واشتد أوارها وقوبل بمزيد من الإغراق فى السباب .

ولو امتلك العلويون الضغط على عواطفهم وكظموا غيظهم وقابلوا هذه الأمور بحصافة ومرونة أكثر جدارة بمن لهم صلة نسب ودم إلى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، لربما جرت الأمور فى غير مظهرها المحزن المؤسف من التطاحن العنيف والمهاترة العلنية التى تطورت وخرج الأمر فيها من القول إلى الفعل ، حينما بدأ الإرشاديون فى إراقة دماء العلويين ، فهوجم شيخ من أسرة آل الحداد يوما إثر خروجه من المسجد وقتل ، وهوجم عدد من العلويين فى مسجد بقرية (بندووسو) بجاوة الشرقية فى المسجد وهم فى صلاتهم فى شهر رمضان وقتل منهم ثلاثة !

الرابطة العلوية :

ألفى العلويون أنفسهم وحدهم فى ميدان الكفاح الإسلامى . ولهم رسالة دينية ومنشآت إسلامية تتطلب منهم التعاون والتكاتف على صيانتها وتقدمها وحياتها ، فأنشئوا الرابطة العلوية كجامعة تجمع شتاتهم وتلم شعثهم وتوحد صفوفهم : غايتها نشر التعاليم الإسلامية ولغة القرآن الكريم فى الناشئة ، ومبادئها كفالة الأيتام ومساعدة الأرامل والتعاون مع الجماعات والأفراد المسلمين على رفع مستوى المجتمع الأندونيسى والحضرمى كما هو منصوص عليه . وهى وإن كانت فى اسمها طائفية ، لكنها فى غايتها ومبادئها إسلامية خيرية عامة . وانضم إليها الكثير من غير العلويين ممن يرون رأيهم بعد أن فهموا الحقيقة بل كان من مؤسسيها المغفور له الشيخ الوقور سالم باوزير . والواقع المشاهد يبرر ذلك ويبرهن عليه ، فها هى مدارسها

ودور أيتامها غاصة بأبناء المسلمين من أندونيسيين وعرب بما فيهم من كان ولم يزل آباؤهم متحمسين للمنصرية الإرشادية . وها هي إدارات مدارسها على رأس بعضها رجال من غير العلويين كما تمثله إدارة مدارس الرابطة العلوية بصولو .

محاولات للصلح :

وطبعا : كان لهذه الحوادث المؤسفة صدى عظيما من الأسى في كثير من أنحاء العالم الإسلامي ممن يعنيهم أمر الإسلام وإخوانهم في الدين . فكانت محاولات مختلفة متعددة لإقامة صلح بين الحضارمة الذي سبق أن كانوا دعامة من دعائم نشر الإسلام في هذه الربوع النائية من الشرق الأقصى والذين ساءت أحوالهم بفعل السياسة الاستعمارية الهولندية المعروفة بعدائها الحاد للإسلام والمسلمين ، فجاءت محاولة المكتب الدائم للجنة العليا بفلسطين وعلى رأسه سماحة الحاج أمين الحسيني ، فانتدبوا مفتي الشافعية بفلسطين لأن يزور جزيرة جاوة للإصلاح بين عربها المتنازعين . ولكن هذه المحاولة قتلت في المهد ، إذ أن قنصل هولندة وجد أمرا من حكومته بأن لا يؤشر على جواز مفتي الشافعية بالدخول إلى أندونيسيا ـ جاوة . واتضح بذلك لذوي النظر أن لهولندة مصلحة خاصة في بقاء هذا الخلاف الذي تجاوز كل الحدود الخلافية بين المذاهب الإسلامية في كل أصقاع العالم الإسلامي ، وهي التي لم تخل من وجود مذهبين أو أكثر مختلفة ولم تضق ذرعا بوجود ذلك شأن ما كان بجاوه وتحت الحكم الهولندي .

وجاء العلامة مفتي حضرموت السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف بصلح عرضه على الطرفين فقبله العلويون ورفضه الإرشاديون .

وجاءت محاولة من جانب جمعية الرابطة الشرقية فقدمت شروطا للصلح قبلت من الطرفين ابتداء ، ثم ردها الإرشاديون بعد ذلك تحت ضغط ما .

وجاء الشيخ عوض بن عبد الله بن شحبل وسعى سعيا حثيثا قابله العلويون بالقبول ولم يحظ لدى الإرشاديين بما يضمن نجاح مسعاه ، حتى كان خلاف بينه وبينهم عظيم وقد كتب الشيخ عوض المذكور مذكراته عن قضايا الخلاف بين الحضارم في تاريخه عن الحركات الإسلامية بجاوة مدعما بوثائق ومستندات واضحة تضع المجهر المبين على أصابع هولنده الاستعمارية في إغراء الإرشاديين واغتيالاتهم وإبقائهم الخلاف على أشد حدته ، ولحكمة من تصاريف القدر توفي الشيخ قبل إعداد مذكراته للطبع

رحمه الله . فقد كان شخصية لها مكانتها المرموقة لدى الحكومة الجمهورية الأندونيسية بما للمغفور له من دور جد مشرف ناصح إبان الثورة الأندونيسية حتى إنشاء الحكومة الجمهورية .

وقدمت مشيخة الأزهر الشريف نصيحتها وكلمتها ، رحب بها الجانب العلوى كل الترحيب ولم تقابل من الجانب الآخر بما يقرب التهادن والتصالح .

وأدلى السيد العلامة محمد رشيد رضا دلوه ورضى العلويون بما ارتآه ، ولم يقابله الإرشاديون بالرضى ، حتى يئس الأمير شكيب أرسلان من إمكانية إقامة صلح بين الطرفين فى رسالة كتبها قال فيها : بعد اليأس لستم بأول قارورة كسرت فى الإسلام يخاطب الحضارم .

تتابعت هذه الأحداث فى جاوة ، وكان موقف العلويين فيها موقف الحريص على إيقاف هذه الخصومة غير الشريفة التى وقفت سدا قويا دون تأدية رسالة الإسلام ونشر مبادئ الدين الحنيف ، ولكن تأبى تلكم الدوائر العليا التى كانت لها القوة والسلطة هى التى كانت مصدرا لهذا الفشل المتوالى فى كل تلكم المحاولات .

مواقف وخيمة :

طرب الاستعمار الهولندى وصفق لهذه الظاهرة فهالا أنصارها الذين وجدوا العيش الطيب فى هذا الماء العكر ، وتفرقت جهود الحضارم وتمزقت قوتهم التى طالما وقفت صفا واحداً فى وجهه فنازعته وضايقته ، وها هى أموالهم تبذل فى سبيل المؤامرات وإصدار الصحف العفنة واستئجار الأقلام وشراء الضمائر لبذر بذور الفرقة والانشقاق ، بل تأليف لجنة الاغتيال وسفك الدماء وغرس البغضاء والعداوة حتى فى الناشئة الغضة وفى الدور التى بنيت باسم العلم والإسلام ، وتسويد صفحات التاريخ بالحوادث الوحشية .

وفتحت مدارس وسارت على برامج مرتجلة يمليها الهوى ، وتخطها الأنانية ، وحشر لها المعلمون الذين كان منتهى ثقافة أكثرهم الارتفاع عن مستوى الأمية .

وتناسى الحضارم فى هذا الضجيج واجبهم نحو وطنهم القديم وموطن آبائهم وأبنائهم ونسائهم ، تناسوا ذلك فى غمرة هذا الشرف والمجد والعلم والنهضة والتقدم المزيف ! لعلهم إن تذكروا ذلك الوطن البائس بعثت لهم الذكرى صورا مفزعة فى الحياة من شظف العيش فى الأرياف والجبال ووراء الجبال ! ..

لهذا لم ينتفع الوطن بثروة أبنائه واجتمع الجهل والغنى والأنانية والحرية القانونية ..

أما نتائج المعارف والمدارس فسيل من الشباب غير المؤهل للكفاح فى معركة الحياة شباب مذبذب الأخلاق ، جاهل لمعنى الدين بعيد عن العروبة وشيمها ، أنانى أجوف ، يعمر القهاوى ، ويعمر البارات ، ولا يأنف عن الاستجداء ، ولا يتورع عن اللصوصية وتدهور فى الحضيض !! .

ناهيك بأربعين عاما نخرت فيها أمراض الانقسام على هذا الوضع جسم العرب ، الحضرميين بأندونيسيا . والنتيجة الأخيرة هى : أأنت إرشادى أم علوى ؟ .

أما لو أن الإصلاح والإرشاد الحقيق هو الدافع ، والدين هو الوازع ، والإخلاص هو الباعث ، والحب هو السائد ، والإخاء هو الداعى ، ورضا الله هو الغاية ، لوحد أولئك المعلمون صفوف الأمة وأزالوا دواعى الفرقة ، وحطموا ما يعترض سبيلهم من عوارض الإنشقاق . ووحدوا المدارس وساروا بالناشئة إلى الغايات السامية . على أيدى رجال أكفاء وأساتذة صلحاء ومعلمين علماء ، فأصبحوا ولهم من الجامعات العلمية والشركات الاقتصادية ما يجعلهم فى نظر إخوانهم الأندونيسيين فى مستوى القادة والزعماء . فقد مهد الإسلام لهم فى هذا الشرق سبيل النجاح ومهل وسائل الإصلاح ولكن لو الصيف ضيعت اللبن .

عبد القادر عبد الله الجفرى

(البقية فى العدد القادم)

(بقية المنشور على صفحة ٧١٨)

الأحكام، وأحسن النظم التى يقوم عليها مجتمع فاضل سليم ، ولو أن الكاتب قرأ تاريخ أبى حنيفة وأحمد بن حنبل ، وأشباههما ، وعرف مواقفهم من الخلفاء والحكام لما قال : إن التراث الإسلامى وضع فى أحضان حكام ظالمين .

ولو تفقه فى الدين حق الفقه لعرف قيمة الشعور الديني فى إيجاد مجتمع فاضل . فإذا وجد المصلح استطاع أن يستعين بهذا الشعور على كل إصلاح سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى، ولكن الشعور الدينى حين يستغل للانتكاس لا يكون الذنب ذنب هذا الشعور ، وإنما هو ذنب الذين يستغلونه لمآربهم الشخصية .

والتعليم الأزهرى ليس صورة منحرفة من استغلال الدين ، بل هو الذى حفظ لهذا الدين جدته ، وهو الذى جعل من مصر زعيمة العالم الإسلامى بحق .

إننا لندعو مخلصين كل من يريد أن يكتب فى صميم التعاليم الإسلامية أو من يتحدث عن التعليم الدينى أن يتفقه فى الدين ، فإنه حينئذ سيأمن الزلل فى القول ، وفى العقيدة .

والله الهادى إلى سواء الصراط ؟

على العمارى

مراكز اللغة العربية فى الهند

للأستاذ محمد اسماعيل الندوى

— ٢ —

إن المدارس العربية وإن كثرت فى عددها وضخامتها ، فإن لها ميزة هى التخصص فى المنهج والنظام . كما وجد التخصص فى أوربا وفى الجامعات الحديثة . فأصبح الطالب يذهب إلى أكسفورد لدراسة الإنسانيات ، أو إلى كمبردج لدراسة العلوم الدقيقة أو إلى باريس ، أو روما ، أو برلين ، أو هافارد ، ليجلس أمام أساتذة متخصصين ، ولينهل من منبع الجدول المتدفق - كذلك وجد نوع من التخصص فى المدارس الهندية ، وعرفت بعض المدارس بالعناية بفرع من العلم والبراعة فيه ، وبدأ بالتدريج التخصص فى العلوم التالية :

١ — الصرف والنحو والحديث والفقه ، فى ديوبند وسهارنبور ، ودلهى ،

٢ — المنطق والفلسفة . فى رامبور .

٣ — الأدب والبلاغة واللغة والتفسير . فى دار العلوم لندوة العلماء . فى لكهنو .

٤ — القانون واللاهوت فى فرنكى محل فى لكهنو .

٥ — المناظرة والتجويد فى الفرقانية ودار المبلغين فى لكهنو .

وقد أضيفت اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلى مناهج الجامعات الهندية المعاصرة أيضا كمادة إضافية . أما هذه الجامعات الرسمية فلا صلة لها بالمدارس العربية ؛ لأن المدارس العربية تقوم على تبرعات الشعب الإسلامى الهندى . ومن الجامعات المعاصرة ، جامعة عليكرة ، وجامعة كلكتا ، وجامعة مدراس وجامعة لكهنو وجامعة الله أباد والجامعة العثمانية . هذه الجامعات الخمسة تمتاز باهتمامها باللغة العربية ولكن مستواها دون المستوى فى المدارس العربية . ولم تنجب هذه الجامعات شخصيات كبيرة فى الأدب العربى والدراسات الإسلامية ، كما أنجبت المدارس العربية أدباء وباحثين فى اللغة العربية .

المركز الثانى :

« الجهود فى إبراز المصنفات العربية »

ونحن نعتبر المركز الثانى للغة العربية فى الهند هو الجهود الشخصية التى قام بها علماء الهند فى ميدان التأليف والبحث . فقد قام الشيخ أحمد على السهارنبورى بالشرح والتعليق والاختصار لكتب الأحاديث وطبعها ونشرها . وقد علق على صحيح البخارى تعليقات

مفيدة فى ضوء فتح البارى للعسقلانى . وكذلك طبع ونشر كثيراً من كتب الأحاديث بجهوده لولوعه بالحديث . وصنف الشيخ عبد الحى الكهنوى مئات من الكتب العربية ومن أشهرها شرحه للهداية وهو من أمهات كتب الفقه الحنفى . والأمير السيد صديق حسن خان (المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ) لا يزال يعترف بفضله فى كتبه الكثيرة مثل :

(١) أبجدية العلوم . (٢) الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد . (٣) الانتقاد والترجيح فى شرح الاعتقاد الصحيح . (٤) البلغة فى أصول اللغة . (٥) حصول المأمول من علم الأصول.

وكتب أخرى مشهورة فى أوساط المشتغلين بالفقه والحديث ، وقد انتهى بهؤلاء القرن التاسع عشر الميلادى .

وفى مستهل القرن العشرين ظهر أدباء وكتاب ومؤرخون فى اللغة العربية . وبلغ هؤلاء شهرة لا تضارع فى هذا المضمار ، وقد اشتهر العلامة محمد شبلى النعمانى بكتابه الشهير « الانتقاد على التمدن الإسلامى » ، ويعتبر هذا الكتاب من أقيم وأوفى ما كتب فى إظهار دسائس المسيحيين العرب ضد الإسلام .

ولا تزال الهند تتزعم حركة الحديث منذ العصور الوسطى ، وقد أسدى العلماء الهنود خدمات جليلة فى السنة ، قال المرحوم السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار : « ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث فى هذا العصر لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت فى مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف فى أوائل هذا القرن الرابع عشر ، وإننى لما هاجرت إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ رأيت خطباء مساجد الأزهر وغيره يذكرون الأحاديث فى خطبهم غير مخرجة ومنها الضعيف والمنكر والموضوع ، مثلهم فى هذا الوعاظ والمدرسون ومصنفو الكتب ، فكنت أنكر ذلك عليهم كما بدأت بإنكار مثله على أهل بلدى طرابلس قبلهم » - (مقدمة مفتاح كنوز السنة) . وقد ألف الشيخ خليل الرحمن السهارنبورى شرحا قيما على صحيح الترمذى وسماه ببذل المجهود وشرح المحدث الكبير أنور شاه الكشميرى صحيح البخارى وسماه « بفيض البارى » . وشرح الشيخ شبير أحمد العثمانى صحيح مسلم . وهو أوفى وأحسن من شرح النووى ويعرف بفتح الملهم ، وشرح الشيخ محمد إدريس مشكاة المصابيح وسماه : « تعليق الصبيح » ، وشرح الشيخ محمد زكريا الموطأ فى عدة مجلدات ، وهو شرح ضخم فى السنة ، وشرح الشاه ولى الله الدهلوى قديما الموطأ لمالك رحمه الله.

وقد اشتهر حميد الدين الفراهى (المتوفى سنة ١٣٣١ هـ) فى علوم اللغة العربية والبلاغة والتفسير ، وكان يفسر القرآن على وجهة نظره الخاصة ، وكان يرى أن آيات القرآن

يفسر بعضها بعضا وإذا عاقه شىء فى فهم القرآن كان يلجأ إلى الشعر الجاهلى فى تفسير مفردات القرآن ، إذ لم يكن يثق بالقواميس العربية حتى لسان العرب ، وله ملاحظات على القواميس العربية ، وكان يرى أن علماء اللغـة لم يهتموا بالشعر الجاهلى فى شرح المفردات العربية ، وآراؤه تستحق أن تبحث فى أوساط الأدب واللغة ، وقد ترك لنا مؤلفات قيمة فى اللغة العربية أمثال :

(١) مفردات القرآن .
(٢) جمهرة البلاغة .
(٣) تفسير نظام القرآن .
(٤) الإمعان فى أقسام القرآن .
(٥) الرأى الصحيح فى من هو الذبيح .

وقد اشتهر فى التاريخ والسير والجغرافية الشيخ السيد عبد الحى الحسنى الذى وضع فى تراجم علماء الهند وأدبائها وشعرائها كتابا قيما فى تسعة مجلدات ، وقد طبع هذا الكتاب باسم « نزهة الخواطر » وجرى فيه على منوال ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » وله كتب أخرى قيمة مثل :

(١) جنة المشرق .
(٢) معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف .
(٣) تلخيص الأخبار ومنتهى الأفكار فى شرح تلخيص الأفكار .

وظهر فى الأدب والشعر الشيخ أبو عبد الله محمد السورتى والأستاذ عبد العزيز الميمنى ، أما الأستاذ الميمنى فهو غنى عن التعريف ، وهـو أشهر أديب هندى فى اللغة العربية ، اعترف بعلمه وفضله جميع أدباء العرب ، وقد ألف وحقق كتبا قيمة فى الأدب العربى مثل :

(١) أبو العلاء المعرى ماله وما عليه .
(٢) سمط اللآلى شرح أمالى القالى .
(٣) إقليد الخزانة .
(٤) شعر أبى العلاء .
(٥) شعر المتنبى .
(٦) النتف فى شعر ابن رشيق وابن شرف .
(٧) ديوان حميد بن ثور (جمع شعره) .
(٨) كتاب الفاضل للمبرد .

وهو يعتبر من القلة الذين لهم معلومات وافية فى الشعر الجاهلى ومقـدرة عظيمة فى التحقيق والتمحيص والتنقيب ونظرة دقيقة فى المخطوطات العربية النادرة .

وبعـد منتصف القرن العشرين اشتهر من الجيل الحديث أدباء وكتاب فى اللغة العربية وعلى رأسهم الأستاذ أبو الحسن على الندوى وقد طبعت له مقالات قيمة فى المجلات المصرية مثل الفتح والرسالة والثقافة ، وألف كتبا قيمة فى اللغة العربية مثل :

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .
(٢) تاريخ رجال الفكر والدعوة .
(٣) روائع إقبال وكتيبات عديدة .

والأستاذ مسعود الندوى وضع كتبا قيمة

فى التاريخ الإسلامى الهندى والدعـوة الإسلامية ، وقد أضاف إلى القاموس الجديد الذى وضعه الباحث الكبير العلامة السيد سليمان الندوى كلمات عربية دخلت حديثا فى اللغة العربية وشرحها بالأردية .

* * *

المركز الثالث . الصحافة العربية

ونتحدث الآن بعد هذا البحث الطويل عن حركة الصحافة العربية فى الهند . وقد صدرت أول مجلة عربية فى الهند سنة ١٩٣٢م كان اسمها الضياء خريجو دار العلوم لندوة العلماء . وأشرف عليها الدكتور تقى الدين الهلالى المراكشى (مدرس اللغة العربية فى دار العلوم فى ذلك الحين) وتولى رياسة تحريرها المرحوم الأستاذ مسعود الندوى . كانت هذه الثقافة على مستوى علمى وأدبى كبير . وأثنت عليها كثير من المجلات العربية فى مصر ودمشق ولبنان مثل الفتح والمجمع العلمى وغيرها . وبعد فترة توقفت هذه المجلة . ثم أعاد نشرها خريجو ندوة العلماء باسم البعث الإسلامى سنة ١٩٥٤ م . وتولى إدارتها وتحريرها الأستاذ محمد الحسن ، ويشرف عليها الأستاذ أبو الحسن على الندوى . وهى تعتبر الآن طليعة المجلات العربية التى تصدر فى غير البلاد العربية لنشر الثقافة العربية والوعى الإسلامى.

ثم أصدرت الحكومة الهندية بعد قيام الجمهورية مجلة عربية شهرية لنشر الثقافة الهندية وإظهار جهود علماء الهند فى ميدان الثقافة العربية . وهى تصدر من نيودلهى باسم ثقافة الهند .

وهذه الجهود التى قام بها أبناء الهند وأحياء اللغة العربية فى الهند تحتاج إلى تشجيع وتقدير أبناء الأمة العربية ولا سيما الجمهورية العربية المتحدة وهى القلب النابض للعروبة ومن جامعة الدول العربية التى تحمل لواء الثقافة العربية .

المركز الرابع : المكتبات الهائلة :

ونحن نعتبر المركز الرابع للغة العربية فى الهند المكتبات الهائلة المنتشرة فى أنحاء الهند . وهى تحتوى على آلاف من الكتب العربية خطية ومطبوعة . ولا يمكن لنا أن نحصر المكتبات المنتشرة فى أنحاء الهند فى هذه العجالة .

وتقع معظم هذه المكتبات فى المدارس العربية التى ذكرناها منذ قليل . ولكن نكتفى هنا بذكر أشهر المكتبات التى نعتبرها مددا لحركات التحقيق والتأليف والتنقيب . وهذه المكتبات العديدة تنفرد ببعض المخطوطات النادرة التى لا توجد إلا فى الهند . ويحتاج طلاب اللغة العربية لشد الرحال إلى تلك المكتبات للاطلاع على المعارف العربية . ومن هذه المكتبات :

(١) «مكتبة خدابخش» فى ولاية بهار فى شمال الهند، وتعتبر أكبر وأضخم مكتبة.

(٢) المكتبة المركزية فى كلكتا، وهذه أيضا أكبر مكتبة تشرف عليها الحكومة.

(٣) مكتبة آصفية فى مدينة حيدر آباد التى أنشأها ملك حيدر آباد سنة ١٣٠٠هـ وتحتوى هذه المكتبة بين جناحيها على أكثر من ستين ألف كتاب. منها مخطوطات عربية نادرة اهتمت الحكومة بالحصول عليها اهتماما بالغا.

(٤) مكتبة دار العلوم لندوة العلماء بمدينة لكهنو فى شمال الهند وتعتبر هذه المكتبة أيضا من المكتبات الشهيرة فى ضخامتها واحتوائها على مطبوعات قيمة. ومخطوطات نادرة يبلغ تعدادها أكثر من ألفى كتاب أما، المطبوعات فتبلغ أكثر من ستين ألف كتاب :

(٥) مكتبة دار المصنفين بمدينة أعظم كره فى ولاية يوبى شمال الهند. وبها كتب مختارة وكلها تعتبر من المراجع والأمهات. ولا يقصد إلى هذه المكتبة إلا كبار الباحثين والمحققين.

المركز الخامس : مؤسسات الطبع والنشر

أنشئت مؤسسات عديدة فى منتصف القرن العشرين لطبع ونشر وتأليف الكتب العربية وقد أسس ملك حيدر آباد فى المملكة العثمانية مؤسسة كبيرة باسم دائرة المعارف العثمانية وقد بحثت هذه المؤسسة عن آلاف من المخطوطات العربية النادرة فى أنحاء العالم، وحصلت عليها ثم طبعتها خدمة للغة العربية وحرصا على إحياء التراث الإسلامى الجيدة وتعتبر هذه أكبر مؤسسة عربية لإحياء التراث العربى الإسلامى، وتنفق عليها الحكومة الهندية المركزية وهذه المؤسسة فريدة فى نوعها. وقد اهتم مؤسسو الدائرة والقائمين عليها بما ألف قبل القرن التاسع الهجرى أو الرابع عشر الميلادى فنقب بجلمهم عما أبقته طوارق الزمن من أمهات المراجع فى العلوم المختلفة فطبعوها ونشروها. وطبع من هذه الأمهات أكثر من مائة وأربعين كتابا تقع فيما يزيد على ثلثمائة وخمسين عددا، هذا إلى الأمهات الأساسية فى الأدب واللغة والتاريخ والسير والتفسير والحديث والرجال والفقة والطب والفلك، والتصوف، والمنطق والفلسفة والرياضيات والنجوم والهيئة والطبيعيات، وهذه الكتب العربيه كانت رائجة فى القرون الوسطى، وبعضها لم يكن يوجد منه إلا أصل واحد أو قطعة مخطوطة. ومن أهم هذه الكتب النادرة التى طبعت فى الهند فى هذه المؤسسة.

١ — صور الكواكب لأبى حسين عبد الرحمن الصوفى (المتوفى سنة ٣٧٦هـ).

٢ — كتاب التيجان لملوك حمير لابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨ هـ).

٣ — القانون المسعودي للبيروني (المتوفى سنة ١٠٤٨ م).

٤ — كتاب الحاوي في الطب في تسعة مجلدات لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (المتوفى سنة ٩٢٥ م).

٥ — كتاب الجرح والتعديل في تسعة مجلدات لأبي حاتم الرازي (المتوفى سنة ٩٣٨م).

٦ — كتاب الأنواع لابن قتيبة (المتوفى سنة ٨٧٩ م).

٧ — تذكرة الحفاظ للذهبي في أربعة مجلدات (المتوفى سنة ١٣٤٧ م).

٨ — ديوان ابن ثناء الملك للقاضي عبد القاسم هبة الله المصري (المتوفى سنة ١٢١٢ م).

٩ — كتاب المعاني الكبير للبخاري.

وكتب أخرى مثل كتاب مفتاح السعادة، وكتاب الحيل، والأمالي لأبي عبد الله اليزيدي، وجمهرة اللغة لابن دريد، والحماسة لابن الشجري، والفائق للزمخشري، والسنن الكبرى للبيهقي وكنز العمال لعلي المتقي وميزان الاعتدال للذهبي.

وقد استقبلت مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بالحفاوة والعناية من قبل الدوائر العلمية والجامعات الكبرى والمراكز التحقيقية — في إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا وتركيا ومصر والحجاز والشام ولبنان وغيرها — ووعد جماعة من كبارهم في مؤتمر المستشرقين في استانبول سنة ١٩٥١ بإعانتها علميا وفنيا. والمكتبات الكبرى فقد فتحت أبوابها لإمداد الدائرة بنفائسها الخطية وبالصور الشمسية والأفلام النادرة والمواد المبتكرة.

والمؤسسة الثانية هي مؤسسة دار العلوم لندوة العلماء للتأليف والطبع والنشر. وقد اهتمت هذه من بداية إنشائها اهتماما بالغا بتدريس اللغة العربية على أوسع نطاقه من ناحية الأدب والنقد والفنون الأدبية. ولذلك كانت المدرسة في أشد الحاجة إلى وضع كتب المبادئ المتوسطة لتثقيف الطالب الهندي وتقريبه إلى الذوق العربي السليم، وتكوين ملكة راسخة للإنشاء والترجمة في هذه اللغة لأن المدارس العربية في الهند لاتزال تواجه صعوبات في استيراد الكتب الأدبية من البلاد العربية.

ولأن المنهج السائر والكتب الأدبية المتداولة في البلاد العربية لا توافق طبيعة الطالب الهندي الذي يدرس اللغة العربية بعد نضوجه في لغته القومية. وتدريس هذه اللغة وتوطيد الملكة الراسخة في الطالب الهندي يتطلب جهودا متضافرة غير الجهود التي يعانيها أبناء العرب الناطقين باللغة العربية. ولذلك ألف أساتذة مدرسة دار العلوم لندوة العلماء كتبا دراسية في الأدب والإنشاء والصرف

والنحو والبلاغة . وقد قام الأستاذ أبو الحسن على الندوى (مدرس دار العلوم لندوة العلماء فى ذلك الحين) بوضع كتب دراسية فى الأدب للمرحلة الابتدائية والثانوية . وألف سلسلة من قصص النبين فى مادة النصوص للمرحلة الابتدائية والإعدادية ومختارات الشعر والنثر للمرحلة الثانوية . ثم قام عدد من الأساتذة فى المدرسة بإعداد كتب فى الإنشاء والترجمة والصرف والنحو . وشرح هؤلاء القواعد العربية باللغة الأردية لكى يفهم الطالب هذه القواعد الصعبة بلغته القومية . لأن اللغة القومية تعتبر أسهل طريق لتدريس اللغة الأجنبية . وقد تلقت معظم هذه المدارس العربية فى الهند هذه الكتب بالقبول والترحيب وتدرس هذه الكتب فى أنحاء الهند .

وقد أنشئت مؤسسة أخرى فى مدينة لكهنو لتدريس وتسهيل اللغة العربية وسميت هذه المؤسسة بإدارة تعليمات الإسلام . ووضعت هذه المؤسسة عدة كتب لتدريس اللغة العربية بطريق المراسلة . وهذا المنهج أيضا أفاد كثيراً فى تعليم اللغة العربية . واستطاع بهذا الطريق مئات من الطلبة فى المدارس والجامعات ومن الموظفين أن يتعلموا اللغة العربية فى مدة لا تتجاوز ثلاث سنين .

ومن الإنصاف أن نذكر الأستاذ عبد الحفيظ البلياوى (أستاذ اللغة العربية فى دار العلوم لندوة العلماء) بتأليفه القواميس من اللغة العربية إلى الأردية وبالعكس . وقاموسه مصباح اللغات (من العربية إلى الأردية) لا يضارعه قاموس من العربية إلى اللغات الشرقية . وهو أضخم وأنفس قاموس . وقد جرى المؤلف فيه على منوال المنجد . وقد نال مؤلف هذا القاموس جائزة الحكومة الهندية تقديراً وتشجيعاً لخدمته الباهرة . وقاموسه فى متناول أيدى ناطقى اللغة الأردية فى الهند وباكستان .

وقد بقى لنا الآن أن نذكر مؤسستين كبيرتين وهما دار المصنفين فى مدينة « أعظم كره » وندوة المصنفين فى مدينة نيودلهى . وقد ترجمت فى هذه المؤسستين عدة كتب عربية إلى اللغة الأردية كما نشرت فيها بعض الكتب العربية .

وتقوم جميع هذه المؤسسات بنشاطها على نفقات الشعب الإسلامى بالهند ما عدا دائرة المعارف العثمانية . لأن المسلمين فى الهند لا يزالون يعتقدون أن التراث العربى هو تراثهم القومى . وإذا لم يحافظوا على هذا التراث فلن يبق لهم أى كيان فى الهند ، وهذه المؤسسات والمدارس العربية والمراكز الأخرى التى ذكرناها تحتاج إلى تشجيع من الأمة العربية جميعاً ولا سيما الأزهر الشريف وجامعة الدول العربية ؟

محمد اسماعيل الندوى

مع قضايانا

إنّا عائدون

للأستاذ احمد الشرباصى

إننا عائدون إلى فلسطين العربية الإسلامية لأن كتاب ربنا تبارك وتعالى ـ وهو القرآن المجيد ـ يحدثنا عن العودة والرجوع ، حتى فى تاريخ السابقين من الأنبياء لنبينا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ، فهو يقص علينا قصة موسى . فيقول فيها : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

روى ابن كثير فى تفسيره [1] أن دار أم موسى كانت على النيل ، فاتخذت تابوتا ، ومهدت فيه مهدا ، وجعلت توضع ولدها ، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته فى ذلك التابوت وسيرته فى البحر ، وربطته بحبل عندها ، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه ، فذهبت فوضعته فى ذلك التابوت ، وأرسلته فى البحر ، وذهلت أن تربطه ، فذهب مع الماء ، واحتمله حتى أتى به على دار فرعون ، فالتقطه الجوارى ، وذهبن به إلى امرأة فرعون ، فوقعت محبته فى قلبها ، بينما أصبح فؤاد أم موسى فارغا من الهول ، وحرم الله عليه المراضع ، وأعاده إلى أمه بقوته وقدرته وحكمته .

وإن الإنسان ليتخيل أم موسى وهى تلقى بوليدها ووحيدها وفلذة كبدها إلى الماء ، والموت يترصد له فى كل جانب ، والغد أمامها غيب مغيب ، ثم يتخيل هذا الوليد وهو يتأرجح فوق الأمواج ، يعلو تارة ويهبط أخرى ، ثم يتخيله وهو يقع بين أيدى الذين يبحثون عنه جادين ، ليعجلوا به إلى الهلاك والدمار ، ولكن يد الله العلى الأعلى تتدخل فتجعل الخوف أمنا ، والعدو حارسا ، والموت حياة ، ثم توسع خيرها وبرها فتحمل هذا الوليد إلى الأم التى ظلت لحظاتها الماضية بلا استقرار وبلا فؤاد :

« فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٨٠ .

وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

فهذه عودة بعد فزع وهلع . وهذا رجوع بعد تعرض لأخطار جسيمة وأهوال عظيمة وهذه طمأنينة على حق تعرض للضياع والهلاك ؛ ونحن أولى بموسى من اليهود الصهاينة الذين آذوه وعصوه ، وفعلوا به الأفاعيل ، أليسوا هم الذين قال الله لهم : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » ؟ أليسوا هم الذى قال الله فيهم : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ؟ أليسوا هم الذين عصوا موسى حينما حرضهم على الجهاد ودعاهم إلى موقف الحق : « قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » أليسوا هم الذين قال فى شأنهم القرآن الكريم : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ونحن المسلمين نجل شأن موسى ونعظمه ونوقره ، فهو عندنا نبى من أنبياء الله ، ورسول من رسله ، ومن أولى العزم منهم ، وهو كليم الله جل وعلا . ونحن مأمورون بالإيمان به وبما جاء به من عند ربه ، ونحن نتعبد بتلاوة آيات فى القرآن تمجد موسى وتنزهه . مثل قول الله تعالى عن موسى : « واصطنعتك لنفسى » . وقوله : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين » . وقوله : « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » . وقوله : « ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون » . وقوله : « قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى » .

فنحن إذن أولى بموسى من اليهود ، ونحن أولى منهم بتمجيد ذكره وتعطير مواريثه بالتنزيه والتقدير .

* * *

وإنا عائدون إلى فلسطين لأننا أخرجنا منها من قبل وعدنا إليها ؛ ولقد أقبل الصليبيون إقبال الوباء المنتشر ، فانتزعوا فلسطين من

أيدى المسلمين ، وظلوا فيها قرابة مئة عام ، ثم أقبل البطل الإسلامى الفاتح صلاح الدين الأيوبى ، واسترد فلسطين بجيش الإسلام والعروبة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وفلسطين المحتلة الآن لم يمض على احتلالها مائة سنة ولا خمسون عاما ، ولا ثلاثون ، وإنما مضى على احتلالها ثلاثة عشر عاما ، ولم تخمد النار ولم يهدأ الجرح بعد ، وإننا لنتحفز للعودة ولن ننام عنها ولن نتأخر فيها : « إنهم يَرَوْنَهُ بعيداً ونراه قريبا ».

وفى طبيعة أمتنا العربية المسلمة ألا تصبر على الضيم والهوان ، وألا تستنيم للذل والصغار ، وقد تضطر فتركب الشطط من أمرها حينا ، ولكنها ما تكاد تجد الثغرة للانطلاق والانعتاق والتحرر والتسامى حتى تنطلق ، فلا تلبث حتى تبلغ غايتها وتقطف ثمرتها ...

حتى شهداؤنا فى قبورهم يأبون علينا ذلك، فهم يهتفون بنا من وراء الغيب أن اغسلوا العار وطهروا الديار ، وهذا هو الشاعر « باكثير » يقول على لسان أحد شهدائنا يخاطب مؤبنيه :

فيم احتشادكمو هذا ؟ لتأبينى ؟
أنتم أحق بتأبين الورى دونى
فما الشهادة إلا ميتة كرمت
عن ميتة الداء أو عن ميتة الهون
إنى نزلت بدار الخلد فى رغد
بين الخمائل فيها والرياحين
فى جنة ما بها خوف ولا حزن
لولا رثاء لحال العرب يشجينى
قامت عليهم وحوش البغى قاطبة
من ثعلبان ومن دب وتنين
فما انتظاركم والحق حقكم
يعدى عليه ليعطى للملاعين
لا تطلبوه احتكاما فى مجامعهم
بل استردوه قسرا فى الميادين
والمسلمون جميعا من ورائكم
بأندونيسيا وباكستان والصين
لا تندبونى فإنى لم أمت ضرعا
فإن علمتم علىّ الذل فابكونى
وإن تريدوا لوجه الحق تكرمتى
فابغوا الشهادة للدنيا وللدين
فابن الوليد على اليرموك يرقبكم
وليث أيوب يرعاكم بحطين [1] !!

* * *

وإننا عائدون إلى أرض أبينا وأبى العرب وأبى الأنبياء إبراهيم عليه وعليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ... سنعود إليها لكى نعيد « حساء الخليل » إلى بلد « الخليل » ، ونجعل هذا « الحساء » كما كان طعاماً للغادين والرائحين ،

---

[١] كتاب المحفوظات الأزهرية ج ١ ص ١٤ .

ومن لم ينله منهم دفعا لجوع أو مسغبة ، ناله بعثا للذكرى أو التماسا للبركة ...

وما قصة « حساء الخليل » ؟ .

إن له لقصة تروى ! ...

« الخليل » بلدة من بلاد فلسطين ، وفيها دفن إبراهيم عليه السلام ، وسميت البلدة باسمه ، وروى أن إبراهيم كان كريما مضيافا ، وقد يؤيد القرآن الكريم ذلك حين يقول : « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم قال ألا تأكلون » ؟ ! .

وروى أن إبراهيم كان لا يتناول طعاما إلا مع ضيف يشاركه ، فقدموا إليه الطعام يوما ، فطلب ضيفا يأكل معه ، فلم يجدوا له إلا شخصا كافرا ، وبينما هما على الطعام فهم إبراهيم أن ضيفه كافر ، فلم يطق الطعام معه وطرده . فأوحى الله إليه ما معناه : يا إبراهيم ، أنا قد احتملت هذا الكافر فى كونى طيلة ما مضى من عمره ، أفلا تحتمله أنت ساعة من الزمان على مائدتك ؟ ! .

وتقول القصة إن إبراهيم بحث عن الكافر حتى أعاده ، وقص عليه ما أوحى إليه ، فأعجب الرجل بدين إبراهيم ، وسارع بالدخول فيه ! ...

ولما كان إبراهيم مشهورا بالكرم والجود فقد حرص أبناء بلدته « الخليل » منذ عهد بعيد على صنع نوع من « الحساء » يسمونه « حساء إبراهيم » ، ويقدمون هذا الطعام للغادى والرائح ، وللعاجزين والقادرين على السواء ، فينال الناس قدراً منه إثارة للذكرى والتماسا للبركة ؛ ولقد زرت « الخليل » مرة ومرة ، ورأيت الحساء بعد النكبة ما زال يقدم ؛ ولكن أى حساء ؟ ..

إنه حساء الفقراء واللاجئين يقدم للمشردين حساء هزيل غير دسم ، يقبل عليه اللاجئون ويقفون صفوفا فى انتظار غرفة أو غرفات منه ، لا تسمن ولا تغنى من جوع . فنحن يجب أن نعود ، لنعيد « حساء إبراهيم الخليل » كما كان شهيا دسما مغذيا ، ينال منه الأهلون ، وينالون منه القادمون ، وينال منه المرتحلون ، ويمتد به تاريخ السخاء والعطاء مزهراً ناضراً فى هذه الديار .

وإننا لعائدون إلى فلسطين لنمحو تلك السبة التى لا مثيل لها فى التاريخ ، سبة التشريد لهؤلاء اللاجئين الذين أخذ الشعراء يقسمون بجوعهم وعريهم ، فيقول أحدهم :

قسما بجوع اللاجئين وعرى سكان الخيام
لنصارعن الموت من أجل الوصول إلى المرام

وإنى لأذكر الآن اليوم السادس من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٣ حيث كنا فى المؤتمر الإسلامى بالقدس من أجل فلسطين ، وفى

هذا اليوم زرنا قرية « أدنة » الفلسطينية ، وهي من قرى الخطوط الأمامية ، على الحدود الوهمية التي يسمونها حدود إسرائيل ! .

وهناك جلسنا والشمس شاحبة اللون تدنو من الغروب ، وكأنها يشحبها ودنوها شيئا فشيئا من المغيب تنفض يدها من تراب رمس سوته منذ قليل . وكان جلوسنا في مدرسة قرية « أدنة » ؛ واجتمع أهلوها ليقولوا ويسمعوا ، وتقدم صبي من تلاميذ المدرسة ، وخلفه زملاؤه في صفوف ، وأخذ الصبي ينشد نشيداً يبدأ بقـــول الشاعر :

« قسما بجموع اللاجئين وعرى سكان الخيام »

وما كدت أسمع هـذا المقطع حتى انخرطت في البكاء ، وانفرط عقد التماسك ، فلم أستطع مقاومة الدموع ، فقد تجسم أمامي بؤس هؤلاء الصبيان وشقاؤهم بضياع بلادهم ، وتذكرت أولادي ، وتصورت أنهم قد ينالهم ما نال هؤلاء ، « وكلنا في الهم شرق » كما قال شوقي ، ورددت بيني وبين نفسي قـول العزيز المهيمن : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً » .

وهنا هتفت لنفسي : إن القول السديد هنا هو أن نردد في عزم وتصميم : إننا عائدون إلى فلسطين ، إذ يجب علينا أن نعود .

إننا عائدون ... نقولها بصيغة الجمع ، لأن القضية قضيتنا جميعاً ، لا قضية أبناء فلسطين وحدهم ، ونحن بوحي عقيدتنا وديننا أمة واحدة : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « إنما المؤمنون إخوة » ، « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وسنعود إلى فلسطين ، وهناك نصلي « صلاة الفتح » ، فقد روى ابن القيم في « زاد المعاد »[1] أن الرسول صلى الله عليـه وسلم صلى ثمـاني ركعات من أجل فتح مكة . وذكر ابن القيم أن سنة الفتح أن تصلي عنده ثماني ركعات ، وكان الأمراء يسمونها « صلاة الفتح » ، وذكر الطبري في تاريخه عن الشعبي قال : لمـا فتح خالد بن الوليد « الحيرة » صلى صلاة الفتح ثمـاني ركعات لم يسلم فيهن ثم انصرف ...

اللهم هيء لنا من أمرنا رشدا ، ولا تطل علينا أمداً . واجعلنا صادقين محقين حين نقول : إننا عائدون ! ...

أحمد الشرباصي

---

(١) زاد المعاد ، ج ١ ص ٩٣

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع

للأستاذ محمد محيي الدين المسيري

— ٢ —

الابتكار فى آراء ابن خلدون :

ذلك هو الغرض من المقدمة وتلك هى مسائلها وهذا هو أثرها فى تاريخ ابن خلدون وقد سبق أن أشرنا إلى أنه مؤسس علم الاجتماع ومؤسس علم التاريخ ومؤسس مدرسة تفسير التاريخ تفسيراً اقتصاديا ، ونحن قد قدمناه على أنه مؤسس علمه ومبتكر مباحثه . بل هو يخص نفسه بذلك فيقول : « إن الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص (١) » . فإلى أى حد يعتبر مبتكراً . وما أثر آراء السابقين عليه فيما كتب .

لقد أحس ابن خلدون بأن دعواه هذه لا بد أن تعترضها مثل تلك الأسئلة فتولى الإجابة عنها قال : « هذا الفن الذى لاح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجرى بالعرض لأهل العلوم فى براهين علومهم وهى من جنس مسائله بالموضوع والطلب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء فى إثبات النبوة من أن البشر متعاونون فى وجودهم فيحتاجون فيه إلى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر فى أصول الفقه فى باب إثبات اللغات أن الناس محتاجون إلى العبارة من المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع (١) » .

ويذكر ابن خلدون أسماء الذين سبقوه فى الإشارة إلى جزئيات هذا العلم الجديد فيشير إلى الموبذان وأنو شروان ثم يقول : « إن فى الكتاب المنسوب لأرسطو فى السياسة ، المتداول بين الناس جزءا صالحاً منه إلا أنه غير مستوف ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره » .

وقد أشار ابن خلدون إلى أن فى هذا الكتاب بعض حكم عن تطورات الدولة مصوغة فى قالب الحلقات المفرغة ...

« وكذلك نجده — فى كلام ابن المقفع وما يستطرد فى رسائله من ذكر السياسات —

[١] مقدمة ابن خلدون ص ١٣٦

[١] المقدمة ص ٣٧ .

الكثير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه إنما يجليها فى الذكر على منحى الخطابة فى أسلوب الترسل وبلاغة الكلام ...»[1] .

« وكذلك حوم القاضى أبو بكر الطرطوشى فى كتاب سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا أوضح الأدلة إنما يبوب الباب للمسألة ثم يستكثر من الأحاديث والآثار وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس ... والهند ... وغيرهم من أكابر الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا ، إنما هو نقل وتركيب شبيه بالمواعظ وكأنه حوّم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاما ، وأعثرنا على علم جعلنا بين بكرة وجهينة خبره ، فإن كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه فتوفيق من الله وهداية ، وإن فاتنى شىء فى إحصائه واشتبهت بغيره مسائله فللناظر المحقق إصلاحه ولى الفضل لأنى نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق والله يهدى بنوره من يشاء »[2] .

وهناك غير الطرطوشى : الفارابى ، أحمد ابن عبد الله ، ابن مسكويه ، الماوردى ، الطقطقى ، الغزالى ، أبو الفضل الدمشقى . وقد تناول هؤلاء طرفا مما تناوله ابن خلدون فى بحثه ، فنجد الفارابى يتحدث فى كتابه عن حاجة الإنسان إلى الاجتماع وعن نشأة القرى والمدن ، ونجد أحمد بن عبد الله يطرق موضوعات تقسيم العلوم والصنائع وتأثير طبيعة البلدان فى الأخلاق . ونجد ابن مسكويه يتحدث عن التضامن ، والغزالى عن النفوذ والجاه وأبو يوسف عن موضوع الخراج وغير هؤلاء كثير .

إلا أن ذلك كله لا يقلل من ابتكار ابن خلدون ، فمن تقدم ذكرهم تناولوا جزئيات من الموضوع الواسع . أما ابن خلدون فقد أراد أن يكوّن من الجزئيات كلا ومن المتفرقات نظاما متماسكا (Systeme) . وقد امتاز كذلك بتجاربه العملية فى سياسة الدولة وهو مالم يتح لكثير منهم . وآية ذلك أنك تجد الطرطوشى مثلا يتكلم عن مسلك السلطان نحو الرعية ونحو الأموال العامة ونحو الجند وعن الظلم وعواقبه وهى موضوعات تكلم عنها ابن خلدون . ولكن طريقة تناول كل من المؤلفين مختلفة عن طريقة الآخر ، فالطرطوشى يجتهد فى تأييد أقواله بالحكم والأقوال المأثورة . بينما يلجأ ابن خلدون

(١ ، ٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨ .

إلى الطريقة العلمية الحديثة وهى الاستنباط والاستقراء من الوقائع والتجارب[1] .

ويجمل ما تقدم أن ابن خلدون لم يكن مبالغاً فيما ادعاه لنفسه وهو رجل يعرف قيمة نفسه ويجاهر بها إلى جانب مظهر التواضع الذى يتخذه شعاراً . حقيقة أن تحصيله ممن سبقه كان له تأثير فيما أنتج إلا أن الابتكار فى كتابته واضح لا نزاع فيه على أنه يا حبذا لو أن كتب العلماء المشار إليهم وكتب غيرهم درست بعناية على ضوء البحث العلمى الحديث إذاً لكانت المقارنة أسهل طريقاً وأثبت نتيجة .

وإذا كان هذا موقف ابن خلدون بالنسبة لمن سبقه فالأمر على خلاف ذلك بالنسبة لمن تلاه . ونحن نلمس تأثير مقدمته وتاريخه فى المقريزى والقلقشندى . على أن أثره الأكبر يظهر فى كتاب المقريزى « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، ونجد المقريزى فى هذا الكتاب على غرار ابن خلدون ينسب بؤس القطر المصرى إلى :

١ — الفوضى السياسية وانتشار الرشوة وانتقال الحكم إلى أيدى الجهال .

٢ — الغلاء المفرط المجحف بالسكان .

٣ — ذيوع النقد المنحط .

وفى هذه الفصول شبه كبير بما كتبه ابن خلدون عن الظلم والعمران والغلاء والسكة وانتشار الغش فى النقود . ولا غرو فالمقريزى تلميذ ابن خلدون وقد أخذ عنه حين قدومه إلى مصر .

تفوق ابن خلدون :

هذا هو المكان الممتاز الذى يشغله ابن خلدون بين من سبقه ومن تلاه من علماء الحضارة الإسلامية . ولا يرجع ذلك فقط إلى طرافة ما عالجه من المواضيع وسبقه الغير فيها وإنما تستند شهرته إلى طريقة معالجته للموضوع كذلك . فأسلوبه قوى لا يتعمد فيه السجع وموضوعاته حسنة التبويب منطقية التقسيم تجد البحث يتسلسل من سابقه . ومع ذلك يتجنب الاستطراد والحشو ، كل ذلك يطبعه طابع علمى متين[1] . وهو يتجلى على الخصوص فى إدراكه لقانون السببية ونظرية النشوء والارتقاء ولدرجة الترابط بين العلوم الاجتماعية المختلفة .

---

(1) "Le caractère principal de l'œuvre d'Ibn Khaldoun est qu'il a donné resolument le pas à l'observation sur le raisonnement abstrait ..."

G. Bouthoul, la philosophie sociale d'Ibn Khaldoun. P. 83.

(1) Unlike some of his brilliant successors he shows a remarkable freedom from bias, innuendo, carping criticism and extravagant praise"

N. Schmidt p. 15.

أما إدراكه لترابط العلوم الاجتماعية المختلفة فيشهد عليه فكرة المقدمة نفسها فهى مجموعة مباحث اقتصادية واجتماعية ومالية وسياسية وتهذيبية وأخلاقية ... والاتجاه الحديث يتجه إلى إظهار الوحدة والترابط بين هذه العلوم الاجتماعية المختلفة ... وبعد ما كانت النزعة إلى تأكيد استقلال كل علم أخذت هذه النزعة تزول وتحل محلها فكرة الاتحاد والارتباط بين هذه العلوم المختلفة ذات الموضوع الواحد وقد نظر إليه من زوايا مختلفة ألا وهو العمران البشرى.

وأما إدراكه لقانون السببية فواضح فى كثير من أقواله من ذلك قوله: « إنا نشاهد هذا العالم بما فيه من مخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والأحكام وربط الأسباب بالمسببات واتصال الأكوان بالأكوان واستحالة بعض الموجودات إلى بعض [1] ».

وقد أدرك « أن تزاحم الظواهر أو تعاقبها والبحث عن المقنع فى تباينها أو تناسبها [2] »: يؤدى إلى كشف القوانين الخاصة بها وقوانين تزاحم الظواهر هى قوانين السكون وقوانين تعاقب الظواهر هى قوانين الحركة.

كذلك لاحظ ابن خلدون عناصر نظرية النشوء والارتقاء الأساسية فقد سجل « تبدل الأحوال فى الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام ... .

وأحوال الأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال [1] ».

آراء النقد الغربى فى ابن خلدون:

لقد تبوأ ابن خلدون مكانا رفيعاً فى نظر علماء الغرب. فاعتبره هؤلاء السباق الأول إلى علم الاجتماع وعلم التاريخ. وأطلقوا عليه الفيلسوف والمؤرخ العظيم، وأعظم رجال المدنية العربية.

وأجمع فريق منهم [2] على أن ابن خلدون هو مؤسس فلسفة التاريخ كما أنه سبق دور كهيم (Durkheim) وغيره من مؤسسى علم الاجتماع الحديث بخمسمائة سنة. وفى المقدمة التى كتبها لتاريخه الكبير وضع فلسفة التاريخ تعتبر من غير شك، أعظم ما وضعه من نوعها أى عقل فى أى زمان أو مكان.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الأول ص ٩١ فى حقيقة النبوة.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤ :

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٧.

(2) Charles Issawi : Ibn Khaldoun. انظر أيضا Toynbee : Astudy of History III, 322. Khaldoun, An Arab philosophy of history, wisdom of the East, John Murray.

ويقول الأستاذ جبلوفتز « لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أوجست كونت بل قبل فيكو الذى أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعى أوروبى جاء مسلم تقى فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وأتى فى هذا الموضوع بآراء عميقة وما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع » (١) .

ويقول دى بور « لقد حاول ابن خلدون أن يؤسس نظاما فلسفيا جديدا لم يجل بذهن أرسطو ، وأن يجعل من التاريخ نظاما وهو يقول لنا : إن هذا النظام إنما هو الحياة الاجتماعية ، ومادة المجتمع كلها ، وثقافته الفكرية ، ومهمته هى أن يبنى كيف يعمل الناس ، وكيف يحصلون أقواتهم ، وكيف تتقدم الحضارة من البداية الخشنة إلى الترف الناعم ، وتزدهر ثم تضمحل وتنقضى » .

ثم يقول دى بور : إن ابن خلدون هو بلا ريب « أول من حاول أن يشرح بإفاضة تطور المجتمع وتقدمه لأسباب وعلل معينة ، وأن يعرف ظروف الجنس والإقليم ووسائل الإنتاج وما إليها وأثرها فى تكوين ذهن الإنسان وعاطفته فى تكوين المجتمع . وهو يرى فى سير الحضارة تناسقا داخليا منظما » (١) .

ويقول الأستاذ كلوزيد إنه « من حيث الجنس الذى انحدر منه والبلد الذى ولد فيه والحضارة التى ينتمى إليها - يمكن أن يوضع فى صف عظماء الرجال الذين يتبوءون فى التاريخ أسمى مكان » (١) .

ثم يقول الأستاذ كلوزيد فى مؤلفه : « إن كانت نظريات ابن خلدون عن حياة المجتمع تجعله فى مقدمة فلاسفة التاريخ ، فإن فهمه للدور الذى يؤديه العمل والملكية والأجور يحله فى مقدمة علماء الاقتصاد المحدثين » .

ويرى الأستاذ شميدت أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع ويتفق مع جبلوفتز فى أن الاجتماع وجد قبل أوجست كونت بعصور وأن ابن خلدون ذهب فى تفكيره إلى حدود لم يذهب إليها كونت ، وأنه فيما يعالج من خواص العادة والاقليم والأرض والغذاء قد سبق مونتسكيو وسبنسر وغيرهم (٢) .

---

(1) L. Gumplowicz. Ibn Khaldoun ein arabischer soziologe des 14 Jahrhunderts.

نقلا عن الأستاذ محمد عبدالله عنان ابن خلدون ص٥٢

[١] نقلا عن المؤلف السابق ص ٥٠ .
De Bœr. Geschichte der philoosphie im Islam (1901).

(2) S. Colosio-Contribution à l'étude d'Ibn Khaldoun. Revue du Monde Musulman XXVI, 1941.

(البقية على صفحة ٧٥٨)

مقارنة بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة

للأستاذ عباس طه

من حق الأمة الإسلامية أن تزهى بعراقتها وأن تتيه بمبادئها السامية، فوق ما لها من تراث هو أبقى على الزمن الباقي من الزمن، وأخلد في صحيفة الأيام أثراً، ذلك هو شريعتها الخالدة بالقياس إلى الشرائع الأخرى السابقة وهي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الأعظم. فكانت للناس مثالا يحتذى، وقبسا يستضاء به في الظلم الحوالك، فهي شريعة حافلة بالعظائم معرقة في المبادىء والمكارم جد حريصة على صيانة الحقوق، والآداب، والأخلاق. عرفت الإنسان مدى واجباته وحقوقه في دائرة الحق الطبيعي، والنظام الحكيم.

وقد أسبغ الله على شريعته ففازت بأرقى أنواع الكمال: قال جل من قائل: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا». فكان محمد صلى الله عليه وسلم أول قاض قضى بين الناس بهذا القانون الكامل بقوله تعالى: «فاحكم بينهم بما أنزل الله»، وقوله: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما».

وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يقضي إما بنص كلام الله الذي ينزل به الوحي، أو باجتهاده فيما لم يكن فيه نص، وقام مقامه بعد انتقاله الخلفاء الراشدون، فاجتهدوا في تعرف الأمور التي تفرض عليهم، فكانوا يرجعون إلى كلام الله، فإن لم يجدوا نصا اتجهوا إلى المأثور عن الرسول صلوات الله عليه، فإن لم يجدوا حكموا الآراء وأجهدوا العقول حتى يصلوا الحق وبه يحكمون.

من هذا تبين أن المصادر للفقه الإسلامي كانت أربعة: الكتاب، والسنة، والقياس الفقهي وهو تطبيق حكم حالة منصوص عليها على واقعة غير منصوص عليها، والمصدر الرابع الإجماع لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تجتمع أمتي على ضلالة). ولما كان باب الفهم واسعا رجع لما يتجه له كل مجتهد من الفهم لاحتمال الألفاظ لأكثر من معنى واحد كما يرجع إلى الاختلاف في رواية حديث، فمنهم من يرى أن الشواهد كثيرة على صحته، ومنهم من يرى العكس، غير أن اختلافهم لم يكن ناشئا عن تعصب ولا تعسف بل كان في سبيل الله والحقيقة، وتحري الصواب، والوصول إلى قانون شرعي يطبق على المجتمع.

وبسبب ذلك اتسعت دائرة البحث العلمى والفقهى ، وانطلق المسلمون فى كل ناحية من نواحى الأرض لنشر الدعوة الإسلامية ، واستنباط الآراء الفقهية .

ولقد قام كثير من المشتغلين من المصريين بالعلوم القانونية بأوربا بمباحث قيمة فى الشريعة الإسلامية كانت سببا فى وقوف الكثير من علماء الغرب على نظمها وأحكامها ودلت على أنها أخصب مصدر للقانون المقارن.

فإذا نحن أرسلنا نظرة إلى الشرائع الأخرى كاليونانية والرومانية نجد المدى بعيدا شاسعا بين الطرفين .

وعن الثانية يقول الأستاذ الأمريكى شيرمان: «إن الفضل فى عودة المدنية إلى أوربا بعد طوفان العصور المظلمة راجع إلى القانون الرومانى » .

وإنا لنورد طرفا منها لنتبين الفروق بينها وبين الشريعة الإسلامية .

كانت شريعة الرومان أول أمرها عبارة عن تقاليد مبنية على معتقدات كانت أساسا لنظام الملك ، وكان الملك هو الرئيس الدينى المشرع وهو القاضى الذى يحكم طبقا لهوى نفسه وإن لم يتفق حكمه مع العدالة وكان من يخالف حكمه يعتبر معرضا لسخط الآلهة وكانت طرق الادعاء مبنية على أساليب غريبة معقدة شاقة وإشارات وعبارات معينة أقل هفوة فيها كانت تضيع الحق على صاحبه .

ولبيان ذلك نسوق المثل الذى أورده (جيوس) ، وهو يتلخص فى أن شخصا قطع أشجارا لجاره بغير حق فذهب الرجل لرجال الدين يستلهمهم صورة الدعوى فأملوه الصورة الآتية: (أقول إن المدعى عليه قطع أشجارى بغير حق) ولكن المدعى عند ما ذهب للحاكم القضائى وبدأ يلقيها لم يقل قطع أشجارى ولكنه قال قطع كرومى ظنا منه أن التخصيص أفضل من التعميم فترتب على هذا التغيير اللفظى سقوط الدعوى وضياع الحق .

دع هذا وانظر للشريعة الإسلامية وما فيها من اليسر تجد الرسول عليه الصلاة والسلام يقول (إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقضى له قطعة من نار) أليس فى هذه المقارنة البسيطة ، ما يدل دلالة صريحه على أن الشريعة الإسلامية شريعة حق وعدل وإنصاف وأنها تعنى بإحقاق الحق لذاته ولا تعنى بالأعراض ؟ .

خذ مثلا آخر عن الشهود وما كانوا يلاقونه من مشقة وتعقيد ، كان الخصوم يستصحبون أصدقائهم وأقاربهم لتأدية الشهادة شفهيا طبقا لنصوص معروفة وشكليات مخصوصة ، فإذا امتنع شاهد عن تأدية الشهادة لنسيان طرأ

عليه لطول عهد الحادثة ، أو لنسيان بعض كلمات الصيغة التي يمليها عليه بعض رجال الدين فإن الشاهد يتعرض للجزاء ، ذلك الجزاء هو أن يذهب من طلبه للشهادة أمام داره ويلقى بعبارات هي في الواقع لعنات ولخطورة هذه اللعنات يخول الشاهد إبطال ذلك السباب إذا استطاع أن يثبت أنه لم يشهد زوراً أو لم ير شيئا يشهد عليه .

وكان عندهم أن للدائن حق الاستيلاء على مدينه إن لم يدفع الدين أو لم يقم كفيلا للسداد وللدائن أن يبيع مدينه كالرقيق ، وأن يسترده إن سرق منه .

وكان عندهم أن السارق إن ضبط متلبسا فللمسروق منه أن يبيع السارق كالعبد .

شريعة قاسية في أحكامها عنيفة في مبادئها يقتل فيها المدين إن لم يسدد ما عليه من الدين ، كما أن للمجني عليه أن يقتص من خصمه بيده وكان عندهم أن من يدعى بدين على آخر ولم يثبته فللمدعى عليه أن يدعوه للمبارزة ويثبت الحق في ذمة المغلوب . وكانت عقوبة الموت تنفذ شنقا أو حرقا أو بفصل الرأس عن الجسد أو بالجلد أو بالإلقاء من صخرة .

لعل معترضا يقول : إن هذه الإجراءات الخرافية والمنافية للعدالة كانت في بدء حياة الرومان ، وقد تحسنت حالتهم ووصلت بعد تطورها إلى الحالة العظيمة التي جعلت علماء الغرب يتغنون بذكرها - ونحن نقول إن الشريعة الإسلامية بدأت متمشية مع العدالة جنبا لجنب ، وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم في قوم أشداء مشركين طغاة ، متجبرين متكبرين ، فلما أودع الله فيه من صميم الحكمة ولباب الحق وبلاغة الحجة رفع علم الإنصاف والعدل ، فلا يرى في الشريعة الإسلامية من مبدئها للآن خرافة ، ولا نرى فيها عوجا ، وستظل كذلك ليوم الساعة إن شاء الله .

إذن فلا مراء في أن الشريعة الإسلامية تساير كل زمن ، وتواكب كل جيل ، وتفتح صفحاتها . إما بالحسنات الطيبات والمثلات الرفيعات . وإما بالسيئات والموبقات للأمم والأفراد والجماعات . ومعناه أن الشريعة الإسلامية بما حملت في أطوائها من خلود غير مصحوب بجحود تفتح صفحاتها للمحسنين فتجزيهم على ما قدموا من مثلات وما أسلفوا من عبر وعظات . ثم تفتح صحيفة أخرى لمن أساء فهمها وخرج على تقاليدها وتعمد مجاوزة حدودها والتنائى عن مبادئها الفاضلة وأحكامها الماثلة بمعاقبتهم وأخذهم بالجزاء الصارم جزاء وفاقا . فالشريعة ذات ناحيتين : ناحية ثواب . وناحية عقاب ، وذات أفقين : أفق طيب مرىء يسع الأبرار بمثلاته وطيباته وأفق يأخذ على يد الفجار المستهترين الذين خرجوا على حدود الله وجهلوا محاب الله ومراضيه ، فإما نعيم مقيم ، وإما جحيم أليم والعاقبة للمتقين .

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

مراكش مستقلة - بقلم: روم لاندو

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأستاذ روم لاندو هو أستاذ الدراسات الإسلامية ودراسات إفريقية الشمالية فى جامعة المحيط الهادى بمدينة كليفورنيا ، وهو سائح باحث قديم عهد بالبحث فى مسائل الديانة عامة والديانة الإسلامية خاصة ، وله مؤلفات كثيرة فى هذه المسائل على تعدد أبوابها ، وبعضها مقصور على البحث فى الحياة الإسلامية كما عرفها بين المسلمين من أبناء المغربين الأدنى والأقصى حيث قضى سنوات من حياته ، ولا يزال يقضى ما اتسع له من الوقت فى إحدى حواضرها .

وفضيلة هذا المؤلف فى كتاباته عن المسلمين أنه يشغل نفسه بالتفتيش عن الجانب السليم أو جانب الأمل من الحياة الدينية والدنيوية بينهم ، وليس كل شغلانه بالتفتيش عن الجوانب التى تبعث التشاؤم من الناحية الإسلامية وتبعث التفاؤل من الناحية الأخرى التى تقابلها : ناحية أولئك الذين يتربصون بالإسلام الدوائر من كتاب التبشير والاستعمار .

وعلى سنته هذه جرى فى الكتابة عن حالة المسلم العصرى المثقف ، وغير المثقف ، فى البلاد المراكشية بعد استقلالها ، وبخاصة فيما يتراءى للمراقبين الأوربيين الذين يزورون البلاد وينظرون إلى أثر الحضارة والحرية على قوة العقيدة الدينية بين الشبان المتعلمين .

وقد كتب أحد السائحين الإنجليز مقالا زعم فيه أن طوالع الأحوال كما رآها أخيراً تدعو إلى اليقين بانفضاض البلاد عن الدين وإقبالها على المراسم الأوربية بعد سنوات قليلة ، فيما يتعلق بنظم الحكم ونظم المعيشة التى تتصل بالمعاملات الأجنبية ، سياسية كانت أو اجتماعية .

فكتب الأستاذ لاندو يرد على ذلك السائح بما وعاه من مشاهداته الكثيرة ، ومنها أحاديث المتعلمين فى وليمة بمدينة مراكش حضرها وذكر أن الحديث على المائدة أوشك أن يدور على موضوع واحد وهو موضوع التصوف ، ثم قال :

« شجعنى موضوع هذا الحديث على إثارة السؤال عن حالة الإسلام فى مراكش المستقلة ... فانبعثت كلماتى حماسة عظيمة وكاد الحاضرون أن ينطلقوا بالكلام معاً دفعة واحدة . ثم تكلم الحاكم نفسه - وهو أوفرهم نصيبا

من التربية الأوربية ـ فأفضى بما يعتبر الرأى الفصل المتفق عليه بين الحاضرين ؛ وفحواه أن السائح الأجنبى يستحيل عليه أن ينفذ إلى حقيقة الحياة الدينية الإسلامية . فإن الشاب المراكشى قد يشرب ويطلق لسانه بالحديث فى مظاهر المعيشة الأوربية ، ولكنه إنما يفعل ذلك حبا للظهور أو لاختيار نوع غريب من المعيشة . وقد يتخلف عن الذهاب إلى المسجد ولكنه يؤدى الصلوات فى مواقيتها ويدين بالمهم الأساسى من الفرائض الدينية ، وإذا احتاج إلى الهداية الروحية فى أزمات ضميره فإنما يتجه بطلب هذه الهداية إلى القرآن . ولا تزال علاقاته بأبويه وبأهله وبما يؤمن به من فضيلة أو رذيلة هى تلك العلاقات التى يستوحيها من الآداب الإسلامية . وربما خطر له أن يوقع فى روع صاحبه الأوربى أنه رجل (متقدم) يتخلى عن القديم ليأخذ بالجديد ، ولكنه ضرب من الدفاع عن الذات أمام الغريب . إذ هو على يقين أن هذا الغريب يجهل حقيقة الإسلام ويعتبره فى عرفه مرادفا للرجعية ... على أن الغرباء الأجانب إنما يسمعون هذه الأحاديث من فئة قليلة بين الذين يقال عنهم إنهم فكريون Intellectuels ويجوز أن يكون بعضهم قد تحول عن ديانته ليدين بالمذاهب الهدامة . إلا أن هؤلاء الفكريين المزعومين لا يمثلون أحداً فى الأمة المراكشية غير أنفسهم . فإذا أردت حقا أن تعرفنا ـ كما نحن ـ فإنما تعرفنا هذه المعرفة بمشاركتنا فى حياتنا اليومية ... » .

وقد سرد الأستاذ لاندو فى الكتاب أحاديث شتى سمعها من الشبان والشابات ، وروى جملة من المشاهدات التى مر بها اتفاقا فى مدن العواصم وقرى الريف ، ومن أعجبها عنده أنه كان يتحدث إلى فتاة متعلمة تحسن الكلام بالفرنسية كإحدى الفرنسيات ، وكانت تشترك فى أحاديث المجلس وهى مقنعة بقناعها التقليدى فسألها : كيف توفقين بين عادة البرقع وهذه الآراء العصرية التى تجهرين بها . فكان جوابها أن الإنسان لا يعتقد ما يعتقده بملابسه . وأنها تستطيع أن ترفع القناع ولكنها لا تحب أن تؤلم أباها وأمها بعمل لا يستريحان إليه . وحكى أنه كان يركب أحيانا إلى منازه المدن فيرى الفتى الناشئ ينزل عن مطيته فى موعد صلاة المغرب ليتنحى جانبا ويؤدى صلاته قبل مواصلة السفر إلى وجهته ، وحكى عن طائفة الأتباع والخدم الذين عرفهم فى بيته أو فى بيوت أصحابه أنهم يعاشرون الأجانب زمنا ولكنهم يقومون بفرائضهم ولا يشربون الخمر أو يأكلون المحرمات .

ولم يستطع الرجل أن يحكم على الذين حادثهم واختبر شئونهم من أبناء البلاد بحكم واحد يشملهم جميعا ، ولكنه استطاع أن يقول أن الأوربيين المتعجلين يخطئون الظن خطأ بعيداً إذا اغتروا بظواهر الفرنجة وحسبوها علامة على المروق من العقيدة . فإن الظواهر

خداعة فى مسائل الدين التى تنطوى عليها الضمائر خلال عصور المحنة وليست هى بالعلامة الصادقة على الشعور الخفى الذى لا يدركه صاحبه أحيانا ، فضلا عن الغرباء عنه من أبناء وطنه أو أبناء الأوطان الأجنبية .

فربما شوهدت الغيرة على الإسلام بين أناس يهملون الشعائر ويخالفون الفرائض ولا يحرصون على التقاليد ، وربما كانت الغيرة الوطنية التى تحتدم فى نفوس الكثيرين من الساسة المتطرفين قبسا من غيرة المسلم على حماه وعلى تاريخه القديم ، ولا يجوز أن يفهم الأوربى أن المسلم يتخلى عن نسبته إلى الإسلام إذا لاح عليه أنه قد تخلى عن بعض الشعائر والتقاليد .

والذى نحب أن نزيده على تعليقات الأستاذ لاندو أن أمثال هذه الظنون التى تخامر بعض الكتاب عن الإسلام قد سلفت فى الأزمنة الخالية غير مرة منذ أوائل الدولة الأموية إلى هذه الأعوام الأخيرة ... وقد خفيت على مؤرخى القرون الخالية دلالتها العارضة ودلالتها الدائمة ، فخطر لهم فى كل مرة أنها نذير بزوال الدين أو عرض من أعراض النهاية التى يقدرونها لكل عقيدة كما يقدرونها لكل حضارة أو لكل نظام من نظم الاجتماع ، ولو أن المتأخرين استفادوا من عبر الماضى لاجتنبوا الخطأ فى رأى واحد بين سائر الآراء وهو خطأ الظن بأنها « الشيخوخة » قد عرضت للدين نفسه وآذنت بانتهاء حياة الإسلام إلى ما تنتهى إليه كل حياة . فإن العرض الواحد لا يكون من أعراض الشيخوخة عشر مرات .

حدث فى أواخر أيام الخلفاء الراشدين أن المسلمين الذين انتقلوا إلى البلاد المفتوحة فتنوا بمحنة الحضارات المنحلة ، وقارفوا بعض منكراتها وهجروا بعض عاداتهم فخيل إلى أعدائهم كما خيل إلى بعض الغلاة منهم أنها نذر الضياع على قول فريق ونذر القيامة على قول آخرين ، وجاء « رد الفعل » كما نقول فى اصطلاح هذه الأيام غلواً من الخوارج فى التشديد وإمعانا من الأعداء فى الدس الخفى أو فى العدوان الظاهر ، ثم انقضت الدولة كلها ـ وهى أول دولة إسلامية ـ وقامت بعدها دولة العباسيين على أساس من الغيرة للدين والنخوة لبيت النبوة .

وتكررت هذه الظاهرة على مثال أخطر وأكبر فى إبان دولة العباسيين ، فإن احتكاك العالم الإسلامى بعالم الحضارة الرومية وعالم الحضارات الشرقية المنحلة قد أفشى بين المسلمين من جميع الأجناس بدعا كهذه البدع التى يذكرها السائحون المعاصرون ويرد عليهم الأستاذ لاندو بما أجملناه ... كان الرجل منهم يتظرف بالزندقة ليقال عنه إنه من المتقدمين على اصطلاحنا فى هذه السنين ، وكان المفكرون المزعومون يلقى بعضهم بعضا بالسؤال عما يعتقده مذهبا له كأنما كانت عقائد المذاهب ضربة لازب مع العقيدة

الإسلامية العامة كما قال ميسرة بن حسان السمرى يسأل ابن أبى الشيخ :

دخلتنا الشكوك يا ابن أبى شيخ
بأى الأديان أنت تدين
وإلى أيها تميل يا ابن أبى جعفر
كم ذا الهوى وذا التلوين ؟

وكان «التظرف» يقضى على أدعيائه أن يخلطوا الهزل بالجدل فى دعاوى المجون والحكمة وشواغل الأدب وغير الأدب كما قال ابن الرومى فى صاحبه أبى على البصرى :

قولا لطوط أبى على
بصرينا الشاعر المنجم
المتندر المضحك المغنى
الكاتب الحاسب المعلم
الفيلسوف المعظيم شأنا
العائف القائف المعزم
الماهن الكاهن المعادى
فى نصر إبليس كل مسلم

وظن «السائحون» قديما من قبيل السائحين حديثا أن العالم الإسلامى مرق من الإسلام وانطفأت غيرة الإنسان على حوزته من قلوب المسلمين ، ولكن العالم الإسلامى — هذا بعينه — قد وقف بعد ذلك بحقبة قصيرة فى وجه القارة الصليبية وجاء بشعوبه من أقصى المشرق لرد الغارة بمثلها إلى قلب القارة الأوربية .

ولما مضت على هؤلاء المسلمين فى شرق القارة الأوربية بضعة قرون خيل إلى بقايا الصليبيين أنهم قد « نضجوا » للتبشير وقد أصبحوا على استعداد للنزول عن شريعتهم كما نزلوا عن أحكام معاملاتهم فى تلك الامتيازات « الأجنبية » التى سموها من أجل ذلك «بالتنازلات» Capitulations أو التسليمات!

ولكن هذه التنازلات بعينها كانت بعد ذلك صيحة الثورة على السيطرة الأوربية ، حتى زالت الآن ورجعت عنها الدول الأوربية بدلا من رجوع الإسلام بعدها عن غيرها من معالمه وتقاليده .

فإذا كان شيوع التقاليد الحديثة أحيانا باعثاً من بواعث الأسف ودليلا من أدلة التهاون ، فتلك حالة توجب على المسلمين ، ولا ريب ، أن يبدلوا بها ما هو أوفق منها للآداب الإسلامية ، بل للآداب الإنسانية التى تخالفها التقاليد المعيبة كما تخالف حقيقة الإسلام.

ولكن التشاؤم منها يزيد على قدره الصالح إذا خيل إلينا أنه تشاؤم من مصير الدين كله ويزيد تفاؤل المتربصين به أيضا عن قدره الصالح لم إذا اعتبروه « عرضا إسلامياً » ولم يفهموا من حقيقته قبل ذلك أنه عرض أجنبى يسرى من جانبهم ويوجب عليهم أن يتشاءموا منه لأنفسهم ولا يقصروا شؤمه على مستقبل الإسلام .

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

الإسلام والتقدم

لشاعر العراق : معروف الرصافي

يقولون في الإسلام ظلما بأنه ... يصد ذويه عن طريق التقدم
فإن كان ذا حقا فكيف تقدمت ... أوائله في عهدها المتقدم
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله ... فماذا على الإسلام من جهل مسلم
هل العلم في الإسلام إلا فريضة ... وهل أمة سادت بغير التعلم
لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلى ... بصائر أقوام عن المجد نوم
وحلت له الأيام عند قيامه ... حباها وأبدت منظر المتبسم
فأشرق نور العلم من حجراته ... على وجه عصر بالجهالة مظلم
ودك حصون الجاهلية بالهدى ... وقوض أطناب الضلال المخيم
وأنشط بالعلم العزائم وابتنى ... لأهليه مجدا ليس بالمتهدم
وأطلق أذهان الورى من قيودها ... فطارت بأفكار على المجد حوم
وفك إسار القوم حتى تحفزوا ... نهوضا إلى العلياء من كل مجثم
فخلوا طريقا للبداوة مجهلا ... وساروا بنهج للحضارة معلم
فدوت بمستن العلى نهضاتهم ... كزمزع ريح أو كتيار عيلم
وعما قليل طبق الأرض حكمهم ... بأسرع من رفع اليدين إلى الفم
وقد حاكت الأفكار عند اصطدامها ... تلألؤ برق العارض المتهزم
ولاحت تباشير الحقائق فانجلت ... بها عن بني الدنيا شكوك التوهم
وما ترك الإسلام للمرء ميزة ... على مثله ممن لآدم ينتمي
فليس لمثر نقصه حق معدم ... ولا عربي بخسه فضل أعجمي
ولا فخر للإنسان إلا بسعيه ... ولا فضل إلا بالتقى والتكرم

وليس التقى فى الدين مقصورة على ... صلاة مصل أو على صوم صيم
ولكنها ترك القبيح وفعل ما ... يؤدى من الحسنى إلى نيل مغنم
فتقوى الفتى مسعاه فى طلب العلى ... وما خصت التقوى بترك المحرم
فهل مثل هذا الأمر بالأولى النهى ... يكون عثاراً فى طريق التقدم
وإن لم يكن هذا إلى المجد سلما ... فأى ارتقاء بعد أم أى سلم
ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم ... رويداً فنحن فارقتم كل مأثم
فلا تنكروا شمس الحقيقة إنها ... لأظهر من هذا الحديث المرجم
علونا وكنتم سافلين فلم نكن ... لنبدى إليكم جفوة المتهكم
ولم نترك الحسنى أوان جدا لكم ... وتلك لعمرى شيمة المتحلم
فلما استدار الدهر بالأمر نحوكم ... كشفتم لنا عن منظر متجهم
فلا تأمنوا الأيام إن صروفها ... كما هى إذ أودت بعاد وجرهم

معروف الرصافى

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٩)

وقد بلغ من إعجاب الأستاذ كلوزيو بابن خلدون أن قال مقارنا إياه بمكيافلى : « إذا كان رجل فلورنسا الكبير قد علمنا كيف يساس الناس فإن طريقته فى ذلك إنما هى طريقة الدبلوماسى والسياسى الحاذق بينما نرى أن العالم التونسى قد نفذ إلى الظواهر الاجتماعية ناظرا إليها نظرة الاقتصادى والفيلسوف المتعمق فسمح له ذلك بأن يعالج موضوعه بسعة أفق وروح نقد لم يعهد لهما نظير فى زمنه [1] » .

وإننا ندعو رجال العلم أن ينهضوا لننفض عن نفائسنا الغبار لتتخذ مكانها فى مجال العلوم والمعارف ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى تحقيق هذا الأمل العظيم .

محمد محيى الدين المسيرى

(1) S. Colosio-Revue du Monde Musulman. XXVI. 1914. p. 319.



نقـــد وتعريف

بقلم : الأستاذ محمد عبد الله السمان

---

١ — جرائم الحدود :

للأستاذ محمد عطية راغب

هذا الكتاب نشرته مكتبة القاهرة الحديثة تحت عنوان : جرائم الحدود فى التشريع الإسلامى والقانون الوضعى ، والمؤلف غير غريب عن مجلة الأزهر ، فهو يمدها من حين لآخر بمقالاته المعنية بالدراسة القانونية .

ودراسة الكتاب تقع فى أكثر من خمسمائة صفحة ، وهى دراسة فى الفقه المقارن ، وقد يكون الكتاب الأول من نوعه فى انفراده بعرض الحدود على ضوء الدراسة المقارنة ، والمؤلف يمهد لهذه الدراسة بتعريف شامل لجرائم الحدود ، وأوجه الشبه والخلاف بينها وبين الجرائم التعزيرية من ناحية وبينها وبين جرائم القصاص من ناحية أخرى ، ثم تجىء موضوعات الكتاب فى خمسة أبواب تناول فيها المؤلف : جرائم الحدود ، الزنا ، السرقة ، قطع الطريق ، القذف ، شرب الخمر .

وفى كل باب يعرض الجريمة الحدية وحكمة تحريمها ، وعدالة الاسلام فى توقيع العقوبة على مرتكبها ، ثم يحلل أركانها ، وما يحوطها من شبهات ، وشروط أدلة الاثبات ويناقش ، العقوبة وتطوراتها فى مجال الإسلام والتشريع الوضعى ، وهو فى العرض والتحليل والمناقشة يعتمد على آراء الفقهاء المسلمين من أصحاب المذاهب المقلدة وغيرهم من المجتهدين ويلم ، إلماما دقيقا شاملا بالموضوع حتى تأتى دراسة وافية كاملة .

المؤلف حصر الحدود فى تلك الجرائم الخمس المتفق عليها تقريبا ، ولم يتعرض للردة وهى حد من حدود الله ، وقد أضاف ابن حزم أيضاً جحد العارية ، وذكر الأستاذ عبد القادر عودة فى التشريع الجنائى أن الحدود سبعة أضاف إلى الخمسة : الردة ، والبغى . وكذلك الدكتور عبد العزيز عامر فى كتابه : التعزير فى الشريعة الإسلامية ، وما كان يضير الكتاب أن يتناول المؤلف بقية الحدود المختلف فيها على أوسع نطاق .

وقد خلا الجزء الخاص بقطع الطريق من الدراسة المقارنة ، حيث لم يشر فيه إلى رأى الفقه الوضعى ، كما أن الحواشى للكتاب قد طغت طغيانا كبيراً على الدراسة الأصيلة فى الكتاب ، وكان من الممكن ألا يعمد المؤلف إلى التركيز المبالغ فيه ، وكنا نود أن لا يؤيد المؤلف أحد آراء الفقهاء مثلا فى عبارة تسليمية سريعة دون أن يذكر أسباب حكمه على الرأى الذى أيده ، والرأى الذى عارضه ، فعبارة « فآخذ بالرأى الأول أو الثانى - مثلا - لأنه أقرب إلى الصواب » مثل هذه العبارة التأييدية لا وجود فيها للبراهين العلمية ، والمؤلف بعد ذلك أسرف فى التبويب الدراسة ، فاستهلك صفحات عديدة فى تركها بيضاء إلا من سطر أو سطرين ، ولا أظن أن القارىء يستريح إلى تنسيق الفهرست الذى يعول عليه كثيراً من يعتبر هذه الدراسة مرجعاً أصيلا .

ولا نكران فى أن الأستاذ محمد عطيه راغب بذل جهوداً ضخما فى تقديم دراسة مقارنة ، تعتبر مرجعاً وافياً شاملا ، وقد ألم إلماما دقيقا بآراء فقهاء الإسلام ، وبآراء فقهاء التشريع الوضعى فى البلاد العربية ، ولو أنه عرض لآراء الفقه الوضعى المعاصر فى الغرب لجاءت الدراسة فريدة فى نوعها ، ومع هذا فالدراسة التى قدمها تشهد للمؤلف الحقوق الشاب بعقلية ناضجة وأفق واسع ، وطاقة احتمال كبيرة فى استيعاب النصوص .

٢ - عبد الله بن سبأ :

للأستاذ مرتضى العسكرى

هذه طبعة ثانية من الكتاب نشرتها مكتبة النجاح فى بغداد . والمؤلف أحد علماء الشيعة بالعراق ، والكتاب فى حوالى مائتى صفحة ، إلا أن قضية عبد الله بن سبأ لم تظفر منها إلا بصفحات معدودة . وقضية ابن سبأ هى الأصل فى موضوع الكتاب .

والمؤلف فى الدراسة الخاصة بابن سبأ يرى أن ابن سبأ نفسه أسطورة ، وليس حقيقة تاريخية ، ويعتمد على أن الطبرى هو المرجع الأول فى القصة أخذ منه من جاء بعده من المؤرخين ، كابن الأثير وابن عساكر ، ومن المعاصرين كالشيخ رشيد رضا والأستاذ أحمد أمين فى « فجر الإسلام » ، والطبرى اعتمد على رواية « سيف بن عمر التميمى » ، وأخذ المؤلف فى تجريح « سيف » تجريحا بالغا مستشهداً بآراء جمهرة من العلماء ، كابن معين ، وأبى حاتم ، والنسائى ، وأبى داود ، وابن عدى ، والدارقطنى ، والحاكم ، وابن عبد البر ، وابن حجر ، والسيوطى ، ولسيف بن عمر مؤلفان : الفتوح الكبير والردة ثم مسير الجمل وعائشة وعلى . .

والدراسة الخاصة بهذا الجزء نقدرها ونحترم المؤلف فيها .

إلا أن المؤلف ـ عفا الله عنه ـ يكشف عن نفسه فى بقية الكتاب ، فهو يقرر بأسلوب سلس ، أن مؤامرة دبرت على رأسها الشيخان : (أبو بكر وعمر) لتنحية (على) عن الخلافة ، ويأخذ عليهما أن أمر الخلافة حملهما على أن يتركا رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ مسجى ، ويهتما بأمر جماعة المسلمين ، ولا يقنعه : أنه كان من الممكن أن يندلع لهيب الفتنة ، لو لم يظهر حزم عمر ، ويجمع أمر الجماعة على خليفة لرسول الله ، كان صفيه وخليله ونائبه فى الصلاة حين ثقل عليه المرض ، وقال عنه ـ صلوات الله عليه : إن إيمانه يرجح إيمان الأمة بأسرها .

والعجيب أن الروايات والأحاديث التى ساقها المؤلف ورأى فيها دليلا على أحقية (على) بالوصاية على المسلمين ، ليس فيها رأى قاطع أو شبه قاطع ، والتأويل يقوم بدور خطير فى القضية ، كما أن الروايات المتراخية التى تشبث بها الشيعة ليست بأحسن حالا من روايات وأحاديث (سيف بن عمر) مبتكر أسطورة (عبد الله بن سبأ) .

وليس التشكيك فى خُلق (الشيخين) وضميريهما بالشىء الهين السهل ، وقضية الوراثة فى الخـلافة الإسلامية فى الحكم مما لا يقره الاسلام فى كثير أو قليل ، ولا يرضاها الاسلام لبنى هاشم أو بنى أمية ، أو بنى العباس ، ولا لمن جاء بعدهم .

وبعد ـ فقد كنا نود أن يرحم الاسلام اليوم من المناقشات الطائفية ، وهو المثخن بالجراح من أتباعه وأعدائه على السواء ، لا سيما أن المؤلف عالم جليل له قدرات كبيرة فى التحقيق العلمى ، وقد استطاع فى الترجمة للأعلام ، والتأريخ للحوادث ، أن يودع مؤلفه جانبا من المعلومات تعتبر بمثابة مرجع موجز سريع ، يفيد منه الدارس والقارئ معا .

* * *

٣ - الاسلام . . لا الشيوعية :

للأستاذ اسماعيل مظهر .

كتاب جديد لأستاذنا نشرته دار النهضة العربية بالقاهرة ، وهو على صغر حجمه يحمل بين دفتيه معانى كبيرة على جانب من الخطورة ، هى فى مجموعها عرض للخطوط البارزة للإسلام الذى رضيه الله لعباده ، ثم دفاع عنه موجه إلى أعدائه المتربصين به الدوائر ، وإلى أتباعه المتخلفين عن ركب الحياة الصحيحة التى رسمها الاسلام نفسه .

فالإسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وهو دين الانسانية التى تقدس حياة الفرد وكرامته وحريته .

ويناقش أستاذنا فكرة الاسلام دينا ودولة ، فيقرر أن الحقيقة الرائعة المستمدة من طبيعة الرسالة الاسلامية وأصولها

وفروضها وسنتها هى أن الاسلام : دين ودولة ، فى الرسالة لا ينفك إسلام عن دولة ، ولا تنفك دولة عن إسلام ، ورسالة الاسلام مخالفة لجميع الرسالات التى سبقتها ، ومن هنا كان المعنى المستفاد من أنها مكملة الرسالات وخاتمتها .

ثم يعد له المؤلف كليات الاسلام التى تتجه جميعها إلى خير الإنسان ـ والإسلام جاء من أجل الإنسان ـ وهى أولى الكليات ، والثانية أن الإسلام روح قبل أن يكون نصوصا ، والثالثة أن الدنيويات المباحة المطابقة لروح الاسلام سابقة فى الأفضلية على الأخرويات والرابعة أن رسالة الإسلام رسالة الحرية والاستقلال ، والخامسة أن رسالة الإسلام مرنة فيها طواعية لحاجيات البشر ، والسادسة والسادسة أن الإسلام رسالة لا تعقيد فيها ، والسابعة أنها رسالة العلم والفكر ، والثامنة أن الحكم فى الاسلام يقوم على الشورى ، والتاسعة أن التقوى أساس المعاملة ، كما أن العدل أساس الحكم ، والعاشرة والأخيرة ، أن رسالة الإسلام دولة تقوم على هذه الكليات ...

وبعد أن يعرض الغزوين اللتين وجهتا إلى الإسلام : الغزوة الاستعمارية ، والغزوة المادية الالحادية الدموية ، يأخذ بنواصى الشيوعية ، ويفند أوهامها ، ويأتى على أصولها ، ويقرر أن الإسلام والشيوعية نقيضان وشتان ما بين نظام يقوم على حرية الفرد والشورى والعدل والمساواة ، ونظام يقوم على الاستبداد الفردى وحرب الطبقات ..!

ولكن أستاذنا يقول فى صفحة أخرى : إن حد الدين فى الإسلام شىء ، وحد الدولة شىء آخر ، والحدان بينهما برزخ ، حتى لا تبغى ناحية منهما على أخرى . . . من هنا أعتقد اعتقادا جازما أن الدين والدولة منفصلان تماما فى مفهوم الإسلام ، وأنهما لا يلتقيان إلا فى ناحية واحدة ، هى أن ما شرع للدولة وما شرع للدين فى الإسلام ، كلها فرائض فى عنق المسلم ، من غير أن يكفى الدين على فرائض الدولة . . وبالعكس .

ولست أدرى كيف يستقيم هذا القول مع قول آخر للمؤلف : الإسلام فكرة جامعة ، ومعنى الفكرة الجامعة أنه دين ودولة ، ومهما حاول البعض أن يخرج عن الإسلام هذه الصفة ، فسيظل فكرة جامعة تجمع الدين والدولة فى فكرة واحدة ، هى فكرة الدفاع عن المجموع الذى يستظل بظل الإسلام ... ؟

إن مصادر الإسلام السليمة وفى مقدمتها : الكتاب والسنة المعتمدة ـ هذه المصادر ، شرعت للدين أصوله ، والدولة أحد هذه الأصول ، ولا يشذ الأصل الخاص بالدولة عن استمداد تنظيماته من الدين ، وإذا فهمنا

من القول الأول للأستاذ ، أن يكون الدين بجرد صلة بين العبد وربه . فلن يكون ثمة فرق بين هذا المفهوم . وبين مفهوم المحاولين لهدم كيان الإسلام عن طريق حصر الدين فى أن يكون بجرد صلة بين العبد وربه ، وترك الدولة تحت سيطرة أهواء وشهوات الحاكمين بأمرهم !

والمؤلف لا ينكر أن فى التشريع قواعد أصولية تضمن للدولة أن تساير الحياة وتطورها ، وحيثما كانت المصلحة فثمّ شرع الله كما يقول الأصوليون . . وللمؤلف بعد ذلك تقديرنا لقلبه وفكره . . !

٤ ـ مبادئ ومثل :

للأستاذ أحمد محمد جمال

المؤلف أديب حجازى ، وعضو مجلس الشورى فى المملكة العربية السعودية ، وهو يواصل الكتابة تحت عنوان : (على مائدة القرآن) وحلقته هذه هى الحلقة الرابعة التى نشرتها فى كتاب ، مكتبة الثقافة ، فى مكة المكرمة .

جاء الكتاب فى فصلين كبيرين ، تناول الأول ، مبادئ ومثلا لإصلاح الفرد والأسرة ، وتناول الفصل الآخر : مبادئ ومثلا لتوجيه المجتمع والدولة ، ولقد عرض فى الأول بضعة عشر جانبا فى الأبوة والأمومة ، الحقوق والعقوق ، قضية المرأة ومشكلة الأنثى ، قوامة الرجل ... وفى الفصل الثانى عرض بضعة وعشرين جانبا : فى القدوة العملية ، فلسفة الاحتياج ، محاكم التوفيق ، قدسية العلم ومكانة العلماء ، بين الإنسانية والأنانية . .

والأديب الحجازى ، يلجأ إلى ساحة كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليعرض المعانى الكبرى ، والقضايا الحية ، مستشهداً به فى أسلوب تحليلى خصب ، يمتزج بسلاسة اللفظ ، وعمق المعنى ، وقوة الحجة ، وبالقصة القصيرة لاستخلاص عظة ، واستنتاج فكرة ، ويتجه نحو المعنى الإنسانى ليبرزه إبرازاً ، ويحوطه بهالة من الجلال والعظمة .

إنه اتجاه جديد فى إيصال معانى القرآن من أقرب طريق ، وفى أيسر أسلوب ، دون ما لجوء إلى مناقشة بيزنطية مملة ، أو تأويل مرهق للذهن ، أو غموض مشوش للتفكير .

ولكن الكاتب الأديب فى بعض الأحيان تحمله الغيرة الإسلامية على أن يسمح للأسلوب الخطابى بالتسلل إلى أسلوبه ، كما أن عنصر المناقشة الهادئة فقدناه كثيرا فى كتابه ، إذ أن للمبادئ والمثل العليا التى طرقها ما يقابلها من مبادئ ومثل دنيا ، كانت فى حاجة إلى مناقشتها والأخذ بنواصيها لا سيما وأن الأستاذ جمال عود أسلوبه أن لا يطرق بابا من أبواب التزلف ، وألا يفتح نافذة من نوافذ النفاق ، والتزلف والنفاق

يكادان يملأن اليوم ومن قبل هناك ، جزءا من كيان معظم الأدباء .

٥ ــ بناء الاقتصاد فى الإسلام :

للأستاذ زيدان أبى المكارم

هذا الكتاب نشرته مكتبة دار العروبة فى القاهرة . والمؤلف عالم فاضل ومبعوث وزارة التربية فى ألبانيا كمدرس فى جامعتها .

جاء البحث فى ستة فصول : الاقتصاد فى مكة فى ضوء القرآن ، ثم فى ضوء السنة والسيرة ، والاقتصاد فى المدينة فى ضوء السنة أيضا ، ثم توجيه الإسلام للاقتصاد ، ثم موقف الإسلام من علم الاقتصاد ـ هذا وقد قدم لدراسته ببحث موجز عن الروحية والمادية .

يرى المؤلف أن الإسلام فى توجيهه للاقتصاد ، رسم قواعد التخطيط ، فوضع قانون التسعيرة ، وحرم الربا والاستغلال ، وضمن كفالة الضعفاء .

الحق أن فضيلة الشيخ زيدان أبى المكارم استوعب بين دفتى كتابه نصوصا قرآنيــة وأخرى من السنة والسيرة ، ولكن الذى نأخذه على فضيلته أنه أسهب فى النقل دون تعقيب مناسب ، كما أن دراسته خلت من عنصر المقارنة ، فهو لم يتعرض من قريب أو بعيد للمذاهب الاقتصادية المعاصرة ، وموقف الإسلام منها ، وهذا نقص كنا نود أن يتلافاه ، كما أنه مر بقضية الربا مرورا عابرا دون أن تنال ما هى جديرة به من المناقشة ، وهى تمثل اليوم فى اقتصادنا مشكلة قائمة عتيدة .

٦ ــ براكين الدماء :

للأستاذ عبد الحليم حفنى بكرى

هذه دراسة فازت بجائزة وزارة الشئون ، والمؤلف شاب من خريجى كلية اللغة العربية ، كانت دراسته حول (الثأر) واعتمد فيها على واقع البيئة التى درج ونشأ فيها ، وهى إحدى قرى الصعيد حيث يتفاعل الثأر فى حياة الناس هناك ، ويمتزج بكل أحاسيسهم ومشاعرهم ، ويحتل جزءا مهما فى كيانهم .

أعجبنى فى المؤلف عنايته بتقديم إحصائية عن البيئة موطن البحث ، ودراسة موجزة عن الثأر بين الشعوب ، وعادات تتعلق بالثأر ، والثأر بين التشريع الإسلامى والقانون الوضعى ، ثم وسائل العلاج لهذه المشكلة المستعصية ، ومن هذه الوسائل التمسك بالتشريع الإسلامى فى القصاص . عدم الإفراج عن القاتلين إلا بعد انتهاء المدة المقررة ، العناية بتكوين جماعات أهلية للصلح ، نشر الثقافة فى المجتمع الريفى ، محاربة البطالة .

لقد اعتمد المؤلف على الوقائع التى حدثت فى البيئة ، ومزج مناقشته بالآراء الإسلامية والاجتماعية ، واستحق بذلك جائزة وزارة الشئون .

محمد عبد الله السمان

بين الصحف والكتب

عهدت المجلة إلى الأستاذ عبد الرحيم فودة أن يقدم لقرائها تحت هذا العنوان مختارات مما يقرأ في الصحف والكتب ، وهي ترجو أن يجد فيها القراء مائدة فكرية شهية واسعة منوعة .

الحل الأول هو الحل الأخير :

... ويسمع الأغنياء هذا فيقولون : قد سمعنا ووعينا فسنبذل لهم مختارين ما تطيب به نفوسنا من الإحسان ليعيشوا . فيردذوو المهنة : ليس إحسانا ما نطلبه ولكنه حق لأنه ثمرة ما بذلنا من جهد ، وثمن ما نؤديه من عمل .

ويسمع الوسطاء ما قال هؤلاء وما قال أولئك فيتساءلون فيما بينهم ، أيهم أصاب وأيهم أخطأ . ؟ أهو إحسان أم حق . ؟ ثم يميل بعضهم إلى هذا الجانب ويميل بعضهم إلى ذاك . وتتعدد الآراء . وتتعارض المذاهب ، وتصطرع العقول والقلوب . وتنشأ الجماعات المختلفة . تدعو كل جماعة منها لمذهب ، ويشتغل الفلاسفة وأهل الفكر في كل أمة ليخترعوا « نظاما » يفض المشكلة ويحل العقدة ، ثم نسمع عن الرأسمالية . والاشتراكية . والنازية . والفاشية . والشيوعية والفوضوية ، وعن نظم مادية أخرى لا يكاد يبلغها الإحصاء . وليس في واحد منها حل صحيح لمشكلة الفرد والمجتمع لأن مشكلة الفرد والمجتمع مشكلة إنسانية قبل أن تكون مشكلة مادية ، فلا سبيل إلى حلها إلا بتربية الشعور الإنساني في نفوس الجماهير وتوثيق أواصر الأخوة الإنسانية بين البشر .

ونقف نحن العرب والمسلمين في هذا الجانب من العالم نشهد الصراع الذي يدور بين الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب ، فنعجب أشد العجب من تلك المذاهب والذاهبين في سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء ، لأن مشكلة الفرد والجماعة التي حيرت كل المفكرين والفلاسفة في أوربا منذ قرنين أو منذ قرون ، قد وجدت الحل الصحيح في بلادنا منذ ألف وثلاثمائة سنة .. منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدعو إلى الأخوة الإنسانية ، ويفصل مبادئ العدالة الاجتماعية على أساس من التراحم والتكافل الأخوى والإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة . من غير طغيان على حرية الفرد ،

ولا إذلال له . ولا إنكار لذاتيته : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .

ذلك هو النظام ، فليكتف المفكرون والفلاسفة بما بذلوا من جهد ، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع . .

إن عندنا الحل

الحل الأول الذى نزل به الوحى على نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة ، وهو الحل الأخير لمشكلة الإنسانية .

الرئيس جمال عبد الناصر

من كلمة كتبها لتقديم كتاب العدالة الاجتماعية

(اخترنا لك)

الحاجة إلى هداية الرسل :

حاجة العالم إلى هداية الرسل كحاجة الإنسان إلى العقل والقلب ...

فأنا وأنت وهو . وكل فرد بإزاء فرد فى مجتمع ، وكل مجتمع بإزاء مجتمع فى أمة . وكل أمة بإزاء أمة فى هذا العالم . تحكمنا غرائز فردية وجماعية . فمن أثرة جائعة طامعة لا تشبع ولا تقنع . . إلى حب استعلاء وكبرياء يدفع إلى ازدراء أقدار الضعفاء واحتلال أرضهم واستذلال رقابهم . . إلى آخر ما ركب فى الإنسان من ميول وشهوات تدفعه إلى ما ينفعها ويشبعها ولو من طريق الإثم والظلم والعدوان والطغيان ...

هذه الغرائز لا يكفى العقل وحده فى صدها وردها إلى الحق والعدل والصراط المستقيم بل إن هذه الغرائز قد تحكم العقل وتستخدمه سلاحا لهتك الحرمات وسفك الدماء .

ولو أن عاقلا فاضلا أو جماعة من العقلاء الفضلاء استوحوا حاجة المجتمع إلى العدل فوضعوا قوانين تمنع الطامع أن يجمع والكادح أن يضيع والمجرم أن يجرم . والحاكم أن يظلم . . لكان الخضوع لها فى منطق المنحرفين — وما أكثرهم فى كل بيئة ومجتمع ـ خضوعا لقوة مماثلة أو معادلة وغرما لا يقبلونه إلا مرغمين كارهين ، فإذا حانت الفرصة التى تمكنهم من الانتقاض والانتقاص — وكثيرا ما تحين — تمردوا واستأسدوا وانطلقوا بكل قواهم يعصفون بكل القيم والمثل وقوانين الأخلاق ...

ومن ثم كانت معجزات الأنبياء — مع ما فيها من دلائل على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله — تذكيراً بالقوة العليا التى يتساوى الجميع فى العجز عنها والفقر إليها ... وكانت شرائع الأنبياء من عمل هذه القوة التى تحكم ولا تظلم : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز » .

من جريدة الشعب « عالم »

طلع الصباح :

الله أكبر إن دين محمد
وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لاتذكروا الكتب السوالف عنده
طلع الصباح فأطفأ القنديلا

من كتاب الوحى المحمدى « البوصيرى »

أعجب ما رأيت :

قيل للمهلب بن أبى صفرة ما أعجب ما رأيت في حرب الأزارقة ، من الخوارج ، قال : فتى كان يخرج إلينا منهم فى كل غداة . فيقف فيقول :

وسائلة بالغيب عنى لو درت
مقارعتى الأبطال طال نحيبها
إذا ما التقينا كنت أول فارس
يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شىء إلا أقصده ، فإذا كان الغد عاد إلى مثل ذلك .

من مختار العقد الفريد

بعض الرجال :

بعض الرجال حديد حين يقرعه
خطب وبعضهمو أوهى من الخزف
فلا ترعك الغواشى وهى مقبلة
فعل الجبان الذى يخشى من التلف
ولا تقف فى مهب الريح ملتويا
كالواو والياء بل قف وقفة الألف

من ديوان الأسمر

محمد الأسمر

الأكراد عرب !.

والكرد بالضم جيل من الناس معروف والجمع أكراد ، وأنشد :

لعمرك ما كرد من ابناء فارس
ولكنهم كرد بن عمرو بن عامر

فنسبهم إلى اليمن ..!

« لسان العرب »

ألفاظ القرآن وألوانه الطيف :

وتقرأ القطعة من القرآن فتجد فى ألفاظها من الشفوف والملامسة والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها إلى نفسك دون كد خاطر ولا استعادة حديث ، كأنك لا تسمع كلاما ولغات ، بل ترى صوراً وحقائق ماثلة . وهكذا يخيل إليك أنك قد أحطت به خبرا ووقفت على معناه محدودا . هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد، غير الذى سبق إلى فهمك أول مرة ، وكذلك ... حتى ترى للجملة الواحدة ، أو الكلمة الواحدة وجوها عدة كلها صحيح أو محتمل للصحة . كأنما هى فص من الماس يعطيك

كل ضلع منه شعاعا فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها ، فلا تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع . ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت ، وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان ، يأخذ منه كل ما يسر له ، بل ترى محيطاً مترامى الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال .

(النبأ العظيم)

الدكتور محمد عبد الله دراز

أمام القضاء :

وشكا يهودى علياً إلى عمر بن الخطاب فى خلافة عمر . فلما مثلا بين يديه خاطب عمر اليهودى باسمه بينما خاطب عليا بكنيته فقال له يا أبا الحسن ، حسب عادته فى خطابه معه ، فظهرت آثار الغضب على وجه علىّ فقال له عمر : أكرهت أن يكون خصمك يهوديا . وأن تمثل معه أمام القضاء على قدم المساواة... فقال على : لا . ولكننى غضبت لأنك لم تسوّ بينى وبينه ، بل فضلتنى عليه إذ خاطبته باسمه بينما خاطبتنى بكنيتى (والخطاب بالكنية كان أسلوبا من أساليب التعظيم للمخاطب) .

(من حقوق الإنسان فى الإسلام)

الدكتور على عبد الواحد وافى

الفكر الحر :

أحب الفتى أن يستقل بنفسه
فيصبح فى أفكاره مطلقا حراً
وأكره منه أن يكون مقلداً
فيحشر فى الدنيا أسيراً مع الأسرى

من ديوان « الرصافى »

عظيم فى كل ميزانه :

إن محمداً عظيم فى كل ميزان . . .

عظيم فى ميزان الدين ، وعظيم فى ميزان العلم ، وعظيم فى ميزان الشعور ، وعظيم عند من يختلفون فى العقائد ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية إلا أن يرين العنت على الطباع فتنحرف عن السواء وهى خاسرة بانحرافها ولا خسارة على السواء . .

إن عمل محمد لكاف جد الكفاية لتخويله المكان الأسنى من التعظيم والإعجاب والثناء .

إنه نقل قومه من الإيمان بالأصنام إلى الإيمان بالله ، ولم تكن أصناما كأصنام يونان يحسب للمعجب بها ذوق الجمال إن فاته أن يحسب له هدى الضمير ، ولكنها أصنام شائهات كتعاويذ السحر التى تفسد الأذواق وتفسد العقول . فنقلهم محمد من عبادة هذه الدمامة إلى عبادة الحق الأعلى ، عبادة خالق الكون الذى لا خالق سواه ، ونقل العالم كله من ركود إلى حركة . ومن فوضى

إلى نظام ، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية كما لم ينقله قبله ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات .

إن عمله هذا لكاف لتخويله المكان الأسنى . بين صفوة الأخيار الخالدين ، فما من أحد يضن على صاحب هذا العمل بالتوقير . ثم يجود بالتوقير على اسم إنسان .

(من كتاب عبقرية محمد) (العقاد) .

من قفص الاتهام :

إنى مسلم . . ولأنى مسلم وجب على أن أندد بالاستبداد وأقبحه وأشهر مساويه . إن الإسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس بالقوة ولا هو القوة بل الحق هو الحق ، وأنه ليس لأحد من البشر أن يستعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم ، الناس كلهم متساوون فى الإنسانية ، متساوون فى الحق متساوون فى الحياة ، وليس اللون والجنس والنسل معيارا للفضل والحسب ، وإنما معياره العمل وحده فأعلاهم قدرا وأكرمهم حسبا أحسنهم عملا وأتقاهم لله . إن الإسلام أعلن حقوق الإنسان قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرنا، ولعمرى إن مطالبة المسلم بأن يسكت عن الحق ولا يسمى الظلم ظلما مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الإنسانية ، فإن كنتم لا ترون لأنفسكم أن تطالبوا أحدا بأن يرتد عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلما بأن يمتنع عن قوله للظالم إنه ظالم .

الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت فى سبيل الحق ، وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثل هذه التضحيات الكثيرة فى إعلاء كلمة الحق التى قدمتها الأمة الإسلامية فى كل دور من حياتها ، ألا فلتعلم الحكومة الانجليزية أن المسلم الذى أمره ربه أن يرحب بالموت الأحمر، ويتغلغل فى لجج الدواهى والكوارث ولا يقبل السكوت عن الحق ، لا يخيفه قانون العقوبات الاستعمارى ولا يرده عن دينه وأداء فريضته .

إنى أقول حقا . إنه لا يؤلمنى أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتى، وأنها لا تعاكسنى إلا لأن تزجنى فى السجون ، إذ هذا أمر لابد منه . . وإنما الذى يؤلمنى فيفتت كبدى هو أن أرى الحالة تنقلب انقلابا تاما . فبدلا من أن ينتظر من المسلم صدق اللهجة والقول الحق . يطلب منه السكوت عنه وكتمان الشهادة ، وألا يقول للظالم إنك ظالم لأن قانون المستعمرات يعاقب عليه .

أبو الكلام آزاد

« من مجلة ثقافة الهند » .

بريد المجلة

مخالفات دينية في فيلم :

أرسل الإمام الأكبر رسالة إلى السيد كمال الدين حسين نائب رئيس الجمهورية الكتاب الآتي :

السيد كمال الدين حسين .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد : فإننا إذ نكتب إليكم اليوم نرجو أن يكون هذا الموضوع محل رعاية خاصة وتوجيه يحفظ علينا ديننا ويبقي على مقوماتنا وحتى تكون عباداتنا محل احترام وقداسة .

نقل إلينا بعض من نثق فيهم أن إحدى دور السينما تعرض الآن فيلم (وا إسلاماه) .

وقد حدثونا أنه يعرض في بعض أجزائه للصلاة فيعرضها في صورة هزلية لا تعرف إلا عند الأطفال أو المجانين ، ولا تصور حقيقتها ولا تؤدي بكيفيتها التي جاءت إلينا عن الرسول صلى الله عليه وسلم . إذ بعد تكبيرة الإحرام يهوون ساجدين مباشرة من غير قراءة ولا ركوع .

وأنتم تعرفون مدى ما يتركه هذا الجهاز في نفوس أبنائنا وبناتنا ، فهو بهذه الصورة يدع الخطأ في العبادة يتسرب إلى أذهان من جهلوا الصلاة ، أو التشكيك في معلومات من عرفوها وتعلموها . وما أحرى أجهزة الرقابة أن تكون على بصيرة من هذه الحقائق حتى تستطيع أن تحبس عن الجمهور ما يشككه في العبادات والحقائق الدينية ، بل ينبغي أن تتخذ من هذا الجهاز وسيلة للتعليم وطريقا للتهذيب حتى يكون طريق خير ووسيلة إصلاح لا وسيلة شر وسبيل إفساد ، وحتى يعلن عنا أحسن إعلان وأطيبه .

كما نقلوا إلينا أنه قد عرض لشخصية إسلامية وطنية لها في نفوس العلماء والمسلمين الحب والتقدير والاحترام بما يهبط بمستواها في نظر الجماهير ، عرض للشيخ العز بن عبد السلام الذي كان له الموقف الوطني الرائع في القضاء على التتار ، وكان من جرأته أن أفتى فتواه المعروفة التي لم يخف فيها في الله لومة لائم . فعلمه ووطنيته وقوته في دينه وسمو خلقه كل هذا يأبى أن يدع مجالا لمخرج الفيلم أن يزعم على هذا العالم أنه حضر حفلا راقصا بمناسبة زفاف شجرة الدر ، وهذا لا يتناسب مع مركزه وعلمه ولا يتفق وكرامة العلماء ممن يدعون إلى الفضيلة ويوجهون إلى الخلق ويأخذون الناس إلى الاستقامة ، وينشئون الأجيال تنشئة صحيحة

قويمة . ولذا فإننا نرجوا أن تعملوا مشكورين على حذف هذين الجزأين من الفيلم المعروض الآن :

وبهذه المناسبة نأمل أن تعرض الأفلام على الأزهر قبل عرضها على الناس، أو على الأقل أن يعين الرقباء على هذه الأفلام من بين الأزهريين الذين تشهد لهم كفاياتهم ومقدرتهم بالقيام بهذا العمل على الوجه الأكمل . وذلك عن طريق مراجعة الأزهر قبل تعيينه .

وبذلك نكون قد أرضينا الله وأسهمنا جميعا فى بناء مجتمعنا على الوجه الذى يرضى الله ورسوله وحتى تستطيع هذه الأجهزة أن تكون أداة إصلاح وخير دعاية لنا فى العالمين الإسلامى والعربى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

فأجابه السيد نائب رئيس الجمهورية هذا الجواب :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله ـ وبعد

فقد تلقيت الرسالتين اللتين تتضمنان ملاحظات فضيلتكم على بعض الإذاعات المسموعة والمنظورة فى الراديو والتليفزيون وأثرها على الناشئة وتأثيرها فى مستقبل الأمة ، والملاحظات الأخرى التى نقلت إليكم عن فيلم « وا إسلاماه » .

وإنى إذ أشكر لفضيلتكم هذه الغيرة وهذه اليقظة لأشاركـكم الرأى فى ضرورة حماية شباب الأمة من كل ما يمكن أن يؤثر فى تكوينهم وفى سلوكهم ، ليكونوا فى أمتهم ، كما أراد الله ، جندا عاملين للفضيلة بناءين لمستقبل الوطن ...

وقد اتخذت إجراءات عاجلة لبحث موضوع هذه الملاحظات والعمل على تجنب كل ما يمكن أن يتنافى مع الخلق والفضيلة أو يصور الإسلام وأبطاله غير الصورة الصحيحة التى نعتز بها وندعو إليها ، ونرجو أن نكون قد وفقنا ...

والله يسدد خطانا فى كل ما نحاول لخدمة أمتنا ووطننا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

نائب رئيس الجمهورية

إمضاء (كمال الدين حسين)

تأنيث أفعل على فعلى :

أستاذنا الكبير : الأستاذ الزيات

السلام عليكم ورحمة الله ـ وبعد

فقد وقفت فى عدد المحرم سنة ١٣٨١ على قولكم :

« وأيقن أن الظفر فى الصراع الدولى

إنما يكون للقوة الأشد ، وفى عدد ربيع أول على قول سيادتكم : « إلى الغاية الأكرم » واسم التفضيل إذا كان مقترنا بأل يجب أن يطابق ما قبله فى التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع .

ولما كان تأنيث الأشد هو الشدّى والأكرم هو الكرمى وليس ذلك متداولا مشهورا بيننا . رأيت أن أبين : هل تأنيث اسم التفضيل يوقف عند المسموع منه أو هو قياس مطرد يجوز لنا ولو من غير سماع عن العرب .

لقد عرض النحويون لهذا : فى كتاب التصريح على التوضيح ٢ / ١٠٤ ، قال أبو سعيد : ولا يستغنى فى الجمع والتأنيث عن السماع فإن الأشرف والأظرف لم يقل فيهما الأشارف والشرفى والأظارف والظرفى كما قيل ذلك فى الأفضل والأطول ، وكذلك الأكرم والأمجد قيل فيهما الأكارم والأماجد ولم يسمع فيهما الكرمى والمجدى .

ويرى الرضى فى كتابيه شرح الكافية والشافية أن تأنيث اسم التفضيل قياس مطرد (شرح الكافية ٢/١٥٥ وشرح الشافية ٢/٣٢٥) .

ولعل مثل هذه البحوث تدعونا إلى تقدير جهود النحويين والعناية بآثارهم ؟

محمد عبد الخالق عضيمة

أشكر للأستاذ الفاضل غيرته على سلامة اللغة وحرصه على مراعاة القواعد ، وأناقش المسألة من وجهين : أما أحدهما فإنى أميل إلى الرأى القائل بأن تأنيث اسم التفضيل على فعلى سماعى لا يقاس وتوقيفى لا يطرد .

فلم يقل العرب فى الأبصر والأسمع : البصرى والسمعى ، كما قالوا فى الأكبر والأصغر : الكبرى والصغرى ، فما ورد عنهم من ذلك استعملناه ، وما لم يرد سوينا فى صيغة الأفعل المذكر والمؤنث ، وهذا قول لا بد من عرضه على مجمع اللغة العربية ليرى رأيه فيه .

وأما الآخر فإن المزاوجة بين الألفاظ والموازنة بين الجمل تجيزان تغيير الكلمة ومخالفة القياس مراعاة لحسن النسق فى الأسلوب فقولى : « إن الظفر فى الصراع الدولى إنما يكون للرأى الأسد ، والقوة الأشد ، والسلاح الأحد ، اقتديت فيه بسيد البلغاء ، وأفصح العرب : محمد صلوات الله وسلامه عليه إذ قال : « أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة » وهو يريد (ملمة) وإذ قال « ارجعن مأزورات غير مأجورات » وإنما أراد (موزورات) من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات قصدا للموازنة وصحة المزاوجة ، وليس هذا التغيير مقصوراً على الحديث الشريف .

وإنما وقع أيضا فى القرآن الكريم فقد قال

شمس الدين بن الصائغ فى كتابه (إحكام الراى فى أحكام الآى) : « وتتبعت للأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف وأربعين حكما » نذكر نحن منها على سبيل المثال تقديم ما هو مؤخر فى الزمان نحو « فلله الآخرة والأولى » والإفراد فى موضع التثنية نحو « لا يخرجنكما من الجنة فتشقى » بدل فتشقيان ، وتغيير بنية الكلمة نحو طور سينين بدلا من طور سيناء.

والسلام على الأستاذ ورحمة الله .

أحمد حسن الزيات

حول عقوبة الإعدام :

منذ أيام كتب كاتب كبير فى جريدة « أخبار اليوم » تحت عنوان جاء فى شبه سؤال أو تساؤل « عقوبة الإعدام . . وهل تبقى أم تلغى » .

عرض الكاتب آراء المؤيدين لإلغائها ، وآراء المعارضين لهذا الإلغاء ، وحجة المؤيدين تكاد تنحصر فى أنه إذا تبين فيما بعد أن المتهم برىء فما من سبيل لإصلاح الخطأ الذى وقع القضاء فيه . . . الحكم بالغرامة أو الحبس يمكن إصلاحه برد الغرامة والتعويض . . . أما الإعدام فلا حيلة فيه بعد تنفيذ الحكم . ؟ ؟

وقد أثارت الكاتب القضية الأخيرة التى أوقف فيها حكم الإعدام على متهمين فى اللحظات الأخيرة .

وأخذ الكاتب يعرض نماذج من تفكير الدول فى محاولتها إلغاء الإعدام ، وتفكير الهيئات أيضا ، ومنها الكنيسة الانجليزية فى لندن . .

ونحن لا ندرى كيف يحملنا توقع خطأ لم يحدث فى التاريخ إلا نادرا ، بل ربما لم يحدث فى المائة السنة الأخيرة فى شتى أنحاء العالم إلا مرتين أو ثلاثا على أكثر تقدير - كيف يحملنا توقع خطأ نادر جدا - والنادر لا حكم له - على أن نلغى نصا قانونيا يؤمن حياة الألوف من البشر .

إن حوادث القتل الخطأ وغير المتعمد والتى يتدخل القدر فيها تقع فى حياتنا بالعشرات كل يوم ، حوادث الطائرات والسيارات وقطارات السكك الحديدية والفيضانات والزلازل والبراكين . . ومعنى هذا أنه يجب ألا تقوم قائمة لهذه الوسائل ، وأن تبحث عن حل لتجفيف البحار وتثبيت الأرض حتى لا تختطف أرواح المئات من الضحايا البشرية ؟ ؟

و (الحائط المائل) دائما فى نظر الكاتب وأمثاله ، هو التشريع الإسلامى ، فهو يقول فى نهاية مقاله متهكما ، ومستعديا على ما تبقى من النصوص الإسلامية :

« وأما القول بأن الشرائع المنزلة نصت على إعدام القاتل . .

فيمكن الرد عليه بأن نفس هذه الشرائع السماوية نصت على قطع يد السارق ، ورجم الزانى والزانية بالحجارة حتى الموت .

فهل هناك من يعمل بهذه النصوص المنزلة أو يطالب بالعمل بها ؟ » .

والكاتب يجهل تماما أن الشريعة الإسلامية لا تضارع بأية تشريعات وضعية فى الاحتياط من تنفيذ القصاص . فإن فقهاء التشريع الإسلامى يشترطون شروطا فى غاية الدقة لتوقيع القصاص على القاتل منها : التأكد من التعمد دون أية شبهة ، وموافقة أولياء الدم على تنفيذ القصاص ، والشرط الأخير ليس له وجود فى الشرائع الوضعية ، والجريمة لا تثبت على المتهم إلا بأدلة قوية لا تقبل مجرد الريبة والشك .

والقضية المثارة فى هذه الأيام بشأن المتهمين الذين أفلتا ـ مؤقتا ـ من حبل المشنقة ، كان للمفتى الممثل للتشريع الإسلامى رأى يطالب بعدم توقيع عقوبة الإعدام على المتهمين ، ولما لم يكن رأى المفتى الدينى إلا استشاريا فقد أهمل ، ولقد قال المفتى للصحف :

« إنه ناقش أدلة الاتهام فانتهى منها إلى عدم وجود شاهد رؤية للحادث فضلا على إنكار المتهم الأول ، مما يعدم وجود دليل أو اعتراف يبرر الحكم بالإعدام . . إنه ليس بالدعوى قرينة قوية على ارتكاب المتهمين جريمة قتل اللواء . . وليس فى القضية دليل من الأدلة الثلاثة التى يلزم توافرها للحكم بالقصاص شرعا ، وهذه الأدلة الثلاثة هى : الاعتراف والبينة والقرينة القاطعة . وللمحكمة أن تقدر الشبهة التى حاطت المتهمين وتوقع عليهما عقابا آخر خلاف القصاص الذى ينبغى أن يحتاط فيه بما لا يحتاط فى غيره من العقوبات الأخرى » .

أيهما أدق فى الاحتياط وأبعد فى الحرص على دماء المتهم ؟ وهذا هو التشريع الإسلامى ؟

نحن لا نسوق آراء رجال القانون التى تؤيد بقاء هذا الحكم ـ وهم أقدر على فهم وإدراك حاجات المجتمع ـ

السادة : المستشار كامل لطف الله رئيس محكمة أمن الدولة العليا ، والمستشار كامل البهنساوى ، والأستاذ على نور الدين رئيس نيابة أمن الدولة يقولون بضرورة الإبقاء على عقوبة الإعدام ، بل إن إدارة التشريع بوزارة العدل تؤيد الإبقاء لأن العقوبة حماية للأمن وتطهير للمجتمع ، والإعدام عقوبة وقائية علاجية ولا يمكن لمجتمعنا الاستغناء عنها ، ورأى إدارة التشريع هو الذى بعثت به إلى هيئة الأمم المتحدة التى طلبت آراء الدول الأعضاء فى عقوبة الإعدام . . » .

أما إن الكنيسة الانجليزية تطالب منذ سنوات بإلغاء عقوبة الإعدام وحجتها مستمدة من روح الدين المسيحى ، فلتوجه عظاتها إلى حكومة بريطانيا ، التى سفكت ظلما ولازالت تسفك دماء الألوف من سكان مستعمراتها فى آسيا وأفريقيا .

أما إن برلمان نيوزلندة يناقش منذ أسبوعين فكرة إلغاء عقوبة الإعدام ، فالمؤكد أن مشروع البرلمان يناقش هناك فعلا التفكير فى إعادة عقوبة الإعدام التى ألغيت منذ خمس سنوات ، ونشر هذا فى أول أكتوبر فى صحف القاهرة وبالأخص جريدة الأهرام .

أما منطق الكاتب فى أن بعض نصوص الشرع لا تطبق ولا تجد من يطالب بتطبيقها ، فلم الاحتفاظ بنص عقوبة الإعدام ؟ فقد كنا نود أن لا يتورط الكاتب الكبير فيه .

فإذا فرض - كما يزعم الكاتب - أنه لا يوجد من يطالب بتطبيق جميع نصوص الشريعة الإسلامية الملغاة ، فلن يكون هذا مبررا لإلغاء ما تبقى من النصوص حتى ولو كانت ضرورية لصيانة أمن المجتمع ؟

إن توقف إحدى اليدين عن أداء وظيفتها بسبب الشلل مثلا لا يبرر قطع اليد الأخرى ، ما دام العلاج قد فشل فى معالجة الأولى .

محمد عبد الله السمان

كل بما زعم الناعون مرتهن :

تناقلت بعض الأفواه فى المملكة السعودية والجمهورية التونسية نعى الأستاذ رئيس تحرير هذه المجلة ، فكتبت صحفهما الفصول الطوال فى رثائه ، وكان من هذه الصحف مجلة الجزيرة التى تصدر عن الرياض فكتبت مقالين ضافيين أحدهما بقلم الأستاذ عبد الله ابن خميس رئيس التحرير ، والآخر بقلم الأستاذ عبد الرحمن بن فيصل ، ثم كذبت الخبر فى الصفحة الأخيرة من المجلة ، فلما اطلع الأستاذ على النعى والرثاء والتكذيب أرسل إلى المجلة كتابا نشرته فى عددها الأخير ، وقدمت إليه بقولها :

الزيات يعقب على رثاء الجزيرة :

« على أثر الإشاعة السيئة الكاذبة التى أشيعت بموت الأديب الكبير أحمد حسن الزيات سكبت الجزيرة دمعة حارة لذلك ، وبعد أن اطلع أديبنا الكبير على هذا الرثاء تفضل بهذه الرسالة الرقيقة مد . الله فى حياته ومتعه بالصحة والسعادة » .

وهذه هى الرسالة :

أخوى الأعزين عبد الله بن خميس وعبد الرحمن بن فيصل بن معمر .

لأول مرة فى تاريخ الإنسان يقوم ميت ليعتذر من نعاه ويشكر من رثاه .

ولأول مرة فى تاريخ الأدب يقوم كاتبان

يجوز عليهما ما يجوز على الناس فى هذا العصر من كفران بالجمال ونكران للجميل فينثران معنى الوفاء نثرا كأزهار الروض عطر الألفاظ نضير الجمل على قبر كاتب غريب لم يرياه فى مكان ولم يعايشاه فى وطن ولم يلابساه فى صداقة ، وكل ما بينهما وبينه صلة أدبية عامة يكفى فى التعبير عنها إذا قطعها الموت كلمة بمجلة تكتب من وراء القلب فتنفى الحرج وتدفع الملام وتشغل حيزا من المجلة ، ولكن ما كتبتماه يا أخوى نمط آخر غير ذلك كله : عبرات من الكلم لا يسكبها إلا قلب ابن بار على أب حنون ، وزفرات من الأسى لا ينفثها إلا صدر مؤمن أسيف على أخ شهيد ، وشهادتان لذوى عدل كل ما أتمناه على أهلى أن يدرجوهما فى كفنى لألقى بهما الله .

لقد مت فى (الجزيرة) وكل حى سيموت ، ولقد بعثت فى (الجزيرة) وكل ميت سيبعث . والبعث عمر جديد وأجل مستأنف . والمتنبى عاش طويلا بعد أن بعث إلى سيف الدولة يقول :

يا من نعيت على بعد بمجلسه
كل بما زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم
ثم انتفضت فزال القبر والكفن

وشتان بين من نعانى ونعى أبا الطيب ! نعاه ناعيه للشماتة والعبرة ، ونعانى ناعى للأسف والحسرة . والفضل لكما يا أخوى فى أنكما حققتما لى أمنية لم تتحقق لحى من قبلى ، وهى أن يقرأ الميت بعينيه ما كتب عنه بعد موته ، مد الله فى عمريكما حتى تعودا فتجودا بصيب الرحمة وطيب الرثاء ثراى المحرور فى مثواى الجديد ، والله يحفظكما .

أحمد حسن الزيات

حديث بين رئيس البعثة الأزهرية فى الصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية .

جرى بين رئيس البعثة الأزهرية بالصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية حديث تناول مختلف الشئون ، ومما جاء فيه :

١ - كيف انتقلت من الأعمال الإدارية إلى ميدان التعليم ؟

من أهم الأشياء التى دفعتنى إلى التعليم حادثة أثرت فى نفسى تأثيرا بالغا . . ذلك أن حضر إلىّ طفل صومالى ، وأنا أشتغل بالإدارة فى بربرة ، وكان معه رجل متنصر من الصومال . جاء الطفل وطلب منى ورقة ليؤذن له بالسفر إلى عدن .

فقلت له : لماذا يا بنى تذهب إلى عدن ؟ وأنت طفل صغير ؟ ؟ .

فقال . . لأصير كافرا ! ! ! .

فعرفت من ذلك أنهم يريدون أخذه لمدرسة تبشيرية إلى عدن ... فسألته لماذا تصبح كافراً ؟ فقال . . لأتعلم الإنجليزية ،

فآليت على نفسي من تلك اللحظة أن أترك الإدارة وأذهب إلى التعليم، وأعلم الإنجليزية لأمثال هذا الطفل الذي يترك دينه ودين آبائه ليتعلمها ...

٢ - ما مدى تقديرك للأزهر ؟ ؟

أنا أعتبر أن إنشاء الأزهر، كان عناية ربانية، ومعجزة من المعجزات، ونعمة من نعم الله. إتماما لقوله تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لحافظون» فالله تعالى لكي يحافظ على كتابه يسر إنشاء الأزهر، وأمده برعايته وجعل رسالته شاملة لجميع المسلمين في جميع أقطار الأرض، وذلك لكي يوفي بحاجات الإسلام في العصور التي كانت مقبلة على الإسلام بعد إنشائه.

وإنني أعتبر حقا أن المصدر الحقيقي لإنقاذ العالم الإسلامي مما كان يراد به من جانب الاستعمار من إفساد العقيدة الدينية وقتل الروح البشرية هو الأزهر . . وأن جهود الاستعمار بمختلف أساليبه في سائر أنحاء الأمة الإسلامية كان يمكن أن تحقق أغراضها لولا وجود التأثير الأزهري الذي تمثل في روح جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده وأمثالهما من أبناء الأزهر المكافحين.

حقا إن ما نراه اليوم من التقدم في العالم الإسلامي، واسترجاع حرية أبنائه وأخذ نصيبهم من الحضارة الحديثة، أعتقد في تقديري أن مبعثه الأزهر الشريف، ولو سرنا نحو الحضارة بدون الأزهر، لما كنا قد وصلنا إلى ما نحن عليه الآن، فالأزهر متمم لتلك الرسالة السامية ...

فقضية الأزهر اليوم هي: قضية آسيا وإفريقيا.

عبد الرحمن النجار

كيف تبنى الأوطان ؟

حديث لفضيلة الإمام الأكبر مع محرر مجلة بناء الوطن.

بناء الأوطان ليس بالأمر السهل، ولكنه أمر تذوب فيه القلوب وهو بحاجة إلى لبنات طيبة وعناصر صالحة، وأهم ما تبنى عليه الأوطان لبنتان: لبنة من العلم، ولبنة من القوة.

فلبنة العلم تنير السبل أمام أرباب الوطن فيتخيرون مواد البناء والأيدي البانية واللبنات التي يبنون بها.

وبالقوة ترد عن البناء عادية المعتدين، ومتى كمل البناء وسويت اللبنات على هذا الوجه من العلم والقوة قام البناء بمهمته وأدى وظيفته في الحياة من غير خوف عليه من

أعاصير الأحداث وأحداث الأعاصير .

فعليكم أبنائى - وأعنى أبناء الصحافة جميعا - بملء القلوب بهذين العنصرين ، فبالعلم البناء وبالقوة الحفظ والصيانة ، وصدق الله العظيم إذ يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » .

وقوله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوة فقال : « القوة الرمى وكررها ثلاثا ، فأطلق كلمة الرمى لتشمل كل ما يرمى به دفاعا عن الدين وعن الوطن .

هذا رأيى فى بناء الأوطان ، وهى نصيحتى لك ولإخوانك الصحفيين ، فالصحافة مع الأزهر يكونان جهاز الدعوة إلى الأديان والأوطان ، وما لم تتفق جميع الأجهزة وتسير فى خط واحد فلن نصل إلى مقصودنا .

أما قانون الأزهر فى واقعه وفى نظر من يقرؤه ويدرس ما فيه ، فهو بدء مرحلة جديدة تعلى من شأن الإسلام وتظهر مبادئه عن طريق البحث الجامعى الحر ، وهو من جهة أخرى يصل ما بين الطـلاب الأزهريين وإخوانهم الطلاب فى المدارس المدنية بعد أن فرقهم الزمن واعتبر كل فريق من الطلاب كأنه من أمة أخرى ، لا يجمعهما رباط ولا تشرق عليهما شمس .

والآن والحمد لله يجتمع أبناء المدارس مع أبناء الأزهر فى دار واحدة ، وفصل واحد يستمعون إلى أستاذ واحد لفكرة واحدة ، هى فكرة الدين والوطن .

وحسبنا وحسب المسلمين جميعاً من هذا التطوير أن طلاب الثانوية العامة فى مدارس الدولة تقدموا لامتحان القبول فى كلية : الإدارة والمعاملات ، وأدوا الامتحان بنجاح فى القرآن الكريم والشريعة الإسلامية فى العقيدة والأحكام ، وهذا ما كان ليتحقق إلا بعد أعوام وأعوام ...

فلهنأ المسلمون عامة ، وأبناء الجمهورية العربية المتحدة خاصة بهذا ... ونسأل الله التوفيق لهذه الجامعة والرجال الذين يهيمنون على المعاهد الدينية والمدارس ...

---

the earth whether in mountains, seas, rivers, or skies, in his service and for his own profit. He is over and above endowed with all the treasures known or unknown to him and he is on his way to reveal them.

Man's place in the universe was determined as such because he was the creature prepared for gaining the profits of the universe and the creature perfectly shaped and modelled to attain that end.

"Who made all things good which He created, and He began the creation of man from clay; then He made his seed from a draught of despised fluid; then He fashioned him and breathed into him of His spirit; and appointed for you hearing and sight and hearts. Small thanks give you." (S. 32, V. 7 — 10).

Besides life (and breathed into him of his spirit) which is the power to enable man as well as all other living creatures to move and seek his living, man was endowed with hearing and seeing which are the most powerful means of realising what is around him. He also was given the heart which is the abode of belief and creed. Over and above he was endowed with the mind which is source of understanding and conceiving what is beyond touch and vision. By such gifts man was distinguished from all other creatures. For such peculiarities he was given a special place in the life of this universe. Islam through the call to belief in one God aimed at reviving man's conscience as to such distinguished place and at arousing his sense of human dignity.

Thus the call to belief in one God is mainly a call to man to know himself and to know his peculiar place in this universe and to comprehend his value in this life. It is incumbent upon man out of dignity as a distinguished creature to know his proper place and to realise his inherent values. On the other hand it is rather degrading and humiliating to keep himself within the bounds of the inherited creeds which call for the Worshipping of gods other than Allah such as idols, images, and men who in the order of creation are either below him or on the same footing with him.

The call to monotheism is moreover a call to liberation and liberality, a call to dignity and might and a call to freedom in motion and research throughout the world to reveal its secrets and to solve its riddles. It is man's own right to move and seek in such universe, which the Supreme Creator has bestowed upon him, the mastery of its resources whether in heaven or on the earth and whether over ground or underground.

(Continued . . .)

ideals which are the perfected values. The endeavour to attain such sublimity can only be realised through the belief in Him only, through the belief in the absolute perfection in existence that is Allah. It is by the belief in Him only that one can rid himself from the humility of serving in his Worship a tangible creature, one can free himself from the slavery to a creature either below him in degree or on the same footing with him. The observance of human dignity requires to direct direct one's worship to a more sublime one than he is to a being over and above him. There is nothing over and above all existing creatures but Allah who is above all and "There is nothing like Him".

In the olden times man worshipped animals as well as idols made of stone. He too worshipped his fellow-man " They Worship besides Allah that which neither hurts them nor profits them, and they say: These are our intercessors with Allah. Say: Would you inform Allah of (some thing) that He knows not in the heavens or in the earth ? Praised be He high exalted above all that you associate with Him ". (Surah 10. V. 19).

Man had worshipped idols, images, animals and all sorts of things which we have counted and others which we have not counted save Allah. He had tied himself and his future in life to these terrestrial beings which can not hear the prayers, or even if they could hear them could never respond because they are unable to understand or to act accordingly.

Mohamed's mission, may peace be upon him, called people to believe in one God. His call was the same as the call of the prophets who had preceded him before it was mutilated by the apolgists of such religions " And We sent no messenger before you but We inspired him, (saying) There is no God save the (Allah), so Worship Me ". (S. 21, V. 25).

In fact Mohammad was sent by God to readjust the human values to revive man's dignity and to correct his status in life and the universe. " He it is who created for you all that is in the earth ". (S. 2, 29) ".

" See you not how Allah has made serviceable unto you whatsoever is in the skies and whatsoever is in the earth and has loaded you with His favours both without and within ". (S. 31, V. 20).

However man's place in life is such as ordained by God to be the sole owner of all that is in earth, to have all what is in Heaven and on

many inherent potentialities and so many latent drives. They all are cropped out to defend his own safety and his own existence by arming him with certain abilities to keep him either powerful to be feared and respected or to show him as a pugnacious warrior who can fight the oppressors.

The Islamic Society :

The Islamic society was formed to realise one end, that is to attain liberation and supremacy. In other words, it was formed to fight weakness and achieve power and authority. The Islamic society has a peculiar status in that it does not confine itself to a limited area or certain race. It is a society which comprises humanity at large. Thus it arises to liberate humanity from the bonds of superstition and soothsaying, to rid it from false beliefs in casuality and images, and in polytheism. It arises, on the other hand, to be free from such bonds and to lead a life of authority and power : an authority to overthrow oppression and slavery an authority to curb itself from ill-deeds, obscenity and adultery, and an authority through performing the duties, a power in spirit and conscience, a power in following the right and performing the good, and power in offering what leads to the achievement of ease and happiness of humanity at large.

As such the Islamic society is both liberal and moralistic.

1) The belief in one GOD.

To liberate humanity from all forms of weakness and humiliation, Islam makes it encumbent upon man in the Islamic society which will be the abode of freedom and liberality to offer his prayers only to Allah and to Him only and never to associate with Him any partner. Allah only is to be worshipped and he is the absolute perfection in existence. "Allah there is no God save Him. His are the most beautiful names".

The attributes of God, praise be to Him, are the traits of perfection for which He deserves to be our Lord and to be worshipped. "That is God, your Lord ! There is no god but He, the Creator of all things : then worship you Him : and He has power to dispose of all affaire. No vision can grasp Him, but His grasp is over all visiont : He is above all comprehension, yet is as acquainted with all things". (Sourah 6, V. 103).

The belief in one God is the turning point in the life of humanity. It is the turning point between shortsightedness in belief and conception which should disappear and go into oblivion and a far sightedness enabling man to set forth seeking the

THE ISLAMIC SOCIETY AND ITS OBJECTIVES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

Vice chancellor of Al-Azhar University

The Society :

A human society is not a mere gathering of a certain number of people however their counting may be in a certain locality. The human society only exists wherever there is a common case which unites a certain people living in one locality. In contrast, the primitive people never form a society because they are only a collection of people without a common aim. They have nothing to unite their effort. They only live together while each is making his own living and satisfying his own needs of food, drink and sexual desire. Such people remain disintegrated until they find a certain aim for which they work together to achieve a common end. Whenever they realize such collective effort, they turn to be a human society.

The objective of a human society is the achivement of an end which is far beyond the mere satisfaction of any biological desire. It is the realization of a common objetc which bears upon their common will as a group of individuals forming by their mutual endeavour the society which unites them all.

Such objective may be the seeking of sovereignity or the liberation from occupation or submission to others. A human being encountering another, the may either endeavour to submit him self to his rule or to struggle to get rid of such rule. Human societies as well through their old and recent history are working along the same lines. They realize their existence or self conscience either through the struggle for sovereignity and supremacy or through the struggle for liberation from the control of others. Thus it is evident that the objectives which the individual seeks to realize in his limited and private life are quite the same as those which the society as a whole seeks to achieve in public life. In each individual there exist so

indeed hearing, sight and heart, all these are favours for the right use of which one is responsible". (XVII, 38). "O you who have believed, if a reprobate comes to you with a report, make certain it is correct before taking action, lest you may injure honest people unknowingly and then you regret what you have done". (XLIX, 6). "O you who have believed, let not one group of people make mock of another; they are possibly better they; and let not women make mock of other women, they are probably better than they; do not scoff at each other, or revile each other with nicknames...... Avoid much suspicion. Suspicion is sometimes a sin". (XLIX, 11/12). "Say to the believers that they cast down their eyes and guard their private parts. This is more becoming for them... And say to the believing women that they cast their eyes and guard their private parts and show not their ornamets, exept so far as they (normally) appear, and let them throw their scarves over their bossoms...." "(XXIV, 30). "O you who have believed, do not enter houses other than your own until you have familiarised yourself to its inmates and saluted them; that is better for you.... If you find no one there, do not enter until permission is given to you, and if you are told to go away, go away....." (XXIV, 27/28). "O you who have believed, when you are asked to make room in gatherings, make room; Allah will make room for you....." (LVII, 12).

These are the major elements of the Islamic system for a prosperous and happy life. Islam has demanded that all men, subjects and rulers should cooperate towarde the observation of these elements of its teaching and should fear God in them. The Qur'an reads, "O you who have believed, have piety, the piety due to Allah, and die not except as Muslims. Seek strength in the bond of Allah as one body and do not separate up..." (III,97/98). "And let there be found of you a community inviting to good, urging what is reputable and restraining from what is disreputable." (III,100).

This is Islam, and this is the religion of Allah. This is the life planned by God for His creatures. What else can we crave for? There can be no better system and there can be no better organisation. "O you who have beleived, enter into the bond of peace altogether, and follow not the steps of Satan." (II, 204).

Wassalamu-alaikum warahmatu-llahi-wa barakatuh.

Therefore, licenciousnes and immorality which are destructive to his institution are severely condemed, and abstinance from union outside the wedlock is not only virtuous but is also given the honorific name "Honour!" In this way Islam ensured full cooperation towards the fundamental goals through closey-knit and well organised human relations.

Ties of Kinship result in small blood groupings, through which the immediate needs of the individual way be fulfilled. Such grouping, however, is limited in scope and naturally breeds racialism and prejudices. Islam therefore has established the bond of brotherhood which crosses the boundaries of blood and all the barriers of geography and nationalism. On the basis of this bond, Islam has established a nation- The Ummah of Islam - in which all citizens are equal regardless of their origin, their colour or their tongue.

The safety of this nation is the collective responsibility of all Muslims on earth, and measures for defending it against agressors are to be adequately taken. Sura VII Verses 26-63 read, "Prepare for them whatsoever force and cavalry you are capable of gathering to overcome those who are the enemies of Allah and your enemies as well as others besides them - whom you don't know but Allah knows.... And if they are inclined to make peace, make peace." (VII, 62-63).

In this nation or society of Islam all mutual rights and obligations are well defined, namely, between the individual and his kins, between the individual and his immediate neighbours, between the individual and the rest of the world of Islam and between the individual and his temporal authority. Manners of good conduct and courtesy are given an adequate importance. In this connexion the following passages are quoted; " O you who have believed, obey Allah and obey the Messenger and those of you who have the command." (IV, 59). " The believers are nothing but brothers." (XLIX, 10). "Do not (be disdajnful) screwing up your cheek to the people, and walk not boisterously upon the earth. Indeed Allah does not love any conceited boaster. Be moderate in your gait and lower your voice.." (XXXI, 17/18). "Do not walk boisterously upon the earth; indeed you will not make a hole in the earth, nor yet reach the mountains in stature," (XVII, 39). "Do not seek to peep through the privacies of others,

laid the earth low for you; so walk about in the regions of it and eat of His provision . . ." and sura IV Verse 33 reads, "O you who have believed, do not consume your property among you in vanity, except there be trading by mutual consent on your part."

While Islam praises work for earning wealth it teaches moderation in spending and condemns dxtravagance and meanness. It encourages the practice of thrift, and urges those with wealth to be charitable and kind to under-priviledged. Sura XVII Verse 28 — 29 reads, " And give to the kinsman his ritgh, and to the poor, and the follower in the way, but do not be extravagant at all. Verily the squanderers are the brothers of the Satans and Satan is to his Lord unthankful." Verse 31 of the same chapter reads, "And neither keep your hand chained to your neck, nor spread it wide open and so sit blamed and inpoverished."

In this way Islam has solved the thorny problem of wealth, which for long threatened peace and has been causing endless troubles. Islam thereby has reduced the danger of the financial greed and destroyed the dangerous seeds of communism. It preserved the incentive for work and opened the gates for healty competition in exploring the potentialities of nature and exploiting them in the service of mankind. This is in addition to eliminating misery and promoting love and mutual understanding.

The teaching of Islam guides man in the way of communicating with his Creator and in the way of worshipping Him. All the details of worship are given, and they are made in such a way as not to encroach upon the needs of material life. They aim at fostering the ties of brotherhood, among the worshippers by the inspiration of peity and righteousness.

Islam, moreover, has mada learning and seeking knowledge a most worthy pursuit. By learning here is meant to seek knowledge of the secret of the universe. Such knowledge strenhthens the faith in the Almighty, and helps towards the progress and advancement of the society. In this connexion the Qur'an reads, " Of His servants only those woh have knowledge fear Him. " [XXX, 25]. " Say : Ars those who have knowledge on the same footing as those who have not." (XXXIX,12). " Allah will raise up in honour and status, those who have believed and those to whom knowledge has been given." (LVIII, 12).

The stability of the family is of a paramount impotance in Islam

series of the Prophets. He is related to have made the following simile, " I, as last, and all the Prophets who were sent by Heaven before me, resembled a house which the architects perfected and which they adorned with all sorts of decoration. A place for one stone was left out empty, however. People went inside the house and admired it. But they would say, how perfect and how beautiful the house is except for that empty space for one stone ". The Prophet continued, " I am the stone and I am the seal of the Prophets".

* * *

By harmonising the physical and spiritual needs of the individual, Islam, as we have seen earlier, has assured a happy and prosperous life, and helped society to advance and to progress.

We now propose to discuss the elements in the Islamic teaching which aim at a harmonious and orderly social life where the needs of the individual and those of his community are guaranteed.

In the first place, Islam guided to the belief in truth, in the Unity of the Righteous and Benevolent Creator whom alone our devotion and prayers are to be addressed. The relationship between man and his Creator, who sustains him and who provides for him, is direct, and there is no intercession or intermediary in Isalm. This inspires the individual with the sense of dignity and self-respect, and with courage and justice. He would say the truth because it is the truth, and follows what is right because it is right.

In the second place, Islam encourages hygienic practice, and requires its adherents to be healthy and strong. Any practice and anything that is phsically injurious is prohibited, and the believer is instrcted to safeguard against infection and the causes of illness. Again, all practices that would adversely affect the intellectual power are not allowed. Therefore wine and opium are to be avoided. Sura V verse, 92 reads, " O you who have believed, wine, gambling, stone alters and divining arrows are simply an abomination, some of Satan's work . . ." V. (92).

The pursuit of earning by tilling the land or through trade or industry is highly praised, and is reckond a kind of worship for wich reward is assured. Sura LXIIV verse 10 reads, " Then when the prayer is finished scatter abroad in the land and seek the bounty of Allah and call Allah frequently to mind . . ." Sura LXVII Verse 15 reads, " He it is who has

depens on the fulfilment of the needs of the body and the requirements of the soul. Physical enjoyment, however, should not encroach upon the spiritual needs, and the cravinge for spiritual purity and perfection should not lead to physical suffering or deprivation.

Man is therefore, allowed and even encouraged to enjoy within his means the pleasures of life without excess. He is permitted to eat good food, to drink what is not harmful and to wear elegant clothes. He is permitted to enjoy living in elegant houses, the accumlation of waelth and the company of the opposite sex, But he is forbidden from committing abomination and from seeking the fulfilment of his pleasure through means that would be in any way injurious to himself, to his family or to his society. On the other hand, man is guided towards spiritual purity, spirtual enjoyment and spiritual elevation through spiritual training in such practices as fasting, pilgrimage, meditation, reflection in God's greatness and creations, and through seeking communion with God in prayers!

In this connexion the following passages from the Qur'an are quoted :

Sura VII Verses 29 - 30 read.

" O children of Adam, take your adornment at every place of worship and eat and drink, but do not be extravagant. Verily He loves not those who are extravagant. Say, Who has forbidden the adornment which Allah has produced for His creatures and the good things He has provided ? ". The Qur'an continues, " Say, My Lord has only forbidden indecencies, both open and secret, and has forbidden evil and unjustified greed . . . .". Another verse reads, " O you who have believed, do not make forbidden the good things of what Allah made permissible for you; and do not trangress...." (V. 89). Another verse reads, " Say, My Lord had commanded justice. Set yourselves in order at every place of worship, and pray to Allah, associating no one with Him as an object of your devotion and worship.' (V. 28).

Thus, Islam, by harmonising the physical and spiritual needs of the individual, and by directing the fulfilment of these needs towards the well being and the advancement of society Islam has become the faith of the spiritual and material worlds at one and the same time. Islam is the last religion revealed from Heaven, and it was revealed with a system of life that has pushed man leaps higher on the ladder of progress and civilisation. The man who was the exponent of the faith; Muhammad, son of Abdullah, was the perfect and the last one in the noble

ISLAM AS A SYSTEM THAT ENSURES HAPPINESS AND PROSPERITY

Delivered by
His eminence shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University
During his visit to Malaya

For the benefit of those with " living hearts " and with righteous souls I offer this essay in which I give a brief analysis of the principles established by Islam as a means for a prosperous and successful life.

I pray that this essay will be intelligently studied, and that the readers and listeners would hold fast to the enanciated principles until good defeats evil and prosperity replaces misery, so that mankind may enjoy glory in this life and eternal happiness in the next.

* * *

God, in His grace, established the faith of Islam and has made it a system which ensures peace and prosperity both for the individual and society in this world, and which guides to success and to eternal happiness in the world to come. There is nothing useful or beneficial or righteous in the world except that it is recommended and encouraged by Islam, and there is nothing harmful or evil in the world except that it is prohibited in Islam.

The guidance of Islam is comprehensive and embracing. Man is not left along in life to the physical pleasures or the material needs that would drive him away from the advantages of the immortal life, nor is he left alone to the attractions of the material needs and the legitimate enjoyment. The Islamic system is based on firm foundations, on the fact that man is a body and a soul, and on the recognition of the needs both of the soul and of the body.

The body has certain legitimate needs, and the soul has legitimate requirements; and Islam recognises that the ultimate happiness of man

Quran only : "Take what the Prophet has given you and avoied what he ordered you to avoid, and be pious if you believe in God".

The state system in the modern society regards as the area of infuence the physical entity of man rather than his spirit. Perhaps it does so in order to leave to the church the "spirit" as its area of influence. The separation between church and state is in accordance with the division that took place at the time of the french Revolution.

But the system of society in the nation which God created regards man as a whole, his physical as well as spiritual entity, as the area of its protection. Thus it took care of the body as well as of the spirit by considering man one unity which is under one leadership. This system encourages man psychdogically to be creative by way of his conscience.

Perhaps the worst stain in the state system of modern society is that " dualism " of religion and state, the split into two authorities, the authority of the church as religious authority, and the authority of the state as the secular authority.

But in the nation the God created the society is not divided into two authorities. Instead, its system follows one leadership and one guidance : "The system of God which is the best system."

among the people are guided by co-operation, love and fraternity. This is the highest ceiling human society.

The nation which God created is not a divine one, nor is its society sacred or its ruling class holy because of their relationship to the Book of God. The individuals of this nation are rather human beings, its society is a human society and the ruling class are people apt to committing mistakes once in a while.

The government in the nation which God created is not a divine one does not have to be obeyed without question or heard without argument. It is rather a government which derives its decisions from consultation. This government may continue as long as it recognizes justice and nourishes good inter-relations among the people.

Man in the nation which God created is active. He practices his rights according to his qualifications. He may hit the target now and fail it the next time.

The only difference between this man and the man in the state which man made is the former is not conceited by his human qualifications nor is he deceived by the independence of his mind. He, beside using his mind and human faculties, seeks consultation in the Book of God, God's Book is no more than general planning for the sake of mankind. Wherever is found any narrow limitation in interpreting the Book of God it should not be attributed to the quality of the Book, for interpretation is the work of man.

Until now, the Muslims in the Islamic oriental society cannot clearly comprehend that the dual system which in Europe led to the separation between state and church has no relation to either Islam or Its system.

Islam is not a church, its jurists and scholars are not priests. But Muslims are all equal. They are first of all Muslims, then People of vocations and professions. Islam has no group assuming divine authority or which spreads its influence over the people, physically or spiritually, in the name of God. They are all equal citizens of one nation. This nation is that to which the Quran referred in the saying: "You were the best nation created for man".

Islam, after all, is not responsible for the misinterpretation of Its instructions and general maxims. The responsibility of Islam lies in the

distinction. This group is the ruling class, the " people of decision", of whom God says: " Oh people, who believe, oby God and oby the Prophet and the people of decision among you. If you had any dispute over something, solve it in the light of the instructions given by God and the Prophet if you believe in God and the Day of judgement. This is the best for you ". The people of decision are those who distinguish themselves by striving to understand what God revealed and endeavoured to comprehend the Book of God and distinguish themselves by their ability to apply analogy. They are the endeavorers and therefore their instructions are to be obeyed and followed and obeying this group is obedience to God and His Prophet.

Islam relates obedience of these instructions to obedience to God and His Prophet and therefore obeying the law becomes obedience founded on conviction and belief combined. Thus, deviation from law is minimized since law is not imposed from outside. It is neither limited nor codified by peole whose merits lie in their humanity alone, but because they are pious scholars.

From this comparison between the state which man made and the nation which God created we infer that the system of government, or the syetem of guiding the individuals in human society, which depends on the existence of the three authorities - the executive, judicial and legislative authority - is found in both societies. This is because it is a prerequisite for the existence of any pattern of society. Later on some shortcomings crept into the government system of the modern society. These shortcomings made the system insufficient for reaching the ultimate goals of society which are: stable inter - relationships among the individuals and equal opportunities for them. Meanwhile this system looks at the individuals as groups of aggregates which should be pushed without considering the freedom of the individual and human dignity.

The system of government in the nation which God created, as we previously pointed out, corrected the defects existing in the state system. The nation of God recognizes the strong conscience of man and man's belief in God. From these two principles spring personal freedom and human dignity. At the same time the inter-relationships.

a result conscience is one's final resort in his judgement and talk. And this is how the judicial right is founded on conscience as well as on jurisprudence and the people know what God has allowed and forbidden, and revealed.

The judicial authority in the state system also relies on jurisprudence and coscience. But it is the jurisprudence and conscience of man. It is not law of God nor is it the conscience which springs from the fear of God. Add the difference between the defined and the unlimited. It is the difference between that which is not influenced and that which is influenced. The difference between the consience of man and the conscience which springs from the fear of God is the difference between power limited by the factors of environment, heredity and the executive authority and the power which is above this limitation, for it is guided by God Himself.

The phenomena of jurisprudence and conscience in judicial matters are necessary factors in applying justice. But the kind of jurisprudence as well as the kind of conscience is more important in applying justice itself. It is, perhaps, the predominent factor in doing or neglecting justice.

To evaluate conscience, which is founded on belief in and fear of God, and its value for doing justice the Prophet, peace be upon Him, says the following to two persons who had come to Him with an argument: "I am nothing more than a human being. It may happen that one of you will be more eloquent in presenting his case and thus I may do wrong by judging in his favor. The one, whom I may fovor by giving him part of his brother's property is like the one who took a piece of fire".

3) Beside the executive and the judicial right in the nation of God there exists also the legislative right which is similar to the legislative authority of the state system in modern society. The legislative right is not delegated to a committee which is formed by way of national election or by way of appointment by the executive authority, but is delegated to a group which is formed by way of natural election, i.e. by way of personal distinction or personal qualification. These qualifications alone are the sign of selection and

THE STATE THAT MAN MADE AND THE NATION WHICH GOD CREATED

by
Dr. Mohammad El-Bahay
The director of Al-Azhar University in charge

— 2 —

2) The judicial right is also found in the nation of God in the function of installing justice as is supposed to be in the judicial authority which is the second pillar of the state system in modern society. The Glorious Qur'an says : " When you judge among people, judge justly.God's commandments are the best. God is the one who hears and sees." It also says : "When you speak, speak justly even when it concerns your relatives." Quran thus demands that among believers speech and judgement should be fair. Quran emphasizes its demand by saying that justice in judgement and talk should not be influenced by either emotion or relationship. It also demands justice even when the affairs concern unbelievers. It says: "Don't let your hatred lead you to do injustice. Doing justice is the shortest path to piety. Be pious for God knows what you are doing". But the existence of the judicial right in the nation of God differs from the existence of the judicial authority in modern society and because of this differentiation the nation of God distinguishes itself for recognizing justice and strengthening the stability of the ralationships among the citizens.

Islam, therefore, asks for justice in judgement and talk between believers and unbelievers and constantly mentions this jointly with the reminder of observing God and It demands that a judge or a speaker should remember God in his actions. The verses of justice in Quran. always end in : " The commands of God are the best." "This is what God entrusted you with." "Be pious for God knows what you are doing." Quran thus constantly remindes the people of God so that man, in his judgement, verdict or speech keeps distance from his emotional bias. As

of the Muslim life, clear the way in front of the Arabs to lead the way to their greatness and to restore their glorious past. Indeed, Al-Azhar is the university which undertakes to keep the immaterial personality of the Arab nations. It is the university which the united Arab Republic pays all its expenses and which peoples depend upon it to keep the Arab Nationalism.

Though Al-Azhaar university is on the land of the united Arab Republic, it has an important and an Arabic international position. This is because it is the source of the islamic and arabic studies, as it is the place which attracts the students who look for islamic and Arabic culture. Hence, Al-Azhar is the university which sends its rays to the whole world to lighten the way in front of all mankind and to guide them to the straight path.

Nearly, every Arab and Muslim nation has delegates of its students studying at Al-Azhar university, the nations send students to receive islamic and Arabic education to guide their people when they finish their studeis at Al-Azhar and return back to them. The studies of Al-Azhar teach students the virtue of unit in the different spheres of life and prepare them to face thier enemies, as well as it teaches them how to treat each other brotherly and kindly.

Verily, the role of Al-Azhar university is not a local one, it does not teach only the general human aspects, but also it teaches all the knowledges which benefit the human beings during their life and which lead them to the good in the Hereafter — Moreover, Al-Azhar university is performing an international part such as consolidating the relationship among the nations and the govrnments. This is because, it purifies the people's hearts and plants good feelings in it, Hence, the message of Al-Azhar became the link which ties the sky to the earth, and which makes a way for the arabic policy that benefits the nations which follow it.

This is the duty of Al-Azhar university due to the Arab Nationalism. Al-Azhar — wheather in olden times or in the present times — is the international university which opens its doors for all Muslim students from all nations of the the world. This is — by the grace of our revolutionists and their leader Gamal Abd El-Nasser who is making his utmost to make. Al Azhar the university of the peoples from everywhere, our leader also is doing his best to enable this university to preach and spread its messoge, to perform its duty completely and to lead Arab and Muslim nations to the top of glory and greatness.

is against tyranny and aggression wherever they are, it also spreads justice, equality and brotherhood. Hence, the imperialists are trying their best to destroy the economic system of these nations, but by the grace of the Arab Nationalism and the struggling of the faithful young men, the economical condition is now advancing to the better and people are leading their way to the complete prosperity and the full progress.

The Arab economical condition had passed through a crucial period of its history, it was the period of decline and the time of the weakness. Hence, the aggressors started to prepare their plots for the occupation of our land till they succeeded, and consequently, some of the ill-mannered people let their nationality aside, forgot their previous glory and greatness, and helped the imperialists who aggressed people and humiliated the free youngmen. In this respect the Quran says: "Those in whose hearts is a disease - thou seest how eagerly they run about amongst them, saying" We do fear lest a change of our fortune bring us disaster "Ah perhaps God will give (thee) victory, or a dicision according to his will. Then will they repent of the thoughts which they secretly harboured in their hearts."

[Surah the Table, verse 55.]

At the time, while tyrants and the aggressors were making their utmost to destroy our glory and geeatness, will of God was preparing for our benefits, God inspired some of our faithful youngmen, under the wise leadership of the presedent Gamal Abd El-Nasser, to revolt against those who aggressed our people, separated us, occupied our land and took our properties forcely. At the same time, Al-Azhar university was performing honestly his devine message for the benefit of the Arab Nationalism, the professors and the students of Al-Azhar were facing these terrified events with faithful hearts and good spiritual souls. Hence Al-Azhar is considered in the sight of all people as the sole university which offers its services to all nations and societies. Moreover, it is an important organization for the islamic and the arabic studies, and as a result of this, students from all over the world came to have an islamic education in the oldest university on the earth, and this — by turn — leads them to know each other, to exchange openions and to discuss with one another: How to solve their own nation's problems.

Surely, the university of Al-Azhar is performing its holy message, since more than one thousand years. This message includes regulations and rules which cotrol all the aspects

Arab nations everywher to each other. No doubt that Arabic language is the one which expresses all the Islamic thoughts that prevail in the life of the Arab and the Muslim societies. Any one studies Islam, its teachings and prenciples, will observe that the Qur'an and the prophetic traditions are its main sources. And because Islam was revealed into arabic environment, and to the people whom language is arabic, this language became a tie and a motive for unit among the nations that embraced Islam and carried out the instructions of the Quran. Consequently, arabic Qur'an was the cause which attracted the non-Muslim Arab nations to be converted to Islam, this is because its language is their own. Moreover, many of the non-Arab Muslim nations became the greatest because of their inclination towards Islam and its language. Hence, Islam became the strongest tie among the Arab nations, and this tie is granted to them by God, so it is also stronger than any other kind of connections.

If we observe that Arab Nationalism has taken its position among the nations of the world, we must keep in our mind that this position is by the grace of the faithfulness which filled the hearts of the active, youngmen of our nation. Surely, Arab Nationalism, which reached to the highest top of glory and greatness, is reached to this rank by means of the Arabic immaterial personality, besides the faithfulness of its individuals' hearts.

As a matter of fact, the solid foundations which the Arab Nationalism had been built on, will last to be provided with the instructions of the two great sources of Islam "Qur'an and prophetic traditions", these sources will last forever. Surely, Arab Nationalism is the power which stands as an obstacle in the way of the imperialists who tried to humiliate the weak nations, occupied their lands, took forcely their properties and treated them badly and unkindly. The leader of the Arab Nationalism " Gamal Abd El-Nasser" is always supplying the weak nations with activity, teaching the humiliated people how to be enthusiastic fighting openly against the tyranny and leading the peoples to the right way which enables them to live in suitable standard of living under the flag of freedom, fratirnity and peace.

Now every one can observe that Arab Nationalism is the obstacle which hinders the advancement of the aggressors, it also attempts to stop the race of the armament among the big nations. In fact, these big nations had built their glory and greatness on the shoulders of the other weak nations. So, Arab Nationalism supports every weak nation, it

AL-AZHAR IS THE PROTECTOR OF THE ARAB NATIONALISM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The following article is the answer to the question which was addressed to his eminence Shaykh Mahmoud Shaltout, Rector of Al-Azhar University, by one of the newspapers correspondents.

Dear brother: On the pages of the newspaper which you work at, you have written a group of questions asking us to answer them. These questions are about the difinition, the foundation and the guidance of the Arab Nationalism for humanity in the different aspects of the life which benefit people everywhere. And particularly, one of these questions was about the duty of Al-Azhar university due to all these aspects. Putting an answer for this question, I should firstly introduce the following facts:

Every nation has a materialistic personality which belongs to its climate, its area, the nature of its land and its environment, as well as it belongs to its individual's tallness, fatness, colour and the other physical qualities.

Also every nation has an immaterial personality which is clearly centerlized into its mottos, its convictions and its aims which it always defends with all its might. The more stronger is that the immaterial personality is the more powerful link which joins the individuals of the society to each other as it is the way which leads the nation to take its position among the other nations of the world.

As a matter of fact, the immaterial personality is the strongest link that ties a nation to a nation and which joins a society to another. Indeed, Islam, is the spiritual religion, is the best contact which links the

soldiers are living, their arms are not bombs but Qur'an, their mean is not death but life, their aim is not distruction but construction and their purpose is to spread among all mankind equality and peace. Because our leaders are making their utmost to realize the best leadership for their people's freedom, because they want to be the pioneers of the world peace, they should gather both the power of Al-Azhar camp and the power of the military camp to gether in one place. Hence, they will be gathering the materialistic arm to the spiritual one. Moreover, they will be establishing on the land-where the imperialists erected up markets for slavery — minarets for guidance and refuge for freedom.

Surely, we have the opportunity to work, the land of Alrica is ready to be cultivated and Al-Azhar is, very eager to put the seeds. Hence it is the duty of our State to play the part of sendiog clouds to water the thirst african souls which are very keen to drink islamic knowledges and religious education. Afte that, Africa will has the ability to exist the faithful youngmen who understand the meaning of the real independence and who can offer proofs very obvious in front of the European peoples that man is known everywhere by his work and faith and never deffers or distinguishes according to natmionality, colour or race.

people, to lighten their minds and to guide them to the straight way when they return home.

Now, there are about three thousands of the foreigners tudents in Al-Azhar university, but this number is less than what actually the spiritual struggle needs in new Africa. Surely, the evacuation of the imperialists from Africa, will give a chance to those who struggle in the cause of African language and the islamic teachings to widen its area and to extend its land. Now, it is the duty of the State to support the university of Al-Azhar and to help it to carry out its plan through the fertile land of the new Africa, it is its role to enable Al-Azhar to preach its message by giving it money to realize its good hopes in this great Continent.

Supplying Al-Azhar university with money, and giving it a chance to preach its divine message among the african idolators, it will pick them out of the slavery of the spirit, mind, and body. As well as this matter is a great political profit that imperialists tried to gain it — wheather by tricks, by temptation, by the time or by shedding blood, but they had been evacuated out of this good land which they humiliated its people, treated them unkindly, took their properties and wealth and let them living in a complete poverty, illness, ignorance and difficulty.

Indeed, Islam will improve all their conditions. it will change them completely from darkness to light, from poverty to richness, from illness to health, from disruption to good and from disintegration to unity and brotherhood. At-that time, they will not find among them any one who is called master or servant according to his colour, but they will find that all people enjoy freedom, the national wealth will be devided among them justily and all of them live in a suitable standard of living and enjoy all the human rights.

If the african people untlerstand Islam and believe in its teachings with faithful hearts, it will surely promote them to the highest top of freedom and humanity, where there is no distinction among the people because of nationality or colour, but there wil be people like Abu Bakr, Omer and Othman beside Belal, Sohaib and Salman.

Really, Al-Azhar university can be considerd as a camp, where God's

the Islamic institutes to pave the way for the french civilization to be spread here and there, and this will lead us to occupy the helpless nations".

This is the strength of Islam relegion in the christian preachers openion, and that is its effect in the imperialist's view. Indeed, Islam — is looks like the water which benetrates rocks and stones — passes through the viels and the obstacles of the nature so. But to give Islam the chance, to move forward very easy, and to enable it to trod over the hindrances which prevent its starting to spread its guidance and advices, we should remove these obstacles from its way, and this will help Islam to lead the way with complete easiness. To remove these obstacles and to oblitirate them, we have to use an instrument which is Al-Azhar university. As a matter of fact, Al-Azhar university in Egypt and the first sanctuary in Mecca are the two things which combine the meaning of Islam in the minds of the African Muslims. The african Muslim considers that the sacred Mosque is the place where his faith is planted and at the same time considers that Al-Azhar university is the place where the Islamic teachings and principles can be obtained.

Verily, Al-Azhar university spares no effort to preach its divine message among the people of the african continent. For example: It sent some of its learned men, its professors and advisors to Somali land, to Abysinia and to the other parts of the world. Moreover, Al-Azhar is surely doing its utmost to make the preachers who preach Isalm in Africa, of the youngmen of Africa itself, this will enable the preachers to preach Islam in the language of the african people themselves according to the Almighty God sayin "We sent not an Apostle except (to teach) in the language of his (own) peole, in order to make (things) clear to them. Now God leaves straying those whom He pleases and guides whom He pleases : And He is exalted in power, full of wisdom ".

(Surah Ebraham, Verse 5).

Al-Azhar university established the muslim foreigners hostel where all the foreigner students — who receive educatiou at Al-Azhar — are residing. This hostel offers lodging and food — three times daily — for all those students freely. Also Al-Azhar gives them knowledges, prophetic traditions and provides them with all the means of preaching to transfer God's message to their

it is the natural easy religion, as it has no complexity or difficulties and also because it is the feature of monotheism, and faith which denies the intercession between man and his creator, Millions of people embraced it or gladly converted to it, for example: 3,245,390 persons from Abysinia converted to Islam, 1,746,301 in somali land, 300,000 in Zanzebar, 200,000 in Quenia, 1,500,000 in Tanganica, 138,000 in both Rovdisia and New Ziland, 650,000 in Mozonbique, 88,000 in southern Africa, 7,500,000 in the french western Africa, 23,000,00 in Nigeria, 30,000 in Togoland, 150,000 in Ghana, 120,000 in Ghambia, half million in Kamiron half million and four hundred thousands person converted to Islam in liberia. These numbers are according to the last census for ten years ago, and it is very natural that Muslims have been increased during this period wheather it was by the new birth of the muslim infants or by the converted people to Islam.

The effect of Islam and its attraction for all these people had been surprised the christian preachers, wheather they are english, french, Belgian, Italian or American. They gathered together and asked each other the following question: "Why did we fail to convert the idolators into christianity in spite of offering people many services like, drugs, money and education, while Islam succeeded to convert them to it without offering them any thing, also there is no government to support it or any society to help it ?" Then the christian phelosophers and the specialized people of them made their utmost to study this matter, but they failed in getting any result. But at the end, they submitted, and determind that they will use Islam as if it is a way for the idolators to passe over it to christianity. Then they began to investe the inner power of Islam and they attempted to make it as a passage to get the primitive idolators out of the darkness, after that, they will try to attract them to their modern civilization and call them to faith in and embrace their christian religion. In this respect one of the historian of the church said : "Surely, Islam is the bridge which the african people used it as a way to passe over it from idolary to christianity. Hence, we should be very kind with Islam and help it to extend its message and preach it everywhere. We must offer money for mosques and

YOU, GIVE AL-AZHAR A CHANCE TO CONVEY HIS MESSAGE IN THE NEW AFRICA

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief



Since God created the earth and the people who are living on it, the inhabitandts of Africa continent have lived in a complete darkness: ignorace, worshipping idols, slavery and imperialistic rnle. But, fortunately, at the Present time, we observe that Africa is getting up after its long sleep, striving hard to achieve a suitable standard of living after its complete poverty and struggling bitterly to realize its dreams and materialize its hospes which are: Freedom, dignity and peace. Indeed, Africa continent is influenced by the Egyptian Revolution which has, its effect, not only on Egypt and Arab nations, but also on the nations of the whole East.

In olden times, the Afican people had some knowledges about the guidance of Islam by means of the Arab traders and the muslim emigrants, and consequently, some of them felt that there is the light which oblitirates the darkness that they were living in, and that in the universe, there is Almighty God who sends his messengers to guide humanity to the right way and to spread among the people equality, morality and brotherhood. Hence, they refused to be humiliated or opressed, but the guidance of Islam was very faint in their hearts because they did not know the Arabic language which is the language of the Qur'an and the prophetic Traditions. Surely, they recite some of the Qur'anic verses without understanding its meanings, they also perform the rites of Islam by imitation, without complete knowledge about the Islamic laws. Nevertheless, Islam found its way to the hearts of the idolators. This is because

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السابع — رجب سنة ١٣٨١ هـ — ديسمبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الأزهر
في ضوء قانونه الجديد

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

لقد عاصر الأزهر تاريخ ألف سنة من حياة العروبة والإسلام ، بل كان روحا لهذه الحياة وعاملا ذا أثر إيجابي فيها . وظل خلال هذه السنوات الألف منارا للعلم وحصنا له ، ودرعا للإسلام وعدة للدفاع عنه ، وحمى للعروبة وأمينا على لسانها ، وحارسا لكياننا القومي ، وقلعة شامخة في وجه المتربصين به ، كلما أطلت برأسها فتنة ، أو تهدد الأمة شر .

وعلى مدى ألف سنة اكتسب الأزهر خصائص تميز بها في مجالات العلم والعقيدة ، واللغة والقيادة ، والتوعية والتوجيه ، كما اكتسب اسمه بهذه الخصائص قداسة وجلالا فانعطفت قلوب المسلمين من شتى أقطار العالم الإسلامي إليه ، وقويت على تعاقب السنين صلتهم به والانقياد إلى رأيه . لا يطلبون علوم الإسلام وأسباب المعرفة إلا في حلقات درسه ومجالس علمه ، ولا يجدون ضالتهم من فقه الكتاب والسنة إلا في أفواه علمائه وألسنة رواده ... فكان الأزهر بوصفه هذا قبل أكثر من نصف قرن في مقدمة الحياة ، يجد المجتمع مطالبه وحاجاته في خريجيه ،

بل لم يكن لينهض بمطالب الحياة إلا خريجو الأزهر ورواده يومئذ.

فلما بدأ عصر النهضة فى مطلع هذا القرن كان الناس يومئذ مشدودين إلى التقليد والمحاكاة، مأخوذين بكل غريب وافد، فأقبلوا على ترجمة كل شىء، بل ترجموا الحياة نفسها، حتى نظم التعليم ومناهجه، وبرامجه، قامت جميعاً على أفكار مستوردة وثقافات مترجمة وطرائق معربة باعدت بيننا وبين الحياة التى يجب أن نحياها، وقطعت صلة التعليم ببيئته وتراثه، وتاريخه ودينه، وكان طبيعيا أن يعتزل الأزهر هذه النهضة، وينفر منها، فانزوى عن المجتمع وتراجع إلى ما وراء حاجاته، ولم يندمج فيه لأن الأفكار المستوردة والاتجاهات المترجمة أو المعربة لا تتلاءم مع طبيعته، ولا تتفق مع خصائصه، ولكنها تتنافى مع ما أخذ نفسه به وانطبع عليه.. ولما انتهت الحرب العالمية الأولى قامت فى أعقابها نهضة، وبدأت محاولة لتعديل نظم التعليم لم تحدث تغييرا جذريا فى أسسه وفلسفته ونظمه وخططه، وإنما حدث خلط وترقيع لم يصلح فاسدا وإنما زاد فسادا. حتى أن اللغة العربية والدين - مع فرط العناية بهما فى مدارس الدولة - لم يتحقق لهما ما يرجوه كل مسلم للغته ودينه، ذلك لأننا بنينا على أساس غريب عنا بعيد عن بيئتنا وتراثنا، وعقيدتنا وتاريخنا.

وكان نتيجة لذلك أن وقعنا فى الخطأ مرتين: أخطأنا مختارين أو مكرهين بترجمة نظم التعليم والبعد به عن الحياة التى يجب أن نحياها. وأخطأنا مرة أخرى - تساهلا أو انقيادا - حين اكتفينا فى إصلاح التعليم بالخلط والترقيع.

وفى كلا الحالين ظل الأزهر فى مكانه بعيدا عن الأفكار المترجمة والمعربة، وبعيدا عن الخلط والترقيع كذلك.

إلا أن وقوف الأزهر حيث هو، والحياة من حوله تتفاعل فى نشاط متجدد وتطور مستمر، أضر بخريجيه إذ أرادهم على أن يكونوا رجال دين فحسب، يتخذون منه حرفة ومهنة ويعيشون باسمه ورسمه.

وأضر الأزهر بخريجيه كذلك إذ فرض عليهم وضعه هذا نوعا من الانعزال عن المجتمع الذى يعيشون فيه، فقد وجدوا أن ثقافتهم لا تواجه احتياجات النهضة، ولا تتفاعل معها وأن ميادين العمل والإنتاج فى واد وخبرتهم فى واد آخر، بل زاد فى انعزالهم عن المجتمع مشكلة التعطل التى تواجههم ويتسع نطاقها عاما بعد عام. هذا جانب من المشكلة، وجانب آخر أشد ضررا وأخطر أثرا، فقد كاد وضع الأزهر هذا أن يوهن عقيدة الناس ويضر المجتمع، حين يقع فى وهم خريج الأزهر أن عالم الدين مصيره التعطل ومآله الضياع لأن الدولة لا تعترف به

والمجتمع يحاربه فلا يتسع له ، فيعقول الخريج الدولة والمجتمع ، حتى إذا ضاقت به الحياة كان حربا على الدولة وحربا على المجتمع .

وبالتالى فإن الناس لا يكادون يعرفون الدين إلا فى صورة عالم الدين ، فإذا كان هذا وضعه فى المجتمع ومصيره ، فما أسرع أن تتشكك قلوب وأن تفسد عقائد ... كذلك فإن بقاء الأزهر على وضعه القديم يصرف المسلمين عنه ، ويضعف صلتهم به . وأن مركزنا القيادى فى العالم الإسلامى ، لم يكن فى يوم من الأيام بسبب تقدمنا وإمكانيتنا ، ولا بسبب ما فرضته علينا الحياة ... وإنما باسم الأزهر وماضيه اكتسبنا ذلك المركز القيادى ، فيجب أن نظل بالأزهر نفسه هذه الصفة وتلك المكانة ، وهذا يجعلنا نفكر فيما يحتاج إليه المجتمع الإسلامى فى حاضره ، فنمسحه مسحا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ونخطط التعليم فى الأزهر خاصة بحيث يحقق للعالم الإسلامى مطالبه ، ويلبى حاجاته ، بعد أن خرجت أمم كثيرة من تحت نير الاستعمار وبدأت تأخذ بأسباب التطور والنهوض ...

فى ضوء هذا الواقع صدر قانون تطوير الأزهر ، يحمل لكل مشكلة حلا ... ويعد لكل ميدان من ميادين العمل خبرة ، ويهيء لكل مجال من مجالات الإنتاج طاقة ، ويربى لمراكز الخدمات الإنسانية باحثين ودعاة ورادة إنسانيين تهديهم جميعا إلى الحق والخير فطرة سليمة ، وعقيدة مستقيمة ، ومثل من روح الإسلام وقيم من هدى القرآن .

ومن أجل ذلك كان تجديد الأزهر وتطويره ودعمه ، ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى الشرق والغرب .

وليظل كما كان منذ أكثر من ألف سنة حصنا للدين والعروبة يرتقى به الإسلام ويتجدد ويتسع نطاق العالم به ويزدهر .

ومن أجل ذلك كان قانون الأزهر .

* ليتخرج فيه علماء ذوو عقيدة وخبرة ومعرفة يعيشون لدينهم لا بدينهم .
* ولتتحطم الحواجز والسدود بين خريجيه وخريجى الجامعات والمعاهد الأخرى .
* ولتزول الفوارق بينهم وبين إخوانهم فى كل مستوى .
* ولتتكافأ فرصهم جميعا فى مجالات العلم ومجالات العمل .

وما كان للقانون الجديد أن يحقق الغاية المرجوة منه لولم يأت على المشكلة من جذورها ويبدأ الطريق من أوله ، فعنى برعاية جمعيات المحافظة على القرآن الكريم وعهد إلى الأزهر بالإشراف عليها ، ورصد لها الأموال لتنهض بتبعاتها وتقوم بواجبها فى إعداد العناصر الصالحة للالتحاق بالأزهر وتغذية معاهده .

كذلك ما كان للقانون الجديد أن يتجاوب مع المجتمع لو ترك التعليم فى معاهد الأزهر نظريا بحتا كما كان من قبل ، بعيداً عن مجالات الخبرة

والدربة العملية ، فهيأ الدراسة للطلاب بحيث تتكافأ فرصهم مع فرص غيرهم من التلاميذ فى مدارس الدولة ليحصلوا على الشهادة الإعدادية العامة أو الفنية إلى جانب دراستهم لعلوم الدين واللغة ، وليحصلوا على شهادة الثانوية العامة بقسميها الأدبى والعلمى أو الثانوية الفنية فى الزراعة أو الصناعة ، أو التجارة ، إلى جانب ما درسوا كذلك من علوم الدين واللغة . فإن شاء طالب الأزهر خرج إلى الحياة ليعمل ويكسب وإذا شاء واصل الدراسة فى المراحل العالية بكليات الأزهر أو كليات الجامعات الأخرى أو الكليات العسكرية وفق مواهبه واستعداده.

كذلك لم يترك القانون كليات جامعة الأزهر لتصنع خريجيها فى هذا النطاق الضيق المحدود وأن تعيش بهم فى بيئتها هى بعيدة عن المجتمع الأم منفصلة عنه ، فرجع بها إلى مجد سلف وماض نفتقده ، يوم كان علماء الإسلام علماء طب وفلسفة ، وأساتذة تاريخ ورياضة وأصحاب فن ومهنة يعيشون للدين ويشاركون فى الحياة ويكتسبون منها ، فقد جعل القانون للدراسات العربية كلية تحفظ الثقافة العربية وتنميها ، وتنفى عنها ما أدخل عليها أو اندس فيها ، وجعل للدراسات الإسلامية كليات تزدهر فى رحباتها ثقافة الإسلام ويتسع بها فهم الكتاب وفقه السُّنة وتزداد بدراستها معرفة الطالب للإسلام وهى كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين، وكلية الدراسات الإسلامية للفتيات التى ستفتح أبوابها فى العام القادم إن شاء الله .

ولقد روعى فى هذه الكليات أن تنهض برسالة اللغة والدين وأن تحافظ على مستواها كما ونوعا مع ضمان التنمية المستمرة وازدهار الرسالة العلمية الإسلامية فى جامعة الأزهر ، هذا إلى جانب ما أنشأ وينشىء من كليات للإدارة والمعاملات والهندسة والصناعة والزراعة والطب .

كل ذلك كفله القانون ووضع له أسسه وخططه ، لإعداد طالب متفاعل مع بيئته ومجتمعه ، سواء فى موطن الأزهر بالجمهورية العربية ، أو فى الموطن الكبير الممتد إلى ماوراء الحدود فى أرجاء الوطن العربى والإسلامى...

كذلك لم يغفل القانون وضع الرأى العام الإسلامى من الأزهر ، ووضع الأزهر من العالم الإسلامى ، فقرر إنشاء مجمع للبحوث الإسلامية على نطاق دولى إسلامى يعيد إلى المسلمين الصورة التى عرفت عندهم باسم الإجماع . . لتناقش فيه البحوث الإسلامية على نطاق دولى ، ولتتجدد ثقافة الإسلام وتتجلى فى جوهرها الأصيل ، وليذاد عنها كل دخيل غريب ، ولينفى عن العقيدة كل خبث يضر بها أو يكيد لها مما ينتحل باسمها أو ينسب إليها ...

حكاية الشعر الجديد

بقلم : أحمد حسن الزيات

كتب إليّ السيد محمد رضا من أدباء الثغر بكرموز يسألني عن هذا النوع من الشعر الذي يقرأه من حين إلى حين في الصحف فلا يدري كيف ينسبه إلى بحر من بحور العروض ، ولا كيف يرجعه إلى فن من فنون القريض ، ويشكو من أن أذنه لا تسيغه وأن ذهنه لا يهضمه .. والسائل الأديب يقصد ولا شك تلك المقطوعات العاطفية التي ينظمها بعض الشعراء الشباب مطلقة من قيود القافية ، وذلك ما نسميه بالشعر المرسل ويسميه الأفرنج بالشعر الأبيض .

وكان أول من استحدث هذا النوع الشاعر الإيطالي « تريسينو » سنة ١٥٢٥ فأنكره قوم وعرفه آخرون ، ولكن الآذان لم تلبث أن ألفته وصغت إليه فانتشر في أوربا ونظم منه شكسبير بعض دراماته . ثم تطور وغلا في التطور حتى اشتق منه نوع آخر يتخفف من بعض أثقال العروض ويقبل أن يتألف بيت من تفعيلة أو اثنتين وبيت يليه من أربع أو أكثر ، وذلك هو « الشعر الحر » .

وكان أكثر ما يُستعمل النوعان في الملاحم والمسرحيات والمطولات إشفاقا على الشاعر من جرائر القافية كالتكرار والحشو والغرابة .

وكان من العوامل التي مهدت لقبول الشعر

وبعد . .

فإن القانون الجديد قد كفل تخريج عالم عامل ذي خبرة وكفاية يقوى به الإسلام ويشتد ساعده وتنتشر به رسالته ، وتتسع رقعته ، ويزيد به معتنقوه ، وتطمئن إليه قلوب الذين لم يبشروا به .

وما كانت القوانين لتصنع رجالا أو تعد دعاة إذا لم يكن في الأزهريين غيرة على دينهم ولغتهم وأزهرهم ...

بل ليس في مقدور القانون أن ينهض بتبعات رسالة ، أو يحافظ على قداسة عقيدة إذا لم تتملك هذه الرسالة وتلك العقيدة قلوب الداعين إليها والعاملين في سبيلها .

ومن قبل نادى دعاة الإصلاح بتطوير الأزهر ... وثار الأزهريون من أجل تطويره ... وها هو ذا بين يدي كل أزهري وكل مسلم أمانة حملها وخيراً دعا إليه .

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

محمود شلتوت

المرسل فى العروض الأوربى أن القافية بمناها العربى لم تكن عنصراً جوهرياً فى الشعر الأفرنجى ، وإنما كانت القافية فيه نوعاً من الاتحاد الصوتى بين الكلمة والكلمة كما يكون بين كتاب ونظام وبين عظيم وقدير. فلما اتصل « التروبادور » ، وهم شعراء جنوب فرنسا فى القرون الوسطى بعرب الأندلس اقتبسوا منهم القافية بحكم الجوار والخلاط .

قال المؤرخ الفرنسى « لويس فياردو » فى الجزء الثانى من كتابه تاريخ العرب والبربر فى أسبانيا : « كان الشعر الفرنسى مضروباً على مثال الشعر الأسبانى المأخوذ عن الشعر العربى . لأن الأسبان لم يقفوا على الشعر اليونانى ولا على الشعر الرومانى قبل القرن الرابع عشر حتى يقلدوهما . . . ولقد أخذنا صناعة الشعر ونظام القوافى عن العرب ، جاءتنا مع التجار الأسبان عن طريق مرسيليا وطولون » .

أما الشعر العربى فله خصيصتان يتميز بهما على سائر الشعر : إحداهما القافية الواحدة للقصيدة مهما تطل ؛ والأخرى بناء كل بيت فى القصيدة على عدة التفاعيل التى قام عليها بناء البيت الأول ، فتكون القصيدة كلها كاملة أو مشطورة أو مجزوءة على حسبه .

وللقافية سلطان طبيعى قوى على النفس العربية . لذلك لازمت الشعر فى طوره الأرقى وهو طور القصيد . ولم يحاول شاعر فى العصور الأولى أن يتخلص منها بالشعر المرسل إلا ماروى أبو عبيدة لابنة أبى مسافع وقد قتل أبوها يوم بدر :

فما ليث غريف ذو
أظافير وإقدام
كحبي إذ تلاقوا و
وجوه القوم ألوان
وأنت الطاعن النجلا
ء منها مزبد آن
وبالكف حسام صا
رم أبيض خذام
وقد ترحل بالركب
وما نحن بصحبان

وإلا ما روى غيره لغيرها من نحو قول الشاعر :

ألا هل ترى إن لم تكن أم مالك
بملك يدى أن الكفاء قليل
رأى من رفيقيه جفاء وغلظة
إذا قام يبتاع القلوص ذميم
فقال أقلا واتركا الرحل إننى
بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشرى رحله قال قائل
لمن جمل رخو الملاط نجيب

وهذان المثالان وغيرهما مما روى ولم نطلع عليه إنما صدر عن ذوق متخلف وطبع متكلف ، فلا دلالة فيه على مذهب نشأ ولا على تطور حدث .

على أن من شعراء الأندلس والعراق من ضاق بتماثل النغمة وتكرارها فى التزام روى واحــد فى القصيدة المطولة فعالجوا ذلك الرتوب بتنويع القافية على نحو ما فعلوا فى الموشح والزجل . ولكن شعراء هذا العصر الحديث حينما دُفعوا بحكم التطور إلى نظم الروايات المسرحية والمطولات القصصية قاسوا من التزام القافية رهقاً شديداً وقعوا منه فى الغرابة أو الركاكة أو الفضول أو النبو ، فدعوا إلى إرسال الشعر من غير قافية وقصروا هذه الدعوة على الشعر القصصى والتمثيلى وما فى حكمهما من القصائد ذوات الحوادث المتعددة والمواقف المختلفة .

بدأ ذلك الأستاذ محمد فريد أبو حديد فنشر فى مجلة الرسالة سنة ١٩٣٣ استفتاء فى الشعر المرسل كانت مادته ترجمـــة بالشعر المرسل لخطبة أنطونيو فى رواية يوليـوس قيصر لشكسبير ، فاستطار حولها الجدل وتقسم فيها الرأى ، ومضى يؤيد رأيه بالعمل فنظم بالشعر المرسل « مقتل سـيدنا عثمان » و « خسرو وشيرين » و « زهراب ورستم » : وحذا حذوه المرحوم الدكتور أحمد زكى أبو شادى فترجم بهذا الشعر رواية « عنون » لفولتير ، و « ترنيمة أتون » لبرستيد .

ومن قبل هذين الرائدين عالج الشعر المرسل السيد توفيق البكرى فى قصيدته « ذات القوافى » ، وجميل صدقى الزهاوى فى « المؤيد » وعبد الرحمن شكرى فى « الجريدة » .

ثم فترت الدعوة وخشع الدعاة واستمسكت القافيـة على عرك النقد وشـدة التطور حتى أتاح الله لها داعيا جديداً بعد فترة دامت عشر سنين هو الأستاذ دريني خشبة فجددها فى « الرسالة » ١٩٤٣ وأيدها بقوة . ولكن الأذواق لا تقارَع بالمنطق ولا تجابَه بالدليل ولا تتغير بالأمر ، فظل الشعر الحر أمنية فى بعض النفوس وحديثا فى بعض المجالس ، حتى أصيب الغناء المصرى فى العهد الأخير بالتجديد المسيخ المفتعل فزيف شعور أهله وقطع تيار ماضيه ووضع فى الأغنية الواحدة أنغاما من كل لحن وأصواتا من كل أمة .

والغناء أصل الشعر ، والشعر مادة الغنـاء ، فتأثير أحدهما فى الآخر تفاعل من عمـــل الطبيعة يحدث من غير اكتساب ولا قصد . فكما أراد بعض الملحنين أن يخضعوا الغناء المصرى للغناء الأوربى فى الموسيقى ، أراد بعض النـاظمين أن يخضعوا الشعر العربى للشعر الأوربى فى العروض ، فأصبحنا نقرأ ما ننكر كما كنا نسمع ما ننكره .

وأكثر ما ينشر اليوم من الشعر المرسل هو الشعر الحر الذى يتخلص غالبا من التزام القافية ، ويتجرد دائما من تساوى الشطرات . والشعر الحر يقبل فى الأغانى والموشحات ، كما يقبل الشعر المرسل فى الملاحم والمسرحيات . واستعمالها فى غــير ذلك قلب للأوضاع ، وحرب على الأذواق والأسماع ، ونزول بالقصيدة الرصينة المحكمة إلى مستوى هذه

الرقاعات الصوتية التى ينطبق عليها كل اسم تشاء ما عدا الغناء !

كل شىء يجوز النزول به إلا الفن . وكل فن يجوز التيسير فيه إلا الشعر . وكل تيسير يجوز النظر فيه إلا القافية . ذلك أن الشعر يتميز من سائر ضروب الكلام بخصائص ثلاث : موسيقية شديدة الحساسية ، وصعوبة عسيرة التسهيل ، وقدرة على تثبيت الفكرة بلفظها فى الذاكرة . فالشعر الحر يستطيع أن يدرك شيئا من الموسيقية إذا زاوج الشاعر بين الأبيات واستفاد من الحرية التى أوتيها ، فتخير الألفاظ وعدل الأقسام وألف الألوان وحرك المعانى ونوع الصور . وأخشى بعد أولئك كله ألا يرتفع عن النثر البليغ المحكم .

ولكن الصعوبة التى تلق الشاعر فى كل بيت عند القافية فيسلط عليها ذهنه وفنه وذوقه ولغته حتى يفجأ أذنك وهى تنتظر فى غير صبر ، بتلك الحيلة الفنية واللفتة الذهنية والكلمة الصادقة الموسيقية ، لا تجدها فى غير الشعر المقفى . . كذلك يعجز الشعر الحر عن أن يهيء للذاكرة فى التمثيل على الأخص ما تهيئه لها القافية من نقط الارتكاز وعلائم الطريق حتى لا تجور ولا تضل .

على أن تسهيل الشعر بإلغاء القافية يخمد الذهن ويجدب القريحة ؛ لأن الصعوبة ترهف الفكر فيدق إحساسه ، وتوقظ العقل فيزيد إنتاجه ، وتبعث الفن فيحيا بين إلهام الشاعر وإعجاب القارئ .

والواقع أن القافية لم يشكها شاعر مطبوع ولا ناظم مطلع ، فإن الطبيعة الغنائية للشعر العربى من جهة ، ووفرة الثروة اللفظية للشاعر من جهة أخرى ، تجعلان القافية من أخص لوازم الشعر وأسهل فنونه ولنا فى الأراجيز القديمة والموشحات الحديثة وسائر ما استحدث المولدون من الأنواع القائمة على موسيق للقافية دليل ناهض على ما نقول .

فإذا وقع شاعر اليوم فى رهق من بناء القافية لقلة محصوله من اللغة أو لمعالجته التمثيل أو القصص الطويل ، كان له فى تنويعها مندوحة عن هـــذا النوع الذى تذبذب بين النثر والنظم فوقف من الأذن موقف الغصة من الحلق ! بذلك استطاع البستانى أن يترجم الإلياذة ، وتسنى لشوقى أن يبدع فى مسرحياته .

* * *

وبعد فإنى أفهم لماذا نيسر الكتابة ونسهل النحو ، ولكنى لا أفهم لماذا نيسر الشعر ونسهل الغناء ، أليكون الناس كلهم مغنين وشعراء ؟ لا ، يا أخى ! المسألة فى الفن استعداد واجتهاد وقريحة .

إذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

أحمد حسن الزيات

الصفة في اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

الصفة من أقوى الدلالات على ضبط الأداء في لغة من اللغات .

وهى أقوى من الاسم دلالة على ضبط الأداء فى المفردات وفى تراكيب التعبير ، فما من لغة متقدمة أو متأخرة تخلو من الأسماء بعدد الأشياء التى يتحدث عنها أهلها ، ولكن اللغات التى تقدر الصفات على حسب الموصوفات هى اللغات التى تطورت بقواعد التعبير والتمييز بين مواضع المعانى والألفاظ أو التطبيق بين الكلمة ومعناها .

والأسماء ، كما هو معلوم ، قد تكون توقيفية لا إرادة للمتكلم فى وضعها وإطلاقها على مسمياتها ، وقد تكون منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع شىء قليل من التعديل فيها ، وقد تكون مع ذلك مطلقة فى أصولها لأدنى مناسبة تشير إليها ، كهذا الاسم الشائع باسم (كبريت) وأصله نسبة إلى جزيرة قبرس بمعنى القبرسى ، لأنها كانت فى الزمن القديم أشهر البلاد بمناجم الفوسفات التى تصنع منها عيدان الثقاب ، ولولا الاستعمال لما كانت هذه المناسبة كافية لإطلاق هذا الاسم على مسماه عندنا ... لأن الكلمة غريبة عن لغتنا وهى إذا ردت إلى أصلها لم يكن لها معنى غير أنها شىء منسوب إلى جزيرة كما ينسب إليها الأحياء وغير الأحياء المنتمون إليها ، ولكن هذه المناسبة اليسيرة كافية لتكوين الأسماء أول الأمر ثم سيرورتها على الألسنة بغير بحث عن مناسبتها الأولى .

أما الصفات فلا بد من المطابقة بينها وبين الموصوفات فى كل كلمة وكل مناسبة ، ولا بد للغة الوافية من أن تستوفى أدواتها وتحسب لها حسابها ، وإلا كان النقص فى تكوين الصفة وتطبيق شروطها نقصا أصيلا فى وسائل الدلالة اللغوية .

وليس فى لغات الحضارة لغة تمت لها أدوات الصفة وشروطها كما تمت للغة العربية ، فهى جامعة لكل ما تفرق من هذه الشروط بين أكبر اللغات وأوسعها انتشاراً فى الزمن الحاضر ، وفى الأزمنة المتقدمة .

إن الصفة تابعة للموصوف فى اللغة العربية ، مطابقة له فى الإفراد والجمع ، وفى التذكير والتأنيث ، وفى التعريف والتنكير ، وفى مواقع الإعراب .

وقد يلاحظ بعض هذه المتابعات فى بعض

لغات الحضارة ، ولكنها لا تلاحظ جميعا بقواعدها المطردة فى غير اللغة العربية .

ففى الإنجليزية ، وهى لغة يتكلم بها اليوم أكثر من مائتى مليون إنسان ، تأتى الصفة سابقة لموصوفها ، فيقال مثلا : « واحد عظيم رجل » بدلا من رجل عظيم ، ويقال « عظيم رجال » بدلا من رجال عظماء ، ويقال « عظيم نساء » بدلا من نساء عظيمات ، ولا تتغير الصفة تبعا لتغير مواقع الإعراب بين موقع الفاعل أو موقع المفعول ومواقع الأسماء المجرورة .

واللغة العربية تعرف الفرق بين الصفة الملازمة والصفات المتعلقة بالأفعال والمرات.

فهناك فرق بين كلمة « كريم » وكلمة « معطاء » فى الصيغة وفى المادة وفى الدلالة ، لأن الكرم صفة تتحقق بالخلق الذى تدل عليه ، وبين الكريم وبين المعطى وبين المعطاء فروق فى طبيعة الصفة لا تتوقف على عدد المرات ولا على مقدار العطاء ، فمن أعطى مرة واحدة فهو معط أو فاعل لفعل من أفعال الكرم وإن لم يكن كريما على الدوام ، وكذلك المعطاء الذى يعطى مرات كثيرة ولا يلزم من ذلك أن يكون كريما أو أن يكون عطاؤه من عنده ، فربما كان المعطاء ، فى معنى من معانيه مرادفا للصراف على هذا الاعتبار .

ومن ثم وجدت فى اللغة العربية صيغة اسم الفاعل وصيغة الصفة المشبهة وصيغة المبالغة ، وكلها أصل مقرر فى اختلاف اللفظ واختلاف الدلالة على حسب معناه .

وقد يأتى لفظ الصفة تابعا لمعناها فى علامات التذكير والتأنيث كما يأتى تابعا لهذا المعنى فى بعض الأوزان .

فالصفة يجب فيها التأنيث إذا كان الموصوف مؤنثا على الحقيقة أو على المجاز ، ولكنها تؤنث بمعناها ولا ضرورة لتأنيثها بلفظها إذا امتنع اللبس وبطلت الحاجة إلى العلامة اللفظية .

فلا حاجة إلى تاء التأنيث فى مثل (حامل ومرضع وطالق) لأن اللبس بين التذكير والتأنيث ممتنع فى هذه الصفات ، ولكن التاء قد تلحق بالصفة إذا كان ملحوظا فيها الفعل ولم يكن الملحوظ فيها هو الحالة كما جاء فى الشاهد المشهور .

أيا جارتا بينى فإنك طالقة
كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وأيا كان الحكم فى الخلاف بين الكوفيين والبصريين على سبب حذف التاء هنا ، فالذى لا خلاف عليه أن حذفها ملحوظ فيه حالة دائمة وليست حالة وقوع الفعل لمرة أو عدة مرات .

فالبصريون يقولون « إنما حذفت علامة

التأنيث لأن قولهم طالق وطامث وحائض وحامل فى معنى ذات طلاق وطمث وحيض وحمل على معنى النسب ، أى أنها قد عرفت بذلك كما يقال رجل رامح ونابل ... ولا خلاف هنا على التفرقة بين حالة الدوام وحالة الحدث المتكرر مرة أو مرات .

أما الأسماء التى يتساوى فيها المذكر والمؤنث فالغالب فيها أنها أسماء أخذت مأخذ الصفات المشتركة التى لا فارق فيها بين صدورها فى المذكر أو صدورها فى المؤنث ، كالضبع والفرس والعقاب والنعامة وما إليها من أسماء الحيوان المشتركة . فإن الضبع هنا أخذت صفة الجائحة التى تأتى على كل شىء كالسنة المجدبة .

أبا خراشة أما أنت ذا نفر
فإن قومى لم تأكلهم الضبع

والفرس صفة من الفراسة والفرس أو النفرس كأنها اسم جنس يطلق على الذكور والإناث .

ولم يأت هذا الإبهام عن قصور اللغة فى التسمية ولا عن نقص فى علامات التأنيث والتذكير ، فإن التاء قد تدخل على الضبع كما تدخل على الفرس ، وقد يسمى ذكر بالضبعان ويسمى ذكر الخيل بالحصان وتسمى أنثاها بالحجر ، وقد عرف ذكر النعام باسم الظليم ، وعرفت أنثى النسر والعقاب باسم أم قشعم مع الالتباس بين العقبان والنسور .

فليس هناك إبهام راجع إلى قصور اللغة وقواعدها ، ولكنه تغليب للمعنى على اللفظ أحيانا حسب الصفة المقصودة بين السامع والمتكلم .

ومن استعمال المصدر فى موضع الصفة يتضح لنا أن اللغة قد بنيت على التفرقة بين المعانى فى التذكير والتأنيث وفى بعض الفروق الأخرى التى توافرت علاماتها ، ولا يمكن أن ينسب إغفالها إلى نقص فى تلك العلامات.

فإذا وضع المصدر موضع الصفة فهو واحد فى مدلوله . لأن معنى المصدر لا يتغير مع الفاعل المذكر أو الفاعل المؤنث ، ولا مع الواحد أو الكثيرين . فإن « العدل » مثلا عدل واحد فى صفته على جميع الحالات ، فلا ضرورة لعلامات التأنيث أو الجمع إذا أراد المتكلم أن يستغنى عنها ، ولا يختلف المعنى إذا قيل رجل عدل وامرأة عدل ورجال عدل ونساء عدل لأن الأسماء هنا فى حكم المضاف والمضاف إليه من جهة المعنى ، ولا تأبى اللغة مع ذلك أن تستخدم العلامات أحيانا على حسب العرف المشهور .

ولا تظهر دقة اللغة فى منطقها الخاص بها من شىء فى قواعدها ، كما تظهر فى مواضع التسوية بين التذكير والتأنيث فى بعض صيغ

المبالغة ، كما يتساوى رجل راوية وامرأة راوية ويتساوى رجل متلاف وامرأة متلاف ، ويتساوى رجل صبور وامرأة صبور ، فإن فى المبالغة نوعا من الكثرة والزيادة يلحقها بكثرة الجمع ، ويجرى عليها ما يجرى على « كل جمع مؤنث » من قبيل « قالت الرجال وقالت النساء » ، والعرب المستعربة والعرب المستعربين ... وهو التفات عجيب يدل على تناسق خفى وراء هذه القواعد يبعدها عن خلط المصادفة والارتجال .

ومثل هذا فى الوضوح ظهور الفارق بين الكلمات التى تؤنث فى اللغة العربية وهى خالية من علامات التأنيث وبين كلمات الجنس المشترك فى اللغات الأجنبية ، فإن هذه الكلمات تبلغ المئات فى اللغات الأجنبية لنقص فى التمييز يعوضونه بإضافة ضمير فى ضمائر التأنيث ، ولكنها لم تترك عندنا بغير علامة مميزة لأن اللغة عاجزة عن تمييزها بعلامة من علاماتها الكثيرة ، بل هى متروكة لاعتبارها أصلا من المؤنثات المجازية أو المذكرات المجازية ، فليس السبب هنا راجعاً إلى نقص العلاقات والصيغ أو إلى قواعد اللغة على العموم ، ولكنه راجع إلى التصور النفسانى الذى يوحى إلى الذهن إلحاق بعض الأشياء بهذا الجنس أو ذاك على حسب العوامل الكثيرة التى تعمل عملها فى هذه التفرقة عند أبناء اللغات أجمعين .

وهذه مزية الصفة عندنا نضيفها إلى المزايا الأخرى التى تستحق بها اللغة العربية عندنا وعند غيرنا من المنصفين أن تسمى بأم اللغات .

عباس محمود العقاد

من حكم شوقى

اثنان من نعم الله عليك ، عدو تشغله كثيرا ، وصديق يشغلك كثيرا .

إن كنت عصا فكن لينا ، وإن كنت سيفا فكن قاطعا .

الإقدام والجد إذا اجتمعا لرجل لم يقف له شىء فى طريقه .

من وثق بالله مشى على الماء .

العلم أرفع النسب والعمل أرفع الحسب .

فى النفس ألف داء ، وفى القرآن ألف دواء له ودواء .

لا أدب فى أمة يقساب أدباؤها .

من حدث الناس عن نفسه بما يرضى تحدثوا عنه بما يكره .

القوى الشعبية
وكيف تعبأ نحو الاشتراكية العربية

للأستاذ الدكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر

بحث فلسفى قيم عالج فيه الأستاذ الكاتب تعبئة القوى الشعبية لتحقيق الاشتراكية العربية والإيمان بها وذلك بتحليل مصادرها المعنوية المختلفة من التاريخ والدين والفكر والتعبير ، ودور الأزهر الجديد فى غرس هذا المفهوم الثورى الجديد فى أذهان الشعب عن طريقه الخاص ، وقد نشرنا فى هذا العدد هذا الجزء منه وسننشر بقيته فى العدد القادم .

— ١ —

ربما أرى من الأوفق فى تحديد هذه القوى أن أنتقل من مفهوم الاشتراكية العربية إلى بيان : ما هى القوى الشعبية ؟ أهى عدد من الأفراد فى قطاعاتها المختلفة ، أم هى بجانب العدد والكم قوى أخرى نوعية يحملها بعض الأفراد فى تلك القطاعات ، وللبعض الآخر منهم صلاحيته لحملها وأدائها .

الاشتراكية العربية :

وهنا أود أن أسأل سؤالا : هل العامل فى المصنع اشتراكى لأنه عامل ؟ — وعندئذ تكون الاشتراكية صفة للعامل تلازمه أينما وجد .

أم الاشتراكية صفة ومعنى آخر يقوم بذات العامل إن وجد هذا المعنى فيه ، ويقوم بذات غيره إن وجد فيه هذا المعنى كذلك ؟

الشيوعية تجعل العامل شيوعيا واشتراكيا لأنه عامل إذ أنها قامت على أساس تفكيرى معين . قامت على أساس : أن الطبقة العاملة — وهى طبقة عمال المصانع بالذات — هى التى يجب أن تؤول إليها السلطة فى المجتمع ، ويجب أن تباشر أمر السيادة فيه ، لأن ذلك هو نهاية الخط الذى تسير فيه أحداث التاريخ . فالمجتمع — كما يتحدث منطق الشيوعية — تغير وانتقل من وضع إلى نقيضه ، وما زال ينتقل من وضع إلى نقيضه ، وسيزال ينتقل من وضع معين إلى نقيضه ، حتى يصل إلى الوضع الذى يجعل من المجتمع مجتمعا عماليا .

فالمجتمع الملكى — وهو الذى يعتبر فيه المال فى صوره المختلفة ملكا للملك . ومن عداه رعايا أشبه بعبيد له — انتقل من الوضع الملكى إلى الوضع الإقطاعى ، بعد أن تملك حكام الملك فى المجتمع السابق الأراضى وأجروها للزارعين . وهذا المجتمع الإقطاعى بدوره انتقل من مجتمع إقطاعى إلى مجتمع رأسمالى استخدمت فيه الأموال فى المصانع ، بعد

أن هرب أصحاب الإقطاع من الأراضى الزراعية إلى المصانع ليوظفوا فيها أموالهم. وبتملك عمال المزارع الأراضى، وبانتقال أصحاب الإقطاع بأموالهم إلى المصانع قام المجتمع الرأسمالى، ثم هـذا المجتمع الرأسمالى انتقل بدوره بعد الصراع بين أصحاب رؤوس الأموال وبين عمال المصانع إلى مجتمع عمالى من عمال المصانع أولا وبالذات.

وهنا يكون عمال المصانع - فى نظر الفكر الشيوعى - هم الاشتراكيون أو الشيوعيون: لكن هل الاشتراكية العربية هى هذه الصورة من الاشتراكية الشيوعية؟ لا: لأن الاشتراكية العربية تبقى على الملكية الفردية، بينما الملكية الفردية محرمة فى المجتمع الشيوعى أو المجتمع العمالى. الملكية الفردية سواء فى الأراضى، وسواء فى المصانع، وسواء فى التجارة باقية وتكون القطاع الخاص بجانب القطاع العام الذى تملك فيه الدولة بعض الأراضى وبعض المصانع وبعض المتاجر.

إذن نعود من جديد لنسأل عن مفهوم الاشتراكية العربية، وعن الماصدق الذى تتحقق فيه ... هل هى المبادلة؟ هل هى أداء واجب وأخذ حق؟. هل العامل فى المزرعة، والعامل فى المصنع، إذا أدى عملا وأخذ أجرا عليه يكون اشتراكيا عربيا؟ هل الموظف فى مكتبه إذا أدى عمله وأخذ الراتب عليه يكون اشتراكيا عربيا؟، هل الطبيب إذا قدم المشورة لمريضه وأخذ على ذلك الأجر المقرر يكون اشتراكيا عربيا؟. هل المدرس الذى يقوم بواجب التدريس فى مدرسته والأستاذ الذى يقوم بواجب أستاذيته فى جامعته حسبما يخطط له ويأخذ كل منهما الراتب المخصص له يكون اشتراكيا عربيا؟ هل التلميذ فى المدرسة والطالب فى الجامعة إذا واظب كل منهما على الحضور ونجح فى امتحاناته المدرسية أو الجامعية مقابل رعاية والده ومدرسته وجامعته إياه يكون اشتراكيا عربيا؟. هل الزوجة إذا قامت بالشئون الزوجية أو بدور الأمومة لقاء ما ينفق عليها من الزوج تكون اشتراكية عربية؟ وهل الزوج إذا قدم ما يجب عليه من إنفاق لقاء ما يأخذ من خدمات فى الأسرة يكون اشتراكيا عربيا؟.

إذا كانت الاشتراكية العربيـة هى إعطاء لقاء الأخذ، وخدمة مقابل الأجر فكل فرد من أفراد الشعب عندئذ اشتراكى عربى، وبالتالى هو فرد من أفراد القوى الشعبية.

لا أعتقد أن الاشتراكية العربية هى التحرك فى دائرة الأخذ والعطاء. وفى دائرة الأجر على قدر العمل، أو بالعكس: العمل على قدر الأجر. وإنما الاشتراكية العربية - فيما أعتقد - هى: أن الفرد للمجموع والمجموع للفرد.

كيف إذن يكون الفرد للمجموع ، وكيف يكون المجموع للفرد ؟. لا يكون الفرد للمجموع ، ولا يكون المجموع للفرد إطلاقا إذا كان تحرك الفرد هو التحرك فى دائرة الإعطاء مقابل الأخذ ، والعمل على قدر الأجر . وإنما يجب أن يكون تحقيق ذلك بأن يكون هناك فضل زائد فى العمل من كل فرد عن مقدار التساوى بين الأخذ والإعطاء ، وبين الحق والواجب ، وبين الأجر والعمل . يجب أن يكون هناك فضل وراء ذلك ، وهو فضل غير مادى هو فضل إنسانى هو مجهود بشرى خالص فى الدرجة الأولى ، قد يترجم هذا المجهود البشرى فى خدمة مادية أو خدمة معنوية فى صورة محسوسة أو غير محسوسة .

فالعامل — بناء على ذلك — يكون اشتراكيا عربيا إذا أدى — بجانب ما يجب عليه من إنتاج فى عمله — خدمة زائدة على ذلك ، قد تكون فى إتقانه العمل ، وقد تكون فى مساعدته الضعيف فى العمل ، وقد تكون فى النصح والارشاد لمن لا خبرة له ، وقد تكون فى غير ذلك .

والطبيب يكون اشتراكيا عربيا إذا أعطى أيضا ـ فضلا زائداً عن المشورة الطبية التى أخذ عليها الأجر . قد يكون هذا الفضل فى إعطاء المشورة لفرد آخر عاجز عن الدفع دون أن يأخذ منه ، وقد يكون هذا الفضل فى إتقان أمر النصح والمشورة ذاتها ، فلا يعطيها إلا بعد دراسة ، وبعد عمق فى هذه الدراسة وبعد تريث ، حتى لا يترتب عليها أذى أو ضرر لمريضه ، قد يكون هذا الفضل فى الإرشاد والتنوير لمن هو فى حاجة إلى الإرشاد والتنوير الطبى ، قد يكون فى صورة أو صور غير هذه ، تكون نقابة الأطباء نقابة اشتراكية عربية إذا أعطت فضلا زائدا عن خدمات الأعضاء لقاء ما يجب عليهم أداؤه من اشتراكات : إذا أسهمت فى إقامة مستشفيات لأصحاب الحاجة مجانا ، إذا قدمت خدمات طبية بدون مقابل لسكان القرى ؛ إذا كونت حملات متعاقبة للتنوير الصحى فى قرى الريف ، وقد يكون هذا الفضل الزائد فى صور أخرى غير هذه ، ولكنها على كل حال صور تعبر عن معنى إنسانى لا يقابله جزاء مادى .

والمدرس يكون اشتراكيا عربيا أيضا إذا زاد فضلا عما يجب عليه أن يؤديه مقابل ما يأخذ من حق له ، قد يكون هذا الفضل فى مساعدة ضعيف على وجه خاص بين تلاميذه ، قد يكون هذا الفضل فى إتقانه العمل ، قد يكون هذا الفضل فى الإسهام مع آخرين من زملائه فى مباشرة أمر التدريس فى مدرسة لأبناء الشعب دون مقابل مادى ، حتى يكون من وراء ذلك تخفيف عن بعض تكاليف الحياة لمن هو صاحب حاجة من أبناء

الشعب . تكون نقابة المعلمين نقابة اشتراكية عربية إذا خرجت عن دائرة الخدمات التى توفرها للأعضاء مقابل اشتراكاتهم إلى خدمات أخرى تؤدى لأبناء الشعب كفتح بعض المدارس بدون مصروفات أو تخصيص بعض منح دراسية فى الدراسات العليا لبعض المتفوقين من الطلاب أصحاب الحاجة ، أو نشر الوعى الثقافى ، أو إزالة الأمية فى القرية يسهم فيه أعضاؤها عن طريق توفير الإمكانية لهم من الاشتراكات التى تدفع لصندوق النقابة .

والمهندس يكون اشتراكيا عربيا إذا أعطى من خبرته الفنية أزيد مما يؤجر عليه ويحدد له ؛ إذا أعطى خدمات فنية تعود على بعض أفراد الشعب بدون مقابل ، كما إذا أسهم مثلا فى تصميم أو فى إقامة بيوت سكان الريف ، أو إذا توسع فى التبصير والإرشاد لصغار المزارعين عن طريق تكرار الزيارة لهم سواء فى مزارعهم أو فى بيوتهم ، مما يشعر أنه لا يقف بخبرته الفنية عند حد الأجر وإنما يتجاوزه عما ينم عن معنى إنسانى لم يقابل بأى جزاء مادى .

ونقابة المهن الزراعية تكون نقابة اشتراكية عربية إذا توسعت فى خدماتها الفنيـــة عما يعود على الأعضاء المشتركين فيها بالمنفعة الشخصية ، تكون اشتراكية عربية إذا أقامت حقولا نموذجية للزراعة فى أماكن متعددة أو أقامت بيوتا ريفية نموذجية فى قرى مختلفة أو أقامت معارض للإنتاج الحيوانى فى قطاعاته المختلفة أو غير ذلك مما يفهم منه أن النقابة لم تقصر خدماتها على أعضائها وإنما تجاوزت حـــدود هؤلاء الأعضاء إلى أفراد الشعب أنفسهم الذين ليسوا ممثلين فى هذه النقابة .

والموظف يكون اشتراكيا عربيا إذا قدم فضلا هو خدمة إنسانية أزيد مما يدعوه واجبه الرسمى : إذا أسرع مثلا فى إنجاز حاجة أصحاب الحاجة ؛ إذا وفر للترددين على المصالح الحكومية وقتهم وأعفاهم من مشقة هذا التردد عليها ؛ إذا استقام فيما يبديه من رأى ... إلى غير ذلك من صور الخدمات الإنسانية التى لا يحاسبه عليها واجبه الرسمى ، وإنما تحاسبه عليها إنسانيته .

إذن الاشتراكية العربية هى أمران : عدل وتوازن بين الأخذ والإعطاء فى علاقة الفرد للفرد ، وفضل وراء هـذا العدل يعود أثره على المجتمع بدون مقابل ، وهنا يتحقق معنى أن الفرد للمجموع لأن نشاطه لم يقف عند حد ما يأخذه من الفرد الآخر ، ويكون المجموع للفرد لأن جميع الأفراد كانوا اشتراكيين على هذا النحو فى خدماتهم الزائدة على واجباتهم فى خدمة الفرد .

(البقية فى العدد القادم)

دكتور محمد البهى

التكافل في الإسلام

للأستاذ محمد المدني

لقد فرض الإسلام التكافل بين الناس على صورة واسعة النطاق تتناول جميع نواحي الحياة أدبية كانت أو مادية، وقبل أن نبين ما قرره الإسلام في هذه النواحي ونتتبعه فرعا فرعا، نحب أن نلفت إلى ظاهرة في أسلوب الإسلام الذي سار عليه في شأنها: ذلك أنه لم يفرض التكافل بمجرد الأمر به والنهي عما يخالفه ولكنه أقام المجتمع على أسس أصلية هي بذاتها تنتج التكافل وتنضج ثمراته وتجعلها دانية القطوف.

فأول هذه الأسس ما يقرره القرآن الكريم في غير موضع من أن المؤمنين أخوة ومن ذلك قوله تعالى: (إنما المؤمنون أخوة)، (فأصبحتم بنعمته إخوانا) وأسلوب القرآن في إثبات هذه الأخوة هو أسلوب من يقرر حقيقة واقعة ثابتة لا تقبل التغير، فكل امرئ يعلم أنه أخ للمؤمنين وأنهم جميعا أخوانه فيقول لنفسه: مادامت هذه هي حقيقة الصلة بيني وبينهم فلابد من أن ألاحظها دائما في كل تصرف من تصرفاتي.

وأن أنزل على مقتضياتها في كل حال من أحوالي. وقد قطع الإسلام كل صلة تتعارض مع أخوة الإيمان فنهى عن اتخاذ الآباء والإخوان من النسب أولياء - أي نصراء وحلفاء - إن استحبوا الكفر على الإيمان، وتوعد الذين يؤثرون أي علاقة نسبية أو منفعة مادية على الله ورسوله والجهاد في سبيله بالوعيد الشديد، والآيات في ذلك مشهورة معروفة ومنها قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون).

ونحب أن نقف قليلا عند هذه الآية الكريمة الحاسمة في معناها البعيدة المدى فيما تقرره فهي تنفي أن يوجد قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم مع ذلك يبادلون المودة من خرج عن حدود الله ورسوله، وهي تنفي أن يوجد هذا النوع حتى بين المتصلين بالصلات النسبية أو القومية من الأبوة أو البنوة أو العشيرة.

وبعد أن تنفي هذا بهذا الأسلوب الحاسم تلتفت إلى تقرير حالة المؤمنين الذين يسيرون

على مقتضاه فيقطعون جميع الصلات إلا صلة الإيمان فتصفهم بأوصاف أو تقرر في شأنهم قرارات واضحة تقع في سبع جمل في هذه الآية الواحدة :

« أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه . أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

بهذا يتبين إلى أى مدى وصل الإسلام في تقرير صلة الأخوة بين المؤمنين ، ونفى كل ما ينافيها وهذا هو المنبع الأول الذى ينبع عنه التكافؤ في الإسلام .

المنبع الثانى هو مايقرره القرآن الكريم في شأن الولاية والتناصر بين المؤمنين : فهو يقرر أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض كما يقرر أن المنافقين والمنافقات بعضهم أولياء بعض وينهى عن اتخاذ الكفار أولياء . (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) والأمر في ذلك كله منطق تحكم به العقول السليمة ، فما كان المنافق المذبذب المتأرجح بين الحق والباطل بصالح لأن يكون ولياً ونصيراً وحليفا للمؤمن الثابت الإيمان الذى يؤثر الله ورسوله على كل ما سواهما ، إن كلا من المنافق والمؤمن لا يمكن أن يتلاقى مع صاحبه لا فى عقيدته وقرارة نفسه ولا في أهدافه ومثله ولا في أساليبه وطرق حياته فكيف يمكن أن تقوم بينهما محالفة أو مناصرة ، وإذا فالمؤمنون هم أحق الناس بولاية المؤمنين ، ولذلك مقتضياته من التعاون والتكافل في الشدة والرخاء كما هو شأن الحلفاء والنصراء .

فهذا هو المنبع الثانى الذى ينبع منه التكافؤ في الإسلام .

والمنبع الثالث هو التكافؤ في الدماء فليس هناك مؤمن إلا ودماؤه غالية عزيزة كريمة وحياته من أجل ذلك مصونة محترمة ، فكلهم سواسية في ذلك ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

المنبع الرابع هو ما أمر الله به من المحبة بين المؤمنين ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه « أحب للناس ما تحب لنفسك » ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

هذه هى الأسس أو الينابيع التى ينبثق منها التكافل بين الناس ، وهى دوافع طبيعية يسوقها الإيمان في جميع المجالات الحيوية التى نرى فيها التكافل واضحا بين المؤمنين .

* * *

بعد هذا نجول مع التكافل في مجالاته المختلفة التى أجاله الإسلام فيها :

١ ــ فنجد التكافل فى المجالات المادية واضحا فى الزكاة التى أمر بها الإسلام ، لا الأغنياء فقط ، ولكن جميع طبقات الأمة تقريبا ، وذلك أنه جعل لها نصابا هو نحو عشرة جنيهات يحول عليها الحول فيجب فيها ربع العشر ومن ثم نجدها فريضة يقدر عليها العدد الضخم فى كل مجتمع ، بل الأكثرية أو ما يقرب من الأكثرية فى الأمة ، وفائدة ذلك أن يعم الناس شعور واحد فى التضامن والتكافل وبأنهم فى أكثر الحالات معطون باذلون لإخوانهم مما آتاهم الله ، ولهذا الشعور لذة وعزة .

ونسبة الزكاة قليلة تسخو بها النفوس ، ولا يكاد الشح يتسلط فى شأنها على أحد يؤمن بالله ورسوله ، ثم هى عامل من عوامل الألفة والمحبة بين الناس حيث يشعر الذين يأخذونها بالمحبة والارتياح والعاطفة المشتركة

ونظرة سريعة إلى العلائق الطيبة التى تنشئها زكاة الفطر مثلا ، وهى التى تخرج فى ليلة العيد عن كل نفس كبيرة أو صغيرة وإن لم تكن من الغنى بمنزلة ملك النصاب ، نظرة سريعة إلى هذا اللون من التكافل الاجتماعى تعطينا فكرة عن المدى الذى يصل به الإسلام إلى تحقيق مبدأ التكافل والتضامن فى المجتمع .

وقل مثل ذلك فيما يذبح من الأضاحى يوم عيد الأضحى ، فالكثرة من الناس تذبح وتنحر ، وتأكل وتوكل ، ويبدو الناس يومئذ فقراؤهم وأغنياؤهم كأنهم مدعوون إلى مأدبة عامة شاملة أنزلها الله من السماء .

ونجد الإسلام يحقق التكافل فى صورة أخرى جميلة هى صورة إكرام الضيف وأصل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) .

ولا شك أن هذا لون من ألوان التكافل كريم فى مظهره ومقصده وقلما يعرف الأوربيون هذا اللون من الكرم فليس لهم حساب فى الضيافة ولا الضيفان وليس فى تقاليدهم أن ينزل إنسان على إنسان فيشاركه فى طعامه وشرابه ويكون بذلك راضيا مسرورا معتقدا أنه أرضى ربه وأرضى الشهامة والنخوة وما أبدع ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الضيف (جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام بعد ذلك ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه) وتفسير ذلك فيما ذكره العلماء أن الضيف له يوم وليلة يكرم فيها إكراما فوق العادة التى اعتادها أهل البيت وله بعد ذلك ثلاثة أيام يطعم فيها من طعامهم المعتاد ولا يحل له بعد ذلك أن يقيم فى هذا البيت الذى استضافه أهله حتى يحرجهم ، وحد الإحراج فى كل بيت بحسب طاقة هذا البيت ومركزهم وظروف حياتهم ، أى أن الضيف عليه أن

يقابل ماله من حق بواجب التخفيف حتى لا يؤدى أمره إلى الإحراج .

ما أبدع هذا التكافل فى المعانى المادية والأدبية ، والقرآن الكريم ينعى على (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) والماعون : هو ما يتبادله الناس بعضهم من بعض من الأوانى والمنافع وقد جرت المجتمعات المتكافلة المتضامنة على تبادل مثل ذلك .

٢ ــ ونجد التكافل فى المجالات الأدبية فى صورة ما يسميه الإسلام فروض الكفاية التى يجب على المجتمع أن يحييها ، ولو أنه أهملها لكان كل أفراده مشتركين فى الإثم .

فمن ذلك أنه إن وجد وباء وجب أن يتعاون القادرون على درء هذا الوباء ، فيقوم منهم من يطعم الناس ضد هذا الوباء ولو تطوعا ، ومن ذلك أنه يجب على المجتمع تجهيز الميت إذا لم يكن له من يجهزه وتغسيله والصلاة عليه ودفنه .

ومن ذلك كل ما يوجبه الإسلام من الأعمال النافعة للناس من إماطة الأذى وإصلاح الطرقات وإنارتها وعلاج الفقراء ونحو ذلك .

وقد أصبحت كل هذه الفروض الكفائية تقوم بها الحكومات والهيئات البلدية ونحوها وفى ذلك تحقيق للفروض الكفائية على الوجه الذى يبتغيه الإسلام .

٣ ــ ونجد التكافل فى مجال التعاون على الإصلاح ودرء الفساد وذلك هو ما يسميه الإسلام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شأنه أن يحقق نوعا عظيما من التكافل بين أفراد الأمة ، وأن يكون مجتمعات واعية ، فيها ما يعرف الآن بالرأى العام المهيب الوجه الذى يؤيد الحق ويشد أزره ويحارب الفساد ويقلم أظافره ، ولأن المجتمع إذا استقام أمره على الخير والصلاح وطهرت أرجاؤه من الشر والفساد عم النفع فى ذلك جميع الأفراد وأصبحوا محاطين بسياج يدرأ عنهم التفكيك والانحلال المفضيين إلى الفناء والزوال وما أبدع ما يصور به صلى الله عليه وسلم هذا المعنى حيث يقول (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أننا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم ــ أى منعوهم من خرق السفينة ــ نجوا ونجوا جميعا .

أما بعد فهذه مثل من التكافل فى مجالاته المتنوعة التى أجاله فيها الإسلام ولم نرد الاستقصاء ولكن أردنا التمثيل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

محمد محمد المدنى

نفحات القرآن

كراهية الحق
نزعة جاهلية ونقيصة خلقية

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

> ا - «يجادلونك فى الحق بعدما تبين .
> ب - كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» .

١ - بين الناس تفاوت فى الأفهام - ولا شك - وصدى هذا التفاوت يبدو فيما يثور من جدل بينهم حول مفهوم على ، أو فى تقدير أمر تشوبه الاحتمالات ، ويحتاج إلى تمحيص من الشبهات .

لذلك : لم يكن غريبا فى حكم العقل قديما ولا حديثا أن نعتبر الجدل فى الرأى ظاهرة اجتماعية لا مندوحة عنها فى معترك الحياة : لأنها الوسيلة إلى التخلص من البداوة المحدودة الأفق ، وإلى تجلية الشبهات عن صواب ينشده العقل ، وتستريح إليه النفس الطامحة إلى المعرفة فى وضعها الحق .

وفوق ذلك يعتبر النقاش والتمحيص استجابة للقرآن فى كثير من توجيهاته ، ومسايرة للدعوة الإسلامية فى منهجها التربوى .

فإن الإسلام بصفة عامة يقتضينا النشاط العقلى فى غير تراخ ، ويثيرنا إلى التفكير بتقليب النظر فى نصوصه ، ومفاهيمه ، وفى الكائنات المادية لنصل دائما إلى الحق من الطريق المنطقى الحق .

ويأبى علينا التقليد الوراثى ، والاستسلام للتلقى المطلق ، حتى لا نتعثر فى ضلالات الرأى الخاطئ ، أو نتورط فى المتابعة الذليلة .

٢ - وإن تكن للقرآن فى حضه على النظر ، وإذنه فى الحجاج غاية ثقافية أصيلة ، فإنه لا يتركنا نسترسل فى الجدل ، ونتمادى فى طريقه : لئلا يأخذنا حب الغلب ، حتى نتجاوز الحق ، زاعمين أنا نبحث عن الحق ، فنكون كما قال الشاعر المتنبى :

إذا استشفيت من داء بداء
فأقتل ما أعلك ما شفاكا

والوقوف فى الجدل عند الحق ، والكف عن تجاوزه إلى المراء المحظور هو ما وضح قصده فى آية الموضوع .

٣ — فهى آية ناقدة لقوم من الناس كانوا يجادلون الرسول جدلا ملحا فى شأن بيّن ، وضح الحق فيه ، حتى لم يعد للشك غبار عليه .

بل كانو يعلمونه حقا ، ولا يزعمونه خافيا عليهم ، ولكنهم يتمحلون المعذرة للإفلات من لزومه ، والمفروض أن الحق بعد ظهوره يكون الخضوع له لزاما ، والأخذ به دينا ، والانتصار له مبدأ ، وخلقا محمودا ...

وإن لم يكن للحق هذا المقام عندنا فأى فرق بيننا وبين المبطلين ؟ ؟ .

أولئك قوم بلغ بهم التريث فى قبول الحق أن صاروا فى اعتبار القرآن كمن يساق إلى الموت كرها ، وهو يراه شاخصا أمام عينيه، أو يرى وسائله الحتمية .

وانظر إلى هذا التشبيه وما فيه من قوة التصوير لنفسية الكارهين للحق ! ! أرأيت مشهدا يكون أبغض إلى الإنسان من مظهر الموت ينتظره وهو مسوق إليه فى غير ترفق به ؟ .

نسمع أن المحكوم بإعدامه يساق من غرفة سجنه إلى غرفة الموت فى هوادة ، حتى إنهم يحجبون بصره ، عما يتعرض له قبل التنفيذ ، ويقصون عليه ما ارتكبه من جريمة كانت سببا فى الاقتصاص منه ، ثم يسألونه عما تشتهى نفسه ... وكل ذلك تلطف به من بشاعة الموقف ، مع تسببه فى هذا بما اقترف ، فهذا هو وجه الشبه فيمن تتحدث عنهم الآية ، وعن كراهيتهم للحق وإحجامهم عن المبادرة إليه .

وبقدر ما يكون تمنعهم عن الحق تكون كراهية الله لهم . . فإن الله حق ، ومتصف بالحق ، وما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وما شرع لعباده إلا حقا وما كلفهم ، ولا وعدهم وعدا إلا حقا .

فتجافيهم للحق فى شأن ما من شئونهم ، يكون محادة لله ، ونفرة عما وصف به نفسه، وارتضاه فى هيمنته على خلقه وتدبيره لملكه .

٤ — فمن هم يا ترى أولئك القوم الذين أشخصتهم الآية فى هذا الموقف العنيف المزعج .

الأقرب إلى الذهن أنهم الكافرون بالأنبياء. وهم يتمثلون فى الكفار بمحمد عليه الصلاة والسلام - من قريش وسواهم

فهم على جلالتهم ذوو جدل كثير ، وما كان جدلهم عن رغبة فى معرفة جديدة . . ولا وسيلة إلى اقتناع بحق ، ولا إظهارا لعلم عندهم يخرجونه للناس ! !

وإنما كان مراءا فاسدا ، ودفاعا عن باطل غمرهم من كل جانب ، وتشبثا بتقليد أعمى لقوم سبقوهم إلى التورط فى ضلالات ، وظلمات بعضها فوق بعض .

وربما كان لأوائلهم فى الجاهلية عذر يلتمس لهم ، فهم فى فترة من الرسل من عهد إسماعيل عليه السلام .

وغيرهم من أهل الكتاب كان مأخوذا بشىء من العصبية لدياناتهم السابقة .

ولكن ما عذر العرب يومذاك وقد جاءهم رسول منهم ، يتلو عليهم آيات الله بلسانهم ، ويترفق فى دعوتهم ، ويسلك بهم كل سبيل راشدة .

فليس كثيراً عليهم إزاء هذا أن ترميهم الآية بما يجرحهم ، وأن تكشف ما هم عليه من إفك . ومراء .

غير أن سياق الآية التى معنا ليس حديثا عن الكافرين .

وإنما هى فى معرض الكلام عن المؤمنين بل هم فى طليعة المجاهدين مع الرسول فى غزوة بدر الكبرى .

أراد الرسول وصحبه أن يعترضوا قافلة لقريش عائدة من الشام بتجارتها إلى المدينة ، وكان مقصدهم الأول أن يظفروا بالتجارة : لا أن يشتبكوا فى حرب .

وقد وعد الله رسوله أن يتيح له إحدى الفرصتين من غير تعيين ـ التجارة أو هزيمة العدو ، ولكن عير التجارة أفلتت مع حراسها الأربعين . ثم تجمعت قريش لاستقبال المسلمين فى حرب تشفى بها من الجمع الإسلامى الصغير .

وصار مفهوما أن وعد الله أصبح محصورا فى مجاهدة العدو : على غير ما كانوا يقدرون .

وعندئذ اضطرب الأمر فيهم ، وخاف كثير منهم الإقدام على معركة لم يستعدوا لها اليوم ، فليرجئوها إلى موعد بعد .

وابث الرأى فيهم حول هذا بين مد وجزر . . حتى كانت الرغبة فى التأجيل أشبه بالإعراض عن الجهاد ، وكانوا فى تشبثهم بهذا أشبه بمن يساق إلى الموت وهو باد له ، وشاخص أمام عينيه .

وما كان لهم أن يتخوفوا ، ويرغبوا فى التأجيل ، والنصر مكفول لهم مع القلة فيهم بمقتضى وعد الله سبحانه .

وكيف يكون الحق فى وعد الله واضحا لقوم يؤمنون ، ويكون محصورا فى منازلة العدو ثم يجادلون فى ذلك ؟ ؟

كيف يتهيبون الحرب وخاصة بعد أن تشبعوا بالدين الحق . وغدوا لا يضنون بأرواحهم فى سبيله ، وقد كانوا من قبل يتهافتون على الحرب فى سبيل الباطل ، والعصبية الجامحة ؟ ؟

لا شك أن الإحجام بعد أن خرجوا من المدينة يعتبر نكوصا عن التضحية .. وترددا فى جهاد عدو بنى دابهم ، وطردهم من مكة ، ويعتبر تخاذلا عن البيعة التى عقدوها مع الرسول - غير مرة - ويطمع فيهم ذلك العدو من جديد ، بعد أن يئس منهم منذ هجروا مكة إلى المدينة وأصبحت لهم معقلا حصينا ، وردءا مأمونا .

تغلب فيهم الرأى الحق ، وانقطع الجدل ، ونشبت الحرب ، وصدق الله وعده ، فنصرت الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .

٥ - هذه غزوة بدر التى كانت على غير أهبة كافية ولكن الله أراد أن تكون الركيزة الأولى للراية الإسلامية ، وأن يكون صداها مدويا فى آفاق الجزيرة العربية ، وأن يمتد ذلك الصدى إلى الأمم والأقطار الأخرى فيروع قلوب الصناديد من أبطال العرب ، ويهز عروش الحكم فى دولات عريقة ، ويتوجسون الخوف من ناحية هذا الدين الجديد : لم يكن تردد المسلمين نكوصا عن الدين ولا كان جدلهم من قبيل المراء فى مناصرة نبيهم الذى دعاهم إلى حق ، وآمنوا به فى صدق ، وتابعوه فى غير مداهنة ، وأشربوا حب دينه فى غير هوادة ، وإنما هو الرأى الصريح الذى تعودوه ، رجح لديهم أو لدى كثير منهم أن يرجئوا الحرب حتى يستعدوا لها ، ولا يعجلوا بها اليوم لئلا يظفر العدو بهم فيها ، خوفا على جماعتهم القليلة وحفاظا على دعوتهم الناشئة ، وإبقاء على نهضتهم الفتية.

ولكن القرآن يناشد المسلمين يومذاك أن لا يستجيبوا لخلجات أنفسهم ، وألا يحسبوا لهذه الاعتبارات حسابا ، وهم على يقين من وعد الله ، وأن خير البر عاجله . وهو يعلمهم أن حكمة الله فى هذه الحرب أنها معركة البداية فى الجهاد المسلح ، وأنها وسيلة أولى فى قمع الكثرة الباغية اليوم ، ووسيلة تمهيدية لاستئصال شأفتهم من مكة بعد ... «وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم» ، أى تريدون عروض التجارة من القافلة ، وليس فى إحرازها كبير نفع لكم .

«ويريد الله أن يحق الحق بكلماته» ، يريد الله لكم أن يحقق وعده فى خصوص الحرب ليهزمهم اليوم ، ويذلهم غدا بإخراجهم من مكة ويقطع دابرهم منها ، وهم جبابرتها ، وسادتها وهذا كله لغاية عظمى وهى تركيز الإسلام فى الأرض ، وجعله دينا خالدا وإن كان آخر الأديان «ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون» ، ولقد حقت كلمات الله وعمرت الدنيا بكتابه ، ودينه ، وهو الذى نزل الذكر ، وهو الذى يحفظه إلى يوم لقائه .

٦ — وأنت ترى بعد ذلك الإجمال، وفى سياقها سلف : أن الله عتب على المسلمين جدالهم فى الحق الواضح مع رسوله واعتبرهم كمن يساق إلى الموت وهو ناظرة .

ولكن عتاب فى أسلوب تهذيبى، وتوجيهى، فهو يجتث من أنفسهم حب المراء ويحملهم على التخلق باحترام الحق مهما يكن فى سبيله من تضحيات .

ولم يكن عتابه سبحانه فى أسلوب التهديد بالعذاب، وإعلان سخطه، كما ترى مثل ذلك فى حديثه على الكافرين والمنافقين !! .

فرق : بين جاحدين يسلكون فى الجدل مسلك إبليس ، ويأبون متابعة الحق ، ويمارون فيه على غير هدى، ويتعصبون للباطل فى شتى ألوانه ، وليس لديهم برهان . . وبين مؤمنين توافرت فيهم الثقة بالله، وأخذ الإيمان من قلوبهم مأخذه ، واستقرت فى جوانحهم عقيدة راسخة ، وإنما يجادلون فيما يظنونه أجدى عليهم ، وأسلم لهم ، ثم يتعهدهم الله فيعتب عليهم عتبا فيه شدة ، ولكنه حق ، وفيه شائبة الغضب ، ولكنه غضب الرحيم ليقلعوا عن تلك الآفة : آفة اللجاج — فقسا ليزدجروا . . .

وللقرآن كثير من التوجيهات فى هذا الجانب ، ينبهنا إلى أن اللجاج ظاهرة العنت من أهل الشرك وهو نقيصة فى الخلق، ومفرق للقلوب ، ومشتت للجماعة .

وكم يحكى القرآن لنا عن جدل قريش ، وعن مراء أهل الكتاب ، وعن سخط الله على الممترين ، ولعلنا ندرك كثيراً مما يقع بيننا أن هذا النوع من الجدل الجاف الذى يثار فينا ، ولا يكون فى رفق ، ولا يقف عند صواب أنه فى عرفنا خلق مسخوط ، ورذيلة مستهجنة .

ومن أجل هذا كان تنفير النبى من الجدل حتى ما يكون منه صوابا .

ومن حديثه فى ذلك « أنا زعيم ببيت فى أعلى الجنة لمن ترك المراء وإن كان حقا » صلوات الله عليه وسلامه ووهبنا حب الحق ، وعصمنا من المراء وآثاره .

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

إقرأ تعليقا على هذا المقال فى « بريد المجلة » من هذا العدد .

عبد الله بن عباس: إمام المفسرين

للأستاذ محمد حسين الذهبي

ترجمته :

هو عبد الله [1] بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية .

ولد والنبي عليه الصلاة والسلام وأهل بيته بالشعب بمكة ، فأتى به النبي عليه الصلاة والسلام فحنكه بريقه ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولازم النبي عليه الصلاة والسلام في صغره ؛ لقرابته منه ، ولأن خالته ميمونة كانت من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة ، فلازم كبار الصحابة وأخذ عنهم مافاته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين على الأرجح ، وله من العمر سبعون سنة . مات بالطائف ودفن بها ، وتولى وضعه في قبره محمد بن الحنفية ، وقال بعد أن سوى عليه التراب : مات والله اليوم حبر هذه الأمة .

مبلغه من العلم :

كان ابن عباس يلقب بالحبر والبحر لكثرة علمه ، وكان على درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بمعاني كتاب الله ، ولذا انتهت إليه الرياسة في الفتوى والتفسير ، وكان عمر رضي الله عنه يجلسه في مجلسه مع كبار الصحابة ويدنيه منه . وكان يقول له : إنك لأصبح فتياننا وجها ، وأحسنهم خلقا ، وأفقههم في كتاب الله . وقال في شأنه : ذاكم فتى الكهول ، إن له لسانا سئولا ، وقلبا عقولا . وكان لفرط أدبه إذا سأله عمر مع الصحابة عن شيء يقول: لا أتكلم حتى يتكلموا . وكان عمر رضي الله عنه يعتد برأى ابن عباس مع حداثة سنه ؛ يدلنا على ذلك ما رواه ابن الأثير في كتابه أسد الغابة عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة قال: « إن عمر كان إذا جاءته الأقضية

---

(١) من كتاب له تحت الطبع عنوانه – التفسير والمفسرون – .

المعضلة قال لابن عباس : إنها قد طرأت علينا أقضية وعضل ، فأنت لها ولأمثالها ، فكان يأخذ بقوله ، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه » . قال عبيد الله : وعمر هو عمر فى حذقه واجتهاده لله وللمسلمين ، وما رواه البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه وقال : لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناءً مثله ؟ فقال عمر إنه من أعلمكم فدعاهم ذات يوم فأدخلنى معهم ، فما رأيته أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون فى قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ... » ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئا ، فقال : أكذلك تقول يابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له ، قال : « إذا جاء نصر الله والفتح » فذلك علامة أجلك . « فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » ، فقال عمر لا أعلم منها إلا ما تقول » اهـ . وهذا يدل على قوة فهمه وجودة فكره . وقال فيه ابن مسعود رضى الله عنه « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » . وقال فيه عطاء « ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس . أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من واد واسع » . وقال عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة : « كان ابن عباس قد فات الناس بخصال : بعلم ما سبقه : وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ، وتأويل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ولا بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان منه ولا أفقه فى رأى منه ولا أثقب رأيا فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوما ولا يذكر فيه إلا الفقه ، ويوما التأويل ، ويوما المغازى ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب ، ولا رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيت سائلا قط سأله إلا وجد عنده علما » . وقيل لطاوس لزمت هذا الغلام — يعنى ابن عباس — وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنى رأيت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تدارءوا فى أمر صاروا إلى قول ابن عباس » . وروى الأعمش عن أبى وائل قال : « استخلف على عبد الله ابن عباس على الموسم فقرأ فى خطبته سورة البقرة — وفى رواية سورة النور — ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا » وكان على ابن أبى طالب يثنى على تفسير ابن عباس

ويقول : « كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق » .

وبالجملة ، فقد كانت حياة ابن عباس حياة علمية ، يتعلم ويعلم ، ولم يشتغل بالإمارة إلا قليلا لما استعمله على على البصرة ، والحق أن ابن عباس قد ظهر فيه النبوغ العربي بأكمل معانيه ، علما ، وفصاحة ، وسعة اطلاع في نواح علمية مختلفة ، لا سيما فهمه لكتاب الله تعالى . وخير ما يقال فيه ما قاله ابن عمر رضي الله عنه : (ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد) [1] .

أسباب نبوغه : ونستطيع أن نرجع هذه الشهرة العلمية ، وهذا النبوغ الواسع الفياض ، إلى أسباب نجملها فيما يلي :

أولا : دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله : اللهم علمه الكتاب والحكمة ، وفي رواية أخرى « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » ؛ والذي يرجع إلى كتب التفسير بالمأثور ، يرى أثر هذه الدعوة النبوية يتجلى واضحاً فيما صح عن ابن عباس رضي الله عنه .

ثانياً : نشأته في بيت النبوة ، وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عهد التمييز فكان يسمع منه الشيء الكثير ، ويشهد كثيراً من الحوادث والظروف التي نزلت فيها بعض آيات القرآن .

ثالثاً : ملازمته لأكابر الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، يأخذ عنهم ويروى لهم ، ويعرف منهم مواطن نزول القرآن ، وتواريخ التشريع وأسباب النزول ، وبهذا استعاض عما فاته من العلم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدث بهذا ابن عباس عن نفسه فقال : (وجدت عامة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الأنصار ، فإن كنت لآتي الرجل فأجده نائما ، لو شئت أن يوقظ لي لأوقظ ، فأجلس على بابه تسفى على وجهي الريح حتى يستيقظ متى ما استيقظ وأسأله عما أريد ، ثم انصرف) .

رابعاً : حفظه للغة العربية ، ومعرفته لغريبها ، وآدبها ، وخصائصها ، وأساليبها ؛ وكثيراً ما كان يستشهد للمعنى الذي يفهمه من لفظ القرآن بالبيت والأكثر من الشعر العربي .

خامساً : بلوغه مرتبة الاجتهاد ، وعدم تحرجه منه ، وشجاعته في بيان ما يعتقد أنه الحق ، دون أن يأبه لملامة لائم ونقد ناقد ، ما دام يثق بأن الحق في جانبه ، وكثيراً ما انتقد عليه ابن عمر جرأته على تفسير القرآن ، ولكن لم ترق إليه همة نقده ، بل ما لبث أن رجع إلى قوله ، واعترف بمبلغ علمه ، فقد روى أن رجلا أتى ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى : « أو لم ير الذين كفروا

(١) انظر أسد الغابة ج ٣ ص ١٩٢ – ١٩٥ .

أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » (1) فقال : اذهب إلى ابن عباس ثم تعال أخبرنى ، فذهب فسأله فقال : كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات . فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال : قد كنت أقول : ما تعجبنى جرأة ابن عباس على تفسير القرآن . فالآن قد علمت أنه أوتى علما .

هذه هى أهم الأسباب التى ترجع إليها شهرة ابن عباس فى التفسير يضاف إلى ذلك كونه من أهل بيت النبوة ، منبع الهداية ، ومصدر النور ، وما وهبه الله من قريحة وقادة ،وعقل راجح ، ورأى صائب ، وإيمان راسخ ، ودين متين .

قيمة ابن عباس فى تفسير القرآن :

تتبين قيمة ابن عباس فى التفسير ، من قول تلميذه مجاهد : (إنه إذا فسر الشىء رأيت عليه النور) ، ومن قول على رضى الله عنه يثنى عليه فى تفسيره) كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق) ، ومن قول ابن عمر : (ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد) ، ومن رجوع بعض الصحابة وكثير من التابعين إليه فى فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله فكثيراً ما توجه إليه معاصروه ليزيل شكوكهم ، ويكشف لهم عما عز عليهم فهمه من كتاب الله تعالى ، ففى قصة موسى مع شعيب أشكل على بعض أهل العلم ، أى الأجلين قضى موسى ؟ هل كان ثمان سنين ؟ أو أنه أتم عشراً ؟ ولما لم يقف على رأى يمم شطر ابن عباس ، الذى هو بحق ترجمان القرآن ، ليسأله عما أشكل عليه ، وفى هذا يروى الطبرى فى تفسيره ، عن سعيد بن جبير قال : (قال يهودى بالكوفة ـ وأنا أتجهز للحج ـ إنى أراك رجلا تتبع العلم ، فأخبرنى أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم ، وأنا الآن قادم على حبر العرب ـ يعنى ابن عباس ـ فسائله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس قضى أكثرهما وأطيبهما ؛ إن النبى إذا وعد لم يخلف ، قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى فأخبرته فقال : صدق وما أنزل على موسى ، هذا والله العالم) . اهـ (1) .

وهذا عمر رضى الله عنه يسأل الصحابة عن معنى آية من كتاب الله ، فلما لم يجد عندهم جواباً مرضياً ، رجع إلى ابن عباس فسأله عنها ، وكان يثق بتفسيره ، وفى هذا يروى الطبرى (أن عمر سأل الناس عن هذه الآية يعنى « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل

(1) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

(1) تفسير ابن جرير جـ ٢٠ ص ٤٣ .

وأعناب ... الآية [١]» . فما وجد أحدا يشفيه ، حتى قال ابن عباس وهو خلفه : يا أمير المؤمنين إني أجد في نفسي منها شيئا ، فتلفت إليه فقال تحول ههنا ، لم تحقر نفسك؟ قال : هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة ، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فني عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله ، فحرقه أحوج ما كان إليه » اهـ [٢] .

وسؤال عمر له مع الصحابة عن تفسير قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » وجوابه بالجواب المشهور عنه ، يدل على أن ابن عباس كان يستخرج خفي المعاني التي يشير إليها القرآن ، ولا يدركها إلا من نفحه الله بنفحة من روحه . وكثيراً ما ظهر ابن عباس في المسائل المعقدة في التفسير بمظهر الرجل الملهم الذي ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، كما وصفه علي رضي الله عنه ، الأمر الذي جعل الصحابة يقدرون ابن عباس ويثقون بتفسيره ولقد وجد هذا التقدير صداه في عصر التابعين فكانت هناك مدرسة يتلقى تلاميذها التفسير عن ابن عباس . استقرت هذه المدرسة بمكة ، ثم غذت بعلمها الأمصار المختلفة ، وما زال تفسير ابن عباس يلقى من المسلمين إعجابا وتقديراً ، إلى درجة أنه إذا صح النقل عن ابن عباس لا يكادون يعدلون عن قوله إلى قول آخر ، وقد صرح الزركشي بأن قول ابن عباس مقدم على قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم في التفسير [١] .

رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب :

كان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير ، يرجعون في فهم معاني القرآن إلى ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر والاجتهاد ، مع الاستعانة في ذلك بمعرفة أسباب النزول والظروف والملابسات التي نزل فيها القرآن ، وكان رضي الله عنه يرجع إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم ، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في كثير من المواضع التي أجملت في القرآن وفصلت في التوراة أو الإنجيل ، ولكن كما قلنا فيما سبق إن الرجوع إلى أهل الكتاب كان في دائرة محدودة ضيقة ، تتفق مع القرآن وتشهد له ، أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن ، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية ، فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به .

---

(١) الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٢) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ٤٧ .

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٣ .

اتهامات مردودة :

نجد فى كتاب (المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن) اتهام مؤلفه (جولد زيهر) لابن عباس بتوسعه فى الأخذ عن أهل الكتاب ، مخالفا ما ورد من النهى عن ذلك فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) ونرى أن نذكر عبارة المؤلف بنصها ، ليتضح مبلغ اتهامه لابن عباس ، ثم نرد عليه بعد ذلك . قال : (وكثيراً ما يذكر أنه فيما يتعلق بتفسير القرآن ، كان - أى ابن عباس - يرجع إلى رجل يسمى أبا الجلد غيلان بن فروة الأزدى ، الذى أثنى الناس عليه بأنه كان يقرأ الكتب ، وعن ميمونة ابنته أنها قالت : كان أبى يقرأ القرآن فى كل سبعة أيام ، ويختم التوراة فى ستة ، يقرؤها نظرا ، فإذا كان يوم ختمها ، حشد لذلك ناس ، وكان يقول : كان يقال تنزل عند ختمها الرحمة . وهذا الخبر المبالغ فيه من ابنته يمكن أن يبين لنا مكان الأب فى الاستفادة من التوراة .

ومن بين المراجع العلمية المفضلة عند ابن عباس ، نجد أيضا كعب الأحبار اليهودى ، وعبد الله بن سلام ، وأهل الكتاب على العموم ، ممن حذر الناس منهم ، كما أن ابن عباس نفسه فى أقواله حذر من الرجوع إليهم ، ولقد كان إسلام هؤلاء عند الناس فوق التهمة والكذب ، ورفعوا إلى درجة أهل العلم الموثوق بهم ، ولم تكن التعاليم الكثيرة التى أمكن أن يستقيها ابن عباس ، والتى اعتبرها من تلك الأمور التى يرجع فيها إلى أهل هذا الدين الآخر ، مقصورة على المسائل الإنجيلية والإسرائيلية ، فقد كان يسأل كعبا عن التفسير الصحيح لأم القرآن وللبرجان مثلا ، وقد رأى الناس فى هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم - على العموم - فى القرآن وفى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما فيهما من المعانى الدينية ، ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد - من كل جهة - من سؤالهم) اهـ (١)

هذه هى عبارة الأستاذ جولد زيهر فى كتابه ، ومنها يتضح لنا مبلغ تجنيه على الصحابة وعلى ابن عباس على الأخص .

وقد تابعه الأستاذ احمد أمين على هذا الرأى ، حيث يقول فى فجر الإسلام : (وقد دخل بعض هؤلاء اليهود فى الإسلام ، فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار ،

---

(١) المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن ص ٦٥ — ٦٧ .

ودخلت فى تفسير القرآن يستكملون بها الشرح ، ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم . روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ولكن العمل كان على غير ذلك ، وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم) اهـ (١) .

والأستاذ جولدزيهر ، والأستاذ أحمد أمين يريان أن الصحابة - وبخاصة ابن عباس - لم يأبهوا لنهى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصدقوا أهل الكتاب وأخذوا عنهم الكثير فى التفسير ، وأن اللون اليهودى قد صبغ مدارس التفسير القديمة ، وبالأخص مدرسة ابن عباس ، بسبب اتصالهم بمن دخل فى الإسلام من أهل الكتاب .

رد هذا الاتهام :

والحق أن هذا غلو فى الرأى ، وبعد عن الصواب ، فابن عباس - كما قلت آنفا - وغيره من الصحابة ، كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ، ولكن لم يكن سؤالهم عن شىء يمس العقيدة ، أو يتصل بأصول الدين أو فروعه ، وإنما كانوا يسألون أهل الكتاب عن بعض القصص والأخبار الماضية ، ولم يكونوا يقبلون كل ما يروى لهم على أنه صواب لا يتطرق إليه شك ، بل كانوا يحكمون دينهم وعقلهم ، فما اتفق مع الدين والعقل صدقوه ، وما خالف ذلك نبذوه ، وما سكت عنه القرآن واحتمل الصدق والكذب توقفوا فيه . وبهذا المسلك يكون الصحابة - رضوان الله عليهم - قد جمعوا بين قوله عليه الصلاة والسلام : (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) وقوله : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) فإن الأول محمول على ما وقع فيهم من الحوادث والأخبار ، لما فيها من العظة والاعتبار ، بدليل قوله بعد ذلك : « فإن فيهم أعاجيب » . والثانى محمول على ما إذا كان المخبر به من قبلهم محتملا ، ولم يقم دليل على صدقه ولا على كذبه ؛ لأنه ربما كان صدقا فى نفس الأمر فيكون فى التكذيب به حرج ، وربما كان كذبا فى نفس الأمر فيكون فى التصديق به حرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، كما أفاده ابن حجر ونبه عليه الشافعى رضى الله عنه (١)

ثم كيف يستبيح ابن عباس رضى الله عنه لنفسه أن يحدث عن بنى إسرائيل بمثل هذا

---

(١) فجر الإسلام ص ٢٤٨ .

(١) فتح البارى ج ٨ ص ١٢٠ .

التوسع الذي يجعله مخالفاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان ابن عباس نفسه من أشد الناس نكيراً على ذلك، فقد روى البخاري في صحيحه عنه أنه قال: (يا معشر المسلمين: تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا «هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا»[1] أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم؟) اهـ[2].

رجوع ابن عباس إلى الشعر القديم:

كان ابن عباس رضي الله عنه يرجع في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن إلى الشعر الجاهلي، وكان غيره من الصحابة يسلك هذا الطريق في فهم غريب القرآن، ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم؛ ليستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى في الآية (٤٧) من سورة النحل: «أو يأخذهم على تخوف»، فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له: هذه لغتنا. التخوف: التنقص، فيقول له عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فيقول له: نعم، ويروي قول الشاعر:

تخوف الرحل منها تامكا قرداً
كما تخوف عود النبعة السفن

فيقول عمر رضي الله عنه لأصحابه: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم»[1].

غير أن ابن عباس، امتاز بهذه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره، فكثيراً ما كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر، وقد روى عنه الشيء الكثير من ذلك، وأوعب ما روى عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها، وقد بلغت مائتي مسألة، أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء، وأخرج الطبراني بعضها الآخر في معجمه الكبير، وقد ذكر السيوطي في الإتقان بسنده مبدأ هذا الحوار الذي كان بين نافع وابن عباس، وسرد مسائل ابن الأزرق

---

(١) في الآية ٧٩ من سورة البقرة.

(٢) البخاري في كتاب الشهادات جـ ٥ ص ١٨٥ من فتح الباري.

(١) القصة في الموافقات جـ ٢ ص ٨٨ وليس فيها ما يعارض ما جاء عن عمر من أنه لما سأل عن الأب رجع إلى نفسه وقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر، لأن الآية التي معنا يتوقف فهم معناها على معرفة معنى التخوف، بخلاف الآية الأخرى فإن المعنى الذي يراد منها لا يتوقف على معرفة معنى الأب.

وأجوبة ابن عباس عنها ، فقال : « بينا عبد الله ابن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع ابن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا . وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فقال ابن عباس : سلانى عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى : « وعن اليمين وعن الشمال عزين »(١) قال : العزون : حلق الرفاق . قال : هل تعرف العرب ذلك ؟ . قال : نعم . أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون إليه حتى
يكونوا حول منبره عزينا ؟

قال أخبرنى عن قوله : « وابتغوا إليه الوسيلة »(٢) . قال : الوسيلة : الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عنترة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة
إن يأخذوك تكحلى وتخضبى

إلى آخر المسائل وأجوبتها (٣) ، وهى تدل على قوة ابن عباس فى معرفته بلغة العرب ، وإلمامه بغريبها ، إلى حد لم يصل إليه غيره ، مما جعله - بحق - إمام التفسير فى عهد الصحابة ، ومرجع المفسرين فى الأعصر التالية للعصر الذى وجد فيه ، وزعيم هذه الناحية من التفسير على الخصوص ، حتى لقد قيل فى شأنه : (إنه هو الذى أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن)(١) .

هذا وقد بين لنا ابن عباس رضى الله عنه ، مبلغ الحاجة إلى هذه الناحية فى التفسير . وحض عليها من أراد أن يتعرف غريب القرآن ، فقد روى أبو بكر بن الأنبارى عنه أنه قال : (الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه (٢) » .

وروى ابن الأنبارى عنه أيضا أنه قال : « إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب (٣) » .

فابن عباس رضى الله عنه كان يرى رأى عمر فى ضرورة الرجوع إلى الشعر الجاهلى ، للاستعانة به على فهم غريب القرآن ، بل كان أكثر الصحابة إلماما بهذه الناحية وتطبيقا لها .

(١) الآية ٣٧ من سورة المعارج .
(٢) الآية ٣٥ من سورة المائدة .
(٣) ص ١٢٠ من الإتقان جـ ١ .

١) المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن صـ ٦٩ .
(٢) الإتقان جـ ١ صـ ١١٩ .
(٣) الإتقان جـ ١ صـ ١١٩ .

وقد استمرت هذه الطريقة إلى عهد التابعين ومن يليهم ، إلى أن حدثت خصومة بين متورعى الفقهاء وأهل اللغة ، فأنكروا عليهم هذه الطريقة ، وقالوا : إن فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن [1] ، وقالوا : كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن ، وهو مذموم فى القرآن والحديث ؟ .

والحق أن هذه الخصومة التى جدت فى الأجيال المتأخرة لم تقم على أساس ، فالأمر ليس كما زعمه أصحاب هذا الرأى ، من جعل الشعر أصلا للقرآن ، بل هو فى الواقع ، بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر ؛ لأن الله تعالى يقول « إنا جعلناه قرآنا عربيا [2] » . وقال « بلسان عربى مبين » [3] ولهذا لم يتحرج المفسرون إلى يومنا هذا من الرجوع إلى الشعر الجاهلى للاستشهاد به على المعنى الذى يذهبون إليه فى فهم كلام الله تعالى .

الرواية عن ابن عباس ومبلغها من الصحة :

روى عن ابن عباس رضى الله عنه فى التفسير ما لا يحصى كثرة ، وتعددت الروايات عنه ، واختلفت طرقها ، فلا تكاد تجد آية من كتاب الله تعالى إلا ولابن عباس رضى الله عنه فيها قول أو أقوال ، الأمر الذى جعل نقاد الأثر ورواة الحديث يقفون إزاء هذه الروايات التى جاوزت الحد وقفة المرتاب ، فتتبعوا سلسلة الرواة فعدلوا العدول ، وجرحوا الضعفاء ، وكشفوا للناس عن مقدار هذه الروايات قوة وضعفا . وأرى أن أسوق هنا أشهر الروايات عن ابن عباس ، ثم أبين مبلغها من الصحة أو الضعف ، لنعلم إلى أى حد وصل الوضع والاختلاق على ابن عباس رضى الله عنه . وهذه هى أشهر الطرق :

أولها : طريق معاوية بن صالح ، عن على ابن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وهذه هى أجود الطرق عنه ، وفيها قال الإمام أحمد رضى الله عنه « إن بمصر صحيفة فى التفسير رواها على بن أبى طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيراً [1] » . وقال الحافظ ابن حجر (. . وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وهى عند البخارى عن أبى صالح ، وقد اعتمد عليها فى صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس [2]) .

وكثيراً ما اعتمد على هذه الطريق ابن

(١) ومن هؤلاء الإمام النيسابورى صاحب التفسير المشهور وقد صرح بذلك فى مقدمة تفسيره ج ١ ص ٦ .

(٢) الآية ٣ من سورة الزخرف .

(٣) « ١٩٥ من سورة الشعراء .

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ .

جرير الطبرى ، وابن أبى حاتم ، وابن المنذر ، بوسائط بينهم وبين أبى صالح ومسلم صاحب الصحيح وأصحاب السنن جميعا يحتجون بعلى ابن أبى طلحة .

طعن بعض النقاد على هذه الطريق :

ولقد حاول بعض النقاد أن يقلل من قدر هذه الطريق فقال (إن ابن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير) [1] وعلى هذا فهى طريق منقطعة لا يركن إليها ، ولا يعول عليها .

وقد استغل هذا القول الأستاذ جولد زيهر فى كتابه (المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن) فقال :(صرح النقدة المسلمون بأن ذلك الرجل - على بن أبى طلحة — لم يسمع التفسير الذى تضمنه كتابه مباشرة من ابن عباس . وهكذا فإنه حتى فى صحة القسم الخاص بالتفسير الأكثر تصديقاً ، يحكم النقدة المسلمون بهذا الحكم فيما يتعلق بصحة نسبته لابن عباس على أنه هو المصدر الأول له)[2] .

تفنيد هذا الطعن :

ويظهر لنا أن الأستاذ جولد زيهر ، جهل أو تجاهل ما رد به النقاد المعتبرون على هذا الطعن الذى لا قيمة له ، فقد فند ابن حجر هذا النقد بقوله : (بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير فى ذلك) [1] وقال صاحب إيثار الحق (وقال الذهبى فى الميزان : وقد روى - يعنى على بن أبى طلحة - عن ابن عباس تفسيراً كثيراً ممتعا ، والصحيح عندهم أن روايته عن مجاهد عن ابن عباس ، وإن كان يرسلها عن ابن عباس فمجاهد ثقة يقبل)[2] .

وجملة القول : فهذه أصح الطرق فى التفسير عن ابن عباس ، وكفى بتوثيق البخارى لها واعتماده عليها شاهداً على صحتها .

ثانيها : طريق قيس بن مسلم الكوفى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، وكثيرا ما يخرج منها الفريابى والحاكم فى مستدركه .

ثالثها : طريق ابن إسحق صاحب السير ، عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وهى طريق جيدة وإسنادها حسن ، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم كثيراً ، وأخرج الطبرانى منها فى معجمه الكبير .

رابعها : طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير ، تارة عن أبى مالك ، وتارة

---

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨
(٢) ص ٧٧ .

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ .
(٢) إيثار الحق ص ١٥٩ .

عن أبي صالح عن ابن عباس ، وإسماعيل السدى مختلف فيه ، وحديثه عند مسلم وأهل السنن الأربعة ، وهو تابعى شيعى [1]. وقال السيوطى (روى عن السدى الأئمة مثل الثورى وشعبة ، لكن التفسير الذى جمعه رواه أسباط بن نصر ، وأسباط لم يتفقهوا عليه ، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدى [2]) . وابن جرير يورد فى تفسيره كثيراً من تفسير السدى عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس ، ولم يخرج منه ابن أبى حاتم شيئا ، لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد .

خامسها : طريق عبد الملك بن جريج ، عن ابن عباس ، وهى تحتاج إلى دقة فى البحث ، ليعرف الصحيح منها والسقيم ، فإن ابن جريج لم يقصد الصحة فيما جمع ، وإنما روى ما ذكر فى كل آية من الصحيح والسقيم ، فلم يتميز فى روايته الصحيح من غيره وقد روى عن ابن جريج هذا جماعة كثيرة ، منهم بكر ابن سهل الدمياطى ، عن عبد الغنى بن سعيد عن موسى بن محمد عن ابن جريج عن ابن عباس ، ورواية بكر بن سهل أطول الروايات عن ابن جريج وفيها نظر . ومنهم محمد بن ثور عن ابن جريج ، عن ابن عباس ، روى ثلاثة أجزاء كبار . ومنهم الحجاج بن محمد عن ابن جريج ، روى جزءاً وهو صحيح متفق عليه .

سادسها : طريق الضحاك بن مزاحم الهلالى عن ابن عباس ، وهى غير مرضية ؛ لأنه وإن وثقه نفر فطريقه إلى ابن عباس منقطعة لأنه روى عنه ولم يلقه ، فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، فضعيفة لضعف بشر ، وقد أخرج من هذه النسخة كثيراً ابن جرير وابن أبى حاتم . وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفا ، لأن جويبرا شديد الضعف متروك . ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبى حاتم من هذه الطريق شيئا ، إنما خرجها ابن مردويه ، وأبو الشيخ بن حبان .

سابعها : طريق عطية العوفى ، عن ابن عباس ، وهى غير مرضية ، لأن عطية ضعيف ليس بواه ، وربما حسن له الترمذى . وهذه الطريق قد أخرج منها ابن جرير ، وابن أبى حاتم كثيراً .

ثامنها : طريق مقاتل ابن سليمان الأزدى الخراسانى ، وهو المفسر الذى ينسب إلى الشافعى أنه قال فيه : (إن الناس عيال عليه فى التفسير) [1] ومع ذلك فقد ضعفوه ، وقالوا إنه يروى عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منهما ، وقد كذبه غير واحد ، ولم يوثقه

---

(١) إيثار الحق ص ١٠٩ .

(٢) الإتقان جـ ٢ ص ١٨٨ .

(١) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٥٦٢

أحد ، واشتهر عنه التجسيم والتشبيه [١] ، وتكلم عنه السيوطى فقال : (إن الكلبى يفضل عليه لما فى مقاتل من المذاهب الردية[٢] وقد سئل وكيع عن تفسير مقاتل فقال : (لا تنظروا فيه ، فقال السائل : ما أصنع به ؟ قال ادفنه ـ يعنى التفسير ـ) [٣] وقال أحمد بن حنبل: لا يعجبنى أن أروى عن مقاتل بن سليمان شيئا [٤] . وبالجملة فإن من استحسن تفسير مقاتل كان يضعفه ويقول « ما أحسن تفسيره لو كان ثقة » [٥] .

تاسعها : طريق محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، وهذه أوهى الطرق والكلبى مشهور بالتفسير ، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع كما قال ابن عدى فى الكامل ، ومع ذلك فإن وجد من قال : رضوه فى التفسير ، فقد وجد من قال : أجمعوا على ترك حديثه ، وليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، واتهمه جماعة بالوضع . وممن يروى عن الكلبى ، محمد بن مروان السدى الصغير ، وقد قالوا فيه : إنه يضع الحديث ، وذاهب الحديث متروك ، ولهذا قال السيوطى فى الإتقان « فإن انضم إلى ذلك ـ أى إلى طريق الكلبى ـ رواية محمد بن مروان السدى الصغير ، فهى سلسلة الكذب » [١] ، وقال السيوطى أيضا فى كتابه الدر المنثور جـ ٦ ص ٤٢٣ « الكلبى : اتهموه بالكذب وقد مرض فقال لأصحابه فى مرضه : كل شىء حدثتكم عن أبى صالح كذب ، ومع ضعف الكلبى فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد ضعفاً ، وهو محمد بن مروان السدى الصغير ، وكثيراً ما يخرج من هذه الطريق الثعلبى والواحدى .

هذه هى أشهر الطرق عن ابن عباس ، صحيحها وسقيمها ، وقد عرفت قيمة كل طريق منها ، ومن اعتمد عليها فيما جمع من التفسير عن ابن عباس رضى الله عنه .

التفسير المنسوب إلى ابن عباس وقيمته :

هذا ، وقد نسب إلى ابن عباس رضى الله عنه جزء كبير فى التفسير ، وطبع فى مصر مراراً باسم « تنوير المقباس من تفسير ابن عباس » ، جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى الشافعى ، صاحب القاموس المحيط ، وقد اطلعت على هذا التفسير ، فوجدت جامعه يسوق عند الكلام عن البسملة الرواية عن ابن عباس بهذا السند « أخبرنا

(١) إيثار الحق ص ١٥٩ .
(٢) الإتقان جـ ٢ ص ١٨٩ .
(٣) تهذيب الأسماء واللغات جـ ٢ ص ١١٢ .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات جـ ٢ ص ١١١ .
(٥) التفسير ـ معالم حياته ـ منهجه اليوم ص ٩ .

(١) الإتقان جـ ٢ ص ١٨٩ .

عبد الله الثقة بن المأمون الهروى ، قال : أخبرنا أبى . قال : أخبرنا أبو عبد الله محمود ابن محمد الرازى ، قال : أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروى ، قال : أخبرنا على بن إسحق السمرقندى ، عن محمد بن مروان ، عن الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس » . وعند تفسير أول البقرة ، وجدته يسوق الكلام بإسناده إلى عبد الله بن المبارك ، قال حدثنا على بن إسحق السمرقندى عن محمد بن مروان ، عن الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس . وفى مبدأ كل سورة يقول : وبإسناده عن ابن عباس .

... وهكذا يظهر لنا جلياً ، أن جميع ما روى عن ابن عباس فى هذا الكتاب يدور على محمد بن مروان السدى الصغير ، عن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وقد عرفنا مبلغ رواية السدى الصغير عن الكلبى فيما تقدم . وحسبنا فى التعقيب على هذا ما روى من طريق ابن عبد الحكم قال : « سمعت الشافعى يقول : لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث »[1] . وهذا الخبر - إن صح عن الشافعى - يدلنا على مقدار ما كان عليه الوضاعون من الجرأة على اختلاق هذه الكثرة من التفسير المنسوبة إلى ابن عباس ، وليس أدل على ذلك ، من أنك تلمس التناقض ظاهرا بين أقوال فى التفسير نسبت إلى ابن عباس وأخرى رويت عنه . ويمكن أن يقال - إن هذا التفسير المنسوب إلى ابن عباس لم يفقد شيئاً من قيمته العلمية فى الغالب ، وإنما الشىء الذى لا قيمة له فيه ، هو نسبته إلى ابن عباس .

أسباب الوضع على ابن عباس :

ويبدو أن السر فى كثرة الوضع على ابن عباس ، هو أنه كان من بيت النبوة والوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وقوة أكثر مما لو وضع على غيره ، أضف إلى ذلك أن ابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون ، وكان من الناس من يتزلف إليهم ، ويتقرب منهم بما يرويه لهم عن جدهم ... وربما نعرض لأسباب الوضع فى التفسير ، وإلى القيمة العلمية للتفسير الموضوع بصرف النظر عن وضعه ، فى مناسبة قريبة ، إن شاء الله تعالى .

محمد حسين الذهبى

(١) الإتقان جـ ٢ ص ١٨٩ .

الإسلام واللغة العربية في مستقبل إفريقيا الجديدة

للأستاذ محمود الشرقاوي

١ — منذ كتبنا مقالنا : « الدين والقومية في إفريقيا الجديدة » [1] ونحن نجد في كل يوم مظهراً جديداً من مظاهر الحياة الجديدة في هذه القارة الجديدة : مظاهر الحياة التي تتطلع فيها شعوب هذه القارة وزعماؤها وحكوماتها إلى مستقبل حر قوي كريم .

ففي هذه الفترة — على قصرها — نالت نحو عشرين دولة في هذه القارة استقلالها ، ودخل أكثرها مجموعة الدول العالمية في هيئة الأمم المتحدة . وزار كثير من زعماء هذه الدول التي نالت استقلالها بلاداً كثيرة ، شرقية وغربية ، عربية وغير عربية ، يعملون لتوطيد هذا الاستقلال الذي نالته بلادهم ، ويسعون إلى مغانم جديدة يحققونها لأوطانهم ، ويوثقون الصلاة والروابط بين حكوماتهم وشعوبهم وبين أكبر مجموعة من الدول ، وبخاصة تلك التي تستطيع أن تمد يد العون الخالص لهذه الدول الإفريقية الناشئة .

هذه الدول الجديدة وشعوبها ، لم تنل استقلالها بثمن هين ، ولم يخرج منها الاستعمار الغربي الشرير مخرجا سهلا . بل خرج منها مرغما مقهورا . فقد كان هؤلاء المستعمرون يخلصون لكلابهم وخيولهم وحيواناتهم ويعطفون عليها ويطعمونها ويدللونها أكثر مما يخلصون للآدميين من أهل هذه البلاد الإفريقية ويعطفون عليهم ويطعمونهم . وقد نشرت الأنباء والصحف حديثا عجيبا أدلى به متحدث رسمي في مجلس اللوردات البريطاني يدل على قيمة الإنسان الإفريقي عند هؤلاء المستعمرين :

تحدث لورد موم قبل أسابيع في هذا المجلس فقال : إنه « اشترى » رجلا في السنة الماضية من إحدى مناطق الصحراء الكبرى التي تسيطر عليها فرنسا . وكان ثمنه سبعة وثلاثين جنيها وعشرة شلنات . . ! وكان غرضه من هذه الصفقة أن يثبت أن تجارة الرقيق ماتزال تمارس في المناطق الخاضعة لفرنسا .

وقال لورد موم إن العبد « إبراهيم » كان جاثما كالكلب عند أقدام بائعه : « ميخائيل » . ثم انتقل فجثم عند قدمي اللورد ، بعد إتمام الصفقة . . ! وهذه شهادة مسئول إنجليزي كبير عن الدولة الصديقة لإنجلترا : فرنسا .

---

[1] عدد صفر ١٣٨٠ من هذه المجلة .

ونشرت الأنباء والصحف يوم ذاك تقريراً لهيئة الأمم المتحدة يقول إن القارة الإفريقية يباع فيها فى كل شهر خمسة آلاف من الرجال والنساء والأطفال . ثم يهرّب أكثرهم فى حراسة القوافل المسلحة إلى خارج القارة .

٢ ــ هذه القارة البكر التى خرج منها الاستعمار الغربى مرغما مقهوراً ، ستجد دولها الجديدة صعوبات كثيرة ، بل متاعب ومحناً ، فى سبيل الحفاظ على استقلالها ، وفى أن تقيم لأبنائها حياة كريمة حرة مستقرة . وهى ، لذلك ، تتطلع إلى صديقاتها من الدول الإفريقية بخاصة ، تطلب إليها العون . ومن حقها أن تطلب وأن تجاب ، على أسس حكيمة مدروسة واعية .

وقد قلنا فى مقالنا السابق تحدد بعض السبل لهذا العون : (... السبيل ـ أو أوضح السبل ـ لذلك ، ندركه من حديث مسئول فى جمهوريتنا العربية عاد من الحج هذا العام فقال من حديث له : « إن شعورى بعد عودتى أن للإسلام جولة أخرى فى معركة الحرية العالمية . وأن كتائب حجاج إفريقيا ، التى زحفت إلى بيت الله الحرام ماشية على الأقدام ، تمثل طلائع هذا النصر . بل إنها تمثل العرب فى مستهل فجر الإسلام . إن طريقنا الرئيسى أصبح واضح المعالم . وعلينا أن نبعث إليهم بكتاب الله الكريم فى أيسر تفسير [1] يحمل شحنات من القوى الروحية المباركة التى تدفع عزائم هؤلاء العمالقة الذين يفد منهم على الحجاز سنوياً ٢٠ ألف حاج من نيجيريا وحدها) .

هذا ما قلناه فى مقالنا الماضى عن السبيل الذى نستطيع به أن نعين هذه الدول الإفريقية الجديدة وأن نسدد خطاها وهى تتطلع إلى المستقبل .

ولكى ندرك بعض ما يحيط بسبيلنا هذه من المؤثرات والمعوّقات نعرض بعض الحقائق المحيطة بهذه الدول ، وما يتناوشها من التيارات .

٣ ــ بعض هذه الحقائق أن الدول التى كانت تستعمر هذه الشعوب ، ثم خرجت منها مرغمة مقهورة ، تركت هذه الدول على حال من البلبلة والجهل والفساد بحيث لا تستطيع أن تستقيم لها حياة إلا بعد فترة طويلة من السنين ، وقصدت هذه الدول الاستعمارية أن تتعثر دول إفريقيا الجديدة فى سيرها وأن تلتوى بها المسالك ، حتى يسيطر عليها الشعور بالعجز ، والإحساس بأنها فى حاجة لمعونة الدول التى كانت تستعمرها . لا تستطيع أن تستغنى عن إرشادها وتوجيهها ، فيعود من النافذة من خرج من الباب ، كما يقول المثل الأوربى .

(١) أقول : وأكثره سدادا وحكمة وفهما وإخلاصا .

ترك الاستعمار الفرنسى غينيا ولغتها فرنسية ، وليس فيها تعليم جامعى ولا فنى ولا ثقافى . حتى أن معظم الوزراء ، فى عهد استقلالها الجديد ، غير حاصلين على تعليم جامعى .

وقبل الاستقلال ، كانت فرنسا - باختصار - هى كل شىء ، هى الحكومة وهى الاقتصاد ، وهى الدولة والثقافة .

كان الاقتصاد الغينى فى يد مجموعة من الشركات الاستغلالية الفرنسية وبعض الشركات الزراعية الفرنسية أيضاً .

هذا مثل . وقد ضربنا فى مقالنا السابق أمثلة أخرى .

وبعض هذه الحقائق أن الاستعمار الغربى قصد ، عن تعمد وإلحاح ومثابرة ، أن يمحو عن البلاد الإفريقية التى دخلها الإسلام ودخلتها اللغة العربية ، قصد ، عن تعمد وإلحاح ومثابرة ، أن يمحو عن هذه البلاد صبغتها هذه الإسلامية والعربية . فالبلد الذى عرفه الناس قبل قرون باسم عربى هو (مالى) وزاره ابن بطوطة وسماه بهذا الإسم وتحدث عن الإسلام فيه ، هذا البلد المسلم العربى يسميه الاستعمار : (غانا الفرنسية) و (السنغال الفرنسى) . والبلد الذى عرفه الناس قبل قرون باسم عربى هو (غانا) يسميه المستعمرون : (ساحل الذهب) ، لأنهم لا يعرفون من هذا البلد إلا ذهبه وخيره وأسلابه وحطامه .

حتى أسماء الأحياء من الناس والزعماء ، يمحون عنها صبغتها العربية ، ويحيلونها إلى صبغة أوربية :

فالزعيم الإفريقى (سيكوتورى) زعيم غينيا إسمه العربى - أو لقبه - (شيخ الطريقة) فتحولت كلمة : شيخ إلى (سيك) وكلمة : طريقة إلى (تورى) . والزعيم الآخر : (سيف الله ضياء الله) رئيس الجمعية الوطنية فى غينيا يتحول اسمه إلى (سيفولا ديالو) . والزعيم النيجيرى : (أبو بكر أبو عليوه) يتحول إلى : (أبو بكر باليوا) . ورئيس وزراء السنغال المسلم : (محمد ضياء) . يمسخ اسمه إلى (ماما دو ديا) . ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية (أحمد سراج الدين) يمحى عنه هذا الاسم المشرق ، فيصبح (آمادو سردونا) . ورئيس جمهورية مالى ، التى تعيش فيها أكثرية مسلمة : المؤدب كيتا ، يصير (موديبا كيتا) . وهكذا يصنع الاستعمار الغربى ببلاد إفريقيا ليقطع صلتها بماضيها ويفقدها شعور الثقة والعزة الذى توجده عراقة الأصل والأرومة والدين . وليربط حياتها وإحساسها به وحده .

ولو أن هذا الاستعمار أبقى لهذه الشعوب

لغـــة دينها - العربية - لما صارت أسماء زعمائها وألقابهم إلى هذا المسخ .

هـذه السياسة الشريرة التى كانت الدول الأوروبية تلتزمها وهى تستعمر إفريقيا ، وتسيطر عليها وتتحكم فى حاضرها ومستقبلها : هذه السياسة الشريرة ، ما يزال الغرب مصرا عليها للمستقبل أيضا . يضع لها الخطط البعيدة ويرسم لها الخطوط ويحدد الأوضاع .

يتحدث العالم الأوروبى عن « السوق الأوروبية المشتركة » قبل شهور فيجعل إفريقيا من مجالات نشاطه وتخطيطه ، ويضع عليها نظره لتكون سوقا محتكرة لهـذه الدول . والنفوذ الاقتصادى له ما بعـده من النفوذ السياسى والعسكرى والثقافى وغيرهما من ألوان النفوذ .

وفى الكونغو عاد رجال الإرساليات المسيحية فى أول من عاد بعد استرداد بلجيكا بعض نفوذها فيه .

وليست أوروبا وحدها هى التى تجعل بلاد إفريقيا مجالا لنشاطها ومطامعها وتخطط لمستقبلها ونفوذها فيها . بل هناك أمريكا أيضا . ولأمور خاصة بأمريكا وأوضاع الملونين فيها ، تستعين بالدول الأوروبية على بسط نفوذها على بلاد إفريقيا ، ويتعاون الشريكان الخصيمان المتوجسان على التمكين لهذا النفوذ ، والحيلولة دون غيرهما ، ودون الاتصال بهذه الدول الإفريقية الجديدة . بما فى ذلك الدول الإفريقية المستقلة ، التى هى أولى الدول بأن تلجأ إليها وتستعين بها فى هذا السبيل .

وصحف أمريكا تعلن ذلك ولا تخفيه ، وهذا مثل مما كتبته فى ذلك : (واليوم وقد نهضت أوروبا من كبوتها الاقتصادية وصارت تعامل أمريكا معاملة الند للند صرفت أمريكا الشطر الأوفر من اهتمامها إلى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . على أن اهتمامها بإفريقيا له المكانة الأولى لأسباب سياسية استراتيجية ظاهرة . وفى ذلك يقول ولتر ليبمان ، المعقب الأمريكى المعروف ، وهو يعرض لواجب التفاهم التام بين أمريكا وأوروبا الغربية : « إن هذا التفاهم بين ندين هو أوجب ما يكون فى إفريقيا ، إفريقيا الشمالية وإفريقيا الوسطى وإفريقيا الجنوبية . يلزمنا الاعتراف بأننا لا نستطيع أن نجرى فى إفريقيا على سياسة أمريكية مستقلة لأننا لا نزال بعيدين عن النجاح فى حل المشكلة المتعلقة بمواطنينا المنحدرين من أصل إفريقى . لهذا السبب » وهو سبب كاف وإن تكن هناك أسباب أخرى تضاف إليه ، يمكننا أن نمارس أعمال البر فى إفريقيا ، لا أعمال السياسة) .

ولكن هذا لا يمنع أمريكا من أن تمارس « أعمال السياسة » عن طريق الدول الأوروبية الغربية ، إما فرادى وإما جمعا ، ونحن نعلم إذن ما تكون هذه السياسة .

وليست دول أوربا وأمريكا وحدها هى التى تحاول وتجاهد فى أن تتسلل إلى إفريقيا الجديدة لتبسط عليها نفوذها مرة أخرى . بل هناك إسرائيل : الخطر الأكبر على العرب والإسلام .

ففى مذكرة أذاعتها الأمانة العامة الجامعة العربية أنه يوجد فى أثيوبيا وأريتريا ٤٨٠ خبيراً إسرائيليا يعملون تحت ستار المعونات الفنية . وأن هؤلاء الخبراء الإسرائيليين « يعملون بهمة ظاهرة لتشتيت أكثر من عشرة ملايين من أصل عربى من موطنهم الأصلى المتاخم لبعض الدول العربية ، وكلما بدت معارضة أو تكتل ضد الصهيونيين كان مصير أصحابها السجون » . وذكرت مذكرة الأمانة العامة للجامعة عدة شركات صهيونية « تتحكم فى الحياة الاقتصادية فى هذين البلدين : أريتريا وأثيوبيا »[1] .

فإسرائيل إذن ، يساندها الاستعمار ويؤازرها ، تعمل وتجاهد لتسبق غيرها فى التمكن من إفريقيا ، وسعيها هذا لا يذهب عبثا ، كما نرى .

وإسرائيل تدرك ما يمكن أن تصل إليه الدعوة الإسلامية فى دول إفريقيا المستقلة ، وما يمكن أن تتأثر به شعوبها إذا قامت هذه الدعوة على أسس سليمة مدروسة مثابرة حكيمة .

وإدراك إسرائيل لأثر هذه الدعوة وما يمكن أن تتأثر به شعوب هذه الدول منها ، يجعلها - أى إسرائيل - تبادر بنشر الدعوة الإسلامية - عن طريقها هى - بين هذه الشعوب . وليس هذا غريبا على خبث إسرائيل . لأنها تحقق به لنفسها مكاسب كبيرة من السهل إدراكها .

فقد نشرت الصحف أن إسرائيل ترسل إلى الدول التى استقلت حديثا فى إفريقيا مدرسين يعلمون أبناءها الإسلام واللغة العربية وأن مدرسيها هؤلاء يشكلون خطراً غير قليل فى بعض هذه البلاد ، ويمتد نفوذهم ، وبالتالى نفوذ دولتهم ، فيها ويستوغل . ونشرت الصحف أيضا أن إسرائيل بنت على نفقتها مسجداً فى سيراليون أهدته لمسلميها . . !

فإسرائيل تدرك أن المستقبل فى دول أفريقيا للإسلام واللغة العربية . وأن هذا هو السبيل للتأثير على سكان تلك البلاد وكسب مودتهم والسيطرة على عواطفهم . ثم التحكم بعد ذلك فى مصائرهم . والدول الأوروبية فى ذلك من وراء إسرائيل . ولنا من ذلك عبرة واضحة .

---

(١) جريدة الأهرام : ١٤ نوفمبر ١٩٦١ .

٥ — ولكى ندرك الاحتمالات القائمة فى دول إفريقيا الجديدة نحو مستقبل الإسلام ، نذكر ما نشرته صحف القاهرة من أن أربعة آلاف فى جنوب السودان دخلوا فى الإسلام خلال أربعة شهور [١] وأن خمسين ألفاً فى تلك البلاد أسلموا قبل ذلك . منهم عشرون من السلاطين . وأسلم فى أسبوع واحد، ثلاثمائة وخمسون .

وقد تكون هذه الأرقام محتاجة إلى الدقة . ولكن الوضع فى إفريقيا كلها ، بلا شك ، لا يستنكر معه ذلك ولا يستبعد ، وكل الدلائل قائمة على صدقه ، كما هى قائمة على استمراره ودوامه .

وفى السطور التالية ننقل بعضا من تقرير يؤيد ذلك ويؤكده : « وجماعة التبشير الإسلامى والإصلاح بالسودان تضم ٣٠٠ عضو يدفع كل منهم اشتراكا سنويا قدره خمسة وعشرون قرشا ، وقد أصبح لها الآن مركز رئيسى فى الدلنج فى جبال النوبة غرب السودان يضم ٥ فروع فى هذه المنطقة ، و ٣ مراكز أخرى فى الجنوب فى مناطق « ياى » و « كاجو كاجو » و « جوبا » .

ورغم ضآلة إمكانياتها المالية لقيت رسالتها إقبالا كبيراً من سكان المناطق المقفلة سواء فى المديريات الجنوبية أو فى جبال النوبة ،

وقد اعتنق الإسلام على أيدى بعثات الجماعة أكثر من ٢٠ ألف نسمة ، معظمهم من مناطق جبال كرمتى ، والنتل ، وكاركو ، وكندكرو ، وكندكير ، وضلمان، وأبوصبية، والمندل ، والصبى ، والكاشة ، والشفر ، وكرره .

كما أسلم على يد بعثات الجماعة جميع تلاميذ منطقة سيلارا بالقرب من الدلنج .

وأنشأت الجماعة داراً فى أمدرمان خصصتها لإيواء ٦٠ طالبا ممن أسلموا فى الجنوب ، وجاءوا لتلقى علومهم فى الخرطوم على نفقة الجماعة [١] » .

فإذا نظرنا إلى الناحية المقابلة نجد أن بعثة تبشيرية واحدة فى مساحة لا تزيد عن عشرة آلاف ميل مربع من « وسط أفريقيا — قد قامت فيها ٥٥٠ مدرسة ، و ٢٥٠ كنيسة .. فى حين أن عدد أتباعهم الذين استمالوهم فى هذه المنطقة لا يزيد على ١٨٠٠٠ وطنى ، أى بمعدل كنيسة لأقل من ٥٠ شخصا ، ومدرسة لأقل من ٢٥ شخصا .. ! [٢] » .

ومع هذا التباين الكبير فى الجهد والسعى والإنفاق ، نجد هذه النتيجة التى أسلفناها من انتشار الإسلام وتمكنه وشموله ، وهذا

---

(١) جريدة الأهرام : ٢٩ مايو سنة ١٩٦٠

(١) جريدة الأهرام : ١٣ فبراير ١٩٦١ .

(٢) نقلا عن مجلة [تيم] الأمريكية .

أمر طبيعى لأسباب أهمها طبيعة الإسلام نفسه ، ثم تليها طبيعة الأوضاع فى دول إفريقيا المستقلة نفسها ، فبعض هذه الدول للإسلام فيها السيادة والقيادة . وبعضها يجد فيه الرجاء والأمل .

٦ — وقد زار صحفى عربى جمهورية الصومال قبل شهور ، فكان مما كتب عن شعبها وعقيدته وإيمانه مايلى :

« وأهل الصومال مسلمون متعصبون لدينهم بدرجة كبيرة . والواحد منهم يبدأ حياته الدراسية دائما بحفظ القرآن ، مهما كان مركزه ومهما كان مستقبله . ولقد حاولت بعثات التبشير هناك أن تحارب هذا بإمكانيات ضخمة . بل إنها لجأت إلى إنشاء دار ضخمة ليقيم فيها الأطفال ، ويتعلموا مجانا مقابل أن تستطيع أن تخرجهم من الإسلام للمسيحية . ولكنها لم تفلح ، ولعل البلد الوحيد فى إفريقيا الذى سجلت فيه البعثات التبشيرية فشلا ذريعا هو الصومال . ولقد رأيت عددا كبيرا من الصوماليين يبدأ من سن العشرين فى اقتصاد مبلغ من المال كل عام ليحج بيت الله الحرام »[1] .

وما يزال شعب الصومال يتبع التقويم العربى فى توقيته اليومى ، أى أن « النهار » يبدأ عندهم من طلوع الشمس .

فعندما يتطلع شعب الصومال هذا إلى معونة الجمهورية العربية المتحدة ـ وقد تطلع فعلا ـ لكى تعينه فى ثقافته وتعليمه ، فإلى أى مكان من هذه الجمهورية العربية يتطلع ..؟

وعندما يستعين شعب الجمهورية الصومالية ـ وهذا مبلغ تمسكه بالعقيدة وحرصه على حفظ القرآن وتعليم الدين ـ عندما يطلب هذا الشعب العون على تعليم أبنائه ما يريد لهم أن يتعلموا ويحفظوا ، فأى الهيئات هى التى تستطيع أن تلبى حاجته تلك وحاجة أبنائه ..؟

الجواب واضح بيّن .

وقد تنبأت جريدة بريطانية واسعة الانتشار هى صحيفة « سكوتسمان » بأن جميع المستعمرات والبلاد الهامة فى إفريقيا ستنال استقلالها قبل سنة ١٩٦٥ . وقد يكون ذلك أقرب من هذا الأجل القريب . ونقول نحن إن بلاداً كثيرة من هذه المستعمرات الإفريقية سيكون الوضع فيها بعد الاستقلال شبيها بهذا الذى نراه الآن فى الصومال ، أو قريبا منه .

ومن قبل تحدث سفير السنغال فى القاهرة فقال إن شعب بلاده هو أقرب الشعوب الإفريقية للعرب ، وأن كثيرين من أهله يعرفون اللغة العربية وأنه هو نفسه ـ السفير ـ يقول الشعر العربى ، ويحفظ للمتنبى وشوقى والبوصيرى . واسم هذا السفير : « التيجانى » ومن هذا الاسم نعرف أنه مسلم ، بل هو

---

[١] الأستاذ أحمد زين : جريدة الأخبار فى ٩ مايو سنة ١٩٦١ .

« شيخ طريقة » التيجانية ، وكان أبوه شيخا لها وزعيما روحيا تلق العهد على يديه أربعمائة ألف سنغالى ، من ثلاثة ملايين .

وهذه حقائق يجب أن تدخل فى الاعتبار ونحن نتحدث عن الإسلام والعربية فى مستقبل الدول الإفريقيـــة المستقلة ، وما يمكن ، بل ما يجب ، أن نفيـده من ذلك لديننا ولغتنا .

وقد زار القاهرة قبل شهور زعيم من زعماء المسلمين فى كينيا : هو الشيخ على سنيدى ، رئيس اتحاد المسلمين فيها . وتحدث هذا الزعيم المسلم عن بلاده ووضع الإسلام فيها ، وفى هذا الحديث نجد عبرة تفيدنا فيما نحن بسبيله من حديث الإسلام فى إفريقيا :

يقول الشيخ سنيدى إن المهاجرين الأولين من المسلمين ـ العرب والفرس ـ الذين دخل الإسلام إفريقيا معهم ، كان أول شىء فعلوه هو تعليم مبادئ الإسلام وأصوله لأبنائهم . وتحفيظ القرآن لصغارهم ، وكبارهم ، رجالا ونساء ، وصبيانا وفتيات . حتى لا يوجد فى سواحل كينيا من لم يحفظ القرآن ويكتبه ، لحفظ القرآن ودراسته إذن ، حملهم عن التعلم والتعليم ، وأزال عنهم الجهل والأمية ، وعلمهم الحرص على اللغة العربية .

ثم جاء العصر الحـديث ، عصر الاستعمار الغربى والغزو الصليبى ، فتعرض الإسلام فى كينيا (لأكبر دعاية مستأصلة له) ـ أى تريد أن تستأصل الإسلام من تلك البلاد . وشرح الزعيم الكينى وسائل الاستعمار والصليبية فى ذلك .

ثم ننتقل إلى الوضع فى (غانة) فنجد فيها مليونين من المسلمين ، أى ثلث سكانها . ونجد اللغة العربية فيها تزاحم الإنجليزية ، فهما اللغتان الذائعتان ، على رغم ما تجد العربية من عنت ومعاندة ، وتجـــد الإنجليزية من معونة ومساندة . ونجد فى كبرى مدنها : كوماسى مسجداً على طراز عربى يسع عشرة آلاف مصل .

وفى نيجيريا نجـد ما هو أبين وأوضح ، نجد زائراً من مصر ومن الأزهر ، يقيم فيها فترة من الزمن باحثاً دارسا ثم يقول : (إنى وجدت المسلمين فى تلك البلاد ـ نيجيريا ـ على بعد الشقة بيننا وبينهم ـ يقدرون مصر حق قدرها ، من أجل الأزهر ، ومن أجل الأزهر فقط ، ويكنون له ولعلمائه كل تقدير وإجلال) [1] .

والمسلمون فى نيجيريا متشددون متدينون ، يعتبرون يوم الجمعة عيداً ، وصلاتها مظهراً للفرح والبهجة والسرور . يلبسون لهـا أنخر ما عندهم من الثياب وأكثره نظافة . تسير

[1] من تقرير الدكتور محمد الفحام . مجلة منبر الإسلام عدد ٥ السنة ١٩ .

أمامهم لصلاتها الطبول والمزامير، فى الذهاب والعودة ، ذلك مظهر من مظاهر تدينهم .

ويقول بعض من زار تلك البلاد إنه كلما تنصر واحد من أبنائها أسلم فى مقابله عشرة ، مع ما يبذل من السعى والجد والمال لنشر المسيحية .

وهذه حقيقة معروفة ، نشرتها جريدة « التمبو » التى تصدر فى المكسيك فقالت : « إن الإسلام ينشر بسرعة فى دول إفريقيا التى استقلت حديثا . وإن تعلم اللغة العربية يسير مع موجة انتشار الإسلام جنباً إلى جنب » [1] .

ونيجيريا هذه التى يقيم فيها عشرون مليونا من المسلمين بين خمسة وثلاثين من السكان المسيحيين والوثنيين، زعيمها ورئيس حكومتها مسلم مخلص متدين هو الحاج أحمد بللو سردرنا . وهو ليس رئيس حكومة فقط ، بل هو ، إلى ذلك ، رئيس حزب وزعيم أمة ، يحفظ القرآن ويعرف أصول الإسلام ويتكلم العربية فيحسنها ، وكان تدينه من أسباب زعامته وقيادته ورياسته .

وهذه العاطفة والمعرفة والعقيدة . هى التى جعلته يخاصم إسرائيل ، ويمانع فى تسللها إلى شمال نيجيريا على رغم معاونة بريطانيا لها فى ذلك ، وجعلته يمنع بعثات إسرائيل من دخول المنطقة التى يحكمها . ويرفض أن يعقد اتفاقات معها .

فأى قوة أعظم من هذه العواطف وهذه العقيدة نستطيع أن نفيد منها وندرك المدى الفسيح الذى يمكن أن تبلغه دعوة الإسلام والعربية فى مثل هذه البلاد .

٧ — وليست الأوضاع والحقائق وحدها هى التى ترسم الطريق وتحدد المعالم لمستقبل الإسلام والعربية فى إفريقيا الجديدة . وتدعونا ، بل تصرخ فينا ، أن نفكر ونعمل ونبادر ، بل الطلائع والاتجاهات فى تلك البلاد تدعونا لنعمل ونبادر .

من هذه الطلائع والاتجاهات أن المؤتمر السنوى الثانى للجمعية الثقافية الإسلامية فى السنغال قرر مطالبة الحكومة باعتبار اللغة العربية فى البرامج الدراسية ابتداء من الصفوف الأولى . وزيادة عدد المدارس العربية فى مدن السنغال وقراها ، والاعتراف بالشهادات الصادرة عن المدارس العربية .

ومن هذه الطلائع أن غينيا فى عهد استقلالها بدأت تتطلع إلى المستقبل وتقيم له الأسس الراسخة ، ففرضت تعليم اللغة العربية لغة ثانية على طلبة المدارس الثانوية ، لأنها — كما قال الحسينى أيوب وزير استعلامات غينيا — : « اللغة الإفريقية الوحيدة المكتوبة، وبما أن ثمانين فى كل مائة من سكان غينيا

(البقية على صفحة ٨٣٦)

(١) عن مجلة المصور : ١٥ مايو ١٩٦١ .

من معاني القرآن :

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد » .

كلمة « رب » تطلق في كلام العرب على معان ثلاثة يرجع إليها كل ما عداها من المعاني كما يقول فضيلة المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق:

فالسيد المطاع فيهم يدعى ربا .

والرجل المصلح للشيء يدعى ربا .

والمالك للشيء يدعى بالنسبة له كذلك ربا .

فربنا هو السيد الذي لا شبيه له ، وهو المصلح أمر خلقه بما أسبغه عليهم من نعمه ، وهو المالك الذي له الخلق والأمر .

ومن ثم لا تستعمل كلمة « الرب » بالألف واللام في غيره تعالى ، لأن معناها المالك المتصرف في كل ما عداه . ولا يقدر على ذلك إلا الله ، وأما « رب » بدون أل فتستعمل في غيره تعالى مقيدة بما تضاف إليه ، فتقول رب الدار ، أي مالكها ، ورب الأسرة ، أي القائم على رعايتها وسياستها .

وكلمة « قلب » تطلق القرآن على العقل ، وهو أداة التفكير والإدراك ، كما تطلق على هـذا الجهاز الإلهي الذي نعرفه وهو مناط الشعور والإحساس .

والهداية هي الدلالة على المقصود بخفاء ولطف ، وهي لا تكون بالعقل وحده .

فقد يخطىء العقل وتخطىء الحواس ، وإنما تكون الهداية ويكون الاتجاه إلى الخير والحق بالإحساس الراشد ينبعث من داخل النفس . وبالإلهام الخفي من الحكيم العليم ، وبالاعتصام بحبله ودينه مصداق قوله : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » . ولعل في هذا بعض ما يفسر دعاءنا في كل صلاة بقول الله : « إهدنا الصراط المستقيم » . لأن الهدى كما يقول الله « قل إن الهدى هدى الله » .

والزيغ هو الميل والانحراف عن طريق الحق ودين الله الذي ارتضاه .

وهذا الدعاء ورد في القرآن على ألسنة الراسخين في العلم ممن وفقهم الله إلى الانتفاع بعقولهم وقلوبهم ، وآمنوا بيوم الحساب ، يوم يكون الثواب والعقاب . فهم يسألونه ـ ونسأل الله معهم ـ أن لا يزيغ قلوبهم بعد أن هداهم وأن يهب لهم من عنده رحمة ـ وهي تفسر بما ينشأ عنها من النعم ـ لأنه دون غيره المنعم الكثير الهبات ذو الفضل العظيم .

وهم يؤمنون بيوم الحساب وهو يوم لا شك فيه ، لأن العـــدل الإلهي يقتضيه ، فلا يفلت مسيء من عقاب ، ولا يحرم محسن من ثواب ، ولأن الله وعد به عباده . وخلف الميعاد نقص يستحيل عليه سبحانه . وهذا الإيمان يعبرون عنه بهذا الدعاء : « ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد » .

عبد الرحيم فودة

مكتبة النقد الأدبى فى اللغة العربية
صحيفة بشر بن المعتمر

للدكتور أحمد أحمد بدوى

سوف ندرس تحت هـذا العنوان أهم الآثار التى كتبت باللغة العربيـة فى النقد الأدبى ، وأعنى بالنقد الأدبى كل ما يقوّم النصوص الأدبية ، ويبين أسباب جمالها ، ويدرس نواحى التأثير فيها ، فيشمل لذلك ما نسميه اليوم بعلوم البلاغة ، فهى فى حقيقة الأمر من صميم النقد الأدبى ، ومعيار من معاييره ، لأنها تبحث فى بعض وسائل التأثير فى النفس الإنسانية ، وتدرس بعض ألوان الجمال فى التعبير عن المعنى المراد ، ثم تجمّعت مسائلها بعضها حول بعض ، وأصبحت هذه المسائل تدعى بعلوم البلاغة ، وهى فى الواقع من فروع النقد الأدبى ، وأبحاثها من بين أبحاثه الأصلية .

ولهذا سأجعل الكتب التى تناولت فنونا من دراسات البلاغة من مكتبة النقد الأدبى ؛ لنتبيّن كيف كانت هذه الدراسات مبعثرة بين مسائل النقد ، وكيف تبلورت واستقلت .

وسوف أتبع فى عرض هذه المكتبة المنهج التاريخى ، منذ العصور الأولى إلى وقتنا الحاضر ؛ لنتبين تطور هذه الدراسات عبر الأزمان ، ونرى كيف أثر السابق فيمن جاء بعده ، وكيف استفاد الخالف من السلف ، فصححوا ، وفصلوا ، وزادوا ، وبوّبوا .

— ١ —

وإنا لنرى بذور النقد الأدبى منـذ العصر الجاهلى ، وإن لم يطلقوا عليهـا ذلك الاسم الاصطلاحى ، فقد نقل الرواة ملحوظات كان السامعون يبدونهـا على ما يلقى عليهم من الشعر ، وآراء يحكمون بها على الشعر والشعراء ؛ فهذا النابغة الذبيانى مثلا كانت تضرب له فى سوق عكاظ قبّـة حمراء من جلد ، وكان الشعراء يأتون إليـه ، فيعرضون عليه أشعارهم ، وحدث أن أنشده الأعشى مرة ، ثم أنشده حسّان بن ثابت ، ثم شعراء من بعـده ، ثم أنشدته الخنساء قصيدتها فى رثاء أخيها صخر ، التى منها :

وإنّ صخراً لتأتم الهداة به
كأنه علـم فى رأسه نار

فأعجب بالقصيدة ، وقال لها : لولا أن

أبا بصير - يعنى الأعشى - أنشدنى قبلك ، لقلت : إنك أشعر الجن والإنس[١]. وبذلك يكون النابغة قد حكم بأن الأعشى أشعر الذين أنشدوه ، ثم تليه الخنساء فى جودة الشعر .

كما روى أن عمرو بن الحارث الغسانى فضل حسان على النابغة ، وعلى علقمة بن عبدة، وكانا حاضرين معه ، وأثنى على لامية حسان التى فيها :

لله در عصابة نادمتهم
يوما بجلق فى الزمان الأول

ودعاها البتارة التى بترت المدائح[٢] .

كما كانوا يأخذون على النابغة الذبيانى الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى فى القصيدة ؛ وعابوا على الشاعر أن يصف الشئ بغير ما هو له ، إلى غير ذلك من ملحوظات تتعلق بالمعنى حينا ، وبالصياغة حينا آخر ، وكلها يهدى إليها ذوقهم المتمرس بالشعر ؛ فيجعل فى مكنتهم أن يدركوا جماله ، ويوازنوا بين قائليه .

ويأتى الإسلام ، فيتسع المجال للنقد الأدبى عندما يستمعون إلى القرآن ، فيتذوقون بلاغته المعجزة، ويوازنون بينه وبين ماعرفوه من فنون القول ؛ أو عندما يصغون إلى ما ينتجه شعراء الإسلام ، والشعراء المخالفون لهم ، ويفضلون إنتاجا على إنتاج .

ويتقدم الزمن ، ويغزر إنتاج الشعر ، وتتعدد مراكزه بين الحجاز والشام والعراق وتشب خصومات بين الشعراء ، ويوضع علم النحو ، ويتدخل النحاة فى تقويم الشعر ، كما يتدخل اللغويون فى هذا التقويم ، ويكون من ذلك كله نشاط النقد الأدبى تتعدد فيه الاتجاهات، وتكثر فيه الموازنات، وتعرض الأسباب لما يذكر من الآراء ، ويتناقل الرواة هذه الثروة النقدية جيلا عن جيل ، حتى أتى من أخذ هذا التراث فنظمه فى كتاب يعد أول مؤلف جمع تلك الآراء المبعثرة، فرتبها وألف بينها، وحفظها من أن تضيع مع السنين ذلك هو ابن سلام مؤلف كتاب « طبقات فحول الشعراء » .

كما تحتاج الدولة إلى الكتابة ، ويتعلم بعض أبنائها الخطابة ، ويضع رجال الأدب قواعد يجدر أن يتبعها الكتاب والخطباء . وبقى لنا من ذلك صحيفة لأحد رجال الكلام الذين كانوا يعنون بالجدل وبلاغة القول تؤثر فى السامعين ، فيميلون إلى حيث يريد رجل الكلام أن يقودهم ، وتلك هى : « صحيفة بشر بن المعتمر » .

---

[١] تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، لطه أحمد إبراهيم ص ١٢ .

[٢] المرجع السابق ص ١٤ . وجلق : دمشق .

— ٢ —

صحيفة بشر بن المعتمر (*):

وقبل الحديث عن كتاب ابن سلام أرى من الخير أن أعرض لصحيفة بشر بن المعتمر فقد تعرضت مع إيجازها لمسائل من النقد يحسن بيانها:

« ١ »

تعرضت الصحيفة أول ما تعرضت لوقت إنتاج العمل الأدبى. وأوصى بشر أن يكون ذلك عند الرغبة فى الإنتاج، فعلى الأديب أن ينتهز تلك الساعة، فإنها تنتج أبرك الثمرات يقول بشر:

« خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرمُ جوهرا، وأشرفُ حسباً، وأحسنُ فى الأسماع، وأحلى فى الصدور، وأسلمُ من فاحشِ الخطأ. وأجلب لكل عين وغرة(١) من لفظ شريف، ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومُك الأطولُ، بالكدّ والمطاولة(١) والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة. ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً(٢)، وخفيفا على اللسان سهلا، وكما خرجَ من ينبوعه، ونجم(٣) من معدنه».

والجملة الأخيرة تدل على إيمان بشر بأن الإنتاج إذا كان ناشئا عن رغبة فى الأديب جاء طبيعياً واضحاً لا التواء فيه ولا غموض.

أما إذا حمل الأديب على نفسه، وأكرهها على ما لا رغبة لها فيه، فهنا يسير الأديب فى طريق وعر، يدفعه إلى التعقيد الذى يذهب بالمعنى، ويضيع بهجة الألفاظ، وفى ذلك يقول:

« وإياك والتوعرَ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك ».

وكأن بشراً بذلك يعقد صلة نفسية بين الوضوح فى الانتاج والرغبة النفسية، وبين الغموض والتعقيد وحمل النفس على الانتاج قسرا. وهو رأى له صوابه.

ويتحدث بشر عن اللفظ والمعنى، فيقول « ومن أراغ(٤) معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف

---

* فقيه معتزلى مناظر، تنسب إليه الطائفة البشرية من المعتزلة، مات ببغداد سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥م) [من الاعلام للزركلى] والصحيفة فى الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين ص ١٠٤ (المطبعة التجارية الكبرى سنة ١٩٢٦ م).

(١) العين: خيار الشيء. والغرة: الشريف

(١) المطاولة: المغالبة.
(٢) قصد فى العمل: استقام.
(٣) نجم: ظهر.
(٤) أراغه: أراده.

ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما [1] وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما ، وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما » .

وهو بذلك يوصى أن يكون اللفظ مؤديا معناه فى وضوح ، وأن على الأديب أن يبحث عن اللفظ الموضح لفكرته ، حتى لا يفسد المعنى واللفظ معا ، وتضيع بذلك الثمرة المرجوة من الكلام ، وهو نقل الإحساس والشعور من الأديب إلى السامع أو القارئ ، فإذا لم يوح اللفظ بالمعنى المراد أصبح الأديب بعبارته المنقوصة أسوأ حالا منه قبل صياغة نصه الغامض الهجين ؛ لأنه يوقع السامع فى ظلام بهيم .

وسوف توضح الصحيفة ما يريده بشر بالشرف ، حين تتعرض لفكرة لا تزال تتعرض لشرحها إلى اليوم ، وهى فكرة الموهبة فى الأدب ، فالأديب فى عقيدتنا اليوم موهوب كما هو عند بشر ، غير أن هذه الهبة قد تكون واضحة تبدو لأول وهلة وقد تكون خفية يحتاج صاحبها إلى بحث وتنقيب . وبشر يضع اختبارا به يعرف الإنسان نفسه أموهوب هو فى الأدب أم غير موهوب ، إذ يقول :

« فكن فى ثلاث منازل ؛ فإن أولى الثلاث : أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا ، وقريبا معروفا ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت » .

« والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة . وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال » .

« وكذلك اللفظ العامى والخاصى ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلبك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك إلى أن تفهم العامة معانى الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام » .

هذا هو الاختبار الذى يختبر المرء مقدرته الأدبية ، فإذا استطاع أن يثبت فيه علم أنه البليغ التام ، وعلم أنه موهوب عليه أن يتابع خطاه .

أما الأديب التام فهو الذى تتحقق فى ألفاظه العذوبة والرشاقة والفخامة والسهولة ، وفى معناه الوضوح ، وأن يكون الكلام مناسبا لما يتطلبه المقام ، وموافقا لمن قيل لهم ، فتختار ألفاظه من القاموس الذى تحيط به

(١) هجن الأمر : قبحه

الطبقة المثقفة إذا كان الكلام قد أنشئ لها ، وتنتقى كلماته سهلة قريبة التناول إذا كان للعامة قد صيغ .

وهذه لفتة طيبة لبشر بن المعتمر ، عندما أدخل فى حسابه الأدب يكتب لطبقة العوام ، ولكنه مع ذلك لا يريد أن ينزل بالأدب ، بل يريد أن يرتفع بمستوى العوام ، فيعد من مقدرة الأديب أن يتلطف حتى يفهم العامة معانى الخاصة ، ويصوغ ذلك فى أسلوب لا تنبو عنه أذواق الخاصة من المثقفين ، وهو بذلك يحفظ للأدب سموه عن أن يكون عبارة مبتذلة .

ولعل بشرا أراد برشاقة اللفظ وعذوبته أن يكون متخير الحروف ، وبفخامته ألا يكون سوقيا ، وبسهولته ألا يكون هناك تنافر بين حروفه .

وإذا كان بشر يرى استعمال اللفظ العامى فى موضعه ، كاللفظ الخاصى فى مكانه ، كلاهما قد وضع حيث ينبغى أن يوضع ، وهو بذلك يستجيب لحاجات الجماهير الشعبية ، فى أن يكون لها أدب تستطيع أن تفهمه فإنه يفضل الارتقاء بالأسلوب كما ذكرنا ، وذكره للجلال بين صفات اللفظ يدلنا على أنه لا يقبل بحال أن تكون العبارة سوقية مبتذلة .

وشرح بشر ما يريده بالمعنى الشريف ، وأنه لا يقصد أن يكون من معانى الخاصة ؛ فإن المعنى لا يتضع بأن يكون من معانى العامة ، ولكن المعنى الشريف هو المصيب النافع . وإذا كان من السهل إدراك ما يراد بالإصابة فى المعنى ، بأن تكون الحقائق التى فيه يقرها الواقع والتاريخ ، فإن إحراز المنفعة الذى وصف به المعنى يحتاج إلى تريث فى فهم معناه ؛ فهل يعد بشر تلك المعانى التى لا تعود بفائدة على قرائها - غير شريفة ؟ وما معنى الفائدة التى ينبغى أن تؤخذ من الأدب حتى نعد المعنى شريفا ؟ أو أن المنفعة تحرز إذا أدرك المعنى الصواب ؟ فيكون معنى الشرف حينئذ صواب المعنى ، فإذا أخطأ الأديب فى المعنى الذى يريده ، فقلب الحقائق مثلا ، أو وصف الشئ بما ليس من صفاته ، لم يكن المعنى إذاً شريفا .

يعرف الأديب المطبوع نفسه بسرعة استجابة المعانى له والألفاظ ، وهناك صنف آخر من الأدباء لا يستجيب لهم القول فى أول وهلة ، ولا ينقاد لهم الكلام عند تطلبه ، ولكن لهم مع ذلك موهبة الأدب ، فهؤلاء عليهم أن يعاودوا المحاولة ، فإن استجاب القلم لهم أدركوا أن هناك هبة وطبعا . يقول بشر :

« فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ، ولا تسمح لك عند أول نظرك ، وفى أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع

موقعها ، ولم تصل إلى قرارها ، وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل فى مركزها وفى نصابها ، ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن ، والنزول فى غير أوطانها ، فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور ، لم يعبك بترك ذلك أحد ؛ فإن أنت تكلفتهما ، ولم تكن حاذقاً مطبوعا ، ولا محكما لسانك ، بصيرا بما عليك ومالك ، عابك من أنت أقل عيبا منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك ؛ فإن ابتليت بأن تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة ، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة ، فلا تعجل ، ولا تضجر ، ودعه بياض يومك وسواد ليلك ، وعاوده عند نشاطك ، وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة ولا المؤاناة [1] ، إن كانت هناك طبيعة . أو جريت فى الصناعة على عرق » .

وهنا يلح بشر على نقطة واحدة ، تلك أن يكون للكلمة عمل تؤديه كاملا فى الجملة ، بأن تؤدى نصيبها فى المعنى المراد ؛ فإذا لم تقم بهذا الأداء كانت قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها . وذلك العيب ينبعث من أمور كثيرة فصلها النقاد بعد ذلك ؛ فالكلمة لا تقع موقعها إذا لم تفد معنى جديدا ، ولا تصل إلى قرارها إذا لم تكن دقيقة ، ولا تنال حقها من أماكنها المقسومة إذا لم يتبع فى ترتيبها ترتيب المعنى فى نفس قائلها ، ولا تحل القافية فى مركزها وفى نصابها إذا لم تفد معنى ، وإنما جىء بها لإكمال الوزن فحسب ، ولا تتصل القافية بشكلها إذا اضطر الشاعر من أجل القافية إلى أن يأتى بها سهلة فى بيت قد اختيرت كلماته قوية جزلة ، أو جزلة بين ألفاظ سهلة ، أو غريبة بين كلمات قريبة مألوفة . وتكون قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها إذا أفسدت معنى البيت أو أضرت به .

تلك عيوب الصياغة يقع فيها من يحتاج إلى دربة طويلة ، ومعاودة نظر فيما كتب ، ولكنه يصلح ما أفسد إذا عاود النظر ، ورجع إلى ما كتب فاستطاع أن يهذب ويقوم ، ويكون ذلك دليلا على أن لديه موهبة الأدب ، فله أن يستمر فى عمله أديبا منتجا .

أما هذا الذى يعاود الكرة ، مرة بعد مرة ، من غير أن يستجيب قلبه لما يريد فذلك دليل على أنه غير موهوب ، وأن عليه أن يبحث عن عمل آخر غير الأدب ، يقول بشر : « فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول إهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛

[1] المؤاناة الموافقة .

فإنك لم تشتهه ، ولم تنازع إليه ، إلا وبينكما نسب ، والشيء لا يحن إلا إلى ما يشاكله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات ؛ لأن النفوس تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والمحبة ؛ فهذا هذا ».

فبشر يرى الأديب أحد رجلين : أديب ينقاد له القول في سهولة ويسر ، وآخر يحتاج في إنتاجه إلى معاودة ما يعالجه ، حتى يستقيم له ما يريد . وكلا الرجلين موهوب مطبوع .

ويعود بشر بعد ذلك إلى الحديث عن المعاني ، وما ينبغي أن يؤخذ منها وما يترك ، فيقول : « ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدارَ المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .

وتفسير ذلك أن المعنى الذي يريد الأديب أن يتحدث عنه له عناصر شتى ونواح كثيرة فينبغي للأديب أن يعرف هذه العناصر والنواحي ، وأن يبذل جهده في الكشف عنها ، ثم يعرف قيمة كل عنصر وناحية ، فمنها ما هو من صميم الموضوع يجب عليه أن يتناوله بالعرض والدراسة والتحليل ، ومنها ما هو عرضي ، ليس في صلب الموضوع ، فيتناوله برفق ، بحيث لا يطغى على ما هو أصيل .

وعليه أن يعرف أحوال من يستمعون إليه أهم من العامة أم من الخاصة ، أمن الموافقين أم من المخالفين ، أمن يتأثرون بالدين ، أم بمن يتأثرون بالدنيا ، أمن الشديدي اللدد أم بمن يسهل قيادهم ، إلى غير ذلك من أحوال المخاطبين .

وعليه أن يعرف إلى جانب ذلك الحال التي ينشيء لها خطبته ، والمقام الذي يتكلم فيه فإنه إذا عرف أحوال المخاطبين من ناحية ، وعرف المقام الذي من أجله وقف ليخطب ثم كان ملما بعناصر الموضوع ، ممسكا بأطرافه استطاع أن يعرف أي العناصر تصلح لهؤلاء المستمعين فخدثهم بها ، وأيها ينبغي أن يعرض عنه فلا يذكر ، وأن يدرك ما يناسب المقام من أفكار تقال وأخرى تطوى ، فكثيراً ما يكون في عناصر الموضوع ما يرتفع عن مستوى السامعين ، فيكون ذكره عبثا ، وقد يكون فيها ما يضعف من المقام ، فلا تبلغ الخطبة غايتها المرسومة .

ولما كان الخطيب مرتبطا بالجمهور ، ويقاس نجاحه وإخفاقه بمقدار تأثيره في هذا الجمهور ، كان لا بد من أن يدخل الجمهور في حساب الخطيب ، وأن يدخل المقام في هذا الحساب أيضا ، وأن يوازن الخطيب بين أفكاره وأن يختار منها ما يصلح للجمهور ، وما يناسب المقام .

(ب) لقد مر بشر ومعه هذه الصحيفة بإبراهيم بن جبلة الخطيب ، وهو يعلم الفتيان الخطابة ؛ فدفعها إليهم ، وأعجب المدرس بما فيها ، ورأى نفسه محتاجا إليها أكثر من احتياج تلاميذه ، ولكن يظهر أن بشرا لم يكن قد أعد هذه الصحيفة متضمنة تعاليم الخطابة فحسب ، ففيها مايتصل بفنون القول : شعره ، وكتابته ، وخطابته ، فالجزء الأخير من هذه الصحيفة ، وهو الجزء الذى يطلب فيه بشر أن يوازن المتكلم بين أقدار المعانى ، وأقدار السامعين ، وما يتطلبه المقام يرتبط ارتباطا وثيقا بالخطابة ، وإن صح أن يعنى به الكاتب والشاعر ، إذا تخيلا جمهوراً يكتبان له ولكنهما فى كثير من الأحيان يتجهان إلى المعنى يريدان أن يبلغا فيه أقصى ما يستطيعان وأن يلما بكل ما يجول فى نفسيهما من خواطر وإحساسات ، لأن الجمهور لا يواجههما ؛ فيضطران إلى إدخاله فى الحساب .

أما باقى الصحيفة فمتصل أوثق اتصال بالكتابة والشعر ؛ لأن فيه الوصية بانتهاز الفرصة للإنتاج ، وذلك إنما يكون فى غير الخطابة التى يحدد وقت إلقائها المقام والجمهور إذا كانت مرتجلة ، أما إذا كانت تعد وتكتب فلها حينئذ حكم الرسالة والقصيدة .

ومتصل بالشعر أيضا عندما حدثنا عن القافية القلقة فى مكانها ، والنافرة من موضعها .

(ج) ويمكن أن نلخص المبادىء التى تضمنتها الصحيفة فيما يلى :

أولا : وصيتها الصالحة باختيار وقت الرغبة فى الإنتاج ؛ ليخرج النص الأدبى واضحا رائعا .

ثانيا : عنى بشر أول ما عنى بالنهى عن التوعر لأنه يؤدى إلى التعقيد الذى ذمه بشر ، وأبغضه .

ثالثا : شرط للأدب الرفيع أن يتصف بصفات . وأن يخلص من أخرى .

فيجب أن يتصف اللفظ بالرشاقة والعذوبة ، والفخامة والسهولة ، وأن يكون المعنى ظاهرا مكشوفا .

وأن يخلو من أن تكون الكلمة غير مؤدية نصيبها فى المعنى ، وغير دقيقة ، وغير واقعة فى مكانها من الجملة ، ومن أن تكون القافية غير مكملة معنى البيت الذى وضعت فيه ، أو من طبيعة غير طبيعة أخواتها ، أو مضعفة لمعنى بيتها ، أو لا قيمة لها فى هذا البيت .

رابعا : وضع أساسا عنى به النقاد من بعده عناية كبرى ، وهو مراعاة أقدار المستمعين وأقدار الحالات ، فقد تطور ذلك إلى تعريف البلاغة بأنها « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ، وشرحوا ذلك « بأن مقامات الكلام متفاوتة ؛ فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ... ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين

مقام الحذف ... وكذا خطاب الذكى يباين خطاب الغبى [1] » .

ولكننى أرى أساس بشر أوسع من هذا الإطار الذى وضعه البلاغيون ؛ لأنه يتناول ذلك ويتناول ما ينبغى أن يعرض من العناصر ، وما ينبغى أن يترك .

[١] الإيضاح للقزوينى : ٢٦ للطبعة المحمودية التجارية سنة ١٩٣٥ م .

خامسا : أكدت أن الأدب هبة وطبع ، وأن النص الأدبى قد يطيع الأدب الموهوب فى سهولة ويسر ، وقد يحتاج منه إلى معاودة عند النشاط وفراغ البال .

وسوف نرى أثر هذه الأفكار فيمن جاء بعده من الناقدين .

الدكتور أحمد أحمد بدوى
وكيل كلية دار العلوم

(بقية المنشور على صفحة ٨٢٦)

مسلمون ، فإن لهم الحق فى تعلم لغة دينهم » .

وقد فرضت اللغة العربية فعلا على جميع الطلبة فى مدارس غينيا الابتدائية والثانوية من أول هذا العام الدراسى .

٨ — وهناك صيحة من بلاد أخرى بعيدة تؤيد رأينا وتزكيه ، وهذه الصيحة نادى بها مسيحى شرقى يقيم فى أمريكا .

فنحن نعرف جميعا كيف تسيطر الصهيونية على مشاعر الناس والحكام فى أمريكا . وفى مقاومة هذه الآفة وتصحيح الوضع بالنسبة للعرب ، وللحق والعدل والسلام أيضا ، يرى السيد جيمس عنصرة ، الرئيس التنفيذى للمغتربين العرب ، أن مما يجب عمله لإحباط ذلك وتوثيق الروابط بين المهاجرين العرب وأوطانهم ، اختيار أساتذة وإرسالهم لنشر الدعوة الدينية وتفقيه المسلمين فى أمور دينهم ، والمسلمون فى أمريكا الشمالية ثلاثون ألفا من بين نصف مليون عربى مغترب ، ثم يقول السيد جيمس إن الدعوة الدينية لها فعلها وأثرها فى النفوس .

هذا ما يقوله عربى مسيحى . عن أمريكا ومن فيها من المغتربين العرب المسلمين . فكيف بإفريقيا وشعوبها المبتدئة فى سلم الثقافة والمعرفة . . ؟

وقد صدق الدكتور عبد الرحمن بدوى ، وأحسن ، حين قال فى حديث له بإذاعة القاهرة : « إن حدود انتشار اللغة العربية فى إفريقيا هى حدود انتشار الإسلام ، فمن العسير ، بل يكاد يكون من المستحيل ، الفصل أو الحجز بين الإسلام واللغة العربية » .

٩ — هذه الأوضاع والحقائق والآمال ، هى التى ترسم لنا السبيل وتضيء الطريق ونحن نتطلع إلى مستقبل الإسلام والعربية فى إفريقيا الجديدة .

محمود الشرقاوى

جريمة الزنا هل تحرم المصاهرة ؟

للأستاذ محمد سعاد جلال

١ — المذاهب :

مذهب أبى حنيفة والإمام أحمد بن حنبل وقول ابن القاسم من المالكية أن من زنا بامرأة حرمت عليه أمها وبنتها ، وتصير أصولها وفروعها فى التحريم عليه كأصوله وفروعه وكذلك العكس ، شأنها فى ذلك شأن الموطوءة بنكاح صحيح .

ومذهب الشافعى وأبى ثور وقول عبدالملك ابن الماجشون من المالكية وكذلك رأى ابن حزم - إلا فى موضع واحد سنذكره - أن الزنا لا يحرم شيئا وأن من زنا بامرأة فلا تحرم عليه ولا يحرم عليها أصولا وفروعا.

قال فى المبسوط (إذا وطىء الرجل امرأة بملك يمين أو نكاح أو فجور تحرم عليه أمها وبنتها وتحرم هى على آبائه وأبنائه) (١) .

وقال الشافعى فى الأم (فأما الزنا فلا حكم للزنا يحرم حلالا . فلو زنا رجل بامرأة لم تحرم عليه ولا على ابنه ولا على أبيه ، وكذلك لو زنا بأم امرأته أو بنت امرأته لم تحرم عليه امرأته . وكذلك لو كانت تحته امرأة فزنا بأختها لم يجتنب امرأته ولم يكن جامعا بين الأختين) (١) .

وقال ابن حزم فى المحلى : (ولا يحرم وطء حرام نكاحا حلالا إلا موضع واحد وهو أن يزنى بامرأة فلا يحل نكاحها لأحد ممن تناسل منه أبدا وأما لو زنا الابن بها ثم تابت لم يحرم بذلك نكاحها على أبيه وجده. ومن زنا بامرأة لم يحرم عليه إذا تاب أن يتزوج أمها أو بنتها، والنكاح الفاسد والزنا فى هذا كله سواء) (٢) .

وبمقارنة هذا النص بنص الأم السابق تتبين مخالفة ابن حزم للشافعى فى الموضع الواحد الذى ذكره . وهو حرمة مزنية الأب على فرعه . بل يخالفه فى التسوية بين الزنا والنكاح الفاسد .

قال الشافعى فى الأم : (وإن كانت الإصابة بنكاح فاسد احتمل أن يحرم من قبل أنه يثبت فيه النسب ، ويؤخذ فيه المهر ، ويدرأ فيه الحد ، وتكون فيه العدة ، وهذا حكم

---

(١) المبسوط جـ ٤ ص ٢٠٤ .

(١) الأم جـ ٥ ص ٣٢ .

(٢) المحلى جـ ٩ ص ٣٢ .

الحلال . وأحب إلى أن يحرم من غير أن يكون واضحا . فلو نكح رجل امرأة نكاحا فاسدا فأصابها لم يحل له عندى أن ينكح أمها ولا ابنتها ولا ينكحها أبوه ولا ابنه . وإن لم يصب الناكح نكاحا فاسدا لم يحرم عليه النكاح الفاسد بلا إصابة فيه شيئا من قبل أن حكمه لا يكون فيه صداق ولا يلحق فيه طلاق ولا شىء مما بين الزوجين) (١) .

وقال القرطبى (ومن زنا بامرأة ثم أراد نكاح أمها أو بنتها لم تحرما عليه بذلك) وقالت طائفة تحرم عليه . روى هذا القول عن عمران بن حصين . وبه قال الشعبى وعطاء والحسن وسفيان الثورى وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأى . وروى عن مالك أن الزنا يحرم الأم والإبنة وأنه بمنزلة الحلال . وهو قول أهل العراق . والصحيح من قول مالك وأهل الحجاز . أن الزنا لا حكم له . لأن الله سبحانه وتعالى قال (وأمهات نسائكم) وليس التى زنا بها من أمهات نسائه . ولا ابنتها من ربائبه . وهو قول الشافعى وابى ثور (٢) .

وقال ابن قدامة المقدس الحنبلى فى الشرح الكبير على متن المقنع : (ويحرم على الرجل نكاح ابنته من الزنا وأخته وبنت ابنه وبنت بنته وبنت أخيه وأخته من الزنا . فى قول عامة الفقهاء) (١) .

وقال فى المغنى : (إذا زنا بامرأة حرمت على أبيه وابنه وحرمت عليه أمها وبنتها كما لو وطئها بشبهة أو حلالا . ولو وطء أم امرأته أو ابنتها حرمت عليه امرأته (٢)) .

هذه خلاصة المذاهب الإسلامية فى المسألة. وإليك الاستدلال على كل مذهب .

٢ — الأدلة :

(ا) استدل الشافعى ومن وافقه على مذهبهم بالأدلة الآتية : —

أولا : بما روى عن ابن عباس أنه سئل النبى صلى الله عليه وسلم عمن غشى امرأة . هل تحل له بنت امرأته . فقال لا يحرم الحرام الحلال .

وبما روى عن عائشة رضى الله عنها . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . سئل عمن اتبع امرأة حراما . أينكح أمها أو ابنتها فقال . لا يحرم الحرام . وإنما يحرم ما كان نكاحا حلالا .

وطعن فى سند هذا الحديث بوجود عثمان بن عبد الرحمن الوقاص ، وصفه يحيى ابن معين بالكذب .

وقال البخارى والنسائى وأبو داود ليس

---

(١) الأم جـ ٥ ص ٢٢ .
(٢) القرطبى جـ ٥ ص ١١٥ .

(١) الشرح الكبير جـ ٧ ص ٤٧٣ .
(٢) المغنى جـ ٧ ص ٤٨٢ .

بشيء ، وذكره عبد الحق عن ابن عمر . ثم قال فى إسناده إسحق بن فروة . وهو متروك الحديث . وحديث عائشة ضعف بأنه من كلام بعض قضاة العراق ، قاله الإمام أحمد ، وقيل من كلام ابن عباس .

ثانيا : استدلوا بقولهم أن وطء الزنا لا يترتب عليه حرمة المصاهرة . لأنها نعمة وكرامة . فلا تنال بالسبب المحظور وهو الزنا .

أما أن حرمة المصاهرة نعمة وكرامة . فلأن أصل ثبوت مطلق التحريم كرامة للإنسان . وارتفاع بقدره عن رتبة الحيوان . وكونها نعمة . فلأنها تلحق الأجنبيات بالمحارم . فيحل له النظر إليهن . والخلوة معهن والسفر بهن . وتلك من غير شك نعمة .

أما أن هذه النعمة والكرامة لا تنال بالسبب المحظور . فلما ثبت من وجوب المناسبة بين الحكم وسببه . فكما لا يقال . أكرم الجاهل وأعز العالم . لانتفاء المناسبة . فكذلك لا يصح أن يجعل الزنا سببا لتلك النعمة والكرامة لانتفاء المناسبة بينهما . ولذا قال الشافعى : « النكاح أمر حمدت عليه . والزنا فعل رجمت عليه فلا يستويان » .

ثالثا : قوله صلى الله عليه وسلم « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . فالولد الذى تثبت له الأحكام الشرعية من ثبوت النسب والنفقة والإرث والوصية هو من كان من نكاح شرعى . أما من كان من الزنا . فلا تثبت له هذه الأحكام . وإذن فلا يكون للبنت من الزنا . حكم حرمة المصاهرة قياسا على انتفاء سائر أحكام النسب فى جانبها .

(ب) واستدل الحنفية ومن وافقهم من الحنابلة وبعض المالكية بالأدلة الآتية :

أولا : بالكتاب . قال تعالى «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» . فإن المراد بالنكاح الوطء لأنه حقيقة فيه . وتقييده بكونه حلالا قدر زائد على النص . لا يثبت بخبر الواحد ولا بالقياس .

والدليل عليه . أن موطوءة الأب بملك يمين حرام على ابنه . فهذا إثبات أن المراد بالنكاح محض الوطء .

ثانيا : بالسنة . وذلك بما رواه ابن حزم عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن أم الحكم أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امرأة كان زنى بها فى الجاهلية . أينكح الآن ابنتها . فقال عليه السلام : (لا أرى ذلك ، ولا يصلح لك أن تنكح امرأة تضطلع من ابنتها على ما اطلعت عليه منها) وفيه ابن أم الحكم .

وبقوله صلى الله عليه وسلم . من نظر إلى فرج امرأة لم يحل له أمها ولا بنتها . وفيه الحجاج بن أرطأة .

قال ابن حزم وابن أم الحكم مجهول والحجاج بن ارطأة هالك - وكلاهما مرسل. ولا حجة فى مرسل [1] .

وقال الكمال عن الحديثين . كلاهما مرسل ومنقطع . إلا أن هذا لا يقدح عندنا إذا كان الرجال ثقاة [2] .

ثالثا : بالمنقول من مذاهب الصحابة - رضوان الله عليهم - فقدى روى مذهب التحريم عن ابن مسعود وأبى بن كعب وعمران بن حسين وابن عباس بألفاظ مختلفة - ورأى الصحابى وإن لم يعتبر حجة عند الحنفية إلا أنه يقوى الرأى المطروح للنظر ويرجحه .

رابعا : قال ابن القيم فى زاد المعاد : (أجمعت الأمة على تحريم أمه عليه ، وخلقه من مائها . وماء الزانى خلق واحد . وإثمهما فيه سواء . وكونه بعضا له مثل كونه بعضا لها) .

قلت : يعنى فحيث امتنع بالإجماع تحريم ابن الزنا على أمه يمتنع تحريم بنت الزانى عليه لأن النسبة بين الزانية وابنها كالنسبة بين الزانى وبنته سواء بسواء .

* * *

٣ - النتيجة :

هذا عرض للمذاهب الإسلامية فى هذه المسألة وملخصها : أن الحنفية والحنابلة يتخذون موقفا واحداً فى القول بتحريم الحياة الزوجية ابتداء واستمراراً بسبب المخالطة الجنسية غير المشروعة وأن المالكية على بعض الخلاف بينهم والشافعية ثم الظاهرية الذين يمثلهم ابن حزم - باستثناء مسألة واحدة يذهبون إلى عكس ذلك . ولا يرون للمخالطة غير المشروعة تأثيراً على الحياة الزوجية .

والذى يترجح عندى الأخذ بمذهب القائلين بالتحريم تورعا وذهابا مع المحقق الكمال رضى الله عنه فى أن حكم الحرمة (هو الجارى على المعهود من الاحتياط فى أمر الفروج) . ولأن الأخذ بهذا الرأى يقف حائلا فى وجه مظاهر الاختلاط الشائنة فى الأوساط العائلية وغيرها حيث يحتمل أن يلتقى النساء بالرجال فى جو واحد . ويكون العمل به ، من قبيل سد الذريعة إلى ما هو محرم وضار ومخرب لكيان الأسرة والمجتمع .

٤ - تعليل محتمل :

نلاحظ أن الخلاف فى هذه المسألة وجد قديما بين الصحابة ثم التابعين ثم ظهر فى المذاهب الفقهية بعد ذلك . وتسنح لنا من وراء هذه الملاحظة خاطرة ، وهى أن هذه المسألة تصلح أن تكون مثالا على تأثر الآراء الفقهية بالبيئة الإقليمية التى نشأت فيها . فنجد أهـل العراق على القول بالتحريم

(١) المحلى لابن حزم ج ٩ ص ٥٣٠ .
(٢) راجع الفتح ج ٢ ص ٢٦٦ .

واعتبار البنت من الزنا كالبنت من الحلال فى ذلك ، وهو ملحظ لا يخلو من اعتبار ، وأن أهل الحجاز يرون عكس ذلك ، وأن الزنا لا يحرم شيئا وأن المخلوقة من ماء الزنا مهدرة الحكم إهدارا ، كما أنه لم يوجد نقل قاطع فى هذه المسألة عن النبي صلى الله عليه وسلم . فما نقل من الحديث فيها غير صحيح ، منقطع ومرسل ومكذب بعض رواته ، كما صرح بذلك النقدة ، ثم صار مدار الترجيح فيها إلى أقيسة الفقهاء وآثار الصحابة - رضوان الله عليهم - فقد نلمح من هذا أن بيئة العراق لما كانت بيئة مدنية متحضرة يشيع فيها عمل النزعات الفلسفية المتحررة والآراء الاجتماعية المرنة . حيث لا ينظر فى أمثال هذه البيئات للبنت غير الشرعية نظرة شديدة النفرة والقساوة - بعكس الحال فى البيئات البدوية ذات الطابع الصارم ، وتناول مسائل الحياة بأسلوب يغلب عليه العنف والحزم - وأن بيئة الحجاز لما كانت بيئة بدوية صارمة على النحو الذى وصفنا وكانوا ينظرون لفعلة الزنا بعنف واشمئزاز ويبتون المخلوقة من ماء الزنا بتا - نقول لما كان الأمر - فى اختلاف البيئتين من حيث الاعتبارات الاجتماعية والنزعات الفلسفية - على ماذكرنا ، فقد صدر كل من القولين قول أهل العراق وقول أهل المدينة والحجاز مصبوغا بلون البيئة التى نشأ فيها ، ثم قننته عبارات الفقهاء وأيدته أدلتهم بعد ذلك ، وهو أمر ملحوظ دائما فى التفاعل التشريعى بين البيئة والعمل القانونى .

محمد حماد هلال

القلق الروحى هو أخص خصائص الإنسان الراقى ، لا تجده فى البدائيين ولا فى المستعبدين ولا فى المتبطلين ولا فى الذين يعيشون يوما بيوم ولا ساعة بساعة . لا تجده فى الموظف الذى قنع بوظيفته فلا يطمح ، ولا فى المتعلم الذى اكتفى بشهادته فلا يبحث . ولا فى المسكين الذى رضى بمهانته فلا يغامر . من « وحى الرسالة » .

مهرجان الشعر في دمشق

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

في الساعة السادسة من مساء اليوم الثالث والعشرين من سبتمبر بدأ المهرجان على مسرح معرض دمشق بكلمة بليغة للدكتور أمجد الطرابلسي أبان فيها أن الشعر الجديد بهذا الاسم هو ما عبر به صاحبه عن تجاربه ومشاعره تعبيراً قويا صادقا مؤثرا ، ومن ثم فلا ينبغي أن يقال هذا شعر قديم ، وهذا شعر جديد إلا حين يراد التاريخ الزمني فحسب ، لأن الشعر في جوهره خالد أبداً ، متجدد على الدوام . وكان ذلك رداً بليغاً على أصحاب الشعر الجديد الذين يزعمون أن شعرهم يتصف وحده بالتجديد والتطور ، على حين يتهم غيره بالتقليد والجمود ! ...

وأعقبت هذه الكلمة كلمة أستاذنا العقاد التي أوضح فيها أن الشعر يتجدد من سنة إلى سنة ، ولكن كما يتجدد الربيع عاما بعد عام وأن الشعر إذا تغير ، فإنما يتغير على سنة الحياة ، لأنه هو التعبير عن الحياة ، ويتغير على سنة الربيع المتجدد ، وهو على تجدده الذي لا ينقضي ، أعرق من التاريخ . وفي هذه الكلمة تحدث العقاد عن ذلك الحنين القوى الذي ظهر في الشعر العالمي إلى مراجعة الوزن ، وإيثار الكلم المنظوم على الكلم المرسل بغير وزن ولا قافية . ثم استشهد على ضرورة القافية بما ورد في الطبعة الأخيرة من الموسوعة البريطانية الكبرى ...

تقول الموسوعة في فصل كتب عن القافية « إن قوانين القافية قد تصعب أحيانا كغيرها من القيود الفنية ، ولكنه ما من دليل قط على أن الجمال المطبوع الذي تجلبه القافية إلى الشعر يفقد أثره على الأذن الإنسانية ، أو يتعرض لخطر من الأخطار ممن يحاول أن يستبدل به النبرات أو النغمات أو مجرد الإيقاع ...

وهكذا حسم الأمر فيما يدعيه أصحاب الشعر الجديد .

وتلت ذلك كلمة الأستاذ شفيق جبرى التي تحدث فيها عن البحترى بمناسبة ذكراه حديثا لا مجال للكلام عنه الآن ، لأنني سأفرد مقالا خاصا أتحدث فيه عن الأبحاث التي ألقيت في المهرجان عن شاعرنا البحترى ، من كبار الكتاب ، وأساتذة الأدب .

وتتابعت القصائد فى هذا اليوم وفى سائر الأيام . وسنتحدث عنها فى هذا المقال حديثا عاما مجملا ، لأن دراستها دراسة تفصيلية تحتاج إلى عدة مقالات ، إن لم نقل إنها تحتاج إلى كتاب .

وأول ما نلحظه فى هـذه القصائد جاءت كلها منظومة على النحو المألوف فى الشعر العربى قديمه وحديثه ، ولم يكن بينها قصيدة من طراز الشعر الجديد ، وقد اتسم الكثير منها برصانة التعبير ، وجدة التفكير ، وجمال التصور .

وكان أغلب شعر المهرجان يدور حول المعانى التى تتصل بواقعنا المشهود ، ومستقبلنا المرتقب ، وتنزع إلى حضارتنا التليدة ، ومجدنا القديم . ولا عجب فى ذلك . فإن الأحداث التى عاصرناها ، والمبادىء التى تبنيناها ، والمجتمع الذى نبنيه على أسس تحقق مجد العروبة ، وكرامة الإنسان ... كل أولئك كان له صدى بعيد وتأثير عميق فى نفوس الشعراء ، فتفجر شعرهم قوى التعبير ، بليغ التأثير ، واضح الغاية . وكم كنت أتمنى أن يشهد هذا المهرجان من يزعمون أن الشعر قد مات بعد شوقى وحافظ ؛ لأنهم يتلفتون فى المناسبات القومية ، فلا يجدون الشعراء الذين يقولون ولا يسمعون الشعر الذى يقال . كم كنت أتمنى أن يشهدوا هـذا المهرجان ليعلموا أن الشعر بخـير ، وأن الشعراء موجودون . ولكن أين المنابر التى من فوقها ينشدون ؟ وأين وسائل النشر التى تنشر لهم ما يريدون ؟ ...

والذين يثيرون الغبار حول المهرجان إنما يفعلون ذلك لأن القائمين على مهرجان الشعر لم يعترفوا بشعرهم فيسمحوا لهم بإنشاده فأحنقهم ذلك وأثار غيظهم ، كما أحنقهم وأثار غيظهم أيضا ما ظفر به الشعر المنظوم فى هذا المهرجان من إقبال الجماهير ، وتقدير الصحافة . ولأنى أريد أن أكون صادقا مع نفسى ومع الناس صريحا فى مقالى وموضوعيا أيضا . أذكر أن بعض القصائد التى ألقيت فى المهرجان كانت دون المستوى الفنى اللائق به ، وقد كان من الأولى استبعادها ، ولا ينبغى أن يجامل بعض الأشخاص أو بعض الأقطار على حساب الشعر ، وقد علمت أن بعض الشعر قد ألقى فى المهرجان دون أن يعرض على المختصين !! ...

والآن لنستعرض معاً أيها القارىء بعض ما أنشد من الشعر فى هذا المهرجان .

لقد أقيم المهرجان فى دمشق الفيحاء ، فكان من الملائم أن يتغنى الشعر بجمالها الرائع . ومجدها الخالد ، وحضارتها الزاهية ...

هذا راى ذو القلب الفتى الشاب يصور

شوقه وحنينه إلى دمشق وأهلها فيقول ،
وما أجمل ما يقول :

طال شوقى إلى ربا قاسيون
وهفا بى إليه فرط حنينى
غبت عنكم حولا ، وما غاب عنى
ما شجا خاطرى ، وشاق عيونى
من حديث أندى من الزهر فى الفجـ
ـر إذا رف تحت ظل الغصون
وصفاء يشف عن كرم النفـ
ـس ، وينبى عن الإخاء المتين
ووفاء تمضى الليالى ، وتبقى
صورة منه فى إطار السنين

ثم يصف جمالها ، ويتحدث عما فيها من الفتون ، حديث المتيم المفتون فيقول :

ما أحيلاك يا دمشق ! وأبهى
كل ما فيك من ضروب الفتون
جنة تبهر العيون ، وواد
ضاحك الظل ، هادر بالعيون
زينت جيدها عقود من الغد
ران سالت باللؤلؤ المكنون
كلها عذبة الخرير على حسـ
ـن اختلاف فى غنة ورنين

وهذا صالح جودت شاعر الرقة ، يناجى « بردى » مناجاة المحب الوامق ، فيقول :

فديتك يا « بردى » ما جريت
تغنيت بالحب إذ تهـــدر
تحب عيونك سحر العيون
وتحسد رونقك الأنهـــر
على درجاتك طال الربيع
وطاب بك الصحب والمعشر

ثم يلتفت إلى دمشق ، فيخاطبها بهذه الأبيات :

أجل .. ذاك موسمنا يا دمشق
وفيه خريخفك يخضوضر
وأنت إذا لم تكونى الجنان
فإنك من روحها عبقر
مشينا إليك مع المهرجان
خطى المؤمنين إذا كبروا

ويختم قصيدته بأبيات يحيى فيها ثوارنا الأحرار ، ويشيد بالمبادىء التى آمنوا بها فى مجال الحياة ، فيقول :

رعى الله من قومنا فتية
مشوا للجهاد فما قصروا
أقاموا الحياة اشتراكية
يعز بها الكادح المعسر
وسنوا شريعتهم فى الحياة
وقالوا هو الحلف والمحور
وما أمنوا للألى أيمنـــوا
ولا آمنوا بالألى أيسروا
ولكن تلاقوا على وحـــدة
ينادى بها الثائر الأسمر

والشاعر كامل أمين الذى اشترك فى معركة

فلسطين ، ونقل جريحا إلى دمشق يتحدث عن هذه الذكريات حديثا يمتزج فيه الألم بالاعتزاز فيقول :

كبرت لله لما عدت ثانية
أقبل الأرض تحى قبلة الظامى
هذى مساحب قلبى بعد عودته
من المهاجر يندى جرحه الدامى
فلول جيش وأعلام ممزقة
كصعدة الرمح ، أو أشلاء ضرغام
وحفنة من بقايا كل صاعقة
فى الحرب ، أطلقها رام على رام

إلى أن يقول :

دمشق يا وطن الأفلاك ، يا وطنى
يا وحى شعرى وتاريخى وإلهامى
حسبى أراك ، ولو ملكت أجنحة
مستك عينى ، وما داستك أقدامى

والقومية العربية لها فى نفوس الشعراء أسمى مكانة ، وأرفع منزلة ؛ فهى عقيدتهم التى بها يؤمنون ، وعنها يناضلون ، وهى سر قوتهم ، ومبعث عزتهم ، ومنارهم الذى يضىء لهم طريق المجد ، ويهديهم سبيل الخلود ، فلا عجب أن يتغنوا بها فى المهرجان ، غناء يبقى على مر الزمان ... يقول الشاعر عبد الله يوركى فى قصيدته « الوحدة » :

يا أخى ، يا أخا العروبة هيا
قم نعانق رجاءنا البساما
قم نوحـــد بلادنا ، قم نحطم
وثن البغى ، قم نهز الثياما
لست منى ، ولست منك إذا لم
نتعاون عقيدة وحساما
القوى القوى يحيا سعيدا
وأخو العجز يلعن الأياما
لا تخف مدفع العداة . وأقدم
فالمنايا تخشى الفتى المقداما
كل جرح أصاب صدر أبى
شع فى صدره الجريح وساما

أما أبو سلمى ، فهو يريد أن يرى القومية العربية حقيقة مجسدة ، فى أمة موحدة ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا دالت دولة الاستعمار فى كل أرض عربية ، ولذلك تراه يصرخ فينا صرخته القوية :

لا تقولوا قومية ... وبقايا
قومكم فى الكهوف دون جناح
لا تقولوا ترابنـــا عربى
بعد ما دنسته دنيا افتضاح
تتغنون بالبطولة والأنجم
تبكى على الحمى المستباح
لا تقولوا عروبة ، وفلسطيـ
ن تنادى : متى يفك سراحى ؟

فليسمع ذلك أولئك الذين جعلوا إسرائيل تقيم الأفراح ، وتعلن البشائر ، وتحول نهر الأردن !

وهذا شاعر الجامعة العربية محمد النهامى يخاطب أبناء العروبة فى قصيدته البليغة، فيقول :

بنى العروبة ، نحن الكل، وحدنا
ماض عزيز ويوم حافل وغد
بغداد إن مسها وجد وأرقها
فنحن ، نحن الألى نشقى بما تجد
عمان إن عز فيها بعض ما طلبت
فمن عزيز دمانا الغوث والمدد
وتلك تونس نادت فاستجيب لها
يفديك تونس منا المال والولد

ثم يذكر فرقة العرب التى كانت سببا فى ضياع فلسطين ، ولن تظل ضائعة ، وفى قيام إسرائيل ، ولن تبقى قائمة :

لو يشعرون بما جرته فرقتهم
لو يشعرون لما قرت لهم كبد
لو يذكرون فلسطين التى ذهبت
لو يذكرون لولى الصبر والجلد
الأهل فى دارهم باتوا على دعة
وأصبح الصبح لا أهل ولا بلد

وإذا تحدث الشعراء عن القومية العربية حديث الفخر والاعتزاز ، فإن من طبيعة الأشياء أن يتحدثوا عن رائدها فى عصرنا الحديث ، وباعثها فى حياتنا الحاضرة جمال عبد الناصر ، فلنستمع إلى الشاعر عامر بحيرى فى قصيدته الحافلة : « مواكب الشعر » :

صدر هذا الزمان كالزمن السا
لف عهد من العلا والبطولة
عجبا للزعيم يبعث فيه
مثلما يرسل الإله رسوله
قام فى أهله جمال ، فأغلى
شعبه المتقى ، وشرف جيله
بعث العرب بعد سجن وقيد
لحيـــاة عريضة مستطيلة
قد عرفناه صامدا وشجاعا
وفتى عزة ، وداعى رجولة
صافحته قلوبنـــا خافقات
واستباحت عيوننا تقبيله

ولنتأمل ما يقوله الشاعر صلاح الدين كديمى فى قصيدته « قصة العروبة » :

ياباني المجد فى آفاق أمته
بما يحقق من نصر على النوب
أقصيت عن أرضها ظل الغزاة ولم
تجنح إلى فشل فيه ، ولم تخب
يرعاك من عرشه رب السماء بما
يزجى من العون عن بعد وعن كثب

ولعلك تسأل أيها القارىء : وأين فلسطين فى هـذا المهرجان ، وهى حافزة الهمم ، وملهمة الشعراء ؟ فاسمع صرخة عبد الله شمس الدين :

مهلا فلسطين ... ارقبى
ركب السنا وترنمى

ليـل الهوان قـد انطوى
من أفقك المتجهم
قد جاء « ناصر » بالصبا
ح يزفـه لك ، فابسمى
وترقبى يوم الخلا
ص على يديه ، واسلمى

ثم أنصت إلى عزمى الدباغ ، وهو يتمنى العودة إلى موطنه الحبيب :

يا صاحبى هـلا أعود لموطنى
والعـود مطلب أمتى ورجاها
وطنى فلسطين الجريحة سعرت
زفرات قلبى من لهيب ثراها
منحته آية مجدها ، فبـدا له
عز الحياة فهام فى ذكراها

ثم يهتف فى عزم وقوة :

سنعود رغم الغاصبين لأرضنا
والثـأر غاية ثورتى ومناها

وكان الحـديث عن اللاجئين موضوع قصيدتى الشاعرين الشابين عبد المنعم عواد ، وفتحى سعيد ، وقد فاز الأول بالجائزة الثانية وفاز الثانى بالجائزة الثالثـة فى المسابقة التى عقدها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بين الشعراء الشبان ممن يقـل عمرهم عن ثلاثين عاما .

وهـل يستطيع الشعر أن ينسى الجزائر ، وهى أرض البطولة ، وموطن الكفاح ، وقصة التضحية والفداء ؟ هـذا صالح الخرفى الشاعر العربى الجزائرى ينادى رفاقه المجاهدين فى كل أرض عربية :

أيها الزاحفون زحف المنايا
فى ذرا « أطلس » الأشم المصابر
فى ربا « ميسلون » فى « الجبل الأخـ
ضر » فى ضفة « الخليج » المغامر
أيها العائدون عودة زحف
عربى الخطى ، أبى المشاعر
أنتم المجـد والخـلود ، وأنتم
مهرجان انطلاقنا ، والمنابر
لست أخشى على العروبة شرا
ما تبقى فى جبهة العرب ثائر

وهـذا صاحبه معزى زكريا يتحدث عن تضحيات الجزائر ، وعن الخطوب وأثرها فى إنهاض الشعوب فيقول :

وفى الجزائر أشـلاء ممزقـة
راحت عن العرب قربانا وغفرانا
الشرق فى الخطب طارت عنه سكرته
لولا المصاب لظـل الشرق سكرانا
قد كان ما كان ـ والأيام موعظة ـ
يا ليت ما كان قبـل اليوم ما كانا

ولم يكن شعراء الجزائر وحـدهم فى هـذا المجال ، فهذا أستاذنا على الجندى يسخر من ديجول سخرية مرة موحية ، ويصوره تصويرا هزليا بليغا لموقفه من الجزائر المناضلة فيقول:

قل لذيجول ، وبعض القـ
ول للمرضى شفـاء
أنت عرقـوب فرنسا
والعراقيب سـواء
أجوف كالطبل مشرو
جا على بعض الهـواء
ذاهب فى الجو كالنغـ
لة من غـير غناء
قامة تحبو على الأر
ض ، وأنف فى السماء

وقد احتفل المهرجان بذكرى البحترى شاعر الشام ، فأسهم الشعراء فى هـذا المجال بقصيدة للأستاذ الكبير محمود غنيم يقول فيها :

حين غنت دمشق شعر الوليد
قالت الطير : يا دمشق أعيدى
رددى يا دمشق لحنا وعته
أذن الدهر منذ عهـد عهيد
شاعر أعجز الفحـول بشعر
سلس طيـع ، عصى عنيد
شاعر ، بل مصور . بل مغن
ما قوافيه غير أوتار عود

وبقصيدة للشاعر المجيد العوضى الوكيل ، يصف فيها شعر البحترى ، وصفا جميلا صادقا كما فعل صاحبه غنيم ، فيقول :

على شعره وسم الشآم وسحره
أفانين من سحر تحير رائيها
إذا وصفت حسن الربيع شهدته
وأزهاره قـد فتحتها قوافيها
أليس بها من جنتيه مشابه !
وما أصدق الأشعار وصفا وتشبيها

وكما هاجم العقاد فى نثره الشعر الجديد هجوما عنيفا ، فقد هاجمه الشعراء فى شعرهم مثل هذا الهجوم ، وكان أولهم صالح جودت حيث يقول عن أصحاب هذا الشعر :

يقولون جاءوا بشعر جـديد
يعيب القـديم الذى نكبرُ
تفاعيلها يزدريها الإطـار
ومبناه تنكره الأبحـر
وأبياته كضمير اليهـود
تطول مع الزيف أو تقصر

إلى أن يقول :

وما الشطرتان سوى المقلتين
وفاقد إحـــداهما أعور

ثم جاء الشاعر الجزائرى معزى زكريا ، فقال عنهم :

وعابثين أرادوا الشعر مهزلة
فأزعجوا برخيص القول آذانا
تنكروا للقوافى حين أعجزهم
صوغ القوافى ، وضلوا عن ثنايانا
قالوا : جمود على الأوضاع وزنكم
فشعرنا الحر لا يحتاج أوزانا

فأين من جرس الإيقاع خلطكم
ما الشعر إن لم يكن دسوقا وأفصانا،
وكيف ؟ هل خلد التاريخ شخصكم
مهما تفنن إخراجا وإتقانا ؟
وما عسى تنفع الإسفاف مطبعة
تضفى الدمقس على الأموات أكفانا

واختتم الهجوم محمود غنيم بهذه الأبيات البليغة :

هل درى البحترى أن أناسا
بعده شوهوا جمال القصيد ؟
قد جزينا على ارتكاب الخطايا
بأناس جاءوا بشعر جديد
زعموه حرا، ورق الجوارى
بعض أوصافه، وذل العبيد
عصبة تحسب القوافى غلا
وتعد الأوزان بعض القيود
لهم الله، كل عىء لديهم
مظهر من مظاهر التجديد
ما أراهم يلقون شعرا، ولكن
يحصبون الأسماع بالجلمود
إن يكن طابع العروبة فى الشعر
جمـــودا، فمرحبا بالجمود

وقد اشترك فى مهرجان الشعر شاعران من شعراء الشعر الجـــديد، هما حجازى وعبد الصبور. فأما أولهما فلم يلق قصيدته لظروف لا محل لذكرها الآن، وأما الآخر فقد ألقى قصيدة من الشعر المألوف، وقد وصفتها إحدى صحف دمشق بأنها قصيدة ضبابية لا مغزى لها، وهى تدل على أن صاحبها قد عجز عن صياغة الشعر المألوف، فهرب إلى صياغة أخرى يستطيعها كل إنسان، وإن لم يكن شاعرا خبيرا بالقوافى والأوزان. ولست أدرى كيف اشترك الشاعران فى المهرجان بشعر مألوف، وهما ينكران هذا الشعر ؟ أتراهما تخليا عن مبدئهما فى الشعر نظير رحلة إلى دمشق، وإقامة فى «سمير اميس»؟ الحق أننى كنت أفضل - حرصا على مبادئهما - ألا يشتركا فى المهرجان، ما دام المشرفون عليه لا يعترفون بشىء اسمه الشعر الجديد.

ولا أستطيع أن أقول إننى قد قدمت للقارىء صورة كاملة لهذا المهرجان إذا أنا لم أعرض نماذج من شعر الشاعرات اللائى شاركن فيه، وقبل عرض هذه النماذج يقتضينى الإنصاف أن أذكر أن شعرهن قد بلغ مبلغا من التجويد يستحق الإعجاب والتقدير، ويُحمد قائله شاعرا كان أو شاعرة. ويقتضى الإنصاف أيضا أن أقول هنا وأنا مطمئن لما أقول : إن فى عصرنا الحديث شاعرات يقفن فى مجال الشعر جنبا إلى جنب مع غيرهن من الشعراء. والعجب أن هؤلاء الشاعرات قد أبدعن شعرا قويا فى الموضوعات القومية. شعرا اختفت منه سمات الرقة الأنثوية، ليحل

محلها مثل زئير الأسود ، وزمجرة الأعاصير !
ولكنى سأكتفى بما سجلته من شعر الرجال ،
فى هذا المجال ، وسأعرض هنا من شعر
النساء لونا من الشعر يدل على مقدرتهن
الفنية من جانب ، ويوضح ظاهرة شعرية
تجلت فى المهرجان من جانب آخر ، ذلك أن
بعض ما أنشد فى المهرجان لم يكن يصور
مشاعر عامة فى موضوعات قومية ، وإنما
كان يصور مشاعر خاصة فى تجارب ذاتية .
ومن هذا الشعر الذاتى سنأتى بألوان من شعر
شاعراتنا المجليات .

هذه قصيدة « من وحى الزهور » للشاعرة
شريفه فتحى . تربط فيها بين ألوان الأزهار ،
وما تثيره هذه الألوان فى النفس من خواطر
وأحاسيس ، فتقول :

إن كانت الأزهار ذات معان
أو فسر الإحساس بالألوان
كان البنفسج آهة الأشجان
أو أنة الشكوى من الحرمان

* * *

والياسمين بطهره المأثور
فوق النحور كلؤلؤ منثور
وعلى الخمائل كالبنات الحور
ترنو إليك بأعين وثغور

وتبدو المحبة العميقة المتبادلة بين الفتاة
وأمها فى شعر روحية القلينى حين تقول :

من وحى قلبى ، من تألق ذاتى
من نبع وجدانى سرت دعواتى
يا رب صن أمى وسر سعادتى
يا رب ، واحفظها بحق صلاتى
هى بسمتى ، هى نظرتى ، هى مؤنسى
هى مرشدى فى أحلك الظلمات

وحين تقول :

إن غبت عنها أرهفت من سمعها
وتعرفت بين الخطا خطواتى
فإذا حضرت تظل توسع جبهتى
قبلا كأنى غبت من سنوات
وإذا شكوت لها الحياة تجيبنى
لوذى بإيمان وفرط أناة
وثقى بربك يابنيــة إنه
يرعاك فى الروحات والغدوات

وهذه عزيزة هارون تشفق من فراق
صديقتها ، فتهتف بها قائلة :

لا تبعدى . . . إننى
أخاف من وحدتى
وعالمى واسع
أكبر من مهجتى
ودمعتى نسمة
تنساب فى بسمتى
إن تبعدى ، إنها
تحرقنى . . . دمعتى

وأستطيع الآن أن أقول إننى قد أعطيت

صورة صادقة ، وإن تكن صغيرة ، لما ألقى فى المهرجان من شعر قومى عام ، أو ذاتى خاص . وقد رأى القارئ أن هذا الشعر فى مجموعه شعر رائع يدل على أن الشعر بخير ، وأن الشعراء موجودون .

وبقى أن أسجل إعجابى الشديد بما لمسته عند إخواننا السوريين من تقدير للشعر ، وإقبال عليه ؛ فقد كانت قاعة المهرجان تغص ، على سعتها ، فى كل يوم بالآلاف المؤلفة من الجنسين ، على الرغم من أن الدعوة كانت خاصة ! ولو أنك شهدت فضليات السيدات ، وكرائم الآنسات ، وهن يملأن قاعة المهرجان ، لخيل إليك أنهن قد أقبلن لسماع أم كلثوم فى أغنية من كلمات رامى ، ولحن من ألحان السنباطى ، أو لشهود هزلية مما يمثل فى القاهرة على مسرح الريحانى . ولقد كنت أجلس ذات يوم قريبا من سيدة معها ابنتاها ، وكان المتحدث عن البحترى يتمثل بأبيات من شعر المتنبى ، فأشهد أنى سمعت الأم وابنتيها وهن يسبقن المتحدث فى الإنشاد ! فاسألوا كم سيدة من سيداتنا تصطحب بناتها إلى مهرجان يقام للشعر ، وكم سيدة أو آنسة من غير المشتغلات بالشعر والأدب تعرف من يكون المتنبى من بين من خلق الله أو ما خلق الله ؟ .

وظاهرة أخرى تدل على حب السوريين للأدب ، وتقديرهم للأدباء ، وذلك أنهم ما كادوا يعلمون بحضور صاحب الرسالة أديبنا العربى الكبير الأستاذ الزيات ، حتى توافدوا عليه مرحبين أجمل ترحيب ، ومثنين أعظم ثناء ، فكان مجلسه ندوة من ندوات الأدب ، ومظهراً من مظاهر العروبة ، وكان الجميع يتحدثون عن الرسالة الغائبة حديث الحب والشوق والإعجاب ، ويسألون : متى تعود إلى مكانها فى طليعة المجلات . وقد ظل شاغراً منذ فارقته ، ومازال ينتظرها حتى الآن ؟ .

وكان من المقرر أن يستمر مهرجان الشعر والاحتفال بذكرى البحترى حتى مساء الخميس الثامن والعشرين من سبتمبر ، ولكن فى الساعة الأولى من صباح هذا اليوم أعلنت الخيانة عن نفسها ، وكشر الغدر عن أنيابه ، وقامت الحركة الرجعية ، بدعوتها الانفصالية فرأينا مظاهرة هزيلة مأجورة تجوب شوارع دمشق ، وهى تهتف هتافات رعناء تكشف حقيقة من يسيرون فيها وتفضح نوايا من سيروها . وما يكاد النهار يتقدم حتى تغمر دمشق مظاهرات جارفة ، تضم الألوف من الشعب رجالا ونساء ، فتيانا وفتيات ، وهم يشقون عنان السماء بالهتاف للوحدة والإشادة بجمال . وأشفق قادة الحركة على أنفسهم من الهزيمة ، وعلى حركتهم من الإخفاق ، فأصدروا الأوامر بقمع المظاهرات وسرعان ما غمرت الدبابات والمصفحات شوارع دمشق

(البقية على صفحة ٨٥٩)

شمس تغيب
صفحة من كفاح أديب كبير

للأستاذ محمد رجب البيومي

اهتزت الدوائر العلمية والأدبية لنبأ موت الأستاذ محمود الخفيف لجأة وهو يؤدى واجبه فى مدرسة الإبراهيمية الثانوية ، ولم تقم الصحافة اليومية بما كان ينبغى لرجل خدم الثقافة . وعمل فى الصحافة . وكان أنموذجا حيا قويا سليما للمصلح الأديب المؤمن المتدين .

كان الأستاذ الخفيف صاحب رسالة فى دنيا الأدب والفكر ، فلم يكن ليكتب كلمة واحدة لا تهدف إلى مثل رائع ، أو تكشف حقيقة مطموسة ، وإذا أردت سمة بارزة لأدبه ، فتلك هى البطولة ، بطولة الرأى حين يواجه بحقه الساطع فلول الباطل فيقهرها فى اعتزاز ، وبطولة الفكر حين ينزع إلى القمم الشامخة فى دنيا الإنسانية ، فيرفرف فى أجوائها ، ويستلهم منازعها وأهواءها ، وبطولة اللفظ حين يؤثر التركيب الحر ، والتعبير الموحى المشع ، فيعرضه فى موكب من البلاغة العالية ، وبطولة الإحساس حين يتجه إلى تصوير أدق مناز الضمير الحى ، وأرق خلجات الروح المتوثب ، وأخفت همسات الشعور النبيل فى شعر صاف ينحدر كالماء !! لقد كان الرجل مؤرخا وكاتبا وشاعرا ، وفى كل ناحية من نواحيه يستفيض القول ، ولن نقدر على استيفائه إلا باقتضاب طائر يهدى الكتاب !! إلى آثاره ، ولعلهم يطالعون .

ترك الأستاذ الخفيف فى سجل التاريخ مؤلفات حية خالدة ، لأن الكاتب لم يعمد إلى بعض الحوادث التاريخية ليؤلف منها كتبا مكررة ، مختلفة الأسماء فقط ، كالتى تملأ رفوف المكتبات ، ولكنه كان مخلصا أمينا فى تحقيقه ، فقد نظر إلى مواضع الخطأ المغرض ، والاتهام الزائف ، فجعل منها مضمار تفوقه ، وميدان تبريزه ، متعرضا فى سبيل ذلك إلى خصومات قاهرة عنيدة ومتحديا بها سلطات طاغية رهيبة ، تعمل على تلبيس الحق بالباطل ، وتتخذ لذلك من بعض الأقلام مطايا عليلة الضمائر ، مريضة الإيمان فتركبها ببريق المنصب ، ووهج الذهب ، لتفترى بها على البررة من زعماء الأمة ما يطمس صحفهم البيض !! ثم لا تقتصر

الخيانة النكراء على هؤلاء الزعماء بل تتعداهم إلى الأمة المسكينة فيصفونها بالغفلة والانحطاط وقد ألقت زمامها فى أيديهم ، واستجابت إلى هواتف الوطنية ، ونوازع الكرامة والإباء .

ماذا كان التاريخ يقول عن أحمد عرابى قبل أن يخط عنه الخفيف مؤلفه الجرىء ؟ ! كان أكثر الناس يظنون بوحى من هذه المطايا المسخرة فى الصحف والمؤلفات أن الزعيم الأبى مثال الحمق والنزق والرعونة ، وأنه السبب الأول فى الاحتلال والهزيمة فلولا ثورته ما أتت انجلترا إلى مصر !! ثم يزيدون فيصفونه بالجهل والدروشة وحب المجد الشخصى ، بل يصمه كثير منهم بالخيانة - خيانة وطنه لا توفيق - !! حتى أن أعظم قادة الأمة من الكتاب والشعراء قد انساقوا إلى هذا البهتان ، فأحمد لطفى السيد يزعم فى الجريدة أنه قام بثورة لا داعى لها ولا قيمة ! وشوقى يرسل القصائد المخزية فى سب العصاة والمرقة الثائرين ! ولك أن تصور بعد ذلك ما يقوله الأذناب والأبواق! ومن يجرؤ على أن يثبت للزعيم حسنة شفعها بعشرات المآخذ ! وشبح القصر يلوح لعينيه فى كل كلمة تقال ، حتى جاء الخفيف فى سطوة فاروق وطغيانه فسطر كتابه الوطنى لينصف به البرىء النزيه ! فإذا عرابى البطل المعلم المفترى عليه ، وإذا الأمة تسترد كرامتها وتغسل عنها وضر الجهل والغفلة حين نابعت هذا البطل عن يقظة واختيار ، وقد شرحت فى عدد شوال سنة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر كيف قامت السفارة البريطانية وقعدت لمواجهة الخفيف انجلترا بما أسلفت من خيانة واعتداء ، وكيف زمجر القصر وغضب الأمير على مجلة الرسالة فأوقفها بسلطة الحكم العرفى سلسلة البحث المتصل ! حتى أتيح له أن ينشر كاملا فى مجلد ضخم خاص ! وعرف الناس عرابيا على حقيقته طاهر السريرة ، مخلص العقيدة رائع الزعامة عظيم الدفاع ! .

لو لم يكن للباحث المؤرخ غير هذا العمل البطولى الضخم ، لكان فى طليعة المفكرين الأحرار ولكن له معه أعمالا مجيدة هادفة ، كانت مع دقتها العلمية ذات وحى وطنى رائع ، إذ أن القلم الذى حشد جهوده لدرء السبة الشنيعة عن وطنه المصرى ، فى شخصية زعيمه أحمد عرابى ، قد شاء أن يفتح عيون بنى قومه على آفاق جديدة تشرق بالحرية وتهب منها نسمات الكرامة والاستقلال ، حين كتب مجلدين كبيرين - لأول مرة فى اللغة العربية - عن سيرتى ابرهام لنكولن ، وتولستوى ، وهما يختلفان نشأة ، ونبوغا فالأول عصامى باسل أنضجته نار الحرمان والفاقه ، ولكنه شق طريقه

إلى الزعامة متسلحا بمواهبه الشخصية ومكافحا شتى أعاصير الرجعية والاستغلال والعنصرية حتى استطاع أن يسعد الإنسانية بعامة ، حين عمل على تحرير العبيد ، وتحقيق المساواة العادلة فى معشر يتهارشون على الغنائم المغتصبة والذهب المتجمد من عرق الكادح ، وجهد الزنجى وبؤس العبد ، فكان بحياته المكافحة علما من أعلام الحرية ودرساً ناجحا للكرامة يجب أن يعلمه قارئو العربية لينهض من بينهم من يعتنق مبادئه فيذود عن حوضه ويحمى حمى أجداده !! هذا لنكولن ، أما تولستوى فقد نشأ أرستقراطيا يحمل لقب الكونت ويتقلب فى أعطاف النعيم والدعة والجاه ، ثم نأى عن طبيعة طبقته ، فعشق المعرفة والثقافة ، ووهب الإحساس الرحيم والشعور النبيل ، فانقلب إلى زاهد مصلح وكاد بمبادئه أن يكون نبيا ، إذ تنازل عن ضياعه الشاسعة لذوى الفاقة والكدح من عبيد الأرض ، وخدم السادة ، وعاش عيشة الفلاح المسكين ، والزاهد القانع وقد اجتاحت نفسه عواصف مدمرة من الشك المقلق ، والسهد الثائر ، فانقطع بنفسه قرابة عشر سنوات للتفكير فى الدين والبشر ، ونفض يديه من الأدب والإبداع حتى اتجه زورقه إلى ساحل الإيمان بعد أن حاول من الريب الحالكة أمواجا ذات بطش وجبروت ، وصار الفيلسوف بزهده وإيمانه وأدبه من ذوى الرسالات الخالدة فى دنيا البحث والإصلاح ، ومثله فى أهدافه الرائعة جدير أن يكون درساً آخر لقراء العربية كلنكولن سواء بسواء !! وفى اعتقادى أن الذين قرءوا كتب الخفيف الثلاثة عن عرابى وتولستوى ولنكولن قد وجدوا فيه مؤرخا من طراز نادر فهو مع حرصه على الحقائق وتتبعه المنهج العلمى فى البحث والاستنتاج ، ذو أسلوب مشرق ينفح بشذى الإبداع ، ويزرع فى صحراء الحقائق ورودا زاهية من الصياغة الفنية والإلهام العبقرى ، حتى ليخيل إليك وأنت تطالع آثاره التاريخية أنك تتابع قصة مؤثرة لا أنك تقرأ بحثا قامت معالمه واستوت مناحيه ، !!

وبعض النقاد يظنون بين التاريخ والأدب مجافاة منكرة ، فلا يرحبون بجهد علمى يتشح بمطارف الأدب ، وقد تعرض إنتاج الخفيف لبعض المآخذ الموهومة حين اتجه إلى تقويمه ناقد شهير هو الدكتور زكى نجيب محمود ، فأخذ عليه فى بعض أعداد مجلة الثقافة شيئين هامين فى رأيه ، أما أولهما فهو ما سماه : اتحاد المدرك بالمدرك ، وأما الثانى فهو تفكير المتمنى ، وكلا المأخذين موجه بالذات إلى كتاب أحمد عرابى ، وكأنى بالدكتور وقد لمس حرارة الدفاع وقوة العاطفة وروعة الصياغة فى أسلوب الخفيف ، فظن فى ذلك

ما يجور على الحقيقة ، والرجل صاحب فلسفة لا تاريخ ، وكان عليه أن يعرف أن طبيعة الدفاع عن زعيم أمين يرمى بالخيانة عن مكر أثيم ، تقتضى هذا الإخلاص الحار ، وتدفع ذوى الجفاف والدقة أن يفيضوا ببعض مشاعرهم فى إيضاح الحق وقد تلاحقت حوله الستور والأسداف ، فالمدرك هنا لم يتحد بالمدرك حين بدد عنه كثيراً من الاتهامات ، ولكنه استعرض الحقائق الثابتة واستنطقها عن حصافة ويقظة ، فنطقت بفضل الزعيم وسموه ، وأخشى أن يكون الدكتور الناقد ممن يحتمون على المؤرخ أن يتحامل على مترجمه ، فيذكر نصيباً من مآخذه يضارع ما أسلف من محامده ، فإذا لم تكن لديه مآخذ تذكر ، اخترعها اختراعا لتتم عملية الإنصاف ، وقد بدد الأستاذ العقاد هذا الوهم حين قال فى مقدمة كتاب (عبقرية عمر ص٥) « فالناس قد تعودوا ممن يسمونهم بالكتاب المنصفين ، أن يحبذوا وأن يقرنوا بين الثناء والملام ، وأن يسترسلوا فى الحسنات بقدر لينقلبوا من كل حسنة إلى عيب يكافئها ، ويشفعوا كل فضيلة بنقيصة تعادلها ، فإن لم يفعلوا ذلك فهم إذن مظنة المغالاة والإعجاب المتميز ، عرض لى ذلك فذكرت قصة العاهل الذى تحاكم إلى قاضيه مع بعض السوقة فى عقار يختلفان على ملكه ، فحكم القاضى للسوقة بغير الحق ليغنم سمعة العدل فى محاسبة الملوك » اهـ .

أما تفكير النفى فلا ظل له إطلاقا بين سطور الكتاب ، وهو مأخذ لو ثبت لنفى عنه صبغة البحث التاريخى ، ويكفى هنا أن نسجل شهادة أديبين كبيرين تمحوان ما قام بذهن الناقد عن تخمين وحدس لا عن بحث ويقين ، قال الأستاذ العقاد عن كتاب أحمد عرابى ، فى افتتاحية العدد (٧٧٩) من الرسالة .

« تقرأ الكتاب إلى صفحاته الأخيرة فتخرج منه بهذه الصورة الصحيحة التى ارتسمها المؤلف ، وثبت ظلالها وألوانها بالوقائع والأسانيد ، وجمع لها من الوثائق ما لا غنى عنه فى فهم هذا الزعيم ، ولا فى فهم مصر الحديثة وعوامل نهضتها ، ودخائل تاريخها فى الجيلين السابقين . . . وليس تمحيص التاريخ المصرى ولا تمحيص الزعيم المصرى كل ما يستفاد من قراءة كتاب الأستاذ الخفيف ، فإن أساليب السياسة الأوربية والاستعمار الأوربى فى القرن العشرين بعض ما يستفاد من هذا الكتاب الذى يعد فى بابه قليل النظير » .

وقال الأستاذ أحمد حسن الزيات عن الكتاب أيضا فى افتتاحية العدد (٧٣٤) من الرسالة .

« ومن حيث الطريقة قد اتخذ المنطق ميزانا يأخذ به ويعطى ، فهو يروى بالنص

الصريح ، ويدعى بالدليل الناهض ، ويقنع بالحجة العالية . ويستقرى فيحسن الاستقراء ويستنتج فيجيد الاستنتاج ، ثم جعل همه منذ اللحظة الأولى بتبرئة الجندى الثائر ، فسلسل الوقائع والفصول سلسلة المقدمات الصحيحة ، ثم خرج منها بالنتيجة التى لا موضع فيها للشبهة » .

الحق أن الخفيف باحث جرىء لولا قوة إيمانه بربه ، وصدق يقينه بوطنه ، ما أقدم على هذا العمل البطولى الممتاز ، ولو كان لدينا وعى حقيق لقيل ذلك وأكثر منه فى وداع الراحل العزيز .

وسأضطر معجلا أن أترك جهده فى الحقل التاريخى فلا أتناول بحوثه عن مزينى الإيطالى وبيرون الإنجليزى وميرابو الفرنسى وشريف والشرقاوى المصريين وعقبة بن نافع العربى لأتحدث عن جهده فى الكتابة والشعر فقد كانت كتابته الأدبية ذات وجهتين ذاتية وموضوعية ، والأولى تتجه إلى المجتمع المصرى اتجاها ناقدا فقد وضع الخفيف منظاره على عينه ، وطفق يبصر ما حوله من أوضاع مريضة فرأى من المفارقات والغرائب ما يدعو إلى التسجيل . وكم كان يمض نفسه أن يشهد مواقف الرياء والملق ، ومواكب الغرور والادعاء ، ومظاهر التجبر والتسلط . فيشعر شعور الإنسان النبيل وينعكس شعوره فيما يكتب فلا تكاد تطالع موضوعا من موضوعات كتابه (من وراء المنظار) حتى تدرك ما يغمر حلق الكاتب من مرارة لاذعة ، والكتاب أشبه بقصص صغيرة متلاحقة تصور كل أقصوصة مشهداً من المشاهد المفاجئة . فهذا وكيل نيابة يريد أن يعرف الناس سلطته القانونية وذاك مدير مصلحة لا يرضى بغير التذلل والخنوع من مرءوسيه ، وهم من حوله يبالغون فى انتشائه الموهوم ، وذلك شرطى جامد الإحساس يعامل الإنسان والحيوان معاملة تتحد فى القسوة والإذلال ! ! ومن الواضح أن أمثال هذه المشاهد المألوفة تراها العين العابرة فلا تتأثر بها غير لحظات محدودة ! ولكنها حين تصور بقلم كاتب كمحمود الخفيف تترك من الأثر مالا يمكن أن يزول دون عناء وتفكير ، لأن تسلسل الخواطر ، وتصوير الانفعالات ، وحتمية النتيجة ، تجسد لخيال القارىء مالا يجسد ، المشهد الواقعى ، ومن الطريف أن أحد فصول الكتاب يتحدث بإكبار سار عن رئيس فراشى المدرسة التوفيقية الثانوية إذ رأى فيه الكاتب على ضآلة وظيفته صورة للرجولة الحازمة ، والعزة المترفعة ، والكرامة الأصيلة مما افتقده فى مديرى المصالح الكبيرة ورؤساء الأعمال الهامة فلم يجد ظلا منه . فكان رئيس

فراشى المدرسة مثلا صالحا للاحتذاء ، وقد قلت إن كل مشهد من هـــذه المشاهد أشبه بأقصوصة فقـط ، ولكنه ليس بأقصوصة فنية ، ولا أدرى لماذا لم يشـأ الكاتب أن ينهج فى تصويره نهج القصة الأدبية ، مع قدرته التامة على ذلك ، إذ أنه قـدم لى فى بعض إنتـاجه بمجلات الرسالة والرواية والرائد قصصا مكتملة تحمل عناصر الأسلوب الروائى ، وإن كاتبا ملهما يجعل من التاريخ أدبا . لقمين أن يجعل من القصة عجبا ، ! وأستشهد هنا بقصته الرائعة (عفراء الغجرية) وأخواتها كثيرات ، كدليل على توفيقـه الفنى وإبداعه القصصى ، فقد أحكم المشاهد إحكاما لا تنقصه قراءة الخواطر ، واستشفاف النوازع . أما حلاوة التصوير وعذوبة التعبير فما لا يستغرب من شاعر موهوب !! أقول من يدرى لعله لم يشأ أن ينهج منهج القصة فى كتابه (من وراء المنظار) ليكون أدخل فى باب الواقعية المباشرة ، إذ أن القصة توحى إيحاء ظاهراً أو مستتراً ، أن الخيـال قد جمع بين حقائق متباعدة وربطها برباط يجعل واقعيتها متوقعة لا واقعة : أما المشهد المجرد فينطق بصدقه الصارخ دون ستار ، وهذا كلام قد يختلف فيه النظر لإيجازه المحترم ، وليس هنا مجال النقاش !!

أما الوجهـة الموضوعية لدى الكاتب الأديب فتبدو فى دراساته الفنية للأدباء ، ومذاقه الوجدانى للقصائد ، وأصدق شاهد عليها دراسته الطويلة الممتعة للشاعر الحزين (ملتون) فقد تابع أدوار حياته متابعة يقظة ، وحلل عناصر شعره تحليلا بصيراً ثم خلص إلى مأساته الالهية ففهم عناصرها الفاجعة من انتاج الشاعر قبل روايات مؤرخيه ، ووقف لدى فردوسه المفقود موقف الشاعر من الشاعر ، فرأى ما لا يرى الناقد المتقيد بحدود واصطلاحات ، ولا يزال ما كتبه الخفيف عن (ملتن) منسابا فى أعداد الرسالة الغراء دون أن يجمع فى كتاب ، وربما كان كتابه عن تولستوى صورة متقاربة منه فى المنهج والطريقة ، إلا أنه أدخل فى كتب الدراسات الأدبية من كتاب تولستوى التاريخى لذلك اعتبره مثالا للوجهة الموضوعية فى الدراسة التحليلية دون كتاب الفيلسوف .

ويطول بى العجب إذ أنظر إلى شعر الخفيف فأجده دون ما يستحق ذيوعا واشتهارا ، مع أصالة منهجه ، وصفاء نبعه ، ورونق تجديده وربما كان تعليل ذلك نبوغه فى أكثر من ميدان فإن الذين يتفرغون للشعر وحـده ينحصر اشتهارهم فى مجاله ، فيعرفهم القراء بقصائدهم وحدها ، أما سواهم من الكاتبين الشاعرين فلا يجدون الالتفات الكافى من القراء ، وإن سبقوا سواهم من المنفردين

جودة قريحة وفيضان عاطفة ، وخصوبة إنتاج ، ولن أذكر العقاد وحده فى مصر بل أذكر معه المازنى ونخرى أبا السعود وعبد الرحمن صدقى ، وطاهر الطناحى ، وزكى مبارك ومحمود الخفيف وسواهم من فطاحل المجددين ! على أن شعر الخفيف قد منى بشىء آخر ضا.ل من روايته لسوء حظه وكان أحرى بذيوعه ، ذلك أنه متنوع الأوزان مختلف القوافى ، فشطوره تارة مجزوءة وتارة كاملة أو منهوكة فى القصيدة الواحدة ، وقد فاجأ الناس منذ ثلاثين عاما بهذا النوع المبتكر لحسب عليه لاله ، فأنت تقرأ مثلا قصيدة (على قبر زوجها) فتجد بها من صدق العاطفة وحرارة اللوعة وقوة النظرة ما يرفعها إلى مستوى مشرف ؛ ولكن اختلاف أشطارها بين كاملة ومجزوءة مع اختلاف القافية أيضا قد باعد بينها وبين النغم المألوف فى وقت كان فيه للشعر الكلاسيكى دعاته المثابرون ، وإذا كنا الآن قد ألفنا هذا التنويع وزنا وقافية بل طرأ علينا غيره مما لا ندرى بماذا نسميه ، وانطلق الدعاة له يلهجون به فى كل ناد وصحيفة فإن الخفيف حين نوع الأوزان منذ أكثر من ربع قرن كان يخطو الخطوات الأولى بعد وثبة المجددين الابتداعيين هذا من ناحية الشكل . أما من ناحية الموضوع فقد فتح الأستاذ للشعر العربى أبوابا رحبه حين أكثر من الروائع التاريخية فى أعداد الرسالة الممتازة فسجل بطولات محمد والحسين وجعفر بن أبى طالب وصلاح الدين الأيوبى وأحد شهداء فلسطين فى قصائد طويلة تبلغ إحداها ثلثمائة بيت مطرد النسق متدفق الإلهام ساطع الرواء . كما أن أشعاره الوصفية فى تصوير الطبيعة قد أخصبت الحقل الشعرى . ولقحت أشجاره بلقاح إبداعى جديد ، فالليل والبحر والفجر والحقل والحصاد والربيع والخريف والشتاء ، والصبارة الحزينة ، والشجرة العارية وما إليها من روائع المشاهد قد وجدت انطباعها الصادق فى مرآة الشاعر ، وظهرت على صفحات الرسالة تتخايل فى معارض زاهية من الرونق ، وكثيرا ما كانت تقرن بصور طبيعية لأشهر فنانى الطبيعة فى الغرب فيرى قارئ الرسالة اللوحة البصرية تجاور اللوحة الشعرية فى تعارف حبيب يدفع إلى الموازنة حينا ، والإعجاب الصامت أحيانا آخر ، ويخيل إلى أن مطران رحمه الله قد أثر فى اتجاه الخفيف نحو القصة الشعرية ، إذ حذا حذوه فى مثل قصائد وداع ، وعند الثلاثين ، وفى الطريق إلى يثرب مع الفصل التام بين العبقريتين ، فمطران عميق قوى تتخلل أبياته رصانة محكمة تميل بها إلى الشدة والأسر ، ومحمود رقيق ناعم تموج مشاعره فى غدير هادىء شفاف ، وقد تجد سمة

مطران ، وبُعد منزعه وعمق تحليله فى النادر من شعر الخفيف ، ولا أزال أذكر قصيدته وأيتها الابتسامة ، تلك التى تشخص بريق الابتسامات المختلفة ، فتعرف شعاع كل بسمة ومصدره ، فبسمة الذل غير بسمة الشمات غير بسمة الرياء غير بسمة الفرح غير بسمة التهكم وإن كان لكل بسمة بريق يتحد مظهرا ويختلف تأثرا وانعكاسا ، وكم كان يسرنى أن أذكر هذه القصيدة فى مجال الاشتهار ، ولكن القارىء الطلوب سيعثر عليها بسهولة فى العدد (٦٠٠) من الرسالة ، ونحن نهيب بمجلس الفنون والآداب أن يلتفت إلى ديوان الشاعر فيأمر بطبعه أسوة بمن طبع دواوينهم من الشعراء ، وأكثره بمجلات الرسالة ، وأقله بمجلات الرائد . وكلتاهما تحتل المكتبات العامة فلن يتعب من يريد النشر والطبع . ولكنه سيغنم الشكر والتقدير ، ولعل كلمتنا هذه تكون عزاء متواضعا لمن قرءوا الخفيف وعشقوه ، وهى أيضا إجابة مفحمة عن سؤالنا المتقدم ؛ هل من وعى أدبى ؟ وفيها المقنع السديد .

محمد رجب البيومى

(بقية المنشور على صفحة ٨٥١)

واستخدم رجال الجيش والشرطة كل وسائل القمع لفض المظاهرات وتفريق المتظاهرين .

وفى عصر يوم الجمعة سارت بنا السيارات فى الطريق إلى بيروت ، وكان الشعب يقف على جانبى الطريق يشيعنا بنظراته التى تعبر بصمتها البليغ عن مشاعره الحبيسة وعواطفه المكبوتة . وأبى إخوان كرام إلا أن يرافقونا إلى الحدود بين سورية ، ولبنان الكريم ... لبنان الذى استقبلنا بالحب والشوق والترحاب حين شيعنا الإخوة المرافقون بالقبلات والعناق والدموع ، وعادوا وهم يتمنون لنا سفراً سعيداً ، وعودا حميداً ... أجل أيها الإخوة ...عودوا إلى الفيحاء ذات الغوطتين التى يطوقها قاسيون بالساعدين ... وسنلتقى يا دمشق ... سنلتقى كما قلت وكما سأظل أقول.

سنلتقى عما قريب حين تورق الغصون
فحبنا تحيا به أرواحنا ، ولن يهون
ومجدنا مفاخر ، تروى حديثها السنون
لقد رأيت فى الوداع كيف تدمع العيون
وكيف تهتف القلوب والضلوع فى جنون
سنلتقى عما قريب حين تورق الغصون

أجل سنلتقى بالقلوب النقية ، والنفوس الوفية ، والمشاعر الطيبة ، سنلتقى فى ظل الوحدة القوية لنسير معاً من جديد فى طريق القومية العربية .

ابراهيم محمد نجا

أحمد محرم
شاعر العروبة والإسلام

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

وحدى شقيت بهذا الشعر أجعله
أحدوثة الدهر أو أنشودة الأبد
أصوغه من شعاع ليس يحجبه
سور من الحقد أو ستر من الحسد

هـــذه صرخة شاعر وقف فنه على رفعة الشرق وإحياء مجد الإسـلام ، ومع ذلك أنكره الشرق وضيعه أهله ، حتى داخله الشك أن يكون فى الشرق فطان يعرفون الناس أقدارهم ويلفتهم الأدب الخالص ، فقال :

ديار الشرق ، هل بك من فطين ؟
دعيني ، ما الديار ؟ وما الفطين ؟
ظمئت ، وفى فمى الأدب المصفى
وضعت ، وفى يدى الكنز الثمين

مولده ومرباه :

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كانت ربة الشعر قد طوفت بإلهامها على ضفاف النيل ، وأرسلت أولى أنغامها الشجية على لسان البارودى ، ومن بعده شوقى ، فأخذت دولة الشعر تزهو ، وتشتد أركانها .

وفى يوم السبت الخامس من المحرم سنة ١٢٩٤ هـ الموافق ٢٠ من يناير سنة ١٨٧٧ م ضمت ربة الشعر إلى قيثارها وتراً جديداً ، واستقبلت مملكتها زائراً اتخذته من أعوانها ، ومنحته إلهامها .

ذلك هو أحمد محرم الذى ولد فى حى « باب الوزير » من أحياء القاهرة فى بيت متوسط الحال لأبوين تركيين ، الوالد تركى صميم من أبناء المماليك الشراكسة ، والوالدة اختلط نسبها بالدم المصرى ، وتنسب إلى عائلة « الدرمللى » الشهيرة بالقاهرة .

وقد ورث محرم خصائص الدم التركى والمصرى من جهة أبويه ، وامتص الطبع العربى بحكم ثقافته ونشأته وبيئته ، فاجتمعت فيه خصائص هذه الأجناس وتكون مزاجه من مجموعها .

وكان والده « حسن أفندى عبد الله » رجلا مستعربا متديناً يحب العرب ويتعلق بتاريخهم ، يتمسك بمبادئ الدين ، ويأخذ أفراد أسرته بما يؤمن به ، وقد أورث هذه النزعة ولده « أحمد » فتأثر بهذا التوجيه أعظم التأثر ، وكان لهذه التربية الدينية الصارمة اتجاه واضح فى شعره وأدبه ، من إشادته

بمجد الإسلام ، ودفاعه عنه ، وتسجيله لحياة النبي صلوات الله وسلامه عليه وحروبه تسجيلا لم يضطلع به شاعر سواه فى عصره .
ولم يسعفنا ما وصلت إليه أيدينا من مراجع بجدء لمحرم ، ولم نهتد إلى أسرته ، فقد سكت التاريخ عن ذلك .

ونرى من اسم الوالد ، وعدم وقوفنا على أسرة للشاعر أن « محرما » لقب خص به الشاعر وحده ، ويغلب على الظن أن أباه لقبه هذا اللقب لمولده فى شهر « المحرم » العربى ، ومما يقوى هذا الظن فى نفوسنا أن محرما كان له شقيق أكبر منه توفى ورثاه فى ديوانه الأول ، وأثبت مراثى أصدقائه من الشعراء فيه ، وكان اسمه « محمود صفر » ، وأغلب الظن أن أباه أضاف إليه هذا اللقب لمولده فى شهر صفر العربى ، ولعلنا نأخذ من هذه الإضافة فى أسماء البنين دليلا على تعلق الوالد بالعرب وحبه لتاريخهم .

شب أحمد فى بيت والده يصنعه على عينه ويقوم على رعايته ، ويبدو أنه كان من ذوى النعمة وإن لم يبلغ حد الثراء .

ثم رحل الوالد إلى إقليم البحيرة ، وألقى عصى التسيار فى إحدى قراها يقوم بشئون بعض مزارع كبار الملاك هناك ، ويرعى بنفسه ضيعته الصغيرة فى تلك الناحية .

ورحل الطفل مع والده إلى مقره الجديد واستهوته حياته الجديدة ، وتملت عيناه بسحر الريف ، وانطلق وراء خياله فى سهوله المنبسطة ، ووقف على نمط جديد من الحياة ، وأسلم نظراته للأفق ترى التقاء السماء بالأرض على مدى البصر ، ومن قبل كان يصطدم بمنازل الحى ودوره ، فلا يرى الأفق ولا يبصر السهل الفسيح ، ولا يحس بخرير الماء وتفتح الزهر وتهويم الفراش .

أخذ الصبى بهذا الجمال الطبيعى الذى صنعته يد الله فأبدعت ، ونهلت حواسه من مجاليه ، وكانت حياته فى طفولته حياة الترف والنعيم ، فليس بغائب عنا الحياة الهانئة ، والنعمة الوفيرة التى كان يمرح فى ظلالها نظار التفاتيش والقائمون على أمر الضياع ، فقد كانوا ملوكا غير متوجين فى مزارعهم وقراهم ، ومازالت بقايا هذه الحياة تتراءى على صفحات أذهاننا ، كلما حاول أحدنا أن يعيش لحظات فى ظلال ماض غير بعيد .

ويبدو أن والد محرم كان رجلا محبا للقراءة شغوفا بالأدب ، مصاحبا لأهله من شعراء وكتاب ، يغشى مجالسهم ، ويشارك فيها ، فأورث ابنه هذه النزعة ، ونمى فيه حب الكتب والتطلع إلى الكتابة فى سن مبكرة .

وتربى محرم كما يتربى صبيان القرية الناعمون فى عصره ، فأحضر له أبوه المعلمين ، وقاموا على تلقينه مبادئ القراءة والكتابة حتى

عرف شيئا من المطالعة والحساب والإملاء. وحفظ القرآن الكريم، فألحقه أبوه بإحدى مدارس القاهرة، وكان التعليم فيها يومئذ وقفا على أبناء الطبقة الموسرة.

غير أن مناهج الدراسة فيها لم تصادف قبولا من نفس محرم، فأعلن تبرمه بها، فنقله أبوه إلى مدرسة أخرى ظنها خيرا من الأولى إلا أن محرما الذى طبعت نفسه على حب العربية من صغره، وتعلقت بأدبها مبكرا لم يستسغ منهجا دراسيا يرى نفسه فيه غريبا على العربية مبتوت الصلة بها فكان يرى نفسه غريب القلب واليد واللسان كما يقول المتنبى، فهل يطمئن إلى هذه الحياة التى تنكره وينكرها؟، وكيف يستريح، وهو الذى يتطلع إلى منزلة المتنبى ومكانة البحترى.؟

فبعث لأبيه بقصيدة يشكو له فيها مايعانيه، ويصور ألم الغربة فى نفسه، وهو يومئذ لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، فما كان من أبيه إلا أن أعاده إلى القرية، وأحضر له بعض أساتذة الأزهر يلقنونه فقه اللغة العربية وأدبها.

ولما رأى أبوه فيه ذلك النضج المبكر والميل الغالب للأدب والشعر فتح له مكتبته يقرأ فيها ما يشاء، واشترك له فى الصحف والمجلات، وجلب له ما تفيض به المطابع من كتب، وأقبل محرم يثقف عقله، ويغذى وجدانه بعيون الشعر العربى وينتقل بين مكتبة أبيه يختار منها ما يرغب فيه كما تنتقل النحلة بين أزهار الروض تمتص من هذه وتدع تلك.

وأخذ أبوه يشجعه على قرض الشعر، ويطلعه على أحدث ما أنتجه أصدقاؤه من الشعراء ليثير طموح نفسه، ويكافئه كلما أنشد قصيدة، ويصحبه معه فى رحلاته إلى مدينة دمنهور، ويعقد الصلة بينه وبين شيوخها وذوى المكانة فيها من الوجهاء والأدباء والسراة.

وكان بمدينة دمنهور على عهد محرم رجل من زعماء الأدب الشعبي يسمى (الشيخ جاد علوان)، وكانت له حلقة يجتمع فيها عشاق الأدب ومحبوه، فتعرف محرم عليه، وشهد ندوته، وألقى فيها بواكير قصائده حتى عرفه الناس، وأقبلوا عليه. ودأب محرم على اطلاعه، وتزويد ثقافته، وقد تهيأ له من وقت الفراغ ما استطاع بفضله أن يلم بالشعر العربى فى جميع عصوره، ويحفظ منه درره وعيونه، لم يصرفه عن ذلك اشتغال بتحصيل العيش، أو مطالب الحياة، فقد كفاه أبوه مؤونة ذلك.

ولقد كان محرم يعكف على كتبه وشعره آناء الليل وأطراف النهار، حتى ضاقت أمه به، وعابت عليه انكبابه على شعره، حتى أصبح عالة على أبيه يعوله كما يعول البنات، بل إن البنات خير منه، لأنهن سيتزوجن، وهو لا أمل فى تحوله عن هذه الحال.

وقد صور محرم موقف أمه هذا فى إحدى قصائده ، وكانت تأخذ عليه أنه يظل يقرأ حتى ينطفىء السراج حينما يفرغ زيته وتغيب النجوم عن أفق السماء . أستمع إليه يقول على لسان أمه :

ابنىّ إن المرء يغنى شأنه
فيعيش فى الأهلين وهو محبب
وأراك فى شرخ الشباب وروقه
يغذوك والدك الكبير الأشيب
يسعى وأنت مع البنات كبعضها
ثاو ، وليتك مثلهن فتخطب
لا مال تكسبه ، ولست ببارح
تفنى وتتلف جاهدا ما يكسب
تدع السراج فلست تطفىء نوره
حتى ترى اخرى النجوم تغيب
أيباع هذا الشعر أم أنت امرؤ
تهوى من الأشياء ما يتجنب ؟

وقد كان للنشأة الصارمة التى أخذ بها محرم نفسه منذ صغره أثر بعيد فى اتجاهه نحو الأغراض الجادة فى شعره ، وكذلك تربيته الدينية التى فرضها أبوه عليه منذ نعومة أظفاره لم تترك له مجالا يتغنى فيه بعواطفه أو ينطلق مع أحلام الشباب شأن غيره من ذوى الإحساس والشاعرية ، لذلك ترى غزله الذى أنشده فى صور شبابه غزلا صناعيا ، لا تحس فيه وهج العاطفة و لا وقدة الشعور وإن كان موسيقيا عذب الرنين قوى النسج ، لأن حياته قد صرفته عن هذا السبيل الذى يسلكه لداته ، ويعبر هو عن ذلك فى بعض قصائده :

لعمرك ما ينهنهى شبابى
إذا هفت الحلوم إلى الأناة
صحبت الجد فى فى غلواء عمرى
فقد جعلت تماتبنى لداتى
وإن مظنتى أن تلتمسنى
ندىّ ذوى الحلوم الراجحات

وكانت هذه النشأة داعية له من جانب آخر أن يأخذ نفسه بأخلاق الإباء والكرامة والغيرة والحمية على الدين والوطن ، والتفانى فى الذياد عنهما ، والدفع عن حياضهما وخطا فى هذا الميدان خطوات فسيحة حتى لقد اتخذ لنفسه لقب « نصير الدين » وقد أخذ نفسه بهذه المبادىء التى آمن بها ، وجرت فى نفسه مجرى الدم من العروق لم يتخل عنها ساعة من زمان ، وجعلها منهجه فى معاملاته مع الناس واتصاله بهم وكم دعوه إلى الهو فى صباه ، فنأى عنهم وأعرض ، وهو يهتف .

قالوا : زمان الصبا لهو لصاحبه
فقلت : مالى أراه ، وهو لى كمد
إنى امرؤ ماجد الأخلاق فاضلها
ما عابنى لعب يوما ولا فند
سموت بالجد والصدق اللذين هما
خدناى إياهما أبغى وأعتمد

ما عابنى غير حساد بليت بهم
وهل يعيب شريفاً فى الورى حسد؟

وكان محرم طموحاً وثاب الأمانى يردد بينه وبين نفسه :

ولو يُعطى الفتى ما يبتغيه
إذاً لرأيتـنى داعى دعاة

وكان عزيزاً أبياً يكرم نفسه ويحترم رأيه ، لا يخضع لأحد ، ولا يتراجع فى رأى يراه ، حتى لقد جر عليه ذلك المتاعب والحسد من كثير من الناس ، فرموه بالغرور والكبرياء ، ولم يسلم من أذاهم حتى بعد موته ، وربما كان ذلك من الأسباب التى جلبت عليه النسيان والإهمال اللذين أصيب بهما أدبه وذكراه .

وكان يؤلمه كثيراً أن يرى موازين الأمور مختلة ، وقيم الناس لا تستند إلى أساس ثابت ، فكم قدمت دعيا وقصت بموهوب .

هبنى إمام الشعر ، ما بالى أرى ؟
ومعاشر المتشاعرين أمامى
لو أن آرائى مسخن قوافيا
لانقاد لى دهرى بغير زمام
فأقمت من أود القريض وأهله
وحميت سرح الكتب والأقلام

ويبدو أن ما لاقاه محرم من عنت الناس وكيدهم جعله ينظر إلى الحياة نظرة كئيبة سوداء ، تموج بالشرور وتصطرع فيها الأحقاد والأضغان ، فغلب عليه التشاؤم ، وذهب مذهب أبى العلاء فى وجوب التخلص من الحياة التى لا تنبت إلا الشر والأذى ، فدعا إلى تحريم الزواج ، ثم رجع عن هذا الرأى كما أشار إلى ذلك فى ديوانه :

أما الغلام ، فما أقارف إثمه
إذ كان عندى أفظع الآثام
ماذا جنى ؟ فيكون بعض جزائه
دار الشقاء ، وموطن الآلام
لله شرع أبى العلاء فإنه
شرع يعظمه ذوو الأحلام
رضى التبتل ، ليس يؤثر غيره
حتى انقضت أيامه بسلام
نقم الرضى إذ غال والده الردى
حتى على صوب الحيا البسام

وحدثنى من لقيت من أصدقاء محرم ، وبقايا معاصريه فى مدينة « دمنهور » أنه كان كثير الصمت دائب التأمل تراه فيخيل إليك أنه فى عالم غير عالمك ، وتجلس إليه فلا تكاد تظفر منه بكلمة أو كلمتين فى مجلس قد يمتد ساعة أو أكثر ، وكانت رغبته شديدة فى العزلة والانفراد ، وكثيراً ما كان يختار لنفسه مكاناً فى أحد ميادين « دمنهور » تحت ظل شجرة هناك أطلق عليها - من كثرة ملازمته لها - شجرة محرم ، ولا زالت تعرف باسمه هناك حتى الآن .

وكان دقيق الجسم أميل إلى القصر والنحافة ، يتحدث همسا ، ويعبر إشارة .

محمد إبراهيم الجيوشى
المشرف على الشئون الدينية بإذاعة القاهرة

مع المرابطين على الحدود

للأستاذ أحمد الشرباصي

الجهاد شريعة باقية وفريضة دائمة ، والجهاد إن لم يكن فى ساحة الميدان وصميم المعركة ، كان بالإعداد والاستعداد ، والحذر والمرابطة ، لأن مطامع الناس ـ سواء أكانت فردية أم جماعية ـ تدع باب الشر والبغى مفتوحاً يلجه الطغاة والبغاة من حين إلى حين.

والإسلام يقرر فى عقول أبنائه وقلوبهم هذه الحقيقة ويدعوهم إلى رعايتها حق الرعاية، فهو يحذرهم من الظلم والعدوان ، كما يحذرهم من الرضى بالذل والهوان ؛ ولذلك جاءت شرعة القرآن بالمسالمة للمسالمين ، والمقاومة للهاجمين ، وأخذ الحذر والأهبة لإبطال كيد الكائدين ، وقطع الطريق على الباغين ، فيقول القرآن : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . وفى موطن ثان يقول : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، وفى موطن ثالث يقول : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » . وفى موطن رابع يقول : « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

وشرعة الجهاد والإعداد تستلزم أن تتضامن الأمة كلها لصيانة حريتها وكسب النصر فى معاركها ، وكل فرد فيها يجاهد بلون من الجهاد ، فالجندى فى الميدان يجاهد بسلاحه وعتاده ، والداعية يجاهد بمنطقه وبيانه ، والألمعى بعقله وتفكيره . والغنى بماله وذات يده ، وهذا التضامن يستدعى أن يكون هناك ترابط بين جنود الميدان وبقية أفراد الأمة الذين يأخذون سبيلهم فى مسالك الحياة المتشعبة.

ولقد كنا فيما مضى نأسى ونأسف لتقطع أواصر الاتصال بين الشعب والجيش ، ولكننا انتهينا بفضل الله وحده إلى عهد صار فيه الشعب جيشا ، وصار الجيش قطعة من هذا الشعب ، فبين الفريقين من أبناء الوطن روابط تجعل الجميع مجاهدين قلبا وقالبا من أجل معركة الحرية والكرامة .

فى ظلال هذه المعانى سارعت مغتبطا بالاستجابة لما قررته « إدارة الشئون العامة والتوجيه المعنوى بالقيادة العامة للقوات المسلحة » من اختيارى للمشاركة فى مجموعة

من الندوات الدينية والاجتماعية والقومية ، حددت لها الإدارة المدة الواقعة بين الحادى والثلاثين من أكتوبر سنة ١٩٦١ إلى الثالث عشر من نوفمبر ، وجعلت الأحاديث فى هذه الندوات موجهة إلى الضباط والجنود فى جيشنا العربى المجاهد . وقد أقيمت فى المناطق العسكرية بغزة والعريش والاسماعيلية وفايد والقاهرة والإسكندرية وكانت بمناسبة ذكرى العدوان الثلاثى الغاشم على بلادنا ، وبقصد تقوية الروح المعنوية فى صفوف الجنود المرابطين على الثغور ، والحدود ، والخطوط الأمامية .

ولعل أهم مالاحظناه هو أن هؤلاء المجاهدين من أبناء الأمة المؤمنة ، يتطلعون فى حرص وشوق إلى معرفة هدى الله وكلمة الإسلام فى شئون الحياة الفردية والجماعية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالشئون الاقتصادية : كالاشتراكية وتحديد الملكية والتأميم وغيره . وهذا يدلنا على أن النزعة الدينية مستكنة فى صدور هؤلاء الجنود ، وأنها تؤثر أثرها وتؤتى ثمرها فى التفكير والتوجيه ، ومن الواجب أن يواصل المختصون تقوية هذه النزعة وتزكيتها وتجليتها وتوجيهها إلى ما ينفع الفرد والمجموع ، وما يحسن الربط بين واجب الله وواجب الحياة ، والجمع بين تبعات الإيمان وحقوق الأوطان ، والتنسيق بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة اهتداء بقول الله جل جلاله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

ولعل الجندى عند خطوط الدفاع ، وعلى ثغور المرابطة ، هو أشد الناس حاجة إلى تعمير الصدر بالإيمان ، وتحصين القلب باليقين ، وتثبيت النفس بالعقيدة التى تعلم صاحبها أن الله هو خير الناصرين ، وأقوى المؤيدين ، وأنه يمين عباده المؤمنين : بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » ، « وإن جندنا لهم الغالبون » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

ولقد سمعنا نشيد « الله أكبر » يتردد أكثر من مرة ، فيذكرنا بأنه حينما أقبلت ساعة الهول ودقت طبول الخطر ، وتعرضت الأمة كلها للغزو الأثيم والعدوان الظلوم ، انطلقت صيحة الإيمان من فم أحد الشعراء ، فإذا القدر الغلاب يدفعه إلى افتتاح نشيده بشعار الإسلام وهتاف الإيمان : «الله أكبر» وإذا هو ينطقه بقوله :

الله أكبر فوق كيد المعتدى
والله للمظلوم خير مؤيد
أنا باليقين وبالسلاح سأفتدى
بلدى ونور الحق يسطع فى يدى

وتذكرنا أن هذا النشيد الوطنى الدينى الهدار قد انتشر وسار ، وتردد على اللهوات

والألسنة ، فأشعر من يعرفون ومن لايعرفون أن الإيمان بالله هو الملجأ والمعتصم وهو شاطىء النجاة والأمان ، حينما تثور الأعاصير وتتمرد الرياح ، وتتلظ الأخطار هنا وهناك ، وصدق القرآن الكريم إذ يقول « وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه » .

* * *

ومما لاحظناه أيضا أن إخواننا فى قطاع غزة ، وأشقاءنا اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم فى فلسطين العربية الإسلامية بغير حق يحسون الآن بلاذع الألم وعميق الحزن لما حدث من انفصال بين مصر وسورية ، لأنهم كانوا يؤمنون بأن الوحدة بين هذين الجزءين من أجزاء الوطن العربى الكبير بداية لامتداد « كماشة » عربية تدور وتلتف حول الجزء المغتصب من أرض العرب والمسمى زورا وبهتانا بإسرائيل ، لتسترد هذه « الكماشة » من غاصبيه ، وتعيده إلى أهله ومستحقيه ، عن طريق التطويق والهجوم لتحرير المغصوب واسترداد المنهوب ، وكانوا يرون أن يوم العودة إلى فلسطين قد أصبح قاب قوسين أو أدنى ...

ولكن الحركة الانفصالية فى سورية جاءت لخيبت الآمال ، وأبعدت يوم الخلاص ، لأنها فصمت « الكماشة » العربية من وسطها .

وكنا نقول لهؤلاء الأشقاء : نحن معكم فى أن حركة الانفصال قد خيبت الآمال ، وباعدت بيننا وبين يوم التحرير ، ولكننا مع هذا لانيأس ولا نقنط : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » ، « ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

ولاحظنا كذلك أن حالة الجنود قد تغيرت عما كانت عليه بالأمس ، فبالأمس كانت الجندية أمرا بغيضا مكروها عند العامة وكان إذا طلب أحد لأداء واجب الجندية هلع وفزع وودعه أهلوه بالصراخ والعويل ، وكان الجندى يعامل معاملة سيئة وقاسية ، فهو يسمع من الشتائم أقذرها ، ويجد من المعاملة أسوأها . وكان الجندى يحس بأنه خادم لقائده فهو يسخره فى أهوائه وشهواته .

وأما اليوم فقد صارت الجندية للجميع ، وصار بين الجنود علماء ومدرسون ومحامون ومهندسون وأطباء وطلاب جامعات ، وصار بينهم مثقفون وشعراء وأدباء ، وصارت الجندية فى نظرهم أمرا شريفا يفخر به صاحبه حتى لقد قيل فى إحدى الندوات إن الجندية هى « واجب ضريبة الدم » فاعترض أحد الجنود على هذا التعبير متحمسا وعلق عليه بقوله : « إن الجندية حق المواطن » بمعنى أن الفرد الكريم يطالب بتمكينه منها ، لأنها

حقه الذى يجب أن يناله فمن حق كل إنسان أن يدافع عن نفسه ووطنه وأبيه وأمه وإخوته وأسرته، فأعجبتنا هذه الروح الدالة على الحماسة والوعى ...

وكذلك قال قائل منا: « لقد كتب علينا الجهاد لتحرير الوطن »، فاعترض جندى متحمس على هذا التعبير، وقال إن التعبير بقولنا « كتب » فيه معنى الإرغام والإكراه، والجندى الآن لا يكره عمله فى الجندية، ومع إعجابنا بحماسته أوضحنا له أن هذا التعبير مستمد من تعبير القرآن الكريم - وهو الإمام فى البيان العربى - ومادة « الكتابة » تدل على الانتظام والجمع فى الأصل، وتدل على العزم، وعلى الفرض، وعلى الأمر المراد، وعلى التقدير، وعلى القضاء المبرم، ومن آيات التنزيل فى هذه المادة قوله تعالى: « كتب عليكم الصيام »، « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى »، « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا »، « كتب ربكم على نفسه الرحمة »، « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ».

وكذلك تغيرت معاملة القادة للجنود، فصار هناك تفاهم وتراحم، وأحس الجندى بذاته وكرامته، وبدت الطاعة من الصغير والعدالة من الكبير، حتى تذكرنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا ».

* * *

ولقد مررنا بالجنود وهم يرابطون داخل خنادقهم فى الخطوط الأمامية والمواقع العسكرية، ورأينا كيف يقف الجندى فى الخندق بملابس الميدان، ومدفعه فى يده، وبصره يحدق أمامه، ويظل هكذا ثمانى ساعات فى اليوم، ثم يخلفه فى مكانه أحد زملائه، فزكينا فيهم هذا الجهد، ورددنا عليهم قول الحق تبارك وتعالى: « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ». وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « رباط يوم فى سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه »، وقوله: « كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة »، وقوله: « عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله ».

ولعل الحديث الذى كان له وقع السحر فى آذان هؤلاء الجنود هو حديثنا إليهم عن الشهادة فى سبيل الله والوطن، أو صناعة الموت فى سبيل الحق والواجب، فقد توائبت أفئدتهم حماسة وشجاعة حينما تبينوا كيف كانت صناعة الموت هذه عادة آبائهم وأجدادهم منذ القدم، فمن آبائهم الشجاع الذى قال:

بكرت تخوفني الحتوف كأنني
أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل
لابد أن أسقى بكأس المنهل
فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى
أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل !

ومن آبائهم أيضا الذى قال يخاطب نفسه مثبتاً لها فى مواطن الهول :

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الأبطال : ويحك لن تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً
فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز
فيطوى عن أخى الخنع اليراعى[1]

ولقد اهتزت نفوس الجنود بكريم المشاعر وهم يسمعون كيف علم محمد أتباعه صناعة الموت فى سبيل الله ، وسبيل الله عريضة واسعة ، فهى سبيل الحق والعدل والإيمان والحرية وعزة الأوطان وكرامة الإنسان ، حتى قال سيد البشرية : « والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل » وقال : « يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته » وقال : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة » .

واهتزت نفوسهم حين عرفوا كيف كان القرآن المجيد إماما لهذا النبى وقومه فى تعليمهم الشهادة ، فهو الذى يقول : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » . وهو الذى يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

ولقد اطمأنت نفوس الجنود إلى التزكية الدينية للمبادئ الاشتراكية السمحة العادلة التى جاء بها الإسلام حينما سمعوا هذه الآيات من كتاب ربهم عز وجل ومعها ما يناسبها من تفسير « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » ، « وجعلنا لكم فيها معايش » ، « أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وآتوهم

---

(١) أخو الخنع : الذليل ، واليراع : القصبة التى لا جوف لها ، والرجل الجبان الذى لا قلب له ، كأنه لا جوف له يكون فيه قلب .

من مال الله الذى آتاكم » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » ، « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

وحينما سمعوا هذه الأحاديث المشرقة من أقوال الرسول المصلح ومعها ما يلائمها من شرح وبيان :

« ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » ، « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » ، « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع » ، « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه وهو يعلم » ، « إن الأشعرين كانوا إذا أرملوا فى غزو ، أو قل طعام عيالهم ، جمعوا ما لديهم من طعام فى ثوب واحد ، فاقتسموه فيما بينهم بالسوية ، فهم منى وأنا منهم » ، « الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » ، « ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة » ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، « المال مال الله وأنا عبده » ، « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ، « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » ، « أيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به » .

أما بعد ، فقد كان آخر ما أسمعته أولئك المجاهدين المرابطين قول الشاعر العربى المقدام :

سأحمل روحى على راحتى
وأمضى بها فى طريق الردى
فإما حياة تسر الصديق
وإما ممات يسوء العدا

ولو أن أفراد الأمة المناضلة حملوا أرواحهم على أيديهم ، وانطلقوا بها فى ميادين جهادهم ، مستعدين لبذلها حين يجد الجد ، لكتب لهم ربهم النصر والعزة والكرامة : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

أحمد الشرباصى

اقتصاديات السكان عند ابن خلدون

للأستاذ محمد محيى الدين المسيرى

ظروف المجتمع وتأثيرها على دراسات السكان :

من أهم الموضوعات التى يهتم بها الاقتصاد الاجتماعى مسائل السكان وعلى الأخص علاقة عدد السكان بمستوى المعيشة . بيد أن الاعتبارات الاقتصادية البحتة ليست هى العوامل الوحيدة التى يصح الأخذ بها فى تقدير مسائل السكان . بل هناك اعتبارات أخرى منها الحربى والاجتماعى والأخلاقى .

وليست مسائل السكان من المسائل التى أثيرت حديثا بل كانت موضع بحث القدماء . إلا أن بحث القدماء يتغلب عليه الطابع الاجتماعى والحربى . ولا يبدو فيه جليا الطابع الاقتصادى . فنى أثينا وفى سبارطة نظروا إلى السكان كأداة حربية تبسط بها الدولة سلطانها على جيرانها . وهنا تنتشر فى الشعب المتسلط فكرة تسيطر على عقليته ونفسيته من جميع الوجوه ، أساسها زيادة عدده لتحقق هذا الهدف [1] .

فالدولة الرومانية القديمة شجعت كل ما من شأنه زيادة السكان . وقد اتخذ الاستعمار فى شكله الحالى نفس الأسلوب فهو يشجع الأفراد على التمسك بعقيدة « سيادة الجنس » المستعمر على غيره من الأجناس الأخرى . وعلى هذا فالسياسة السكانية التى رسمها « هتلر » بعد سنة ١٩٣٤ [1] كانت تهدف إلى زيادة عدد السكان فى ألمانيا لأغراضه الاستعمارية كما أن العقيدة البريطانية لا تخرج بعيدا عن هذا الاتجاه على الرغم من أن الدولة لا تفصح علنا عن اتجاهاتها السكانية .

كذلك كان يرجى من النسل تعويض ما تأتى عليه المجاعات والأمراض والحروب ، وقد يكون عرب الجاهلية من الشعوب القليلة التى ربطت الاعتبارات الاقتصادية بالاعتبارات الاجتماعية عند تناول مسألة وأد البنات . فقد كان العربى الجاهلى يخشى من ضغط المجاعات والغزوات على شرف أسرته فيفضل الوأد على العار المتوقع من احتمال القحط ، وفى ذلك نزلت الآية الكريمة : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم » .

---

[١] السياسة التوسعية أو الاستعمار .

(١) ذلك أنه اعتقد أن الجنس الآرى هو سيد أجناس العالم ، وهو لهذا السبب يجب أن يسود ويحكم .

أما فى بحث المدرسة التقليدية لمسائل السكان فقد طغت الناحية الاقتصادية لجعلوا مقياس الرغبة فى زيادة السكان مرتبطا بتأثير تلك الزيادة فى مستوى المعيشة هل يكون صعدا بتأثير قانون الغلة المتزايدة فى الانتاج لكثرة اليد العاملة أم أن قانون الغلة المتناقصة فى الإنتاج يؤدى عاجلا أو آجلا إلى انخفاض ذلك المستوى .

والواقع أن بحث تلك المسألة كان يرتبط دائما بالظروف الموجودة فى زمن ذلك البحث ، وقد كانت الظروف الاقتصادية تشغل المقام الأول حين كتابة « مالتس » ومن تلاه مباشرة ، لذلك ظهرت فى كتاباتهم نزعة تغليب الاعتبارات الاقتصادية فى استنتاجهم . أما أن مسألة السكان ترتبط بالظروف الملازمة للزمان والمكان فالدليل على ذلك مستفاد من تبادل التشاؤم والتفاؤل حسب الزمان والمكان الذى كتب فيه كل من جودوين ومالتس وآدم سميث وسسمو ندى الخ .

وقد كتب ابن خلدون ما كتبه عن السكان فى زمن كان الاعتبار الغالب على مسألة السكان هو الغالب قديما ، أى الاعتبار الاجتماعى والحربى . فالنسل كان مطلوبا لإعزاز الدعوة القومية والتغلب على غزوات الأسبان للأندلس . كما أن الاسلام شجع زيادة النسل وتحسينه .

ويروى ابن خلدون من الناحية السياسية والحربية أن عظم الدولة يكون على نسبة القائمين بها فى القلة والكثرة . والسبب فى ذلك كما يقول فى مقدمته فى الفصل الثالث ص ١٥٣ ، ١٥٤ : « إن الملك إنما يكون بالعصبية ، وأهل العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها . فما كان من الدولة العامة قبيلها وأهل عصبيتها كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطانا واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الاسلام . . . وأما طول أمدها فعلى تلك النسبة » . . . وهكذا نسب ابن خلدون الدولة فى أعمارها على نسبة القائمين بها .

على أن ابن خلدون لم ينظر لمسألة السكان من الناحية الاجتماعية والسياسية فقط ، بل تناول أيضا الناحية الاقتصادية فبحث زيادة السكان وأثرها فى زيادة الانتاج ثم علاقتها بمستوى المعيشة مفندا ظاهرة الغلة المتناقصة كما تناول بالبحث أثر الرخاء فى زيادة السكان وأخيراً أردف ببحثه بحثا جديداً لم يسبق اليه عن أثر الاستعباد فى قلة السكان .

أثر وفرة السكان فى زيادة العمران :

يرى ابن خلدون أن وفرة السكان تؤدى إلى زيادة تجزئة العمل وبالتالى إلى زيادة التعاون وحسن الاستغلال فيزداد الانتاج

تبعا لذلك . ومن ناحية أخرى يؤدى ازدياد العمران الناتج إلى ازدياد القوة الشرائية وبالتالى إلى زيادة الطلب وزيادة الانتاج مرة ثانية . فلا خوف إذا من زيادة السكان إذ أن وفرة السكان وإن أفادت زيادة فى العرض إلا أنها من ناحية أخرى تقابلها زيادة فى الطلب . والمجتمع يسعى دائما إلى استيعاب الزيادة فى السكان دون أن يؤثر ذلك على مستوى المعيشة فيه لأن ازدياد السكان يقابله زيادة العمران . وما دام كل من البسط والمقام فى ازدياد فلا خوف من انخفاض نسبة الحاصل .

يقول فى هذا الصدد (فى الفصل الرابع من مقدمته ص ٣٤٢) « إن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته فى معاشه وإنهم متعاونون جميعا فى عمرانهم على ذلك والحاجة التى تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورة لأكثر من عددهم أضعافا . فالقوت من الحنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه . وإذا انتدب لتحصيله الستة أو العشرة من حداد ونجار للآلات وقائم على البقر وإثارة الأرض ... الخ . وتوزعوا على تلك الأعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم مقدار من القوت فإنه حينئذ قوت لأضعافهم مرات فالأعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضروراتهم » .

خلاصة رأيه هذا أن ازدياد التعاون الناتج عن ازدياد السكان مرجعه تجزئة العمل بما يؤدى إلى تطبيق قانون الغلة المتزايدة (١) .. وهو لذلك يعتبر السلف العظيم لمارشال حين يقول هذا « يبدو أن زيادة السكان تصاحبها باستمرار زيادة فى وسائل إشباع الحاجات الإنسانية » (1) .

وتلك هى الفكرة الأساسية التى حارب بها أغلب الاقتصاديين مخاوف مالتس ، فالغلة المتزايدة هى الضمان الكبير الأثر فى نظام السكان . ولا ننسى أن هامش الانتاج كان لا يزال متسعا فى ذلك الزمن بمعنى أنه لم تكن الموارد الطبيعية مستغلة الاستغلال الأقصى . فكان يمكن أن يؤدى المجهود الجديد إلى غلة متزايدة . ومن جهة أخرى نلاحظ أن عنصر العمل كان أهم عناصر الانتاج . فمعنى وفرة السكان وفرة اليد العاملة ووفرة الإنتاج وازدياد العمران .

على أن ابن خلدون لم يقتصر على إعطاء

---

(١) يقصد بهذا القانون أن كل زيادة فى عناصر الإنتاج المستخدمة فى المشروع تنفأ عنها زيادة فى الناتج بنسبة تزيد على نسبة زيادة هذه العناصر . ويتحقق قانون الغلة المتزايدة فى جميع المشاريع سواء كانت صناعية أو زراعية غير أن أثره فى الصناعة أكثر وضوحا .

(1) Morshall, Principles of economico — Eight Edition p. 321 .

فكرة مجملة عن زيادة الإنتاج بسبب زيادة تجزئة العمل من جراء وفرة السكان . بل أخذ يتقصى بدقة تأثير وفرة السكان فى زيادة الإنتاج .

قال : « فأهل مدينة أو مصر إذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار ضروراتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالأقل من تلك الأعمال وبقيت الأعمال كلها زائدة على الضرورات فتصرف فى حالات الترف وعوائده وما يحتاج إليه غيرهم من أهل الأمصار . ويستجلبونه منهم بأعواضه وقيمه . فيكون لهم بذلك حظ من الغنى . وقد تبين لك فى الفصل الخامس فى باب الكسب والرزق أن المكاسب إنما هى قيم الأعمال . فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعتهم أحوال الرفه والغنى إلى الترف وحاجاته من التأنق فى المساكن والملابس ، واستجادة الآنية والماعون ، واتخاذ الخدم والمراكب وهذه كلها أعمال تستدعى بقيمها ويختار المهرة فى صناعتها ، والقيام عليها ، فتنفق أسواق الأعمال والصنائع ، ويكثر دخل المصر وخرجه ، ويحصل اليسار لمنتحلى ذلك من قبل أعمالهم ، ومتى زاد العمران زادت الأعمال ثانية ، ثم زاد الترف تابعا للكسب ، وزادت عوائده وحاجاته ، واستنبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب فى المدينة لذلك ثانية ، ونفقت سوق الأعمال بها أكثر من الأول وكذا فى الزيادة الثانية والثالثة لأن الأعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى ، بخلاف الأعمال الأصلية التى تختص بالمعاش »[1] .

فالنقط الأساسية فى نظرية ابن خلدون عن تأثير وفرة السكان فى العمران هى أن زيادة اليد العاملة تؤدى إلى تجزئة العمل وبالتالى إلى تطبيق قانون الغلة المتزايدة فى الإنتاج . ثم ان زيادة اليد العاملة معناه زيادة الأعمال وازدياد المكاسب وازدياد القوة الشرائية ، وازدياد الطلب وحاصل ما تقدم زيادة العمران بازدياد الدخل والخرج ، إن الإنتاج الجديد ينصرف إلى الترف إذ أن الضروريات تكون منتجة بقدر كاف وإليها انصرفت الأعمال الأصلية .

وقد ميز ابن خلدون بين إنتاج الضروريات وإنتاج مواد الترف ، فالأعمال الأصلية للسكان منصرفة إلى إنتاج الضروريات . أما حيث يتسع المصر او المدينة فالأعمال او المجهودات الجديدة تنصرف إلى الإنتاج الترفى فضغط زيادة السكان لا يؤثر فى مستوى القوت فهذا القوت ينتج بقدر كاف بأقل مجهود من المجتمع . ومجال البحث إنما هو عن أثرها فى مستوى الرفاهية .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ــ الفصل الرابع ص ٣٤٢

ولما ميز ابن خلدون بين انتاج الضرور وانتاج أدوات الترف . وفرق بين مستوى الرفاهيه وبين مستوى القوت وضع بذلك مسألة زيادة السكان فى وضعها الصحيح فالمسألة ليست مسألة الإعاشه فهذه يمكن ضمانها وانما المسألة تتعلق بضغط تلك الزيادة على مستوى رفاهية السكان الأصليين .

ولابن خلدون فضل يذكر على مالتس ومن رأى رأيه . فهؤلاء خلطوا بإشارتهم إلى الجوع والأمراض بين أثر زيادة السكان فى مستوى الرفاهية وبين ضغطها على مستوى القوت ، فالغذاء يحصل تدبيره بالتخزين أو الاستيراد . والمشاهد عموما أن إنتاج الضروريات من مواد غذائية ... الخ أكثر من الاستهلاك الكلى بل قيل إن العالم يشكو فى هذه الناحية من إفراط الإنتاج . ثم إن مسألة القوت مسألة نسبية للإرادة والمناخ والعادات أثر كبير فى تكيفها . وعلى حد قول ابن خلدون عن هلاك الناس بالمجاعات أن الذى قتلهم هو الشبع المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق (١) . فالناحية المهددة ليست إمكان نتاج ضروريات المعيشة وإنما الكماليات فيها فهذه موضوع التنازع والانتقال وإليها تتجه الأطماع فتتحرك الفتوحات والاستعمار .

وقد أجاد ابن خلدون كل الإجادة بهذا التمييز الجوهرى بين مستوى الرفاهية ومستوى القوت .

وإذا كانت بعض الجماعات قد وجدت نفسها مهددة ، من الناحية الغذائية فسبب ذلك ليس عجزا فى طاقة الإنتاج وإنما اختلال فى نظام التوزيع ...... فقد يكون هناك اختلال بين حجم الزراعة والصناعة أو امتلاك فئة قليلة أدوات الإنتاج فتتحكم فى الأجور والغذاء وتتسلط على كافة شئون الدولة .

فزيادة السكان إذاً من الناحية الاقتصادية لا يخشى معها حتى على مستوى الرفاهية . فزيادة الاستهلاك تقابلها زيادة الإنتاج ، وزيادة العرض يقابله زيادة الطلب ، وزيادة الخرج يقابله زيادة الدخل ، وبالأجل زيادة السكان يقابلها زيادة العمران .

أثر العمران فى زيادة السكان :

قدمنا أن كثرة السكان تؤدى إلى زيادة العمران . إلا أن ابن خلدون يرى كذلك أن اتساع العمران يستوجب ازدياد السكان .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الأول ص ٨٦ فى اختلاف أنواع العمران فى الخصب والجوع . وينتقد من يتوهم أن الجوع مهلك « فليس الأمر كذلك إلا إذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية » .

وهو يعلق أهمية كبيرة على أثر العمران فى تيسير سبل المعيشة ويشبه الناس فى تزاحمهم على ثروات العالم بتزاحم الحيوانات العجم على فتات بيوت أهل النعم . وكيف تختلف أحوالها فى مجرانها أو غشيانها « فإن بيوت اهل النعم والثروة والموائد الخصبة منها تكثر بساحتها وافنيتها الحبوب وسواقط الفتات فيزدحم عليها غواشى النمل والخشاش . ويحلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطانا وتمتلىء شبعا وريا . وبيوت اهل الخصاصة والفقراء الكاسدة ارزاقهم لا يسرى بساحتها دبيب ولا يحلق بجوها طائر ، ولا تأوى إلى زوايا بيوتهم فأرة ولا هرة » ويقول « واعتبر غاشية الأناسى بغاشية العجم من الحيوانات وفتات الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يبذلها لاستغنائهم عنها فى الأكثر لوجود امثالها لديهم[١] » .

وهذا الكلام الأخير يكاد يشير إلى فائض المستهلك الناتج عن العمران وكيف أنه يزداد لفائدة المستهلكين كلما زاد العمران . فكلما زاد العمران زاد ما يناله الفرد من خير وزادت قوة شرائه .

ويقول بوتول[٢] « إن ابن خلدون يهتم اهتماما كبيراً بالظواهر المتعلقة بمسألة السكان ويظهر ما بينها وبين ثروة البلد من علاقة وثيقة .

إن بعض كتاباته تضعه فى صف أصحاب النظريات التى سميت théories populationistes - وهى نظريات السكان - والتى تجعل من السكان سبب الثروة . من ذلك قوله « إن تفاضل الأمصار والمدن فى كثرة الرفه لأهلها ونفاق الأسواق إنما هو فى تفاضل عمرانها فى الكثرة والقلة »[١] . وهو يرجع ذلك إلى تجزئة العمل بل يكاد يلمح قانون المنافذ .

ولكن نظرية ابن خلدون لا تقتصر على جانب واحد من المسألة إذ هو يذكر فيما بعد أحوالا تجعل الثروة سببا فى زيادة السكان وليس السكان سببا لزيادة الثروة . من ذلك قوله « إن الدولة التى تشجع الصناعة يزيد سكانها وتزيد جبايتها » .

ويستنتج بوتول مما تقدم إدراك ابن خلدون إدراكا صحيحا للنواحى المتعددة التى تثيرها مسائل السكان .

(البقية فى العدد القادم)

محمد محيى الدين المسيرى

---

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص ٣٤٤ فى أن تفاضل الأمصار . . . الخ .

(٢) Bouthoul P. 34—34 .

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص ٣٤٢

من أعلام التصوف :

الإمام أحمد الغزالى

للأستاذ عباس طه

إنى لأعجب أن يغفل الباحثون تاريخ رجل ملأ سمع الزمان وبصرة وحلب شطرى الدهر حلوه ومرّه هو العلامة أحد كبار الربانيين المستنيرين فى علوم الحقيقة وفقه البصائر وهو صاحب هذه الترجمة .

يقول العلامة السبكى إن أحمد الغزالى وهو شقيق أبى حامد الغزالى المعروف بمصنفاته ومؤلفاته كان فى وعظه وتأثيره على النفوس وخطبه أخطب من دهر وأوعظ من قبر وأدفق من نهر ، وكان أرق من الهواء وأسلس من سلسبيل الماء . كان واعظا تنفلق صم الصخور عند استماع تحذيره ، وترعد فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره ، فلا قلب إلا تبين صدعه ، ولا جفن إلا رشح بالدم دمعه فلو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب ، ولو ربط إبليس فى مجالس تذكيره لتاب [1] .

وقد سما التاريخ بأبى حامد الغزالى بينما ترك أخاه فى غمار المنسيين الخاملين رغم ما كان له من أثر عميق فى العصر الذى عاش فيه معاصراً لأخية العظيم أبى حامد الغزالى .

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص١٠٣

صلته بأخيه ، وأثره فى غيره من المفكرين . ؟

إسمه كما ورد على لسان العلامة ابن خلكان « أبو الفتوح أحمد بن محمد بن أحمد الطوسى الغزالى الفقيه الشافعى [1] » ويذكر السبكى [2] وطاش كبرى زاده [3] أنه كان يلقب بلقب أخيه زين الدين حجة الإسلام .

ولسنا نعرف مولده فى إحاطة شاملة ، غير أن من الثابت البين أن ميلاده كان بعد عام ٤٥١ هـ أى بعد مولد أخيه أبى حامد . فمن الراجح إذن أن يكون مولده سنة ٤٥٣ أو سنة ٤٥٢ فالفارق بينه وبين أخيه فى السن لم يكن كثيرا فقد ذهبا معاً إلى المدرسة فى حداثة سنهما .

أما عن طفولته فقد توفى والده محمد الغزالى وهما حدثان وكان والدهما أميا رقيق الحال وكان يعيش فى طوس فى القرن الخامس الهجرى لا يأكل إلا من كسب يده فى عمل غزل الصوف . وكان يطوف على الفقهاء بمجالسهم

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان ص ٤٩ .

(٢) طبقات : ص ٤٩ .

(٣) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٩٢ .

ويتوفر على خدمتهم . وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه إبنا ويجعله فقيها . ويحضر مجالس الوعاظ ، فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه إبنا واعظا ، فاستجاب الله دعوتيه .

وقد أوصى الوالد بولديه إلى صديق له متصوف من أهل الخير ، وقال له : « إن بى أسفا بالغا على جهلى بالقراءة والكتابة واشتهى إدراك ما فاتنى فى ولدى هذين » . ولما مات والدهما وكانا تحت كفالة ذلك الصوفى العظيم أقبل الصوفى على تعليمهما حتى استنفدا ما خلفه لهما والدهما من المال وكان نزرا يسيرا فنفد . الرجل بحملهما وقال لهما ليس لى يدان باحتمالكما « إعلما أنى قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، وأنا رجل من أهل الخصاصة والتجريد ، وليس لى مال أحملكما عليه ، وإذن فأصلح ما أرى لكما أن تلجأ إلى مدرسة ليأتى إليكما قوتكما من هذه المدرسة فيعينكما على مضى الحياة فى غضاضة من العيش » .

فقال أبو حامد « فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحصيل القوت » (١)

ولسنا نعرف كثيرا من الاختلاف بين الأخوين فى منحاهما فى تلك الفترة . غير أن الفارق الفريدهو بدء تكون الوجدان الصوفى العميق عند أحمد الغزالى ، وظهوره فى إقدام منقطع أثناء تلاوته أو إنشاده أو صلاته ، وفى حبه للعزلة والخلوة ونأيه عن الجلوة . أما أبو حامد فقد كان يتجه اتجاها غير صوفى ، بل كان يعد لحياة أخرى فقهية وعقلية بعيدة عن تقاليد الصوفية .

ولم تكشف لنا المصادر التى أفصحت عن أحمد الغزالى شيئا عن دراسته الفقهية ولا عن أساتذته الذين تلق عنهم هذا السلوك . فقد ذكر صاحب وفيات الأعيان « أنه كان من الفقهاء المبرزين غير أنه جنح إلى الوعظ » (١) ، ويذكر ابن السبكى وطاش كبرى زاده أنه تفقه ثم نزع إلى التصوف (٢) » . وهذا ما يردده صاحب مرآة الجنان ، ونقله عنه فى ألفاظه صاحب شذرات الذهب (٣) .

من هنا نصل إلى أن أحمد الغزالى لم يلج حظيرة الصوفية إلا بعد أن درس علوم الشريعة محققا بذلك تلك النزعة الصوفية التى كثيرا ما نادى بها السنيون من المتصوفة .

اختلفت المشارب بعد ذلك بين الأخوين

---

(١) ابن السبكى حـ ٢ ص ١٠٣ - وإتحاف السادة للمتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين لابن المرتضى حـ ١ ص ٧ وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة حـ ٢ ص ٢٠٢ .

(١) وفيات الأعيان ص ٤٩ .

(٢) طبقات ص ٥٤ ، مفتاح ص ٢٠٢ حـ ٢ .

(٣) مرآة الجنان حـ ٢ ص ٢٢٥ شذرات الذهب حـ ٤ ص ٦٠

فى سلوكهما — فقد سار أبو حامد فى طريق الفقه ثم انتقل إلى علمى الكلام والفلسفة ، أما أحمد « فقد غلب عليه الوعظ ، والميل إلى الانقطاع والعزلة وكان صاحب عبارات وإشارات » (١) .

فإذا انتهى دوره من هذه المرحلة وجاوز تلك المفازة رحل إلى همذان على ما يذكره الحافظ السلفى قال شهدت مجلس وعظه بهمذان، وكنا فى رباط واحـــد ، بيننا ائتلاف واكتناف وشديد رغبة فى وثيق صحبة كان من أذكى خلق الله وأعرفهم بمواقع الكلام وأصوبه فى نفوس الكرام .

إن شئت فهو الماء نميرا أو الزهر عبيرا ، وإن شئت فهو الجمر سعيرا أو النار توقدا وزفيرا ، إن شئت فهو اللبن خالصاً سائغا يخرج من بين فرث ودم وإن شئت فهو المر النقيع والعلقم » (٢) وكذلك كل من يشعر بقسط وفير فى الوجود وأثره البعيد فى الخلود ينبغى أن يكون له لسان ذو حدين حد فائق وحد رائق إن سالمته سال عذبا وإن صارمته سل عضبا ، ومثل ذلك النحل إن رضيت عملت العسل وإن غضبت أعملت الأسل .

هذا هو أحمد الغزالى فى حالى رضاه فى الله وغضبه فى الله .

وقـــد طوف البلاد واعظا من أندر الواعظين وسبقته شهرة ضربت إليها آباط المطى حتى أتاها المريدون من كل مكان قصى يقول طاش كبرى زاده « وكان يدخل القرى والضياع ويعظ لأهل البوادى تقربا إلى الله تعالى » ويقول صاحب شذرات الذهب وعظ مرة فى بلاط السلطان محمود فنحله ألف دينار (١) ، ثم انتهى به المطاف إلى بغداد ، يقص علينا ابن النجار أنه « دخل بغداد وأحـــرز بها القبول الأخاذ فازدحم الناس وتسابقوا إلى شهود مجلسه والاغتراف من مناهل درسه ، وكان قد سبقه إليها أبو حامد الغزالى أخوه واجتمع به حتى التقيا على صعيد واحد ، وكانت العلائق بين الأخوين وثيقة ، فبينا أحدهما وهو أبو حامد يشرح الناس ويفصل فى أقضيتهم ويضرب فى علم الكلام والفلسفة وآداب المناظرة ومصطلح الحديث وعلم توهين الدخـــلاء على الفقه والتفسير والرياضيات ، كان أخوه أحمد يرى الدنيا ببصره الثاقب فيراها دار غرور وخداع « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب » .

ولقد كان ضعيفا مستضعفا فإذا جده الجد فهو الليث عاديا ، وكان أكثر دهره صامتا

(١) شذرات الذهب .
(٢) طبقات نفس الصفحة .
(١) شذرات نفس الصفحة .

فإذا قال بن القائلين ، لا قلب له إلا مع الله ، ويقص صاحب مرآة الجنان (١) أن إنسانا سأله عن أخيه أبي حامد أين هو فقال بعد أن جال ببصيرته النفاذة إنه في الدم ، وذكر ذلك لأخيه أبي حامد فقال : صدق أحمد لقد كنت أذاكر في مسألة من مسائل المستحاضة وتقص السير الوثيقة أن أبا حامد عهد فترة إلى أخيه أحمد بالتدريس في النظامية فقام أحمد بذلك حتى عاد أخوه إليها ، وقد عاش في بغداد مدة ، ثم عاد إلى طوس مع أخيه ، إذ يذكر ابن المرتضى وفاة أبي حامد عن أخيه أحمد وفاة أبي حامد كانت في طوس سنة ٥٠٥ هـ . وعاد أحمد إلى الطواف بعد وفاة أخيه حتى قضى سنة ٥٢٠ هـ في قزوين ودفن بها .

ويطبق المؤرخون على أن الإمام أحمد الغزالي كان من عيون الوعظة في الإسلام غير أن تلك الصفة لا يعني بها في تقدير المؤرخين بمقدار ما يعني بأثره في حياته الدراسية والوعظية الخطابية بين أترابه ومعاصريه.

ويقص علينا العلامة ابن المرتضى أن من أمهات الأسباب التي حملت الإمام أبا حامد على سياحته في الأرض وقطعه مفاوز القفار ولجج البحار ، وزهده وانطوائه على ذات نفسه ، وعزوفه عن مفاتن هذه الدنيا وبروقها ، أنه ذات يوم جلس ليعظ الناس ، فدخل عليه أخوه أحمد وأنشده :

أخذت بأعضادهم إذ ونوا
وخلفك الجهد إذ أسرعوا
وأصبحت تهدى ولا تهتدى
وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى
تسن الحديد ولا تقطع

فكان ذلك حافزاً لتركه زخارف الدنيا وزبرجها (١) .

يتبين من ذلك أن الإمام أحمد هو الذى سلك أخاه الإمام أبا حامد إلى طريق التصوف وقد أثرت هذه الحال على أبي حامد أعمق تأثير مما جعله يترك التدريس في النظامية مدة.

وكان عين القضاة الميانجي من أخص تلاميذ الإمام أحمد الغزالي وكان كاما به تواقا إلى ترسم خطاه في الوعظ والإرشاد حتى أنه نشر عنه كتاب سواغ العشاق ، وترجمه إلى اللغة الفارسية . وكان عين القضاة من أكابر الأئمة ومن تلاميذه ، السالك في الله ، الشاعر الوجداني في الحب والمواجيد ، الفريد العطار الشاعر الصوفي الفارسي ، وقد روى عنه المؤرخون أن هذا الشاعر أكمل الأسس والمبادئ العامة لنظرية الحب الإلهي

---

(١) ٣ ص ٢٢٥ .

(١) إتحاف السادة ج ١ ص ٨ .

حسبما أرسى قواعدها شيخه الإمام أحمد الغزالى .

مذهب صاحب الترجمة :

لم تصل إلى أيدينا مؤلفات الإمام أحمد الغزالى ولا مؤلفات تلميذه (عين القضاة) - وقد نشر أحدها بالفارسية حتى نستطيع عرض مذهبه الصوفى عرضا كاملا حيث يبدو أن لأحمد الغزالى مذهبا صوفيا خاصا أشار إليه العلامة الفرنسى ماسينيون Massignon إشارة مجملة غير مفصلة فقال: إنه مذهب الحب البحت أو الحب الصافى L'amour pur [1].

ولا شك أن عين القضاة كان قد دان بهذا المذهب ثم دان به من بعده الفريد العطار . ولكن ماسينيون لم يعرف هذا الحب تعريفا يميزه عن تعريف الخاصة الصوفية .

مؤلفات صاحب الترجمة :

يذكر المؤرخون أنه اختصر كتاب أخيه أبى حامد الموسوم بإحياء العلوم ، فى مجلد واحد سماه لباب الأحياء ، وأن له كتاباً آخر سماه الذخيرة فى علم البصيرة ، ولم تصل إلينا هذه الكتب ، غير أننا نستطيع أن نصل إلى بعض مؤلفاته الأخرى مما كتبه مؤرخو الطبقات . فقد نشر العلامة الفرنسى ماسينيون نصا له بالفارسية عن كتاب يسمى سواغ المشاق الذى يقول : إن عين القضاة الهمذانى نشره عن أحمد الغزالى ، كما نشر له بعض النصوص من مخطوطة القصاص لابن الجوزى .

اتهامه فى دينه من غلاة الخصوم :

وجد عليه فريق من غلاة خصومه الحانقين فنقل عنهم صاحب كتاب شذرات الذهب أن صاحب الترجمة « كان موصوما فى دينه » وفى فقرة أخرى يقول : « وقد تألب عليه غير واحد وغمزوه فى عقيدته » - ولا شك أن العلم أن أسمى تراث ينفث عليه بين علمائه وأدعيائه ، فكثيرا ما وصم أئمة المسلمين بالزيغ والجنوح إلى الهوى .

وقد قال صاحب مرآة اليقظان « لقد أثنى عليه الحافظ بن النجار وغيره من العلماء والأتقياء فلا يؤبه لما نقل وقيل عنه » .

وقصارى القول أن ما ورد عن العلامة أحمد الغزالى من النيل منه محض كذب واختلاق .

والدعاوى إن لم يقيموا عليها
بينات أصحابها أدعياء

عباس طه

(1) Recueil de Textes imédits P. 94 — 95.

ما يقال عن الإسلام

الإسلام في التاريخ الحديث

تأليف الأستاذ ولفريد كانتويل سميث

للأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتاب ولفريد كانتويل سميث أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال ، وقد أقام زمنا فى مدينة لاهور بالباكستان وساح فى بلاد الشرق الأوسط وبعض البلاد الإسلامية فى القارتين الآسيوية والأفريقية، وتغلب عليه أحيانا نزعة يسارية تتراءى من خلال تفسيراته المادية ولكنه يجامل الشعور الإسلامى بمجاملة الرجل الذى ترتبط أعماله بالمسلمين من حين إلى حين ، ويتجنب المسائل الشائكة من وراء المنازعات الطائفية أو السياسية مكتفيا من المعلومات بما يشبه الإحصاء والشواهد « الرسمية » .

وقد اشتمل كتابه على فصول مسهبة عن الهند والباكستان وتركيا والبلاد العربية وعرض لبعض الأمم الإسلامية الأخرى عرضا موجزا على قدر اتصاله بها وعلمه بأحوالها ، وأفرد جزءا من دراسته لمصر بالكلام على مجلة الأزهر وعن رسالتها الدينية ورسالة « العلماء » على الإجمال، ومهد للبحث كله ببعض الملاحظات العامة التى لا بد منها فى رأيه للحكم الصحيح على وجهة التفكير الإسلامى ونظرة المسلمين إلى وقائع الحاضر وآمال المستقبل ، ولم يخطىء فى الكثير من هذه الملاحظات وإن كان قد أحاطها بشىء من الإغراب يوهم القارىء الأوربى أن هناك أمرا غير طبيعى فى « النفسية » الإسلامية عند المقابلة بينها وبين المؤثرات الدينية فى نفوس غير المسلمين .

يقول إنه ما من دين استطاع أن يوحى إلى المتدين به شعورا بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم فى غير تكلف ولا اصطناع ، وإن الفخر بالعربيه قد يمازج هذا الشعور أحيانا فيعتبر المسلم العربى آداب المروءة قبل الإسلام قدوة للأخلاق والعادات ، ويشترك العربى فى هذا الفخر ولو لم يكن من المسلمين ، فيعنى بالتاريخ العربى قبل الإسلام وبعد الإسلام عناية النسب الأصيل كما صنع جرجى زيدان وفيليب حتى وغيرهما من

مؤرخى العرب المسيحيين ، ولكن اعتزاز المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة ، وكون الإنسان مسلما باعث من بواعث الحمد تسمعه من جميع المسلمين .

وبين المسلم المعاصر وسائر المعاصرين من الغربيين فارق عميق فى النظر إلى العالم وإلى المستقبل، فإن الأمريكى مثلا يواجه المستقبل بتجارب العصر الحاضر ويغلب القيمة العملية الواقعية على قيم العاطفة والخيال فى تقديره للأشياء وعلاقاته مع الناس ، ولكن المسلم على خلاف ذلك ينظر إلى المستقبل ليقيمه على أساس من الماضى المجدد ، ويسعى إلى الغد ولا يفوته أبدا أن يلتفت إلى الأمس البعيد ، وإن لم يكن من الجامدين الكارهين للتقدم ومسايرة الزمن على ما تقتضيه مطالب الحضارة الحديثة .

ويقرر المؤلف أن جنوح المسلم إلى مسايرة الحضارة الحديثة لا يزال مصحوباً بكثير من التحفظ والحذر فى علاقته بأصحاب هذه الحضارة ، فإنه لا ينسى أن دول الحضارة الأوربية هى التى اخضعته لسيطرتها منذ أواسط القرن الماضى واقتحمت بلاده عليه فى الوقت الذى ثار فيه على حكوماته الوطنية طلباً للإصلاح والأخذ بأسباب تلك الحضارة التى أرادها خالصة من شوائب الاستعمار ، بريئة مما يناقض الدين .

قال : وإن المسلم ليحس أن الأوربى يفرق فى المعاملة بينه وبين أصحاب الديانات الأخرى ولو لم يكونوا من المسيحيين ، وأن هذه التفرقة تظهر من الأوربى حيث ينبغى أن تختفى جميع الفوارق فى معاملة الإنسان للإنسان . فقد لوحظ أن مستشفيات الصليب الأحمر كانت تهمل الجرحى المسلمين أثناء حملة فلسطين وتميز عليهم جرحى اليهود ، ويحدث هذا فى المستشفى الواحد بغير مبالاة ولا محاولة للاعتذار من هذا التمييز .

ويعتقد المؤلف أن الغربى لا يفهم الإسلام حق فهمه إلا إذا أدرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهراً وباطنا وليس مجرد أفكار أو عقائد يناقشها بفكره أو يتقبلها بغير مناقشة ، فليس التفكير بنافع شيئا إن لم يكن مصحوبا بتطور المعيشة وتطور أسلوب الحياة الظاهر والباطن فى المجتمع الإسلامى الحديث .

ويستعير المؤلف اسم المعتذرين Apologetics لرواد النهضة الإسلامية الحديثة لأنهم ـ كما يرى ـ يسلكون المسلك الذى جرى عليه الآباء المسيحيون فى صدر الدعوة المسيحية للرد على الفلاسفة والمفكرين الذين اشتهروا يومئذ باسم المعرفيين وأرادوا أن يجعلوا مذهب المعرفة ديانة تقابل الديانة المسيحية وتتغلب عليها فى مجال البحث عن الحقيقة الدنيوية والحقيقة الأخروية .

وقد كان المعتذرون قديما يردون على المعرفيين

بإثبات العقائد الدينية من الوجهة العلمية أو وجهة المنطق ومباحث ما وراء الطبيعة، فلما شعر المسلمون بصدمة العلوم الحديثة كان مسلك الرواد الأوائل من طلائع نهضتهم كمسلك أولئك المعتذرين، وكان همهم الأول حقبة طويلة أن يثبتوا سبق العرب والمسلمين إلى كشف الحقائق العلمية واستعداد العقيدة الإسلامية لقبول الحقائق العلمية التي تسفر عنها مباحث العلماء العصريين.

وأضاف إلى ذلك قائلا: إنه يرى كما يرى الأستاذ (جب) المستشرق المشهور أن مستقبل الإسلام في هذه الحركة وفي غيرها من حركات الدفاع يستقر حيث استقر ماضيه من قبل بين أيدي حراسه الأوائل. وهم طائفة العلماء.

ثم يستطرد إلى الكلام على مجلة الأزهر لأنها خط من خطوط هذا الدفاع يرسمه المعهد الإسلامي الذي يضم إليه العدد الأكبر من علماء الإسلام.

قال إن هذه المجلة ظهرت أولا باسم نور الإسلام، وظهرت منها الأعداد الأولى بهذا الإسم ثم سميت من عددها السادس باسم مجلة الأزهر (١٣٤٩ هجرية و ١٩٣٠ ميلادية) وقام على تحريرها العالم الأزهري الشيخ محمد الخضر حسين، ثم أسندت رئاسة تحريرها إلى المجدد العصري Modernist الأستاذ محمد فريد وجدي. ولم يزل يشرف على تحريرها إلى سنة ١٩٥٤، وقد ذكر المؤلف أنه اتخذ المجلة موضوعا لدراسته التي قدمها إلى جامعة برنستون سنة ١٩٤٨ باسم (مجلة الأزهر - عرض ونقد) ولم ينقطع عن مراجعتها بعد ذلك إلى حين إصداره لكتابه الأخير باسم الإسلام في التاريخ الحديث.

ويقول الكاتب إنه لا ينظر إلى الآراء الخاصة التي تنشرها المجلة للعلماء، ولغير العلماء إلا من زاوية واحدة؛ وهي الزاوية التي تشير إلى اتجاه عام يتقبله المسلمون كافة أو تتقبله جمهرة منهم على التعميم، ورأيه في الأستاذ الخضر أنه يمثل المدرسة السلفية بمنهج الدفاع عن الإسلام، وأن الأستاذ فريد وجدي مجدد عصري لا تزال طريقته في التجديد على قواعد المعرفة الحديثة مقبولة عند أنصار التجديد، وإن يكن بعض آرائه منظورا إليه اليوم كأنه تفكير فات أوانه وظهر بعده ما هو أوفق منه لزمنه، ولا اختلاف بين الأستاذ وجدي ولا بين السلفيين أو المجددين المتأخرين في رأي واحد يتفقون عليه: وهو أن العلم الحديث لا ينقض حقائق الإسلام وأن القليل منه عند المتعلمين المتعجلين هو الذي يغريهم بالانصراف عن العقيدة الدينية ولكنهم لا ينصرفون عنها، بل يزدادون إيمانا بها، مع التوسع في العلم الحديث، والتوسع في العلم بالدين.

ويقول صاحب الكتاب في مقابلته بين منهج الشيخ الخضر ومنهج الأستاذ وجدي إن أولهما يعتبر الإسلام وحيا تاما قد تنزل

على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية ، فلا إضافة إليه ولا زيادة عليه ولا تحوير فيه ، وإنما الإيمان بالإسلام هو الذى يحتمل القوة والضعف كما يحتمل زيادة المعرفة أو النقص فيها ، أو يحتمل المراجعة من عصر إلى عصر لتفقد الآثار العصرية فيه . وليس الأستاذ الخضر كما يرى المؤلف من أنصار الحنين إلى الماضى ، بل هو من أنصار الدعوة التى لا زمان لها لأنها صالحة لكل زمان ، ومهما تتجدد مذاهب المعرفة فالمسلم يسلم أمره إلى إرادة الله كلما هدته معارفه إلى فهم تلك الإرادة الإلهية بالدرس أو بالإلهام . وقد تساوى فى نظر الشيخ الخضر كلا الطرفين من المسلمين فى الحاجة إلى التصحيح والإصلاح: وهما ـ على تعبير المؤلف ـ طرف اليسار من المتعلمين الذين جاوزوا حدود الإسلام وطرف اليمين من الجامدين وأتباع الطرق الصوفية الذين ضيقوا حدوده عليهم وإن لم يجاوزوه .

أما الأستاذ وجدى فخطته فى الإصلاح تتجه قبل كل شىء إلى إحياء الشعور الروحانى فى ضمير الرجل العصرى ، لأنه يرى أن الفكرة المادية طغت على العقول فلم تسلم منها العقائد ولا الأخلاق ، وأن مشكلة الإنسان العصرى مشكلة أخلاقية نفسانية تستدعى من المصلح أن ينهض بأمثلته العليا فى معيشته الدينية والدنيوية معا ليعود به إلى حظيرة المثل الروحانية ، وهى الخليقة بعد ذلك أن ترده إلى شعائر الدين ونصوص الكتاب والسنة النبوية .

* * *

وليس المقام بمتسع هنا لشرح التعليقات التى عقب بها المؤلف على أحوال الإسلام فى الباكستان والهند والبلاد التركية والإيرانية وسائر الأمم الإسلامية ، ولكن تعليقاته التى أجملناها عن مصر نموذج حسن للتعريف بمقصده من البحث وتقديره للحركات الإسلامية بين تلك الأمم ـ وزبدتها أن الحضارة الغربية قد أزعجت أمم الإسلام فنهضوا للدفاع عن عقيدتهم فى وجهها وشعروا بأنهم يعيشون فى عالم غير عالمهم معها ، وأنهم ليقبلون هذه الحضارة أو يرفضونها ولكن القليل منهم هو الذى يؤثر ترك الإسلام للسير مع الحضارة الأوربية فى ركابها ، وإنما يتفقون ـ معظمهم ـ على صبغ الحضارة بصبغتهم ونقلها إلى عالم جديد لا ينفصلون فيه عن عالمهم القديم ، ولم يظهر بعدُ كيف يكون هذا العالم المنظور ولا كيف تكون العلاقة بينه وبين العالم الغربى على اختلاف مناحيه ، وكل ما هو واضح ـ اليوم ـ ولا حاجة به إلى المزيد من الإيضاح أن دعاة الحضارة الأوربية يفقدون عطف العالم الإسلامى إذا حاولوا أن يعاملوه غداً كما عاملوه أمس معاملة السيد العليم للجاهل التابع ، إذ لا سبيل إلى التفاهم على غير أساس المساواة .

عباس محمود العقاد

آراء وأحاديث

زيارة سفير الباكستان :

فى الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الأحد ١١ من جمادى الثانية سنة ١٣٨١ (الموافق ١٩ من نوفمبر سنة ١٩٦١) زار سيادة سفير الباكستان فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وبعد أن رحب به فضيلته قدم دعوة من جامعة كراتشى ، وأخرى من مركز البحوث الإسلامية لزيارة الباكستان وقد سر فضيلته بهاتين الدعوتين ووعد بتحقيق رغبة المسلمين فى الباكستان فى أقرب فرصة ممكنة ، وقال إنه يسره ويسعده أن يلتق بإخوانه المسلمين فى أى بقعة من بقاع الأرض .

ثم عرض فضيلته لتوحيد الرأى الإسلامى فى المسائل الإسلامية فقال إن مجمع البحوث الإسلامية الذى سيضم علماء من جميع الأقطار الإسلامية سيكون عاملا قويا فى سبيل توحيد كلمة المسلمين التى عمل الاستعمار جاهداً على تفريقها ، والحمد لله قد زالت الحواجز الآن وأصبح كل المسلمين فى جميع الأقطار يتطلعون إلى اليوم الذى تتوحد فيه كلمتهم فى ظل العقيدة الصحيحة ، والتعاليم الإسلامية السمحة . وتحدث فضيلته عن مكانة الأزهر الشريف فى العالم الإسلامى ، وقال إنه رأى بعينيه حاجة الناس الشديدة إلى جهود الأزهر ، واحترامهم وإجلالهم لرجاله ، وللزى الأزهرى فى ذاته .

ثم أهدى فضيلة الأستاذ الإمام لسيادة السفير مؤلفات فضيلته ، وودعه كما استقبل بالبشر والترحيب .

واستقبل فى يوم ٩ / ١١ / ١٩٦١ فضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد مكى صاحب مجلة المسلم المختار ، وبعد أن حياه فضيلة الأستاذ الأكبر قال لفضيلته « إن مركزاً ثقافيا إسلاميا كون فى جنوب إفريقيا منذ ١٩٣٤ ، وهذا المركز يعتبر مصدر إشعاع للعلم والمعرفة تنفق عليه لطبع الكتب والتوجيه العلمى ، وحبذا لو مد الأزهر يده إليه خاصة وأن الأزهر يعتبر الكعبة العلمية الأولى للمسلمين . فأجابه فضيلته بأن الأزهر على استعداد لأن يعاون بالكتاب وبالمدرس بما يقوى الصلات الإسلامية بين المسلمين جميعا

وقد أمر فضيلته بأن تبحث طلباته فى إدارة الثقافة الإسلامية للاستجابة إلى ما يمكن تنفيذه فيها. ثم استقبل فضيلته السيد الشيخ على إسماعيل وزير الدفاع الصومالى الذى قال لفضيلة الأستاذ الأكبر « إنه لشرف عظيم أن نلقاكم وأن نتحدث إليكم » قال فضيلة الأستاذ الأكبر « إن الأمم دائما تحتاج إلى عنصرين : عنصر القوة المادية ، وعنصر القوة الروحية، والأزهر والحمد لله يمثل القوة العلمية المبصرة للناس الموجهة لهم الدافعة إلى كل معانى القوة التى تكفل لهم الخير والسداد والتوفيق ، وإنه ليسرنى أن نلقاكم وأن نلق معانى الشباب فيكم ، فإنه التضامن الذى دعا إليه الإسلام وحث عليه ووجهنا نحوه ، فرحبا بكم فى جامعتكم وفى أرضكم .

ثم شكر السيد الوزير فضيلة الإمام الأكبر على عنايته بالبعوث الإسلامية التى يختارها للصومال وخاصة هذه البعثة الموجودة الآن والتى تظهر إخلاصا ونشاطا فى الدعوة الإسلامية. وقد أهدى له فضيلة الأستاذ الأكبر المصحف الشريف وتفسيره للقرآن وبعض مؤلفاته .

ثم قبل الوزير فضيلة الأستاذ الأكبر شاكراً له . ومما يذكر أن الوزير من المتخرجين فى كلية أصول الدين سنة ١٩٥٩ م .

كما استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الأستاذ بادر كبير علماء الطب الصناعى فى ألمانيا .

* * *

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه الشيخ أحمد بشير ، رئيس مجلس الشورى فى الفلبين، فحياه فضيلته قائلا : « أهلا بكم فى بلادكم وفى الأزهر الذى يحبكم ويقدركم، إن أملنا فى المسلمين فى الفلبين لقوى ، وإننا لنحب لهم الخير والسعادة والتقدم والازدهار ، فقد رأينا فيكم حين التقينا بكم هناك قوة فى الإسلام وصلابة فى العقيدة مما جعل قلوبنا تتعلق بكم » ، فقال السيد الزائر : « لقد رأينا فيكم حين شرفتمونا بالزيارة ما أكد لنا رجاحة عقلكم وحرية تفكيركم عما نعتبركم من أجله من كبار المجتهدين ، وإنكم خير خلف للأئمة الذين يسروا الفقه الإسلامى وقدموه للناس ، يحقق لهم أغراضهم فى الحياة ، متمشيا مع كتاب الله وسنة رسوله ، الأمر الذى نحرص عليه كل الحرص فى حياتنا » .

قال له فضيلته : « إن الفلبين لتعتبر بحرصها هذا على دين الله - جزءاً من الأزهر كما أن الأزهر يعتبر جزءا منها » . أما التطوير يا أخى فأنا أعتقد أنه جاء متأخرا لأن الأمانة الملقاة على عاتق الأزهر أمانة يجب ألا يغفل عنها لحظة ولا يتأخر عن أدائها أبدا ، نحن نحب أن يتعلم الناس اللغة العربية لغة كتاب الله الذى

أنزل بلسان عربى مبين على رسول عربى ، ولكننا مع هذا لا نريد أن نقف حتى يتعلم الناس هذه اللغة بل نحن نخطو نحوهم خطوات واسعة حتى يستطيع الأزهر أن يخاطب كل من يلقاه فيكون رسل الأزهر رسلا يؤدون الأمانة وينقلون للمسلمين فى أنحاء الأرض المفاهيم القوية والمبادىء السليمة التى احتواها ديننا وحرص على أن يسعد بها البشرية جميعا .

لقد أمرت بدراسة اللغات الأجنبية بمجرد أن وليت مشيخة الأزهر إيمانا بأنها من أقوى الوسائل للاتصال بإخواننا المسلمين الذين لم يدرسوا اللغة العربية ، فقد مثلت الأزهر فى عدة مؤتمرات كان منها مؤتمر لاهاى سنة ١٩٣٧ م ، ولم يكن ثمة عقبة فى التفاهم إلا اللغة ولولا أنى كنت محتاجا إلى من يترجم لى لكان الأثر بالغا والفائدة مزدوجة . أنا أذكر مثلا أن القائمين على أمر الأزهر كانوا يتحرجون من دراسة اللغات الأجنبية كما كانوا يتحرجون من دراسة الجغرافيا ، ولكننا نحمد الله أن استطعنا أن نجعل للأزهر كيانا يستطيع أن يؤدى الرسالة على الوجه الذى يحقق آمال المسلمين ، فهناك فرق بين المخاطبة المباشرة وبين أن تتكلم عن طريق المترجم ، فكثير ما يتصرف المترجم فى المعانى بغير الجهة التى تريدها .

ولما سأل سيادة الزائر متى تتاح الفرصة لدراسة البنات بالأزهر قال فضيلته : « نحن الآن نعد تخطيطا من هذا النوع فإننا نريد أن نخرج أما تبنى جيلا وتنهض بالتبعات التى تلقى عليها وتحقق آمال الأمة فيها ، لا فتاة تنصرف إلى التبرج والزينة وتتبع أحدث معالم الملابس وغيرها مما يفقدها شخصيتها ، نحن نريد أن تكون للمرأة شخصيتها التى كونها الإسلام لها والتى حققها فى كل نواحى الحياة من أجلها ، وذلك لا يكون إلا بأن نستمد هذه المعرفة من واقع ديننا ليلتقى بواقع مجتمعنا ، وهكذا نخدم أمتنا ونخدم الأجيال القادمة وجيلنا الذى نعيش فيه ، ولقد اتخذنا الأهبة فملا لذلك وأعددنا العدة حتى يكون الافتتاح فى أول العام القادم إن شاء الله .

إننا مستعدون لتلبية طلباتكم وتحقيق رغباتكم فيما يكفل لكم حياة تتفق مع المبادىء الإسلامية والمثل العليا فيها .

وقد ودع فضيلة الإمام الأكبر الزائر قائلا له : « أرجو أن تحمل تحياتى إلى المسلمين جميعا فى الفلبين » .

فقال الزائر : « إننا ندعو لكم بطول البقاء حتى تحققوا للمسلمين جميعا ما نصبو إليه » ، وقد كان يرافق السيد الزائر : السيد فهمى العمروسى ، السفير السابق فى الفلبين . والسيد الدكتور إبراهيم كاظم ، الأستاذ المساعد

فى كلية البنات . والملحق الثقافى فى الفلبين .

* * *

مؤتمر صحفى :

دعا فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مؤتمر صحفى حضره لفيف كبير من الصحفيين ، كما حضره كبار رجال الأزهر وعمداء الكليات الأزهرية ووكلاؤها .

وقد بدأ فضيلة الأستاذ الأكبر حديثه بشكر الصحفيين على تلبية دعوة فضيلته ثم قرأ عليهم البيان الذى نشرناه فى افتتاحية هذا العدد ، وبعد أن انتهى من بيانه قال إنه ومدير جامعة الأزهر بالنيابة ، ومدير المعاهد الدينية يرحبون بالإجابة عن أى سؤال ، و بشرح كل استفسار .

فسأل أحد الصحفيين عن مدارس تحفيظ القرآن ، وعن صلتها بالأزهر ، فأجاب الدكتور محمد ماضى مدير المعاهد الدينية بأن للأزهر عناية كبيرة بهذه المدارس ، وأن القانون يعتبرها القسم الابتدائى للأزهر ، وأن من هذه المدارس سبعين مدرسة كانت تحت إشراف وزارة التربية والتعليم وضمت إلى الأزهر ومنها ٥٥ مدرسة كانت كتاتيب وستحول إلى مدارس يشرف عليها الأزهر .

ثم سأل هذا الصحفى عن الإمكانيات المادية التى يتطلبها التنظيم الجديد للأزهر ، وهل وضعت ميزانية لهذا الغرض .

فأجاب الدكتور محمد البهى بأن الذى رعى قانون تطوير الأزهر ، وهو الرئيس جمال عبد الناصر سيمكن الأزهر من أداء رسالته على أتم وجه .

أما الإمكانيات الفنية فلدينا نخبة من العلماء ، وسيعنى الأزهر بالبعثات العلمية ، والذى أعرفه أن هناك مشروعا للميزانية قد أرسل للجهات المختصة .

وأجاب عن سؤال ثالث بأن جامعة الأزهر ستحتفظ بطابعين .

الأول : المستوى الإسلامى والعربى .

الثانى : المجانية فى كل شىء .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر عن سؤال يتعلق بتعليم الفتاة فى الأزهر فقال إننا سنفتح فى العام القادم كلية الدراسات الإسلامية للبنات ، وسيكون للمغتربات عن القاهرة مكان مستقل فى مدينة البعوث الإسلامية .

ونرجو أن يكون فى المستقبل معاهد إعدادية وثانوية للبنات تلحق بالأزهر أما عن طلبة البعوث فإن الدولة لم تدخر وسعا فى توفير الرعاية لهم ، وإن مدينة البعوث - كما قال الدكتور البهى — أحسن من أى مدينة تماثلها فى أى بلد من بلدان العالم .

(البقية فى الصفحة التالية)

بريد المجلة

أقلية جديدة للبوذية ؟

أذاعت إحدى المحطات الأجنبية في الشهر الماضي خبراً مؤداه :

« إن مظاهرة ضخمة تزعم قيادتها بعض الكهنة البوذيين ، احتجاجا على حكومة برما التي سمحت للمسلمين بإنشاء ثلاثة مساجد في ضواحي (رانجون) العاصمة ، وقد اتجهت المظاهرة بقيادة الكهنة إلى المساجد الثلاثة ، فأحرقت أحدها وخربت آخر ، واشتبك المتظاهرون مع رجال البوليس فقتل أربعة وجرح عدد غير قليل ، وقبض على حوالى ثلثمائة من المتظاهرين من بينهم سبعون كاهناً بوذيا ... » .

هذا الخبر أذاعته محطة أجنبية تمت بالصداقة الوثيقة إلى بورما وقرأت تعليقا عليه في بعض الصحف العربية ، وليس فيه شيء من الاختلاق أو التجنى أو المبالغة ، وإلا كان المسئولون في حكومة بورما بادروا بالتكذيب أو التصحيح ، لا سيما أن موقف الحكومة سليم ، فالمسلمون في بورما يبلغون سبعمائة ألف

(البقية في الصفحة السابقة)

وأخيرا وجه أحد الصحفيين سؤالا يقول إنه أشيع أن بعض إدارات الأزهر ستنقل إلى وزارة من الوزارة . فأجاب فضيلته إجابة حاسمة قائلا : إن المادة الثانية من قانون تنظيم الأزهر نصت بصراحة على أن الأزهر هو المشرف الوحيد على جميع الأجهزة الدينية ، وليس لأحد غيره شيء من هذا الإشراف .

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر أعاد الأستاذ الأكبر شكره للصحفيين كما شكر الصحفيون لفضيلته هذه الدعوة ، ورجوا أن تتكرر مثل هذه الاجتماعات حتى يكون العالم كله على علم بما يجد في شئون أكبر جامعة إسلامية .

مسلم ، ومن حقهم كمواطنين أن يقيموا أماكن العبادة ، لتأدية شعائرهم الدينية ، ولم تقف الحكومة حائلا دون ذلك .

ولسنا ندرى أهذه فلسفة جديدة للبوذية فى برما تحترم التعصب الدينى الأحمق الذى يصل إلى درجة السفه والشغب وسفك الدماء ؟

أم أنها ظاهرة جديدة من ظواهر التنكر لروح البوذية الأصيلة التى قامت على الحب والرحمة والتسامح ، هذه المبادىء التى ظل بوذا نفسه متنقلا خلال أربعين عاما من مكان إلى مكان داعيا إليها ، ومشاركا الناس آلامهم ومتاعبهم ؟

مثل هذا الحادث ليس بالأمر الهين وليس الضرر فيه واقعاً على مواطنين مسلمين يبلغون ثلاثة أرباع السكان فى بورما ، إذا قيس بالنسبة للإساءة المعنوية التى تلحق البوذية نفسها ومن خلفها خمسمائة مليون بوذى يقطنون بورما وسيلان واليابان وغيرها .

نحن نعتقد أن تلك الشرذمة من الكهنة البوذيين ليست فى حاجة إلى أن نذكرها بروح البوذية التى تفيض سماحة وحبا ووداعة ، وكانت فى أساسها - كما يقول الأستاذ حامد عبد القادر فى كتابه (بوذا الأكبر) - ديانة عملية تدعو إلى ضبط النفس وقمع الشهوات ، والتسامح والتمسك بالآراء الصحيحة ، . وكما يقول بوذا نفسه فى إنجيله :

« إن الزاهد الحق هو الذى يشعر بالغبطة والفرح فلا يتكبر ولا يتجبر ، بل يزداد لطفا ووداعة فلا يخدع ولا يراوغ ولا يشتم ولا يسبب ضررا لأحد » .

« على الإنسان أن يغلب غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير ، إن النصر يولد المقت لأن المهزوم فى شقاء ، وإن الكراهية ليستحيل عليها فى هذه الدنيا أن تزول بكراهية إنما تزول الكراهية بالحب » .

« لا يطهر نهر رجلا متعهدا للسيئات مضمرا للمقت مرتكبا للجناية ... »

* * *

يجب أن لا يمر بنا - نحن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها - مثل هذا الحادث دون أن يثير انتباهنا فليس لنا أقليات فى بورما وحدها بل لنا ، فى كثير من البلاد أقليات تلقى من التعنت والاضطهاد العقيدى شيئا كثيرا ،

ولعل هذه الأقليات فى الشرق مهبط الديانات لم تجد بعد الكعبة التى تتجه إليها ، لحماية عقائدها والانتصار لها فى شد أزرها ، ولعلها لم توفق بعد إلى « معتصم » جديد تستغيث به فيلبى استغاثتها ، فالدول الإسلامية على كثرتها كل مشغول بنفسه وقضاياه الداخلية والخارجية - أما المسلمون الذين يمثلون أقليات فى بلادهم ، فلهم الله وحده .

إن هذه الأقليات المسلمة أمانة لا فى عنق الأزهر وحده ، ولا فى عنق المؤتمر الإسلامى فى القاهرة ، والباكستان وحدها ، ولا فى عنق حكومات الدول الإسلامية وحدها ، وإنما هى أمانة فى عنق كل مسلم سيسأل عنها أمام الله والتاريخ .

وبعد ـ فإذا طاب لرجال الكهنوت فى برما البوذية أن يتنكروا لمبادئ دينهم، ومبادئ قديسهم الأكبر ، فهلا فكروا قليلا ، فى أن أحد زعمائهم « يوثانت » عين أخيرا سكرتيراً لهيئة الأمم المتحدة لينقذ العالم من هوة قد يتردى فيها ، والمعتقد أن المبادئ التى يدين بها أسهمت كثيراً فى اختياره .

نحن نملك أن نذكر رجال الكهنة البوذيين مرة أخرى بقول « بوذا » :

« كما أن حب الأم يحملها على أن تحرص على حياة ولدها ـ أو ابنها الوحيد ـ ولو أدى ذلك إلى تضحيتها بحياتها ـ فكذلك يجب على الإنسان أن ينمى فى نفسه حبا لا حد له لجميع الكائنات . وأن يشعر قلبه المحبة الخالصة من جميع الشوائب لكل ما فى العالم » .

ولكننا لا نملك إلا أن نقول للأقليات المسلمة فى بورما : اصبروا وصابروا ورابطوا ولكم الله !.

محمد عبد الله السمان

يجادلونك فى الحق . . .

يرى القراء فى غير هذا المكان من هذا العدد مقالا لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى ، وقد لاحظنا عليه ـ كما يرون ـ أن الآية التى جعلت عنوان الموضوع قد اقتطعت وانتزعت من سياقها ولحاقها حتى عمى معنى الحق الذى دار الجدل حوله بين المخاطب وهو النبى صلى الله عليه وسلم وفريق من المؤمنين ، كما يرشد إلى ذلك قول الله قبل ذلك « وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

ولو ذكر فضيلته مطالع السورة واستحضر الصورة التى كان عليها الموقف ما عرض الآية مقتطعة مبتورة وما خطر بباله احتمال أن يكون هذا الجدال من الكفار ، وما ذكر الحق الذى قام عليه خلق السموات والأرض تحت عنوان « يجادلونك فى الحق بعد ما تبين » فإن كلمة الحق تفسر فى كل مقام بما يناسبه ، على ألا يخرج التفسير عن معنى الأمر الثابت المقرر ، فالحق الذى قام عليه خلق السموات والأرض هو الحكمة أو القوانين الثابتة التى قام عليها وجودهما وتكوينهما والحق الذى يفهم من قوله تعالى « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » يتسع لمعانى الصدق والبر والخير والبقاء والهدى ، والحق الذى يفهم من قوله سبحانه ، فتعالى الله الملك الحق ، غير الحق الذى يفهم من قوله « يجادلونك

فى الحق بعد ما تبين ، ومن ثم رأينا أن المقال ليس فى مجال الآية وأن الآية ليست فى مجال المقال .

عبد الرحيم فوده

حديث الاشتراكية :

يسأل بعض قراء المجلة عن حديث « المسلمون شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » . فقد رآه مرة بهذه الرواية ، ورآه مرة أخرى بلفظ « الناس شركاء . . الخ » ، ورآه مرة ثالثة ، وفى آخره : فلا يجوز لأحد تحجيرها ولا للإمام بيعها ؛ ثم يقول : إنه لا يهتم بإسناد الحديث ، وإنما يهتم بصيغه المختلفة .

ونجيب السائل الفاضل ، بعد رجوعنا إلى أصول كتب الحديث وفروعه ، منفردة ومجتمعة — بالخلاصة التالية :

رُوى هذا الحديث بلفظ : « المسلمون ... » عن ابن عباس ، وعن ابن عمر ، وعن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فأما حديث ابن عباس ، فأخرجه ابن ماجه فى سننه فى الأحكام ، ولفظه : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلمون شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلأ ، والنار ، وثمنه حرام .

وأما حديث ابن عمر ، فرواه الطبرانى فى معجمه ، ولفظه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المسلمون شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلا ، والنار .

وأما حديث الرجل ، فأخرجه أبو داود فى سننه فى البيوع ، ولفظه عن أبى خداش (بوزن فراش) حبان بن زيد عن رجل من الصحابة قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أسمعه يقول : المسلمون شركاء فى ثلاث : فى الكلأ ، والماء ، والنار ، وكذلك أخرجه الإمام أحمد فى مسنده بهذا اللفظ . فكل الروايات السابقة متفقة على لفظ « المسلمون » وكلها متحدة فى اللفظ أو متقاربة جدا كما ترى ما عدا رواية ابن عباس ففيها زيادة : « وثمنه حرام » أى ثمن المذكور من كل واحد من هذه الثلاثة وقد جعله عنوانا ولم يخرجه فى رواياته بلفظ « الناس » واعترافا بالجميل لأهله نشهد بأن هذا الكتاب كان هو عمدة المصادر التى أنافت على العشرين .

أما روايته بلفظ : « الناس شركاء . . » الخ فلم نجده إلا فى مصدرين :

(١) نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية للزيلعى وهو الحديث الخامس من كتاب إحياء الموات حـ ٤ .

(٢) بلوغ المراد ... للحافظ بن حجر : عن رجل من الصحابة الخ ، قال : رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات ولابد أنه حفظه كذلك فى لفظ آخر لأبى داود ، أو لأحمد ،

وكفى بالحافظين ثقة وحجة ، وكفى بهما توثيقا واحتجاجا .

قال فى سبل السلام شرح بلوغ المرام : وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة مرفوعا : ثلاثة لا يمنعن : الماء ، والكلأ ، والنار . وإسناده صحيح .

وأما قول السائل الفاضل إنه رأى فى آخر بعض الروايات : فلا يجوز لأحد تحجيرها ... فذاك من كلام الشراح . وخلاصة ما قال شراح هذا الحديث فيه .

إن المراد بالكلأ هو الحشيش النابت فى الأرض الموات ، وبالماء ماء السحاب والعيون والأنهار التى لا مالك لها وبالنار الشجر الذى يحتطبه الناس من المباح فيوقدونه أو الحجارة التى يقدح بها . فكل الناس فى هذه الأمور سواء إلا إذا ادخر إنسان شيئا من ذلك فلا يجوز التعرض له إلا برضاه وإن وجب عليه بذله للمضطر .

ذلك ، ومن المعروف أن اختلاف الروايات فى الحديث بالإجمال والتفصيل أو التقديم والتأخير لا يضر ما لم يتعارض أو يضطرب ، ولا تعارض فى هذا الحديث ولا اضطراب .

هذه خلاصة بضعة وعشرين مصدراً من أمهات كتب الحديث وغيرها ، ولولا خشية الإطالة لذكرناها ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

طه محمد الساكت

حكم الشريعة :

فى التلقيح الصناعى .

السيد الأستاذ مدير المجلة :

اطلعت على مقال تحت عنوان (فكرة) للأستاذ على أمين فى مجلة حواء العدد ٢٦٦ بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ١٩٦١ والمقال انتصار لفكرة التلقيح الصناعى ، وتحريض عليه ، وترغيب للمجتمع فيه .

وهذا الموضوع ليس بالموضوع الهين ، بل يحتاج إلى بحث شامل من النواحى الدينية والاجتماعية وأرجو أن تتفضلوا بإحالة هذا الموضوع على فضيلة الأستاذ الأكبر ليبدى رأيه فيه .

وهيبه مأمون الشناوى
الأمينة العامة لجماعة السيدات المسلمات
بالحلمية الجديدة

وقد عرض هذا السؤال على الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فأجاب هذا الجواب :

نستطيع أن نقرر بالنسبة لحكم الشريعة فى التلقيح الصناعى الإنسانى أنه إذا كان بماء الرجل لزوجه ، كان تصرفا واقعا فى

دائرة القانون والشرائع التي تخضع لحكمها المجتمعات الإنسانيه الفاضلة ، وكان عملا مشروعا لا إثم فيه ولا حرج ، وهو بعد هذا قد يكون في تلك الحالة سبيلا للحصول على ولد شرعي يذكر به والده وبه تمتد حياتهما وتكمل سعادتهما النفسية والاجتماعية ، ويطمئنان على دوام العشرة وبقاء المودة بينهما ، أما إذا كان التلقيح بماء رجل أجنبي عن المرأة لا يربط بينهما عقد زواج ولعل هذه الحالة هي أكثر ما يراد من التلقيح الصناعي عندما يتحدث الناس عنه ، فإنه يزج بالانسان دون شك في دائرتي الحيوان والنبات ويخرجه عن المستوى الانساني مستوى المجتمعات الفاضلة التي تنسج حياتها بالتعاقد الزوجي وإعلانه .

وهو في هذه الحالة بعد هذا وذاك — يكون في نظر الشريعة الاسلامية ذات التنظيم الانساني الكريم ، جريمة منكرة ، وإثما عظيما ، يلتقي مع « الزنا » في إطار واحد ، جوهرهما واحد ، ونتيجتهما واحدة ، وهو وهو وضع ماء رجل أجنبي قصدا في حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد إرتباط بزوجية شرعية يظلها القانون الطبيعي ، والشريعة السماوية ، ولولا قصور في صورة الجريمة لكان حكم التلقيح في تلك الحالة هو حكم الزنا الذي حددته الشرائع الإلهية ونزلت به كتب السماء .

وإذا كان التلقيح البشري بغير ماء الزوج على هذا الوضع ، وبتلك المنزلة كان دون شك أفظع جرما وأشد نكرا من « التبني » ، وهو أن ينسب الإنسان ولدا يعرف أنه ابن غيره إلى نفسه ، وإنما كان التلقيح أفظع جرما من التبني ، لأن الولد المتبنى المعروف أنه للغير ليس ناشئا عن ماء أجنبي عن عقد الزوجية ، إنما هو ولد ، ناشيء عن ماء أبيه ألحقه رجل آخر بأسرته ، وهو يعرف أنه ليس حلقة من سلسلتها غير أنه أخفى ذلك عن الولد ولم يشأ أن يشعره بأنه أجنبي ، فجعله في عداد أسرته وجعله أحد أبنائه ، زورا من القول وأثبت له ما للأبناء من أحكام .

أما ولد التلقيح فهو يجمع بين نتيجة التبني المذكور ، وهو إدخال عنصر غريب في النسب وبين خسة أخرى وهي التقاؤه مع الزنا في إطار واحد ، تنبو عنه الشرائع والقوانين ، وينبو عنه المستوى الإنساني الفاضل ، وينزلق به إلى المستوى الحيواني الذي لا شعور فيه للأفراد برباط المجتمعات الكريمة ، وحسب من يدعون إلى هذا التلقيح ، ويشيرون به على أرباب العقم . تلك النتيجة المزدوجة التي تجمع بين الخستين ، دخل في النسب وعار مستمر إلى الأبد ، حفظ الله على المسلمين أنسابهم ومستواهم الإنساني الفاضل .

حول فلسفة الفكر الإسلامي :

عنوان مشوق لكتاب جديد من سلسلة الثقافة الإسلامية يغرى القارئ بالاطلاع عليه ولقد نظرت إلى عنوانه فاشتريته وتصفحته تحت تأثير عنوانه البراق وزادنى ثقة وإغراء إنه فى سلسلة الثقافة الإسلامية التى عودتنا أن تقدم لنا فوق مائدتها خير زاد من الثقافة الإسلامية وعهدنا بالمشرف المسئول الأستاذ محمد عبد الله السمان أنه النقادة القوى الملاحظة .

قدم الناشر للكتاب فقال : المؤلف هو الكاتب الفرنسى هنرى سيروبا وكتابه عن فلسفة الفكر الإسلامى يعرض بصورة حية مركزة هذه الفلسفة الإسلامية ومذاهبها فى العالم العربى حيث كان مركز الإشعاع الدينى . كما يحلل الأفكار الفلسفية لكبار المفكرين الإسلاميين كابن رشد وابن سينا والفارابى والغزالى - وهذا الكتاب قد أهداه إلينا الأستاذ الكاتب المعروف مالك بن نبى ، الذى يتابع دراساته على ضوء الإسلام فى مشكلات الحضارة ولهذا الإهداء قيمته فقد قرأه أستاذنا واطمأن إليه ونصح بترجمته . اهـ

وإنى أعجب وأعتب على من أهدى الكتاب وأوصى بترجمته وعلى من ترجمه وعلى من قبل الاهداء واطمأن له .

وليس المجال مجال تحليل للأخطاء والأوهام المنبثة فى الكتاب ويكفى أن نعرض نصوصا صريحة فى معاندة الاسلام وهدمه من غير دليل لا فلسفى أو غير فلسفى - فى صفحة ٢١ : « وحياة محمد المحوطة بالقصص التى تسر أهل الشيعة ما هى إلا من الخيال الفارسى والمرة الوحيدة التى نحا فيها محمد نحوهم » يقصد الخيال الفارسى ، وسلك هذا المسلك كان فى رحلته الليلية التى أسرى فيها إلى بيت المقدس على ظهر دابة خيالية فقوبل محمد بعاصفة من السخرية مما دعاه إلى أن يؤكد لهم أن رحلته لم تخرج عن كونها حلما ، وكل ما يعلق به الناشر على هذه الادعاءات الكاذبة قوله : الرسول لم يؤكد أن الاسراء كان رؤيا وإنما اختلف علماء المسلمين ، واكتفى بهذا التعليق الأبتر وترك إحاطة النبى عليه السلام بقصص الخيال الفارسى وركوبه على ظهر الدابة الخيالية وتراجع النبى أمام سخرية القوم عن رأيه .

ثم يستمر المؤلف فى افترائه فيقول « وتأثير العبقرية الفارسية المعارضة للعبقرية العربية نرى أن أسطورة محمد قد زادت تعقيبا » .

وفى صفحة ٢٤ « ومحمد الذى تطبع بالكثير من الخلق العربى نرى له بعض النزعات والأفعال من العسير غفرانها وهى

على أية حال أقل شأناً مما ارتكبه تلميذه عمر . فهو قد سمع ولم يتردد فى إباحة السلب والنهب والقتل واستخدام الكذب فى خدع الحرب وحيلها - وهل يكفى أيها القارئ أمام هذا التيار الجارف أن يعلق الناشر بقوله فى الهامش هذه مفتريات . فالرسول بشر يخطئ ويصيب ولكن لا يخفى على ذى الفطنة أنه لا محل لهذه المجلة فى التعقيب على هذه الافتراءات .

إن الاعتزاز بذلك موهم بالتسليم وفى نفس الصفحة : « والمسلمون كما يقول رينان لديهم الإيمان واليقين ونبل الخلق قد امتزجا إلى حد ما بالخداع والحيلة والتمويه .

فأى تفكير وبأى وجه يحسب هذا تفكيراً فلسفيا إسلاميا - هو ليس بتفكير إطلاقا ولكنه سباب ولا صلة له بالإسلام ولا علاقة ، اللهم إلا علاقة التضاد فأولى بالسلسلة الإسلامية وأكمل لها أن تبتعد عن هذه البضاعة ومن الخير ألا تلتفت إلى هذا اللغو من الحديث وأن تظل بطابعها الأسمى كما عودتنا وكما عهدنا فى مشرفها الكريم والله الموفق .

الحسينى عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق

تصويب خطأ :

وردت فى عدد جمادى الآخرة من المجلة الآية الكريمة « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » .

محرفة سهوا إلى ... ورزق ربك خير مما يجمعون وذلك بالصحيفة رقم ٧١٧ فى مقال للأستاذ على العمارى .

نرجو التكرم بالتنبيه على ذلك فى العدد القادم من المجلة .

والله يوفقنا للقيام بواجب حفظ كتابه الكريم ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟

عبد اللطيف محمد عبد السلام
مدرس بوزارة التربية والتعليم

الكتب

نقـــد وتعريف

بقلم ـــ محمد عبد الله السمان

١ – هل نحن مسلمون ؟

للأستاذ محمد قطب

نشرت مكتبة وهبة بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ محمد قطب الذى قدم لنا من قبل دراسات إسلامية واعية : شبهات حول الإسلام ، معركة التقاليد ، قبسات من الرسول ، الإنسان بين المادية والإسلام ، منهج التربية الإسلامية ، فى النفس والمجتمع . .

وكتابه الجديد الذى نحن بصدده يقع فى مائتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، وهو دراسة جيدة لتصحيح مفاهيم الإسلام ، تناولت مفهوم الإسلام ـ لا كما تفهمه الكثرة الساحقة من المسلمين اليوم : « مجموعة من العبادات يؤديها الإنسان بمعزل عن السلوك العملى ، ويستطيع أن يتجه إلى الله مخلصا فى أثناء العبادة ، ثم يتجه لغير الله فى أى أمر من أمور الحياة » ـ وإنما كما فهمه الرسول صلوات الله عليه ، وكما فهمه عنه أصحابه وأتباعه : هو إسلام النفس كلها لله . . هو أن يكون كيان الإنسان كله متوجها إلى الله . . هو أن تكون أفكار الإنسان ومشاعره وسلوكه العملى كلها محكومة بالدستور الذى أقره الله . . »

ثم قدم المؤلف نماذج من المجتمع المسلم تجاوبت مع المفاهيم العامة للإسلام ، حيث كانت صورة واقعية من حياتها ، وعرض خط الانحراف عن الإسلام حيث بدأ منذ عهد حكم الأمويين ، وقد حدث أول تصدع فى المبادئ الإسلامية فى سياسة الحكم وسياسة المال ، ثم واصل امتداده إلى العصر العباسى وقد دخل الفرس فى توجيه سياسة الدولة وتشكيل صورتها ، وإلى العصر التركى . وقد توقف المد العلمى الإسلامى ، وعانت المفاهيم الإسلامية انحسارا كبيرا حتى جمدت وتحجرت وتوقفت عن النماء .

واعتبر المؤلف أن عوامل محلية تمثلت فى الرواسب التى خلقتها الحروب الاستعمارية الصليبية التى شنت على العالم الإسلامى ، وأن تيارات عالمية تمثلت فى التطور الدخيل الذى أملاه الاستعمار على العالم الإسلامى أيضا ، هذه التيارات وتلك العوامل اشتركت فى وضع خط الانحراف عن الإسلام ، وأصبح لهذا

الانحراف مدرسة فكرية لا زال نشاطها قائماً في بلاد المسلمين لاسيما المنطقة العربية ..

الواقع أن الأستاذ محمد قطب كتب كتابة لها تقديرها ، غير أن تحمسه ضد التطور الأوربي كان مبالغاً فيه ، والتطور أياً كان لونه واتجاهه قد يكون فيه الغث والسمين والردئ والطيب ، والإسلام لا يمكن أن يعادي التطور جملة واحدة ، فهو يقبل ويتجاوب مع الطيب ويلفظ الغث والردئ ، وكيف يستقيم تحامل المؤلف العنيف على التطور الغربي مع اعتباره أن الجمود في العصر التركي قد احتل جزءاً من خط الانحراف عن الإسلام ؟

ثم إن المؤلف عمد أحياناً إلى إحالة القارئ على أفكار مدونة في مؤلفاته السابقة دون ما تلخيص لها ، وفي هذا تكليف لا يطيقه القارئ الذي يحاول أن يستوعب الخطوط الرئيسية لأفكار الكتاب الذي بين يديه ..

وكنت أود أن لا يتضمن عنوان الكتاب إثارة عاطفية : هل نحن مسلمون ؟ بيد أن الكتاب دراسة جيدة لتصحيح مفاهيم الإسلام وليس مجرد إثارة لعواطف المسلمين .. !

* * *

٢ — الأم :

للإمام الشافعي

أخرجت مكتبة الكليات الأزهرية بميدان الأزهر بالقاهرة طبعة جديدة من كتاب الأم ، للإمام الشافعي رضوان الله عليه . والكتاب في هذه الطبعة من ثمانية أجزاء ، وقد تم طبع الجزأين الأول والثاني وبقية الأجزاء في طريق الانتهاء من طبعها .

وقد أشرف على هذه الطبعة وتصحيحها الشيخ محمد زهري النجار أحد علماء الأزهر ، وقد نقل الشيخ محمد زهري مقدمة موجزة للإمام الشافعي عن تاريخ حياته بقلمه ، رواية أبي بكر محمد بن المنذر ، كما اعتمد في الترجمة له على مناقب الشافعي للرازي ، وشذرات الذهب ، لابن العماد ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، ورحلة الإمام الشافعي لمنير أدهم .

استنفد الجزء الأول أبواب الطهارة والصلاة والجنائز ، والجزء الثاني الزكاة .

واستطاع مصحح الكتاب أن يضيف تعليقات متواضعة للغاية ، هي شرح للفظ مبهم أو إزالة لبس عن عبارة غامضة .

إن المحاولة للحفاظ على تراثنا الإسلامي ـ لاسيما المصادر الفقهية ـ هذه المحاولة جديرة بالتسجيل والتقدير ، وكتاب الأم من المصادر الأصيلة ، بل هو مصدر أساسي لفقه الشافعي ، وكنا نود أن تكون هناك عناية بالتعليق ـ ولو في تواضع أيضاً ـ على بعض المسائل الخلافية الكبرى لاسيما وأن معظم الراغبين في الدراسات الإسلامية قد تحرر من التقليد المطلق . .

كما كنا نود أن تكون المقدمة قد عنيت بلون من الدراسة عن الكتاب نفسه ، والمراحل التي مر بها ، كتعريف به .

٣ — غزوة أحد :

للأستاذ أحمد عز الدين عبد الله خلف الله .

المؤلف مدرس فى كلية الشريعة بالأزهر ، ومتخرج فى كلية الآداب ، وهو يواصل كتابة دراسات عن السيرة المحمدية تنشرها المكتبة الإسلامية التجارية فى طنطا .

سبق أن كتب المؤلف عن العصر المكى وغزوة بدر ، وها هو ذا كتابه عن غزوة أحد ، والمؤلف يعتمد فى دراساته على مصادر إسلامية فى تاريخنا لها تقديرها ، كما يعتمد على دراسات كتبها المستشرقون يقف منها موقف الناقد الحذر ، وهو لا يعمد إلى مجرد السرد التاريخى الذى وقته كتب التاريخ حقه وإنما يحاول أن يلقى أضواء على الأحداث يظهر فيها التفسير والتحليل والتعليق .

تناول الكتاب الموقف قبل أحد ، استعداد قريش للغزو ، القوة الإسلامية ، تعبئة المعسكرين ، القتال ، الانتصار ، شهداء أحد ، نظام الجيش الإسلامى ، تقرير الإسلام للمبادىء الإنسانية فى الحرب ، ما تضمنته الغزوة من قواعد ، ثم جولة مع المهاجرين .

أعجبنى فى المؤلف قدرته على التحليل للأحداث ، وإلقاء أضواء على ما علق ببعضها من شبهات ، ولكنه حين ترجم لشهداء أحد أوجز إيجازا بالغا . حتى وصلت الترجمة لبعضهم إلى أقل من سطر ...

٤ — فلسفة الفكر الإسلامى :

الكاتب الفرنسى هنرى سيروبا

هذا البحث قدمته سلسلة الثقافة الإسلامية بالقاهرة فى عددها الأخير ، وقام بترجمة البحث إلى العربية أستاذ اللغة الفرنسية الأستاذ محمد إبراهيم على .

عرض المؤلف الإسلام من الجانب الفكرى عرضا دقيقا : تناول الطابع العام للقرآن والطابع الفلسفى للإسلام ، والمذاهب الإسلامية الفلسفية ، والنبوة والعقل ، كما عرض فى إيجاز لأفكار بعض فلاسفة المسلمين ، كالفارابى والكندى وابن رشد وابن سينا والغزالى وابن الطفيل .

والمؤلف لا شك فى أنه درس كثيراً وقرأ لأبرز المستشرقين ، ولذلك نراه يتناول بالنقد اللاذع مفتريات أولئك المستشرقين الذين حاولوا جاهدين الحط من قدر الإسلام كفكرة حية عامة ، وليس مجرد نزعة عربية ودعوة إلى عصبية قبلية .

ولكن الكاتب الفرنسى لم يكن موفقا إلى السداد فى كل ما كتب ، ولم تسلم آراؤه ، فيما لم يوفق فيه ، من الاضطراب والتناقض ، فهو يتحمس مثلا لاعتبار الفلسفات القديمة كالإغريقية والهندية والرومانية والبوذية مصدرا مهما للفكر الإسلامى ، مع اعترافه

فى موضع آخر بأن للإسلام طابعا فلسفيا ينفرد به .

إن كتاب الغرب دائبون على الكتابة عن الإسلام دون أن يملوا ، وهم حين يكتبوا يتناولون الإسلام غالبا من جانبه الفكرى ، ولا يمكن للمسلمين أن يغلقوا أعينهم عما يكتب مفكرو الغرب لأن فى بعض ما يكتبون شططا ، إلا إذا رغبوا فى أن لا يجهدوا أذهانهم فى الرد على أى شطط فكرى يمس الإسلام .

* * *

٥ — الإسلام ونزعة الفطرة :

للأستاذ محمد عبد الرءوف بهنسى .

نشرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب ، والمؤلف مفتش سابق بوزارة التربية والتعليم ، وقد اتخذ شعارا لمنهج بحثه من قول الرسول : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » .

استوعب البحث مع النقد آراء فلاسفة الغـــرب كسقراط وأفلوطين وكانت وجالينوس ، وكذلك آراء فلاسفة الشرق : الراغب الأصفهانى والغزالى وابن خلدون ومحمد عبده والإمام على كرم الله وجهه ، ثم عرض الوجهة الإسلاميه فى نزعة الفطرة ، وناقش معنى : كل مولود يولد على الفطرة مسترشدا بآراء ابن الهيثم وأبى منصور الأزهرى وابن الأثير والنووى وبعض الصوفية وغيرهم .

فى هذا البحث دراسة مقارنة ، وإلقاء أضواء على بعض المسائل التى كثر فيها الجدل ، واختلفت آراء فلاسفة المسلمين فيها ، لا سيما مشكلة القضاء والقدر ، ومشكلة الخير والشر .

* * *

٦ — فى ظلال الهجرة :

للأستاذ أنور السيد عبد الهادى .

مؤلف الكتاب الذى نشرته مكتبة القاهرة من علماء الأزهر الشريف وممن نالوا دراسات عليا فى القضاء الشرعى .

مهد المؤلف لبحثه بلمحة تاريخية تناولت الجزيرة العربية بيئتها وأوضاعها قبل البعثة ، وتناول حاجة البشرية يومئذ إلى رسول ، ثم تناول البعثة والمرحلة المكية بإيجاز ثم استوعب قصة المؤامرة أو قصة الهجرة إلى المدينة ، وما اكتنفها من كفاح مستمر ، وفدائية وتضحية ، واستخلص من الهجرة عظاتها وعبرها ، ثم تناول حكم الهجرة بعد الفتح وموقف الأنصار من إخوانهم المهاجرين .

المؤلف لم يذكر مراجعه فى هذا البحث التاريخى ، كما أنه مر مرورا عابرا على عظات الهجرة والعبرة منها وهى من الكثرة بمكان ، وكانت فى حاجة إلى شىء من التحليل والتعليق .

محمد عبد الله السمان

بين الصحف والكتب

دعوة محمد والطريقة العلمية :

وقد تأخذ القارئ الدهشة إذا ذكر ما بين دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوى . فهذه الطريقة العلمية تقتضيك إذا أردت بحثاً أن تمحو من نفسك كل رأى وكل عقيدة سابقة لك فى هذا البحث ، وأن تبدأ بالملاحظة والتجربة ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم بالاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية ، فإذا وصلت إلى نتيجة من ذلك كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص ، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمى تسرب الخطأ إلى ناحية من نواحيها ، وهذه الطريقة العلمية هى أسمى ما وصلت إليه الإنسانية فى سبيل تحرير الفكر ، وها هى ذى مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته ، فكيف اقتنع الذين اتبعوه بدعوته وآمنوا بها ... ؟ نزعوا من نفوسهم كل عقيدة سابقة . وبدأوا يفكرون فيما أمامهم ، لقد كان لكل قبيلة من قبائل العرب صنم فأى صنم هو الحق وأى صنم هو الباطل ؟ وكان فى العرب وفى البلاد التى تجاورها صائبة ومجوس يعبدون النار . والذين يعبدون الشمس ، فأى هؤلاء على الحق وأيهم على الباطل ... ؟ لنذر هذا كله جانباً . ولنمح أثره من نفوسنا . ولنتجرد من كل رأى ومن كل عقيدة سابقة ، ولننظر .. والنظر والملاحظة . بطبيعة الحال سيان ... مما لا شبهة فيه أن لكل موجود بسائر الموجودات اتصالا . فالإنسان تتصل قبائله بعضها ببعض وأممه بعضها ببعض والإنسان يتصل بالحيوان والجماد ، وأرضنا تتصل بالشمس والقمر وبسائر الأفلاك ، وذلك كله يتصل فى سنن مطردة لا تحويل لها ولا تبديل ، فلا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، ولو أن إحدى موجودات الكون تحولت أو تبدلت لتبدل ما فى الكون ، فلو أن الشمس لم تسعد الأرض بالنور والحرارة على السنة التى تجرى عليها منذ ملايين السنين لتبدلت الأرض غير الأرض والسماء ، وما دام ذلك لم يحدث فلا بد لهذا الكون من روح (... !!) منه نشأ وعنه تطور وإليه يعود . هذا الروح (... !!) وحده هو الذى يجب أن يخضع له

الإنسان ، أما سائر ما فى الكون فهو خاضع لهذا الروح (... ! !) كالانسان سواء والانسان والكون والزمان والمكان وحدة هذا الروح جوهرها ومصدرها ، إذا فليكن لهذا الروح (... !!) وحده العبادة ، ولهذا الروح (... ! !) يجب أن تتجه القلوب والأفئدة . وفى الكون كله يجب أن يلتمس من طريق النظر والتأمل سنته الخالدة ، وإذا فما يعبد الناس من دون الله أصناما وملوكا وفراعين وناراً وشمساً إنما هو وهم باطل غير جدير بالكرامة الإنسانية ، ولا هو مما يتفق مع عقل الإنسان وما كرم به من القدرة على استنباط سنة الله من طريق النظر فى خلقه .

هذا جوهر الدعوة المحمدية على ما عرفها المسلمون الأولون . وقد أبلغهم الوحى إياها على لسان محمد فى آى من البلاغة كانت وما تزال معجزة ، فجمع لهم بذلك بين الحق وتصويره فى كال جماله. هنالك أرتقت نفوسهم وارتفعت قلوبهم تريد الاتصال بهذا الروح (... !!) الكريم فهداهم محمد إلى أن الخير هو طريق الوصول ، وأنهم مجزيون عن هذا الخير يوم يتمون واجبهم فى الحياة بالتقوى ويوم تجزى كل نفس بما كسبت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

أى سمو بالعقل أعظم من هذا السمو ؟ . وأى تحطيم لقيود أشد من هذا التحطيم . . ؟ حسب الإنسان أن يفهم هذا وأن يؤمن به وأن يعمل عليه ليبلغ الذروة من مراتب الإنسان ، وفى سبيل هذه المكانة تهون كل تضحية على من يؤمن بها ...

من كتاب محمد « الدكتور هيكل »

« لفت نظر »

أرجو أن يذكر القراء بعد قراءة هذه الكلمة قول الله سبحانه : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » فليس لأحد أن يسمى الله بغير اسم من أسمائه الواردة عن الشرع ولا داعى للاحتجاج بالخلاف فى أن أسماء الله توقيفية أو توفيقية ، ما دام النص صريحا فى التزام أسمائه الحسنى .

حسن التبعل

(هو حسن معاملة الزوج)

وقد أتت أسماء بنت يزيد الانصارية النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت بأبى وأمى أنت يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبإلهك ، إنا معشر النساء محصورات مقصورات . قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم

معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل، وإن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفنشارككم فى هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه؟. فقالوا يا رسول الله: ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا!. فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إليها فقال: افهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء، إن حسن تبعل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ...

فانصرفت وهى تهلل حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن وآمن جميعهن ... «من صحيح مسلم»

قصة مهداة:

(إلى كل سيدة وفتاة)

امرأة عربية:

كانت فى شبابها الغض تملأ العيون بالإعجاب والقلوب بالحب، والنفوس بالاحترام والتقدير.

رآها فارس من فتيان العرب، فتملكه جمالها، ووقع قلبه فى حبها، ثم تقدم إلى أبيها يخطبها، ومعه الشباب والمال والسيادة فى قومه فلم تقبل!.

إنها حرة لا ترضى أن تعيش فى ظل أجنبى

وكان لها أخوان يفاخر بهما أبوهما. كان يأخذ بيديهما، ثم يقف على الملأ من قومه ويقول: أنا أبو خيرى مضر، فمن أنكر فليغير، فلا يغير عليه أحد.

ثم فجعت فى أبيها وأخويها، وتحول عنها ظل الثلاثة الأعزة، فهزت الفجيعة كيانها، وفاض وجدانها بشعر باك حزين، يندب مفاخرهم ومآثرهم، ويخلد ذكرهم بقصائد يتناقلها الناس جيلا عن جيل.

وتقدم الزمن بهذه السيدة الأبية الحزينة، وكبر أولادها الصغار، فأحست فيهم برد العزاء عن فجيعتها فى أبيها وأخويها واندملت جراح قلبها ولكن. لتنكأ بعد حين.

إن معركة رهيبة كانت تنتظرها وتنتظر أولادها.

إنها المعركة الحاسمة فى القادسية بين الفرس والعرب. بين المجوسية والإسلام. بين عبدة النار وعباد الله... بين وثنية

كسروية تستذل رقاب الشعب . . وحرية إسلامية لا تخضع لغير الله .

أتجفل هذه الحرة عن مواجهة الموقف الرهيب . وتقبع مع أولادها فى بيت وادع أمين ، وهى ترى قومها وقوميتها فى كفة الأقدار . ؟

لا . وايم الله . .

ويشهد الناس امرأة تقف بين بنيها الأربعة تملأ عينيها منهم ، وتأخذهم الدهشة من موقفها بينهم . !

إنها لا تنثر على وجوههم قبلات مرتجفة ولا ترطب جباههم بدموع منهلة . ولا يختنق صوتها بينهم بنحيب متقطع . وإنما ينطلق صافيا قويا . متسق النبرات بهذه الكلمات .

يا بنى . إنكم اسلمتم طائعين . وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو . إنكم لبنو رجل واحد . كما أنكم بنو أم واحدة ، ما هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم . واعلموا أن الدار الآخرة خير من الفانية ، أصبروا وصابروا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، فيمموا وطيسها . وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والغنم والسلامة فى دار الخلود والإقامة . .

ويسمع الأبناء فى اعتزاز وفخر هـــذه الكلمات القوية ، فتلهب فيهم روح البذل والتضحية ، ويندفعون إلى قلب المعركة ، وهم فى نشوة الزهو بأنهم أبناء رجل واحد كما أنهم بنو أم واحدة ، وأن طريقهم إلى الكرامة والخلود فى دار الإقامة ، ثم يغيبون فى اللجة لتظهر أسماؤهم فى سجل الشهداء .

وانجلت المعركة عن اندحار ماحق للفرس وانتصار ساحق للعرب ، وكانت الأم على أحر من الجمر فى انتظار نبأ النصر ، وتناهى إليها نعى الأبطال الأربعة فلم تفزع ولم تجزع ولم ترسل عويلها المذعور يندب أربعة رجال فقدتهم فى ساعة واحدة ، بل اعتصمت بالصبر وفرحت بالنصر ، ولم تزد على أن قالت فى لهجة المستسلم لقضاء الله : الحمد لله الذى شرفنى بموتهم ، وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

وطوت هذه السيدة الكريمة قلبها على جراح سبعة . . ثم عاشت تتطلع فى صبر وإيمان إلى ما عند الله .

أيتها السيدات .

إن وصية هذه السيدة لبنيها ، وهى تودعهم وتشجعهم تستحق أن تكتب فى إطار ، وأن تعلق فى كل بيت ، وأن تقرأها كل سيدة وفتاة .

أما اسم هذه العربيه الحرة الأبيه فهو : « تماضر » .

وأما لقبها الذى اشتهرت به فهو « الخنساء » .

من جريدة الشعب « ع . ف »

مجد الفتاة

مجــد الفتاة مقامها
في البيت لا في المعمل
لكن إذا دعت الضرو
رة للخـروج فجول
سيرى كسير السحب لا
لا تأني ولا تتعجلي
لا تخضعي بالقــول أو
تتبرجي أو ترفلي

لا ابتغي غير الفضيـ
ـلة للنساء فأجملي
إن لم ترى رأيي فيا
«ويل الشجي من الخلي»

ملك حفني ناصف
من كتاب النسائيات

المجتمع :

حيثما يكن اجتماع ومكان جامع ، وروابط جامعة تطلق كلمة المجتمع فهي تصدق على الأسرة لأنها تتكون من عدة أفراد تجمعهم روابط النسب والقرابة والمكان والمصلحة المشتركة ، وتطلق على القرية لأنها تتكون من عدة أسر تجمعها علاقات المجاورة والمصاهرة والبيئة والمرافق العامة ، وتطلق على المركز لأنه كذلك يتكون من عدة قرى متجاورة تخضع لإدارة واحـــدة ويلتقي أبناؤها في مدارس ومؤسسات صحية واجتماعية مشتركة ويتسع مفهومها فتطلق على المحافظـة التي تتكون من عدة مراكز ، وعلى الدولة التي تتكون من عـدة محافظات ، وعلى الأمة التي تتكون من عدة شعوب وعلى العالم الإنساني بما يشتمل عليه وينتمي إليه من مختلف الأمم والشعوب ذلك لأن الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أسرة كبرى يتكون من أسر صغيرة تعرف باسم الفصيلة أو القبيلة ، وأسر كبيرة تعرف باسم الشعب أو الأمـة . ولو أنهم استجابوا للروابط الطبيعية التي تجمعهم على البر والخير لكانوا عند قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقـوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

عبد الرحيم فوده

This is translated and elaborated by Abd El-Moneim Khattab and Othman Abd El-ssalam both of Islamic culture Administration.

expiaiton, feed ten indigent persons on a scale of the average for the food of your families; or clothe them; or give a slave his freedom. "

(S. the Table, V. 92.)

At last, to prevent money from over coming the individual freedom, Islam obliged the rich people to give Alms to the poor and also put a certain system for the distribution of the heritage. This Islamic system leeds man to spend his money for the liberation of the slaves and they make him nearer to God. In this respect, holy Qur'an says : " Those who spend their substance in the cause of God, and follow not up their gifts with reminders of their generosity or with injury, — for them their reward is with their Lord : On them shall be no fear, nor shall they grieve. "

(S. The Cow, V. 262.)

Islam, after all, is not a message for the time of the prophet Mohamed "peace may be upon him", but it is the message which aimed at realizing the human values in the common and social life of the individuals. Hence, it is the everlasting message.

Surely, humanity is in need of Islam expecially at the time when wise people seek the guidance which show them the right way for the reformation of their society. Hence, the activity of wealth, thinking, heart and conscience, will be partible fields among all people. The superior man is he who has an excellent personal quality and not by his old honour, his past pride or his inherited wealth.

Indeed, the eternity of Islam is essential for the humanity, because Islam is a remedy and also a protection in the same time.

are under their rule. This means that Islam considers the people as equal as each other aud consequently, one who will surpass others, his surpass will be only due to his own efforts and human abilities which are only used for the benefits of mankind. But the pride of honour itself, has no right to prefer one person or society on the others, Prophet Mohamad said: "There is no distinction between an Arab person and a foreign one except only by his piety". And beside the Qur'anic quotation with regard to the equality among the individuals, Prophet Mohamad "peace may be upon him" said concerning one's servants "Your Servants are your brothers".

Indeed, this saying ensures the human brotherhood between the master — who has the pride of honour — and his servant, and askes both of them to treat the other according to this islamic fundamental and this treatment is not only limited to the financial affairs, but also includes the psycological feelings which induce the master to respect his servant and to treat him brotherly.

In the respect of the pride of wealth and properties, Islam calls people to liberate themselves from the slavery of the individual ownership. So Islam prohibited usury which is a mean for the humiliation of the needy people. Moreover, Islam urged people, especially the rich, to liberate the slaves and to restore the human dignity to them. A certain part of Alms also was allocated to their liberation, holy Qur'an says: "Alms are for the poor and the needy, and those employed to administer the (funds); for those whose hearts have been (recently) reconciled (to truth); for those in bondage and in debt; in the cause of God, and for the wayfarer (thus is it) ordained by God, and God is full of knowledge and wisdom".

(S. The Repentance, V. 60).

Islam also considers that the liberation of any slave is a salvation for his liberator from a certain fault, holy Qur'an says: "But those who divorce their wives by Zihar, then wish to go back on the words they uttered, (it is ordained that such a one) should free a slave before they touch each other."

(S. The waman who pleads, V. 3.)

"God will not call you to account for what is futile in your oaths, but He will call you to account for your deliberate oath: For

proclaim (to them) this (truth) : That every soul delivers itself to ruin by its own acts : It will find for itself no protector or intercessor except God." [S. The Cattle. V. 70].

"When my servants ask thee concerning Me, I am Indeed close (to them) : I listen to the prayer of every suppliant when he calleth on Me : Let them also, with a will, listen to my call and believe in Me : That they may walk in the right way". [S. The cow, V. 186].

Then God ensures the individual responsibility in the following verse " Every soul draws the meed of its acts on none, but itself no bearer of burdens can bear the burden of anotner. " (S. The Cattle, V. 164.)

As a result of all that, the Prophet Mohamad " peace may be upon him " — Though he was in a super rank and though he was very near to God, exalted be he — was away from being a future teller talks about the unseen or the future events, he also was not a mediator between people and their Lord making this person near, and that one away, of his creator, or the one who forgives people's Sins according to his will, but he was only preacher to the straight path.

As a matter of fact, every one is responsible about his faith and deeds, wheather they are good or bad. So, Islam destroyed all the religious classes and restored the human values to the society. Hence equality in seeking donation and satisfaction of God prevailed, and consequently the nearness to God has become according to man's strive towards that goal, and also due to the extent of his activity towards the realization of his duty which is, in fact, the attributes of God. So, the evaluation of the individual has become due to the existence of these qualities in the human conduct, God says " The most honoured of you before God is the most pious. "

With regard to the pride of honour, Islam ordains for the removal of this classes partition which has been claimed by such a kind of pride. In this respect holy Qur'an states that all people are from one father, He says : " It is He who hath produced you from a single person : Here is a place of sojourn and a place of departure, we detail our Signs for people who understand. " (S. The Cattle, V. 98.)

From this werse, it is obvious that Islam banished what was settled in the minds of the people — for a long time as a result of the pride of wealth and honour — that human features differ in their origin ; Some of them are masters and the others

spread both social justice and equality among all the individuals of the human society.

Firstly :

In respect of the belief, the prophet Mohamad "peace may be upon him" called the people to worship the intangible, holy Qur'an says: "No vision can grasp Him, but his grasp is over all vision : He is above all comperhension, yet is acquainted with all things." [Surah the cattle, V. 103].

As a result of this, the worship has been raised up from connection with the materialism, to be connected with the values which are the attributes of the Almighty God such as justice, mercy, power, richness, creating. . , etc.

By means of this call, it will be imposible for the man to be connected with God, unless he imitates his attributes and makes his utmost to carry them out in his life affairs. So, he would, utilize justice and put it into practice, understand the real meaning of mercy and persistently follows it, strive for the self-sufficiency, activity, superiority and he also should do his utmost to live an honourable life without any touch of humiliation. This is because the acceptation of the humiliation - in any way of life - is the same as the acceptation of the evanescence, but in another from of it. Doing all these things, the believer will have the acceptance and the satisfactory of his ford. Hence, he will take the attributes of God as symbols and tries to be nearer to them - during his common and social life - as much as he can.

Because man is required to direct his worship to God without any intercessor, in Islam there is neither priests nor priesthood and also there is not an intercession or intermidiaries between man and his Lord. In this respect, holy Qur'an says: "Say" I have no power over any good or harm to my self except as God willeth. IF I had knowledge of the unseen, I should have multiplied all good, and not evil should have touched me: I am but a warner, and a bringer of glad tidings to those who have faith. [S. The Heights. V. 188.]

From this verse, we come to the fact that the message of the prophet Mohamad is a pure one and that the work of the priests and the clergymen is not a part of it. In the following verses, God denies the act of the intercession in the relation between man and his Lord. Holy Quran says : "Leave alone those who take their Religion to be mere play and amusement, and are deceived by the life of this world. But

gave the chance to some groups of the individuals to enjoy a luxurious life, while deprived others from enjoying their rights in the human freedom.

In addition to these two sides of the human society — during the time of the prophet Mohamad's call — there was a third one which was (as I think) deeper in its influence on the social life than the others. It is the side of the belief and those who induce people to faith, there were the idolatry and the priests. The idolatry tied the people to the tangible things and prevented them from understanding the human values or carrying them out in their life — And at the same time, the priests made a classe from amongst themselves and gave it the right of recommendation, intercession, forgiveness (removal of sins) and foretelling the future. They also claimed for themselves a special knowledge about the unseen, hence, they prevented people from seeking knowledge by themselves or by what they were prepared with it, such as mind, experiences and also the different means of observances. Indeed, the priests monpolized the knowledge for themselves, and mostly, their knowledge was nothing but a kind of superstition leading to the pessimism which did not leave any room for the Optimism except in the rare conditions. Because they monopolized foretelling of the future, they were called (Al-Arrafon) which means (Future Tellers).

As to the power of the obstacles and the hindrances in the human society — during the time of the prophet Mohamad peace may be upon him — , it was very important for the success of his call to be of a strong faith, endurance, patience, and surely prophet Mohamad " peace may be upon him " was the best example for the good believer who has a complete confidence in his call and the good preacher who meets the difficulties with a patient heart. But the message of the Prophet Mohamad " peace may be upon him " should be a guidance for the removal of these obstacles and a breakage for the different hindrances in the human society. It is absolutely sure that these hindrances and obstacles have been made by means of the prevailing faith at that time and also by the pride of honour, in addition to the authority of wealth which had been exceeded till it enslaved the man himself.

Indeed, this was the object of Mohamad's message, it was the message of liberty, or rather, the message which aimed at reformation of mankind on basis of human values, it was the message that guided to

love, social justice and human brotherhood. While we find that people are influenced by the attractive material features of life, we find that rarely they understand the purpose of the human life and its value for mankind, and for this reason the scope of the material power is wider and deeper in man's life than the scope of the immaterial one. Hence, the conflict between these two powers is not at all an equal, and also the mastery of the immaterial power is lesser in time than the material one which dictates its ideas and directions that affect the life of the society.

Verily, the immaterial mastery which is the mastery of the human values in the society's lfie — especially equality and the social justice — does not appear except after the removal of the obstacles wich were put by the material power. And as long as these obstacles are of a strong influence, and as long as they are common in the society's life; the improvement of the bad condition of the people, the restoration of the social justice and the realization of equality among them are very difficult, and consequently, the one who preaches for these improvements should be a man of patience and true faith.

The Call of the prophet Mohamad "peace may be upon him" was aiming at the improving of the bad condition of the human society, as it was intending to assure the human values and to evaluate them on basis of the true aims of the man in both his individual and social life. Surely, the hindrances and the obstacles, which made differences among the individuals of the society at that time, were strong in their firmness, deep in their penetration and very old in their age. Consequently, man himself considered as a kind of goods; salable and purchasable by his master (another man used him as a slave). Moreover, the price of the man was subjected to the burgain, it would be up or dowen according to his ability to work or his skill, and sometimes due to his appearance or colour. Hence, the slave market become a profitable merchandise and the society began to taste this commerce as he master of the slave himself. As a result of that, man lost both his human characteristics and his human nature.

On the other hand, there were pride of honour, wealth, and dignity of both Roman and Persian empires outside the arabian Penensula, and also there was honour of the arabian tribes inside it. This dignity lead to a kind of the dictatorial leadership and the social injustice that lead, by turn, to the distinction of classes among the human society which also

THE EQUALITY IN THE MESSAGE OF ISLAM

by

Dr. Mohammad El-Bahay

The Vice chancellor of Al-Azhar University

The meaning of equality, is that the means of life are equally available to all the individuals of the society. The realization of this equality is possible when the obstacles which distinguish some of the individuals of one society from the others, and which give the chance to some of them without the others are removed. These obstacles, and hindrances are beyond the abilities of the individuals, their capacity their activity and their qualification as human beings. Indeed, they are the effect of the power however it is, they also spring from the influence of the authority that used to distinguish some individuals of one society and gives them the chanc to take their part in both the indvidual and the social activities of the life, and at the same time, prohilbits the others from enjoying their right in this life.

Verily, equality is not more than the social justice, and its realization is a realization for the justice itself. Indeed, justice prevailed among the human beings,—since their history was known - therfore, equality was realized sometimes as it was hidden at the others. That was because of the permanent conflict between the material power and the immaterial one which is surely unequal conflict The material power is represented by money, property, the material means of conquering and also by both the pride of honour and the greatness of the ancestors. But the signs of the immaterial power are seen in the person's understanding of the human life and also in his convincing that life is a reciprocal among all the human beings, that peace must prevail the society and that logic should control the affairs of people's life.

As a matter of fact, the pure logic is that which is not inflnenced by the personal ambitions or inclination, but surely it is the logic of

the idea of denying or mocking Islamic values, to safeguard Moslems against such mokery, contempt or denial of islamic values and to avoid dissension among them.

" Aldjehad " may also take the form of actual fighting with various weapons to repel aggression of any sort. And, if we look at what is said in the Koran about fighting, we find that God — Glorious be He — never asked the Islamic society at any time to begin fighting or start aggression; all that God demanded is to stand against aggression and repel it.

" And fight them until persecution is no more, and religion is all for Allah ". (S. 8, V. 39).

Islam is also generous and human as it advocates only equal treatment.

As Islam demands repelling aggression with equal measures, it teaches at the same time that following this attitude is religious and that God is on the side of the people who stick to the principles of their religion.

We may safely conclude that the Islamic society is a free, co-operative and well-balanced one, (or using a recent term 'a socialist society'). It is a society that protects its independence and preserves its existence.

Belief in God alone, religious morality and the jihad for the sake of God, the doctrines professed by Islam, should be motivations or factors that help the growth of our Islamic society.

The Islamic society, since its formation in Medina, has adopted itself to the existence of control and the existence of the executive power.

The gift of Omar, that is, the general control which he imposed, stood as symbol of this executive power.

All that we say about religious morality, and the stress we put upon its existence and necessity is meant to show that it is the duty of the Islamic society as will as any other society to see to it that this power is latent in its existence and at the same time maintain its survival because it is much better for the society to be led by self motivation rather than to be led by law and its executive power.

4.—Maintaining the Character of Society and Protecting it :

The belief in God and the religious morality are two factors in the formation of the Islamic society, its survival and its consolidation.

Another factor in maintaining the character of the Islamic society and defending it against outside aggression is the "Djihad" for the sake of Allah. I presume that the word "Djihadia" is derived from the word "Djihad". I also believe that colonial forces made the word hateful to us through the wrong and the fooleries done to or played on the recruited and military people during the era of their rule.

Through the application of the principle of "Aldjehad", Islam aimed at two things : The first is to retain Islam in the Islamic society and maintain its ideology and its order.

The second is to preserve the islamic order and defend its ideologies against aggression of enemies who constantly disbelieve in, and mock these ideologies.

"O you who believe ! Choose not for friends such of those who received the Scripture before you, and of the disbelievers, as make a jest and sport of your religion. (S. 5, V. 57).

In denying the ideology and order in the islamic society, this enemy in fact rejects the very existence of the islamic society and desires its splitting and dissolution.

" Aldjehad " is the defence of these values against aggression. It may take the form of giving answers to what is said against Islamic values. What is meant here is not actual fighting : the aim is to stand against

him verily We shall quicken with good life, and We shall pay them a recompense in proportion to the best of what they used to do." (S. 16, V. 97).

" Allah has promised those who believe and do good works : Theirs will be forgiveness and immense reward. " (S. 5, V. 9).

Should this religious morality and its effects be realized in the light of the belief in the Message of Islam, then the Islamic society would not be faced with problems calling for solutions. For, if this morality in itself is powerful enough to motivate the righteous deed, it is also a preventive against problems. The problems of any society arise because of aversion, lack of uprightness in action, and lack of co-operation and balance; again, they arise when the feeling of sympathy is weakened and when selfishness has the upper hand and thereby spoils human relations. Then society suffers problems : the individual has his problems with himself and with others; the family faces the Problems pertaining to the relationship between its members; husbands and wives have the problems of their matrimonial life, and so on.

For these reasons, the teachings of Islam, in which one should believe, are not mere solutions to problems. They are, first of all, a preventive against problems. Thus it is the motto of Islam : Prevention before cure.

If we are to discuss religious morality or religious conscience in the Islamic society and compare them to the Law or the Executive Power in regard to guiding society and motivating it to uprightness in action and good treatment, it is not in our mind to depreciate the executive force of the law or the general control on society.

It is not our intention to do so, because society has members who tend to evil, corruption and unavailing play, however upright are its other members. Furthermore, it has among its members some, though in a minority, who defy virtueous moral values, ideals, uprightness, and the welfare of society. It may be that one day this moral force is weakened and consequently corruption and play will prevail, should there be no executive power or general control on society. Islam, therefore, does not deny the existence of such a force or such control. On the contrary, Islam calls for it and seeks it, so long as human nature remains unchanged : this human nature comprises both the righteous and the libertine, the upright and the crooked.

of a Moslem girl or woman to a non — Moslem and in so doing protects the Moslem society from being absorbed in another society through marriage. This is not a racial matter, nor is it based on racial discrimination. The only objeetive of Islam in this matter is the protection of the Moslem society and its values from degeneration through the submission of a Moslem woman to a non — Moslem in the marriage contract.

Here it may be suitable to say that the Islamic society is an entirely human society, yet at the same time it keeps its peculiarity and individuality. The universal Zionism, propagated by many thinkers, is an idea which Islam does not readily accept, for the most characteristic goal of this universal Zionism is the abolition of characteristics of each society so that Capitalism and Zionism may have full sway over the whole world, not granting anybody freedom of expression to show that those capitalists and Zionists are indeed strangers to the individual countries.

Thus it becomes apparent that belief in the Prophet's Message means — as we have mentioned — to follow the Islamic instructions in man's attitude towards himself and towards his fellow men. Since society consists of many individuals the value of this belief in the Messenger, peace be upon him, and his Message in forming and conducting the religious morality is apparent.

Belief in requital on the Last Day is — as mentioned above — the source of vitality in this morality and the element of its continuance and momentum. For if he who believes in God and the Message of the Prophet, believes also in the Last Day, he will have a vivid memory of thnt Day which he is sure will come and sure to come and therefore with this thought in mind he will always act according to the preaching of the Message. This is why Islam is strict with those who deny that Day and its requital:

Whose disbelieves in Allah and His angels and His Scriptures and His Messengers and the Last Day he verily has wandered far astray". (S. 4. V. 135).

It is true that Islam did not explicity mention this religious morality nor did it demand it in such explicit words, but surely it demanded it in the form of good deed, for good deed is its natural result. God says in Koran :

" Whosoever does right, whether male or female, and is a believer,

realized through religious morality and moral conscience and not by man made law and its executive authority.

After all the divine message, sent to Muhammed and the belief in which is considered the principal element of religious morality, has certain elasticity and adaptability represented in the prineiple of free judgement (Al-Ijtihad). The Quran refers to this principls when saying: " O you who believe ! obey Allah, and obey the messenger and those of you who are in authority; and if you have a dispute concerning any matter refer it to Allah and the Messenger if you are (in truth) believers in Allah and the Last Day. That is better and more seemly in the end ". (S. S. 4, V. 59). By the verse " those of you who are in authority " is meant men of free thinking and judgement. And by " referring the dispute to God and His Messenger ", is meant referring to the Book of God and the Traditions of His Prophet.

This principle (apart from the origins of belief) provides for the Islamic law a sort of dynamism and adaptability for the followers of this message according to the circumstances of their environments. Thus the Muslim is free to lead a progressive as well as religious life. It is a credit whereby the Islamic society can lead a life that never contradicts the general principles of Islam.

Besides, there is another principle sponsored and cherished by the Islamic religion whch is enlvetably needed for the consolidation of any given society, that is the extinction of social discrimination. In Islam neither tribalism nor colour can stand in the way of co-operation and brotherly relations among the believers. The Glorious Quran strongly emphasizes that all Muslims are one nation irrespective of their breed, colour, or nationality ; and that their differences in such traits are not reasons for dissension and separation but are on the contrary, due means of friendship and amity.

Along with these principles there is a third one in the Islamic Message which is deeply connected with the cohesion of the Moslem society, its independence and its peculiarity which protects it from being absorbed in any other society. This principle is the " Islamic Nationality " contained in the Koranic verse: " Faint not nor grieve, for you will overcome them if you are (indeed) believers ".

The application of this principle is clearly shown in the marriage contract. Islam forbids the marriage

repulse them, but speak unto them a gracious word". (S. 17, V. 23). In the aforementioned Quranic verses we find that God, Glorious be He, has demanded kindness in so far as the treatment of parents and relatives is concerned. Such kindness represents the most sublime and sophisticated human standard. Undoubtedly the responsibilities which parents undertake in bringing up their children necessitates that the attitude of the children should be as such stated in the Glorious Quran.

As for the parent - child relationship Islam has not dealt with this subject in the same manner as it has with childhood problems because Islam depends, in the first place, on the natural relationship between the two sides which is very powerful and distinct on the part of the parents. Islam only recommends that parents should not devote their time and effort to their children to such a degree that it is at the expense of their own fidility and religious devotion. The Quran says in this connection : "Your wealth and your children are only a temptaion whereas Allah with Him is an immense reward. So keep your duties to Allah as best as you can, and listen, and obey, and spend; that is better for your souls." (S. 64, Vs. 15-16).

Furthermore, Islam ordains that relationships among mankind as a whole should be based on co-operation and mutual sympathy. In this connection God the Almighty says : " It is not righteousness that you turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believes in Allah and the Last Day and the angels and the Scripture and the Prophets ; and gives his wealth, though being loved, to kinsfolk and the orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set sloves free; and observes proper worship and pays the poor due." (S. 2, V. 177). And His Messenger also says : "Your fellow believers are your friends; so give them out of the food you eat and the cloth you wear, and do not do harm to God's bondmen".

Again Islam demands equilibrium and harmony should, from the Islamic point of view, not be motinated by an extrinsic urge but must emanate from the intrinsic motives of both individual and society. Henceforth Islam has given immense care to " equity ". By equity is meant to behave according to the virtuous standard of humanity. Equity, as proclaimed by Islam, contradicts misuse and violation and means modest conduct in the spheres of behaviour, charitable deeds, labour, preservation of relationships, the way of arguing, and respect of honour and consecrations, Such equity can only be

" Men are in charge of women" (S. 4, V. 34).

Such responsibility does not mean authority or mastery but rather indicates a sort of leadership and guidance. Islam has charged man with this responsibility only because he, by virtue of his physical construction, is shouldering certain responsibilities in the outer life which woman cannot usually and principally carry out because she is by nature a subject to pregnancy and reproduction and is shouldering, therefore, other responsibilities suitable for her, such as bringing up and taking care of her children. She is (accordingly) unable to work in the outer life in the same manner as man. Therefore man is responsible for the maintenance and sustenance of his family. It is logical then that man's situation entitles him to the credits of leadership and guidance.

There are other limits set by Islam which prevent man from any misuse of such privileges and from any ill-treatment of woman. The Quran illustrates such limits when it states: " Divorce must be pronounced twice and then (a woman) must be retained in honour or released in kindness ". (S. 2, 229). Islam thus demands that matrimonial life should be based on equitable terms on one hand, and that separation if it happens should on the other hand be made, in likewise equitable manner.

The believer who develops a sense of religions morality canmot but be air and just. He neither imposes nor misuses the responsibilities with which he is entrusted such as guidance and leadership. It is manifest after all that man's privileges over woman only mean his sincere endeavours to achieve the good for both of them.

Because Islam respects and asserts the individual characteristics, it does not allow man to interfere in the financial affairs of his wife or to impose his opinions and beliefs on her. Woman, in turn, is only demanded not to hurt the feelings of her husband by means of possessions and beliefs. She must carry out her duties and call for her rights without the slightest delay.

Islam, in the circle of kinship, demands the same harmony and equilibrium among relatives, God the Almighty says: " And serve Allah. Ascribe nothing as partner unto Him. (Show) Kindess unto parents and unto near kindred ". (S. 4, V. 36). The Lord has decreed that you worship none save Him, and (that you show) kindness to parents. If one or both of them reach old age with you, say not " Fie " unto them nor

This verse reveals to us that Islam acknowledges the human nature as being at one and the same time materialistic and spiritual, practical and idealistic. While it does not deny man the right of enjoying the fruits of this world, which belong to the materialistic side of his nature, it enjoins that while enjoying them and while working hard for the achievement of worldly aims he should always direct himself towards God, i. e. to avoid corruption and vice; to avoid using whatever achievements he can gain, thus inviting corruption of the society. This is what is meant by the verse :

" And seek not corruption in the earth; Lo ! Allah loves not corruptors".

Islam, in the domain of society, has laid down the foundations upon which the system of family, which represents the smallest cell of society, is built. It provides for the rules of marriage and matrimonial life in which two individuals are associated with each other leading the same course of life and working for the same purpose. The Islamic institution in this respect does not work for the annihilation of the individuality of each of the two mates and does not demand that either of them should be absorbed by or melted in the other's personality. This is because Islam is fully aware of the fact that the individual characteristics can by no means be annihilated or absorbed by any other individual.

Islam only seeks harmony and equilibrium between the two parties in the sense that neither of them violates the rights of the other or disregards his existence and dignity. Instead Islam proclaims that both of them are to proceed along the course of matrimonial life side by side in a harmonious and symmetrilcal manner. Therefore it has bestowed the two spouses with certain rights and obligations to help keep them undertake their respective responsibilities in their matrimonial career. The Quran says : "And women shall have rights similar to the rights against them, according to what is equitable; but men have degree (of advantage) over them ". (S. 2, V. 228).

By so saying the Quran has laid down the principle of equality between wife and husband. It is only meant by man's privilege mentioned in the said verse the responsibility of man to stand firm in woman's business, to protect her interests and look after her affairs. This notion has been emphatically stated in the following Quranic verse :

perceptions whatever they may be are apt to be influenced by the factors that have influence on man; and then it is easy for human perception to change.

This religious morality - based upon the three elements of belief: the belief in the oneness of God, in the Message of the Prophet, peace be upon him, and in the judgement Day - is therefore, a fruitful motive in achieving good conduct and nice treatment of others. When these are achieved, co-operation between individuals is not only possible but is indeed an ipsofacto result. Moreover, it will lead to real fraternity founded upon genuine love whereon powerful cohesion takes place.

3) The Contents of the Heavenly Message.

Since the belief in the oneness of God - which is an element in the religious morality - is in reality a belief in freedom from superstition false creeds, humility and submission, while it is a belief in the sublime in the human nature, the belief in the Prophet however is not at all belief in his person as a human being, but in him as a Messenger and a ring in the chain of delivering the Revelation of God unto the people. If the contents of this Message are a planning of the individual conduct and the limits of inter-relations between one individual and another in society, the belief in the Messenger and his Message therefore means the following of him in order to perform the contents of his message, i.e. to perform the right way of conduct and right dealing with others.

When we view the contents of this message, and the limits and designs it draws, we shall find that it draws, we shall find that in all this it aimed at the achievement of equilibrium between the dual nature of the individual and between one individual and another in society. For the individual - although a unity to all appearance - is in fact composed of two counterparts: of wisdom inspiring to moderateness and desire inciting to extravagance; of mind and body each having its own inclination. Here we find that Islam in this very circle - that of the individual - does not deny any of the two counterparts.

"But seek the abode of the Hereafter in that which Allah has given you and neglect not the portion of the world, and be you kind even as Allah has been kind to you, and seek not corruption in the earth; Lo! Allah loves not corruptors". (S. 28, V. 77).

and the law made by society and imposed upon individuals by force and watch is that the domination of the law with its executive power lies outside the human being and is imposed upon him from without. In the modern civil society - the society that impoes the law and executes it - man acts under the pressure of this force which lies outside him. When society neglects the peformance of law one day or its grip loosens a little, the individual in turn will neglect his duty . . . the duty imposed upon him by law and its executive power.

Therefore, in the society that does not function upon a spontaneous impulse within its individuals, communal work depends upon the power of the executive authority and its vigilence in watching the execution of the law. The Modern State bears a heavy task in achieving such an executive power and such a vigilance.

The individual in the modern society always feels the push of law behind his back and feels also that his freedom is limited and his will confined; for he is nearly obliged to act as he does, while as in a society of religious morality - such as the Islamic society - the individual is free from this depression for he feels that it is he who pushes himself and that therefore he is free in obeying his inner impules. Thus in a society of religious morality personal freedom is an important element both in construction and improvement of work, for freedom of work and spontaneity are always accompanied by a pleasant desire for work and perfection. This is why in the 18th century some idealistic moralists in the European society tried to build up individual morality based upon the idea of "Duty for duty's sake", This idealistic ethics prevailed in the German people in particular and was known as Kant's principle or the Moral Duty. Although it is a morality invoking spontaneous action without the control of the imposed law with its executive power, it is different from the religious morality that Islam wishes for the Moslem society - the morality which is the basis for the cohesion Moslem society and the co-operation of its individuals. For whatever the case may be we should not forget that the basis of the religio-moral power is the belief in God, while the basis of the idealistic moraity is the perception of the duty of man towards mankind. A great difference is there between a power that depends upon the belief in God and another that depends upon man's perception of mankind. The belief in God is more likely to continue or at least to continue for a longer time while man's

peace be upon him. While it is belief in God it likewise based on the belief in the Prophet's Message and its contents. Another of its elements is the belief in requital on the Last Day, which incites continuous vitality and vigility viewing that this religious morality should perform its function according to what one believes. The three elements of belief : the belief in God, the belief in the Messenger and the Revelation which is the contents of his Message, and the belief in the Last Day and its requital are all contained in the first verses of the Chapter of the Cow " Aleph, Lam, Meem".

" This is the scripture whereof there is no dout, a guidance unto those who ward off (evil). Who believe in the unseen, and establish worship and spend of that — We have bestowed upon them. And who believe in that which is revealed unto you (Muhammed) and that which was revealed before you and are certain of the Hereafter. These depend on guidance from their Lord These are the successful". (S. 2, Vs. 1 — 5).

He describes the believers by these three qualities : They are the pious; they are those guided by their God; they are the successful and prosperous. The belief in the unknown involves primarily the belief in God for He is the Being unperceived by anybody's sight while He perceives every body's sight.

Belief in what was revealed is the belief in God's Message and the sure knowledge of the Judgement Day is the deep belief in it. In the Sura of Women the Koran gives these three elements of belief another expression. It demands belief in them, then describes those who deny them by having gone far astray : " O you who belisve ! Believe in Allah and His Messenger, and the Scripture which has revealed unto His Messenger, and the Scripture which He revealed aforetime. Who so disbelieves in Allah and His angels and His Scriptures and Messengers and the Last Day, he verily has wandered far astray ". (S. 4, V. 136).

This religious morality, based on these three factors of belief, is the morality that invokes man to good conduct, rightousness, co-operation and fraternity between individuals, the impulse here being a spontaneous one which needs neither external motive nor external watch for its domination is derived from the belief which the believer holds in his heart. The difference between the case of the believer who holds within himself the impulse for right doing and co-operation with others

seeking because all men's action and thoughts will be orientated by such authority and influenced by its wish. Such authority whatever its attributes may be, is carried out by a group of people who may have whims or purposes or partialities. As such whims, purposes and partialities and not the common will become an arbitrary law which could not be discussed and a holy order which could not be criticised. Polytheism is one of the aspects of such authority. The idea of having a partner to God is clearly and decisively dealt with from the point of view of Islam in the following verse :

"Allah pardons not that partners should be ascribed unto him. He pardons all save that to whom He will.

Whoso ascribes partners unto Allah has wandered far astray ".
(S. 4, V. 116).

Evidently the belief in one God, to which Islam calls and insists upon, does oppose the existence of such a religious authority as referred to in the preceding chapter. Hence those who speak about a religion of their own or a state of their own in Islam or in the Moslem society are in fact expressing ideas alien to the nature of Islam. They are only trying to imitate the conversion of the Roman Catholic Church in the Middle Ages when it was governing the Christian Society in Europe in the name of God, and when it endowed on its priests the infallibility in word and deed and imposed upon all the other people the holy submission to the orders of the clergy men who were the representatives of God on earth and who shared with him the holiness and infallibility.

Islam does not know such society. It knows only a human society which believes in one God and believes in the Message revealed by God to the messenger of the Islamic call, Mohammed son of Abd Allah may peace be upon him.

2) *Religious Morality or Religious Conscience.*

If unity in believing in God is at the same time the goal of the Islamic society and the principle element of its constitution, the religious morality or conscience is an important factor both in the continuation and cohesion of this society.

Religious morality is a psychic capability which takes place in the constitution of person who beleives in God and which becomes the source of a certain behaviour that coordinates with the teachings of the Nessage of the Prophet Mohammed,

THE ISLAMIC SOCIETY AND ITS OBJECTIVES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

Vice chancellor of Al-Azhar University

— 2 —

The society which believes in one God is the only free human society. It is the society which is able to differentiate in full consciousness between man as a distinguished creature and all other creatures which were created only to serve man and his ends. And the Islamic society is the society that believes in one God.

The objectives of the Islamic society, being the one that believes in one God only, are the liberation from all that degrades human dignity, the freedom from all that hinders man's motion forward and his endeavour to proceed progressively in life and to rid himself of all that stands in his way as the master of this universe.

The Islamic society by believing in one God, is and will always be a human society since it does not regard itself a religious society in the sense conceived by the Roman Church in Eurcpe in the Middle Ages when it was believed that a certain class had the right to manage the life of the other classess, considering itself class above the common people, on being given that right from God and therefore it had the right to deal with matters by his will and thus its judgement was holy and arbitrary.

The belief in one God does not by any means, give the Moslem society such authority. On the contrary, it gives every individaul an incentive to liberate himself from anything that may hinder his freedom, thinking and action. It urges the individual to work, to seek and to evaluate in full liberality. The existence of an authority whose thought and judgments are infallible and holy and whose actions and directions are godly is no doubt a deterrent to free thinking, acting and

have prepared for them a penalty grievous (indeed).

(Surah the children of Israel, verses 9 — 10).

" O ye who believe ! give your response to God and his Apostle when He calleth you to that which will give you life. "

(Surah the Spoils of war, verse 22).

" If only they had stood fast by the law, the Gospel, and all the the revelation that was sent to them from their Lord, they would have enjoyed happiness from every side. There is from among them. A party on the right cource : But many of them follow a course that is evil."

(Surah the Table, verse 69.)

"Whoever works righteousness, man or woman, and has faith, verily, to him will We give a new life, a life that is good and pure, and We will bestow on such their reward according to the best of their actions."

(Surah the Bees, verse 97.)

"We sent aforetime our apostles with clear Signs and sent down with them the Book and Balance (of Right and wrong), that men may stand forth in justice."

(Surah the Iron, verse 25.)

The achievement of the Islamic principles towards the improvement of humanity :

The islamic principles towards the improvement of humanity are based on the following facts: The human being has both a body and a soul. And each one has its enjoyments and desires, Every man also has an independent personality which is attached to him as an individual and another personality attached to him as a member of his natioral and human society. Indeed, these two personalities cause man to enjoy happiness, especially, in case of his moderation whithout intensity or extravagane. Surely, man will not be a complete happy, unless he performs his duties, enjoys his rights and consolidates his relations to both his God and his citizens people. IF we observe the instructions of Islam, its beliefs, its worships, its teachings and its legislations, we shall find that they are always considering the different needs of the human being to realize happiness for him, body and soul, as a person or as a member of the society.

of the world - that his orders to his bondmen are a guidance and a mercy for them all. And of course, the oppsition or the antagonism of the people never gives God's mercy, but verily God's mercy is caused by the following of the right way and summoning others to embrace it. No doubt that the right never opposes right, but verily it alwavs opposes the wrong. In this connection holy Qur'an says next to the story of Adam and his repentance for his Sin " He said, get ye down both of you, all to gether from the garden with enmity one to another; but if, as is sure, there comes to you guidance from Me, whosoever follows my guidance, will not lose his way, nor fall into misery. But whosoever turns away from my message, verily for him is a life narrowed down and we shall raise him up blind on the day of Judgement." (S. Taha, V. 123—124)

The eternity of Islam is only realized by the eternity of its origin :

Because Islam is the religion which was revealed from God. and because it is the guidance of Lord of the world to the selected messenger who was ordered to convey it to the mankind, and because God — the eternal and the most merciful — is he who granted Islam and his mercy, is actually an immortal one, and because of Islam is a feature of this God's mercy, it should be an eternal religion as its source.

Islam leads to the happiness of people :

Because we believe that Islam is the eternal religion and that its eternity is the result of the eternity of its source (God most gracious, most merciful), we should observe its teachings to affirm and then decide if its instructions are have to guide mankind to stability and happiness or not. Indeed, if we examined the Islamic teachings thoroughly, we should come to the conclusion that Islam is the ideal system that leads both the individual and the society to their happiness, wheather it is in this world or in the Hereafter. Islam calls people to be in a good conduct during their life, it orders them to treat each other kindly, also it prevents the wrong deeds and also prohibited all kinds of aggression.

In this respect, the glorious Qur'an says : " Verily, this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward; and to those who believe not in the Hereafter, (it announceth) that we

religion is " Islam " " O ye who believe! Fear God as He should be feared, and die not except in a state of Islam " (Surah the Family of Imran, werse 102). " Say : " O people of the Book! come to common terms as between us and you: That we worship none but God; that we associate no partner with Him ; that we erect not, from among ourselves Lords and patrons other than God. " IF then they turn back, say: Bear witness that we (at least) are Muslims (bowing) to God's will).

(Surah the Family of Imran, werse 64).

With regard to the lies of both the christians and the Jews, and because they propagated that there is no link among the religions, The Qur'an said "Abraham was not a Jew, nor yet a christian, but he was true in faith and bowed his will to God's (which is Islam). And he joined not gods with God.

(Surah the family of Imran, verse 67).

"They say : become jews or christians if you would be guided (to salvation) " Say thou : " Nay! (I would rather) the religion of Abraham the true, and he joined not gods with God. " Say ye : " We believe in God, and the revelation given to us, and to Abraham, Ismail, Isaac, Jacob and the Tribes ; and that given to Moses and Jesus and that given to (all) prophets from their Lord : We make no difference between one and another of them : And we bow to God (in Islam). So if they believe as ye believe, they are indeed on the right path; but if they turn back, it is they who are in schism; but God will suffice thee as against them, and He is the All-Hearing. The All-Knowing. (our religion is) The Baptism of God : And who can baptize better than God ? And it is He whom we worship".

These Quranic verses are the real proof that the religion before God is one as they state also that the sole religion which God considers is Islam that was preached by the first prophet and by the last one as well. The frist prophet started the Islamic call and the last one completed it. In this respect holy Qur'an says "This day have I perfected your Religion for you and completed my favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion" [Sourah. The Table Spread, V. 4.]

Surely, it is impossible that these several religions which opposes one another, are revealed from God Who is the most knower and the sole owner of the souls of the people. As a matter of fact, God told the people by means of his messengers - since the creation

In the holy Quran, we find many verses which are clearly declaring the unity of all the religions. God ordered every one of his messengers to call people to believe in both the prophets before him and those who will come after him. This order will lead every one to perform his duty completely towards God's message. The glorious Qur'an says :

"Behold ! God took the covenant of the Prophets, saying : "I give you a Book and wisdom; then comes to you an Apostle, confirming what is with you; do Ye believe in him and render him help." God said : "Do ye agree; and take this my covenant as binding on you ?" They said : "We agree." He said : "then bear witness, and I am with you among the witnesses." IF any turn back after this, they are perverted transgressors. Do they seek for other than the Religion of God ? - while all creatures in the heavens and on earth have willing or unvilling, bowed to His will (accepted Islam), and to Him shall they all be brought back. Say : "We believe in God, and in what has been revealed to us and what was revealed to Abraham, Ismail, Isaac, Jacob, and the Tribes and in (the books) given to Moses, Jesus, and the prophets from their Lord : We make no distinction between one and another among them, and to God do we bow our will (in Islam)." IF any one desires a religion other than Islam (Submission to God), never will it be accepted of him; and in the Hereafter he will be in the ranks of those who have lost (All spiritual good). [Surah the family of Imran verses 81 : 85.]

In the following verses it is very obvious that Islam is the sole religion accepted by God " The. Religion before God is Islam (submission to His will) : Nor did the people of the Book dissent therefrom except through envy of each other, after knowledge had come to them". [Surah the Family of Imran, V. 19].

"And who turns away from the religion of Abraham but such as debase their souls with folly ? Him we chose and rendered pure in this world : And He will be in the Hereafter in the ranks of the Righteous. Behold; his Lord said to him "Bow (fhey will to me) :" He said : "I bow (my will) to the lord and cherisher of the universe. And this was the legacy that Abrham left to his sons, and so did Jacob; "Oh my sons ! God hath chosen the Faith for you: then die not except in the faith of Islam." [Surah the cow, verses, 130-132]].

It is our duty to put the next verses beside the former one. This will assure us that the call of all the prophets is one and that the

Because the people's different opinions, especially with regard to the dislimited affairs of life cause the personality of the nation to be lost, so it will not be astonishing that the difference among mankind — especially in religion, its aims and principles — will lead them to be separated and also lead them to fight against each other. Hence, the guidance of God devided into several religions. They kept God's teachings aside, while they encourged their habits and traditions, their nationalities and the policy which they are following. Consequently, several religions appear in the people's minds: Judaism, the religion which was revealed to Moses from God and which its followers hold it fast and continuously. Christianity, which was revealed to Jesus with certain instructions. Its people are embracing and defending firmly its principles. Islam, which is the religion revealed to Mohamad " peace from God may be upon him " and which contains teachings followed by many faithful followers who are preaching and defending them with all their might.

As a result of what we mentioned, people embraced several religions, they devided in the guidance of God to many faiths and beliefs, though in its origin it is one only and the all revealed from Almighty God. No Judaism, no christianity, but one religion, one guidance of one system and one source that is the Lord of both earth and heavens, cherisher and sustainer of the world.

Islam is the sole Religion before God :

Islam is not a new religion as many people understand, but it is — according to the holy Qur'an — the same which God revealed to the first messenger to his bondmen, then it was revealed successively to all of his messengers to convey God's message to the mankind and to enable people to reach a better thought and a full understanding. Hence, God sent the holy prophet Mohamad "peace may be upon him" to complete the message of the prophets who came before him. Indeed, all God's prophets are — as the prophet Mohamad stated — the builders of one house, the preachers of one call and the advisers to one happy goal. The holy prophet said : " It is similar to me and the prophets before mine, the man who built a house, then completed and decorated it except a place of one brick. People admired the house but they were surprising and critisizing also the empty place of this brick. The Prophet added " my possition among the prophets is exactly as this brick and I am the last prophet ".

THE ETERNITY ELEMENT OF ISLAM

by
His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University

The Personality of the nation :

For any nation to be existed, it should gother both the two personalities : The immaterial and the material one as well. The material personality of the nation, is due to its standing on such environment, nature of land and horizon, while the immaterial personality of it is due to its feeling of the situation which it takes among the other nations of the world, its part from the life, and the unity of its thinking in this part which it has been granted in the life.

No doubt that the nation's immaterial personality is an important factor for its strength. And if it lost this factor, t would go through life in a bad condition: Complete poverty, weakness and humiliation. Moreover, the other nations which have the immaterial personalities, will take it an oppertunity and occupy its land, take its wealth, harm its people and treat them unkindly.

Keeping of the nation's Personality :

It happens sometimes that a danger occurs to some nations This danger may cause different opinions among its people and causes also their hearts to be separated, their nation's personality to be confsed and it may lead this nation to be annihilated. But to save the nation from this dangrous end, it is indeed the duty of the wise people of this nation to do their utmost for the preservation and keeping it away from that danger which is closely surrounded it and this would be realized if the hearts of the people gothered around one aim, believed in certain principles and had also a united sensation. To keep the personality of the nation, people should defend their aims which combine the dignity and the honour of their nation, and this of course will lead it to take its privilege and position among the other nations of the world.

the worst human being on the earth. But because the imperialists are supporting him and supplying him with money, he is speaking with a loud voice, thinking that he has the power to face the united Arab Republic and the leader of the Arab Nationalism (Gamal Abd El-Nasser). As a matter of fact, the voice of the King is not very strong as the roaring, but it is very faint as the voice of the flies. Now, we ask the following questions : From where the King of the Transe Jurdan got the money to finance his abominable nights ? From where he got the money which he sent to the European Banks to be saved ? From where he got money to pay his dishonest nomadical guards ? OF course, he got this money as a price of his nation which he sold it to the imperialists. Actually, it is the money which was given to him by the Zionists in return for the occupying of the dearest part from the Arab land of Palistine, it is the price of his efforts to weaken the Unity of the Arabs and his barking against the leader of the Arab Nationalism (Gamal Abd El-Nasser). But his red nights will not enable him to save himself from his coming black days and his bare feeted guardians will have no ability to defend him against the revolution of the people and the money which he sent to foreign Banks will be of no value for him.

Those are the three dishonest rulers who have been used by the imperialists for the humiliation of the free people. The first one of the three was kicked out by the Egyptian revolutionists and the other two are waiting for their similar end which undoubtedly will come. And at that time, they will be evacuated of the countries followed by their supporters (the imperialists).

---

hear through the iranian broadcasting station or read on the pages of the different world newspapers that Shah Iran has laid the foundation of a school, constructed a hospital, erected up a new bridge, macadamized a new road or improved some of his countrey's disruption, but only you hear or read every day and night about the marriage of the Shah, then his divorce, his love, his blessed journey to Hollywood, his trip to the Rivera coast, his travelling to London and his doubtful visit to the Transe jurdan. With regard to both the iranian and the Arab nations, Shah Iran does not consider any of them. This is because the backwardness of his nation is an abominable shame attached to him while the progress and the rapid advancement of the Arab nationalism causes him much troubles. Moreover he wants Tehran to live in a complete dar kness, as he fears the lights of freedom which come from Cairo to lighten Iran, and this is, by turn, will awaken the iranian sleepy people from their deep sleep. But as it is impossible for him to viel the rays of the sun by his hand to be spread here and there, it is impossible to prevent the waves of liberation to oblitirate the darkness, to kill the slavery and to repair the bad condition of the people everywhere. No doubt that the revolution against the Shah will happen one day. This is because he is always challenging both the religioius instructions and the will of his people. He is also supporting the imperialists, fighting against the liberty and antagonizing the Arabism, while he is assisting the Zionism, refusing to carry out the decisions of Bandung conference and opposing the opinions of all Muslims. Consequently, he attested the Zionist usurpation of the arabic Palistine, acknowledged the driving of one million Arabs away from their own land to live in the reluges and in the deserts in a humility and a bad living while the Jews are living in the Arab's houses, occupying their lands and stealing their properties and possissions. Indeed, Arab refugees have no hope except in the support of God and the assistance of both Arab and the muslim nations.

This is the manner of Shah Iran and that is his character. He is living away from the teachings of Islam doing his utmost to keep the imperialists on the land of Iran to guard him in case of the national revolution by means of the oppressed people and also to enable him to enjoy all his different passions.

The third one of the three, is the King of the Transe Jurdan who is an ignorant man. Indeed, he is the the King of the smallest nation with the smallest crown, he is the most cunning King ruling the best people, he is

Not only his manner was that, but also he used to, kill husbands and usurps their wives, to steal the money of the State, to accept bribes and to treat the people unkindly, when he thought that the people was subjected to him quitely, and that they accepted the humiliation and the darkness which they were living in, the care of God surrounded the poople and God inspired some of the faithful military youngmen under the good leadership of the president Gamal Abd El-Nasser to get rid of the tyrants and to save their people from their bad condition. And because the members of the army were men of sacrifice, organization, work, honour, and glory and because they sold their souls for the sake of their country's freedom, seeing the bad condition which the people of Egypt were suffering, knowing the disruption and the confusion which were prevailing the soldiers of the army, president Nasser and his friends revolted against the enemies of the country. Their revolution was as a faint fire which kills the microbes but does not burn the ill body, it was as a breeze which pushs the sailing boat but does not drow it. They kicked the bad king out of the pure land, then treated the people according to the instructions of the glorious Prophet " peace may be upon him ". Following his footsteps, they destroyed the human idols as he destroyed the rocky ones before, honoured the human beings exactly as he did, oblitirated the distinction among the individuals as he planned, gave every poor person his right in the rich people's wealth as he previously ordered and they also supported the right with the power as he actually did, then they planted among the people of Egypt — for the frist time in their history — both equality and freedom.

The second and the most cunning one of the three, is the successor of Mouzdok or who — so called — Shah Iran (persia). Since his childhood up to now, the persian emperor is enjoying a similar life to the king Farouk's one, also his father did not bring him up according to the religious teachings, did not prepare him to be the king of the State. Hence, forcely he ruled the persian people following his bad father's footsteps, he knows nothing about the State's affairs except its money case which he was attempting to transmitte a lot amount of it to fill his pockets. As a matter of fact, Shah Iran is a careless of improving his State condition or at least how to investigate its natural. wealth for the benefits of his people So, you can not at all.

all people as well as he will lose his honour and dignity which he was previously enjoying. Such kind of kings always appear when the Almighty God wills to change the system of the State and to replace one government with another. This is because these kings humiliated the people, oppressed them, prevented them to declare their opinions freely and consequently, People's hearts filled with hatefulness and this will lead them to revolt against their kings and to get rid of them and their assitants as well.

Offering an actual example for such kind of kings, we have firstly to speak about the three astray youngmen who had been appointed rulers and kings by the authority of the british imperialists, though it is against the will of their nation's people. Moreover, the imperialists backed them by force, supplied them with money, induced them to interrupt the characters and the conducts of the youngmen and taught them how to spend the nation's wealth haphazardly and in the bad ways. But it was the will of God to inspire a group of faithful youngmen under the wise leadership of the president Gamal Abd El-Nasser, who revolted against the tyrants and the aggressors till they evacuated the imperialists out of ost of the middle East nations, though they are still occupying some of these nations, creeping on its land by the support of some dishonest citizens and those unfaithful rulers who are exactly as the germs and the microbes which creep to the human body by means of the fly's legs or the dog's mouth. Verily, it was the will of God to save the people from those tyrant kings and to make them who are the last branches — from the tree of their corrupted and bad families — to fall.

The first and the worst one of the three kings, was Farouk the king of Egypt before 23rd of July 1952, who was the most detested man living on the earth. His heart was full of evil, his conduct was against both the instructions of his religion and the people of his country as well. One of the royal palace supporters told me one day that king Farouk would go to the mosque for the congregational prayer but without ablution and to perform his prayer but without reading Qur'an, this is in case of he was obliged to perform the prayer at only some special circumstances. Moreover, the same supporter added, king Farouk Siad " I fear that I may lough loudly while I am following the movements of the leader of the prayer (The Imam) ".

THE RELIGION IS THE BEST CONTROLLER

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The piety which is the feeling of fear from God, is a natural quantity takes its place inside the hearts of the working hard people. This piety is deep rooted also in their hearts, because they are in need of God's support as well as they are always depending upon Him. But kings and the rich people have never become in need of piety because mony and authority blindfold them their Lord. If it is supposed that there are some kings and rich people of pious hearts, this will be because of a religious education, a spiritual culture or good examples. For instance, if a rich man had an unsuitable environment during his childhood period or lived in unconfortable house where he could not see the father who performs his prayer, the mother who asks God's forgiveness or the guider who guides him to the straight way, he would grow up like the unconscious animal, he may also satisfy all his lusts and would be the man who rules the people without any controller or a considerate mind. If such a man is given the chance to be a ruler of a nation, he will neglect the benefits of the people aside, sink deep into the ill-deeds and take the ignorance of the people as an opportuniy for his own benefits. Consequently, he will use his throne as a bed where the prohibitions can be committed, the kingdom palace as a place where adultry crimes are happend, the government as a connection to his bad aims, moreover he will use the country as if it was a farm given to him by one of his ancestors. Hence, he will satisfy his foolishness, fearlessness of God because Satan is leading him astray and fearlessness of people because the army is guarding him against them - But when the cover that covers the sights of the people will be removed away and as a result of that, the sleepy man will get up of his deep sleep, the king or the ruler will come to the fact that the people are stronger than he immagined and that their will is over his one. At that time, the oppressed society will revolt against the tyranny and refuse to be humiliated, then the tyrant will be looked small in the eyes of

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثامن — شعبان سنة ١٣٨١ هـ — يناير ١٩٦٢ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الإمام الأكبر
في مهرجان ابن خلدون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

أما بعد :

فإنه لتقليد حميد أن يجتمع هذا الحشد من العلماء والباحثين وأهل الثقافة والفكر ليحتفلوا بالعالم المحقق والباحث الفذ العلامة ابن خلدون ، وليحيوا ذكرى كفاحه المجيد ، وخدمته لفروع المعرفة الإنسانية ، حتى كان علما من أعلام الفكر العربي الأصيل ، ترنو إليه الأبصار ويشيد بفضله العارفون .

وإن الاحتفال بعظماء الرجال ليس تمجيدا لذواتهم ، أو إشادة بأشخاصهم وإنما هو في الحقيقة تمجيد للأفكار التي نادوا بها ، والمبادىء التي وقفوا حياتهم عليها ، وإشادة بالمجهود البشري الذي قدموه لخدمة الإنسانية وإنارة طريقها في الحياة .

ولا شك أنه من حق هؤلاء الأفذاذ علينا أن نحتفل بهم ، وأن نعرف بمآثرهم ، ونشيد بجهودهم . كما أنه من الخير لنا أن نذكر القيم التي دعوا إليها في حياتهم ، وأن نعرف بالمثل

العليا التي وقفوا حياتهم على خدمتها وأفنوا أعمارهم في إرساء قواعدها وتجلية حقائقها ، فإن لنا فيهم قدوة طيبة وأسوة حميدة تصل حاضرنا الناهض ومستقبلنا المأمول بماضينا المجيد .

ونحن إذ نحتفل اليوم بعالم من علماء العرب النابهين إنما نحتفل بأصالة تفكيره ، وسبقه في فروع المعرفة ، يظهر ذلك فيما دونه من علوم التاريخ والاجتماع ،وما تزخر به مقدمته من فصول تنبيء عن عمق في الفهم ، وبسطة في العلم ، وقوة في التفكير . فقد كان ابن خلدون رائدا من رواد المعرفة ، ذا فكر أصيل ينبثق من واقــع حياته ، ويتأثر بحوادثها وينفعل بها ، ويتجاوب معها ثم يكون له بعد ذلك تعليل لأحداثها وحكم على واقعها وتخطيط لمستقبلها وله في كل ذلك رأى لم يسبق إليه ، وابتكار لم يعرف من قبله .

وابن خلدون واحد من أولئكم الأعلام الذين تربوا في أحضان الإسلام وتعاليمه ، والذين كان لدعوتهم القوية أثرها الواضح في حياتهم العلمية والفكرية . فملامح التفكير الإسلامي والعربي واضحة جلية فيما كتب ودون ونظرته الإنسانية الإسلامية الشاملة تتجلى في الطريقة التي تناول بها دراسة المجتمعات المختلفة : مجتمع العرب ومجتمع البربر ومجتمع الترك وغيرهم ، إذ هو في ذلك يصدر عن تفكير على تجريدي أصيل ، وفقه إسلامي إنساني صحيح . وهو في الوقت نفسه قد عرف للعرب قدرهم ، وأشاد بهم كأصحاب رسالة ودعوة ، وكلامه عن الأعراب البدو ذو مدلول علمي اجتماعي سليم ، ولكن يساء فهمه في بعض الأحايين ، ولولا مبادىء هذا الدين ماسعدت البشرية بأمثال ابن خلدون وإخوانه ممن ساروا معه على الدرب فكانوا أئمة عصرهم وهداة قومهم وذخيرة الأجيال من بعدهم .

إن العناية بابن خلدون وأمثاله من علماء الموسوعات ستعرف جيلنا المعاصر والأجيال القادمة أمجاد أسلافهم ، وتظهر لهم عظمة ما قدموه للإنسانية ، وما سبقوا به غيرهم من علم وفن ، وستعيد الثقة إلى نفوس أولئكم الذين بهرتهم الحضارة الأجنبية ببريقها الأخاذ، فراحوا يمجدون كل مستورد ، ويندفعون في تقبله دون روية أو تفكير ، حتى أصبحوا أسرى التقليد الأجنبي والإحساس بالتبعية له والسير في موكبه ، وقد لا يعرفون أن أوربا تتلمذت على أسلافهم وأخذت عنهم أيام كانوا هم الشعلة المضيئة على الطريق ، والرواد الذين يأخذون بيد البشرية إلى الرشد الإنساني .

كما أن العناية بابن خلدون وأمثاله من العلماء ستهيىء الفرصة للعقول والنفوس لأن تكون على بينة من أمرها ، فتعرف أن هناك أواصر للقربى قوية راسخة تتداعى عندها حدود الزمان والمكان ، وتتحطم أمام صلابتها

الفوارق والفواصل التى أقامها المستعمر فيما مضى ، وأرساها يوم أن كان له بيننا أمر ونهى ، وسطوة واستبداد ، ثم هو يحاول حتى الآن أن يجعل لها أثرا فى حياتنا ومستقبل أبنائنا وأحفادنا ، وأنى له ذلك وقد استنار طريقنا ، وعرفنا أمجادنا ، ونفضنا غبار النسيان عن تراثنا ، واستبانت لنا قوة الروابط التى تجمع بيننا .

إن المجتمع الإسلامى كانت نواته الأمة العربية التى حملت الرسالة وانطلقت بها شرقا وغربا تبشر بمبادئها وترسى قواعدها ، وتجعل لهذه المبادئ واقعا حيا يتمثل فى المعاملة والسلوك والعلاقات بين الأفراد والجماعات التى تقوم على أساس من المحبة والبر ورعاية الحقوق . وبذلك كانت الرسالة والعمل فى حقلها هو الرباط الأول الذى وحد كلمة المؤمنين ، وحملهم مسئولية التعريف بهذا الدين ، ثم كانت اللغة العربية هى الرباط الثانى لأنها لغة الذين حملوا الرسالة ولأنها لغة القرآن والإسلام .

أيها السادة :

إن احتفالنا بابن خلدون وأمثاله من العلماء الأعلام الذين قدموا للإنسانية خير ما تعتز به من نتائج أفكارهم وثمار جهودهم ليس احتفالا بأناس طويت صفحاتهم ومضت أزمانهم وإنما هو احتفال بالمبادئ والأفكار التى ما زالت تنبض بالحياة وتصل أعمال هؤلاء الأمجاد ، فهم أحياء بمبادئهم وقيمهم يفوقون كثيراً من الأحياء بأشخاصهم وذواتهم .

ومن هنا كان الاحتفال بالأنبياء والعلماء والعظماء وسائر المصلحين احتفالا بالمعانى الإنسانية وتمجيداً للمثل السامية والمبادئ التى نادوا بها وعاشوا يجاهدون فى سبيل تثبيتها فأرواحهم باقية ببقاء مبادئهم ، خالدة خلود آثارهم .

وإن الأزهر إذ يشكر القائمين على أمر هذا المهرجان ، والذين أسهموا بجهودهم فى الدعوة إليه والترتيب له ، إنما يعترف لهم بأنهم لفتوا الأنظار إلى هذا اللون من المعرفة ، وأتاحوا الفرصة للتعريف بهذا العالم الفذ وبما قدمه من تراث خالد وعمل مجيد ، وليست هذه العناية قاصرة على خدمة المعرفة وحدها وإنما هى كذلك عناية بالشعوب وتقوية الروابط التى تجمعها ، وفيها تقريب للأفهام فى سبيل خدمة الحق والعدل والسلام .

والأزهر إذ يحيى هذا المؤتمر إنما يحيى هذه الروابط وهذه الأواصر ويدعو إلى استمرار العناية بتاريخ علمائنا وعظمائنا حتى تقوى العلاقات التى جمعت كلمة المسلمين ووحدت بينهم فيما مضى ، والتى هى كفيلة بأن تجمع كلمتهم وتوحد بينهم اليوم ، ليكونوا كما وصفهم الله خير أمة أخرجت للناس .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلتوت

الإسلام والتكافل الاجتماعى

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

---

١ — تعريف :

التكافل الاجتماعى هو إيمان الأفراد بمسئولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ، فإذا أساء كانت إساءته على نفسه وعلى أخيه ، وإذا ما أحسن كان إحسانه لنفسه ولأخيه .

وهو أول عناصر الحياة الطيبة للمجتمعات ، عليه تتوقف حياتها ، وبه تكون عزيزة كريمة ، متمنعة بهيبتها ، قائمة بواجبها .

٢ — الإسلام والمجتمع :

والإسلام ليس دينا روحيا بحتا ، كما يخطىء فى تصويره وفهمه بعض الناس ، فيكون خاصا بالعلاقة بين العبد وربه ، ولا شأن له بتنظيم شئون الجماعة وبناء حياتها ، ولكنه دين شامل ، يقرر :

أولا : صلة الإنسان بربه .

ثانيا : أصول التنظيم للعلاقة البشرية وللشئون العامة التى تتوقف عليها سعادة المجتمع .

وفى سبيل استجابة الناس لهذا التنظيم حرص الإسلام على أن يكون توجههم إليه منبعثا عن خشيتهم لواضعه ، واستشعارهم لعظمته ، ويقينهم أنه يعلم سر الإنسان وعلانيته ، وذلك لكى تستقر فى النفوس مبادىء الرحمة والمحبة والتعاون وتبادل المنافع وتوحيد الشعور والإحساس ، ويرى الفرد فى نفسه لبنة من لبنات المجتمع ، فيبذل من نفسه ومن حيازته ما يحقق جزئيته للمجتمع .

٣ — التكافل الاجتماعى بين المسلمين ومداه :

وأفراد المجتمع الإنسانى ليسوا وحدات يمكن أن تستقل بعضها عن بعض ، وإنما هم ، بطبيعة وجودهم فى هذه الحياة وظروف معيشتهم فيها ، وحدات تتبادل المنافع ، وتتعاون على قضاء المصالح .

غير أن الإسلام لم يكتف — بالنسبة للعلاقات بين أفراد المجتمع الإنسانى — بما تمليه طبيعة الحياة وظروف المعيشة ، ولكنه شد أزر الطبيعة الاجتماعية بما يقومها من

الانحراف ، ويحميها من الانحلال ، نتيجة للعوامل النفسية ، والنزوات الشخصية التى كثيرا ما تخرج بالناس عن حد الاعتدال اللازم لهدوئهم وسعادتهم وأمنهم واستقرارهم .

ومن هنا حرص الإسلام على أن يربط بين أفراد الناس برباط قلبى يوحد بينهم فى الاتجاه والهدف ، ويجعل منهم وحدة قوية متماسكة يأخذ بعضها برقاب بعض ، سداها المحبة ، ولحمتها الصالح العام ، وهدفها السعادة فى الدنيا والآخرة ... وهذا الرباط هو رباط الإيمان والعقيدة المتصلة بمبدأ الخير ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وقد اتخذ الإسلام عنوانا لهذا الرباط « الأخوة الدينية » بين المسلمين .

« والأخوة » هى أصدق تعبير عن الحقوق والواجبات الاجتماعية . وهى أقوى ما يبعث فى النفوس معانى التراحم والتعاطف والتعاون وتبادل الشعور والإحساس بما يحقق للمجتمع المثالية التى تخلص به للخير ، وتبعد به عن الشر .

قرر الإسلام هذه « الأخوة » بين المسلمين فقال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم » .

وقد سما الإسلام بالأخوة الدينية عن مركز الأخوة النسبية ؛

(ا) فبها اصطلح المتخاصمون ، وائتلف المتفرقون ، ونسيت العداوات ، وتبودل العفو والصفح ، وأصبح المرء بعد تفيئه ظلها يجلس - آمنا مطمئنا فى ملأ أو خلوة - مع قاتل أبيه أو أخيه ، لايخشى انتقاما ولا يتوقع أذى : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » ، « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين » .

(ب) وبها نسى المسلم - بأخيه المسلم - قبيلته ، وخرج على عشيرته وخاصم أباه ، وقاتل أخاه .

(ج) وبها فقدت الأخوة النسبية آثارها ، من ولاية وتوارث ، إذا تجردت عن الأخوة الدينية .

(د) وبها صار المجتمع الإسلامى ، بالعقيدة والإيمان ، ذا جهاز واحد ، يتقاسم الفرح والحزن ، واللذة والألم ، والسعادة والشقاء ، والرحمة والعطف والإرشاد والمعونة ، مهما تناءت الديار وتباينت الألسن واللغات .

وذلك كله هو ماصار حقيقة واقعة فى المجتمع الإسلامى الأول بالمدينة المنورة ، بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليها ... لقد أصبح المهاجرون والأنصار بعد أخوتهم الدينية ، بما تكافلوا اجتماعيا ، المثل الأوحد - الباقى على الزمن دون تكرار فى أى مجتمع

إنسانى آخر — للتعاون والتآزر والتكافل الاجتماعى الشامل الكامل.

شعار واحد: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

وشعور واحد: «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

ودعاء واحد: «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا، رَبَّنَا إنك رءوف رحيم».

لقد بلغ المسلمون، فى هذا المجتمع الإسلامى - بالنسبة لتكافلهم الاجتماعى - حدا فريداً خلده الله لهم فى كتابه العزيز بقوله: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة».

٤ — شمول التكافل الاجتماعى فى الاسلام:

وإذا كان العالم فى عصره الحديث ينادى بالتكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع، فإنه قصره على تحقيق المطالب المعيشية فقط للفئات المحرومة من الغذاء والكساء والسكن وما إليه. بيد أن الإسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقيقة وحدها، منذ أربعة عشر قرنا، وإنما قرر قبلها لكل مواطن حقوقا خمسة لا تتم كرامة الإنسان وسعادته بفقدان واحد منها، ثم عاد فنظر إلى الذين تحول ظروفهم فى الحياة بينهم وبين تمتعهم بها، فاعتبر المجتمع هو المسئول عن تحقيقها لهم.

ومن هنا انبثقت فكرة التكافل الاجتماعى فى الإسلام بمعناه الشامل الكامل، فالإسلام حين ينادى بفكرة التكافل الاجتماعى لا يجعله قاصرا على المطالب الغذائية أو السكنية أو الكسائية وما أشبه، بل يجعله شاملا لتلك الحقوق الخمسة، وهى حق الإنسان فى:

١ - حفظ دينه.

٢ - وحفظ نفسه.

٣ - وحفظ نسله.

٤ - وحفظ ماله.

٥ - وحفظ عقله.

وبذلك جاءت فكرته عن التكافل الاجتماعى شاملة لكل نواحى الحياة المادية والمعنوية.

٥ — أنواع التكافل الاجتماعى فى الإسلام ووسائل تحقيقها:

والتكافل الاجتماعى فى الإسلام أنواع كثيرة، حتم الإسلام ضرورة تحقيقها فى مجالاتها جميعا، وهى:

(ا) التكافل الأدبى : « أحب للناس ما تحب لنفسك » .

(ب) التكافل العلمى : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا » ، « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

(ج) التكافل السياسى : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

(د) التكافل الدفاعى : « انفروا خفافاً وثقـــالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » .

(ه) التكافل الجنائى : « لا يطل دم فى الإسلام » أى لا يذهب هدرا ، وإنما يجازى عليه إما بالقصاص : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى » ، وإما بأخذ الدية ، عقلا أو قسامة أو من بيت المال : « فدية مسلمة إلى أهله » .

(و) التكافل الكفائى : ومجاله التشريعات التى تبين فروض الكفاية . ويقابله التكافل العينى : ومجاله التشريعات المتعلقة بالفروض العينية كالصلاة والصوم .

(ز) التكافل الاقتصادى : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » .

(ح) التكافل الأخلاقى : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » ، « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وأن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

(ط) التكافل الحضارى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

(ى) التكافل المعيشى : وهو ما يطلق عليه فى المجتمع الحديث ، خطأ ، التكافل الاجتماعى .

٦ — تشريعات التكافل المعيشى فى الإسلام :

وقد جاء الإسلام بتشريعات لتحقيق المعيشة الكريمة للفئات المحتاجة وتلك التشريعات تنقسم إلى قسمين :

(أ) منها ما ينص على الفئات التى تستحق هذا التكافل وعلى أحكامها .

(ب) ومنها تشريعات تعين الموارد المالية التى توفر تحقيق التكافل المعيشى لكل هذه الفئات .

والفئات التى تستحق التكافل الاجتماعى نوعان :

(أ) فئات يتميز أكثرها بالعجز والفاقة، وقد وضعت لها التشريعات التى تبين أحكامها وهى : تشريعات الفقراء ، والمساكين ، والمرضى ، والمكفوفين ، والمقعدين ، والشيوخ ، والمشردين ، واللقطاء ، واليتامى ، والأسرى .

(ب) وفئات قد لا تتصف بالفقر ولا بالعجز ، ولكنها تحتاج إلى المساعدات المالية وغيرها ، ونذكر من تشريعاتها :

(١) تشريع المساعدة : وهو يشمل المدين، والغارم ، واليتامى، والقاتل خطأ ، والمنقطع فى بلد غير بلده ويسمى : « ابن السبيل » .

(٢) تشريع الجوار : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى ، واليتامى والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ... »، « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ، « ما آمن بى من بات شبعان وجاره إلى جانبه طاو » .

(٣) تشريع الماعون : « ويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون » .

(٤) تشريع المشاركة : وذلك عند ما يحين قوت المواسم الزراعية : « كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده » ، وكذلك عند تقسيم التركة بين الوارثين « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ، وقولوا لهم قولا معروفا » .

(٥) تشريع الضيافة : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ؛ جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما بعد ذلك صدقة ، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه) .

(٦) تشريع الإعفاف : « وانكحوا الأيامى منكم ، والصالحين من عبادكم ، وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » ، « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » ، « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ، إن أردن تحصنا ، لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » .

وهناك تشريعات أخرى للتكافل المعيشى فى الحالات الطارئة والنادرة ، ومنها :

(١) تشريعات الإسعاف : فى حالات الجوع والعطش المهلكة « أى رجل مات ضياعا بين أغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » ، وكذلك فى حالات الكوارث الخاصة كالفيضانات والزلازل والحرائق : « من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

(٢) تشريعات الطوارئ : كحالات تعرض البلاد لهجوم عدو : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » وكحالات الفتن الداخلية : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

(٣) تشريعات الإعانات العائلية : كمساعدات الزواج وعلاوات الأولاد ، فقد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه فىء قسمه من يومه فأعطى الآهل حظين وأعطى الأعزب حظا واحدا » وكان عمر رضى الله عنه يفرض لكل مولود عطاء يزاد إلى عطاء أبيه (مائة درهم) كلما نما الولد زاد العطاء .

ولما كانت هذه التشريعات التى وضعها الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعى بين المواطنين تستلزم موارد مالية ، لضمان تنفيذها — وإلا ظلت نظرية بحتة — فقد سن الإسلام التشريعات المالية اللازمة للتنفيذ ، باعتبارها جزءا من تشريعات التكافل الاجتماعى ، وهى :

(١) تشريع الزكاة : وهى تؤخذ ، بنسبة محدودة ، من النقدين (الذهب والفضة) ، وعروض التجارة ، والزروع والثمار وكل ما يستنبت من الأرض . وتصرف لفئات معينة لا على أنها إحسان ومنة بل على أنها فريضة من الله ، تؤخذ منهم بالقوة ويحاربون عليها إذا امتنعوا عنها ، حقا لتلك الفئات التى عينها الله بقوله : « إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل — فريضة من الله ... » « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » .

(٢) تشريع الوقف : ذريا كان أو خيريا .

(٣) تشريع النفقات : « لينفق ذو سعة من سعته » .

(٤) تشريع الوصية : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ، إن ترك خيرا ، الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ؛ حقا على المحسنين » .

(٥) تشريع الغنائم : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول

والذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... » .

(٦) تشريع الركاز : « فى الركاز الخمس » والركاز كل ما عثر عليه فى باطن الأرض جامداً كان أم مائعا ، كالبترول . . . الخ .

(٧) تشريع النذور : « وليوفوا نذورهم » .

(٨) تشريع الكفارات عن الذنوب ، والأيمان والظهار ، ومخالفات الحج والصوم .

(٩) تشريع الأضاحى : « يا أيها الناس : على أهل كل بيت ، فى كل عام ، أضحية » .

(١٠) تشريع صدقة الفطر : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، من المسلمين » .

(١١) تشريعات الخزانة العامة : بالنسبة لمواردها المتعددة من زكاة ، وخمس غنائم ، وركاز ، وخراج أرض ، وجزية رءوس ، وتركة من لا وارث له .

(١٢) تشريع الكفاية : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء ، إذا جاعوا أو عروا ، إلا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وأن الله يحاسبهم حسابا شديداً ويعذبهم عذاباً أليما » .

٧ – التضامن الاجتماعى بين المسلمين ودعامتاه :

والتضامن الاجتماعى بين المسلمين يقوم على دعامتين ، إحداهما التضامن الأدبى والأخرى التضامن المادى ، أما التضامن الأدبى فتحققه قوتان ، قوة تعرف الخير والفضيلة وتدعو إليهما بصدق وإخلاص : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وقوة تستمع وتتقبل بقلوب مطمئنة وصدور منشرحة وألسنة شاكرة وجوارح عاملة : « فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

وبتفاعل القوتين تقوى روح التعاون الجماعية بين أفراد المجتمع الإسلامى .

أما التضامن المادى فأساسه سد حاجة المجتمع ، وتفريج كرب المكروبين ، والمعونة فى تحقيق المصالح العامة التى تنهض بحياة الجماعة ويعم خيرها الأفراد على حد سواء .

وليس من ريب فى أن كل ما تتوقف عليه الحياة ، فى أصلها وكمالها وسعادتها وعزها ، من علم وصحة وعزة وكرامة واتساع عمران وسلطان وقوة ـ لا سبيل إليه بدون المال .

٨ — موقف الإسلام من الأموال :

وقد نظر الإسلام إلى المال نظرة واقعية أساسها هذه الناحية الحيوية فى تحقيق حاجات الناس وضرورياتهم وكمالياتهم ، وقد رفع الإسلام من شأنه فوصفه بأنه « زينة الحياة الدنيا » ووصفه أيضا بأنه قوام الناس . ومن المعلوم أن قوام الشىء ما به يحفظ ويستقيم .

٩ — المال وسيلة للخير فلا يحصل إلا من طريق الخير :

والمال ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحوائج ، فمن استعمله فى هذا السبيل كان المال خيرا له وللمجتمع ومن استعمله على أنه غاية ولذة انقلب إلى شهوة تورث صاحبها المهالك وتفتح على الناس أبواب الفساد . « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

ولهذا ، والله أعلم ، عبر القرآن عن المال بالخير .

وهذا ولا شك تنبيه إلى وجوب الحصول على المال من طريق الخير حتى يصلح لإنفاقه فى سبيل الخير ، وكذلك على وجوب تحصيل الخير من طريق المال حتى يظل للمال وصف الوسيلة لا مكانة الغاية .

وتحصيل المال يكون من طريق الزراعة والصناعة والتجارة . نظرا لأن حاجة المجتمع المادية تتوقف على ثلاثتها كلها . فكما يحتاج إلى الزراعة فى الحصول على المواد الغذائية ، التى تنبتها الأرض ، يحتاج أيضا إلى الصناعات المختلفة فى شئون الإنسان المتعددة ، من ملابس ، ومساكن ، وآلات زراعية ، وتنظيم طرق ، وحفر أنهار ، ومد سكك حديدية ، وأخيرا فى حفظ كيان الدولة والدفاع عنها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالصناعات . . . وفى الوقت نفسه يحتاج إلى تبادل الأعيان والمواد الغذائية والمصنوعات مع الأقاليم التى ليست فيها زراعة ولا صناعة .

وإذن فلا بد من الاحتفاظ بالزراعة والصناعة والتجارة ، على مستوى يحقق الغاية من كل منها .

ومن هنا قرر علماء الإسلام أن كل مالا يستغنى عنه فى قــوام أمور الدنيا فتعلمه ووجوده فرض كفاية ، ومعنى ذلك أنه إذا لم يتحقق فى الأمة أثمت الأمة كلها ، بحيث لا يرتفع عنها هذا الأثم إلا إذا قامت بكل نوع منها طائفة من الأمة .

وليس من ريب فى أن أساس هذه الفرضية هو العمل على تحقيق المبدأ الإسلامى الذى يوجبه الإسلام على أهله ، وهو مبدأ

استقلال الجماعة الإسلامية فى تحقيق ما تحتاج إليه من الضروريات والحاجيات فيما بينها وبين أبنائها .

وبذلك لا تجد الأمم الأخر ذات الصناعات والتجارات سبيلا إلى التدخل فى شئونها ، وتظل محتفظة بكيانها وعزتها ونظمها وتقاليدها وخيرات بلادها : إذ كثيرا ما اتخذ هذا التدخل سبيلا لاشتراك الدولة الأجنبية فى إدارة البلاد وتنظيمها ، وأخيرا احتلالها واستغلالها خامات البلاد فى الصناعات والتجارات .

١٠ — واجب ولى الأمر بالنسبة لتنظيم طرق تحصيل الأموال وتنسيقها :

ولا شك أن الزراعة والتجارة والصناعة ، هى عمد الاقتصاد القومى لكل أمة تريد أن تحيا حياة استقلالية رشيدة عزيزة ، ومن الضرورى العمل على تنسيقها تنسيقا يحقق للأمة هدفها الذى يوجبه الإسلام عليها ، والذى يجب أن تحصل عليه ، وتحتفظ به ، وتنميه ، صونا لكيانها واستقلالها فى سلطانها وإدارتها . وقد أرشدنا تاريخ الاستعمار إلى أن أهم أسبابه ، وأول نافذة يتسلل منها ، إلى الأمة ، تياره الكريه وريحه الثقيل هو نقص الأجهزة التى تحقق للأمة كفايتها من هذه العمد الثلاثة .

وإذا كان من قضايا العقل والدين أن « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » ، وكانت عزة الجماعة الإسلامية أول ما يوجبه الإسلام على أهله ، وكانت متوقفة على هذه العمد الثلاثة — كانت هذه العمد الثلاثة واجبة ، وكان تنسيقها على الوجه الذى يحقق خيرها واجبا .

ومن هنا كان على ولى الأمر فى الجماعة الإسلامية ، المهيمن على مصالحها وتوجيهها ، أن يعمل جهده بما يحقق للأمة الانتفاع بها كلها ، وأن يعمل على تنسيقها ، بحيث لا يترك الأموال تتجه إلى تركيز عنصر واحد منها دون سواه ، ولا عليه ، فى سبيل ذلك ، أن يحول بعضا من الأراضى الزراعية ، مثلا ، إلى رؤوس أموال تجارية أو شركات صناعية على حسب حاجة البلاد المبنية على تحديد مصالحها ، ويُتم بذلك تنسيقها على الوجه الذى يجعلها غنية بنفسها عن غيرها ، فلا يجد الأجنبي بابا للتدخل فى شئونها إلا بمقدار ما يحتاجه هو إليها من طريق التبادل العام الذى يقع بين الدول ، بعضها مع بعض .

وهذا نوع من التنظيم فيما ينفع البلاد ، ويقيها شر تدخل الأجنبي .

وليس هذا التنسيق من باب تقييد الحرية فى الملكية ، وإنما هو توجيه تستدعيه حاجة

البلاد ، ويمكنها من حريتها الحقة الكاملة ، وهو بهذا الاعتبار واجب على ولى الأمر ، بحيث إذا قصر فيه وأهمله كان آثما وكانت أمته معه آثمة ، وإذا ما قام به ووفر به مصالح البلاد واستقلالها ، وعاونته الأمة ، كان سائرا بها فى طريق الخير والسعادة ، وكانت معه فى مكانة الأمن والطمأنينة .

وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « حمى أرضا بالمدينة يقال لها : (النقيع) ترعى عليها خيل المسلمين » — (وحمى عمر أيضا أرضا بالربذة وجعلها مرعى لجميع المسلمين ، فجاءه أهلها يقولون : يا أمير المؤمنين ، إنها بلادنا ، قاتلنا عليها فى الجاهلية ، وأسلمنا عليها فى الإسلام ، علام تحميها ؟ فأطرق عمر ثم قال : المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا فى شبر) .

« والحمى » هو تخصيص جزء من الأرض ليكون مرعى عاما لا يملكه أحد ، بل ينتفع به عموم الشعب .

ومن هنا أجمع الفقهاء على أن لولى الأمر أن ينتزع أية ملكية لتوسيع المسجد مع أن الأرض كلها مسجد ، كما أن له ذلك لتوسيع شارع أو غيره من المصالح العامة التى يدخل فيها ، بدون شك ، إتاحة فرصة الحياة الكريمة للأفراد والجماعة على حد سواء .

١١ — المال وظيفة اجتماعية والفقر مرض اجتماعى :

ولما كان المال مال الله ، يسّره لعباده ، ليعمروا به الكون ، فقد أضافه إلى نفسه تارة ، فقال تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، وأضافه إلى المجتمع تارة أخرى ، فقال جل شأنه : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، وفى الوقت نفسه أوضح أن الحائزين له مستخلفين عنه فى حفظه وتنميته وإنفاقه على النحو الذى بينه لهم ، فقال سبحانه : « أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، وقد سخر الله المال للناس جميعا على قدم المساواة : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » .

فإذا كان المال مال الله ، وكان الناس جميعا عباد الله ، وكانت الحياة التى يعملون فيها ، ويعمرونها بمال الله ، هى أيضا لله ، كان من الضرورى أن يكون المال ، وإن ربط باسم شخص معين ، لجميع عباد الله ، يحافظ عليه الجميع ، وينتفع به الجميع « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » .

وتحقيقا لانتفاع الجميع بالمال ، وتطهيرا للنفوس من بواعث الأثرة فيها ـ حارب الإسلام فى الحائزين للمال والقائمين عليه ، خلق الشح الذى يمنع من البذل الواجب « إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم

بالشح ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا . وأمرهم بالفجور ففجروا » ، « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم » ، « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

كما حارب السفه الذى يودى بالمال فى غير وجوه النفع « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » .

وحارب الترف الذى يخلق الحقد بين الطبقات ، مما يتهدد حياة الأمن والاستقرار ، فضلا عما يشيعه فى المجتمع من معانى الفساد والانحلال : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا » ، « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا ، وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ... الآية » ، « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، فى سموم ، وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم ، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين » .

وأمر بالاعتدال فى الإنفاق فقال : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوما محسورا » .

على أنه إذا كانت خيرات الأرض للناس جميعا ، وكان المال وسيلة إلى خير الناس ، وتيسير المنافع لهم - كان واجب الإنسان أن يسعى ، ليكسب ويحصل على المال ، ولا عذر لأحد فى ترك العمل بحجة أن الله قد كتب عليه الفقر ، أو أنه غير محظوظ ، وما إلى ذلك من تعلات ضعاف النفوس والهمم ، فالفقر ، فى الأصل ، مرض اجتماعى ، يرجع إلى أحد أمرين :

(أ) إما الكسل والخمول ، وهو ما لا يقره الإسلام .

(ب) وإما العجز أو فقدان وسائل العمل ، ومثل هذا الفقر لا حيلة للإنسان فى دفعه ، وهو الذى وضع له الإسلام من تشريعات التكافل المعيشى ما يدفع بؤسه ويحفظ للفقير كرامته .

١٢ - كراهية الإسلام تكديس الأموال فى أيد قليلة :

والإسلام يكره تكديس الأموال فى أيد قليلة فى المجتمع ، فنهى عن كنزه وتوعد على ذلك بأشد أنواع العقاب : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

وأمر بإعطاء الفقراء نصيبا من مال الغنائم :

« كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ومن هنا أبقى عمر رضى الله عنه أرض العراق والشام فى أيدى المغلوبين ولم يقسمها بين الفاتحين حتى لا « يصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة الواحدة » فى مستقبل الأيام لأى سبب من الأسباب .

١٣ — الإغراء بالإنفاق فى سبيل الله :

وقد رسم الإسلام طريق الحياة القويمة للمجتمع المثالى الفاضل وأقامه على مبدأ من التضامن الاجتماعى الذى تحيا به الأمة ويقوى به المجتمع .

وفى سبيل ذلك استلّ من نفوس المالكين ، وأرباب الأموال ، خلال الشح والإسراف والترف ، ثم استعمل كل الأساليب للترغيب فى البذل ، والترهيب من البخل وإهمال حق الفقير والمجتمع ، حتى لقد رفع الإنفاق إلى مرتبة الإيمان « ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون » ، « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله » .

وجعل الاعتدال فى إنفاقه من صفات عباد « الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما ... والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » ، كما جعل عدم الانفاق من أسباب سلوك الكافرين فى النار « ما سلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين » .

وشدد فى ذلك حتى جعل عدم الحض على الانفاق — بالنسبة لغير القادرين عليه — من التكذيب بالدين « أرأيت الذى يكذب بالدين ؟ فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين » .

خاتمة :

أما بعد ، فتلك لمحة موجزة قدمتها عن تنظيم الإسلام للعلاقات البشرية من ناحية التكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع ، وهى ، فى تفاصيلها ، تحوى أسسا ثابتة ، وقواعد متينة ، لبناء أمتنا ، صرحا شامخا ، يَسعد كل من يلوذ به أو ينتمى إليه ... كما أنها ، فى مجموعها ، بيان واضح لاشتراكية الإسلام لمن أرادها . فهل يجد الناس فيما وراء ذلك اشتراكية أعم وأشمل وأنفع وأعمق من هذه الاشتراكية التى شرعها الإسلام ، وهى تقوم على أساس من الإيمان والعقيدة — وما كان كذلك فهو دائم بدوام الإيمان والعقيدة ؟

وفقنا الله وإياكم لما فيه خير أمتنا وديننا .

محمود شلتوت

التّعريفُ والعَدَد في اللّغة العربيّة واللّغات الأوربيّة

للأستاذ عباس محمود العقاد

الدلالة هي قوام اللغة ووظيفتها ومقياس كفايتها وارتقائها ، عند المقارنة بين اللغات .

ولهذا كانت عوامل التعريف والتنكير وأدواتها في مقدمة المقاييس التي تعرف بها درجة اللغة من الكفاية والارتقاء ، لأن التعريف والدلالة عمل واحد .

وبهذا المقياس تعتبر اللغة العربية في المنزلة الأولى بين لغات الحضارة ، إذ لا توجد بين جميع هذه اللغات لغة واحدة تبلغ مبلغها ، فضلا عن التفوق عليها ، في دقة التمييز بين مواضع التعريف ومواضع التنكير على حسب معانيها .

فالمعرفات في لغات الحضارة تنقسم إلى قسمين : قسم يتحقق له التعريف بحكم وضعه وبغير حاجة إلى أداة تزاد عليه أو نسبة تربطه بكلمة أخرى .

والقسم الآخر من المعرفات يتحقق له التعريف بأداة أو علامة أو نسبة بينه وبين كلمة أخرى .

وقد توجد هذه المعرفات بقسميها في جميع اللغات الرفيعة ، ولكنها في اللغة العربية تطرد على قاعدة تلازمها ملازمة معناها وعلى قدر درجتها من التعريف والتنكير ، وليس الأمر كذلك في المعارف والنكرات التي ترد في اللغات الأخرى ، لأن الجزاف فيها أغلب من القاعدة المطردة وعلامة التعريف أحيانا تبقى مع الكلمة بعد زوال الحاجة إليها .

فالضمائر وأسماء الإشارة وأسماء الموصول والأعلام موجودة في جميع لغات الحضارة . ولكنها - في اللغة العربية - توجد مميزة حيث يحتاج الأمر إلى التمييز وبمقدار الحاجة إليه ، وكثيراً ما تأتي جزافا في غيرها من اللغات .

إن ضمير المتكلم لا يحتاج إلى تمييز بين المذكر والمؤنث ، لأن إشارة المتكلم إلى نفسه كافية للتعريف بجنسه ، ولكن ضمير المخاطب يحتاج إلى التمييز كما ميزته اللغة العربية فتقول للرجل أنت كتبت بفتح التاء ، وتقول للمرأة أنت كتبت بكسرها ، ويلحق بهذا تمييز الفعل مع الجمع المخاطب حيث تقول للرجال أنتم تكتبون ، وتقول للنساء أنتن تكتبن ، فإن الضمائر هنا معارف حقيقية لا يلحقها الإبهام والتنكير ، ولكنها في اللغات الأخرى لا تطرد هذا الاضطراد ولا يزول

منها اللبس والإبهام فى كثير من الحالات إذ يتساوى المخاطب فى الجمع والإفراد وفى التذكير والتأنيث، ويحدث هذا فى الضمائر التى تلحق بالفعل فيقال عندهم أنتم تكتب، كما يقال أنت تكتب، مع التباس التذكير والتأنيث فى كثير من المواضع على غير قياس.

وما يقال عن الضمائر، يقال على الإجمال عن أسماء الإشارة وأسماء الموصول.

أما الأعلام فهى فى اللغة العربية غنية عن أداة التعريف، لأن تمييز الإسم بالعلمية تعريف كاف، ولكنها ليست كذلك فى بعض لغات الحضارة. إذ يقال عندهم الفرنسا والألمانيا والانجلترا والإيطاليا والأسبانيا والمصر إلى آخر هـذه المسميات، وإذ يلحق هـذا بأسماء البلاد كما يلحق بأسماء الشعوب على خلاف المعهود فى اللغة العربية.

وأدل الدلائل على التزام التعريف بقدر الحاجة إليه فى اللغة العربية أن الأعلام الجغرافية التى تدخلها الألف واللام فى اللغة العربية هى التى نفهم منها أنها أسماء أجيال من الناس وليست أسماء أماكن غير قابلة للالتباس، فإن الهند والصين والروس مرادفة فى مفهومنا الهنديين والصينيين والروسيين.

ومثل هذا فى الدلالة على دقة التعريف على حسب لزومه أن أسماء الأعلام تستغنى عندنا عن أداة التعريف ولكنها كذلك لا تخلو من أداة التنكير الذى يلازمها بين العدد الكثير من أمثالها. فإن اسم (على) معرفة حين يدل على شخص يسمى «عليا»، ولكنه لا يسمى «حسنا» ولا «محمداً» ولا «محمودا» من سائر الأسماء المتفرقة، ولكن التنكير لا يفارقه إذا كان هناك ألف إنسان بهذا الاسم وكان هناك ألف عليين يميزين من ألف حسنين ومحمدين ومحمودين.

ويجب أن نفهم أن هذا من عمل القاعدة وليس من عمل المصادفة، لأنه مطرد فيما يقابل هـذه الحالة أو يناقضها، فإن كلمة «رجل» نكرة تحتاج إلى تنوين التنكير، ولكن هذا التنوين يفاقها إذا قلنا «يارجل» وعنينا به إنسانا مقصودا لا محل عند النداء عليه للإبهام.

وقد نتوسع هنا بعض التوسع فنقول إن اسم التفضيل يستغنى عن علامة التنكير، أو يمنع من الصرف، لأنه لا محل للبس والإبهام مع اختيار شىء مقصود يفضل على سائر الأشياء. ويقاس عليه ما يأتى على وزن «أفعل» من الأعلام ... لأن له من صيغة التفضيل تعريفا فوق تعريف.

ويدل على الجزاف فى التعريفات الأجنبية أن التعريف بالألف واللام عندهم يبقى مع التعريف بالإضافة. فيقال عندهم كتاب محمد كما يقال (الكتاب محمد) على الإضافة، وهو ما يقابل عندنا «كتاب يملكه محمد» «والكتاب يملكه محمد»، وإنهما فى الدلالة العربية لشيئان مختلفان.

وقد وجدت فى أكثر اللغات الأجنبية

علامات للتعريف ولم توجد عندهم علامات مطردة للتنكير ، فكلمة كتاب A Book باللغة الإنجليزية معناها « كتاب واحد » أى أن التنكير هنا يستفاد من أنه (واحد من كتب كثيرة) .

فإذا تكلموا عن كتابين نكرتين أو ثلاثة كتب نكرات فالعدد هنا هو كل ما عندهم من علامات التنكير . وذلك على خلاف الدلالة على التنكير فى اللغة العربية، لأن التنكير علامة غير علامة العدد فى المثنى والجمع حين نذكر كلمة « كتابين » أو نذكر كلمة « كتب » مع التنوين أو ما ينوب عن التنوين .

* * *

وعلى ذكر العدد ينبغى أن نلاحظ أن التمييز يلازمه فى اللغة العربية على نحو لا يعهد فى لغة من اللغات ، وأن الذى يستغربه بعض الأوروبيين من أحكام العدد عندنا هو مزية فى لغتنا وقاعدة تتمشى مع التمييز الفكرى على اطراد وليست بالشذوذ الذى يجرى على السماع غير مفهوم ولا معقول .

إن أسماء العدد فى لغتنا بعد المفرد والمثنى : ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة ، ثم تأتى الأسماء المركبة فالأسماء المضافة التى فيها الألف والنون، والأسماء المضافة بغير الألف والنون .

والأصول فى الأسماء أنها توضع للمذكر ثم تلحق بها علامة التأنيث ، وكذلك تجرى القواعد العامة فى جميع اللغات . فإذا قيل فى اللغة الإنجليزية (شاعر) فهو شاعر مذكر Poet تلحق به علامة التأنيث ليدل على الشاعرة Poetess ... وهكذا فى سائر الأسماء مع اختلاف العلامات .

ولننظر وفاقاً لهذه السنة المطردة فى جميع اللغات إلى تميز العدد فى اللغة العربية .

فإذا قيل (ثلاثة) بغير معدود فالمفهوم أنهم ثلاثة من أسماء المذكر .

واللغة العربية قائمة على التمييز بين التذكير والتأنيث فلا بد هنا من التمييز بالمغايرة على سنة اللغات جمعاء حيث يقضى الأمر « بالمغايرة » قصدا عند اختلاف الدلالة .

وقياسا على سنة المغايرة يجب أن يقال ثلاث نساء إذا قيل ثلاثة رجال ، أو يجب أن يكون عدد : (ثلاث أو أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان أو تسع أو عشر) دالا على معدود مؤنث عند حذف المعدود .

ويستقيم العدد بالإضافة من ثلاثة إلى عشرة فيقال ثلاث رجال وعشر رجال .

ويستقيم المضاف إليه بصيغة الجمع لأنه يدل على أفراد معدودين .

فإذا انتقلنا إلى المركب مع العشرة فالتمييز هنا هو الإعراب الصحيح لاسم المعدود ، وخمسة عشر رجلا أوفق للعدد المركب من خمسة عشر رجال .

ثم ننتقل إلى عشرين وثلاثين إلى التسعين فنقابل بين قولنا (عشر ورجل) على الإضافة وقولنا (عشرون رجلا) على التمييز فلا يتردد

صاحب الذوق اللغوى فى اختيار التمييز وتفضيله على الإضافه ، وبخاصة حين تقترن العشرون بما يزاد عليها من الآحاد ، فيقال (خمسة وعشر ورجل) أو يقال : (خمسة وعشرون رجلا) كما انتهى الذوق العربى ... ولا سبيل إلى التردد فى إيثار التمييز وتفضيله على الاضافه فى هذه الأعداد .

فإذا انتقلنا إلى المائة فالإضافة أيسر من التمييز بلا خلاف ، وقول القائل (مائة رجل) أيسر من قوله (مائة رجلا) بتنوين المائة ، وقس على ذلك مائتين رجلا وثلاث مائة رجلا وأربع مائة رجلا ، مع التنوين فى كل هذه الأعداد .

ويأتى هنا اعتراض يلوح للوهلة الأولى أنه اعتراض وجيه ولا وجاهة فيه مع التأمل فيما ينتهى إليه .

فقد سمعنا بعض النقاد الأوربيين يقولون: كيف يقال خمسة رجال على صيغة الجمع ثم يقال خمسمائة رجل على صيغة المفرد ؟ أليس هذا من التناقض فى القياس ؟

ولكن المنطق فى روح اللغة أعمق من هذا المنطق (السطحى) فى عقول نقادها من الغرباء عنها أو المتعجلين من أبنائها .

فإن الكلام مع الكثرة إنما يكون عن الجنس الذى يطلق عادة على العدد الكثير كلما جاوز هذا العدد بضعة أفراد قليلين إلى المئات والألوف .

ونحن نتكلم عن رجال أفراد عندما نتكلم عن خمسة أو ستة أو عشرة ، أو عن جمع يميز من الإثنين .

ولكننا نتكلم عن عدد يمثل الجنس حيث نجاوز الأفراد المعدودين ، ويصح على هذا أن نقول خمسمائة من رجل أى من جنس الرجل ، كما يصح أن نقول خمسمائة رجل ، ولا شك أن خمسمائة من رجل كافية للدلالة التامة على المقصود فى هذا الموضع ، كما أن فيها الغنى عن قولنا خمسمائة من رجال أو خمسمائة من الرجال .

وتتبين دقة المنطق ، ودقة الذوق معا ، عند محاولة التغيير والتعديل مجاراة للانتقاد أو الاعتراض الذى أشرنا إليه .

فإذا عمدنا إلى التغيير مجاراة لذلك الاعتراض قلنا خمسة رجل أو خمسة من رجل ثم قلنا خمسمائة رجال على الإضافة أو خمسمائة من رجال بدلا من الإضافة ، أو قلنا خمسمائة رجال على الصفة والموصوف .

ولمن شاء بعد هذا التغيير أن يقارن بين ما ارتضاه منطق اللغة العربية وذوقها وبين ما يرتضيه لها المعترضون عليها من الغرباء عنها أو المتعجلين من أبنائها ، فإن الناقد المنصف لا يصر على اعتراضه بعد هذه المقارنة فيما نعتقد ، فإن أصر عليها لحق اللغة العربية فى المضى مع منطقها وذوقها ، وفى الثبات على قواعدها وأحكامها أصح وأصلح وأهدى .

عباس محمود العقاد

القُوى الشَّعبيّة
وكيف تعبّأ نحو الاشتراكية العربيّة

للأستاذ الدكتور محمّد البهى
مدير جامعة الأزهر

— ٢ —

القوى الشعبية النوعية :

الآن ، بعد هذا ، يمكن أن يكون جميع أفراد الشعب ـ عدا أولئكم الذين استغلوا واستمرأوا استغلال الشعب فى مصادر ثروته ، أو توجيهه السياسى ، أو فى توجيهه الفكرى ، وحولوا قوته الأصلية فيه إلى ضعف ، أو عاونوا السيطرة الأجنبية عليه فى صراعه معها ، فهؤلاء باستغلالهم أخذوا أكثر مما أعطوا ، أو أخذوا ولم يعطوا ـ عدا أولئكم يكون جميع أفراد الشعب أهلا ، ولديهم صلاحية للاشتراكية العربية بهذا المعنى .

ولكن السؤال الذى يواجهنا فى هذه اللحظة هو : كيف يكون أفراد الشعب ـ وهم الذين يكونون القوى العددية ـ اشتراكيين عربا ، فى الواقع ، وفى السلوك ؟

كيف يتحول مفهوم الاشتراكية العربية إلى إيمان بها ، حتى يصبح هذا الإيمان مصدرا لتطبيقها فى الحياة العملية ؟ وحتى يكون هذا الإيمان نفسه مصدرا للدفاع عنها لو قدر وحاول أجنبى أن يصيبها أو يتآمر عليها .

لا يكفى إذن أن تكون هناك صلاحية لقبول الاشتراكية العربية فى أفراد الشعب ، ولا يكفى أيضا أن تكون هناك قوة عددية لأفراد الشعب . وإنما يجب أن تكون هناك بجوار ذلك قوة إيمان : تدفع وتصد . تدفع فى التصرف فى الحياة بحيث يكون التصرف اشتراكيا عربيا ، وتصد عند الهجوم على هذه الاشتراكية بحيث يرد كيد المهاجم إلى نحره .

وإذن لابد من أن تكون هناك قوى أخرى لا نراها محسوسة ، وراء القوى الشعبية العددية ، هذه القوى التى تدفع أو يجب أن تدفع الاشتراكية كمفهوم إلى إيمان بها وتصرف طبق هذا الإيمان ... هذه القوى ربما نسميها : القوى الشعبية النوعية ، فى مقابل القوى الشعبية العددية .

ولو فتشنا عن هذه القوى الشعبية النوعية التى تحول مفهوم الاشتراكية العربية

إلى إيمان بها لوجدنا أنها تتمثل في مصادر القوى الآتية :

(ا) في التاريخ

(ب) في الدين

(ج) في الفكر .

(د) في التعبير .

هذه المصادر التي من شأنها أن توجه توجيها سلبيا إن حسن وعيها وتطبيقها . والدور الإيجابي لقادة التوجيه للاشتراكية العربية هو استعراض قيم هذه المصادر ، والدفع بها في حياة مجتمعنا الجديد .

ا — في التاريخ :

ونقصد بالتاريخ تاريخ أمتنا العربية . والأمة العربية في تاريخها هي الدعوة الإسلامية في قيامها وانتشارها ، فقد كان تاريخ العرب قبل الرسالة المحمدية هو تاريخ القبائل العربية وتاريخ الصراع والمنافسة الشديدة بينها ، على السيادة في شبه الجزيرة .

أما تاريخ العرب بعد الإسلام فهو تاريخ المثل والقيم التي جاء بها الإسلام ، والكفاح من أجل تثبيت هذه القيم في حياة العرب أنفسهم وفي حياة الإنسانية كلها .

ونحن في مجتمعنا العربي الجديد ، وهو المجتمع الاشتراكي العربي ، إذا كانت لنا حاجة — وهي موجودة فعلا — إلى استعادة تاريخ أمتنا ، فتلك الحاجة مركزة أولا وبالذات على تلك القيم التي تكون رسالة العرب ورسالة المسلمين ، وعلى مراحل الكفاح الطويلة والشاقة والمريرة أحيانا في سبيل إخلاء مكان لتلك القيم في الحياة البشرية .

والقرآن نفسه لايصور قيم الرسالة الإسلامية فحسب، بل بالإضافة إلى ذلك يعطي صورا عن الكفاح من أجلها . وصور الكفاح هذه التي تراها في القرآن ، لم تكن من أجل كفاح قام وانتهى ، وإنما من أجل كفاح سيتكرر في أجيال البشرية ، لأن القيم التي تمثلها رسالة الإسلام هي قيم أريد للناس جميعا أن يسعوا لتحقيقها في حياتهم ، أو يقتربوا من نماذجها على الأقل في هذه الحياة . ومرة قد تصل البشرية إلى تحقيقها وترتفع إلى مستواها ، وأخرى قد تنحدر الإنسانية عن هذا المستوى . وفي هذه الحالة الثانية يجب على المجتمع الإنساني أن يكافح من أجل تلك القيم من جديد ، وتثبيتها في حياة الإنسان .

إذن هذه القيم هي قيم ثابتة ، وقيم مطلوب أن تبقى ، ومطلوب للبشرية أن ترتفع إلى مستواها . والذي يتغير هو موقف المجتمع من هذه القيم ، في محاكاتها وتطبيقها ، أو في البعد والتخلف عنها .

والقرآن عند ما يقول فى آية من آياته : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » - يشير إلى ما يجب على البشرية إذا ما ابتعد المجتمع عن الأخذ بهــذه القيم ، أو إذا ما وقع انحراف أو فساد فى أوضاع المجتمع نفسه ، وما يجب على المجتمع عندئذ - تطبيقا لمطلوب هذه الآية - هو أن توجد مجموعة تنفعل نفوسها بالإيمان بهذه القيم ، ثم تعيد - بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - تصحيح الوضع أو الأوضاع التى انحرفت أو فسدت فى المجتمع ذاته .

والإسلام بهذا يفرض على المسلمين — إذا ما انحط مجتمعهم عن مستوى قيم الرسالة الإسلامية — فرض كفاية ، أن يقوم بالفعل نفر منهم لمحاولة إعادة تصحيح الوضع . ولا يكون تصحيح وضع المجتمع إلا عن طريق امتلاك السلطة وأمر التوجيه فيه ، وليس فحسب عن طريق البيان والتوضيح لمبادىء الرسالة الإسلامية . بل إن السلطة والتمكن من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن تنفيذهما أمر ضرورى فى مفهوم إعادة تصحيح وضع المجتمع على نحو ما تدعو إليه هذه الآية .

ولم يشر القرآن الكريم فى هــذه الآية ولا فى آية أخرى إلى طريقة تكوين هذه المجموعة التى يناط بها إعادة تصحيح الوضع فى المجتمع . وأغلب الظن أنه لا يقصد أن تتكون هذه المجموعة عن طريق انتخاب من أفراد المجتمع عندما ينحدر عن المستوى الرفيع لقيم الرسالة الإسلامية . لأن جمهرة الأفراد فى هذا الوضع لا يستطيعون أن يرتفعوا فوق الأحـداث ويروا الخطوط العامة لإعادة تصحيح الوضع ولا أولئكم الذين تتبلور فى عقولهم هذه الخطوط ، ويتمكن من قلوبهم الإيمان بالدعوة اليها ، وتحمّل المشاق فى سبيل تنفيذها . بل الأمر المقبول هو أن اختيارها من قبل الله سبحانه وتعالى - لا على معنى أنه اصطفاها وأرسلها وربطها بوحى جديد ، وأمرها بتبليغه إلى الناس جميعا ، كما هو الشأن مع الرسل ، وإنما على معنى أن الله وهب هؤلاء الصفاء فى طبيعتهم ، وقذف بنور الإيمان فى قلوبهم ، وبذلك جعلهم يرتفعون فوق أحــداث المجتمع وأوضاعه ، ويتابعون هذه الأحداث وهذه الأوضاع إلى أن تتاح لهم الفرصة ليأخذوا أمر الدعوة إلى الخير ويتمكنوا بالفعل من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما تطلب هذه الآية . وهم لا محالة بما لهم من إيمان القلب وصفاء الطبيعة سيصلون حتما إلى الغاية ، وهى إعادة تصحيح وضع المجتمع ،

وجعله متساويا مع قيم الرسالة الإسلامية ، وفي ذلك كان إخبار هذه الآية في عجزها عن فلاحهم ونجاحهم بصورة مؤكدة في قول المولى جل شأنه : « وأولئك هم المفلحون » .

والدور الذي سيقوم به أصحاب هذه الدعوة لا يختلف كثيراً عن الدور الذي قام به أصحاب الرسالات من الرسل ـ سواء : في الدعوة ، أو في الظروف والأحوال والمراحل التي تمر بها هذه الدعوة ، وهي ظروف الكفاح وأوضاعه ومراحله وما يصاحبه مرة من أزمات وأخرى من نجاح ، ولا يتخلف ما هو مؤكد ـ رغم اختلاف هذه الظروف والأوضاع والمراحل ـ من أن العاقبة للمتقين ، وأن النصر لهم وحدهم ، مهما طال أمد هذه الظروف والأوضاع والمراحل ، ومهما شق الأمر وصعب .

ولهذا لا ينتظر أن يكون الطريق دائما معبدا ، ولا أن يكون نور التفاؤل دائما ساطعا . بل الأمر جد محتمل أن تكون هناك أزمات ، وأن تكون هذه الأزمات أزمات خوف وإرهاب ، أزمات جوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين » وقد تكون هذه الأزمات تدبير انقلاب أو تآمر من الذين كانوا يملكون زمام السلطة في المجتمع من قبل ، أو من أولئكم الذين لا يؤمنون بالمثل التي يدعو إليها في الوضع الجديد ، وقد يصيب أصحاب الدعوة من تآمر هؤلاء أو أولئكم أذى ـ أي أذى : « لتبلون في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » .

ومع طروء هذه الأزمات في طريق الدعوة ، فإن النهاية الحتمية في هذا الطريق هو نصر أصحاب هذه الدعوة واستقرار الأمر لهم في المجتمع ، واستقرار الوضع الجديد الذي قاموا من أجل تحقيقه . « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا » .

ومن استعراض التاريخ كمصدر توجيهي لأمتنا العربية في كفاحها من أجل المثل العليا ، ومن أجل استقرار التوازن في المجتمع البشري ـ يمكن أن تعبأ القوى الشعبية العددية نحو الإيمان بالاشتراكية العربية ، بما وقع فيه من أحداث من أجل الدعوة إلى المثل ، وما صاحبها من عقبات ، وما كان لها أخيراً من نصر ونجاح ، إذا فهمت هذه الأحداث فهما منسقا مع شأن الأوضاع البشرية التي تصاحب كل دعوة إلى الإيمان بمثل رفيعة .

ب — في الدين :

والإسلام - برسالته وفي رسالته - لم يقصد إطلاقاً إلا إعادة الوضع الإنساني الكريم للمجتمع البشري ، بعد أن انحرفت فيه هذه الأوضاع باستغلال ، الثراء ، أو استغلال الشرف والجاه ، وبعد وضوح الفجوات بين أفراده ، ليس في الغنى والفقر فقط ، ولا في الجهل والمعرفة فحسب ، وإنما في القدر الإنساني الذي يتمتع به الأفراد ، ويختلفون فيه اختلافاً بيناً إذ ذاك .

ثم بعد أن تعود الأوضاع في المجتمع إلى مستواها الإنساني الصحيح يدعو الإسلام فوق ذلك إلى الإيمان بحراستها والمحافظة عليها من التدهور مرة أخرى .

فإذا غُلب المجتمع على أمر نفسه في حين ما ، ودفع عن طريق القهر والاستغلال والاحتكار مرة أخرى إلى الانحدار ، طالب الإسلام بالدعوة من جديد إلى تصحيح الوضع ، ثم إلى حراسته والمحافظة عليه .

وشأن الإسلام - إذن - شأن دائر دائماً بين إعادة تصحيح وضع المجتمع وتقليل الفجوات بين الأفراد في الاستمتاع بالحياة الإنسانية ، وبين المحافظة على هذه الأوضاع بعد تصحيحها عن طريق دفع الإيمان إلى التمسك بها .

وقد ذكرنا أن رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم - وهي رسالة الإسلام - قد جاءت لتصحيح الوضع الاجتماعي بإبعاد الاستغلال عن طريق المال أو الشرف والجاه . وهذا يبدو جلياً من نظرة الإسلام إلى المال ، ومن نظرته إلى الشرف والجاه .

فالمال الذي بأيدي الناس لا ينظر إليه الإسلام على أنه مال خاص يستمتع به مالكه وحده دون أن يكون لصاحب حاجة إليه نصيب فيه ، وإنما ينظر إليه على أنه معار في يده ، وأن وضع يده عليه وضع مؤقت ، وأنه وصي عليه يجب أن يحسن أمر الوصية في توجيهه . والمال أصلاً - في نظر الإسلام - ملك لله ، وحق شائع للجميع ، لأن ما لله هو لخلقه في الأرض جميعاً .

ونظرة الإسلام هذه إلى المال توضحها آيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » .

وإذا كان المال أصلاً لله ، فلا يحق لمن هو في يده أن يحبسه عن الآخرين ، فضلاً عن أن يستغل به بشريتهم ، ويستعبد به نفوسهم ويربط عن طريقه مصائرهم بأمر نفسه . وفي ذلك يقول الله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى

الحكام لتأكلوا فريقا من أمـــوال الناس بالإثم ، وأنتم تعلمون » . ويقول فى آية أخرى : «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » . واليتامى ليسوا هم القصر وحدهم ، بل يستوى معهم ويأخذ حكمهم الضعفاء الذين لا يستطيعون مقاومة الاستغلال ، والذين لهم حق فى الحياة لا يستطيعون استرداده أو المحافظة عليه لقوة الغلبة عليهم .

وربما كانت الوظيفة الأولى - فى نظر الإسلام - للمال هى تحرير البشرية : تحرير الرقاب ، أفرادا ومجتمعات . تحرير الرقاب من الأسر المادى ، ومن استرقاق الإنسان للإنسان ، ومن استعباد الإنسان للإنسان استعباداً مباشراً أو غير مباشر . ويدخل فى صور الاستعباد : استعباد الجوع والخوف والجهل والمرض . ربما كانت الوظيفة الأولى للمال هى تمكين أفراد المجتمع من أن يكونوا متساوين فى التمتع بمزايا الطبيعة البشرية . وأخص هذه المزايا : الحرية والكرامة . « لقد خلقنا الإنسان فى كبد ، أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا ، أيحسب أن لم يره أحد ، ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة » .

وإذا رأينا أن وظيفة المال الأولى فى الإسلام هى تحرير البشرية من الرق والاستعباد فى أية صورة من صوره ، فربما هدف الإسلام من وراء ذلك أن يبقى الإنسان ذا سيادة بخصائصه ؛ بحريته وكرامته . لأن جعل الإنسان مسودا للمال عكس لسنة الله فى خلقه . فقد خلقه ذا شأن على ما عداه من مخلوقات أخرى ؛ من بينها ثروة الأرض وما تأتى به من حصيلة المال عند التبادل . فعندما يقول القرآن الكريم مخاطبا الناس : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » ، - يوقظ فى العقل الإنسانى أن البشرية سيادة فى نفسها ، وأن ما عداها مسود لها .

وكذلك ليس الشرف ، أو الجاه بأمر ذاتى فى نظر الإسلام يضيف إلى الطبيعة الإنسانية فى أى إنسان قيمة يفضل بها طبيعة أخرى فى أى إنسان آخر ، بل كل منهما أمر خارج عن ذاتية الإنسان لا دخل له فى التقويم والاعتبار ، ولا دخل له فى تقدم إنسان على آخر فى الحياة ، ولا فى الحصول دونه على ميزة من الميزات فى المجتمع الذى يعيش فيه مع غيره . والإسلام - عندئذ

يرفع الشرف والجاه من مجال التقويم والتفضيل — أفسح الطريق أمام الناس جميعا من العقبات التي كان يضعها أصحاب الشرف وأصحاب الجاه لمنع غيرهم - ممن لم يواتهم حظ الشرف والجاه من أن يتقدموا الصفوف بكفاياتهم الذاتية ، وهو بذلك أيضا يحقق مايسميه علماء الاجتماع في الوقت الحاضر : « تكافؤ الفرص » .

فليس تكافؤ الفرص إلا منع العوامل غير الذاتية في الأفراد - من شرف أو جاه ، أومال - من أن تكون وسيلة تقديم للبعض ، ووسيلة تعويق وتأخير للبعض الآخر .

فإذا أعاد الإسلام للمال وضعه الطبيعي ، ومنع أن يكون وسيلة للاستغلال والاحتكار ، ورفع الجاه والشرف من أن يكون لكل منهما أثر في التفضيل بين إنسان وإنسان ، وخلص بذلك الطبائع البشرية من صنوف التعويق ، وجعلها جميعا متساوية في إمكان السعي ، وفي التقدم في النشاط الإنساني - فقد أمّن ، إذن ، كل فرد على مستقبله ، ووجه كل فرد ، كذلك ، نحو الهدف الحقيقي في الحياة ، وذلك الهدف ليس المال ، وليس الجاه ، وليس الشرف ، وإنما هو الإنتاج البشري في صوره العديدة ؛ إنتاج البدن والذهن معا .

والإنسان المسلم — في نظر الإسلام — ليس هو صاحب المال ، وليس هو صاحب الجاه ، وليس هو صاحب الشرف ، وإنما هو المنتج ببشريته وبطاقاته الإنسانية . والمجتمع الإنساني هو مجتمع الإنتاج ، ومجتمع العمل .

والإنتاج والعمل هما القدر المشترك الذي يجمع إذن بين أفراد المجتمع الإسلامي . والإنتاج البشري لا يكون ، حتما ، إلا خدمات بشرية ، والخدمات البشرية يعود نفعها على من قام بها وأداها ، ويعود نفعها ، كذلك ، على من لم يقم بها ولم يؤدها . وإذا كان كل فرد في المجتمع الإسلامي هو منتج إنتاجا بشريا ، فالفرد المسلم لمجموع الأفراد في المجتمع الإسلامي ، ومجموع أفراد المجتمع الإسلامي للفرد المسلم . وهنا كان المجتمع الإسلامي مجتمعا اشتراكيا ، على معنى أن الفرد للمجموع والمجموع للفرد ، وكانت اشتراكية الإسلام اشتراكية إنسانية ، لأن أساسها الإنتاج البشري ، وليس المال ولا عرض من العوارض التي لا تدخل في تقويم ذاتية الإنسان .

والمجتمع الإسلامي - عندئذ - ليس مجتمع توازن وعدل فحسب ؛ على معنى تساوي الطبائع البشرية في الأفراد أمام الإنتاج البشري في الخدمات ، وإنما هو مجتمع إنساني ؛ على معنى أنه مجتمع يقدر الإنسانية وحدها ويعطي أكثر مما يأخذ لنفسه . وهو بذلك مجتمع توازن وإحسان معاً .

ولم تقف الدعوة الإسلامية عند حد

إعادة تصحيح الأوضاع الاجتماعية فى المجتمع البشرى ، ولا عند حد وضع الأفراد أمام الفطرة الإنسانية دون غيرها فى المجتمع ، بل أمرت بعد ذلك بالحفاظ على هذا الوضع بقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » ، وبالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إذا ما أصيب المجتمع بانحراف أو تطرق إليه الخلل فى توازنه أو فى النظرة التى قوم بها الإسلام الأفراد ـ وهى الانسانية وحدها دون غيرها من مال أو جاه أو شرف : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . . » .

ورسالة الاسلام لا تتضمن ـ فقط ـ مثل هذه المبادىء التى تدعو إلى التوازن الاجتماعى وتحافظ عليه ، وتدعو إلى الايمان بالله كى يكون إنتاج أفراد المجتمع خدمات بشرية ، وأهدافهم تحقيق تلك الخدمات بدلا من تحصيل المال وجعله هدفاً أخيراً ، وإنما تضمنت هذه الرسالة أيضاً ، بجانب ذلك ، بعض المبادىء الرئيسية التى تحول دون أن يصل الفساد إلى المجتمع من الخارج على يد دخيل فيه ، فمنعت أن يكون ولاء أفراد المجتمع لغير المشارك لهم إيمانهم وفى أهداف مجتمعهم . منعت أن يكون ولاء المجتمع لغير وليه الطبيعى ، وهو ذلك الانسان الذى يقوده ليحقق أهدافه التى قام المجتمع على أساس منها . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » . « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » . بمثل ذلك يدعو الاسلام إلى التحذير من أن يتسرب ولاء أفراد المجتمع لأناس آخرين يعيشون وراءه ولغير أهدافه . بمثل هذه الآيات منع الاسلام أن يتلقى أفراد المجتمع توجيهات من خارجه تدعو إلى الولاء وإلى الطاعة لغير ولى الأمر ، ولغير ذلك القائد المشارك فى أهداف المجتمع الذى يقوده ليحقق تلك الأهداف فيه .

إذا روجعت رسالة الاسلام ، وفهمت أصولها وأهدافها على هذا النحو ، وأوقظ بها الوعى بين أفراد القوى الشعبية ـ فإن ذلك بلا شك سيؤثر تأثيرا عميقاً فى تقريب مفهوم الإشتراكية العربية من الاشتراكية الاسلامية ، أو يجعلها هى هى ، وسيحول مفهومها إلى إيمان وتطبيق فى حياة الأفراد . وعندئذ يكون هذا الايمان كفيلا بصيانة الوضع الجديد فى مجتمعنا العربى ، وسنداً قوياً دون حاجة إلى القانون التشريعى وحراسته من السلطة التنفيذية وعندئذ أيضاً تكون القوى الشعبية الممثلة فى الأفراد هى التى تدافع عن

التوازن الجديد ، وعن بقاء المجتمع العربي مجتمعاً ذا اشتراكية إنتاجية ، إنتاجها خدمات بشرية تُقوَّم من الناحية الإنسانية قبل أن تُقوَّم بالمال .

ولكن لا تفهم رسالة الاسلام على هذا النحو من الفهم ، ولا يكون لها أثرها في الإيقاظ وفي تحويل مفهوم الاشتراكية إلى إيمان بها ، قبل أن يكون هناك توجيه لأولئك الذين عُرفوا في أمتنا الحديثة بحَمَلة الرسالة الإسلامية: أعني بهم طلاب الأزهر وعلماءه . وعلى العكس ، لو لم يتكون لديهم هذا الفهم الصحيح ، وتلك القدرة على إثارة الوعي في تحويل مفهوم الاشتراكية إلى إيمان بها لكان خطر حَملة هذه الرسالة عندئذ على وضعنا الجديد يقرب من خطر المستغلين والرجعيين ، لأن الرجعيين والمستغلين إذ يتخذون من ثروة الشعب وطاقاته في الانتاج المادي موضوعاً للاستغلال ، فأولئكم يؤثرون على القلوب والنفوس ، وإن لم يكن هذا التأثير السلبي - في كثير من الأحايين - عن قصد وسوء نية .

والأمل معقود على جامعة الأزهر الجديدة في تنظيمها الحديث ، ذلك التنظيم الذي يعتبر من الأعمال الثورية المجيدة التي سيكون لها الأثر العميق في مجتمعنا هنا ، وكذلك في المجتمعات الإسلامية والعربية فيما وراء جمهوريتنا العربية المتحدة ، والأمل معقود أيضاً على الدفع الثوري لجعل هذا التنظيم حقيقة واقعة ، حتى تؤدي هذه الجامعة الناشئة - وصاحبة التاريخ الطويل في الوقت نفسه - رسالتها في توجيه الأمة العربية والأمة الإسلامية .

إن هذا التنظيم لجامعة الأزهر الجديدة سيحول دون أن يكون التوجيه الإسلامي حرفة يحترف به صاحبه ، لأنه سيخلق مجالات أخرى للمعرفة ثم للعمل في الحياة من غير أن يكون التوجيه الإسلامي ذاته وسيلة لكسب العيش . فالكليات الجديدة التي أضيفت إلى الكليات التقليدية - وهي الكليات النظرية للدراسات العربية والإسلامية - فرص أتاحتها الثورة لطلاب الأزهر كي لا تحجبهم الحاجة إلى العيش في الحياة عن فهم الإسلام أو عن الإخلاص في أداء رسالته . وبذلك لا تصبح هناك فرقة بين فرد وآخر في المجتمع ، بين إنسان يقال له رجل دين ، وبين إنسان آخر يقال له رجل دنيا ، بل سيصبح المجتمع كله أفراداً متساوين في تكافؤ الفرص وفي السير في الحياة .

وقد كان المجتمع الإسلامي في أول أمره - أيام قوته - لا يعرف رجل دين ورجل دنيا، وإنما يعرف أفراداً هم مسلمون فحسب ، وقد كان كذلك لا يعرف صاحب رسالة إسلامية يحترف بالتوجيه الإسلامي ، وإنما الذي كان

يعرفه أن صاحب الحرفة - أية حرفة - فى المجتمع قد يكون صاحب فقه وتبصير للناس، وقد يكون كذلك ذا إمامة فى فقهه وفى أصالة تفكيره الإسلامى.

والتاريخ يذكر لنا أمثال: أبى بكر الذى كان يشتغل بالتجارة حتى ولى الخلافة وأشار عليه كبار الصحابة بالتفرغ لشئون المسلمين، وأمثال عثمان بن عفان الذى كان تاجرا. وأبو بكر كان له فقه، وعثمان كان له فقه أيضا.

كما يذكر أمثال: أبى حنيفة النعمان الذى كان يبيع الخز ويجلس فى الأسواق مع اشتغاله بالفقه وشهرته فيه، وكذلك أبو الحسن أحمد بن محمد القدورى كان يشتغل بصناعة القدور وهو من كبار علماء الفقه. وأيضا أحمد بن عمر الخصاف الذى ألف كتاب الخراج للمهتدى الخليفة العباسى، وصنف كتبا أخرى عظيمة فى الفقه، على حين أنه كان يعيش من خصف النعال.

والثورة بهذا التنظيم الجديد - إن أزالت الفرقة فى المجتمع وحققت تكافؤ الفرص بين الأفراد، وأعادت الصورة القوية التى كانت لعلماء المسلمين لتتمثل فى علماء مجتمعنا المعاصر - فإن لها الحق أن تفخر بما أسدته للإسلام والأمة العربية على مجتمعات أخرى عربية قام بعضها على أساس مذهب إسلامى معين، وتولى أمراؤها السلطان جيلا بعد جيل لخدمة رسالته. وقد كان ذلك المذهب المعين هو مذهب محمد بن تيمية، وقد كانت رسالة هذا المذهب هى العودة بالمسلمين إلى مجتمع المسلمين الأول، وإلى وضع المسلمين وجها لوجه أمام القرآن حتى يكون لهم الفهم الواضح لرسالة الإسلام، وحتى تكون لهم قوة الوحدة، وحدة الفكر، ووحدة التوجيه.

وبذلك تزول الطائفية البغيضة وتزول الفرقة المضعفة والمفسدة معا من الأمة المسلمة. ومع هذه المبادىء فقد كان مسلك هذه المجتمعات التى قامت على أساس منها مخالفا لها: كان العمل على التفريق وإضعاف الوحدة. مع الاحتفاظ بالفجوة الواسعة بين أفراد المجتمع فيها، ومع العمل على ازدواج التعليم بين دينى ومدنى، وخلقه إلى طوائف يقابل بعضها بعضا، بدلا من السعى نحو توحيد الصفوف، وتأييد دعاة الوحدة، وبدلا من وحدة التوجيه، وبدلا من السعى نحو إزالة الفجوات، وتقريب أفراد المجتمع بما يعيد إليهم وضع المجتمع الإسلامى الأول، وقد رأيناه اشتراكية إنسانيــة، ولم نره مجتمع شرف وجاه، أو مجتمع مال وثروة.

حـ — فى الفكر:

وأقصد بالفكر طريقه ومنهجه. فلكى

يكون الفكر مصدرا توجيهيا في تعبئة القوى الشعبية العددية ، وتحويل مفهوم الاشتراكية لديها إلى إيمان بها — يجب أن يكون منهجه هو منهج تثبيت القيم الأخرى ؛ تثبيت القيم الإسلامية والقيم التاريخية . لا التشكيك فيها ، ولا محاولة هدمها وردها .

للمفكرين أن يقرأوا مايشاءون من الغرب ومن الشرق ، ولكن عليهم في أسلوب تفكيرهم أن يراعوا الانسجام مع القوى الشعبية النوعية الأخرى . وإن ترديد المفكرين لبعض اتجاهات هنا وبعض اتجاهات هناك في مجتمعنا الثوري الجديد الذي لم يزل بعد في مرحلته الأولى من ثورته الاجتماعية ، لما يثير الاضطراب ويثير التفكك والفرقة بين أفراد المجتمع ، فضلا عن أن يثير التشكيك في إخلاص الثورة لتاريخها ولقيم المجتمع التي هي أصيلة فيه والتي قام المجتمع لصونها والدفاع عنها ، والتي كافح في سبيلها وانهزم وانتصر .

د — في التعبير :

وهنا يأتي دور التعبير . وأقصد بالتعبير ؛ التعبير بالقول ، أو التعبير بالتطبيق في الحياة ، فكما يجب أن يكون منهج الفكر منهجا متوازيا مع قيم المجتمع الأصلية التي تمثل بعض القوى الشعبية النوعية فيه ، كذلك يجب أن يكون أسلوب التعبير بالقول ، أو السلوك العملي في الحياة منسجما كذلك مع تلك القيم — لا ينبغي بحال أن تكون وسائل الإعلام كالصحافة والإذاعة والتلفزيون ، ولا وسائل الفن كالسينما والمسرح ، ولا وسائل نشر الكتاب ، ولا وسائل الدعوة كمنابر المساجد — متناقضة ومتنافرة بين بعضها بعضا ، ولا مختلفة مع اتجاهات القوى الشعبية النوعية الأخرى في المجتمع . فكم يثير خبر أو رأي لا ينسجم مع قيمة من القيم الأصلية في المجتمع في صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية — الشك في نفوس العامة ، وخصوصا في نفوس أولئكم الذين لا يعرفون في حياتهم من ألوان المعرفة إلا ما يتصل بالدين ، ولا يعرفون من أهداف في حياتهم إلا رضاء الله .

كذلك يجب أن يكون أسلوب التعبير متفقا مع الخطوات التي يسير بها المجتمع في عهده الجديد حذوا بحذو . يجب أن لا ينقص من أدائها كما يجب أن لا يبالغ في تصويرها ؛ فالأزمات هي الأزمات ، والرخاء هو الرخاء . والقرآن الكريم عندما قال للمؤمنين : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات » ، وعندما قال : « لتبلون في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » ،

وعندما قال : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » ... عندما قال ذلك وأمثاله ، أراد في واقع الأمر أن يعبىء قواهم النفسية حتى يكونوا على استعداد لاجتياز الأزمات في غير يأس إذا ماواجهوها وجها لوجه . ولم يرد بحال إطلاقا أن يرهبهم أو يخيفهم أو يفت في عضدهم عندما أكد هنا أن الأزمة ستقع حتما بهم ، ليس في أموالهم وفي ثمراتهم فحسب ، وإنما في نفوسهم بالاعتداء عليها مرة ، أو بإرهابها مرة أخرى ، أو بالنيل من قيمتها بالتعريض مرة ثالثة .

وقد كان للصدق في التعبير ، ومطابقته لواقع الأحداث دخل كبير في تثبيتهم على الإيمان ، ثم في نصرهم أخيرا . ولكن النصر دائما كان مرهونا بأمرين عندما تقع هذه الأزمات : بالصبر والتحمل ، ثم بالتقوى . وليست التقوى إلا الاستمساك بالخط الذى رسمه الإسلام لمجتمعه ، « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » .

— ٣ —

تعبئة القوى الشعبية :

والسؤال الأخير الذى يتردد الآن هو :

كيف نعبىء القوى الشعبية نحو الاشتراكية ، وكيف ننظم هذه التعبئة ؟ .

أنجعل هناك في المجتمع وحدات قيادية في جميع قطاعاته وجوانب العمل فيه ، بحيث تكون هذه الوحدات ممثلة تمثيلا واضحا للقوى النوعية التى من شأنها أن تحيل مفهوم الاشتراكية إلى إيمان بها ؟ أم نترك لأفراد القوى العددية في القطاعات المختلفة أن تنتخب من بينها ممثلين هم القادة لها في التوجيه ؛ ومن هؤلاء الممثلين يكون إطار القيادة في المؤتمر الشعبي أولا ، ثم في الاتحاد القومى ثانيا ؟ .

لكن كيف ينتخب أفراد القوى الشعبية العددية ممثلين لهم في القيادة على هذا النحو ؟ أيكون مصدر هذا الانتخاب ما في نفوسهم من إحساسات نحو أشخاص الأفراد الذين سينتخبون أو الذين يرشحون أنفسهم ؟ في رأيي : تختار كل محافظة عدداً من أبنائها ممن يُتوسَّم فيهم أن يكونوا قادة في كل قطاع من القطاعات المختلفة ؛ ممن هم مؤمنون أو قريبون من الإيمان الحقيق بالاشتراكية ، على نحو ما يبدو في تصرفاتهم وسلوكهم .

ومن هؤلاء الأفراد تتكون القيادة الشعبية للقوى الشعبية ، ودورها بعدئذ ليس التفرغ للتوجيه ، وإنما التوجيه بالعمل نفسه وبجانب العمل ؛ عملها فى المصنع، أو فى المزرعة ، أو فى مكتب الوظيفة ، أو فى العيادة ، يكون معبرا عن الاشتراكية ، وبجانب هذا العمل المعبِّر ، يكون لها دور آخر فى التنوير والإقناع بالاشتراكية .

عندئذ تأخذ الدعوة مجراها الطبيعى ، ليس فيها تصنع ولا افتعال . وعندئذ يتشكل نظام القيادة فى الدعوة دون مشكل أو منظم خارج عن نطاقها .

إن دعوة جمال عبد الناصر للثورة ... من الذى شكلها وأقامها ؟ من الذى اختارها ووجَّهها ؟ .

إنها عملية سارت فى مجراها الطبيعى ... وجد الإيمان بها ، ثم وجد الانفعال بهذا الإيمان ، ثم انطلقت إلى الحركة بعد هذا الانفعال . خطوات ثلاث يلازم بعضها بعضا ويتعاقب بعضها على أثر بعض . وكل ما فى الأمر أن جمال عبد الناصر هو وصحبه تأثروا بأحداث المجتمع الماضى الفاسد ، واستطاعوا أن يرتفعوا بإيمانهم بالإصلاح فوق مستوى الأحداث — دون أن يبقوا سائرين فى اتجاهها ، ومندفعين بآثارها — ليرقبوا سير الأحداث نفسها ، ثم ليخططوا الطريق إلى الوقوف فى وجهها ، وتحويل الأمر فى المجتمع إلى وجهة أخرى هى وجهة الإصلاح ، أو إعادة التوازن الاجتماعى ، أو تحقيق الاشتراكية العربية .

القادة دائما هم المنتخبون انتخابا طبيعيا فى جو يدفع إلى التكوين ، يتأثر به البعض ولا يتأثر به البعض الآخر ، وعملية التنظيم لا نتخاب القادة انتخابا طبيعيا هى تهيئة الجو النفسى والفكرى . وفى فترة التهيئة والإعداد لهذا الجو يبرز القادة واحداً أثر واحد ، أو مجموعة بعد مجموعة ، وعندئذ يتم تشكيل القوى القيادية للقوى الشعبية العددية .

والعمل الذى يجب أن يعمل الآن هو إعداد هذا الجو النفسى والفكرى بالأخذ فى توجيه القوى الشعبية النوعية نحو الاشتراكية العربية .

إننى لا أومن بما يسميه الغرب ديمقراطية ولا بمنهج الغرب فى تمثيل الشعوب لنفسها فى إطارات تدير معركة التوجيه وبالأخص معركة السياسة فى الشعب والأمة ، لأن طريقة الانتخاب والاختيار لا تتجرد إطلاقا من العوامل الأجنبية المؤثرة فيها . وأقصد بالعوامل الأجنبية ، العوامل الغريبة عن الهدف الحقيقى الذى يجب أن يسعى إليه أفراد المجتمع وهو التوازن وتكافؤ الفرص . فرأس المال ، وجاه السلطة ، وجاه

الأرستقراطية ، والاقطاع ، هى عوامل أجنبية ، وتلعب جميعها الدور الأول فى التمثيل البرلمانى الذى يصوره الغرب بأنه النظام الديمقراطى الحر الصحيح . مع أن حفنة قليلة - بالقياس إلى مجموع الشعب - هى التى توجه الاختيار ، وهى التى تتحكم فى مصيره ، وهى التى تجعله مرة يميل إلى اليسار ومرة أخرى يميل إلى اليمين .

والشعوب الأوربية فى اعتقادى لا تعيش حرة ، ولا تتمتع بحرية سياسية مجردة عن عوامل التأثير الخارجى ، ومن ثم فهى تدور فى إطار التبعية دائما . والمتبوع هم أصحاب النفوذ وليسوا أصحاب القيم الإنسانية . ولذا كان إنتاج هذه الشعوب إنتاجا ماديا يخلو من الخدمة الإنسانية . ولذا كانت مجتمعات هذه الشعوب بعيدة عن أن تتصف بأنها مجتمعات إنسانية . وآية ذلك : الاحتكاك والاصطدام ، والحروب الباردة والساخنة . وهذه مظاهر تدل على أن المعانى الانسانية فى العلاقات فى المجتمعات ليس لها إلا نصيب قليل بجانب سيادة المال فى أية صورة من صوره .

لا أستطيع أن أنعت هذه المجتمعات بأنها مجتمعات يسود فيها الإنسان لذات الإنسانية ، وإنما هى مجتمعات يتفوق فيها الإنسان لأنه صاحب آلة ، أو صاحب مال ، أو صاحب جاه ، أو صاحب نفوذ .

وإن كان هناك حرية فى هذه الشعوب فهى الحرية الفردية التى تتمثل فى الأنانية وفى « الوجودية » . والحرية الفردية التى تتمثل فى محاولة التحرر من قيود المجتمع التى تربط بين أفراده ، والتى ترتبط بمعنى الانطلاق ارتباطا وثيقا .

إن الحضارة الإنسانية هى نتاج القيود فى المجتمع . هى نتاج العلاقات الإنسانية . هى نتاج الاخوة والتعاون والسلام والطمأنينة ... إن الحضارة الانسانية لم تكن فى حقيقتها وجوهرها حضارة مادية وإنما هى قيم إنسانية ومثل عليا فى الحياة ، وقلما توصل الفردية والأنانية إلى الإسهام فى حضارة الانسانية .

الدكتور محمد البهى

في إطار الاشتراكية الإسلامية

للأستاذ محمد محمد المدني

---

١ — الرأي مشترك :

لما حج أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور التقى بالإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضى الله عنه ، فقال له : يا مالك ، لقد عزمت أن آمر بكتبك هذه التي ألفتها فتنسخ ، ثم أبعث في كل عاصمة من عواصم المسلمين بنسخة منها ، وآمر الناس أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره .

فقال مالك : يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، فدع الناس وما اختار كل أهل بلد منهم لأنفسهم » .

هذا ما رواه التاريخ في ذلك الشأن الإسلامي الخطير .

والذي يهمنا الآن هو أن ننظر في موقف الإمام مالك رضى الله عنه من هذا العرض الذي عرضه عليه أمير المؤمنين .

إن مالكا لم تستهوه هذه الفكرة وإن كان فيها كل التأييد لمذهبه ، ولم ينتهز الفرصة لقبول هذا الاقتراح ممن يملك تنفيذه وحمل الناس عليه بما له من قوة السلطان والحكم ، فلقد كان أجل من أن يؤخذ ببريق هذا العرض ، وهو يعلم أن العلم لا يمكن أن يكون إقطاعا يقطعه الحاكم من يشاء ، ولا يمكن أن يكون منطقة نفوذ يتمتع بها واحد من الناس يتقبلون قوله إذا قال ، ويرون رأيه إذا رأى .

إن الاسلام لا يعرف هذا اللون من ألوان الاحتكار العلمي أو التوجيهي الذي رفضه مالك ورفض معه نفوذا عظيما في عواصم المسلمين وأقطارهم ، ورفض معه تأييدا من صاحب السلطان وقوة يقوى بها مذهبه ورأيه ، وينتشر بها علمه .

وقد علل الإمام مالك رضى الله عنه رفضه لهذا العرض بما يدل على عمق إدراكه لاشتراكية العلم ، وشدة إخلاصه لمبدأ الحرية في أساليب البحث والمعرفة ، ولوجوب بقاء الغذاء الفكري مأدبة عامة للناس جميعا ، يأخذ كل عقل منها بنصيب :

فإن الناس في كل زمان ومكان لهم آراؤهم وأسانيدهم ووجهات نظرهم وأساليب حياتهم،

وقد خلق الله العقول وجعل لها مجالا بالنظر والتفكير والموازنة والترجيح والاستقراء والتتبع ، فإذا جاء أحد من الناس ليفرض عليهم أفهاما بذاتها لا تقبل الجدال ولا المناقشة ، فقد حجر على العقول وحكم عليها بالشلل والجمود .

وينبغي أن يعلم الناس أن هذه النظرة العميقة لاشتراكية العلم والمعرفة لم ينفرد بها الإمام مالك ، وإنما ذكرنا واقعته مع أمير المؤمنين المنصور على سبيل التمثيل .

فهذا أبو حنيفة رضي الله عنه يقول : لاينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي .

وكان إذا أفتى يقول : هذا رأي النعمان ابن ثابت - يريد نفسه لأنه هذا هو اسمه - ويقول : هذا هو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب .

هذا كلام أبي حنيفة ، وهو يمثل فهما صحيحا للاشتراكية في العلم ، فهو لا يعتبر نفسه ذا حق في التفكير ينفرد به ويمتاز عن غيره ، وبلغتنا الحاضرة لا يزعم لونا من ألوان الارستقراطية العلمية ، التي تجعله يفرض رأيه العلمي فرضا ، ويمليه إملاء .

ومثل هذا يروى عن الإمام الشافعي رضي الله عنه ، فقد قال يوما لصاحبه ابراهيم المزني : يا إبراهيم لا تقلدني في كل ما أقول ، وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين .

وقال أحمد بن حنبل ذات يوم لرجل من أصحابه : لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الأوزعي ولا فلانا ولا فلانا وخذ الأحكام من حيث أخذوا ، من الكتاب والسنة !

هكذا كانت ديمقراطيتهم العلمية إذا جاز لنا أن نعبر بهذا التعبير ، فلم يكن لدى أحد منهم روح الاستئثار والأنانية .

ولذلك كثر أصحاب الرأي والمجتهدون كثرة عظيمة في عهدهم ، حتى عد الأئمة المجتهدون فكانوا أكثر يومئذ من ثلاثمائة إمام ، كل له رأيه ، وله تلاميذه ، بل كان التلاميذ في كثير من الأحيان يستقلون بآراء لا يشاركون فيها أئمتهم وبذلك اتسع نطاق التفكير والنظر حتى أصبح للمسلمين ثروة فقهية قانونية في مختلف شئون الحياة تعد من أعظم ثرواتهم ومفاخرهم .

ولكن خلف من بعدهم خلف ، لم يدركوا ما أدركه سلفهم ، وحاولوا أن يضعوا على الاجتهاد والنظر والتفكير الحر حراساً وحجابا ، ووصل الأمر إلى أن ألزموا الناس بالتقليد وحرموا عليهم الاجتهاد ، بل حرموا على من قلد مذهبا أن ينتقل منه إلى غيره ، وبذلك صرنا إلى لون من ألوان الإقطاع والاحتكار ، وجمدت العقول وركدت الأفهام ، وابتعد الفقه الإسلامي عن مجالات النظر والتفكير الحديث خوفا من الزلل ، وخوفا عليه من اقتحام حماه بدون

علم ، وما دروا أن قانون الحياة منذ عرف الناس الحياة هو أن نصيب ونخطىء ، فلا يوجد مذهب من المذاهب يحتكر الصواب فلا يخطئ أبدا ، ولا يوجد مذهب من المذاهب يتردى دائما فى هوة الخطأ فلا يصيب أبداً ، ولذلك يقول الإمام مالك : كل أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقوله حق كله.

والقرآن الكريم يقول . فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، فكم من آراء قيلت ، وكم من أحكام قررت ، ولكن لا يبقى ولا يثبت إلا الحق الذى ترضاه العقول وتأنس إليه النفوس .

إن هذا الروح هو سياج الحرية الفكرية ، والاشتراكية العلمية ، وقد صدر عن هؤلاء الأئمة الأعلام أخذاً له من كتاب الله تعالى الذى يأمر بالنظر والتدبر وينهى عن التقليد واتباع الآباء بغير علم ، ولا يرضى بأن يقول الناس « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » ويقول لهم « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم » فيدعو إلى الاشتراكية العلمية ، والحرية الفكرية كل فرد فى الجيل ، وكل جيل فى العالمين ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

٢ — الاشتراكية والإحسان :

من المبادىء الأساسية فى شريعة الإسلام ، مبدأ التضامن الاجتماعى العام ، فالفرد ليس مسئولا عن نفسه فقط ، وإنما هو مسئول أيضا من أفراد المجتمع .

وقد حرص القرآن الكريم على أن يثبت هذا المبدأ فوضعه فى إطار واحد مع عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ، حيث يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم » .

فالله جل جلاله ، يأمر عباده أن يقيموا مجتمعهم على أساسين :

الأول : عبادته وحده لا شريك له فى التوجه والدعاء .

والثانى : أن يكونوا متضامنين متكافلين ، وقد أجملت هذه الآية الكريمة ما أمرت به فى شأن هذا التضامن والتراحم فى كلمة جامعة شاملة هى كلمة « الإحسان » .

والإحسان مرتبة فوق العدل ، فإذا تعاملت مع الناس فأخذت منهم حقك ، وأعطيتهم حقوقهم ، فقد جريت على سنة العدل ، والمبادلة بالحق .

ولكن إذا تجاوزت هذه المنزلة إلى ما هو فوقها من الرفق والإيثار ، فنزلت لله ولاخوانك فى المجتمع بعض حقك راضيا

لتنفع به من هو فى حاجة إليه ، أو تقبلها منهم أقل من حقك لهذا الغرض الشريف ، فأنت تجرى على سنة « الإحسان » .

وليس الإحسان هو تلك الصورة التى تطور إليها معنى اللفظ فى المجتمعات التى سيطر عليها الإقطاع فى جانب ، والفقر والذلة فى جانب آخر ، وهى أن تعطى الفقير المحتاج شيئا فحسب ، وإنما هو أوسع دائرة من ذلك ، فهو يشمل كل نوع من أنواع المعاملة فيه سمو ، وفيه بر ، وفيه تطبيق لمبادىء الفضيلة ولروح الاشتراكية القائمة على التضامن والتعاون ...

إن الإحسان هو أمر الله فى كل شىء ، هو مظهر جماله الأقدس ، وكماله الأعلى ، وقد رسم به للناس سبل المثل العليا فى كل جانب من جوانب الحياة ، ليقربهم من رحمته وفضله ، ويربيهم على مثل خلقه .

تسمى الله جل علاه باسم « المحسن » ، ووصف نفسه بأنه « أحسن كل شىء خلقه » وكان من مظاهر إحسانه بعد الخلق والتفضل بالنعم التى لا تحصى : أنه كتب على نفسه الرحمة ، وتحبب إلى عباده ، وتسمى باسم « الودود » وبدالهم بمظهر جماله الذى يملك القلوب ويأخذ بالألباب : إذ يعاملهم معاملة كلها كرم وإحسان ، فهو قريب من عبده ، لا واسطة بينه وبينه : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب) ، (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) ، (ولو جئته بقراب الأرض معصية لجاءك بقرابها مغفرة ولا يبالى) ، والسيئة عنده بواحدة ، وقد يتجاوز عنها بفضله وإحسانه ، والحسنة عنده بعشر أمثالها ، وقد يزيد فى مضاعفتها .

هذا الرب المحسن يريد من عباده أن يتخلقوا بخلقه وأن يحسنوا كما أحسن إليهم ، فهو حين يأمر عباده بالخير لايكتفى منهم أن يؤدوه على أية صورة ولو كانت صورة جافية منافية للذوق والجمال ، ولكنه يطلب منهم أن تكون أفعالهم قريبة بقدر الاستطاعة من الصورة المثلى التى تجعلها محببة إلى القلوب مرضية عند ذوى الأذواق .

فالصدقة خير ، لأنها سد لحاجة الفقير وتخفيف لآلام الإنسانية ولكن الله لا يكتفى منك أن تفعلها ، وإنما يطلب صورتها المثلى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، « ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خير ، لأنه مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعى والمسئولية المشتركة ، والتعاون على البر والتقوى ، ولكن الله يطلب صورته المثلى التى يتحقق بها جماله ، وتظهر فيها روعته ، وتنال بها ثمرته ، وذلك

أن يكون فى رفق وتلطف وحسن أداء « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

ودفع الشر والسوء خير ، وله أيضا صورته المثلى « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » ، « وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

وهكذا يرسم الله لعباده الصور التى يؤدى بها الخير كما يبين لهم أصل الخير .

ومن هنا كان الإحسان عاما فى كل شىء : فنى العلم إحسان ، وفى الفن إحسان ، وفى الصناعة إحسان ، وفى القول إحسان ، وفى معاملة الناس إحسان ، وفى مراعاة حق الفقير والمسكين إحسان ، وفى القيام بالمناصب وأداء حقوقها إحسان ، ومصداق هـــذا قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله كتب الإحسان على كل شىء » وفى حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاب سائله عن الإحسان بقوله « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » وليس الكلام خاصا بالعبادة الروحية من الصلاة والصوم فحسب ، وإنما هو شامل لكل فعل يفعله الإنسان مريدا به وجه الله ، وإصلاح شأن من شئون نفسه أو شئون الناس ، فإن ذلك كله عبادة ، وإذا استشعر الإنسان فى كل ما يعمله أنه تحت مراقبة ربه ، وأنه إن لم يكن يراه بعينه ، فإن الله مطلع عليه - إذا استشعر الإنسان ذلك ، أتقن عمله ، وأحسن فيه وجوده ، كما يحسن العامل أمام صاحب العمل الخبير به ، العارف بدخائله ودقائقه « ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » .

ولقد أجملت الآية الكريمة انواع التعامل المثالى بين أفراد المجتمع فى هذا اللفظ الجامع الشامل لفظ « الإحسان » .

أما الذين أوصت بهم ، وبأن يوصل إليهم هذا الإحسان ، فهم أفراد المجتمع جميعا ، ولقد استقصتهم الآية استقصاء وعنيت بأن تعدهم عدا :

الوالدان ، أولو القربى ، اليتامى ، المساكين الجار ذو القربى ، وهو الذى بينك وبينه صلة الجوار وصلة القرابة ، الجار الجنب ، وهو الذى ليس بينك وبينه إلا صلة الجوار ، والصاحب بالجنب وهو الرفيق فى السفر أو الجليس فى الحضر ، أو الزوجة ، وابن السبيل ، وهو المسافر أو الضعيف ، وما ملكت أيمانكم ، وهو شامل لكل من ملكت زمامه من خادم أو تابع أو مرءوس .

وبهذا يتبين أن « الإحسان » شامل من حيث معناه لجميع صور التعامل المثالى ومن حيث الذين يوجه إليهم : جميع أفراد المجتمع .

فهذه هى اشتراكية الإحسان .

محمد محمد المدنى

من معاني القرآن :

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنكم إليه تحشرون » .

تقول استجاب لى فلان إذ دعوته بمعنى أنه أطاعك وساعدك .

واستجاب الله لى بمعنى قبل دعائى وحقق رجائى

والاستجابة لله معناها طاعته وامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، والاستجابة للرسول استجابة لله لأنه مبلغ عنه .

وتقول حال النهر بيننا بمعنى حجز بعضنا عن بعض ومنع اتصال بعضنا ببعض .

والمراد من قوله تعالى والله يحول بين المرء وقلبه ، أنه — وهو أعلم بمراده — أقرب إلى الانسان من قلبه الذى يعيش به وتقوم عليه حياته ، فهو مطلع عليه عليم به لا يغيب عنه منه ما يغيب عن صاحبه ، ومعناه كذلك أنه سبحانه يحول بين الإنسان وبين ما يتمناه قلبه من طول العمر ، والاستمتاع بما يهفو إليه من مختلف أنواع الاستمتاع ، وذلك بأن يقضى عليه بالموت فجأة قبل أن يصل إلى ما يريد ، فتضيع منه فرصة الحياة ، دون أن يستغلها فى عمل ينفعه فى الدنيا والآخرة .

والحشر جمع الناس وسوقهم إلى حيث يحاسبون فيثابون أو يعاقبون ، وسيكون ذلك يوم القيامة (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) .

فالله جل شأنه يأمر المؤمنين من عباده أن يطيعوه ويطيعوا رسوله فيما يدعوهم إليه ، فإنه يدعوهم إلى ما ينفعهم ويرفعهم ويمتعهم بالحياة الطيبة ، ودعوته دعوة إلى الحياة بكل ما تسعه كلمة الحياة من عزة وكرامة وخير وبر ، مصداق قوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

والله من وراء كل إنسان محيط ، يعلم إخلاصه فى العمل ورياءه فيه ، بل إنه — سبحانه — أقرب إليه من قلبه الذى يخفق فى جنبه ، وهو يستطيع أن يحول بينه وبين ما يتمناه ، وينزع منه الحياة ، فيموت فجأة ، وبذلك ينطفىء سراج الأمل . وتفوت فرصة العمل . فليعلم المؤمنون ذلك على أنه حق لا سبيل إلى الشك فيه ، وليعلموا مع ذلك أنهم إليه لا إلى غيره سيجمعون ويساقون للحساب وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) فإنهم إذا علموا ذلك بادروا إلى قلوبهم فأصلحوها وإلى أعمالهم فصححوها وإلى دعوة الله ورسوله فاستجابوا لها ، فإنها دعوة إلى أسباب الحياة ، (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) .

عبد الرحيم فودة

تعالوا نجاهدهما معاً

للأستاذ محمود الشرقاوى

١

قرأت مقالا نشرته جريدة « يونيفرس » الكاثوليكية الإنجليزية ، وهى صحيفة تنطق باسم الكرسى البابوى فى روما .

وفى هذا المقال تعترف الصحيفة بقوة العقيدة الإسلامية وبقائها فتقول : « ليس ثمة أى أثر يوحى بانحلال الإسلام وتفككه ، كما تنبأ البعض فى أوائل القرن الحالى ، بل لقد توافرت البوادر على نشأة حياة جديدة فيه ووعى بالغ ، وتزايد الجنوح إلى النظر بعين الاعتبار إلى آراء الآخرين » .

ثم قالت الصحيفة إن هذا الوضع قد « استرعى أنظار الكاثوليك فى أوربا إلى قوة الإسلام ووجوب إنشاء كتلة مشتركة فى سبيل الله لمواجهة العدو الإلحادى المشترك ألدّ الخصوم للإسلام والمسيحية على السواء » .

ثم تقول الصحيفة فى مقالها الذى تعبر فيه عن رأى الفاتيكان : « إن الوقت الذى تتمكن فيه المسيحية والإسلام من التلاقى قد حان » .

* * *

ونحن نريد أن نصدق هذه الدعوة لالتقاء المسيحية والإسلام ، أو على وجه الدقة التقاء الأهداف والمصالح الدينية والخلقية كلها فى العالم للوقوف صفا واحدا أمام عدوهم المشترك المدمر .

هذه الدعوة نقبلها ، نحن المسلمين ، ونلتقى معها - بل نرحب بها - على شرط أن نقف صفا واحدا أمام الأعداء المشتركين جميعا ، لا أمام عدو مشترك واحد . ومن الأعداء المشتركين المخاصمين ، بل الهادمين المعاندين ، للإسلام والمسيحية على السواء : « الصهيونية » . فيجب أن نضعها حيث وضعت نفسها من خصومتنا - كلينا - وأن نتخذ منها عدواً مشتركا نقف صفا واحداً لقتاله وحربه .

ويزور الجمهورية العربية المتحدة الآن - وأنا أكتب هذا المقال - مؤرخ مسيحى عالمى ، هو الأستاذ « توينبى » . ولا بد أن أصحاب دعوة التقارب هذه يعرفون رأيه فى الصهيونية ، وأنه يراها - بحق - قد أوقعت بعرب فلسطين شراً عظيما لا يعرف التاريخ كله مثيلا له ، وأنها خارجة على كل خلق وكل شريعة وكل ضمير . محاربة لتلك المثل الخيرة الكريمة التى تدعو لها وتحرص عليها ديانته المسيحية .

ليذكر أصحاب دعوة التقارب هذه رأى المؤرخ العظيم ـ وهو مسيحى انجليزى، وليس مسلما ولا عربيا ـ ليذكر القوم رأيه هذا وليضعوا هذه الصهيونية الشريرة المدمرة الخصيمة للأديان جميعا، والخصيمة للخلق والحق والخير جميعا، ضمن هؤلاء الأعداء المشتركين الذين نقف صفاً واحداً أمامهم.

وهذه الصهيونية الشريرة عند ما أوقعت ما أنكره ضمير العالم كله من الظلم على عرب فلسطين، لم تفرق بين المسلمين منهم والمسيحيين بل شمل ظلمها هؤلاء وهؤلاء جميعا.

٢

وهذه شهادة أخرى من عربى مسيحى يقيم فى أمريكا ـ هو الأستاذ . ج . س . حداد يضج بالشكوى من تسخير المعابد المسيحية فى تلك البلاد لخدمة العدوان الصهيونى .

فقد سمع هذا العربى المسيحى متحدثا فى الراديو يخاطب الملايين من مواطنيه الأمريكيين بدعوى إسرائيل أنها تعيش فى رقعة ضيقة من الأرض، وأن الله وهبها أرضا فسيحة غنية تمتد من الفرات إلى النيل . وأن الله اختار هذه الأرض لإسرائيل لأنها تقع فى وسط العالم . وبذلك يكون شعبها مميزا على جميع الشعوب، وتكون دولتهم نقطة انطلاق لجميع المدنيات . . !

ثم يقول المتحدث المذيع على الراديو والتلفزيون إن البلاد المجاورة لإسرائيل ـ يعنى البلاد العربية ـ تحتوى ثروات ضخمة من البترول . وهذا البترول هو : « وفقا لكلمة الله » ملك لإسرائيل ، وقد شاء الله أن تبقى هذه الثروة فى بطن الأرض حتى اليوم تحت إشراف شعوب عربية لم تفد منها لتكون هذه الثروة وديعة فى يدهم يسلمونها لإسرائيل . . !

وكان الذى يقول هذا الهراء ويلقيه فى سمع الأمريكيين جميعا قسا مسيحيا أمريكيا !

ويقول هذا المسيحى العربى إن الدعاية الصهيونية فى أمريكا : « تشوه دينهم ، وتجعل منهم مطية يستغلها الصهيونيون لغايتهم الخاصة . ومن المؤسف حقا أن استغلال الدين المسيحى هو الآن أقوى الوسائل التى يستخدمها الصهيونيون للتأثير على الشعب الأمريكى » .

ونحن هنا أمام حقيقتين يقررهما هذا المسيحى العربى المخلص : أولاهما أن بعض رجال الدين المسيحى فى أمريكا ، يجعلون من أنفسهم ودينهم مطايا لأغراض الصهيونية .

ونحن نعرف ، ورجال الدين المسيحيون هؤلاء أيضا يعرفون ما هى أغراض الصهيونية بالنسبة للعالم العربى . وأنها ليست سوى محو هذا العالم أو السيطرة عليه .

والحقيقة الثانية أن هذه الدعاية الصهيونية التى يشترك فيها قسس أمريكيون ، بل

يسخرون أنفسهم لها . هذه الدعاية - كما يقول المسيحي العربي - : « تشوه دينهم » : دين المسيح . فكيف يرضى العالم المسيحي أن يضع بعض رجال دينه أنفسهم هذا الوضع الذي يظلمون به الإسلام والعرب أفحش الظلم ، ويشوهون به دينهم أقبح التشويه ؟ . : دين الرحمة والمحبة والسلام .

٣

ونحن نعلم أن الكثرة الكاثرة من الأمريكيين تتبع الكنائس الإنجيلية (١) ولكننا نعلم أيضا أن هناك أقلية كبيرة تتبع الكنيسة الكاثوليكية ، تبلغ خمسة وثلاثين مليونا . وهذه الكنائس تسيطر عليها وتوجهها كنيسة الفاتيكان . وتدين تلك بالولاء والقداسة للبابا الذي يرأسها . وهي الكنيسة التي ذكرنا أول هذا المقال أنها تريد أن يقوم تقارب بين العالمين الإسلامي والمسيحي لمواجهة الخطر المشترك الذي يتهددهما . أليس مما يسهل قيام هذا التقارب ، أو هو إحدى وسائله ، أن تعمل كنيسة روما ، وأن يعمل قداسة البابا الذي يرأسها على أن يرفع عن أتباع الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا هذا التيار الجارف الظالم الشرير من الدعاية الصهيونية التي لا يسلطها عليهم الصهيونيون وحدهم . بل يشاركهم فيها من يشارك من رجال الكنيسة التي تنتسب للسيد المسيح ؟

لا ننكر أن الكرسي البابوي في الفاتيكان وقف موقف العداء من الصهيونية . ولكننا نريد مجاهرة بهذا العداء ، وإصراراً عليه ، وإلحاحاً فيه ، بحيث تكون هذه المجاهرة وهذا الإصرار والإلحاح كفواً لذلك الشر الصهيوني الآثم الذي يلقى في مسامع المسيحيين الأمريكيين من بعض رجال الكنيسة ، أو من كثير منهم . ولا شك في أن موقفا كهذا تقفه كنيسة الفاتيكان وحبرها الأعظم كفيل بأن يرد عن الكاثوليك الأمريكيين سطوة هذه الدعاية الصهيونية التي توجه لهم من قسس مسيحيين ، وكفيلة بأن تضعف أثرها في نفوس أتباع الكنائس الإنجيلية أيضا . وهي ، في نفس الوقت ، تجعل الدعوة لهذا التقارب الإسلامي المسيحي دعوة ذات موضوع ، أو يمكن أن ينظر لها الناس نظرة الجد .

٤

وليس الأمر في هذه الدعاية التي يقوم بها رجال من أهل الكنيسة في أمريكا أمر أفراد قلائل غرر بهم الصهيونيون وخدعوهم . بل الأمر أكبر من ذلك وأخطر ،

---

(١) أتباع هذه الكنائس في أمريكا نحو مائة وثلاثين مليونا .

إشهادة المسيحى العربى نفسه ، الذى يقول : « ... وفى الوقت نفسه نجد الكنائس المسيحية قد زادت نشاطها زيادة محسوسة فى السنوات الأخيرة للقيام بأعمالها « التبشيرية » خارج الولايات المتحدة ، خصوصا فى البلاد العربية وإفريقيا ، بينما واجبها الأول هو تركيز أعمالها التبشيرية بين الأمريكيين لمجابهة الصهيونية المغرضة » .

وكذلك يقول المسيحى العربى : « ويلجأ الصهيونيون إلى وسائل مختلفة لترويج دعايتهم بين مسيحى أمريكا . فهم يشجعون عدداً من القسس الذين يقدمون برامج من محطات الإذاعة والتلفزيون بسد نفقاتهم . ثم هم يؤلفون الجمعيات والمنظمات التى تضم رجال الدين المسيحيين واليهود ، والتى تهدف بصورة غير مباشرة إلى نشر الدعاية الصهيونية . ونجحوا أيضا فى تنظيم مؤسسات مسيحية مهمتها توطيد الصداقة بين أمريكا وإسرائيل » [1] .

نحن ندرك المدى الذى تعلقه أمريكا الرسمية وشعبها ، وتعلقه جميع الكنائس المسيحية على محاربة « العدو المشترك » للإسلام والمسيحية . وبالأخص كنيسة الفاتيكان التى تدعو صحيفتها للوقوف صفاً واحداً أمام هذا العدو .

فليتأمل هؤلاء وهؤلاء موقفهم منا ، وليتدبر القوم أعمالهم قبل أن ينتظروا منا أن نأخذ أمر هذه الدعوة وهذا الالتقاء مأخذ الجد .

أما نحن فلا نستطيع أن نترك أمر هذا الحاضر الذى نراه ونحسه نحن المسلمين والعرب ، وكثير من المخلصين المسيحيين أيضاً ، فى فلسطين بخاصة .

٥

دعوة « التقارب بين الإسلام والمسيحية » للوقوف أمام « العدو المشترك » ، تحتاج إلى فهم جديد وروح جديدة ووضع جديد وشمول لجميع الأعداء والخصوم . وعلى هذا الشرط ، كما قلنا ، نستمع إليها ونقبلها ونرحب بها لمحاربة هؤلاء الخصوم المشتركين جميعا .

محمود الشرقاوى

(١) مجلة العربى (الكويت) عدد شهر نوفمبر ١٩٦١

تركستان
ومكانتها فى تاريخ الإسلام

للأستاذ م. روحى أويغور

بلاد التركستان هى التى يطلق عليها اليوم أيضاً اسم آسيا الوسطى وهى بلاد قديمة عريقة الأصل واسعة الأرجاء لها ماضيها العتيد، وتاريخها المجيد، وتقع من البلاد الإسلامية موقعاً هاماً، وتتكون جغرافياً اليوم من التركستان الغربية والشرقية والتركستان الأفغانية، وقد اشتهرت قديماً على صفحات التاريخ الإسلامى ولعبت دوراً هاماً فى غضون عصوره تحت أسماء بلاد ما وراء النهر (سغديانا) وبلاد خوارزم وبخارى وبلاد كاشغر، وبلاد البلخ وغيرها.

وهى بلاد سطرت صفحات تاريخها بالحوادث والوقائع الجمة التى كانت عاملة فى رقيها وعروجها فى عهد، وانحطاطها فى عهد آخر.

وقد لعبت هذه البلاد دوراً هاماً فى ميادين الحضارة والثقافة أيضا حيث كانت ملتقى الطريق بين الشرق والغرب فطرقها وممراتها التجارية ظلت تخدم البشرية جيلا بعد جيل، يحمل عبرها الحرير والمسك ومختلف أنواع البضائع والأقمشة والتوابل والصناعات النادرة من الشرق والغرب وتلتقى عبر هذه الطرق والممرات الحضارات القديمة: كحضارة الصين والهند والفرس والروم. وقد عاشت فيها أقدم أمم العالم وشعوبها كالآريين والقفقاسيين والباكتريين والباوثيين واليونانيين وغيرهم من الأمم الغابرة والحاضرة. وقد عاش فيها الأتراك وما زالوا يعيشون، وقد صنعوا فى التاريخ أخطر الوقائع وبرز منهم أكبر الفاتحين وأقاموا الامبراطوريات الواسعة فظهر منهم محمود الكاشغرى شمس الدولة الذى رفع منزلة الأتراك، وظهر منهم محمود الغزنوى وبابر وتيمور لنك وآل عثمان الذين أقاموا الدولة العثمانية فى الشرق الأوسط من القرن الرابع عشر الميلادى حتى بداية القرن العشرين.

وظهر فيها أعلام الفكر والعلم والفلسفة كالفارابى المتوفى سنة ٨٥٠ ﻫ وأبى على بن سينا المتوفى سنة ١٠٣٧ م والإمام إسماعيل البخارى، وأبى الريحانى البرونى، وبهاء الدين النقشبندى وخواجه عبيد الله أحرار وأبى حفص البخارى وأمير على شيرنوابى وغيرهم

من العلماء والفلاسفة والفقهاء والمحدثين الذين أدوا خدمات جليلة للإسلام، فى ميادين العلم والفلسفة والفن والتاريخ والحديث والفقه والطب والهندسة واللغة وغير ذلك من العلوم.

وقد قال شعراء عصرهم فى حقهم :

علماء الإسلام كانوا بدورا
وسماء البدور تركستان
إن أردت الدنيا ترى المجد فيها
قد أقيمت لصرحها الأركان
أو أردت الدين الحنيف تجده
وهو للبر والهدى عنوان
وطن المصلحين دينا ودنيا
تتغنى بفضلها الأزمان

وكان لسكان هذه البلاد الأتراك ـ أثر بالغ من النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية فى تاريخ الإسلام والمجتمع الإسلامى. فمنذ أن تم فتح بلاد التركستان على يد مسلم بن قتيبة سنة ٨٥ هـ فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك، زالت الحواجز الثغورية بين تلك البلاد وبلاد خراسان وبينها وبين الخلافة الإسلامية فى دمشق وبغداد، فقامت العلاقات السياسية والدينية والثقافية بين الترك والفرس والعرب واندمج الأتراك فى المجتمع الإسلامى فانسلكوا فى الجيوش الإسلامية واشتركوا فى حمل لواء الدعوة الإسلامية وانتشروا فى بغداد ودمشق، ومصر وغيرها ــ واحتلوا المراكز السياسية فى بلاط الخلفاء.

كما نبغ منهم قواد عظام أمثال ايتاخ ووصيف وبغا الكبير وبغا الصغير وباغر واشناس وأحمد بن طولون الذى أسس الدولة الطولونية فى مصر وكذلك محمد بن طغج الإخشيد مؤسس الدولة الإخشيدية فيها. وقد أخذ الأتراك منذ عهد الخليفة العباسى المتوكل بالله سنة ٢٣٢ هـ يقبضون على زمام الأمور فى الدولة الإسلامية وقد كان لذلك أثره الكبير فى دخول الأتراك الإسلام، وانتشار الإسلام فى ربوع التركستان.

ومن أهم هذه الدول الإسلامية التى ازدهرت فى بلاد تركستان وخراسان الدولة السامانية التى حكمت من سنة ٢٦١ هـ إلى سنة ٣٨٩ هـ. ومع أن السامانيين كانوا من غير النسل التركى إلا أن دولتهم التى كانت فى بلاد التركستان اشتهرت بالعدل والإصلاح وتشجيع العلم. وفى عهدهم ازدهرت بخارى وسمرقند مركزا للنشاط العلمى والفنى والثقافى والحضارى مما كان له أثر كبير فى العالم الإسلامى.

وفى عهد الصاحب إسماعيل بن أحمد السامانى سنة ٢٧٩هـ ــ ٢٩٥هـ صارت بخارى عاصمة كل بلاد آسيا الوسطى ووصلت حدود مملكته من الشمال إلى الصحراء الكبرى ومن الشرق إلى جبال تيانشان فى الجنوب وإلى خليج فارس والهند الشمالية وإلى الغرب كما اتصلت بخارى بحدود دار الخلافة فى العراق وفى عهده

عادت لبخارى شهرتها السابقة كمركز للنشاط العلمى والأدبى وظهرت فيها العلوم من جديد وبخاصة الثقافة الإيرانية القديمة فى شكل إسلامى خالص . وقد قال الثعالبى : إن بخارى كانت فى الدولة السامانية بمثابة الحجة وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أرباب الأرض وموسم فضلاء الدهر .

وقد أنجبت هذه البلاد ما لا يحصى من رجال الحديث والفقه الذين خدموا العلم خدمات كبرى بجدهم وصبرهم على البحث ورحلاتهم إلى أقاصى البلدان ، وعلى رأس المحدثين الإمام البخارى الذى ولد سنة ١٦٤ هـ — ٨٥٩ م ، ووضع كتابه جامع الصحاح الذى يعتبر مصدراً معتمداً فى الحديث وقد قال عنه ابن خلكان : إن هذا الكتاب يحتوى على ٧٢٧٥ حديثا جمعها فى ست عشرة سنة وقرأ عليه سبعون ألف تلميذ. وقد توفى سنة ٢٥٤ هـ — ٩٤٩ م ومنهم أبو حفص البخارى الذى كان عالما متبحراً ولد سنة ١٥٠ هـ وكان قائدا للتيار الفكرى سنة ٢٢٧ هـ وهو تلميذ محمد الشيبانى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ بعد أن ترك آثاره الأدبية الزاهرة لتلميذه عبيد الله الفقيه .

ومنهم أيضا الشيخ بدر الدين الذى يقال بشأنه إنه اعتكف أربعين سنة يتعبد ليلا بلا نوم .

ومنهم محمد البدمولى الذى كان قاضيا للقضاة فى عهد إسماعيل ، توفى سنة ٣٠٤ هـ - ٩١٦م وأيضا محمد بن الفضل وكان مفسرا قديراً فى فى بلاد الإسلام ، ويقال أن إسماعيل السامانى قد رجح فضل بلدة بخارى على سمرقند لميزتها العلمية ولصيتها وشهرتها الواسعة. وكان إسماعيل أميراً متدينا عرف بالتقوى . منصفاً يحب العلم والعلماء وكان جواداً عليهم وكان جوده هذا سبباً فى جلب الطلاب من الأقطار البعيدة لطلب العلم فى مدارس بخارى ودور الحفاظ فيها التى ازدهرت فى عهده بشكل لا مثيل له فى سائر بلاد الإسلام ؟

وخرج فى عهد السامانيين كثير ممن بلغوا مبلغ الاجتهاد ومنهم أبى حاتم محمد بن حيان التميمى السمرقندى وهو إمام كبير له تصانيف كثيرة فى الحديث والجرح والتعديل وقد ولى قضاء سمرقند ، وتوفى سنة ٣٥٤ هـ .

وقد كان فى ذلك العهد الزاهر كثير من عظماء الشافعية والحنفية ، فمن أكبر رجال الشافعية محمد بن على القفال الشاشى الذى كان يعد إمام عصره ، فيما وراء النهر ، والذى نشر مذهب الشافعية وله كتب فى الفقه والأصول وقد خرج غازياً فى الحروب التى وقعت بين المسلمين والروم ،وأخذ أسيراً إلى القسطنطينية ثم عاد إلى بلاده ومات فى الشاش سنة ٣٦٥ هـ كما اشتهر من الحنفية الإمام أبو منصور

الماتريدى وهو عند الحنفية إمام فى علم الكلام كالأشعرى عند الشافعية، وله كتاب التوحيد وآراء المعتزلة ومآخذ الشرائع فى الفقه والجدل فى أصول الفقه وغير ذلك، وقد توفى سنة ٣٣٣ هـ ونسبه إلى ما تريد وهو مكان الآن فى سمرقند ثم أبو الليث نصر ابن محمد السمرقندى الملقب بإمام الهدى توفى سنة ٣٧٣ هـ.

وكان من أشهر المتصوفين الذين ظهروا فى بلاد ما وراء النهر وخراسان البلخى، قيل إنه أول من تكلم على أحوال خراسان وقد توفى سنة ١٥٣ هـ ثم أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق وأصله من ترمذ وقد أقام ببلخ وتوفى سنة ١٧٧ هـ، وأيضا أبو العباس ابن القاسم بن المهدى وأصله من مرو، وهو أول من تكلم عندهم فى حقائق الأحوال وتوفى سنة ٣٤٢ هـ وقد ظهرت فى هذه البلاد حركة فلسفية قوية يرجع الفضل فيها أولا إلى شخصيتين من أقوى الشخصيات :

الأولى : شخصية أبو زيد البلخى

وأبو زيد هذا هو أحمد بن سهل البلخى الذى جمعت مؤلفاته بين الفلسفة والعلوم الشرعية والأدب ومن أهم مؤلفاته كتاب أقسام العلوم وكتاب أخلاق الأمم وكتاب نظم القرآن وكتاب اختيارات السيرة وكتاب السياسة الصغير والكبير وغيرها وبلغ ما ألفه ستين كتاباً فى مختلف العلوم. وكان أيضا من أكبر جغرافى العرب. وقد ألف فى الجغرافية صور الأقاليم. وتوفى فى بلخ سنة ٣٢٢ هـ،

والثانى أبو حنيفة الدينورى وكان من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب.

وهناك علم ثالث أيضا هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد الكعبى وكان من بلخ وكان معاصراً لأبى زيد واشتهر بتبحره فى علم الكلام وهو رأس من رؤوس المعتزلة له مذهب وأتباع يقال لهم الكعبية وقد توفى سنة ٣١٧ هـ.

وقد توج عهد السامانيين بظهور الفيلسوف الكبير أبى على بن سينا، درة الدولة وهو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على ابن سينا أصله من بلخ، ولد فى بخارى وعاش فى عهد نوح بن منصور السامانى من سنة ٣٧٠ هـ إلى ٤٢٨ هـ وهو أكبر فلاسفة الإسلام، احتل اسمه شهرة ومكانة لم ينلها أحد غيره من فلاسفة الشرق، وظل كتابه (القانون فى الطب) يدرس فى الشرق والغرب إلى عهد قريب، وكتابه (الشفاء والإشارات والنجاة) يعد مرجعا لدارسى الفلسفة الإسلامية، وأن شهرته العلمية لا تحتاج إلى تعريف.

وقد شجع السامانيون الحركة الأدبية والعلمية، فكان من الأدباء الذين ظهروا فى هذا العهد وأشهرهم أبو الفضل محمد بن

عبيد الله البلعمى وأصل أجداده عرب من تميم استوطن فرعهم فى بخارى ، وكان وزيراً لنصر بن أحمد بن السامانى ، وقد قام بترجمة تاريخ الطبرى إلى اللغـــة الفارسية ، وتوفى فى سنة ٣٦٣ هـ . والثانى أبو عبيد الله محمد أحمد الجيهانى وله كتب عديدة وقد استوزر أيضاً لنصر بن أحمد ، ومن الشعراء والأدباء الذين يستحقون الذكر محمد بن موسى الحدادى البلخى ، وأبو بكر الخـــوارزمى المتوفى سنة ٣٨٣ هـ ، وبديع الزمان الهمذانى ، وقد توفى بهرات سنة ٣٩٨ هـ وله مقاماته المشهورة التى حذا حذوها الحريرى فيما بعد .

ومن أئمة اللغـــة : العلامة الأزهرى أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهرى وأصله من هرات ، ولد بها ومات بها ، وقد صنف فى اللغة كتاب التهذيب فى عشر مجلدات وهو من الكتب التى ذكرها ابن منظور فى كتابه لسان العرب وقد توفى الأزهرى سنة ٣٧٠ هـ

وهناك طائفة كبيرة أيضا من الأمراء والأدباء من نسل العباسيين وغيرهم جاءوا إلى هذا الإقليم . وكذلك الجوهرى صاحب كتاب الصحاح وهو إسماعيل بن حماد وأصله من فاراب وكتابه الصحاح يعد من أمهات كتب اللغة ، وقد لخص وترجم هذا الكتاب إلى الفارسية جمال القرشى من نسخة وجدها فى خزانة كتب المدرسة الصاحبية البرهانية فى كاشغر فوضع كتابه المعروف بالصحاح .

وأيضا من علماء اللغة والأدب أبو عمر أحمد بن محمد بن إبراهيم الزوزنى نسبة إلى زوزن ، وهى بلدة بين نيسابور وهرات ، وقد خلف لنا شرحا على المعلقات السبع ، وتوفى بزوزن سنة ٣٧٤ هـ .

وهناك أيضا طائفة كبيرة من الأمراء والأدباء من نسل العباسيين وغيرهم جاءوا إلى هذا الإقليم من العراق ، فشجعوا الحركة العلمية تشجيعا عظيما بسبب ما بذلوه من مال وجهروا به من رأى . وكان من أشهر هؤلاء أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأمونى وهو من نسل المأمون ... ومن الأمراء والأدباء غير العباسيين الذين اشتهروا أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى وأبو محمد ابن عبد الله بن إسماعيل الميكالى وغيرهما ، وآل ميكال كانت أسرة كبيرة من سادة خراسان .

م ٠ روحى إيفور

نفحات القرآن

التبشير بالخير

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« وما جعله الله إلا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم »

١ — كثيراً ما نجد الخير محفوفا بالمكاره ، والنجاح يتعثر فى أوهام الخوف ، والإنسان بطبعه يطمع فى الخير غير مشوب بكدر ، ولا يحب أن يتحمل فى سبيله شيئاً من عناء .

ولكن سنة الله فينا ، أن يبتلينا غالبا فيما يجرى علينا من أقضية ، ليكون للمرء فى حياته تفكير ، واختيار ، وله محاولات وجهاد . . ثم تلاقيه النتائج المحتومة ، فيفرح بما سعى إليه من خير ، ويرضى عما بذل من جهد .

أو يراجع نفسه فيما ضيع ، ويلومها على ما فرط . وتكون العبرة من شأن هذا وذاك لمن أراد أن يتخذ إلى الخير سبيلا ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من وعظ بنفسه .

وقد سبقت لنا غزوة بدر الكبرى ... يتناولها الكاتبون من نواح عدة ، وفيها - بحق - مجال للفكر ، وفسحة للعبرة . وفيها مناط للحمد على ما أراد الله بالمسلمين فيها وما قدر لهم بها من الغلبة على عدو الله وعدوهم جميعا .

حتى كانت هذه الغزوة - كما نظل نقول - أول حلقة محكمة من سلسلة الجهاد المظفر للمسلمين .

٢ — كان النبى - صلوات الله عليه - على سابق الوعد من الله أن يمكنه من عدوه فى العير أو النفير . فلما أفلتت العير بتجارتها وتبين النبى وصحبه أن الوعد السماوى أصبح عالقا بالحرب لا محالة ، ومع أن النبى كان على ثقة من وعد ربه ، فقد خشى على المسلمين أن تأخذهم رهبة العدو الكثير ، أو ينال منهم الأذى فى غير احتمال .

فكان من دعائه لله نحو القبلة : اللهم أنجز لى ما وعدتنى ... اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فإنك لن تعبد فى الأرض، اللهم هذه قريش أتت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك : اللهم فنصرك الذى وعدتنى .

وما كان هذا الدعاء عن ضجر ولا يأس ، وإنما هو صدى الإيمان ، وظاهرة الثقة فى الله أن يستجيب ، وهو مظهر الأمل الصادق فى رعاية الله لجنده ، وأمارة على توقع الظفر بالمطلوب .

وكان الله — سبحانه — عند ثقة محمد وصحبه فى أنه لن يخزيهم لعدوهم أبدا . . . طمأن الله رسوله بالبشرى الواضحة ، والفأل الأكيد ، إذ أوحى إليه « إنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » وهل هناك بشرى تكون خيرا من معونة الله بالملائكة تقاتل فى هذه الشدة مع النبى وصحبه ، كان جائزا أن يؤيدهم الله بالملائكة من عنده دون خبر سابق .

ولكن الله أراد أن يبادر رسوله وصحبه بالبشرى لما وراءها من مقاصد يحتاجها المجاهدون فى موقفهم هذا ... وناهيك بألف من الملائكة متبوعين بغيرهم يجاهدون مع المؤمنين .

٣ — فما مقاصد البشرى التى يمن الله بها على عباده ؟ .

ا — اطمأنت بها القلوب ، وذهب عنها الخوف الذى أثارهم وقتا ما ، فجادل بعضهم بعضا فى التعرض للحرب ، والخوف نقمة بغيضة تكدر صفو الحياة ، والطمأنينة راحة وهناءة ، ولا تطيب من دونها حياة .

ب — تجمعت قلوبهم المتفرقة فى سورة الخوف ... والخوف طبيعى لا يعاب عليهم ، ولكن البشرى أطمعتهم فى الكثرة الباغية ، وأيقنوا أن قلتهم — وإن تضاءلت — هى جند الله ، وأن النصر لا يقاس بالكثرة والقلة ، وإنما يقاس بالإيمان ، وبالثقة فى الله أنه حق ، وأنه لا يحق إلا الحق (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله !!) .

ج — غشيهم النعاس : راحة وأمنا ، والنعاس لا يدنو من المهموم ، وإنما يظل مسهد الأجفان يساوره الأسى .

ويكون النعاس عند فراغ الذهن ، والتهيؤ للاستجمام .

د — واتاهم مع البشرى ماء المطر ، فتنظفوا ، وتطهروا ، وتجدد نشاطهم إلى ما يلاقونه ، وزايلتهم الوساوس ، وتلبدت تحتهم الأرض ، فثبتت عليها أقدامهم ، ولم تعد تسيخ فيها كما هو شأن الرمال .

هـ — جمعوا من الماء ما يفيدهم وتوافرت لهم أسباب لم تكن لعدوهم ، حتى كانت الأمطار

وبالا على المشركين فى موقفهم وتجمعهم .

كانت هذه البشرى كلها يمناً وبركة على محمد وصحبه ، وكانت كما وصفها الله وأشاد بها ، (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) وكفى بالأمر حسنا أن يسميه الله بشرى .

و — خلقت هذه البشرى فى أصحاب محمد عزائم مشبوبة ، وآمالا فتية مرجوة ، ورغبة فى الحرب لا تخالجها ريبة فى الانتصار وإن اقتضى جلادا وتضحية .

وأصبح شاخصا أمام الفرد ، وأمام الجماعة منهم أن العاقبة إحدى الحسنيين : ظفر بالعدو ، ومجد للإسلام ... أو استشهاد وخلود فى دار السلام .

وكلتاهما غاية يفتديها المسلم العربى بروحه ، وأهله ، وماله ، وبما هو أعز عليه من ذلك لو كان !

لأنها حياة فى عزة ، وهم أعشق الناس للعزة وأعرف بها !

أو : هى ممات فى شهادة لله ، وهناك خلود فى نعيم بجوار الله ؟

كانت البشرى سابقة على خوض الحرب ... وكانت نتيجتها كما قدروا نوزا فى تلك الحرب .

ز — صدق الله وعده بالبشرى ، ونزلت الملائكة ـ ولا جرم ـ .

ولكن : هل حاربوا بأنفسهم مع جنود المؤمنين ، كما هو مشهور ، ووردت به آثار راجحة ؟ ؟

أو نزلوا ليكثر بهم سواد المسلمين فى نظر العدو ، وتحدث بهم الرهبة فى نفسه ، ويكون الجلاد والجهاد من عمل الناس ؟ ذلك الرأى الأخير ما يقول به علماء : مستشهدين له بظاهر قوله تعالى « وما جعله الله إلا بشرى . . » .

يفهمون : أن الله لم يجعل الإمداد بالملائكة للحرب ، بل للبشرى والتأييد فحسب ، ويقولون : لو كان للملائكة حرب لم يكن لأهل بدر فضل ، ولا استحقوا تلك المثوبة التى ثبتت لهم فى القرآن ، وعلى لسان الرسول ، وهذا توهين مرجوح . . وعلى أى حال : فالملائكة مدد مبارك ، وتأييد مشهود .

وهذا شأن ربك مع كل مجاهدين فى سبيله متى كانوا على نية صادقة وعزيمة خالصة ، ولائذين بمعونة الله ، فإنه هو وحده الناصر دون غيره ، مهما تكاثرت الأجناد ، وتضاعفت الأمداد « وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » .

تجلى ذلك فى توجيه الله لملائكته أن يثبتوا المؤمنين بالإلهام ، والمؤازرة فى إرهاب العدو ، والتسلط عليه بالوهن ، وإطاحة الرقاب ، حتى كان الواحد من الكفار تطير عنقه قبل أن تتمكن منه ضربة السيف من يد المسلم « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

فإن تكن البشرى فى غزوة بدر ذات أثر أكيد، وإلى حد بعيد فى انتصار المسلمين، فإن الله قد أخذ على نفسه العهد أن ينصر من ينصر دينه، وأسلم إلى الله وجهه، «إن تنصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم».

ونحن فى الحياة على ما بها من شواغل لا نجد غير الله عونا، ولا من دونه نصيرا فهو ولينا، يهدينا سبلنا، ويعلم متقلبنا ومثوانا.

تلك: هى البشرى وما كان لها من فضل فى توجيه المسلمين إلى ما يخشونه من عدو كان يستهين بهم، ويترقب الغلبة عليهم، ليستأصل جماعتهم الناشئة التى بدأت تناهضهم وتنتقص من جبروتهم وسلطانهم، ولم يكن ذلك عندهم فى الحسبان.

ح — وأنت ترى لفظ البشرى يساق فى كل مقام يعنى به القرآن، ويلوح فيه للمؤمنين بأنهم أصحاب الحظ فيما يطمحون إليه.

وانظر — مثلا — إلى قوله تعالى «فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه — يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان، وجنات لهم فيها نعيم مقيم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار...».

وفى شئون الدنيا كذلك: «ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى.. فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب — يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه — يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى».

ونظرا لما تحمله البشرى من ترويح عن النفس، ولما تبعثه من بهجة كان حامل البشرى إلى الناس محببا عندهم، ومستطاب الحديث فيهم، ومرموقا منهم بعين الرضا.

ومن حقه عليهم أن يحبوه، ويوفوه حقه من التقدير، بنسبة ما جاءهم به من خير يرتقبونه. فليس كثيرا على رسول الله أن يكون حبه محتوما علينا، وأن نتخذ من حبه تعلقا بمتابعته فى دعوته لصالح أنفسنا، ووفاء بواجب العهد مع من جاءنا بتشريع الله، وبشرنا برحمته، وكافح فى إنقاذنا من ظلمات الجهالة، والضلال.

ليس كثيرا على محمد أن يكون حبه عبادة وقربة تظفر بها عند الله: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى، يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم»، وهذا شىء مما نستمده من أثر بشراه ولأن البشرى ذريعة إلى كسب المحبة، ومفتاح للخير كان النبى داعيا إليها فى قوله صلى الله عليه وسلم: بشروا، ولا تنفروا.

وأنت لا تجد لفظ البشرى إلا فى معرض التفاؤل، وسياق التطمين على ما يتعلق به المؤمن، أو الإنسان عامة من رجاء..

(البقية على صفحة ٩٦٩)

الولىّ ضرورة فى عقد الزّواج

للأستاذ ابراهيم عبد الباقى

منذ أن استقر حكم الدولة العثمانية فى مصر ، وعين أول قاض حنفى والقانون ملتزم مذهب أبى حنيفة الذى يرى أن المرأة الرشيدة يصح أن تزوج نفسها من غير الولى ، وقد توالت السنون ، وتعاقبت الدهور على هذا الرأى ، والمشترعون واقفون جامدون أمام الزمن المتجدد الذى لا يقف ، ولم يفتحوا أعينهم على المآسى الاجتماعية والنكبات الخلقية التى نجمت من انفراد المرأة بعقد زواجها من غير أن يشرف عليها الولى الذى هو أبعد نظرا وأكثر تبصرا بعواقب الأمور .

ولماذا نقلد مذهبا واحدا ، وندع رأى الجمهور وقد نطقت الحوادث ودلت التجارب على أن وجود الولى أحكم ، وعدمه فى عقد النكاح كثيراً ما أوقع المرأة فى مآسى اجتماعية ونكبات خلقية .

وقد استفاضت كتب الحديث فى أن عقد الزواج لا يصح إلا بولى للصغيرة والكبيرة . استفاضة لا مطمع فيها لمنكر إلا لمتأول تأويلا نائيا عن الصواب .

ومن رعاية الله تعالى للإنسان أن جعل شريعة الإسلام صالحة لكل زمن وجيل لما فيها من عنصر المرونة .

وكان عمر رضى الله عنه إذا ما سن قانونا ينتظر ماذا يكون أثره ؟ فإذا لم يحقق الغرض المنشود أو تحايل الناس عليه سرعان ما بدله بغيره واستغفر ربه .

هذا عمر لما وجد النساء يتحايلن على القانون فيسرعن إلى فطام أطفالهن ليأخذن نصيب الأطفال قبل إتمام الرضاع بادر إلى تغييره ، لكى يكفل للأطفال حقهم فى الرضاع .

فلماذا لم يتبعوا عمر فى سياسته وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا [١] باللذين بعدى أبى بكر وعمر » ، ويغيروا الوضع الذى جرت عليه المحاكم الشرعية فى إباحة زواج المرأة نفسها من غير أن ترجع إلى الولى ، ومن العجب العجاب أن المحاكم الزمت كتاب العقود (المأذونين) صيغا

---

(١) لابن عدى فى الكامل من أنس رضى الله عنه .

محدودة فى كتابة العقود كأنها تنزيل من حكيم حميد ، ولو حادوا عنها ولو بلفظ واحد عوقبوا عقابا صارما لا رحمة فيه ولا هوادة .

فماذا على رجال القانون لو عدلوا عن هذه النظم البالية ، وأخذوا أحكامهم من المصدر الأول وهو كتاب الله وسنة رسوله ، المأمونى الخطأ اللذين أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يجاور ربه بأن من اعتصم بهما لن يضل أبداً .

ولماذا تكون كتابة العقود على مذهب أبى حنيفة فحسب ، وشريعة الله الخالدة واسعة لا تضيق ذرعا بكل جديد ما دام فى دائرة الطيبات وفيه الخير لبنى الإنسان .

إن الفقه قانون الحياة ، والحياة فى تطور ، فيجب على الباحث أن يكون حرا فى حياته العملية . فلا يلتزم مذهبا معينا بل يتوخى المعنى الصحيح يسير مع الحق حيث سارت ركائبه .

وإذا كانت النبوات سايرت الإنسانية البشرية جمعاء فى أدوار تاريخها ، حتى إذا هضمت غذاء أمدتها بغذاء آخر ، وكلما أجدبت عليها الدنيا وأقفرت أمطرتها بوابل من غيثها ، وهكذا حتى بلغ العقل رشده ، جاء دور البعثة المحمدية التى كانت نهضة للإنسانية وثورة عامة على الوحشية ، وغذاء سرى فى جميع أقطار الدنيا ـ أسعف الله بها البشرية الخالدة التى تساير الزمان الذى يتجدد ولا يقف ، ففيها لكل حادثة حكم ، ولكل ضلالة هداية ، ولكل ظرف تقدير ، ولكل مشكلة حل ، كما أنها لا تدركها الشيخوخة ولا الانحلال لأنها جاءت بأحكام كلية ، يستنبط منها العلماء المجتهدون الأحكام التى تنطبق على كل زمن وجيل ، فمن أبطل الاجتهاد فيها فقد رماها بالركود ، وأصبحنا فى حاجة إلى تشريع جديد ، وأنى لنا ذلك وقد انقطع الوحى وانتهى دور النبوات ، إنها لإحدى الكبر أن نبطل الاجتهاد فى الشريعة الغراء فنحكم على العقل بالإعدام ، الذى هو هبة الله للإنسانية .

وكم رفعت الصوت عاليا على منابر المسلمين وكان يدوى فى آذان المستمعين ، ومنهم من له مكانته الرسمية ، فلم أجد من يصيخ إلى شكاتى ويسمع أنات أحزانى ، فكم من فتاة استبدت برأيها ولم تشرك وليها فى زواجها ، فوقعت فى محنة ليس لها من دون الله كاشفة ، فهى بين أمرين : إما أن تعيش عيشة ضنكا ، أو تضطر لفراق زوجها بعد أن كسدت بضاعتها فى سوق الزواج ، ولا ننسى ما يساور الآباء من هموم وأحزان ، وتنهدات موجعات تنتاب الأمهات على ما أصاب بناتهن فى أكبر أمنية لهن فى الحياة .

ولقد أكثرت الصحف اليومية من ذكر

هذه المآسى ، وأقرب حادثة منها تتلخص فى أن فتاة من أسرة عريقة المجد تدرس فى السنة الأخيرة فى كلية من الكليات هام بحبها شاب من بيت وضيع كان يشغل مهنة حقيرة ، وقد ورث عن أبيه شيئا لا يكاد يذكر فاشترى به ملابس ، وفى كل يوم يلبس جديدا ويقابل هذه الفتاة ، ويغرر بها ، حتى أوهمها أن أباه فلان الثرى فانخدعت بزخرف قوله ، ومعسول لفظه ، ورضيت أن تكون له زوجة ، وكتمت الأمر عن أبيها حتى لا يقف فى طريق زواجها ولبثت معه بضعة أشهر حتى نفد ما معه من المال . وفى اليوم الذى انعقد فيه النكاح من العام الآخر كان طريح السجن لعجزه عن نفقتها . وهذا كله نتيجة استبدادها بزواج نفسها من غير ولى .

ولنا فى القائمين الآن على الأمر أمل فى أن يستمعوا لقولى : ويرحموا بنات جنسى من هذه المآسى الاجتماعية ، فيضيفون إلى رضائهن رضاء الولى ، وما أيسر هذه الخطوة على المصلحين ، وما أجل نفعها على الملايين ، والأدلة على ضرورة الولى كثيرة منها ما يأتى:

١ ــ حديث [١] عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أيما امرأة تزوج بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجروا فالسلطان ولى من لا ولى له .

٢ ــ حديث [١] أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها» .

٣ ــ حديث [٢] أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا نكاح إلا بولى » .

هذه الأحاديث وكثير غيرها أقوى ما استدل به الجمهور من السنة لأنها صريحة لا تقبل التأويل إلا إذا عارضها نص آخر يساويها فى الصحة على الأقل ، ولم نجد للمخالفين أدلة سوى قول الرسول صلى الله عليه وسلم [٣] « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن » ، وهذا الحديث ونحوه لا يعارضان الأحاديث السالفة الذكر ، لأنهما قيلا لشىء آخر ، وهو أن الثيب لها الخيرة فيمن تريد زواجه فلابد من رضاها إن كانت ثيبا ، والبكر يمنعها الحياء من التصريح فلا بد من استئذانها ، وليس المراد أن الثيب تزوج

(١) رواه أحمد وغيره .

(١) ابن ماجه وغيره .
(٢) ابن حبان وغيره .
(٣) مسلم عن ابن عباس .

نفسها وتوكل من يزوجها مع وجود الولى ، أما عقد النكاح فأمر آخر .

وقد أخرج النسائى عن عائشة : أن فتاة دخلت عليها فقالت : إن أبى زوجنى من ابن أخيه يرفع بى خسيسته وأنا كارهة ، قال :

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأرسل إلى أبيها ، فدعاه ، فجعل الأمر إليها ، فقالت : يارسول الله ، قد أجزت ماصنع أبى ، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس للآباء من الأمر شىء ، ولفظ النساء عام للثيب والبكر — أما الأدلة من الكتاب فقول الله تعالى (١) « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف » .

وجه الدلالة فى الآية الشريفة أن الله سبحانه خاطب الأولياء فنهاهم عن منع النساء من الزواج بمن يرضونه لأنفسهم ، فلو لم يكن لهؤلاء الأولياء حق المنع لما كان لخطابهم بمثل هذا وجه ، ويكون الخطاب للنساء هكذا « إذا منعتن من الزواج فزوجن أنفسكن ، ولا تبالين بمن يمنعكن . ومثل هذه الآية قوله تعالى (٢) « فانكحوهن بإذن أهلهن » وقوله (٣) أيضا « وأنكحوا الأيامى منكم » فقد خاطب الله تعالى الأولياء ولم يخاطب

النساء ، وقال الشافعى رضى الله عنه : لا ينعقد نكاح امرأة إلا بعبارة الولى القريب ، فإن لم يكن فبعبارة الولى البعيد ، فإن لم يكن فبعبارة السلطان ، فإن زوجت نفسها أو غيرها بإذن الولى أو بغيره بطل هذا .

وقد أجاب من يرى صحة عقد النكاح من غير الولى بجوابين أحدهما : أن الأحاديث التى تفيد اشتراط الولى فى صحة العقد مقيدة بالكبيرة ، ولا يشترط الولى إلا إذا كان بها جنون مطلق .

ثانيهما : — أن المرأة أثبت لها الشرع الحرية المطلقة عند بيعها وشرائها وجميع معاملاتها متى كانت رشيدة ، فلا وجه لمنعها من عقد الزواج ، ولماذا لايقاس عقد النكاح على عقد البيع . ولا يخفى أن هذه حجة واهية بدهية البطلان لأن الفرق شاسع بين عقد النكاح وعقد البيع لأن الأول يتعلق بالأعراض وتكوين الأسرة التى عليها عمارة الدنيا ـ فيجب أن يحتاط فيه بأكثر من غيره .

ثانياً : إن القياس يعمل به إذا أعوزنا الدليل على الحكم الذى نريده ، وقد قام الدليل من الكتاب والسنة على خلافه .

ثالثاً : إن هناك دواعى قوية يكفى أحدها فى خداع المرأة فيمن تريد زواجه أهمها الغريزة الجنسية التى أودعها الله الذكر والأنثى .

---

(١) سورة البقرة ٢٣٢ .
(٢) سورة النساء ٢٥ .
(٣) سورة النور آية ٣٢

بهذا كانت المرأة عرضة للإندفاع فى وقوعها فيمن لم يكن كفءا لها ، وربما كان خادما لها. وقد طالعتنا الصحف اليومية بكثير من هذه المآسى الاجتماعية والنكبات الخلقية ، كما أشرنا من قبل ، وليت هذا الضرر يقتصر على الزوجة فحسب ، بل يتعداه إلى الأسرة بتمامها حيث يعيرون بإدخال عنصر آخر بينهم لا يدانيهم حسبا ولا نسبا وربما أدى ذلك إلى ما هو أكبر خطرا وأعظم جرما .

شروط الولى :

يشترط فيه أن يكون ذكرا كما هو الراجح ، وأن يكون بالغا عاقلا مسلما إذا كان المعقود عليها مسلمة ، وأن يكون من الأقربين إليها الأقرب فالأقرب ، فإذا انتفى شرط من الشروط انتقلت الولاية إلى الأقرب الذى يليه ، فإذا لم يكن لها أوليا. فوليها الحاكم ، وقد اتفق الفقهاء أنه لا يكون إلا من الأقربين . والجمهور أنه الأقرب من العصبة . وروى عن أبى حنيفة أن ذوى الأرحام من الأولياء ، والذى رجحه صاحب الروضة الندية أبو الطيب صديق بن حسن أن الأولياء هم قرابة المرأة الأولى فالأولى الذين تلحقهم الغضاضة إذا تزوجت من غير كفء وكان المزوج لها غيرهم ، وهذا المعنى لايختص بالعصبات بل قد يوجد فى ذوى السهام كالأخ لأم وذوى الأرحام كابن البنت ، وربما كانت الغضاضة بينهما أشد منها مع بنى الأعمام ونحوهم فلا وجه لتخصص ولاية النكاح بالعصبات ، كما أنه لا وجه لتخصيصها بمن يرث .

مضى ثم صاحب الروضة الندية بعد أن ذكر أن الأولياء لا يختصون بالعصبات قال : ولا شك أن بعض القرابة أدخل فى هذا الأمر من بعض ، فالآباء والأبناء أولى من غيرهم ، ثم الإخوة لأبوين ، ثم الإخوة لأب أو لأم ، ثم أولاد البنين وأولاد البنات ، ثم أولاد الإخوة وأولاد الأخوات ، ثم الأعمام والأخوال ، ثم هكذا من بعد هؤلاء . ومن زعم الاختصاص بالبعض دون البعض فليأت بالحجة ، وإن لم يكن بيده إلا مجرد أقوال من تقدمه فلسنا ممن يعول على ذلك ، وبالله التوفيق . هـ .

واجب الولى : على ولى الأمر أن يتقى الله تعالى فى رحمه فلا يعضلها ، عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم[1] « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » . كذلك يختار لها الزوج الصالح حتى إذا أحبها نالت حقها وإذا أبغضها لايهضمها حقها ، فيمسكها بمعروف أو يسرحها بمعروف .

إبراهيم عبد الباقى
من علماء الأزهر الشريف

(١) الترمذى وغيره عن أبى هريرة .

مجمع البحوث الإسلامية

مجال أمين لدراسة تاريخ المسلمين

للأستاذ فتحي عثمان

كاتب هذه السطور، درس التاريخ فى كلية الآداب، وتخصص فى دراسة التاريخ الإسلامى وأعد رسالة جامعية فيه ...

وكاتب هذه السطور لم يدرس فى كلية الآداب - خلال دراسته الطويلة بها - منهج المؤرخين المسلمين فى (الرواية والإسناد) ، وأحوال (الرجال) ما بين التعديل والتجريح. وإنما عرف هذا فى غير كلية الآداب ، وأفاد من دراسة علوم السنة - وهى الأساس المنهجى للرواية العلمية عند العرب فى التاريخ وفى الأدب أيضا ، وكانت هذه الإفادة خارج دروس كلية الآداب كذلك. وعرف الكاتب أن للطبرى سلاسل إسناده ، وأن أصول هذه السلاسل ليست فى درجة واحدة من القوة ، فسيف بن عمر غير هشام بن محمد ، ولكل سلسلة حلقاتها التى تتفاوت قوة وضعفا ، وعلى هذا ينبغى أن يفحص الخبر فى سنده كما يفحص فى متنه ، فالعهدة على الراوى كما يقولون ، ودراسات علماء الحديث نماذج مثالية لهذا المنهج العربى الأصيل الفريد .

وعرف هذا الناشئ الذى ينشد البحث أن الخبر لا يكون حجة لمجرد أنه مودع بين دفتى كتاب تاريخى مشهور كالطبرى أو البلاذرى ، أو المسعودى أو ابن الأثير . فإن تدوين التاريخ كما تأثر بقواعد منهجية ، تأثر بأهواء فكرية وشخصية ! ومن المعروف أن المروى عن ابن اسحق أو الواقدى ، أو ابن هشام أو ابن سعد فى السيرة النبوية - وهى القطعة من التاريخ التى تقدسها ضمائر المسلمين - ليس له من الضبط العلمى مثل ما للحديث المروى فى الصحاح والسنن والمسانيد والموطأ . فقد كان (الأخبارى) أقل ضبطا وتدقيقا من (المحدث) ، وقد تعرضت كتابة التاريخ فى عصر بنى العباس لأهواء شعوبية وحزبية ، وتعرضت لمزالق النوادر واللطائف التى تروى فى مجالس الأدب كأنها من وقائع التاريخ ! !

عرفت هذا كله خارج كلية الآداب ...

وكنت أتوق إلى أن أرى دراسة التاريخ الإسلامى تقوم على دراسة منهج علماء

المسلمين ، ودراسة أحوال (الرجال) ما بين رواة ومصنفين .

وكنت أتوق إلى أن أرى قبل ذلك كله دراسة للتاريخ الإسلامى فى ضوء العقيدة الإسلامية والنظام الإسلامى ، كما يدرس تاريخ اليونان فى ضوء الميثولوجيا والفلسفة اليونانية ، وكما يدرس التاريخ المصرى القديم فى ضوء العقائد المصرية القديمة ، وكما يدرس التاريخ الرومانى فى ضوء النظم القانونية والاجتماعية الرومانية .

وكنت أتوق كذلك إلى أن أرى دراسة التاريخ الإسلامى تستهدف دراسة تاريخ المجتمع الإسلامى لا الحكام المسلمين !!

ومراجع التاريخ الإسلامى لم تكن مراجع (أرستقراطية) مقصورة على رواية أخبار الخلفاء والوزراء ! لقد كان تاريخنا تاريخ شعوب لا تاريخ ملوك ، ولقد علمنا ديننا ألا نسبح بكرة وعشيا إلا للكبير المتعال ، وألا نحمد إلا الله على كل حال ، والمسلمون بعد ذلك سواسية ، كلهم مخلوقون وكلهم عباد !

ومن هنا كان بجوار المراجع العامة فى تاريخنا ، كتب (التراجم) التى تقدم شخصيات المجتمع الإسلامى من علماء وأدباء على اختلافهم ، بجانب تقديمها الحكام والقواد ، وهى تقدم مشاهير النساء كما تقدم مشاهير الرجال على السواء ! وكتب (الطبقات) عندنا تتناول المحدثين والفقهاء والأدباء والحكماء والأطباء ، وهى تفصل القول أحيانا فتعرض لطبقات الشافعية أو الحنابلة أو الصوفية . ولدينا كتب (البلدان) وتاريخها ، وهى تقدم لنا صورة مجتمع البلد وشخصياته المختلفة ، ومنها الكتاب الممتع للبغدادى المعروف بتاريخ بغداد الكبير .

ولو درسنا تاريخ المجتمع الإسلامى لتكشفت لنا حقيقة التيارات العميقة التى قذفت بالحركات الشاذة إلى أعلا السطح ، وهى حركات لا ينبغى المرور عليها مرآ سريعا !! إن فتنة الزنج حدث اجتماعى كبير ، وفتنة القرامطة حدث اجتماعى كبير ، وحدوث انحرافات عقائدية وتحولها إلى كيان اجتماعى انعزالى حدث نفسى فكرى خطير ، فوجود النصيرية والدرزية واستمرارهما يحتاج إلى مناقشة !! وأصل الأصول وأس الأمور أن يدرس تحول المجتمع الإسلامى من مجتمع قبلى إلى مجتمع عالمى ، من مجتمع بسيط إلى مجتمع مركب ، من حكم أبوى مشيخى إلى دولة أمبراطورية ملكية . . . ولو درس هذا التاريخ على هذا النحو لانكشفت أسرار توجيه الظروف ودس الأعداء فى حدوث وقائع تاريخنا أولا ، وفى فهم هذه الوقائع بعد ذلك !

إن تاريخنا يحتاج إلى القوى الأمين ...

يحتاج إلى القوى الدءوب على البحث ، الذى لا يضجر من ركام الأخبار وأكداس الروايات ، ولا يجهد من متابعة الفحص والتمحيص !

لقد وجدت اللغة الهيروغليفية من يفك طلاسمها ، ووجدت اللغة اليونانية من يتعمق فى أساطيرها وفلسفتها ، ووجدت الحضارة الرومانية من يتفهم نظمها ونزعتها ... وخرّجت المدرسة التاريخية المصرية ، فى (تاريخنا القديم) : سليم حسن وسامى جبرة وأحمد فخرى وأحمد بدوى وعبد المنعم أبو بكر وابراهيم نصحى ... فأين أعلامنا فى التاريخ الإسلامى ؟ ؟

إن تاريخ الحروب الصليبية لم يكتب بعد كتابة عصرية من وجهة النظر الإسلامية ... وقد شكلت لجنة من أعلام التاريخ فى الغرب لتشكيل الصورة النهائية لتاريخ هذه الحروب ـ من وجهة النظر الأوربية طبعا ، وكان بين الأعلام العشرة المرشحين لهذا العمل الخالد عالم مصرى ! !

وإن المقتطفات المتنافرة فى مراجع « الحوليات » الإسلامية عن الحروب الصليبية قد جمع شتاتها المستشرقون ، وظهرت مجموعة مطبوعة بجهود إيطالية ! !

وتاريخ الأندلس الإسلامى ما زال مجالا فسيحا للبحث والدراسة ... وبارك الله فى جهود الدكتور حسين مؤنس حتى يتم ما بدأه فى سفره النفيس الفريد « فجر الأندلس » ، وفى جهود الأستاذ محمد عبد الله عنان المحامى الذى شغف بهذا الموضوع من قديم .

وتاريخ الإسلام فى جزر البحر المتوسط فى قبرص وكريت وصقلية وغيرها ... يحتاج إلى بحث ودراسة ، والبحوث التى ظهرت فيها حديثا لمؤلفين من العرب تعد على الأصابع .

وتاريخنا الإسلامى الحديث ... تاريخ « الخلافة العثمانية » وتقويمها الصحيح فى ميزان الإسلام ، تاريخ الاستعمار الصليبى الحديث من عسكرى واقتصادى وفكرى ، تاريخ حركات التحرر فى صورها المختلفة ، هل نترك هذا كله « للوثائقيين » يعالجون جذور كياننا معالجتهم الجزئية الضيقة ؟؟

يرحم الله أستاذ المدرسة المصرية فى التاريخ شفيق غربال : كان أول من قال فى عصرنا فيما أعلم ـ أن التاريخ الإسلامى مفتوح حتى أيامنا هذه ، وأن الغربيين إذا كانوا قد أنهوا تاريخهم « المسيحى » عند العصور الوسطى لأنهم فصلوا بين الدين والدولة فى تاريخهم الحديث ، فإن المسلمين لا ينبغى أن يقلدوا ما ذاع وشاع عند غيرهم ، فهو يفقد عندهم حجة التبرير !!!

ويحتاج التاريخ الإسلامى إلى الأمين ...

الأمين الذى لا يتأثر بأهواء الشعوبية القديمة ، وأهواء الاستشراق الحديثة ... ويبدأ العمل مراقبا لله ، مخلصا للعلم : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد - كل أولئك كان عنه مسئولا » .

الأمين الذى لا تستهويه شهوة الاستنتاج ، وبوارق التحليل والتركيب ، فيطير وراء كل لمعة يتخيلها وراء حادثة ، ويلتوى ليعتسف الوقائع حتى تطابق الظنون والآراء : « فتبينوا ، أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على مافعلتم نادمين » !! ؟

الأمين الذى يأخذ عن المستشرقين جلدهم ودأبهم على البحث ، ومناهجهم فى الدراسة ، ثم يعرف أن لهم أهواء شعورية وغير شعورية - لو أسرفنا فى رغبة الإنصاف ، وأن لهم أخطاء نتيجة قصورهم فى فهم الإسلام أو العربية !!

وليس معنى هذا التنكر للحكمة أنى وجدها المؤمن ... فنحن نجد جب وفلهوزن وغيرهما قد فطنا للأهواء وراء الروايات التاريخية ، وشرعا فى تمحيصها فى بعض الأحيان وعلى قدر الإمكان ... ولم يفطن لذلك من باحثى العرب فى التاريخ إلا قليلون : من أمثال محب الدين الخطيب والدكتور جواد على .

وخير شاهد على المستشرقين ، أستاذ جليل درس أعمـــالهم ، ولم يعرف بالتعصب أو التحامل ...

يقول الأستاذ الدكتور حسين مؤنس فى مقاله الممتع بجريدة الأهرام عن كتاب جلستون فييت : (مجد الإسلام) - وهو مقال أرجو أن يقرأ فى حصص التاريخ بالمدارس الثانوية وبالصفوف الأولى من كليات جامعاتنا كلها - وشعب التاريخ على الأخص :

« ... وفى عرضه - فييت - المجهد لتاريخنا ، فاته أهم الحقائق التى سيرت هذا التاريخ ...

استحوذت على اهتمامه حوادث السياسة والوقائع والحروب ، فمضى يتابع قيام الدول وسقوطها ، والحروب ووقائعها ...

وفاته أن للعرب والمسلمين تاريخا آخر غير هذه السلسلة الطويلة من وقائع السياسة والميادين ...

فليس بين فصول كتابه فصل واحد عن انتشار الإسلام ... ولاذكر فى كتابه لنواحى حضارتنا ...

إن صاحبنا يجرى فى تيار الخيال الفرنسى الذى يعود إلى حضارة الإغريق بكل شىء ، والمؤرخون فى الدنيا كلها قد نزعوا عن ذلك الوهم الذى ساد الفكر الأوربى إلى الحرب العالمية الأولى ... !!

ولكني أعود فأقول : إن المؤلف فرنسي، والفرنسي لا يفهم العرب أبدا ! !

هناك ستار من الحقد يحول بين أبناء فرنسا وبين أن يفهمونا ... حقد قديم ، يرجع إلى الحروب الصليبية ، والفرنسيون يعتقدون أنها كانت حربا بين فرنسا والإسلام ! وحقد جديد ، بدأ سنة ١٨٣٠م عندما اعتدى الفرنسيون على الجزائر !! ...

حقد يفسد كل ما يكتبه الفرنسيون عنا ... فإن محمداً الذي يصوره أولئك المستشرقون ، ليس محمداً رسول الله الذي نحن على دينه ، إنه رجل من صنع خيالهم وتصورهم ! !

... ونحن معجبون ببني أمية ... يعجبنا حلم معاوية ورجولته وسياسته . وتعجبنا عروبة عبد الملك ، ويعجبنا إيمان الوليد وسليمان ، وتعجبنا من بني أمية جميعا الفحولة والأصالة والشهامة والعروبة ...

ولكن ماذا يعجب الفرنسيين في بني أمية ؟ يعجبهم أبو سفيان ، لأنه حارب الرسول ! ويعجبهم معاوية لأنه انتزع الخلافة من عليّ ! ويعجبهم يزيد لأنه قتل الحسين وأمر جنده بمهاجمة مكة ! .. وهذه هي معظم الصفحات المختارة عن بني أمية !!!

... وماذا يقول عن المأمون ؟؟ إن دولته دولة فارسية لا أثر للعرب فيها ، وما دام قد انتهى إلى أن المأمون غير عربي فهو لا يجد غضاضة في أن يتحدث عن نهضة العلوم أيام المأمون - فهي نهضـــة غير عربية !! » . ا . هـ .

وأخيراً ينهي الأستاذ الجليل مقاله بهذا النداء المدوّي في الميدان ... ميدان البحث التاريخي :

« ليس أمامنا إلا أن نعمل . . . ونعمل حتى الموت !

لنتصوّر الجهد الذي بذله هـذا الرجل الفرنسي وهو في سن السبعين - جهد في الجمع والترتيب والاختيار ! !

إن بعضنا يلعب ، ويتصور أنه يعمل . . ينظر في الصفحات التي كتبها الطبري أو ابن سعد مثلا عن عمر بن الخطاب ، ثم يكتب سلسلة كتب عن عمر بن الخطاب !!! » .

هذا النداء العذب ، واللحن الحلو - نسمعه الآن من أستاذ جامعي كبير . . .

وهذه بشرى وإرهاص ! !

وقد كانت الحاجة ماسة إلى تنظيم جماعي ، يعين الأفراد على مشقات البحث العلمي . . .

إن لدى الغربيين أكاديميات ومجالس للاستشراق . وكنت أتلفّت عندنا : فأجد المجمع اللغوي منصرفا لمهمته في البحوث اللغوية ، وأجد جماعة كبار العلماء تستقبل الأعضاء ببحوثهم ثم تغلق عليهم الأبواب وتحكم الرتاج ! !

وكنا نحتاج إلى مجمع علمى إسلامى يستقبل العلماء، لتكون عضويتهم « بداية » لنشاط جديد فى البحث العلمى ... نشاط أوسع، وأعمق، فقد أتيح فى ظل المجمع مزيداً من الإمكانيات !!

وكنت أتوق إلى يوم تتحقق فيه هذه الرغبة ليكون للتاريخ الإسلامى « مجال أمين » للبحث والدراسة ...

وكتبت عن ذلك فى كتابى: « أضواء على التاريخ الإسلامى » - فى ختام فصول الكتاب وعنوانه: « ماذا نريد » ؟

وجاء مجمع البحوث الإسلامية فى قانون الأزهر الجديد ... فكان المجال الأمين لشعبة تضطلع بأعباء البحث التاريخى: من جمع المخطوطات والوثائق وتحقيقها وطبعها، إلى ترجمة أمهات كتب المستشرقين .. إلى التأليف الجديد على علم، وهدى، وكتاب منير ..

وهكذا شهدت بداية تحقق الأمل ...

كما شهدت بداية تحقق أمل آخر كنت قد كتبت عنه فى سنة ١٩٥٤، وفى كتابى « الفكر الإسلامى والتطور » - هو أن تكون جامعة الأزهر جامعة حية شاملة، لها حيوية الإسلام وشموله، تعـد المؤمنين للعمل فى الدنيا، وتزود العاملين فى الدنيا بالإيمان.

وأتم الله على نعمته بأن أشهد هذا التطور الكبير عن قرب، وأكون فى خدمته بالعمل .. بعد أن تطلعت إليه طويلا - بالأمل !

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ... ومرحبا بالوليد العملاق.

فتحى عثمان

(بقية المنشور على صفحة ٩٥٨)

ومن أجل هذا تجد اللفظ البشرى حلاوة فى الأفواه وهزة فى الأعطاف وطربا فى الجوانح.

وربما كان الأمر على مابه من كراهة، ويكون فى مساق الانذار، والتخويف، ثم يذكر فى أسلوب التبشير: لا فرحة به، ولا تهوينا لشره: بل مبالغة فى استهجانه وتحقير أهله، لأنهم يتهافتون عليه مع ما فيه من قبح كما يتهافت سواهم على الأمر الكريم، وكما تتهافت الإبل العطاش على موارد الماء.

ومن ذلك قول الله - سبحانه - فى شأن الجاحدين لدينه، المنكرين لرسالته « فبشرهم بعذاب أليم !! ».

وهل العذاب يكون فى مقام البشرى ؟؟ ولكنها سخرية الله بمن أعرضوا، ووعيد لمن عاندوا، والنجاة من الله وبتوفيق الله.

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الأزهر والحملة الفرنسية

للأستاذ فوزى عرفه

عندما ألقى الأسطول الفرنسى مراسيه على مقربة من أبى قير أصدر نابليون بونابرت مكتوبا يصور فيه المعركة القائمة على أنها نزاع بينه وبين المماليك، وأراد بذلك أن يوغر صدور المصريين عليهم فكان مما جاء فى هذا المكتوب «ماذا يميزهم - أى المماليك - عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شىء أحسن فيها: من الجوارى الحسان والخيل العتاق، والمساكن المفرحة، فإن كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك فليهرونا الحجة التى كتبها الله لهم!».

وأراد نابليون أن يتودد إلى المصريين، وخصوصا القوة الشعبية الروحية التى كانت تتزعمها فى ذلك الوقت أروقة الأزهر ومشايخه فقال: «أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد: قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى وضربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين».

وكان هذا المنشور بصورته السابقة يحوى مراوغة سياسية غريبة، إذ شعر نابليون أن قيمة الشعب المصرى ومقدار صبره على البلاء والجهاد إنما يتوقف على اتحاد هذا الشعب خلف زعامته الروحية التى تتركز فى ممثل الإسلام من علماء الأزهر المناضلين.

وقد اغتر قليل من الناس بمعسول قول نابليون وظنوا أن إعلانه إسلام الفرنساوية معناه موادتهم وصداقتهم، ولم يعلموا أن نابليون صرح مرة بأنه ليس له دين، فهو فى مصر مسلم وفى روما كاثوليكى وفى ألمانيا بروتستانتى، ولو ذهب إلى الهند أو أواسط إفريقيا لكان بوذيا أو من عبدة الأصنام.

الطور الأول للجهاد:

١ - وثق العلماء ثقة كبيرة بمراد بك وإبراهيم بك، وعبئوا من خلفهم الشعب تعبئة روحية كاملة، فقد كانوا يجتمعون كل يوم بالأزهر، وكذا مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية، والبراهمة، والقادرية والسعدية،

وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير ويعملون هم مجالس بالأزهر ، وقد أشاروا على إبراهيم بك أن يعمل متاريس من بولاق إلى شبرا وانتقل العلماء إلى زاوية على بك ببولاق يدعون ويبتهلون إلى الله بالنصر ، ويشجعون العامة على مواصلة الحرب ضد المعتدين .

٢ — انهزم المماليك أمام الفرنسيين هزيمة منكرة ، وقد أخطئوا لأنهم لم يثقوا بالشعب فلم يجهزوه بالعدة والسلاح بل تركوه فى هرج ومرج فلما رأوا دلائل الهزيمة واضحة فروا تاركين القاهرة وليس فيها إلا بعض المشايخ فى الأزهر فاجتمع هؤلاء العلماء واتفقوا على أن يطلبوا الأمان من بونابرت ، فكتب لهم منشورا جديدا كان مما جاء فيه « وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونوا مطمئنين وفى مساكنهم مرتاحين » وفى اليوم الثانى ركب المشايخ وكان منهم الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والصاوى والفيومى ولم يحضر عمر مكرم هذا الاجتماع وتشاور نابليون معهم طالبا رأيهم فى كثير من الأمور وفى يوم الخميس ٢٦ يوليو سنة ١٧٩٨ عين عشرة مشايخ للديوان وفصل الحكومات . أراد نابليون من وراء ذلك أن يسيطروا على العامة ويساعدوه فى حكم البلاد ، وقد أصبح الأزهر مركزا لتقديم المعونات العاجلة لذوى الحاجات ممن نكبتهم الحرب كما أصبح صلة بين الشعب والفرنسيين ، يرفع مظالم الشعب ويخفف عنه عبء الضرائب الباهظة التى كان يطالب بها الغزاة .

٣ — ظن نابليون أن هذه المظاهر سوف تعينه على السيطرة على المشايخ حتى حدثت حادثة طريفة دلت على تمسك المشايخ بوطنيتهم ودينهم ، إذ طلب نابليون المشايخ يوم السبت أول سبتمبر سنة ١٧٩٨ فلما استقروا عنده نهض من المجلس ووضع بيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان كل طيلسان ثلاثة عروض : أبيض وأحمر وكحلى ، وضع منها واحدا على كتف الشيخ الشرقاوى فرمى به إلى الأرض واستعفى وتغير مزاجه وامتقع لونه واحتد طبعه ، فلما لمس نابليون ثورة المشايخ صمم على أن يضعوا الجوكار فى صدورهم فطلبوا منه أن يمهلهم اثنى عشر يوما وخرجوا من عنده مغضبين . وقد طالب الفرنسيون الأهالى بأن يعلقوا الجوكار عنوانا على الامتثال والطاعة فأبى أغلبهم إلا قليلا ممن خافوا الضرر وقد هادن المشايخ الفرنسيين انتظارا للتثبت من الوعود التى كانت تأتيهم من السلطان العثمانى بإنقاذ جيشه لتخليص البلاد من الغزاة .

الطور الثانى :

أهمل نابليون الديوان وشرع فى تأليف ديوان آخر وأراد نابليون بذلك أن يبعد العلماء عن تيار السياسة وقد خاف شوكتهم ومن خلفهم الشعب ، فنصب المدافع على القلعة استعدادا للطوارئ وأجبر المشايخ على توقيع منشور برضائهم عن الفرنسيين ، وفى يوم السبت ٦ أكتوبر سنة ١٧٩٨ اضطر نابليون إلى استدعاء جميع المشايخ الذين أجمعوا على انتخاب الشيخ الشرقاوى وكان معنى هذا تمسك المشايخ بقيادة الشرقاوى لهم على الرغم من مناورة نابليون التى أراد من ورائها التخلص من هذا الشيخ الوطنى الصلب .

وأراد نابليون أن ينظم ضرائب على الأملاك والعقارات فاجتمع خلق كثير بالأزهر وقاد العلماء الثورة ضد الفرنسيين إلا أن الفرنسيين وبعض الخـونة الذين أصبحوا جواسيس لهم أعملوا فى المصريين القتل والنهب ونالوا منهم نيلا عظيما ، وبعد أن استتب الأمر للفرنسيين فى مصر قبضوا على الشيخ سليمان الجوسق شيخ طائفة العميان فى يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٧٩٨ وكذلك الشيخ أحمد الشرقاوى والشيخ عبد الوهاب الشبرواى والشيخ يوسف المصيلحى والشيخ إسماعيل البراوى وحبسوهم فى بيت البكرى وأما السيد بدير المقدسى أحد قواد الثورة فإنه تغيب وسافر إلى جهة الشام ، وقد ارتكب الفرنسيون فى أمر هؤلاء المعتقلين أمرا إدا ، إذ بينما كان المشايخ يشفعون فى أمرهم لفك إسارهم إذ بالفرنسيين ينقلونهم سرا إلى المعسكر حيث قتلوهم عن آخرهم فى يوم الأحد ٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨ ولم يطلعوا أحدا من المشايخ على هذا الأمر الخطير ، وفى النهاية أجبروا المشايخ على توقيع منشور عام فى ١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٨ جاء فيه « ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد » والواقع أن هذه المذبحة الفاجرة التى ارتكبتها سلطات الاستعمار ضد المشايخ كانت آخر خيط ربط بين الشعب وبين المستعمرين إذ انكشفوا على حقيقتهم وظهروا بكل مافيهم من خسة ودناءة وشراسة وضراوة .

وقد عرف الفرنسيون هذه الحقيقة فتوجسوا حقيقة من علماء الأزهر وأخذوا يطبعون المنشورات ويوقعون عليها بأسمائهم وإن لم يوافقوا عليها ، ولما أعادوا تنظيم الديوان لم يدخلوا فيه إلا خمسة مشايخ وهم الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى والبكرى والفيومى ، وأدخلوا فيه طوائف متعددة من التجار ومن النصارى القبطة ومن الشوام

ومن الفرنسيين وهكذا حتى يتضاءل صوت الأزهر فى الديوان .

وقد كان نابليون من أول يوم حضر فيه إلى مصر يتظاهر بأنه صديق العثمانيين وعدو المماليك فحدثت حادثة كشفت هذا الأفاق إذ كان فى مصر قاض تركى هرب فعين نابليون ملازاده ابنه مكانه إلا أنه برم بابنه فقبض عليه وطلب فى يوم الأربعاء ٢٦ يونية سنة ١٧٩٩ من الديوان أن يختار شيخا من العلماء ليحل محل ابن القاضى إلا أن الشيخ السادات زاد فى الكلام فقال : « إنكم تقولون دائما إن الفرنساوية أحباب العثمانية وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلى فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم وخصوصا عند العامة ، وكان من نتيجة هذا أن أطلق سراح ابن القاضى وانتخب الشيخ أحمد العريشى الحنفى قاضيا لمصر وتطورت الأمور تطورا سريعا إذ أجبر نابليون على السفر إلى فرنسا سرا وأطبقت الجيوش العثمانية والانجليزية وفلول المماليك على الفرنسيين الذين لم يجدوا لهم ناصرا فى مصر فوقعوا فى ١٩ يناير سنة ١٨٠٠ على المعاهدة بينهم وبين تركيا على أن يخلوا مصر وكانت فرحة الشعب كبيرة بهذه الأنباء فلم يتمالك نفسه وأخذ يستخف بالفرنسيين حتى تجمعت جماعات من الأمراء والمماليك فأعملوا فى الفرنسيين قتلا وتشريدا ودارت رحى الحرب بين قوة الشعب وبين الفرنسيين فلجأ الفرنسيون إلى محاصرة المدينة ودكها بالقنابل من الخارج إلا أن المشايخ والفقهاء والسيد أحمد المحروقى والسيد عمر النقيب كانوا يمرون كل وقت ويأمرون الناس بالقتال ويحرضونهم على الجهاد . فلما يئس الفرنسيون من نتيجة هذه الموقعة أرسلوا يستدعون المشايخ وعرضوا عليهم الصلح والأمان مع خروج المماليك ولكن المشايخ لم يكادوا يعرضون هذا الأمر على العامة حتى ثاروا ، وقد اقترح المشايخ الصلح لأن النجدة التى كان الشعب يتوقعها من الأتراك باتت بعيدة المنال فأشفق المشايخ على الشعب من مغبة هذا العبء الذى تلقاه واحتمله صابرا غير يائس وهو لايهتم بما يلاقى ويعانى من ضريبة الدم فى سبيل الحرية فلم يرجع المشايخ إلى المعسكر ليبلغوه نتيجة المفاوضات إلا أن البرديسى ومصطفى كاشف والأشقر سارعوا فى يوم ١٨ أبريل سنة ١٨٠٠ بتوقيع الصلح مع الفرنسيين وتركوا العامة والمشايخ والوطنيين جميعا يتميزون غيظا لهذه الخيانة المرذولة فى إبان الحرب واشتعالها فنجوا بأنفسهم وتركوا الشعب الذى آزرهم يواجه مصيره بنفسه .

ولما دخل الفرنسيون القاهرة مرة أخرى

دار بين المشايخ وبين كليبر هذا الحديث الهام : قال لهم « أوهمتمونا أن الرعية لكم ينقادون ولأوامركم ونهيكم يرجعون ، فلما حضر العثملي فرحتم لقدومهم وقمتم لنصرتهم ، فقالوا له « نحن ما قمنا مع العثملي إلا عن أمركم لأنكم عرفتمونا أننا صرنا في حكم العثملي وأن البلاد والأموال صارت له » وهكذا انكشف في هذا الحديث القصير نفاق الفرنسيين وأنهم إنما تذرعوا بهذه الحجج الواهية ليضحكوا بها على عقول السذج والمغترين ، ولكن الفرنسيين تمادوا في بغيهم فطلبوا من المشايخ أن يدفعوا متضامنين غرامة فادحة ، ولما تلكأ الشيخ السادات في دفع ما عليه أنزلوا به أبلغ عقوبة ونكلوا به نكالا شديدا حتى استخلصوا حصته من الغرامة بعد طول مشقة ، وكانت هذه الأحداث جميعها من أسباب مقتل كليبر في يوم ١٤ يونية سنة ١٨٠٠ بواسطة سليمان الحلبي . وقد أخبرهم سليمان بعد القبض عليه أنه كان يأوى إلى الجامع الأزهر للبيت وقد أراد الفرنسيون توجيه الشبهة إلى المشايخ الذين حرضوا على الثورة الأخيرة إلا أنهم لم يجدوا مايدينهم أو يبعث على الاشتباه فيهم .

مع الأزهر وجهاً لوجه :

ابتدأت فرنسا تتخذ اتجاها جديدا نحو الأزهر بعد قمع الثورة ففي يوم ٢٠ يونية سنة ١٨٠٠ حضر عبد الله جاك مينو وكان قد أعلن إسلامه وأخذ يطوف بأنحاء الأزهر وأظهر عزمه على حفر أماكن للتفتيش على السلاح فشرع المجاورون به في نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم وإخلاء الأروقة وقد توجه الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى إلى مينو واستأذنوه في قفل الجامع وتسميره ليمنعوا الريبة بالكلية فأذن مينو بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطنا فلما أصبحوا قفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات وخشى بعض المشايخ من انتقام الفرنسيين فبدأ بعضهم يهجر القاهرة الحبيبة إلى الأقاليم لطول ما عانوه من عنت الفرنسيين ورهقهم لهم ، وأما الشيخ السادات فأفرج عنه في ١٩ يوليو سنة ١٨٠٠ بعد أن استولوا على حصصه وإقطاعه وقطعوا مرتباته والحصص الموقوفة على زوايا أسلافه وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس وألا يركب بدون إذن منهم ويقتصد في أموره ومعاشه ويقلل أتباعه . وأما باقى المشايخ فقد حاولوا أن يسترضوهم مرة أخرى فكونوا منهم الديوان فقط وكان من تسعة مشايخ رئيسهم الشيخ الشرقاوى .

وفى هذه الأثناء وردت الأنباء عن قدوم جيش الانجليز إلى الإسكندرية فطلب مينو من المشايخ ضبط العامة حتى لا يثوروا كما فعلوا

(البقية على صفحة ٩٨١)

قراءة القرآن من أواسط سوره

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

دعانى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ، أنى سمعت أبناء الصومال - إبان بمقى إليه - حين يقرؤون القرآن الكريم من غير أوائل سوره - يستعيذون ولا يبسملون ، وإذا قرؤوه من أوائل السور تعوذوا وبسملوا . بينما أندادهم فى مصر يتعوذون ويبسملون فى كل تلاواتهم .. سواء بدؤوها من أوائل السور ، أو من أواسطها .. فأخذت الفكرة تراودنى بين الحين والحين : أيهما أدنى إلى الصواب ، وأوفق لروح الدليل .

إن القرآن الكريم يرشد التالى حين يريد التلاوة إلى الاستعاذة وحدها .. وذلك فى قوله تعالى فى سورة النحل : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وهذا فى معرض البيان لأسلوب البداءة حين القراءة - يعنى الحصر فى الاستعاذة والاقتصار عليها . . إذ لا ذكر للبسملة فى الآية الكريمة . ولو شاء الله لجعل لها فى هذا المقام ذكرا . . ولكنه لم يفعل . وهذا له مفهومه ومدلوله . إذ من المقرر فى علم أصول الفقه : « أن الاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر » فالمطلوب إذن فى بداية التلاوة : لون واحد من الذكر هو الاستعاذة ، وزيادة البسملة على التعوذ ، زيادة على نص قرآنى ، والزيادة على النص القرآنى نسخ له ، ونسخ القرآن لا يجوز إلا بمتواتر أو مشهور من كتاب أو سنة على الراجح . . وهذا بدوره يجرنا إلى ذكر الحديث الذى يعتمد عليه المبسملون فى أوائل السور أو أواسطها ، وقد روى هذا الحديث مرة عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ومرة عن ابن كعب عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بباسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » فهذا الحديث يدل بعمومه على طلب البسملة حين إرادة التلاوة فى أوائل السور وفى أواسطها . . فإذا أضيف هذا إلى الآية السالفة الذكر . . كان المطلوب أمرين : التعوذ ، والبسملة . . هذا ما استدل به المجيزون للبسملة فى أواسط السور ... وعلينا أولا أن نبحث عن درجة هذا الحديث من الصحة والضعف ، ومن الشهرة وعدمها . . حتى يتأتى - فى نظر الأصوليين - أن نزيد به على التعوذ الذى اقتصر فى طلبه القرآن - تلك البسملة التى ندب إليها الحديث .

وهاك ما قيل فيه نقلا عن ابن السبكى فى طبقات الشافعية باختصار : وقع الأضطراب

فى هذا الحديث سندا ومتنا : أما سندا ، فالزهرى تارة يرويه عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، وتارة أخرى عن ابن كعب عن أبيه ، والراوون عن الزهرى : طوراً يروونه عن محمد بن الوليد الزبيدى ، وطورا عن محمد بن سعيد ، ويقال له الوصيف ، والأوزاعى ينقله عن قرة عن الزهرى ، وينقله مرة ثانية عن الزهرى نفسه ، ومرة ثالثة عن يحيى ، وقرة هذا قال فيه ابن معين : إنه ضعيف ، وقال أحمد : منكر الحديث جداً ، وقال أبو زرعة : الأحاديث التى يرويها مناكير ، وقال أبو حاتم والنسائى : ليس بقوى ، وقال أبو داود : فى أحاديثه نكاره ، وأما المتن : ففى لفظ « كل كلام » وفى آخر « كل أمر » ، والأمر أعم من الكلام ، وفى ثالث « بحمد الله » ، وفى رابع « بالحمد » ، وفى خامس : « الحمد والصلاة على النبى » ، ولفظه « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علىّ فهو أقطع أبتر ممحوق البركة » ، وفى سادس : « بباسم الله الرحمن الرحيم » ، وفى سابع : « بذكر الله » . وفى بعض طرقه وصف الكلام أو الأمر بأنه ذو بال ، وذلك فى أكثر الروايات ، وفى البعض الآخر لم يذكر « ذى بال » ، وأحيانا يروى بدخول الفاء على المبتدأ الثانى : « فهو » ، وأحيانا أخرى بدون الفاء ، وفى حديث لفظ أقطع ، وفى آخر : أبتر ، وفى ثالث أجذم ، وفى رابع الجمع بين أقطع وأبتر وزيادة ممحوق من كل بركة ، وقد قال بعض العلماء : إن رواية الذكر أعم من رواية الحمد ، ورواية البسملة ، فيقضى بها على تينك الروايتين ، لأن المطلق إذا قيد بقيدين متنافيين لم يحمل على واحد منهما ، ويرجع إلى أصل الإطلاق ، ورواية الحمد أثبت من رواية الذكر ، فالحمد هنا إما أن يراد منه ما هو أعم من لفظه وهو الذكر ، أو خصوص الحمد : وأياما كان فالمأمور به لفظ الذكر . . أما على الأول فظاهر . . وأما على الثانى فلما تقدم من أن رواية الحمد حينئذ معارضة بالبسملة ، فيسقط القيدان ، ويرجع إلى أصل الاطلاق ، كما تقدم ، ومهما يكن من أمر . . فإن إرادة الذكر من هذا الحديث تتفق مع مدلول الآية الكريمة فى سورة النحل إذ أن الاستعاذة لون من الذكر .

والزهرى الذى روى هذا الحديث مرسلا أيضا قد ردّ الشافعى والمطلبى كل مرسلاته لاحتمال أن يكون طوى ذكر من لو أفصح عنه لرد من أجله . . كما حدث فى حديثه فى الصلاة مرسلا . . ثم وجد أنه رواه عن سليمان ابن أرقم وهو ضعيف .

وكما أرسله الزهرى ، فى بعض رواياته ، أرسله أيضا يونس بن يزيد ، وشعيب بن أبى حمزة ، وسعيد بن عبد العزيز .

فبعد كل هذا القيل والقال . والرفع والإرسال لا نجد الحديث أهلا لأن يزاد به على نص قرآنى ، وبالتالى لا يصلح لنسخ المتواتر إذ لم يصل بعد إلى درجة التواتر أو الشهرة .

ومما ينبغى أن يعلم أنه لاخلاف بين القراء فى الإتيان بالبسملة لمن يتلو من بداية السور اللهم إلا إذا كانت السورة المبدوءة سورة « براءة » فإنه لا خلاف فى حذف البسملة بين سورة الأنفال وبينها فى حالة الوصل عند كل من بسمل بين السورتين، وأما الابتداء بسورة براءة ، فالصحيح انعقاد الاجماع على حذفها أيضا عند أهل الأداء ، والاكتفاء بالتعوذ عملا بعموم آية النحل ، فافتتاح السور من أوائلها بالبسملة ـ عدا براءة ـ لاخلاف فيه.

إنما محل الخلاف قراءة القرآن من أوساطه أيتعوذ له ويتبسمل كما هو صنيع القراء فى مصر وغيرها ؟ . . أم يتعوذ فقط كما هى طريقة أهل الصومال وغيرهم . . وهنا نجد القراء فرقتين : لجمهور العراقيين على اختيار البسملة ، وجمهور المغاربة وأهل الأندلس على عدمها .

ومع اختلافهم هذا فإنهم يتفقون على أن البسملة لم تصح من جهة الرواية والاتباع . . بل إن المسلمين يستندون فى استدلالهم إلى ما ليس بدليل لدى علماء أصول الفقه الذين فصّلوا تلك الأدلة فى كتبهم تفصيلا . . إنهم يستندون إلى تحصيل اليمن والبركة أو إلى استبعاد البشاعة . . أو إلى القياس والرأى المحض ، والمتصفح لأدلة الشريعة التى تتناول بالحكم أفعال المكلف وأقواله لا يجد فى ثناياها شيئا من ذلك : جاء فى كتاب : « النشر فى القراءات العشر » لابن الجزرى قول ابن شيطا » . «اعلم أنى قرأت على جميع شيوخنا فى كل القراءات عن جميع الأئمة الفاصلين بالتسمية والتاركين لها ـ عند ابتداء القراءة عليهم باستعاذة موصولة بالبسملة جهورا بهما سواء كان المبدوء به أول سورة أو بعض سورة ، ولا علمت أحدا منهم قرأ على شيوخه إلا كذلك » وهكذا نجد ابن شيطا يستند إلى قراءة شيوخه دون أن يبين لنا الأساس الذى ارتكز عليه شيوخه ، وقال ابن فارس فى الجامع : « وبغير تسمية ابتدأت رؤوس الأجزاء على شيوخى الذين قرأت عليهم فى مذاهب الكل وهو الذى أختار ، ولا أمنع التسمية » فقول ابن فارس وهو الذى أختار دليل على أن القراءة بدون البسملة فى أواسط القرآن أرجح منها بها عنده ... وقال مكىّ فى تبصرته : « فإذا ابتدأ القارئ بغير أول سورة عوّذ فقط . هذه عادة القراء . وبترك التسمية فى غير أوائل السور قرأت » .

والعجيب أن بعض القراء كان يبسمل

فى أواسط السور - تبركا - ويتحرج كل التحرج أن ينقل عنه ذلك رواية . . حتى لكأن البركة مصدر من مصادر التشريع فى هذا الباب ، وهذا اعتراف ضمنى بأن البسملة فى أواسط السور ليست نقلا واتباعا ، بقدر ما كانت رأيا وابتداعا : قال ابن الفحام : - قرأت على أبى العباس يعنى ابن نفيس - أول حزبى من وسط سورة فبسملت ، فلم ينكر على . . ثم سألته : هل آخذ ذلك على طريق الرواية ؟ فقال : إنما أردت التبرك . وهكذا نجد السائل حين سأل ، والمسئول حين أجاب . قد نفيا أن البسملة أواسط السور تعتمد أساسا على شىء إلا أن يكون البركة . . وقد خشى الشيخ عاقبة هذه البركة فى النقل عنه فمنع تلميذه من البسملة وسط السورة بعد ذلك وقال : أخاف أن تقول: رواية ، ثم قال ابن الفحام : وقرأت بذلك على غيره فقال بعد أن سأله نفس السؤال : ما أمنع . . . أما أنى قرأت بهذا . . فلا . . . ، وهو صريح فى أن البسملة فى غضون السور ليست رواية ، والمعروف لدى علماء القراءة : أن القراءة رواية تتبع ، ولا تبتدع : كما قال الإمام أبو عبد الله الكارزينى .

قال الدانى فى جامعه : (وبغير تسمية ابتدأت رؤوس الأجزاء على شيوخى الذين قرأت عليهم فى مذهب الكل وهو الذى أختار . . ولا أمنع التسمية) .

وهنا يبدو الفرق واضحا بين الرأى المختار للدانى ، وإن كان مقابله غير ممنوع . . فإنه يعنى أن غير الممنوع - وهو التسمية فى أواسط السور - ليس مختارا ولا راجحا .

وهناك رأى للشاطبى مبنى على استكراه البشاعة حين توصل كلمة الرجيم باسم الله تعالى صريحا أو كناية ، فيأمر بالبسملة بعد الاستعاذة فى قوله تعالى « الله لا إله إلا هو » ، وقوله « إليه يرد علم الساعة » ونحو ذلك ، وكذلك كان يفعل أبو الجود غياث بن فارس وغيره وهو اختيار مكى فى غير التبصرة ، قال ابن الجزرى : وقياسا على هذا ينبغى أن ينهى عن البسملة فى قوله تعالى « الشيطان يعدكم الفقر » وقوله : « لعنه الله » ونحو ذلك للبشاعة أيضا . . والملاحظ أن البسملة وعدمها على هذا الرأى الأخير إنما تعتمد أساسا على الرأى والاجتهاد المجرد ، من بشاعة ونحوها . وهذا فى رأينا يكون سائغا لو لم يخطط القرآن طريقة محددة لبدء التلاوة ، أما وقد نص القرآن على أسلوب البدء وصوره بالاستعاذة ، واقتصر عليها فى مقام البيان . . فلا قياس بعد ذلك ولا اجتهاد مع النص .

وليس من همنا - ونحن نعالج هذا الموضوع - أن نستبيح كلمة التحريم بالنسبة إلى من نرى أنهم مرجوحون فى تقرير البسملة فى أوساط السور . . إذ لا يليق

توجيه مثل هذا الحكم فى محل للنظر فيه مجال، ولا مع جمهرة من مشاهير القراء، وإنما نستهدف من وراء ذلك أن نتعرف أى الاتجاهين أرجح فى كفة الميزان تحت ضوء البحث، وأيهما أمس بجوهر الدليل حتى نكون على بينة من الأمر.

ولابد أن يكون لهؤلاء القراء الذين بدؤوا قراءاتهم من أواسط السور بدون تسمية ـ مستندفيما ذهبوا إليه. فكلهم أجمع على أنه لم يجد رواية واحدة تستند إليها قراءة البسملة.

والمخالفون أيضا لم يدعوا ثبوت هذه الرواية.. وإنما ذكروا أن التيمن والتبرك هو الذى حدا بهم إلى تقرير البسملة.

والقرآن الكريم يجب أن يؤخذ بعين الحذر والدقة المتناهية فى تقرير كل ما يتصل به بداية ونهاية وكتابة وتلاوة.. حتى يتنزه كل التنزه عن كل ما ليس منه ليبقى ما بقى الدهر على صورته التى نزل بها أول مرة..

فهما قيل فى حديث «كل أمر ذى بال» على نحو ما حاول ابن السبكى من أنه فى فضائل الأعمال، وأنه يتسامح فيها ما لا يتسامح فى غيرها.. فلن يرشحه هذا للتدخل فى نص قرآنى بتزيد أو تنقيص.. فلتجعل الاستعاذة خصوصية ابتداء التلاوة كما جعل التكبير ـ وليست البسملة ـ خصوصية افتتاح الصلاة والأذان والإقامة، وكما جعلت الحمدلة ـ وليس البسملة الخطبة ـ وكما جعل التهليل ـ وليس البسملة ـ خصوصية افتتاح الحج.

وهكذا نجد أن لبعض العبادات خصوصيات فى افتتاحها.. فلتكن قراءة القرآن من أواسط السور واحدة من تلك العبادات مميزة بخصوصية من تلك الخصوصيات ولا معنى لتحكيم الرأى هنا بزيادة البسملة ـ يمنا وبركة ـ إذ لو فتحنا باب البركة والتيمن هذا لوسعنا أن نقول بالحمد لله بعد التعوذ أو بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد التعوذ.. أو بهما معا بعد التعوذ والبسملة تحصيلا لأكبر قدر ممكن من البركة. ولا سيما أنه قد ورد الحديث بكل منها وليست رواية البسملة أرجح من الحمد لله..

فالاقتصار على البسملة وحدها فى تحصيل البركة ترجيح بلا مرجح، ولا قياس لأواسط السور على بدايتها بعد أن تقرر أنه لا قياس مع النص وأننا فى أوائل السور نتبع رسم المصحف ونوافق الإجماع.

فسكوت القرآن الكريم عن البسملة واقتصاره على التعوذ فى محل البيان مع إمكان توجيه الخطاب بالبسملة أيضاً لايخلو من حكم وحكمة، فأما الحكم: فهو إفادة الحصر الناشئة عن هذا الاقتصار، وأما الحكمة: فهو قطع الوسوسة الشيطانية والهواجس النفسية التى تتزاحم على رأس القارىء إبان التلاوة، فكان لابد من الاستعانة بالله فى دفع

وسوسة الشيطان لأنه وحده القادر على ذلك حتى تخلص النية ، ويصفو جوهر الروح لتلقى الإلهام والحكمة .

وبقى أن نقول : إن أشهر ما قيل فى صيغة التعوذ المطلوب فى ابتداء التلاوة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فقد جاء فى الكشاف أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » فقال لى : « يابن أم عبد . . قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . . هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ » .

فهذا الحديث يدل من جهة على أن هذه الصيغة هى المختارة فى كل السور بلا استثناء . ويدل من جهة أخرى على أن البسملة ليست من خواص بداية القراءة . . بل إن التعوذ وحده هو الذى دل عليه الحديث بمنطوقه ومفهومه ، وقد حكى الإجماع على صيغة التعوذ تلك — أبو طاهر بن سوار ، وأبو العز القلانسى وأبو الحسن السخاوى فى كتابه جمال القراء ، وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء كالشافعى وأبى حنيفة وأحمد وغيرهم ، واختار صاحب الهداية من الحنفية لفظ : « أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم » لمطابقة لفظ القرآن « فاستعذ بالله . . » قال ابن النقاش فى ترجيح الصيغة الأولى : إن السين والتاء شأنهما الدلالة على الطلب فوردتا فى الأمر إيذانا بطلب التعوذ بمعنى استعذ بالله : اطلب منه ان يعيذك . . فامتثال الأمر ان يقول : « أعوذ بالله . . فإذا قالها المأمور بها فقد اجاب وامتثل ، هذا فضلا عن موافقتها إرشاد القرآن فى هذا الصدد : « قل أعوذ برب الفلق » ، « قل أعوذ برب الناس » ، « رب إنى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم » .

والأظهر أن الأمر بالاستعاذة فى بداية التلاوة للندب كما هو مذهب الجمهور خلافا لداود بن على وأصحابه فقد ذهبوا إلى وجوب الاستعاذة حتى أبطلوا صلاة من لم يستعذ . حملا للأمر على الوجوب وهو رأى فخر الدين الرازى وعطاء بن أبى رباح . ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم واظب على ذلك ، ولأنها تدرأ شر الشيطان ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ولأن الاستعاذة أحوط ، وهو أحد مسالك الوجوب ، واحتج الجمهور بحديث المسىء صلاته : حيث علمه الرسول فيه الصلاة ، ولم يذكر له الاستعاذة ، ... والظاهر أن بيان الرسول شامل لأحكام الصلاة وأحكام التلاوة معا .

وبعد :

فما أوردنا ظهر أن الاقتصار على الاستعاذة وحدها حين يتلى القرآن من أوساط سوره — أشبه بالحق ، وأقرب إلى الصواب .

وأنه لم توجد رواية واحدة تدل على تقرير البسملة فى افتتاح القراءة من أواسط السور .

وأن الناظر فى أدلة المبسملين فى أواسط السور لا يجد إلا التيمن والبركة دليلا ... أما أنه يعتمد حجة من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس (وهى أصول التشريع الأساسية) فهو مالا سبيل إليه .

وأن الاستعاذة مندوبة وليست بواجبة .

وأن صيغتها المختارة فى كل حال : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ولذا نرى أن ما درج عليه أبناء الصومال من التعوذ فقط حين قراءة القرآن من أجزائه هو أولى بالإتباع . وأناى عن الابتداع ؟

محمد محمد الشرقاوى

المدرس بمعهد الأسكندرية

بقية المنشور فى صفحة ٩٧٤

سابقا إلا أنهم قالوا : إن كل نفس بما كسبت رهينة ، وإنهم غير ملزمين إلا بأنفسهم فأصدر إليهم مكتوبا جاء فيه « واجب إلى أمنيتكم لراحتكم ضبط الخلائق لأنه إن كان يصير أصغر الحركات فلا بد أن أثقالها يقع على رءوسكم » وأعيد القبض على الشيخ السادات خوفا من إثارة الفتن فى البلد وإهاجة العامة لبغضه الفرنسيين .

وانجلت الأمور بقدوم الانجليز والأتراك من الشمال الغربى والشمال الشرقى ولم يبق أمام الفرنسيين إلا الحرب فأخذوا أربعة مشايخ فى الديوان رهينة لديهم وهم الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى ونقلوهم إلى القلعة ومعهم الشيخ السادات وأراد الفرنسيون أن يخفوا حقيقة موقفهم الحرج عن الديوان وظل مينو يرسل من آن لآخر صرخات متتالية للديوان طالبا منه الثبات والاتحاد والتكتل من خلفه ولكن لم يجدهم ذلك إذ سرعان ما اندلعت ثورة المنوفية بقيادة موسى خالد ثم تقدمت الجيوش التركية حتى كادت تقترب من القاهرة وكان الفرنسيون فى غاية من الهلع والخوف فكانوا يجمعون المشايخ كل يوم ليأخذوا عليهم المواثيق والعهود ويوحون إليهم بأنهم قد استقروا فى مصر ولن يخرجوا منها قائلين لهم « واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك وركزوه فى أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى » كما كانوا يدعون بوصول المدد إليهم وسرعة القضاء على الانجليز والأتراك وأشاعوا - بعد ذلك أن الصلح قد وقع وأفرجوا عن المشايخ المعتقلين وأعيد فتح باب الجامع الأزهر فى ٧ يولية سنة ١٨٠١ وشرعوا فى كنسه وتنظيفه ليعود قلعة من قلاع الحرية وحصنا من حصون الإسلام وداعية إلى القوة والعدل والخير والسلام .

فوزى عرفة

جرم السرقة في التشريع الإسلامي والقانون الوضعي

للأستاذ محمد عطية راغب

---

١ — تمهيد :

السرقة فى التشريع الإسلامى تعد من الكبائر المنهى عن إتيانها ، بالكتاب ، وبالسنة ، والإجماع .

أما الكتاب فقوله تعالى ، والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم [١] .

وأما السنة فما رواه مسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لعن الله السارق ، يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده [٢] .

وما روى عنه صلى الله عليه وسلم [٣] ، أنه قال : لا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس .

وأما الإجماع ، فقد اتفق المجتهدون على تحريم هذا الفعل [١] .

٢ — وعلة التحريم فى هذا التشريع قائمة على رغبة المشرع فى المحافظة على الأموال وصيانتها من كل اعتداء غير مشروع قد يقع عليها ، لأنه لو لم يتم الحد لأدى ذلك إلى كثرة وقوع هذه الجريمة والإخلال بالأمن العام والنظام فى الدولة .

٣ — وسنقسم هذا البحث إلى ثلاثة فصول ، أولها فى تعريف السرقة وبيان الأركان المكونة لها ، وثانيها فى الأدلة التى يثبت بها هذا الجرم ، وثالثها فى تبيان العقوبة المقررة له .

تعريف السرقة وبيان أحكامها :

٤ — ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين ، أولهما فى تعريف السرقة فى التشريع الإسلامى والقانون الوضعى ، وثانيهما فى الأركان الواجب توافرها فى هذا الجرم .

---

(١) آية رقم ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) نيل الأوطار . ج ٧ . ١٣١ ، سبل السلام . ج ٤ ص (٢٠) ، نصب الراية لأحاديث الهداية ج ٢ ط ١ ص ٣٥٥ .

(٣) فى حجة الوداع .

(١) المغنى : ج (١٠) . ص ٢٣٩ ، إبراهيم دسوق الشهاوى . السرقة وما يتعلق بها من أحكام ص ٤ ، منصور يونس إدريس البهوتى . شرح منتهى الارادات . ج ٣ . ط ١٩٤٧ . ص ٣٦٢ .

تعريف السرقة (١) :

٥ — فى المذهب الحنفى عرفها أحدهم (٢) بأنها ، أخذ مال الغير على سبيل الخفية والاستمرار .

وعرفها ثان (٣) بأنها ، أخذ العاقل البالغ عشرة دراهم أو ما يبلغ قيمته عشرة دراهم مضروبة من حرز لاشبهة فيه .

وعرفها ثالث (٤) بأنها ، الأخذ على سبيل الاستخفاء .

وعرفها رابع (٥) بأنها ، أخذ البالغ العاقل عشرة دراهم أو مقدارها ممن هو متصد للحفظ مما لا يتسارع إليه الفساد من المال المتمول للغير من حرز بلا شبهة .

وعرفها خامس (٦) بأنها ، أخذ العاقل البالغ نصابا محرزاً أو ما قيمته نصاب ملكا للغير لا شبهة له فيه ، على وجه الخفية .

٦ — وفى المذهب الحنبلى عرفها أحدهم (١) بأنها ، أخذ الملتزم نصابا من حرز مثله من مال معصوم لا شبهة له فيه على وجه الاختفاء .

وعرفها ثان (٢) بأنها ، أخذ المال على وجه الخفية والاستتار .

وعرفها ثالث (٣) بأنها ، أخذ مال محترم لغيره وإخراجه من حرز مثله لا شبهة فيه على وجه الاختفاء .

وعرفها رابع (٤) بأنها ، أخذ مال الغير على وجه الاختفاء .

وعرفها خامس (٥) بأنها ، أخذ المال على وجه الاختفاء من الحرز بشرط ألا تكون له شبهة فيه .

٧ — وفى المذهب المالكى عرفها أحدهم (٦) بأنها ، أخذ مكلف نصابا فأكثر من مال محترم لغيره بلا شبهة قوية خفية بإخراجه من حرز غير مأذون فى دخوله .

٨ — وفى المذهب الشافعى عرفها

---

[١] السرقة لغة هى أخذ الشىء من الغير خفية لسان العرب ج ١٢ ط ٣ . ١٢ هـ ص ٢١ ، المحيط ص ١٩٥١ ، المصباح المنير ج ١ ط ١٩١٢ ص ٤١٩

[٢] الفتاوى الأنقروية ج ١ ص ١٥٩ .

[٣] على أبو بكر للرغينانى ، متن بداية المبتدى ط ٣ . ص ٩٥ .

[٤] الكاسانى . بدائع الصنائع ج ٧ ط ١ ص ٦٥

[٥] شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢١٩ .

[٦] الفتاوى الهندية . ج ٢ . ص [١٧٠] .

[١] موسى أحمد المقدسى زاد المستقنع ص ١٦٦ .

[٢] المغنى . ج (١٠) . ص ٢٣٩ .

[٣] موسى الحجاوى المقدسى . الإقناع فى فقه الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ . ص ٢٧٤ .

[٤] عبد القادر عمر الشيبانى . نيل المآرب بشرح دليل الطالب . ج ٢ ص . ٣٤٣ .

[٥] عبد الله قدامة . المقنع فى فقه أحمد بن حنبل ج ٢ ط ١ ص ٤٩٣ وما بعدها .

[٦] يوسف عبد الرحمن المنياوى الفقه الواضح ج ٤ . ط ١٩٠٥ ص ٧٤ .

أحدهم[١] بأنها، أخذ المال خفية من حوز مثله.

وعرفها آخر[٢] بأنها، أخذ البالغ المختار نصابا من المال من حرز مثله لا شبهة له فيه.

وعرفها ثالث[٣] بأنها، الأخذ لمال الغير خفية من حرز مثله.

وذهب البعض[٤] إلى أنها، أخذ الشيء أو المال خفية من حرز مثله بلا شبهة.

٩ — وفى المذهب الشيعى[٥] عرفت بأنها، أخذ مال الغير المحرم خفية من غير أن يؤتمن.

١٠ — ونحن نعرفها بأنها، أخذ البالغ العاقل الملتزم بحكم الإسلام نصاب القطع خفية من مال الغير متمول معصوم وإخراجه من حرز غير ماذون فى دخوله بلا شبهة[٦].

أما فى القانون الوضعى فهى إختلاس شيء منقول مملوك للغير بدون رضاه بنية امتلاكه.

أركان الجريمة:

١١ — أركان جريمة السرقة ثلاثة، ومن أجل هذا سنقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، أولها فى الأخذ خفية، وثانيها فى المسروق، وثالثها فى القصد الجنائى الواجب توافره لدى الجانى.

فى الأخذ خفية:

١٢ — لكى يتوافر الركن المادى المكون لجرم السرقة فى التشريع الإسلامى يجب أن يكون الأخذ من المجنى عليه خفية واستتارا فإذا لم يتم أخذ المال على هذه الصورة فلا يتوفر الركن المادى لهذا الجرم.

ولهذا لا قطع مطلقا على المختلس، لأنه يأخذ المال عيانا لا خفية وإن وجب التعزير.

كما لا قطع أيضا على المنتهب، لأنه يأخذ المال عيانا بالقوة وعلى وجه الغنيمة لا خفية وإن استحق التعزير.

ومثلهما الخائن الذى يأخذ المال المؤتمن عليه لقصور فى الحرز وإن استحق التعزير.

وكذلك يكون الحال بالنسبة لجاحد الوديعة أو العارية، وإن كان أحمد وإسحاق يقطعان فيها.

١٣ — ويجب أن يتم الفعل على صورة تامة، فخرج المسروق من حوزه، وتدخله فى الوقت نفسه فى حيازته، لأنه إذا لم يتم الأخذ بهذه الكيفية فلا حد عليه وإن إستحق

---

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج جـ٧ ط ١٩٣٨ ص ٤١٨ و ٤٣٦.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن الشيرازى المهذب. جـ ٢. ص ٢٩٤.

(٣) أبو يحيى زكريا الأنصارى أسنى المطالب شرح روض الطالب جـ ٤ ص ١٣٧ و ١٤٦

(٤) حاشيتا القليوبى وعميرة جـ٤ ص ١٨٦

(٥) التاج المذهب جـ ٤ ص ٢٢٥

(٦) محمد عطية راغب. جرائم الحدود فى التشريع الاسلامى والقانون الوضعى ا. ن ١٤٣.

التعزير ، خلافا للظاهرية فإنهم يوجبون القطع فى هذه الحالة .

١٤ - أما فى التشريع الوضعى فالاختلاس هو الفعل المادى المكون لجرم السرقة . وهو الفعل الذى يخرج به مقترف الجرم المسروق من حيازة المجنى عليه بغير علمه ، أو بدون رضاه ، ويدخله فى الوقت نفسه فى حيازة أخرى تختلف الاختلاف الكلى عن الأولى ، سواء أكانت حيازته هو أم حيازة غيره .

١٥ - وفى هذا التشريع تستوى الوسائل التى يستعملها الجانى فى إخراج المسروق من حيازة المجنى عليه .

١٦ - ولقد ذهب الفقه والقضاء فى مصر ، إلى أن التسليم الذى ينتفى به ركن الاختلاس فى جرم السرقة هو ذلك الذى يكون حاصلا من شخص له صفة قانونية على الشىء المسلم ، والذى يكون صادرا عن إدراك واختيار ، ويكون مقصودا به التخلى عن الحيازة حقيقة . أما مجرد التسليم المادى الذى لا ينقل حيازة ما وتكون به يد المستلم على الشىء يدا عارضته فلا ينفى الاختلاس .

فى المسروق :

١٧ - ينقسم هذا المطلب إلى أربعة فروع ، أولها فى وجوب أن يكون المسروق مالا ، وثانيها فى وجوب بلوغ النصاب . وثالثها فى وجوب الأخذ من الحرز ، ورابعها فى وجوب عدم توافر الشبهة لدى الجانى فى المسروق .

فى وجوب أن يكون المسروق مالا :

١٨ - يجب أن يكون المسروق مالا . ولذا فلا قطع بسرقة الصبى الحر غير المميز ، وإن كان عليه حلية ، لأن الحر الصغير ليس بمال ، كما أن الحلية التى عليه تابعة له فتأخذ حكمه . وذهب أبو يوسف ، وابن المنذر ، إلى القطع بسرقة الصبى الحر إذا كانت عليه حلية تبلغ قيمتها نصابا وإلا ضاعت أموال كثيرة تحت هذا الستار .

١٩ - كما يجب أن يكون المال محترما شرعا . فلا حد فى سرقة مال الحربى فى دار الحرب . ولا قطع فى سرقة خمر ، وخنزير ولو لكافر أو ذمى ، وقد حكى عن عطاء أن سارق خمر الذمى يقام عليه الحد لأنه مال له شبهة كما لو سرق دراهمه ونحن لا نأخذ بهذا الرأى ، لأن الخمر مال محرم شرعا والقاعدة أن سرقة المال المحرم لا قطع فيه ولأن مالا قطع بسرقته من مال المسلم لا يقطع بسرقته من الذمى .

كما أنه لا قطع فى سرقة آلات اللهو ، وإن كانت عليها حلية تبلغ نصابا ، كالدف والطبل والزمار ، والطنبور ، والشبابة وإن بلغت قيمتها نصابا ، لأن هذه معازف قد ندب إلى كسرها .

كما أنه لا قطع بسرقة النرد ، والشطرنج ، وإن كانت من ذهب أو فضة .

ولا قطع أيضا فى سرقة كتب بدع ، أو سرقة كتب محرمة . أما كتب العلم المباحة فيجب القطع بسرقتها عند الحنابلة والشافعية لأنها مال حقيقة وشرعا ، أما الحنفية فيرون عدم إقامة الحد على الجانى فى هذه الحالة لأن المقصود من سرقتها هو معرفة ما اشتملت عليه من أحكام شرعية وهو ليس بمال . وكفى بذلك شبهة توجب درءه الحد ونحن نأخذ بالرأى الأول .

٢٠ — وأوجب جمهور الفقهاء أن يكون المال المسروق مما ليس جنسه مباحا تافها ، فى دار الإسلام .

ولذا لاحد فى سرقة كلب ، ولو كان معلما أو كان للحراسة ، وحتى لو كان فى عنقه طوق من ذهب أو فضة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حرم ثمنه .

كما أنه لاحد فى سرقة فهد ، أودب ، أو خشب ، أو حطب ، أو صيد وحشيا ، أو طير ، أو زرنيخ ، أو سمك أو تبن ، أو حشيش ، أو تراب ، لأن هذه الأشياء مما يباح جنسها ، ولأن الناس لا يتمولون هذه الأشياء .

وذهب الشافعى ، ومالك ، وأحمد بن حنبل إلى عدم الاشتراط . ونحن نأخذ بهذا الرأى ذلك لأن الأموال التى توجد مباحة فى دار الإسلام متى أحرزت تعلقت بها نفوس من اختصوا بها .

٢١ — أما إذا سرق الجانى الساج ، أو القنا ، أو الأبنوس ، أو الصندل ، أو الفصوص الخضر ، والزبرجد ، أو اللؤلؤ أو الياقوت ، يجب إقامة الحد على الجانى ، لأنها أموال متمولة ومحرزة فى نفسه .

٢٢ — وإذا سرق الجانى عبداً صغيرا لا يميز فأكثر الحنفية ، والحنابلة ، والشافعية ومالك ، ذهبوا إلى وجوب إقامة الحد عليه ، لأن السارق مالا مملوكا متقوما . وذهب أبو يوسف إلى عدم وجوب إقامة الحد ، لأن عنده لا يقطع بسرقته كبيرا فلا يقطع بسرقته صغيرا .

أما إذا سرق عبداً كبيرا فأكثر الحنفية ، والحنابلة ، ذهبوا إلى أنه لاحد عليه إلا أن يكون العبد نائما ، أو مجنونا ، أو أعجميا ، لا يميز بين سيده وغيره فى الطاعة ، لأن هذا العمل يعد خداعا لا سرقة .

(للبحث تتمة) محمد عطية راغب

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع والاقتصاد

للأستاذ محمد محيي الدين محمد المسيري

وفرة السكان ومستوى المعيشة :

إذا عظم عمران البلاد الوافرة السكان وازداد الدخل والخرج ارتفع مستوى المعيشة ، وهناك دائما اتجاه للتوازن بين الدخل والخرج فإذا زاد الدخل لحقه الخرج وبالعكس . وهذا التوازن الجديد يحصل فى مستوى أعلى فى البلاد الوافرة السكان وفى هذا الشأن يقول ابن خلدون : « وأما حال الدخل والخرج فتكافىء فى جميع الأمصار ومتى عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس . ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر كل شىء » (١) .

وما علينا إلا أن نقارن احتمالات الكسب فى البلاد التى زاد عمرانها بازدياد سكانها « فإن تفاضل العمران فى الأمصار يكون بزيادة الكسب ... فما كان عمرانه من الأمصار أكثر وأوفر كان حال أهله فى الترف أبلغ من حال المصر الذى دونه على وتيرة واحدة فى الأصناف . القاضى مع القاضى والتاجر مع التاجر . والصانع مع الصانع ، والسوق مع السوق ، والأمير مع الأمير ، والشرطى مع الشرطى . واعتبر ذلك فى المغرب مثلا بحال فاس مع غيرها من أمصاره الأخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة ، تجد بينها بونا كثيرا على الجملة ثم على الخصوصيات ، وتجد أهل الأمصار الصغيرة ضعفاء الأحوال متقاربين فى الفقر والخصاصة لما أن أعمالهم لا تفى بضروراتهم ولا يفضل ما يتأثلونه كسبا فلا تنمو مكاسبهم وهم لذلك مساكين محاويج إلا فى الأقل النادر . (١) ...

ومضمون هذا أن كثرة السكان تؤدى إلى رفع مستوى المعيشة فى حين أن قلة السكان تؤدى إلى قلة العمران وضعف قوة الشراء مع تقاربها بين السكان ، وأبلغ من كل ذلك أن السائل فى الأمصار الكبيرة له قوة سؤال ليست للسائل فى الأمصار الصغيرة ويقول : ابن خلدون فى هذا الصدد « فإن السائل بفاس أحسن حالا من السائل بتلمسان أو وهران . ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الأضاحى أثمان ضحاياهم ورأيتهم يسألون كثيرا من أحوال الترف واقتراح المآكل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ

---

(١) مقدمة ابن خلدون ــ الفصل الرابع ص ٣٤٣

(١) مقدمة ابن خلدون ــ الفصل الرابع ص ٣٤٣ و ٣٤٤ .

والملابس والماعون كالغربال والآنية : ولو سأل سائل مثل هذا بوهران أو تلمسان لاستنكر وعنّف وزجر » . ثم يسترسل فيقول : « ويبلغنا لهذا العهد عن أحوال القاهرة ومصر من الترف والغنى فى عوائدهم مايقضى منه العجب حتى أن كثيراً من الفقراء بالمغرب ينزعون إلى النقلة إلى مصر لذلك. (١) وإنما هى نتيجة الفوضى السياسية والارهاق المالى الذى يعم الدولة فى أواخرها مما يؤدى إلى نقص الإنتاج والامتناع عن التخزين : « فيقل اختزان الزرع وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة ، فطبيعة العالم فى كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والضرع والثمار على نسبته إلا أن الناس واثقون فى أقواتهم بالادخار ، فإذا فقد الادخار عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا ... (٢) » .

ويشير ابن خلدون بذلك إلى أهمية التخزين فى التوفيق بين الإنتاج والاستهلاك ويرى أنه يخضع للعامل النفسانى ، فإذا لم يتوفر امتنع التخزين وكان ذلك سبب المجاعات ... وخاصة إذا كان المحصول غير ثابت ...

[١] مقدمه ابن خلدون ـ الفصل الرابع ص٣٤٣
[٢] مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الثالث ص ٢٨٦ فى وفور العمران آخر الدولة الخ .

فالمجاعات تضع حداً للنسل عند استحكام الحضارة . كذلك يؤثر الاستعباد فى قلة السكان . ويقول فى صدده « اعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ أن غايتها ومصيرها انتهابها . وإذا ذهبت آمالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعى فى ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتساب ، فإذا كان الاعتداء كثيراً عاما فى جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها ، وإن كان الاعتداء يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبته . والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس فى المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين ، فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانتقضت الأحوال واختل حال المصر . كذلك حال الدولة لما أنها صورة العمران تفسد بفساد مادتها ضرورة ... (١) » .

ويقول ابن خلدون رأيه فى تسخير الرعايا « ومن أشد الظلامات وأعظمها فى إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا

[١] مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الثالث ص ٢٢٢ فى أن الظلم مؤذن بخراب العمران :

بغير حق وذلك أن الأعمال من قبيل المتمولات ... لأن الرزق والكسب إنما هو قيم أعمال أهل العمران ، فإذا مساعيهم وأعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم ، بل لا مكاسب لهم سواها فإن الرعية المعتملين فى العمارة إنما معاشهم ومكاسبهم من اعتمالهم ذلك فإذا كلفوا العمل فى غير شأنهم واتخذوا سخريا فى معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متمولهم ،فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وإن تكرر ذلك أفسد آمالهم فى العمارة وقعدوا عن السعى فيها جملة فأدى ذلك إلى انتقاض العمران [١] .

هذا وقد ذهب ابن خلدون إلى أبعد من هذا وتناول الموضوع من ناحيته الأعم فبحث فى أثر فقدان الحرية الإنسانية فى النسل ... وفى هذا يقول : إذا غلبت الأمة وصارت فى ملك غيرها أسرع إليها الفناء بما يحصل فى النفوس من التكاسل ، إذ تصير بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الأمل ويضعف التناسل، والاعتمار إنما هو عن جدة الأمل وما يحدث عنه من النشاط فى القوى الحيوانية ، فإذا ذهب الأمل بالتكاسل تناقص عمران الأمة وتلاشت مكاسبها ومساعيها وعجزت عن المدافعة عن نفسها بما خضد القلب من شوكتها فأصبحت طعمة لكل آكل ، والإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذى خلق له. والرئيس إذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزه تكاسل عن شبع بطنه ورى كبده ، وقد يقال مثل ذلك فى الحيوانات المفترسة فإنها لا تسافر إذا كانت فى ملكة الآدميين ... وما تزال الأمة المملوكة على أمرها فى تناقص واضمحلال إلى أن يأخذها الفناء ... واعتبر فى ذلك أمة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة فلما دخلت فى ملكة العرب لم يكن بقاؤها إلا قليلا ودثرت كأن لم تكن ، ولا تحسبن أن ذلك لظلم نزل بها أو عدوان شملها فملكة الإسلام فى العدل ما علمت وإنما هى طبيعة فى الإنسان إذا غلب على أمره وصار آلة لغيره [١] .

ويقول العميد الأستاذ محمد صالح ، ولسنا نعلم كاتبا قبل أو بعد ابن خلدون وفق إلى هذا التحليل الدقيق لأثر الحرية فى الإنسان ، وأبرز فى الطليعة مكان الإنسان فى الوجود ووضع العزة الإنسانية فى نصابها الصحيح[٢] وليس مثل هذا التفكير مستغربا من عالم عمد فى جميع كتابته إلى مناصرة الإنسان فى ظل السلطان العادل .

---

[١] مقدمة ابن خلدون ــ الفصل الثالث ص ٢٧٤ ومن أشد الظلامات تكليف الأعمال وتسخير الرعايا

(١) مقدمة ابن خلدون ــ الفصل الثانى ص ١٤٠ و ١٤١ فى أن الأمة إذا غلبت آل إليها الفناء .

(٢) مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٣٣ ص ٧٦٠

وفى ختام هذا البحث يتعين علينا أن نعقد مقارنة بين آراء ابن خلدون وآراء الاقتصاديين فى مسألة السكان .

ونحن هنا لا نود أن نكرر ما قاله الاقتصاديون تفصيلا فى مسألة السكان وإنما نكتفى بالتلميح للاتجاهات الكبرى فى التفكير الاقتصادى مقارنين إياها بما وصل إليه ابن خلدون فى بحثه .

ونود قبل أن ندخل فى المقارنة ، أن نشير إلى أن البحث عن السكان قد تطبع بظروف الزمان والإقليم .

أما ابن خلدون فإن كتابته علمية بحته مجردة إلى حد كبير عن تأثير الزمان والمكان . فهو لا يدرس إقليماً أو زمانا معنياً وإنما يدرس الاتجاهات الكبرى المجردة عن طابع الإقليم المعين أو الزمن المحدد .

وقد كان التجاريون [1] يعتقدون مثل ابن خلدون ، أن قوة الدولة إنما هى بعدد رعاياها ولذلك كانوا يشجعون زيادة السكان ، وكذلك قال الطبيعيون [2] (الفيزيوكرات) وإن كانت آراؤهم تنقصها الوحدة والتماسك .

أما مالثس ، فخلاصة اعتراضه أن المواد الغذائية لا تستطيع أن تجارى زيادة النسل فلا بد إذاً من إيجاد التوافق بين إنتاجها وزيادة النسل ، وقد وضع ابن خلدون المسألة فى وضعها الصحيح بأن بين أن زيادة السكان إنما مجال أثرها فى مستوى الرفاهية لا فى مستوى القوت . وقد دلت الأبحاث الحديثة على صحة نظرية ابن خلدون عن القوت وإنتاجه . وفى ذلك يقول الأستاذ الدكتور عبد الحكيم الرفاعى : « لا خطر من وجهة عدم كفاية المواد الغذائية ، فقد زادت المنتجات الغذائية لدرجة أن ما يعانيه العالم الآن ليس قـلة انتاج ، بل إفراط انتاج ... »[1].

وإذا قارنا آراء ابن خلدون بآراء بيرسون رأينا وجه الشبه بينهما . فدار البحث فى نظر كل منهما كثافة السكان وعلاقتها بالعمران وليس الفكرة المجردة عن الزيادة والنقص فى السكان . فليست الزيادة فى السكان فى كندا مثل زيادة السكان فى بلجيكا .

ويقول بيرسون إننا نجد عدد السكان فى البلاد الراقية أكبر منه فى البلاد المتأخرة وهذا يؤيد ما قاله ابن خلدون عن علاقة السكان بالعمران .

وإذا قورنت آراء ابن خلدون مثلا بآراء كارى فى السكان كان الحكم فى صالح ابن خلدون ولا شك أن مقارنة آراء ابن خلدون فى السكان بآراء غيره من الاقتصاديين تدل على عبقريته الفذة وذهنه الممتاز ، فهو وإن سبق هؤلاء الاقتصاديين بقرون ، إلا أنه كان فى بحثه موفقا كل التوفيق بل امتاز عنهم

(١) المذهب التجارى "Le Mercantilisme"

(٢) المذهب الطبيعى "La physiocratie"

(١) كتاب الاقتصاد السياسى باب مسائل السكان

بتجرد نظرته عن القيد الإقليمي أو الزمانى ، ومما يدل على صدق رأيه أننا نجد مثلا الدكتور عبد الحكيم الرفاعي يقول: « المسألة التى يعنى الكتاب ببيانها فى العصر الحاضر تنحصر فى أنه لا محل للمخاوف التى أثارها مالتس فى الممالك المتمدينة ، لأن الخطر الذى تستهدف له الدول فى العصر الحديث ، ليس إفراط السكان ، بل على النقيض من ذلك نقص عدد المواليد ... » . كتاب الاقتصاد السياسى ـ باب مسائل السكان .

وفى هذا المقام قال رجل من رجال الاقتصاد العرب فى تفنيده لنظرية مالتس: « لو كان عدد السكان يتضاعف كل ٢٥ عاما ، لكانت الأرض امتلأت بهم منذ زمن طويل . لكن هذا لم يحدث إذ ما زالت هناك حتى الآن بقاع تكاد تكون خالية منهم ، على أن مالتس كان متأثراً فى قوله بواقعة خاصة لم يتكرر حدوثها مرة أخرى ، وهى تضاعف عدد سكان الولايات المتحدة خلال القرن الثامن عشر فى مدة تقرب من خمسة وعشرين عاما ، فإذا كانت الزيادة لم تحدث طبقاً لما تنبأ به مالتس فلأن هناك أسبابا عديدة تمنع من ازدياد عدد السكان بهذه النسبة التى توقعها ، إذ لا يمكن القول أن الزيادة فى السكان هى بنسبة واحدة فى مختلف الأقطار والأزمنة والطبقات .

كما يقول : « لا يوجد ما يبرر الشطر الثانى من النظرية ، الخاص بمواد المعيشة ، لأن مواد المعيشة قابلة للزيادة بنسبة أعظم من النسبة الحسابية ، علاوة على ذلك فإن التاريخ يناقض قول مالتس ، إذ زادت مواد المعيشة بنسبة أعظم من الزيادة فى السكان ، حيث يستهلك الفرد فى الوقت الحاضر من الغذاء والملبس أكثر مما كان يستهلكه سابقه فى القرون الماضية ... » .

« وعلاوة على ذلك فكلما زاد عدد السكان تفننوا فى إيجاد الوسائل اللازمة للمعيشة فتظهر آراء ومخترعات لم تخطر ببال أسلافهم فيهيء تقدم الزراعة والصناعة زيادة وسائل المعيشة كما يساعد عليها رقى طرق المواصلات والنقل بحيث يتخصص كل قطر فى نوع معين من الإنتاج تساعد عليه ظروفه الطبيعية والاجتماعية معتمداً فى باقى ما يلزمه على الأقطار الأخرى .

وقد قارن الدكتور محمد صالح نظرية ابن خلدون بنظرية مالتس فقال : « ونحب أن نذكر هنا أن مالتس عند تقريره لنظريته الشهيرة الخاصة بالسكان ... لم يعقب على نظريته مؤكدا قيود هذه النظرية وأهمها ما يترتب على زيادة السكان من زيادة تجزئة العمل المفضى إلى زيادة الطعام وهو ما لمحه ابن خلدون بألمعيته ... »[1] .

محمد محيي الدين المسيري

---

(١) مجلة القانون والاقتصاد ص ٧٥٨ و ٧٥٩ سنة ١٩٣٣ .

ماذا يُراد بالإسلام في إفريقيا!

للأستاذ محمد عبد الله السمان

منذ أسابيع حمل إلى البريد رسالة مطولة تقع فى بضع عشرة صفحة من «الفولسكاب» أرسلها الأخ الشيخ عثمان على محمد ناظر المعهد العلمى الأهلى بجزيرة أبا بالسودان ، وسيادته قام بحمل الرسالة من أخ مسلم غيور على دينه فى مديرية « أبشة » بجمهورية « تشاد » الإفريقية شاء أن لا يذكر اسمه حتى لا يلحقه أذى الاستعمار الفرنسى وهو موظف فى إحدى الشركات الفرنسية هناك ، وأما فحوى الرسالة فهو المؤامرة الكبرى على الإسلام دينا وشعبا فى جمهورية إسلامية يمثل المسلمون فيها ٩٠ ./. .

ونحن قبل أن نتعرض للرسالة التى طلب صاحبها منى أن أقوم بطبعها ونشرها ورفع نسخ منها إلى الأزهر والمؤتمر الإسلامى وأمانة الجامعة العربية ، والمجلس الإسلامى الأعلى بوزارة الأوقاف ، ثم إلى من يهمهم أمر الإسلام والمسلمين فى سائر البلاد الإسلامية — قبل أن نتعرض لهذه الرسالة يجب أن نمر مرورا عابرا على جمهورية « تشاد » التى نكاد نجهلها نحن المسلمين وهى قطعة عزيزة من الوطن الإسلامى .

جمهورية « تشاد » من الدول الإفريقية التى استقلت استقلالا زائفا تحت ستار مجموعة الشعوب الفرنسية المستقلة ، تقع غربى السودان وجنوب ليبيا ، يبلغ سكانها حوالى ثلاثة ملايين ونصف يمثل المسلمون ٩٠ ./. والباقون مسيحيون ووثنيون من عبدة الأشجار والأحجار ، استعمرتها فرنسا عام ١٩٠٥ أى بعد توغلها فى أفريقيا بثلاثين عاما .

والمؤامرة على الإسلام دينا وشعبا ينسج خيوطها الاستعمار الفرنسى بالطبع ، يستعين بأساليب جديدة يحقق بها مؤامرته ، وتساعدها جماعات التبشير الكاثوليكى ، التى يعول عليها كثيرا فى تنفيذ خططه .

ولما كانت اللغة العربية يتكلم بها ٩٥ ./. من سكان تشاد المسلمين . لأنها وسيلتهم الكبرى إلى تفهم الإسلام وتدبر معانى القرآن والسنة الشريفة ، فقد عمد الاستعمار إلى اضطهاد هذه اللغة بشتى الوسائل ، وتحديد إقامتها فى مكاتب تحفيظ القرآن المعدودة على الأصابع ، والتى لا يسمح بإنشائها إلا بعد جهد جهيد ، وقد كانت توجد ١٥٠ جريدة عربية لم تمض خمس سنوات حتى أغلقت جميعا . والمدارس هناك فرنسية ، والمعهد الدينى المتواضع الوحيد سمحت فرنسا بإنشائه عام ١٩٤٦ ثم أغلقته عام ١٩٥٢ . ثم سمحت له

بنشاطه بعد أن ظل مغلقا زهاء أربع سنوات، ولكن تحت مراقبة بالغة فى الدقة. أما العقيدة الإسلامية فالاستعمار يعبىء لها كل ما يملك من وسائل، فإزاء فشل التبشير فى تنصير مسلم واحد، لجأ إلى حيل أخرى يهدف منها إلى تحلل العقيدة ذاتها فى نفوس المسلمين. عن طريق التشكيك، يلقنه النشء فى المدارس الفرنسية الابتدائية، كما يلقنه الشباب فى المعاهد الثانوية، كما يلقنه الكبار عن طريق الرسائل والكتب والصحافة الفرنسية والمحاضرات الرتيبة فى الحقول والمصانع على السواء.

ويقول الأخ صاحب الرسالة:

إن التبشير حين عجز عن تنصير المسلمين، ـ وهذه مهمته الأصيلة ـ أصبح يرضيه أن يتحلل المسلم من دينه ويتجرد من عقيدته. ويستخف بإسلامه، وهو يتخذ من أبناء تشاد الذين شاء لهم حظهم العاثر أن يتعلموا فى فرنسا هدفا يسلط عليه أضواءه ويستعديه على مقومات الإسلام.

والعجب الذى بلغ حد الخيال، أن الاستعمار الفرنسى فى سبيل أن يقلص عقيدة المسلمين خلال الأربعين عاما التى تلت استعماره لجمهورية تشاد لم يسمح إلا بإقامة ثلاثة مساجد فقط، واحد فى « أبشه » عاصمة مملكة وادى العباسية القديمة، وواحد فى قرية « شكين » وثالث فى « فورت لامى » العاصمة الحالية. وبعد عام ١٩٤٥ وإزاء إصرار المسلمين على إنشاء المساجد، سمح بإقامة بعض المساجد الأخرى فى المدن الكبيرة التى يغمرها الفساد والانحلال الخلقى.

ويواصل الأخ المسلم حديثه عن جانب آخر له خطورته قائلا:

إن الاستعمار لم يتخل عن مهمته فى إبعاد المسلمين عن الإسلام، ولم يلق السلاح بعد، فهو حريص كل الحرص على إيجاد شعب لا يرتبط بعقيدته من قريب أو بعيد، فالعقيدة فى رأيه أقوى عقبة فى سبيل تحقيق أهدافه ومواصلة حياته، وهو لذلك لا يفكر فى الاستسلام مطلقا، ولا فى التقهقر خطوات إلى الوراء، بل يبتكر الأساليب الحديثة ما يجعله متشبثا برسالته، فنحن نراه اليوم يسلك شعبين يلتقيان عند هدفه فى تحطيم معنوية الإسلام.

فهو يشجع الجهل والخرافة والدجل والشعوذة بتشجيعه لبعض الطرق الصوفية الجاهلة وهى كفيلة بالاستيلاء على العقليات المتمدينة، وإبعادها عن مفهوم الإسلام الصحيح...

ثم من جانب آخر يولى زمام الحكم زعماء فقدوا ضمائرهم قبل أن يفقدوا عقائدهم، ووكل إليهم نشر الفساد من أوسع أبوابه ومسالكه، وأبرز مظاهره « البغاء » العلنى والسرى على السواء، حتى وصلنا إلى درجة من البهيمية لا مثيل لها فى سائر بلاد الله.

أما القائمون على عقائدهم الإسلامية،

الذين لم تجتذبهم أحدى الشعبتين ، فالمتوارون منهم فى سلام مؤقت ، والمجاهدون منهم ، حقت عليهم لعنة الاستعمار : سجن وتشريد واضطهاد وتنكيل وحرمان من لقمة العيش .

إن أخى المسلم الغيور من « تشاد » يتحدث عن الحكومة الوطنية هناك ، ولا تدهش إذا علمت أن رئيس هذه الحكومة فى الجمهورية الإسلامية « مسيحى » وليس هذا بعجيب ما دام للاستعمار الفرنسى اليد الطولى ، وإنما العجيب فى أن هذه الحكومة تجمع أموالا طائلة من الشعب للشئون الدينية الإسلامية والمسيحية معا ، أما الشئون الدينية المسيحية فيغدق عليها إغداقا شاملا ، وأما الشئون الإسلامية فيقتر عليها تقتيرا مثيرا ، وقد يتلاشى العجب والدهشة إذا علمنا أن مدير الشئون الإسلامية إما أن يكون مسيحيا وإما أن يكون يهوديا .

وفى مجال التبشير ظاهرة لا ندرى كيف نكيفها - كما يقول الأخ المسلم - فالمبشرون بالمسيحية يضمون إليهم عدداً وفيراً من اليهود ، جاء هذا العدد الوفير ليسهم فى تحويل المسلمين عن عقائدهم ، وكل مبشر من هؤلاء افتتح فى مسكنه مكتبا للاستقبال فيه علاج للمرضى ، وفيه تباع الكتب المدرسية المقررة ، ويمنح كل طالب لعلاج أو كل مشتر للكتب المدرسية رسائل دينية مسيحية تبشيرية بالمجان ، على غلافها : القدس - بيت لحم - ص . ب ٦٨ - الأردن ، وهذه الرسائل مطبوعة طبعاً أنيقا باللغة العربية ، والمقصود من العنوان تشجيع أى قارئ على طلبها بالمجان أيضا . وعنصر النساء فى التبشير يؤدى دوراً خطيراً ، مجاله إغراء الشباب المراهق بمفاتن الجسد ، وما إلى ذلك .

إن كثيراً من أبناء جمهورية « تشاد » الإسلامية نزح إلى البلاد الشرقية ليتلقى العلوم الدينية فى معاهدها ، لاسيما الأزهر الشريف ، ولكن هؤلاء إذا ما عادوا إلى وطنهم الأم يكون مصيرهم الشارع ، فهم لا يمكنون من نشر الإسلام حتى فى مساقط رؤوسهم ، ولا يلحقون بوظائف الدولة لأنهم لم يتلقوا الثقافة الأوربية وهى شرط فيمن يريد أن يلتحق بوظيفة ، وهم إزاء ذلك إما أن يعودوا من حيث أتوا ليقطعوا مراحل حياتهم مهاجرين غرباء ، وإما أن يكدحوا فى الأرض إن كان فى أعناقهم أسرا يتحتم عليهم أن يعولوها .

ويتحدث الأخ المسلم عن ظاهرة أخرى جديرة بالتسجيل ، فهو يقول : إن المتدينين يقبلون على حفظ القرآن عن ظهر قلب ، ويدفعون أبناءهم أيضا إلى حفظه ، أما العلوم الأخرى : مدنية أو دينية فلا مجال لها ، وهم يقاطعون المدارس الفرنسية تعبدا ، ويعتبرون أنفسهم فى نجاة وسلام وكفى ،

أما المسائل التى تهم الوطن الإسلامى : سياسية واجتماعية فلا يهتمون بها ، ولا يعنيهم من أمرها شىء ، والاستعمار يرحب بهم أيما ترحاب ، يرحب بانعزاليتهم وسلبيتهم ، ويتمنى أن لو كان شعب « تشاد » بأسره على طريقتهم .

* * *

وبعد ...

ففى المذكرة المسهبة الكثير من المآسى التى تحيق بوطن إسلامى يعيش فى قلب أفريقيا السوداء ، لا يكاد المسلمون فى سائر بقاع العالم يعلمون عنه قليلا أو كثيرا . فى هذا الجزء من الوطن الإسلامى الكبير يقوم صراع عنيف بين الاستعمار الفرنسى المسلح بكل وسائل التسليح الحديثة ، وبين العقيدة الإسلامية التى لا تملك إلا نفوسا متسلحة بالفقر والجهل والمرض ، وبينما الاستعمار يستورد المبشرين الكاثوليك ، والأفاقين الصهاينة ، ويغرى من يملك إغراءه من الوطنيين المارقين بالأموال والمناصب ومفاتن الجسد الرخيص ، ويعمد إلى التنكيل والتشريد والاضطهاد إذا ما فشلت وسائل التبشير والإغراء معا ، بينما يقوى الاستعمار الفرنسى على كل هذا ، يقف الشعب المسلم مكتوف اليدين ، يستغيث ولا مغيث ، ويستصرخ ولا مصرخ ، ويجند قسرا ليقاتل أخاه المسلم فى الجزائر ، ويصوب إلى صدره الرصاص إن أريد منه ذلك ، وهو يستمع إليه ينطق بالشهادتين ، ومع ذلك لا يستطيع أن يتبرم أو يتوقف ، لأنه يعلم مصيره إن حاول التبرم أو التوقف .

والذى نريد أن نقوله أخيراً :

إن فى الوطن الإسلامى كثيراً من الأقليات الإسلامية عددا وضعفا ، لم تزل تعيش فى بلادها ذليلة ، وفى ديارها غريبة ، وهى بين الفينة والأخرى تصرخ وتستغيث لأنها لا تملك إلا الصراخ والاستغاثة ، وحين تيمم وجهها فى صراخها واستغاثتها فإنما تيممه إلى الأزهر باعتباره القاعدة الكبرى للمسلمين فى سائر بلاد الله ، دون أن تيممه إلى رؤساء المسلمين وأمرائهم ، والأزهر يستطيع أن يفعل الكثير والكثير ، وأخشى ما أخشاه أن تتوالى صرخات المسلمين المعذبين فى الأرض ، ثم لا تجد صدى ، فتفقد الثقة والأمل فى الأزهر ، الذى لا تزال الشعوب الإسلامية بأسرها ترى فيه الجامعة التى ترنو إليها الأبصار ، وتشرئب إليها الأعناق ، ولاضير عليها بعد ذلك إذا هى ملت الكفاح المرير واستسلمت أو على الأقل تستكين ، وهى تردد من أعماق نفوسها ، والحسرات تمزق نياط قلوبها :

اللهم قد بلغنا .. اللهم فاشهد .. !

محمد عبد الله السمان

الإخلاص فى تقدير الشريعة وعلماء النفس

للأستاذ عباس طه

عن أبى أسامة قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شىء له ، فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شىء له ثم قال إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه ، رواه أبو داود والنسائى بسند جيد من كتاب الترغيب والترهيب .

هذا الحديث صريح فى أن الله لا يقبل الأعمال إلا إذا كانت خالصة ويتعلق بذلك أمور : (١) فضل الإخلاص وقيمته فى نظر الدين الإسلامى . (٢) حقيقة الإخلاص ماهى. (٣) بيان حكمة مشروعية الإخلاص . (٤) هل عدم الإخلاص يحبط أجر العمل فقط أو يستلزم مع ذلك الإثم .

١ ــ فأما فضل الإخلاص فى نظر الدين الإسلامى فيدل عليه كتاب الله وسنة رسوله أوضح دلالة وقد ورد فيهما ما يفيد أن الإخلاص هو الأساس الذى تنبنى عليه الأعمال الصحيحة المقبولة ، فمن لم يخلص فى اعتقاده وقوله وعمله لا يحق له أن يطمع فى قبول شىء منها لا قليل ولا كثير بل قد تكون عند الله شرا ووبالا عليه كما ستعرفه بعد . فعلى أساس الإخلاص أمر الله الناس بعبادته ، قال تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » ، وذلك صريح فى أن الذى يعبد الله غير مخلص لا يكون محصلا للعبادة التى أمره الله بها قطعا . وعلى أساس الإخلاص وعد الله التائبين من المنافقين بالقبول والأجر العظيم مع المؤمنين العاملين، قال تعالى : « إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما » ، وهذا المعنى قد جاء فى كثير من الأحاديث الصحاح ومنها حديث أسامة الذى نتكلم فيه هنا . ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن الإنسان لا يحسب فى عداد المؤمنين العاملين إلا إذا كان مخلصا فى عقيدته ، مخلصا فى معاملة الخالق والمخلوق حسبما أمره الله تعالى وكفى بذلك دلالة على

فضل الإخلاص وقيمته فى نظر الدين . ولذا قال بعض علماء الأخلاق : إن أمر الدين كله يرجع إلى أصلين : عمل من الله لعبده ؛ وعمل من العبد لربه ، فمن أراد أن يظفر بالسعادة الخالدة فعليه أن يرضى بعمل خالقه ويخلص هو فى عمله له ، فمدار الدين كله على الرضا والإخلاص .

أما حقيقة الإخلاص فقد بينها علماء الأخـــلاق بيـانا حسنا وإليك توضيح ما قالو : إن الإخلاص هو عبارة عن تخليص العمل عن كل ما يمكن أن يخالطه من شوائب الشرك بجعله مقصوراً على السبب الذى حصل الفعل من أجله وهذا السبب يجب أن يكون صحيحا ممدوحا فى نظر الدين فإذا عمل الإنسان عملا مقصوراً على سبب فاسد كما إذا قصد بعبادته الحصول على لذة من اللذات كشهرة أو مال أو جاه فإنه لا يكون مخلصا فى عبادته لربه وإنمـا يكون لذلك الغرض الذى بعثه على العبادة وهذا لا يسمى إخلاصا شرعيا .

ويتضح من هذا البيان أن الإخلاص أمر يتعلق بالقلب وإن شئت قلت يتعلق بالنية وذلك لأن النية وهى الإرادة صفة نفسية يترجح بهـا تحصيل الفعل المرغوب فيه فإذا مالت إرادة الإنسان إلى أمر يرغبه وتعلقت به . سخرت القدرة لتحصيل ذلك الأمر فإذا تعلقت الإرادة بالفعل لسبب باعث صحيح بدون أن يزاحمه سبب آخر كانت تلك النية خالصة والفعل المترتب عليها خالصا . وقد يسمى الفعل فى هذه الحالة إخلاصا ؛ مثلا : إذا تعلقت إرادة الإنسان بالجهاد فى سبيل الله أو بالحج إلى بيت الله الحـرام فتحركت أعضاؤه لتحصيل ذلك الفعل فإن انبعاث الإرادة وتعلقها بالجهاد أو الحج لابد أن يكون لغرض من الأغراض ، فإن كان ذلك الغرض مقصورا على ابتغاء مرضاة الله كما ورد فى الحديث كانت النية خالصة وكان الفعل المترتب عليها خالصا وكان الفاعل مخلصا ومثل ذلك ما إذا تعلقت نيته بالجهاد لغرض تحصيل الثواب الأخروى الذى وعد الله به المجاهدين فإن ذلك السبب يرجع إلى مرضاة الله أما إذا تعلقت إرادته بالجهاد لتحصيل الثواب وليكون له ذكرى حسنة ، فإن عمله هذا لا يكون فيـه إخلاص وذلك لأنه بناه على سببين : قصد الثواب وقصد الشهرة وعلو المكانة فى أعين الناس ، والسبب الثانى غير صحيح فى نظر الدين . فكانت نتيجة بنـاء العمل عليه حبوط أجر ذلك العمل وضياعه حتى كأنه لم يكن .

وهذا المعنى هو كقول علمـاء الأخلاق : إن الإخلاص فى العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا . بل يعمل لمجرد الغرض الدينى الذى بعثه على العمل، وعلى أى حال فالإخلاص

أمر يمكن تحصيله بسهولة متى كانت النفس مهذبة نشأت على حب الفضيلة ومجافاة الرذيلة بل ربما كان العمل بدون الإخلاص أشق على تلك النفوس الطاهرة من غيره فلا يجدون اللذة الحقيقية إلا فى العمل الخالص لخالقهم ولا ريب فى أن الذى يعمل لمرضاة الإله القادر الذى بيده مكافأة العاملين سينال من الجزاء أحسنه ومن المكافأة ما تقر به عينه من غير أن يتكلف قصدا لمكافأة والجزاء (على أن الأغراض الدنيوية إذا كانت مما يترتب على عمله فإنها تتحقق بدون أن يقصدها وقد يتحقق منها أضعاف ما يمكن أن يتصور).

أما حكمة مشروعية الإخلاص فإنها ترجع إلى أمرين عظيمين: أحدهما البعد عن الوثنية وما يشاكلها ولو ظاهرا، ثانيهما: استمرار أعمال البر ودوامها، فأما الأول فإن الدين الإسلامى قد جاء بتوحيد الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به وأنه هو وحده المستحق للعبادة لكونه موجدا للعالم وموجدا للوسائل التى بها يبقى العالم إلى الأجل الذى يريده فهو الخالق الرازق. أما الأصنام والآلهة التى يشركونها فى العبادة فإنها مخلوقة لا خالقة ولا تملك لهم رزقا فهى عاجزة عن إيجادهم وعن إيجاد ما به يعيشون. فمن السفه عبادتها ولذا قال تعالى: «إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا، فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه»، من أجل ذلك فرض الله الإخلاص فنهت الشريعة الإسلامية عن بناء الأعمال الدينية على أسباب غير مشروعة نهيا جازما لما فيها من التشبه بالوثنيين.

وأما الثانى: وهو استمرار العمل الصالح وعدم انقطاعه فذلك لأن الدين قد جاء بكل فضيلة ونهى عن كل رذيلة فحث الناس جميعا على تحصيل كل ما فيه سعادة المجتمع فى الدنيا والآخرة فكل أعمال البر التى يترتب عليها عز الأمم ومجدها وهناؤها فى حياتها أمر بها الإسلام فقد فرض الإتحاد والتعاون على أعمال البر ونهى عن الفرقة والتخاذل وأمر بالعطف على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات وفرض للمحتاجين قدرا معينا فى أموال الأغنياء، قال تعالى: «وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم»، وأمر بإغاثة الملهوف وإنقاذ المكروب وإعانة الضعيف والأخذ بناصر المظلوم وأمر بصلة الأرحام ومراعاة حقوق الجوار، والصدق والعفاف والعدل إلى غير ذلك من الأعمال التى يسعد بها المجتمع سعادة حقيقية.

وبديهى أن هذه الأعمال التى يتوقف عليها صلاح المجتمع وتنبنى عليها سعادته فى الدنيا والآخرة يجب أن تستمر وتبقى وهى لا تبقى

إلا إذا كانت مرتكزة على سبب دائم مستمر وإلا انقطعت بانقطاع أسبابها الزائلة . وهذا السبب الدائم الذي لا يتغير أبدا هو مرضاة الله فإذا عمل الإنسان هذه الأعمال امتثالا لأمر الله وابتغاء مرضاته كانت لازمة دائمة لا تنقطع أما إذا عملها لغرض شهوى فإنها تنقطع بانقطاعه طبعا . مثلا : إذا تصدق على الفقراء ليمدحه الناس بالسخاء فإنه لا يتأخر عن قطع هذه الصدقة إذا استغنى عن سماع مديحهم بعارض آخر أو يئس من ذلك المديح وكذا إذا أنفق بعض ماله في أعمال البر للحصول على منصب أو جاه فإنه يقطع ذلك الإنفاق بمجرد الحصول على المنصب أو اليأس منه وفي ذلك غبن ظاهر للمجتمع ، ومثل ذلك ما إذا جاهد في سبيل الله ليظهر بمظهر الشجاع في عين امرأة يرغب في زواجها فإنه يستغني عن الجهاد ويقطعه حتما متى ظفر بها أو يئس منها .

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

وبالجملة فكل أعمال البر إذا لم تكن مبنية على سبب دائم فإنها تنقطع عند انقطاع سببها ومن مصلحة الأفراد والجماعات أن تستمر أعمال البر فيما بينهم فلا تنقطع ما دامت الحياة الدنيا . فمن أجل ذلك فرض الله الإخلاص كي يقصر الناس أعمالهم على مرضاة الله تعالى ويروضوا أنفسهم على أن يتسابقوا في أعمال البر طمعاً في مرضاته تعالى بصرف النظر عن الغايات والأغراض الأخرى لتدوم الأعمال الصالحة ويحظى العاملون بأعلى الدرجات .

ولا يغيب عن تقدير الحصيف من العلماء أن الإخلاص قدر فرضته السنة بآثاره وعواقبه الرضية المرضية على الذين يقدرون آثاره وعقباه ويفهمون دلالته وفحواه . على أن كثيراً من علماء السنة والجماعة ذهبوا إلى أن الإخلاص مفهوم عام يتفاوت بتفاوت أهليه وذويه وهو مع ذلك مفهوم لا يستقصى وحد لا يقصى .

إذاً : فالعاصم هو الله والموجه هو الله والملهم هو الله ، وكما قال العلامة الكبير ابن حزم في كتابه الملل والنحل : إن الإخلاص مفهوم من المفاهيم العامة صعب المنال كثير الأثقال فهو لا يدرك إلا بتوفيق من العلي المتعال ، ولذلك يروى النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الناس هلكى إلا العالمون والعالمون هلكى إلا العاملون والعاملون هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم ؟

عباس طه

إفريقيا الجديدة

للأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتاب باسم (أفريقية الجديدة) صحفي أمريكي يكتب عن الرحلات بأسلوب الصحافة فيما تتعرض له من موضوعات الاستطلاع العلمي أو السياسي : وهي موضوعات - عند الصحافة العصرية - موفورة المادة من الإحصاءات والمراجع التاريخية والسياسية ، يستعان عليها أحيانا بتوفير أدوات الرحلة السريعة بمزاياها ونقائصها التي تجتمع في شيء واحد : وهو السرعة أو العجلة .

فالرحالة الصحفي قد تزود لتأليف هذا الكتاب بزاد ضخم من الاحصاءات المجهزة والمراجع الموجزة وتذاكر السفر الحاضرة على كل مطية من المطايا الميسورة في القارة الأفريقيه ، وهي تنتظم أنواع المطايا من قبل الطوفان إلى السنة الأخيرة بعد منتصف القرن العشرين ... ثم دون محصوله سريعا في إعداد العدة ، وسريعا في استخلاص النتائج منها .

فوضع بين يدي القارىء كتاباً يغنيه في مثل هذا الغرض للإحاطة السريعة بأحوال القارة الأفريقية في لمحات معدودات ، ولكنها تستند وراءها إلى مستودع غير قليل من مراجع الوقائع والأرقام .

ولقد كان شأن الإسلام في مقدمة الشئون الأفريقية التي عنى بها المؤلف حيث ترتبط بالعلاقات الوطنية (المحلية) أو حيث ترتبط بالعالم الواسع كلما اتصلت بجهة من جهاته ، وكلامه عن الاسلام في القارة الأفريقية هو الذي يعنينا من هذا المقال .

إن المؤلف يردد الحقيقة المقررة عن عراقة تاريخ الإسلام في القارة الإفريقية وعمق أثره بين قبائلها وشعوبها ، ويزيد على المؤلفين السابقين أحيانا أنه يبحث عن عراقة الأسماء في المواقع التي يخيل إلى الكثير أنها « محض وثنية » أو « محض جاهلية أفريقية » ... ومن ذاك أنه يتعقب الروايات المنقولة عن أصل كلمة (بورنو) أو (بورنيو) فيقول أنها على غير الظاهر من نطقها الإفريقي قد ترجع إلى كلمتين عربيتين وهما (بحر نوح) سقط منهما لفظ الحائين لأن الحاء لا تنطق في كثير من اللهجات الحامية فأصبحت (برنو) وأطلقت على موقعها لاعتقاد شاع بين العرب الأولين هناك عن علاقة بحيرة (شاد) بطوفان نوح .

ويرى المؤلف أن الإسلام أعرق وأثبت

فى القارة من أن تموقه عن الانطلاق فى أرجائها عوائق التبشير أو المقاومة السياسية :
« فإن المسيحية لم تفلح قط فى مقاومة الإسلام بالقارة ، وإنما كان العائق الوحيد الذى حال بين دين النبى وبين الانتشار فيها هو عائق ـ التسى تسى ـ أو ذبابة مرض النوم . إذ كان الإسلام ينتشر دائما على أيدى فرسان الصحراء . وكانت الخيل عرضة للإصابة بأذى تلك الذبابة وليس لها محل غالب فى أقاليم الغابات » .

ومن جملة « التسجيلات » الاحصائية أو العيانية التى راقبها المؤلف يخرج القارىء ببيان موجز عن مشكلات المسلمين فى بلاد القارة التى بلغت استقلالها أخيرا أو لا تزال فى طريق الجهاد لبلوغ ذلك الاستقلال .

ومن هذه المشكلات أن الحماسة للعقيدة الإسلامية يشوبها أحيانا جهل المسلمين البدائيين بفرائض تلك العقيدة واحتفاظهم بالكثير من أساطير الوثنية الأولى التى توارثوها عند جاهليتهم القريبة ، ولكنه يسوى بين القبائل الإسلامية والقبائل المسيحية ، التى تحولت عن جاهليتها بدعوة البعوث المسيحية فإن هؤلاء وهؤلاء معا يأخذون من الدين الجديد بالقشور ولا يتعمقون فيه إلى جوهره وروحه وقد يشاهد الأفريقى المسيحى فى الأقاليم التى تجاور القبائل الإسلامية وهو يلبس التعاويذ القرآنية و « الأحجبة » الموصوفة فى طب المشايخ والفقهاء ، كما يشاهد الأفريقى المسلم وهو يشرب الخمر ليعطى المرح حقه فى المواسم الدينية .

ومن المشكلات الإفريقية التى تهم المسلمين وغير المسلمين أن لهجات الخطاب بين القبائل تختلف فى القطر الواحد حتى تعد بالمئات ، وأن التفاهم بينها إنما يتأتى بلغة « تعليمية » يتلقونها من طريق الدعوة الدينية ؛ وهى بين دعوة تسرى من جانب المبشرين أو تسرى الآن كما سرت من قبل على أيدى السكان المسلمين .

ويذكر المؤلف أن المسلمين ربما تخلفوا عن جيرانهم الوطنيين فى بعض الأقاليم لأنهم قاطعوا المدارس العصرية يوم كانت تابعة كلها لبعوث التبشير ، فلم يتخرج منهم فى تلك المدارس غير قليل من الموظفين الصالحين لأعمال الدواوين .

وقد أغلقت مئات من هذه المدارس فى أعالى النيل وأواسط القارة ، ولم يخلفها عدد يضارع هذا العدد من المدارس الإسلامية أو الوطنية المنفصلة عن إدارة التبشير .

ولا يكتم المؤلف أنه لقى فى بعض تلك البلاد أناسا (محليين) يجهرون بالسخط على حكوماتهم ويتساءلون عن الدول الأمريكية والأوربية : هل لهم أن يتطلعوا إلى معونتها السياسية فى مقاومتهم لجيرانهم المسلمين ؟ !

قال : وإنهم ليعربون عن أسفهم علانية

كلما قيل لهم أن الدول لا تنوى أن تتعرض لهذه الشئون . . ثم يقولون : إنه لا أمل إذن فى غير معونة السماء !

وكلام المؤلف عن الأقاليم الإسلامية التى يراقبها جيرانها بين شواطىء الأحمر ووادى النيل جدير بالتأمل وطول النظر ، لأنه (غير مفهوم) على حقيقته وغير معلوم بتفصيلاته فيما ينقل إلينا من أخبار تلك البلاد .

ويروى المؤلف أحاديث الزعماء المسلمين حيث يشيع الإسلام بين الملايين من السكان ، فينقل عنهم أنهم صريحون فى المجاهرة بنفورهم من الخضوع لغير أبناء دينهم . ولكنه يعقب على ذلك فى بعض المواضع فيقول : إن هؤلاء الزعماء على تدينهم ومشاركة الملايين لهم فى الدين ليس لهم أتباع سياسيون بمقدار عدد المشاركين لهم فى الدين .

ومن ملاحظات المؤلف على مسلمى الصحراء أنهم (محافظون متشددون) ينظرون بشىء من الريبة إلى مسلمى الحواضر ولا ينتظرون أن يتلقوا منهم الهداية الروحية ، لاعتقادهم أنهم مسلمون متفرنجون ، أو مسلمون غير أرثوذكسيين .

وقد أشار المؤلف إلى احتيال الفرنسيين على تعليم هؤلاء (الصحراويين) فى غير المدارس النظامية التى يعرضون عنها ويستريبون بها ، فإنهم أبدعوا فى الصحراء نظاما بدويا يناسبها ويستهوى إليه أبناءها ، وهو نظام المدارس المتنقلة كأنها ضرب من قوافل التعليم .

وقد أومأ المؤلف إلى خطة التفرقة بين العرب والبربر فى المغرب الأقصى ، واستطرد منها إلى الإلمام بآثارها السياسية والاجتماعية فى السنوات الأخيرة .

ويرى المؤلف أن من أسباب قوة الإسلام بين قبائل (الهوسا) إلى الجنوب من بلاد المغرب الأقصى أن الشعائر الإسلامية قد أصبحت عندهم « طريقة حياة » ، مع الإيمان بعقائدها الروحية ، وقلما ينجح المبشرون فى المزج بين التدين وأساليب المعيشة اليومية .

وقد أومأ المؤلف كذلك إلى نشاط الطائفة الإسماعيلية فى إفريقية الشرقية ، وإفريقية الغربية ، وقال إن واحداً من دعاتها فى (سيراليون) يقدر عدد الوثنيين الذين تحولوا إلى الإسلام على يديه بخمسة آلاف .

وقد تحدث المؤلف عن إقبال المسلمين الإفريقيين على تعلم دروس الدين فى الجامع الأزهر فقال إن أكثر من مائة وسبعين شابا صوماليا كانوا يتعلمون فى مصر سنه ١٩٥٧ ، وإن الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى تجتذب إليها المزيد من أولئك الطلاب عاما بعد عام .

السباق الأربعة

صهيب بن سنان

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« السباق أربعة : أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبشة وسلمان سابق الفرس » .

صهيب أحد السبعة الأول الذين أظهروا الإسلام استجابة لدعوة الرسول عليه السلام ، وناله من المشركين ما نال غيره من المستضعفين ، فقد أوذى وعذب فى سبيل الله ، ولم يزده هذا الإيذاء وهذا التعذيب إلا تمسكا بالإسلام وإخلاصاً له . قال خالد بن الوليد : « كنت شابا أحب أن أمتع ناظرى برؤية هؤلاء النفر يعذبون فكنت أرى منهم العجب العجاب ... من ذلك أنى رأيت صهيباً والقوم يعذبونه بالنار وينوشونه بالرماح ويلهبون جسمه بالسياط ومع ذلك فهو يتحدث إليهم حديث من لا يحفل بما كانوا يفعلون به من الأذى . وربما اشتد عليه العذاب ، فعقد لسانه عن القول برهة ، وتفصد جبينه عرقا ، ثم لا يلبث أن تثوب إليه نفسه فيعود إلى التحدث إلى معذبيه فى بعض أمرهم ، كأنهم لم ينالوه بمكروه ، فيستمرون فى تعذيبهم له بالحديد والنار والسياط ، ويستمر هو يعذبهم بهدوئه وثباته وتحدثه إليهم فى أيسر أمورهم ، حتى إذا ضجروا وملوا ضاعفوا له العذاب وخرجوا عن أطوارهم ، فينال صهيباً شئ الذهول ، ثم يأخذه شئ يشبه السكر ، فيمضى فى حديثه ولكنه حديث يجانبه الصواب ، عند ذلك يعلم معذبوه أنهم قد بلغوا منه بعض ما كانوا يريدون ، فيكفون عنه عذابهم .

يقول خالد : وأشهد أنى قد أتيت لأمتع نظرى فانصرفت وأنا كاره لبعض أمر هؤلاء القوم » .

* * *

ولد صهيب على الضفة الغربية لنهر دجلة بالموصل بالعراق لأبوين عربيين فأبوه سنان بن مالك من أحرار العرب إذ

ينتهى نسبه إلى زيد مناه بن النمر بن قاسط ، وأما أمه فمن بنى مالك بن عمرو بن تميم .

وقد ولى سنان أبو صهيب هو وأخوه بعض الولايات من قبل كسرى ملك الفرس . ولما كانت الحرب سجالا بين فارس والروم فقد أسر صهيب وهو صغير فى غارة من غارات الروم ، وهناك نشأ بينهم وتعلم لغتهم حتى غلبت عليه وأصبح لسانه يرتضخ لهجة رومية[1] وصار ألكن ليس فى مقدوره أن يفصح عن آرائه فى عبارة عربية صحيحة . ولذلك سمى (الروى) ولحكمة أرادها الله بيع صهيب لرجل من قبيلة بنى كلب ، ثم باعه الكلبى بمكة فاشتراه مكرها عبد الله بن جدعان ابن عمرو بن كعب التيمى الذى عقدت قريش فى داره حلف الفضول .

وقد اشتهر صهيب بين القرشيين بالحذق والمهارة ونفاذ البصيرة وحسن النظر فى التجارة وتثمير المال ، فعهد إليه سيده أن يتاجر له فى ماله .

حدث حرب بن أمية عبد الله بن جدعان عن صهيب بعد أوبة من إحدى الرحلات التجارية إلى بلاد الحبشة قال :

لقد رأيته فى رحلتنا تلك إلى اليمن وعندما اجتزنا البحر إلى الحبشة ، يتحسس مصادر الربح وموارد الكسب، ثم يخبرنا عن الوجهة التى فيها لنا كسب ، فإذا ذهبنا إلى حيث ذكر بعنا كأحسن مايكون البيع وشرينا كأحسن ما يكون الشراء ، لقد عرف كيف يرد موارد الربح فى بلاد النجاشى ، فاشترى من البضاعة ما لم نكن نطمع فى شرائه ، كما احتال حتى أعادنا إلى مكة فى سفن اتفق مع أصحابها أن يرسلوا معنا رسلا منهم يشترون منا إذا بلغنا أرضنا ما يملئون به سفنهم حتى لا تعود إلى الحبشة فارغة ، فهو بذلك قد أفادنا كسبا لم نكن لنحصل عليه فى رحلتين .

وأثنى عبد الله بن جدعان على غلامه ثناء جميلا ، ثم أحب أن يعتقه ، فقال له : لقد عزمت أن أرد عليك حريتك وأن أجعلك سيد نفسك ، ولكن بعد أن أختبرك اختبارا قاسيا .

فقال له صهيب : أمسك عليك هذه الحرية التى تريد أن تمنحنى إياها ، فالحرية لا تباع ولا تشترى .

قال عبد الله بن جدعان : ويحك يا صهيب ألم أشترك بمالى من الكلبى ؟

فقال صهيب : إن أحدا لم يشترنى من نفسى وإنما عدا على العادون فباعونى على كره منى ولم أكن عن ذلك راضيا .

ولذلك فإنكم ترونى عبدا منا تتسلطون على جسمى بسلطانكم وقوة مالكم ، وأنا

---

(١) فلان يرتضخ لكنة أعجمية إذا كان فيه شىء منها .

أرانى فى نفسى رجلا حرا لأنكم لا تجدون لأنفسكم على نفسى سبيلا .

فنظر إليه عبد الله فى دهش واستغراب وقال: لماذا لا تعمل كما يعمل غيرك من الرقيق الذين يكاتبون على أنفسهم ويشترون حريتهم بما يقومون به من أعمال وما يدفعونه من أموال.

فيرد عليه صهيب قائلا : لهم ما يعملون وأما أنا فلن أفعل فعلهم لأنى لست فى حاجة إلى شراء حريتى ، فأنا ما زلت أرانى حرا فى نفسى .

أما إن أردت أن تبلونى فإن مالك على من سلطان يبيح لك كل ما تريد ، فرنى تجدنى عند ما تحب ، ولكن لا تعدنى شيئا ، فإن أبغض شىء إلى نفسى الأمانى والوعود ، ثم قال لسيده متعجلا : هون عليك فإنى سأخبرك بما تريد ولا تستطيع الإفصاح عنه ، فأنت تريد أن ترسلنى فى تجارتك إلى الشام ، ولكنك تخشى أن أفر بما استودعتنى من تجارة ومال ، عندما أرى الأرض التى تمتعت فيها بحريتى .

فقال عبد الله بن جدعان : أما هذا فلا ، إنك عندى أمين على المال والتجارة .

قال صهيب : إذاً فهىء تجارتك فسأذهب إلى حيث تريد وأعود إليك بمال لم تر مثله ، وليس لى فى غير قريتكم هذه مأرب . فقد أنبئت أن لى فيها شأنا أى شأن ، وهذا هو الذى يمسكنى على الإقامة فيها .

فيقول عبد الله بن جدعان متعجبا : وما ذاك يا صهيب ؟

قال صهيب : لو أنى عرفته لأخبرتك ، ولكن قساً فى بلاد الروم أخبرنى أنى سأباع بثمن بخس ، وأنى سأعيش فى بلدكم هذا شطرا من عمرى ثم أنتقل إلى بلد آخر أعيش فيه الشطر الذى يبقى ، ثم أموت وأدفن فى أرض الحجاز ، وقد صدقت نبوءة القس فى شطرها الأول ، وما أرى إلا أنها ستصدق فيما بقى فاردد على حريتى الآن إن شئت فإنى لا أفارق أرضكم ، ولو أنى أخرجت منها فى الصباح رجعت إليها فى المساء ، واعلم أنى لك ناصح أمين .

قال عبد الله بن جدعان : إذاً اصحبنى إلى المسجد فإنى أريد أن أشهد قريشا على أنك حر . ولكن صهيبا يقول له : ليس لى فى شهادة أحد على حريتى رغبة ، وحسبى أن تشهد نفسك وتشهدنى على أنى حر .

وأعتق عبد الله بن جدعان غلامه واستأمنه على ماله وتجارته ، وعلمت قريش بما فعل عبد الله فلم تنكر عليه شيئا مما فعل .

* * *

عاش صهيب زهرة شبابه فى مكة ينشر لعبد الله بن جدعان تجارته ويثمر له ماله فى بلاد قيصر وكسرى والنجاشى ، حتى أصبح

عبد الله بن جدعان من أكبر رجال قريش مالا وأعظمهم ثراء وأضخمهم عطاء .

فلما مات عبد الله استمر صهيب فى عمله حتى كثر ماله ، ولكنه كان لا يبعد فى التجارة عن مكة كثيراً ، وجعل يصل من كان يصلهم عبد الله بن جدعان ، فاطمأنت قريش إليه ووثقت به .

فلما بعث رسول الله عليه السلام وأخذ يدعو الناس إلى الإسلام الذى يسوى بين معتنقيه على اختلاف أجناسهم ومراتبهم .

سمع صهيب أن محمداً يجتمع بأصحابه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم يتلو عليهم ما ينزل عليه من كتاب الله ، فأحس أن ما كان يمسكه فى بلاد الحجاز منذ قدم إليها ، قد أصبح منه على قيد خطوات ، فيندفع إلى دار الأرقم ابن أبى الأرقم حيث يجتمع المسلمون يسمعون من رسول الله ، وأمام الباب يرى عمار ابن ياسر يقبل عليه يسأله :

ماذا تصنع هنا يا صهيب ؟

فيقول له صهيب : وماذا تصنع أنت ؟

فيجيبه عمار : أريد أن أدخل فأسمع من محمد وأعلم عله .

فيقول صهيب : وأنا أيضا أريد ذلك .

ثم يدخل الرجلان فيسمعان حديث محمد وإنه لحديث ذو شأن يبهرهما ويشرح صدرهما للإسلام .

ويسمع أبو جهل بإسلام صهيب فينادى فى قومه أنه سيعذب صهيباً وآل ياسر جزاء اتباعهم محمدا ...

ونال صهيبا من السخرية والإيذاء والعذاب ما نال غيره من المستضعفين ما بقى فى مكه .

ولما اشتد إيذاء المشركين على محمد وأصحابه وأمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، لم يشأ صهيب أن يترك رسول الله ، وهو العليم بالكثير عن بلاد الحبشه ، والقادر على أن يجد هناك حياة حرة كريمة يمارس فيها تجارته ويعبد ربه ، ولكن نفسه قد تعلقت بمحمد فبقى بالقرب منه .

ولكن المشركين يلجون فى غيهم ويعملون على استئصال المسلمين ، فيأمرهم النبى بالهجرة إلى المدينة .

غير أن صهيبا لا تطاوعه نفسه أن يفارق مكة مدة بقاء الرسول فيها ، وكان يطمع أن يصحبه الرسول أو أبو بكر فى هجرته .

ويصبح ذات يوم فيعرف أن صاحبيه قد هاجرا إلى يثرب ، ثم يلحق بهما على ابن أبى طالب . عند ذلك يعزم صهيب على الهجرة ، فقد وضح له أن البلد الذى سيقضى فيه شطره الآخر من عمره هو يثرب ، وتعرف قريش أن صهيبا يريد الهجرة فتحبسه عن الهجرة مع من حبستهم

من أصحاب محمد ، تريد أن تفتنهم عن دينهم وأن تصدهم عن سبيل الله ، ويقبل أبو جهل وقد امتلأ قلبه غيظا وكمدا ، ويقول لصهيب على ملأ من قريش :

أتيتنا صعلوكا حقيرا لا تملك من الدنيا شيئا ، فكثر مالك وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك إلى محمد ، والله لا يكون ذلك .

قال صهيب : يا معشر قريش فإن خليت بينكم وبين مالى أتخلون بينى وبين ما أريه من الهجرة . . ؟

فيقول أبو جهل : هيهات ، فلسنا فى حاجة إلى مالك ولكننا فى حاجة إلى نفسك فسنعذبك حتى نأخذ مالك ثم نقضى عليك أو تعود إلى ديننا .

فينظر صهيب إلى أبى جهل فى ألم ويقول له فى صوت حزين :

لو عاش عبد الله بن جُدعان لما بلغت منى ما ترى .

وتمسك قريش صهيبا عن غرضه ولكنه لا يلبث أن ينسل من محبسه ويترك مكة ، فترسل قريش فى إثره الخيل ، تريد إرجاعه ، ولكن ما يكاد صهيب يرى المطاردين حتى ينثر كنانته ويقول لهم فى صوته الحازم : معشر قريش لقد علمتم أنى أرماكم سهما ، ولا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم معى ثم أضربكم بسيفى ما بقى منه شىء فى يدى ، أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟

ويجد القوم أنهم فى موقف لا يحسدون عليه فيؤثرون العافية والسلامة والمال ، ويقولون له نعم ، فدلنا على مالك .

فيخبرهم بمكانه ، فيعودون من حيث أتوا .

ويواصل صهيب رحلته إلى المدينة فيلقى من الجهد والوصب الشىء الكثير .

ولم يصل المدينة إلا وقد بلغ منه الإعياء والجوع مبلغا عظيما ، كما أصابه فى الطريق رمد جعله لا يرى إلا فى مشقة وصعوبة .

* * *

بينما النبى صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه جلوس فى المدينة يتناولون بعض التمر شاهدوا شخصا مقبلا عليهم فى جهد وإعياء . فقام بعض الأنصار إليه يستقبلونه ويعينونه . وينظر النبى إلى القادم فإذا هو صهيب ، فيلقى السلام على الجالسين ثم يجلس ليرد بعض جوعه ببعض التمر . وينظر إليه عمر ابن الخطاب وهو يأكل التمر ، ثم يقول للنبى صلى الله عليه وسلم : ألا ترى يا رسول الله إلى صهيب يأكل التمر وهو رَمِدٌ . !

فيقول صهيب إنما آكله بشق عينى التى لم ترمد ، فيبتسم النبى ويضحك الجالسون .

ثم يسأله النبى كيف استطاع الهرب من قريش ، فيقص عليه قصته وأنه لم يصل

إلى المدينة إلا بعد أن اشترى نفسه من قريش بماله جميعا . فيقول له النبي مبشرا ومواسيا : ربح البيع أبا يحيى ، ثم لا يلبث جبريل الأمين أن ينزل على حبيبه محمد بقول الله تعالى :

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد . »

ولازم صهيب رسول الله وأصبح من أكثر المسلمين صحبة له وأقربهم مكانة عنده ، وشهد مع الرسول كل غزواته وبيعاته ، وقد اشتهر بين المسلمين بالحذق في رمى السهام .

روى عن نفسه فقال :

« لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً قط إلا كنت حاضره ، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها ، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزاة قط إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم ولا ما وراءهم قط إلا كنت وراءهم ، وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين العدو قط »

وسار صهيب بعد هجرته سيرته الأولى يعمل في التجارة بحذق ومهارة حتى كثر ماله وخاصة بعد الفتوح الإسلامية ، فكثر عطاؤه وسخاؤه وتحدث الناس عن كرمه وبره بالمسلمين ، فقد كان يجمع كل ليلة جمعا كبيرا من الناس حول الطعام .

ولما ولى عمر بن الخطاب أمرَ المسلمين ، وسمع الناس يتحدثون عن كرم أبي يحيى وسخائه ، سأل عن أبي يحيى هذا فأخبروه بأنه صهيب ، فعجب عمر لهذه الكنية إذ لم يكن لصهيب ولد اسمه يحيى . ولما التقى عمر بصهيب في المسجد سأله عن كنيته وعن سرفه في المال وعن نسبه ، فقال له صهيب أما كنيتي فقد كنانيها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما تبذيري في المال ، فما أنفقه إلا في حق ، وقد سمعت رسول الله يقول :

(إن خياركم من أطعم الطعام ورد السلام)

أما نسبي فإنني عربي من أهل الموصل سبتني الروم بعد أن عرفت أهلي وقومي .

وقد عرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه لصهيب مكانته من رسول الله وسابقته إلى الإسلام فكان يقدره حق قدره ولا أدل على ذلك من وصايته له بأن يصلي بالمسلمين ، فعندما طعن عمر رضى الله عنه أوصى صهيبا أن يصلي بالمسلمين ثلاثا حتى يجتمع المسلمون على إمام .

* * *

وهذا أكبر دليل على المكانة التي وصل إليها صهيب . وهل هناك مكانة أعلى من أن يعهد إلى إنسان أن يؤم المسلمين في الصلوات المكتوبة وأن يقوم حارسا على تنفيذ السياسة التي رسمها عمر لاختيار خليفته وأن

يفوض إليه أن يحسم الخلاف الذى يقوم بين المتشاورين بقتل الخارج على رأى الجماعة .

وفى خلافة عثمان بن عفان آثر صهيب الهدوء والدعة بعد أن تقدمت به السن فلم يشارك فى الحركات السياسية .

وتوفى صهيب فى السنة الثامنة والثلاثين أو التاسعة والثلاثين للهجرة وذلك فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، بعد أن ظل مسلما أكثر من خمسين سنة عاصر فيها كل أحداث الإسلام من يوم مولده حتى أدرك اتساع رقعة الدولة الإسلامية .

وبالرغم من ملازمة صهيب للنبى صلى الله عليه وسلم مدة حياته فقد كان يتحفظ فى رواية الحديث عن النبى مخافة أن يخطىء ، وكان يقول للناس : (هلموا أحدثكم عن مغازينا فأما أن أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا)

فانظر كيف رفع الإسلام شأن المستضعفين من العرب وأحلهم المكانة اللائقة بأعمالهم مصداقا لقول الله عز وجل :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

عبد الموجود عبد الحافظ

(بقية المنشور على صفحة ١٠٠٢)

ولا نختم تلخيص هذا الكتاب دون أن نشير إلى موضعين فيه يستحقان من القارىء المسلم كل عناية بالتوسع فيهما والاعتماد على النفس فى استقصاء أخبارهما ، بنجوة من المصادر الأجنبية التى لا تخلو من قلة الاهتمام إن خلت من سوء النية .. وهذان الموضعان هما موضع « تسجيلاته وتبليغاته » عن تاريخ الإسلام الحديث فى جوار الحبشة ، وموضع « تسجيلاته وتبليغاته » عن مساعى الصهيونية فى القارة الإفريقية ، فإن المؤلف يطوى الأحاديث عن هذا الموضوع طيا لا يتسع للصراحة والبيان الوافى ، وإن تكن أيسر الصراحة هنا كافية للعلم بما وراء النيات ، أو العلم بمحاولات الصهيونية المتشعبة للانتفاع بإثارة التعصب بين الأفريقيين المسلمين وغير المسلمين ؟

عباس محمود العقاد

الكتب

الشوقيات المجهولة

للأستاذ على محمد حسن العمارى

هذا اسم كتاب أخرج الجزء الأول منه الدكتور محمد صبرى ، وقد عنى فيه بآثار شوقى التى لم يسبق كشفها أو نشرها ، كما كتب بحثا ضافيا ألقى فيه أضواء جديدة على حياة الشاعر وعصره وأدبه .

وقد كان فى النية عند البدء فى قراءة الكتاب أن أكتب عنه كلمة موجزة لا تتعدى التعريف به ، والإشارة العابرة إلى ما احتواه ولكنى عندما تقدمت فى قراءته رأيت أن من الظلم للكتاب أن يكتفى فيه بكلمة عابرة ، وأن ما تضمنه من دراسات جديدة بأن يقف القارئ عندها .

يبدو من عنوان الكتاب أن الغرض الأهم منه هو نشر آثار شوقى التى لم تكشف أو لم تنشر ، ولعل مؤلفه جعل هذا الموضوع كل وكده - بادئ ذى بدء - ولكن الدراسات التى قدم بها المؤلف ، والتى أشاعها فى أثناء الكتاب لا تقل أهمية عن الغرض الأول الذى قصده ، والذى يدل عليه عنوان الكتاب .

ذلك أن المؤلف لم يقتصر — كغيره من ناشرى الكتب — على آثار الشاعر الذى وجه همته إلى نشر تراثه ، ولكنه عرف بالشاعر ، وبأدبه ، وبعصره تعريفا كان محبو الأدب والتاريخ فى مسيس الحاجة إليه .

رجع المؤلف إلى جميع الصحف والمجلات التى صدرت من (١٨٩٢ — ١٩٣٢ م) أى منذ أن سافر شوقى إلى فرنسا لدراسة الحقوق فى جامعاتها إلى أن توفى ، والمؤلف يعتبر فترة الدراسة فى أوربا من أهم الفترات فى حياة الشاعر ، وكان - كما يقول - لها نتائج بالغة فى جميع أطوارها ، وكذلك استعان المؤلف بكل ما نشر عن شوقى سواء فى الصحف أو فى المجلات أو الكتب التى صدرت بعد وفاة الشاعر ، ومثل هذه الدراسة ، مع معاصرة كثير من أحداث العصر ، ومع الصبر ونفاذ

البصر ، توتى أطيب الثمار ، وتوصل إلى أحسن النتائج ، وهذا ما لمسته بوضوح فى هذا الجزء من الكتاب .

عرف المؤلف فى أول صفحة من الكتاب بعمله الذى ضمنه هذا الكتاب فقال : لست بحاجة إلى القول إن الكتاب الذى أتقدم به بحث أدبى تاريخى ، يستند ككل بحث إلى قدرة الكاتب فى حسن العرض ، والاختيار وبناء الموضوع ، ومعلوم أن الطريقة التاريخية الحديثة تمتاز بتمحيص الوقائع ، ونشر الوثائق والتعليق عليها ، هذا هو لب لباب التاريخ ، يستوى فى ذلك تاريخ الحوادث ، وتاريخ الأدب .

وقد وجدنا لشوقى أكثر من مائة وثلاثين قصيدة أو حوالى ٤٠٠٠ بيت من الشعر وذلك بخلاف حوالى ١٠٠٠ بيت من المقطوعات والأبيات المتفرقة ، وبخلاف حوالى ستين مقالة أو قطعة نثرية ، وكل هذا لم يسبق نشره فى دواوين شوقى ومؤلفاته التى طبعت فى أثناء حياته ، وبعد مماته وبعبارة أخرى لقد وجدنا كل ذلك التراث بعد ما أفرغت أسرته كل ما فى جرابها ونشرته ،

ولست أشك أن المؤلف قد لقى صعوبات كثيرة ، وعانى متاعب جمة ، فى جمع هذا تراث وهو صادق حين يقول : « والواقع أن التوفيق ساعدنا كثيرا ، وليس فى مقدور القارىء مهما بلغ عله أن يدرك المشقة التى يلقاها الباحث فى بحثه ، لأن القارىء لا يرى من البحث إلا النتيجة ، ولكن الطرق والمصاعب التى كابدها الباحث وعاناها ، وشق فيها تظل متوارية وراء الغيب لا تدرك إلا بالظن » .

وهنا أمر يزيد من صعوبة البحث - كما قال المؤلف - وهو أن شوقى كان كثيرا ما يستعمل إمضاءات مستعارة ، بسبب أو بغير ما سبب ، وبهذه المناسبة قد ذهب الناس مذاهب فى تعليل اختفاء شوقى وراء إمضاءات مستعارة ، ولكن المؤلف يعلله بأنه نوع من الدلال ، دلال شاعر الأمير ونابغة العصر وشاعر الدارين .

وقد استعان المؤلف بحاسته الأدبية ، وبأنفاس شوقى النمامة عليه فاستدل على شعر شوقى الذى نشره بامضاء مستعار ، ولا شك أن معاصرة المؤلف للنهضة الكبرى على يد البارودى وشوقى وصبرى أعانته على أن يميز هذا الشعر وإن كانت الأنفاس النمامه لا تصدق دائما .

وقد أعجبنى بعد ذلك فى عمل المؤلف أمران :

الأول : تأريخه للقصائد التى نشرها وهذا التأريخ له أهمية كبيرة فى معرفة عصر الشاعر والعوامل المختلفة التى تأثر بها فى أدبه ، كما أنه يلقى أضواء ساطعة على الحياة السياسية والاجتماعية التى ولد فيها الأدب ، ولو أننا

عرفنا تواريخ قصائد كل شاعر من شعرائنا لتغيرت عندنا دراسة الأدب العربي إلى حد كبير ، ولعل من الأمور ذوات البال في هذا التأريخ أن نعرف السابق واللاحق من الشعراء أو الشاعرين اللذين اشتركا في معنى واحد ، وقد استعان المؤلف بهذا التاريخ ، في حادثة جزئية ، ولها مثيلاتها في تاريخ الأدب كله .

وكان أحمد نسيم الشاعر يقول إن شوقي في بيته المشهور :

صوني جمالك عنا إننا بشر
من التراب وهذا الحسن روحاني

أغار على اسماعيل صبري في قوله :

أنت روحانية لا تدعى
أن هـذا الجسم من طين وماء

وقد أخطأ نسيم لجهله بتاريخ القصائد . صبري هو الذي أغار على شوقي . فقد نظم هذا الأخير قصيدته (الله في الخلق من صب ومن عاني) والتي يقول فيها :

صوني جمالك عنا إننا بشر
من التراب وهذا الحسن روحاني
أوفا بتغي فلكا تأوينه ملكا
لم يتخذ شركا في العالم الفاني

في سنة ١٨٩٤ (وقائع ٧ مارس) ونشرت (المجلة المصرية) في عدد يونية سنة ١٩٠١ قصيدة صبري التي مطلعها :

يا لواء الحسن أحزاب الهوى
أيقظوا الفتنة في ظل اللواء

والتي يقول فيها :

أنت روحانية لا تدعى
أن هذا الشكل من طين وماء
وانزعي من جسمك الثوب يبن
للملا تكوين سكان السماء
وأرى الدنيا جناحي ملك
خلف تمثال مصوغ من ضياء

والمؤلف يقول قبل ذلك إن القارىء سيتبين المنهج الذي أتبعه في تاريخ القصائد وذكر ظروفها ومناسباتها وشرحها ، وأنه لم يهمل وسيله من وسائل التحقيق .

الثاني : النقد الممحص الذي يشيع في الكتاب كله من أوله إلى آخره ، وقليل من المؤلفين من يسلكون هـذا المسلك ، ولكنه في الحقيقة أكثر جدوى ، على القارىء من أي عمل آخر ، وهو أدل على يقظة المؤلف ، ودقة إحساسه ، وسمو ذوقه وربما كان الجمع عملا شاقا ، ولكن العمل الأشق هو النظر بعين فاحصة ، وذوق نافذ في هـذا الأثر الذي جمع .

ولم يقتصر نقد المؤلف على آثار شوقي بل تعداها إلى نقد كثير من الشعراء . والكتاب فعرض في الكتاب مثلا لابن زيدون وابن خفاجة والبارودي وحافظ وإسماعيل صبري

والمويلحى والمنفلوطى ، وفى كل ذلك يعطى أحكاما نوافقه على أكثرها ونخالفه فى أقلها فهو يقول عن شوقى مثلا فى هامش ص ٢٠ بعد أن أشار إلى ضآلة محصول شوقى فى فترة الخمس السنوات التى قضاها فى ربوع الأندلس (١٩١٥ - ١٩١٩ م) : « ولا شك أن مواقع الأندلس ومشاهدها كان لا بد أن توحى إلى شاعرنا ديوانا ضخما من شعر الطبيعة وفلسفة الحياة ، فأين هذا الشعر ؟

ولكن شوقى عاش بذهنه وخياله فى البيئة العربية القديمة ، قريبا من تلك المواقع والمشاهد التى لا تشحذ إلا ذهن من يعرفها ويهيم بها ، ويستلهمها ، ويقف منها موقف العابد ، ويعيش فى أجوائها .

ومن هنا كانت ضآلة محصوله الحقيقى أو (الصافى) من ناحية الكم والكيف معا ويظهر أن شوقى نظم كثيرا ، وكتب كثيرا فى الأندلس ، ولكن بغير نظام كما أنه لم يحسن اختيار ما يلائمه من المواضيع [1] وطريقة معالجتها » .

وعند المؤلف أن البارودى فيما عدا القصائد التى تعمد فيها مجاراة الأقدمين كان فى شعره طابع التجديد والشخصية لأنه كان شاعرا بالسليقة لا ينطق إلا عن عاطفة ووجدان صادق ، وليس له كما لشوقى عشرات القصائد التى تبتدىء بالغزل أو النسيب (الصناعى) وتنتهى بالمديح وذكر البدر والشمس والنوال والآساد والآرام جريا على عادة الشعراء العباسيين .

وشوقى - كما يقول المؤلف - ظل طول حياته يرمى بالدر ويرمى بالصدف فهو لم يتطور كما تطور مطران ، وقد كان لشوقى فى جميع عصوره شعر قديم ، وشعر جديد ، شعر رائع ، وشعر خسيس ، وهو يرجع بطء التطور عند شوقى أنه ظل طوال حياته لا يهتم فى أحاديثه وفى مطالعاته إلا بالأدب العربى ، أما مطران فقد تمكن من دراسة الأدب الغربى ، والتشرب بمذاهبه ، ومناحيه ، فساعده ذلك على التحرر من القديم فى نواح كثيرة فى سنوات » .

ويخلص من ذلك ، ومن إسراف شوقى فى استعمال بعض أدوات التشبيه بكثرة فى بعض القصائد : « فقد استعمل عشرين مرة كأن فى ستة وعشرين بيتا متتابعة » . إلى أنه لو لا هذه المآخذ والمناحى لاحتل شوقى مكانه فى الشعر العالمى . كما احتله فى الشعر العربى » .

---

(١) المؤلف يستعمل أحيانا كلمات أو تراكيب لا ترضى عنها العربية من ذلك قوله فى هذه الفقرات (فى فترة الخمس سنوات) ولا بد - على أصح الآراء - من تعريف المعدود إذا عرف العدد - كما فعلنا - ومن ذلك استعمال كلمة مواضيع ، ومفعول لا تجمع على مفاعيل ، وإنما تجمع جمع تصحيح ، وما جاء منه على مفاعيل نادر لا يقاس عليه .

فشوقى درس الأدب الغربى دراسة عابرة لا دراسة استيعاب ، وهذا مايقوله الدكتور طه حسين . وشوقى والمويلحى - فى نظر المؤلف - لم يتشربا الأدب الغربى ، ولم يكن فى مقدور أحدهما الموازنة بين الأدبين .

ويقف المؤلف وقفة قصيرة مع الدكتور أحمد زكى أبى شادى ، حول أبيات لشوقى ، فقد كتب أبو شادى فى مجلة أبولو (ديسمبر سنة ١٩٣٢ ص ٥٠٠) عن شوقى يقول :

« حتى بيته المشهور :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ليس من الشعر فى شئ ، وإن كان آية من الحكمة الساذجة ، ولكن الشعر والحكمة تجتمعان فى مثل قولى شوقى :

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثوان

وقوله :

فما العبد إلا كالدخان وإن علا

إلى النجم منحط إلى الأرض سافل

وقوله :

ومن تبسم الدنيا إليه فيغترر

يمت كقتيل الغيد بالبسمات

وتوجد نماذج للحكم الشعرية أخرى نفيسة فى « شوقياته » كما يوجد بجانبها غير قليل من النظم الخبرى التقريرى الذى لا نعده من الفلسفة الشعرية فى شىء » .

ويعلق المؤلف على هذا النقد بقوله : لا نوافق الدكتور أبو شادى فيما ذهب إليه ، ونرى أن البيتين اللذين ذكرهما شوقى (دقات قلب المرء - فما العبد إلا كالدخان) بيتان جيدان من الناحية الشعرية فحسب ، لأن مادة كليهما صورة خيالية جوفاء ، وإن كانت جميلة . أما قوله : (وإنما الأمم الأخلاق) فهو حكمة عميقة .

والذى يبدو لنا أن كلا من المؤلف وأبى شادى على صواب ، فى اعتداده بالحكم الثلاث الأخيرة ، ففيها كما قال - شعر وحكمة ، وليست (دقات قلب المرء) من الخيال الأجوف - كما ذهب إليه المؤلف - وإنما هى حقيقة ثابتة ، يشعر بها كل حى ، كما أن التشبيه فى (فما العبد إلا كالدخان) مع جماله من الناحية الشعرية يعبر عن طبيعة ثابتة ، وحال معروفة فى صغار النفوس ، فهو يبرز لنا صورة نعرفها جميعا ، ونؤمن بها فى معرض شعرى جميل .

وقد أخطأ أبو شادى فى عده (وإنما الأمم الأخلاق) من الحكمة الساذجة ، والحق فى هذا الشأن مع المؤلف ، فإن كثيراً من الحكم يجرى على الألسنة ، ويشيع بين الناس ، ولكن ذلك لا يفقده روعته وقوته ، بل العكس ، قد يكسبه - فى بعض الأحايين - قوة وروعة ، وما سار وانتشر واهتزت له

النفوس إلا لأنه يعبر عن حقيقة رائعة فى حياة الجماعات .

وللمؤلف موقف آخر مع أديب آخر ، حول شوقى أيضا :

انتقد داود عمون - فى المقطم - قصيدة لشوقى ، فقال إنها من الشعر العادى ، وقد عاب على شوقى أبياتا منها قوله فى مخاطبة الليل :

يا ليل قد جرت ولم تعدل
ما أنت يا أسود إلا خلى

فقال إنه مما يذكر فى موضع الركاكة ، ثم قال : ومن المعانى السقيمة المضطربة :

تالله لو حكمت فى الصبح أن
تفعـــل خفت الله لم تفعل
أو طلت سيفا فى جيوش الضحى
ما كنت للأعداء ما أنت لى

فالبيت الثانى تكرار للبيت الأول . وذنب الليل إلى الشاعر طوله ، وزواله إنما يكون بالنسبة إلى الشاعر وإلى الصبح فى وقت واحد ، فهو لا يفعل بالصبح عدوه أكثر مما يفعل بالشاعر .

واستمر الكاتب ينقد شوقى ، وجاء المؤلف فوافقه على كل ما قال ، ولم يأخذ عليه إلا أنه أغفل بيتا جيلا فى القصيدة .

ورأى أن المؤلف بذوقه الناقد الصافى كان يمكن أن يناقش داود عمون ، فمثلا قد جار عمون فى اعتداده هذا القول (ما أنت يا أسود إلا خلى) من الشعر الركيك ، لأن هذا الشطر يعبر عن معان نفسية رائعة ، فالسخرية من الليل واضحة فى قوله (يا أسود) والمفارقة واضحة فى خلو الليل من العشق والهم ، وامتلاء قلب الشاعر بهما ، والذواقة يحس عند قراءة هذا الشطر بالروح الشعرية قوية منفعلة ، ولا يلاحظ ركة ولا ضعفا فى النسج .

وقد تعرض المؤلف فى أثناء الكتاب للمقارنة بين شوقى وغيره من كبار شعراء عصره ، « ولا شك أن كمية الموسيقى والأنغام العميقة فى شعر شوقى أضعاف أضعاف موسيقى حافظ اللفظية الطافية التى هى أقرب إلى الضجيج الخطابى منها إلى الموسيقى ، ولا يستطيع التطريب وحسن الإلقاء مهما بلغا من الإتقان إلا خلق موسيقى صناعية وقتية تنطفئ بمجرد الإلقاء » ص ٤١ .

وشوقى ولا شك - على حد قوله - أرق خيالا من البارودى وحافظ ، قال ذلك بمناسبة وصف الشعراء الثلاثة للقطار ، فوصف حافظ معنوى ركيك لا تصوير فيه ولا إبداع ، والبارودى لم يسعفه خياله فلم يصور القطار ولا مناظر الريف المصرى ، ولكنه فعل ما فعله حافظ فيما بعد وأشرنا إليه فحشا قصيدته باستعارات وتشبيهات مبتذلة لا تمثل القوى التى تزخر بها الطبيعة والحياة ، أما شوقى فكان قوى الملاحظة ، فقد فتح عينيه على منظر

من أدق وأروع مناظر الطبيعة والحياة ، منظر سواد القطار وهو ينساب فى ضمير الليل والبلاد .. الخ .

ونحب - بعد هذا كله - أن نقف مع المؤلف وقفة قصيرة .

المؤلف لم ينشر كل شعر شوقى المجهول ، وإنما انتخب منه واختار ، وقد بنى اختياره على أن تكون القصيدة من غرر القصائد ، وأبيات المديح فيها قليلة ، كما أنه أسقط المديح الذى ليس له مغزى خاص (ص ١٠٣) وقد امتدح شوقى لأنه أسقط المديح من بعض القصائد ، خصوصا وأنه من الناحية الأدبية لا قيمة له ، وإن كان له قيمة من الناحية السياسية ولذلك رأى المؤلف فى هـــذه القصيدة بالذات كان يجب أن تنشر (ص ٩٩) . وعنده أن أكبر إساءة إلى صبرى كانت فى نشر ديوانه بقضه وقضيضه من شعر الصبا إلى شعر الكهولة .

ونحن لا نوافق المؤلف على هذا الصنيع ، فكان يجب - من وجهة نظرنا - أن ينشر قصائد شوقى كاملة دون أن يحذف منها شيئا ، أو يعدل فى أبياتها لفظا ، لأن التاريخ يريد أن يعرف كل شاعر على حقيقته ، ولسنا نحن الذين نصنع الشاعر ، وإنما علينا أن نأخذه كما وجد ، والمديح الذى ليس له مغزى عند المؤلف قد يكون له مغزى عنـد آخرين من النقاد والباحثين ، ومعرفة الأطوار الفنية للشاعر ، والخلجات النفسية حتى والعواطف المتكلفة ، ضرورية وذات مغاز للتاريخ الأدبى ، والمؤلف نفسه هم بحذف قصة من القصص ، ولكن تبين له أن لها مغزى سياسيا وأدبيا ، فنشرها ، قال (ص ٢١٧) : كانت هذه القصة (أمة الأرانب والفيل) من قصص شوقى الأولى التى جارى بها لافونتين الفرنسى شاعر الحكايات على ألسنة البهائم والطير ، وهى خالية من روح الشعر التى ظهرت فيما بعد فى سنة ١٩٢٨ م فى (الوطن) ، وعصفورتان فى الحجاز ، لذلك كنت أرى حذفها من شعر شوقى لضعفها حتى تبين لى من هـذا المقال (يشير إلى مقال نشر فى المؤيد فى ٣١ يولية سنة ١٩٠٠) المغزى الأدبى والسياسى الرفيع الذى كان يرمى إليه شوقى فى نظم قصص وأناشيد الأطفال ، وأقول إن الخلو من روح الشعر هو - فى حد ذاته - مغزى يحتم على كل ناشر أن ينشر ما وجده من شعر شوقى أو غيره من الشعراء ، ومن المعروف من قديم أن الشاعر الحق هو الذى يجمع بين الدرة والحصاة فالناقد أو الباحث يهمه أن يعرف درر شوقى ، ويهمه كذلك أن يعرف حصاه .

وأنا معه فى العيب على شوقى الذى ضن

على نسيب إحدى قصائده بإعادة نشره في الطبعة الحديثة من ديوانه ، وإن لم يكن في ذلك الشعر من الحكمة وحسن الصياغة ما هو أعلى وأغلى من الكثير من مختاراته في باب النسيب من الجزء الثانى .

ولئن عذرنا الشاعر في حذف أجزاء من شعره لأنه يرى أنها تحط من مكانته الفنية فإننا لا نعذر الناشر لأنه لا ينبغى أن يذهب مذهب الشاعر فى محاولته إظهار فنه فى أعلى درجاته ، والمؤلف يعبر عن ذلك بقوله فى ص ٢٢٦ : لذلك رأينا انتقاء الشعر الجيد الذى هو خير ما فى الرواية (يريد رواية عذراء الهند) ولب لبابها ، ولا يشفع له قوله بعد ذلك : خصوصا وأن شوقى قد عاد إلى معالجة الموضوع شعراً وبأسلوب جديد فى رواية قمبيز . .

والنقد الذى أشاعه المؤلف فى جميع فصول الكتاب ، أعجبنى ، واهتززت له كثيرا ، ولكنى ـ مع ذلك ـ أحب أن أراجعه القول قليلا فى بعض لمساته التى لم ترقنى .

فضل قول شـــوقى فى بعض قصائده : (والنفس إن صغرت لاشىء يؤذيها) على قول المتنبى :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجـرح بميت إيلام

وقال إن شوقى أخذ المعنى من المتنبى ، ولكنه ربما كان أحق بالمعنى منه ، وهو حكم جائر على أبى الطيب ، فقوة الأداء فى بيته ، والدقة ، والتمثيل الذى أكد المعنى وقرره ، والجرس الصوتى الذى يملأ السمع رنينا ، كل ذلك يجعل كلمة شوقى تتضاءل بهدوئها وبساطتها .

وآية ما ذهبت إليه هو تعليق المؤلف نفسه على بيت لشوقى :

لم نفق منك يا زمان فنشكو
مدمن الخمر ليس يشكو الخمارا

هذا البيت الرائع طالما أطنب فى امتداحه الأديب الذواقة المرحـــوم مصطفى لطفى المنفلوطى وقد هبط به شوقى إلى الحضيض بصياغته الجديدة :

لم نفق منك يا زمان فنشكو
مدمن الخمر لا (يحس) الخمارا

فكل ما فعله شوقى أنه غير كلمة (يشكو) بكلمة (يحس) والفرق بينهما هو الفرق بين (يؤذيها) فى كلام شوقى و (يسهل الهوان عليه) فى كلام المتنبى .

وقد رُوى بيت شوقى فى قصيدته (يا ليلة سميتها ليلتى) وهى القصيدة التى قيلت بمناسبة ولادة بنته أمينة ، ووفاة والده فى ساعة واحدة ، روى هذا البيت :

والقلب ما بينهما حائر

من بلدة أسرى إلى بلدة

بكلمة (يسرى) بدل (أسرى) قال المؤلف : وبين الكلمتين بون شاسع ، أسرى تخفض البيت وتذهب بروائه ، ويسرى ترفعه .

ولست مع المؤلف فى هذا ، فزوج شوقى فى حلوان ، ووالده فى القاهرة ، زوجه جاءها المخاض ووالده جاءه الموت .

وقد انتقل الشاعر فى الليل — من بلد إلى آخر ـ ولا أظنه يريد أن يقول إنه طول الليل يتنقل ، ولا كانت المواصلات فى سنة ١٨٩٧ م تسمح بهذا التنقل المتكرر فى ليلة واحدة ، والذى يستفاد من الفعل المضارع (يسرى) . ولو كان فى أيامنا هذه لقلنا لعل الشاعر ذهب إلى حلوان ثم رجع إلى القاهرة ، ثم عاد إلى حلوان وهكذا ، لكن تاريخ القصيدة يجعلنا نعتقد أن شوقى جاء ليلا من أحد البلدين إلى الآخر ، وفى هذا من المتاعب ما فيه فى ذلك الزمان ، ويساعدنا على هذا الفهم أن القصيدة نشرت وأعيد نشرها فى حياة شوقى ، برواية الفعل الماضى ، أما الفعل المضارع فهو من رواية الأستاذ الجديلى ، ولا شك أن الشاعر أعرف بما يريد .

والمؤلف قد أدخل فى النقد ما ليس منه ، وذلك حيث يقول عن بعض القصائد : وهى جيدة النسج ، ولكن يعيبها أنها مدح فى توفيق وذم فى العرابيين . فمن الناحية الفنية لا يعيب القصيدة موضوعها ، وإنما يعيبها ذلك من نواح أخرى ، وهذا لا مدخل له فى النقد ، وإلا لألغينا كثيرا من الشعر العربى ، بل وكثيرا من الشعر فى جميع اللغات إذا كان الموضوع لا يرضينا .

ولست أوافق المؤلف على أن ابن خفاجة ليس له شعر يشف عن وجد بالطبيعة وتعلق بها ، وليس فى شعره إلا تشبيه متكلف ، ففوق أن النقاد يكادون يجمعون على أن ابن خفاجة شاعر الطبيعة نجد حياة ابن خفاجة كلها وجد بالطبيعة وتعلق بها ، وكذلك شعره ، أما التشبيهات فهى نتيجة هذا الوجد فيما أعتقد ، وإن كان يبدو فى بعضها التكلف ، فأى شاعر لم يتكلف ؟ ! .

(وبعد) فهذه الوقفات القصيرة لا تغض من قيمة الكتاب ولا تغير رأينا فيه ؟

على العمارى

بريد المجلة

فتاة من جنوب أفريقيا تستعين بجامعة الأزهر وترغب الدراسة فيها :

السيد وكيل جامعة الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله .

سيدى :

اشتملت صحيفة محلية صادرة هذا الصباح على مقال يعلن السماح للفتيات بدخول الأزهر ، فإذا كان هذا النبأ صحيحا ، فإن الله قد استجاب لدعاء قلب معذب .

إننى إذ أكملت دراستى إلى مستوى الجامعة اضطررت إلى ترك منزلى طلبا للمعرفة الإسلامية ، نظراً لأن النساء فى بلدى - جنوب إفريقية - جاهلات بأبسط مبادىء الإسلام إلى درجة فاحشة ، وإن كان الرجال لا يفضلونهن فى هذا السبيل . والحق أن الإسلام كان ينتشر وما يزال ينتشر بدرجة هائلة ، ولكن لا توجد امرأة واحدة تستطيع أن تطفىء الظمأ فى قلوب آلاف من رفيقاتى إلى المعرفة الدينية . وقد كتبت واستفسرت من مختلف المعاهد فى أنحاء العالم عما إذا كان هناك « دارا للعلوم » مخصصة للفتيات ، يمكننى أن أقصدها لدراسة الإسلام قبل أن أشرع فى معاونة أخواتى الكثيرات اللاتى افتقدن العلم الواضح البسيط بالإسلام حتى كدن يصرن مسلمات بالاسم فحسب .

وما دام نساؤنا على حالهن فى الجهل بإمكانيات التطبيق العملى للإسلام فى حياتهن اليومية ، فإن التقدم العالمى للمسلمين الذى سيضطلع به جيل المستقبل ، سيفتقد الصلة الصحيحة بالدين . أفليست الأمهات هن اللاتى يؤدين أعظم دور فى تنشئة الأطفال ؟

إن المعهد الوحيد الذى أجابنى كان فى باكستان ، وعند وصولى وجدت مستواه بسيطا جداً ، ومنذ ذلك الوقت وأنا أتنقل طوال ستة شهور ما بين الأروقة والأعمدة ، أرجو علماء الهند تلقينى القرآن والحديث على الأقل ، ولكن الجميع أعارونى آذانا صما ، لأنهم لا يرغبون فى تعليم فتاة .

إننى على استعداد لأمنح حياتى كلها للعمل على إنهاض الإسلام ، ولكننى أريد أولا فرصة لتهيئة نفسى . أعطونى فرصة لأعرف كلمة الله والنبى . إن علمى بالعربية محدود ، ولكنى أرغب فى الوصول إلى أى مدى من

العلم ، لأن مقصدى هو تعلم القرآن الذى نزل بهذه اللغة الشريفة .

فإذا كان صحيحا أن الأزهر سيفتح أبوابه للفتيات ، أرجو أن تصلنى بالبريد كل المعلومات . وهل هناك أى منح دراسية يمكن الحصول عليها ؟ إننى أسأل نظراً لأنى ابنة رجل محدود الدخل نسبيا . أما مؤهلاتى الدراسية فقد ذكرت أنى دخلت جامعة عادية . وقد عالجت دراسة لغتين أوربيتين ، التاريخ ، والجغرافيا ، العلوم (علم الحياة ، علم وظائف الأعضاء ، علم الصحة ، الطبيعيات) حتى مستوى الجامعة . كما أننى أعرف الأردية واللغة الإفريقية ، وبعض الفارسية ، وشيئا من العربية .

وأدعو الله أن يجعل الأزهر مركز المعرفة الدينية لا للرجال فحسب ، بل للنساء أيضا ، وليبارك الله من فكروا فى هذه الخطوة الحكيمة .

أرجو أن ترسلوا كل المعلومات فى أقرب فرصة نظرا لأنى فى هذه اللحظة لا أنتظم فى معهد مناسب ، وإنما أتعلم دروسا خاصة فى العربية بقصد التقدم للكلية الشرقية فى لندن التى عرضت منحا دراسية لستة طلاب .

المخلصة لكم فى الإسلام

الآنسة ز . آدم

دراسة عن العرب فى أندونيسيا :

وردت إلى المجلة تعقيبات على هذه الدراسة التى كتبها الأستاذ عبد القادر الجفرى .

وسنكتفى بنشر كلمتين من هذه الكلمات نرى فيهما غناء ، ونرجو أن ينزه كل مسلم لسانه وقلمه عن العصبية البغيضة التى فرقت كلمة المسلمين فى الماضى ، فإن ديننا الحنيف يدعو إلى الوحدة والتواد والمحبة : وليس منا من دعا إلى عصبية .

العرب فى أندونيسيا :

لم أكن أود أن أرد على ما كتبه الأخ عبد القادر عبد الله الجفرى فى مجلة الأزهر الصادرة فى جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ . تحت عنوان « دراسة عن العرب فى إندونيسيا » ولكن أرانى مضطراً للرد على الجفرى ، تقريرا للحق وللواقع وللتاريخ وتصحيحاً للأخطاء التى ارتكبها الجفرى . فالأمل عملا بحرية النشر وخدمة للتاريخ ، أن تتكرموا بنشر ما يلى ، ولفضيلتكم منا جزيل الشكر والثناء العاطر .

قال الجفرى : التجار الحضرميون الأوائل الذين نشروا الإسلام فى ملايا وسومطرة وصولو وجاوة وغيرها من أحفاد المهاجر أحمد بن عيسى .

ونقول : إن المؤرخين الإندونيسيين

متفقون على أن أول من جاء بادئ ذى بدء لنشر الإسلام فى إندونيسيا هم جماعة من التجار من مسلمى « قوجارات » فى الهند ، لا من العرب وأن أول بقعة من بقاع إندونيسيا بدأ يرفرف عليها العلم الإسلامى وينتشر الدين الإسلامى فيها ، هى « ڤاسائى » « وڤيرلاك » فى سومطرة الشمالية ، وهـذا التاريخ هو المعروف والمعتمد عند الشعب الإندونيسى ، ويدرس فى المدارس والجامعات الإندونيسية الحالية فى الوقت الراهن .

ثم قال الجفرى : والعلويون هؤلاء كان منهم أولياء تجاب دعوتهم وتظهر على أيديهم الخوارق المشهورة وكان الناس يقدسونهم ويتبركون بآثار أقدامهم فيأخذون التراب الذى مسته أقدامهم وينثرونه فى منازلهم .

ونقول للجفرى : هكذا كان آل باعلوى ينشرون الخرافات والخزعبلات والشرك بالله فى المجتمع الإندونيسى . ولا يخافون الله ولا يخشون لومة لائم ، وهكذا بدلا من أن ينشروا مبادئ الدين الإسلامى الصحيح والعقيدة الإسلامية الصحيحة . فتجد الناس يعتقدون فى أهل القبور من الأموات والأحياء ، ونعوذ بالله ، ويتوسلون بهم ويطلبون منهم قضاء الحاجات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال الجفرى : ولم يكن غير (العلويين) أحد من الحضارم يعانى الأسفار ويغامر فى البحار ، الخ .

ونقول : إن السادة الحضارم عرفوا الأسفار منذ القدم إلى الأقطار القريبة والبعيدة قبل وجود آل باعلوى فى حضرموت وبعد وجودهم فيها .

وقال الجفرى : ولم يكن أمام هؤلاء بادئ ذى بدء إلا الاستجداء ، ويتجمع من الاستجداء ما شاء الله من المال ، هنا يتدربون على البيع والشراء ببعض الحاجيات الصغيرة فيدورون فى الحارات والقرى والمنازل يبيعون بضائعهم بالدين والنسيئة ، ويدفع الثمن مقسطا بأرباح كبيرة ثم تغرهم سذاجة الأهلين وطيبتهم فيبدأون فى السير فى طريق المراباة والحيل ، ولقد نبغ منهم الكثير فى هذه العمليات فاحتلوا مكاناً من هذه الدنيا الصاخبة بالسكان وامتازوا فى اختراع أساليب الابتزاز .

ونقول للجفرى : أما الاستجداء فقد اشتهر بممارسته بعض آل باعلوى سواء فى حضرموت أو فى غيرها من المهاجر ، وهذا شىء مشهور ومعروف عند السادة الحضارم وعند آل باعلوى أنفسهم ، ولا يختلف فيه اثنان .

وأما السير فى طريق المراباة والحيل ، فهذا شىء شاذ ، والشاذ لا حكم له . فإذا كان

ثمت شواذ من السادة الحضارم أخذوا يرابون فيما مضى ، وجعلهم الجفرى حجة ، فنى إمكاننا أن نقول إن بعض آل باعلوى أنفسهم كانوا يرابون ويحتالون على الأندونيسيين فيما مضى ، ولكن مثلما قلنا إن الشاذ لا حكم له ، ولا يمكن أن يؤخذ بالأعمال الشاذة وجعلها حجة وبرهانا .

وقال الجفرى : لا شىء أمام الاستعمار لينفذ منه إلا أولئك الذين وفدوا أخيراً من الحضارم كالوباء الذى يحمل معه جراثيم الانحلال والانهيار . الخ .

ونقول للجفرى : أنسيت أم تناسيت ما حدث فى أمشية من أعمال سومطرة الشمالية وفونتيانك — أندونيسيا — وغيرها من خيانات ومؤامرات نحو الوطن الأندونيسى؟ ومهما يكن الأمر ، فإننا نرى ذلك من الحوادث الشاذة التى لا حكم لها كما أسلفنا القول . أو ليس الذى مثل هذه الحلقات الخيانية نحو الوطن الأندونيسى هم بعض أفراد من آل باعلوى ؟ .

شوكت البحرى

(أستاذ فى جامعة شكر وأمينوتو)

الجفرى والعرب فى أندونيسيا :

اطلعت بطريق المصادفة على مقال نشرته جريدة الطليعة الحضرمية الغراء نقلا عن مجلة الأزهر الصادرة فى جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ . وذلك : عند ما زار مدينة الصولو بأندونيسيا فضيلة شيخ الأزهر طلب من الأخ عبد القادر الجفرى مقالا عن العرب فى أندونيسيا وحالتهم الاجتماعية وما ينقصهم وما يعترض سبيلهم فى أداء رسالة الإسلام وتعاليمه ، والمفهوم بالبداهة أن فضيلة الشيخ كان يؤمل أن يقدم الكاتب دراسة علمية عميقة تعتمد على أصح المصادر التاريخيه الثابتة ، إذ يجب أن لا تشوه الحقائق التاريخية ، وتمزج بالميول والعواطف .

إنه لا يهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت أن يعلم أن فى الحضارم علويين وسلفيين وأن فيهم غوغاء ورعاعا وأميين ، إذ فى كل أمة يوجد مثلهم ، ولا يهمه أن يعلم أن المسلمين فى أندونيسيا كانوا يقبلون تراب أقدام العلويين ، ولا يهمه أيضاً أن يعلم أن العلويين كانوا فى الماضى البعيد دعاة وهداة ومرشدين فى أندونيسيا ، وأن غيرهم من المواطنين العرب الذين دخلوا أندونيسيا حديثا كانوا أشراراً وفسقة . وإنما الذى يهمه أن يعلم المجهود الذى يبذله العرب الآن فى أندونيسيا نحو رسالة الإسلام ولغته وكم عدد مدارسهم وما أدته من خدمة للإسلام وما ينقصها أو يعترضها من مشاكل فى أداء رسالتها الإسلامية ، ولعل فضيلة الشيخ يشير

بطرف خفى إلى استعداده لأن يكمل النقص أو يزيل ما يعترضها من عراقيل ، ولكن الأخ الجفرى استغل هذه الفرصة السعيدة لصالحه وصالح قبيله فقط باستعراضه أساطير وقصصا ملفقة فى صورة تاريخ نزيه ليخلق لذويه نخارا من الأوهام ، فإن كان لنا ماض مجيد فهو فى تاريخ الإسلام فقط ومنه نستمد الفخار والعزة والكرامة ، وهذا للجميع لا لفئة دون أخرى .

نحن أمة واحدة يجمعنا تاريخ واحد وإن فضائل عرب الجنوب وعرب الشمال وعرب المغرب وعرب المشرق هى مفخرة للجميع ، كما أن رذائل طائفة منا يخجل لها كل العرب وبهذا نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له كل الجسد بالحمى والسهر .

قال الأستاذ الجفرى : إن التجار الحضرميين الأوائل ، الذين نشروا الإسلام فى ملايا وسومطرة وجاوا هم من أحفاد أحمد بن عيسى المهاجر إلى حضرموت ، وهو الجد الأعلى للعلويين الحضارم . ثم عطف وقال عن غير العلويين إنهم أوباش جهال ورعاع نفضتهم الصحراء إلى الخضراء فعاثوا فسادا واشتغلوا بربا النسيئة ، ونبغوا وامتازوا فى أساليب الابتزاز ، فكانوا كالوباء الذى يحمل معه جراثيم الانحلال والانهيار إلى أندونيسيا .

إننا نعتقد أن فضيلة شيخ الأزهر لا يريد من الأستاذ الجفرى فى دراساته التاريخية إشاعة مثالب طائفة من العرب المواطنين وإنما يريد أن يعلم الحد الأدنى للجهود العربية نحو رسالة الإسلام فى هذا المهجر بدون قدح ولا تجريح .

إنه من سوء حظ العرب أن الظروف لا زالت تتيح لبعض العناصر مساومات لحمل مسؤليات كبيرة وأمانات لا قدرة لهم بها تلك الأمانات التى أشفقت من حملها السماوات والأرض والجبال ، ومن مصائبنا أيضا أن الأميين وأنصاف المتعلمين الذين تتغلب عواطفهم على عقولهم يتقدمون بجرأة لحمل المسئوليات الثقيلة .

تاريخ الإسلام فى أندونيسيا أمر مختلف فيه جدا لقلة المصادر الوثيقة ، فبعض الكتاب يقولون إن الهنود هم الذين نشروا الإسلام ويستشهدون بآثار وتقاليد موجودة إلى الآن فى بعض مناطق أندونيسيا ، وأخيرا جاء السفير الإيرانى الحالى وزعم أن الفرس هم الذين نشروا الإسلام واستشهد بآثار لغوية وتقاليد فارسية لا زالت موجودة فى بعض المناطق الأندونيسية . والحق الذى لا جدال فيه أن الذين نشروا الإسلام هم لفيف من تجار المسلمين الذين جاءوا من الهند والبلاد العربية وفيهم من عرب المغرب

وعرب الجنوب ثم الهنود والفرس وكل ترك له أثرا فى مجتمع الإسلام بأندونيسيا وملايا وفلبين . أما قول الأخ الجفرى إن الحضارم المغتربين ينقسمون إلى قسمين قسم منهم يمثل صورة المسلم الداعى والعربى المجاهد والتاجر النزيه والناشر لتعاليم الإسلام ولغة القرآن والباعث لروح الوطنية ومقاومة الاستعمار فى نفوس الأندونيسيين وهم أحفاد المهاجر إلى حضرموت أحمد ابن عيسى فذلك طمس لمعالم التاريخ وقلب للحقائق .

ونحن نمسك القلم عن الاسترسال مع رجائنا من الكتاب العرب أن يتجنبوا المفاخرات أو تخصيص طائفة من المواطنين بمحاسن والحط من قدر طائفة أخرى إذ لكل حسنات وسيئات فإن كان هناك مفخرة فهى مفخرة القومية العربية الشاملة لأن رفعتنا وسقوطنا واحد . وهاهى ذى البطولة الخالدة التى أظهرها عرب الجزائر فى نضالهم الوطنى المجيد يفتخر به كل عربى لأنه قسيم فى هذا المجد ومثل ذلك بطولة عرب عمان الأشاوس فى نضالهم ضد الاستعمار هو أيضا فخر لنا جميعاً كما أن مثالب طائفة منا هى عيب الجميع لأننا كالجسد الواحد . ولعل الأخ الجفرى ظلم التاريخ عندما قال إن عشيرته كانت مصدر روح المقاومة لحكم الأجنبى الغير المسلم وأنهم حالوا دون التعاون مع أهداف الاستعمار الهولندى بأندونيسيا.

كل هذه مزاعم تتعارض مع ما نشره السيد اسماعيل العطاس العلوى فى كتاب المذهب الذى طبعته ونشرته حكومة الهند الهولندية سابقا ثم أهدته للملكة هولندا بمناسبة ذكرى العيد الفضى عام ١٩٢٥ م وقد شرح الكاتب فى مقاله فضل العلويين على الاستعمار الهولندى وتعاونهم معه ا هـ

لقد أساء الأستاذ الجفرى إلى الأمانة التى أسندها اليه فضيلة شيخ الأزهر ثم أساء إلى عامة الشعب العربى .

ومن أراد أن يفصل نفسه عن المجد العربى والعلم ليحاول أن يبنى له نوعا جديدا من المجد الخاص لطائفة خاصة فقد باء بالهوان . يجب على كل عربى أن يسعى جهده فى بناء مجد العرب كلهم بل المسلمين عامة على طريقة السلف الصالح . المجد المبنى على العمل والكفاح واقتحام المشقات لا الخلود إلى الكسل والراحة والاتكال على الأوهام والخرافات . فكل عربى يسعى لمجد العرب كلهم ويدعوهم إلى الوحدة والإخاء بدون احتكار الفضل له أو لذويه يحمله العرب على الأكتاف وفوق الرءوس ويضعونه فى سويداء قلوبهم على حد قول الرسول « خادم القوم سيدهم » ـ وها هو ذا جمال عبد الناصر

خادم القومية العربية والساعي لإعلاء كلمتها وتوحيدها وإحلالها مركزا مرموقا في العلم والصناعة ولذلك ترى أفئدة العرب في كل أقطارهم تهوى اليه وتلتف حوله لأنه خادم العرب كلهم لا طائفة خاصة .

عمر سليمان ناجي
جاكارتا . أندونيسيا

رد على نقد :

« يجادلونك في الحق بعد ما تبين »

كتبت في عدد رجب من مجلة الأزهر - عن الآية المذكورة ، وأوضحت فيها وجهين عن العلماء ، أحدهما أن الآية في شأن الكافرين الذين كان دأبهم أن ينكروا الحق الذي جاء به محمد - عليه الصلاة والسلام - بصفة عامة ، دون تخصيص لإنكارهم بشيء معين ، بل التخصيص يكون خطأ في الفهم . والآية على هذا الوجه مستأنفة عن السياق ، ولا علاقة لها بما قبلها في شأن المؤمنين ، وهو وجه منصوص . وقد حكيته عن المفسرين السابقين .

ثاني الوجهين - وهو المشهور الذي بنيت عليه حديثي - أن الآية في شأن المؤمنين ، تمشيا مع ظاهر السياق ، وأن الحق الذي كان فيه الجدل هو الحرب مع قريش في غزوة بدر الكبرى ، بعد أن أفلتت العير مع حراسها ، وأصبح واضحا للمؤمنين ، أن وعد الله بنصرهم صار الآن متعلقا بالحرب لامحالة : غير أن فريقا من المؤمنين يكرهون التعجل بها قبل أن يتم استعدادهم لها في مواجهة عدو مستعد يكثرهم عددا ويتربص بهم الدائرة .

ونظرة عابرة في صفحة - ٨٠٠ ، ٨٠١ - من عدد رجب تهدى إلى ذلك كله في غير تكلف ، ولا عناء . .

ولكن بعض الإخوان فاتهم العلم بالوجه الأول ، وفاتهم أن يتمهلوا في قراءة ما كتبت ، فاضطرب عليهم القصد ، وتجاوزا ما أوضحت ، وزعموني بترت الآية عن السياق ، ونسوا أن السياق ليس مانعا في اصطلاح العلماء من قول آخر - كما أسلفت عنهم - وإنما هو مرجح فقط .

ولو أن الإخوان الذين زعموا مقالي بعيدا عن الآية تريثوا حتى يسألوا لأراحوا واستراحوا ... والله يهدينا إلى الحق ، ويزيدنا من أدب العلم .

عبد اللطيف السبكي
عضو هيئة كبار العلماء

رد على الرد :

أرجو أن يتذكر فضيلة الأستاذ الجليل الفرق بين الاستئناف البياني والقطع أو الاستئناف النحوي ، ولو استحضر في ذهنه الفرق بينهما ما خطر بباله احتمال أن يكون الجدال من الكفار ، بعد قول الله

«وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون»، ولو تفضل فضيلته فذكر أسماء المفسرين الذين اعتمد عليهم في الوجه الأول لكان لنا معه كلام آخر، ونكتفي بهذا القدر الذي لا يضيق به صدر ؟

عبد الرحيم فوده

متى تحرر إقامة هذه الكتب ؟

منذ سنوات طلبت مني سيدة مسلمة متدينة، تقدمت بها السن، وعلى جانب من الثراء أن أعاونها في عمل رأته خيراً - بل كل الخير - للمسلمين، كانت تود أن تطبع بضعة آلاف من كتيب صغير، أطلق عليه «المجموعة المباركة»، وحاولت أن أقنعها - وعبثاً حاولت - بأن في مثل نشر هذه الكتب الضالة المضلة تشويهاً للإسلام نفسه وإساءة إلى معانيه، وتركتها تبحث عمن يشترك معها في جهلها .

وقبيل شهر رجب الماضي طلبت مني من تمت إلى بأوثق الصلات أن أحضر لها كتيبا دينيا مشهوراً فيه قصة عبد الله بن السلطان واستغفاره الذي يقرأ في شهر رجب، وذكرت لي أنها سألت السيدة ناظرة المدرسة التي تعمل فيها - وقد حججت قريبا إلى بيت الله - لِمَ لمْ يظهر أثر للتدين على حياتها، والمعروف أن المسلمة بعد أن تحج تبدأ مرحلة جديدة في مظهرها ومبطنها ؟ .

وأجابت السيدة الناظرة، بأن الأعمال بالنيات، وأنها لو قرأت قصة عبد الله ابن السلطان لأيقنت ذلك . .

وسعيت بنفسي إلى إحدى مكتبات ميدان الأزهر لأشترى «المجموعة المباركة»، وكدت أفجع حين علمت أن هذه المجموعة يطبع منها مئات الألوف لترسل إلى السودان والمغرب العربي ودول أفريقيا الإسلامية .

أما المجموعة المباركة فتحتوى على أدعية مأثورة وغير مأثورة، ثم على قصة المدعو «عبد الله بن السلطان»، وقصته كما روتها المجموعة : أنه كان معاصراً لرسول الله - صلوات الله عليه - وكان يرتكب شتى الموبقات ويتمرد على الفرائض الدينية بأسرها، وعندما مات ولم يقبل على تشييع جنازته أحد، أوحى الله إلى رسوله بالصلاة عليه وتشييع جنازته والنزول في لحده، وحينما سئل الرسول لم كان يمشي على أطراف أصابعه ولم ابتسم وهو خارج من لحد الرجل ؟ أجاب : بأنه تزاحم الملائكة في التشييع وتنافس الحور في استقبال هذا الميت . .

وقصد الرسول إلى منزل الرجل، وعلم من زوجه أن زوجها كان عربيداً فاسقا حتى بلغ به الفجور إلى شرب

الخمر فى نهار رمضان وما إلى ذلك ، إلا أنه كان إذا أقبل شهر رجب قرأ استغفاراً ؛ ومن كثرة قراءته حفظته منه ، فأمر رسول الله عليا بتسجيل هــذا الاستغفار ، ثم عقب بقوله :

« من قرأ هـذا الاستغفار وجعله فى بيتـه أو فى متاعه جعل الله له ثواب ألف صديق ، وثواب ثمانين ألف ملك ، وثمانين ألف شهيد ، وثمانين ألف حجة ، وثمانين ألف مسجد ، وثمانين ألف من أعتق رقبة من النار ، وثواب سبع سموات وسبع أراضين ، وثمانية أبواب الجنـة والعرش والكرسى واللوح المحفوظ والقـلم ، وثواب نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ... » .

ومن قرأ هـذا الاستغفار فى جميع عمره مرة واحدة ، غفر الله له ولوالديه ولو كانوا من أهل النار ، ومن قرأه بنى الله له ثمانين ألف قصر فى كل قصر ثمانون ألف حجرة ، فى كل حجـرة ثمانون ألف سرير ، على كل سرير ثمانون ألف حورية من الحور العين .
إلى أن قال المؤلف المدعو « عبده محمد بابا » ومن شك فيه فقد كفر والعياذ بالله .

وبعد — فقد يكون من الممكن أن نلتمس عذرا لسيدة تركية متدينة وعلى جانب من الجهل ، هى تلك التى رأت من الخير للمسلمين أن توزع عليهم « المجموعة المباركة » وهى تؤمن بكل ما جاء فيها إيمانا راسخا . ولـكن كيف نلتمس العذر لسيدة على جانب من الثقافة ، ويوكل إليها الإشراف على توجيه المئات من النشء وهى تثق فى مثل هذه الخرافات الضالة المضلة التى لا شك فى أن صانعها ليس إلا واحـدا من اثنين : يهودى يود هدم الإسلام فى نفوس المسلمين ، أو زنديق متحلل يود أن يشاركه المسلمون فى انحلاله وتحلله .

ويحتمل أن يـكون هنـاك ثالث ، ولـكن هذا الثالث لابد أن يكون من مدمنى المخدرات ، سولت له المخدرات أن يبتكر هذه الحالات أو هذه الرزايا .

ليست المجموعة المباركة وحدها ، ولـكن عشرات بل مئات من أمثالها ، تطبع على بضع خطوات من «الأزهر المعمور» لتناقس الثقافات الإسلامية التى يوردها إلى العالم الإسلامى لتغذى عقول شعوبه .

نحن لا نستطيع أن نلقى المسئولية إلا على الأزهر الشريف ، وأعتقد أن المهمة يسيرة إن حاول أن يؤدى رسالة نحو الثقافة الإسلامية ، هى بمثابة أمانة فى عنقه ، يسأل عنها أمام الله والتاريخ .

لو أن الأزهر الشريف كلف لجنة تفحص هذه الـكتب التى تبلغ الأطنان فى مكتبات حى الأزهر ، وقرر استبعاد المخل منها بقيم الإسلام والمقوض لأسسه ، لم يجد من السلطة التنفيذية إلا كل ترحاب .

إن المثقفين فى أفريقيا تصل إلى أيديهم مثل هذه الكتب ، ثم يلفظونها وهم يودعونها بسخريتهم ، أو يحرقونها ليكفى المسلمون شرها ، وقد كتب إلى أحدهم ، أنه كان يوفر من قوت بيته ليشترى منها ويحرق ما يستطيع شراءه ، وهو يعتبر هذا بمثابة قربى إلى الله ، ولكنه توقف عندما وجد أن أضعاف دخله لا تصمد أمام هذا السيل الجارف من هذه المخزيات .

هؤلاء المثقفون لا يعلقون على مثل هذه الكتب حين تصل إلى بلادهم لتسهم بقسط وافر فى نشر الجهل ، وهدم كيان الإسلام ، إلا بعبارة واحدة هى :

أين الأزهر :

ونحن لا نملك إلا أن نردد معهم أيضا :

أين الأزهر من هذه الكتب التى تتنافس فى هدم مابناه وما يبنيه وما سيبنيه فى المستقبل

محمد عبد الله السمان

وزارة الداخلية تشكر الأزهر على محاربته المخدرات :

السيد مدير مكتب فضيلة شيخ الجامع الأزهر .

بعد التحية : تهدى الشئون العامة بوزارة الداخلية لسيادتكم أطيب تمنياتها ، ويسرنا أن نتوجه بخالص الشكر وعظيم التقدير لما قدمتموه من جهود طيبة ومعاونة صادقة فى الحملة الإعلامية التى قامت بها وزارة الداخلية لتبصير المواطنين بالأضرار التى تنتج عن تعاطى المخدرات والاتجار فيها ، الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى إنجاح هذه الخطة ونشر الوعى ضد هذه السموم .

وإنا لنتضرع إلى الله أن يوفقنا جميعا إلى العمل لما فيه خير البلاد وحماية مجتمعنا الاشتراكى من شرور أعداء الشعب ، والنهوض بجمهوريتنا العزيزة فى ظل رائد القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الشئون العامة

ووزارة الحربية تشكر أيضاً :

السيد الأستاذ صاحب الفضيلة مدير قسم الوعظ والارشاد بالجامع الأزهر الشريف .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد تسلمنا بمزيد الشكر كتابكم المؤرخ فى ٩/١٢/١٩٦١ ومعه مجموعة من المواعظ الخاصة بمحاربة المخدرات من عمل قسم الوعظ والإرشاد بالجامع الأزهر الشريف ـ ونظرا لأهمية هذه المجموعة من حيث التدليل على خطر المخدرات وتحريمها شرعا وواجب القضاء عليها ، فقد رؤى طبعها ونشرها للإفادة منها على أوسع نطاق .

وبما أن مشكلة المخدرات قد أضحت خطراً هاماً، يهدد الناس فى صحتهم ومالهم وعيالهم ويهدم كيان الأسر ويقضى على الأخلاق، ويهدر الكرامات، ويصيب اقتصاديات البلاد بأكبر الخسائر، وقد تفشت هذه السموم تفشياً ذريعاً فلم تجد فيها إجراءات المكافحة الإيجابية الجارية بوسائل الضبط والقمع والعقاب، لذلك اجتمع الرأى على وجوب مكافحتها بوسائل الدعاية بالنشر والإعلان والسينما والاذاعة بالراديو والتليفزيون والخطب المنبرية بالمساجد ودور العبادة والمحاضرات فى دور العلم، وذلك لإيقاظ الوعى وتنوير الأذهان وتبصير الناس بمضارها وتحذيرهم من عواقبها، ويجرى الآن تنظيم حملة دعائية واسعة لهذه الغاية تشترك فيها الجهات الرسمية وجميع الهيئات والعناصر كل بطريقتها الخاصة.

وليس أقدر على اقتحام حلبة الكفاح من رجال الوعظ والإرشاد، بل ليس أقرب إلى قلوب الناس وأعذب لأسماعهم وأنفذ إلى أذهانهم من كلمات رجال الدين الصادرة من أعلى المنابر فى بيوت الله.

مهرجان ابن خلدون

دعت الجمهورية العربية المتحدة ثلاثين عالماً من جامعات العالم ليشاركوا علماء الجامع الأزهر والجامعات المصرية فى أحياء التراث الخالد للعلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى قال فيه المؤرخ البريطانى الفيلسوف (توينبى): (إن عبد الرحمن بن خلدون قد خلف أعظم عمل فكرى أبدعه إنسان فى أى زمان وأى مكان فى تاريخ البشرية).

وقد اجتمع هؤلاء العلماء فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ديسمبر، بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية، ورأس حفلة الافتتاح السيد حسين الشافعى نيابة عن الرئيس «جمال عبد الناصر»، فألقى كلمة جاء فيها: إن الشعوب وهى تعيش مراحل عمرها تجتاز أطوار الشباب واليقظة وتحتاج فى الفترات الحاسمة إلى كل قواها المادية والمعنوية والروحية، وليس إجدى علينا فى هذا الوقت ونحن نقف على أبواب هذه المرحلة من أن نتطلع فى عزم وثقة الى أمجادنا وعلمائنا العرب لنترجم أحلامهم ونحقق آمالهم ونتخذ منهم علامات الطريق الى مستقبل مشرق.

فى الطليعة من هؤلاء الأفذاذ عالمنا الأمجد عبد الرحمن بن خلدون. ثم أزاح الستار عن تمثال لهذا العالم.

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر كلمة تجدها فى افتتاحية هذا العدد.

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فوده

فطرة الله لا تتبدل

كما خلق الله تعالى العين قابلة للرؤية والأذن قابلة للسمع ، كذلك خلق العقل قابلا للمعرفة مدركا لحقائق الأشياء ، وكما يقع العلم بالمبصرات والمسموعات عند فتح الأجفان وعند الاستماع والإصغاء ، كذلك يقع العلم بالمعقولات عند استعمال العقل وتوجيهه .

وكما لا يمكن إزالة العين عن الرؤية أو الأذن عن السمع إلا لعارض يعرض لها وآفة تطرأ عليها . كذلك لا يمكن إزالة العقل عن معرفة الحقائق والتمييز بين الأشياء واضدادها إلا إذا اعترضته العوارض كإضلال الأبوين وإغواء الشياطين ، فحينئذ يختل نظره ويفسد مزاجه ، وينقلب علمه جهلا ، ورشده غيا .

هذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وأشار لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء . هل تحسون بها من جدعاء . .

يعني أنه كما تلد البهيمة ولدها كاملا سليم الأطراف : فلو ترك على ذلك لكان بريئا من العيب . . لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلا فخرج على الأصل . فكذلك العقل يخلق سليما . مستعدا للمعرفة وإدراك الحقائق على ما هي عليه ما لم يطرأ عليه عارض يفسده وهذا الحديث الشريف الذي نعده من المعجزات النبوية ، لأنه كشف عن الحقيقة الإنسانية وأخبر عن واقعها ، وقال كلمة الفصل فيها . هو بيان وتأويل لقوله عز وجل « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » وقوله تبارك وتعالى « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان » أي أن الإنسان هو الذي صلح بفطرته الخاصة لحمل أمانة الله تعالى ، وهي المعرفة والتوحيد : فكل إنسان مستعد لحمل هذه الأمانة ومطيق لها في الأصل ، وإنما تثبطه عن معرفتها والنهوض بأعبائها الآفات التي تطرأ عليه .

واختلف العلماء في قوله تعالى : « لا تبديل لخلق الله » ، فقيل معناه لا ينبغي ولا يستقيم أن يبدل الناس هذه الفطرة فيخلوا بموجبها

ولا يرتبوا عليها مقتضاها ، باتباعهم الهوى وقبولهم وسوسة الشياطين ، وقيل المعنى لا يقدر أحد على أن يغير خلق الله وفطرته التى فطر الناس عليها وهى استعدادهم لقبول الحق وتمكنهم من معرفته ، ويجعل لهم فطرة أخرى مكانها غير مستعدة لذلك ولا قابلة له . وهذا هو الذى ذهب إليه الراغب . واختاره ابن القيم ، وبه نقول : فإن تعذر إدراك الحقائق العقلية أو العلوم النبوية على بعض الناس لوجود موانع خاصة بهم لا ينافى وجود الاستعداد الذاتى لغيرهم ، ولهم أيضا إذا زالت عنهم الموانع المذكورة ، كما أن عدم رؤية بعض العيون للشمس وهى طالعة ليس دونها سحاب لآفة تصيبها أو حاجز يحجبها لا ينافى أنها بحسب الأصل قادرة على الرؤية متمكنة منها ، وأن أصحاب العيون السليمة يرونها ولا يمترىهم فى ذلك لبس ولا يداخلهم شك .

من كتاب (الإنسان والإسلام)
لفضيلة الشيخ محمد الطاهر الحامدى

تذييل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
ويتكر الفم طعم الماء من سقم
(البوصيرى)

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا
(المتنبى)

وما ضر الورود وما عليها
إذا المزكوم لم يطعم شذاها
(شوقى)

. . . لو أنى أبو عذرتها

فى أيام صباى قرأت قصيدة للشيخ يوسف النبهانى امتدح بها السيد أبا الهدى الصيادى فى أيام السلطان عبدالحميد جاء فيها هذه الأبيات :

ويممت دار الملك أحسب أنها
إلى اليوم لم تبرح إلى المجد سلما
فألفيتها قد أقفرت من كرامها
ولم يبق فيها الفضل إلا توهما
وألفيت مثلى أمـة عربية
يرى القوم منها أمة الزنج أكرما
وما نقموا منا بنى العرب خلة
سوى أن خير الخلق لم يك أعجما

فاستحسنت هذه الأبيات ، وطفقت أنشدها فى مجالس بيروت معزوة بالصراحة إلى ناظمها الشيخ يوسف النبهانى الذى هو من أشعر شعراء العصر ، وكانت القصيدة مطبوعة منشورة ، وكانت معلقة فى دار أبى الهدى بالاستانة ، فاتفق بعد ذلك بقليل أن وقعت مناقشة تعرض فيها (سليم سركيس) لى وحمل علىّ ، وأخذ بالتشنيع فى حقى ، ومن جملة ما لجأ إليه لإلحاق الضرر بى أنه أخذ ينشر هذه الأبيات فى جريدة كان يصدرها بمصر ،

ويضعها تحت اسم الجريدة ، ويضع تحتها اسم « الأمير شكيب أرسلان » ليوهم أنها من نظمى . مع أنه كان يعرف جيدا أن هذه الأبيات ليست لى ، ولكنه كان يقصد إيقاعى فى غضب الدولة .

وبقى « سليم سركيس » نحو سنة يصدر جريدته بهذه الأبيات مذيلة باسمى ، ولم يصبنى بسببها أدنى ضرر ، ولا أصاب الناظم الحقيق ، بل كان يشغل منصبا عاليا فى العدلية ببيروت ، ولم تكن الدولة تلتفت إلى أمور كهذه ، على أنى إظهارا للحقيقة كنت نشرت واقعة الحال ، وأوضحت أن هذه الأبيات هى للشيخ النبهانى من قصيدة مشهورة ، مطبوعة منشورة معلقة فى منزل الممدوح أبى الهدى فى دار السعادة .

ولكن تكرار نشر « سركيس » لهذه الأبيات بإمضائى . وعدم اطلاع الكثيرين على ذلك البيان الذى نشرته خيلا لهم أن هذه الأبيات هى فعلا من نظمى ، وطالما صادفت أناسا كانوا ينشدوننى عليها ويترنمون بها ، وكنت أقول لهم . وددت لو أنى أبو عذرتها ، ولكن الحق أحق بأن يقال . وهو أن أباها هو الشيخ يوسف النبهانى .

الأمير شكيب أرسلان

من مقدمة كتاب النقد التحليلى لكتاب « فى الأدب الجاهلى »

إيضاح :

(العذرة بوزن العسرة البكارة ، يقال هو أبو عذرتها أى أول من افتضها والمراد هنا أول من قال هذه الأبيات .

الوحدة العربية
والخـــلافة العثمانية

حينما كانت الدولة العثمانية إلى أوائل هذا القرن وإلى قيام الحرب العالمية الأولى تسيطر على البلاد العربية كانت هـذه البلاد تعيش فى تقارب تام ، وكانت الدولة العثمانيـة فى الأستانة تعد حامية قوية مرهوبة الجانب ، وعلى الرغم من أن حكمها كان فاسدا مختلا ، وخاصة فى السنوات الأخيرة من القرن الماضى وأوائل هـذا القرن ، وعلى الرغم من أنها أخذت تتدهور وتضعف بسبب الرشوة وسوء الإدارة والقتال على السلطان ، إلا أن العرب لم يفكروا فى الانفصال عنها ، ولكن فكروا فى الشكوى من التصرفات السيئة ، فقد لاحظوا أن العرب لا ينالون حظهم فى الوظائف والتعلم والحياة الحرة .. كان الحكام الأتراك يعاملونهم كأنهم جنس أدنى . ولا يعنون بشئونهم ، بل يقدمون عليهم الأتراك فى كل مجال ، بحيث أحسوا فعلا أنهم يخضعون لحكم استعمارى وليس للخلافة بمفهومها التقليدى (الدينى) ولابد من تقرير حقيقة لا سبيل إلى الشك فيها . وهى أن الدولة العثمانية لم تعش الفترة الطويلة التى عاشتها

مسيطرة على البلاد العربية بقوة السلاح ، ولكنها عاشت بالسحر الروحى للخلافة . ونظر الشعوب العربية إلى هذه الخلافة على أنها مسئولة عن مصالح الشعب ، وأن الخضوع إليها والدفاع عنها واجب دينى ، ومن هنا أعفيت الدولة العثمانية وحكامها فى الآستانة عما كان لابد منه للاحتفاظ بسلطانهم وهو القوة العسكرية .

كانت الوحدة العربية إذن تحت ظل الخلافة العثمانية قائمة « ليست قائمة » قائمة بمفهوم دينى صان الدولة العثمانية من التفكك ، وغير قائمة بسبب الإدارة السيئة التى بثت الضغينة والحقد فى قلوب العرب والأتراك وأوسعت الهوة بينهما ، وسرعان ما أخذ العرب يتجمعون دفاعا عن كيانهم فى داخل دولة الخلافة ، وتألفت جمعيات ، وأقيمت ندوات ، وأخذ العرب فى كل مكان تظله خلافة الاستانة يتساءلون عما يعملون . . ؟ كان الظلم الواقع بينهم وسيلة لجمع صفوفهم ، ولم يكن الظلم فقط بل كان التاريخ القديم الذى جمعهم أبدا فى موقع جغرافى واحد متكامل وفى أطوار من الصراع والهزيمة والنصر متقاربة بل متحدة .

من جريدة الأخبار

للأستاذ محمد زكى عبد القادر

الاعتصام بالدين :

كانت الحرب بين الأوس ، والخزرج فى المدينة مستعرة مستمرة ، لا تنطفىء نارها حتى تعود إلى استعارها ، فتأكل من أبناء هؤلاء وهؤلاء . ما يؤرث الأحقاد ، ويضرم نار العداوة والبغضاء بين هاتين القبيلتين ، وهما من أخوين تجمعهما لحمة النسب ! وكان لليهود على مقربة منهما ، يجدون الدفء والضوء والأمن والمنفعة فى النار التى تأكلهما ، فينفخون فيها ، ويمدونها بالدسائس التى تزيدها اشتعالا ، ثم شرح الله نفوس الأخوة بالإسلام ، فاستحالت النار الضارية نورا فى الصدور ، يتألق بمعانى البر والخير والإخاء .

ومر يهودى كبير على نفر منهم فغاظه أن يجدهم على ما رأى من ألفة تامة وشمل جميع ، وساوره الخوف على مصير قومه فقال هذه الكلمة التى يردد معناها باللغة العبرية بن غوريون : ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار : ثم أمر شابا من اليهود أن يجلس معهم ويذكرهم بما كان بينهم من فتن وعن يوم « بعاث » وهو يوم انتصرت فيه الأوس على الخزرج ، فاندس الشاب فيهم ، وذكر بعض ما قيل من الأشعار فى هذا اليوم . حتى هاج النائرة ، وأثار الثائرة ، وأيقظ الفتنة . فعادوا إلى حمية الجاهلية يتذاكرون الثأر ويتقاذفون الفخر

حتى عصفت النخوة بعقولهم فتداعوا إلى السلاح وبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فخرج إليهم فيمن كان معه من المهاجرين والأنصار . وقال: أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، وألف بينكم . . ؟ وما كاد صلى الله عليه وسلم ينتهى من هذا الحديث الآسف العاتب الغاضب . حتى عرفوا أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح وبكوا . وعانق بعضهم بعضا . ثم نزل فى ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

من مجلة لواء الإسلام

عبد الرحيم فودة

لا آمرك ولا أنهاك

وكان عمر بن الخطاب يحظر على الولاة مظاهر الخيلاء والابهة التى تبعد بينهم وبين الشعب ، ولكنه ينظر فى أعذارهم فيقبلها أو يغضى عنها حيثما يتوقف صلاح الولاية على ذلك .

قدم إلى الشام راكبا على حمار فتلقاه معاوية بن أبى سفيان فى موكب عظيم ، فلما رآه معاوية نزل وسلم عليه بالخلافة فمضى فى سبيله ولم يرد سلامه . فقال عبد الرحمن ابن عوف : أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين فلو كلمته . . ؟

فالتفت إذ ذاك إلى معاوية وسأله : إنك لصاحب الموكب الذى أرى . . ؟

قال : نعم . قال : مع شدة احتجابك ووقوف ذوى الحاجات ببابك . . ؟

قال : نعم . قال : ويحك . . ؟

قال : لأننا ببلاد كثر فيها جواسيس العدو . فإن لم نتخذ العدة والعدد استخف بنا وهجم علينا ، وأما الحجاب فإننا نخاف من البذلة جرأة الرعية . وأنا بعد عاملك ، فإن استنقصتنى نقصت ، وإن استزدتنى زدت ، وإن استوقفتنى وقفت .

فقال عمر : ماسألتك عن شىء إلا خرجت منه ، إن كنت صادقا فإنه رأى لبيب وإن كنت كاذبا فإنها خدعة أريب ، لا آمرك ولا أنهاك .

محمود على الشرقاوى

من كتاب الديمقراطية عند العرب

has been decided to establish an Academy for the islamic Researches. This Academy will gather members from all the Muslim countries to discuss-internationally-the islamic reserches and to revive the fourth source of the islamic law which is " Igmaa " " The openion of the wise people " and this also will help Muslims to protect their faith and to spread the pure Islam among all people.

Surely, the new law of Al-Azhar university had put the plan to graduate the learned man who will have an experience and effeciency to preach Islam and to make his best to extend the islamic area and increase its followers. But the law only had no ability to create good preacher, it is verily in need of jealous Azharites who love their religion, their language and their university. Also, the law is not able to undertake the responsibility of preaching the Message of Islam, but it is in need of faithful preachers and hard working people.

Many years ago, the reformers called for the reorganisation of Al-Azhar university, the Azharites themselves revolted for the same purpose. Now, Al-Azhar is taking its way towards the reformation which is a deposit in every Muslim's heart Verily, God will choose for His special Mercy whom He wills — For God is Lord of grace abounding.

Qur'an memorizing schools into consideration, and this of course will enable those schools to supply the Islamic institutes with the students who will be the memorizers of the Qur'an. Also, it would be impossible to satisfy the needs of the society, if the new law let the old system of education to be carried out. But, in fact, it put the new plan of education in the religious institutes with the aim to give the students of Al-Azhar equal opportunities with their mates of the other schools. Hence, the student of Al-Azhar will get the general preparatory certificate or the technical one beyond his religious studies and the other subjects and languages. He also will get the general certificate — literary or scientific — or the technical general certificate, whether it is an agricultural, industrial or commercial one, beside his studies of the religious subjects and the arabic language.

Getting the general certificate, the student of Al-Azhar has the right to continue his high studies at Al-Azhar faculties, the military college or the faculties of the other universities according to his will, and also he has the right to try the practical life fields to earn his living. The new law also does not neglect the faculties of Al-Azhar to continue their old program which led the students to be far away from their societies, but it makes it a point to graduate the religious people who are physicians, phylosophers, professors of history, mathematics and professional men who are ready to devote their life for their religion and at the same time take part in the work to gain their living.

According to this new law, Al-Azhar includes : Faculty of the arabic studies which maintains the language of the Qur'an and the Traditions of thh Prophet, Faculty of the Islamic law which aims at spreading the Islamic culture everywhere and teaches the students how to understand the meaning of the glorious Qur'an and Hadith, Faculty of Theology which teaches the students Monotheism and the Islamic phylosophy, Faculty of Islamic studies for girls which will be inaugurated next year, Faculty of dealing and Administration which was inaugurated the recent year. Beside the faculties of medicine, Agriculture, and Engimecring and Industry.

Indeed, the new law of Al-Azhar university is the foundation and the plan which will lead Al-Azhar in its new era to have the active graduates who can react easily with their environment and with the other Muslim countries. Moreover, the new law considered Al-Azhar as an international university which leads Muslims to their happiness. Hence, it

end of his studies no job because the state did not give him his right and the society in which he lived never admitted him.

As a matter of fact, people nearly do not know the religion except through the personality of its representative who is mostly a religious man. But if this only is his profession and position in the society in which he lives, people may be of doubtful hearts or unsure belief. Also, if Al-Azhar lasted in carrying out its old system, surely Muslims will change their minds towards it. Indeed, the position of our nation—as a leader of all Muslim countries—is not eminated from our progress or because what the life was imposed upon us, but it was a result of the wide fame of Al-Azhar which had a place in every Muslim's heart all over the world. Therefore, we must do our utmost to maintain our position among the Muslim nations. This of course, will lead us to fulfill the needs of the Muslim society in our present time, whether they are political or, social needs and try to satisfy them. Because many Muslim nations got rid of the imperialists and led their way to a better life, we should put a new plan for the education—especially in Al-Azhar—to satisfy all the needs of the Muslim world.

As a result of what we have mentioned, and as a response for the needs of all Muslims everywhere. The new law includes a solution for every problem, it prepares an experienc for every field, it brings up preachers and guides to show humanity the staraight way of its life, leads it to the goodness and instill in the people's hearts the spirit of Islam and the instructions of the Qur'an So, the authority of the united Arab Repnblic issued the new law re-organising Al-Azhar university to promote it and to last - as it was before - the greatest islamic university and the oldest one in both East and west. By promulgating the new law, the U. A. R. govermment is aiming at making Al-Azhar—as it was one thousand year ago—the strongholder of the religion and Arabism.

It wants Islam to be revived, ulamas (learned men) to be of a strong faith, living for the sake of their religion and not by means of it, remove the hindrances which stand in the way of the graduates of Al-Azhar to be equal to their fellows of the other universities.

As a matter of fact, the new law cannot realize our aim or satisfies our desire without a radical change. So, it started the way of the reformation of Al-Azhar from its outset. For example : The law put the controlling and the finance of the

of education, its sylepus and its program. All were qaoted from their similars in the Europen countries. As a matter of fact, the following of this system led us to be far away from the life which we should live. It cut the links which joined the education to its locality, its heritage, its history and its religion. But naturally, it was very obvious that Al-Azhar neglected this renaissance, as it lived away of the progressive society. This was because the new thoughts were against its nature and its characteristics.

After the first world war, there was an educational revival. The educational men tried their utmost to modify the learning system, but their modification was useless and they only confused and disconcerted the educational system instead of amending and improving it, for example : The teaching of the arabic language and the religious sciences — though our schools took care of them — did not satisfy those who wish good and progress for the Islamic religion and the arabic language. This was because the policy of education was built upon the foreign fundamintals which are far away from our environment, our heritage, our faith and also our history. As a result of that, we committed two mistakes. The first one was while we translated the foreign educational system — optionally or obligatory — which led us to be far away from the life that should be led by us.

The second was while we adjusted partly the educational system be that it was carelessly or imitatingly. But at that time, Al-Azhar was far away from these new thoughts which were translated to the arabic language.

Also the inactive attitude of Al-Azhar towards this new educational system, and the progress and the evolution of the other educational organisation, caused its graduates much troubles. Consequently, the graduates of Al-Azhar considered as only men of religion. As a result of that, they used the religion as a professoin with which they can earn their living. Moreover, they lived in a complete loneliness, far away from their society, because their culture could not meet the requirements of the renaissance era especially in both fields of work and production.

Also, the unemployment problem increased their feeling of loneliness and annoyance because the graduates of Al-Azhar mostly suffer from it. On the other hand, they conceived that the former state of Al-Azhar was nearly to undermine the common belief about its graduates qualifications, as it would be known that the man of religion will have at the

THE MESSAGE OF AL-AZHAR AFTER ITS REORGANISATION

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Since one thousand years of the Islamic history up to now, Al-Azhar is confidently performing its duty towards the message of Islam. Indeed, Al-Azhar is the the spirit of both the Arab and the Muslim life, it is also a positive factor in their progress and development. As a matter of fact, the university of Al-Azhar is the best institute which teaches the religious education. Hence, it is the minaret of Theology since a long time, as it is the protector and the guardian of both Islam and Arabism. Students from all over the different nations of the world, left their countries and came to Al-Azhar to receive the arabic and the Islamic sudies and this of course, will lead to enlarge the arabic speakers areas and also enables people to nnderstand the holy Qur'an beside the other Islamic teachings.

During this long period, Al-Azhar gained many characteristics distinguished it from the other educational organistions, especially in the fields of Faith, language, guidance and the leadership. Hence, the name of Al-Azhar brightened all over the world and consequently, thousands of students from all the nations left their homelands and came to Al-Azhar to increase their knowledges about Islam, and then they will be able to guide their people when they return back to them. So, since more than fifty years up to now, Al-Azhar is the educational organisation which occupies the highest place of the human heritage. As a matter of fact, the graduates of Al-Azhar are the leaders of the society as they are the guiders who show people the proper way of life.

But when the age of the revival began at the commencement of the recent century, the people were very eager to imitate the foreigner's acts, because they were deceived bv their writings. Hence, they started to translate every thing and carry it out. Moreover, they translated the foreigner's way of life, their system

their troubles as if were the procession of daylight which removes the darkness.

Ramadan is the month of koran. It is diserable for this reason to read the koran and to consider its glorious meanings. Ibn Abbas told us "The messenger of God was so generous, but during Ramadan he reaches the climax, as soon as he meets Gabriel. He was accustomed to see him at every night in Ramdan to study the koran. Verily the prophet was more generous than the free wind ".

The night of the 27 th. of Ramadan is called the night of power " O we revealed it on the night of power Ah ! what will convey unto thee when the night of power is ! The night of power is better than a thousand monthes. The angels and the spirit descend theirin by the permission of their Lord, with all decrees. That night is peace until the rising of the dawn".

(Surah the power V. 1—5)

The prophet shows the majesty of the glorious koran in these words "One who makes the koran his leader is led to paradise and one who leaves the koran behind him is led to fire".

It is our duty to make the koran our motto and walk the chalk line of its rules. " Now that come unto you light from Allah, and a plain scripture, where by Allah guideth him who seeketh his good pleasure unto paths of peace. He bringeth them out of darkness unto a straight path." (Surah the Table spread Vs. 15 — 16.)

This glorious koran had been revealed on a blessed night. This night was in Ramadan. Lo! we revealed it on a blessed night — Lo! we are ever warning" (Surah the smoke V. 3.)

It is said unto those who ward off evil what has your lord revealed? They say Good. For those who do good in this world there is a good reward and the home of the hereafter will be better. Pleasant indeed will be the home of those who ward off evil,. Gardens of Eden which they enter, underneath which rivers flow, wherein they have that they will. Thus Allah repays those who ward off evil. Those whom the angels cause to die when they are good. They says: Peace be unto you Enter the garden because of what you used to do."

many doctors summon the sick people to abstain themselves from food. God says : " Eat and drink, but be not prodigal, Lo ! he loveth not the prodigals " [Surah the heights V. 31].

Moreover fast strengthens the will and teaches people patience and endurance, and habituates them to be stout towards calamities and brave in troubles. It prevents them from giving full swing to their lusts.

Not only God orders the moslems to banish food but also God order them to abandon mischiefs, and bad actions. Better to be silent than to speak ills. One should restrain ones anger and one should not mourn in trouble from start to finish. One should not make a vent to one's warth during Ramadan. The ups of life should not make one vain, and the downs of life should not make one miserable.

No wonder Mohamed our prophet says : " If the people knew the bounteous advantages of Ramadan they would long and look eager to be a complete year. "

Fast is prescribed on those who are wise, adult, strong, sound, dwelling, and capable.

O believers ! a fast is prescribed to you as it was prescribed to those before you, that ye may fear God. For certain days. But he among you who shall be sick or on a journey shall fast that same number of other days, and as for those who are able to keep it and yet break it, the expiation of this shall be the maintenance of a poor man, and he who of his own accord performs a good work shall derive good from it, and shall it be for you to fast if ye knew it !

At first and foremost it is the duty of the Moslems to stick to rules of the koran and to obey the orders of God. To keep fasting is not the sole duty or the sole aim. Mehamed says to assure this cause "What a number of fastings gain noting from their fast except thirst, and hunger".

Ramadan is the month of charity. For this reason it is our duty to reveal the pains of the wretched, and give Alms to the poor. Its quintessence is to have the same feelings of those who are hungry and handle a loaf with the skin of the teeth, and seem weak as water. Charity makes them merry, dries their hot tears, and wipes out revengé from their broken hearts, instead of pouring out the vials of their wrath on the head of the society. They become secured from being criminals and law offenders. Mercy reveals

In this cave Mohamed was ordered to read " Read in the name of thy Lord who created, created man from a clot, Read and thy lord is the most bountiful who He taught (the use of) the pen, who taught man that which he knew not" (Surah the clot. V. 1 — 5).

When the rays of Islam appeared on horzion, Ramadan became more respectable and honourable. Its name was mentioned in the glorious koran. It was the only month which bears this honour.

God says : " The month of Ramadan in which was revealed the Qur'an a guidance for mankind, and clear proofs of the guidance, and the Criterion (of right and wrong). And whosoever of you is present, let him fast the month, and whosoever of you is sick or on a journey (let him fast the same) number of other days. Allah desireth for you ease. He desireth not hardship for you, and (He desireth) that ye should complete the period, and that ye should magnify Allah for having guided you, and that peradventure ye may be thankful " [S. the Cow. V. 185.]

Fast became a ...ligious duty, for those who are capable to endure it, since the second year for Higra till today.

It was told by Obada Ibn Alsamet that Mohamed said once at the advent of Ramadan " Ramadan has arrived the month of blessing through which God sends mercy, abolish sins, and replies appeals. God observes your rivalry and speaks hautily about you to his angels. Lo ! show benefits from yourselves, for the miserable, and wretched who lacks the mercy of God ".

Once more he says : " Fast is a secure from fire, one who keeps fast with faith and profound believe, God forgives his previous guilts.

It was related by Abu Hurayra that the messenger of God once said " All the rewards on good actions of the son of Adam are doubled. The dole is rewarded with ten equals, till it reaches seven hundred matches except fast. " God says : " it is for me and I reward on it. One leaves his desires, and food for my sake. There are tow joys for the fasting. The former is when One breaks his fast. The latter is when he meets God. Verily the smell of the mouth of the fasting is better to God than the breeze purfumed with musk.

No doubt that fast gives much energy, and health to the body. It makes the nerves calm, arranges the turn of digestion, and puts the stomach in proper order. For this reason

RAMADAN

IN THE PRE-ISLAMIC AND ISLAMIC PERIOD

by

Dr. Gamal Addin Arramadi

The word "Ramadan" is derived from the verb " Ramad " which means to remove, and clarify from sins and guilts. The infinitive "ramad" means the violence of the sun beams on the sand or other things.

The month Ramadan was known during the pre-Islamic period among many Arab tribes of koriesh, especially those who were devoted to God, and who were convinced of God's existence.

Modar, one of the famous Arab tribes held "Ragab" the lunar month in a high respect, and it was prohibited to make war or launch an assault in the course of this month. Moreover, the tribe was habituated to fast and offer sacrifice. For this reason Mohamed called it the "month of Modar ".

It is evident that Mohamed arranged his life to spend a month every year to worship God, the lord of all the world, alone in Heraa cave. Solititude removed all the obstacles between him and heaven. He grasped this opportunity to ask the mercy of God which swallows every thing.

The auther of the book of " Sirah Halabia " says that Heraa cave was a place of worship for those who seek virtue and consider it the only true nobility in which lies their own reward.

The first man who worshipped God in Heraa cave was Abd El motaleb the son of Hashem. It was an ordinary course of conduct to make for Hera cave in order to worship God, to feed the poor, and to give alms.

Waraka Ibn Nowfal and Abi Omaya Ibn Elmo followed his footsteps and did the same thing.

It was also Mohamed's habit to follow those Hanifs and to assend to Heraa cave with the object to worship the compassionate, and the merciful Allah, and for alms giving.

(B) As a matter of fact, the new system organises the relation between Al-Azhar and the Muslims from every level and in all localities. It helps them to understand Islam, its principles, teachings and systems of life. Hence the new law of Al-Azhar includes the establishment of the Islamic researches Acadimy and defines the executive organ to what it called "The Missions and culture Administration". The islamic researches Acadimy through this system will surely reflect the former picture of the (Rowaks) as it gathers the researches for only the aim of research and also to serve the maxims and the principles of Islam which organise both individuals and communities.

Undoubtedly, it is the duty of its executive organ to produce different levels of researches to feed all minds and thoughts. This will be by means of preparing a coming students, sending an Azharite Missions, publishing an Islamic book or a periodical magazine which explains the islamic ideas and to solve the human problems.

4 — Through its new system, Al-Azhar will be able to have more enfluence on all fields, especially in the sycles of education and research. as will as it will be able to spread Islam among all Arab and Muslim societies throughly. Meanwhile, the graduate of Al-Azhar will be a brother and a pioneer of the society and never be at all a competitor who mostly disputes and contends with the others. Moreover, through this new system, the graduate of Al-Azhar will be qualified to live without using the Islamic Message as a profession. This was the condition of the former Muslims who understood Islam fully. They did not use the call as a profession but they were of a message and they work only for its sake. They also were not apart from the society or its individuals, but they were its pioneers and leaders.

This is the goal of the new system of Al-Azhar which our hope is to realize the welfare and the good from it. Also, we pray for those who are striving for it and those who are carrying it out, to have a successful task and the reward of Almighty God.

student to be in relation with his citizens and his neighbours. Consequently, the student will be able not only to understand Islam, but also to know how to guide people to the straight path, which is its task as a graduate of Al-Azhar.

Because the new law of Al-Azhar includes the establishment of practical and scientific faculties beside the arabic and the Islamic ones, it does not mean — in the confirmity with what was in the past — that it is maltreating the arabic cultural standard, or at least causing a harm to its values. But, on the contrary, the establishment of these faculties is indeed a help to the educational and the cultural standard. This is because it will widen the scope of both Islamic and arabic standard, as it will also widen the scope of thinking and qualify the gradute of Al-Azhar to be a good guider.

Surely, the student of the faculty of medicine, engineering, agriculture and the faculty of dealings and administration will be provide with both Islamic studies and arabic language, beside the other subjects which these faculties are supposed to teach such as mathematics, Physics, medicine and commercial and economical knowledges.

The Azharite student who expects to have a year more in the preperatory stage and other two years more in the secondery one, such a student will surely be of a unique sort among all the students in both the united Arab Republic and the other Islamic countries. In other words, he will be the required one wheather in our dear country or in the other Muslim nations. He may be also distinguished, because of this system of education which is excepected to be a methodical educational system.

Indeed it is a mistaken idea of the Azharite student to think that he will have a temporal burden in his schoolastic life more than the other student who has a dissimilar educational system. This is because the different systems of education all over the world are not equal or similar and also the preperatory and the secondery stages are not alike or the same as they are in the educational systems of the different nations.

On the other hand, though the the previous educational system of Al-Azhar was known by the augmentation of its stages three years more, no student of Al-Azhar was complaint — at that time — of these additional three years.

what had happened in the past and what is happening in the present. They also advise them not to imitate what had happened in the past and what is happening in the present times, but to be of an itellegence and a far sight. OF an intellegence to understand Islam and of a far sight to notice the rules and the deductions in the name of science and also to solve the problems which will arise because of the civilization and the new life.

3—In case of the Message of Al-Azhar is defind by the Islamic understanding and its adaptation to the life events and problems, while these understanding and adaptation are tied to both the foregoing heritage and the following discoveries and happenings.

IF it is so, the new system of Al-Azhar which is besed on the law No. 103 of the year 1961, surely will help it to achieve its message. Because all the powers are supporting and cooperating to carry out this new system, it will be a good and a correct one.

As a matter of fact, the new system considers the different educational stages from the primary up to the high studies. In this system also there may be a sort of duality between the past and the present with regard to all the educational stages. It will qualify the student to understand and its principles and also to have a full understanding of the Quranic provisions, prophetical sayings, Arabic language and the writings of the former Islamic writers. Hence, the graduate of Al-Azhar will be prepared to be the pioneer of the understanding of Islam and the way of such understanding too.

Meanwhile. the new system of Al-Azhar made it a point to give the student a chance to be of an opened eye to have a complete knowledge about the recent happenings, to face the different problems of the life and the other directions which may be delivered to him by means of the broadcasting stations, the different publications or by what he may be aquainted with, such as the scientific researches and the laboratories expriments.

Reciting of the holy Qur'an is cared of and will confirmed in the new system of Al-Azhar. It also takes a care of the Islamic studies to be understood easily. This system also does not neglect the importance of the language's science and literature, Muslim history and the social arabic and Islamic life.

In addition to all that, physics, Mathematics, Geography, human economy, history, Ideological phylosophy and the way of research have been added to the sylepus, to help the

According to the previous Muslim cultural and intellectual heritage, copious studies for it should be there and also its way of searching should be estimated. Also, the Muslims way of thinking and their themes, should be investigated under the Islamic view and in sycle of the events which took place in the Muslims life through their past times. The rules and the deduction of the recent science and the human civilization problems also should be considered.

So, it is too important for any one who likes to have a full understanding of Islam, and to carry out its principles confidently to live with consideration of both the present and the past. In other words, not to stop at the past or leav t to stay at the present alone.

2—The Muslims previous cultural and intellectual heritage was different in its sides and level; such as the schools of Jurisprudence in the way of treatment and duties of the worship, the schools of Monotheism (Tawhid) concerning the source of Islam religion, the knowledges of the mathematicians about the mathematics, the openions of the Muslim thinkers about the analysis of the nature and its elements, the trials and experiments of discovering the material and the immaterial human nature, the ways of research and thinking and the other language and literary knowledges which serve the interpretation of the glorious Qur'an and the explanation of its teachings as a holy book revealed into a manifest arabic language.

As a matter of fact, the Muslim present is the time when the science can be proved by means of the results of the researches and experiments. As well as it is the time of machine which is nearly enslaving man by its development. The development of the machine surely has its effect not only on the human logic, but also on his conduct and manner.

Meanwhile, it is the Present which is full of numerous conflicting orientations and different means of announcement which try to distenguish one orientation from the other or at least attempt to make a conviction of a certain sect or a special belief, and beside all what we mentioned, in the present time of the Muslims there is the imperialist power which, though different in their style, is united in their final goal and purpose.

Indeed, both the past and the presnt of the Muslims urge those who are from among the contemporary Muslims and who like to have an Islamic studies, to have dual education and force them also to be in the situation of the judge for

AL-AZHAR THROUCH THE NEW SYSTEM

BY

Dr. Mohammed El-Bahay
Vice chancellor of Al-Azhar University

---

1 — In order to have a difinite judgement for the new system of Al-Azhar university which has been completely organised by both the law No. 103 of the year 1961, and its executive regulation which had been utilized since November the 4th 1691. you should be firstly aquainted with the main aims of Al-Azhar Message.

Actually, the Message of Al-Azhar university - from its history and from the stages of that history which they had passed over — is an act for getting a full understanding of Islam, its principles and instructions, then a conveyance of this pure understanding to the other different Muslim standards. This understanding and that conveyance are merely the suitability between the Islamic instructions and the life which Muslims used to live in the different generations. This actually assures that there is no separation or at least an aversion between Islam and Muslim life. As a result of that, Islam will also keep the Muslim's belief away from hisitation, shaking or trembling.

The understanding of Islam and its teachings in addition to its suitability to the Muslim life, the more the time which Muslims live in, is far away from that time of the Qur'an and the sayings of the prophet Mohammad (sunnah), the more the sycle of the cultural and the intellectual heritage revision to become wider. This is the heritage which Muslims — wheather they are Arabs or non-Arabs — formed it since they began to have an Islamic culture.

Also, the more the sides of the life of the temporary man is numerous by means of the development of science which led to the increasing of the problems of the new modern life, the more the need of understanding Islam, its instructions and its suitability to both the life of science and the modern civilization.

The readiness for war is a mean of peace :

Islam orders Muslims to be ready-at any time-to face their enemies and to fight against them if they aggress Muslims. In this connection holy Qur'an says : " Against them make ready your strength to the utmost of your power, including steeds of war to strike terror into (the hearts of) the enemies of God and your enemies, and others besides, whom you may not know, but whom God doth know."

[S. the spoils of war, V. 60.]

This verse states that the readiness for war is a way to prevent aggression and also to spread peace among all preople. Moreover, Qur'an teaches Muslims how to solve the human problems and how to deal with those who quarrel with each other, wheather they are individuals or societies. He says : " If two parts among the believers fall into a quarrel, make you peace between them : But if one of them transgresses beyond bounds against the one that transgresses until it complies with the command of God : But if it complies, then make peace between them with justice, and be fair : For God loves those who are fair (and just). The believers are but a single brotherhood : So make peace and reconciliation between your two (contending) brothers; and fear God that Ye may recive mercy."

[S. the inner Apart ment, V. 9-10.]

This is the way of God and that is his guidance. He revealed Qur'an to show peoPle the correct way of life and to teach them how to treat each other, how to deal with themselves and their Lord and how to solve their problems without any aggressions. Indeed, Qur'an guides people to maintain peace and also to spread equality and security among all mankind to spend their life smoothly.

If what we mentioned are the instructions of the Qur'an, the teachings of Islam and the orders of our Lord, is not it the duty of the human beings to follow these teachings ? and to carry out these orders and instructions ? Is not it their duty to make their utmost to replace fear and confusion with security and peac? to replace enmity among themselves with the mutual understanding and co-operation ?

Our Lord! We confidently pray you in the name of peace which is one of your names (attributes), to guide your bondmen to the right path and to fill their hearts with love of peace.

The Qur'an also calls the followers of all God's Messengers to love each other, to cooperate and live in peace and brotherhood. He says. " The jews say " The christians have naught (to stand) upon "; And the christians say " The jews have naught (to stand) upon ". Yet they (profess to) study the (same) Book like unto their word is what those say who know not, but God will judge between them in their quarrel on the day of judgement ".

(S. the cow. V. 113).

Peace and the non — Muslims:

Islam calls to peace, it does not consider the followers of the religions as enemies, but — on the contrary — it orders Muslims to treat then kindly unless they transgress or maltreat them. In this respect Holy Qur'an says : " God forbids you not, with regard to those who fight you not for (your) faith, nor drive you out of your homes, from dealing kindly and justily with them : For God loveth those who are just ".

(S. The woman to be examined, V. 8).

Indeed, peace can be considered as a rule in the islamic teachings concerning the behaviour of Muslims towards those who refuse to believe in the message of the prophet Mohamad " peace may be upon him ', This is because Islam orders Muslims to give the unbelievers the freedom to follow their chosen religions and not to oppose them in their religious duties or to usurp their properties. It orders them also to part with them the general rights and duties equally. Moreover, Islam obliges Muslims to offer help to the non-Muslims at the disasters, to co-operate with them and it also does not prevent them to marry the non-Muslim girls. Islam allows Muslims to fight against the unbelievrs, if they aggressed them or tried to usurp their money. This is because fighting at that case will not be more than a defence for one's self or properties, and this of course is for the realization of peace, as it is for the realization of just, In this connection holy Qur'an says : " How can their be a league, befor God and his Apostle with the pagans except those with whom ye made a treaty near the sacred Mosque ? As long as these stand true to you stand you true to them : For God doth love the righteous ".

(S. The Repentance, V. 7).

" But if the enemy incline towards peace, do thou (also) incline towards peace and trust in God : For He is the one that Heareth and knoweth (all things.).

[S. The spoils of war, V. 61].

salutation to Abraham !". "Peace and salutation to Moses and Haaron !" "Glory to thy Lord, the Lord of honour and power! (He is free) from what they ascribe (To Him). And peace on the Apostles !. And praise to God, the Lord and cherisher of the worlds"

Moreover, God called himself "Al-sslam" "peace" and also called the Paradise by the same name holy Quran says : " God is He, than whom, there is no other God; the sovereign, the holy one, the source of peace (and perfection), the guardian of faith, the preserver of safety, the exalted in might, the irresistible, the suprem : Glory to God! (High is He) above the parteners they attribute to Him." (S. the Gathering, V. 23.)

" For them will be a Home of peace in the presence of their Lord, He will be their friend, because they practised (Righteousness.)" [S. the Cattle, V. 127.]

"But God doth call to the Home of peace : He doth guide whom He pleaseth to a way that is straight."

[S. Younus, V. 25.]

As a matter of fact, the Almighty God mentioned " peace " in the holy Qur'an through many verses to be cultivated in the Muslim's hearts. He also calls his Paradise "Daru Assalam" which means : "The home of peace". And calls Himself : "Assalam" "peace" to show his bondmen the way which He likes them to follow during their life time. So, it is the duty of all humanity in general and the Muslims in private, to do their utmost for the sake of realizing peace and to spread it among all mankind.

The enemies of peace :

The enemies of peace are those who let God's guidance aside, and also those who refuse to carry out the Islamic teachings. They claim that they are believers, but indeed, they only are trying to deceive the others by such lies and they are also far away from the guidance of God. Verily God calls people to spread peace among all mankind, in this respect holy Qur'an says :

" Say : O people of the book! come to common terms as between us and you : That we worship none but God ; That we associate no parteners with Him, that we erect not, from among ourselves, Lords and patrons other than God". IF then they turn back, Say " Bear witness that we (at least) are Muslims (bowing to God's will)".

(S. The family of Imran, V. 64).

other (not that ye may despise each other). Verily the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you. And God has full knowledge and is well acquainted (with all things). "

(S. The Rooms, V. 13.).

Following the Islamic general principle, holy Qur'an called people also to be of a good conduct and to treat each other kindly, it says : "Nor can goodness and evil be equal. Repel (evil) with what is better : Then will he between whom and thee was hatred become as it weer thy friend and intimate. ".

(S. Fussilat, V. 34.).

" Hold to forgiveness : command what is right; but turn away from the ignorant. If a suggestion from Satan Assail thy (mind), seek refuge with God; for He heareth and knoweth (all things). " (S. the Heights, V. 199 — 200.) " And the servants of (God) Most gracious are those who walk on the earth in humility, and when the ignorant adress them, they say, " peace. " (S. Criterion, V. 63.).

The position of peace in Islam:

Indeed, peace is the greeting of Islam, when any Muslim meets another, he greets him by "Al-salam" which means " peace ", holy Quran says : " Those who believe, and work righteousness, their Lord will guide them because of their faith, beneath them will flow rivers in gardens of bliss. (This will be) their cry therein : Glory to Thee, O God and peace will be their greeting theirin and the close of their cry will be " praise be to God, the cherisher and the sustainer of the worlds. "

(S. Younus, V. 9, 10.)

" But if ye enter houses, salute each other a greeting of blessing and purity as from God ".

(S. The Light, V. 61).

" O ye who believe ! enter not houses other than your own, until ye have asked permission and saluted those in them : That is best for you, in order that ye may heed (what is seemly) ". (S. The Light, V. 27).

Peace is the greeting of Muslims to their holy Prophet Mohamad " peace may be upon him " and also it is the greeting ‹ all Messengers holy Quran says :

"God and His Angels send blessings on the Prophet : O ye that believe ! send ye blessings on him and salute him with all respect. " (S. The Angels, V. 56.).

" Peace and salutation to Noah among the nations ". " Peace and

said " wilt thou place therein one who will make mischief therein and shed blood ? whilst we do celebrate thy praises and glorify thy holy (name) ? " He said " I know what ye know not ". (S. The cow, V. 30)·

The principles of peace in the Qur'an.

It is very easy for the faithful observers to know that Islam acknowledges that all human beings are the sons of one man and one woman, as they are also the bondmen of one Lord, This, of course, leads them to treat each other kindly, to spend their life in co-operation, unity and brotherhood.

Devine calls for Unity :

In the following Qur'anic verses, God calls people as the sons of Adam, He says : " O ye children of Adam ! We have bestowed raiment upon you to cover your shame, as well as to be an adornment to you, but the raiment of righteousness, that is the best. "

(S. The Heights, V. 26.)

" O ye children of Adam ! let not Satan seduce you, in the same manner as he got your parents out of the garden, stripping them of their rainment to expose their shame. "

(S. The Heights, V. 27.)

" O children of Adam ! Wear your beautiful apparel at every time and place of prayer : Eat and drink : But wast not by excess, for God loveth not the wasters. "

(S. The Heights, V. 31.)

" O ye children of Adam ! whenever there come to you apostles from amongest you, rehearsing My Signs unto you, those who are righteous and mend (their lives), on them shall be no fear nor shall they grieve. But those who reject our Signs and treat them with arrogance, they are companions of the Fire, to dwell therein (for ever). "

(S. The Heights, V. 35 – 36.)

In the holy Qur'an God honours people and calls them as human beings, He says : " O mankind ! reverence your guardian-Lord, who created you from a single person, created, of like nature, his mate, and from them twain scattered (like seeds) countless men and women; reverence God, through whom ye demand your mutual (rights), and (reverence) the wombs (that bore you) for God ever waches over you."

(S. The women, V. 1.)

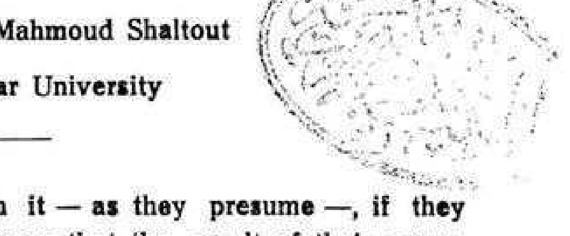
" O mankind ! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that you may know each

ISLAM CALLS TO PEACE

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University



In our present time, people all over the world are living in a complete fear, they are suffering from the cold war which is taking its place among the big nations, and having its effect on the small ones. Hence, people lost their stability, and also their hearts filled with terror because of the sudden movements which always cause loss in souls and distruction.

As a result of that, the wise people mostly speak about the world peace problem, and make their utmost to find a solution for it. This is to give people a chance to passe their fe safely and also to direct their activities towards the productive works which surely will realize a complete hapiness for all mankind.

Verily, if the powerful aggessors make their minds and think a little of what, will be the end of the world because of their aggression, if they subject themselves to both judgement of the good mind and the religious instructions, and also to God's guidance which they believe in it — as they presume —, if they know that the result of their aggression is indeed, a harm not only for the other people, but also for their nations and families ; They will let the aggression aside and direct their activities towards the benefits of the human society, its stability and peace. Hence, the fear and the terror which filled the people's, hearts, will be replaced with both security and satisfaction. The following of this way really means that they are getting on with God's wisdom of the world creation and using its materials for the human beings for the welfare and the benefits of themselves and the others too.

With such conduct, they are worthy of being the vicegerents of God on the earth and who govern the people and take care of their affairs. At that time, God's wisdom of creation of Adam to be his agent on earth, will be wery obvious in front of the angels of heavens as holy Qur'an states in the verse " Behold, thy Lord said to the angels " I will create a vicegerent on the earth "They

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء التاسع — رمضان سنة ١٣٨١ هـ — فبراير ١٩٦٢ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

صوم رمضان اشتراكية روحية

بقلم : احمد حسن الزيات

إن الاشتراكية المادية التي ندعو إليها ونعمل لها ونعيش فيها لا يمكن أن تقوم ولا أن تدوم إلا على ركن شديد من الاشتراكية الروحية . ذلك أن الروح هو سر الله في كل حي وفي كل نظام وفي كل مجتمع . به يحيا الهامد ويتسق النافر ويجتمع المتفرق . هو الذي نسميه حبا أو جاذبية أو وحدة . وهو الذي يجمع قلوب المواطنين على عبادة إله واحد ، وحب وطن مشترك ، وتقديس شعار متحد ، وطاعة زعيم قائد . فإذا ضعف في النفوس هذا الروح ، واحتجب عن الأذهان هذا السر ، تناكرت المعارف وتدابرت الإخوة ، فلا يتشاركون في خير ، ولا يتعاونون على بر ، ولا يتناصرون في شدة ، وإذن تصبح القوانين الاشتراكية والأنظمة التعاونية كلاما لا معنى له وعملا لا رجع منه .

إن المجتمع الإنساني إذا خلا من هذا الروح الإلهي أصبح مجتمعا حيوانيا لا يعطف الفرد فيه إلا على وليده مدفوعا بغريزة حفظ النوع . فإذا بلغ الوليد أشده واستوى تقطعت الرحم وتباعدت القرابة وانقلب الولد ندا لأبويه

يدافعهما عن نفسه ، ويصارعهما على قوته ، وصار الاشتراك أو الإيثار الذى انبثق من الأمومة والأبوة فردية باغية وأثرة شديدة

على أن هذه الغريزة تتهذب فى بعض أمم الحيوان كالنحل والنمل فتنمو وتسمو وتدوم حتى تصبح اشتراكية مثالية تنتظم فضائل المجتمع الإنسانى المرجو ، من فناء المفرد فى الجمع ، وجهاد الكل للكل ، وما يحقق ذلك من تضامن وتعاون وإخلاص وإيثار وتضحية حتى بلغ من سمو الاشتراكية فى هاتين الأمتين أن النحلة أو النملة تعمل لنوعها كله ، لا لنفس دون نفس ، ولا لطائفة دون طائفة .

وهذا السمو الاجتماعى فيهما لا تجد له نظيرا فى مجامع الذباب والقرود والناس . فلكل فرد من أفراد الإنسان وهو أرقاها شأنه الذى يغنيه ، ورزقه الذى يكفيه . فإن فضل شىء منه عن حاجته فلزوجه وبنيه . .

أما علاقته بغيره وغير أهله فهى علاقة الصائد الخاتل أو اللص القاتل ، يختال ويغتال ويغتصب ويستأثر ، ولا يبالى أن يهلك العالم وتخرب الدنيا ما دام بدنه معافى وداره عامرة .

هذا السمو فى الاشتراكية المادية لم يجعله الله أصلا فى جبلة الإنسان (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وإنما جعله فى الشرع الذى أوحاه وفى الكتاب الذى أنزله . فمن يرد إصلاح الفاسد من حال المجتمع دون أن يبث فى أعضائه هذا الروح ، وينشر فى جوانبه هذا النور ، أخطأ الطباب الناجع لهذه العلة ، وضل السبيل الجامع لهذه الغاية .

إن دين الله اشتراكى بحكم طبيعته ومقتضى رسالته . شرعه الله نظاما للدنيا وسلاما للناس على أساس من علمه وتقدير من فضله ومنهاج من هداه . فالملك ملكه ، والمال ماله ، والفقراء عياله ، والأغنياء عباده ، والمصير كله إليه . على هذا الاتصال الروحى بين الخالق والمخلوق اجتمع الشمل فى الأسرة الإسلامية الكبرى فكان الناس فيها سواسية ، والحكم شورى ، والإيمان أخوة ، والرزق شركة ، والجماعة وحدة وإذا تدبرت الأركان التى بنى عليها الدين والأحكام التى جاء بها الشرع ، تجلت لك من مطاويها ومراميها تلك الاشتراكية التى تؤلف القلوب بألفة الروح ، وتجمع الشعوب بجمعة الحب ، وتفرض على الواجد معونة الفاقد ، وتوجب على الجميع نصرة الواحد ، وتجعل من المسلمين جميعاً جسما واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما قال الرسول الأعظم .

خذ مثالا واحداً من ألف : صوم رمضان . أليس هـــذا الشهر المبارك مظهر الاشتراك الروحى بين المسلمين فى جميع أقطار الأرض ؟

يصومون فى وقت واحد ، ويفطرون فى وقت واحد ، ويكادون يتمقون على طعام واحد . ثم ينصرفون عن اللذات الحسية والنفسية، ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع إلى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو، ويغلوا أيديهم عن الأذى، ويصدوا أهواءهم عن السوء ، ثم يسمتون جيما صائمهم ومفطرهم سمت الصالحين ، فيمسكون السبحة، ويتقون الشبهة، ويصنعون المعروف ، ويتقلدون تقاليد رمضان ، فيهجر السكير الكأس، ويترك المقامر الورق، ويؤجل الشرير الشر ، ويفنى المجرم الجريمة ثم يشركون المساكين فى طعامهم تكافلا ورحمة، ويؤتون الفقراء من أموالهم تعاطفا وصدقة ، ويولمون الولائم لإخوانهم تواصلا ومودة ، ويشعرون أن أجسادهم المتفرقة المختلفة يسرى فيها روح واحد يصدر عنه هذا الوجود المتحد وهذا الشعور المشترك .

هذا الروح الإلهى إنما أبقاه وقواه فى نفوس الصائمين عقيدة ووراثة وسنة . ولو أنه وجد فى الوطنية ما وجد فى العقيدة من الإيمان ، وفى النشأة ما وجد فى الوراثة من العمق ، وفى القدوة ما وجد فى السنة من الصلاح ، لشاع فى نفوس المسلمين وجعل منهم مواطنين اشتراكيين يعمل كل امرىء منهم لوطنه كما يعمل لبيته ، ويحب لمواطنه ما يحب لنفسه ، ويكون لدولته كما يكون الانجليزى لامبراطوريته ، يخلص لها إخلاصه لعقيدته ، ويبر بها بره بأمه، ويفنى فيها فناءه فى أسرته . ويومئذ ترى المصرى أو العربى كما ترى الانجليزى ، يقذف بنفسه فى المطرح البعيد والمنزل النائى ، ليعمل لقومه ، أو ليكدح لنفسه . فلا يضع أمام عينه ولا على صدره إلا جمهوريته : يمثلها أحسن تمثيل ، ويخدمها أخلص خدمة ، ويدعو إليها أصدق دعوة . يدعو إليها بفعله قبل قوله ، وبقلبه قبل لسانه، وبخلقه قبل علمه . ويومئذ لا تعود ترى أو تسمع أن المصرى أو العربى يعيش فى الغربة مقطوع الأسباب عن بلده وقومه ، لا يعرض من وطنه على الناس إلا صورة الباطل ، ولا يتكلم عن أخيه فى الغيب إلا كلمة السوء . ذلك لأن الروح الوطنى الاشتراكى الذى يستمد سناءه وسناه من روح الله إذا سرى فى نفس ابن آدم جعل فرديته قومية ، وأنانيته غيرية ، وعصبيته إنسانية، وخاصته من الخير لله وفى الله مشركة .

أحمد حسن الزيات

رمضان

من شعائر الوحدة الإسلامية

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر

أبنائى ، وإخوانى ، المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد :

فقد أهل علينا « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هـــدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » ، أهل علينا هـذا الشهر العظيم ، الذى فرض الله علينا صيامه ، شعيرة إسلامية عامة للوحـدة بين المسلمين فى شتى النواحى ... وحدة لا تتقيد بالزمان أو المكان ، ولا تتقيد بالمسافات أو الأبعاد أو الحـــدود الجغرافية ، سياسية كانت أو طبيعية ، ولا تتقيد بالجنس أو اللون أو اللسان ، فالإسلام لا يعترف ، فى بنائه لأمته ، وتكوينه لمجتمعه ، وتوثيق الروابط بين أبنائه ، بشىء من ذلك كله « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل ، لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، « ألا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وإنما هى وحدة تقوم على دعامة من العقيدة الواحدة ، التى يدين بها ، ولها ، كل من شهد الشهر فوجب عليه الصيام ... وحدة تبدو ظاهرة ، خلال شهر رمضان ، فى مواعيد الأكل والشرب للجميع ، من مغيب شمس النهار حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ... ووحدة فى العبادات كلها ، صلاة ، وصياما ، وإنفاقا فى سبيل الله وتهجداً ، وقياما ، وتسبيحاً ، وتقديسا ، وتلاوة قرآن ، وحدة فى كل شىء حتى فى اليقظة والمنام .

نعم ، أهل علينا شهر الوحدة التى هى هدف الإسلام من كل تشريعاته ... هى هدفه فى الصيام كما ذكرنا ، وهى هدفه فى الصلاة التى هى شعيرة يومية متكررة لوحدة الوجهة والقيادة والعبادة ، فكل المسلمين يتجهون فى الصلاة إلى قبلة واحدة ، ووراء إمام واحد ويأتون فى الصلاة حركات واحدة . ويتلون جميعاً قرآنا واحداً ، ويرددون تسبيحات واحدة ، فى ركوعهم « سبحان ربى العظيم » ، وفى سجودهم « سبحان ربى الأعلى » .

وهى هدفه فى الزكاة التى هى رباط يوحد بين أفراد الأمة جميعا برباط المودة والمحبة والنجدة والتعاون والوفاء والولاء ، بين الأغنياء والفقراء ... بين ذوى اليسار وذوى الحاجات . فأداؤها فى مصارفها من شأنه أن يزيل الحواجز بين الطبقات ، فلا تكون هناك إحن ولا أحقاد . ومن ثم يسرى بين الجميع تيار المحبة والألفة والتعاون ، ويكون الكل على قلب رجل واحد « بعضهم أولياء بعض » يشعر الغنى بحاجة الفقير ، ويحس ذو اليسار بضرورة المحتاج ، فترى الغنى وقد مد يد المعونة لإخوانه الفقراء ، وترى الفقير ، فى نجدة إخوانه الأغنياء ونصرتهم إذا نزلت بهم نازلة أو ألمت بهم ملمة . الجميع « كالبنيان يشد بعضه بعضا » و « كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ...

وهى هدفه فى الحج الذى يشمل — فوق ما ذكرنا من شعائر الوحدة فى الصيام والصلاة والزكاة — على مظهر رائع من مظاهر الوحدة لا تراه البشرية كلها إلا فى موسم الحج ، وذلك عند ما يخلع الجميع ، وقت الإحرام ، ملابس التمايز فيما بينهم ، إلى ملابس موحدة الخامات واللون والتفصيل والأجزاء ، لا تعرف بينهم الأمير من الخفير ، ولا الرفيع من الوضيع .

ولا شك أن كل ذلك من شأنه أن يغرس فى المسلمين معانى الوحدة والنظام ، والألفة والالتئام ، والمحبة والتضام ، ولا يبقى مجال للفرقة والانقسام . ومن ثم يكون المؤمنون إخوة « يسعى بذمتهم أدناهم » ، ويكونون يدا « على من سواهم » .

غير أن المسلمين ، للأسف المؤلم ، أتى عليهم حين من الدهر ، غفلوا فيه عن كل هذه المعانى فى دينهم ، وشغلوا عنها بعرض زائل من الدنيا ومتاعها الفانى ، وركن بعضهم ، فى ذلك ، إلى أعداء الله وأعدائهم ، واتخذوهم « أولياء من دون المؤمنين » ناسين ما نهاهم الله عنه فى هذا المجال بأقواله تعالى ، : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، ومالكم من دون الله من أولياء » ، « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق » ، « ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء » ، « لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » ، « ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

نعم ، نسوا كل ذلك ، فحقت عليهم كلمة العذاب ، وكان ما نرى جميعا من شيوع العداوة والبغضاء والفرقة والانقسام بين أفراد الأمة وشعوبها وحكوماتها ، ومن تمزق وحدة بلاد المسلمين شر ممزق ، وتحكم المستعمر فى مقدراتها وخيراتها وتقرير مصيرها ، واستغلاله بعض الأخوة فى الكيد والتآمر ضد البعض الآخر ، مما يدمى له القلب وتتصدع له النفس .

فهل « لم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد . فقست قلوبهم » ؟ .

وهل آن لهم أن يتحرروا من الانخداع بالمستعمر وأعوانه . فلا يقعوا فيما يغريهم به من أسباب العداوة والبغضاء فيما بينهم ، استطالة لأمد تحكمه فى بلادهم ، وانتهابه خيراتها .

وهل آن لهم أن يتخذوا من شهرنا هذا وشعائره ، شهر الصيام والقيام ، وشهر القرآن الكريم ، نقطة الانطلاق نحو الوحدة والقوة والعزة فينفضوا عن أنفسهم غبار الشحناء ، ويزيحوا من طريقهم عوامل الفرقة والبغضاء ، ويسدوا منافذ الاختلاف والمراء ، ويجتمعوا حول كتاب ربهم ، الذى يهدى للتى هى أقوم ، فيسيروا على هديه ، ويعملوا بإرشاده ، ويحكموه فى كل ما شجر بينهم

وهل آن لهم أن يستعيدوا ، بوعى ، قراءة الآيات الكريمة من قول الله تعالى : « أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ، وقوله جل شأنه : « أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » ، وقوله سبحانه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » .

وهل آن لهم أن يقرأوا بانتباه شديد ، قول الله الحكيم « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء » ، وقول الله العظيم « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » ؟

إنهم إن فعلوا ذلك فاستوعبوا هذه الآيات ، ونظروا فيما تأمر ، وتغرى به ، وفيما تنهى وتحذر عنه ، عرفوا أنهم أتباع دين يأمر بالتعاون والاتفاق ، وينهى عن التنازع والشقاق ، دين يغرى بالوحدة ولا ينى يدعو إليها ، ويحذر من الفرقة ولا يفرط فى التنفير منها .

ولا شك أن من كانوا كذلك، لا ينبغي منهم أو يرتضوا بديلا عن وحدتهم، أو أن يعملوا ما يتنافى مع إخوتهم ولا يليق بهم أن يتنابذوا بالألقاب، أو يتراشقوا بالسباب، فإن ذلك ليس من صفات المؤمنين الذين قال الله فيهم: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» فاتحاد الولاية من شأنه أن تكون بين المتوالين وحدة تجمع قلوبهم، وتضم شتات صفوفهم، وتنهج بهم طريق التعاون، وتسلك بهم سبيل التناصر. وهذا هو ما يدعو الله إليه المسلمين.

لجدير بنا، وبخاصة في هذا الوقت الذي انحلت فيه عرى الوحدة الإسلامية، عروة عروة، وتمكنت فيه عوامل الإفساد، داخلية وخارجية، من قلوب المسلمين، فقطعت أواصرهم، وولايتهم، وحالت دون تساندهم، فصاروا طعمة لأعدائهم، ووقفوا عن بلوغ الغاية السامية التي رشحتهم لها العناية الإلهية ـ بما أمدتهم من دين صالح، وهداية قوية، وأخلاق كريمة، جعلتهم «خير أمة أخرجت للناس» ـ وهي قيادة العالم إلى سواء السبيل، والوصول به إلى الحياة الطيبة السعيدة... أقول جدير بنا، والحالة هذه، أن نرجع إلى دستورنا وكتاب ربنا، نعمل بهديه، ونسير على إرشاده، ومن ثم ستزول من بيننا، حتما، أسباب الخلاف والخصام، ويحل محلها الاتفاق والوئام، وتتمكن فينا صفات المودة والمحبة بدلا مما نعانيه من حالات الكراهية والبغضاء. فيتأتى للصف أن ينتظم، وللخناصر أن تتعاقد على الصبر في نصرة الحق، واستعادة العزة لأمتنا، وتمكينها من أداء رسالتها في الحياة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

أما بعد: فهذا حديثي إلى المسلمين، في كل مكان، بمناسبة شهر رمضان الكريم، أوجه إليهم في ختامه قول الله تبارك وتعالى «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب، وقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون».

هدانا الله وإياكم لما فيه خير الأمة والدين وأعاد هذا الشهر على أمتنا وقد سارت أشواطا طويلة نحو وحدة الكلمة، وتوحيد الوسيلة، وتحديد الهدف والغاية، وما ذلك على الله بعزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولتسمعوا ولتقرأوا معي قول الله تعالى «بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر».

محمود شلتوت

أقدم اللغات

للأستاذ عباس محمود العقاد

أى اللغات أقدم :

كان الباحثون فى تاريخ اللغات يقصدون بالبحث عن أقدمها أن يصلوا إلى اللغة الأولى التى تفرعت عليها جميع اللغات بعد تفرق الأمم فى جوانب العالم المعمور ، وكانوا يفترضون أن اللغة الأولى كانت لغة الجنس البشرى كله يوم كان له مقام واحد فى قارة واحدة ، ثم تفرعت هذه اللغة بعد انفصال الناس وانقطاع الصلة بينهم حتى امتنع التفاهم بين المتكلمين بكل شعبة من شعب اللهجات المتفرعة فى مواطنها المختلفة .

إلا أن هذا البحث الطويل لم ينته إلى وحدة بين لغات الأمم غير وحدة « العائلات » اللغوية الكبرى التى يتعذر التقريب بينها اليوم بغير الاتفاق فى كلمات معدودات ، توجد فى الكثير منها ولا توجد فيها بأجمعها . . فقنع الباحثون ، إلى حين ، بالرجوع إلى أمهات العائلات اللغوية كل عائلة منها على حدة ، وكادوا أن يتعثروا فى هذا الطريق بعقبات كالعقبات التى صادفتهم فى بحثهم عن لغة واحدة للجنس البشرى بموطنه الأول ، وإن تكن عقبات التحقيق فى مواضع الاتفاق بين فروع العائلات اللغوية أيسر تذليلا وأقرب أمداً فى مراحل التاريخ القديم .

والرأى الغالب بين علماء المقارنات اللغوية أن أصول العربية حديثة بالقياس إلى أصول العائلة الهندية الأوربية ولا سيما السنسكريتية والجرمانية .

ولكن هذا الرأى يقابله فى العهد الأخير اعتراض شديد من أبناء الهند أنفسهم ، من المسلمين خاصة ، فى معرض المقابلة بين السنسكريتية والجرمانية والعربية ، فإنهم يعتمدون على معرفتهم بلغات الهند ومعرفتهم بالعربية وبعض اللغات الأوربية لتصحيح أخطاء اللغويين الأوربيين عند المقابلة بين الكلمات ويصيبون كثيراً فى التنبيه إلى تلك الأخطاء وإثباتها بدلائل المعانى والألفاظ التى لا شك فيها ، ولكنهم يتساقون إلى مثل هذه الأخطاء عند المقابلة بين جذور الألفاظ العربية والأجنبية ، ويكاد بعضهم أن يرجع بمعظم هذه الجذور إلى أصل عربى يقاربه بحرفين أو ثلاثة حروف من الكلمة القديمة ، اعتماداً على القول الشائع عن نشأة الكلمات العربية جميعا من حرفين اثنين تلحق بها الحروف المزيدة تارة فى أوائل الكلمات وتارة فى أواخرها .

ومن أمثلة هذه المقارنات بحث مستفيض للشيخ (محمد أحمد مظهر) بمجلة الأديان التى

تصدر بالإنجليزية فى الباكستان ، ينشره تباعا تحت عنوان (العربية أم جميع اللغات) ويسرد فيه مئات من الكلمات الأجنبية يحسبها من مشتقات العربية على صورة من الصور اللفظية أو المعنوية ، وقد وفق كل التوفيق فى بعض هذه الكلمات ، ولكنه أوغل جداً فى التخريجات المتتابعة للوصول بالكلمة إلى جذرها العربى فيما يراه .

فهو يقول مثلا إن كلمة الذرة A-tom (أتوم) معناها لا يتجزأ أو لا ينقطع ، فهى على هذا مأخوذة من كلمة (طم) العربية بمعنى قطع ، لأن الهمزة الأولى زائدة بمعنى النفى فى اليونانية ، و (توم) هى (طم) بعينها إذا لاحظنا أن الأوربيين يضعون التاء موضع الطاء .

ويقول إن كلمة Bit (بت) فى الإنجليزية بمعنى (قطع) وهى من مادة (بت) العربية :

ويقول إن كلمة Arrive (أرايف) فى الإنجليزية بمعنى وصل إلى المرفأ فهى مأخوذة من (ارفأ) العربية بهذا المعنى .

ويقول إن كلمة Aspire (اسبير) فى الإنجليزية بمعنى تنفس مأخوذة من الزفير باللغة العربية .

ويقول إن كلمة Captive (كبتيف) بمعنى الأسر والحبس مأخوذة من مادة الكتف العربية .

وعلى هذا النحو تجرى المقابلة بين مئات من المفردات تتشابه بالحرف ، ولكن هذا التشابه لا يكفى لتحقيق اقتباسها من العربية إلا إذا كانت مادة الكلمة فى جذورها غريبة عن لغاتها الأجنبية ، وكان استخدامها عندنا سابقا لاستخدامها عندهم بمعناها أو ما يقرب من معناها . وهو ما يصعب تحقيقه أو يظهر من التحقيق أحيانا أن للمادة أصالة واستخداما بتلك اللغات سابقا لاستخدامها بلغتنا .

ونحن نعتقد أن اللغة العربية أقدم من معظم اللغات الحديثة ، وأن شواهد سبقها فى القدم تزيد على الشواهد التى يستدل بها على سبق أقدم اللغات الأخرى ، ولكننا نحسب أن المقابلة بين الكلمات لا تؤدى إلى نتيجة يحسن السكوت عليها فى هذا الباب ، وإنما نفضل على وسيلة المقابلة بين الكلمات وسيلة سهلة نرجع فيها إلى كل لغة على حدة ، فلا يصعب علينا بعدها أن نحكم على حظها من القدم بالقياس إلى غيرها :

تلك الوسيلة هى اشتقاق أسماء الحيوان فيها ، فإن اللغة التى ترجع الأسماء فيها إلى مصدر مفهوم من مصادرها ، تسبق اللغات التى تتلقى هذه الأسماء جامدة أو منقولة بغير معنى يؤديه لفظها الدال عليها فى أحاديث المتخاطبين بها .

فأسماء الأسد والكلب والذئب والصقر

والغراب والفرس والحمار والبغل والجمل والخروف وعشرات غيرها من أسماء الحيوان هي كلمات ذات معنى يفهمه المتكلمون بها ويطلقونه أحيانا إطلاق الصفات عند المشابهة بين هذه الحيوانات وبين غيرها فى إحدى صفاتها .

يقال أسد الكلب للصيد أغراه به ، وأسد عليه اجترأ ، وآسد بين القوم أفسد بينهم ، ومعنى هذا على كل احتمال فى سبق الكلمة اللغوية أو سبق الاسم أن العرب عرفوا هذا الحيوان وهم يتكلمون بلغتهم هذه ويستخدمونها للوصف أو للاشتقاق والمجاز.

وكذلك معنى الكلب من العض أو القبض وسائر معانى التكالب وألفاظه.

والنسر من الجرح والنقض والتمزيق لفظ أصيل فى اللغة على الحقيقة أو على المجاز .

والصقر من الحدة فى الحرارة أو فى الطعم أو فى اللدس أصل صالح لإطلاقه على الطائر المسمى باسم الصقر أو الموصوف بهذه الصفة.

والغراب من الغربة والإيذان بها حيث يعيش هذا الطائر ويتشاءم الناس بنعيقه فى فى الأماكن التى هجرها سكانها وتخلفت بها البقايا التى يحوم عليها .

والفرس من حدة النظر والاستعانة به على الافتراس .

والحمار من لونه الأحمر الذى يشبه رمال الصحراء حيث عرفه العرب قبل انتشاره فى سائر الأقطار .

والبغل من مادة فى اللغة العربية أصيلة فى معنى الخلط والنسب المدخول وكل ما هو مدخول غير خالص أو صريح ، ويشبهه الدغل والزغل والنغل والوغل ، والغين واللام بمعنى الغل الذى يخامر الصدور .

والجمل من مادة الجمل بمعنى الضخامة ، والخروف منسوب إلى موعده فى الخريف ، وهكذا عشرات الأسماء التى تدل على وجود هذه اللغة فى أقدم عهد عرفت فيه الأمة العربية هذه الحيوانات ، وهو عهد بعيد فى القدم لم يعرف قبله عهد لهذه اللغة نقلت عنه تلك الأسماء بغير هذا اللفظ وغير هذا الاشتقاق .

ويقابل هذا فى اللغة الإنجليزية أسماء كلها منقولة من غيرها أو مقصورة على مسمياتها التى لا يعرض لها التصريف فى لهجات الخطاب .

فالأسد Lion من (ليو) Les اللاتينية ، والحصان Horse من (ردس) Ross الجرمانية ، والحمار (آس) Ass من (اسينس) اللاتينية التى يرجح أنها محرفة عن كلمة (أتان) السامية وأكثرها جامدة فى أصولها التى نقلت عنها .

ومثلها بقية الكلمات التى ذكرناها وأشرنا إلى جذور اشتقاقها بالعربية ، فإنها منقولة من أسماء جامدة ليس لها اشتقاق متداول

فى لغة الخطاب ، فلا حرج إذن من الحكم بسبق اللغة العربية لجميع اللغات التى تخلفت عن زمان التسمية الأولى لتلك الحيوانات بأسمائها المشتقة ، على العلم بما تعنيه من وصف وتشبيه .

والعلم بالحيوان المستأنس أو الحيوان المتوحش أقدم شىء فى لغات بنى الإنسان ، فلا نستطيع أن نتخيل أمة بادية أو حاضرة عاشت زمنا طويلا قبل التاريخ بغير حيوانات مستأنسة أو حيوانات وحشية تسميها وتتحدث عنها ، فليس فى تواريخ اللغات عهد أقدم من هذا التاريخ ، وفيه الكفاية للدلالة على انتشار اللغة وشيوع قواعد الاشتقاق والتسمية بين أبنائها فى ذلك العهد السحيق ، وربما تساوت اللغة العربية فى القدم وبعض اللغات التى نقل الأوربيون عنها أسماء حيواناتهم ، إذا تبين أن الاسم المنقول كان له لفظه المشتق فى الأصل القديم .... ولكنه إذا رجع إلى أصل جامد غير مفهوم باشتقاقه فى لغة الخطاب فهو لاحق الزمن بنشأة اللفظ المشتق والوصف المفهوم .

ولا خلاف فى دلالة أسماء الحيوان بألفاظها المشتقة على قدم اللغة العربية عند المقابلة بينها وبين اللغات الأوربية من أقدم عهودها التاريخية ، ويبقى بعد ذلك محل للنظر بين العائلات اللغوية التى سجلت فيها ألفاظ مشتقة لأسماء حيواناتها ، ولم تزل لها فى معجماتها المحفوظة معانى المشتقات والصفات ؟

عباس محمود العقاد

العطية قبل السؤال

نظر المنذر بن أبى سبرة إلى أبى الأسود الدؤلى وعليه قميص مرقوع ، فقال له : ما أصبرك على هذا القميص ؟ فقال له : رب مملوك لا يستطاع فراقه ، فبعث إليه بتخت من ثياب فقال أبو الأسود :

كسانى ولم أستكسه فحمدته ... أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وإن أحق الناس إن كنت شاكرا ... بشكرك من أعطاك والعرض وافر

إمامة ابن خلدون فى المعرفة

للأستاذ الدكتور محمد البهى

إمامة العرب فى جوانب المعرفة :

رمى العقل العربى بأنه عقل تقليدى ينقل ويروى دون أن يبتكر ويخلق ودون أن تكون له إمامة وريادة فى المعرفة ، واصطنع الذين يتبنون هذه الدعوى الدليل من وقوف فلاسفة المسلمين فى الجانب الإلهى عند حد الفكرة الأغريقية أو الفكرة الشرقية التى نقلها العرب عن الأغريق مرة وعن الفرس والهنود مرة أخرى .

وربطوا بين وقوف العقل العربى لمناقشة قضايا الفكر الإغريقى والفكر الشرقى فى ملاءمته أو معارضته لمبادىء الإسلام ـ وبين الحكم بصفة عامة على أن العقلية العربية لاتزيد فى البناء وإنما تجمد فى الحركة عند حد الترديد والرواية . ولم يأخذوا بعين الاعتبار فى هذا المجال أن العقلية العربية التى ناقشت الفكر الأغريقى والفكر الشرقى هى عقلية إسلامية تؤمن بالإسلام أولا كمصدر للتوجيه وكمصدر لنظام حياة المسلم فى المجتمع الإسلامى وهذه العقلية من أجل ذلك عندما وقفت عند قضايا الفكر الأغريقى والشرقى متبنية إياها فى حدود الإسلام ومبادئه ـ كانت محاولاتها العقلية هى لتبرير هذا التبنى ودفع ما يوجه إلى هذا الفكر الدخيل من عيوب مصدرها الوثنية الأغريقية التى نفذت إلى الفكر الفلسفى عند الأغريق . وإن وقفت عند هذه القضايا من الفكر الدخيل معارضة إياها فقد كان وقوفها لإظهار وثنية الأصول التى انتزعت منه ، والكشف عن المبادىء التى أضفى عليها المنطق الإنسانى طابع الفلسفة وطابع العقل وهى فى صميم أمرها من العقائد التى كونها الوهم وحاكت روابطها الخرافة .

فوقفة العقلية العربية وعدم استمرارها فى البناء لأنها كانت تحاول أن تحدد موقفها من هذا الدخيل إما بالدفاع عنه وإما ببيان نقط الضعف فيه . ويستحيل عندئذ أن يكون التفكير الإنسانى فى مثل هذا الموقف المردد بين التبنى وبين المعارضة امتدادا أو استمرارا لبناء فكرى قام . لأن الامتداد والاستمرار فى بناء فكرى قام سابقا إنما يتحقق عندما تكون هناك موافقة عليه وعندما لا تدعو حاجة إلى توضيحه وإزالة اللبس فيه .

فالعقلية العربية فى مجال الفكر الأجنبى الإلهى الذى دخل الجماعة الإسلامية هى فى ذاتها بناءة وخالقة وإنما لم تقم بالبناء لأنه لم يكن

هناك أساس صالح يبنى عليه ولم تكن هناك أرض ممهدة لإقامة بناء سليم يصلح للبقاء .

ويتجلى بناء هذه العقلية فى مجالات أخرى من التفكير . عدا الجانب الإلهى كمجالات العلوم الطبيعية والرياضية ، مما لا يصطدم العقل فيها برأى معين جاء به الدين وقامت على أساس منه عقيدته الصريحة . ومن أشهر الذين كانت لهم خالدية فى البناء فى هذه المجالات أبو عبد الله الخوارزمى فى علم الجبر والمقابلة من الرياضيات ، وابن الهيثم فى المناظر والبصريات من الطبيعيات . وفخر الدين الخطيب الذى لم يقف بالمنطق عند جعله آلة لاختبار الفكر وإنما جعله علما ذا موضوع وذا غاية تخرج به عن أن يكون آلة ووسيلة ، والرازى وابن سينا فى الطب ، وابن العوام فى الفلاحة والزراعة فقد كان من آثار جهوده العلمية الفصل بين السحر وبين أحوال النبات وتطوره وما يتصل بنموه مما جاء فى كتاب (الفلاحة النبطية) ، وبذلك جعل الزراعة فنا مستقلا غير متصل بالسحر وصوره .

وهذه النماذج تدل دلالة واضحة على أن العقلية العربية هى عقلية إنسانية لها خصائص الإنسان المبدع عند ما تتوفر له ظروف الإبداع ، وخصائص الإنسان البناء عند ما تتوفر له أسباب البناء . وخصائص الإنسان المدافع أو المعارض عند ما تدعو الحاجة إلى الدفاع أو المعارضة . ومن الغبن إذن ذلك الحكم العام الذى تصدره الدراسة الاستشراقية بعقم العقلية العربية ، وعدم استطاعتها البناء ، لأنها لم تبن على وثنية الإغريق التى جاءت مغلفة إلى العرب فى صورة فلسفية وفى طابع منطقى له حججه وأدلته .

(ب) ابن خلدون فى كتابة التاريخ والاجتماع:

وإذا كان كتاب المسلمين من العرب وغيرهم قد جددوا فى تفكيرهم وفى كتاباتهم فترات من الزمن ، وسلكوا فى الفكر والتأليف مسلك التقليد ، وابتعدوا فى هذه الفترات عن الإصالة والإمامة - فقد كان ذلك إلى وقت ابتدأ بعده عهد البعث وعهد النهضة من جديد فى الفكر وفى التأليف والكتابة . فكان من الذين يمثلون هذا البعث وهذه النهضة ابن تيمية فى مجال الفقه وفى الفكر الإلهى وفى السياسة الشرعية ، وكان ابن خلدون فى مجال التاريخ والاجتماع .

فابن خلدون يحكى عن عمله فى مقدمة كتابه : « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، أنه لم يكن تقليداً لمن سبقه من كتاب التاريخ من الذين حكوا ما كان دون أن يراعوا ظروف الواقع وتطور الأحوال ، ومن الذين اختصروا فيما نقلوا ورددوا ما صنعه السابقون ، فكان الاختصار مجحفا بالواقع وتصويره . فلم يكن ابن خلدون من بين هؤلاء ولا أولئك ، وإنما اختط طريق

الأوائل ، وهو طريق الأصالة والإمامة فى كتابة التاريخ وفيما يعرض للطبيعة البشرية فى اجتماعها من عوارض :

« ... ثم لم يأت من بعدهؤلاء - أى من بعد أئمة التاريخ مثل ابن اسحق والطبرى ومحمد بن عمر الواقدى والمسعودى - إلا مقلد وبليد الطبع والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ، ويحتذى منه بالمثال ، ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال ، واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال ، فيجلبون الأخبـــار عن الدول ، وحكايات الوقائع فى العصور الأول ، صوراً قد تجردت عن موادها ، وصفاحا انتضيت من أغمادها ، ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها . إنما هى حوادث لم تعلم أصولها ، وأنواع لم تعتبر أجناسها ، ولا تحققت فصولها ، يكررون فى موضوعاتهم الأخبار المتداولة بأعيانها ، اتباعا لمن عنى من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون أمر الأجيال الناشئة فى ديوانها بما أعوز عليهم من ترجمانها . فتستعجم صحفهم عن بيانها .

ثم إذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا ، محافظين على نقلها وهما أو صدقا ، لا يتعرضون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايتها ، وأظهر من آيتها ، ولا علة الوقوف عند غايتها ، فيبقى الناظر متطلعا بعد إلى افتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها ، مفتشا عن أسباب تزاحمها أو تعاقبها ، باحثا عن المقنع فى تباينها أو تناسبها ...

ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار ، وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار مقطوعة عن الأنساب والأخبار ، موضوعة عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار - كما فعله ابن رشيق فى ميزان العمل . وليس يعتبر لهؤلاء مقال ، ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال ، لما أذهبوا من الفوائد ، وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد .

« ولما طالعت كتب القوم ، وسبرت غور الأمس واليوم . . أنشأت فى التاريخ كتابا ، رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجابا ، وفصلته فى الأخبار والاعتبار بابا بابا ، وأبديت فيه لأولية الدول والعمران عللا وأسبابا ،... وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض فى الاجتماع الإنسانى من العوارض الذاتية ، ما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها ، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها حتى تنزع من التقليد يدك ، وتقف على أحوال من قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك .. »

وبهذا الذى يذكره ابن خلدون فى وصف عمله يعيد أسلوب الإمامة والأصالة فى كتابة التاريخ ، وفى أن كتابته ليست أحداثا تروى وإنما هى علل وأسباب ، ومبادئ وقوانين تحكم الطبيعة البشرية ، وتحكم المجتمع الإنسانى ،

لا يختلف عنها فى بداوته وحضارته أو فى قوته وضعفه ، أو فى تماسكه وانحلاله .

وقد ربط ابن خلدون - تبعا لذلك - بين أحداث المجتمع وبين المظاهر والخصائص التى يكون عليها فيما عالجه من أحوال المجتمع العربى والمجتمع الإنسانى بصفة عامة . ولم يخضع فى نتائج بحثه إلا لمنطق الأحداث نفسها . وبذلك ارتفع فوق مستوى الأحوال والأوضاع والتقليد والعرف ، وحكم على المجتمع من أحداثه ، وتنبأ من الأحداث بأحوال المجتمع القادمة . وبذلك كانت بداية التاريخ توقفك على نهايته وكان تاريخ مرحلة سابقة يوحى بمرحلة لاحقة ، وكان كتاب التاريخ من أجل ذلك مبتدأ ينتظر الخبر .

والذى نضيفه هنا لابن خلدون ليس تعقبه للأحداث والظواهر واستنتاجه لخصائص المجتمع ، وترقبه لمستقبل الأمم والجماعات فقط . وإنما الذى يجب أن يكون فى الاعتبار الأول لحسابه عندما يقوم عمله هو أنه خرج عن التقليد فى وقت كان التقليد فيه مستحكما . واستعاد لنفسه أسلوب الأصالة والإمامة فى وقت كان يعد الخروج فيه عن التبعية نشازا . ولا نؤاخذ ابن خلدون بعد ذلك إذا لم تكن إصالته هذه فيما فكر وفيما كتب قد بلغت قمتها ونهايتها ، لا نؤاخذه إذا ما وجدنا بعض العثرات أو الهنات فى خط السير وفى المنهج الذى التزمه ، أو فى التصنيف والتبويب لكتابه الذى وضعه . لأن الذى يخرج عن التبعية والتقليد إلى الإصالة والإمامة كافيه أن يكون قد سلك طريق الإصالة والإمامة ، وكافيه أن يكون قد خرج من غور التبعية ، وارتفع بنفسه فوق العمل الإنسانى ليحكم عليه وفوق الأحداث ليراقبها ويشهد آثارها . وقد فعل ابن خلدون ذلك وأجاد فيما فعل وفيما سلك .

(ج) ظواهر المجتمع الإنسانى بين ابن خلدون وفوند :

وإذا أردنا أن نقف على خصائص المنهج ، وعلى الإصالة فى الفكر والكتابة فى مجال التاريخ والاجتماع التى تعرف لابن خلدون - فيجب علينا أن نوازن بينه وبين فوند المفكر الذى أرخ للظواهر الاجتماعية للشعوب فى القرن التاسع عشر فى أوربا ، موازنة عامة ندرك منها حتما أن ابن خلدون - كان باعث نهضة فى كتابة التاريخ وفى كتابة الاجتماع فى المحيط الإنسانى العام لأنه كان أصيلا فيما كتب .

ابن خلدون تناول الاجتماع الإنسانى وتناول فيه :

(ا) الدولة ، فى نظامها ودواوينها .

(ب) المجتمع ، فى حضارته وبداوته .

(ج) الحضارة ، فى عمرانها وعلومها ، والعلوم فى أنواعها وفى تاريخها .

(د) الاقتصاد فى صناعته وتجارته .

(ه) الفن ، فى غنائه وفى موسيقاه ، والأدب فى نثره ونظمه .

(و) التوجيه ، فى طرقه وفى مناهجه .

وابن خلدون فى تناوله للاجتماع الإنسانى أو للمجتمع وأحواله ، تناوله بالطريقة الرأسية مبتدئا بالبداوة ومظاهرها . ثم بالحضارة ومظاهرها ، وعندما تناول المجتمع بمنهجه الرأسى لم يكن عارضا ولا واصفا ولا حاكيا فقط ، وإنما كان منتزعا للعبرة ، وداعيا للوجهة السليمة فى توجيه الإنسان ، متأثرا بنزعة البحث التاريخى .

ونحن بعد ذلك إذا عدنا إلى كتاب فوند — الذى يعتبر أصلا من أصول فلسفة الاجتماع الحديث ، وكتابة التاريخ البشرى — كتابه « فلسفة الشعوب » — نجد أن فوند تناول فى هذا الكتاب :

(ا) الفن (ب) اللغة (جـ) العقيدة
(د) الفكر . (هـ) الحكم .

وتناول مظاهر البداوة والحضارة فى كل قطاع من هذه القطاعات ، يبتدئ بمظاهر البداوة ثم يثنى بالتطورات التى تحدث فى ذلك القطاع وتصل به إلى أن يكون المظهر الحضارى للمجتمع . فهو فى منهجه يسلك الطريق الأفقى فى تحديد بداوة المجتمع وحضارته .

قد يكون لطريقة فوند هذه أثر تنظيمى فى الوقوف على مظاهر البداوة والحضارة فى جوانب المجتمع البشرى ، أكثر مما لطريقة ابن خلدون فى الوقوف على نفس المظاهر . ولكن ذلك لا يضعف إطلاقا من قيمة ابن خلدون ولا من قيمة طريقته التى اتبعها .

ابن خلدون كان يذكر الحوادث التاريخية ليستخلص منها مظاهر المجتمع ، بينما فوند يذكر مظاهر المجتمع ثم يدلل عليها بالحوادث وابن خلدون فعل ذلك لأنه قصد أولا إلى تدوين التاريخ والكتابة فيه ، بينما عمد فوند إلى الكتابة فى أحوال المجتمع وظواهره بعد أن استنار بمن كتب قبله عن المجتمع البشرى وخصائصه . وفى مقدمة هؤلاء الذين سبقوه بالكتابة ابن خلدون .

نحن لا ننتظر إطلاقا من ابن خلدون فى الوقت الذى قام فيه ليدون التاريخ أن يكون صاحب منهج علمى موضوعى كامل فى الاجتماع على نحو ما فعل ويفعل المحدثون ، وإنما كافيه — كما ذكرنا — أن كان الموقظ الأول والممهد لعلم الاجتماع الحديث بل كان أول الذين خططوا لبنائه ، وقد خرج عن التقليد فى كتابة التاريخ ، واستعاد لنفسه إمامة الأولين وسبق فى كتابة علم الاجتماع . وكافيه مجدا أن كان كذلك من المفكرين الذين حولوا مجرى التفكير الإنسانى فى كتابة التاريخ لدى المسلمين ثم لدى الأوربيين إذ جعله علما إنسانيا وعلما عقليا بجانب كونه أحداثا واقعية .

دكتور محمد البهى

الصوم عبادة توجيهية

للأستاذ محمد محمد المدنى

---

١ — العبادة لون من ألوان الشكر والاعتراف بالجميل ، ومظهر من مظاهر الحب القائم على تذوق الجمال ، والخضوع القائم على إدراك العظمة والجلال ، وقد يجرى فى عبارات الناس أن يقولوا لمن يبالغ فى شكر إنسان ، أو فى حبه ، أو فى الخضوع له : هو يعبده ، أو كأنه يعبده ، وهو مجاز مستحدث ، وربما كان من الأدب مع الله تعالى ألا يعبر به فى شأن المخلوقين .

والمستحق لأعلى درجات الشكر ، وأعلى درجات الحب ، وأعلى درجات الخضوع ، هو الله جل جلاله ، لأنه هو الذى خلق ، وهو الذى أنعم ، وهو الذى يوالى المخلوقين بالنعماء فى كل لحظة ، فلو أنه تركهم بدون نعمته لحظة واحدة لهلكوا ، فهم مستندون إليه فى أصل الخلق ، لولاه ما وجدوا ، وفى استمرار الحياة والتمكين من السعى والتحرك والعمل والتمتع : لولاه مابقوا ولا تمكنوا ولا تمتعوا .

والله تعالى مع إنعامه متصف بصفات الجمال والجلال ، ومن شأن النفوس أن تحب من كانت هذه صفاته على سبيل الارتياح إليها ، أو الاعجاب بها ، والتقدير لها . وصفات الله فى ذلك هى أعلى الصفات ، « ولله الأسماء الحسنى » وما أسماؤه الحسنى إلا ينابيع كل حسن وكل جلال ، فهو أجدر من يحب ومن ترتبط به القلوب ، وتحيا على حبه النفوس .

والله — جل جلاله — مع ذلك — قادر غلاب قوى قهار ، وتلك الصفات فيه أعلى فى بابها من كل صفة أضيفت فى ذلك إلى سواه ، فليس لأحد قدرة مع قدرته ، فضلا عن أن يكون له قدرة كقدرته ، وليس لأحد قوة ولا قهر ولا جبروت تقابل ما لله تعالى من ذلك . ومن كان هذا شأنه فإنه بمقتضى العقل مستحق لأن يخضع له مهابة وإجلالا ، وخوفا وإشفاقا .

ومن هذا يتبين أن العبادة واجب على المخلوقين بمقتضى ما عليهم من واجب الشكر وواجب الحب ، وواجب الخضوع .

لو أن إنسانا وغل فى صحراء مترامية الأطراف ، منقطعة عن العمران ، ليس فيها إلا الوحوش والهوام ، والظلمات والمخاوف ثم أدركه الجوع والعطش فلم يجد طعاما ولا شرابا ، فأحس بالموت يدنو منه رويدا رويدا ، وهو يسير ضالا على غير وجه ، ثم رأى نفسه فجأة أمام قصر شامخ البنيان تحيط به حديقة غناء ، فيها من الثمار ما لذ وطاب ، وفيها صنابير المياه ، فأكل ماشاء ، ثم دخل القصر فرأى من هندسته وفرشه وبسطه وخدمه ومتاعه ما بهره وأخذ بلبه وجمله يأنس للحياة بعد أن كان قد اعتراه اليأس منها ، ثم رأى صاحب هذا القصر ، فعلم أنه هو الذى وضع نظامه ، ورسم هندسته وقام بكل ما فيه إنشاء وترتيبا وصونا ، ثم قال له : قد أبحتك هذا القصر وما فيه فانزل منه حيث شئت ، وتمتع فيه بما شئت - ماذا يكون حينئذ شعوره بنعمة هــذا المنعم ، ويفضله ؟ وماذا يكون شعوره أمام هذه العقلية المرتبة المنظمة التى قامت على إبداعه وتنسيقه ؟ وماذا يكون شعوره إذا خطر بباله أنه ربما حرم هذا المتاع وأقصى عنه ، إذا تصرف تصرفا غير ملائم لمن أنعم به ؟

لا شك أن نفسه تمتلىء بعواطف يمتزج فيها الشكر بالتقدير والعرفان والحب والإجلال ولا شك أنه يحس بحاجته إلى التعبير عن ذلك كله والإفصاح عنه أمام صاحبه .

هذا هو حكم الفطرة ، وما تقرره العقول السليمة .

فهذه الأرض وما عليها وما يحيط بها ، وما سخر فيها وفيما حولها ، كلها هدية من الرحمن للإنسان .

فلو أنه تعالى كلفنا أن نقوم بأية عبادة لا تستهدف أى هدف لنا فى حياتنا ، ولا تحقق أية فائدة لنا . لكان ذلك بحكم الفطر السليمة ، والعقول المستقيمة ، بحق أنه خالق منعم ، متفضل ، محبوب ، مهيب !

٢ — ولكن الله تعالى عامل عباده بموجب حكمته ورحمته وسابغ نعمته ، فشرع لهم من العبادات - التى هى شكر له ، ومظهر لحبه والخضوع له - ما يلائم مصالحهم ، ويتمشى مع منافعهم ، ويعينهم على أداء رسالتهم فى الحياة ولا يتعارض معها .

فإذا نظرنا إلى أية عبادة شرعها الله تعالى فإننا نجدها تهدف إلى ناحية إصلاحية تصلح عليها حياة الناس ، وتعينهم من قريب أو من بعيد على استقامتهم لها واستقامتها لهم .

ومعنى كونه عبادة توجيهية ، أنه يدفع بالمرء إلى آفاق عملية فى واقع الحياة ، فهو ليس فقط صلة خاصة بين المرء وربه ، ذات طابع فردى محدود ، ولكنه مع ذلك قائد

وموجه إلى أنواع من السلوك ، أو من الفوائد التى من شأنها أن تعود على الآخرين ، ولذلك نستطيع أن نقول : إنه عبادة أراد الله بها أن تكون اتجاها فى طريق الإحسان إلى الناس ؟ شرعها المحسن الأعظم ، والمنعم الأكبر ، فكان محسنا بتوجيهه وبرسم الأسلوب الذى يشكر به ، كما هو محسن بخلقه وإنعامه .

٣ — قلت لنفسى وأنا أكتب هذا المقال : هل هناك عبادات توجيهية ، وعبادات غير توجيهية ؟ واردت أن يكون الجواب على طريقة الاستعراض ، أى أن أستعرض العبادات . واحدة بعد واحدة ، لأرى الفرق بين عبادة وعبادة ، فلم أجد إلا لونا واحدا ، هو العبادات التوجيهية ، حتى العبادات التى يصفونها بأنها أحكام تعبدية أى غير واضحة الحكمة ، ولا معروفة من حيث أسرار التشريع ، فإن لها على الأقل موجها إلى الطاعة التامة الكاملة ، فإن المرء لا تكمل طاعته بمجرد الامتثال والتقبل فيما يدرك سره ، ويعرف حكمة مشروعيته وإنما تكمل وتصل إلى غايتها ، من حيث هى خضوع لله المنعم المتفضل إذا تقبل وامتثل ، فيما يعرف وفيما لا يعرف ، وفيما ينشط له وفيما يكره ، ومن آداب الجندية أن يطيع الجنود قائدهم فيما عرفوا سره وفيما لم يعرفوا سره على السواء ، « ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » .

وإذن فالعبادات كلها توجيهية ، بل العقائد أيضا توجيهية ، فشهادة ان لا إله إلا الله تجعل المؤمن بها قويا عزيزاً لا يطاطىء هامته إلا لله ، ولا يخشى أحداً إلا الله ، ولا يؤثر على رضا الله شيئا من الأشياء ، وهكذا .

ثم قلت لنفسى : إذن لماذا أعطيت هذا العنوان : « الصوم عبادة توجيهية » ، وربما فهم منه أن هناك نوعا من العبادات صامتا لا توجيه له ؟

والواقع أنه لا مفهوم لهذا ، وأن كل العبادات كذلك لها وظيفة توجيهية إلى الخير والصلاح والتهذيب والبر والاستقامة ، وليس الصوم وحده هو المنفرد بالتوجيه .

٤ — والصوم له صورتان : الصورة الظاهرة ، والصورة الباطنة .

فالصورة الأولى صورة الكف عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

والصورة الثانية كف الجوارح عن الآثام .

وإذا نظرنا إلى المفطرات فى الصورة الأولى ، وجدناها تتناول أى طعام وشراب أو ما إلى ذلك من المفطرات الحسية ، ووجدنا التشريع الفقهى يعنى بتفصيل ذلك وما يفطر وما

لا يفطر ، وما تكون فيه الكفارة مع القضاء ، أو القضاء فقط ، أو ما لا قضاء فيه أصلا .

أما الإفطار والمفطرات في الصورة الثانية فقد جاءت في كثير من الأحاديث ، ولها نفس الدلالة على الإفطار مثل المفطرات الحسية .

وبذلك نعلم أنه ليس الإفطار فقط بالمفطرات الحسية ، وليس كل من كف عن المفطرات الحسية بصائم ، وليس كل من أفطر بالمفطرات الحسية مفطرا بالمفطرات المعنوية .

ولذلك يقول الإمام الغزالي : كم من صائم مفطر ، وكم من مفطر صائم ، فالمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه من الآثام ، ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ، وفي الحديث الشريف « كم من صائم ليس له من من صيامه إلا الجوع والعطش » وجاء في الخبر أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا ، فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذناه في الإفطار ، فأرسل إليها قدحا وقال صلى الله عليه وسلم « قل لهما : قيئا فيه ما أكلتما ، فقاءت إحداهما نصفا دما عبيطا ، ولحما غريضا ، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه ، فعجب الناس من ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : هاتان صامتا عما أحل الله ، وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما : قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس ، فهذا ما أكلتاه من لحومهم .

وقد أفاض الغزالي في بيان شروط الصوم الباطنة ، من غض البصر ، وكف السمع ، وحفظ اللسان من الهذيان ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والجفاء ، والخصومة ، والمراء ، كما تحدث عن صوم القلوب عن الأفكار الدنيئة ، والأشياء الخسيسة ، وأن المؤمن صائم بهذا المعنى دائما ، مترفع عن التفكير في الأمور السيئة ، وهو فصل ممتع يدل على ما للصيام من وظيفة توجيهية تهذيبية ، وأنه ليس مجرد تحمل للحرمان مدة من الزمان .

محمد محمد المدني

استفت قلبك

روى أن زيد الخير سأل النبي عليه السلام فقال :

دلني يا رسول الله على علامة أعرف بها رضى الله عني ، فسأله كيف أنت يا زيد الخير..؟ قال : أحب الخير ، وأحب من يفعله ، وأكره الشر وأكره من يفعله ، فقال رسول الله : هو ذاك .

نفحات القرآن

طاعة الله ورسوله شيء واحد ...
والمخالفون للرسول محاربون لله تعالى

للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكي

(ا) ١ - « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ٢ - ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون. ٣ - ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ، وهم لا يسمعون ».

١ - هنا دعوة من الله وتكليف للمؤمنين أن يطيعوا الله ورسوله على وجه الإطلاق : أى فى كل ما جاءهم به من عند الله فى شأن الدين والدنيا .

٢ - ويقترن بهذه الدعوة - أولا - نهى للمؤمنين عن التولى والإعراض عن دعوة الرسول وهم يسمعونه يوم كان فيهم ، ويسمعون القرآن دائما من بعده ، وفى القرآن ما فيه من توجيههم إلى الإيمان بمحمد ورسالته . والأخذ بما بلغهم عن ربه مهما طال الزمن .

٣ - ويقترن بهذه الدعوة - ثانيا - وبالنهى معها - نهى ثان أن يتشبهوا بغيرهم ممن لم يخلصوا فى الإيمان ، وكانوا يتصنعونه ، ويتظاهرون بالإقبال على دعوة محمد والاستماع إلى نصحه وإرشاده ، ويزعمون للناس أنهم سامعون ، وحريصون ، وواقع الأمر فيهم أنهم غير متفقهين لكلامه ولا مصغين إليه ، ولا مفسحين له قلوبهم التى خيم عليها ظلام النفاق والكفر .

فاختار الله تعالى للمؤمنين أن يجنبهم الإعراض كمن أعرضوا ، وأن يجنبهم اصطناع الدين ، وتكلف قبوله ، والإقرار بالسماع ، وهم لا يسمعون كما كان شأن أولئك المرائين .

وليست الدعوة ، ولا النهى فى هذا المقام بالأمر النادر فى كتاب الله ، بل ذلك ديدن مألوف فى كثير من المواطن القرآنية .

لأن كتاب الله فى صدد العلاج للقلوب ، وتربية الأنفس ، وخلق الضمير الإنسانى المهذب ، وتركيز الدين والخلق الفاضل ، لتحقيق الهدف من هذا كله بتوثيق الصلة

بين العبد وربه ، وبين الإنسان ، وأخيه الإنسان .

فكان من حكمة الله فى مصلحة البشرية أن تتكرر الدعوة ، والنهى للإيقاظ من الغفلة ، ومقاومة النسيان فى الإنسان .

٤ — ونحن نعلم أن الدعوة الإسلامية عامة للناس جميعا ، دون تفرقة بين أحد وأحد « وما أرسلناك إلا كافة للناس ... قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » .

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم - قل أطيعوا الله والرسول ... » فالناس جميعا أمة دعوة إلى الإسلام .

ولكن الدعوة فى الآيات المذكورة فى مطلع الحديث موجهة إلى المؤمنين خاصة أن يطيعوا ، مع أن المفروض أنهم أطاعوا وآمنوا ؟ ؟ ! !

وجواب هذا فى توجيهين :

أحدهما - أن غير المؤمنين قد انحازوا عن الدعوة إلى ضلالهم ، وإفكهم على الله ، وتعاظموا على طاعة رسوله ، ومقابلته ، فقوبل هذا الإعراض منهم بالإعراض عنهم من جانب الله تحقيرا لهم ، وهوانا بهم ، إذ الإنسانية الواعية لا تتخبط فى باطل ، وتعرض عن الصراط المستقيم .

ثانى التوجيهين - أن المؤمنين هم المقبلون على دعوة الله ورسوله فى ثقة بها ، وارتياح إليها ، فاتجه الخطاب إليهم تكريما لهم ، وعناية بشأنهم ، وتكميلا لدينهم الذى ارتضوه حقا عن طمأنينة إليه .

ولعل فى تخصيصهم بالخطاب تلميحا قويا بالفرق بين الجانبين لكل ذى لب .

٥ — وليس يغيب عنا أن مثار هذه الدعوة وما معها من النهى مرتين هو ذلك الموقف الذى وقفه المؤمنون فى غزوة بدر : حين اختلفوا - أولا - فى دخول الحرب ضد قريش ، وإمعان بعضهم فى الجدل مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إلى رأيه وحاربوا ، وانتصروا ، وحين اختلفوا . ثانيا - فى تقسيم الغنيمة أخيرا ، ورغب فريق منهم فى المفاضلة بين المجاهدين حسب اختلافهم فى بلاء الجهاد - على ما حدثناك من قبل فى مقالين سابقين .

ومع أن الله تعالى تكفل بحسم خلافهم فى الموقفين ، وعاتبهم على ما وقع منهم : كان من تمام فضله أن يزيدهم هداية ، وأن يشد أركان الإيمان فيهم بتعليمه إياهم ما لم يكونوا يعلمون - هم لا شك - مؤمنون . . ولم يكن جدلهم عن ريبة فيهم ، أو مشاقة منهم . . بل هو الرأى كان يبدو لبعضهم مستحبا ، ولا يحسبونه مأخوذا عليهم ، وهم قوم حديثوا عهد بالإسلام ، ولم تزايلهم تقاليد العصبية جملة لما يرونه ويجنحون إليه .

لذلك لم يعتبروا منسلخين من وصفهم بالإيمان ، وإنما هم بحاجة إلى التهذيب ، والصقل . . فبعد أن كان المقام مقام عتب عليهم الجدل والخلاف ، أصبح مقام توجيه إلى الطاعة التامة ، وإلى متابعة الرسول فيما يبلغهم ، والتنزه عما يشبه غمار المعاندين من غيرهم .

هم مؤمنون ، تخلوا عن الكفريات كلها ، والله ينهاهم عن التعثر فيها لتتم فيهم معالم الإيمان وكماله ، فيكون الإيمان والتربية على آدابه من قبيل التخلية عن القبيح ، ثم التحلية بالكمالات على نحو ما يقول العلماء : التخلية ثم التحلية ، وذلك أليق بالمؤمنين ، وهم أمة الإجابة .

فالله تعالى يعلم المؤمنين أن الطاعة لله ولرسوله شيء واحد لا ينفك بعضه عن بعض ...

فلا يقال : مؤمن ولا مسلم على وجه الكمال إلا لمن آمن بالله ورسوله ، بل برسله جميعا . ولئن جاز إطلاق المسلم على من يتظاهر بطاعة الرسول ، دون تصديق بقلبه كما كان شأن المنافقين فإن هذا من باب المجاراة لطاعتهم المصطنعة فى الظاهر .

ولكن دين الله لا يتجزأ ، وطاعة العبد لا تتحقق إلا بتمام التصديق بما جاء على لسان محمد . . « من يطع الرسول فقد أطاع الله ـ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ـ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها ، وله عذاب مهين ـ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم . . » وهكذا .

وقد عودنا القرآن أن يقرن بين طاعة الله ورسوله فى الذكر للدلالة على التلازم بينهما فى الواقع : لا للمغايرة بينهما بالعطف كما قد يتوهم من السياق اللفظى ، فهى مغايرة فى المفهوم لا فى الماصدق .

بل جعل الله كلمة التوحيد وهى عنوان الإسلام والإيمان مؤلفة من الشهادة لله تعالى بالوحدانية فى ألوهيته ، ولمحمد بالرسالة ، وبدون ذلك لا يتم العقد الدينى بين العبد وربه . . فمن ظن أن أحد الجانبين من الشهادة ، أو من الطاعة يكفى ، لدعواه الإيمان والتدين فقد انتقض على ربه فيما شرع ، وأعظم الفرية عليه فيما زعم .

وقد عاب القرآن هذا التشقيق فى كثير من الآيات ، وجاءت به السنة ، وأجمع الأمر فيه من البديهيات المعلومة من الدين علما ضروريا ، حتى ليكفر منكره ، أو المتشكك فيه عن شائبة من الريبة .

ومع هذا : فقد أطاش الغرور بعض العقول الواهنة ممن ينتمون إلى الإسلام فخاضوا فى بحوثهم بالباطل . . وكتبت مجلة فى مصر عن لسان مسلم إيرانى « إن ما يخبرنا

به الرسول من أمور الغيب لا يجب علينا التصديق به، وعلى هذا الضلال لا يتحتم التصديق بكثير من أمور الآخرة - وسحقا لرأى وصاحبه.

كذلك شذ فى مصر رجل فألف ونشر كثيراً إنكاره للسنة النبوية بتمامها، وقصر عقله الكليل على القرآن فقط، ثم تجاهل ما فى القرآن من توجيهات حتمية إلى الأخذ بالسنة عن الرسول وطاعته، وليته عرف أن يفهم شيئاً من القرآن، أو تواضع، وتفاهم مع غيره، ولكنه كان بوقا لمن يزجون به، وينفقون اموالهم، ويتسترون خلفه، وما تريث الرجل إلا بانتهاء حياته.

وهذه نزعات يثور غبارها فى البيئة الإسلامية.

وما هى إلا اقتراب من مذهب الوجوديين، ومحاولات فى التحلل من تعاليم الدين.

والحلال بين، والحرام بين وستظل تلك النزعات والحمد لله هزيلة وخاسرة.

وقد كان الإعراض عن الرسـول، وإغفال دعوته من قوم يرون الحق ويتغاضون عنه إهمالا للعقول، واختيارا للضلال، فصاروا بهذا فاقدين للمواهب الإنسانية، فكأنهم لا سمع عندهم، ولا منطق لهم، ولا جدوى فى عقولهم، فصح أن يوصفوا مرة بالبهيمية، أو هم أسوأ حالا من البهائم التى خلقت بلا تمييز فلها عذرها «إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل».

وصح كذلك أن يعتبروا شر الدواب التى تعيش على وجه الأرض، لأنهم تخاذلوا عن السمع والطاعة وأفسدوا، واستهزؤا، فوضح قول الله فيهم «إن شر الدواب عند الله الصم البكم، الذين لا يعقلون» نعم!! كرمهم ربهم بالآدمية، ومنحهم مواهب الإنسانية، ولكنهم طرحوها، وحرفوها عن رسالتها، دعا شرا بها فى سلبية، والإنسان لم يخلق للسلبية فى دنياه. وهم بسوء اختيارهم لأنفسهم ليسوا أهلا للإرشاد، بل لن يزيدهم الإرشاد إلا تماديا فى الضلالة كما علم الله من شأنهم «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون».

فليعش هؤلاء فى معزل عن التبصر، والهداية. وليظلوا فى طغيانهم يعمهون، وذلك بما كسبت أيديهم، وبما كانوا يفرحون فى الأرض بغير الحق، وبما كانوا يمرحون ...

(ب) المرء فى طاعته لله ورسوله بحاجة إلى الثبات وتثبيت الله تعالى.

«يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم».

٦ - وهذه دعوة تعزز دعوتنا إلى طاعة الله ورسوله. والقصد منها أن تكون الطاعة عن يقين راسخ. فإن الاستجابة لفظ يوحى

بالإقبال عن رغبة ، وطواعية ، واطمئنان ، وهذه منزلة فوق منزلة الطاعة ابتداء ، فربما كانت الطاعة عن هوادة وملاينة لا عن تعمق فى الاقتناع والاستسلام ، ودعوة الدين تتعلق دائما باليقين ، وتنشد الإذعان ، والبراءة من الوهن والتذبذب ، فالاستجابة المنشودة هى الطاعة فى أصدق مفهومها ، وأقوم كيانها . وخاصة إذا تيقن المرء أن دعوة الرسول متعلقة بما يكفل الحياة لنا .

فالتخلف عنها موت ، والأخذ بها حياة والنفس لا تعتز بشىء ، ولا تحرص عليه مثل حرصها على الحياة ، ولا تزهد فى شىء ، وتتحاشاه مثل الموت .

فموقف المرء من دعوة الرسول موقف بين حياة يختارها إذا أجاب ، أو موت يتردى فيه إذا أعرض .

وسواء : أكانت الحياة المرادة فى الآية حياة دنيا لما فى الدين من علم ومن أدب ، واستقامة ، وكرامة ، وقيام على العدل ، وسيادة بالمجد ، أم كانت الحياة حياة النعيم فى الآخرة ، والهناءة فيها برضوان الله وجواره : فإنها حياة يقصدها الدين لأهله ، ويدعوهم إلى سبيلها من طريق العلم والعمل . وعندى أنها الحياة الطيبة بأوسع معانيها فى عاجلنا ، وآجلنا ، فتلك دعوة الله والله ذو فضل عظيم ومن لم يفطن إلى نفسه ، ولم يتخذ لها مراشدها ، ويتعهدها بالتزكية فهو ظالم لها بالغفلة عنها ، ويكون هذا فى غير رعاية الله وألعوبة الشيطان .

كما تكون الشاة القاصية عن عين حارسها خطيفة الذئاب .

وبقدر ما يكون للإنسان من رعاية لنفسه واستئناس بدينه يكون فى القلب هداية ، وسكينة ، وإيمان ، وإلا حال الله بينه وبين قلبه فلم يجعل للهداية سبيلا إلى وجدانه ، ووكله إلى نفسه ، وهيهات أن تكون له حياة أو نصيب من الحياة التى يبتغيها الراشدون .

وقد كان النبى صلوات الله عليه يكثر فى دعائه من قوله ـ يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ـ حتى سألته أم سلمة رضى الله عنها عن إكثاره من هذا الدعاء ، فقال لها : يا أم سلمة ، إنه ليس آدمى إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله تعالى ، فمن شاء أقام . ومن شاء أزاغ ، يريد أن المرء فى قبضة الله ، وتحت سلطانه . وهو عرضة للتحول من حال إلى حال . حسب ميوله واختياره ، وقد ربط الله بين الأسباب والمسببات ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . والله يتولانا برعايته .

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو هيئة كبار العلماء

من وحي رمضان :

ربكم أعلم بما في نفوسكم

للأستاذ محمود الشرقاوى

---

١ — جاء رمضان، وبدأ المسلمون يتهيؤون لما يجب عليهم فيه من الصوم والعبادة والصدقة والتوجه إلى الله : امتثالا وطاعة وإيمانا وحبا، وبعضهم رهبة وخوفا . وآخرون رغبة فى الجزاء والمثوبة .

والإيمان التزام حدده الغزالى فى قوله: « إن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ، وشرط تمام الوفاء به ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، لأن المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى » .

هذا الالتزام الذى يصل بالمؤمن إلى المحبة ، وهذه المحبة التى لا تقبل الشركة . هما أساس العبادة الصادقة المقبولة ، والصوم والصلاة والعبادة كلها درجات: أكملها وأقربها إلى قبول الله ما كان أساسه هذا الالتزام والإحساس بالقرب من الله ورقابته .

ولحكمة بالغة يقول الله تعالى — بعد ذكره شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان — لحكمة بالغة يقول الله تعالى بعد ذلك وبعد أمره بصوم رمضان : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » [1] والله القريب العالم بقلوب عباده المطلع على الضمائر المحيط بالسرائر ، لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له . وأن يكون المتعبد العامل صادقا فيه كل الصدق : « وهو الذى أمر الله تعالى به حين يقول « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » [2] .

« فمن شرح ذلك : أن يكون العبد يريد الله ، عز وجل ، بجميع أعماله وأفعاله وحركاته كلها ظاهرها وباطنها ، لا يريد بها إلا الله وحده ، قائما بفعله وعمله على نفسه وقلبه ، راعيا لهمه ، قاصدا إلى الله تعالى بجميع أمره ، لا يحب مدحه ولا ثناءه ، ولا يفرح بعمله إذا اطلع عليه المخلوقون ، فإن عارضه من ذلك شىء انتفاه بالسرعة والكراهية ولم يسكن إليه . لكن إذا أثنى عليه أحد .

---

(١) البقرة : ١٨٤ — ١٨٦ .

(٢) الكهف : ١١٠ .

حمد الله على ستره عليه حين وفقه لخير رآه العباد عليه .

نعم . ثم يخاف عند ذلك من عمله الردئ وسريرته القبيحة التى خفيت على الناس ولم تخف على الله فأشفق من ذلك وخاف أن تكون سريرته أقبح من علانيته . فهكذا يروى فى الحديث : « السريرة إذا كانت أقبح من العلانية فذلك الجور ، وإذا استوت السريرة والعلانية فذلك العدل ، وإذا فضلت السريرة على العلانية فذلك الفضل » ثم يقول أبو سعيد الخراز : « فالواجب على العبد أن يخفى عمله جهده حتى لا يطلع عليه إلا الله تعالى ، فذلك أبلغ فى رضا الله عز وجل وأعظم فى تضعيف الثواب وأقرب إلى السلامة وأوهن لكيد العدو وأبعد من الآفات . وروى عن سفيان الثورى ، رحمه الله أنه قال : « ما أعبؤ بما يظهر من عملى » . ويروى فى الحديث : « إن عمل السر يفضل عمل العلانية سبعين ضعفا »[1] .

حتى الجهاد فى سبيل الله ، لا بد له من الإخلاص والتجرد من الرياء ومن كل شئ يقصد ويراد ، سوى « سبيل الله » هذه : عن أبى موسى قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، فأىّ ذلك فى سبيل الله ... ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله »[1] حتى من كان ، فى جهاده وعبادته ، يقصد الثواب وحسن السمعة ، لا شئ له : عن أبى إمامة قال : « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فقال له : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ... ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شئ له ، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شئ له . ثم قال : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه »[2] .

والصوم والعبادة أثر من آثار الإيمان . والإيمان الحق — كالعبادة الحقة — لا بد لها من الإخلاص عن النفاق والغرض وسوء الخلق : الكذب والخلف والفجر فى الخصومة وغيرها .

يقول الغزالى : « وأما ارتباطه - أى الإيمان - بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم

---

(١) أبو سعيد الخراز ، للتصوف ، : « الطريق إلى الله » ص : ١٨ — ١٩ .

(١) رواه الجماعة .

(٢) رواه النسائى وأحمد .

أنه مؤمن : مَن إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا خاصم فجر ، وفي بعض الروايات ، وإذا عاهد غدر » .

وفي حديث أبي سعيد الخدري : « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد ، فأى المادتين غلب عليه حكم له بها » .

وقال بعض العلماء : « أقرب الناس إلى النفاق من يرى أنه برىء من النفاق » .

والمؤمنون الصالحون يخافون النفاق ويخشون أن يدخل نفوسهم ويندس إلى قلوبهم فيحبط ما قدموا من عبادة .

سمع الحسن أن قوما يقولون إنهم لا يخافون النفاق ، فقال : والله لأن أكون أعلم أنى برىء من النفاق أحب إلىّ من قلاع الأرض ذهبا . ثم قال : إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية .

٢ — ورمضان موسم من مواسم البر والصدقة . والصائمون يعرفون ويتلون الحديث الشريف الذى يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وأجود ما يكون فى رمضان » .

إذا جاء رمضان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجود بالخير من الريح المرسلة .

والله تعالى يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

وقد يجد بعض المؤمنين أنه ليس عندهم فضل مال أو شىء يتصدقون به ويحسنوا ، وهؤلاء أيضا يستطيعون أن يحسنوا ويتصدقوا ولهم عند الله ثواب المحسن المتصدق : دلهم النبى الكريم على هذه الصدقة المحمودة المقبولة حيث قال : إفراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وتبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن طريق الناس لك صدقة ، وهدايتك الرجل فى أرض الضالة صدقة [١] .

وهذه كلها صدقات سهلة يسيرة هينة البذل ، يستطيعها من عنده من المال فضل فتزيد من حسناته وأجره على ما يبذل من ماله . ويستطيعها من ليس عنده فينال عنها أجر المتصدق . ويزيد بها حياته وحياة الناس سعادة ورواءا وبهجة .

ولهذا البر وهذه الصدقة آداب بل شروط أوجبها الله وأمر بها : « قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى » [٢] « يا أيها الذين

(١) أخرجه الترمذى ورواه البخارى فى باب الأدب المفرد .
(٢) ٢٦٣ — البقرة .

آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا» (١).

فهذه آيات بينات حدد الله فيها آداب الصدقة المقبولة، فيها من القوة والبيان والإيجاز ما يغنى عن كل تفسير، بل إن كل تفسير لها هو أضعف منها وأقل أثراً وقوة وبيانا.

وإخفاء الصدقة من آداب البر التى أمر بها الله: «إن تخفوها وتعطوها الفقراء فهو خير لكم» (٢).

وفى الحديث الشريف: «أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير فى سر» (٣) وفيه أيضا: «ثلاث من كنوز البر، منها إخفاء الصدقة» (٤)

ومن آيات الإنجيل: طوبى لمن لا تعرف يمناه ما تقدم يسراه من الخير.

«إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا محضا» كما يقول الإمام الشوكانى. ولأمر جليل واضح جعل الإمام البخارى مفتتح أحاديثه فى: «الجامع الصحيح» هذا الحديث الشريف: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»، وقد أدرك هذه الغاية

(١) ٢٦٤ – البقرة –

(٢) ٢٧١: البقرة.

(٣) رواه أحمد وأبو داود.

(٤) رواه ابن عباس.

وصرح بها شارح الجامع الصغير حيث يقول إن البخارى «بدأ بهذا الحديث إتنبيها على تصحيح النية والإخلاص من كل أحد، من العالم والمتعلم».

٣ – والعجب والغرور والخيلة مما يحبط صالح العمل: «وهكذا روى عن أبى الدرداء، رضى الله عنه، أنه قال: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم..! كيف غنموا سهر الحمق وصيامهم. ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أوزن عند الله من أمثال الجبال من أعمال المغترين) (١).

إن الله تعالى لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره (٢) أى يرخى ثوبه إلى أسفل كعبيه اختيالا، وعجبا.

فالعبرة فى العبادة إذن ليست بالقدر والكمية. ولكنها بالكيفية والصفاء والإخلاص.

فى ذلك جاء الحديث الشريف: «عن أبى هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله: فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، قال: هى فى النار. قال: يا رسول الله: فإن فلانة، يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها،

(١) أبو سعيد الخراز: «الطريق إلى الله» ص: ٥٣.

(٢) شرح العزيزى على الجامع الصغير.

وأنها تصدق بالأثوار (١) ؟ ، الأقط (٢) ولا تؤذى جيرانها بلسانها ، قال : هى فى الجنة » (٣) .

فعبرة هـذه العبادة وأثرها فى النفس وهيمنتها على الضمير والسلوك هى القياس الصحيح لهذه العبادة: صلاة أو صياما أو صدقة.

العبادة الكاملة هى التى تجعل صاحبها كاملا والتى يشعر مؤديها بأنه قد « أسلم » روحه ووجهه وحواسه لله حقا : « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن » (٤) . « وأمرت أن أسلم لرب العالمين (٥) » . « ومن يُسلم وجهه إلى الله ، وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى (٦) » .

العبادة الكاملة المقبولة المبرورة ، صوما أو غيره ، هى التى يحس مؤديها ، بكل كيانه وفكره ، أنه قد وجه وجهه لله حقا ، لا يشرك معه سواه ، ولا يخشى أو يرجو إلا إياه . هو الذى يقول ـ بقلبه ولسانه ـ : « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين (١) » .

والذى يحس أثر هذا « التوجه » وهذا « الإسلام » فى كل ساعة ولحظة من نهاره وليله . ثم يجد من ذلك كله حاكما ومهيمنا على سلوكه وضميره وعمله وخطرات نفسه وأحاسيس قلبه : عبادة وصفها الرسول الكريم إذ يقول : « إنما الصلاة تمكّن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم ، وتضع يديك فتقول: اللهم اللهم ، فمن لم يفعل فهو خداج (٢) .

وهى التى يصفها الرسول الكريم فى قوله : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » ويصفها القرآن الكريم فى قوله : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر » .

هى صلاة رسول الله التى وصفتها عائشة فقالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه ، إنصرافا بوجهه وقلبه وإحساسه كله لمن وجه له وجهه .

و « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » كما يقول الحديث الشريف .

و « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » .

(١) فى النهاية من غريب الحديث والأثر : التور إناء من صفر أو حجارة قد يتوضأ منه وقد يشرب فيه . يشير الحديث إلى أنها كانت تتصدق بالشىء القليل .

(٢) الأقط ، أو الإقط شىء يتخذ من اللبن المخيض : الإبل خاصة أو للمعز .

(٣) مسند أحمد : ص ٤٤٠ الجزء ـ ٢ .

(٤) : ٢٠ آل عمران .

(٥) : ٦٦ غافر .

(٦) : ٢٢ لقمان .

(١) : ٧٩ الأنعام .

(٢) نقصان من خدجت الناقة أى ألقت ولدها قبل تمام أيامه .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه ، فبينما كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود، فقالوا : يا رسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه ، فقال صلى الله عليه وسلم : أرى على وجهه سفعة من الشيطان ، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم ، فقال النبى صلى وسلم : نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ؟ فقال : اللهم نعم [1] .

وكان النبى عليه السلام : صفوة الخلق وأطهرهم ، يثوب إلى الله مستغفرا فيقول : « اللهم إنى أستغفرك لما علمت ، وما لم أعلم، فقيل له : أتخاف يا رسول الله ؟ فقال : وما يؤمنني والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » .

٤ - أما أهل التصوف ، وهم الصفوة ، فهم يخشون الفتنة من العبادة والمكانة ويخافون غرور النفس بذلك حتى يقول واحد من كبارهم هو سرى السقطى : « لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها فقال : السلام عليك يا ولى الله ، فسكنت نفسه إلى ذلك ، كان أسيراً فى يديها » .

والعبادة التى يقبلها الله هى التى يتحرك بها القلب ، وتخشع لها النفس ، ويصفو منها الضمير ، وينسى فيها المتعبد كل ما فى الدنيا من مال ومتاع وشىء . يقول الرسول الكريم : « من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشىء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وهى عبادة الخشوع والخضوع والاستسلام والتبتل التى يعرفها ويتعبدها ويتأدب بأدبها : « عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

٥ — والصوم والصلاة والعبادة كلها درجات ، كما قلنا من قبل : « صوم العموم ، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص » . أما صوم العموم : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة . وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان ، واليد والرجل ، وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص: فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية » [1] .

هذه درجات ثلاث للعبادة والصوم . فاختر لنفسك ما ترضى . وضع صومك وعبادتك حيث تريد أن تضعهما من قبول الله .

محمود الشرقاوى

---

(١) رواه أحمد والبزاز والدارقطنى من حديث أنس

(١) الغزالى فى الإحياء : ص ٣٨ الجزء ٣ .

تركستان
ومكانتها فى تاريخ الإسلام

للأستاذ م. روحى أويغور

– ٢ –

أحرز الغزنويون مقاما مرموقا حيث أسسوا الدولة الغزنوية التى قامت فى سنة ٤٥١ ﻫ إلى سنة ٥٨٢ ﻫ ومن أشهر رجال هذه الدولة بل من أشهر أعلام الإسلام فيها محمود سبكتكين الذى وطد ملكه ووسع فتوحاته فى الهند إلى ما وراء كشمير والبنجاب ومنها إلى نهر الكنج حتى وصل إلى إقليم كجرات، ومن الجانب الآخر استولى على بخارا وما وراء النهر ومنها تقدم إلى جورجيا غربا – وهو الذى حطم الصنم الشهير سومنات فى كجرات وقد عاش خلفاؤه فى لاهور فحكموا فيها زهاء ١٥٠ سنة ويكفى أن نقتبس ما قاله بارتولد فى شأنهم – كان لعهد محمود الغزنوى أهمية كبرى فى تاريخ الشرق كله حيث وصل نظام الحكومة الإسلامية فى عهده إلى أرقى درجاته – وبالإضافة إلى ما اشتهر به محمود الغزنوى من فتوحاته فقد اشتهر بالعدل والنصفة وحب العلماء والمشائخ وتقريبهم إليه وحثهم على نشر العلوم والمعارف وقد أسس فى غزنى – التى كبرت واتسعت وازدهرت فى عهده – أكبر جامعة للعلوم والفنون جمع فيها صفوة من نوابغ العلماء والفضلاء ومن بينهم الشاعر الفارسى الشهير صاحب الشاهنامة الفردوسى – وأبو القاسم أحمد بن حسن الميمندى، وأبو الفتح البستى الذى كان كاتب سره ومستشاره، وأبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي مؤرخ الدولة الغزنوية الكبير، والفيلسوف الإسلامى الكبير أبو على بن سينا، وأبو الريحان البيرونى صاحب كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، وأبو سهل المسيحى وابن الخمار، وأبو نصر العراق وغيرهم من مشاهير العلماء والفضلاء.

(عهد السلجوقيين) – وقد كان لظهور السلجوقيين أثر بارز فى تاريخ التركستان فقد أسسوا فيها دولة مرموقة استمر سلطانها

من سنة ٦٢٩ إلى سنة ٧٠٠ ه وقد اتصف عهدهم بالازدهار العلمى والثقافى وبرز من بينهم علماء ومفكرون منهم نظام الملك وزير ألب وابنه ملكشاه ، والمفكر الإسلامى الكبير الإمام الغزالى وعمر الخيام والحريرى صاحب المقامات . كما ظهر السعدى وحافظ الشيرازى فى عهد أتابكية فارس التى كانت من بقايا السلجوقيين الحكام فيها منذ سنة ١١٦٧ م وكذلك جلال الدين الرومى الذى عاش فى قونيه والذى كان يحظى برعاية علاء الدين كيقباد الأمير السلجوقى فى آسيا الصغرى .

(عهد الخوارزميين) وقد استطاع الخوارزميون أن يؤسسوا أمبراطوريتهم على أنقاض الأمبراطورية السلوقية - ولولا ما أشغلهم من غزو المغول - ولو أن الحوادث أمهلتهم لاستطاعوا أن يسيطروا على عاصمة الخلافة وأن يتخذوا لأنفسهم ذلك المركز الذى اتخذه البويهيون والسلاجقة من قبل - غير أن الحوادث عاجلتهم وأفزعهم المغول فى حرب لم يعرفها المسلمون قبلهم .

ومع ذلك وفى غمار هذه الحرب الدامية التى سادت الشطر الأكبر من حكمهم رأينا كثيرين من الأدباء والشعراء والكتاب يبرزون فى عهود سلاطينهم المختلفة وبفضل تشجيعهم للعلم والأدب نبغ كثيرون ممن كتبوا باللغة الفارسية فى شتى النواحى من بينهم زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن حسن الجرجانى الذى قصد خوارزم سنة ٥٠٦ ه والذى عاش هناك فى كنف الخوارزميين ردحا طويلا من الزمن إلى أن توفى سنة ٥٣١ ه وله كتاب باسم ذخيرة خوارزمشاه وهو من كتب الطب الشهيرة . ومن الكتاب البارزين أيضا رشيد الدين محمد عبد الجليل البيالخى الذى كان يلقب بالوطواط بسبب قصر قامته وقبح منظره وكان شاعر البلاط الخوارزمى وقد ألف كتابا اسمه حدائق السحر فى دقائق الشعر وهو من أقدم المؤلفات الفارسية المعروفة التى تعالج صناعة الشعر وله كتب فى اللغة العربية أيضا ، وقد استمر الوطواط فى خدمة الخوارزميين فى عهد كل من السلطانين إيل أرسلان وابنه علاء الدين تكش - وكان علاء الدين خوارزمشاه وابنه جلال الدين منكبرتى يهتمان بالعلم والأدب ويقلدان من يبرز من العلماء والأدباء والشعراء بعض مناصب الدولة العامة - ومن هؤلاء حمزة بن محمد الذى تقلد بعض المناصب المختلفة فى الدولة وقد ولى حاكما

على مدينة مساء وكان يجيد نظم الشعر العربي والفارسي ومنهم أفراد أسرة الجويني الذين عظم نفوذهم ووصل بعضهم إلى أرقى مناصب الدولة في عهد علاء الدين خوارزمشاه وجلا الدين منكبرتي وقد حفل برعايته محمد النسوي الذي ألف كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي من الدولة الخوارزمية .

ولم يقتصر تشجيع الخوارزم على رجال العلم والأدب فحسب بل أسسوا المدارس في مختلف المدن وعلى الخصوص الكبرى منها ، وعينوا فيها كبار العلماء والفقهاء والأدباء في الدولة للتدريس فيها ، ومنهم شهاب أبو سعد ابن عمران ، وكان من المتضلعين في أصول المذهب الشافعي وفي الطب واللغة أيضا وكان لعلو منزلته في الدولة أن عهد إليه بالتدريس في خمس مدارس بمدينة خوارزم وإليه يرجع الفضل في تأسيس دار الكتب فيها .

(عهد المغول وأثره في التاريخ الإسلامي)

ولقد كانت فترة غزو المغول على يد جنكيز خان في بلاد غربي آسيا فترة عاني فيها المسلمون الشيء الكثير من الخراب والتدمير وسفك الدماء - ثم جاءت بعد ذلك فترة أخذ المسلمون فيها يصلحون ما أفسده جنكيز خان وأعوانه كما بدأ المغول يكفرون عما ارتكبوه فحاولوا إصلاح ما أفسدوه ، واستغل المسلمون هذه الروح الطيبة منهم - على أن المسلمين لم يعدموا وسط موجات الاضطهاد أناسا يعطفون عليهم ويؤمنون بالإسلام . فاعتنق كورجوز حاكم فارس من قبل أوجتاى خان الإسلام في أواخر أيامه . وقد تم النصر الحقيقي للمسلمين باعتناق بوركه خان رئيس القبيلة الذهبية للإسلام سنة ٦٥٤ ، ٦٦٦ هـ . وخاصة بعد أن تبعه السواد الأعظم من أتباعه بل يمكن القول بأن كل رجاله وجيشه كانوا من المسلمين ، وكان من أثر ذلك أن توطدت العلاقات بين بوركه خان والظاهر بيبرس في مصر بل تحالف الفريقان ضد عدوهما المشترك الذي يتمثل في أسرة هلاكو .

وبمرور الزمن قوى نفوذ المسلمين حتى أن تكودار أحمد سنة ٦٨٠ - ٦٨٣ هـ اعتنق الإسلام وكان مسيحيا من قبل واسمه نقولا وكان يقوم بالدعوة إلى الإسلام الدين الجديد ويجزل العطايا والمنح وألقاب الشرف على رجال دولته لمن يعتنقه منهم وقد لجأ في دعوته للإسلام إلى طريق الترغيب دون إكراه أحد على الدخول فيه .

وعندما تولى غاذان محمود سابع إيلخانات المغول في فارس الحكم ٦٠٤ هـ — ٧٠٣ هـ

اعتنق الاسلام وجعله دين الدولة الرسمى — ومنذ ذلك الحين أخذ الإسلام ينتشر بسرعة فائقة فى دولة إيلخانات المغول فى فارس واختلاط المغول بالمسلمين فى الشرق قد أدى بطبيعة الحال إلى خلق جيل جديد من المغول والعرب نتج عنه تجديد فى الحياة العقلية والفكرية والثقافية وبرز علماء تسنموا الذروة ومن أشهرهم فى عهد هولاكو نصير الدين الطوسى الذى امتاز بأبحاثه فى علم الفلك وقد شجعه المغول فأسسوا له مرصداً كبيرا فى مدينة فراغة وسمى ذلك المرصد باسم مرصد الإيلخانية ، ومنهم أسرة الجوينى الذين أسبغوا عليهم عطفهم وعطاياهم الجزيلة وكان لهذه الأسرة قصب السبق فى نشر العلوم والمعارف ، وممن نبغ منهم علاء الدين عطا ملك الجوينى مؤلف تاريخ جهان كشاى كوينى الذى تعمق فيه بالبحث عن تاريخ المغول منذ نشأتهم حتى سنة ٦٦٦ هـ أى إلى عهد منجو خان . ومن المؤلفين الذين ظهروا فى عهد مغول فارس أيضا رشيد الدين فضل الله الهمذانى وكان من المقربين إلى كل من أباقا خان وغازان وأولجايتوا ويرجع نشر اللغة الفارسية فى بلاد الهند وآسيا وجعلها لغة البلاط المغولى فى الهند إلى العلماء والأدباء والشعراء الذين هاجروا إلى هذه البلاد - وقد كان منهم متصوفون طبعوا الشعر الذى خلفوه وراءهم بروح التصوف العالية .

وما دمنا قد تطرقنا فى الحديث عن المغول بايجاز لا بد لنا من الاشارة إلى الأعمال العظيمة التى قام بها تيمور وأولو بك وشاهبرج ومحمد حسين بابقرا وغيرهم خصوصا الاشارة إلى ذلك الرجل العظيم ظهير الدين بابر مؤسس الأمبراطورية المغولية التى ازدهرت فى الهند .

وقد تحدث مؤرخون كثيرون عن تيمور فوصفوه بأنه يشبه نابليون إلى حد كبير وقال عنه هارولد لامب إننا نجد قليلا فى التاريخ مثل تيمور ما عدا اسكندر المقدونى الذى استطاع أن يتوج غزواته بالفتح والنصر كما يرجو — بل كان تيمور نابليون آسيا وكان رجلا صلبا حديدى العزم قوى الإرادة لا نظير له وكان سر نجاحه فى قوة إرادته وصلابته فهو لم يتزعزع ولم يتراجع وكانت له جاذبية خاصة فى السيطرة على رجاله وكانت له قدرة فائقة فى حل معضلات المسائل مهما تشعبت وكانت له قوة ذاكرة خارقة للحفظ حتى كانت أقل المسائل لا تغيب عن ذهنه وكان ينتهز كل فرصة لاستغلالها وقد استطاع أن يحشد جيوشا جرارة وأن يدربها ويمرنها أحسن تدريب وتمرين — ويختلف وجه

الشبه بينه وبين نابليون فى شىء واحد هو أن نابليون انتهت به عظمته فى سانت هيلانه منهوك القوى محطم الأعصاب بينما مات تيمور وهو زاحف بجيشه الجرار على الصين ولم يعرف الهزيمة قط ، وتحدث عنه سير برسى سايكس - فقال إننا لا نجد فى أدوار التاريخ فاتحا أنجز أعمالا عظيمة بالسيف ونال مقاما ممتازا كتيمور .

وقد ازدهرت سمرقند فى عهد تيمور كما ازدهرت هرات فى عهد شاهرخ وحسين بايقرا وغيرهما من آل تيمور — وكانت بخارى مركزا من مراكز النشاط العلمى والثقافى والأدبى والفنى واتصل هذا النشاط عن طريق العلماء والأدباء والشعراء والفنانين ببلاط بابر وأكبر وشاهجهان فى دهلى وبلاط الأرغونيين والقرغانيين والترغانيين والتاليوريين فى تاتته بالسند وغيرها من مراكز النشاط العلمى والثقافى ، وكان ممن برز فى ذلك العهد كان بهزاد الرسام المعروف وخاتم الشعراء مولانا جامى والشاعر التركى المعروف أمير على شيرنوائى وزير حسين بايقرا وغيرهم . فقد كانوا أشهر من رجال العلم والأدب فى ذلك العصر الذهبى وكان حسين بايقرا نفسه شاعرا يحب العلم والعلماء ويشجعهم وديوانه يقرأ ويعتز به فى بلاط الملك حسين أرغون فى السند وغيرها من بلاد شبه القارة الهندية الباكستانية .

أما بابر الامبراطور العظيم فإن أعماله لا تحتاج إلى الإشادة والتبجيل — ونكتفى بالقول بأنه بدأ حياته مهاجرا من وطنه تركستان فقيرا لا يلوى على شىء ولا يحمل معه سوى همته العالية وإرادته الصلبة القوية فجاء إلى الهند فاتحا ظافرا فأسس إمبراطورية المغول الإسلامية العظيمة ووضع أسسها وأحكم دعائم بنيانها قبيل سنة ٧٦٨ هـ والتى ظلت قائمة إلى القرن الثامن عشر الميلادى والتى انتهت بمأساة نفى آخر أباطرة المغول بهادر شاه ظفر . غير أن الإسلام الذى وطدت أركانه فى هذه البلاد العريقة أبى إلا أن يستعيد مجده بظهور دولة باكستان العظيمة التى ترنم بها شاعر الإسلام إقبال والتى تم تأسيسها على يد القائد الأعظم محمد على جناح والتى يقود زمامها ويدير دفة سفينتها بحكمة ومهارة الآن إلى شاطىء الأمن والسلامة الرئيس الملهم محمد أيوب خان .

منقول عن مجلة « العرب الهندية »

من معانى القرآن

« قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ، أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » .

الأودية جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة .

والزبد بفتح الباء هو الرغوة التى تطفو فوق سطح الماء .

وضرب الأمثال صنعها لتشبيه حال بحال .

البقاء للأصلح :

الله الذى خلق كل شيء ، الواحد الذى لا شريك له فى الملك والخلق والحكم . القهار الذى يخضع له كل شيء طوعا أو كرها ، أنزل من السحاب ماء ، وخلق فى الأرض معادن ، وجعل من الماء حياة الإنسان والحيوان والنبات ، ومن المعادن أدوات انتفاع ودفاع ومتاع ، وقد تكفل سبحانه بنصرة الحق وأهله وجعل مثله الماء الذى ينزله من السماء بمقدار ما ينفع الناس وتسعه الأودية فتجرى به الأنهار وتتفجر به العيون والآبار ، والمعادن التى تصهر بالنار لتخلص من خبثها ومن المواد الغريبة عنها ، وجعل مثل الباطل الزبد الذى يطفو فوق سطح الماء وعلى وجه السوائل المنصهرة من المعادن ، فكما أن الماء يبقى فى الأنهار والآبار ويبقى أثره أو بعض وجوده فيما نرى من أشجار وثمار وسائر مظاهر الحياة فى الإنسان والحيوان ، وكما أن المعادن تبقى وينتفع بها الناس أدوات للزينة أو أدوات أخرى كالأوانى للمتاع ، أو أدوات الدفاع كالسيوف والدرع والمدافع ، كذلك الحق وأهله ، يبقى ويبقى أهله مصدرا للخير والنفع العام ، أما الباطل فإنه كالزبد يجفوه السيل ويرمى به فلا يبقى ولا ينفع . بل يذهب كالهباء فى الهواء ، وهذا المثل الذى ضربه الله للحق والباطل تفسير لحقيقة الحق والباطل ، فإن معنى الحق كما ذكرنا أو أشرنا لا يكاد يخرج عن معنى الثبوت والخير والاستمرار ، أما الباطل فمعناه مالا فائدة منه ولا خير فيه . ولا دوام له ، وصدق الله إذ يقول ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، نسأل الله أن يرينا الحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه .

عبد الرحيم فودة

الباحثون عن الحق في رأى الغزالي :

الغزالي والمتكلمون

للدكتور عبد الحليم محمود

يحتل البحث في نظرية المعرفة مكانا كبيراً في العصر الحاضر ، حتى لقد رأى بعض المفكرين أن نظرية المعرفة إنما هي نصف الفلسفة

وإنه لمن الطبيعي أن يبحث الإنسان في في الوسائل التي تؤدي به إلى الهدف الذي يريده ، ومن هنا كانت أهمية نظرية المعرفة في الفلسفة الحديثة .

بيد أن البحث في هذا الجانب أصبح في العصر الحاضر كأنه هدف لا وسيلة ، فأصبحت نظرية المعرفة تدرس لنفسها ، كأنها جزء من الفلسفة .

ومن الواضح أنه من الانحراف عن الطريق الفلسفي المستقيم أن يوجد إنسان يستمر طيلة حياته يبحث في نظرية المعرفة من جميع أطرافها وتقتصر على ذلك فلا يتخطاه إلى المعرفة نفسها ، ومع ذلك يطلق عليه الباحثون لقب « فيلسوف » .

ومن أجل ذلك أخذ بعض المفكرين يتهكمون على بعض دارسي الفلسفة في العصر الحديث ؛ لأنهم يشغلون أنفسهم بالوسيلة عن الغاية . أي يشغلون أنفسهم بنظرية المعرفة ولا يلقون بأنفسهم في خضم المعرفة نفسها يرتشفون منه وينهلون ...

— ٢ —

وشغلت نظرية المعرفة الإمام الغزالي ، لقد فكر في وسائل المعرفة ودرسها ، وانتقدها ، وسواء كانت الوسيلة : هي الحس ؟ أو هي العقل ، فإنه قدر كلا حق تقديره ووضعه في مكانه المناسب له . وسنتحدث عن ذلك حينما نتحدث عن موقفه من الفلسفة .

وشغل نفسه بنظرية المعرفة من حيث الاتجاهات والطرق والسبل التي سارت فيها طوائف مختلفة من الباحثين فوصلوا إلى نتائج مختلفة تتفق أحياناً وتختلف وتتعارض في كثير من الأحايين .

وبدأ بحثه فى هذا الجانب بحصر الطالبين للحق السالكين سبيله سواء كانوا سائرين على الطريق الصحيح أو متنكبين سواء الصراط .

فوجدهم لا يعدون أربع فرق :

١ - المتكلمون : وهم يدعون أنهم أهل الرأى والنظر .

٢ - الباطنية : وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والمخصصون بالاقتباس من الإمام المعصوم .

٣ - الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .

٤ - الصوفية : ويدعون هم أنهم خواص الحضرة ، وأهل المشاهدة والمكاشفة (١)

وهذا الحصر « للسالكين سبل طلب الحق » أوسع مما تبحث فيه الفلسفة الحديثة . إذ الفلسفة الحديثة تهمل إهمالا يكاد يكون تاما طريقة المتكلمين ، وتهمل أيضا إهمالا يكاد يكون تاماً هؤلاء الذين يزعمون أنهم « أصحاب التعليم ومن المخصوصين بالاقتباس من الإمام المعصوم » .

ويبدأ الإمام الغزالى ، بعد هذا الحصر ، بالبحث فى عمق فى هذه الطرق واستقصاء ما عندها مبتدأ بعلم الكلام .

وعلم الكلام ، الذى كان على عهد الإمام الغزالى ، هو علم الكلام الذى ندرسه الآن ، فإذا تحدث الإمام الغزالى عنه فليس ذلك الحديث مختصا بالفترة التى عاش فيها الإمام الغزالى ، وإنما هو عام يصل إلى العصر الحاضر ، وإلى هذا النهج من الدراسة الموجودة فى كتب علم الكلام المتداولة الآن .

وإذا تحدث عنه الإمام الغزالى فإنما يتحدث حديث الواثق الخبير ؛ فقد حصّل وطالع كتب المحققين فيه وصنف فيه ماأراد الله أن يصنف ، ثم كان له فى النهاية رأيه الشخصى .

وهذا الرأى الشخصى رأى جرىء حاسم يتفق حقيقة مع الوضع الإسلامى الصحيح ، ولكن الظروف أوجدت الإمام الغزالى فى بيئة كان لعلم الكلام فيها - على ما هو عليه - قداسته واحترامه ؛ فحاول الإمام الغزالى أن يعلن رأيه على أساليب مختلفة وعلى أنماط متعددة منها المجامل الرفيق الذى لا يرضى كل الرضا ولكنه يتسامح فى أسلوبه ويجامل فى تعبيراته ويعطف ويشفق ومع ذلك يتبين فى وضوح أن الوضع خطأ ، وفى أحيان أخرى تضيق نفسه بالوضع الخاطئ فيغضب ويثور ويحسم الأمر فى أسلوب قوى ، وفى حدة ، ما كان الإنسان يتوقعها من صاحب « الاقتصاد فى الاعتقاد » .

---

(١) المنقذ من الضلال .

ومن أجل أن يكون رأى الغزالى مقنعا ، ومن أجل أن يأخذ رأيه المكانة التى يريدها والذيوع والانتشار الذى يطمح إليه أخذ يستشهد بآداء أئمة السلف فى علم الكلام كالإمام مالك والإمام الشافعى والإمام أحمد ابن حنبل وغيرهم من السلف الصالح الذين نؤمن بسعة علمهم وبإخلاصهم وباتباعهم النهج الدينى الصحيح .

والآن نذكر رأيه فى صورته الحاسمة : إنه يتحدث عن الكلام فى كتابه النفيس « إحياء علوم الدين » فيقول : « وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه ، وهيهات ، فليس فى الكلام وفاء لهذا المطلب الشريف . ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف . هذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا ، فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك إلى التعمق فى علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود [1] » .

ويرى الإمام أن المتكلم لا يزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ، ولأجله سميت صناعته كلاما .

أما إذا تساءلت عن إيمان المتكلمين فإن إيمانهم « ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام [1] » .

ويروى الإمام الغزالى أن « جميع أهل الحديث من السلف ذهبوا إلى تحريم الكلام ، وإلى التحريم أيضا » ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان » .

وسنكتفى هنا بذكر رأى الإمام الشافعى ورأى الإمام أحمد بن حنبل بحسب رواية حجة الإسلام :

« قال ابن عبد الأعلى رحمه الله : سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول : لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام . ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه ، وقال أيضاً : قد اطلعت من أهل الكلام على شىء ما ظننته قط ، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام .

وحكى الكرابيسى أن الشافعى رضى الله عنه سئل عن شىء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله .

ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد ، فقال له من أنا فقال :

(١) الأحياء ج ١

(١) الأحياء ج ١

حفص الفرد : لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه .

وقال أيضاً : لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد .

وقال أيضا : إذا سمعت الرجل يقول : الإسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له .

قال الزعفرانى قال الشافعى : حكى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام .

وقال أحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب الكلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل . وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة ، وقال له ويحك !! ألست تحكى بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ! ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث[١]

وقال أحمد رحمه الله : علماء الكلام زنادقة[٢]

هذا الاتجاه الذى سار فيه الإمام الغزالى إنما هو اتجاه الصوفية على وجه العموم وهو فيما نرى الرأى الصحيح الذى انتهى إليه الإمام الغزالى بعد تجربة ممحصة وخبرة واعية .

وسنتحدث عن رأيه فى الفلسفة فى مقال تال إن شاء الله وبالله التوفيق .

الدكتور عبد الحليم محمود
رئيس قسم التوحيد والفلسفة بجامعة الأزهر

---

(١) كان كتاب الحارث المحاسبى الذى يتحدث عنه الإمام أحمد بن حنبل : فى الرد على المعتزلة .
(٢) إحياء علوم الدين ، الجزء الأول .

اللغة العربية

رمونى بعقم فى الشباب وليتنى	عقمت فلم أجزع لقول عداتى
وسعت كتاب الله لفظا وغاية	وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة	وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن	فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

من قصيدة لحافظ إبراهيم

الاشتراكية فضيلة إنسانية

للأستاذ محمد سعاد جلال

فى كل عصور التاريخ تقريبا كانت الفكرة الاشتراكية هداية التجربة الإنسانية إلى أصلح النظم وأكثرها سدادا ، وأقربها إلى طبائع الأشياء فى علاقات الناس بعضهم مع بعض ، كما كانت هذه الفكرة الأصيلة ذاتها . رسالة جميع الأنبياء الذين يتنزل عليهم الوحى من لدن رب العالمين ، وأيضا رسالة أصحاب المذاهب الدينية والروحية الذين يعتبرون فى عداد الربانيين والملهمين فى أثناء دراسة تاريخ المجتمع الإنسانى على صورة واسعة وأسلوب فاحص ، خلو عصر من العصور ، عن إنسان عظيم كان يدعو الناس لتحقيق الفكرة الاشتراكية فى أسلوب حياتهم ، وأمور معاشهم سواء أسميت هذه الفكرة باسمها الذى نتداول استعماله اليوم أو باسم آخر أو كانت سلوكا واقعيا لم يتخذ له اسما معينا ، ماذا كان سلوك بوذا وكنفشيوس ... ثم ماذا كان سلوك ودعوة جميع الانبياء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم — ألم تكن كل هذه الأنماط من السلوك ، وكل تلك الدعوات تنطوى فى مضمونها على معنى الاشتراكية وفكرتها ، والأغراض التى تهدف اليها ثم ماهى الأغراض التى تهدف اليها الفكرة الاشتراكية ... أليست هى خدمة البشرية وتخليص البشر من ويلاتهم وآلامهم ، والترويح على نفوسهم الظمأى المتلظية بوهج الحرمان والتعاسة والسخط ... نعم . فلم تكن الاشتراكية إذن فى جوهرها وصميمها إلا خدمة إنسانية وما كانت تلك الأفواج من المرسلين والأنبياء والربانيين من سائر الأمم لا لتخدم غرضا إنسانيا أصيلا .

نستطيع ان نقول أن الفكرة الاشتراكية منطق إنسانى ، أى وضع من أوضاع التعايش ، تقتضيه فى مرتبة من مراتب الكمال طبيعة الوجود الإنسانى وأن هذا الوجود الإنسانى لا يبدو فى صورة ارتقائه وكماله ، وقدرته على تحقيق ذاته العليا — إلا فى وضع اشتراكى — لماذا ؟ لأن هذا الوضع الاشتراكى سيعطى الفرصة لجميع عناصر القوة والعمل فى هذا المجتمع أن تجود بكل طاقاتها ، وأن تستثير كل ملكاتها للخدمة الكلية والتساند المطلق على إنهاض للمجموع فى كل أركانه وفى كل تفاعلاته وفى كل صوره ، لماذا ؟ مرة ثانية .

لأن انعدام الاشتراكية فى صورتها التطبيقية المنفذة ، يفضى دائما — إلى طغيان

رأس المال ، وإلى احتكار الفرص الاقتصادية والعلمية ، بل الصحية ، ومجالات النفوذ والحركة للأقلية القليلة من أبناء كل أمة ، فيترتب على ذلك طوفان يمتد من قتل المواهب الإنسانية وتعطيل ملكات الإثمار والإنتاج فى مجالات العمل التقدمى ، والسعى الناقد لحركات الدفع الإنسانى ـ لدى الأكثريات الكاثرة من أبناء الشعوب ، وجماهير الأمم .

هناك فضائل تنسب إلى الأفراد مثل فضيلة الشجاعة ، والسخاء ، ويقولون إن الفضيلة حينئذ ما كانت وسطا بين رذيلتين . فالشجاعة وسط بين الجبن ، والتهور ، والسخاء وسط بين البخل والإسراف ، فإذا صحت هذه الفلسفة فإنى أرى أن هناك فضائل لا تنسب للأفراد ، بل تنسب للإنسانية عامة . للكيان الإنسانى نفسه ، وأظهر هذه الفضائل فيما أعتقد الاشتراكية . فالاشتراكية هى فضيلة الإنسانية ، وهى حد وسط بين الغنى المفرط والفقر المدقع .

ذلك أن الغنى المفرط يجر أصحابه إلى الطغيان ويغريهم بفعل القبائح وارتكاب المظالم ، قال تعالى « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ثم وصف الفقراء بمثل قوله : « مسكينا ذا متربة » ، أى إنسانا معدما قد لصق من شدة فقره بالتراب عجزاً وهوانا ، فإنه قيمة إنسانية من حيث الوجود والعمل ، أو أداء الرسالة لمثل هذا العاجز الملتصق بتراب الأرض مذلة وهوانا .

كلا ، ليس الإنسان هو ذلك الطاغى بماله ولا هو ذلك الملتصق بتراب الأرض عجزا وذلا . ولكنه الانسان المتوسط بينهما ـ هو الانسان الاشتراكى . قال تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » . والمراد بالوسط هنا الوسط فى الاعتقاد والاقتصاد .

وقد ينظر بعض الناس إلى موضوع الاشتراكيات فيتوهم أن الأمر فى تقريرها يرجع إلى أهمية المال فى حد ذاته ــ وهو نظر قاصر فإن حقيقة الأمر فى موضوع الاشتراكية ـ إنما هو القصد إلى تحقيق الكرامة الإنسانية .

لأن المال ــ وهو من أكبر عوامل الحركة والتأثير فى شئون الحياة ــ ترتبط به قيم كثيرة فى نظر الناس : قد يكون سببا لسلب الفقراء الحقوق الإنسانية المتعلقة بالكرامة والشرف وحرية الاعتقاد ، والعمل .

وفى المجال الاشتراكى والنظام الاشتراكى الذى لا ينحاز فيه المال لجانب واحد تتساوى قوى الأفراد ، أو تتقارب ، فلا يعلو أحد على أحد ، أو يعدو على كرامته ، أو يظلمه فى حق من حقوقه ، أو يمنعه حرية الرزق والتصرف . وهكذا تبدو الاشتراكية كرامة إنسانية أكثر منها حظا ماليا ، وخلقا ماديا .

محمد سعاد جلال

من بلاغة النبوة

عناصر التأثير في خطابة الرسول

للأستاذ محمد رجب البيومي

تقرأ قول الله عز وجل عن محمد صلى الله عليه وسلم « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » .

ثم تقرأ قوله تعالى فى سورة أخرى « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فتعرف من الآية الثانية تعليل الآية الأولى ، إذ أن الرسول لا يقول الشعر لأن أكثر قائليه لا يلتزمون الصدق الخالص بل يهيمون فى أودية الكلام كما تبيحه لهم طباعهم الناشزة . وأحرى بهم أن تكون أشعارهم صادقة الرأى ، صافية المنبع ، عادلة الميزان .

والخطابة ملكة كالشعر ، وصاحبها إنسان موهوب يجتمع له القوم ، فيفيض على عقولهم وقلوبهم بما ينقع الظمأ ، ويبرد الصدر ، ولن يبلغ مبلغ الخطيب المؤثر غير إنسان بعيد النظر ، رصين العبارة ، كثير التجربة ، صادق الإحساس ، وقد كان رسول الله خطيبا موهوبا دون نزاع ، ولو أردنا أن نرجع بتوفيقه الخطابى إلى علة واضحة ، فإننا نجدها فيما صرفه الله عنه من قول الشعر ، فهو فى بيانه الفكرى صادق مخلص ، يقدس الحقائق اليقينية ، ويحترم هاتف العقل فلا يميل إلى خلابة زائفة ، أو قعقعة مدوية ، بل يصل إلى الحق من طريق المنطق السديد ، ثم يقتصر عليه ، فلا يهيم فى كل واد مع الخيال المضلل ، والتناصح المغرور ، وإذ ذاك يصيب الهدف من نفس سامعه ، ويصرفه إلى التفكير الجدى فيما قال ، وأنت ترى فى بعض الآثار المتواترة ، أن الرسول كان يرحب بالشعر الجيد ، ويعجب به ، فيهتف بحسان « قل وروح القدس معك » ويتحدث عن القريض فيقول « إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة » وقد يظن بعض الناس شيئا من التعارض الموهوم بين الترحيب المدافع ، وما تقرر من أنه لم يتعلم الشعر وما ينبغى له ، والحق أن جميع ما استحسنه الرسول من أقوال الشعراء كحسان ولبيد وعنترة مما يتفق مع طريقته فى إيثار الصدق المخلص والتركيب السهل ، والإيجاز المحدد ، وهذه الثلاثة أوضح عناصر خطابته ، وأدنى لنفع السامع وتسديده وأدعى لتأمله الباحث من كل قصيد مطيل .

وإذا كانت الخطابة ملكة فطرية فى نفس

الخطيب ، فإن دواعيها الحتمية قد اكتملت لرسول الله مع إحساسه النافذ واستشفافه البعيد ، وإلهامه الصائب قد نشأ بين قوم لا يتباهون بغير الكلام ، وقد جعل الله أبوته فى بنى هاشم وخؤولته فى بنى زهرة ، ونشأته فى قريش مما يضئ بيانه ، ويشحذ عبقريته ، فنطق على الفصاحة المؤثرة ، والمنطق الجميل ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يتعمد الخطابة تعمدا ، ولم يسع إليها سعيا لتسلس إليه قيادها . بعد اعتمال ، وإنما جرت فى عروقه النابضة كما يجرى الماء فى فروع الدوحة المزهرة ، فإذا نطق فمن طبع أصيل ، وإذا خطب فمن رغبة واقتدار .

نقرأ فى تاريخ بعض الخطباء كديموستين مثلا ، أنه لم يكن فى مطلع حياته ذا بيان وإفصاح ، وإن رزق الرغبة الحارة فى التفوق الخطابى والإبداع البيانى ، فكان يسعى فى صباه وصدر من شبابه إلى البحار الواسعة الممتدة ثم يرسل لسانه بما يسعفه من القول منفردا بنفسه ، مختلطا صدى حديثه بدمدمة الريح وهدير الموج ، ثم يواظب على هذا المران الجاهد حتى تستجيب له الخطابة بعد تلكؤ ، وينطلق لسانه بعد حبسة ، ويصبح خطيبا مصقعا ، !! ائن صح ما رواه الناس عن ديموستين فإن بلاغته المكتسبة لا يمكن أن تقاس ببلاغة نبى موهوب ، فطر على الجودة والفصاحة ، فهو يرسل القول البليغ طبيعيا سمحا ، كما ترسل الزهرة العطر ، والقمر الضوء ، وهو بعد ذو أصالة تميزه فلا يختلط قوله بقول ، أو يشتبه اتجاهه باتجاه .

وسنلم هنا ببعض الإلمام بعناصر التأثير فى بيانه الخطابى الشريف ، وقد تحدث عنها مؤلفو الأدب والنقد حديث العارف البصير ، ولن يكون حديث اليوم تكرارا لما سبق من القول ولكننا نأمل أن نضيف بعض الجديد فى تفسير رأى ، أو تأييد حجة أو مناقشة افتراض .

قال الجاحظ عن بيان رسول الله (١) لم تسقط له حجة ، ولا زلت له قدم ، ولم يقم له خصم ، بل يبز الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ، وهذه الصفات الموهوبة لا تتيسر لكل خطيب يحدث الناس ، ولكنها ممكنة معقولة ممن يتحدث عن القضايا العادلة ، ومن يلزم جانب الحق فيما يقول ، فالشرط الجوهرى لنجاحها الكاسح ، أن يكون صاحبها صادقا بينه وبين نفسه ، قد فكر فى موضوعه تفكير المتعقل المتأمل ، ثم اعتقده عن يقين لا يقبل الشك ، حتى إذا سرى منه

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٦ .

مسرى الدم فى الجسم ، هتف به على الناس فأتى الخصم بما يعرف الخصم ونال بالإيجاز ما لا ينال المسهب المكثار ، واحتج بالصدق فطلب الفلج بالحق . فاذا رزق وراء ذلك فصاحة اللسان ، وثبات القلب . فقد أصبح مثاليا تتطلبه المنابر العالية فلا تكاد تعثر عليه فى غير النادر من القرون المتلاحقة ، ثم هى إذا رأته حرصت على تخليده وتمجيده وفرضت شخصيته على الأجيال . لقد تحدث المتحدثون عن شيشرون الخطيب الرومانى فذكروا أن سر نجاحه العبقرى تمسكه بالصدق فى مجالدة خصومه ، واعتقاده الصائب فيما يقول ، مع جراءة فى القلب ، وثقة بالنجاح ، فإذا كان شيشرون يبلغ الذروة الخطابية لأنه يعتقد الحق فى نصرة فريق على فريق بمجلس الشيوخ الرومانى : فما ظنك — وللرسول المثل الأعلى — بخطيب أرسله الله بالحق الصريح ليخرج الناس إلى النور من الظلمات ، وكان من الثبات والرسوخ بحيث قال لعمه : لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ؛ إن اعتقادا صادقا كهذا الاعتقاد يلزم صاحبه إلزاما أن يحتج بالصدق ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق كما قال الجاحظ عن قريب .

ولنا وقفة عند إيجاز الرسول حين يبز الخطب الطوال بالكلام القصير ، إذ أن الإيجاز العربى فى بلاغته المعجز وليد ذهن ثاقب يستعرض حشوداً من المعانى ، ليخلصهما فى عبارة محدودة ، تكون من جوامع الكلم ، وشوارد المثل ، فهى عصارة مُركزة لمادة دسمة تضم من أسباب القوة ما يتيح لها التغلب والنفاذ ، وهنا كان الأديب الموجز أعرق فى البلاغة من غيره ، لأن الثانى يدون خواطره كما تجئ ، أما الأول فيقف وراء هذه المعانى المنثالة يُطالع وجوهها ، ويتأمل منازعها ، ثم يأتى بفحواها الشامل فى جملة تصيب المحز ، وتطبق المفصل ، . . وأذكر أن بعض البلغاء من أساطين الأدب أرسل خطابا مسهبا فى بعض أموره ، ولم يفته أن يعتذر فى نهايته عن الإطناب كأثر ملحوظ إذ لا وقت لديه يتسع للإيجاز ، ولن يقدّر هذا الاعتذار الصادق غير من تمرس بأساليب البيان فعرف مضايق الإيجاز ومزالق الإعجاز ، وقد فطن أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات إلى روعة الإيجاز فى البلاغة العربية فقال متحدثا عن بيان محمد « والإيجاز وهو تأدية المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة غالب على أسلوب الرسول . لأن الإيجاز قوة فى التعبير ، وامتلاء فى اللفظ وشدة فى التماسك ، وهذه صفات تُلازم قوة العقل وقوة الروح ، وقوة الشعور ، وهذه القوى كلها على أكمل

ما تكون فى الرسول ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم فى خُطبه (١) » .

ونحن نعلم أن أصحاب الدعوات الجديدة فى حاجة ماسة إلى تكرار القول وترديده ، والخروج به من نطاق الدقة والإيجاز إلى مجال الإسهاب والتطويل ، لترسخ مبادئهم فى الأذهان ، وتصل تعاليمهم إلى القلوب ، فالإيجاز لديهم فى ظاهر الأمر لا يصل بهم إلى هدف منشود ! ! نعلم ذلك ولا نستغربه من قادة الرأى ، ورواد الإصلاح فى عصورنا الحديثة ، ولكنه بالنسبة إلى عصر النبوة ، فى قوم بلاغتهم الايجاز أمر غير مستغرب ، أضف إلى ذلك أن الأطناب مدعاة قريبة لاختلاف الفهم ، وافتراق الرأى ، فكلما تشقق الحديث وتشعب كثرت حوله الآراء ، وانفرجت زوايا النقاش ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حريص على أن تجتمع أمته على أمر واحد ، فهو يطالعها بالحكم الموجز ، ثم يعلن على الملأ أنه يكره الثرثرة والتفيهق ويقول فى بعض أحاديثه « إن أبغضكم إلىّ ، وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » .

وقد يقتضى الأمر لمناسبة عارضة أن يفيض فى القول فلا يتأخر ، ولذلك روى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله قد خطب ذات يوم بعد العصر فما زال يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حُمرة فوق أطراف السعف : ولسنا نجد من يخبرنا عن موضوع خطبته تلك ، لنعرف الدافع الذى حدا بمحمد إلى تجنب الإيجاز ؛ ومن يدرى لعل الله قد شاء له أن يُطيل ـ لا شعوريا ـ فى موقف كهذا ليعلم الحسدة من أعدائه أنه يملك أزمة البيان ، وأن إيثاره الإيجاز ترجيح شديد للجادة المثلى من طرق الحديث ، وإذا كان لكل مقام مقال فإن مقال الإيجاز يستدعى من الخبرة النفسية ، والثقافية الملهمة ذخيرة وافية ، فقد تحين المناسبة المرتقبة ، وتتفتح نوافذ القول من كل ناحية ، ويظن المستمعون أن مجال القول ذو سعة ، ثم يقف الخطيب فيوجز إيجازاً لامجال بعده لإطناب وتهويل ، ويترك النفوس ذاهلة لا تدرى كيف استطاعت الكلمة الواحدة أن تفعل ما لا يفعله حديث لليوم الطويل ، فتخلق جواً من التأمل والعبرة والحيرة ، يمتد أياما طويلة دون أن ينقطع فيضه أو يغيب صداه . ! هذا رسول الله يرجع إلى مكة يوم الفتح الأعظم ، فيقتحم عرينا يجمع أعداءه ، وذوى الحفيظة من مناوئيه ، وتخفق راية النصر على جيشه الظافر السباق وتتطلع العيون الكافرة دامعة مغيظة ، ترتقب أن يداهمها الجزاء الرادع دون إبطاء ،

---

[١] وحى الرسالة ج ٣ ص ٢٩ .

ويقف الخطيب القائد فلا يشك أحد فى أنه سيتعرض إلى تاريخه مع أعدائه متشفيا ثائراً وسيعد دما منّ الله عليه به من فوز سباق ، ثم يحيل بالتهديد والوعيد إلى قوم أخرجوه من وطنه ، وآذوه فى دعوته ، وناصبوه الحرب فى مغزيه ! يالله : كم ينظر السامع من محمد فى مثل هذا اليوم الأغر ! إنه ليقف والأبصار خاشعة والرقاب منحنية فيسأل فى هدوء الحليم : يا معشر قريش ، ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فيجيبون بألسنة المشفقين : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم ، فيفوه بخطبته الموجزة التى لا تخرج عن جملة قصيرة : إذهبوا فأنتم الطلقاء !! ما هذا السحر الرائع تنبعث به حروف معدودة فتترك النفوس ذاهلة مأخوذة ! كم يستشعر الطليق فى ذات نفسه ندم الخجل ، وفى وجهه عرق الخزى ، وفى حلقه مرارة الأسف ، وكم من الساعات والأيام سيظل مردداً صدى هذه الكلمة فى أعماقه ، واصفا عمق تأثيرها فى كيانه ، مستحييا أن تعود به الذكرى إلى عهد سلف ، وباطل أدبر . !! أرأيت الإيجاز يبلغ مبلغه من النفوس ، فيكون مثلا شروداً قصير الكلمات بجلجل الأصداء ، ولولا هذه الخبرة البصيرة بالأهواء ، وهذه المكاشفة النافذة لخلجات الحس ، وهمسات الضمير ما استطاع الإيجاز أن يفعل فعله على لسان الرسول ، ولم تأت هذه الخبرة النافذة ارتجالا فى موقف عابر ، ولكنها وليدة نفس فسيحة الجوانب متسعة الآماد ، قطعت أشواطا متناهية فى التحليل والتعليل ، والترجيح والتفسير حتى استقرت فى حياتها الهادية على فلسفة صادقة تؤمن بمكارم الأخلاق وترى الحلم سيد الفضائل فهى تأمر بالعفو ، وتعرض عن الجاهلين ، وفى اعتقادى أن فترات العزلة الساكنة التى تخللت حياة محمد كانت ذات أثر فى دراسته الصامتة ، وإحاطته الشاملة بالمطاوى الخافية والمهاوى السحيقة فى أعمق أغوار الوجود ، فجاءت خطابته تطبيقا واعيا لما اهتدى إليه من كشف نفسى دقيق ! هذا الكشف الباهر الذى تجلى ساطعا فى خطابه الأول حين أراد أن يجهر بدعوة الله ! إنه لم يعد خطبة منمقة الأسجاع كأرباب الكهانات ، ولكنه يجعل الإيجاز الدقيق مطية الإقناع العاقل ، فيقف على الصفا . ويجمع الملأ من قريش ، ثم يفاجئهم بهذا السؤال فى هدوء : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ فتتصايح الشفاه : نعم ماجربنا عليك كذبا !؟ فيطمئن السائل إلى هذا الاعتراف الصريح والشهادة المنصفة ، ويلجأ إلى المنطق المستقيم بعيداً عن الثرثرة والتشدق فيقول : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس

جميعا ما كذبتكم ، ولو غششت الناس جميعا ما غششتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها الجنة أبدا أو النار أبدا ، دعوة جديدة تزلزل عقيدة ثابته ، يفاجأ بها القوم فيلبدون فى أماكنهم ذاهلين ، لقد اعترفوا مجمعين أنهم ما جربوا على الرجل كذبا ، وهم يعلمون أن الرائد لا يكذب أهله ، ثم لا يملكون فى سطوة هذا البيان الحاسم أن يدفعوه ، فيكون قصارى قائلهم أن يقول : ألهذا جمعتنا !! ويتفرقون تائهين ليجتمع رأى إلى رأى ، وليقوى خصم بخصم ، وقد حفظوا كل ما قاله محمد ، وجعلوه محور نقاش وحوار ؛ ليت شعرى ماذا صنع الإيجاز الدقيق فى مثل هذا الموقف الخطير ؟ إنه الإعجاز ، وكفى .

وقد تعود الكتاب أن يستشهدوا لتربية الرسول الأدبية ، بقوله : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، وهذا حق لا مرية فيه ، فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولكننا لا ننكر مع ذلك أثر المعاصرة الراهنة ، فى خلق الخطيب وتكوين شخصيته الفكرية ، وقد كان الرسول فى صباه الأول وشبابه الباكر يتردد على سوق عكاظ ، ويستمع إلى مصاقع القول ، ومقاول الجدل ، فيرى فنونا من الخطابة الأدبية تجلى فى معارض زاهية من الأسلوب وترن فى مرتفع سامق من المكان ، غير أنه ذكر من هؤلاء قس بن ساعدة فروى خطبته ووصف موقفه فوق ناقته ، وأثنى عليه حين قال . أنه يبعث أمة وحده ! ولا أريد بذلك أن أشير إلى تلمذة أو أستاذية فكثيرا مايفوق التلميذ جميع أساتيذه ، ولا يمنع هذا أن يقول قائل إنه تأثر بهم فى مطلع حياته البيانية ، وإنما أشير إشارة طائرة إلى أن الخطبة التى رواها محمد صلى الله عليه وسلم عن قس تحمل بعض الخصائص الفنية لخطابة الرسول ، وإن قول قس فيها « ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ؟ يذكرنا بقول محمد « كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى نشيعه من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل من تراثهم ، كأننا مخلدون بعدهم ! ومع التسليم الصريح بأن الحديث عن الموت من المعانى المشتركة لدى جميع الناس فى الشرق والغرب ، إلا أن المنهج الخطابى فى الإيجاز والصدق والإخلاص للفكرة ومشافهة العواطف يتضح فى كلا الموقفين ، ولن نذهب مذهب من ينكر خطبة قس مع تواترها المتتابع ،

وذيوعها طائر ، وإلا لاستطعنا أن نتنكر في سهولة مضحكة جميع الجاهليين ! ! إن قساً بشهادة محمد قد استرعى انتباهه ولو حفظت لنا بعض خطبه الكثيرة لاستطعنا أن نحدد مكانه الخطابي على وجه مريح ، وكأن القدر قد كافأه بوسام لامع حين سجل الرسول كلامه ويالك من مجد ! ! .

وهناك عنصر هام من عناصر الخطابة النبوية يكاد يبلغ وحده من التأثير ما تبلغه كل الخصائص مجتمعه ، لأنه ينبىء عن معدن قائله ، وأعنى به عنصر الشجاعة الأدبية لدى المتكلم ، فالخطيب إذا كان شجاع الرأى يزأر فى وجه العاصفة ، بعزيمة لا تعرف النكوص فإن المعجبين به يتزايدون حتى ليكون منهم بعض خصومه ، وإذا كان هؤلاء يستشعرون الغيظ لجرأته فإنهم فى قرارات نفوسهم يسمعون أصوات الضمائر صارخة بالإعجاب والدهشة ، هؤلاء هم المعارضون ، فما ظنك بالمؤيدين الذين يجدون فى حديث الخطيب ترجمة عن مشاعر مكظومة ، وتعبيرا عن أحاسيس مكبوتة ، ومهما كانت عبارة الخطيب الشجاع سهلة قريبة فإن هدفها الأسمى يغنى عن كل صورة خالبة ، ولم يعرف تاريخ النبوات رسولا حمل أمانة اللسان كما حملها محمد بن عبد الله ، لأن بيئته العربية قد جمعت قوماً لدا يرمون بالخطب الطوال ويتقذفون بالحجج السوائر ، فإذا صيح فى وجوههم بما يسفه أحلامهم ، فتلك هى الشجاعة دون مراء ، ولدينا ضرب من الشجاعة الأدبية يفوق مجابهة الباطل ومدافعة الطغيان ، ذلك هو الاعتراف الصريح بحقوق المعارضين ومواجهة مطالبهم ، بما يحفظ الحيدة والإنصاف والخطيب فى مثل هذا الموقف يحتاج إلى رصيد ضخم من كرم النحيزة وعراقة الضمير ، ومتانة الخلق ، إنى لأعرف لمحمد مواقف رائعة أنصف فيها معارضيه من نفسه فى شجاعة مخلصة ، فزاده الإقرار بالحق رفعة وإجلالا ، لقد غضب بعض الأنصار عقب غزوة حنين إذ نال المهاجرون من سبي المعركة أكثر مما نالوه ، وهم ذادة الدعوة وحماة الإسلام ، ومضى حديثهم إلى محمد فبادر بالنهوض إليهم ، وواجه الموقف فى نزاهة العادل وإنصاف الأمين ، فعرف لهم حقهم كما عرف لنفسه حقها ، وكان فى مكنته - لو تخلى عن شجاعته المنصفه - أن يتحدث عن نفسه وحدها ، فيفيض فيما نشره الإسلام على المدينة من أمن وسيادة ، ولكنه نظر إلى نفوسهم فعرف خوالجها المقنَّعة ولمس نبضات الأفئدة وهمسات النوازع فعرف صدقها الصريح ، وصور ذلك حين قال : يا معشر الأنصار ، ما قالة قد بلغتنى عنكم ، وموجدة وجدتموها

(البقية على صفحة ١٠٩٢)

مع البحترى فى ذكراه

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

كان جميلا من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب أن يدعو الأدباء والشعراء إلى الاحتفال بذكرى البحترى ، وقد مر على مولده أكثر من ألف عام ، على سنته الكريمة وسنته القويم فى الاحتفال بالعباقرة الخالدين من الأدباء والفنانين . وشاعرنا البحترى بين هؤلاء العباقرة من أجدرهم بالاحتفال ، ومن أحقهم بالتكريم ، فقد كان خلد الله ذكراه . وطيب ثراه — وتراً من أرق الأوتار فى قيثارة الشعر ، أخرج لنا أعذب الأنغام ، وأسمعنا أروع الإنشاد .

وكان أول المتحدثين فى هذا الاحتفال أمير البيان أستاذنا الزيات ، فكان ذلك حسن ابتداء ، وبراعة مطلع . وكنت أود أن يتحدث الزيات ، وهو الناثر الذى رنم بالكلمة أجمل ترنيم ، عن شعر البحترى ، وهو الشاعر الذى غنى بها أعذب غناء ، وأنا أجزم بأن الزيات لو لم يكن ناثراً من طراز ... الزيات ، لكان شاعراً على مثال البحترى ، لولا أن كاتبنا لا يضحى أبداً بالمعنى فى سبيل اللفظ . ولا يغير الصورة من أجل العبارة ، ولكنه يحسن تأتيه ، ولطف تأتيه ، يعرف كيف يهىء للمعنى الجميل أجمل الأزياء ، فيبدو فيه كما تبدو الحسناء فى ثوب الزفاف الذى يجمل الشكل ولا يغير الذات .

ولكن المجلس الأعلى أراد أن يكون حديث الزيات عن شخصية البحترى فكان له ما أراد . وفى هـذا المجال استطاع أديبنا أن يرينا شخصية البحترى من الداخل ، بعد أن سلط عليها الأضواء ، فبدت أمامنا صورة مجسمة واضحة الألوان . موحية الظلال ...

وقد استعان على هذا الغرض بكشافين كبيرين أحدهما حب المال ، والآخر حب الجمال ، وبالكشاف الأول أوضح لنا سر ما استفاض عن البحترى من أخبار التدنى والشح ، ووسائل التقلب والاحتيال .

كما أبان لنا بالكشاف الآخر سر هيامه بالطبيعة الضاحكة ، والقصور الرائعة ، وسر اهتمامه بالكلمة المفردة ، والعبارة الراقصة ، والموسيقا الجميلة . والذين يعرفون النفوس بالملاحظة والتجربة ، يدركون أن النفس البشرية قد يمتزج فيها الماء بالنار ، وتختلط

فيها الظلمة بالنور ، ولهذا فقد كان الزيات موفقا كل التوفيق ، دقيقا غاية الدقة حين لاحظ أن العناصر المادية كحب المال والعناصر المعنوية كحب الجمال تتقارب وتتضارب وتتفاعل فى نفوس البشر ، فلا يكون هناك حس محض ، ولا معنى خالص . وهذا يفسر الأناقة التى طبع عليها البحترى فى اختيار ألفاظه وتنسيق كلماته ، والفوضى التى عرفت عنه فيما يمس الهندام والأثاث ، ونزوع البحترى إلى إهمال ملبسه وأثاث بيته ، دليل قوى على أن حب المال كان أقوى فى نفسه من حب الجمال ، وفى رأينا أن ذلك الحب هو الذى دعاه - إلى جانب غيره من الدواعى - إلى ما اشتهر عنه من العناية الفائقة بشعره ليسترد من الضياع ، ويستكثر من الأموال ، دون مبالاة بكرم الوسيلة وشرف الأداة حتى أجاز لنفسه أن يمدح بالقصيدة الواحدة أكثر من واحد ، وأن يتوسل بشعره إلى إعفاء ضياعه من الخراج ! وقد قال الصولى إنه نقل نحوا من عشرين قصيدة من مدائحه ، عمن قيلت فيهم إلى غيرهم بعد أن غير الأسماء وبدل المعالم . ولو كان فى رأى البحترى أن حسن الهندام يجلب المال ، لرأيناه رائد المتأنقين فى هذا المجال .

وقد كان هيام البحترى بالطبيعة أثرا من آثار حبه للجمال ، ونحن نرى أن شعر الطبيعة عند البحترى لا ينقصه جمال الوصف ، ولا تعوزه روعة الأداء ، ولكن الذى ينقصه هو الامتزاج بها ، والفناء فيها ... ولنقرأ أبياته المشهورة فى وصف الربيع :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما

يفتقها برد الندى ، فكأنه
يبث حديثا كان قبل مكتما

فمن شجر رد الربيع رداءه
عليه كما نشرت وشيا منمنما

أحل فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين إذ كان محرما

فنجد فى هذه الأبيات أن البحترى « يحس » الربيع ، ولكنه لا « يشعر » به ، لماذا ؟ لأنه رآه من الخارج ، دون أن يتغلغل فى أعماقه ، ولأنه حين رآه لم يره بأعين نفسه ، وإنما رآه بعينى رأسه ... فالرؤية النفسية هى ما كان ينقص البحترى حين يقف أمام الطبيعة ، وهذه الرؤية لم تتحقق لشاعر من شعراء العرب على مثالها الذى يقرب من الكمال إلا للمتنبى وابن الرومى ، على اختلاف موضوع الرؤية عند الشاعرين العظيمين .

ونحن نجد فى البيت الأخير أن حرص البحترى على المقابلة بين الألفاظ قد أفسد

عليه معناه ؛ لأن الشجر حين يتجرد مما يزينه من الأوراق والأزهار والثمار قد يؤذى بمنظره ، ولكن المحرم الذى تجرد من بهرج الحياة ، وتحلى بطاعة الله ، لن يؤذى بمنظره إلا الذين لا يهتمون برؤية النفوس واستجلاء الأرواح ، ولو أن البحترى استعان هنا بالرؤية النفسية لرأى الفارق الواضح بين تجرد الشجر من طبيعته ومعناه ، وتجرد المحرم من بهرج المال ، وحلية الجاه .

وكما كان هيام البحترى بالطبيعة أثرا من آثار حبه للجمال ، فقد كان كلفه بالمرأة أثرا من آثار هذا الحب أيضا ، وقد أوضح أستاذنا أن البحترى قد أحب المرأة بحسه لا بنفسه ، وتغزل فيها بلسانه لا بقلبه ، كما سجلت ذلك أيضا الأديبة الباحثة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فى بحثها القيم عن المرأة والغزل فى شعر البحترى .

وهكذا بهذا الكشافين : حب المال ، وحب الجمال استطعنا أن نرى شخصية البحترى فى وضوح وجلاء ، وأن نرد كل ما صدر عن هذه الشخصية إلى مصدره الأصيل ، ومبعثه الحق .

ثم يأبى تواضع أستاذنا إلا أن يجعله يقول فى ختام بحثه البليغ القيم إن الصورة التى رسمها للبحترى ليست صورة تقريبية لشخصية هذا الشاعر العظيم !

ولكنى لا أحب أن أترك هذا البحث دون أن أذكر أن الأستاذ الزيات قد ترفق بالشاعر أكثر مما ينبغى حين التمس له العذر فى انحراف شخصيته عن سواء السبيل ، وشرف الغاية ، فوجده كامنا فى أحوال المجتمع ، وأخلاق العصر . والذى أراه أن سوء المجتمع قد يبرر أعمال العامة ، أما العباقرة والأفذاذ فرسالتهم أن يغيروا المجتمع وواجبهم أن يحولوا التاريخ ؛ لأنهم يدركون رسالة الكلمة ، ويعرفون واجب القلم .

ثم ننتقل إلى بحث آخر من الأبحاث التى كتبت عن البحترى فى ذكراه ، فنتحدث عن البحث الذى كتبه الدكتور جودت الركابى ، وجعل عنوانه : « ديباجة البحترى » .

فى هذا البحث يذكر الدكتور أن أهم ما يميز أسلوب البحترى العناية بإشراق اللفظ ووضوح المعنى ، وتجنب الأسلوب المنطقى . والابتعاد عن الغريب والتعقيد ، وإطلاق العنان للخيال ، والاعتماد على روعة النغم ، وسحر الموسيقى ، ثم يذكر أن هذا الأسلوب هو السمة الغالبة على شعراء الشام ؛ لأن بادية الشام كانت ترفدهم بالفصاحة من جانب ولأن الطبيعة كانت تغذى عواطفهم ، وتثير خيالهم من جانب آخر ، ثم يتحدث عن أستاذية أبى تمام للبحترى ، ويبين أنه على الرغم من هذه الأستاذية ، فقد اختلف أسلوب البحترى

عن أسلوب أستاذه أبى تمام اختلافا ليس باليسير على أى حال.

ولكن ما الذى جعل ديباجة البحترى تخالف ديباجة أستاذه أبى تمام؟

ذلك ما لم يتحدث عنه الدكتور جودت الركابى ... وفى رأينا أن هذا الاختلاف بين الشاعرين العظيمين، يعود إلى جملة أسباب من بينها الفطرة والوراثة، فقد ذكر معاصرو البحترى أن وجهه كان مسنونا ذنوبا. وهذا هو السمت الغالب على رجال الفن ممن يعكسون على فنهم جمال الطبيعة، ورقة العاطفة ورهافة الحس. وروعة الخيال، وفى يقيننا أن البحترى لو لم يكن شاعرا لكان رساما يصور مشاهد الطبيعة بالألوان والظلال، أو موسيقيا يعبر عن مشاعره الطليقة بالأنغام والألحان.

والذى يقرأ البحترى يرى أن الموسيقا هى الميزة الأساسية فى شعره، وهى مصدر ما نراه فى هذا الشعر من التأنق المفرط فى اختيار الألفاظ، وتنسيق الكلمات، بحيث يجلب جمال الجرس، وروعة النغم، ومن الكلف الشديد بألوان من البديع يتحقق بها ذلك الجمال وتلك الروعة. كالتقسيم والمقابلة وذلك يبدو جليا فى هذه الأبيات:

لى حبيب قد لج فى الهجر جدا
وأعاد الصدود منه وأبدا

يتأبى منعا، وينعم إسعا
فا، ويدنو وصلا، ويبعد صدا

اغتدى راضيا، وقد بت غضبا
ن، وأمسى مولى، وأصبح عبدا

وبنفسى أفدى على كل حال
شادنا لو يمس بالحسن أعدى

مر بى خاليا فأطمع فى الوصـ
ـل، وعرضت بالسلام فردا

وثنى خده إلى على خو
ف، فقبلت جلنارا ووردا

سيدى أنت، ما تعرضت ظلما
فأجازى به، ولا خنت عهدا

رق لى من مدامع ليس ترقا
وارث لى من جوانح ليس تهدا

وليس من شك فى أن هذا الغزل يخلو من صدق الشعور، وحرارة العاطفة، وليس من شك أيضا فى أن هذا الشعر قد بلغ الغاية فى جمال الصياغة، وروعة النغم.

والبيئة من الأسباب التى جعلت البحترى يخالف أستاذه فى أسلوب الشعر، فقد عاش حياته الأولى فى منبج وهى بلدة وصفت بأنها عذبة الماء، طيبة الهواء، قليلة الأدواء والذى ينشأ فى هذه البيئة حرى بأن يكون رقيق الحس، معتدل المزاج، وخاصة إذا كان من ناحية الفطرة والوراثة صاحب مزاج فنى كصاحبنا البحترى.

وسبب آخر يضاف إلى ما قدمناه من أسباب ، وهو أن البحترى بفطرته ووراثته وطبيعة مزاجه صدف عن تعمق ما شاع فى عصره من المعارف والثقافات ، وخاصة العلوم والفلسفات ، فاتسع المجال أمامه للعناية بصقل اللفظ ، وتنسيق العبارة ، على حين شغل أبو تمام ومن جرى مجراه من ذوى الثقافة المنوعة بما يبين سعة اطلاعهم وعمق ثقافتهم وإذا كان أبو تمام قد عنى فى شعره بالبديع كما عنى البحترى ، فلم تكن هذه العناية صادرة عن إحساس فنى بجدواه ، وإنما كانت وسيلة من وسائل الافتنان فى التعبير ، ومنافسة منه لغيره من الشعراء فى عصر كان للبديع فيه شأن ملحوظ ، ومقام معلوم . أما البحترى فالبديع فى شعره قد صدر صدورا تلقائياً عن نفسه التى كانت تحب النغم ، وتعشق الكلمة .

وفى رأى الكاتب الباحث أن البحترى يفوق المتنبى فى عصر الصياغة حين يقارن به وهذا رأى يحتاج إلى مناقشة طويلة وسوف نناقشه فى مقال خاص نتحدث فيه عن الصياغة فى شعر البحترى والمتنبى .

و « الوصف عند البحترى » كان موضوع بحث الأستاذ أحمد الجندى .

وقد بدأ الأستاذ بحثه بتحديد معنى الوصف فقال إنه نظرة واعية فاهمة تنقل للرائى صورة ما يراه ، أو توحى إليه بفكرة عما رأى ، ثم بين ان النظرة واحدة عند الناس من الناحية المادية ، ولكن نظرة الفنان فيها شئ يضاف إلى النظرة العادية ، وهذا الشئ هو الذى يميز الفنان من غيره ، فتصبح نظرته ذات معنى خاص لا يشاركه فيه الرجل العادى ولو أردنا نحن أن نفرق بين نظرة الفنان ونظرة غيره من سائر الناس لقلنا إن الإنسان العادى لا يلمس بنظرته جوهر ما يراه فى كثير من الأحيان ، على حين ينفذ الفنان ببصيرته إلى طبيعة ما يراه على اختلاف فى درجة النفاذ بين فنان وفنان .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يمكننا أن نقول إن الإنسان العادى لا يحس ما يراه أو يشعر به كما يفعل الفنان ، ومن ثم لا يستطيع أن يعبر عنه تعبيرا يوقظ النفس ، ويثير الحس ، ويلهم البصيرة ، بينما الفنان لا يجد بدا من هذا التعبير حين تمتلىء نفسه بما يراه كالكأس لا نستطيع إلا أن تفيض حين تمتلىء بالسائل الذى تحتويه .

ثم يتحدث الكاتب بعد ذلك عن موقف الشعراء مما يرون من الأشياء ، فيذكر أنهم فريقان : فريق ينظر إلى ما يراه فتحفظ عينه صورته حفظا لا سهو فيه ولا خطأ ، فإذا انتقلت هذه الصورة إلى النفس الشاعرة جرى قلم الشاعر برسمها لتخرج كالأصل وقد تحركت

فيها الروح ، ودبت فيها الحياة ، وهؤلاء هم الشعراء المصورون ، وعلى رأسهم ابن الرومى وفريق آخر لا يهتم بنقل المرئيات كما هى فى الخارج ، وإنما يعنى بنقل انطباعها فى حسه وتأثيرها فى نفسه ، ومن هؤلاء الشعراء ، بل من أعظمهم شاعرنا البحترى !

وهذا كلام يحتاج إلى تصحيح ؛ فإن البحترى ينطبق عليه فى مجال الوصف ما ينطبق على أكثر شعراء الوصف فى الأدب العربى وهو أن هؤلاء الشعراء لم يعنوا بوصف تأثير الأشياء فى انفسهم كما عنوا بوصف ظواهر هذه الأشياء ، وأنهم حين نظروا إلى ما يرونه لم تكن نظرتهم نظرة كلية تستوعب المنظور وتحيط به ، وإنما كانت نظرة جزئية تتبع أجزاء الشىء فى غير ترتيب حينا ، ودون استقصاء حينا آخر ولهذا جاء المنظور فى شعرهم « أجزاء » مرتبة أو غير مرتبة ، ولم يكن « كلا » متصلا ، ووحدة متناسقة . ومن البدهى أنه فى مجال الوصف والتصوير لا يكفى أن تلم بكل الأجزاء والتفاصيل ، بل لا بد أن نصور العلاقة الكامنة بين الأجزاء بحيث يدرك القارىء أن جزءاً منها لا ينفصل عما عداه ، دون أن ينقص تأثيره ، وتقل جدواه . وأبيات البحترى فى وصف الربيع وفى وصف بركة المتوكل تعد مثالا يمكن أن يوضح ما قلناه .

وقد أراد الكاتب أن يؤيد ما قاله عن منهج البحترى فى وصف الأشياء ، فجاء بأبيات من شعر الغزل ، وزعم أنها من الشعر الوصفى الذى يدل على أن البحترى لا يصف الأشياء وإنما يصف ما تثيره فى حسه ، وما توحيه إلى نفسه ! . . يقول البحترى :

ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا
مقصرا من صبابة أو مطيلا
قف مشوقا ، أو مسعدا ، أو حزينا
أو معينا ، أو عاذرا ، أو عذولا
وخلاف الجميل قولك للذا
كر عهد الأحباب : صبرا جميلا

فيقول الكاتب تعقيبا على هذه الأبيات : إنه لا يقف عند وادى الأراك ليصف لك ما فيه من معالم وخطوط ، بل يقف ليذكر نفسه وما فيها من لواعج وآثار تركها هذا المنظر الأخاذ ! !

وأظن أنه من اليسير جداً أن نلحظ أن البحترى لا يصف هنا ، وإنما يبدأ قصيدته بالغزل على طريقة شعراء العرب ، وكما فعل هو فى قصائد كثيرة من شعره . وهل يحسب الكاتب أن البحترى قد وقف حقا عند وادى الأراك ؟ وماذا فى وادى الأراك مما يثير حاسة الوصف عند البحترى لو وقف عنده ؟ أتراه يصف بعر الآرام فى عرصاته وقيعانه ، ذاك الذى « كأنه حب

فلفل» كما فعل صاحبه امرؤ القيس حين وقف على «سقط اللوى بين الدخول فحومل»؟

وبينما نرى الكاتب يذكر أن البحترى لا يصور المنظور، وإنما يعبر عن أثره فى نفسه، إذ بنا نراه يقول إنه لا يعجبه من صينيته غير هذين البيتين:

يغتلى فيهم ارتيابىَ حتى
تتقـــراهمُ يـداى بلمس

والمنايا موائل، وأنو شر
وان يزجى الجيوش تحت الدرفس

فهل كان البحترى فى هذه القصيدة من شعراء الوصف المصورين، أم كان من شعرائه التأثيريين؟ وهل يعد من باب «النقل الحرفى» لما فى الصورة قول البحترى فى قصيدته هذه.

وكأن الإيوان من عجب الصنـ
ـعة جوب فى جنب أرعن جلس

يتظنى من الكآبة أن يبـ
ـدو لعينى مصبح أو ممسِّ

مزعجا بالفراق عن أنس إلف
عز، أو مرهقا بتطليق عرس

عكست حظه الليالى، فبات المشـ
ـترى فيه وهو كوكب نحس

الحق أن هذا هو التصوير الفنى الذى نفتقده فى كثير من شعر الوصف عند البحترى وعند غيره من الشعراء الأقدمين، وهذه هى الرؤية النفسية التى تضيف إلى المنظور من شعور النفس، وتأثر القلب، ما يملؤه حركة وحياة.

ثم يورد الكاتب بعض أبيات البحترى فى وصف بركة المتوكل، ويذكر أن الوصف فى هذه الأبيات كان وصفا لشعور الشاعر، وخلجات نفسه، وإحساس قلبه ... وهذه هى الأبيات:

تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها

كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى فى مجاريها

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا
مثل الجواشن مصقولا حواشيها

فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها
وريق الغيث أحيانا يباكيها

إذا النجوم تراءت فى جوانبها
ليلا حسبت سماء ركبت فيها

فهل فى هذه الأبيات من وصف الشعور، بقدر ما فيها من تسجيل ظواهر المنظور؟ إن الذى ينقصها إنما هو النظرة الكلية إلى الموصوف، والشعور الذى يشمل جوانبه، وينفذ إلى أعماقه.

ولو أردنا أن نتوسع فى نقد هذه الأبيات لقلنا إن تشبيه الماء بالفضة تشبيه لم يصدر عن رؤية نفسية، وإنما صدر عن رؤية

مادية ، ولهذا لم ير الشاعر برؤيته المادية غير ما يشترك فيه الماء والفضة من اللون والقوام ، فقرن بينهما فى شعره ، ولو أنه رأى كلا منهما رؤية نفسية ذات حساسية وتعمق ، لأدرك أن الماء فى جوهره ووظيفته أغلى من أن يقوم بكنوز الأرض جمعاء . .

ثم ما هذه الصورة التقليدية التى يقترن فيها الماء المتموج بالجواشن المصقولة ؟ إن الماء المتموج يمثل الحركة والحياة ، فهل تمثل الجواشن تلك الحركة ، وهذه الحياة ؟

والذى أراه بعد ذلك أن الأستاذ الجندى فى حاجة إلى أن يراجع بحثه ، وأنه إذا شاء أن يأتى فيه بجديد ، فعليه أن يكتبه من جديد .

وفى مقال آخر سوف نتناول بقية الأبحاث بالتعقيب لنصحح ما يحتاج إلى التصحيح فى نقد البحترى خاصة ، ولنصلح ما يحتاج إلى الإصلاح فى موازين النقد عامة .

ابراهيم محمد نجا

(بقية المنشور على صفحة ١٠٨٤)

فى أنفسكم ، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ، قالوا بلى . لله ورسوله المن والفضل فقال ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ، قالوا ، وبماذا نجيبك يا رسول الله . قال ، أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وتصدقتم . أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك ، وجدتم فى أنفسكم يامعشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يرجع الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فوالذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت أمرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا ، وسلك الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، » .

هذه الكلمات المنصفة قد نزلت على القلوب نزول الغيث الدافق على المحل الظامى . فأخصبت الجديب وأنعشت الذاوى بل إن تيارها الحنون قد دفع بالدمع إلى العيون ففاضت المحاجر ندما واستسلاما !! ولا أجد أروع ولا أبدع من براعة المقابلة المذهلة بين رجوع المهاجرين بالشاة والبعير ، ورجوع الأنصار برسول الله !! وهى إحدى وثبات العبقرية ، وكم لها فى أدب النبوة من أمثال .

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

رمضان بين الأمس واليوم

للدكتور محمد غلاب

كان رمضان فى ربيع الدعوة الإسلامية الباهرة — بما فيه من صوم حقيق وعبادة مخلصة ، وصفاء تام — عملاقا نورانيا هائلا يتحدى أرواح الشر وشياطين الإثم ، ولا يزال يدعوهم إلى المنازلة حتى يشتبك معهم فى حرب طاحنة يقضى عليهم فيها قضاءه الأخير ، فلا يحل بالأمة الإسلامية شهر شوال حتى يكون جيش الآثام والسيئات قد انهزم هزيمة منكرة لا يسترد منها قوته إلا بعد لأى وعناء شديدين ولا يكاد يستخدم هذه القوة الشريرة التى استردها حتى يباغته رمضان من جديد فيعيده إلى هزيمته الأولى أو إلى ما هو أشد منها نكرا ونكالا .

ولم يكن رمضان يقتصر على ذلك الموقف السلبى بما اشتمل عليه من ألوان الكفاح المعنوى وعدده الروحية ، وإعداد المؤمنين للانتصار على جيوش الإثم والفساد وتمزيق كتائبها شر ممزق ، وإنما يقوم بدور إيجابى فعال ، وهو أنه يقدم — بصفائه ونقائه — أعظم مأوى للقلوب الطاهرة ، وأقوى ملجأ للعقول المتأملة فى ملكوت السماوات والأرض وما بينهما من آيات بينات ، وعبر نيرات . ولا ريب أن هذه التأملات دائما تنتهى بأولئك المؤمنين إلى نتيجة واحدة لا تختلف ولا تتخلف وهى اليقين بأن وجدان العالم الإسلامى يعتمد على الدين وبأن الإيمان المستنير النقى الخالص هو الذى يكيف هذا الوجدان ويكون له بمثابة المنبع الذى تنبجس منه درجات سموه وسيره نحو الكمال .

هذا هو هدف الدعوة العظمى التى أشرقت على حنادس العالم فأحالته نورا وبهاء ، وفاضت على كل ما كان يكتنفه من ضلال وشك فصيرته هدى ويقينا وانبثقت فى وسط الهمجية المطبقة فجعلتها نظاما وانسجاما .

هذا هو الذى كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأماجد رضوان الله عليهم أيام أن كان عشرة من المؤمنين يغلبون مائة من الأعداء الأقوياء ، وعشرون يغلبون مائتين ، لا لشئ سوى أن عقيدتهم كانت أرسخ من الطود ، وإيمانهم أنقى من الثلج ، وأنهم انصرفوا تماما عن الاعتماد على أهل الأرض واتجهوا بكل كينونتهم نحو الواحد الأحد الذى يملك وحده دون غيره أن يعز من يشاء ويذل من يشاء .

كان هذا أيام أن فهم المسلمون دينهم حق الفهم وترفعوا بالتشريع الإلهى الحكيم عن

أن يفترض الصيام ليمنع الناس من تناول الطعام والشراب ردحا من الزمن ينتهي كل يوم بغروب الشمس ، فيعود بهم إلى إباحة ما حرمه عليهم منذ ساعات ، أو أن يفرض الصلاة ليكره الناس على إتيان حركات رياضية معينة لا روح فيها ولا حياة ، وليس وراءها هدف سام ولا غاية نبيلة . ولقد ترفع المسلمون الأولون عن هذا السخف في الفهم وسموا بدينهم عن هذه الدركة التي لا يقرها العقل المستقيم ، ولا يستسيغها الذوق السليم ، فاستوحوا كتابهم ، واستلهموا سنة نبيهم فألفوا لديهما حكمة هذين الركنين من أركان الإسلام واضحة جلية وهي أن الصلاة إنما شرعت لتحرج الآثم وتجلله بالخجل كلما وقف بين يدى ربه ملوثا بالرذائل والسيئات ، فلا يسعه إلا العدول عنها ذهابا بنفسه عن مواطن العار الذي يلحقه خمس مرات في اليوم والليلة ، وإلا هوى في حضيض السخط الإلهي لصفاقته وفقدانه معنى الحياء الإنساني ، واستخفافه بتكرار مواجهة ذى القوة والجبروت متلبسا بالإثم ، متشبثا به ، مصرا عليه ، فينطبق عليه قول النبي الجليل : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » . وإنما أيقنوا أن الله قد شرع الصوم لحكم خلقية واجتماعية شتى . منها أن يشعر الصائم بأن هناك سلطانا قويا يمنعه من لذائذه فيمتنع عنها حتى في الخفاء فيحول ذلك الشعور بينه وبين الطغيان النفسي البغيض الذي هو أولى دركات الغرور المهلك .

فحدثني بربك أيها القارئ . أمتحققة الآن من صيام المسلمين تلك الأهداف العالية التي قصد إليها الشارع والتي كانت متحققة في صدر الإسلام بقضها وقضيضها ؟ .

فهل يعتبر الآن صائما ذلك الذي يمتنع عن الطعام والشراب ثم يوغل في الكذب والخيانة والغدر والدس والملق والرياء والغيبة والنميمة والغمز واللمز ، وتتضاعف عنده شدة الغضب في رمضان ، وتتعدد لديه أحداث التهور إلى حد لا عهد للناس به في غيره من الشهور كأن رمضان شهر شر وغضب وحمق وجهل ، لا شهر حلم وتسامح وسماحة وصفح وصفاء للنفس ، وتهذيب للخلق كما قصد منه المشرع الحكيم .

وهل يعتبر من الصائمين هؤلاء الرؤساء الذين يحابون ويجورون ، وأولئك الأثرياء وأصحاب الأعمال الذين يأكلون حقوق العمال بعد أن يستوفوا أعمالهم ويستنفدوا قواهم ؟ وهؤلاء العمال الذين يتقاضون أجورهم ويلحفون في الزيد منها دون أن يؤدوا الأعمال بإتقان وإخلاص .

على أن الذي زاد الخطب فداحة والجو ظلاما أن أذناب الاستعمار وسماسرته الذين

كان سادتهم من المحتلين فى ذلك العهد المشئوم يعدون لهم ميزانية خاصة ينفقونها فى إفساد عقائد الشباب وتربيتهم وعقولهم قد نجحوا فى النصف الأول من القرن العشرين فى أن ينقشوا فى أذهان أنصاف المثقفين من المواطنين أن أداء الفروض الدينية من صوم وصلاة وما إلى ذلك من التكاليف من شأنه أن يجلب إلى أصحابه الاستهانة والاستهزاء ، ولقد خلقت هذه المحاولة الاستعمارية الخطيرة فى نفوس الكثيرين من المسلمين عقدة نفسية كان من نتائجها أن دعتهم إلى التهاون فى الشعائر الدينية التى هى مناط التماسك والترابط ، وتلك هى الغاية الجهنمية التى رمى إليها المحتلون لأنهم يعلمون تمام العلم أنه متى عم الاستهتار بالعقيدة ، ساد الانحلال ، ومتى ساد الانحلال انهار الكيان من أساسه ، ومتى انهار الكيان تثبتت أقدام الاحتلال .

ولقد تنبه إلى هذه الحقيقة فريق من المستشرقين الذين درسوا الإسلام دراسة عميقة وتبينوا مبادئه الأساسية وعناصره الأولية فأسروا إلى مواطنيهم أن الإسلام دين خطير ، لأنه اشتمل على مبادىء يمكن أن تقيم الدنيا وتقعدها ، وإذا تحقق تطبيقها ساد أهل هذا الدين الكرة الأرضية كلها ، فمن هذه المبادىء مثلا : الترابط والتماسك والاتحاد : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

ومنها الاستقامة والقناعة وحسن معاملة الجار وحب الخير للناس « قل آمنت بالله ثم استقم لا تزد على ذلك شيئا » « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مسلما ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » .

ومنها التعاون على الخير والتحذير من التعاون على الشر « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . ومنها ذم الغيبة والنميمة والحسد والاعتداء والغمز واللمز والتنابز بالألقاب : « ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » ، « ويل لكل همزة لمزة » ، « ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم » ، « إياكم والحسد ، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

ومنها الصدق والأمانة والعدل والوفاء بالعهد ، واستيفاء الأجير أجره : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » . « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » . « وأوفوا

بالعهد إن العهد كان مسئولا » . « قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ... ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » . « وآية المنافق ثلاث : إذا تحدث كذب ، وإذا ائتمن خان ، وإذا وعد أخلف » .

وأيًّا ما كان فإن هذا الفريق الأخير من المستشرقين يعلق على هذه المبادئ القرآنية بعبارات مختلفة ، مؤداها كلها أن المسلمين إذا عرفوا كتابهم حق المعرفة وطبقوه أكمل تطبيق . فالويل كل الويل للاستعمار ، إذ أنه لن تقوم له قائمة بعد الساعة التى تتم فيها هذه المعرفة ، ويتحقق فيها ذلك التطبيق .

ومن ثم يتبين ذلك المجهود الذى يبذل المستعمرون فى أن يبقى الإسلام مجهولا ، وأن تظل مبادئه مهجورة بعيدة عن التنفيذ.

غير أننا نأمل أن نفوت على المستعمرين وناصحيهم من بنى جلدتهم هذه الفرصة الخطيرة حتى لا يظفروا بهذه البغية التى طالما عملوا لها فى عصور الخمول والظلام . ونرجو أن تستيقظ الأمة الإسلامية من نومها الذى طال مداه ، وأن تنفض عن كواهلها غبار الركود ، وأن تتخلص من مركب النقص الذى طالما أرهق نفوس الكثيرين من بنيها ، وهصر قلوبهم وسوّل لهم أن مناصرة الدين نوع من التأخر ، وتأييده لون من الرجعية ، وأن يتحرر منذ الآن أولئك الضعفاء الذين يضطربون فرقا أمام المتحللين من دينهم وأخلاقهم فيجارونهم فى التحلل ، بل يسبقونهم إليه ، وما أساس هذا كله سوى الجهل وضعف النفسية والجبن والانمياع .

وأخيراً - وإلى أن يتحقق هذا الاستيقاظ المرموق - هل ينبغى الصمت بإزاء هذا كله حتى نهوى أكثر مما هوينا ، ونتقهقر إلى الوراء أكثر مما تقهقرنا ؟ وأن نبقى كما نحن معتمدين على أن الله غفور رحيم ، ناسين أو متناسين أن عذابه هو العذاب الأليم ؟ وأن نظل مكتفين بالقشور دون اللباب كأننا لسنا من ذوى الألباب ؟ قانعين من الشعائر بالأعراض والأشباح دون الجواهر والأرواح ؟ كلا ، لا ينبغى أن نغضى عن هذه الحالة ولا أن نمد فى عمر هذا النوم الذى طال مداه ، ولا أن نتابع ذلك الخمول الذى اشتد ظلامه ، وران على قلوب المسلمين قتامه ، بل يجب أن ينهض الإسلام بالعالم من جديد كما نهض به منذ أربعة عشر قرنا ، فالنفوس معدة ، والقلوب مستعدة ، إذ أننا الآن نحيا فى عالم قد أصبح - بسبب هذه المدنية المادية التى تسوده وتقوده - يسخر من المبادئ ، ويهزأ بالفضائل ، ولا يمجد إلا حكم القوة ، وأمست مقاييسه محصورة فى النجاح ولو على حساب الفضائل والأخلاق . وأوشكت القيم الخلقية فيه أن تنهار ، وأضحت مقدسات

الإنسانية معرضة للإهانة والدوس بالأقدام.
ولما كان خروج كل شيء عن حده يؤذن بالانقلاب إلى ضده ، فإنه لا بد أن تبدأ هذه المادية البغيضة فى الانهيار ، وتصير الكلمة الأخيرة الحاسمة الروحية المشرقة .
نعم إن كثيراً من المعاصرين الذين بهرتهم هذه المدنية المادية يبسمون سخرية من هذا الرأى ، ذلك لأنهم اعتادوا على أن يرجعوا كل عمل إنسانى إلى بواعث نفعية وغايات شخصية ومع ذلك فإنه — رغم مبادئهم المادية — لا ينبغى لهم سوى قليل من الشجاعة وحسن النية ، لكى يعترفوا معنا بأن الفضائل ليست منسجمة مع التعاليم الدينية ، والفطرة الإنسانية المستقيمة فحسب بل هى متفقة مع الضرورات الأولية لجميع المشروعات الاجتماعية الأساسية فى الحياة .
وذلك لأنه إذا كان تعريف الفضيلة هو « كل ما لو عم لأصلح الحياة ، وتعريف الرذيلة هو « كل ما لو عم لأفسد الحياة » ، فقد وجب الجزم بأن من المستحيل إقامة بناء أى مشروع متين ثابت مفيد للإنسانية دون أن يؤسس على دعائم الفضيلة والأخلاق ، كما أن من أسباب الفشل الجوهرية أن ينسى وُضاع المشروعات الاجتماعية أن البشرية إذا لم تكن كلها متمتعة بحياة عقلية ، فإنها جميعها مفتقرة إلى حياة روحية ترشدها أثناء اجتيازها دياجير الوجود ، ومحتاجة — فى تنظيم معاشها وعلائقها — إلى قواعد ثابتة ، ومناهج مقررة تسد حاجاتها وتحقق سعادتها ولا يتيسر هذا إلا فى قوانين الأخلاق الخالدة ، وتعاليم الدين الحكيم الذى هبط من لدن المستغنى الذى لا يناله شيء ، لأنه فوق كل شيء ، وإنما شرع ما شرع لنفع الإنسانية ، وإسعادها وتطهيرها ومنحها النصيب الميسور لها من درجات الكمال .

وإذا كان كل ذلك ثابتا مقرراً ، فإن الإسلام يجب أن يتزعم الآن ثورة التجديدين الخلقى والاجتماعى كما تزعم من قبل ثورة التوحيد النقى الذى قلب كيان الوثنية رأسا على عقب ، وأن ينهض بهذه الأمة من كبوتها ويقيلها من عثرتها ، وهذا أهون عليه فقد خلق الإسلام قبل ذلك من الفوضى والهمجية والجهل أمة عز سلطانها ، وعلا صولجانها ورفرفت أعلامها ، وتغلغلت تعاليمها وسادت قوانينها رقعة من الكرة الأرضية بعيدة المدى ، مترامية الأطراف : والسبب الأول والأخير لهذه العزة العظمى هو فهم المسلمين دينهم على حقيقته ، وتطبيقهم روحه دون الاكتفاء بحرفيته ، والعمل على تحقيق هدفه وغايته ، وهذا هو ما نريد أن يكون عليه المسلمون حتى لا تفوتهم القافلة التى نرجو لهم أن يكونوا قادتها الأولين .

الدكتور محمد غلاب

حقيقة الاشتراكية فى الإسلام

للأستاذ أحمد حمد

اشتراكية الإسلام شاملة :

يتحدث الكثيرون عن الاشتراكية ويكتبون فيها ولكن قل منهم من يكتب عنها بمفهومها الصحيح ويحدد معناها تحديداً شاملا جامعا ، فلكل كاتب وجهته ولكل زاويته الخاصة التى ينظر منها إلى مدلول الاشتراكية ويحدد فى إطارها معالمه وحدوده ولعل النظرة الغالبة هى المعانى الاقتصادية وحدها عند تحديد الاشتراكية والمطالبة بالأخذ بها .

ومما ترتب على هذا الاتجاه ـ المعيب ـ أن الذين يتحدثون عن الاشتراكية الإسلامية يقصرون مفهومها على المجالات الاقتصادية وحدها ، بل منهم ـ وهم كثير ـ من يزيد فيستند إلى بعض الأحاديث منحرفا بمعانيها لتأييد ما ينادون به من اشتراكية متطرفة تذهب بخير الاشتراكية الإسلامية كما رسم حدودها الإسلام وبين معالمها وأركانها ، وهم فى هذا يبيحون لأنفسهم القضاء على الملكية الفردية وامتلاك الدولة لموارد الثروة وعناصر الانتاج كافة وهم فى دعواهم ينقضون الاشتراكية فى أصولها . إذ يفترض أى نظام اشتراكى وجود مجموعات من البشر يتعاونون فيما بينهم لخدمة المجموع وتكون علاقاتهم منتظمة فى إطار يكفل للجميع الخير ولا يساعد البعض على السيطرة على الآخرين .

والاشتراكية الإسلامية لا تقف عند مجالات الحياة المادية وحدها بل تشمل كافة المجالات الحيوية للمجتمع كله ، فالإسلام ـ دين الاشتراكية الحقة ـ دين اشتراكى فى العبادة حيث يقف الناس جميعا بين يدى الله تعالى لا فرق بين إمام ومأموم ، وهم كذلك فى صيامهم وحجهم . وأبلغ دليل على اشتراكية الإسلام فى الحكم هو أمر الله عز وجل إلى نبيه ورسوله عليه صلاته وسلامه بمشاورة المسلمين بالرغم مما اختص من نبوة وتشريف بالرسالة وأنه لا ينطق عن الهوى فيقول تعالى « وشاورهم فى الأمر » . كذلك فإن كل فرد مشترك فى المسئولية فى هذا المجتمع الإسلامى لا فرق بين حقير وعظيم (فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

وتذهب الاشتراكية الإسلامية فى ذلك

إلى أقصى مداها حين تحمل كل فرد مسئولية المشاركة فى الحياة العامة للقضاء على المفاسد الاجتماعية والأمراض الجماعية فلا ينعزل الفرد عن الناس (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه) ولا ينفرد بنيته وحسن طويته فيما يعمله ويأتيه من أعمال ، بل يرعى شعور الآخرين وأفكارهم فيحرم على النساء الظهور بما يفسد الشباب والرجال ويطمع فيهن الذين فى قلوبهم مرض ولو كانت النساء لا يردن بذلك أن يتحقق أى من هذه الأضرار . وفى أموال الأغنياء حق معلوم للسائل والمحروم فتزول بذلك فوارق الطبقات بآثارها من عوامل الحقد من جانب الفقراء والطغيان من جانب الأغنياء.

أما هؤلاء الذين يقصرون معانى الاشتراكية الإسلامية على النواحى الاقتصادية وحدها ، فهم على جهلهم بحقيقة أوضاع الإسلام وقواعده وأحكامه يجهلون أيضا حقائق تطور البحث الاقتصادى الحديث ، فقد بدأت تدخله النواحى النفسية للأفراد وتأثيراتها فى النشاط الاقتصادى ، وهذه النواحى النفسية إنما تستمد وجودها وتقلباتها من الأوضاع الاجتماعية والدينية وما يتصل بها من ثقافة وخلق ، وها هو الإسلام سابق بحكمته وعظمته وإن كان هؤلاء الباحثون فيما عداه يتعثرون للوصول إلى بعض حكمته ويستضيئون بقبس من نوره .

اشتراكية انسانية :

فالإسلام فى اشتراكيته يهدف إلى تكوين مجتمع متكافل ترد فيه الحرية إلى أسير مغلوب على أمره أو يصان فيه عقل ماجن مغلوب على إرادته كما يهدف إلى إطعام الجائع وإسعاف المكروب .

الحقوق الاشتراكية الأساسية فى الإسلام

إن هناك مجالات عديدة تتطلب الاشتراكية كنظام يكفل لها البقاء والاستمرار ، فبدونها لا وجود لها ولا جدوى فيها . وهناك حقوق أساسية لا ينتفع بها إلا إذا اتسم تطبيقها بروح الاشتراكية ، وهى : حق الحياة ، وحق الحرية وحق العلم ، وحق الكرامة ، فالأفراد تعتمد حياتهم على هذه الحقوق وتدور معها وجودا وعدما ، فلا وجود لإنسان لا حياة له ، ولا معنى لحياة الإنسان ما لم يستمتع بنصيب موفور معلوم من الحرية فى حدود ما شرع منها ، ولا يفهم الحرية ولا يقف عند حدها الصحيح إلا من تلقى نصيبا معقولا من التعليم ، ولا علم لمن لا كرامة له .

فالناس جميعا شركاء فى هذه الحقوق الأساسية ووجودهم مرتبط بها ، وما معنى

الوجود لإنسان لا يستطيع أن يحيا حرا متعلما كريما ؟ إن حق الحياة شركة بين الجميع وليس حكرا لفرد أو وقفا على طائفة أو منحة لشعب ثم يحكم على الآخرين بالدمار والهلاك والإبادة ، كما أن حق الحرية شركة بين الجميع لأن الحياة تفقد ما فيها من سر ويظلم ما فيها من نور ويكبو ما فيها من أمل ويخبو ما فيها من رجاء ويكتئب ما فيها من سعادة إذا فقدت حريتها ورزحت تحت أثقال القيود ورسفت فى أصفاد العبودية والهوان . وحق الحرية دون علم منير وعقل مستنير : انطلاق محموم وانحلال مذموم وشهوات جامحة ونكبات جائحة ، وحق الكرامة يحفظ للمرء حرمته ويصون له سمعته دون إهدار القيم أو عبث بالمثل أو إفساد للناس .

ولما لهذه الحقوق من أهمية بالغة فى انتظام المجتمع الإسلامى واستقراره ، فقد عنى بها الإسلام عناية فائقة . فاعتبر العدوان على حياة فرد عدوانا على المجتمع كله وأوجب على المجتمع القصاص من الجانى (ولكم فى القصاص حياة) باعتبار أن من قتل فرداً فقد قتل الناس جميعا لأن حياة الفرد من حياة الجماعة وعليها أن تحافظ عليها وتحميها (فمن قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) بل إنه لا يقف عند هذا الحد ، فإذا لم يعرف القاتل على وجه التحديد أوجب على أهل البلدة التى قتل فيها أن يدفعوا الدية لأهل القتيل إذ المفروض أن يحافظوا على أرواح كل فرد بينهم .

أما عن حق الحرية فإن بيان أوجه التقرير والتأكيد التى جاء بها الإسلام خاصا به لمما لا يتسع له المقام فيكفى أن نذكر أن الإسلام يكفل للمرد حريته فى عقيدته (لا إكراه فى الدين) ولكل فرد أن يختار الدين الذى يروق له (لكم دينكم ولى دين) . وأما عن الحرية السياسية فإن لكل فرد مهما كانت مكانته أن يقف أمام أمير المؤمنين ليقول رأيه . يقول الحق تبارك وتعالى فى ذلك (وتواصوا بالحق) فلاخير فى حاكم لم يسمعها ولا خير فى محكوم لم يقلها .

ولم يكن حق العلم أقل نصيبا فى عناية الإسلام به بل ما زال القرآن يأمر بالعلم ويوضح للناس أسس العلم الصحيح ومناهج البحث والتعليم . فمن آياته ما يعيب بها على التقليد والجمود ويدعو إلى التحرر فى البحث عن حقائق الوجود بلا تعصب لنسب أو جاه أو شهوة أو تقليد أعمى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ويكرم العلم فى شخص العلماء

فيرفعهم يوم القيامة إلى أعلى الدرجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وذلك لأن العلم يقودهم إلى حسن معرفة الدنيا والآخرة فيخشون الله ويتقونه حق تقاته (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

وأما حق الكرامة ، وهو أساس هذه الحقوق جميعا ، فهو أهم ما يعنى به الإسلام فيحرص على إبعاد الشبهات عن الإنسان حتى يكون موضع احترام المجتمع ومحل ثقته فيترابط الأفراد ويتماسك المجتمع (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) ويحرم استهزاء الناس بعضهم من بعض (ولا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) ولقد سجل القرآن حق احترام كرامة الإنسان فى قوله عز وجل (ولقد كرمنا بنى آدم) .

حق التملك :

ولعل حق الفرد فى التملك هو المجال الخصب الذى تجول فيه أقلام الكاتبين فى الاشتراكية وخاصة الذين يقصرون معانى الاشتراكية على الحقوق الاقتصادية وحدها . وقد يكون لبعضهم العذر فى ذلك إذ تستند كثير من الحقوق الأربعة السابقة إليه وتعتمد على تنظيمه . إلا أن ذلك لا يعنى أن تذوب حقوق الإنسان الأربعة الرئيسية فى تنظيم حقه فى التملك .

ولقد أقر الإسلام هذا الحق وتناوله بالتنظيم ، فأحكم تقرير أركانه ومقوماته والمجالات التى يمكن إعماله فيها ، وحدد معالم الطريق الذى يسلكه النظام الاقتصادى بصفة عامة ، ولا نغالى إذا ذكرنا هنا أن الإسلام قد وضع أحكامه فى التنظيم الاقتصادى بطريقة لم تستطع النظم الحديثة أن تصل إليها ، وإلى عمق علاجها المشكلات الاقتصادية المختلفة ، فقد حقق الإسلام اشتراكية اقتصادية فى وقت لم تكن اقتصاديات الدول الأوربية قد حظيت فيه بشىء من العناية والتنظيم ، بل نزيد على ذلك فنقول إن البحوث الاقتصادية لم تصل إلى تقرير نظام محكم حتى الوقت الذى نعيش فيه ، فإن النظام الاقتصادى الإسلامى على بساطته دقيق فى علاجه كل نواحى الهيكل الاقتصادى للمجتمع بحيث لا يترك كبيرة ولا صغيرة بدون علاج ، ولا يدع مجالا لظهور مشكلات جديدة تخل بانتظامه واستقراره .

الاشتراكية الاقتصادية وسيلة لا غاية

ومن الواضح أن الاشتراكية الاقتصادية فى الإسلام إن هى إلا وسيلة لتحقيق غاية

كريمة وهى الحياة الحرة الكريمة المستنيرة للإنسان ، فهى وسيلة إلى حضارة تقوم على الفضيلة وتنطوى على الإيمان بالله ووحدانيته وليست وسيلة إلى حضارة تقوم على الرذيلة والفوضى والتناحر بين الأفراد والكفر والإلحاد ، فالإسلام عند ما يقرر (إنما المؤمنون أخوة) لا يقصد بهذا مجرد الأخوة المادية فى الطعام والشراب والكساء فحسب ولكنها أخوة رحيمة متكافلة . إذ يحب الأخ لأخيه ما يحب لنفسه ويتألم لمصابه كما يتألم لمصاب نفسه : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» فالمسلم يحرص على حقوق أخيه وحياته وحريته كما يحرص على كرامته ، فيضطرب لاضطرابه ويألم لآلامه . ولا يستقر خوفا على مستقبل أخيه المسلم ولو كان مستقرا ثاويا . فالأخوة الإسلامية أخوة فى المشاعر والأحاسيس كما هى أخوة فى المطالب والحاجيات على حد سواء .

الاشتراكية المادية فى الإسلام فى الذروة

وقد بلغت الاشتراكية المادية فى الإسلام ذروتها إذ سبقت عقول الباحثين بأجيال وأجيال ، فما زال هؤلاء يخبطون خبط عشواء ، وتتحمل الإنسانية مرارة تجاربهم الوصول إلى الكمال فى تنظيم اقتصاديات المجتمع الإنسانى على أساس من الاشتراكية .

إن الاشتراكية الإسلامية تنبثق من روح الإيمان لدى الإنسان ثم هى بعد ذلك تهدف إلى إنماء روح الإخاء بين الناس ودعم معانى الوحدانية وتثبيت الحرية الفردية واحترام كرامة الإنسان وتزكية روح العلم لديه .

ولقد توسل الإسلام لتقرير هذه الاشتراكية بوسائل غفلت عنها جميع المدنيات وأقفرت منها جميع النظم ، فقد ربط إطعام الفقير والمسكين بكثير من المخالفات الدينية والأعياد السنوية ، والعواطف الإنسانية ، فمن المخالفات كفارات الظهار والفطر فى رمضان بغير عذر مشروع وكفارة اليمين ، وفى الأعياد مناسبة كريمة لإعطاء المحروم وإشاعة روح التآخى والمساواة فيلزم الفرد بزكاة الفطر عن نفسه ومن يعولهم فى آخر يوم من رمضان ، وشرعت الأضاحى فى عيد الأضحى (يأيها النـــاس على كل أهل بيت فى كل عام أضحية) فهى واجبة على كل قادر . وفى الأوقاف والنذور والوصايا فتح الإسلام أبوابا رحبة تلج منها العواطف الإنسانية إلى آفاق البر والإحسان إلى فئات كثيرة من المعوزين والمحرومين .

ويتساوى الناس فى هذه الأحكام جميعاً

ما داموا قادرين ولا يقتصر حكمها على الأغنياء ومن آتاهم الله من فضله بغير حساب .

ثم يقضى الإسلام بأحكام أعمق فى آثارها وأعظم فى نفعها فيفرض الزكاة على ذوى المال فيأخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء والمعوزين ، وهى أيضا تقضى على تكتل الأموال فى أيدى أفراد فتنتقص من أموال الكسالى والعاطلين الذين لا يفيدون المجتمع بأموالهم والذين يكتنزونها ولا ينفقونها فى خيرهم وخير العباد ، وتنقل الأموال إلى أيد أكثر نشاطا وأقدر على التنمية والاستغلال فيزداد الإنتاج والرخاء على حد قول كتاب الاقتصاد .

ويحارب الإسلام تكتل الأموال فى أيد قليلة ويحارب سيطرة المال على جهود الأفراد واستغلال حاجة المحتاج وكربة المكروب فيحرم الربا فى كل صوره ، فمن كان له رأس المال فهو شريك أو لا يكون على الإطلاق ، فإن أحجم واكتنز فالزكاة تكفل للمجتمع نصيبا من ماله وتحرمه منه بعد قليل من الزمان وتنقله إلى العاملين الذين يشاركون فى البيع والشراء والأخذ والعطاء يتعرضون للغنم ويتعرضون للغرم على السواء .

وكم بحث الباحثون واقترحوا من حلول القضاء على مشكلات الرأسمالية المنبثقة من عيوبها الكامنة فى أصولها والتى تسير عليها الدول الغربية حتى هذا الزمان من إطلاق حرية أصحاب الأموال فى استغلال أموالهم بلا حساب لحياة الناس وكرامة بنى الإنسان . وكان آخر ما وصلوا إليه الضرائب التصاعدية إلا أنها عجزت عن أن تكفل معاملة الجميع على السواء فما زالت مشاكل الأعباء المختلفة وفروق المراكز الاقتصادية المتفاوتة أقوى من أن تحلها الضرائب التصاعدية . وهنا ظهرت بين أقلام الكتاب أقلام تشير إلى قوة الزكاة وإلغاء الربا فى علاج مشكلات المجتمع الاقتصادى الحديث .

ولا تقف أحكام الإسلام فى تنظيم الاشتراكية الاقتصادية بين الناس عند هذا الحد بل إنها تقرر حقوقا كثيرة على الأموال ؛ منها حق الحصاد « وآتوا حقه يوم حصاده » وحق الجوار . فالإسلام يوصى بالجار ويقرر له الحقوق تلو الحقوق فينفى صفة الإيمان عن مسلم نام شبعان وجاره جائع « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع » ، وحق الماعون حين يتوعد المصلين الذين يمنعون الماعون وتبادل المنافع والخيرات « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » .

ونظرة واحدة إلى نظام الإرث فى الإسلام تكشف عما فيه من قضاء على تكتل الأموال لدى بعض الأفراد وتوزيعها على

الأقارب وتفرقته بين الرجال والنساء. فيزيد فى نصيبه لأنه يتجه إلى الاستغلال والإنماء والمرأة غالباً تتجه إلى الاستهلاك .

ويبلغ الإسلام ذروته فيقرر حقوقا لمن ليست لهم حقوق إرث أو وصية ، وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ، فلا تقف نصوص المواريث جامدة تقضى على الأخوة الروحية بين الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، وتحول بين مشاعرهم بل تنميها وتزكيها بروح من الاشتراكية فى أسمى معانيها ، فارزقوهم منـــه وقولوا لهم قولا معروفا ، .

التأميم والاشتراكية :

ورغم أن الاشتراكية الاقتصادية تعنى الاشتراك فى ضروريات الحياة وحاجياتها ، إلا أن المعنى السائد هو التأميم أى استيلاء الدولة على الملكيات والإشراف عليها إداريا وفنياً . والحقيقة أن الاشتراكية أشمل وأعم من التأميم ، فالتأميم إنما هو أسلوب من أساليبها ومنهج من مناهجها وليس هو مظهر الاشتراكية الوحيد .

والواقع أن التأميم سبيل سليم من سبل تحقيق الاشتراكية الاقتصادية فهناك من الأعمال والمشروعات مايجب أن تنفرد الدولة بإدارتها وتستقر ملكيتها فى يدها لتتحقق بها المصلحة العامة وتتوافر الضرورات الاجتماعية .

والحديث اليوم إنما يكثر عن التأميم باعتباره المظهر المعاصر الشائع من مظاهر الاشتراكية ، وما زالت المذاهب تتصارع للأخذ بالتأميم أو عدم الأخذ به . وفى مدى تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى لتحقيق المبادئ الاشتراكية الاقتصادية .

التأميم ضرورة عند الضرورة :

إن هناك كثيرا من أوجه النشاط الاقتصادى التى يعجز الفرد أو المشروعات الفردية عن القيام بأعبائها ، إما لأنها لا تحقق الأرباح التى تشجع الأفراد على القيام بها مهما بلغت من المشروعية ، أو لأن قيام الأفراد بها يمهد لهم سبيل السيطرة والتحكم فى أرزاق الناس وأقواتهم وحاجاتهم ، ومن هذه المشروعات إنشاء السكك الحديديه ومحطات القوى الكهربائية وإنشاء البنوك مع ما لها من قوى فى توجيه النشاط الاقتصادى ، فهذه المشروعات تحتم طبيعة الأمور قيام الدولة وحدها بتنفيذها دون الأفراد تحقيقا لصالح المجتمع ولو لم تحقق منها الربح .

إلا أنه من اليقين أن الأخذ بسبيل التأميم تحقيقا للاشتراكية إنما هو ضرورة عند

الضرورة ، فهو سبيل يؤخذ به عند الضرورة أى فى الحالات التى تستلزم قيام الدولة بتملك المشروع وإدارته وحدها وليس فى كل أوجه النشاط الفردية والا انقلبت الدولة إلى تاجر يبيع ويشترى وينافس الأفراد فى أعمالهم ، وهى - نظرا لضخامة إمكانياتها وقدرتها على تحمل خسائر لايتحملها الفرد - تستطيع أن تقف فى الميدان الاقتصادى وحدها وتنقلب إلى محتكر لأوجه النشاط الاقتصادى المختلفة مع ما فى ذلك من مضار لا تخفى لكل من يعلم حقيقة الحرية الاقتصادية ومساوىء الاحتكارات ، وهو ضرورة أى حالة خاصة لعلاج الضرورة التى تبرره ، فيجب أولا ألا يكون هناك سبيل آخر لعلاج هذه الضرورة التى تستلزم التأميم ، فإن وجدت طريقة تعالج المشكلة القائمة أخذ بها ولا داعى للتأميم لأنه نظام مخالف لطبائع الأمور وهى قيام الأفراد بمباشرة الأعمال الاقتصادية .

وفضلا عن ذلك فإن مباشرة الدولة لهذه المشروعات الاقتصادية يتسم بالطابع الإدارى وحده دون وجود الدافع الشخصى لإدارة مثل هذه المشروعات ، وانعدام هذا الدافع يقضى على روح التجديد والسعى لإرضاء المنتفعين بهذه المشروعات وإدخال التحسينات ومعالجة أوجه النقص فى أقرب وقت وبأحدث الوسائل حتى تحافظ على جمهور المتعاملين معها ولذلك تبقى فى حالة تجديد مستمر وبحث عن مصالح الجمهور وهو ما لا تقوم به المشروعات التى تباشرها الدولة .

وقيام الدولة بهذه المشروعات لا يراعى فيه إمكانيات المشروع المالية لأن الدولة تمد يد المعونة ، وبلاحساب ، لهذه المشروعات فتنوء بها الخزانة العامة وتحمل الأفراد فى النهاية عبء التمويل فى صورة ضرائب أو رسوم وهو ما يناقض نتائج الاشتراكية المقصودة بالتأميم وهى القضاء على سيطرة رأس المال وخفض تكاليف المعيشة للأفراد وتيسير الحاجيات. ولقد انتهج الإسلام سبيلا رشيدا يكفل للأفراد ضروريات الحياة بعيدا عن الاستغلال والتحكم فأباح للدولة القيام بمثل هذه المشروعات ولكنه إلى جانب ذلك احترم الملكية الفردية وأحاطها بسياج من الحماية وشجع أوجه النشاط الفردى فى مجاله . فيروى أبو عبيد فى كتاب الأموال أن الرسول عليه الصلاة والسلام أقطع بلال بن الحارث النقيع كله وهو من أراضى المدينة التى لا تصل إليها المياه ، وكذلك أقطع كلا من الزبير بن العوام ووائل بن حجر وعبد الرحمن بن عوف ، وكان يشجع إلى التملك للاستثمار وزيادة نماء البلاد فيقول (من أحيا أرضا ميتة فهى له) و

(من أقام حائطا على أرض فهى له) وذلك كله لتشجيع الأفراد على الحيازة والاستثمار، ولذلك من احتجز أرضا ولم يعمرها نزعت منه (ليس لمحتجز بعد ثلاث سنين حق).

اشتراكية الاسلام هى اشتراكية الفطرة

وليس من شك أن اشتراكية الإسلام إنما تستوحى فى أحكامها الفطرة الإنسانية وتعتمد على المواهب البشرية، فاحترمت الملكية الفردية واعتبرتها وظيفة اجتماعية يقوم بها الفرد لمصلحته ولخير الناس جميعا ولا يحرم منها إلا من أساء استغلالها وأضر بالناس وهى اشتراكية قوامها التعاون والتكافل بين طبقات المجتمع كافة وليست حربا من طائفة ضد أخرى فهى تدعو الغنى إلى البذل إلى الفقراء وتدعو الفقراء القادرين إلى العمل والكدح فى سبيل القوت والرزق، فتضمن للمحروم حاجته، وللجائع قوته، وللمريض دواءه، وللعارى كساءه، وللشيخ التوقير والعناية، وللطفل التربية والرعاية، فلا يبق فى المجتمع إلا إنسان راض مطمئن على مستقبله.

وهذا كله لا يتفق مع الاشتراكية المتطرفة المعروفة بالشيوعية التى تنكر حق الملكية الفردية، وتقضى على الدافع الشخصى للفرد فتقتل فى نفسه الموهبة والكفاية الشخصية، وتحيله إلى عامل ينفذ ما يوجه إليه من عمل فلا هى تحترم العقل ولا الكفاية لأن التنافس بين الأفراد يخلق طبقات من الناس والطبقات فى الاشتراكية الشيوعية معناها وجود حرب بين الناس لأنه لا يفهم هناك أن بين الطبقات تعاونا وتضافرا لتحقيق الخير للجميع. وأن القوى يعطف على الضعيف ويبذل له من الجهد والمال ليرفع عنه الكربة والظلم، ولكن الطبقات فى الشيوعية قوى متحاربة قوام العلاقة بينها الكفر بالله ونكران العواطف الإنسانية وإهدار القيم الأخلاقية فالعلاقات هناك تقوم على أساس من الشهوات والرغبات المادية وحدها ولذلك كانت حرب على الرحمة لأنها لا تعترف بالضعفاء بل يجب أن يعمل الجميع ليحصلوا على أقواتهم دون رأفة بالضعفاء والعاجزين. ولعل الشيوعية استوحت مبادئها من إبليس الذى رفض أن يحترم الإنسان لأنه لا يثق فيه. إن الشيوعية لا تثق فى الإنسان وحرى بالإنسان ألا يثق فى الشيوعية.

* * *

ونظرا للمساوئ التى يتعرض لها الإنسان فى النظام الرسمالى المطلق فى العصر الحديث فقد أخذت الدول الأوربية الحديثة بمبادئ الاشتراكية للحد من هذه المساوئ والقضاء على ظلم الانسان لأخيه الانسان، وإن كان الأخذ بالاشتراكية فيها يختلف فيما بينها وذلك

لاختلاف ظروف كل دولة والأوضاع السائدة فيها .

ونحن والحمد لله نأخذ بالاشتراكية على هدى من الإسلام ، فقد صدرت عدة تشريعات تهدف إلى تخفيف الفوارق بين الطبقات والتقريب بينها ، وأخرى تهدف إلى القضاء على تكتل الملكيات فى أيدى فئة قليلة من الإقطاعيين والعاطلين ، وهى إلى جانب ذلك تحترم الملكية الفردية وتدعمها فقامت بتوزيع الأراضى الزراعية على صغار الفلاحين ، وأشركت العمال فى أرباح أصحاب الأعمال .

وصفوة القول أن الاشتراكية ضرورة أصيلة والعمل على إخفاء معالمها معارض لسنن الطبيعة ومخالف لما شرع الله ، وكذلك الفردية فى مجالها المشروع ضرورة أصيلة والعمل على إخفاء معالمها معارض لسنن الطبيعة وفطرة الإنسان ومخالف لما شرع الله وفق الله على الخير خطانا وهدانا صراطا مستقيما .

أحمد محمد
الواعظ العام بالقاهرة

خطر الكلمة يستهونها القائل

فى إحياء علوم الدين للغزالى :

وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها ، فلذلك لانخاض إلا بالاقتصار على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا ، وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقرها ، فقد قال بلال بن الحارث ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة » .

مفردات قرآنية مادة الأمن فى القرآن

للأستاذ أحمد الشرباصى

وردت مادة « أمن » فى القرآن الكريم عشرات المرات ، ونجد هذه المادة تستعمل أحيانا بمعنى الأمن وهو ضد الخوف وتستعمل أحيانا بمعنى الأمانة وهى ضد الخيانة ، وتستعمل أحيانا بمعنى الإيمان وهو ضد التكذيب .

ويحسن قبل استعراضنا لمواطن الاستعمال القرآنى لهذه المادة بمشتقاتها ، أن نتعرف إلى معناها اللغوى ، وقد قال ابن زكريا : « الهمزة والميم والنون : أصلان متقاربان ، أحدهما الأمانة التى هى ضد الخيانة ، ومعناها سكون القلب ، والآخر التصديق ؛ والمعنيان كما قلنا متدانيان » . ويقول أيضا : « الأمان إعطاء الأمنة ... والأمين المؤتمن ... وبيت آمن : ذو أمن ، قال الله تعالى (رب اجعل هذا البلد آمنا) ... وأما قولهم : أعطيت فلانا من آمن مالى ، فقالوا : معناه من أعزه علىّ ... لأنه إذا كان من أعزه عليه فهو الذى تسكن نفسه إليه »[1] .

ويقول الزمخشرى : « وأعطيت فلانا من آمن مالى ، أى من أعزه علىّ وأنفسه ، لأنه إذا عز عليه لم يعقره ، فهو فى أمن منه »[2] .

وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، والأمان اسم للحالة التى يكون عليها الإنسان فى الأمن ، والأمانة اسم لما يؤتمن عليه الإنسان[1] ، نحو قوله تعالى . « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، وقوله : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . وقوله : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

والناقة الأمون هى التى يؤمن فتورها وعثورها[2] ، أو هى القوية المأمون فتورها ، جعل الأمن لها وهو لصاحبها[3] . واستأمن الحربى ، أى استجار وطلب الأمان ودخل دار الإسلام ، لا يعتدى عليه ما دام مستأمنا ...

ونعود إلى الاستعمال القرآنى لمادة « أمن » ، فنجد بعض هذا الاستعمال يورد المادة بمعنى « الأمن » ، وهو زوال الخوف ، وهو معنى له جلالته ومكانته فى الحياة الفردية والحياة العامة ، لأن الخوف فى الفرد والجماعة هو سبب الكثير لنكبات البشرية وكوارث الإنسانية . ولأن زوال الخوف مفتاح للاستقرار

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ص ١١٣ .
(٢) أساس البلاغة ، ج ١ ص ٢٠ .

(١) مفردات القرآن للأصفهانى ، ص ٣٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .
(٣) أساس البلاغة ج ١ ص ٢٠ .

والإثمار ، وإذا كنا نجد اليوم تشريعات وتقنينات ومحاولات يراد منها تحقيق الأمان الفردى والتأمين الاجتماعى ، ويعنى بهذه التشريعات باحثون ومتخصصون هنا وهناك ، فمن حق القرآن الكريم علينا أن نعترف له بأنه قد سبق نخص هذه الناحية بالحديث الصريح تارة ، وبالإشارة أو الرمز أو التلميح تارة أخرى ، ونفهم من هذا أيضاً أن مبادئ « التأمين الاجتماعى » لها بذورها وجذورها فى كتاب العربية الأقدس وهو القرآن الكريم ، ولو أحسن الدارسون تتبع هذه الجذور ، وتحليل تلك البذور ، لوصلوا إلى نتائج هامة ومقررات جليلة .

إن القرآن الكريم يشير إلى أمن الجماعة المستقرة فى موطن يضمها ويشملها حين يقول : « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر » . والمراد من الآية دعاء إبراهيم للمؤمنين من سكان مكة بالأمن والتوسعة ، بما يجلب إلى مكة ، لأنها بلد لا زرع ولا غرس فيه ، فلولا الأمن لم يجلب إليها من النواحى ، وتعذر العيش فيها [1] .

وتلاحظ هنا أيضاً الرمز إلى ارتباط الأمن بالإيمان ، فإبراهيم دعا بالأمن لمن آمن وصدق ، وقد عرفنا أن معنى الإمن ومعنى الإيمان متقاربان ، لأن الأمن اطمئنان واستقرار ، والإيمان فيه اطمئنان قلب واستقرار اعتقاد .

ويقول القرآن عن البيت الحرام : « ومن دخله كان آمنا » أى آمنا من النار ، وقيل من بلايا الدنيا التى تصيب من قال فيهم القرآن : « إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا » ، ومنهم من قال : إن الكلام فى الآية لفظه خبر ، ومعناه أمر ، أى اجعلوا من دخله آمنا ، وقيل : آمن فى حكم الله ، وذلك كقولك : هذا حلال وهذا حرام ، أى فى حكم الله ، والمعنى لا يجب أن يقتص منه ولا يقتل فيه إلا أن يخرج [1] .

ومثل هذا قوله تعالى : « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا » ؟ وقوله : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » . يقول الطبرسى فى تفسير هذه الآية : « وإنما جعله الله أمنا بأن حكم أن من عاذ به والتجأ إليه ، لا يخاف على نفسه ما دام فيه ، وبما جعله فى نفوس العرب من تعظيمه ، حتى كانوا لا يتعرضون لمن فيه ، فهو آمن على نفسه وماله ، وإن كانوا يتخطفون الناس من حوله ، ولعظم حرمته لا يقام فى الشرع الحد على من جنى جناية فالتجأ إليه وإلى حرمه ، لكن يضيق عليه فى المطعم والمشرب ، والبيع والشراء ،

(١) تفسير الفخر الرازى ، ج ١ ص ٤٨٦ .

(١) مفردات القرآن للأصفهانى ، ص ٣٤ .

حتى يخرج منه فيقام عليه الحد ؛ فإن أحدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد فيه ، لأنه هتك حرمة الحرم ، فهو آمن من هذه الوجوه »[1] .

وكأن الله تبارك وتعالى يريد بهذا التشريع أن يذكر الناس بأن الأمان والاطمئنان وزوال الخوف غاية يطمح إليها الإنسان لتكون تاجاً لسعادته في الحياة ، ولذلك جعل بيتاموطنا لتوافرهذا الأمان . حتى مع المذنب، ليكون في ذلك تذكير بعنصر التأمين الذي يجب أن يتعاون الناس على تحقيقه في الدنيا بكل وسيلة ، مع عدم الإجحاف بواجب العدالة والقسطاس .

ولكن القرآن الكريم في موطن آخر يذكرنا بأن المتمتع بنعمة الأمان والأمن والاطمئنان إذا لم يقدرها ويشكرها ويعمل بمقتضاها ، سلبها الله منه ، ورده إلى نقيضها ، ولذلك يقول : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

وقد ذكر ابن كثير أن هذا مثل أريد به أهل مكة ، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة ، يتخطف الناس من حولها ، ومن دخلها كان آمنا ، وأن رزقها يأتيها رغدا ، أي هنيئا سهلا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله وجحدت آلاء الله عليها ، وأعظم هذه الآلاء هي بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا بدلهم الله بحاليهم الأولين خلافهما ، فقال « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » أي ألبسها وأذاقها الجوع ، وبدل أمنها خوفا ...[1]

وكأن كفران النعم الإلهية ، والتمرد على توجيه الناس إلى الطيب من العمل والقول ، وإساءة الصنع والتصرف ، مما يستوجب النقمة وزوال الأمن ؛ ويحسن بنا أن نلاحظ هنا ما يشبه التلازم بين الأمن والتعبد ، فحسن التعبد لله عن طريق صدق الإيمان به والخضوع لأمره يستتبع تفضل الله بالأمن على هؤلاء المتعبدين ، والكفر بالله والتمرد على حكمه يستتبعان زوال الأمن والرزق ، وإقبال الخوف والجوع ؛ ومن ناحية أخرى نلحظ أن تحقق الأمن عامل جوهري يؤدي إلى صلاح العبادة ، لأن الخائف في حسه أو نفسه أو رزقه لا يتقن العبادة ولا يؤديها على وجهها ، لتسيطر القلق عليه واستبداد الخوف به ، وفخر الدين الرازي يقول : « إن الدنيا إذا طلبت ليتقوى بها على الدين كان ذلك من أعظم أركان الدين ، فإذا كان البلد آمنا ، وحصل فيه الخصب ، تفرغ أهله

---

(١) تفسير مجمع البيان ، ج ١ ص ٢٠٣ .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٥٨٩ .

لطاعة الله تعالى ، وإذا كان البلد على ضد ذلك كانوا على ضد ذلك » [١] .

وقد نفهم من ذلك أن الذين يسعون لتوطيد دعوة الله بين الناس ، والذين يجاهدون لتثبيت دعائم تعاليمه بين خلقه ، يجب عليهم أيضا أن يسهموا فى توفير الأمن الحسى والتأمين الاجتماعى ، والاطمئنان المعاشى ، بما يستطيعون من وسائل ، لأن توافر الأمن والاطمئنان يعاون على حسن العبادة ويثمر الاستجابة الواسعة النطاق لأحكام الدين وتعاليم الدعوة .

وفى مجال الارتباط بين الايمان والعمل الصالح ، وتحقق الأمن والاطمئنان نجد قول الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

فالمستحقون للاستخلاف والتمكين والأمن هم المصدقون بالله ودينه ، العابدون لله بلا شريك ، الذين يعملون كل عمل صالح لازم فى هذه الحياة ، ويقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أى أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى ، وله الحمد والمنة » [١] .

ويقول الرازى فى تفسير الآية أيضا : « أعلم أن تقدير النظم : بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون ، فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، أى الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم فى الأرض فيجعلهم الخلفاء ، والغالبين والمالكين ، كما استخلف عليها من قبلهم فى زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما . وأنه يمكن لهم دينهم ، وتمكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة والإعزاز ، ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو أمنا ، بأن ينصرهم عليهم ، فيقتلوهم ويأمنوا بذلك شرهم . فيعبدوننى آمنين ، لا يشركون بى شيئا ولا يخافون ، فمن كفر أى من بعد هذا الوعد وارتد فأولئك هم الفاسقون [٢] .

والقرآن يعود فيكرر ارتباط تحقق الأمن بتحقق الايمان المحفوظ من الظلم والبغى والانحراف ، فيقول : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن

---

(١) تفسير الفخر الرازى ج ١ ص ٤٨٦ .

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٢) تفسير الرازى ، ج ٦ ص ٣٨٧ .

وهم مهتدون ، والمعنى - كما يقول الرازى - إن الذين حصل لهم الأمن المطلق هم الذين يكونون مستجمعين لهذين الوصفين : أولهما الايمان ، وهو كمال القوة النظرية . وثانيهما هو عدم التباس الايمان بالظلم ، وهو كمال القوة العملية (١) .

وهناك فريق من المفسرين يذهب إلى أن المراد بالظلم فى الآية هو الشرك ، وهذا تخصيص لعام بدون موجب ، فالظلم قد يكون شركا ، وهذا أشنع أنواع الظلم ، وقد يكون هضما لحق ، أو بغيا على شخص ، أو غير ذلك ، وحينما تعرض الطبرى لتفسير هذه الآية ذكر روايات فى أن المراد بالظلم هو الشرك ثم قال : « وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخلطوا إيمانهم بشىء من معانى الظلم ، وذلك فعل ما نهى الله عن فعله ، أو ترك ما أمر الله بفعله ، وقالوا : الآية على العموم لأن الله لم يخص به معنى من معانى الظلم (٢) .

وإلى هذا الرأى أميل ، وقد رجحه الزمخشرى حين قال فى تفسير الظلم هنا : « اى لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم » (٣) .

ويؤيده صاحب « تفسير المنار » حيث يقول فى الآية : « المعنى : الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم ما لأنفسهم ، لافى إيمانهم ولا فى أعمالهم البدنية والنفسية ، من دينية ودنيوية ، ولا بغيرهم من المخلوقات من العقلاء والعجماوات ، أولئك لهم الأمن من عذاب الله تعالى الدينى على ارتكاب المعاصى والمنكرات وعقابه الدنيوى على عدم مراعاة سننه فى ربط الأسباب بالمسببات ، كالفقر والأسقام والأمراض ، دون غيرهم ممن ظلموا أنفسهم أو غيرهم ، فإن الظالمين لا أمان لهم ، بل كل ظالم عرضة للعقاب » (١) .

ويأتى الحديث النبوى مؤكداً أن الرسول كان بدعوته وهدايته أمنا لأمته ، وأن أصحابه بحرصهم على تبليغ سنته كانوا أمنا لهذه الأمة أيضاً ، وهذا يستفاد منه أن الاعتصام بهدى الله سبب الأمن والأمان ، فيقول الحديث : « النجوم أَمَنَةُ السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون ، وأصحابى أمنة لأمتى ، فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما توعد » .

وقد أراد - كما فى اللسان والنهاية (٢) - بوعد السماء انشقاقها وذهابها يوم القيامة ، وذهاب النجوم : تكويرها وانكدارها وإعدامها ، وأراد بوعد أصحابه ما وقع بينهم

---

(١) تفسير الرازى ج ٤ ص ٨١ .

(٢) تفسير الطبرى ، ج ٧ ص ٢٥٨ .

(٣) تفسير الكشاف ، ج ٢ ص ٢٥ .

(١) تفسير المنار ، ج ٧ ص ٥٨١ .

(٢) النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٤٤ . ولسان العرب طبعة بيروت ، ج ١٣ ص ٢١ .

من الفتن ، وكذلك أراد بوصد الأمة ، والإشارة فى الجملة إلى مجىء الشر عند ذهاب أهل الخير ، فإنه لما كان بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه ، فلما توفى جالت الآراء واختلفت الأهواء ، فكان الصحابة رضى الله عنهم يسندون الأمر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فى قول أو فعل أو دلالة حال ، فلما فقد قلت الأنوار وقويت الظلم ، وكذلك حال السماء عند ذهاب النجوم ...

وقد جاءت مادة « الأمن » بمعنى عدم الخوف فى مواطن من القرآن أريد فيها التحذير من الاغترار بإمهال الله جل جلاله لعباده إذا أحسنوا أو أساءوا ، والتحذير من الاطمئنان إلى متاع الحياة اطمئنانا يؤدى إلى عدم الخوف من الله ومن حسابه على ما قدمت الأيدى وعقابه على ما اجترحت من السيئات ، وذلك كما فى الآيات التالية :

« أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » ، « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون » ، « أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ، أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير » ، « أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون » .

وقد جاء من مادة « الأمن » فى استعمال القرآن كلمة « أمنة » — بفتح الألف والميم والنون — وهى بمعنى ضد الخوف أيضاً ، وذلك فى قوله تعالى ، فى شأن المسلمين فى غزوة بدر : « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه » وهذه كما فى تفسير المنار [1] منة من الله تعالى على المؤمنين التى كانت من أسباب ظهورهم على المشركين ، وهى إلقاؤه تعالى النعاس عليهم ، تأمينا لهم من الخوف الذى كان يساورهم من الفرق العظيم بينهم وبين عدوهم فى العدد والعدة ، وذلك لأن من غلب عليه النعاس لا يشعر بالخوف ، كما أن الخائف لا ينام .

ومثل هذا ما جاء بسورة آل عمران من قوله تعالى : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم » . وفى بيان وجه الامتنان بإنزال النعاس على المؤمنين المجاهدين يقول الإمام الشيخ محمد عبده —

(١) تفسير المنار ، جـ ٩ ص ٦٠٩ .

كما روى صاحب المنار — : « قد مضت السنة فى الخلق بأن من يتوقع فى صبيحة ليلته هولا كبيرا ومصابا عظيما ، فإنه يتجافى جنبه عن مضجعه ، ويبيت بليلة الملسوع . فيصبح خاملا ضعيفا ، وقد كان المؤمنون يوم بدر يتوقعون مثل ذلك ، إذ بلغهم أن جيشا يزيد على ثلاثة أضعافهم سيحاربهم غدا ، وهو أشد منهم قوة وأعظم عدة ، فكان من مقتضى العادة أن يناموا على بساط الأرق والسهاد ، يضربون أخماسا لأسداس ، ويفكرون بما سيلاقون فى غدهم من الشدة والبأس ، ولكن الله رحمهم بما أنزل عليهم من النعاس ، غشيهم فناموا واثقين بالله تعالى ، مطمئنين لوعده ، وأصبحوا على همة ونشاط فى لقاء عدوهم وعدوه » . ويقول أيضا : « والنوم للمصاب بمثل تلك المصائب نعمة كبيرة وعناية من الله عظيمة ، وقد كان من أثر هذا الاطمئنان فى القلوب والراحة للأجسام ، والتسليم للقضاء ، أن سهل على هؤلاء المؤمنين اقتفاء أثر المشركين بعد انصرافهم ، وعزموا على قتالهم فى حمراء الأسد عندما دعاهم الرسول إلى ذلك فاستجابوا له مذعنين (١) .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد أبان فى هذه المواطن السابقة عن أهمية الأمن للانسان ، وعن الأثر البليغ الذى يحدثه الخوف فى نفسه ، فإنه إذا كان قلقا خائفا لم يستطع أن يثمر أو يعمر أو يقاوم ، ولكنه حين الأمان والاطمئنان يستطيع أن ينفع وينتفع ، وفى هذا إيحاء أى إيحاء بأن تعمل الأمة بجميع طاقاتها على أن يتوافر الأمان والاطمئنان لها وهى أمة ولكل من فيها من الأفراد . « للبحث بقية »

أحمد الشرباصى

---

(١) تفسير المنار جـ ٤ ص ١٨٧ .

من صفاته صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة ، لطيف الظاهر والباطن ، يعرف فى وجهه غضبه ورضاه ، وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة ، وكان لا يشافه أحداً بما يكرهه ، دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها ، فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم : لو قلتم لهذا أن يدع هذه ، يعنى الصفرة .

حرّية الكلمة فى الإسلام

للأستاذ على محمد حسن العمّارى

لا أعرف دينا سماويا ، ولا قانونا وضعيا ، ولا مذهبا اجتماعيا ، ولا حزبا سياسيا ، لا أعرف شيئا من ذلك أعطى لأتباعه حرية مطلقة ، ولا أظن أنه سيجىء فى المستقبل القريب أو البعيد لون من هذه الألوان إلا أن تتجسم الفوضى ذاتها بشرا سويا ، وتدعو أتباعها إلى شريعة من شرائعها ، وحينئذ سوف لا تتركهم يعيشون فى العمران ، وإنما ستجرجرهم إلى غابة من الغابات يمرحون فيها ويلعبون ، ويأكلون كما تأكل الأنعام .

فلا يمكن أبدا أن تترك الحرية للناس فى أى نظام كان ، يفعلون كل مايشاءون ، ويقولون كل ما تجيش به خواطرهم ، حتى الوجودية التى دعت الفرد أن يتحرر من كل موروث من الاعتقادات والتقاليد والعادات ، وأن يتخلص من كل المبادىء والأحكام السابقة حتى هذه « لم تترك له تلك الحرية مطلقة الزمام بغير هدف ولا غاية ، أى لا تجعل من تلك الحرية غاية فى ذاتها فتنقلب إلى ما يشبه الفوضى . نعم لا يدعو سارتر إلى مثل هذه الحرية الشبيهة بالفوضى ، وإنما يرتب على حرية الفرد نتيجة خطيرة وهى المسئولية ، وضرورة تحملها ، ثم الالتزام بالفعل والقول » [١] .

والدين الإسلامى وهو أقوم نظام عرفته الإنسانية ، وأسمى شريعة جاء بها نبى مرسل ما كان له أن يعطى الناس حرية مطلقة — ولو أنه أعطاهم حرية واسعة — لأن مصلحة الجماعة — دائما — مقدمة عنده على مصلحة الفرد و (بعض الحرية فى التقييد وبعضها فى السلب ، وإذا تعارضت منفعة الفرد فى إطلاق الحرية ، ومنفعة الأمة فى حدها أو سلبها وجب نزع (ملكية) هذه الحرية ، ولو على الوجه الذى تؤخذ به دور الناس لتطريق شارع [٢]) .

وقد ضرب الإسلام أحسن مثل للحرية التى منحها لأتباعه ، بين فيه أن مصلحة الجماعة أولى بالرعاية ، وأحق بالاعتبار ، قال صلى الله عليه وسلم : « مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا

---

(١) الأدب ومذاهبه ص ١٤٤ ، ١٤٥ للدكتور مندور .

(٢) تحت راية القرآن ص ٣٦٩ للمرحوم مصطفى صادق الرافعى .

على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقا . ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ، فلابد إذن من الأخذ على اليد حين يكون استعمال الحرية مهلكا للجميع ، وهذه - فيما أعتقد - قضية طبيعية لا يختلف فيها اثنان . وفى الحديث — على ما قال ثقات الشراح — تشبيه الواقعين فى الحدود بمن أصابوا أسفل السفينة ، وتشبيه القائمين عليها — وهم الذين يحلون الحلال ويحرمون الحرام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر - بمن يركبون أعلى السفينة . وفيه — أيضا — إرشاد القائمين على حدود الله أن يأخذوا على أيدى المعتدين عليها ، وألا يسمحوا للفاحشة أن تشيع فيهم ولا يأذنوا للفساد أن يستشرى بينهم : فإنهم إن لم يقوموا بما افترض الله عليهم من المحافظة على تعاليمه وألقوا حبل العابثين على غواربهم ، وتركوهم يخوضون الباطل خوضا عمهم الله بعذابه .

هذا من الناحية العامة ، وأما من خصوص الكلمة ، فالإسلام - على مبدئه العام - لا يتركها للناس يقولونها بحرية مطلقة ، ما يجوز منها وما لا يجوز ، بل حد لها حدوداً وشرع لها قوانين ، ونهى عن أنواع منها ، وتوعد عليها ، وبعض وعيده يشير إلى العقاب الأخروى فقط ، كما فى نهيه عن اللغو من القول ، وعن ترديد الإفك الذى يرمى به بعض المسلمين بعضا ، وجاء فى ذلك قوله تعالى : « إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » ، وبعض وعيده أخروى ودنيوى ومن ذلك إذاعة قالة السوء عن المسلمين ، وإشاعة الأكاذيب التى تضر بجماعتهم ، أو تؤثر فى سياستهم الحربية أو غيرها وقد جاء فى هذا قوله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » ، والمرجفون ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا . ومعنى لنغرينك بهم ، لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التى تسوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة .

وشبيه بهذا : الإرجاف بعقائد الناس ومقدساتهم فإن ذلك يوقع البلبلة فى النفوس ، ولا وجه لما يقال أن حرية الرأى نور ولا يخاف النور إلا الضعفاء لأن ذلك حق

يراد به باطل فليس كل مسلم قادراً على أن يميز الخبيث من الطيب ، وكثير من الناس حتى المتعلمين منهم سريعو التأثر بما يسمعون أو يقرأون ومن واجب أولى الأمر أن يحموا عقائد الناس من أن يتلعب بها أهل الزيغ والإفساد الذين يتتبعون المتشابه من الآيات كما قال تعالى : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » قال الشاطبي فى الاعتصام : « من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر فى مقيداتها وبالعمومات أهل لها مخصصات أولا ؟ وكذلك العكس ، بأن يكون النص مقيداً فيطلق أو خاصا فيعم بالرأى من غير دليل سواه . فإن هذا المسلك رمى فى عماية ، واتباع للهوى فى الدليل . ومنه دعاوى أهل البدع على الأحاديث الصحيحة مناقضتها للقرآن ، ومناقضة بعضها بعضا وفساد معانيها أو مخالفتها للعقول[1] » .

والكلمة التى تضر بالجماعة سواء كانت كلمة تطعن فى الوطن أو فى الدين أو فى الخلق يجب أن تحبس ، وأن يضرب على يد صاحبها ، سيما إذا كان رجلا لا يعنيه إلا أن يقول ، فليس بصاحب هدف سام يريد أن يصل إليه ، وليس بصاحب مبدأ فى الإصلاح حتى يقال إنه إنما يريد خير أمته . وأى خير فى أن ينشر على الناس ـ مثلا ـ أن القرآن يحتوى على أساطير ، أو أنه أنزل بالمعنى والصياغة من عند محمد غير بلبلة الأفكار ، والتهجم على أقدس ما يعتز به المسلمون .

نفهم أن يفسح للرأى فى الذيوع والنشر إذا كان من وراء نشره ما يفيد الجماعة فيبصرهم عماية يقعون فيها ، أو يرشدهم إلى مسلك جهلوه ، أما أن يكون القصد من الرأى هو مجرد الهدم فلا أرى معنى لنشره لأن فى ذلك مساعدة لقلب مريض على أن ينفث من دائه فى صدور المعافين الأصحاء .

ومن عجب أنه ما أثيرت حرية الرأى ، أو حرية الكلمة إلا حيث وقع شر أجمع العقلاء أصحاب الدين الصحيح على أنه شر ، وما رأينا قوما دافعوا عن حرية الرأى المطلقة إلا وفى تاريخهم ما يؤخذ عليهم من وجهة النظر الإسلامية ، ولماذا ـ فقط ـ لا يدور الجدل حول هذه المسألة إلا حين يكون طعن يراه رجال الدين العارفون به مطعنا فى دينهم ؟ إن الذين يناصرون الخارجين عن الدين يحجمون أن يقولوا كلمة واحدة حين يتعلق الأمر بغير الإسلام ، وأنا ـ فى الحقيقة ـ لا أريد أن أحكم هنا على أن هذا الرأى أو ذاك خروج على الدين لأن هذا ليس غرضى ، وإنما الذى أريد أن أقوله إذا كان فى الرأى ما يراه العلماء مضراً

(١) حـ ١ ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

بالدين أو يراه الساسة مضراً بالوطن ، يجب أن يحال بينه وبين الذيوع ، ولا يعتبر هذا حجراً على الحرية ، لأن الحرية المطلقة كما قلت آنفا - لا تكون إلا فى الغابة أو كما يقول الرافعى - رحمه الله - : « ما هى قيمة حرية التفكير وأنت لا تجدها على أعظم شأنها وأكثر أسبابها وأوسع أشواطها إلا فى المتوهين والموسوسين وألفافهم » .

وفى الإسلام نصوص كثيرة تدل على أنه ينبغى أن يحال بين الكلمة الصلماء وبين الذيوع ، بل تدل على وجوب معاقبة صاحبها ، ذكر صاحب الاعتصام أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ذكر له رجل يقال له صبيغ فلما ظفر به جلده حتى سقطت عمامته ، قال السيد رشيد رضا معلقا على هذه القصة : « وما ذكره المصنف هنا مروى بالمعنى ، وجملة الأمر أنه - أى صبيغ - كان أول من وقع منه الشك وتشكيك الناس فى متشابه القرآن ابتغاء تأويله ، وكان قد كثر الداخلون فى الإسلام من الشعوب المختلفة فخشى عمر الفتنة على الجاهلين فأدبه وأبعده إلى البصرة ، ونهى الناس عن مجالسته ومكالمته [١] » .

وروى صاحب الاعتصام - أيضا - قصة غيلان القدرى مع عمر بن عبد العزيز ، وأن عمر أرسل إليه فلما جاءه ناظره وأرشده ثم قال له ما تقول ، فقال غيلان : قد كنت أعمى فبصرتنى وأصم فأسمعتنى وضالا فهديتنى . ثم أمسك عن الكلام فى القدر ، فلما مات عمر تكلم فى القدر فبعث إليه هشام بن عبد الملك فقطع يده ثم تكلم فى القدر فصلبه [١] .

وقد روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد ، تشتم النبى صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فينهاها فلا تنتهى ، فلما كان ذات ليلة أخذ المعول فجعله فى بطنها واتكأ عليه فقتلها ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : اشهدوا فإن دمها هدر قال صاحب (بلوغ المرام) فى هذا الحديث : ورواته ثقات .

اما قتل المرتد فقد أجمع عليه علماء المسلمين . قال الصنعانى صاحب سبل السلام بعد أن روى حديثا عن معاذ بن جبل : الحديث دليل على أنه يجب قتل المرتد وهو إجماع (ح ٣ ص ٢٦١) .

وذكر حديث ابن مسعود - رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة . قال صاحب بلوغ المرام فى الحديث

---

(١) الاعتصام ج ١ ص ٩٣ ، ٩٤ [هامش]

(١) ج ١ ص ٦٩

متفق عليه ، أى رواه البخارى ومسلم ، وفسر صاحب سبل السلام التارك لدينه بأنه كل مرتد عن الإسلام بأى ردة كانت فيقتل إن لم يرجع إلى الإسلام ، وفسر المفارق للجماعة بأنه كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغى أوغيرهما كالخوارج إذا قاتلوا وأفسدوا فى الأرض .

ومن الأحاديث فى هذا الموضوع قوله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه ، وقد رواه البخارى وأصحاب السنن .

وممن حكى الإجماع على قتل المرتد ابن عبد البر فى التمهيد فى الكلام على حديث (من بدل دينه فاقتلوه) قال : وفقه الحديث أن من ارتد عن دينه حل دمه ، وضربت عنقه . والأمة مجمعة على ذلك .

وصاحب المغنى من فقهاء الحنابلة قال : وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد ، وروى ذلك عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاذ وأبى موسى وخالد وغيرهم ، فلم ينكر ذلك فكان إجماعا .

وقال ابن دقيق العيد فى شرح العمدة : فراق الرجل بالردة عن دينه سبب لإباحة دمه بالإجماع .

وقد اختلف الفقهاء فى المرتدة ، فقال الأحناف : لا تقتل ، وقال غيرهم تقتل ، وجاء فى نيل الأوطار حديث عن النبى قال لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن : أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد وإلا فاضرب عنقه ، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فاضرب عنقها . قال الحافظ : وسنده حسن ، وهو نص فى موضوع النزاع فيجب المصير إليه[1] .

وقد قتل أبو بكر الصديق فى خلافته امرأة ارتدت والصحابة متوافرون فلم ينكر عليه أحد ذلك[2] .

ومن عجب أنى قرأت لأحد الكاتبين كلمة فى صحيفة يومية جاء فيها بالحرف الواحد : (فإن ارتدت الزوجة هى الأخرى عن الإسلام فالاجماع بين علماء الإسلام على تركها حرة مختارة ، وعدم التعرض لها بأى سوء فضلا عن قتلها) والكاتب قد نقل فى كلمته عن كتاب (نيل الأوطار) فبدهى أن يكون اطلع على هذا الخلاف فحكايته الإجماع على عدم قتل المرتدة لا يحمل إلا على الجرأة البالغة ، والخيانة العلمية ، فكيف نأمن أمثال هذا على رأى يذيعه أو كلمة يقولها وهو يكذب فى النقل فى موضوع يعلم أن الحديث فيه لن يمر دون درس وتمحيص .

وقد تمسك هذا الكاتب فى عدم قتل المرتد - كما تمسك كاتب آخر قبله - برأى نسب

---

(١) جـ ٧ ص ٣٩٣ .

(٢) المصدر السابق جـ ٧ ص ١٩٣ .

إلى إبراهيم النخعى ، وهذا لم يقل بعدم قتل المرتد صراحة ، وإنما حكى رأيه عند استتابة المرتد . وقد اختلف العلماء فيه ، فقيل يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو قول الجمهور ، وقيل يجب قتله فى الحال وإليه ذهب الحسن وطاووس . قالوا : وإنما تشرع الاستتابة لمن خرج عن الإسلام لا عن بصيرة ، فأما من خرج عن بصيرة فلا .

واختلف القائلون بالاستتابة هل يكتفى بالمرة أم لا بد من ثلاث ، وهل الثلاث فى مجلس أو فى يوم أو فى ثلاثة أيام ، ونقل ابن بطال عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه يستتاب شهراً ، وعن النخعى أنه يستتاب أبداً [1]

فالذى حكى عن النخعى هو أن المرتد يستتاب أبداً ، قال عالم جليل فى مقال نشرته مجلة الأزهر : « ففهم من ظاهر كلامه أنه يرى أن الرجل المرتد لا يقتل ، وقد اغتر بهذا الظاهر صاحب المغنى فقال ، ـ بعد أن حكى الإجماع كما سبق ـ : وقال النخعى يستتاب أبدا ، وهذا يفضى إلى أنه لا يقتل أبدا ، وهو مخالف للسنة والإجماع اهـ . وكذلك اغتر به ابن حزم فقال فى المحلى : وقالت طائفة يستتاب أبدا ولا يقتل ، ورد عليه بقوله : ولو صح هذا لبطل الجهاد جملة ، لأن الدعاء كان يلزم أبدا مكررا بلا نهاية ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، وليس دعاء المرتد ـ وهو أحد الكفار ـ بأوجب من دعاء غيره من الكفار الحربيين ، فسقط هذا القول . اهـ .

والتحقيق أن هذا الظاهر من كلام النخعى غير مراد ، لأنه لا معنى للاستتابة الدائمة إذا لم يترتب على عدم الإجابة شئ فيتعين حمله على أنه يستتاب كلما رجع إلى الردة ، ولذلك قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى : وعن النخعى يستتاب أبدا ، كذا نقل عنه ، والتحقيق أنه فيمن تكررت منه الردة اهـ ... وقد روى البيهقى فى السنن الكبرى بسنده هذا المعنى عن النخعى أى أنه قال : المرتد يستتاب كلما رجع . والدليل الصحيح الواضح على مراد النخعى ما ذكره البخارى فى صحيحه تعليقا بصيغة الجزم فقال :

وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم أى النخعى : تقتل المرتدة اهـ [1] .

ولا شك أن كثيرين من المثقفين قد دهشوا من جرأة هذا الكاتب ومن جهله معا ،

---

(١) نيل الأوطار جـ ٧ ص ١٩٥

(١) من بحث كتبه المرحوم الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقا؛ وقد رد فيه على كل ما كتبه هذا الكاتب فى الصحيفة اليومية لأنه فى الحقيقة ترديد حرفى لبحث كان نشر قبل ذلك . أنظر مجلة الأزهر العدد (شعبان سنة ١٣٧٥) .

فقد ذكر (أن الفتوى بقتل المرتد تسربت إلى فقهاء المسلمين عن طريق تقاليد الدولة البيزنطية المسيحية التى تأثر بها المسلمون وفقهاؤهم فى العصر العباسى وقد كانت هذه التقاليد وما زالت تقضى بقتل المسيحى إذا هو غير دينه كما حقق ذلك العلامة (آدم متز) الله . الله . فقهاء المسلمين قلدوا المسيحية فى فتاواها ، فلنحرق إذن كتب الفقه كلها لأن الذين ألفوها كانوا غير أمناء وكانوا مغفلين ، ألم يقل ذلك (آدم متز) ذلك المستشرق العلامة ، ومن ذا بعد آدم متز ؟ .

وذكر الكاتب أن أبا بكر لم يقاتل المرتدين إلا بعد أن (هجموا بالسلاح على المدينة المنورة) وأنا ـ والله ـ أظن أن المحققين من علماء التاريخ الإسلامى يجهلون هذه الحقيقة : هجوم المرتدين على المدينة ! . وأن أبا بكر قاتلهم لذلك ، كأنه لم يقل : والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه .

والقرآن لم يذكر قتل المرتد ، ولذلك فينبغى ألا يقتل ! وهذه الفتوى من الكاتب على حد فتوى الشاعر الأندلسى الذى أخذ إلى القاضى والخمر تفوح من فمه فقال :

قرأت كتاب الله تسعين مرة

فلم أر فيه للشراب حدودا

فعلى هذه الطريقة المخمورة تأخذ ديننا ، فمادام القرآن لم يذكر عدد الصلوات فلا نظام للصلاة ، ومادام القرآن لم يذكر رجم الزانى المحصن ، ولا تغريب الزانى غير المحصن ، فلا رجم ولا تغريب ، ولا معنى لما جاء فى القرآن (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . و (أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

بل ما لهؤلاء العلماء الأعلام . وهؤلاء العالمات الأعلام أيضا ونصوص القرآن ، ألم تقل واحدة منهن فى مجلة أسبوعية إن المرأة قد أخذت كل حقوقها فلا معنى لأن ينقص ميراثها عن ميراث الرجل ، ألم يقل عالم فى بعض كتبه إن ضرب المرأة وحشية ، وألم يقل قدوة هؤلاء جميعا ، « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى » ؟ ! [1] .

(وبعد) فإن الإسلام وضع قاعدة ذهبية ، يا ليت كل مسلم يضعها أمام عينيه وذلك حيث يقول صلى الله عليه وسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) .

على العمارى

---

(١) الشعر الجاهلى ص ٢٦ للدكتور طه حسين

بمناسبة رمضان عيد دستور الإسلام :

تبيانا لكل شىء من رب كل شىء

للأستاذ فتحى عثمان

أختتم عام ١٩٦١ من ميلاد المسيح ، بحدث دينى ضخم فى تاريخ الكنيسة المسيحية ، فقد انعقد مؤتمر دينى عدته مجلة « تايم » الأمريكية أضخم اجتماع مسيحى منذ القرن السادس عشر ! ! !

لقد كان الانعقاد الثالث للمجلس العالمى للكنائس فى دلهى عاصمة الهند . وقد أعرب أحد أقطابه : الرئيس هنرى تينى فان دوزن عن إيمانه بأن هذا الاجتماع سيعد « حق » أحد الأحداث المبكرة فى ثانى إصلاح كبير فى المسيحية » ! ! !

لقد أخذت كل الكنائس تحس بالحاجة إلى تعبئة الجهود ، وتنسيق الخطط ، وتعاون القوى ... للانطلاق ! ! !

الكنائس الأرثذوكسية اجتمعت فى رودس ، والبابا يوحنا يؤمل فى وحدة الكنيسة ويسير إلى الأرثذوكسية الشرقية والبروتستنتينية الغربية بروح من المودة . أما البروتستنتينية فى أمريكا فتريد أن تجمع شتاتها ...

وفى هذه الظروف جاء اجتماع دلهى ، وهو حدث ينبغى أن يدرسه دعاة الأديان فى كل مكان ! ...

لقد اجتمع ٥٧٧ مندوبا ، ليحاولوا تحديد إطار المسيحية غير الكاثوليكية ، وتناقشوا ١٨ يوما متتابعة وقد أرسل الفاتيكان لأول مرة مراقبين عنه إلى هذا الاجتماع « بصفة رسمية » !

وكان أكثر الموضوعات التى ألقيت أصالة واستثارة ماقدمه الدكتور يوسف ستيلر أستاذ اللاهوت فى الإلهيات بجامعة شيكاغو ... إنه يرى أن الشيوعية ليست مادية صرفة ، إن الذى هيأ للشيوعية فرصا هو اتجاهها لإعطاء كل شىء « قيمة » و « هدفا » ، ووضعها إياه فى مكانه من النطاق الضخم لمجموع الإنسان والعالم ! !

وعلى العكس من ذلك يرى الدكتور ستيلر أن المسيحية قد تضاءلت وانحسرت ، حتى لم تعد أكثر من سناد للعجز ، وقرين للوحدة وخادم سماوى الأغراض القومية المحلية .

وهو يرى أن الذى تحتاجه المسيحية : نظرة توجيهية شاملة ، أصدق وأوسع

وأثبت من النظرة الماركسية ، مع روحانية فى الأعماق تنير الطريق : « فى مجالات الاقتصاد ، والسياسة ، وشتى مجالات النشاط الإنسانى » !!

إن الدكتور سيتلر يريد مسيحية عالمية إيجابية فعالة Cosmic Christology ، لا يوضع فيها المسيح ضد الواقع وضد مجرى الطبيعة ! إن الذى كان لدى المسيحيين هو مسيحية (التاريخ) ، لكن الذى يحتاجونه هو مسيحية (الطبيعة) !!

وقد أثارت كلمات الدكتور سيتلر جدلا كثيرا ... وتمسك هو بالدعوة الحارة إلى الوحدة : « إن الكنيسة قد وجدت كثيراً من الطرق (الهستيرية) للتعبير عن خلافاتها ، ولكنها وجدت طرقا أقل للتعبير عن وحدتها ! ولكن إذا دعونا حقا إلى الوحدة ، وإذا استجبنا لهذه الدعوة فى صورة مسيحية عصرية تتسع لتستوعب نظرة الإنجيل الشاملة ، فقد يكون من الجائز أن نلتقى بعد ذلك على وحدة أكمل ، لأننا سنكون أهلا لتوفيق الله » !!! .

وقد وضع المؤتمر قراراته التوجيهية التى شملت كل شىء ، من الاستعمار البرتغالى فى أنجولا إلى الاعتراف بالصين الشيوعية عضوا فى الأمم المتحدة ! ودعا المؤتمر إلى أن تكون الكنائس على وعى كامل بالتغيرات الاجتماعية وأثرها فى الحياة المسيحية ، وأهاب بها أن تكافح بجد فى سبيل المساواة بين الأجناس ، وحث الشعوب الغنية على مساعدة الشعوب المحرومة ، كما استنهض همم المسيحيين للعمل من أجل قيام المنظمات السياسية التى تشجع اشتراك كل المواطنين فى الحياة السياسية ، والتى تحمى كلا من حرية الفرد فى ضميره وحريته فى تعبيره . وقد كانت توصيات المؤتمر قوية فى صدد الدفاع عن الحريات الإنسانية . وأنذرت من أن حكومة لا تستند إلى رضاء المحكومين لا يمكن أن يؤيدها المسيحيون فى هذا العصر !!!

* * *

يفعل هذا دعاة الدين الذى قال داعيته الأول : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » !

فماذا يفعل دعاة الدين الذين يقرأون : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » !!

لقد فصلت أوربا بين الدين والدولة ... فماذا كانت النتيجة ؟ ؟

يقول روجيه باستيد R. Bastide فى كتابه مبادىء علم الاجتماع الدينى :

« ... مع أن التفرقة بين الهيئات الكهنوتية وبين الدولة قانون مطرد ، فهناك طغيان متبادل بين هاتين السلطتين عندما تكونان

منفصلتين . وهنا يجب علينا أن نفحص ثلاث حالات :

أولا : طغيان الكنيسة التى تطالب بنصيب فى التشريع ، وبالحصانة من توقيع العقوبات ، والتى تكرس الملوك ، وتخلق الأحزاب السياسية .

ثانيا : طغيان الدولة التى تحل الهيئات الدينية ، وتنص على عدم مشروعية نظام الرهبنة .

ثالثا : ويوجد أخير طغيان غير شعورى ينجم عن هذا الأمر ، وهو أن نفس الأفراد ينتمون فى آن واحد إلى كلتا الناحيتين . وأنهم يجدون مشقة كبيرة فى تقسيم نشاطهم قسمين » !!

هذا رأى علم الاجتماع وعلمائه الغربيين ..

وقد عالجت فى كتابى الأخير : « مع المسيح » قضية « الدين والدولة » فى ضوء تعاليم المسيحية ، وكان مما قلته فى ذلك :

« ... والكنيسة فى الغرب كثير ما تتدخل فى شئون السياسة ، وهى ما برحت حتى اليوم ذات تأثير كبير - فى بعض الدول على الأقل . وقد تولى أسقف مسيحى أخيرا رئاسة السلطة الزمنية فى قبرص دون أن يخلع رداء الكهنوت والاتجاه المسيحى يلون النزعة الاشتراكية عند بعض أحزاب ألمانيا وانجلترا وبلجيكا الاشتراكية والديموقراطية ، ويبدوا أثر الدين واضحا فى كتابات تشرتشل وأتلى وأيزنهاور ودلاس ... وعندما أتيحت للمسيحية فرصة الإفادة من السلطان لم تتردد - فى الدولة الرومانية الشرقية أو فى الدول الأوربية فى الغرب ... وقد تحمس الأباطرة البيزنطيون منذ قيام ليو الثالث رأس الأسرة الإيسورية سنة ٧١٧م لنزعة فى الدين عرفت باللاصورية Iconclast ، وقد سعى الأباطرة لفرض هذه الفكرة ومحاربة مخالفيها بكل سبيل ... وجرى الصراع بين البابوية وبعض رءوس السلطات الزمنية فى أوربا ، وكان الفصل الظاهرى الرسمى لسلطتى الدين والسياسة يحمل معه أسس النزاع حول سيادة أيهما على الأخرى » .

* * *

والمسلمون اليوم فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وهم يمجدون عيد دستورهم بمواكب الصائمين القائمين ، عليهم أن يكونوا على وعى بين تطول الأمور فى أرجاء العالمين .

« والحقيقة الأولى التى ينبغى أن يعوها جيداً : أن فى العالم مجاعة روحية ، وحنينا إلى العودة إلى الدين ، وإلى تغشية كل مجالات الضمير والسلوك والتنظيم بهذه الهداية السابغة الرحيمة .

« والحقيقة الثانية : أن الفصل الظاهرى بين « الدين والدولة » فى تاريخ المسيحية ، ينبغى

أن يدرس فى ضوء حقائق التاريخ وعلى النفس والاجتماع ، وينبغى لدعاة الإسلام أن يتابعوا أحدث ما يقوله فلاسفة المسيحية فى هذا العصر عن هذا الموضوع .

فهل نقدر الأمانة ... ونتهض بعبء الرسالة ؟

هل نعى دقة موقفنا فى هذه الفترة الدقيقة من تاريخ الحضارة الإنسانية ؟

هل ندرس ما يسمى « بالاستراتيجية الإيديولوجية » فى صراع الأفكار والمذاهب ؟

إننا نحتفل بدستورنا الخالد ، الذى لم يفصل بين النظام والعقيدة وبين الجسد والروح ، وبين الأجهزة الحاكمة الضابطة والروح الموجهة ... ولا نفتأ نبدأ ونعيد فى شمول القرآن ، وإحاطة القرآن ، وعلاج كل الأمور فى القرآن ! !

وتدخل هذه الحقيقة إلى أذهاننا فى رمضان أو فى غير رمضان ، لتعيش على وفاق عجيب ووئام منكر مع متناقضات كثيرة فى أذهاننا وسلوكنا وواقعنا ...

* منها : أن الدين صلة بين العبد وربه ...

* ومنها : أن الدين ينحسر فى هذا العصر ... وأنه قد انحسر تماما فى الغرب ...

* ومنها : أن أصول الدين نفسه تبرر هذا الانحسار ! !

وأقوم سبيل للاحتفاء برمضان ، وبدستورنا (القرآن) : أن ندرس موقف « الدين » فى العالم وموقف « الإسلام » بين الأديان ...

وأذكر هنا كلمات منيرة هادية ، للأستاذ الدكتور محمد البهى ، فى كتابه « الفكر الإسلامى الحديث » :

« إن رجال السياسة فى الغرب عامة يعرفون جيداً الثمن الذى دفعوه للفاتيكان مقابل تأييده للحلفاء ضد النازية والفاشية فى الحرب الأخيرة ، ويعرفون جيدا الثمن الذى يدفعونه الآن لقاء تعضيده مقاومة الشيوعية فى العالم المسيحى . . . والتاريخ السياسى الحديث لم يزل يذكر ثورة الأرجنتين على ديكتاتورها السابق عندما شق عصا الطاعة على رجال الكنيسة الأرجنتينية . ومع أن (مثنوية) الإنسان التى قام عليها الفصل بين والدولة تعتبر فكرة غير سليمة من الوجهة العلمية ، وغير عملية من الوجهة التطبيقية - فإن دعاة (التجديد) فى الفكر الإسلامى الحديث لم يزالوا يرونها (تجديدا) لأن الغرب المتحضر قال بها يوما . . . !

إن تجديد الشرق فى الفكر الإسلامى الحديث ، تقليد لفكر الغرب فى القرن التاسع عشر . . . تقليد لفكر إنسانى انكشف ضعفه وهواه ، وانتهى أجله واعتباره . . إنه الشرق يستورد ولا يخلق . . هل نرجو الآن إنه قد وعى ، وسيخلق ليبقى ، ثم يورد لغيره كما كان ؟ ؟ » .

أدعو الله مع الأستاذ الدكتور . . . أن يحقق الرجاء ؟

فتحى عثمان

الثورة الباقية

للأستاذ محمد محمد خليفه

زحفت ثورات الجمهورية العربية المتحدة السياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية فى مختلف ميادينها ، وكتب الله لها فى كل ذلك نصراً هزت نشوته العرب جميعا فكبروا حين رأوا عرش الطغيان تتحطم قواعده ، وحين رأوا الذئاب الاستعمارية تتسلسل تحت ظلمات الخزى والخيبة مشيعة بلعنة السموات والأرض يطاردها البعث المسلح بالعزائم الصارمة .

وهلل العرب حين رأوا نفاثاتهم ومقاتلاتهم تمزق فى حدة طباق الجو وتعلن للدنيا قدرة قواعدها على حماية حماها .

وهللوا حين رأوا الغواصات وزوارق (الطوربيد) وغيرهما من الأسلحة البحرية ترعد بين البحار فترتعد من بأسها أحلام الصهيونيين .

وهللوا حين رأوا الجيوش الرابضة على الحدود فى إيمان يسخر بقوى الأرض لأنه ابن السماء .

وكبر العرب حين رأوا الثورة الاقتصادية تحطم الأغلال التى صنعها الغرب وتذيب القيود التى أحكمتها مصانع الغدر وتمضى بعد الظفر لتعلن للدنيا أنها تسير أبدا فى كنف الله .

ثم كبر العرب حين رأوا الثورة الاجتماعية تذيب الفوارق الطبقية وتنتشل من وهدة الاستكانة العامل والصانع والزارع ممن استعبدهم الإقطاعيون وامتص دمهم وقوامهم أصحاب المعامل والمصانع ، وكان هدف هذه الثورة خلق الكرامة لمن سلبت منه الكرامة ، وبعث الحياة فيمن كان يمن عليهم بأسباب الحياة ، حتى عافوا دنياهم التى يعيشونها بين عقارب المن وجوائح الاستذلال .

كل هذه الثورات حققت للأمة حياة عاشت ترقبها من خلال تاريخها أعواما طوالا . وكل هذه الثورات أزجت إليها أملا طالما تلمسته فى ماضيها حتى لمسته فى حاضرها .

ولكن ... ولكن بقيت ثورة هى أشد حاجة إلى القوى الصالحة المصلحة وإلى الإرادة المتيقظة اليانية وهى أولى الثورات بعناية قادة الثورات ، لأنها تطرد نوازع السوء من طريق أولئك الذين تحملهم الأمة أعباء رسالة المجـــد .

إنها الثورة على الانحلال ... الانحلال

الذى استشرى خطره منذ فجر الاحتلال ، فأتزر حينا أردية الحضارة البراقة ، وخطر حينا وراء أستار المذاهب الوافدة من الغرب أو الشرق ، وخلع حينا هذا وذاك ، فظهر متحللا من روحانية الشرق الإسلامى ومن كل مقومات الأخلاق وما دعت إليه الأديان .

إن الانحلال الذى نخر فى كيان هذه الأمة وامتد فى أعضائها ، ونهشت أخطاره حياتها أحوج ما يكون إلى ثورة جامحة تستأصله وتقضى على عوامله التى قد تتجسم صخوراً وعقبات تسد على الثورات الزاحفة سبيلها ، وتضع العراقيل المعوقة فى طريق المصلحين .

وليس الانحلال الذى يتهددنا وليد اليوم وإنما شب فى أحضان الاحتلال يرعاه ويدلله فهل من لفتة حازمة تقضى عليه ، وتهيء للثورات المنطلقة الأمن فى كنف أمة تكون لها من أخلاقها قوة تصون ، قبل أن يكون لها من سلاحها قوة تحمى .

وإننا نستهدف لملاحم دامية من الصهيونية ولحملات تبشيرية صليبية ، ولكن أعنف ما يخيف تلك التيارات الإلحادية التى تهدد العقائد وتعصف بالمقدسات ، فهل من ثورة تمزق ما عبأ الملاحدة قبل أن يمزقوا أقدس ما نعتز به .

نريد ثورة على الانحلال الدينى ثم نريد ثورة على الانحلال الاجتماعى ، ثورة على الرشوة تدهم النفوس المريضة وتصادر ما جمعت من مال لتجعل أصحابها عبرة لمن عسى أن يعتبر ، وما أكثر مرضى النفوس فى هذا المجتمع وما أشد خطرهم وما أفظع مصيبة القادة بهم .

نريد ثورة على المحسوبيات التى قتلت الكفايات ووثبت بالكثير من غيرهم إلى مناصب مرضت بهم وتعثرت خطاها فلم تستطع المضى فى كنف الركب الزاحف وكم نادى السيد الرئيس وندد بأولئك المستغلين لمناصبهم . ولكن ما زال فى الدولة من فى أذنيه وقر وما زال خطر المحسوبيات تمزق مخالبه أحلام الكفايات وتوهن من جهودها .

نريد ثورة على النفاق الذى عشش فى قلوب الضعفاء وصرع فيها معانى العزة والكرامة ومحاسنها من مقومات الرجولة ، فعاش المنافقون فى دنياهم أشباه رجال على جباههم من شيات النفاق طابع تزيد كل يوم حدته .

فهو أبدا ينطق بمعانى الذلة ولهؤلاء خطرهم على نفوسهم وعلى أبنائهم وعلى مجتمعهم وخليق بالدولة ألا تدع هؤلاء ينشرون الضعف فى ذلك المجتمع الشامخ .

نريد ثورة على الغش يعمل فيها القانون عمله ويعمل إلى جانبه المصلحون بألسنتهم وأقلامهم وتجند لها الصحافة والإذاعة قوة تنزع من نفوس الغاشين جشعهم الطاغى وتخلقهم للمجتمع الجديد خلقا جديدا .

نريد ثورة على المستهينين بالواجب والمسئوليات والمناصب أولئك الذين كفلت لهم الدولة كل شيء وضنوا عليها بكل شيء ، قلدتهم بعض شأنها فاستغلوا السلطة والثقة واستجابوا إلى وسوسة الإهمال ونزغات الاستهتار فقضوا أيامهم يتثاءبون وراء مكاتبهم أو يشتغلون بما ليس من عملهم والجمهور الغاضب على الأبواب يحرقه الغيظ ويستبد به الألم .

وكأني بهؤلاء يفرضون على الدولة أجساما بلا أرواح وهياكل بغير قلوب إن هؤلاء المستهترين بالمسئوليات (سرطان) فى جسم المجتمع إذا امتد به الزمن دون أن يستأصل عاق الجيل الصاعد عن السمو إلى آماله التى يتطلع إليها .

نريد ثورة على المختلسين الذين تفننوا فى سلب أموال الدولة . إن الدولة فى حاجة إلى نفوس طاهرة تنطلق فى الوزارات والمدارس لتحاسب وتحقق حتى ترد إلى خزائنها ما سلب منها وتصون لأبواب النفقات ما أعدلها وتمنع العبث بأموال النشاط وتراقب تزوير (الفواتير) .

نريد ثورة على اللصوصية السافرة والمستترة وكم بين الأغنياء من لص يسلب حقوق الدولة ويوارى عنها الكثير من أملاكه ويحتال للفرار من حساب الضرائب التى تجبيها الدولة لخير الأمة ، وليس أنجع فى هذه الثورة من حكم الله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » هذا حكم الخالق فى قضية السارق وكشفه للمجتمع ليكون عبرة تحذر وتخيف المستسلمين لأهوائهم وفى هذا الجزاء علاج أى علاج لمرض يهدد كياننا .

وأخيراً بل أولا نريد ثورة على الأغانى الساقطة التى تقتل فى شبابنا كل معانى العزة والرجولة وفى فتياتنا كل المعانى الخلقية النبيلة وترمى بهؤلاء وأولئك فى محيط صاخب من شهوات النفس وغرائزها يلاطمون أمواجه وتلاطمهم ثوراته وتشغلهم مغامراتهم عما يطلبه الوطن العربى الكبير من كفاح أجياله فى سبيل أمجاده .

وخليق بأيدى البناة والمصلحين أن تمتد إلى هذا اللون فى دار الإذاعة فتأتى عليه وتحطمه قبل أن يعثر قوافلنا الماضية فى الحياة .

وخليق بالقادة ألا يدعوا المرآة الحقيقية لأخلاق الأمم تعكس للعالم صوراً تشف عن حياة رخيصة هزيلة لا تتلاءم مع الانطلاقات الفتية فى حياتنا .

وخليق بهم كذلك - وبيدهم المقاليد - أن يعلنوا لمؤلفى الأغانى منهجا جديداً يخلق ولا يفنى ، يحيى ولا يميت يقوى ولا يضعف ، يسجل ولا يضيع - وإلى من يعيشون مع

الأحلام والاستهتار والتحلل من كل مقومات الأمم الحية داخل إذ هتنا يجب أن يلتفت القادة ليقذفوا بهم بعيداً عن طريق انطلاقها .

ويجب أن تنطلق الثورة المدمرة إلى الماديين من تجار (الأفلام) المريضة التي تجنح إلى الرقص أو إلى ما يثير الغرائز الجنسية من مواقف وأغان على حين خلو هذه (الأفلام) من علاج مرض اجتماعي بل إنها كثيرا ماتبعث الأمراض الخلقية النفسية فى المجتمع وما أحوج هـــذا المجتمع إلى قصص تعالج أمراضه وتتناول مشاكله فى حذق وعرض يعين على استئصال هذه الأدواء ، وقد تفيد القصة والتمثيل أكثر مما يفيد الوعظ إذا آمن الممثل برسالته فى المجتمع . أما مرض المخدرات والاتجار بها فقد امن المسئولون بخطره ووضعوا العقوبات الصارمة كلون من العلاج ولكن المستهينين بالمجتمع مازالت نفوسهم العابثة تمضى بهم فى العبث ومن ثم لم يجد المسئولون بدا من أن يأخذوهم بالحزم ليقضوا على خطرهم .

أيها الثوار . الذين حاربوا الفساد السياسى ، إن الفساد الاجتماعى الذى تعصف بهذا المجتمع عواصفه أحوج ما يكون إلى جهودكم وثورتكم حتى تؤمنوا لهذه الأمة حياتها وإنكم وأنتم صناع أمجادها جديرون بإرساء قواعد المجد على أصول ثابتة محكمة ولن يكون ذلك إلا إذا قضيتم على أسباب التفكك والاسترخاء والانحلال .

أيها الثوار . . . هبوا لهذه الأمراض وغيرها بعض جهودكم ولمحات من وقتكم ولفتات من رعايتكم فالمجتمع الذى تتقاذفه تيارات الانحلال بمد يده المرتعشة إليكم وهو مؤمن بأنكم منتشلوه لأنكم صانعو حياته وباعثو آماله .

وإن هذا المجتمع لا يصلح إلا بما صلح به أوله : خلق طاهر وضمير حى وإيمان بالواجب وعمل خالص وتفاعل مع الانطلاقات الصادقة لخير المجتمع وقضاء على الانحلال والمنحلين

أيها الثوار :

إن الانحلال أخطر ما يهدد كيان الأمم فأعلنوها ثورة عارمة عليه يبارك الله لكم فى جهادكم وينصركم وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

محمد محمد خليفة

المدرس فى معهد القاهرة للأزهر

إبليس الأول أو إبليس آدم

للأستاذ عباس طه

أصل اللفظ واشتقاقه – خلق إبليس – حقيقة الجن – إبليس قبل المعصية – إبليس وآدم – إنظاره – موته ووقته

---

١ – أصل اللفظ واشتقاقه :

قال الزجاج : هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ووزنه فعليل .

قال البستاني في دائرة المعارف : وهذا هو الصواب فإنه معرب (ذيافوليس) باليونانية وهو علم جنس للشيطان ، ومعناه فيها بالحصر موقع الخلاف وبالتعميم نمام أو مشتك كاذب .

وقال صاحب تاج العروس بعد قول القاموس : أو هو أعجمي ولذا قيل إنه لا يصح أن يشتق إبليس وإن وافق معنى أبلس لفظا ومعنى وقد تبع المصنف الجوهري في اشتقاقه فغلطوه فلينتبه لذلك .

وقال أبو عبيدة وغيره : إنه عربي مشتق من الإبلاس وهو الإبعاد من الخير أو اليأس من رحمة الله . يقال أبلس من رحمة الله أي يئس وندم وفي التنزيل العزيز (يومئذ يبلس المجرمون) وإبليس مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله أي أويس ومنع من الصرف حينئذ لكونه لا نظير له في الأسماء أو لأنه شبيه بالأسماء الأعجمية لكونه لم يسم به أحد من العرب فصار خاصا بمن أطلقه الله تعالى عليه وكأنه دخيل في لسانهم . وقيل إسمه بالعبرانية عزازيل ، وبالعربية الحارث ، أما كنيته فأبو مرة .

٢ – خلق إبليس :

تتوقف معرفة خلق إبليس على معرفة النوع الذي هو منه وذلك أنهم اختلفوا فيه أهو من الملائكة أم من الجن ؟ فذهب جماعة إلى أنه من الملائكة مستدلين بجملة أدلة :

الأول : ظاهر الاستثناء في قوله تعالى : « فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر » .

والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل أو لصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة .

الثاني : أنه لو لم يكن من الملائكة لما كان قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) متناولا له ولو لم يكن متناولا له لاستحال أن يكون تركه للسجود إباء

واستكبارا ومعصية ولما استحق الذم والعقاب وحيث حصلت هذه الأمور وعلمنا أن ذلك الخطاب يتناوله ولا يتناوله ذلك الخطاب إلا إذا كان من الملائكة .

وذهب جماعة آخرون إلى أنه من الجن مستدلين أيضا بعدة أمور منها :

الأول قوله تعالى فى سورة الكهف « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » ،

الثانى : « إبليس له ذرية لقوله تعالى فى صفته « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو » وهذا صريح فى إثبات الذرية له وأن الملائكة لا ذرية لهم لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والانثى والملائكة لا أنثى فيهم لقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم) أنكر على من حكم عليهم بالأنوثة فاذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد لا محالة فانتفت الذرية .

الثالث : أن الملائكة معصومون وإبليس لم يكن كذلك لأنه قد استكبر والملائكة لا يستكبرون .

الرابع : أن إبليس مخلوق من النار والملائكة ليسوا كذلك ـ وشأن الأدلة على هذا فى بيان حقيقة الجن ، وقيل : إنه لا من الملائكة ولا من الجن بل هو خلق نعمة وأنه مخلوق من النار .

٣ — حقيقة الجن :

الجن نوع من الخلق سموا بذلك لاختفائهم عن الأبصار ، ولأنهم استجنوا من الناس ، فلا يرون ، قال الراغب : أصل الجن (بفتح الجيم) ستر الشىء عن الحاسة يقال جنه الليل وأجنه وجن عليه لجنه : ستره) إلى أن يقول والجن بكسر الجيم يقال على وجهين : أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس فعلى هذا تدخل الملائكة والشياطين ، فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة ، وعلى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جن . وقيل : بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة : ١ ـ أخيار وهم الملائكة . ٢ ـ أشرار وهم الشياطين . ٣ ـ أوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن » اهـ .

وقد أخبرنا القرآن الكريم وجاء فى السنة الصحيحة أنهم عالم قائم بذاته وأنهم قبائل وطوائف وأن منهم البار والفاجر وأنهم يأكلون ويشربون ويتناسلون .

قال تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين » ، وقال : حكاية عنهم « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون » .

وقد رويت أحاديث كثيرة في هذا المعنى فروى أنهم مروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي بأصحابه ببطن نخلة من أرض مكة فوقفوا فاستمعوا لقراءته ثم اجتمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ونهاهم عنها وسألوه الزاد فقال لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحما وكل روثة علف لدوابكم. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بهما وقال إنهما زاد إخوانكم الجن ، أما ماخلقوا منه فقد ذكره القرآن الكريم في قوله : «خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار » وفي قوله : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم » وذكره الحديث في رواية مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم » .

٤ — ابليس قبل المعصية :

ليس هناك خبر تطمئن اليه النفس وتقوم به الحجة على تعيين الحالة التفصيلية التي كان عليها إبليس قبل معصية ربه بإبائه السجود لآدم وليس من اليسير على الباحث الحريص على استكمال نواحي بحثه أن يهمل مثل هذه الناحية الهامة في ترجمة إبليس دون أن يتحدث عنها بكثير أو قليل فانه ان أهمل وصف بالتقصير وان تحدث بما لم يؤيده نص ديني أو يعضده مصدر تاريخي وثيق وصف بالقصور واذا فليعذرنا حضرات المطلعين ان نحن أوردنا شيئا في هذا الموضوع مما رواه شيوخ العلم وأئمة المؤلفين ونسبوه إلى أجلاء من الصحابة وغيرهم رضوان الله عليهم كابن عباس وغيره ونحن لا نورده هنا على أنه أخبار مسلمة وروايات مقطوع بها بل لنبين أن هذا هو كل ما ذكروه والعهدة عليهم فيه قالوا كان اسم ابليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل وكان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض وما بينهما وكان خازن الجنة مع اجتهاده في العبادة وكثرة علمه فأعجب بنفسه ورأى أن له بذلك الفضل فاستكبر . وقيل : إن الجن لما أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة فقاتلهم وشردهم إلى الجزائر فلما فعل ذلك اغتر في نفسه وقال قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد . وقيل : كان قاضيا بين الجن فلم يزل يقضي بينهم بالحق حتى سمي حكما فتعظم وتكبر وألقى بينهم العداوة والبغضاء فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرج إلى السماء فأقام

عند الملائكة يعبد الله مجتهدا فى العبادة فلم يزل كذلك حتى خلق الله آدم فكان من أمر إبليس ومعصية ربه ما كان ، وقيل غير ذلك .

٥ - إبليس وآدم :

يؤخذ من الآيات القرآنية التى وردت فى خلق آدم عليه السلام أن الله تعالى اختصه بمزايا أهمها :

١ — تعليمه الأسماء كلها .

٢ — أمره الملائكة بالسجود له . ولقد كان هذا الاختصاص سببا فى حسد إبليس لآدم وقد حمله هذا الحسد على الاستكبار والعناد مبررا ذلك بأنه أفضل من آدم فعاقبه الله على ذلك بالطرد من الجنة ويإنذاره بأنه من أهل النار . ويحكى لنا القرآن الكريم ذلك فى نظم رائع وأسلوب معجز قال الله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

٦ — إنظاره : أراد إبليس أن يجد له فسحة فى الأغواء وأن يكون له من طول الحياة ما يرخى له العنان فى الجرى وراء الافساد الذى جبل عليه فسأل ربه عز وجل أن ينظره إلى يوم الدين لإشباع نهمته من هذه الناحية .

قال تعالى حكاية عنه : « قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صرطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين» أما الحكمة فى إنظاره ذلك الزمن الطويل ما هو عليه من الإفساد فقد بينه العلماء . قال ابن كثير فى البداية والنهاية . إن إبليس أنظره الله إلى يوم القيامة محنة لعباده واختبارا منه لهم كما قال تعالى : وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ .

٧ — موته ووقته : ذكر أصحاب الأخبار كيفية موت إبليس ، فنقل الألوسى فى تفسيره عن كتاب البحور الزاخرة للسفارينى خبرا مرفوعا إلى ابن مسعود رضى الله عنه أن أبليس يموت بقتل الدابة له عند خروجها ، ولكن الألوسى شك فى نسبة هذا القول إلى ابن مسعود ، وإذاً فالمسألة موكلة إلى علم الله تعالى .

وأما وقت موته فقد حكى فيه الرازى قولين : الأول . أنه تعالى أنظره إلى النفخة الأولى لأنه تعالى قال إنك من المنظرين إلى الوقت المعلوم والمراد منه اليوم الذى يموت فيه الأحيا. كلهم والثانى انه تعالى لم يوقت له أجلا بل قال (إنك من المنظرين) وقوله فى الآية الأخرى إلى يوم الوقت المعلوم المراد منه الوقت المعلوم فى علم الله تعالى وقال بعضهم غير ذلك . والله أعلم ؟

عباس طه

الإسلام والمسلمون فى أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشواربى

التبادل الثقافى بين أمريكا والعالم الإسلامى :

لقد أدى نظام تبادل الأساتذة والباحثين، الذى استحدثته الولايات المتحدة والذى عرف أخيراً بنظام الفولبرايت ، إلى تحقيق التبادل الثقافى بين أمريكا وبين كثير من دول العالم . وكان من بين هؤلاء الأساتذة الذين وفدوا إلى أمريكا أو الذين أوفدتهم أمريكا إلى خارج بلادها كثيرون ممن وفدوا من بلاد العالم الإسلامى أو أوفدوا إليه . ومما لا شك فيه أن هذا النظام قد أدى إلى الكثير من الفوائد لكلا الفريقين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن رئيس لجنة تبادل الأساتذة بالحكومة الأمريكية ألقى محاضرة قيمة عن نتائج وأهمية التبادل الثقافى بين أمريكا ودول العالم الإسلامى ولقد ورد فى تلك المحاضرة كثير من الحقائق الشائقة والآثار الطيبة التى تركها الأساتذة الزائرون من دول العالم الإسلامى فى نفوس أساتذة الجامعات الأمريكية .

ولقد يكون من الخير أن تقوم البلاد الإسلامية بالإكثار من إرسال الوفود من الشخصيات الإسلامية البارزة التى لها إلمام باللغة الإنجليزية لزيارة أمريكا والتعرف على الجاليات الإسلامية بها وإقامة الروابط الدينية والثقافية المختلفة وهو مصداق قوله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم إن الله عليم خبير » . فمما لا شك فيه أن القيام بإرسال هذه البعوث كفيل بتحقيق خير كثير لكلا الفريقين على السواء .

ونود أن نذكر فى هذا العدد أن الباكستان تقوم الآن بهذا العمل على أوسع نطاق ممكن سواء عن طريق الأفراد أو الجمعيات أو الحكومة ذاتها .

ولقد التقيت فى أمريكا ببعثتين من هذه البعثات : الأولى فى واشنطون وكانت تتكون من أربعة أشخاص قاموا بها بدافع شخصى وبصفة غير رسمية وقد أسهموا فيما بينهم بتحمل نفقات الرحلة وزاروا مختلف الجاليات

الإسلامية فى أمريكا وتنافسوا فى خدمتهم وتقديم المعونة الأدبية لهم .

ولقد التقيت بالبعثة الثانية من بعثات الباكستان فى نيويورك . وكان قوامها تسعة من كبار رجال الباكستان بينهم محام كبير ومهندس ممتاز وموظف كبير بمصلحة السكك الحديدية وأستاذان من كبار أساتذة جامعاتها ، وقد وفدوا جميعا إلى تلك البلاد الأمريكية لقضاء ستة أشهر بها بعد أن قبلت الهيئات الحكومية والأهلية التى يعملون بها منحهم هذه الإجازة بمرتب ليتسنى لهم زيارة مسلمى أمريكا بالنيابة عن مسلمى باكستان .

ولقد قامت هذه البعثة الأخيرة بإلقاء عدد كبير من المحاضرات فى شتى الجمعيات الإسلامية وعقدت كثيراً من الندوات لتفقيه المسلمين فى أمر دينهم كما وجهت الدعوة إلى بعض المسلمين الأمريكيين للسفر إلى باكستان عند انتهاء زيارتهم لأمريكا ليقوموا بدورهم بزيارة إخوانهم فى العالم الإسلامى وأن ينزلوا عليهم ضيوفا كراما .

وتلق مثل هذه البعثات عادة كل ترحيب من المسئولين الأمريكيين ، كما أن الشعب الأمريكى بما طبع عليه من حب لحرية الرأى وما يتصف به من سعة الأفق ودماثة الخلق يرحب كل الترحيب بمثل هذه البعثات ويقبل بقلوب متفتحة على التعرف إلى أعضائها والاستماع إليهم وتأكيد المودة بينه وبينها .

وقد يكون من الخير أن تحذو الدول الإسلامية الأخرى حذو الباكستان فى القيام بهذا الدور الجديد فى العمل على تشجيع التبادل الثقافى بين الشعوب الإسلامية والشعب الأمريكى ، ونأمل فى المستقبل القريب أن تولى الدول الإسلامية هذا الأمر عنايتها بإرسال الوفود إلى مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية فإن كل ولاية من ولايات أمريكا لا تقل فى عدد سكانها ، ومساحة أراضيها عن بعض دول العالم الإسلامى إن لم تزد عليها فى عدد السكان والمساحة .

ويذهب الآن إلى الشرق الأوسط والأدنى عدد كبير من الأساتذة الأمريكيين ومن الباحثين والطلبة وكلهم موضع رعاية الدول التى يفدون إليها ويلقون فيها ما عرف عن الشرق من كرم الضيافة ، وتعتبر هذه الأمور من العوامل الفعالة التى تؤكد إيجاد جو من التفاهم الصحيح والتعاون الفعال بين الإسلام والمسيحية .

وقد درج بعض كبار أعضاء الجاليات الاسلامية فى أمريكا على إرسال أبنائهم للدراسة بعض الوقت فى بعض الدول العربية حتى يمكنهم أن يحافظوا على لغة أجدادهم والتحدث بها بطلاقة ، وهذه بلاشك روابط قوية تربط بين الوطن الجديد لهؤلاء المهاجرين

وبين وطنهم الأصلى الذى هاجر منه آباؤهم وتؤكد حسن التفاهم بين البلدين .

ومما هو جدير بالذكر أنه قد تم الاتفاق بينى وبين بعض المشرفين على الجامعة الإسلامية فى شيكاغو ا على أن يسافر بعض الطلبة والطالبات إلى مصر للتعلم فى جامعة القاهرة وإتمام دراساتهم فيها ، ونأمل أن تيسر وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة هذه المهمة خصوصا أن هؤلاء الطلبة لن يكلفوها شيئا إذ أن ذويهم سوف يتكلفون بدفع كل نفقات سفرهم وإقامتهم ، ونأمل أن تعفيهم جامعة القاهرة من دفع المصروفات الجامعية .

ومن البوادر الطيبة التى تؤيد هذا التعاون الثقافى وتدعمه ما نراه اليوم من اتجاه كثير من دول العالم الإسلامى فى السنوات الأخيرة إلى دعوة بعض المبرزين من قادة الجاليات الإسلامية فى أمريكا إلى زيارتها ، ففى استضافة مثل هؤلاء تجديد لمعلوماتهم وتأكيد لروح المودة بين العالم الإسلامى وبين أمريكا .

ويقوم طلبة البعوث من أبناء الدول الإسلامية فى أمريكا بنشاط ثقافى ملحوظ وهم يزيدون على بضعة آلاف ، ويبلغ عدد أعضاء البعثات من العالم العربى فقط ما يزيد على أربعة آلاف طالب ، وهم جميعا يقومون فى أوقات فراغهم بعقد الندوات والمحاضرات عن الإسلام ويتبادلون المعلومات الصحيحة مع زملائهم من الطلبة الأمريكان كل عن معتقدات دينه وتعاليمه ، فهم من هذه الناحية يقومون بواجبهم على خير وجه وعلى أوسع نطاق ممكن إذ أنهم موزعون فى معظم الجامعات والكليات الأمريكية المختلفة التى تزيد على الآلاف والمنتشرة فى جميع الولايات الأمريكية .

ومن الأمور الجديرة بالذكر أن الأساتذة الزائرين من مختلف دول العالم الإسلامى الذين يدعون للتدريس فى مختلف الجامعات الأمريكية يقع عليهم عبء كبير فى هذا الشأن ، فهم بحكم وظائفهم ومراكزهم الأدبية فى تمكنهم من لغة البلاد وصلتهم القوية بزملائهم من الأساتذة والطلبة أقدر الناس بلا مراء على تأكيد المودة وحسن التفاهم بين العالم الإسلامى وبين أمريكا وإيقاف الرأى العام الأمريكى على حقيقة الإسلام ومبادئه .

وهنا أود أن أسجل التسامح الدينى الكبير الذى يلقاه المرء فى مختلف أنحاء أمريكا ، فالشعب الأمريكى يستمع إلى كل ذى رأى وعلى أتم استعداد لقبول كل رأى يؤيده العقل والمنطق ، ولقد كانت لنا مع الكثيرين منهم مواقف كثيرة إن دلت على شىء فإنما تدل دلالة واضحة على الديمقراطية الصحيحة ،

(البقية على صفحة ١١٤٦)

ديمقراطية (رعاوية) في شمال الصومال

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذا الكتاب واحد من مئات الكتب التي تصدر اليوم تباعا عن القارة الإفريقية باللغات الأوربية . وقد بدأ التأليف فى هذا الموضوع بالإجمال عن القارة فى عمومها تاريخا واقتصادا وسياسة وأخلاقا وعادات أو عبادات فى المجلد الواحد والمجلدين ، ثم تشعبت البحوث واتسع نطاق العناية بها بين قراء الغرب حتى بلغ بها التخصص والتحديد أن يصدر المجلد الضخم عن شعائر القبيلة الواحدة فى القطر الواحد ، مع التزام الشعائر الدينية الاجتماعية دون غيرها من شؤون تلك القبيلة فيما يتصل بالجغرافية أو السياسة أو العلاقات التجارية والاقتصادية ، وصدرت عن الصومال وحدها - فى شمالها دون سائر جهاتها - مؤلفات عدة يستغرق بعضها مئات الصفحات ، ومنها هذا الكتاب فى (دراسة الأحوال الرعاوية والسياسية بين أبناء الشمال ، وقد فرغ لتأليفه (ا . م لويس) بعد أن قضى عشرين شهراً فى الرحلة بين أقاليم القبائل التى خصها بالكتابة فى هذا المجلد ، واطلع قبل الرحلة وبعدها على مراجع شتى من رحلات السياح والجغرافيين والمستطلعين .

ولا ننس أن البحث عن (أحوال الإسلام) يتقدم البحوث فى كل كتابة عن القارة الإفريقية وعن الأقاليم التى يسكنها المسلمون أو يجاورونها بين أرجاء القارة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، وقد تعد الكتابة عن هذه الأقاليم التى يسمونها (قرن إفريقية) كتابة خاصة بالإسلام والمسلمين ، سواء اتصلت بحوثها بالأقطار الأثيوبية أو بالجنوب الذى يسكنه أناس على دين الفطرة وتتخلله الدعوة الإسلامية أو دعوة المبشرين من حين إلى حين .

والمؤلف لا يخفى إعجابه بغيرة أبناء الصومال على العقيدة الإسلامية ، ويقول فى مقدمة كتابه (إن الغريب عن الديار لا يسعه أن يتجنب الشعور بإخلاصهم الصادق لعقيدتهم الدينية وامتزاج الفخر بالإسلام عندهم والفخر بالانتساب إلى السلالة الوطنية . ولا يجهل الصوماليون أنهم شعب من شعوب كثيرة تدين بهذا الدين ، ولكنهم يتخذون من حماستهم له أداة لإبراز ما هم مطبوعون عليه من الشعور العميق بكرامة الأنساب .

ويقول الرحالة إن المسلم الصومالى ينتمى

- عادة - إلى إحدى الطرق الصوفية ويرعى فيها النظام الدقيق الذى يمتاز به الصوماليون فى اجتماعاتهم العامة ، سواء منها اجتماعات القبيلة لتدبير المصالح المشتركة أو اجتماع أبناء الطريق لإقامة الشعائر والعبادات . ولكن الصومالى قد يجمع بين طريقتين فى وقت واحد ويؤدى شعائره فى كلتا الطريقتين ، لأنهما تتفقان فى اتباع السنة وقضاء الفرائض المرعية فى أحكام القرآن ، وقد يقع الخلاف بين الطريقتين إذا اشتبكت أسبابه بأسباب الخلاف على مسائل المجتمع أو مسائل القبيلة (الرعاوية) ولكنه خلاف قليل الحوادث إذا قيس بالخلاف على المذاهب فى غير هذه الديار . .

ومما يحد من أضرار هـذا الخلاف أن مشايخ الطرق مسؤولون فى العرف العام عن التوفيق بين الخصوم والإصلاح بين القبائل وولاة الأمور فيها أو فى البلاد الحضرية التى انفصلت بعض الانفصال عن تقاليد الريف والبادية ، وليس لأحد من وجوه القوم مكانة تعلو مكانة رجل الدين بين قبائل الصوماليين ، ولكن العرف الصومالى يدين بتقسيم (السلطات) بين مكانة الشيخ ومكانة رئيس العشيرة أو سلطان الإمارة ، فإذا استجاب المتخاصمون إلى وساطة الإمام الدينى فالعهود التى تبرم بينهم إنما يتم إبرامها على أيدى الرؤساء والسلاطين ويتولى الإشراف على تنفيذها وكلاؤهم وأعوانهم الاجتماعيون ... إلا أن يصل الأمر إلى التحكيم على وجه من وجوه الخلاف المتفق عليها فلا يرى الجميع بدا من قبول الاحتكام إلى أئمة الدين .

ويحـترم الصوماليون ذكرى الآباء والأجداد ، ويقيمون الأضرحة والمزارات لكل جد عظيم من جدود القبيلة المذكورين ، ويتفق فى هـذه الحالة أن يكون مزار الجد العظيم كمزار الولى الدينى فى القداسة والتوقير وإقامة الموالد إلى جواره مع التصدق بالذبائح والقرابين فى كل موسم مشهود ، يحضره أبناء ذلك الجد كما يحضره غيرهم من المقيمين إلى جوار المزار . ولعل هـذا الاشتراك بين شعائر القداسة وشعائر الولاء قائم على اشتهار أولئك الأجداد بفتح البلاد للدعوة الإسلامية واستحقاقهم للذكرى بفضل الغيرة على الدين والقدرة على تمكين السلطان السياسى لعشيرة من العشائر الوطنية أو عشائر المهاجرين الأولين .

ويدل اسم الكتاب (ديمقراطية رعاوية) A Pastoral Democracy على الغرض الأول من تأليفه ، فهو وصف النظام الديمقراطى الفطرى فى بلاد القبائل الراعية ، أو قبائل الرعاة التى تحسب فيها الثروة بعدد

ما تملكه من الأنعام والماشية وقطعان الحيوان على الإجمال . وقد يصف المؤلف مجالس الحكم والمشاورة فى هذه القبائل كما يصف علاقات الحكام بالمحكومين وعلاقات القبائل المتعددة بعضها ببعض فى السلم والحرب وأيام الرخاء وأيام الجدب والشدة ، فيخلص من مشاهداته الكثيرة إلى الإيمان بصدق العنوان (الديمقراطى) حين يطلق على سياسة القبائل وآدابها الاجتماعية ، وإن تكن (ديمقراطية) فطرية تدين بالعرف المأثور ، قبل أن تدين بالنص المكتوب .

ويقول المؤلف إن مصالح القبيلة (الرعاوية) لها اعتبارها الأول عند تطبيق الأحكام والحقوق وبخاصة فى مسائل الدية والثأر ومسائل التوريث والتمليك ، ويحرص أبناء الصومال على تطبيق أحكام الميراث كما شرعها الإسلام ، فتعطى المرأة حقوقها على حسب هذه الأحكام ، ولكنها لا تتولى رعاية الإبل ولا حيازة الأرض المخصصة للرعى والسقاية ، وقد تملك الماشية وتملك الدار والمسكن من مخلفات الآباء والأزواج ، ولكنها — هى باختيارها — لا تطالب بولاية أمر الإبل والمراعى والسقايات ، ولعلها تؤثر ذلك لأن الملكية هنا تستتبع الحماية بالسلاح والاستعداد لدفع الغارة وصد العدوان والانتقال من حوزة إلى حوزة كلما وجبت الرحلة من حمى إلى حمى آخر ، تبعا لأحوال الخصب والجدب أو أحوال الرى والجفاف .

ومما يجعل للملكية فى هذه الحالة حكما خاصا لا تنهض المرأة بأعبائه أن تدبير الغارة موكول إلى نظام صارم لا يعفى منه أحد من القادرين على حمل السلاح ، فإذا وجب القتال وتخلف عنه أحد من شبان القبيلة فهو عرضة لاستباحة ملكه من الأنعام والماشية ، وإذا اجترأ جماعة من القبيلة على شن الغارة على قبيلة أخرى بغير إذن الزعيم حق له أن يعاقبهم ويحرمهم غنيمتهم ، إلا إذا تقدموا بأنفسهم مختارين لقسمة الغنيمة بينهم وبين إخوانهم الذين خالفوهم ولم يشتركوا فى اغتنامها ، فقد يشفع لهم ذلك فى رفع العقاب وتخفيف التعويض المفروض .

وقد تحول الصوماليون من سكان بقاع الشمال من نظام المراعى إلى نظام الأرض الزراعية ، فكان لذلك أثره فى تعديل أطوار المعيشة وأحكام الديمقراطية الرعوية ، ولكنه تعديل ظاهر لم يتعمق إلى أصول العادات والأخلاق .

ويستطرد المؤلف فى حديثه عن العرف الاجتماعى إلى الحديث عن الشعر الصومالى ووظيفة الشاعر الاجتماعية بين البادية والحاضرة ، فإذا هى صورة أخرى من صور

الحياة العربية فى عصورها الأولى . لأن الشاعر يثير النخوة للقتال ويستفز الغضب للأخذ بالثأر ورد العدوان بالعدوان ، وقد يلجأ إليه أحيانا فى تهدئة الثوائر الجامحة وتزيين الصلح والمسالمة كلما جنح الحكماء ورؤساء الدين إلى علاج المشكلة بالتوفيق والترضية ، ولا يندر فى أغراض الشعر عند الصاماليين نظم القصائد حمدا للأولياء وترتيلا لأناشيد الدعاء والثناء على عباد الله الصالحين ومن أمتع فصول الكتاب تلك الصفحات التى يروى فيها المؤلف طرفا من سير الشيوخ والنساك الذين قادوا الثورة على الحكم الأجنبي كما قادوا الثورة على فساد الأخلاق ومساوىء التفرنج بين أناس من الصوماليين بعد احتكاكهم بالجاليات الأوربية . فإن أحاديث المؤلف عن أولئك الشيوخ والنساك تصحح التاريخ المفترى عليهم وتدفع شبهة الهوس التى علقت بهم من روايات الصحفيين عنهم ، وأولهم (الملا محمد عبد الحسن) الذى لقبوه بالملا المجنون ، وما كان به من جنون إلا أن يكون الجنون عندهم فرط الغيرة على الصلاح وفرط الغضب من دسائس التبشير والاستعمار.

وأهم ما فى الكتاب من وجهة النظر إلى الحياة العصرية تحقيق المؤلف عن الأحزاب السياسية وأسباب التقارب أو التباعد بين أعضائها ، وخلاصته أن العصبية القبلية هى الصلة الكبرى التى تربط بين الهيئات السياسية فى الشمال ، وأن العوامل المحلية ونفوذ « الشخصيات » التى تهيمن عليها تحل محل هذه الصلة فى الأقاليم (غير الرعاوية) وأن المذاهب الأوربية التى نجحت فى اجتذاب بعض الصوماليين إليها إنما نجحت لتوكيدها شريعة المساواة بين الأجناس البشرية أو لتوكيدها مبادىء الديمقراطية بين الحكومات ورعاياها ، ولا يخفى أثر الإسلام فى كل عامل من هذه العوامل بين المسلمين وغير المسلمين .

عباس محمود العقاد

الكتب

١ — قصة الإيمان :

نديم الجسر مفتى طرابلس :

قد يتوهم القارىء أن هذا الكتاب الضخم : « قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » هو من تأليف الأستاذ الجليل الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس ولبنان الشمالى ، ولكن الحقيقة أن الشيخ المفتى كان دوره القيام بالطبع والنشر والإهداء إلى كبار الكتاب والجامعات العلمية والإسلامية .

إن لهذا الكتاب قصة من حق القارىء علينا أن نسوقها إليه فى إيجاز كما رواها الشيخ المفتى مقدم الكتاب تحت عنوان : كيف ألقى إلى هذا الكتاب .

لقد زار الشيخ المفتى (طينال) مسقط رأسه فى لبنان ، وبينما كان فى مسجدها إذ فوجىء بشيخ مهيب الطلعة هو : (حيران بن الأضعف البنجابى) من أصل مصرى ، ومقيم بقسرية (خرتنك) القريبة من سمرقند بالهند ، وقصد من زيارة (طينال) اللقاء مع والد المفتى حيث أوصاه شيخه بهذا اللقاء ، أما شيخه فهو (الشيخ أبو النور الموزون) من علماء سمرقند ، وكان قد تلقى العلم والفلسفة على والد المفتى ، وهذا الكتاب هو مجموعة الدروس الفلسفية التى تلقاها الشيخ حيران على الشيخ الموزون حين استبد به الشك وترك جامعة بيشاور حين لم يجد من يروى غلته فى البحث عن الحقيقة .

وهذا الكتاب الذى يقع فى أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير جاء فى شبه قصة روائية ، ولذا سهل استيعابه ، رغم أنه دراسات فلسفية على مستوى أعلى وأرفع ، تنتصر للتوفيق بين العلم والإيمان أو بين الفلسفة والدين . والقصة يرويها الشيخ حيران على لسان الشيخ الموزون .

يتحدث الشيخ الموزون عن الباحثين عن الله من فلاسفة اليونان الأقدمين : طاليس ـ انكسيمنس ـ انكسيمندر ـ فيثاغورس ـ بارمنيدس ـ هرقليط ـ ديموقريطس ...) ومن جاء بعدهم كسقراط وتلميذه إفلاطون ، وأرسطو تلميذ إفلاطون . وهؤلاء جميعا بحثوا عن الله ، وإن اختلفت أساليبهم ، وأصاب السقم بعضا من آرائهم .

وتحت عنوان: (نور على نور) تحدث الشيخ عن فلاسفة المسلمين (الرازى - الفارابى - ابن سينا) ومن جاء بعدهم (ابن خلدون ، ابن طفيل - الغزالى - ابن رشد) وهؤلاء من أعظم المؤمنين بالله ومن أصدقهم برهانا على وجود الله ، وقد جمعوا إلى إيمان الوحى الصادق إيمان العقل السليم .

ويرى الشيخ الموزون أن هناك تلاقيا للعباقرة على الحق بين أكثر الفلاسفة المسلمين وفلاسفة الغرب : (باكون ، ديكارت ، باسكال ، لوك ، كانت ، برجسون) أما (دارون) صاحب نظرية النشوء والارتقاء فيرى الشيخ أنه ليس بفيلسوف بل هو عالم طبيعى كبير دفع مذهب التحول دفعة جريئة إلى الأمام عندما نشر فى عام (١٨٥٩) كتابه : (أصل الأنواع) فأصبح صاحب مذهب خاص فى التحول والنشوء ، أما الفيلسوف الذى اتخذ مذهب التحول والنشوء والارتقاء أساسا لوضع فلسفة شاملة فهو (هربرت سبنسر) صاحب مذهب التطور .

ويربط الشيخ بين الشيخ الجسر والد المفتى وبين الإمام الغزالى فى أن كلاهما كان عالما متكلما واسع الاطلاع على حقائق العلوم الكونية عظيم التبحر فى الفلسفة الميتافيزيقية ، وكان غرضهما معا إثبات وجود الله ، كما أن كلا منهما وضع كتابا فى الرد على الفلسفة ، فللأول (الرسالة الحميدية) وللآخر (تهافت الفلاسفة).

وتحت عنوان (كلمات ربى) يستعرض الشيخ الموزون مع تلميذه الشيخ حيران آيات من القرآن كلها تنطق بالبراهين الدالة على الله ويتناولان معا هذه الآيات على ضوء ما كشفه العلم من أسرار الوجود والخلق ، ويخرجان من هذه الدراسة بأن القرآن استوعب جميع الحجج العقلية البالغة ، والبراهين الساطعة الدافعة ، التى قضى العلماء والفلاسفة أعمارهم حتى توصلوا إليها وتلاقوا عليها بهدى القرآن أو بهدى الله الذى أنار عقولهم .

والعجيب أن الشيخ الموزون يدافع بحرارة عن (المعرى) ويرى أنه كان محبا للحكمة ، وقد شك فى كل شىء إلا فى وجود الله وهو القائل :

بوحدانية العلام دنا
فدعنى أقطع الأيام وحدى

الواقع الذى لا خيال فيه أن مثل هذا الكتاب يجب أن يحتل مكانا لائقا به فى المكتبة الإسلامية ، وهو بحق - كما يقول الشيخ المفتى - يهدى الحيارى من الشباب المسلم المتشكك ، الذى تقف به الفلسفة المادية على عتبة الإلحاد نحو الايمان بوجود الله ، من طريق الفلسفة التى هو مولع بها ، ومن طريق العلم الذى هو مؤمن به ، ومن طريق القرآن الذى هو معرض عنه ، لكى يعلم أن

دين الحق لا يتعارض ولا يتناقض أبد مع العقل السليم والعلم الصحيح .

٢ – قيم جديدة للأدب العربي :

للدكتورة بنت الشاطيء

هذا الكتاب الجديد للدكتورة بنت الشاطىء الذى نشرته دار المعرفة بالقاهرة جاء فى أربعة فصول : تناولت فى الفصل الأول (أدبنا والحياة فى العصر الجاهلى ، وقديمنا الأصيل ، وشاعر القبيلة ، والشعراء الصعاليك ، وشعراء البلاط) ، وفى الفصل الثانى (أدبنا والحياة فى ظل الإسلام ، الإسلام والشعر ، الخضرمة) ، وفى الثالث (أدبنا والحياة فى ظل الحكم الفردى الوراثى) وفى الرابع والأخير (أدبنا والحياة ، من دمشق إلى بغداد ، فى معترك المذاهب وخضم الأحداث ، بمجرى التيار) .

هذه دراسات واعية ناضجة ، ترى فيها الكاتبة أو تريدها : محاولة متواضعة لتحرير الدرس الأدبى من بعض قيم خاطئة ومقاييس منحرفة احتكمت فيه زمانا وسيطرت ، ولا تزال تسيطر على فهمنا لتراثنا الأدبى) .

إن الأديبة الممكرة لا ترى فى تحرير أدبنا العربى ، التخفيف من قدسية أدبنا العربى القديم ، والعمل على أن تكون لنا شخصية مستقلة تأخذ من ثمار القديم ما طاب وحسب وهى تحاول (أن تستحدث قيما جديدة للأدب العربى ، لكى تستمد لأدبنا مفهوما نابعاً من أصوله النقية ، وقيما حرة لا ينكرها أدب العربية فى جوهره الصافى وذوقه الأصيل) . ومهما أضيف إلى القديم من خلط فله أصالته .

والدكتورة بنت الشاطىء فى الفصل الثانى تدافع عن قضية الإسلام والشعر بحرارة ، فهى تدفع عن الإسلام أن يكون معادياً للشعر ، أو عاملا على إضعافه ، واستعرضت الأحاديث النبوية التى نالت من قيمة الشعر وناقشتها ، وقدمت نماذج حية من مواقف الرسول تجاه الشعر وتقديره له ، ورضائه عنه كواحد من مقومات تعبئة الأمة الإسلامية فى نضالها ضد أعدائها .

وترى الكاتبة أن آية الشعراء (والشعراء يتبعهم الغاوون ...) فهمت على غير وجهها الصحيح ، ولم يخطر ببال النقاد أن يلتفتوا إلى موقف الرسول من الشعراء ليدفعوا بها قولة من قالوا بعداء الإسلام للشعراء ، ثم إن آية الشعراء لا يجوز منهجا أن تؤخذ مستقلة عن آيات أخرى تنفى فى مجموعها الشاعرية عن محمد ...) .

إن حجج الدكتورة من القوة بحيث لا تحتاج إلى ربط بين آية الشعراء والآيات الأخرى التى تنفى الشاعرية عن محمد مع عدم وجود هذه الرابطة ، فآية الشعراء تهاجم نوعا

من الشعراء لا يتقيدون بمبادىء ومثل ، دون أن تهاجم ذاتية الشعر كقيمة أدبية ، علماً بأن لبعض المفسرين - ومنهم ابن كثير - رأيا فى المقصود بالشعراء وهم الكفار ، ويعتمد على آراء على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم .

إن القيم الجديدة للأدب العربى وضحت خلال هذه الدراسات القيمة ، وكنا نود أن تلخصها الدكتورة فى مقدمتها أو فى خاتمة هذه البحوث ليسهل على القارىء استيعابها ، وإرساء قواعدها وأصولها فى ذهنه .

٣ - مع المسيح فى أناجيل الأربعة :
للأستاذ فتحى عثمان

هذا كتاب جديد للمؤلف نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، والأستاذ فتحى من كتاب مجلة الأزهر وليس غريبا على قرائها .

فى مقدمة الكتاب جال بنا المؤلف جولة مركزة فى إطار التاريخ ، عرض علينا البيئة التى استغلت رسالة المسيح ، بيئة اشترك فى تحديد مفاهيمها وأوضاعها الرومان الحكام ، وطوائف اليهود التى سيطرت سيطرة تامة على الفكر اليهودى كالصدوقيين والفريسيين والسامرية .

ويستعرض الكاتب فى فصول واسعة أبرز المبادىء التى استوعبتها الأناجيل الأربعة للمسيح عليه السلام ، وهى المبادىء الإنسانية التى قدمها المسيح إلى عالم مزدحم بالرذيلة ، منغمس إلى آذانه فى المادية المتحجرة :

(مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .. بل بكل كلمة من الله) ، (إنى أريد رحمة لا ذبيحة ، لأنى لم آت لأدعو أبرارا .. بل خطاة إلى التوبة) ، (من لا يحب لم يعرف الله ، لأن الله محبة) .

الحق أن الأستاذ فتحى عودنا أن يكون دارسا واعيا ناضج الفكر ، يعتمد على المقارنة بين الفكر الإسلامى وغيره ، إلا أننا نختلف معه فى قضية أثارها إثارة عابرة دون أن يعطيها حقها من الدراسة والبحث ، كما أنه أراد عدم التورط فى بعض القضايا العقيدية الأخرى التى نقف نحن والمسيحية إزاءها على طرفى نقيض ، كالصلب وألوهية المسيح أو بنوته لله ، أو جمعه للأقانيم الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) .

أما القضية التى أعنيها فهى قضية رفع المسيح حيا ومجيئه آخر الزمان هاديا البشرية إلى الله :

وقد اعتمد المؤلف أحاديث أوردها ابن كثير فى تفسيره واعتبرها متواترة ، ونحن نرى أنه لا حديث متواتر فى هذه المسألة العقيدية التى لابد لها من خبر قطعى الدلالة والورود

كما ذكر الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت في كتابه الفتاوى ، ورأى ذلك قبله الإمامان محمد عبده والمراغي ، وأمامنا آية قرآنية ناطقة : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . .)

ومع هذا ـ فالكتاب دراسة لها قيمتها ، والمؤلف بذل مجهودا ضخما ، ووهب لهذه الدراسة قسطا وافرا من التقدير . .

٤ — النور أولى :

للأستاذ زين العابدين الركابي

المؤلف أديب سوداني تضمن كتابه فصولا أربعة :

العالم في الميزان ، استعرض هذا العالم المضطرب الذي تسيطر عليه الأهواء والشهوات ، وينحدر من أسفل إلى أسفل ، وليس بين أرجائه مكان للمبادئ والمثل العليا .

مرحلة لابد منها ، عرض المؤلف فيه لبناء الفرد باعتباره لبنة في بناء المجتمع ، ولبناء المجتمع باعتباره أساسا في بناء الأمة ، ثم لبناء الأمة باعتبارها دعامة من دعائم العالم الكبير ، وحاول المؤلف في هذا الباب أن يسترد الفرد للإسلام ، باعتباره مرجعا مهما لقيادة البشرية إلى مجال الخير والحق والعدل .

ثم الإناء ينضح بما فيه ، وقد خص المؤلف بهذا الباب ، النفس البشرية باعتبارها مصدرا للخير والشر ، وإصلاحها أساس مهم في تكوين الفرد والمجتمع والدولة .

والنور يعني به المؤلف (الإسلام) وفي مبادئه ومثله وقيمه الروحية ما يصلح لهداية البشرية قاطبة ، حتى تسلك الطريق السوي وتصل إلى شاطئ النجاة .

وكل ما نأخذه على المؤلف أنه قد استعمل الأسلوب الخطابي الممتزج بالحماسة والغيرة ، على المفاهيم التي تعارض المفاهيم الإسلامية ، وكنا نود أن يستبدل المناقشة الهادئة الممتزجة بالمنطق والحجة في مجرمه على بعض هذه المفاهيم ، مع أنه كان يملك بعض هذه الحجج حتى في مجرمه نفسه .

وإذا علمنا أن الكاتب قدم لنا باكورة إنتاجه ، كان لكتابه تقديرنا حيث إن مستقبل المؤلف يبشر بالخير .

٥ — الفلسفة الاشتراكية الديمقراطية :

للأستاذ أحمد عز الدين عبد الله المؤلف مدرس الآداب بكلية الشريعة بالأزهر ، وسبق أن قدم للمكتبة الإسلامية أبحاثا عن سيرة الرسول صلوات الله عليه .

وهذا الكتاب الذي نشرته الدار القومية للنشر بالقاهرة ، أراده المؤلف أن يكون دراسة للفلسفة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية من ناحية القومية العربية والمجتمع العربي ونظام الحكم .

والكتاب فصول سبعة تناول فيها : المفهوم الثورى للقومية العربية ، اقتصاديات العرب ، جناية الاستغلال ، تحرر العرب ، بناء مجتمع تسوده العدالة ، الفلسفية الخلقية ، الفلسفة السياسية . يرى المؤلف أن القومية روابط مادية ومعنوية ، زمانية ومكانية ، وإذا لم تتبلور هـــذه الروابط فى الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والروحية ، كانت القومية فى دور التكوين لا تزال تمر بأزمة البحث عن نظام كامل تبرز وتتجسد فيه.

وفى الفلسفة السياسية يتحدث المؤلف عن تحقيق السيادة التامة للدولة وأن الاستقلال فى ظل السيطرة الامبريالية معناه العبودية ، وأن تحقيق هذه السيادة يتطلب تأكيد سيادة الشعب ، تحرير الحكم من سيطرة رأس المال ، تحقيق الحرية والإخاء والمساواة .

ويتحدث المؤلف عن فلسفة الاتحاد القومى وأنه خير صورة لتطبيق الاشتراكية تطبيقا ديمقراطية تعاونيا . وعن دورنا القيادى الأفريقى ، وعن فلسفة الحياد الإيجابى والتعايش السلمى ...

المؤلف ناقش كثيرا من قضايا القومية العربية ودورها الإيجابى فى إيجاد كيان مستقل للعرب.

محمد عبد الله السمان

(بقية المنشور على صفحة ١١٣٦)

وعلى أن حرية القول وحرية الرأى مكفولتان للجميع تماما .

وأود أن اذكر أن مشروع التبادل الثقافى بين أمريكا ومختلف دول العالم لم يكن فى الواقع منصرفا بالكلية إلى الوجهة العلمية والفنية البحتة إذ أن أمريكا تكاد تفوق معظم دول العالم فى هذه الميادين العلمية والفنية جميعا . وإنما الباعث الأول على معظم ذلك المشروع الإنسانى الكبير هو فى الواقع إتاحة الفرصة بوقوف كل فريق من الأساتذة الزائرين على حقيقة نظم الحياة فى كل بلد ووقوف كل منهم على ثقافة الآخر وإيجاد نوع من حسن التفاهم بين الجميع يبنى على تفهم كل منهم لأهداف الآخر فى الحياة .

وهنا بالذات تأتى المهمة الأولى للأساتذة الزائرين من العالم الإسلامى وتعريف الأمريكيين حقيقة التعاليم الإسلامية وثقافة الإسلام ، فالثقافة الإسلامية هى منبع الثقافة الأول فى جميع دول العالم الإسلامى مهما تباعدت أطرافه .

وفى اعتقادنا أنه كلما فهم كل فريق معتقدات الآخر على الوجه الصحيح كلما زاد التفاهم بين الناس وازدادت بينهم أواصر المودة وقويت الرابطة بيننا جميعا كمواطنين فى هذا العالم وتوطدت تبعا لذلك أركان السلام فيه.

الدكتور محمود الشواربى
الأستاذ بجامعة القاهرة

بريد المجلة

عروبة مصر :

حين قام بعض المأجورين فى إذاعة دمشق بالحديث المسف عن قومية مصر العربية ، انبرت الصحف الكثيرة فى مختلف البلاد العربية ترد ذلك البطلان الصارخ ، وتشيد بجهود مصر فى دنيا العروبة والإسلام ، والطريف الحميد أنها جميعها قد ذكرت الدور الهام الذى قامت به مجلة الرسالة فى تثبيت الوحدة العربية ، وإرساء دعائمها على أسس مكينة من اللغة والدم والدين ، ونذكر هنا بعض ما ذكره الكاتب الكويتى الأستاذ فاضل خلف بجريدة الرأى العام الكويتية ؛ فى ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٨١ هـ - ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦١ م كنموذج لما قيل ، قال الأستاذ من حديث طويل :

« لن أتطرق إلى الحديث عن الانقلاب الذى حدث فى سوريا لأن ذلك ليس مكانه هنا ، ولأن الحديث عنه قد ملأ الدنيا وشغل الناس ، ولكننى سأتكلم عن ناحية حساسة فى هذا الموضوع ، فقد استمعت بكل أسى وأسف إلى من يقول فى إحدى الإذاعات إن المصريين لم يعرفوا القومية العربية فى تاريخهم الطويل .

ويح هؤلاء وويح ما يتقولون .

مصر لا تعرف القومية العربية ؟ وهل ولدت القومية إلا فى مصر ؟ إن كان هؤلاء يقصدون بالقومية قومية الذين هللوا للوحدة ثم عادوا فهللوا لتمزق الوحدة ، فليست مصر كذلك ولا هى هنالك .

مصر لا تعرف القومية ؟ وهل ولدت القومية إلا فى مصر؟ إننى لن أستشهد بالتاريخ لأبرهن على أن مصر كانت دائما وأبدا فى خدمة العرب والإسلام ، ولو شئت لأوردت أمثلة عديدة على مواقف المصريين الخالدة فى تاريخهم العربى القديم الزاهر ، ولكن ليس فى نيتى التحدث عن التاريخ فى هذه الكلمة القصيرة ، ولكننى سأتحدث عن مصر فى هذا العصر ، مصر التى خدمت العرب ، وأخلصت لهم كأحسن ما يكون الإخلاص ، وكانت لأخواتها الدول العربية أستاذة ومرشدة فى كل مدلهم من الخطوب .

مصر لا تعرف القومية العربية ؟ وهل عرفنا القومية إلا من مصر ، ومن صحف مصر ، ومن أبرزها وأحسنها وأعظمها شأنا مجلة الرسالة . تلك المدرسة السامية التى وضعت جميع طاقاتها الجبارة فى خدمة العرب والإسلام .

لقد أخذنا — إذن — القومية العربية على جهابذة الأدب فى مصر كأحمد حسن الزيات وعبد الوهاب عزام وزكى مبارك ومصطفى صادق الرافعى وعباس محمود العقاد وطه حسين ومحمود محمد شاكر وسيد قطب وعبد المنعم خلاف ومحمد عبد الغنى حسن ومحمود حسن اسماعيل وتوفيق الحكيم ومحمد مندور ومحمود غنيم وفخرى أبو السعود ومحمود الخميف ومحمد سعيد العريان ومحمد أحمد الغمراوى وابراهيم عبد القادر المازنى وأحمد أمين وعلى محمود طه المهندس ومحمد فريد وجدى ومحمود تيمور وغيرهم وغيرهم من الذين اتخذوا صفحات الرسالة ميدانا فسيح الجنبات لخدمة العرب وتاريخهم وتراثهم الخالد. لقد ظل هؤلاء الأساتذة يؤلفون الأوتار الخالدة فى قيثارة الأدب العربى المعاصر حقبة من الدهر، وما زال أكثرهم يواصل الجهاد فى إعلاء روح القومية العربية بما لا يستطيعه الآخرون فى أصقاع أخرى من العالم العربى.

إننى هنا أتكلم عن المصريين العاملين المخلصين الذين خدموا العرب عن طريق الأدب ولغيرى — إن شاء — أن يتكلم عن الأسماء المصرية اللامعة التى خدمت العرب عن طريق السياسة والاقتصاد والقانون والتاريخ والجغرافيا والعلوم الرياضية والطبيعية والسينما والمسرح والفلسفة وعلم النفس والفنون الجميلة والترجمة.

لقد أخذنا نحن شباب هذا الجيل ما أخذناه من ثقافة على أيدى عرب مصر وكذلك أخذ آباؤنا من قبلنا الثقافة والمعرفة من الصحف المصرية وعلى أيدى أدباء مصر البارزين.

لقد ظلت مجلة الرسالة مدى عشرين سنة وهى تخدم العالم العربى من جبل عرفات إلى بحر الظلمات وتخدم الفكر العربى وتخدم اللغة العربية ويتأتى من كل هذا «القومية العربية» الصحيحة التى يدعى أناس أن مصر لم تعرفها فى تاريخها الطويل.

لقد كان لى شرف الثناء على مصر وإطراء محامدها فى كثير من كتاباتى ومنها هذه الفقرة التى كتبتها منذ عشر سنوات تقريبا فى مجلة البعثة، ثم أثبتها فى كتابى «الأدب والحياة».

«مصر العظيمة التى أضحت كعبة طلاب العلم والأدب مصر الخالدة التى يأنس الأديب فى جنباتها ويأمن من غلواء الزمن. مصر التى فهمت معنى الثقافة فأخذت تنشر درها ولآلئها فى أرجاء البلاد العربية، وما تلك الدرارى واللآلىء إلا كتب أبنائها البررة التى أنارت السبل أمام الشباب فأضاءت لهم ما حولهم فمشوا بثبات وإقدام. الخ ص ٩٨.

فسلام على مصر فى عروبتها وإسلامها.

وسـلام على مصر فى علومها وآدابها ومعارفها .

وسلام على مصر فى أزهرها ودار علومها وجامعاتها ومتاحفها .

وسلام على مصر يوم خدمت الفكر العربى وتبنت القومية العربية .

وسلام على مصر يوم استهدفت لغزو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى معركة بور سعيد الخالدة .

وسلام على مصر يوم وافقت على الوحدة .

وسلام على مصر فى محنتها الجديدة » .

هذا هو صوت محايد ، يتكلم عن الحق الصارخ ، فياليت قومى هناك يعلمون من نكون !!

محمد رجب البيومى

فلنذرف .. فى مأتم مجاهد :

منذ أيام قصدت أن أؤدى واجب العزاء فى فقيد من مجاهدى فلسطين هو المرحوم الشيخ أحمد بيومى التميمى عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين .

هذا المجاهد من القلائل الذين يعملون فى صمت دون الإعلان عن أنفسهم . كنت ألتقى به كثيراً - وهو لاجئ سياسى بالقاهرة - فأوقن بأن قضية فلسطين تحتل كل إحساساته ومشاعره ، وتمتزج بنبضات قلبه .

اعتقلته حكومة الانتداب البريطانى وأودعته معتقل صارفند قبيل عام ٩٣٦ ثم نفى بعد الإفراج عنه إلى القاهرة حيث عاد عام ٩٤٠ إلى فلسطين ليوالى جهاده ، ولم يعد من فلسطين إلا عام ٩٤٩ بعد أن وقعت الكارثة .

وخلال المعركة كان لمساهمته دورها فى القضاء على مستعمرة كفار عصيون فى الخليل وهى من أقوى المستعمرات اليهودية فى فلسطين ، كما كان لمساهمته أيضا دورها فى الدفاع عن القدس قبيل دخول الجيوش العربية ، وفى منطقة الخليل أمد الجيش المصرى وقتئذ بالمؤن والسلاح . وكان السيد عبد المحسن أبو النور وزير الإصلاح الزراعى اليوم هو حاكم مدينة الخليل العسكرى .

ومن مواقفه المشهورة خلال المعركة ، أن العقيد قاوم دخول جيش الأردن إلى منطقة الخليل ، إلى درجة أنه كسر بيديه سارية العلم الأردنى ، ولم تستطع مساومة مدير المخابرات الأردنية أن تحول عقيدته ، ولا أن تجعله يسير فى الركب .

هذه مجرد خطرات سريعة عن مسلم مجاهد ، أفنى شبابه وثروته الطائلة ، ولحق بربه وقلبه معلق بقضية وطنه ، والوطن جزء لا يتجزأ من الإيمان .

أما ما حدث ليلة المأتم فهو يصلح لأن يضاف إلى عجائب الدنيا ..

كان ضمن الوافدين إلى السرادق لتأدية واجب العزاء فى المجاهد الفقيد ، المقرئ المشهور الشيخ محمد صديق المنشاوى ، وكان من الطبيعى أن يدعى ليتلو جانبا من القرآن ، ولم يكد يبدأ التلاوة حتى أهل على السرادق شيخ يتعالى فى عباءته ، ويهز رأسه داخل عمامته التى لم يفته أن يرخى ذؤابتها ، ويتبختر بعصاه فى مشيته وكأنه ظن أنها عصا موسى .

ولم يتجه إلى أقرب المقاعد الشاغرة ليجلس ـ كما هو المفروض ـ وإنما اتجه إلى الشيخ صديق المنشاوى ليقول له بصوت جهورى وفى أنفة وكبرياء : « أوجز . . فأنا أريد أن أعظ » ولم نملك نحن إلا أن نفتح أفواهنا لتلجمنا الدهشة ، وإن كان الشيخ المنشاوى قد واصل تلاوته وكأن لم يسمع شيئا ، وتجلى الله عليه فهزت تلاوته قلوبنا .

وعز على الشيخ أن لا يستجيب المقرئ ، فكان ينتهز فرصة استحسان الجلوس لتلاوته خلال المواقف القرآنية بأصوات تتفق مع هيبة المناسبة ، فيتصايح ملوحا بلحيته وعصاه معا ، مهددا ومتوعدا ، ومنددا بهذا المسلك ، ومحدثا شغبا وصخبا . .

وحين تخلى الشيخ المنشاوى عن كرسيه عقب انتهاء القراءة ، قفز الشيخ على الكرسى ، وظل يعظ حتى مل الناس .

ولم يكن الوعظ بالطبع مما يناسب المقام ، ويليق بهيبة ووقار المناسبة ، بل كان حشوا وخلطا ، فى الألفاظ والمعانى على السواء ، وعلى كل فقد استطاع أن ينتقم من الناس فى وعظه . . وهان عليه كل شىء ، فلم يكن واعظا رسميا يقدر للأمور قدرها .

بقى شىء يجب أن نقوله :

إن كثيرا من معانى القرآن توضع فى غير موضعها ، فهذا الواعظ المحترف كان يلوح بقوله تعالى : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ... » مع أن معظم المفسرين يكادون يجمعون على أن المقصود بفرض الاستماع والإنصات هو الصلاة ، وابن مسعود كان يقرأ والرسول يقول له « أحسنت » كما جاء فى حديث مسلم ، وهذا مجاهد يقول : لا بأس إذا قرأ الرجل فى غير الصلاة أن يتكلم وقد روى عبيد بن عمير وعطاء بن رباح يتحدثان والقاضى يقص ، فقيل لهما : ألا تستمعان إلى الذكر ، فقالا : إنما ذلك فى الصلاة ثم تليا قوله تعالى : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . .

ونحن نرجو أن يستمع المستمع بقلب خاشع وأذن صاغية ، حتى يمكنه أن يتدبر آيات الله ، ولكننا لا نرجو أن يثير استحسان المستمعين لكتاب الله خلال المواقف فى أدب ووقار ، لا نرجو أن يثير هذا أحـــدا يشهر عصاه ليندد بالمستمعين ويحدث من الشغب والصخب ، ما ليس

بحاجة إليه ، بجلس يجب أن ترفرف عليه هيبة المناسبة . محمد عبد الله السمان

البسملة في قراءة القرآن :

قرأنا في مجلة الأزهر — عدد شعبان — بحثا عليا لفضيلة الشيخ محمد محمد الشرقاوي الأستاذ بمعهد الأسكندرية حول التسمية لقارئ القرآن .

وهو بحث لا بأس به ، إذ فيه عناية أشكر لفضيلته .

غير أنني رأيتني بحاجة إلى التفاهم مع الأستاذ فيما تعرض له من إنكار التسمية عند القراءة إذ قرر — أولا — أن المطلوب في بداية التلاوة لون واحد هو الاستعاذة فقط ،... واستند في ذلك إلى أمور .

منها — أن الله تعالى أمر بالاستعاذة وحدها في قوله سبحانه « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ومنها — أن زيادة البسملة بعد الاستعاذة تعتبر زيادة على النص ، والزيادة نسخ ، والنسخ ، لايكون إلا بنص متواتر أو مشهور وهذه قاعدة مذهبية لا إجماعية .

ومنها — أن جمهور القائلين بالتسمية ليس لهم دليل سوى حديث غير متواتر ، ولا مشهور ، حتى يمكن النسخ به لنص الاستعاذة « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع » .

ثم استطرد الأستاذ في مناقشة الحديث السالف : روايته ، ومتنا .

ثم ينتهي فضيلته عند رأيه بعدم التسمية في القراءة : إذ يقول مثل ما بدأ « فبعد كل هذا القيل والقال ، والرفع والإرسال لا نجد الحديث أهلا لأن يزاد به على نص قرآني .. وبالتالي لا يصلح لنسخ المتواتر إلخ » .

والذي أقوله راجيا أن يصادف قبولا : هو — أولا —

إننا في غير حاجة إلى مناقشة الحديث إيجابا ، ولا سلبا ، ولا سندا ، ولا متنا .

فإن التسمية في أول القراءة ثابتة بالقرآن نفسه بل في أول آية نزلت منه « إقرأ باسم ربك الذي خلق .

فهذا أمر تكليفي بالتسمية عند القراءة ، وهو تشريع جرى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه — طبعا — فإذا جاء حديث بعد ذلك في هذا الصدد فهو غير بعيد عن مدلول الآية ، ومهما يكن فيه من توهين فهو معقول المعنى ، والتسليم به غير افتيات على الآية إطلاقا .

وذكر البسملة في أوائل السور بالمصحف أمر توقيفي ، يؤذن ، بل يقتضي التأسي ، وهذا هو المأثور سلفا وخلفا عن علماء المسلمين .

وثبوت التسمية بالآية « اقرأ باسم ربك » ليس رأينا من جديد ، بل هو ما قال به أئمة في التفسير كالقرطبي ، والألوسي وسواهما .

وثانيا مما أقوله — إن الاستعاذة شرعت بعد مشروعية التسمية — بداهة . فتكون التسمية والاستعاذة مشروعتين بنص القرآن، والعمل بالآيتين يتحقق بالاستعاذة ثم بالتسمية . ويكون عملا بكل دليل فى موضعه دون تعارض ولا نحوه .

وخلاصة ما أقوله واضحا : أن التشريع القرآنى يقضى بالاستعاذة والتسمية باسم الله، على نحو ما تحقق بالبسملة التى صارت آية من الكتاب وفاتحة للقراءة وما بعد ذلك من تعدد وجهات النظر بين الأقطار لاينسينا أن سياق القرآن فوق كل اعتبار .

وعلى ذلك البيان الاجمالى يكون التقليد المعمول به فى مصر أوفى بمقصود الشارع وبمدلول الآيات .

وعسى أن يكون فى هذا كفاية والله يوفق الجميع .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

(المجلة)

جاءنا بحث فى هذا الموضوع من الأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم ، وسننشره فى العدد القادم .

تقرير الدين مادة أساسية فى الجامعة :

قرار كريم صدر من نفس كريمة صافية ذلك القرار الذى أصدره السيد الوزير حسين الشافعى بتقرير الدين مادة أساسية فى الجامعات المصرية وإنها لفكرة حميدة طالما تاقت النفوس الطيبة والعقول الرشيدة إلى تحقيقها ولقد غمرت القلوب بموجات وموجات من السرور حينما زفت هذه البشارة على صفحات جريدة الجمهورية وإنى أشعر بأن الدنيا كلها تبارك هذا القرار وتهنىء الجامعة بهذا الخير العظيم .

فالدين فى ماضيه وحاضره وسيظل كما أراده الله الأمل الحقيق لبناء الأمة القوية السليمة من الأمراض الاجتماعية وغيرها وهو الدعامة الثابتة المتينة التى تهزأ بالأعاصير والعواصف الهوجاء وتسخر من معاول الأعداء وترد كيدهم فى نحورهم وتبقى عالية لأنها مؤسسة على أقوى المبادىء وأسماها .

والجامعة بشبابها الغض النضر وأساتذتها الكرام البررة منبع للعلم ولكن العلم كالماء يتدفق وينساب رقراقا يهب الحياة للانسانية ولا بد من حاجة المياه الصافية وأمواجها المتلاطمة لرقابة واعية تتمثل فى إحكام الجداول وتنظيم السدود وحفظ المياه النافعة حتى تعود عليها بأزكى الثمرات وأطيب النتائج وإذا لم تكن الرقابة سارت المياه فى غير سبيلها فتغرق العالم وتهدم البناء وتقتل النبات وتقتلع جذوره .

كذلك العلم نفع وأى نفع إذا حصن بالحصن القوى الدين حبل الله المتين كان طريقا للنجاح والفلاح وإلا كان شرا مستطيرا .

والعلم إن لم تكتنفه شمائل
تعلوه كان نهاية الإخفاق

الدين يدعو للعلم بملكوت السموات والأرض وتسخير قوى الكون التي خلقها الله نعما للإنسان وتفضيلا وتكريما ولكنه يشترط أن يكون ذلك لسعادة الإنسانية ورفاهيتها ولو كانت الأسلحة العلمية النووية والذرية تحت لواء الدين لأمن العالم فزع الحروب الباردة وغير الباردة ، وسعد بالاستقرار والطمأنينة وأسباب السلام غير مشوب بأكدار .

والدين يملأ نفسك طمأنينة وثقة وهو دواء من العقد والانحرافات والقلق النفسي وحيرة المصير كفاه هاديا أنه ينظم علاقتك بالخالق فتشعر بالاستقرار وبالعالم فتسعد بالمحبة وتبادل المنافع الصادقة بينك وبين المجتمع .

وعندما تتفتح زهرات الدين المشرقة في الجامعات وتنفح للطلاب عرفها الرباني سيرون المعاني الحية السهلة التي كانت تحير الافهام . عندئذ تمتلىء الصدور طمأنينة وثقة فلا تضعف ولا تغتر بمبادىء مزيفة من الشرق أو الغرب لا مركسية ولا سرترية لاشيوعية ولا وجودية وسنلمس أن الدين بنصوصه القرآنية ، وأضوائه العليا ومبادئه القويمة ، أذاب كل هذه الأفكار الخبيثة وعمر القلوب بالحقائق الثابتة .

إن الدين في عيادة الطبيب أمن للمرضى . وفي ميدان الجهاد والكفاح قوة للمجاهدين وفي مكتب المحامي وقاعة القاضي نور لهما ونصير الحقيقة . فما أحوج الدنيا كلها إلى ثمرات الدين الطيبة وظلاله الوارقة وما أحوج الجامعات إلى ينابيع الدين الصافية وما أجملها من فكرة رشيدة ونهضة فائقة ، فسر أيها الوزير في قرارك والله معك وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا .

الحسيني هاشم

مجلس البحوث الطبية والشرعية « بأندونيسيا »

ألف هذا المجلس عام ١٩٥٤ ، وهو يضم عدداً كبيراً من العلماء والأطباء ، وكان الغرض من إنشائه إجراء بحوث علمية في كل المسائل الطبية من حيث علاقتها بأحكام الشريعة الإسلامية ثم إصدار فتاوى بشأنها ليجرى العمل على مقتضاها في جميع المصالح الصحية والطبية بكافة أنحاء أندونيسيا ، وقد زود هذا المجلس بمكتبة ضخمة تحوى أكثر من ٦٥٠٠ كتاب في مختلف العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وأصول ، وفي مختلف العلوم الطبية والصحية وما إليها مما يساعد المجلس على أداء مهمته والنهوض بالغرض الذي أنشىء له ، وقد تفضل الأستاذ الأكبر فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت فأهدى المجلس عند زيارته لاندونيسيا هدية قيمة تلقاها المجلس بالشكر .

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فوده

لفظ الإسلام ومعناه ..

إذا تتبعنا مادة « س ل م » ونشوء كلمة الإسلام رأينا أن معنى السلام المسالمة ، وضد المسالمة الحرب والخصام ، جاء في القرآن : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ولعل هذه الآية هي المفتاح الذي نصل به إلى معرفة السبب في تسميه العهد الذي قبل محمد صلى الله عليه وسلم جاهلية ، وعهده إسلاما ، والجاهلية ليست من الجهل الذي هو ضد العلم ، ولكن من الجهل الذي هو السفه والغضب والأنفة ، جاء في حديث الإفك « ولكن اجتهلته الحمية » أي حملته الأنفة والغضب على الجهل ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر — وقد عير رجلا بأمه — : « إنك امرؤ فيك جاهلية » أي فيك روح الجاهلية ؛ وقريب من هذا المعنى استعمالهم استجهله الشيء أي استخفه ، ومنه قوله :

وقاك الهوى واستجهلتك المنازل

وفي معلقة ابن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فترى من هذا كله أن كلمة الجاهلية تدل على الخفة والأنفة والحمية والمفاخرة ، وهي أمور أوضح ما تكون في حياة العرب قبل الإسلام فسمي العصر الجاهلية ؛ ويقابل هذه المعاني هدوء النفس والتواضع والاعتداد بالعمل الصالح لا بالنسب وهي كلها نزعة سلام فمعنى الآية كما في الطبري : « أن عباد الله هم الذين يمشون على الأرض بالحلم ، لا يجهلون على من جهل عليهم » .

ثم انتقلت الكلمة إلى معنى آخر قريب من هذا ، وهو استعمال أسلم المشتق من السلام بمعنى الخضوع والانقياد ، لما كان الخضوع أدعى إلى السلام ، وفي هذا المعنى جاءت الآية : « وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له » ، « فقل أسلمت وجهي لله » ، وقد أطلقها القرآن بهذا المعنى أحيانا على المؤمنين والكافرين جميعا لأنهم خاضعون لله ، ومنقادون إليه بحكم خلقتهم ، رضوا أو كرهوا ، تسري عليهم قوانين العالم ؛ ولا يستطيعون الخروج عليها « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً

وكرها وإليه يرجعون » فكل من في السموات والأرض مسلم بهذا المعنى ، أي خاضع لأمر الله، مطيع لما وضع في العالم من قوانين.

ثم قصرت في الاستعمال على من أسلم وجهه لله طوعا ، فكأنما المسلم هو الذي رضي بإطاعة الله ، فاجتمعت له الطاعة الطبيعية والطاعة بالإرادة ، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وبهذا المعنى تطلق كلمة « المسلم » على كل من خضع لله وأطاع أي نبي من الأنبياء ، فأتباع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد مسلمون « قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين » ، « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، وفي سورة يوسف : « توفني مسلما وألحقني بالصالحين » ، « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ».

ثم خصصت في الاستعمال بالدين الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » ، « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » .

فهذا الإسلام عماده الخضوع لله والانقياد له ولعل هذا الاسم أنسب اسم للرد على العقلية الجاهلية عقلية الأنفة والحمية .

من كتاب فجر الإسلام للأستاذ
« أحمد أمين »

تعليق :

لاحظت أن المؤلف الفاضل لم يذكر الآية كاملة وهي « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » ، وليس فيها بتمامها ما يشعر من قريب أو بعيد بإطلاق كلمة الإسلام على الكافرين كما قال رحمه الله وغفر له ، وإنما يفهم منها أن التمرد على دين الله نشاز في النظام العام لا يخرج به المتمرد عن قدرة الله وحكمه لأن مآله إليه ولأن الله قادر عليه ، إن يشأ يذهبه أذهبه ، وأن يشأ يعذبه عذبه ، وأن يشأ يمهله أمهله ثم يحاسبه ويعاقبه يوم يرجع إليه بعد الموت « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » .

ولو ذكر رحمه الله ما سبق هذه الآية ولحقها ما اتجه هذا الاتجاه .

وليقرأ القراء السياق واللحاق .

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ، وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

ويلاحظ كذلك أن إطلاق اسم الإسلام لم يكن الرد على العقلية الجاهلية فى العرب وحسب كما ذهب إليه المؤلف وإنما كان ولا يزال الرد على كل جاهلية من أى لون وجنس.

الكوكب المعذب :

وهب الله سبحانه وتعالى كوكبا جميلا رشيقا تتوافر فيه أسباب النعيم والرفاهية لآلاف « الملايين » من الكائنات المختلفة المتنوعة ، منها ما يزحف ، ومنها ما يطير ، ومنها ما يمشى على رجلين أو أربع أرجل ...

وكان هؤلاء جميعا خليقين أن يصيبوا فى هذا الكوكب العظيم حياة هانئة ناعمة لو أنهم جنحوا إلى شرعة الانصاف ، واصطنعوا الحب والمودة فى مختلف شئونهم وعلاقاتهم ولكنهم أبو ألا أن يملئوه ظلما وبغيا وعدوانا ، فأشاعوا فيه الشقاء والعذاب ويوشك أن يشيع فيه الخراب والدمار .

ومن سخرية الزمن أن يكون مصدر هذه الويلات ذلك الكائن الذى يمشى على رجلين وقد كرمه الله ووهب له نعمة العقل والتفكير والقدرة على الابتكار والاختراع ، فإذا هو يسخر هذه القوى لارتكاب الشرور والآثام ، وابتكار الوسائل الجهنمية التى تمكنه من إزهاق أرواح الآلاف المؤلفة من بنى جنسه فى لحظات معدودات ، ومن أعجب العجب أن تزداد هذه القدرة الهائلة على القتل وسفك الدماء وعلى التخريب والتدمير بازدياد ما يسمى العلم والمعرفة ، وبالتقدم فيما يسمى الحضارة والمدنية ، فحروب « المتوحشين » لا تخلو من خفة الظل ، وقتالهم يصحبه شىء كثير من الطبل والزمر والموسيقى والفنون الجميلة . وضحاياها يعدون

بالعشرات أو المئات ، أما الأمم « المتمدينة » فإن محبي السلم فى العالم يرتعدون فرقا مما تعده وما تهيئه لحرب ثالثة ، ولما يحل بالعالم من النكبات لو اشتعلت تلك الحرب .

ومع ذلك فإن محبي السلم لا يرون فى العالم كله مشكلة جدية يتطلب حلها الاحتكام إلى القوة ، ويؤكدون أن الدول الكبيرة لو أنفقت من الجهد والمال فى سبيل السلم عشر معشار ما تنفقه فى سبيل الاستعداد للحرب لأمكنها أن تنشر بين الشعوب روح المحبة والوئام بدل العداوة والخصام .

الدكتور محمد عوض محمد

من « المجلة » العدد الخامس

تفسير ذلك :

« ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى . بل لله الأمر جميعا . أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ، ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد » .

قرآن كريم

عظمة صائم :

لم أجد فيما قرأت حديثاً لصائم أروع ولا أمتع ولا أقوى من هذا الحديث .

فقد ورد فى كتب الأدب أن الحجاج كان فى طريقه إلى الحج فنزل عند ماء . ودعا بغداء . ثم قال لحاجبه انظر من يتغدى معى ، ونظر الحاجب فإذا أعرابى نائم بين شملتين من شعر فضربه برجله وقال له أئت الأمير ، فلما أتى دار بينه وبين الحجاج هذا الحوار :

الحجاج : اغسل يديك وتغد معى .

الإعرابى : دعانى من هو خير منك .

الحجاج : « فى دهشة » من الذى دعاك ..؟

الأعرابى : دعانى الله للصوم فصمت . .

الحجاج : فى هذا اليوم الحار ..؟

الأعرابى : نعم : صمت ليوم أحر منه .

الحجاج : فأفطر اليوم ؛ وتصوم غدا .

الأعرابى : هل ضمنت لى الحياة إلى غد ..؟

الحجاج : ليس ذلك إلى .

الأعرابى : وكيف تسألنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه . . ؟

الحجاج : إنه طعام طيب .

الأعرابى : إنك لم تطيبه ولا الخباز . . ولكن طيبته العافية .

فهل يصنع الصوم بنفوسنا ما صنع بنفس هذا الأعرابى ، حتى وقف وهو الفقير الذى لا يملك غير شملتين من شعر يفترش إحداهما ويتغطى بالأخرى يصاول الحجاج بهذا الحجاج المفحم ، ولا يرى فيه وهو الجبار الطاغية إلا مخلوقا هزيلا لا يضمن له البقاء إلى غد .

وهل نجد من كلام الفلاسفة والعلماء ما نجد فى هذا الحديث القصير من ذلك الأعرابى الفقير . . ؟

من جريدة الأخبار (ع . ف)

مهر المغفرة

(التوبة . والإيمان . والعمل الصالح . والاهتداء) .

« وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى »

الله غفـــار ولـ   كن بعد تلك الأربعة
فمن استظل بغيرها   ظلت خطيئته معه

من كتاب مع الدين للأستاذ (محمد السيد شحاته) شاعر البرارى

عيب الجمال . .

عيب الجمال بلاء بعد جدته
يا ليت عشاقه قبل الهوى عقلوا

من الرسالة (أحمد الزين)

إسفاف

وقد أسف بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بمعانى القرآن والرسول يعبر عنها بلغة العرب ، وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله كان يوحى إليه المعنى فقط وكلاهما قول باطل أثيم ، مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع ، ولا يساوى قيمة المداد الذى يكتب به ، وعقيدتى أنه مدسوس على المسلمين فى كتبهم ، وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزاً واللفظ لمحمد أو لجبريل . . ؟ ثم كيف يصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله ، مع أن الله يقول ، حتى يسمع كلام الله ، إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله .

والحق أنه ليس لجبريل فى هذا القرآن سوى حكايته للرسول وإيحائه إليه ، وليس للرسول صلى الله عليه وسلم فى هـذا القرآن سوى وعيه وحفظه ، ثم حكايته وتبليغه ، ثم بيانه وتفسيره ، ثم تطبيقه وتنفيذه ، نقرأ فى القرآن نفسـه أنه ليس من إنشاء جبريل ولا محمد نحو ، وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ، ونحو ، وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى ، ونحو ، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينـات قال الذين لا يرجون لقـاءنا إئت بقرآن غير هـذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عـذاب يوم عظيم ، ونحـــو ، ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » .

من كتاب مناهل العرفان فى علوم القرآن
لفضيلة الشيخ المرحوم
« محمد عبد العظيم الزرقانى »

أنباء الأزهر

مسابقة لتأليف كتب للمعاهد الأزهرية

تعلن الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية عن حاجتها إلى مؤلفات مبتكرة فى الموضوعات الآتية وتدعو المدرسين فى المعاهد الأزهرية وغيرهم من أهل الكفاية إلى مسابقة عامة للتأليف فى هذه الموضوعات .

وسيمنح المتسابقون الفائزة كتبهم بالمراتب الأولى الجوائز المالية المبينة بعد ، وهذه هى المؤلفات المطلوبة ، والجوائز المقرر منحها لكل منها .

أولا : فى الفقـــه :

١ ــ كتاب فى الفقه الإسلامى ذو أربعة أجزاء يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجى للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة المسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيها عن كل جزء .

٢ ــ كتاب فى الفقه الإسلامى ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثانى من الصفوف الثانوية بالمعهد النموذجى الأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٣٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة منها جائزة تشجيعية قدرها ٧٥ جنيها عن كل جزء .

مواصفات كتب الفقه :

يشترط فى كل كتاب من كتب الفقه المتقدمة للمسابقة ما يأتى :

(ا) من ناحية الأداء :

أن يكون اسـلوب الكتاب سهلا ، وتعبيراته مألوفة ، وبعيداً ما أمكن عن الاصطلاحات الفقهية والأحكام الافتراضية ، وملائما لفهم الطلاب ومستوى إدراكهم .

(ب) من ناحية التقسيم :

وتكون موضوعاته متتابعة ، متميزاً

بعضها عن بعض ، ملتزما ما أمكن تقسيمات كتب الفقه .

(ج) من ناحية الموضوع :

أن يكون مضمون الكتاب غير منسوب إلى مذهب ، ولا متعارض مع المذاهب الأربعة ولا متعرض للفروع الخلافية بين هذه المذاهب .

ثانياً : في قواعد اللغة العربية :

١ – كتاب لقواعد اللغة العربية ذو أجزاء أربعة يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجي للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ١٥٠ جنيها عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للمسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٣٥ جنيها عن كل جزء .

٢ – كتاب لقواعد اللغة العربية ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثاني من الصفوف الثانوية بالمعهد النموذجي للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للمسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيهاً عن كل جزء .

مواصفات كتب القواعد :

ويشترط في كل كتاب من كتب القواعد المتقدمة للمسابقة ما يأتي : –

(أ) أن يكون ملحوظا فيه التدريب والناحية التطبيقية مع البعد عن الخلافات النحوية والتزام أخف الأوجه وأكثرها استعمالا من الأحكام الجوازية .

(ب) أن يعمل على تزويد التلميذ بقدر كاف من الكلمات الكثيرة الاستعمال ، المعينة على الانطلاق في التعبير الصحيح والضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأدوات الشرط الكثيرة الاستعمال وأدوات الاستفهام .

(ج) أن يعنى من الناحية التطبيقية بالتوليد اللغوي كمقدمة لدروس الاشتقاق في المستقبل والتنبيه كلما سمحت الفرصة إلى مدى التقارب بين معاني الكلمات المتقاربة حروفا لتدريب التلاميذ على محاولة الفهم الذاتي لمعاني بعض ما يعرض لهم من الكلمات بقياسها إلى كلمات مألوفة المعنى لهم .

ثالثا : فى القراءة :

١ – كتاب للقراءة العربية ذو أربعة أجزاء يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجى للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيها عن كل جزء .

٢ – كتاب للقراءة العربية ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثانى من الصفوف الثانوية للمعهد النموذجى بالأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيها عن كل جزء .

مواصفات كتب القراءة :

يشترط فى كل كتاب من كتب القراءة المتقدمة للسابقة ما يأتى :

(أ) من ناحية الأداء :

١ – أن تكون لغته صحيحة وأسلوبه ملائما وجمله غير طويلة وألفاظه مألوفة وتعبيراته خالية من التعقيد .

٢ – وأن يكون مزوداً بالصور التوضيحية اللازمة (ويمكن الاستغناء عن الصور ببيان مواضعها ووصفها) .

(ب) من ناحية الموضوع :

١ – أن يكون الكتاب منهجيا تتساوى موضوعاته على تتابع مخطط – مع استقلال كل موضوع فى ذاته لتحقيق غاية من غايات المعرفة بلا حشو ولا فضول .

٢ – أن يكون مشتملا على شعر وقصص وأمثال على أسلوب القصة ، وحوادث مما يجرى فى البيئة ، ومشاهدات ومعارف عامة ، وتوجيهات سلوكية وقومية .

٣ – أن تخدم موضوعاته – ما أمكن – المناهج المقررة لمواد الدراسة المختلفة فى كل صف أو تمهد لها بأسلوب ملائم وخاصة فى المواد النظرية كالتاريخ والجغرافيا وبعض الفروع العملية وبعض صور السلوك الإسلامى ، بحيث يمكن الاستغناء بما تتضمنه بعض فصول الكتاب من فنون المعرفة

عن إعادة تدريس موضوعها تحت عنوان مادة أخرى .

تنبيهات عامة

١ — تقدم الأجزاء الأولى من الكتب المطلوبة للسابقة إلى الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية من ثلاث نسخ فى موعد أقصاه يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٦٢ .

٢ — تؤلف لجان الفحص للكتب المتقدمة للسابقة من أعضاء متخصصين فى موضوعات المسابقة وأحكامهم نهائية بالنسبة للمتسابقين .

٣ — تعلن نتائج الفحص قبل أول يولية سنة ١٩٦٢ وتصرف الجوائز لمستحقيها فور اعتماد الميزانية .

٤ — من حق لجنة الفحص أن ترشح للمرتبة الأولى بعض الكتب المتقدمة للمسابقة مع التوصية بإدخال تعديلات عليها يتحقق بها الغرض ، ولها إذا اقتضى الأمر أن توصى باشتراك اثنين أو أكثر من المتسابقين فى إجراء التعديلات المقترحة على بعض المؤلفات المتقدمة منهما للسابقة ، وفى هذه الحالة توزع الجائزة المقررة كاملة على الشركاء المذكورين بعد إجراء التعديلات المقترحة .

٥ — للإدارة العامة للمعاهد الأزهرية حق طبع الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى للانتفاع به فى الأغراض التعليمية ما شاءت من الطبعات . ويعتبر ما حصل عليه المؤلف أو المؤلفون من جائزة مقابلا لحق التأليف مع السماح للمؤلف بأن يطبع منه لحسابه ما شاء من طبعات خاصة .

عميد كلية الشريعة بجامعة كابول

فى ضيافة شيخ الأزهر :

قـــدم القاهرة مولانا عبد الحق خان عميد كلية الشريعة فى جامعة كابول بأفغانستان فى ضيافة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وأمضى الضيف الكريم سبعة أيام فى القاهرة درس خلالها النظم الحديثة فى الأزهر ، وزار المعالم الإسلامية والأثرية .

وقد أهدى فضيلة شيخ الأزهر الضيف الكريم نسخة من المصحف الكريم ، ومجموعة من المؤلفات الإسلامية لفضيلته وقال : « هذا هو أساس العهد بيننا وبينكم ، ونأمل أن يتسع نطاق التعاون بين الأزهر وأفغانستان فى سبيل نشر الفكرة الإسلامية ، وتقوية صفوف المسلمين .

If it be true that Al-Azhar is open to women, please post immediately all information. Are there any scholarships available? Being the child of a relatively poor man I have to enquire.

My qualifications are I am told only for entering an ordinary University I have done tow European languages, History, Geography, Science, (Biology, Poysiology, Hygiene, and Physics) up to university level. There is the Urdu and the African language and a bit Phrsian, Arabic as I mentioned previously.

May Allah make Al-Azhar the centre of religious knowledge not only for men but women too; and may He bless the people who thought of taking such a wise step.

Do send all informtion soonest possible as at the moment I am at no proper institution, merely doing Arabic privately with the intention of proceeding to the Oriental College of London which is offering a scholarship to six students.

Yours in Islam
(Miss Z. Adam.)

THE VICE — CHANCELLOR
AL-AZHAR
Egypt. U.A.R.

6 / 3 N Samanabad,
Lahore. W. Pakistan.
23rd Dec., 1961.

Als — Salamo alaik.
Dear Sir.

This morning a local paper had an article declaring the admittance of girls to the above institution. If this be true then surely Allah has answered the call of a weeping heart.

On completing my education up to University level I was forced to leave home in search of islamic knowledge as the women in my country; South Africa, were terribly ignorant of the simple facts of Islam; men were no better off either. Islam was and is still spreading at a terrific rate but there was not a single female capable to quench the thrist of religious knowledge of thousands of my fellow sisters. I wrote and enquired from various institutions in the world whether there was a Darul-Uloom for girls to which I could go and study Islam before helping my numerous sisters who due to lack of clear and simple explanation of Islam were trying to become Muslems in name only.

As long as our women remain ignorant of the practicability of Islam in their daily lives so long will the universal progress of Islam be retarded as the future generation willoose correct contact with their religion. Is it not the mothers who play the greatest part in the up bringing of children ?.

The one institution which answered my call was here in Pakistan. On my arrival I found out that it was of very poor standard since then for the last six months, I have been knocked from pillar to post begging the Alims of India to teach me at least the Quran and Hadis, but all have turned a deaf ear, for they are not willing to teach female.

I am ready to devote my entire life for the upliftment of Islam but first give me the chance to arm my self. Give me a chance to know the words of God and His Prophet. My knowledge of arabic is poor but I am willing to go to any extent in learning it for my aim is to understand the Quran which is written in this noble tongue.

into its true followers. The early Muslims, by their sacrifice, built up an immense fund of vitality for our Faith and that is why it is still sustaining us inspite of some of us having fallen prey to the influences of such philosophies of life as look upon this earth as all.

We have developed a nation that it is almost sacrilegious to impose any hardship on the body. But we forget that some hardship is necessary in the body's own interest in addition to the interest of the soul.

Is it really very difficult to abstain from food of all kinds and other indulgence for the hours of the day for one out of twelve months of the year? Given the determination to endure a highly beneficial hardship, it is not difficult at all. Rather, it gives the mind a satisfaction and a thrill of pleasure that is experienced in overcoming any obstacle. Supposing it is not pleasant and without difficulty for all, should they, who find it not pleasant and not easy, yield to this modest difficulty.

We have been eating in the daytime for eleven months of the year, Should we grudge abstaining from eating in the day thim for one month only. Were we to eat without ever abstaining from eating throughout our lives, could that prolong our lives or make us any the happier. Nobody, I think, will claim such a result. Then, why not get some real benefit spiritually and physically and physically by this not too difficult exercise of Fasting.

Far a normal person to suppose that he is not equal to the task of fasting, is to destract from his own abilities, which is not a promising outlock on life. Fasting is therefore as such a necessity today as it was when it was first introduced and will continue so, as long as man is what he is.

These are the results which can and shold be achieved by the Muslims after undergoing the Fast of Ramadan. And when the Muslim succeed in achieving these results he has every cause to celebrate, for success is always worthy of celebration. The day of Id—ul—Fitr should mark for every Muslim the day of the completion of the success of his experiment — the day when he can say to himself that he has mastered his pains and held the reigns of its impulses; the day when his faith in Allah and himself has been reaffirmed, and he has scored victory against doubt and suspicion; and the day when his willpower and organised effort has controlled his desires and feelings.

value, besides its value as the means of providing rest to the stomach, is well known.

This is not all that is involved in the exprience of Fasting. There is an educational and training aspect which makes its imprint on the mind without being detected by the preson undergoing the Fast.

The person who as a result of the Fast changes his eating habits, invariably indulges, during the time of the Fast in silence, in deep thinking and contemplation. During these contemplative moods, it is more than probable that the person who fasts would think about the unfortunate members of the human race who, because of hunger, sickness or persecution, are forced to experience suffering and unhappiness of a similar to what he has vehemently undertaken.

The man who fasts would thus find something in common between him, while in that state, and his unfortunate fellow human beings and it is unlikely, that he would not then feel sympathy with those unfortunate members of humanity in His conscience and new frame of mind. And this, in fact, is what the Muslim should celebrate on "Id-ul-Fitr" - his joy at having rejunevated and purified his soul and clothed it with a new outlook in life in general, and the joy of his having awakened his conscience so that it becomes aware of what is around it. Upon the completion the opportunity of leading a life towards the attainment of his spiritual goal.

Is Fasting unnecessary in the present day world, as some amongst us seem to suppose? This question is indicative of the notion - a wrong notion indeed - that the Shariat stands in need of amendment today.

To think that the Shariat should be adopted to a particular way of life preferred and chosen by some is to being it into line with what our physical propensities have made of us. Instead of lifting ourseleves up from the low spheres where man lives only to eat, to the high plane pointed to by the Shariat - where man eats only to live, and in due course, to pass into a state in which he is not required to eat for the purpose of living.

Our concern should be not to remain what we are, but to be what we ought to be. Our love of the body appears to have gained undue intensity. It was not so with the past generation of. Muslims. History abounds in accounts of Muslims subjecting the body to extremes of hardship in striving to establish the supremacy of the soul over the body, It is because they believed in the life of the soul immensely more than the life of the body, that, they as a race could prevail over all others in the world.

The vitality of Islam lies in the spirit of self-sacrifice that it infuses

in him. What supports him then in his work and determination, is largely his spirit. In a moment of irresistible hunger, what stands between a lonely fasting Muslim in his house and the food lying near him is his determination not to yield to hunger a determination born of regard for the Commands of Allah and the desire to be firmer in determination. Such determination, such refusal to yield to hunger and other physical propensities and such regard for the Commandments of Allah are qualities of the Soul of spirit.

Fasting should therefore be considered as an institution for the moral and spritual upliftment of man so as to bring him closer to Allah. When a Muslim undergoes the Ramadan Fast, he is in the process of controlling hunger and thirst and he is accustomed to the hardships of life and cultivates to his advantage and benefit the habit of self-restraint which is of paramount importance towards the attainment of his spiritual ideals and goal. Abstinence from food alone is not the purpose of the Ramadan Fast, but it is only a preliminary step to abstinence from all evil, be they thoughts or deeds. It is very pertinent to observe that the Holy Prophet is reported to have said in this connection " there are many who fast but can derive no benefit from it . . . for such people who lie and bear false witness, Allah has no need for their observance of the Fast ". In Islam, Fasting is not considered as a method of appeasing divine wrath or seeking divine compassion, but connotes an entirely different purpose based upon lofty spiritual ideals towards the attainment of spiritual perfection.

Thus every Muslim obtains strength from the conditions created by the spiritual exercise of fasting. And if developed studiously, the spirit can so strengthen the man that he does not become affected by the demands of his physical nature and he emerges than his physical propensities. It is all a matter of practice with attention and care.

Fasting is meant to establish the superiority of man's spiritual being over his physical. If man recognized that his spirit which is immortal and which is endowed with potentialities for growth and development, should have ascendancy over his mortal body and bodily propensities, he will find fasting the means to establish the desired ascendany of the spirit.

Like Prayer, Fasting has many benefits concomitant with its main benefit to the soul. These are the obvious benefits to man's health and his relation with fellow Muslims. The benefits to health needs no elaboration; that Fasting has a therapeutic

THE FAST OF RAMADAN

By

A, M. M. SALMAN

The Fast of Ramadan and the celebraton of the Feast of " Id—ul—Fitr " occupies a prominent place in the heart of every Muslim throughout the whole universe. Id — ul — Fitr denotes to every Muslim a day of rejoicing and thanksgiving upon a successful completion of the Ramadan Fast which is considered one of the five pillars of the Islamic Faith.

It is therefore necessary and appropriate to ascertain the meaning and significance of the Fast of Ramadan as well as the meaning and significance of Id — ul Fitr. The Ramadan Fast is a personal experience of self control and self purification which every Muslim undergoes every year during the month of Ramadan.

The Holy Quran which was revealed during the month of Ramadan, to serve as a guidance to mankind, — and hence the special sanctity attached to this month, referes to Fasting as follows:—

" O, Ye believers. Fasting is prescribed to you, as it was prescribed to those before you, that ye may learn self restraint ".

Prophet Muhammed, (May the peace and blessings of Allah be upon Him) systematized the institution of Fasting by prescribing its time in the year, its duration, the conditions necessary for its effectiveness etc.' and enforced it with the utmost strictness. That is why fasting is very largely a universal practice among the Muslims.

What is the purpose of fasting ? Fasting makes the Muslim accustom himself to self control in hunger which is one of the most difficult physical conditions for man to withstand, Since man is mainly a spiritual being, it is necessary for him to create conditions in which his spirit can thrive unhampered by his physical propensities.

The food of spirit lies in meditation about Allah and in concentration on Allah's Commandments to Man. When the stomach is full, all the physical faculties of man find strength to get the better of his struggling spiritual faculty. But when the belly is empty the physical faculties fail to put up any strong fight against the spirit. But when he resists them with the will to continue till sunset these lie dormant

feels that the fast is harmful for him, should break his fast and fast the same number of days at another time.

The third section relates to the old men and those who are like him whose life will be harmed by fasting and the causes of their ailments are impossible to be removed away due to senility and the one who suffers from a long continued disease. To this class of people, Islam permits them not to fast at all, and in return imposes on them an obligation to feed a lesspoor man every day. The Qur'an stats " For those who can do it (with hardship), is a ransom, the feeding of one that is indigent. " (S. The Cow, V. 184.)

In addition to the above mentioned, divers and miners who work all the year are exempt since fast causes them hardships, they need not fast, but it is incumbent on such persons to feed a poor man as a ransom for every day of the month of Ramadan. Thus in view of the aforesaid, we come to the conclusion that Islam is the religion of simplicity and forgiveness.

among yourselves; but He turned to you and forgave you; so now associate with them and seek what God hath ordained for you, and eat and drink untill the white thread of dawn appear to you; distinct from its black thread; then complete your fast till the night appears." (S. The Cow, V. 187.)

This is a mode of a adjustment which Islam introduced as a facility in the religion which God wills it to his bondmen, as for instance the Qur'an states " For God is to all people most surely full of kindness most merciful."

The Facility of Islamic Fast ;

According to the facility which God ordained to his bondmen, Islam imposed fast on all Muslims in an easy way, as for example the Qur'an states "He had chosen you and has imposed no difficulties on you in religion." (S. The pilgrimage, v. 78.) "God intends every facility for you ; He does not want to put you to difficulties." (S. The cow, V. 185.)

"What can God gain by your punishment, if you are grateful and you believe ?" (S. The Women, V. 147.)

Hence, Islam categorised Muslims into their sections in the observance of the fast : The first one relates to those who are healthy and living in their homes and who are able to fast the month of Ramadan without any difficulty. They should fast the whole month. And one who breaks his fast without a reasonable cause, his deed will be against the teachings of Islam, and he will be the meritorious of God's anger and all Muslim people. It was the duty of the governor to punish him, so that he may serve as an example to the others who try to follow his footsteps concerning this. But if the one who broke his fast willed to return back to the straigt path, he should declare his repentance and fast the same number of days plus sixty days more as an expiation.

The second section consists of those who are ill or on a journey. In fact, Islam allows them to break fast on condition that they should fast the same number of days at another time. In this respect the glorious Qur'an says " If any one is ill or on a journey; the prescribed period (should be made up) by days later. " (S. The Cow, V. 185.)

Because fasting mostly causes the ill man and the travelling one harm or inconvenience, Islam allowed them to break fast. Hence, one who

not only to Muslims but to all mankind also. The Qur'an says " Ramadan is the (month) in which sent down the Qur'an, as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right aud wrong). [S. The cow, V. 185].

In fact, Muslims spend the month of Ramadan fasting, worshipping, gathering together and listening to the speechers who remind them with the good, urge them to do it, invite to all that is good, enjoin what is right, forbid what is wrong and join together in the mutual teaching of truth, and of patience and constancy. Verily, it is the duty of every Muslim to say " welcome you O glorious Month and may it give you pleasure O fasting believers ".

Verily, fast is not a modern concept, but it is rather an ancient one. It was an important pillar of every religion, for example : The Bibles of the christians praise the fast and state that jesus the christ and his apostles had performed this kind of devotion. The Testament "Taurah" of the jews also considers fast one of the obligations imposed on the jews and state that Moses " peace be on him " had fasted for fourty days. Moreover, the idolators themselves are aware of the Fast. The history of the ancient egyptians tells us that they had fasted, the romans and the greeks quoted the fast from the egyptians and performed it. Nowadays, the Indian idolators are performing Fast. It is probable that fast is an instinctive matter which the living beings perform during a period of their life time. For example, we notice that the camels sometimes fast. Hence, we come to the conclusion that fast is an ancient worship which was well known by all. In this connection, the glorious Qur'an says " O ye who believe ! Fasting is prescribed to you as it was prescribed to those before you, that you may (learn) seff — restraint " [S. The cow, V. 183].

Fast in Islam, is to cease eating, drinking and sexual contact from Dawn till sunset. It was the habit of the people to eat, drink and indulge in sexual behaviour with women from sunset till the time of sleep and cease after that time. But it was the will of God to forgive them and to guide them to an easy religion, so He revealed the Qur'an distinguishing right from wrong, depicting for them how to fast, He says :

"Permitted to you, on the night of the fast, is the approach to your wives. They are your garments. God knoweth what ye used to do secretly

done by their faithful predecessors, and consequently, they would restore their past glory, and their reception of Ramadan will be a reception for dignity and honour and a joy for the glory and greatness. In this respect the holy Qur'an says : " Has not the time arrived for the believers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the Truth which has been revealed (to them), and that they should not become like those to whom was given revelation afore time, but long ages passed over them and their hearts grew hard ? For many among them are rebellious transgressors. Know ye (all) that God giveth life to the earth after its death ! Already have we shown the signs plainly to you, that ye may learn wisdom. " (S. The Iron, Vs· 16 — 17.)

" O ye who believe ! shall I lead you to a bargain that will save you from a grievous penalty ? That ye beleive in God and His prophet, and that ye strive (your utmost) in the cause of God with your property and your persons : That will be best for you, if you but knew ! . He will forgive you your sins, and admit you to gardens beneath which rivers flow, and to beautiful Mansions in gardens of eternity : That is indeed the supreme achievement. And another (favour will He bestow), which ye do love, — help from God and a speedy victory. So give the glad tidings to the believers. O ye who believe, be ye helpers of God : As said Jesus the son of Mary to the disciple " who will be my helpers to (the work of) God ? " said the disciples " We are God's helpers ! " Then a portion of the children of Isreal believed and a portion disbelieved : But we gave power to those who believed against their enemies, and they became the ones that prevailed. " (S. The battle Array, Vs· 10 — 14.)

Fast in Islam :

This is the month of Ramadan which unites Muslims all over the world, irrespective of their languages and colours. It unites their feelings, pleasure, night, day, time of eating, drinking and also makes them equal to each other : There is no distinction between the governor and the governed, man and the woman or between the rich man and the poor one. It is a great pleasure to see Muslims expressing their congratulations — with the coming of the blessed month — to each other with faithful hearts, good souls, smiling and laughing faces. As a matter of fact, the month of Ramadan reminds Muslims " The feast of the Qur'an " which had been granted by God,

from wrong and cleared the word "Right" whether in divinity, message, Resurrection or in the relationship which joins the man to his brother during his life time. The Qur'an says: "Ramadan is the month in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong)" [S. The Cow, V. 185.]

On the other hand the month of Ramadan inspires and reminds Muslims that their victory against the enemies of Islam was not dependent upon the numerical strength of the fighters, the wealth or the power of their weepons, but it is dependent on their faith, piety and patience. It reminds them the battle of Badr which took place in the month of Ramadan, and which was the first battle in Islam. The Qur'an states the great victory of the Muslim fighters in the verse " God had helped you at Badr, when ye were a contemptible little force : Then fear God; thus may ye show your gratitude."
[S. The family of Imran, v. 123.]

It is therefore quite clear that the month of Ramadan inspired Muslims of the great events of the past, while God supported his bondmen and restored them back to their homeland out of which they were driven for no reason execpt that they said "Allah is our God". This event is the one of the great victory of Muslims against their enemies and which caused the sacred Mosque to be purified of the idols and that led the Islamic area to be extended and the word of God to occupy the highest position and the super rank, the Qur'an says "Verily, we have granted thee a manifest victory. That God may forgive thee thy faults of the past and those to follow; fulfil His favour to thee; and guide thee on the straiht way; and that God may help thee with powerful help." (S. The Victory, vs. 1-2-3.)

The duty of Muslims towards Ramadan :

This is Ramadan and that is its inspiration. It is the duty of the Muslim people to receive it with open hearts and to block the way of the satanic influence by means of it. This satanic influence which separated Muslims from each other, corrupted their characters, stole them of their good personality and emptied their souls of the Zeal. Hence, Muslims became a mixture of personalities which had no nationality or religion. They constituted a personality which was not eastern; western, Islamic christian or Jewish.

Verily, it is the duty of Muslims to remember the inspiration of Ramadan and to carry out what was

the materialistic life and lead a calm and spiritual one. He should forget the pains and the troubles of the world and live the life of happiness and bliss where there is no pain or misery. This life means to begin the day Fasting and saying "In thy name I am fasting" and to break his fast at the end of the day saying "In thy name I am breaking my fast" and to spend the night in prayer praising his God, prostrating to Him, asking Him for forgiveness and reciting the holy Qur'an till the break of dawn.

In following this way of life, the beliver's heart will be attached to his creator, he will maintain this attachment to be connected to God continuously and this will lead him to live all his life in piety, to perform his duties towards his God and to give the bondman his rights and to treat people kindly. This in essence is the inspiration of Ramadan.

The month of the heavenly revolution:

Not only is Ramadan the month of spiritual inspiration because of fasting, but it is also the month of the heavenly revelation against evil and the falsehood. Indeed, falsehood led the human being to deny the existence of his creator, to worship idols, the sun and the moon. Moreover, he asked the deaf stones to forgive him, to support him and to provide him with bounty. Falsehood took the mercy out of the human being's heart, filled it with tyranny and cruelty. So, he killed his sons, committed adultery and crimes, stole the properties, humiliated the weak people and harnessed the poor for his own benefits.

God disliked the falsehood, and it was His will to save humanity from its bad condition. Hence, He revealed the guidance to His prophet Mohamad "peace may be upon him" through the month of Ramadan to lead mankind to the straight path and to take them out of the darkness of ignorance and enmity, to the light of knowledge and brotherhood. The first chapter of the Quran reads "Proclaim! (or read) in the name of thy God and cherisher, who created. Created man out of a (mere) clot of congealed blood: Proclaim! and thy God is most Bountiful, He who taught (the use of) the pen, Taught man that which he knew not." [S. The clot of congealed blood, vs. 1- 5.]

In fact, the glorious Qur'an was revealed to guide people to that which is most right and o give the glad tidings to the believers who perform deeds of righteousness, that they shall have a magnifcent reward. Verily, the Qur'an distinguished right

and this is the Fast which Muslims are enjoined to perform during the month of Ramadan, to express their praises and appreciation to Almighty God. In this respect, Holy Qur'an says "Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong). So every one of you who is present (at his home) during that month, should spend it in fasting, but if any one is ill, or on a journey, the prescribed period (should be made up) by days later. God intends every facility for you, He does not want to put you into diffeculties. (He wants you) to complete the prescriced period, and to glorify Him in that He has guided; and perchance ye shall be grateful." " (S. The Cow, V. 185).

This is the Holy Book of Islam, which guides you to the best and leads you to the right way, and this is your Month, which reminds you with God's gift to fear your Creator and to be patient people, The Qur'an says "And hold fast, all together, by the Rope which God (stretches out for you), and be not divided among yourselves; and remember with gratitude God's favour on you; for ye were enemies and He joined your hearts in love, so that by His grace, you became brethren; and you were on the brink of the Pit of Fire, and He saved you from it. Thus doth God make His Signs clear to you: That ye may be guided." [S. The family of Imran, V. 103.]

The popular inspiration of Ramadan :

In reality, Ramadan is nothing but a name of the lunar month between the month of Shaaban and the month of Shawal. As a matter of fact, this month is one of special inspiration and influence on Muslim people. Consequently, their hearts, through this inspiration are filled with belief and guidance.

The influence and inspiration of the Ramadan month is not limited to the elders, but it has also its effect on the children. At the commencement of this month, you could see the children, especially at night, gathering themselves together, playing, singing, carrying their candles and lanterns, going through lanes and streets to express their glad tidings and good feelings and joy towards the advent of the blessed month of Ramadan.

Surely, the word "Ramadan" inspires those who understand this month, its events and characteristics; to prepare themselves to a divine journey for the whole month. This journey simply denotes that the bliver should avoid the enjoyments of

"Say : Behold all that is in the heavens and on earth" "On the earth are signs for those of assured Faith, as also in your own selves : Will ye not then see" [S. the winds that scatter, vs. 20-21].

In fact, it is the book which removes the distinctions between man and his brother in humanity. It states that all human beings are the sons of a single male and a single female and that God made nations and tribes of them to know each other, not to despise each other; and that, verily the most honoured of them before God, is the most pious who does good for the sake of goodness itself.

It is the book which guides all people to the straight path; to follow it during their life time. In this respect, the Qur'an says "For He commands them what is just and forbids, them what is evil, he allows them as lawful what is good (and pure) and prohibits them from what is bad (and impure); he releases them from their heavy burdens and from yokes that are upon them." [S. The Heights V. 157.]

"Verily, this is my way, leading straight : Follow it : Follow not other paths : They will scatter you about from His (great) path" [S. The cattle, V. 153.]

It is the duty of every one to declare his full respect to this Book, to carry out its instructions and to celebrate the occasion on which God granted this divine Book to humanity.

Legallity of Fast during the month of Ramadan :

It is the habit of the people to celebrate the days which bear their good memories. This is because God has selected the month of Ramadan to be the time during which Repentance is acceptable, He greeted it and obliged every Muslim to fast during this period. Moreover, He considered it one of the pillars of the religion "Islam" and also a part of the Islamic personality.

As a matter of fact, the fast of Ramadan according to the glorious Qur'an aims at — the up bringing of the mind and soul. It unifies the Muslim's leisure hours or work and his hours of feast (eating and drinking). It fills their hearts with the love of God, urges their tongues to repeat God's praise, inculcates the quality of patience in their hearts and guides them to love each other. Surely God wills the human being to possess a good coduct and great manner.

It was in the month of Ramadan that the glorious Qur'an, a gift, which God granted to his londmen

" Glory to (God) who did take His servant for a Journey by night from the sacred Mosque to the farthest Mosque, whose precincts we did bless " (S. The children of Israel, V. 1.)

With regard to times, God chose some days and nights to be feasts and occasions for His mercy and blessing. In this respect the glorious Qur'an says : " By the breake of day. By the nights twice five ". " And the morning prayer and reading. For the prayer and reading in the morning carry their testimony" " The night of Power is better than a thousand months " " By the Book that makes things clear; we sent it down during a blessed night : For we (ever) wish to warn (against) evil) ".

Hence, it was the will of God to choose the month of Ramadan from amongst the other lunar months to be the best time for seeking His blessings and forgiveness. It is also the only month which God mentioned through the verses of the glorious Qur'an and also granted His bondmen during it the best one of His blessings, namely His Book, that no falsehood can approach it from before or behind it. It was sent down by one full of wisdom, worthy of all praise. The most important one of the instructions of the holy Book of Islam, is that it transformed or moulded humanity which existed through the long ages of complete darkness and idolatry and directed the light of Islam which is the religion of Monotheism. Henceforth, they prostrated only to one God as the creator of this universe. The Qur'an says :"O people of the Book ! come to common terms as between us and you : That we worship none but God, that we associate no partners with Him; that we erect not, from among ourselves, Lords and patrons other than God. " (S. the family of Imran, V. 64.)

The instructions of the Qur'an :

Verily, the glorious Qur'an is the book which guides one to the right path, leads him to happiness, shows him how to utilize the bounties of God that are harnessed to him; orders him to search the greatness of God through earth and heavens; to feel the dignity and the honour that Almighty God granted to the human beings. The Qur'an states "Do they see nothing in the government of the heavens and the earth and all that God hath created ? (Do they not see) that it may will be that their term is nigh drawing o an end ? In what Message after this will they then believe ? " [S. The Heights, V. 185.]

THE MONTH OF RAMADAN IN QUR'AN

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

It is a verse from the glorious Qur'an that attracted my attention — I contemplated its meaning and then I found out its explanation very obvious throughout the universe. This verse is " Thy God does create and chosse as He pleases". Indeed I found the explanation of this verse very evident in some persons, in some places and also in some times.

Since the time of Adam, God created countless people and chose for the guidance and the leadership of man some amongst them according to His will. He chose the erudite, the philosophers, the leaders, the reformers, prophets and messengers. In this connection the holy Qur'an says " God did choose Adam and Noah, the family of Abraham and the family of Imran above all people ". (S. the family of Imran, V, 33).

" God knoweth best where (and how) to carry out His mission ". (S. The cattle, V. 124).

" God said : " O Moses ! I have chosen thee above (other) men, by the mission I (have given thee) and the words I (have spoken to thee) ". (S. The Heights, V. 144).

" It is He who hath made you (His) agents, inheritors of the earth: He hath raised you in ranks, some above others ". (S, The cattle, V. 165).

Also God chose some place to be descents of the revelation and others to be alloted to places of worships. He inspired some people to adopt these places as places of residence. In this respect, the glorious Qur'an say : " The first House (of worship) appointed for men was that at Bakka : Full of blessing and of guidance for all kinds of beings. In it are signs manifest ; (for example. The station of Abraham ; who ever enters it attains security " (S. The family of Imran, V. 96-97).

But when he came to the fire, a voice was heard : " O Moses ! Verily I am thy God : Therefore (in my presence) put off thy shoes : Thou art in the sacred vally Tuwa. I have chosen thee : Listen, then to the inspiration (sent to thee).' (S. Taha, Vs. 11 — 12 — 13.)

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر — شوال سنة ١٣٨١ هـ — مارس ١٩٦٢ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

العيد في الدين وفي اللغة

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأعياد من المراسم المرعية في جميع الأديان الكبرى . لأن الاشتراك في الاحتفال بوقت من الأوقات يرعاه المتدينون جميعاً هو بعض المعالم العامة التي لا غنى عنها في كل عقيدة تدين بها الجماعة وتتعارف على شعائرها .

وفي الأديان الكتابية كلها أعياد مقررة تجب على الجماعة رعايتها ، يلاحظ في الكثير منها أنها قديمة متوارثة من زمن بعيد سابق لعهد الدعوة إلى تلك الأديان ، وقد يرجع ذلك إلى سبب يتعلق بسياسة الدعوة كما يرجع إلى حكمة العقيدة في صميمها . فإن قطع الصلة بماضي الأمة كل القطع قد يعوق الدعوة في سبيلها إلى أسماع المدعوين وضمائرهم ، وقد يكون النفور من الدعوة في هذه الحالة كالنفور من العدو المقتحم الذي لا يقبل منه كلام ولو كان من غيره مظنة القبول والترحيب ، وليس من اللازم في محاربة الضلالة الدينية أن نحارب ملكة العقيدة في النفس الإنسانية ، فإن ملكة العقيدة في لبابها هي مناط الخير من ضمير الإنسان ، ويكفي عند محاربة الأديان الضالة أن نحتفظ بملكة العقيدة لكي يسهل بعد ذلك تحويلها

من المعتقدات السيئة إلى المعتقدات الحسنة ، فذلك أقرب إلى الهداية من استئصال ملكة الاعتقاد بجذورها ، وامتلاء النفس بنزعة الكفر الذى يعرض عن كل إيمان ويسخر من كل دين .

وقد أبقى الإسلام على بعض شعائر الحج فى الجاهلية وأصلحها بالانتقال بها من عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، وكانت دعوة النبى عليه السلام إلى حج البيت وهو فى قبضة المشركين يصدون عنه قصاده المسلمين حجة للإسلام على الشرك ، وإحباطا لسياسة الملأ من كفار قريش ، وهم يحاولون أن يعزلوا الدعوة الإسلامية عن أمتها باسم الحفاظ على كرامة الآباء .

ومن تاريخ الأعياد فى اليهودية والمسيحية يظهر لنا على التحقيق أنها منقولة عن مراسمها الأولى من عهد عبادة الطبيعة أو عبادة الكواكب قبل دعوة موسى وعيسى عليهما السلام .

فالأعياد اليهودية كلها لا تزال على صبغتها الأولى من مراسم الاحتفال بمواقيت الزرع والحصاد ، وهى بأسمائها فى العهد القديم تشير إلى موعد الحصاد ، وموعد الجمع ، وقرابين البواكير من الثمرات والأنعام .

والعيدان المسيحيان يوافقان موعد انتقال الشمس فى الشتاء وموعد انتقالها فى الربيع ، وقد كان آباء الكنيسة الأولون يقيمون الاحتفال بالعيدين فى هذين الموعدين ليصرفوا جمهرة الناس عن تقاليد عبادة الشمس إلى تقاليد العبادة المسيحية .

إلا أن التوقيت بالأشهر القمرية فى حساب العيدين الإسلاميين قد كان له أثره فى تنزيه هذين العيدين عن كل صلة بالعقائد الجاهلية التى سبقت دعوة الإسلام ، فلا ارتباط لهما اليوم بمواقيت عبادة الطبيعة أو عبادة الكواكب ، وليس لهما قوام من الذكريات المادية أو المعانى النفعية ، فقد يعود الصيام فى أشهر الصيف كما يعود فى أشهر الشتاء ، وقد يجب الحج مع أوان المرعى والسقاية كما يجب مع كل أوان ، وهو عدل فى توزيع أيام الفرائض يناسب العدل فى تكاليف الدين وأعباء الواجبات ، ويناسب العدل فى أحوال الأمم التى تؤدى تلك الفرائض وتنهض بتلك الأعباء ، ومنها أمم الرعاية والزراعة وأمم التجارة والصناعة ، وأمم تقيم فى كل مناخ وكل إقليم .

ومن ثم خاص العيد الإسلامى لمعناه من الإيمان المحض بعبادة التنزيه والتوحيد .

وفى سياق هذه المقالات التى نتابع فيها النظر فى مزايا اللغة العربية يتفق لنا أن نذكر مزية لهذه اللغة فى كلمة العيد بلفظها ومعناها ، فإن

تسمية العيد بهذا الإسم تدل عليه بأخص معانيه وهى الإعادة والتعييد ، وليس لهذه الخاصة مدلول مفيد فى أسماء العيد بأكثر اللغات .

فبعض أسمائه باللغات الأوربية تدل على معنى الوليمة ووفرة الطعام .

وبعض أسمائه تدل على اليوم الدينى أو يوم البطالة ، وليست هذه من خواص العيد التى ينفرد بها بين سائر الأيام .

وبعض أسمائه الحديثة تقابل كلمة «السنوية» أو «المئوية» وتصدق على احتفال بعينه يجوز أن يكون يوما واحدا لا يعاد إليه ، ويجوز أن يكون من غير الأعياد لأنه من ذكرى الكوارث أو ذكرى الحداد .

أما كلمة العيد بصيغتها هذه فى اللغة العربية فهى أدل من تلك الأسماء جميعا على خاصته ومعناه .

* * *

ويعود هذا الاستعداد لتخصيص الألفاظ بمعانيها إلى سعة الاشتقاق فى اللغة العربية على قواعده التى تؤدى كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فإن الاشتقاق على حسب هذه القواعد يستمد من الفعل عمل الإسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منهما ، فيأتى الإسم معبرا عن واقع فعله وعن المقصود بوصفه ، وتصلح المادة الواحدة أساسا لأسرة كاملة من المعانى المتفرعة عليها .

وكلمة العيد مصدر من مصادر كثيرة يدل على صفة العودة أو على هيئتها ، ومن فعل (عاد) تؤخذ العودة للمرة من العود وتؤخذ العادة للفعل أو الخلق الذى يكثر الرجوع إليه ، ويؤخذ المعاد لمكان البعث أو زمانه ، وتؤخذ العيادة للزيادة المتكررة ، وتؤخذ العائدة لما يعود على الإنسان من نتائج عمله على معنى قريب من معنى التبعة أو الجزاء ، وتستعار العوائد لما يعطى أو يؤخذ مع التكرار والترقيت ، لأن الإعطاء والأخذ معنى واحد من جانبين ، فما يأخذه هذا هو عطاء من ذاك .

ويأتى عمل المضاعف والمزيد فيوسع دلالة المادة اللفظية أو يسرى منها إلى معانى تناسبها وقد تخالفها فى بعض عوارضها .

وهنا مجال واسع لمعانى الإعادة والاستعادة والتعويد والتعييد ، ومجال واسع للتفرقة بين المعيد والمستعيد وبين العود والمعاودة ، والمعاد والمستعاد ، ولا لبس فى موضع لفظ من هذه الألفاظ لأن وزنه دليل على موضعه من التعبير .

والاشتقاق موجود فى لغات كثيرة ، وهو بعض الخواص الملازمة للغات السامية ، ولكنه لا يوجد بهذا التوسع على هذه القواعد المفصلة ، كما يوجد فى اللغة العربية .

وكل ما يوجد فى سائر اللغات السامية من قواعد الاشتقاق قائما يوجد بالمقدار الذى يدل على أنها — كلها — فروع من أسرة لغوية واحدة ، وأن كل فرع من هذه الفروع يخالف فى أساس تركيبه للغات النحت التى يطلقون عليها فى الغرب اسم اللغات (الغروية) لأن تنويع معانى المادة فيها يقوم على لصق المقطع بالمقطع وضم العلامات والحروف لنقل الكلمة من صيغة الفعل أو الإسم إلى صيغ النعوت والظروف ودرجات العمل أو الإفادة .

ولكننا إذا قارنا فى خاصة الاشتقاق نفسها بين العربية وأخواتها فى الأسرة اللغوية كادت أن تنفرد باشتقاق مقصور عليها ، لا يضارعه اشتقاق العبرية أو السريانية أو الكلدانية أو الحبشية فى السعة ولا فى تقسيم القاعدة ولا فى تحكيم المتكلم فى التعبير عن أغراضه على حسب كل احتمال معقول .

فالاشتقاق العربى يعطى المتكلم من الأوزان بمقدار ما يحتاج إليه من المعانى المحتملة على جميع الوجوه ، والمتكلم هو صاحب الشأن فى اختيار الكلمة وليست الكلمة هى العبارة المفروضة عليه لأنها وضعت من أصلها ارتجالا أو محاكاة لصوت أو تلفيقا للأجزاء من مختلف المواد .

ولا يحتمل العقل المعبر صيغة للاشتقاق بعد استيفاء صيغ المصدر للمرة أو للهيئة أو للدلالة على الجمع أو الجنس المجموع ، ولا احتمال لصيغة مطلوبة بعد صيغ المبالغة والتضعيف واسم الفاعل واسم المفعول والصفة الملازمة ، والصفة المرتهنة بالحدث والزمان .

فالمتكلم المعبر هنا هو صاحب الشأن فى تصريف المشتقات على حسب أغراضه واحتمالات تفكيره ، واللغة قد وصلت على ألسنة المتكلمين بها إلى خلق القواعد التى يتبعها تكوين المفردات ، قبل أن تعرض لهم الحاجة إلى استخدام جميع تلك المفردات أو إنشاء الكلمات المرتجلة مع كل مشاهدة تأتى للمتكلم بشىء جديد يحتاج إلى لفظ جديد .

وقدم القواعد على هذه الوتيرة من أول القرائن على قدم اللغة وقدم الزمن الذى ارتسمت فيه عند أهلها قوانين التعبير .

وبهذا القدم تنفرد اللغة العربية بين أخواتها من أسرة اللغات السامية ، ولكنها تنعزل تمام الانعزال عن أسرة اللغات الحامية التى يخلط بعض المستشرقين بينها وبين العربية فى أصولها ، فإنهم — لتجردهم من الذوق الأصيل فى بواعث التعبير باللغة العربية — يحسبون أن التشابه فى بعض الضمائر أو بعض الأعداد أو بعض التصاريف التى تشبه

الاشتقاق برهان كاف على وحدة الأصول ، ولو جاز الأخذ بأمثال هذه المشابهات لما انفصلت عائلة لغوية عن سائر العائلات اللغوية التى تتباعد غاية البعد فى تقسيم الأصول والفروع ، فإن الشبه بين بعض الخصائص الطورانية والملاوية وبين خصائص اللغة العربيه أكبر من كل شبه بين الساميات والحاميات .

والمعلوم أن فروع الساميات تتألف من الأصوات المقطعية القصيرة وتكتسب اختلاف المعنى باستعارة صوت إلى جانب صوت ، ولا تنقسم فيها أجزاء الكلام انقساما يعزل الأسماء عن الأفعال ويعزل هذه وتلك عن الحروف .

ولا قرابة بين لغات تقوم على هذه الأسس المتفرقة ، وبين لغة تنقسم فيها حروف الجر وحدها انقساما يخصص كلا منها بموضعه ومعناه وعلاقته بالأسماء والأفعال ، ولا حاجة بعد الالتفات إلى هذا الفارق فى حروف الجر إلى بيان الفوارق الواضحة بين الحاميات والآريات معا وبين اللغة التى اتسعت فيها قواعد الاشتقاق المفصل ذلك الاتساع واشتملت مادة الفعل الواحد منها على أسرة كاملة من درجات المعنى ومقاصد التعبير .

عباس محمود العقاد

عن السرى السقطى ، أنه اشترى لوزا بستين دينارا ، وكتب فى دوزنامجه ثلاثة دنانير بربحه . وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار . فصار اللوز بتسعين ، فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه ، قال بكم ، فقال بثلاثة وستين . فقال الدلال ، فقد صار اللوز بتسعين ! فقال السرى ، قدعقدت عقدا لا أحله ، لست أبيعه إلا بثلاثة وستين ، فقال الدلال وأنا عقدت بينى وبين الله أن لا أغش مسلما ، لست آخذ منك إلا بتسعين . قال فلا الدلال اشترى منه . ولا السرى باعه فهذا فرض الاحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال .

موقف الإسلام من المستغلين

للامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

حالة المجتمع قبل الإسلام :

نظم الإسلام التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناولها بما يرسي قواعدها ويقرر أصولها وفروعها .

وإكمالا للصورة التي رسمها الإسلام للمجتمع الفاضل المتكامل يجب أن نبين كيف واجه الإسلام عيبا من عيوب المجتمع التي جاء والناس عليه ، ولا يمكن مع وجوده في أمة أن يتأتى لمجتمعها تحقيق التكافل بين أفراده ، وذلكم هو « استغلال حاجة المحتاج » .

وحتى ندرك أثر الإسلام في تخليص المجتمع من هـذا العيب الخطير على بناء الجماعات وتكوين الأمم ، أقدم استعراضا عن حالة المجتمع قبل الإسلام ثم أتلوه ببيان موقف الإسلام من علاج هذا العيب وكيف تغلب عليه بفضل العقيدة الرشيدة والإيمان العميق اللذين تمتع بهما المسلمون الأولون .

فقد جاء الإسلام وقلوب الناس فارغة من معاني الرحمة ، والتعاون . لا يحمل قادرهم كلّهم ولا يساعد موسرهم معسرهم ، بل يأكل قويهم ضعيفهم ، ويستغل غنيهم فقيرهم ، دون أن يكون للقادر أو الغني من ميزة إلا أنه ذو عافية أو مال ، ولا ذنب للعاجز أو الفقير سوى أن ظروف حياته لم تهيء له الصحة الكاملة أو موارد الغنى الكافية ، وسبل الكسب الطيب .

في هذا الجو المظلم كان جشع الأغنياء والقادرين يتفتق كل يوم عن حيلة يمتصون بها أموال الفقراء ويعتصرون دماء الضعفاء حتى لم يبق للطبقات العاجزة والمحرومة إلا أن تستسلم للأمر الجاري أو تثور عليه ، وأنى لها بالثورة وقد قلم الاستغلال أظفارها وسلب منها جميع إمكانياتها .

(ا) فالمقرض ، في معاملته للمقترض كان لا يكتفي باستيفاء الأصل ، إذا اضطر المقترض إلى تأجيل السداد عن موعده ، بل كان يضيف إليه زيادة في مقابل التأخير ، وتتضاعف هذه الزيادة كلما تكرر عجز المدين عن السداد في الموعد المحدد .

(ب) ورب العمل ، كان يبخس العمال أجورهم ، فضلا عمن يسخرهم في عمله ، من العبيد والأرقاء ، الذين كان يضن عليهم حتى بضروريات الحياة الإنسانية ، ليظلوا مسخرين لأمره ونهيه .

(جـ) والمحتكر، كان يتحكم فى الأقوات والأرزاق، يحبسها عن الأسواق حتى يشتد الطلب عليها، بعد قلة المعروض منها، ومن ثم يتسنى له أن يبتز ما شاء من أموال الناس بالباطل، استغلالا لحاجتهم مع قلة حيلتهم.

وهكذا من صور الجشع الذى يرمى إلى جمع الأموال من دماء المحتاجين والضعفاء وتكديسها.

وبذلك نشأت الرأسمالية الطاغية، التى مزقت الصلات الإنسانية شر ممزق وجعلت أفراد المجتمع أشبه بحيوان الغاب، الغنى يطمع، فيفترس الفقير، والقوى يتجبر، فيسخر الضعيف. والفقير والضعيف يحقدان فيتربصان الدوائر بالغنى والقوى ويفترصان الفرصة للانقضاض عليهما.

وكان من آثار ذلك أن شاعت فى مجتمع ما قبل الإسلام السوءات الآتية:

أولا: اعتصار الفقير لحساب الغنى، مما زاد الفقير فقراً وراكم على أموال الغنى أوزاراً فوق أوزاره.

ثانيا: طغيان الغنى وزيادة قوته، حتى كان من الفرد الواحد أو من الجماعة الرأسمالية دولة أو دويلات تناهض سلطان ولى الأمر وتهدد الأمن والاستقرار، بما تملكه من مال فائض تسخره فى الطغيان، وصدق الله العظيم إذ يقول: «كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى».

وما أروع التعبير فى الآية بقول الله تعالى: «أن رآه استغنى» تعليلا للطغيان: ذلك أن الغنى أمر نسبى، يختلف من إنسان إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى، ومن زمان أو مكان، عنه فى غيرهما. كما أن الإنسان قد يكون بالنسبة لغيره غنيا، لكنه لا يرى نفسه قد اغتنى بعد، فيظل له سلوكه الهادىء المسالم، حتى إذا ما وصل إلى درجة رأى نفسه فيها أنه قد اغتنى، فإن أعراض الشراسة والاستعلاء تأخذ سبيلها إلى تصرفاته، ومن ثم يسير حثيثا نحو الطغيان.

ومن هنا ربط القرآن الكريم طغيان الإنسان، بمجرد ظنه وتقديره أنه استغنى، باعتبار ذلك هو القدر المشترك الصادق فى كل تلك الحالات.

وليس فى أقوال البشر شىء من الشمول فى وصف الآثار السيئة على النفس البشرية، حين تمتحن بوفرة المال، كهذا الذى عبر عنه القرآن.

ثالثا: استغلال حاجة المحرومين، وهم سواد الناس، وامتصاص جهود الكادحين، وهم جمهرة الأمة، مما ترتب عليه ضعف الجماهير الذين هم قاعدة التنظيم الاجتماعى، ومن ثم اهتز البناء الاقتصادى، لضعف الطاقة التى هى أغلبية المشتردين والمستهلكين والعاملين فى مجالات الإنتاج والذائدين عن الحياض والساهرين على أمن الدولة.

ولا شك أن إرهاقهم بهذا الاستغلال الجشع هو إخلال بثبات القاعـدة الشعبية التى يجب أن تلق العون لا أن تستثمر وتستغل .

رابعا : تزعزع العقيدة ، فالغنى كان يطغيه سلطان المـال وكثيرا ما نجح فى فرض مشيئته على العامة بالاسترهاب أو شراء الذمم ، وبتكرار فرض مشيئته نسى أنه بشر تافه زائل ، وحاكى قارون فى غروره عندما قال : « إنما أوتيته على علم عندى » لما أتاه الله من الكنوز « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » .

والفقير يطول انتظاره وصبره ، مع تزايد البلوى عليه ، كان يئن ، فيما بينه وبين نفسه المكلومة ، حتى ليتساءل أين عدل الله !

خامسا : فساد المجتمع ، لسيطرة الروح المادية المسرفة ، فالغنى كان يغرى بفيض ماله المتزايد ، والفقير كان يضطر تحت وطأة الحاجة للتفريط ، فهانت الأعراض وانحلت الأسر .

سادسا : شيوع الخوف فى جميع الطبقات ، فالضعيف المحروم كان غير آمن على رزقه حيث لم تكن المعاملة بين الناس قائمة على الفضل والعفو والصدقة . . والقوى الغنى الغاصب كان يعيش فى خوف على ماله الذى يجمعه بالاستغلال غير المشروع .

سابعا ـ استتباب الجريمة بخلق أسبابها ، فالمحروم حاقد ، والمبطون بامش حتى لا تدور عليه الدوائر .

كيف واجه الإسلام حاجة المحتاج :

جاء الإسلام والناس على هـذا الوضع السيء فأفرغ جهده فى القضاء على منابع الشر وأخذ بمبادئه الحكيمة يزيل الحواجز التى قطعت ما بين الناس من صـلات التراحم والتعاون والبر والإحسان ، وأخذ يبنى المجتمع بناءاً واحدا متماسك اللبنات متضام الوحدات .

وقد واجه الإسلام علاج هـذا الوضع السيء من ناحيتين :

أولا : من الناحية الإيجابية :

(ا) وضع تشاريع التكافل الاجتماعى التى سبق أن بينا كيف حتم الإسلام ضرورة الأخذ بها والعمل فى نطاقها .

(ب) طالب كل فرد من أفراد المجتمع بالعمل على تحصيل رزقه الذى يكفى حاجته ، ويوفر له حياة نفسية كريمة هادئة .

(ج) أشعر الأغنياء الذين آتاهم الله من ماله أن هذا المال ، وإن كان معقوداً فى ملكيته بأسمائهم ، إلا أن حق الانتفاع به مشترك بينهم وبين إخوانهم الفقراء الذين يكونون المجتمع معهم ، وراحته من راحتهم ، واضطرابه من اضطرابهم ، كما هو مشترك بينهم وبين المصالح العامة التى تحتاج إليها الجماعة ، فى راحتها واستقلالها وإدارة شئونها والدفاع عن حرماتها وكيانها .

(د) ونتيجة لهذا كلفهم بمد يد المعونة .

١ ـ إلى الفقراء والمساكين وأرباب الحاجات ، إما بالبذل أو بتهيئة العمل .

٢ ـ وإلى أولياء الأمور ، بما يمكنهم من إقامة المصالح العامة التي تحقق خير الجماعة .

(هـ) قرر أن تجرى المعاملات بين الناس على أساس واحد ينتظمها جميعا ـ مهما اختلفت صورها ـ وهو الانسياب إلى الخير ، الذي تشيع في جوانبه الرحمة ، ويحقق التعاون ، بين الفرد والفرد ، وبين الفرد والمجتمع ، وبين الفرد والدولة ، بحيث يكون جوهر المعاملات هو إعطاء كل ذي حق حقه ، ورحمة الضعيف ، واقتضاء حق المجتمع من المقتدر .

ثانيا : من الناحية السلبية : ـ

حرم الربا والرشوة والشح والبخل ، ونهى عن الإسراف والترف والتبذير ، وحذر من الضن بحق الفقير والمسكين .

صورتان متقابلتان :

ولإظهار التفاوت بين هاتين الناحيتين ، الإيجابية والسلبية ، اللتين واجه بهما الإسلام استغلال حاجة المجتمع ـ قابل القرآن الكريم في كثير من آياته بينهما ، ووضع أمام الأبصار صورة مضيئة هي صورة التراحم والتعاطف والتعاون المطلوبة وجعل شعارها البذل والإنفاق .

وفي الجهة المقابلة وضع صورة مظلمة هي صورة الجشع والقسوة والأنانية الممقوتة ، كي يمعن الناظرون في الآثار الطيبة لصورة التراحم والتعاطف والتعاون ، وفي الآثار السيئة لصورة الجشع والقسوة والأنانية ، فيكون لهم ـ من هذا الوضع ـ ما يردهم عن احترام صورة الجشع والقسوة والأنانية إلى احترام صورة التراحم والتعاطف والتعاون. وبذلك تتحقق إنسانيتهم الفاضلة ، ويسيرون في الحياة بخطوات متزنة في البناء والتشييد ، فتسمو بهم الحياة التي ينعمون بها .

ومن هنا لا تكاد تجد ، في القرآن الكريم آية من آيات الإعلاء من شأن البذل والمعونة والتراحم ، إلا وبجانبها آية من آيات التحذير عن الشح والجشع والأنانية ، وأن شئت فاقرأ من سورة البقرة المدينة قول الله تعالى « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم ، يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا

والله لا يهدى القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير » . وهكذا تتوالى الآيات على هذا النسق إلى قوله تعالى بعد ذلك فى نفس السورة : « يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم » وأقرأ من سورة آل عمران المدنية أيضا : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ، واتقوا النار التى أعدت للكافرين ، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .

ثم اقرأ فى مقابلة ذلك قوله بعد ذلك مباشرة : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

واقرأ كذلك من سورة الروم المكية : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون . وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله . وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » ... اقرأ هذا كله بعين البصيرة ، وتدبره بروح الإيمان الصادق ، لتعرف الهدف الذى لأجله حرم القرآن الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وسد أبوابه وأحكم سدها على أهله وأتباعه ، وشهر بآكليه أشنع تشهير ، حين قال فيهم : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا » . ثم دعاهم إلى تركه ، وحذرهم من التمادى فيه بقوله : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . ثم توعد من لا يستجيبون إلى دعائه أشد الوعيد فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » . ثم نظم تصفية الأوضاع الربوية القائمة بقوله : « وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

نموذج سمح كريم :

وفى هذه الآية نموذج سمح كريم لما يجب أن يكون عليه سلوك الدائن مع المدين بالنسبة لاقتضاء دينه منه ، قدمه الله بقوله : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

فالله يوصينا بإمهال المدين المعسر حتى يصيب يسرا يمكنه من سداد دينه . لكننا إذا تأملنا قوله تعالى : « وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » . فإننا نجد نموذجا إنسانيا

فوق ما يخطر على البال من معانى الترابط بين الناس ، فى سبيل إصلاح الجماعة ، يقدمه الإسلام ، ويغرى به ، ويقيم عليه الدليل .. فالله تعالى ، بهذه الآية ، يريد أن يقول : إن الدائن حين يملّ من أمر مدينه عسرا وعجزا ، فإن الإمهال وحده لا يسمو بتصرف الدائن إلى ما يوصى به الرحمن من صور المعاملات الخيرة بين الناس . وإنما يحسن الدائن صنعا إذا هو ترك الدين وتصدق به على المدين .

ثم ينبه إلى أن هذا خير المجتمع ... ذلك أن المجتمع الذى يتراحم فيه الناس حتى تصل المعاملات بينهم إلى هذا المستوى الإنسانى النبيل ، لا يبقى فيه حاقد أو ناقم يفكر فى انقلاب أو انتقاض .

أفرأيت إلى مجتمع هذا شأنه ، هل تتخلف فيه الجماهير عن نصرة القوى ونجدته إن حلت به كارثة ، أو نزلت به نازلة ، كأن تحترق له دار أو تغرق له زراعة ، كما يحدث فى الريف كثيراً ، حيث لا تتوافر أجهزة الإطفاء ، ولا وسائل مقاومة السيول ؟

هدف الإسلام من بناء مجتمع إنسانى فاضل :

على هذه الأسس والمبادىء التى تقتضيها الأخوة والتراحم والتعاون والاشتراك فى الإحساس وتبادل الشعور بين الأفراد ، بعضهم مع بعض ، وبينهم وبين الدولة ـ امتلأ القرآن الكريم ، فى مكيه ومدنيه ، بآيات الحث على الإنفاق فى سبيل الله ، وقضاء الحاجات التى تطرأ على الأفراد فتوهن من قوتهم ، وتضعف من روحهم ، وتجعل القلق يسيطر عليهم فى الحياة ، حين يرون إخوانهم الأغنياء يتمتعون بالأموال فى سعة واقتدار ، مما يضاعف همهم . وقد يفتح لهم أبوابا من الشر والفتنة يمكرون بها على الجماعة صفو حياتها ، ويزلزلون عليها عناصر الأمن والاطمئنان .

وعلى هذا الوضع الذى سقنا طرفا منه ، سار الإسلام فى بناء المجتمع الإسلامى الفاضل ، حتى تتفاعل وحداته بإحساس واحد واتجاه واحد فيكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى .

ولا شك أن رأس المال إذا استخدم مراعى فيه تلك العلاقات الإنسانية التى شرعها الإسلام للتعاون بين الناس فإنه لا يصبح ذا قوة أو سيطرة على المجتمع ، ولا يصبح صاحب المال ذا استغلال أو إقطاع فيه ومن ثم يكون أفراده كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وليس غير هذا المجتمع يريد الله .

محمود شلتوت

التجديد فى الدعوة الإسلامية يبتدئ من المفاهيم

للأستاذ الدكتور محمد البهى

— ١ —

جاءت رسالة الإسلام وهى تحمل معانى ومدلولات تحدد نظرة الإنسان إلى الحياة ، كما تحدد سلوكه فيها ، إن فى صلته بخالقه وإن فى أسرته وإن فى صلاته بغيره فى المجتمع : وكانت هذه المعانى والمدلولات كذلك مصدر الدفع فى الحياة ، ومصدر الحركة فيها . وقد تمثلها الإنسان المسلم فى نفسه وقت الرسالة وما بعد الرسالة بقليل ، بعد أن وعاها فى وضوح ، وقبل أن يطرأ عليها أى أثر من آثار الانحراف فى فهمها وتحديدها .

وعندما اتخذت هذه المعانى والمدلولات فى وضوحها وفى حسن وعيها قاعدة للسلوك ولتحديد النظرة فى الحياة — كان الأفراد المسلمون أفرادا أقوياء فى بنائهم وفى سلامة توجيههم وفى دفعهم للحياة ، وكان المجتمع الإسلامى تبعا لذلك مجتمعا قويا متماسكا متآزرا ، وكانت أهدافه فى الحياة هى تلك الأهداف التى توحى بها تلك المعانى والمدلولات فى وضوح وعيها وضبطها ، ولا تخرج هذه الأهداف عن كونها تحديدا لإطار المستوى الإنسانى الذى يجب أن يرتفع إليه الأفراد إذا ما انخفض سلوكهم عنه وابتعد توجيههم عن محيطه ، والذى يجب أن يظلوا فيه إذا ما وصلوا إليه .

ولكن لوحظ بعدئذ أن هذه المعانى والمدلولات ابتدأت تفارق وضعها الأول شيئا فشيئا ، وأخذت تبعا لذلك تصور نظرة أخرى فى الحياة كما تحدد منهجا فى السلوك مختلفا عن ذلك المنهج الذى كانت تدعو إليه يوم أن كانت عند وضعها الأول وفى تحديدها على عهد الرسالة وما بعدها إلى أن طرأ عليها هذا التغيير والتبديل .

وربما كان ابتعادها عن وضعها الأول قد تأثر بهدف آخر يختلف عن هدف الرسالة التى جاءت متضمنة إياها ومحددة لها للتطبيق العملى فى الحياة . وبعبارة أخرى ربما كان التخلى عن الهدف الحقيقى للرسالة وهو الارتفاع إلى مستوى الإنسانية لذات الإنسانية والاحتفاظ بهذا المستوى عند الوصول إليه ، هو السبب فى تحويل تلك المعانى والمدلولات وتغييرها عن وضعها الأول الذى كان لها .

ولكى لا نبقى طويلا فى الجو النظرى البحت لتوضيح هذه المعانى والمدلولات وتغيرها عن وضعها الأول يجب أن نشير إلى بعض منها كما يجب أن نذكر التغير الذى طرأ عليها تبعا لتغير الهدف والغاية فى الحياة. ويستحسن أن نصل إلى ذلك عن طريق توضيح الصلة بين هدف الرسالة الإسلامية عندما نزلت وحيا وقرآنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المعانى والمدلولات التى تضمنتها هذه الرسالة فى ذلك الوقت ، كى يمكن أن نسير فى يسر إلى الارتباط الذى أشرنا إليه وهو : أن تغيير الهدف ترتب عليه بالتالى تغيير الوضع الأول للمعانى والمدلولات . فالرساله الإسلامية ـ كما ذكرنا مجملا ـ تخطط فى حقيقة أمرها المستوى الإنسانى الرفيع الذى يجب أن يصل إليه الفرد الذى يؤمن بالإسلام ، ثم بعد ذلك يجب عليه أن يحتفظ به طول حياته ما دام مؤمنا بالاسلام وبقيمه. ويكون هذا التخطيط معانى ومدلولات هى فى ذاتها وصايا فى صورة مؤكدة يترجمها الانسان المسلم إلى فعل أو إلى ترك . وما يجب أن يفعله هو بعينه ما يجب أن يترك ضده . وعلى ذلك فالمتروكات والنواهى هى اضداد الأوامر التى يجب أن تؤدى بالعمل أو القول .

وفى اختصار : هذه المعانى والمدلولات هى التى يسميها الاخلاقيون : « فضائل » يجب على الانسان أن يتدرب عليها حتى تصير من عاداته ، وتكون له بذلك طبيعة ثانية . ويمكن أن يقال أيضا إن تكوينها عند الانسان هى صورة التهذيب التى يجب أن يكون عليها الانسان المهذب ، وصورة الخلق الكريم الذى يجب أن يتخلق به الانسان صاحب الخلق ، وصورة التربية التى يجب أن يكون عليها الانسان الذى قد تعدته التربية ليصبح ذا تكوين إنسانى .

١ ـ الاحسان :

فاذا جاءت الرسالة الاسلامية بالإحسان وبالحث عليه حتى يكون الإنسان ذا إحسان فالمقصود منه هو كل ما يكسب الانسان حسنا أو كل ما يؤدى بالانسان إلى أن يكون ذا إنسانية فالانسانية فى حقيقة أمرها هى حسن فى كل جانب من جوانبها ، وصاحبها محسن وما يصدر عنها إحسان . والآيات الكريمة التى جاءت فى هذا المعنى تدلنا على ذلك دلالة واضحة . يقول القرآن الكريم فى سورة الكهف « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » . فالاحسان الذى تتحدث عنه هذه الآية وتعد بأن الله لا يضيع أجره هو ذلك الذى يتمثل فى صدر الآية من الإيمان والعمل الصالح . ولا شك أن

الايمان صورة رفيعة للبشرية ، وأن العمل الصالح أيضا — وهو ذلك العمل الذى يترتب عليه آثاره فى تهذيب النفس وفى قوة ربطها بالآخرين — صورة رفيعة للبشرية ولا يصل إلى هذه الصورة إلا ذلك الانسان الذى قد سعى ليكون إنسانا ويصل إلى مستوى الإنسانية . ويبتعد بذلك عن أن ينحط إلى ما دونه وتحمل فى هذا السعى دفع الأنانية وإبعاد مؤثرات الهوى والشهوة ومؤثرات الاغراء الداخلية والخارجية على السواء التى من شأنها أن تحول بينه وبين أن يكون كائنا ذا مستوى بشرى رفيع .

ويوضح هذا المعنى قول الله تعالى : « وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض » . فما أحسن به الله إلى الانسان هو أولا خلقه الذى تحدث عنه فى آية أخرى فى قوله جل شأنه : « وصوركم فأحسن صوركم » ثم ثانيا هدايته التى تكتمل بالإيمان بالله وعبادته على نحو ما يحكم الحديث الشريف عند ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن تعبد الله كأنك تراه » مجيبا على سؤال من سأل عن الاحسان .

فالاحسان فى أول مدلول له وأول معنى جاءت به الرسالة الإسلامية هو الصورة الإنسانية الفاضلة المهذبة التى لا يصدر عنها فى الفعل والقول إلا ما يعبر عنها . كما تشير إلى ذلك الآيات الكريمة فى قوله تعالى : « كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد وبالعبد والانثى بالانثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان . وفى قوله . « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » . وقوله : « فامساك بمعروف وتسريح بإحسان » . « وقوله : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها وقوله : « وقولوا للناس حسنا » . وقوله : « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن » وقوله : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » .

فهذه الآيات تناولت الجوانب المختلفة للصورة الإنسانية الكريمة ، وهى تلك الصورة التى تجعل صاحبها محسنا ، وتجعل ما يصدر عنه إحسانا من فعل وتصرف ، أو قول وحديث ، او دعوة ومجاورة .

والآيات الأخرى التى يطلب فيها القرآن الكريم من الإنسان أن يكون محسنا تعطى فقط ما لمدلول الإحسان من وضع أراده الإسلام إرادة أولية ، وهو ذلك الوضع الإنسانى الرفيع ، فإذا قال : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » وقال أيضاً « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا » ـ لم يزد عن طلب أن يكون ذا إنسانية فى معاملته وسلوكه ، وإذا

قال أيضاً : « ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثق » ، وقال : « أنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » وقال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » . إذا قال ذلك نأبه يبغى فحسب ، ذلك الخاق وهو التقوى والصبر والجهاد فى سبيل المثل العليا والقيم الإنسانية ، هو خاق الإنسان الذى وصل إلى المستوى الرفيع فى الإنسانية ويحدده معنى الاحسان .

وهكذا فى كل ما ذكره القرآن الكريم خاصا بالحسن ، وما اشتق منه من إحسان ومحسنين لم يرد به أكثر مما ذكرنا ، وهو ذلك المستوى البشرى المهذب الذى يترتب عليه استقرار النفس وقوة الصلة بين الانسان والانسان .

فإذا مال الاحسان بعد ذلك إلى معنى آخر هو البذل المادى ، وإلى ما يقربه من معنى الصدقة - فذلك الميل جاء نتيجة لتحول المجتمع وتحول أهدافه من السعى فى سبيل المثل والقيم الانسانية والحرص على الوصول إلى المستوى الانسانى ، ثم البقاء فيه إلى التركيز على لقمة العيش وإلى قصر السعى على تحصيله وحده ، وبمعنى آخر جاء نتيجة لتحويل الهدف من أن يكون هدفا مثاليا رفيعا إلى هدف مادى آخر ، ولم يتحول المجتمع الاسلامى إلى هذا الهدف المادى وحده إلا عند ما ضعف وبعدت الشقة فى حياته بين إدراك القيم الانسانية على حقيقتها والتعبئة عن طريق الايمان للوصول إلى تحقيقها .

والاحسان فى تحوله من معنى المستوى الانسانى الرفيع إلى تحصيل ما يساعد على المعيشة المادية يصور تطور المجتمع الاسلامى نفسه من المجتمع المثالى صاحب القوة فى الايمان وصاحب القوة فى التماسك وفى التعاون والترابط ، وصاحب الدفعة القوية فى تحقيق الأهداف والمثل إلى مجتمع آخر يبتعد كثيراً عنه سواء فى صلات أفراده بعضهم ببعض ، أو فى تحديد أهدافه أو فى تحديد وسيلة تحقيق هذه الأهداف فى الحياة . وإذا كان تحول المجتمع قد أوحى بتغيير المعنى والمدلول للإحسان ، فمن جهة ثانية هذا التغير فى المعنى والمدلول - كما ذكرنا - تعبير عن تحول المجتمع نفسه . وتاريخ المسلمين تبعا لذلك يصور نوعين من المجتمعات البشرية . أحدهما ينشد السمو والرفعة والتفانى فى سبيلهما ، والآخر ينشد الكفاف وينشد البقاء للمحافظة على الذوات من أن يصيبها الفناء بسبب الفقر أو الجوع والإحسان فى فى تطوره من مدلول إلى مدلول يشير لهذا التحول من مجتمع إلى مجتمع .

٢ — الصبر :

وكذلك لو انتقلنا إلى مفهوم الصبر نجده فى ذاته كان له مدلول عند قيام المجتمع الإسلامى الأول ، ثم لما تحول هذا المجتمع إلى مجتمع آخر اخذ الصبر مدلولا ومعنى آخر متلائما مع الوضع الطارىء لهذا المجتمع الآخر . فالصبر فى أول الرسالة الإسلامية كان الصورة العملية للإيمان القوى . على معنى أن قوة الإيمان كانت تتشبث بالإنسان بحيث لا يفارقها ولا تفارقه ، وبالتالى يتحمل فى سبيل الإيمان كل أذى مادى ونفسى . لأنه طالما كان تعبيرا عمليا عن قوة الإيمان فلا سبيل إلى الجزع والهلع ولا سبيل إلى النكوص . وعندما يقول الله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام فى سورة الأحقاف : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » — يريد جل شانه أن يوصى رسوله بالاحتمال فى سبيل الإيمان وفى سبيل الدعوة إليه . ولم يكن هذا الاحتمال بسبب فقر اليد أو بسبب أزمة نفسية تعود إلى خيبة الأمل فى تحقيق رغبة شخصية مادية . وإنما كان أولا وأخيرا احتمالا نفسيا فى سبيل الدعوة وفى مواجهة العقبات التى يقيمها خصومها ، كى يكون هذا الاحتمال أخيراً قنطرة توصل إلى الهدف وهو نجاح الدعوة ، أو بعبارة أخرى ترجمة الإيمان بها إلى نتائج عملية فى إقامة المجتمع الجديد الذى أرادته الرسالة السماوية .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى فى سورة آل عمران : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . فهذه الآية الثانية تشير إشارة لا لبس فيها إلى أن الصبر فى وضعه الأول ومدلوله الأول كان الاحتمال فى سبيل الإيمان وفى سبيل الدعوة إلى رسالة الله احتمالا نفسيا قبل أن يكون احتمالا ماديا وعلى وجه الخصوص احتمالا بسبب فقر اليد والجوع .

وهكذا لو مررنا على الآيات القرآنية الذى ذكرت فى الصبر نجد المدلول الذى أشرنا إليه والذى جعلناه مدلولا أوليا لمفهوم الصبر هو ذلك المدلول الذى تقصده الآيات القرآنية الأخرى فإذا قال الله سبحانه : « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » . وقال : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط » . وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » . وقال : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » إذا قال القرآن كل هذا وغير هذا فى طلب الصبر والتخلق به فإنه لا يقصد سوى الاحتمال النفسى فى سبيل الإيمان وفى سبيل القيم والمثل العليا

(البقية على صفحة ١٢٧٥)

الله أعلم حيث يجعل رسالته

للأستاذ محمد محمد المدنى

١ — اختار الله تعالى أمة العرب من بين سائر الأمم لتلقى آخر رسالة سماوية إلى أهل الأرض بعد أن استحصفت الإنسانية وبلغت مرحلة الرشد العقلى التى تجعلها صالحة لتلقى الرسالة الخاتمة ، واستمداد حكم الله تعالى منها فى كل ما يتصل بالحياة إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وإذا تأملنا قوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » وجدنا هذه الآية الكريمة تشير إلى هذا الاختيار ، فإن كلمة « حيث » صالحة لأن يفهم منها الزمان والمكان والشخص والأمة : فالله تعالى اختار لرسالته تلك الأمة من بين سائر الأمم ، واختار من بين هذه الأمة محمداً صلى الله عليه وسلم ، واختار شبه الجزيرة العربية بيئة مكانية لهذه الرسالة ، واختار الزمان المعين الذى يوافق أوائل القرن السابع الميلادى زماناً لها .

والذى يهمنا الآن هو أن نعرض على وجه من الإجمال ، السر الذى جعل أمة العرب هى أجدر الأمم بتلقى هذه الرسالة واحتمال أمانة تبليغها إلى العالم .

والواقع أن العالم كله — قبيل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم — كان يسبح فى ظلمات بعضها فوق بعض ، ولم يكن العرب بمنأى عن هذه الظلمات ، إذ كانوا مجتمعاً طبقياً كغيرهم . وكان فيهم كثير من العادات المرذولة ، والتقاليد الجاهلية ، ولكنهم مع ذلك كانوا أولى فِطَرٍ صافية ، وأولى ذكاء خارق . كما كانوا على الرغم من نظامهم الطبقى مجتمعاً متراحماً تسوده أخلاق النجدة ، والمروءة ، والجود ، ولهم فى ذلك قصص وأخبار وأشعار حتى ليعجب الإنسان كيف كانوا مع هذه الأخلاق يقدسون الطبقية ، ويؤمنون بالعصبيات القبلية .

فهذا التواضع الذى يصوره قول الشاعر :

وإنى لعبد الضيف ما دام نازلا
وما شيمة لى غيرها تشبه العبدا

يدل على عراقة فى الكرم والجود والإيثار ونسيان النفس .

وهذا الشاعر الذى يقول :

على مكثريهم رزق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

يصف قوما متعاونين متكافلين كأجمل ما يتصور التعاون والتكافل ، أما ذلك الشاعر الذى يقول :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا

فإنه يصف النجدة والمروءة بصورة شبيهة بقول أحدهم نثرا : كان إذا غضب هب لنجدته أو لغضبته أربعون لا يسألونه لماذا غضب ! وتلك قوة في التجاوب ليس بعدها قوة .

وهناك ذلك الشاعر الذي يمثل لونا من الحمية الخالصة من التلكؤ ومن إلقاء المسئولية على الآخرين ، إذ يقول :

إني لمن معشر أفنى أوائلهم
قيل الكماة : ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا :
من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا

هذه الصفات ونحوها هي التي جعلت من المعدن العربي معدنا قابلا للتهيؤ والتشكل في صور كريمة ، وقلما نجد أمة من الأمم لها هذا النوع من التجاوب مع الفطرة الإنسانية التي هي في الواقع تعاون وتكافل وشعور بأخوة الجنس ، واشتراكية الحياة ، وليس معنى هذا أن الأمم الأخرى لا تمتاز بصفات طيبة ، ومعادن كريمة ، فما قصدت إلى هذا ، وليس هو مما يقصد ، ولكني أريد أن أقول إن الصفات التي امتاز بها العرب — ولكل أمة صفات امتازوا بها — كانت صفات ملائمة لما جاء به الإسلام إلى حد بعيد ، وإن هذه الأمة — مع ما كان يحوطها من وثنية وطبقية وعادات جاهلية — كانت أقرب الأمم إلى تقبل الطابع الإسلامي ، وكان هذا هو السر في اختيارها لحمل أمانة هذه الدعوة الإلهية الخاتمة.

والقرآن الكريم يقول « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وعلينا أن نتأمل قوله عز شأنه « أخرجت » فإن الإخراج يتضمن اختيار من يصلحون ، وتهذيبهم وتربيتهم ، وإمدادهم بما يعينهم على أداء ما يعهد به إليهم ، وعلينا أيضا أن نتأمل قوله تعالى « للناس » فهو يشير إلى أن هذه الأمة قد أريد بإخراجها أن تكون مثلا للناس ، ومصدر قيادة وتوجيه ، وإنما كانت كذلك لما ذكرناه من مؤهلات اختيارها ، وأساليب إخراجها ، وعناصر خيريتها المشار إليها بقوله تعالى : « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وذلك رمز استقامتها ، ومبدأ عظمتها ، « وتؤمنون بالله » وهو مبدأ الشعور بالكرامة والعزة .

وبهذا يتبين أن الإسلام اختار لدعوته أمة صالحة بالفطرة ، وأنه أخرج هذه الأمة أي طبعها بطابعه ، وهذبها وأصلحها بما غرسه فيها من المبادىء والعقائد التي تجعل منها أمة قيادة ودعوة إلى الله .

* * *

٢ — جاء الإسلام فأخرج أمة العرب

للناس كما بينا ، أى طبعها بطابعه ، فما هى ملامح هذا الطابع الإسلامى ؟

إن هذه الملامح تتضح من المبادئ الآتية :

المبدأ الأول : لا وثنية ، بل وحدانية ،

وهذا المبدأ هو أعظم مبدأ أعاد للإنسان كرامته الآدمية ، وكرامته العقلية .

فأما كرامته الآدمية ، فلأنه لم يكن من اللائق به - وهو الذى اختاره الله للخلافة فى هذه الأرض - أن يأتى لشىء فيها من حجر أو شجر أو حيوان ، أو يأتى لشىء مما سخره الله له من الكواكب فيعبده ويخضع له مع أنه هو سيد الكون الذى خلقت كل هذه الأشياء له ، وسخرت لمصالحه .

فالإسلام قضى على الوثنية القضاء الأخير بعد أن حاربتها جميع الرسالات السابقة حروبا كثيرة دون أن تقضى عليها لما كانت عليه العقول من جمود وجهالة ، ولأن الرسالات السابقة لم يكن لها عموم الرسالة الإسلامية ، وإنما كانت محلية فى حدود محصورة زمانا ومكانا .

وأما أن هذا المبدأ قد أعاد للإنسان كرامته العقلية ، فلأنه أظهره على عقيدة « التوحيد » وأبدها أمامه ولم يكن مما يشرف العقل البشرى أن يعلم أن الخالق هو الله ومع ذلك يشرك به ما سواه ، وقد كان العرب يدركون وحدانية الربوبية ، أى أن الله هو الرب الخالق الرازق المنعم المحيي المميت المتصرف فى الكون دون شريك : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » ، ولكنهم كانوا مع إيمانهم بهذه الحقيقة يجعلون مع الله آلهة أخرى يعبدونها ويقربون لها القرابين ، وكان ذلك شأن الأمم الأخرى أيضا ، فاتخذ الإسلام من وحدة الربوبية دليلا على وحدة الألوهية ، وكان منطقه فى ذلك منطقا عقليا ، إذ كان يصف لهم خلق الله وتصريفه وآثار رحمته ونعمته ثم يقول لهم « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق شىء فاعبدوه » .

المبدأ الثانى : لا طبقية ، ولا عصبية .

فالناس جميعا سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى .

والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، رابطة الإيمان بينهم مقدمة على رابطة النسب ، والمنافقون بعضهم من بعض ، لأنهم لا يؤمنون بروابط فلا يقال فيهم بعضهم أولياء بعض كما يقال فى شأن المؤمنين ، لأن المنافق ليس له شىء يؤمن به ويدافع عنه ، وإنما هو يبحث عن مصلحته الخاصة يدور معها حيث دارت ، أما المؤمن فله ما يحبه ويؤمن به ويدافع عنه ويوالى ويعادى فى سبيله .

المبدأ الثالث : التوحيد والمساواة يسيران فى الإسلام جنبا إلى جنب ، ويخدم كل منهما الآخر .

بيان ذلك :

• أن الله تعالى يجمع بينهما حين يقول :
« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » فقوله « اتقوا ربكم » إشارة إلى مبدأ التوحيد ، وقوله « الذى خلقكم من نفس واحدة » إشارة إلى مبدأ المساواة .

• وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بينهما أيضاً حيث يقول : « أيها الناس إن ربكم واحد ، وأن أباكم واحد » ، فهما قضيتان متآخيتان .

• والتوحيد يخدم المساواة ، لأن من يعتقد أن لا إله إلا الله ، يعلم أنه هو وجميع الناس مربوبون له ، متساوون أمام هذه الربوبية ، فليس لأحد حق فى أن يخضع له الآخرون ، لأن الجميع عباد الله .

• والمساواة تخدم التوحيد ، لأن من يشعر بالمساواة بينه وبين جميع الناس ، يعلم أنهم جميعا محتاجون كما هو محتاج ، إلى هذه الرحمة الإلهية التى يحسون كل حين آثارها ،

ويعلم أن هذا الاستواء بين البشر فى الاحتياج والفقر دليل على أن هناك إلها فوق مستواهم وأنه واحد لا شريك له بما خلق ، وإلا لكان الشريك مثله ومساويا له ، بل مناوئا له : « إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » .

المبدأ الرابع : القسط هو مظهر الإيمان بالربوبية والمساواة جميعا ، وإقامته ضرورة من ضرورات هذا الإيمان .

« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » .

« يأيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين لله شهداء بالقسط » .

وقد توافقت الآيتان فى أنهما تطلبان من المؤمنين أن يكونوا « قوامين بالقسط » أو « قوامين لله » ، أى أن يكون العدل والتوازن هو غايتهم ليرضوا الله .

ولكن اختلاف التعبير فى الآيتين يوحى بأن « القوامية بالقسط » هى عين « القوامية لله » وبأن « الشهادة لله » هى عين « الشهادة بالقسط » ولا شك أن هذا تنويه عظيم بشأن القسط والشهادة لله ، وبما بين الإيمان بالإله ، وبين المساواة التى مظهرها الأول هو العدل ، من ارتباط واتساق .

وكما نوه القرآن الكريم بالقسط ، نوه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل قوله « إن المقسطين عند الله على منابر من نور . الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا » .

وقوله « أهل الجنة ثلاثة . ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف ضعيف ذو عيال » .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

من شئون المجتمع :

هدى القرآن فى الأمانات والأموال والأولاد

للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكى

(ا) يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

(ب) واعلموا أنما أموالكم ، وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم .

(ا) بعد أن تكونت بجانب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فئة من المسلمين تدين بالعقيدة الحقة ، وتجاهد فى سبيلها صار القرآن يخاطبهم كثيرا « بيا أيها الذين آمنوا » وإنما خصهم بهذه النداءات لأنهم تخلصوا من الكفريات ، وتهيأوا للعناية بتربيتهم ، وتطهيرهم من دنس الجهالة ، فكانوا أهلا لتلك العناية ، ولتنشئة مجتمع طيب منهم ، عريق فى دعائمه ومشخصاته ، وملامحه .

حتى كان من تلك العناية أن يتكرر نداؤهم بوصفهم هذا : الإيمان - فى آيات متعاقبة ، أو متقاربة ، كما نرى فى سياق آياتنا هذه من سورة الأنفال بالنسبة لما قبلها وما بعدها ، وفى مقامنا هذا يعمد القرآن إلى توجيه المؤمنين نحو أمور ثلاثة : من أهم قواعد النظام فى حياة المجتمع .

الأول - الأمانات، وما تقتضيه من صيانة.

والثانى والثالث : الأموال ، والأولاد ، واعتبارهما فى دنيانا نعمة ، أو فتنة مضلة . وقد سبق فى سورة النساء أن أمر الله تعالى بتأدية الأمانات إلى أهلها تأكيدا لما فى سورة البقرة من قبل .

١ - والجانب الأول من موضوعنا الآن - نهى الله عن الخيانة لله ، وللرسول ، والأمانات بيننا .

فإذا وعينا تكليف الله لنا بتأدية الأمانة، ثم وعينا نهيه عن الخيانة : وجدنا أنفسنا

أمام وجهة من الكمال ينشدها الدين فيمن يريدون الخير لأنفسهم .

وخيانة الله تكون بالتخلف عن مطاوعة دينه فيما أمر ، أو فيما نهى .

وسواء أكان ذلك التخلف فى عبادة ، أو معاملة أو فى نشاط فردى أو جماعى فى تحصيل الأرزاق ، وإنجاز الأعمال فى مواقيتها ، وعلى وجه الإتقان كما أحب الله من عبده إذا عمل عملا ما .

فهذه جوانب النشاط فى حياة سليمة من الآفات ،والمرء فيها بحاجة إلى الاهتداء بتشريع الله حتى يكون متجاوبا فى مسلكه مع دين الله ، وتكون معيشته لونا صادقا تتمثل فيه بوضوح مظهرية الدين الذى يعيش فى ظلاله .

والانحراف عن هذا المسلك القيم المستطاع يعتبر خيانة لله فيما عهد به إلى المؤمنين فضلا عن كونه انحرافا لا يكفل نجاحا مطرداً ، وإن صادف نجاحا مؤقتا .

فإن سنة الله فى تدبير ملكه ، والتى قامت عليها فطرة الحياة تأبى أن يكون للباطل دوام . .

٢ ـ وحينما نقرر أن الأمانة مجموع الامتثالين فعلا ونهيا لا يكون أحد الجانبين كافيا فى تحقق الأمانة أو اتصاف الإنسان بالأمين .

فربما كان المصلى مرابيا ، وربما كان المزكى ظالما ، وربما كان المجاهد مختلسا ، وفاعل هذا لا يسمى أمينا ، ولكنه خائن ، لانتقاصه أمانة الله ، وخدشه إياها من أحد الجانبين ــ فعل المنهى عنه ــ .

وخيانة الرسول بالإعراض عن دعوته ، وإهمال سنته فيما بين من أحكام القرآن وآدابه ... وقصارى الحديث فى هذا أن خيانة الرسول فى جملتها وتفصيلها هى خيانة لله ، فإن الرسالة النبوية أمانة الله التى حملها إلينا محمد رسوله ، فكانت طاعة الرسول أو مخالفته هى فى موضوعها طاعة لله أو مخالفة له .

ومن أجل هذا كان الاقتران بينهما فى أسلوب القرآن : « ومن يطع الله ورسوله ـ وأطيعوا الله والرسول ـ ومن يعص الله ورسوله . . . » .

والقرآن يتعرض لهذا فى كثير من آياته المفصلة ثم يتعرض له إجمالا فى مثل قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وما دامت الأمانة فى جانب الله ورسوله واحدة ، والخيانة كذلك واحدة : لوحدة الموضوع فيهما فالتنصل من الحفاظ عليها يعتبر نقصا فى الدين . وهنا يتضح قول النبى صلى الله عليه وسلم ـ لا إيمان لمن لا أمانة له ـ وهل يكون مؤمنا فى اعتبار العقل فضلا عن الشرع من يخون الإيمان فيما يقتضيه ؟ ؟ وإن ذلك الحديث ليتسع لأنواع الأمانات ، وفيها الأمانات بيننا .

ونحن نعلم ما بين الناس من عهود واتفاقات وودائع وأسرار ، واشتراك فى أعمال ، وأموال . ونحو هذا يطول تفصيله كعلاقات الحاكم بالمحكوم ، والقاضى بالمتحاكمين ، والشاهد بالمشهود الخ ...

وكل هذه أمانات تقتضى صيانتها من العبث بها ، أو الخروج فيها عما فرض لها من محافظة عليها . . وفى المساس بها خطر على مصلحة الفرد أو المجموع .

فمن وراء الخيانة فيها زعزعة الثقة بين الناس ، وتعويق عن النجاح فى أمور تحتاج إلى السرية كما يشير النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فى قوله - واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان -

وعندما نفطن إلى الخيانة وأثرها فى الإضرار بالحياة العامة ندرك حكمة الله فى تحريم الخيانة على أى وجه من الوجوه ، ومهما تكن فى شىء ضئيل - فمعظم النار من مستصغر الشرر .

ومما يزيد مأثمها أن يرتكبها الناس عالمين بكراهية الله لها ، وبأسباب الحظر فيها . . وهذا هو قول الله : « لا تخونوا الله ، والرسول ، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

أى تعلمون شأن الأمانات ورعايتها ، وأضرار الخيانة ، وبشاعتها ، وكراهية الله لمخالفة حكمه ، فإن ارتكاب المحظور على علم يزيد فى جرم صاحبه وعقابه .

وليس من قبيل الأمانة المرعية فى نظر الإسلام مجالس السوء ، ومؤمرات الأشرار وأحاديث المجون ، وما لا يتفق مع توجيهات الدين إلى الخير .

فإنكار ذلك كله ، والكشف عنه لمقاومته ودفع أضراره قبل حصوله حق على المسلم .

وهو ما يشهد له قول الرسول - صلى الله عليه وسلم : « المجالس بالأمانة : إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق » فهذه أسرار لا حرمة لها ، ويجب أن تعلن لمقاومتها ، وكف أصحابها ، وسلامة الناس من آثارها .

كما يشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فأن لم يستطع فبلسانه ، فأن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان » .

يريد النبى صلى الله عليه وسلم مقاومة المنكر بكل وسيلة ممكنة .

هذا مجمل القول عن الأمانات فى تشريع الله .

(ب) والجانب الثانى من موضوعنا : جانب الأموال والأولاد : إذ فى الكلام ضميمة قوية ، أفصحت عنها الآية الثانية : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » ،

١ - فلا شك أن المال والولد نعمة محببة إلى النفس تستبد بفرحة الإنسان ، وتتحكم فى توجيهه يمينا ، وشمالا .

والقرآن يشيد بهما كثيرا . . وهو يتجاوب فى هذا مع فطرة الإنسان فى إعزاز المال والولد : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ... وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا ... يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » .

٢ — ثم مع هذا يحذرنا القرآن من تلك النعمة فى قوله هنا « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » .

فهما نعمة ، وزينة ، وهما فتنة وبلاء ... هما نعمة يغتبط لها الإنسان ، ويزهى بها ، وهما غرور وخيلاء ، ومدعاة البطر والتجبر .

وقديما كان المال والأولاد مفاتن للناس ، يتغنون بذكرهما فى مجال التفاخر ، ويتكاثرون بهما حين التطاول على الغير ، والمباهاة بالثراء والعصبيات : « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » ولأنهما نعمة ، وفتنة : نبه القرآن كثيرا على حسن التصرف فيهما ، وأنهما اختبار يتضح به شأن الإنسان فيهما كأمانة عنده : أيرعاها حق رعايتها أم يسىء فيكون اختباره بهما وبالا عليه « أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا » .

وكان الكافرون يظنون أن الله يعطيهم لخصوصيات فيهم .

وكذلك شأن الكثيرين فيمن سلف ، وممن خلف . . وكم حاقت المهالك بأمم كانت أشد من سواها قوة ، وأكثر أموالا ، وأولادا . . فما أغنت عنهم أموالهم ، ولا أولادهم ! !

٣ — ولعل حديثنا هذا - عن الأموال والأولاد - يقرب إلى الأذهان ما أريده : من أن تعرض القرآن لهما بعد التكليف برعاية الأمانات ، وعدم الخيانة فيها كيفما كان نوعها - يعتبر من جديد إشادة بهما ، كما يعتبر تنصيصا على الحيطة فيهما ، والتحذير من الفتنة بهما حين وجودهما ، أو الاسراف فى فى الجزع لأجلهما حين الحرمان منهما .

فالفرح المفرط ، والأسى والتحسر كلاهما فتنة موبقة ، وتصرف محذور ومحظور .

وفى الناس والحمد لله عقلاء يدركون أن الأموال والبنين وديعة الله لدى خلقه ، فهو يودعهما ، أو يودع أحدهما عند من يشاء ، ويستردهما ممن يشاء .

وفى ترديد هذا يقول الشاعر :

وما المال والأهلون إلا ودائع
ولا بد يوما أن ترد الودائع

٤ — ومن هـــذا ندرك فى سهولة أن التوجيه إلى الأمانة ، وعدم الفتنة بالأموال والأولاد متعلق بالمحظوظ فيهما ... كما هو متعلق بالمحروم .

فذلك يغتبط ، ويشكر ، ويكون بماله وأولاده خيرا لنفسه ، ولوطنه ، ودينه ، فلا تكاثر ، ولا صلف ، ولا تجبر ولا إفساد .

والمحروم يرضى ويصبر ، فلا جزع ، ولا

حفيظة على الناس ، ولا يأس ولا زهادة في الاجتهاد ، ولا كراهية للحياة .

وحينذاك يكون اختبار الفريقين بالعطاء في جانب ، والحرمان في جانب : اختبارا موفقا حيث لم يكن من المحظوظ إلا حسن تقدير وشكر ، ولم يكن من المحروم غير تسليم وصبر ، وقد وعد الله الفريقين وعدا حسنا في نهاية الآية بقوله « .. وأن الله عنده أجر عظيم » .

٥ ــ هذا ــ وقد لا تجد المال والولد في اعتبار الناس سواء ، بل يزاحم أحدهما الآخر . . فهذا إنسان يكدح في الكسب ، ويضني نفسه وأولاده في تحصيل المال من طرقه المشروعة أو غير المشروعة ، ثم يضن به على نفسه وأهله ، ويكنزه عن بعض وجوه الخير : حبا ذاتيا للمال ، وتفانيا في تكديسه وحراسته ، وكأن المال خلق غاية لا وسيلة ، وهذا الضنين يجني بشحه على ذويه ، وعلى الوطن جناية مزدوجة ، فالحرمان مبعث الفساد في الأولاد ، وحبس للمال عن إطلاقه في مجال الاستثمار وتعميم النفع « ... الذي جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده ـ . وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما » .

ومثل هذا مثل السارق من الوطن : يأخذ ويخفي ، ويمد يده للسلب ، ولا يمدها للعطاء ، فهو عدو لمجتمعه .

وذاك إنسان آخر يبسط يده في الإنفاق مما لديه . ويبالغ في تدليل نفسه وأولاده ، ولا يتردد أن يختلس ، أو يغتصب ، أو يرتشي ، ليشبع نهمه ، ويرضي شهوات البنين ، ولا تزجره الأزمات ، ولا يقف في سبيله العجز المادي إذا فرغت يده مما تملك ، فلديه وسائله الشيطانية الكثيرة .

ومن شأن هذا الإتلاف أن يجر إلى الضرر بالكثيرين ممن يتعرضون له في مجتمعه ، فضلا عن كونه أنبت أولاده في مباءة فساد ، وسلطهم بتربيته الضارة على الأمن العام وحقوق الغير ، فالمبالغة على أي وجه من وجوهها في حب المال ، أو الأولاد على حساب المال مفسدة ، ومخلة بالتوازن ، وعبث بالأمانة في المال والولد ، وضررها كالوباء المتفشي بين القوم .

والله تعالى يلزمنا بالأمانة كفرض ديني : لا لمجرد التعبد بها ، فليست عملا نحصله ، ونجهد أنفسنا به قربة إلى الله !! . بل يلزمنا بها كمبدأ خلقي نعتصم به ، ونتحمل بالتزامه في حقوق الله ، وحقوق الناس .

وما دامت نوازع الشر دائما مشبوبة ، ووقائع الخيانات متلاحقة ، ومتنوعة فكأن الناس على جهالتهم الأولى ، وكأن الآيات في الأمانات واجتناب الخيانات تنزيل جديد ، والله الحفيظ .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

دراسة عن على مبارك :

علم الدين : الشيخ والكتاب

للأستاذ محمود الشرقاوى

— ١ —

علم الدين : اسم كتاب ألفه على مبارك ، وأجرى حديثه على لسان متحدث سماه بالإسم نفسه : الشيخ علم الدين ، وهو ليس كتاب أدب ولا تاريخ ولا علم ولا سياحة ولا لغة ولا قصص . وإنما هو كتاب جمع هذا كله وزاد عليه . جعله على مبارك فى مائة وخمسة وعشرين فصلا ، سمى كل فصل منها « مسامرة » . فجاء فى أربعة أجزاء كبار . والمسامرات أحاديث أجراها بين جماعة من الأصدقاء ، هم شيخ أزهرى وابنه ، وسائح إنجليزى محب للغة العرب عالم بها . وآخرون عرفهم هؤلاء فى رحلتهم التى رحل فيها الشيخ وولده إلى أوربا فى صحبـــة صديقهم الإنجليزى وعلى نفقته ، وبأجر منه .

أما أسلوبه فسهل يسير صحيح العبارة . لا يلتزم السجع وإن كان يجنح إليه إذا جاء طبيعيا غير مفتعل ولا متصنع . أسلوب يرضى عنه القارئ المعاصر الذى اعتاد أن يقرأ السهل الميسّر المفيد من الكلام . ويرضى عنه الذى يريد أن يتذوق شيئاً من السجع والمحسنات ، من غير سرف فيها . وإذا راعينا أسلوب الكتاب ومستوى الكتابة فى ذلك العصر ، نستطيع أن نقول إنه كان ، فى كتابه هذا ، سابقا لعصره . يتميز عن معاصريه من الكتاب ويفوقهم إلى حد كبير .

وهو فى سياق هذه المسامرات التى أجراها عن سيرة علم الدين أو فى سياق الأحاديث التى يحدثنا بها على لسانه ، يستشهد بشئ من القرآن الكريم والحديث . ويذكر شيئاً غير قليل من الشعر ، وشيئاً آخر من الأمثال والحكم والنوادر المأثورة والقصص التهذيبى أيضاً .

ونستطيع أن نقول إن « علم الدين » هو أول كتاب ألفه كاتب على هذا النحو القصصى فى الأدب العربى الحديث . فقد سبق ظهوره ظهور « حديث عيسى بن هشام » الذى ألفه محمد المويلحى ، بعشرات السنين . كما سبق « ليالى سطيح » الذى ألفه بعد ذلك حافظ إبراهيم . وقد سلك فى تأليفه مسلكا باعد بينه وبين الملل والسآمة . فنحن نقرأ علم الدين فى أجزاء أربعة كبار . فنجده شيقا مشوّقا يثير فى نفس القارئ الرغبة فى أن يقرأ ويسترسل

ويمعن . حتى النصائح والعظات يسوقها مساقاً رقيقا رفيقا لا يبدو فيها متعالما ولا ناصحا أو زاجرا . وجعل الحديث أو «المسامرات» كما سماها ، بين أكثر من واحد .

وهو لم يسلك هذا المسلك فى تأليفه اعتباطا ومصادفة . بل سلكه عن إدراك وتمييز . وذكر فى مقدمته أنه اختار هذا المسلك لأنه رأى « النفوس كثيراً ما تميل إلى السير والقصص وملح الكلام ، بخلاف الفنون البحتة ، والعلوم المحضة » .

ليس كتاب « علم الدين » رحلة ولا قصة ولا حوارا يتضمن كثيراً من مبادئ العلوم والفوائد وطرائف المعرفة . بل هو كل ذلك جميعا . ويتضمن فوق ذلك شيئا من طريف القصص . كقصة يعقوب مع أخته التى ترهبت وماتت فى الدير . فهى قصة شيقة حقا . قصها يعقوب على أصدقائه الشيخ وابنه والسائح الإنجليزى عندما تعرف إليهم وصادقهم . وكقصة هذا القاتل الكسيح الذى فصّل قصته فى المسامرة الخامسة بعد المائة . ومنها نعرف أن على مبارك يجعل المجتمع مسئولا عن جريمة المجرم . إذا لم يهيئ له أسباب العيش ، وكانت قوانينه فى مصلحة أهل السيادة . وقد أبرز رأيه هذا إبرازا قويا فى قصة طريفة شيقة مؤثرة .

ويبدو على مبارك فى كتابه هذا معلما من الطراز الأول . مشغولا ومشغوفا بالعلم والتعلم والتعليم . فهذا الإنجليزى فى القطار بين القاهرة والإسكندرية مع رفيقه الشيخ لا ينى يعلمه ويتعلم منه . يتحدثان فى البخار والسرعة والمقاييس واللغة وما يتعلق بالسير والمسير وملابساتها . فإذا نزلا فندقا فى الإسكندرية تحدثا عن الفنادق والنظافة والسياحة ومعرفة البلاد والناس ، والخلطة بين بعضهم وبعض . فإذا نزلا المدينة تحدثا عن البريد وفوائده ، وكيف يحمل رسائل الناس بعضهم إلى بعض ، وما يفيده ذلك فى التجارة والمعرفة والصلات ، فإذا سارت بهم السفينة تحدثا عن البحر ، وكيف عرف الناس ركوبه أول الأمر ، وعن السفن وكيف بدأت أخشابا ساذجة غشيمة منحوتة ، حتى صارت كأنها مدن هائلة تسير بالبخار ، ويتحكم الربان فى مسيرها أكثر مما يتحكم الفارس فى فرسه الملجم . وكيف عرف الناس فى البحار وجهتهم أول الأمر برصد النجوم والشمس والكواكب حتى عرفوا البوصلة ، كما عرفوا قياس السرعة التى تسير بها السفينة . ويتحدثان فى هذا الأثر البعيد الذى أحدثته فى حياة الناس هذه السفن وإقدام الناس على ركوبها وتسخيرها لحملهم وحمل بضائعهم .

كما يتحدثان فى هذا العالم الواسع الذى تضطرب به أعماق هذه البحار والمحيطات ،

وما أودع الله فيها من عوالم وأحياء وأسرار.

وكما يتحدث الشيخ علم الدين إلى صديقه الإنجليزى حديث العلم والمعرفة . يتعرف ابنه الشيخ أيضا إلى إنجليزى آخر بحَّار على الباخرة فيتحدثان حديث العلم والتاريخ والثقافة . ويضمن الإبن هذه الأحاديث رسائل يبعث بها إلى أمه فى القاهرة .

وفى مقدمة علم الدين يبد وعلى مبارك ، منذ اللحظة الأولى متدينا مؤمنا . وهو فى الوقت نفسه عالم يفسر ظواهر الطبيعة تفسيراً علميا ثم يخلص من هذا المزج بين العاطفة الدينية والإدراك العلمى ، إلى إحساس صوفى إنسانى شامل [١] ، ثم ينعطف من هذا الإحساس الصوفى الإنسانى إلى إحساس وطنى قومى . وهو بعد إبراز هذه العاطفة ، وتوكيد هذا الإحساس ، ينتقل به من التعميم إلى التخصيص فيحدد طريق النفع الذى يجب على صاحب العاطفة الوطنية أن يخدم به وطنه ، يحدد هذا الطريق بأنه إشاعة العلم والمعرفة .

ونجد لعلى مبارك ذوقا ولمتاحية فى اختيار الأسماء . وهو ذوق يشى بهذه العاطفة الدينية أيضا . فاسم صاحب الرحلة « علم الدين » . والزوج التى اختارها له اسمها « تقية » وولده منها اسمه « برهان الدين » .

الفهم وأصوله :

والكتاب من الناحية القصصية أو الفنية لا يلتزم قواعد الفن وأصوله . فهو يجعل زوجا جاهلة فقيرة من أهل القرن التاسع عشر فى القاهرة هى تقية تتعلم على يد زوجها حتى تجادله فى أمور دقيقة من شؤون الفكر والفلسفة ، كعقيدة الجبر ، وما يعرفه الأصوليون وأهل الكلام بالصلاح والأصلح ؛ والعرض والجوهر كما تجادله فى القضاء والقدر ، وفى ذلك المعنى الذى تحدث عنه الشاعر فى شعره : —

كم عالم عالم أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأفهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقاً

وهو ينطق هذه الزوج بكثير من الشعر والحكم كما أنطقها بكثير من دقائق العلم .

ونجد فى موضع آخر أنه أنطق الشيخ بما يستبعد جداً أن يعرفه ، من حديث اللغة المصرية القديمة والأعياد المسيحية .

وكأن على مبارك لا يرسم قصة يلتزم فيها حدود الإمكان والبيئة والطبيعة وحدود الواقع ، أو الخيال الذى يلتزم إمكان الوقوع ، بل يود ويتمنى . ويغرب به الخيال إغرابا بعيداً ، فكأنه حين أنطق هذه الزوج الجاهلة

---

(١) ص ٥ — ٦ من المقدمة .

بهذا الحديث ، وأجرى فى فهمها وعلى لسانها هذا الحوار ، كان يتمنى أن يجد المرأة المصرية وقد بلغت هذا المبلغ من الإدراك والمعرفة ، أو يجدها وقد نالت هذه الحرية مع زوجها فى الحديث والمحاورة والمجادلة ، أو نالت عنده هذه الكرامة التى تجعله يستمع إليها متحدثة ومجادلة .

وكذلك شأنه مع الشيخ فيما أنطقه به من حديث الأعياد المسيحية واللغة المصرية القديمة .

وتبدو ظاهرتان فى بعض هذه المحاورات بين الزوجين ، : تقية وعلم الدين ، أولاهما أن تقية تكثر من الكلام على قدر ما يكثر هو من الإصغاء . ولئن كانت هذه الظاهرة أمرا حقاً بالنسبة لطبيعة المرأة وواقع أمرها . فإن الظاهرة الثانية ليست كذلك . وهى أن الحديث الذى يجريه على لسانها أقوى حجة ، وأقوم منطقا ، وألسن بيانا من ذلك الذى يجريه على لسان أستاذها وزوجها علم الدين ... !

ومما يمكن أن يؤخذ أيضا على كتاب «علم الدين» ، من الناحية القصصية أو الفنية ، أنه لم يراع واقع الأمر ولا احتمال إمكانه فى هذه الرسائل الطويلة التى كان يرسلها برهان الدين لأمه فى القاهرة . فعلى مبارك يجعل برهان الدين يحدث أمه الريفية القاهرية فى أمور من الثقافة قد لا يعرفها الآن كثير من الرجال المثقفين فى عصرنا الحاضر . فكيف بامرأة قاهرية ريفية من القرن التاسع عشر ، يحدثها عن علم الأجناس ، وأصول البشر ، وإلى أى جنس ينتسب الأوربيون والعرب والتتار والأمريكيون ، ويحدثها عن نشأة الأديان وافتراق المسيحية إلى مذاهبها من الكاثوليكية واللوثرية والبرتستانتية وما بينها من اختلاف ، وعن افتراق المذاهب الإسلامية إلى أشعرية ومعتزلة وخوارج وجبرية وشيعة ونجارية ومشبهة ، إلى آخر هذه المذاهب وما بينها من فروق ، ويذكر لها أسماء واصل بن عطاء ، ومحمد بن الحسن النجار ، وغيلان الدمشقى ويونس الأسوارى ، ومعبد الجهنى ، إلى غير هذه الأسماء التى لا يعرفها إلا الراسخون فى علم الكلام والمذاهب والفرق ، كما يذكر الشيخ فى رسائله إلى زوجه كثيراً من الإحصاءات الدقيقة التى لا يعنى بها إلا خاصة الباحثين والعلماء .

ويحدثها كذلك فى أنواع الحكومات : الجمهورية ، والملكية ، المطلقة منها والمقيدة . وعن نظام الشورى ، والجيوش ، والحصون ، إلى غير ذلك من الأحاديث .

ومع هذه الإحاطة والدقة والحرص على الاستيعاب نجده عندما تصل السفينة بالشيخ وولده وصديقه الانجليزى إلى الساحل

الأوربى ، يقول إنهما كانا يتحاوران فإذا بضجة « فى صدر السفينة ، تبين أنها إشارة للوصول إلى الميناء » ولكنه لم يبين لنا أى ميناء هى من بين هذه الموانىء المتعددة التى يمكن أن يصل إليها الراحل من مصر إلى أوربا . . ! ثم نعرف بعد صفحات طوال أنهم نزلوا ميناء مرسيليا .

ومن هذه المآخذ أيضا حديثه عن تلك الفتاة الفرنسية التى جعل الشيخ الشاب برهان الدين يجلس إلى جوارها على مائدة الطعام ، فهو يصفها بقلمه بما نعرف من أوصاف الفتاة الأوربية ، من الرقة واللطف والتهذيب والأناقة والجمال والانطلاق الذى يجعلها تشارك الرجال فى الحديث وتبدى إعجابها بالشيخ الشاب وفتوته ومظهره ولباسه الشرقى ، وهو فى حديثه هذا صادق فى وصف المرأة الأوربية ، كما نعرفها وكما شهدها .

ولكنه عندما يستشهد على فتنة هذه الفتاة وجمالها يذكر هذين البيتين من الشعر العربى القديم :

وتميس بين مزعفر ومعصفر ومعنبر ومِمَسَّك ومصندل

هيفاء إن قال الشباب لها انهضى قالت روادفها : اقعدى ، وتمهل

وهو فى هذين البيتين قد أبعد البعد كله عن وصف المرأة الأوربية ، فهى إذا تعطرت لا تتعطر بالصندل والمسك والعنبر ، وإذا لبست لا تلبس المعصفر والمزعفر ، وإذا نهضت لا تقعدها ولا تثقل عليها الروادف والأعجاز . بل ذلك كله من صفة المرأة الشرقية القديمة وخصائصها كما نعلم .

على أننا نجده هو نفسه يصف هذه الفتاة نفسها بعد قليل من الصفحات ، بأنها هيفاء . وهذا الشعر الذى وصفها به منذ قليل ، والذى يقول إنها لا تكاد تستطيع أن تنهض لثقل أردافها ، إنما يصدق على المرأة الألياء [1] . لا على المرأة الهيفاء .

وقد نجد هذه الظاهرة فى غير هذا الموضع ، مما اقتبس فيه على مبارك شيئاً من الشعر العربى القديم .

ومن الناحية اللغوية قد نجد بعض أخطاء بينة الخطأ فيما يكتب [2] ومع سلامة أسلوبه وصحته وانطلاقه . لم يخل من أخطاء بعضها واضح من الصعب أن يصدق الإنسان أن يجهل على مبارك وجه الصواب فيها . وقد يكون خطأها من مصحح الكتاب . فهو لم يخل من خطأ فى التصحيح والترقيم والفهارس . ونجد شيئا من ذلك فى الخطط أيضاً [3] .

---

(١) الثقيلة الألية . الكبيرة العجيزة .

(٢) انظر ص ٦٢٤-٦٢٥ جزء ٢ من الكتاب .

(٣) انظر مثلا ص ١٣ ج ٣ من الخطط .

ومما يلاحظ على « علم الدين » أن على مبارك جعل الشيخ وأصحابه يزورون الحدائق العامة فى باريس . ويبدون إعجابهم وسرورهم بحديقة الكسمبورج كما يزورون « البورصة » ويتعرفون طرق التعامل فيها . ولكنهم لم يزوروا دار الكتب الأهلية فى باريس .

وقد تعلم على مبارك فى فرنسا . وأجاد اللغة الفرنسية . ولكنه يجعل صديق الشيخ إنجليزيا . وكذلك صديق ولده بهاء الدين . ويجعل الشيخين يتعلمان اللغة الإنجليزية ويتحدثان بها دون الفرنسية . ولا نستطيع أن نقول إن ذلك كان سببه الاحتلال الإنجليزى لمصر . فقد ألف على مبارك كتابه هذا قبل هذا الاحتلال . وطبع فى السنة التى دخل فيها الإنجليز مصر .

والذى نعتقده سبباً هو إعجاب على مبارك بالأمة الإنجليزية وثقافتها وحضارتها . وهو إعجاب نجد له ذكراً ودلائل فى غير موضع من كتابنا هذا . وسبب آخر هو ما نعرف من اهتمام الإنجليز بالشرق وتقدمهم فى علوم الاستشراق .

ونجد فى « علم الدين » شيئاً من التكرار . فهو ، مثلا ، يتحدث عن المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند دخول العرب القاهرة . يذكر ذلك عند حديثه عن « المقس » [1] ثم يذكره مرة أخرى عند حديثه عن « جامع المقس » [2] . بل نجد الجمل فى الحديثين ، تعاد كما هى ، بحروفها وألفاظها .

ويذكر على مبارك فى « علم الدين » ألوانا عجيبة من « المعرفة » يذكر أن اللغة السريانية كانت لغة آدم . وأن الطوفان وقع قبل ظهور المسيح بثلاثة آلاف وثلثمائة واثنين وأربعين سنة . بل يعرّف ويحدد موعد هبوط آدم من الجنة ، فيقول إنه كان قبل الطوفان بألفين ومائتين واثنين وأربعين سنة . ويذكر أن الهرم الأكبر بنىَ بعد الطوفان بألف وثمانمائة وخمسين سنة . ويحدد جلوس الملك منيس على عرش مصر بأنه كان بعد موت نوح بخمس سنين . إلى آخر هذا الكلام العجيب الذى نقله عن الكتب القديمة وغيرها .

ونجد فى المقال القادم ، عند حديثنا عن التعريف بعلم الدين ، شيئا من حديث آخر عن التزامه أصول الفن وقواعد الصدق فيه .

(البقية فى العدد القادم)

محمود الشرقاوى

---

(١) ص ١٠٥ ج ٣
(٢) ص ٦١ ج ٤

من معانى القرآن

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم »

معنى حسبتم ظننتم

والعبث ـ هو اللهو واللعب

والعرش هو السرير ويكنى به عن الملك (بضم الميم)

لم نخلق للعبث

ومعنى الآية ـ والله أعلم ـ هل غفلتم عن الحكمة فى خلقكم فظننتم أن ذلك كان لعبا أو انكم وجدتم فى هذه الحياة لتلهو أو تلعبوا وأنكم لا ترجعون إلينا بعد الموت لنحاسبكم على أموالكم فيم أنفقتموها ، وعلى قواكم فيم استخدمتموها ، وعلى كل ما قدمتم من خير وشر .

« تعالى الله عن أن يلهو ويلعب بخلقكم وسبحانه أن يتصف بهذا النقص المعيب وتعالى الله عن أن تكون الحكمة فى خلقكم هى أن تلهو وتلعبوا فى هذه الحياة ، فإن ذلك غرض تافه حقـــير ، إذا لاق بكم فى تقديركم فانه لا يليق به سبحانه ، إنما خلقكم لعبادته بالنظر فى ملكوته واكتشاف أسراره فى خلقه ، والعمل الجاد المثمر فى عمارة الأرض ، والقيام بما فرضه عليكم من واجبات نحو الله ونحو أنفسكم ونحو إخوانكم فى الدين والإنسانية .

وتعالى الله عن أن يدع الظالم يذهب سالما غانما بما اغتصب واكتسب من حقوق الناس أو يدع المظلوم يذهب محروما مهموما بما وقع عليه من ظلم أو إثم ، إن عدل الله يأبى ذلك ، وسيرجع الناس إليه ليحاسبهم على ما قدموا ، فيكافئ المحسن ويعاقب المسيء وينتصف للمظلوم من الظالم .

وليس له من معقب على حكمه ، فإنه الملك وما سواه مملوك ، الحق الثابت الدائم ، وما عداه حائل زائل ، لا إله غيره ولا رب سواه ، ولا شريك فيه فى الملك ، فإنه وحده رب العرش الكريم .

والعرش يكنى به عن الملك والسلطان ، أو هو من أمور الغيب التى لا تقع عليها الحواس ولا تخضع للملاحظة والتجربة ، إنما نؤمن بها لأن الله ذكرها ، ونضع أمام أعيننا قوله سبحانه « ليس كمثله شىء » لننزهه عن أن يكون حجما أو جسما أو جرما أو محدودا بمكان أو زمان ، سبحانه « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

عبد الرحيم فوده

في أصول الفقه :

وحدة الحق وتعدده في المسائل الفقهية الاجتهادية

للأستاذ محمد سعاد جلال

مقدمات :

١ ــ نؤثر أن نقدم لهذا البحث بشرح مستقل لبعض الكلمات التي يكثر دورانها في عرض مسائله مثل الحق والحكم الشرعي ، والدليل ، واليقين ، والظن ، وخطاب الشارع ، فإن اختصاص هذه الجملة من الكلمات المتكررة . بشرح منفرد بين يدي هذا الموضوع يعين إن شاء الله على تمييز أجزائه وتذليل صعوباته وتحصيل الغرض من فهمه

الحق :

٢ ـ بالرجوع إلى مصادر اللغة الموثوق بها (١) ـ تجد أن معنى كلمة « حق » الشيء الثابت أو الموجود الثابت ، وفعله حق الشيء إذا ثبت يحق من باب « قتل وضرب » حقا إذا ثبت ، ووجب .

ولما نقل هذا اللفظ إلى استعمالات أهل الصناعات من المفسرين والفقهاء والمتكلمين جروا في استعماله على عادتهم في تشكيله بما يوافق غرضهم ، ويخدم صناعتهم .

قال الفخر الرازي : الحق : الثابت الذي لا يسوغ أنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب ، « وحقت كلمة ربك » ، وثوب محقق أي محكم النسج (١) ولم يجاوز الرازي هنا أوضاع اللغويين ، لكن إطلاقه لفظ التحقيق على أحكام النسج في قولهم « ثوب محقق » فيه نظر فإن الاستشهاد في هذه المواضع التي تفسر فيها مفردات اللغة إنما يكون ببيان معانيها الحقيقية ، لا المجازية ، وقد نص صاحب الأساس على أن هذا الاستعمال « ثوب محقق » من قبيل المجاز . فهل نقول إنه مجاز اندرس الالتفات إليه فصار حقيقة على مثل ما قالوا في بعض تعليل وجود المشترك في اللغة أو يكون المراد من ذكر هذا المقال مجرد الإيضاح لمعنى الثبوت والوجوب المدلول عليهما بلفظ الحق ، كل من الغرضين جائز .

لكن الشيخ أبا السعود صاحب التفسير

---

(١) اللسان ، القاموس ، المختار ، المصباح ، الأساس ، تعريفات الجرجاني . كليات أبي البقاء ،

(١) ص ٢٤٦ ج ٢ .

لم يقنع بمطلق الثبوت في تفسير لفظ الحق . كما فعل اللغويون وكما فسل الفخر الرازى ، وإن كان وضح الأصل بكلمة « لا يسوغ إنكاره » فقال - أى الشيخ أبو السعود - الحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل إلى انكاره لا الثابت مطلقا فهنا قد زاد أبو السعود قيدا ، أو تفسيرا - لا يوجد عند أهل اللغة ، وقال الجرجانى : فى تعريفاته « الحق فى اللغة الثابت الذى لا يسوغ إنكاره ، وفى اصطلاح أهل المعانى هو الحكم المطابق للواقع ، يطلق على الأقوال والعقائد ، والأديان والمذاهب ، باعتبار اشتمالها على ذلك .

وأما الصدق فقد شاع استعماله فى الأقوال خاصة ويقابله الكذب ، وقد يفرق بينهما - أى بين الحق والصدق - بأن المطابقة تعتبر فى الحق من جانب الواقع ، وفى الصدق من جانب الحكم ، فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع ، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه .

كما قال آخر [1] « الحق مطابقة الواقع للاعتقاد ، والصدق مطابقة الاعتقاد للواقع وعبارات القوم تدور كلها فى هذا المقام على هذا المعنى .

(ب) وذكر الراغب « أن الحق اسم يقع على أربعة معان ، أحدها أنه يقال لموجد الشىء بسبب ما تقتضيه الحكمة ، ولهذا سمى الله بالحق ، قال تعالى : « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » ، وثانيها أنه يقال للشىء الموجود بحسب ما تقتضيه الحكمة . وثالثها أنه يقال فى الاعتقاد للشىء المطابق لما عليه الشىء فى نفسه ، كقولنا اعتقاد المسلم فى البعث والثواب والعقاب حق .

ورابعها « أنه يقال للفعل والقول ، بحسب ما يجب وبقدر ما يجب ، وفى الوقت الذى يجب ، وذلك كقول القائل فعلك حق وقولك حق . قال تعالى « كذلك حقت كلمة ربك » . لكنه قد انفرد عن جمهرة [1] اللغويين الذين استقرأنا هذا اللفظ فى معاجمهم بإثبات معنى آخر ، هو « المطابقة » قال « أصل الحق المطابقة والموافقة كمطابقة رجل الدار فى حقه لدورانه على استقامة » .

فهذا المعنى الجديد الذى يعبر عنه بأنه « أصل الحق » هو ما لم يجده فى مصادر اللغة الكبيرة المشهورة كاللسان والأساس وغيرهما مما يشبه حد الاستقصاء ، مما يجعلنا نستبعد أن يكون المعنى الذى ذكره هو المعنى المباشر للكلمة ، أو المعنى المطابق إن شئت ولو كان

---

(١) البرجندى فى شرح مختصر الوقاية .

(١) اللسان ، والمصباح .

هذا المعنى المباشر أو المطابق للكلمة لم يفت جملة كتب اللغه التى اطلعنا عليها أن تثبته .

٣ — هذه الأقسام الأربعة المذكورة إن كان قد ذكرها الراغب على جهة الحصر فعمل غير صحيح ، لأنه لم يذكر من بينها أشهر المعانى للحق ، وهو الموجود الثابت الذى لا يسوغ إنكاره ، سواء جعل اسما من أسماء الله ام لم ينظر إليه كذلك وهو ما اشتهر ذكره عند المفسرين .

وإن كنا نرجح أنه ذكر الوجوه الأربعة المذكورة يريد بها الحصر لأنه أشار فى مقدمة كتابه ، بما يفيد ظاهره أنه يستوفى معانى مفردات القرآن ، ولأن الاكتفاء بذكر عدد من الاقسام فى مقام البيان يفيد الحصر .

وبقى أن نسأل لماذا لم يعرج على ذكر المعنى المشهور مع أنه من المستحيل أن يكون قد جهله (١) .

صحيح أنه يمكن تفسير جميع كلمات الحق الواردة فى القرآن وهى قريب من تسعين ومئتى كلمة على أساس النظر لهذه الوجوه الاربعة .

لكن المعانى المحتملة الواقعة تحت اللفظ الواحد أوسع نطاقا من أن تضبطها هذه الوجوه الأربعة . ولا يجوز إبطال وجه زائد على الأربعة تشتشرف له بعض المعانى المحتملة ، وربما كان فى موضعه أكثر صوابا وأصح فى مذاقات اللغة .

اليقين والظن (١) :

إذا أذعنت النفس للتصديق بقضية من من القضايا وسكنت إليها . فلها مع هذا التصديق ثلاثة أحوال .

الحال الأول : أن تستيقين التصديق بهذه القضية وتقطع به ثم تعود فتقطع ثانية بأن قطعها الأول بتلك القضية ، كان قطعا صحيحا ، لم يدخله غلط ، ولا سهو ولا تلبيس ، وتبلغ فى ذلك اليقين مبلغا لا يقبل التشكيك أصلا بحيث لو ادعى نبى من الانبياء نقيض ما آمنت به هذه النفس واستيقنته ، وأظهر على صدق دعواه معجزة معاينة ، لامتنعت أن تترجح عن تصديقها ، بل شكت فى معجزة هذا النبى ، بدل أن تشك فى يقينها فعدتها شعوذة أو سحرا ، فذلك هو اليقين .

ولو خطر لهذه النفس ، وهى بإزاء المعجزة التى يظهرها من يدعى إثبات نقيض اعتقادها أن الله ربما يكون قد أطلع هذا النبى على سر

---

(١) كان هذا الرجل باطنيا متفلسفا على طريقة الحكماء فهل من المحتمل وجود صلة بين التعالم الباطنية والإعراض عن تسمية الله بالموجود الثابت الخ .

(١) تلخيص وتيسير عن الغزالى فى المستصفى .

به انكشف له نقيض اعتقادها ، لو خطر لها مثل هذا الخاطر فى مثل هذا الموقف لم يكن الذى اعتقد يقينا . ومثال ذلك التصديق بأن الشىء لا يكون قديما حادثا ولا موجودا معدوما ولا ساكنا متحركا فى آن واحد ، وما كان أمرا من جنس هذا القبيل الذى لا يعقل أن يقبل التشكيك أبدا ولا يحتمل النقيض أصلا .

الحالة الثانية : أن تستيقن النفس بقضية من القضايا وتجزم بها وتستعصى على قبول التشكيك فيها فى أول الأمر ، ولكنها إذا هوجمت بالتشكيك فى اعتقادها بأسباب قوية ، استرخى مقادها وتوقفت تتأمل وتنظر ، لم يعتبر مثل هذا التصديق يقينا فى الواقع وإذا كان الذى سكنت إليه النفس من المعتقد يسمى اعتقاداً جازما ومنه اعتقاد كثير من أهل المذاهب فى مذاهبهم الموروثة .

الحالة الثالثة : أن يكون للنفس سكون إلى الشىء والتصديق به — وهى تشعر بنقيضه أولا تشعر لكنها إذا شعرت بنقيضه ، لم ينفر طبعها عن قبوله فهذا — ما يسمى ظنا .

إذن : فاليقين ما تجزم به النفس ، ولا تقبل التشكيك باحتمال نقيضه أصلا ودائما ، وفى كل الأحوال ، ويمتنع أن يخطر ببالها هذا الاحتمال .

والظن ما تسكن النفس لتصديقه على احتمال حصول نقيضه ، سواء شعرت بذلك أم كانت مستعدة للشعور به ، أما تصديق النفس بما اعتقدت تصديقا جازما لا تمارى فيه ولا تشعر معه بالنقيض أصلا ، إلا إذا حلت عقدتها أسباب التشكيك القوية ، فأورثها ذلك توقفا وتأملا . وهى الحال الثانية التى أسلفنا ذكرها . فلم يستطع الغزالى - الذى ننقل عنه هذه الفكرة - كلها - أن يعتد بها يقينا ، وإن سماها اعتقادا جزما ، يقول الغزالى بالنص فى تصوير التفرقة بين المرتبة الأولى والمرتبة الثانية فى درجات التصديق - وهى كلمة يجب الوقوف عندها طويلا ، وكافة الخلق إلا آحاد المحققين يسمون الحالة الثانية يقينا ولا يميزون بين الحالة الثانية والأولى ، والحق أن اليقين هو الأول والثانى مظنة الغلط .

محمد سعاد جلال

للكلام بقية

خطأ في فهم التعبئة الروحية

للأستاذ محمد رجب البيومي

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك »
(قرآن كريم)

تنظر إلى الحضارة الإسلامية فى عصورها السالفة ، فتجدها أنقذت الأرواح من مهاوى الذلة ، وجعلت الفتوحات الحربية سبيلا إلى نشر المبادئ الإسلامية ، وإعلاء القيم الإنسانية ، حتى سادت الناس فى مختلف الأصقاع المفتوحة روح من الكرامة المنصفة ، والمساواة النزيهة ، وعرف الأعجمى أنه نظير العربى يتمتع بحقوقه وينال مثل نصيبه ، بل يفضله إن برز عليه بتقوى الله ، واستقامة القصد ، ثم تنظر إلى حضارة أوربا فى القرن العشرين ، فتجد ذئابا تنطلق إلى فرائسها الطاوية فى الأمم المغلوبة لتنقض عليها تمزيقا بالأنياب وولوغا فى الدماء ، ثم تتعارض الأطماع ، وتتنازع الأهواء تكالبا على الفريسة الجريحة ، فتدور الحرب بين الأقوياء ، ليصطلى بنارها المذنب والحمل والمذنب والبرئ ، وتنكشف المعركة عن غالب يستشرى شره ، فيجمع قواه لينقض من جديد على فرائس ضعيفة ، غلبت على أمرها ، وعاث الاستعمار برجولتها وثروتها وإنسانيتها . فأصبحت هدايا توزع على موائد الصلح لتسام ما اعتادته من الذل والاستنزاف ، فى دنيا أهدرت بها الكرامة البشرية ، وتحكم فيها الهوى الطامع بجبروته المبيد .

تنظر إلى الحضارتين ، شرقية وغربية ، فتجد الحضارة الإسلامية قد أسعدت الأرض لأنها استندت إلى دين عادل ، يجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، ويهدى الفوز الغالب للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا فى خير أمة أخرجت للناس ؛ ثم تلتفت يسرة ، لتجد حضارة أوربا فى حاجة إلى قيم روحية تقدس مكارم الأخلاق ، وتصون كرامة الإنسان أن تنحدر بها الأطماع إلى مستوى الوحوش الضارية فى الغابات ، وقد ندد عقلاء المفكرين فى الغرب بهذه المدنية المادية التى تسود أوربا اليوم ، ورأوا بها من المبيدات الجائحة ، هولا أكثر من هول الصواريخ والدبابات والطائرات ، إذ تحللت من أكثر قيود الضمير الأدق ، وفسحت للغرائز الهابطة مجالا شاسعا تنحط به

المتع المسفة ، وتتفكك به الأواصر المشتجرة ، فإذا الانحلال النفسي ينخر في الكيان الناهض ، ويوشك أن يميد به إلى القاع السحيق ، وإذا كانت الحضارة المادية قد أخذت علينا السبيل في بلاد الإسلام ، فلن نعتصم منها بغير تعبئة روحية إسلامية تعيد مجد العصور السالفة ، وتقف سياجاً حائلا دون البلاء الوافد ، والشر الهاجم ، !! ذلك ما أجمع عليه الرأي في كل مكان ، فليس بيننا ـ والحمد لله ـ من يشك لحظة من جدوى التعبئة الروحية ، بل تضافرت الجهود على الإشادة بها تأليفا وخطابة ومحاضرة وإذاعة ، حتى أصبحت من المسلمات البدهية في عهد الثورة والتحرير ، وصرت اليوم في غنى عن الإشادة بأثرها الموجه ، وضرورتها الملزمة ، ولكنني الآن بصدد معارضة من يفهمونها على غير وجهها الصحيح ، لأن العلاج المخطئ أشد خطرا على الجسم المريض من قسوة الداء نفسه ، فإذا اتفقنا جميعا على ضرورة التعبئة الروحية فلابد أن نتفق على طريقها الصحيح ، فلا تزل قدم بعد ثبوتها .

لقد أصدرت سلسلة « اقرأ » في شهر ديسمبر سنة ١٩٦١ كتابا تحت عنوان « التعبئة الروحية في بناء المجتمع » بقلم الأستاذ الدكتور حسن الأشموني ، فسارعت إلى قراءته في شوق وحمدت للدكتور الكريم حسن النية ، ونظافة المقصد ، وحسبه ذلك شرفا ، ولكنني وجدته يرسم للتعبئة الروحية طريقا غير طريقها الصحيح ، إذ لا يرجع بها إلى مبادئ الإسلام « القوية » من حرص على الحياة الجادة ، وطلب العمل المثمر ، واعتصام بالخلق الديني في خوض غمار الحياة معاملة وتعليما واختراعا واكتشافا واستثمارا بل يرجع بها إلى التصوف وحده ! ثم يفيض في شرح أمور التصوف من مقامات وأحوال وزهد وفقر وتوكل ، ويرى ذلك كله سبيل التعبئة الروحية في العصر الحديث .

وأنا قبل كل شيء — لا أنكر نزاهة التصوف الجاد ، ولا أحارب التأليف في ميزانه وأحواله ، والكشف عن روحانيته واستشفافه ولا أمنع التعريف برجاله وأبطاله ففي المتصوفين السابقين قمم عالية ثابرت وناضلت حتى فتحت آفاقا من المثالية يستشرق لها المؤمن بروحه ، ويتطلع إليها ببصيرته ويلتمس في الحديث عنها سأما من ضيق وإمتاعا من مشقة ، ولكنني أعارض وأمنع وأنكر أن تكون التعبئة الروحية في القرن العشرين مستوحاة من سلوك هؤلاء الزاهدين لأن التصوف ـ كما رسمه المؤلف في كتابه — رحلة انسحابية يترك فيها الصوفي أمور دنياه وهمـــوم معاشه ليستشرق إلى المقامات والأحوال والفناء !! وديننا الإسلامي دين العمل والقـوة والحياة ، وسبيل ذلك أن نخوض تيار الوجود فنتمتع بما أحل الله من الطيبات ، ونقود الإنسانية إلى مراشدها

الضالة، فنمد لأعدائنا ما نستطيع من القوة وتعلى صروح العلم والخلق والضمير على هدى بصير من كتاب الله، وذلك - أو بعضه فقط - ما يتعذر على الصوفى أن يقوم به فى سبحاته التائهة واعتزاله البعيد.

ولئن أشق على الدكتور الفاضل فى سبيل إقناعه، إذ أننى سأستعرض فى إيجاز سريع من أقواله وحدها، ما يتعارض ويناقض، ولعله فى نشوة هيامه الصوفى لم يلق بالا لهذا التعارض الصارخ، فترك السطر من قوله يرد على السطر السابق أو اللاحق.

يقول الدكتور الأشمونى - ص ١٤ - « والتجربة الصوفية تجربة شخصية لا تخضع لأى نوع من القياس والبرهان ولا سبيل إلى وصفها. فإن الحروف والألفاظ تعجز عن التعبير عنها، وإيفائها حقها من البيان». وأنا أقول فى سهولة يسيرة: إن التجربة الشخصية التى لا تخضع لنوع ما من القياس والبرهان، والتى لاسبيل إلى وصفها هذه التجربة لاتصلح أساسا للتعبئة الروحية. إذ أننا لو سلمنا فرضا بصلاحيتها للمجتمع، لا يمكن أن نجذب إليها الناس، إذ كيف ندعوهم إلى شىء غامض لا نقدر على وصفه، وهب أن المدرس أو الواعظ أو الكاتب قد اقتنع بضرورتها وأراد أن يطبع الناس بطابعها، فماذا يقول لهم؟!، أيقول: إنى أدعوكم إلى شىء بعيد خفى لا أقدر على وصفه وإيضاحه!! وإذا قال ذلك فماذا يكون رد الجمهور المعبأ عليه! قد يُوَجَّه مثلُ هذا الكلام إلى فنان شاعر يستلهم أشواقه ونوازعه فى ساعات الصفاء؛ أما أن يكون أساساً لتعبئة المجتمع الإسلامى فمن الذى يقول؟ ومن الذى يسمع؟!

ويقول المؤلف الفاضل - ص ٢٢ - « وليس معنى أن يعيش الفرد حياة روحية أن يقبع فى عزلة عن مجتمعه، أو ينظر إلى الدنيا نظرة عداء واحتقار، فهذه كلها رواسب ليس لها أساس من الدين الذى يدعو الناس إلى أخذ نصيبهم من الدنيا والسعى فى مناكبها». وهذا قول صادق نباركه، وندعو إلى المزيد منه، ولو أن المؤلف قد اعتقده اعتقاداً جازما ما جعل التعبئة الروحية تدور على التصوف الانسحابى! لأنه فى كتابه هذا قد جعل الكيان الصوفى ينهض على أمور ثلاثة هى الفقر والزهد والتوكل، وأفاض إفاضة وافية فى خصائص كل أمر من هذه الثلاثة، وكأنه أوجب على نفسه أن يحسنها إلى الناس بما مهد من مقدمات وسرد من حكايات.

فالصوفيون عنده - أولا - سعداء بفقرهم يجدون فيه مظهراً من مظاهر قربهم إلى الله - ص ٣٩ - فقد سئل شقيق البلخى: بأى شىء يعرف الفقير أنه أصاب من الله تعالى حظ الفقر؟ فقال بأن يخشى الغنى ويغتنم الفقر!! وسئل أيضا: بأى شىء يعرف العبد أنه

اختار الفقر على الغنى ؟ فقال : يخاف أن يكون غنيا ، فيحفظ الفقر بالخوف كما كان من قبل يخشى أن يكون فقيراً فيحفظ الغنى بالفقر » .

واللطيف أن الدكتور مع أفقه الواسع لا يزال يعتقد أن فقر الصوفى يدعو إلى تكبره على الناس فى القرن العشرين ، كما كان الحال فى العصور الأولى ، كأن أبناء هذا الجيل ينظرون إلى الانساجيين الفقراء نظرة رفيعة تجعل هؤلاء يشمخون ، ويتكبرون ، وإذا وقع بعض ذلك فى عصور باهرة حين كان لبس المرقعات فخرا أى فخر ، أفيمكن أن يكون الفقر فى عصرنا هذا مدعاة الزهو بدنيا تتحفز إلى المجد ، وتنطلق إلى أبعد غايات الازدهار !

والصوفيون ـ ثانيا ـ سعداء عند الدكتور بزهدهم ، وليس معنى الزهد لديهم اجتناب ماحرم الله فقط ، ص٤٢ ، فهذا ليس من الزهد فى شىء ! بل هو أول واجبات العبد، أما الزهد الذى يعنيه الكاتب فهو ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا حراما كان أو حلالا ، فقد قال أبو سعيد الأعرابى . اشتغالك بنفسك يقطعك عن عبادة ربك ، واشتغالك بهموم الدنيا يقطعك عن أمور الآخرة !

والصوفيون ـ ثالثا ـ سعداء بتوكلهم عند المؤلف ، وكنت أظن التوكل مفهوما لديه على وجهه اللغوى ، فإذا به ينقله إلى معنى التواكل بما ساعد من أمثلة ، فأصبحنا منه على خطر محيق ، وإليك بعض ما قال .

(ا) سئل أبو عبد الله الجلاء ـ ص٤٦ ـ ما تقول فى الرجل يدخل البادية من غير زاد فقال . هذا من فعل رجال الله عز وجل ، فإن اهتمامك بالرزق يزيلك عن الحق ، فعاد السائل يقول . فإن مات ؟ فأجابه . الدية على القاتل، والقاتل هنا من ؟ هو الله عز وجل .

(ب) سقط درويش فى نهر دجلة ، فصاح به رجل على الشاطىء رآه لا يعرف السباحة . أتريد أن أدعو لك من يخرجك إلى الشاطىء فقال الدرويش . لا ، فقال الرجل ، أتريد أن تغرق ؟ فقال الدرويش . لا ، فقال الرجل فماذا تفعل إذن ؟ فقال الدرويش . يفعل الله ما يشاء فما شأنى بإرادتى .

وإنى لأتساءل بعد ذلك إذا كان الفقر والزهد والتواكل طريق التصوف كما رسمه المؤلف ، فلماذا ذكر قوله السابق ـ ص٢٢ ـ : « ليس معنى أن يعيش الفرد حياة روحية أن يقبع فى عزلة عن مجتمعه ، أو ينظر إلى الدنيا نظرة احتقار » والصوفيون باعترافه قد عاشوا فى العزلة ، ونظروا إلى الدنيا نظرة احتقار حين أقاموا صلاح أمورهم فيها على الفقر والزهد والتواكل ، فإما أن تكون الحياة الروحية التى تقوم عليها التعبئة الصحيحة غير حياة المتصوفين ، وهذا

ما نعتقده جازمين ، وإما أن يكون التصوف أساس هذه الحياة ، وقد كشف الدكتور عن علاماته الثلاث . وهو بها لا يخرج عن العزلة والاحتقار ، أفلا يلمس القارىء تضاربا صريحا بين القاعدة والمثال ، وتناقضا صارخا بين السطور والصفحات !!

وكأنى بالدكتور الأشمونى ، وقد أحس ذلك فى أعماقه ، ولكن هيامه بالتصوف الانسحابى جعله يتغافل كثيراً عن إيضاح مشاعره الدفينة ، إذ أن بعض العبارات قد ندّت منه فى سرعة عاجلة ، لتثبت شعوره الأصيل ، فهو يقول مثلا ـ ص ٢٢ ـ ، «وقد يرى القارىء فى هذه الصورة ـ صورة التصوف ـ نوعا من التطرف ، الذى يبدو فى الانقطاع التام والقعود ، ولكنه يجد نفسه فى النهاية وقد خرج بمزيد من معانى الحق والخير والجمال ، وشحنة هائلة من المثل والمبادىء ، التى اختص بها الصوفيون أنفسهم على توالى العصور ، والكاتب الذى يحكم على التصوف بالتطرف حين يدعو إلى الانقطاع والقعود ـ وهما ما هما ـ ثم يفيض بعد ذلك فى مزايا الزهد والفقر والتواكل لا ينسجم مع نفسه تمــام الانسجام ، وأخشى أن أقول : إنه لم يتبين عاطفته الصريحة إزاء هذا الموضوع الدقيق .

وسأحاول جهدى أن أنصف الدكتور ، لأرفع هذا الخصام الموهوم بين الناقد والمنقود فأعلن أن المؤلف ـ كما يظهر ـ أراد شيئا ، ثم ساقه اطلاعه العاجل إلى أشياء ظنها بما أراد ، فأرقعته فى هذا الحرج الشاق ، فقد فقد قال فى ـ ص ١٥ ـ مانصه ، ونحن لا نجانب الصدق إذا قلنا إن التصوف يستطيع أن يكون قوة دفع تخدم جميع أهداف المجتمع حتى المادية منها ، فليس من شك فى أن بنـاء المجتمع بناء قويا متينـا عزيز الجانب يرجع إلى مدى ما يكون لأفراده من صفاء النفوس ومتانة الخلق ، واستعداد للتضحية وإنكار الذات ، وهى كلها صفات يتصف بها الصوفية ويأخذون أنفسهم بها ، ويروضون مريديهم عليها ، وهكذا تستطيع الحياة الروحية أن تسلك طريقها إلى المشاركة فى مطالب الحياة اليومية ، فتؤدى إلى تدعيم أركان المجتمع ، وتحقيق خيره ، بدل أن تكون دافعا إلى العزلة والعزوف عن الدنيا » .

فهذا الكلام فى غاية النفاسة والسداد ، لو أتبع ذلك بصفحات تصور صفاء النفس ومتانة الخلق والاستعداد للتضحية وإنكار الذات ، لتكون تطبيقا واقعيا على ما يريده من غزو الفضائل الروحية للنفوس ، ولكنه لم يفعل ذلك ، بل تكلم عن التصوف الاعتزالى واقام دعائمه على الفقر والزهد والتواكل ، وشفع ذلك بعبارات التأييد والتجنيد ، فكان كلامه السابق خطبة عرش ملكية

فى المقدمة لا تجد التنفيذ فى الأبواب والفصول فأصبح حينئذ غير ذى موضوع ! .

ولو كان الدكتور جعل عنوان كتابه « نظرة فى التصوف » ما كتبت حرفا واحدا فى معارضته ، ولكنه صمم على أن يكون « التعبئة الروحية فى بناء المجتمع » ثم جعلها ترتكز على التصوف ، وهنا المشكلة ، وقد تعرض فى باب التصوف والمجتمع - ص ٨٦ إلى مأزق ضيق لم يستطع الخلاص منه ولو راجع فكره فى ثقة وإيمان ما سمح لقلمه بتسطير العنوان كما جاء ، فى هذا الفصل ذكر فى صراحة أن أهم ما يؤخذ على الصوفية « أنهم لم يشجعوا العمل والسعى من أجل الرزق ، وأمعنوا فى التوكل غاية الإمعان ، وحرموا على أنفسهم الزواج على أساس أنه من العوائق التى تشغلهم عن المضى فى طريقهم الروحى ، فالتصوف ينطوى على نظرة عداء للدنيا وإعراض عنها ، وقمع لشهوات البدن وأهواء الحس من أجل تنمية الروح » ثم قال فى تبرير ذلك ، ما نصه : - ص ٩٠ - « ونحن إذا حاولنا أن نقيم الصوفية من خلال هذه النظرة ، وجدنا أنه من الإنصاف أن نبدأ أولا ببيان أمرين نعتقد أنهما على جانب كبير من الأهمية ، وأول هذين الأمرين أن الصوفيين أنفسهم كانوا ينظرون إلى طريقتهم فى التهذيب الروحى وإلى نزعاتهم التى تختلف أحيانا مع الطبيعة البشرية وتحول بينهم وبين أن يكونوا عوامل بناء وخلق فى المجتمع ، كان الصوفيون ينظرون إلى ذلك على أنه منهج خاص بهم يكفل لهم الوصول إلى غايتهم ، لا أسلوب للسلوك يجب فرضه على سواهم من الناس ، . . فالصوفية إذن لم يقصدوا أن يكونوا حملة لواء دعوة عامة » .

ولنا أن نقول بعد ذلك متعجبين : إذا كان الصوفيون ينظرون إلى طريقتهم ونزعاتهم فى التهذيب الروحى على أنها منهج خاص بهم ، وأسلوب للسلوك لا يجب فرضه على سواهم ، فلماذا يجعل الدكتور من منهجهم ذلك طريقا للتعبئة الروحية ، أيكون معهم ملكيا أكثر من الملك نفسه ! ؟ ثم ألا يكون لنا بعض العذر حين نقول إن فكرة الكتاب مرفوضة من أساسها لشئ واحد غير ما قدمناه وهو أن أصحاب الفكرة أنفسهم يعترفون ببعدها عن نطاق المجتمع ، ويؤمنون بأن منهجها لا يسير مع المنهج السوى المألوف ، وإذا تمحل المؤلف بأننا نستطيع أن نأخذ من صفاتهم بعض المحامد فى التعبئة الروحية ، ثم نأخذ الصفات الأخرى من تعاليم الإسلام الاجتماعية ، فإننا نقول له : ما هذا العنت الشاق ؟ لماذا لا نلجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله مباشرة ؟ دون نظر إلى شئ خاص كالتصوف يعترف أصحابه أنفسهم بأنه بعيد كل البعد عن منهج الحياة ، !

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

أصول الإثبات والتعاقد في الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمد محيي الدين الميسيري

الشريعة الإسلامية تساير كل تطور سليم صحيح ، وقد سبقت شرائع الأمم الأوروبية . ولم تتبدل أو تتغير بل تغيرت تلك القوانين والتشريعات على مر الأيام ، هذه الشريعة الغراء أتت بأحكام هامة فى الإثبات والتعاقد وردت جميعها فى القرآن الكريم فى آية الدين وهى قول الله تعالى جل شأنه « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب، وليملل الذى عليه الحق ، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً ، فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم. فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل أحداهما فتذكر أحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » سورة البقرة الآية (٢٨٢) .

فإننا إذا تمعنا فيما اشتملت عليه هذه الآية من مبادىء قانونية فى الإثبات والتعاقد نجد أنها دستور للعاملات بين الأفراد وسنوضح فيما يلى أهم هذه المبادىء التشريعية والنظريات الفقهية.

مبدأ الإثبات بالكتابة :

فرضت الشريعة الإسلامية الكتابة وسيلة لإثبات الدين المؤجل مهما كانت قيمته ، وذلك قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » وقوله جل شأنه « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله » ويدخل تحت لفظ الدين ، كما نعرف ، كل التزام أياً كان نوعه فيدخل تحت لفظ الدين الرهن والقرض والبيع بثمن مؤجل والتعهد بعمل وغير ذلك من أنواع الالتزامات .

وظاهر من هذا النص أنه نص عام ومرن إلى آخر حدود المرونة والبساطة ، وأنه يصلح للتطبيق فى كل حين وهذا أحد مميزات الشريعة التى هيأتها لتكون غير قابلة للتعديل والتبديل.

ولنرجع بعيداً إلى اليوم الذى نزل فيه هذا النص على رسول الله صلى الله عليه وسلم لنجد أن العرب كانوا أميين يعيشون فى أعماق البادية ، وفى خشونة من العيش ، وأن المعاملات تقل بينهم بحيث أنهم فى غنى عن تشريع خاص ينظم شئونهم ، ولكن هذا السمو الذى امتازت به شريعتنا الغراء عن كافة الشرائع الأخرى بإتيانها هذا النص وتنظيمها شئون المعاملات بين الأفراد إنما أتت به شريعة كاملة دائمة تصلح للتطبيق على كافة الشعوب والأمم وجميع العصور والأزمنه . فالشريعة الإسلامية هنا تميزت على القانون إذ أن القانون يأتى على قدر حاجة الناس له ، بينما هى فى هذا المقام لم تأت لتتفق مع أمية العرب وجهالتهم وإنما جاءت شريعة كاملة صالحة للتطبيق فى كل حين كما أن هذا النص شرع لحكمة سامية ، فالشريعة الإسلامية ـ شريعة الأمم الناهضة الربانية ـ فرضت الكتابة بين الأميين لتحملهم على أن يتعلموا فتتسع مداركهم وتتثقف عقولهم ، ويحسنوا فهم هذه الحياة الدنيا فيصبحوا وقد تعلموا أهلا لمنافسة الأمم الأخرى والتفوق والسيطرة عليها وخلافة الله فى الأرض ، وهذه أغراض اجتماعية وسياسية ، أما الغرض القانونى فهو حفظ الحقوق وإقامة الشهادات والابتعاد عن الريب والشكوك .

فالشريعة حين أوجبت الكتابة فى الصغير والكبير جاءتنا بنظرية عظيمة ذات وجوه سياسية واجتماعية وقانونية ، وهذه النظرية التى نزل بها القرآن على الرسول عليه الصلاة والسلام فى القرن السابع الميلادى هى من أحدث النظريات فى القوانين الوضعية وفى المذاهب الاجتماعية الحديثة ، فالدول قد بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تفرض على شعوبها أن يتعلموا تعليما إجباريا رجالا ونساء ، وهذا الذى تفرضه الدول على الشعوب إنما هو تطبيق للنظرية الإسلامية فى ناحيتها السياسية والاجتماعية .

وقد بدأت الدول تأخذ بالناحية القانونية للنظرية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حين اشترط القانون الفرنسى الذى أخذت عنه القوانين الأوربية أن يكون الدين مكتوبا إذا زاد عن مقدار معين ، ولكن شراح القانون رأوا أن نظرية الإثبات بالكتابة تكون أكمل وأكثر توفيقا لو اشترطت الكتابة فى الصغير والكبير على السواء ، وظلوا ينادون برأيهم هذا حتى حققته أخيرا بعض دول أوربا ، ولا يزال الشراح فى الدول الأخرى ينادون به ويأملون تحقيقه .

ويتضح مما سبق أن أحدث نظريات الإثبات فى عصرنا الحاضر هى نفس نظرية الشريعة الإسلامية أخذت بها بعض القوانين الوضعية ولا يزال الشراح فى بعض الدول يطالبون دولهم أن تأخذ بها .

مبدأ إثبات الدين التجارى :

اشترطت الشريعة كما بينا آنفا الكتابة لإثبات الدين سواء كان الدين صغيرا أو كبيرا ، ولكنها استثنت من هذا المبدأ العام حالة الضرورة ، وذلك قوله تعالى « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ، فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته » كما استثنت الشريعة أيضا من مبدأ الإثبات بالكتابة الدين التجارى فأباحت إثباته بغير الكتابة وذلك فى قوله تعالى جلت قدرته « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها » والحكمة من هذا الاستثناء أن الصفقات التجارية تتطلب السرعة ولا تحتمل الانتظار ، ولأن المعاملات التجارية أكثر عددا وتنوعا ، فاشتراط الكتابة فيها يؤدى إلى الحرج وقد يضيع فرصة الكسب على المشترى أو يعرض البائع للخسارة ، ومن أجل هذا لم تقيد الشريعة المرنة المتطورة الكاملة المعاملات التجارية بما قيدت به المعاملات المدنية من اشتراط الكتابة .

ويتضح من هذا النص المتقدم مرونته وعموميته إلى آخر الحدود بحيث لا يحتاج إلى التعديل أو التبديل ، وليس أدل على ذلك من صلاحيته لوقتنا الحاضر مع أنه نزل منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

ومن يعرف شيئا عن تاريخ العرب وحالهم وقت نزول هذا النص يعلم تمام العلم أن النص لم ينزل مجاراة لحال الجماعة أو تمشيا مع ما وصلت إليه ، وإنما كان نزول النص ضرورة لتكميل الشريعة الدائمة المتطورة ولرفع مستوى الجماعة ، وتوجيهها الوجهة الصالحة .

وليس أدل على سمو الشريعة وكمالها من من أن نظريتها فى إثبات الدين التجارى هى نفس النظرية السائدة اليوم فى القوانين الوضعية الحديثة وأنها تعتبر أحدث ما وصل إليه القانون الوضعى فى عصرنا الحاضر .

مبدأ البينة على المدعى :

من المبادىء المقررة فى الفقه الإسلامى أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن البينة على المدعى » . رواه البخارى ومسلم . والبيهقى بإسناد صحيح : « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » .

ويقول الأستاذان بيدان وورو : جزء تاسع فقرة ١١٥٩ ص ٢٣١ هامش رقم ١ فى القانون المدنى الفرنسى : (إن القاعدة التى تقضى بأن البينة على المدعى ليست ، كما قد يتوهم ، من القواعد التى كانت مقررة فى كل العصور . فهى لم تظهر فى القانون الرومانى إلا منذ

أخذ البريطور Prétur يحمى مجرد الحيازة فيحمى الوضع الظاهر ، وعندئذ ألقى عبء الإثبات على من يدعى خلاف الظاهر ، أما فى القانون الفرنسى القديم ، فقد كانت العادات القديمة تجعل عبء الإثبات على المدعى عليه لا على المدعى ، وإن كان ذلك يبدو غريبا ، وهذا بسبب الصبغة الجنائية للدعوى فى القديم عما نزل بوضع المدعى عليه دون وضع المدعى بل إن هناك من الوثائق . التى ترجع إلى ما قبل العصور الوسطى ، ما يثبت أن دعوى الاستحقاق التى يكلف فيها المدعى بإثبات ملكيته لم تكن ترفع ، وفقا لهذه العادات القديمة ، إلا ضد الحائز بسوء نية أو الحائز ضد القانون ، مما يحمل على الظن بأن الحائز هو الذى كان عليه أن يثبت أن حيازته مشروعة . ولم تظهر القاعدة التى تقضى بأن البينة على المدعى فى القانون الفرنسى القديم إلا تدرجا فى العصور الوسطى ، تحت أثر إحياء القانون الرومانى ، وبفضل القانون الكنسى بوجه خاص (انظر فى ذلك رسالة تفنيه Thévenet فى نظرية عبء الإثبات ، ليون سنة ١٩٢١ ص ١١ وما بعدها) .

وينتهى الأستاذان بيدان وبرو إلى القول بأن من الخطأ حسبان القاعدة التى تقضى بأن البينة على المدعى من القواعد التى تمليها البداهة وتقضى بها طبيعة الأشياء ، فإن الواقع من الأمر أن هذه القاعدة لم تظهر إلا بعد أن نظم القضاء تنظيما خاصا ، وإلا بعد أن برز المبدأ الذى يقضى بحماية الأوضاع الظاهرة .

ولعل ذلك يكشف عما للفقه الإسلامى من فضل التقدم ، فقد قرر هذه القاعدة منذ البداية ، فى عصر لم تكن فيه معروفة فى أوربا ، وقد أخذت سائر القوانين الحديثة بهذا المبدأ ، فالمدعى هو الذى يحمل فى الأصل عبء الإثبات ، سواء كان دائنا يدعى ثبوت الدائنية أو مدينا يدعى التخلص من المديونية . كما تقول المادة ٣٨٩ مدنى مصرى .

نظرية من الملتزم فى إملاء العقد :

جاءت الشريعة الإسلامية بمبدأ عام أوجبته فى كتابة العقود هو أن يملى العقد الشخص الذى عليه الحق ، أو بمعنى آخر أضعف الطرفين ، والمقصود من هذا المبدأ العام هو حماية الضعيف من القوى ، فكثير ما يستغل القوى مركزه فيشترط على الضعيف شروطا قاسية ، فإن كان دائنا مثلا قسا على المدين ، وإن كان صاحب عمل سلب العامل كل حق واحتفظ لنفسه بكل حق ولا يستطيع المدين أو العامل أن يشترطا لنفسيهما أو يحتفظا بحقوقهما لضعفهما ؛ فجاءت الشريعة وجعلت إملاء العقد للطرف الضعيف ، ليحتفظ به حقوقه . ولتحميه من التورط ، ولتكون شروط العقد معلومة له حق العلم وليقدر ما التزم به حق قدره .

وهذه الحالة التى عالجتها الشريعة من يوم نزولها هى من أهم المشاكل القانونية فى عصرنا الحاضر ، وقد برزت فى أوربا فى القرن الماضى على أثر نمو النهضة الصناعية وتعدد الشركات وكثرة العمال وأرباب الأعمال ، وكان أظهر صور المشكلة أن يستغل رب العمل حاجة العامل إلى العمل أو حاجة الجمهور إلى منتجاته ، فيفرض على العامل أو على المستهلك شروطا قاسية ، يتقبلها العامل أو المستهلك وهو صاغر ، إذ يقدم عقد العمل أو عقد الاستهلاك مكتوبا مطبوعا فيوقعه تحت تأثير حاجته للعمل أو حاجته للسلعة ، بينما العقد يعطى لصاحب العمل كل الحقوق ويرتب على العامل أو المستهلك كل تبعات ذلك العقد الذى نسميه اليوم فى اصطلاحنا القانونى عقد الإذعان .

وقد حاولت القوانين الوضعية أن تحل هذا المشكل ، فاستطاعت أن تحله بين المنتج والمستهلك بفرض شروط تحمى المستهلك من المنتج ، وبتعيين سعر السلعة ، ولكنها لم تستطع أن تحل إلا بعض نواحى المشكلة بين أصحاب العمل والعمال ؛ مثل إصابات العمال والتعويضات التى يستحقها العامل إذا أصيب أو طرد من عمله ، لأن التدخل بين صاحب العمل والعمال فى كل شروط العمل مما يضر بسير العمل والإنتاج ، وبقيت من المشكلة نواحى هامة كأجر العامل وساعات العمل ومدة الإجازات وغيرها فيحاول العمال من ناحيتهم حلها بتأليف النقابات والاتحادات ، ويرى العمال أن حل مشاكلهم لن يتأتى إلا إذا كان لهم حق إملاء شروط عقد العمل ويظاهرهم على ذلك بعض المفكرين والكتاب. فهذا الحق الذى يطالب به العمال فى كل أنحاء العالم والذى حقق القانون الوضعى بعضه ولم يحقق بعضه الآخر والذى يأمل العمال أن يتحقق كله إن قريبا أو بعيداً . هذا الحق قررته الشريعة الإسلامية كاملا للضعفاء على الأقوياء وللملتزمين على الملتزم لهم ، وجاء به القرآن الكريم فى آية الدين « وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أولا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل » .

وظاهر أن صيغة النص بلغت من العموم والمرونة كل مبلغ وهذا هو الذى جعل الشريعة تمتاز بأنها لا تقبل التغيير والتبديل .

ووجود هذا النص فى الشريعة دليل قاطع على سموها وكمالها ورقيها وعدالتها ، فقد جاءت به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا بينما القوانين الوضعية لم تصل إلى تقرير مثله حتى الآن مع ما يدعى لها من الرقى والسمو .

ولنا أن نقول إن الشريعة الإسلامية

ماهى إلا شريعة عالمية إنسانية قد قررت بهذا المبدأ وغيره مبادئ العدالة الاجتماعية أو التكافل الاجتماعى فى أسمى صوره .

نظرية تحريم الامتناع عن تحمل الشهادات

حرمت الشريعة على الإنسان أن يدعى للشهادة فيمتنع عنها أو أن يشهد واقعة فيكتمها أو يذكرها على غير حقيقتها ، وقد نص على الحالة الأولى فى آية الدين فى قوله تعالى جل شأنه « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » والمقصود إباءهم حينما يدعون ليشهدوا تصرفا ما أو واقعة معينة ، فالنص جاء خاصا بتحمل الشهادة وليس خاصا بأدائها . أما الحالتان الثانية والثالثة فقد نص عليهما فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » سورة النساء الآية ١٣٥ ، وهذه الآية الكريمة خاصة بالحالة الثالثة ، أما الحالة الثانية فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه فى سورة البقرة « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » . الآية ٢٨٣ .

والنصان الأخيران خاصان بتحريم شهادة الزور ، وبتحريم كتمان الشهادة أو الامتناع عنها . والقوانين الوضعية اليوم تأخذ بنظرية الشريعة فى تحريم شهادات الزور ، أو كتمان الشهادة ، ولكنها لم تصل بعـــد إلى تحريم الامتناع عن تحمل الشهادة ، ولا شك فى أن الشريعة تتفوق على القوانين الوضعية من هذه الوجهة . فإن المصلحة العامة تقضى بالتعاون على حفظ الحقوق ، وبتسهيل المعاملات بين الناس ، والامتناع عن تحمل الشهادة يؤدى إلى تضييع الحقوق ، ويؤدى إلى تعقيد المعاملات وبطئها ، وهناك عقود لا بد فيها من حضور الشهود كعقد الزواج ، فإذا كان الامتناع عن تحمل الشهادات مباحا تعطلت هذه العقود .

هذه أربعة مبادئ ونظريات جاءت بها آية واحدة من القرآن الكريم وهى آية الدين ، أخذت القوانين الحديثة باثنتين منها وبدأت تأخذ بالثالثة ولم تأخذ بعد بالرابعة . وليست هذه النظريات الأربع كل أحكام آية الدين وإنما هى بعض أحكامها ، فالآية تشترط أن يكون الكاتب محايدا عدلا عالما بأحكام الشريعة فيما يكتبه ، وتوجب عليه أن لا يمتنع عن الكتابة وتشترط أن يشهد على سند الدين رجلان أو رجل وامرأتان وتوجب عدم الإضرار بالكاتب أو الشاهد ، وهذه كلها مبادئ عامة لا نستطيع أن نستعرضها بالتفصيل لأن مجاله الكتب .

محمد محيى الدين المسيرى

بحث مقارن في المنازعات الدولية

للأستاذ محمد فناوى عشر

«يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم» .

فالعائلة الدولية - وهى مكونة من جماعات هى الدول — نشأت بينها علاقات مختلفة نتيجة حتمية لوجودها جنبا إلى جنب وعدم إمكان الواحدة منها أن تستغنى عن الأخرى ، وفى نواحى الحياة المادية والمعنوية تظهر حاجة كل دولة منها إلى الدول الأخرى . ومن ثم لا يمكن الدولة أن تعيش أو تنمو وهى بمعزل عن مجموعة العائلة الدولية .

وقد كانت العلاقات الدولية فى أول الأمر قليلة نادرة الحصول قاصرة على الدول المتجاورة ، وذلك لبطىء المواصلات وعدم توفر الثقة بين الدول ، فلما زادت سرعة المواصلات نشطت التجارة الدولية وتعددت حالات الاتصال بين الدول ، وأحكمت الروابط بينها الاكتشافات العلمية والأعمال الفنية والأدبية وتعدد المصالح والمشارب . إزاء ذلك لم يكن من الممكن أن تبقى هذه العلاقات الدولية المتعددة فوضى بلا قواعد تحكمها ، ومن ثم نشأت قواعد القانون الدولى والمنظمات الدولية والإقليمية ، وهى قواعد تتجدد وتتطور حسب الاحتياجات البشرية ، وهذه العلاقات ترسم ما يجب على الدول اتباعه إزاء غيرها فى السلم وفى الحرب على السواء .

وقد تناولت المعاهدات بعض القواعد التى تحكم العلاقات التى تربط بين الدول الموقعة عليها . ولم يكن يحمى هذه المعاهدات إلا ضمير الشعوب وكثيرا ما كان هذا الضمير يغفو أمام الأنانية وإيثار المصالح الخاصة .

ثم هناك المنظمات الإقليمية كجامعة الدول العربية التى تضم هــذه الدول باعتبارها مجموعة من الدول ذات المصالح والأهداف المشتركة والتى تتركز فى منطقة واحدة من العالم . ولم تصل هذه المنظمة إلى الحد الذى يجعل قراراتها واجبة التنفيذ ويحمل الدولة التى تخرج عن التزاماتها تبعات قانونية ، رغم كل الجهود التى تبذلها الشعوب العربية وذووا الشجاعة من قادتها للنهوض بها إلى المكانة التى تجعل منها أداة لها فاعليتها فى إقرار السلم العالمى . وإنه وإن كانت آراء أعضائها فى

المحيط الدولى تعتبر آراء فردية فإنها فى أغلب الأحوال متناسقة مع بعضها .

وهناك أيضا المنظمة الدولية — وهى الأمم المتحدة وفروعها — وميثاقها الذى ترتبط به الآن مائة دولة من دول العالم يجعل لها حق التدخل لفض المنازعات الدولية بقرارات لها قوة إلزامية ، وحق إعلان الحرب ، وتوجيه الجيش الدولى لضمان احترام قراراتها ولرد العدوان ودفع الاعتداء ـ وقد أشار إلى ذلك نص المادة ١٠٤ من ميثاقها : (تتمتع الأمم المتحدة فى أرض كل عضو من أعضائها بالأهلية القانونية التى يتطلبها قيامها بأعباء وظائفها وتحقيق مقاصدها) وحتى تتمكن الأمم المتحدة من إيجاد الجيش الدولى الدائم ، فإن قراراتها لا تكون لها قوة القسر والإلزام إلا بمساندة الضمير العالمى .

هذا هو أقصى ما وصل إليه العالم الحديث فى قوانينه الوضعية ـ هذا العالم الذى أتى بالمعجزات فى كل علم وفن ـ عجز أن يهيء لنفسه أسباب الاطمئنان ، والعيش الهادىء الكريم ، والسمو بالعلاقات الدولية فوق مستوى النزوات والمصالح الفردية .

هذا هو أقصى ما وصل إليه القانون الوضعى فى العلاقات الدولية . أما دستورنا السماوى فكان له معها شأن آخر يتفق مع مبادىء الإسلام القويمة ـ هذا الدين الصالح لكل زمان ولكل مكان الذى لم يترك شاردة ولا واردة إلا عالجها وجعل لها قواعدها وآدابها بما يكفل سعادة البشرية ، ويحفظ للإنسانية عظمتها ، ويقضى على ما يعترضها من أسباب النزاع والضعف .

هذا الدين لم ينكر وجود دول متعددة المصالح متنافرة المشارب ، ولكنه أمر بأن يقوم بينها السلام وتقوى بينها الصلات الودية .

وفى القرآن الكريم دعوة صريحة إلى قيام وحدة أمم إسلامية لإصلاح حالها ، ونزع الأحقاد من قلوبها ، وعقد الصلات الودية والروابط الدينية وكف يد الظلم والعدوان بالقوة والسلطان . فقد قال تعالى فى سورة الحجرات : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ـ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

وكان نزول هاتين الآيتين عند ما اقتتلت طائفتان من الأوس والخزرج بالجريد والنعال عقب نزاع ، فكره الله منهم ذلك وأنزل هاتين الآيتين .

وقد كان بين الأوس والخزرج نزاع دموى طويل قبل إسلامهما ـ وتمكن النبى صلى الله عليه وسلم من إحلال الوئام والمودة بينهما

إلى أن ثار هـــذا النزاع الذى أنزل الله فيه الآيتين نصحا لها ودستوراً إسلاميا يجب على المسلمين اتباعه والأخذ بمبادئه ـ فقد افترض الله وقوع مثل هـذه المنازعات بين طوائف المؤمنين ودولهم وشيعهم إلى الحد الذى يثير الحرب بينهم ، وأبان لهم ما يجب عمله ، وما يجب على باقى المسلمين القيام به .

فأمر بالتدخل بين المتخاصمين بالصلح ـ فإن ركبت إحدى هذه الطوائف رأسها وأصرت على البغى والعدوان ، ولم يجد معها نصح أو إرشاد فقـد أوجب الله قتالها حتى تصحو من غفوتها وتعود إلى ما أمر الله به وتنتهى عما نهى عنه ، حتى إذا توقف النزاع أمر سبحانه وتعالى بالصلح والتوفيق بين المتنازعين ـ واشترط أن يقوم هـذا الصلح على العدل وإظهار الحق وإنصافه حيث أن الله يحب المقسطين ، ثم ذكرهم بأن المؤمنين أخوة لا يجوز لهم أن يتطاحنوا ويقتتلوا بل هو تراحم وحسن جوار ومنافسة فى الخير .

وقـد جاءت هاتان الآيتان بمبادىء هامة فى العلاقات الدولية وفى أسس التحكيم والتدخل فى المنازعات الدولية ـ ووضعت لها آدابا لم تصل إليها القوانين الوضعية حتى الآن .

وكل مزية من هذه المزايا عنصر من عناصر السعادة الحقة ، مما جعل هذا الدين أحكم مرشد وأهدى قائد إلى المدنية المؤسسة على المعارف الصحيحة والأخلاق الفاضلة ـ وهذه المزايا قد سعد بها المسلمون الأولون ورفعتهم إلى مراتب الحضارة السامية وأنزلتهم معاقل المنعة فسادوا العالم ورفعوا لواء العرفان ونشروا نور القرآن فى كل مكان .

وقد حبب الله التآخى بين المسلمين وأمرهم بحسن التعارف والتنافس لما فيه خيرهم ـ كما فى قوله تعالى « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

كما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كلكم لآدم ـ وآدم من تراب . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

فالأصل واحد وإن تفرقت الشعوب والقبائل والطوائف ـ صلاتها يجب أن تقوم على التآخى والتعاون وحسن الجوار .

وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام : إذ التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار .

وحكمة الإسلام فى ذلك عظيمة ـ فالمسلمون أمامهم تبعات كبيرة ومسئوليات جسام فى سبيل إعلاء شأنهم وتبوء المركز الكبير الذى أراده الله لهم « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . يجب ألا يشغلهم عن ذلك شاغل من خصومة أو منازعات شخصية ـ ومن واجبهم التنافس فى السير قدما فى ركب الحياة بما يحفظ لهم دينهم ودنياهم ويعلى كلمتهم بين الطوائف الأخرى التى تتربص بهم الدوائر وتسعى لإذلالهم وإضعافهم وإحلال التفرقة بينهم محل

التعارف والتآخي. ومن فضل الإسلام على المسلمين أنه آخى بينهم وجمع كلمتهم - ففي أحد المواسم، جاء مكة نفر من الخزرج حيث قابلهم النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة، ودعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا: إنا قد تركنا قومنا وليس قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك. فسنقدم عليهم. فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين. فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك.

فلما عادوا إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ودعوهم للإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله.

كما أنه عليه السلام لما هاجر إلى المدينة آخى بين المهاجرين وبين الأنصار من أهل المدينة - فقال: تآخوا في الله أخوين أخوين - ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي.

وجعل صلوات الله وسلامه عليه التآخي ينبع عن القلب - تحسه كل جوارح النفس ومنه قوله: لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى. وقوله: لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا.

هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن الدين الإسلامي كان سمحا مع الطوائف غير المسلمة التي تعيش في أرض الإسلام حيث أمنهم على أموالهم ومعابدهم وخلى بينهم وبين شعائرهم الدينية.

كما أن المسلمين كانوا كرماء مع جيرانهم من الدول الأخرى إن هي جنحت للسلم. ومن أمثلة ذلك أنه لما ترك ملك الروم الحرب وكاتب عمر بن الخطاب وتقرب إليه أجاب طلبه وحقق رغبته وسير إليه البريد بما يريد، وتهادت زوجه أم كلثوم بنت علي وملكة الروم - كما أنه عندما تضرع ملك الباب (ثغر عظيم على بحر الخزر) إلى عمر ابن الخطاب تنازل له عن الجزية لقاء مساعدته على حرب المشركين.

وأخيراً فإن السلف الصالح من فقهاء المسلمين قد شرعوا - على ضوء المبادىء الإسلامية - أدق القواعد في القانون الدولي والعلاقات الدولية - منها كتاب السير الكبير للإمام محمد بن حسن الشيباني، وهو أحد علماء الحنفية في عصر هارون الرشيد؛ الذي تكلم في أحد أجزاء كتابه عن الأمور التي تحل في دار الحرب ولا تحل في دار الإسلام، وعن الأمان وعقد الذمة وعقد الصلح وما ينبغي في ذلك كله.

النقيب
محمد فاوى عمر
إدارة أسلحة وإمدادت الشرطة بالقلعة

سلطان الضمير

للأستاذ سعد الدين محمد الجيزاوى

يخضع الإنسان فيما يصدر عنه من تصرفات إلى سلطانين :

أحدهما : سلطان « القوانين واللوائح والتشريعات المختلفة » .

والآخر : هو « سلطان الضمير » .

وسنكتفى هنا بإشارات عابرة عن سلطان القوانين ، لأن تفصيل ذلك مجاله بحوث المختصين بالدراسات القانونية :

إن القوانين فى مجموعها تختلف باختلاف الأزمان والبيئات ، ومصادرها الأساسية إما وحى من الله يبلغه الرسل الكرام إلى أممهم ، وإما أوامر رؤساء الدول . وطاعة هذه القوانين واجبة بأمر من الله تعالى على كل فرد من أفراد الأمة أو المجموعة الذين تصدر من أجلهم . قال تعالى « يأيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم » .

غير أن الآية عادت فحددت ـ ضمانا للعدالة فى تشريعات أولى الأمر ـ أن تكون هذه التشريعات مستمدة من روح التشريعات السماوية ، غير بعيدة عن خطوطها الأساسية : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

وفى التشريعات الإسلامية فسرت السنة المطهرة مايجب على الأفراد من طاعة أولى الأمر ، وحددت هذه الطاعة فيما يعود على الفرد والأمة بالخير والمنفعة ، وإن كان فى ذلك مشقة على النفوس ، على شريطة ألا تكون فى هذه الطاعة معصية تغضب الخالق ، أو تهدم ركنا من أركان التشريع السماوى . وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة كقوله عليه الصلاة والسلام : « السمع والطاعة على المرء المؤمن فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، ومثل : « السمع والطاعة على المرء المؤمن فى المنشط والمكره ما لم يؤمر بمعصية ... » ، ومثل : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

ولئن كانت تشريعات سَوْق الأفراد إلى القتال حفظا لكيان الوطن ، أو دفاعا عن العقيدة . فيها مشقة على بعض الأنفس ، فإن طاعة هذه القوانين واجبة لما فيها من قيام بعمل يحفظ كيان الأمة التى ينتسب إليها الفرد .

كذلك التشريعات التى تحد من عبث العابثين بمصالح الأمة ، وتضرب على أيدى الذين يتآمرون فى الخفاء للوصول إلى أغراض ذاتية سواء أكان ذلك بالتجسس ، أو بعصيان القوانين التى ليست فيها معصية للخالق ، أو بإشاعة الفتن بين أبنـــاء الأمة ... إن مثل هـذه التشريعات من حق الحاكم ، وطاعتها واجبة .

ومن حق ولى الأمر أن يتخذ من التشريعات ما يشيع العدالة بين الرعية ، وينصف المظلوم من الظالم ، ويرفع المستوى العـام للأمة ، ويدفعها إلى التقدم والنهوض ، وإن اقتضى ذلك استخدام الفائض المكدس من الأموال دون نفع ، للانتفاع به فى مجالات أخرى تبعث النشاط والتقـدم ... ومثل هـذه التشريعات مما يجب الرضا به ، وإن بدت شاقة على النفوس الشحيحة .

ولولى الأمر - ما دام يصدر فى أعماله عن إخلاص ، ومحافظة على روح التشريع السماوى وبعد عن الهوى - أن يفرض من العقوبات ما يكفل له تنفيـذ إصلاحاته مهما بدا فيها من قسوة على المعوقين . قال تعالى : « إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خـلاف ، أو ينفوا من الأرض » .

ولكننا نسأل أنفسنا :

هل من الممكن أن يكون هـذا السلطان المستمد من القوانين واللوائح والتشريعات المختلفة ، على ما فى مخالفته من عقوبات تتفاوت من « وقف التنفيذ » إلى « الإعدام » هل من الممكن أن يكون هـذا « السلطان » وحده كفيلا بأن يلزم كل امرىء حـده ، ويكف عن العدوان على الغير ؟؟

هل فى سلطان القوانين ما يبعث الرهبة دائما فى أعماق النفس لتكف عن ارتكاب الجرائم ؟

إن الواقع الملموس يقول : لا !!

استمع إلى الإمام محمد عبده يقول « ليست القوانين التى تفرض العقوبات على الجرائم ، وتقدير المغارم على المخالفات ، هى التى ترقى الأمم وتصلح من شئونها ، فإن القوانين لم توضع فى جميع العالم إلا للشواذ والهفوات والسقطات » .

ثم يقول : « وأما القوانين العامة المصلحة فهى نواميس التربية الملية فى كل أمة » . ثم استمع إلى طه الهاشمى فى إحـدى محاضراته بجامعة آل البيت بالعراق رداً على « سبنسر » فيما ذهب إليـه من أن المجتمعات يمكن أن تساس بقواعد تستمد من الوجدان ، ومن مشاهـدة سنن الطبيعة ، ومن سلطة المجتمع دون حاجة إلى وازع من دين :

قال الهاشمى : « إن المجتمع لا يعاقب كل من يتنكب شرائعه ويشذ عن قوانينه ، فكم من جناية تجترح ، وكم من مال ينهب ويغصب وكم من إثم يقترف ، والفاعلون يسرحون ويمرحون بين سمع الشرطة وبصر الحكام ، وكم من مجرم أفلت من يد العقاب بفصاحة المدره ولمع النضار » .

وكيفما كان ذلك « السلطان » المستمد من القوانين فإنه ضرورة لا بد منها ، وقد لازم المجتمع الإنسانى من يوم أن بدأ الإنسان يندمج فى محيط مجتمعات متدرجا من سلطة رب الأسرة إلى كبير العائلة ، ثم إلى رئيس القبيلة ... ثم إلى الملوك والرؤساء ، وقد ورد فى ذلك : « يزع الله بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن » .

ولعل الذى جعل بعض الناس لا يبالون بسلطان القوانين مهما قست هو أن عقوبة المخالفين قاصرة على أمور مادية ، وقليلا ما يلجأ المحقق أو القاضى إلى تذكير المتهم بأن هناك عقوبات أخرى سينالها حتما إن هو أفلت من الحكم عليه لسبب أو لآخر .

من أجل كل ذلك عنى الإسلام عناية كبرى بتوجيه النظر الى « السلطان » الآخر ، السلطان الذى لا يستمد قوته من القوانين واللوائح والتشريعات بل يستمد تلك القوة من أعماق النفس ، ويخلق فى شخصية الإنسان محكمة عادلة : تراقب أدق مراقبة ، وتحاسب أعسر حساب ، ثم تحكم أعدل حكم ، وتنفذ دون تدخل شرطة أو ذهاب إلى محاكم أضمن تنفيذ .

ذلك السلطان هو سلطان « النفس اللوامة » الواردة فى قوله تعالى « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » ، ولا شك أن فى القسم بالنفس اللوامة إلى جانب القسم بيوم القيامة إشارة إلى ما فى ذلك اليوم من من حساب وجزاء تستعد لهما النفس اللوامة.

ذلك السلطان يستمد قوته من محاسبة المرء نفسه ، ومن الشعور بأن هناك رقابة دقيقة عليه تسجل ما خفى من أعماله وما علن ...

ذلك السلطان تتلاشى أمام قوته جميع رغبات المراء فى غير ما هو حلال مباح ، ويجعل الإنسان يسير فى أقوم سبيل ، فإن أخطأ لا يحاول الهرب من مسئولية خطئه ويتقبل كل عقاب جزاء لما اجترح من السيئات ، وإنما الذى يؤرقه ، ويحزنه ، إنما هو شعوره الناشىء من اجترائه على ذلك الرقيب الذى لا يستطيع الاستخفاء منه ، ولا الإفلات من دقة تسجيله .

ذلك السلطان هو الذى عبر عنه الإمام الغزالى بالمراقبة والمحاسبة . وأفاض فى بيان درجات هذه المراقبة وحساب النفس . حتى عرف أرباب البصائر « أن الله تعالى لهم

بالمرصاد ، وأنهم سيناقشون فى الحساب ، ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة .

ذلك السلطان هو ما يعبر عنه اليوم فى مجتمعاتنا « بالضمير » .

ولعلماء النفس مذاهب وتفسيرات فى منشأ هذا « الضمير » وتكوينه ، ومقدرته على أن يسيطر على ذات الإنسان وغرائزه ويقوده إلى أقوم سبيل ، وغاية ما وصلوا إليه فى تقريب مدلوله أنه الجانب السامى من النفس الإنسانية أو ما يعبرون عنه بالذات العليا أو النفس العليا التى تراقب الإنسان فى تصرفاته .

ومهما قيل من آراء ونظريات فى تكوين هذا الضمير ، فإن العامل الأول فى نشأته هو عنصر الدين المتأصل فى الفطرة البشرية التى فطر الله الناس عليها ، ذلك العنصر الذى يظل كامنا فى حنايا النفس الإنسانية مهما امتزج بها من ضروب الشرور وصنوف الآثام وعصف الغرائز السفلى .

استمع إلى السيد جمال الدين فى حديث له عن فطرية الدين : « إن الشعور بوجود إله متصرف فى الأكوان تصرفا غيبيا فوق تصرف المخلوقات بما يكون من إفضاء الأسباب إلى المسببات ، قد عرف فى جميع البشر ، من أدنى القبائل الهمجية إلى أرقى شعوب المدنية ، فهو شعور يستوى فيه الحفاة العراة فى صحارى إفريقية وجزائر المحيط وفلاسفة اليونان فى الماضى ، وفلاسفة الإفرنج الآن ، وقد عرف فى الفريقين عند قدماء الأمم كالمصريين والكلدانيين والهنود كما هو معروف فى هذا العصر . ومثل هذا الاتفاق من الشرقى والغربى ، والشمالى والجنوبى ، فى جميع الأزمان من غير تواطؤ ولا تقليد ، ولا تعليم ، لا يعقل إلا أنه فطرى فى البشر » .

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم عن منطقة هذه الحاسة الفطرية بالتدين : « حينما كنت وكيلا للنائب العـام ، كنت أرى عجبا فى قاعات المحاكم وقاعات التحقيق ، وكنت أفكر كثيراً فى أمر ذلك الشرير الذى طالما صحيفة حياته . فإذا آثام ، ودماء تسيل منها ، ومع ذلك يقف أمامى متطلعا إلى السماء ويأبى أن يقسم بالمصحف كذبا .

هـذا الآدمى قد انطلقت غرائزه الدنيا ، لا يقوم لها شىء ولكن بقيت رغم هذا فى نفسه منطقة عذراء لم يتطرق إليها فساد : هى منطقة العقيدة . أهناك إذن حد فاصل بين العقيدة والغريزة ؟ ؟ » .

تأمل كيف أبى هذا الشرير أن يحلف كذبا بالمصحف ! ! . إنه يرى أن هذه جريمة تفوق كل ما ارتكب من جرائم قد تؤدى به إلى

حبل المشنقة ، ولكنه يأبى أن يفلت من الإعدام بمخالفة عقيدته ! ! .

إن سلطان الضمير قد تغلب واستخف بكل عقوبة . وربما لو بحثت حالة مثل هذا المجرم من الوجهة النفسية والاجتماعية لا تضح أنه مظلوم وإن تلوثت يداه بالدماء ! ! .

وإذا نحن أمعنا النظر فى مهمة الرسل الكرام نجد فيها تذكير الناس بأصل الفطرة التى فطروا عليها بعد أن يكون قد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حتى يستيقظ وازع الدين الفطرى ، وينمو الشعور بالمراقبة والمحاسبة ، ويقوى سلطان الضمير .

ومن واجبنا اليوم أن نعرف كيف عنى الإسلام بتنمية سلطان الضمير ، ثم ما كان لهذا السلطان من الآثار فى تكوين شخصية المسلم ، عسى أن ننتفع بما فى ذلك من تذكرة .

لقد كان من أبرز الأهداف الأساسية التى عنيت بها رسالة الإسلام إدخال شخصية المرء فى تقويم أعماله ، وتحميله مسئولية شخصية عن كل ما يصدر منه من أعمال اختيارية ، وخلق إحساس عميق فى نفسه بأن كل صغيرة وكبيرة مسجلة عليه تسجيلا دقيقا لا يستطيع الإفلات منه ، وأنه سيجازى على كل ما اقترف جزاء عادلا .

وأهم ما سلكته الدعوة الإسلامية فى تكوين هذه الشخصية طريقان :

أولهما : آيات القرآن الكريم العديدة التى تدور حول تحميل المرء تبعة أعماله الاختيارية وإشعاره بأن الرقابة عليه شديدة . . مثل قوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » و « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ... » و « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون : يا ويلتنا ، مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحدا . » و « كل نفس بما كسبت رهينة الخ » .

وثانيهما : قضاء الرسول عليه الصلاة والسلام بين أصحابه ، وتوجيهاته السديدة نحو إيقاظ الشعور بالمسئولية . ومن ذلك مثلا أنه حين اختصم إليه رجلان فى ملكية عقار ، وليس لأحدهما بينة ظاهرة ، لم يسلك السبيل المألوف فى مثل هذه الخصومة من التدقيق فى طلب بينة أو توجيه اليمين للمنكر مثلا ، بل عمد إلى الذات الإنسانية العليا ، إلى الضمير فقال : ... لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له . فمن قضيت له

بشئ من غير حقه فإنما هى قطعة من النار ، فليأخذها إن شاء أو يتركها .

هنا تلاشت الرغبة فى ملكية العقار عند كلا الرجلين ، وتنازل كل منهما لصاحبه حتى لا يقع فى شبهة من ظلم لنفسه إذا هو أصر وقضى له . ثم كان من حكمة الرسول أن أمرهما بأن يستهما فاستراحت أنفسهما ، وارتضيا هذا الحكم .

وكذلك كان موقفه من رجل جاء بأموال الصدقات التى كلف بجمعها ومعه أشياء لنفسه وقال : هذا مالكم ، وهذا أهدى إلى .

غضب الرسول الكريم عند ما علم بذلك ، وجمع أصحابه وخطبهم خطبة كبيرة بين فيها أن مثل هذا الإهداء لم يكن لولا جاه الوظيفة ، ومعنى ذلك أن هذه الهدايا تعتبر رشوة مقنعة . . ثم أخذ يصور لهم يوم القيامة وما فيه من أهوال كأنه يراها ، وكأن كل مرتش يمر أمامه حاملا فى عنقه كتلا من نار جهنم ...

ومما يلفت النظر أن الخطبة الأولى التى وجهها النبي عليه الصلاة والسلام إلى قومه عند ما صعد على الصفا فى أول يوم أعلن فيه الدعوة إلى الإسلام قد تضمنت الأساس الأول فى تحديد المسئولية الشخصية إذ جاء فيها : « والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . والله إنها لجنة أبداً ، أو نار أبداً . والله ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة والنار ، إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة.

ما ذا كانت نتيجة هذه التربية الإسلامية لشخصية المسلم ؟ .

لقد ظهرت آثار تلك التربية سريعا ، ولعل أروع مثل نسوقه فى ذلك قصة الثلاثة الذين خلفوا الواردة بسورة التوبة ، إذ تبين موقف هؤلاء الصحابة الكرام حينما أحسوا بخطئهم ؟ وتقاعدهم عن الغزو مع الرسول الكريم بأعذار واهية قبلها منهم الرسول ثقة منه بهم ... ما ذا كان منهم عند ما رجعوا إلى أنفسهم وحاسبوها وأيقنوا أنهم كانوا مخطئين ... إنهم ربطوا أنفسهم فى أعمدة المسجد وكاد الشعور بالندم يقتلهم ، وأصبحوا فى تلك الفترة شبه معزولين عن أهليهم وصحبهم كأنهم غير جديرين بالاندماج فى مجتمع يتسم بالصدق والصراحة ، وقد قاسوا من الآلام النفسية خلال خمسين يوما ما قاسوا ، « وضاقت عليهم الأرض بما رحبت » ، « وضاقت عليهم أنفسهم » ، وأيقنوا أن لا مهرب من الله إلا إليه .

ولقاء هذا الصدق فى محاسبة النفس ، والاعتراف بالخطأ ... أكرمهم ربهم فتاب عليهم .

دكتور

سعد الدين محمد الجيزاوى

صفحات من العروة الوثقى

للدكتور جمال الدين الرمادى

العروة الوثقى اسم لجريدة صدرت فى باريس عام ١٨٨٤ وأنشأها فيلسوف الإسلام، وحكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغانى، ويهدف فيها إلى الوحدة الدينية وجمع شتات المسلمين فى عروة وثيقة لا انفصام لها.

وكان يدير سياستها الأفغانى نفسه، أما محررها الأول فكان الشيخ محمد عبده، ويبدو من افتتاحية العدد الأول أن الاتجاه الدينى فيها يغلب كل اتجاه آخر، فإن «روابط المسلمين الملية أقوى من روابط الجنس واللغة. وما دام القرآن يتلى بينهم وفى آياته ما لا يذهب على أفهام قارئيه فلن يستطيع الدهر أن يذلهم».

كما كانت هذه الجريدة تهتم بدفع ما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم الباطلة التى يوجهها إليهم من لا خبرة له بحالهم، ولا وقوف على حقائق أمورهم، وإبطال الزعم بأن المسلمين لا يتقدمون فى المدنية ما داموا على أحوالهم التى كان عليها آباؤهم الأولون.

ودافعت العروة الوثقى عن القضية المصرية دفاعا مجيدا، وربطت هذا الدفاع بالدين وجعلت ساعة الخلاص من الاحتلال ساعة الفرح عند المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها، إذ أن مصر مناط أمل المسلمين ومعقد رجائهم و «إن الحالة السيئة التى أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عموما. إن مصر تعتبر عندهم من الأراضى المقدسة ولها فى قلوبهم منزلة لا يحلها سواها نظراً لموقعها من الممالك الإسلامية ولأنها باب الحرمين الشريفين. فإذا كان هذا الباب أمينا كانت خواطر المسلمين مطمئنة على تلك البقاع، وإلا اضطربت أفكارهم، وكانوا فى ريب من سلامة ركن عظيم من أركان الديانة الإسلامية، إن الخطر الذى ألم بمصر نفرت له أحشاء المسلمين وثكلت به قلوبهم ولن تزال الأمة تستفزهم ما دام الجرح نفارا ...».

أما عن منهج الجريدة الذى اتخذته لنفسها فهو أنها ستأتى فى خدمة الشرقيين على ما فى الإمكان من بيان الواجبات التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف، وتوضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ما هو آت

وتراعى فى جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة فى أفرادها، وتأييد المنافع المشتركة بينها، والسياسات القويمة التى لا تميل إلى الحيف والإجحاف بحقوق الشرقيين.

وكانت الجريدة ترسل أعدادها إلى من تعرف أسماءهم بدون مقابل حتى يتداولها الأمير والحقير، والغنى والفقير، وقد ختمت الجريدة دعوتها إلى القراء بهذه العبارة: «ومن لم يصل إلينا اسمه فما عليه إلا أن يكتب الى إدارة الجريدة بالإسم المعروف به ومحل إقامته، على النهج الذى يريده، والله الموفق»

وهذا يدل دلالة واضحة على ان منشئها ومحررها لم يكونا يضنان بمال أو جهد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية، والمناداة بالفضيلة وتحرير الأوطان الإسلامية من ربقة الاستعمار ونير الاستعباد، وحوزة الاستغلال، ولم يكونا هادفين الى مال أو ثراء، إنما كانا يلتمسان نشر الدعوة الإسلامية، وبث النخوة الوطنية بمختلف الوسائل وشق الذرائع مهما كلفها ذلك من نصب، وكد وكفاح.

وقد رحبت البلاد الإسلامية ترحيبا عظيما بصدور هذه الجريدة وظل أهلها يتسابقون الى الحصول على عدد من أعدادها، حتى إذا ما ظفروا به تناقلته الأيدى فى شغف

وقد أحس الإنجليز بخطرها قبل صدورها، فهاجت الصحافة الانجليزية بمجرد أن نمى إليها خبر اصدارها، والى ذلك تشير الجريدة فى العدد الخامس فتقول: «عزمنا على انشاء جريدتنا هذه فعلم بذلك بعض محررى الجرائد الفرنساوية فكتبوا عنها قبل صدورها غير مبينين لمشربها، ولا كاشفين عن حقيقة سيرها، فلما وقف على الخبر محررو الجرائد الانجليزية المهمة أخذتهم الحدة، وأنذروا حكومتهم بما تؤثر هذه الجريدة فى سياسة الانجليز ونفوذها فى البلاد الشرقية، وألحوا عليها أن تعد كل وسيلة لمنع الجريدة من الدخول فى البلاد الهندية، والبلاد المصرية، بل تطرقوا فنصحوها أن تلزم الدولة العثمانية بالحجر عليها».

وتمكنت السلطات البريطانية، من منع الجريدة من دخول الهند ومصر، بيد أن صوت الحرية لا يخفت أو يذهب أدراج الرياح، فقد استطاع بعض المصريين الحصول على أعداد من هذه المجلة، وسرعان ما وضح أثرها فى نفوسهم، فزادتهم حماسة واشتعالا فى تحرير وطنهم من المستعمر الغاصب.

وعند ما تمكن عملاء الاستعمار من مصادرة العروة الوثقى فى مصر زاد أسلوبها حدة تجاه أذناب الإنجليز وتمنت أن يكون بين المصريين من يستطيع - ولو بأعنف الوسائل - إبطال

هذه الصفقة ونقض هذه البيعة، وتقصد صفقة القروض التي كان يتفاوض فيها نوبار.

وقد وضحت الجريدة سماحة الإسلام وسماحة خلق المسلمين إذلم يسلك المسلمون في وقت ما مسلك الالزام بدينهم، والاجبار على قبوله، مع شدة بأسهم في بدايات دولهم وتغلغلهم في الأقطار، واندفاع هممهم لبسطة في الملك والسلطة. إنما كانت لهم دعوة يبلغونها، فإن قبلت فبها، وإلا استبدلوها برسم مالى يقوم مقام الخراج عند غيرهم مع رعاية شروط عادلة تعلم من كتب الفقه الإسلامى هذا على خلاف متنصرة الرومانيين واليونانيين أيام شوكتهم الأولى فإنهم ما كانوا يطأون أرضا إلا ألزموا أهلها بخلع أديانهم والدخول في دين أولئك المتسلطين وهو الدين المسيحى كما فعلوا في مصر وسوريا، بل في البلاد الإفرنجية نفسها.

وقد مضت العروة الوثقى توضح وجهة نظر المستعمر في إلغاء الفكرة الدينية لبث الفرقة بين المسلمين. وتأكد لديهم أن أقوى رابطة بين المسلمين هي الرابطة الدينية، ولأولئك الافرنج مطامع في ديار المسلمين وأوطانهم، فتوجهت عنايتهم إلى بث هذه الأفكار السافطة بين أرباب الديانة الإسلامية، وزينوا لهم هجـــر هذه الصلة المقدسة، وفصم حبالها لينقضوا بذلك بناء الملة الإسلامية ويمزقونها شيعا وأحزابا.

والجريدة بتخصيصها المسلمين بالذكر أحيانا ومدافعتها عن حقوقهم تبعد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم في أوطانهم، ويتفق معهم في مصالح بلادهم ويشاركهم في المنافع من أجيال طويلة، فليس هذا من شأن الجريدة ولا تميل إليه ولا يبيحه الإسلام ولكن الغرض، تحذير الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا من تطاول الأجانب عليهم والإفساد في بلادهم، وقد تخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب في الأقطار التي غدر بها الأجنبيون وأذلوا أهلها أجمعين، واستأثروا بجميع خيراتها».

وفي مقالة نارية مضت جريدة العروة الوثقى توضح واجب المسلمين في التآلف والتآزر، والتماسك والتكافل - وجعلت عنوان المقالة الآية الكريمة «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» فقالت إن للمسلمين شدة في دينهم، وقوة في إيمانهم، وثباتاً على يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل، وإن من عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم ببعض، ومما رسخ في نفوسهم أن في الإيمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين، ومن حرم الإيمان فقد حرم السعادتين، ويشفقون على أحدهم ان يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء.

وانطلقت تحدد دستور الوحدة بين المسلمين فقالت: « المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل فى ولايتهم من البلدان ، وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدثين فى الجنس ولا المختلفين فيه ، وهو فرض عين على كل واحد منهم إن لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ، ومن فروضهم فى سبيل الحماية ، وحفظ الولاية بذل الأموال والأرواح وارتكاب كل صعب واقتحام كل خطب ، ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم فى حال من الأحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم ، وبالغت الشريعة فى طلب السيادة منهم على من يخالفهم إلى حد لو عجز المسلم عن التخلص من سلطة غيره لوجبت الهجرة من دار حربه ، وهذه قواعد مثبتة فى الشريعة الإسلامية يعرفها أهل الحق ولا تعرفها تأويلات أهل الأهواء ، وأعوان الشهوات فى كل زمان ، والمسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الإيمان وهو هاتف الحق الذى بقى له من إلهامات دينه » .

وعلى هذا النحو مضت الجريدة تطالب بتحرير أفغانستان من نير الإنجليز كما مضت تطالب بتحرير مصر من جنود الاحتلال البريطانيين وتخليص مراكش من الجنود الفرنسيين .

وفى ١٥ مايو عام ١٨٨٤ زادت حمية الجريدة فى الدفاع عن المصريين فنشرت فى افتتاحيتها مقالا مستفيضا جاء فيه « هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين، والاستنجاد لهم ، ولها سعى بل كل السعى لخيبة آمال أعدائهم ، ولا ترى من مشربها مدح زيد ولا القدح فى عمرو فإن المقصد أعلى وأرفع من هذا ، وإنما عملها سكب مياه النصح على لهب الضغائن لتتلاقى قلوب الشرقيين جميعا على الصفاء والوداد ، تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ، ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضوارى التى فغرت أفواهها لالتهامهم » .

وفى مقالة : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، مضت تعدد مجد المسلمين فى العصور الخوالى فقالت: أظلت ولاية الإسلام ما بين نقطة الغرب الأقصى إلى تونكانى على حدود الصين فى عرض ما بين قازان من جهة الشمال وبين سرنديب تحت خط الاستواء أقطاراً متصلة وديارا متجاورة يسكنها المسلمون ، وكان لهم فيها

السلطان الذى لا يغالب ، وأخذ بصولجان الملك منهم ملوك عظام وأداروا بشوكتهم كرة الأرض إلا قليلا ، ماكان يهزم لهم جيش ولا ينكس لهم علم ولا يرد قول على قائلهم .

ثم مضت الجريدة تقول ، والمسلمون اليوم يملؤن تلك الأقطار التى ورثوها عن آبائهم وعديدهم لا ينقص عن مائتى مليون وأفرادهم فى كل قطر بما أشربت قلوبهم من عقائد دينهم أشجع وأسرع إقداما على الموت ممن يجاورهم ، وهم بذلك أشد الناس ازدراءا بالحياة ، وأقلهم مبالاة بزخرفها الباطل .

غير أن الجريدة أرجعت وقوف المسلمين فى سيرهم بل تأخرهم عن غيرهم إلى عدم الترابط ، فأخذت ممالكهم تنتقص أطرافها وتتمزق حواشيها مع أن دينهم يرسم عليهم أن لا يدينوا لسلطة من يخالفهم ويعمل على الاستئثار بالحكم عليهم وأن المسلمين لا يحتاجون فى صيانة حقوقهم إلا إلى تنبه أفكارهم لمعرفة ما به يكون الدفاع ، واتفاق آرائهم على القيام به عند لزومه ، وارتباط قلوبهم الناشزة عن إحساس بما يطرء على الأمة من الأخطار .

« أليس لكل واحد منهم أن ينظر إلى أخيه بما حكم الله فى قوله « انما المؤمنون إخوة ، فيقيمون بالوحدة سدا يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب »

هذه صفحات مطوية من العروة الوثقى وهى صفحات لا تزال مشرقة متألقة رغم تطاول السنين . وتقادم العهد ، وقد صدر فيها ثمانية عشر عددا بلغ فيها الشيخ محمد عبده الذروة فى روعة الأسلوب ، ودسامة المادة ، والحرص على التمسك بأهداب الدين الحنيف ، وتخليص الوطن العزيز من براثن المغتصب الأثيم ، وقد توقفت الجريدة فى ٢٦ ذى الحجة عام ١٣٠١هـ الموافق ٢٦ اكتوبر عام ١٨٨٤ ففقدت الصحافة نجما زاهرا زاهيا فى سمائها ، ومشعلا متألقا هاديا فى فضائها يهدى المسلمين الى حقائق دينهم ، ودقائق شريعتهم الغراء ، وإلى حب أوطانهم وفدائها بالمهج والأرواح .

دكتور

جمال الدين الرمادى

الفنون الشعبية في العصور الإسلامية

للأستاذ عبد المجيد وافى

فى تاريخ مصر حضارات متعددة ، تركت أثرها واضحا فى حياة الشعب المصرى، وعاداته وفنونه ، وإن اختلف ذلك الأثر باختلاف الظروف التى لابست كلا من هذه الحضارات.

فالحضارة الفرعونية عمرت قرونا طويلة بقيام دولها ، واستمرت باستمرارها ، وتأثرت بضعف الدولة وقوتها ، فازدهرت بازدهار العصر ، وانحطت بانحطاطه ، حتى إذا انتهى عهد الفراعين ، خلفهم البطالمة متمسحين فى التاريخ الفرعونى وثقافته وفنونه إلى أن أطبق الفتح الرومانى على هذه البقايا

ولم يؤثر العصر الرومانى على هـذا البلد ، بقدر ما أثرت العقيدة المسيحية التى صاحبت ذلك العصر فى حياة الشعب وفنونه .

ودخل المسلمون مصرفا تحين ، على أنقاض الحكم الرومانى ، ولم يمض طويل زمان حتى كان أثر المسلمين واضحا فى حياة الشعب وعاداته ، التى أخـذت تتطور وتتغير مع العقيدة الجديدة .

* * *

والذى يهمنا أن ننظر إليه خلال هـذه الحضارات المتعاقبه هو أثر العقيدة فى حياة الشعب وتعبيره الفنى ، فالفن مرآة تبين مدى انطباع الشعب بالحضارات وانعكاسها على أعماله .

* * *

والناظر إلى آثار المصريين القدماء ، يرى الفن باقيا خالدا خلود المواد التى شيدت منها هذه الآثار ، ولـكنه فن رسمى ، فن يعبر عن رأى الحاكم لا رأى الشعب ، ويمثل سيطرة الهيئة الحاكمة على الاتجاهات الفنية ، والتى تجعل الفنان يسجل ما يخلد تاريخ الملك وفتوحاته ، والعقيدة التى يوجهها الـكهنة من وراء العرش .

وليس ذلك القـول من باب الطعن على الفنون المصرية القديمة ، بقدر ما هو إقرار بما نقله التاريخ ، لأن روعة الفن المصرى القديم ، ليست مجال البحث ، ولا محور جدال ، فقد سلمت بعظمتها الأجيال المتعاقبة ولـكن جهد الفنان مهضوم فى ثنايا المدرسة أو الأسلوب الغالب على فن الدولة ، إلا من نوادر وجدت فى حفريات بعض المراكز التى اشتهرت بالانتاج الفنى ومراسم الفنانين ،

حيث عثر على قطع من الفخار عليها خطوط حرة عن الأثر المدرسى ، ولم تحمل ما ينسبها إلى صاحبها من سمات أو علامات .

ولم تترك هذه الأعمال الفردية أثرها فى الاتجاه الفنى ، بل إن الأعمال التى اتسمت بطابع الحاكم والدولة والأعمال الفردية التى أشرت إليها ، لم تترك أثرا فى المجال الشعبى ، أو كانت من التفاهة بحيث لم يتمكن التاريخ أن يحفظ لنا ما يدل على أن عامة الشعب قد انطبعوا بها وظهرت فى ثنايا حياتهم فنونا شعبية ، عليها أثر انفعال الشعب ، واختصاصه نفسه بلون من ألوانها

بينما يظهر الفرق واضحا ، حينما ننتقل إلى الآثار الباقية من عصر المسيحية . فإن عامة الناس قد تأثروا بالعقيدة فى هذه المرحلة ، حتى لم يقتصر الانفعال الفنى بالعقيدة على طبقة الحاكم ومن حوله ، بل تخطى الطبقة الراقية إلى عامة الشعب الذى أخذ يختص نفسه « بالأيقونات » وصور العذراء والعائلة المقدسة والقديسين ، بل لقد وجدت صورة العذراء والسيد المسيح على درجات متفاوتة من الإتقان والضعف ، وتغير الملامح ، باختلاف اليد التى رسمت والبيئة التى عاشت فيها هذه الأعمال الفنية .

ويلاحظ أيضا أن أثر العقيدة المسيحية فى الفن الشعبى المصرى لم يتعد المجال الدينى ومطالبه

ولما دخل الإسلام مصر فى أعقاب الحكم الرومانى لم يحاول أن يفرض فنا ولا رأيا ، وإنما ترك كل ما وجده على ما هو عليه ، احتراما لعقيدة الذميين وعاداتهم النابعة من تلك العقيدة .

ولم تمر فترة طويلة حتى انتشر الإسلام بين الشعب ، وأصبح العقيدة السائدة بين أغلبيته ، ومع هذا الانتشار أخذ الأثر العقيدى يظهر فى حياة العامة وعاداتهم ، ويطغى على كل أثر آخر ، وأوضح ما ظهر هذا الأثر فى الفنون .

ولن أبحث فى مصادر إلهام الفنى ولا فى طرزه فى هذه الفترة ، ولا فى اقتباسات الفن الإسلامى من الفنون المعاصرة يومئذ ، ثم استوائه واستقلاله .

ولكن الذى أريد أن أوضحه هو أن اتجاه الفن نزل إلى مستوى العامة ، وطرق مجالات كثيرة غير المجال الدينى ، تداخلت مع كل مطالب الحياة ، وتغلغلت إلى أعماق حياة الشعب .

وقد حفظت المتاحف الكثير من أمثلة هذا التغلغل ، فى كل ضرب من ضروب المتعة أو الحاجة الضرورية من رسوم الخلفاء والحكام وزينة القصور والدور والمساجد إلى حاجات المرأة فى البيت وأدواتها .

وهذا بالطبع متوقع كأثر من آثار عقيدة انطبعت بها الحياة والبيئة .

ولكن الذى أحب أن ألفت إليه النظر هو انفعال العامة بذلك بدرجة جعلت أثره يظهر فى المواسم والأعياد العامة والخاصة ، فلقد ظهر بين أفراد الشعب ، وفى مختلف الحرف فنانون استغلوا المناسبات الدينية إلى جانب المناسبات العامة فى هذا الانتاج .

فالفنان الشعبى فى مصر قد احتفل منذ ثمانية قرون بالمولد النبوى ، وصنع فى تلك المناسبة الصورة الفنية الساذجة ، ورغم طول القرون فقد بقيت بصورتها إلى العصر الحاضر محتفظة بطابعها ، ولم تتأثر بالحضارة المعاصرة فى أصلها وطابعها المميز ، وإن تأثرت بالنوع .

فالعروس من الحلوى والحصان والمنبر والمسجد ، ما تزال كما كانت ، وإن جد عليها المدفع والجندى والطائرة مع الاحتفاظ بالخصائص الفنية .

والفنان الشعبى قد سجل عودة الحجاج على واجهات المنازل ، وبالغ فى تصويره لمشاق الرحلة على الجمال وفى القوافل ، واستمر يسجل هذه الصورة حتى جاء عصر الباخرة والقطار والطائرة ، فرسم ذلك كله بنفس السذاجة ، ولم ينس أن يضع الجمل إلى جوارها كرمز لأصل الرحلة .

ونفس الفنان هو الذى اتجه بفنه - عندما دعت الحاجة - إلى تسجيل الأفراح وحفلات العروس على جدران بيت العروس بأسلوبه الخالى من احترام الأبعاد وتحقيق المستويات والأعماق .

وهو الذى سجل مغامرات الزناتى ، وأبى زيد الهلالى ، ومعارك عنترة ، ولم ينس الإمام علياً وسيفه ذا الفقار ، وعزيزة ويونس ، وأساطير الشعب التى احتفظ بها الأدب الشعبى عصرة حية على مر العصور ، وقام الفنان الشعبى بواجبه فى تقريب صورتها إلى خيال الشعب .

* * *

لم يخرج الفن الفرعونى إلى عرض الشارع ، بل ظل فى المعبد ، ولكن خرج الفن فى العصور الإسلامية المختلفة ، ولم ينتقل الفن من الخير الدينى وانفعلات المؤمنين بالعقيدة المسيحية فى تلك الفترة من تاريخ الحضارة المصرية .

والفن فى ظل العصور الإسلامية - على الرغم من الفكرة الشائعة عن تحريم الإسلام لأنواع معينة من الفنون - قد خرج إلى مستوى العامة وانبث فى زوايا كثيرة من جوانب الحياة .

وإن كانت بيوت القادة والحكام فى تلك العصور قد حفلت بالكثير من الجهد الفنى

(البقية على صفحة ١٢٤١)

عاد الشعر في العالم كما بدأ

بقلم : أحمد حسن الزيات

بدأ الشعر غنائيا فى كل أمة تهيأت له بحكم الفطرة وفعل الإقليم . والمراد بالشعر الغنائى ما يقـوله الشاعر تعبيرا عن خوالج نفسه ، وتصويرا لمدارك حسه ، وتسجيلا لخواطر ذهنه ، كالغزل والمدح والهجاء والرثاء والفخر والوصف والعتاب والشكوى مما لا يخرج عن شخص الشاعر ولا يدخل فى شأن غيره . أما نسبته إلى الغناء فلأنه كان فى الدهر الأول ينشد على القيثار فى المعابد تسبيحا للآلهة وتأثيرا فى الناس ، وكان الكهان وهم الشعراء الأولون يتخيرون لأناشيدهم اللفظ المصون العذب ، والأسلوب الجميل الفخم ، ليكون الكلام الذى يرفع إلى السماء أسمى وأجل من الكلام الذى يقال للأرض .

فلما انتقل الشعراء من المعابد إلى القصور ، ومن مدح الآلهة إلى مدح الملوك ، احتفظوا للشعر بلغته الخاصة وعبارته المختارة وإنشاده الموقع ، فظلوا ينشدونه فى المحافل والمجامع بلحون تختلف باختلاف البحور وتتفاوت بتفاوت الحناجر ، وقد سموا الأعشى صناجة العرب لحلاوة صوته وحسن إنشاده . واستمر ذلك دأبهم بعد الجاهلية فكان الشاعر ينشد قصيدته قائما بين يدى الخليفة أو الأمير ، فإذا لم يكن حسن الإنشاد اقتنى غلاما رخيم الصوت ليقوم عنه به . وقد قالوا إن الرشيد كان يطرب للإنشاد أكثر مما كان يطرب للغناء .

ونشأة الشعر فى المعبد وصلته بالغناء يتفق فيهما كل شعر فى كل أمة ، ولا يزال الأوربيون يقولون كما كان يقول الإغريق والرومان والعرب ، أنشد الشاعر شعره أو غناه ، ولا يقولون ألقاه أو أداه .

* * *

ثم انتقل الشعر مرة أخرى من القصر إلى المدينة ، وخرج الشاعر من دنياه إلى دنيا الناس ؛ وكانت الآلهة قد صنعت الخوارق ، والأبطال قد أتوا بالمعجزات ، فنسجت حولهم الأساطير ، واستفاضت عنهم الأحاديث ، وتناقلتها الأفواه جيلا بعد جيل ، فجاء الشعراء فنظموا هذه الوقائع ملاحم وأنشدوها الشعب ليذكروه بأمجاد قومه ويثقفوه بسير أبطاله . وهذا هو الشعر القصصى ، ومنه فى تاريخ الأدب العالمى : الإلياذة لليونان ، والإينياد للرومان ، وماهابهاراته للهند ، والشاهنامة للفرس ، وسيرة بنى هلال للعرب ،

والملهاة الإلهية للطليان ، والفردوس المفقود للانجليز ، وهنرياد الفرنسيين .

ثم انتقل الشعر مرة أخيرة من الخيال إلى الواقع ، ومن الكلام إلى الحركة ، ومن المدينة إلى المسرح ، وكان الفكر الإنسانى قد نضج ، والأثر الفلسفى قد شاع ، والنظام الاجتماعى قد تعقد . فاتخذ الشعراء ، القصص الشعرى وسيلة للإصلاح بتمثيل أبطال القصة على المسرح وجعلهم يقولون بألسنتهم ويعملون بأيديهم ما رواه القصاص عنهم ، ابتغاء تقوية النفوس المريضة بالعواطف النبيلة والمثل العليا كما فى المأساة ، أو تقويم المعوج من الأخلاق والعادات باتخاذ أهلها مضحكة للناس كما فى الملهاة ، وهذا هو الشعر التمثيلى .

فأنت ترى ان الشعر قد تطور فى تاريخ الإنسان أطوارا ثلاثة يتطورها كل شاعر فى ذاته وكل شعب فى مجموعه : وهى الغناء المهدهد فى الطفولة ، والقصص الحماسى فى الشبيبة ، والتمثيل الفلسفى فى الكهولة . ففى الأول يتغنى الشاعر بما يلم به ويتخيله ، وفى الثانى يقص ما يسمعه أو يعمله ، وفى الثالث يصور ما يلحظه ويتمثله . ومنبع الأغانى الوهم والخيال ، ومنبع الحماسة العظمة والجلال ، ومنبع التمثيل الحقيقة والواقع . ومظاهرها فى عمر الخليقة هى التوراة والإلياذة وشكسبير ، ولم يمر الشعر بهذه الأطوار الثلاثة مدفوعا بقوة السليقة جاريا على سنة الطبيعة إلا عند الإغريق لأسباب فطرية وإقليمية ، أما عند الرومان ومن خلفهم من الأمم اللاتينية فلم تتم للشعر هذه الأطوار إلا بتقليد الإغريق والأخذ عنهم .

* * *

أما الشعر القصصى وهو يقوم على الأعاجيب والأكاذيب والخوارق فقد كان له بلاغه فى العقول ومساغه فى الأذواق حين كان الناس لا يزالون يعيشون للحرب والحب ، ويفتنون بالبطولة والقوة ، ويصدقون بالهواتف والرؤى ، ويؤمنون بالكهانة والسحر ، ويعتقدون فى الأبطال والملوك . فلما قوى العقل واستبصر الفكر وكشف العلم للإنسان الحديث خبايا الكون وأسرار الطبيعة ، فلم تعد التهاويل تروعه ، ولا الأباطيل تخدعه ، مج ذوقه هذا الضرب من الشعر واكتفى منه بالمأثور عن الأقدمين يقرأه على اعتباره صوراً لعصور تقضت ومشاعر لأمم خلت ، وأصبح من العسير على الشاعر القصصى أن يوفق بين الملحمة المبنية على الخوارق والوهم ، وعقلية العصر القائمة على الوقائع والعلم .

* * *

وأما الشعر التمثيلى ، وهو شعر الأناقة والترف ، فقد كان له فى أوربا نفاق وإشراق أيام كان المسرح للخواص ، لا يشهده إلا الملوك والنبلاء والقادة . وهؤلاء قد فرض عليهم نظام الفروسية فى تلك العصور أن

جمعوا بين أدب السيف وأدب اللسان ، فكانوا يتفاصحون فى الحديث ويتفاخرون بالأدب ويتنافسون فى الشعر ، وأصبح ذلك بدع العصر وهوايته . وفى القرن السابع عشر اشتد التشدق بالفصاحة حتى أصاب جماعة من النساء سخر موليير من حذلقتهن فى ملهاتين من ملاهيه وهما (النساء العالمات) والمتفاصحات.

واستمر إشراق الشعر المسرحى ونفاقه حتى أقبل القرن العشرون وكانت الديمقراطية قد غلبت على المسرح ، والواقعية قد هيمنت على الأدب ، وكان المسرحيون قد فطنوا أخيراً إلى أن شرط الإمكانية فى الشعر المسرحى مفقود ، وأن الناس الذين يمثلونهم أو يمثلون لهم لم يكونوا فى الواقع يتحاورون بالشعر ولا يتجادلون بالمجاز ، وأنهم يكلفون أوساط المثقفين أو أنصافهم شططا بتتبع السياق القصصى بين أوزان الشعر وقوافيه ، وفى غموض لغة الشاعر وتراكيبه ، فاقتصدوا فى تغليب أدب الخاصة على أدب العامة ، وقصدوا إلى تقريب لغة المسرح من لغة الحياة ، فانكفأ الشعر التمثيلى عن المسارح وانزوى فى المتحف الأدبى بجانب الشعر القصصى ينتظر من يخرجه إلى الأدب لا إلى المسرح ، وينشره للقراءة لا للتمثيل .

ولقد جاء دور الأدب العربى فى الشعر المسرحى بعد أن مضى زمنه واضمحل شأنه ، فلم تجد مسرحيات شوقى ولا روايات أباظة شعب أسخيلوس وسوفكليس ، ولا جمهور راسين وشكسبير ، وإنما وجدت جمهوراً خاصته للواقعية وعامته للأمية ، فلم يفهم مرامى البيان فى الفصحى ، ولم يدرك أسرار الجمال فى الشعر ، فخرج من مشاهدتها غائب الرأى والوعى لا يدرى على وجه اليقين أى شىء رأى ولا أى كلام سمع !

إذن لم يبق فى العالم من تراث « أبولون » إلا الشعر الغنائى ، وهو فيض الوجدان ، وعبير الروح ، وأحلام النفس ، وأنغام القلب ، وحُداء البشرية المرفه فى طريق الحياة الوعر ، صفا من شوائب البهيمية فى العصور الطاغية كالمدح الكاذب والهجاء الفاحش والغزل الشاذ ، ثم خلص للتأملات والوجدانيات والوطنيات والأغانى والأناشيد ، وهى علة وجوده وسر دوامه .

وهذا النوع من الشعر هو كما قلت أصل الأنواع الأخرى ، لجذوره ضاربة فى أعماق الأزل ، وفروعه ممتدة فى آفاق الأبد . فهو باق أبداً لأن البواعث التى تستدعيه لا تنقضى ، وهو جديد أبدا لأن العواطف التى تغذيه لا تتقادم .

سيبقى ما دام للشاعر قلب ووجدان ، وسينشد ما دام للمغنى صوت وألحان ، وسيسمع ما دام فى الإنسان نزوع إلى مثل وطموح إلى أمل !

أحمد حسن الزيات

مفردات قرآنية :

مادة الأمن فى القرآن

للأستاذ أحمد الشرباصى

— ٢ —

جاءت مادة « الأمن » فى القرآن الكريم مرات كثيرة ، وتستعمل أحيانا بمعنى الأمن الذى هو ضد الخوف ، وأحيانا تأتى من المادة مشتقات تدل على الأمانة ، وأحيانا تأتى منها مشتقات تدل على الإيمان ، وقد تحدثنا عن « الأمن » من قبل ، ونواصل الحديث عن الأمانة والإيمان .

وردت لفظة الأمانة فى طائفة من الآيات ، كقوله تعالى : « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته » وقوله : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ، وقوله : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، وقوله : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

والأمانة — كما تقول المعجمات — ضد الخيانة ، « والخيانة أن يؤتمن الرجل على شىء فلا يؤدى الأمانة فيه »[1] . ورجل أُمَنَه — بضم ففتح — أى الذى يأمنه كل أحد فى كل شىء[2] .

(١) كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، ص ٣٦٥ .

(٢) القاموس المحيط ، ج ٤ ص ١٩٧٨ .

وقد وردت كلمة « الأمانة » فى آية كريمة فشغلت المفسرين أكثر من مثلها فى آيات أخرى ، وهذه الآية هى قول الله تعالى فى سورة الأحزاب : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » .

تعددت الأقوال فى بيان المراد من « الأمانة » هنا فقال الراغب الأصفهانى : « قيل هى كلمة التوحيد ، وقيل العدالة ، وقيل حروف التهجى ، وقيل العقل ، وهو صحيح ، فإن العقل هو الذى لحصوله تتحصل معرفة التوحيد ، وتجرى العدالة ، وتعلم حروف التهجى ، بل لحصوله تعلم كل ما فى طوق البشر تعلمه ، وفعل ما فى طوقهم من الجميل فعله ، وبه فضل (الإنسان) على كثير ممن خلقه »[1] .

فالراغب بعد أن يورد أقوالا فى معنى الأمانة ، يختار معنى العقل ، ويحاول أن يرجع إليه بقية المعانى ببيان كونها داخلة فيه أو راجعة إليه .

(١) مفردات القرآن للراغب ، ص ٣٤ .

وقد روى - كما فى اللسان - عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما قالا : الأمانة ها هنا الفرائض التى افترضها الله على عباده ، وقال ابن عمر : عرضت على آدم الطاعة والمعصية ، وعُرف ثواب الطاعة وعقاب المعصية . ثم جاء فى اللسان : « والذى عندى فيه أن الأمانة ها هنا النية التى يعتقدها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان ، ويؤديه من جميع الفرائض فى الظاهر ، لأن الله عز وجل ائتمنه عليها ، ولم يظهر عليها أحدا من خلقه ، فمن أضمر من التوحيد والتصديق مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة ، ومن أضمر التكذيب وهو مصدق باللسان فى الظاهر فقد حمل الأمانة ولم يؤدها ، وكل من خان فيما اؤتمن عليه فهو حامل ، والإنسان فى قوله : (وحملها الإنسان) هو الكافر الشاك الذى لا يصدق ، وهو الظلوم الجهول ، يدلك على ذلك قوله : (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما) [1] .

وكأن المراد هنا أن يجعل الأمانة هى مطابقة الاعتقاد الداخلى للعمل الظاهرى والنطق اللسانى ، وكأنه يجعل الأمانة ضدا للنفاق ، وإذا كان الفيروزابادى يذكر فى القاموس أن المراد بالأمانة فى الآية « الفرائض المفروضة ، فإنه ينتقل بعد ذلك إلى ذكر ما يؤيد صاحب اللسان ، فيقول : « أو النية التى يعتقدها فيما يظهره باللسان من الإيمان ، ويؤديه من جميع الفرائض فى الظاهر ، لأن الله تعالى ائتمنه عليها ، ولم يظهرها لأحد من خلقه ، فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة » [1] .

وقد نستطيع أن نلحظ الارتباط بين معنى « الأمن » ومعنى « الأمانة » ، لأن الأمانة توجد أمنا عند صاحبها ، لأنه يستقر بأمانته ومطابقة باطنه لظاهره ، وموافقة اعتقاده لعمله وقوله ، فلا يكون منافقا قلقا مذبذبا ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فيتحقق له الأمن والاطمئنان ، ويزول عنه الخوف الناشئ من القلق والنفاق والتلون ؛ وكذلك يأمن الناس الذى تحلى بالأمانة وحفظ الأمانات ، لأن الأمانة صفة تظهر آثارها فى حفظ الأمانات ، وهى الأشياء الذى يؤتمن عليها : مادية كانت أو معنوية ؛ [2] وفى الحديث : « لا إيمان لمن لا أمانة له » .

---

(١) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٤ طبعة بيروت .

(١) القاموس ، ج ٤ ص ١٩٧ .

(٢) من أنواع الأمانة أمانة المجالس ، ففى الحديث « المجالس بالأمانة » وهذا ندب إلى ترك إعادة ما يجرى فى المجلس من قول أو فعل ، فكأن هذا أمانة عند من سمعه أو رآه . انظر النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٥٠ واللسان ، ج ١٣ ص ٢٢ . طبعة بيروت .

ومن مادة « الأمانة » جاءت كلمة « الأمين » فى طائفة من الآيات . كقوله تعالى : « أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين » وقوله : « إن خير من استأجرت القوى الأمين » وقوله : « إنك اليوم لدينا مكين أمين » وقوله أكثر من مرة فى سورة الشعراء : « إنى لكم رسول أمين » .

والأمين هنا الذى لايخون ولا يخدع ، ومعنى : « وأنا لكم ناصح أمين » : أى عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة ، فما حق أن تتهمونى ، أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه ، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه [1] .

وقد وصف جبريل بوصف الأمين ، يقول القرآن : « نزل به الروح الأمين » ويقول : « مطاع ثم أمين » وجبريل هو أمين الله على وحيه ، وسفيره إلى أنبيائه ورسله . وقد وصف مكان المتقين بالأمين فى قوله : « إن المتقين فى مقام أمين » أى أمنوا فيه من السوء والتعب والألم ، كما وصفت مكة بالبلد الأمين فى قوله : « وهذا البلد الأمين » أى الآمن .

وقد يجوز وصف الله سبحانه بوصف « الأمين » : روى الأزهرى عن حميد ابن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة فى قوله تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة » قال : غشى على عبد الرحمن بن عوف غشية ظنوا أن نفسه خرجت فيها ، فخرجت امرأته أم كلثوم إلى المسجد تستعين بما أمرت أن تستعين به من الصبر والصلاة ، فلما أفاق قال: أغشى على ؟ قالوا : نعم ، قال : صدقتم ، إنه أتانى ملكان فى غشيتى ، فقالا . انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين . فانطلقا بى فلقيهما ملك آخر ، فقال : وأين تريدان به ؟ قالا : نحاكمه إلى العزيز الأمين . قال : فأرجعاه ، فإن هذا ممن كتب الله لهم السعادة ، وهم فى بطون أمهاتهم ، وسيمتع الله به نبيه ما شاء الله ! . فعاش شهراً ثم مات ! [1] .

ويكون معنى الأمين هنا هو القوى ، إذ من معانى الأمين فى كتب اللغة القوى [2] ، وقد يقوى هذا ورود كلمة « الأمين » مع كلمة « العزيز » فى القصة السابقة .

* * *

ومن أصل مادة « الأمن » جاءت كلمة « الإيمان » التى وردت فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى : « ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » وقوله : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » وقوله :

---

(١) الكشاف للزمخشرى ، ج ٢ ص ٦٩ .

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ٢٧ .

(٢) انظر مثلا القاموس ج ٤ ص ١٩٧ .

« إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » وقوله « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم » وورد قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا » عشرات المرات فى القرآن المجيد . . الخ .

وفى القاموس أن الإيمان هو الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة [١] : وحدد الزجاج الإيمان بقوله : الايمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ، ولما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، واعتقاده وتصديقه بالقلب فمن كان على هـــذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك ، وهو الذى يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله فى ذلك ريب [٢] .

وقال الأزهرى : اتفق العلماء على أن الايمان هو التصديق ، قال تعالى « وما أنت بمؤمن لنا » أى ما أنت بمصدق لنا ، وتقول العرب : (ما أمنت أن أجد صحابة) أى ما وثقت ، فالإيمان هو الثقة والتصديق ، وقال الله تعالى : « الذين آمنوا بآياتنا » أى صدقوا بها ووثقوا فيها [٣] . ومن الواضح أن التصديق اطمئنان واستقرار ، وأن الثقة اطمئنان واستقرار ، فارتباط الإيمان بالأمن واضح ظاهر .

(١) المرجع السابق .
(٢) لسان العرب ج ١٣ ص ٢٣ .
(٣) تفسير الطبرسى ، ج ١ ص ٣٧ .

ويقول الطبرسى عن الإيمان [١] : « أما فى الشريعة فالإيمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله تعالى وأنبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار » .

ويعبر ابن قتيبة عن إيمان العبد بالله بأنه تصديقه قولا وعملا وعقداً ، فالعبد مؤمن أى مصدق ، والله سبحانه وتعالى مؤمن ، أى مصدق ما وعده ، أى محققه ، أو هو قابل لإيمانه [٢] .

وقد ذكر بعض الأئمة أن الإيمان أنواع فمن الإيمان تصديق باللسان دون القلب ، كإيمان المنافقين ، يقول الله تعالى : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا » أى آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم ، كما كان من الإسلام انقياد باللسان دون القلب ، ومن الإيمان تصديق باللسان والقلب ، يقول الله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » كما كان من الإسلام انقياد باللسان والقلب .

ومن الإيمان تصديق ببعض وتكذيب ببعض ، قال الله تعالى : «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » يعنى مشركى العرب ، إن سألتهم من خلقهم قالوا : الله ،وهم مع ذلك يجعلون له شركاء ، وأهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل والكتب ويكفرون ببعض

(١) المرجع السابق .
(٢) تفسير غريب القرآن ، ص ١٠ .

قال الله تعالى : « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » يعنى إيمانهم ببعض الرسل والكتب ، إذ لم يؤمنوا بهم كلهم [١] .

وللإيمان استعمالات يشير إليها الراغب ، فيستعمل تارة إسما للشريعة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، ويوصف به كل من دخل فى شريعته مقراً بالله وبنبوة محمد وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء ، تحقيق بالقلب وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ، ويقال لكل من الاعتقاد ، والقول الصدق والعمل الصالح إيمان ، ويزداد اهتمامنا هنا بقول الراغب فى حديثه عن الإيمان : « إلا أن الايمان هو التصديق الذى معه من [٢] لأن هذا يؤكد ارتباط معنى الإيمان بمعنى الأمن. كما أن الإيمان يرتبط بالأمانة ، لأن « الأصل فى الإيمان كما يقول ابن منظور فى اللسان — الدخول فى صدق الأمانة التى ائتمنه الله عليها فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه ، فقد أدى الأمانة ، وهو مؤمن ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد الأمانة التى ائتمنه الله عليها ، وهو منافق ، ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب ، فإنه لا يخلو من وجهين : أحدهما أن يكون منافقا ينضح عن المنافقين تأييدا لهم ، أو يكون جاهلا لا يعلم ما يقال له ، أخرجه الجهل واللجاج إلى عناد الحق ، وترك قبول الصواب ، أعاذنا الله من هذه الصفة وجعلنا ممن علم فاستعمل ما علم ، جهل فتعلم ممن علم ، وسلمنا من آفات أهل الزيغ والبدع ، بمنه وكرمه » [١] .

وقد تحدث العلماء كثيراً عن شمول الإيمان للعمل ، وقال الطبرسى : قد روى الخاص والعام عن على بن موسى الرضى عليه السلام أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان ، وقد روى ذلك على لفظ آخر عنه أيضا : الإيمان قول مقول وعمل معمول ، وعرفان بالعقول ، واتباع الرسول [٢] » :

وفى أسماء الله تعالى « المؤمن » كما جاء فى القرآن وهو الذى يصدق عباده وعده ، فهو من الإيمان بمعنى التصديق ، أو هو الذى يؤمنهم فى القيامة من عذابه ، فيكون من الأمان والأمن [٣] . وقال بعض أهل العلم : إن

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٧ .
(٢) مفردات القرآن ص ٣٥ .

(١) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٣ .
(٢) تفسير الطبرسى ، ج ١ ص ٣٨ .
(٣) النهاية لابن الأثير ، ١ ص ٤٣ .

المؤمن فى صفات الله تعالى هو أن يصدق ماوعد عبده من الثواب ، وقال آخرون : هو مؤمن لأوليائه يؤمنهم عذابه ولا يظلمهم [١] وقال ابن قتيبه فيما يتعلق بوصف العبد بصفة المؤمن : « وقد يكون المؤمن من الأمان ، أى لا يأمن إلا من أمنه الله [٢] » فالعبد يصدق ربه فيأمن بتصديقه ، والله يصدق عبده فى هذا الإيمان فيمن عليه بالأمان :

وقد يراد المؤمن الشخص الأمين الذى يأتمنه الناس ، فى الحديث عن ابن عمر قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من المهاجر ؟ . فقال النبى من هجر السيئات . قال : فمن المؤمن ؟ قال : من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . قال : فمن المسلم ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده . قال فمن المجاهد ؟ قال : من جاهد نفسه [٣] .

ومن هذه النصوص والشواهد المتواكبة المتعاقبة نشهد ترابط الفروع الثلاثة لمادة الألف والميم والنون ، وهذه هى الأمن ضد الخوف ، والأمانة ضد الخيانة ، والإيمان ضد التكذيب .

أما بعد فقد قال ابن عباس : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن معنى « آمين » فقال افعل [١] ، وهذا كما يقول ابن فارس : يعود إلى معنى مادة « أمن » الثانى وهو التصديق ، لأنه متى استجاب الله للدعاء وحققه فقد صدقه فهناك تصديق للدعاء بالتحقيق له من الله سبحانه ، ولذلك قال الترمذى : إن معنى آمين : لا تخيب رجاءنا ، وقال جعفر الصادق فى تأويل آمين : قاصدين نحوك ، وأنت أكرم من أن تخيب قاصدا : وقال أبو إسحاق : معناها : اللهم استجب ! .

ونعود فنردد بالدعاء قائلين : اللهم لا تخيب رجاءنا ، اللهم آمين ! .

أحمد الشرباصى

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ص ١٣٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ١٠ .

(٣) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٤ .

(١) تهذيب الأسماء للنوى ، ج ١ ص ١٢ . ونحن نتعرض لكلمة (آمين) لأنها فى الظاهر من مادة « الأمن » .

بمناسبة العيد :

مباهج الحياة .. فى نظر الإسلام

للأستاذ فتحى عثمان

يردف الإسلام صيام رمضان ـ عيد الدستور فى الإسلام ـ بعيد الفطر . . .

ويردف الإسلام أيام الحج فى ذى الحجة ـ عيد الوحدة فى الإسلام ـ بعيد النحر . . .

وينظر الإسلام إلى هذا وذاك على أنه عيد .

عيد فيه معنى البهجة والفرحة ، واللعب واللهو البرىء . . . وإشارة النص إلى أن هذين العيدين بديلان أفضل وأخير ليومين كان العرب « يلعبون » فيهما فى الجاهلية . . . إشارة النص إلى هذا لا تخلو من دلالة معبرة ! !

وهكذا تتعانق شعائر الصيام والحج والتبتل ، مع شعائر الفرح والمرح . . .

إن الحياة فى الإسلام سوية مستقيمة . . . ليس فيها نسك الأعاجم ، وعبوس المتزمتين ، وإضناء الجسد بدعوى ترقية الروح . . .

الحياة فى الإسلام متكاملة . . .

ترضى الجسد والروح ، وتستوعب الجد واللهو ، وتستكمل الحاجات والأشواق ، وتستجيب لضغط الضرورة ودواعى الزينة والجمال والكمال !

* * *

فى القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :

« والخيل والبغال والحمير ، لتركبوها . . . وزينة » ! !

وفى القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :

« يا بنى آدم . . . خذوا زينتكم ، عند كل مسجد » ! !

وفى القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ! !

وفى القرآن الكريم ، نقرأ أن نبيا صالحا من أنبياء الله رضى أن يرسل ابنه الحبيب ـ الذى هو بدوره نبى كريم ـ ليلهو ويلعب :

« أرسله معنا غدا . . . يرتع ويلعب . . . وإنا له لحافظون » ! !

فالإسلام لا يصادر مباهج الحياة ، ولا يحرم طيبات ما أحل الله . . .

والإسلام لا يعرف التقوى المرهقة القاسية :

إنه يفرض الوضوء طهارة ونظافة . . . ثم يردف الحكم بالحكمة . . . « . . . ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

ويفرض الصلاة ... ثم يردف الشعيرة ببيان الغاية « وأقم الصلاة ... إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون » .

ويفرض الصيام ... ثم يقرر أن الأصل هو التيسير « ... يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » .

وأحكام الإســلام ... تختار صاحب « الصوت الجميل » للأذان ، وتفضل « الأحسن وجها » على غيره ممن تتوافر فيهم شروط الإمامة فى الصلاة ! !

* * *

تحدث الإمام الجليل ابن حزم عن سماع الألحان والغناء ، فكان له رأيه الجليل المشهور ، وقد قرر أن « بيع المزامير والعيدان ، والمعازف والطنابير ـ حلال كله ، ومن كسر شيئا ضمنه ... » !!

وهو يناقش مدلول اللهو الذى ذمّه القرآن ، ويقرر أن اللهو فى الأصل مباح ، فيقول فى معرض مناقشة الآية القرآنية الكريمة « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين » .

« ... هذه صفة من فعلها كان كافرا بلا خلاف ، إذ اتخذ سبيل الله تعالى هزوا ، ولو أن امرءا اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله تعالى ويتخذها هزوا — فهذا هو الذى ذمّ الله تعالى ، وما ذمّ قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليلتهى به ويروّح نفسه ، لا ليضل عن سبيل الله تعالى ...

فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية الله تعالى فهو فاسق ، وكذلك كل شئ غير الغناء ! ! ومن نوى ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع ، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه ... كخروج الإنسان إلى مشيانه متنزها ، وقعوده على باب داره متفرجا ، وصباغة ثوبه لا زورديا أو أخضر أو غير ذلك ، ومد ساقه وقبضها ، وسائر أفعاله ... ! ! » .

وروى فى حياة رسول الله ... أتقى الخلق لله وأعبدهم له ، هذه الروائع : فى الصحيحين عن عروة بن الزبير عن عائشة قال : دخل على رسول الله فى يوم عيد ، وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه . فدخل أبو بكر فانتهرنى وقال لى : أمزمار الشيطان عند رسول الله ؟ فأقبل عليه رسول الله فقال دعهما ... وعلق ابن حزم على هذا الحديث « فصح أن الغناء

مباح مطلق لا كراهية فيه ، وأن من أنكره فقد أخطأ بلا شك ، ! !

وهو يروى أيضا من طريق مسلم عن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة ، قالت : جاء حبش يزفنون (أى يرقصون) فى يوم عيد فى المسجد ، فدعانى النبى حتى وضعت رأسى على منكبه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التى انصرفت عن النظر ! !

ودلالة هذه النصوص واضحة . . .

والذى يعنينا من رأى ابن حزم بصفة خاصة فى هـــذا المقام ، نظرته إلى اللهو ، وتصنيفه لأنواعه وحكم هذه الأنواع ما بين الحل والحرمة .. فأيا كان رأيه فى السماع ، فإن فى تفرقته بين اللهو المباح والمحرم ، وتقريره الأصل فى الإباحة ، انتصاراً للفطرة ، وإبرازاً لروعة أحكام الإسلام ، ودلالة على حسن الفقه فى دين الله !

* * *

وتأتى الأعياد فى الإسلام . . . تقريراً وتوكيداً لبهجة الحياة ! فيها يأخذ المسلمون زينتهم ... ويعلنون بهجتهم ! . وفيها يتجمعون... ويتزاورون!. وفيها يفرحون... ويمرحون ! !.

وهذه البهجة فى العيد مقدسة بأمر الله .. كما أن الصوم فريضة بأمر الله ، وكما أن الجد فى مواضعه مطلوب بشرع الله ! .

والصيام يوم العيد حرام ...

واستثارة الأحزان يوم العيد حرام ...

إن الله يُعبد بإشاعة الفرح والسرور ، كما يُعبد بالجد فى معالى الأمور ! .

ولكن المسلمين غفلوا عن هـذه الصورة البهيجة فى دينهم ، فقتمت حياتهم ، وغدا الناس يرون أنفسهم بين أمرين : حياة كالحة ثقيلة باسم الدين ، أو حياة منطلقة معربدة تتحلل من كل القيم ! .

ولو أنصف دعاة الدين فى عرض دينهم .. لعرضوه متكاملا ، وأبرزوا وفاقه مع الفطرة والحياة ...

إن عبد الرحمن الكواكبى يبرز آفة التزمت والتشدد ويحذر منها فى كتابه « أم القرى » : « ... وهكذا بالتمادى عظم التشديد فى الدين، حتى صار إصراً وأغلالا ... فكأننا لم نقبل ما من الله به علينا من التخفيف ، فوضع عنا ما كان على غيرنا من ثقيل التكليف ... « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » - فإذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ما وضع لنا من الحدود ، فما معنى نظرنا الفضيلة فى المزيد ؟ » .

أيها المؤمنون :

إن كتابكم قد لفت أنظاركم إلى الكون وروائعه ...

وقد زكى فيكم إحساس الشعور بالجمال وبدائعه ...

وقد فتح أعينكم على نعم الله عليكم فى أنفسكم وفى دنياكم ...

فاعبدوا الله بالإفادة من نعمه ، والمتعة بطيباته ، والبهجة بالحياة السوية والفطرة المستقيمة وأعلنوا الفرح المقدس بالعيد ، كما أعلنتم « الصبر » المقدس بالصيام ! .

« فأقم وجهك للدين حنيفا ... » .

فطرة الله التى فطر الناس عليها ...

لا تبديل لخلق الله ...

ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

فتحى عثمان

بقية المنشور على صفحة ١٢٢٨

الرفيع فى صورة زخارف أو كتابات أو أنواع من الخزف المسطح على الجدران ، أو الآنية بين خزف ونحاس أو أقمشة وسجاجيد .

فقد وجد الفن مجاله بين العامة وفى بيوتهم على صور وهيآت مختلفة ، ولم تقتصر على مناسبة دينية ، أو مناسبة عامة أو خاصة .

ولم يتحرج الفنان الشعبى أن يحرك صوره ونماذجه ورسومه ، ويحررها من القيود التى أملاها الاتجاه المدرسى لفن الدولة - فى الفن الفرعونى - أو قيود الوقار الدينى - فى الصور المسيحية - كما امتاز عمله بتنوع الموضوع وتعدد الاتجاه .

وهذا نرى أن الفن الشعبى لا يكاد يظهر فى العصر الفرعونى ، ويظهر محدوداً بالحيز الدينى فى العصر المسيحى ، وانطلق غير مقيد واضحا متعدد الاتجاهات فى ظل الحضارة الإسلامية .

عبد المجيد وافى

المدرس بمعهد القاهرة

ابتداء القراءة بالبسملة فى غير أوائل السور

للأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم

دعانى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ما نشر على صفحات مجلة الأزهر الغراء فى العدد الماضى تحت عنوان « قراءة القرآن من أواسط سوره » ، وهو بحث قرآنى يدور حول رياض القرآن الكريم فعلينا أن نتحرى فيه الدقة الفائقة والاستقصاء التام والدراسة الواعية وأن نتناول الموضوع الدينى من جميع أقطاره حتى يبدو على مرآة البحث مقنعا كاملا واضح المعالم خاصة إذا ترتب على نتيجة البحث حكم عملى يهم المسلمين فى أنحاء العالم كله .

ذكر الكاتب أدلة المثبتين للتسمية قبل تلاوة القرآن فى غير أوائل السور وخرج الحديث الداعى للتسمية « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » وبين درجة الإسناد فيه وأنه لم يصل إلى درجة التواتر والشهرة .

ثم فكر علام اعتمد الصوماليون فى طريقتهم من الاستعاذة ثم القراءة مباشرة من غير التسمية بخلاف المصريين فاهتدى إلى الدليل القاطع الذى سماه نصا فى الدلالة على عدم التسمية فى غير أوائل السور .

« فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » فهذا فى معرض البيان لأسلوب البداءة حين القراءة يعنى الحصر فى الاستعاذة والاقتصار عليها دون التسمية إذ من المقرر فى علم الأصول « أن الاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر » فزيادة التسمية زيادة على نص قرآنى والزيادة على النص القرآنى نسخ والنسخ لا يجوز إلا بمتواتر أو مشهور ولولا هذا النص لكان رأى القائلين بالتسمية سائغا .

وأقول إن من القواعد المقررة فى علم الأصول « الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال » .

وقد قال بعض العلماء « إن منطوق الآية من غير تأويل يقتضى القول بالاستعاذه بعد القراءة » وهذا طبعا يخرج المقام عن أنه مقام ابتداء للقراءة ومهما قيل فى هذا الرأى فهو احتمال يتمشى مع النظم القرآنى والمعنى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بعد قراءة حتى لا يوسوس لك الشيطان بعدم الفائدة من قراءتك .

وعلى رأى أكثر العلماء من أن المقام هو الابتداء أى إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ الخ : فهنا يتحتم علينا أن نبحث الفرق

بين الاستعاذة والتسمية فمن المعلوم أن الاستعاذة بالاتفاق ليست بقرآن أما بسم الله الرحمن الرحيم فالاجماع على أنها آية من سورة النمل وهى آية من كل سورة عند ابن المبارك وهى فى الفاتحة آية عند الشافعى ، وفى أحد قوليه أنها آية من كل سورة وأما مالك فقال ليست بآية لا فى الفاتحة ولا فى غيرها — وما دام الاجماع منعقداً على أنها آية من سورة النمل بالاتفاق فهى على أى حال آية قرآنية فى أوائل السور وفى غيرها ، وإنما الخلاف ينصب على أنها هل تعد ضمن آيات كل سورة أو هى آية واحدة فى القرآن توجت بها رءوس السور فلا تعد إلا ضمن آيات النمل — بعد كل ذلك نقول : وإذا ثبت أنها آية قرآنية فلا يقال لم اقتصر النص القرآنى فى الآية على الاستعاذة ولم تذكر التسمية لأن معنى الآية فإذا قرأت القرآن الصادق بالتسمية وبما يماثلها من آيات قرآنية فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

وأظن بعد ذلك أننا لسنا أمام نص قرآنى قاطع بعدم التسمية وأننا معافون من النتائج المترتبة على معارضة النص وبناء على ذلك من الممكن أن تكون أدلة المثبتين سائغة .

وإذا كانت الحكمة الداعية للاستعاذة قطع وساوس الشيطان والهواجس النفسية التى تتزاحم على رأس القارىء إبان التلاوة فلتكن هى الحكمة فى القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ، ولعل اتحاد الحكمة هو ما جعل ابن القاسم رحمه الله يقول إن الاستعاذة « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم [١] » .

وإذا كانت الاستعاذة خصوصية فى ابتداء التلاوة الأمر بها فى الآية كما جعل التكبير خصوصية فى افتتاح الصلاة فما المانع أيضا أن تجعل البسملة خصوصية فى كل افتتاح للتلاوة قياسا على أوائل السور المجمع على كتابتها فى أوائلها وقراءتها فيها تيمنا وبركة واتباعا وقسما .

وإذا كانت البسملة مطلوبة فى أول الأفعال بالنص القرآنى كالنحر وركوب البحر فقد قال تعالى فى النحر فكلوا مما ذكر اسم الله عليه . وفسر اسم الله ببسم الله الرحمن الرحيم، أليس من حقنا أن نفسر اقرأ باسم ربك : اقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم . ونستأنس بما لهذه الآية من منزلة ومكانة عن البدء بها فى أول كل سورة عدا براءة لأنها متممة لسورة الأنفال أو لأنها سورة السيف .

واستحضر معى قصة سفينة نوح وهى تحمل المعمرين إلى الدنيا أنه أمر جليل ، لذا ذكرت التسمية « وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها » فإذا طلبت فى بدء الأفعال فقراءة القرآن من اى نقطة أولى وأجل ، وهذا يوافق معنى الحديث : كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع .

(١) أنظر سنن ابن ماجة جـ ١ صـ ١٣٩ وسنن أبى داود جـ ١ صـ ٧٧ .

وإذا استعرضنا المناسبة التي ذكرت فيها بسم الله الرحمن الرحيم في سورة النمل نجد ملكة سبأ تحكى لأشراف قومها مضمون كتاب سيدنا سليمان ، وقد بدىء بالتسمية « قالت يأيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم » مكرم مختوم ، ولم تذكر صورة الكتاب ، وإنما اقتصرت على ما فيه الفائدة ، لشدة معرفتها وبلاغتها « إنه من سليمان » المرسل سليمان « وإنه » أى مضمونه الآتى « بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين »

حكاية الله لنا أن سليمان ابتدأ كتابه للملكة بيسم الله وذكر الله لنا ذلك فى وسط السورة وبين ثنايا الآيات ، أليس فى ذلك ما يطمئننا حينما نقرؤها فى ابتداء الآيات ويجعلنا نحلى بها جيد كل ابتداء للتلاوة .

وانظر معى إلى مناسبة آية الاستعاذة عما قبلها من آيات : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » نجد أن حكمة التفريع على ما قبلها كما ذكرت التفاسير أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال فطلب الاستعاذة عند قراءته ليحفظ من الضياع المترتب على وساوس الشيطان ، والمعنى إذا علمت مما تقدم أن أعظم الجزاء لمحاسن الأعمال فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن الذى هو أحسن الأعمال وأزكاها . وبناء على ذلك نقول : إذا ثبتت التسمية فى بدء الأعمال كما تقدم ، فإن أزكى الأعمال البدء فى التلاوة سواء من أوائل السور أو من غير أوائلها مما جملته بدأ لقراءتك ما دامت القراءة من غير أوائل السور جائزة ومن أحسن الأعمال .

وبعد فما أوردنا نستطيع أن نقول : حتى لو أسقطنا من حسابنا الاستدلال بالأحاديث الداعية للتسمية وقول الكثير من العلماء والقراء .

إن البسملة فى غير أوائل السور ليست معارضة لنص قرآنى ، وإن البسملة بعد الاستعاذة فى غير أوائل السور أشبه ما يكون بالحق وأقرب إلى الصواب اليمن والبركة ، والقياس على ما علمنا من الأعمال والقياس على أوائل السور .

وعلى القراء أن يصدحوا بها وهم مطمئنون فهى آية أمام الآيات لها ميزتها الخاصة مما جعلها تتكرر فى بدء كل سورة ، ولا لوم إذاً على من لم ينكرها من العلماء الأزهريين طوال هذه السنين ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

الحسينى عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق

أصالة الفقه الإسلامي

للأستاذ علي العماري

كتب أحد العلماء بحثا في صحيفة يومية جاء فيه فقرة عن الفقه الإسلامي يقول فيها : « وهناك طريق آخر تسربت منه هذه الفتوى التقليدية - يريد الحكم بقتل المرتد عن الإسلام - وأعني به طريق تقاليد الدولة البيزنطية المسيحية التي تأثر بها المسلمون وفقهاؤهم في العصر العباسي ، وقد كانت هذه التقاليد ، وما زالت تقضي بقتل المسيحي إذا هو غيَّر دينه كما حقق ذلك العلامة (آدم متز) ص ٥٦ من كتابه الجليل (الحضارة الإسلامية) » .

وهذه شنشنة نعرفها من أخزم ، فالمستشرقون يحاولون جاهدين أن يسلبوا أسلافنا كل فضيلة ، وأن يشككوا في تراثنا كله ، والمستغربون وأشباههم من أبناء أمتنا يريدون أن يقشبوا أن لم يكونوا مثلهم ، وعند هؤلاء وهؤلاء أن العرب أضيق أفقا ، وأضعف عقولا من أن يدونوا علما ، أو يقعدوا قواعد ، ولو كان لهذا العلم أصوله النازلة من السماء .

فالبلاغة من أرسطو ، وشيخ البلاغيين عبد القاهر قد أنفق جهداً صادقا خصبا في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول ، ولم يكن عندما وضع في القرن الخامس كتاب (أسرار البلاغة) المعتبر غرة البيان العربي إلا فيلسوفا يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه ، فالبيان العربي في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا ، وبالبيان اليوناني أخيراً ، وإذاً لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان .

هكذا يقول شيخ المستغربين ، فهو لم يكتف بتأثر البلاغة العربية في طور من أطوارها بالبيان اليوناني ، بل جعلها وثيقة الصلة بهذا البيان في جميع أطوارها ، فليس من علماء العرب أحد تكلم في البيان منذ بدأ العرب يتكلمون إلا وهو دارس للفلسفة اليونانية ، هكذا ... والشيخ عبد القاهر لم يكن له أي فضل إلا أنه بذل جهداً صادقا في شرح أرسطو ، فأسرار البلاغة قبس من فلسفة أرسطو ، ودلائل الإعجاز لا يسع من يقرؤه إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو .

وماذا بقي بعد ذلك لإمام البلاغيين ؟ بقي له التوفيق الذي يدعو إلى الإعجاب في محاولته هذه .

والنحو العربى كذلك ليس من وضع سيدنا على بن أبى طالب ولا أبى الأسود الدؤلى لأنهما فيما أعرف لم يدرسا النحو السريانى ، وهذا النحو هو أساس النحو العربى ، لأن تقسيم الكلمة فى النحوين واحد ، والسريان ـ طبعا ـ سابقون ، فمنهم أخذ العرب نحوهم ... ولا شك !

وقد كنا نعتز بجهود فقهائنا . وأمانتهم ، وتحريهم ، ونقول إنهم ـ على الأقل ـ وحدهم من بين علماء العربية الذين اعتمدوا على دراساتهم العربية المحضة . وعلى فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله ، وعمل أصحابه ، ولكن بعض علمائنا ينبهنا ، ونحن غافلون ، نقلا ـ طبعا ـ عن أحد المستشرقين . أو عن جماعة منهم ، إلى أن هؤلاء الفقهاء تأثروا بالفقه الرومانى ، وبتقاليد الدولة البيزنطية ، بل تسربت إليهم بعض الأحكام ، وهم لا يشعرون ، وما داموا كذلك فلا ثقة بما يقولون ، ويجب أن نطرح آراءهم حين نبحث عن الحقيقة ، (والإسلام الأصيل الحقيقى السمح براء كل البراءة من قتل المرتد مسلما كان أو غير مسلم . فلنترك الناس أحرارا فى آرائهم ومعتقداتهم) ـ كما يقول هذا الكاتب ـ وفقهاء المسلمين جميعا راغمون!

هذا هو المنطق الذى يكتب به قوم من أبناء جلدتنا ، يتسمون بأسمائنا ، ويدينون بمعتقداتنا ، ويعيشون على أرضنا .

(كولد زيهير) قال إن الفقه الإسلامى مأخوذ من الفقه الرومانى ، فيجب المصير إلى قوله . لأنه العلامة الأوحد الذى تفضلت به الحياة على الناس ، ولا يمكن أن يرد قوله ، أو تحوم الشبهة حول صحة تفكيره ، وقوة منطقه ، أما الباحثون من المسلمين ، قدامى ومحدثين فلا ثقة بما يقولون .

لقد أثيرت هذه المسألة قبل ذلك فى أوقات متباعدة ، وقد نوقشت وتبين فيها وجه الحق لمن يريد الحق ، ولكن لا بد من جديد ، والجديد عندنا إن وجدنا من يريد أن يقتنع .

أول ما ينبغى أن يعرفه المفتونون بالغرب ، عن قصد أو عن غير قصد أن المستشرقين ـ مهما تذرعوا ، وتظاهروا بحب البحث العلمى ـ هم أعداء ألداء للإسلام ، وللثقافة الإسلامية (ولا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامى وتشويه لمبادئ الإسلام ، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله ، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذى لعبه الإسلام فى تاريخ الثقافة الإنسانية ، إن المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك فى هذا الجانب ، والتفاوت ـ إن وجد بينهم ـ إنما هو فى الدرجة فقط ؛

فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه [1]) .

وجولد زيهر - بالذات - معروف بعدائه للإسلام ، وبخطورة كتاباته عنه ، وهو من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » ودورها فى تشويه الإسلام معروف لكل من طالعها .

وأخطر من المستشرقين - فى نظرى - أولئك المستغربون ، الذين يروجون آراءهم بل ويدافعون عنها ، ويطيلون فى امتداحها .

وهل يمكن أن نجد رجلا يحترم دينه وعقله ، وقد قرأ شيئا عن مصادر التشريع الإسلامى ، وعرف أن القرآن والحديث هما المصدران الوحيدان لهذه الشريعة ، هل يمكن أن يقول هذا الرجل إن الفقه الإسلامى مأخوذ من الفقه الرومانى ، وعلماؤنا الأتقياء الورعون الذين كان بعضهم يتورع أن يفسر كتاب الله برأيه ، وصحابة الرسول الأجلاء الذين أخذنا عنهم كثيرا من تفسيرات شريعتنا ، وكل أولئك كانوا شديدى الخوف أن يقولوا على الله ما لم ينزل به وحى ، أو يتحدث به الرسول الكريم .

إن دعوى أن مسألة من المسائل تسربت إليهم من التقاليد المسيحية البيزنطية دعوى جريئة لا يقول بها إلا من يجهل التشريع الإسلامى جملة وتفصيلا ، فالذى يعرف تاريخ الصحابة ، ويدرس سلوك الأئمة وأخلاقهم يوقن أن هؤلاء لا يمكن أن يعتمدوا أحكاما بعيدة عن الإسلام ، ويدخلوها فى الفقه على أنها من الشريعة ، والذى لا سبيل إلى الشك فيه أنهم كانوا يقفون عند النصوص ، فإذا لم يكن نص اجتهدوا ، واستندوا إلى الأصول العامة فى الدين .

والدارس للفقه ولتاريخ التشريع يعلم أنه بعد عصر الصحابة نشأت مدرستان نما الفقه وترعرع فى ظلالها ، مدرسة المدينة . وعمادها الفقهاء السبعة المشهورون ، وإمامهم سعيد ابن المسيب ، ومدرسة الكوفة وإمامها ابراهيم النخعى الذى ظهرت صورته واضحة فى أبى حنيفة .

أما المدرسة الأولى فقد أسست الفقه الإسلامى ، وكانت تستمد فقهها من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكان مذهبهم اتباع السنة ، ومذهب الصحابة ، وقد بعدت هذه المدرسة عن أى مؤثر خارجى لأنها قامت فى مدينة الرسول ، وكان هؤلاء إذا لم يجدوا نصا فى كتاب الله ولا فى سنة نبيه لجأوا إلى القواعد العامة للدين من مثل قوله صلى الله عليه وسلم : لا ضرر ولا ضرار ، وقوله : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .

---

[1] من محاضرة عنوانها (المبشرون والمستشرقون) ص ١٥ للدكتور محمد البهى .

وأما مدرسة الكوفة ، فمع أنها شهرت بمدرسة الرأى كانت تأتم فى عملها بجماعة من الصحابة أشهرهم ابن مسعود ، وقد أدرك إمامها وهو النخعى جماعة من الصحابة منهم أبو سعيد الخدرى والسيدة عائشة — رضى الله عنها — وكانت هذه المدرسة كذلك إذا لم تجد نصا لجأت إلى الرأى ، ولكنها عنيت بالتعليل ، على أنه إذا ثبت عندها النص لم يتركوا العمل به ولو خالف الأصول العامة ، وأبو حنيفة الأستاذ الثانى فى هذه المدرسة كان من العلم والفقه والورع على ما كان ، وقد شهد له الإمام الشافعى شهادة جليلة ، حيث قال : « من أراد أن يفتن فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق ، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبى حنيفة » . وكان أبو حنيفة يأخذ بخبر الآحاد إذا لم يخالف السنة المشهورة ولم يسبق طعن أحد من السلف فيه ، ولم يخالف العمل المتوارث بين الصحابة والتابعين.

فى هذه الفترة تحددت كل أصول التشريع ، وكان عمل الفقهاء فيما بعد التفريع والتعليل ، فهل يمكن أن يقال إن الفقهاء الإسلاميين أخذوا فقههم من أى فقه آخر .

على أن الأوزاعى الذى يجعلونه مظهرا لتأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى ، لأنه عاش فى الشام ، وكان أهل الشام يعملون بمذهبه ، هذا الامام كان من رجال الحديث الذين يكرهون القياس ، على أن مذهبه قد اضمحل وذهب ، وذهب معه كل أمل فى البحث عن أثر الحقوق الرومانية فيه إن صح أن لها فيه تأثيرا [1] » .

وإذا كان لابد لنا من الاستعانة بما كتبه العلماء الذين درسوا الفقه الرومانى بجانب دراستهم للفقه الإسلامى ، فإننا نثبت هنا كلمتين لعالمين كبيرين . قال معروف الدواليبى : « إننا إذا نظرنا إلى هذه الدقائق التاريخية وجدنا عندئذ دعوى المستشرقين عبارة عن فرضية مجردة من كل دليل ، ومتنافية مع الوقائع التاريخية ، وهذا ما يجردها بعد اليوم من كل قيمة ، ولم يجد الفقه الإسلامى فى سورية موطنا ملائما للتوسع والرقى ، والاقتباس من الحقوق الرومانية ، يقول ذلك لأن سورية - كما يرى - لم يكن لها أى تأثير فى تطور الحقوق الإسلامية ، ولم يعرف عنها أنه نشأ فيها مذهب من مذاهب الفقهاء الأحرار ، لأن سورية فى عهد نشأة الحقوق الإسلامية كانت تحت سيطرة مذهب المحدثين المقلدين للفقه الاسلامى على ما هو عليه فى الحجاز ، وكما جاءت به نصوص

[١] الحقوق الرومانية وتاريخها ص ٥٣ لمعروف والداليبى .

الكتاب والسنة [١] ، هذا والكاتب سورى فقول فى هذه المسألة فصل .

وقال العالم الجليل الذى أطال النظر والدرس فى الفقه الاسلامى ، وكان حجة فى القوانين الغربية المرحوم الأستاذ عبد الرازق السنهورى . « لن يكون همنا فى هذا البحث إخفاء ما بين الفقه الاسلامى والفقه الغربى من فروق فى الصنعة والأسلوب والتصوير ، بل على النقيض من ذلك سنعنى بإبراز هذه الفروق حتى يحتفظ الفقه الاسلامى بطابعه الخاص ، ولن نحاول أن نصطنع التقريب ما بين الفقه الاسلامى والفقه الغربى على أسس موهومة أو خاطئة ، فإن الفقه الاسلامى نظام قانونى عظيم له صنعة يستقل بها ، ويتميز عن سائر النظم القانونية فى صياغته ، وتقضى الدقة والأمانة العلمية علينا أن نحتفظ لهذا الفقه الجليل بمقوماته وطابعه، ونحن فى هذا أشد حرصا من بعض الفقهاء المحدثين فيما يؤنس فيهم من ميل إلى تقريب الفقه الاسلامى من الفقه الغربى ، ولا يعنينا أن يكون الفقه الإسلامى قريبا من الفقه الغربى فإن هذا لا يكسب الفقه الاسلامى قوة ، بل لعله يبتعد به عن جانب الجدة والابتداع ، وهو جانب للفقه الاسلامى منه حظ عظيم [٢] » .

أعتقد أنه بعد هذا نستطيع أن نؤكد أن الفقه الاسلامى فقه أصيل ، وأن علماءه أدوا الأمانة العلمية على أتم وجوهها ، ولم يكونوا من البلاهة والغفلة بحيث يتسرب إلى فقههم حكم ليس له مستند من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس ، وأن الذين يرددون هذه الأباطيل إنما يخدمون المبشرين والمستعمرين من حيث يشعرون أو لا يشعرون ؟

على العمارى

---

[١] الحقوق الرومانية من صفحات ٥٠، ٥٤، ٥٢

[٢] مصادر الحق فى الفقه الإسلامى ص ٢ ، ٣

التدين ضرورة لحياة الأمم والأفراد

للأستاذ محمود النواوى

إن التدين ضرورة لاغنى عنها للبشر وأن التمسك بشعائر الدين مهما يكن ألزم لصاحبه من التحلل والإباحية مهما تكن ، وهو معنى سليم صادق فإن التحلل من الأديان والإباحية الفاشلة مهما حاول دعاتها أن يدافعوا عن وصماتها . إن هو إلا تنازل عن معنى الإنسانية التى كرم بها الله الانسان وميز من الحيوان فكلفه ووجهه ، وجعله خليفة ، وسخر له الكائنات من حيوان ونبات وجماد .

فالإنسان مهما تكن درجته لا يكون إنسانا إلا بعقل ودين . أما العقل فإنه يتصرف به وينظم به شئون خلافته . والأديان لطف من خالق الإنسان تحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وتخرج الناس من مضايق المشكلات وموالج الشبهات وذلك أن العقلاء يختلفون فى وجهات النظر ، وتقتصر أفكارهم أحيانا حتى يتناقضوا إن العقل مهما تكامل فهو متفاوت النظر قصير الإدراك فى جانب علم الله الذى « لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » قال الله سبحانه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فكان من لطفه وإحسانه أن أرسل الرسل معلمين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وكان من لطفه وإحسانه أن أرسل إليهم الرسل بما يلزم معرفته والإيمان به من علوم السموات والأرض منظمين الحياة للناس فى أسرهم وفى مجتمعهم وفى علاقاتهم كل أمة مع غيرها من الأمم حتى يعيشوا إخوانا متحابين ، ودلوهم على طقوس من العبادة تربطهم بخالقهم حتى تعز نفوسهم ولا تنكس رؤوسهم لغير خالقهم ، يعبدونه لا يشركون به شيئا . ثم كانت هذه الطقوس هى التى تهذب نفوسهم حتى تحسن علاقات بعضهم ببعض . وحتى لا يتحاسدوا ولا يتباغضوا ويكونوا إخوانا متعاونين وإخوة متسالمين . وقد أرادت أن تلزم الناس ذلك. فجعلت لكل إنسان جزاء على ما يعمل : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » حتى يحاسب كل إنسان نفسه قبل أن يحاسب ، وحتى يخاف ربه ويشفق من ذنبه فلا يفعل إلا خيرا . فإن نسى أمر ربه وانحرف عن سبيل طاعته وأساء يوما إلى نفسه أو إلى أخيه ، فإن أمره

فى يسر بلا عنت وإن ربه رحيم به . لا يوصد دونه باب الإصلاح والاستصلاح فليعد إلى ربه وليستغفر من ذنبه والله غفور رحيم .

فمن أبى إلا أن يكون شريراً مفسداً ومعانداً مؤذيا ، فقد جعل له عقوبات فى الدنيا تزجره حتى لا يعود وتزجز غيره حتى يصد نفسه عن الشر . كل هذا ليسود الوئام والحب . ولا يبغى بعض الناس على بعض وتتحقق الخلافة المنشودة .

هذا هو الخلاف بين رجال الدين والمنتسبين إليه وبين غيرهم من دعاة الإلحاد والزندقة الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن التدين بشبهة أنه يخالف المدنية : « ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما اشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

تالله لقد علموا لو كانوا يعلمون أن التدين لا ينافى المدنية الحقة ، فإن المدنية الحقة تقوم على نظام وتآلف ووطنية وصدق ووفاء وأمانة وقوة ودفاع وحرية ونظافة وعمل ونشاط ومعاملة دقيقة رقيقة وعدل وإحسان وكل هذه هى ما يدعو إليه التدين . بل يدور فى محوره . فكل طمع فى حق للناس وكل أثرة وأنانية وكل معاملة غير مرضية ليست تمت إلى التدين فى شىء وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله فى كلمة واحدة (قل آمنت بالله ثم استقم) .

أما إذا كانت المدنية هى الميوعة والخنوثة والعرى وقضاء حق الشهوات الحيوانية فى صور بهيمية فإن الدين لا يرضى ذلك لأنه يعلم ما فيه من وخيم العواقب وما يدعو إليه من العدوان والتنافس وما يوقع فيه من الأنانية التى هى معول التعاون ومصدر الشقاق . فأنبئونى إذن ما عيب الأديان وهى مصدر القوة وأساس التحرر وما عيبها وهى التى تأخذ صاحبها بالخير وتجعل منه ملاكا كريما لا يرجو إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه تجعل منه إنسانا متماسكا يرجى خيره ويؤمن شره . لأن له ضميراً حيا يحمله على الخير ويحول بينه وبين الشر .

إن الإيمان بإله قادر عليهم صانع حكيم مما دلت عليه الفطرة وهدى إليه العقل فقالت به العامة والدهماء بمقتضى فطرهم وسذاجتهم كما قال به الحكماء والفلاسفة على مقتضى أدلتهم ومقدماتهم واستدل الأعرابى بالسماء وكواكبها والأرض ومساكنها على اللطيف الخبير . كما استدل بالبعرة على البعير وبالخطوة على المسير وكما استدل الحكماء على وجود الله بترجيح الوجود على العدم وكل ترجيح لا بدله من مرجح .

ولكن أبى ذلك : « من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا

تذكرون ، وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » .

هؤلاء قوم لا تخلو الدنيا منهم ينبتون فى مختلف العصور نباتا شيطانيا ليرووا شهواتهم وينالوا أقصى متعهم ولذاتهم وقد نظمت الديانة ذلك كله نظاما دقيقا أمينا ولكن إسم التدين قد يزعج كثيرا من النفوس الفارغة والأفراد الفاشلة . والتدين خير لهم لو كانوا يعلمون .

هؤلاء قوم تسللوا من جماعة الإنسانية ليكونوا فى حظيرة الحيوانية وصاروا يدعون الناس بالمغريات ويزينون لهم الشهوات ولم يكونوا شجعانا فى دعوتهم ، ولكنهم نافقوا وصاروا كالشاة العائرة بين الغنمين فانطبق عليهم بالدقة قول الله سبحانه فى كتابه الذى وصف به ضعفاء اليهود يوم جبهتهم دعوة الحق « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » إلى قوله سبحانه « فى طغيانهم يعمهون » .

المجد ما هو إلا مجموعة من الفضائل تتمثل فى رياضة النفس على العدل والإحسان والعفة والنزاهة والصدق والشجاعة والكرامة والأمانة والوفاء وما إلى ذلك من المكارم والدين وحده هو الذى يكفل لمن يتمسك أن يأخذ من هذه الصفات الكريمة فى أسرع وقت وأقرب زمن بأوفى نصيب .

هؤلاء يسيئون إلى أممهم وشعوبهم بمقدار ما تحسن الأديان إلى الناس والمساكين يتجاهلون ما يسيئون ويدعون أنهم يحسنون فهم كما وصفهم الله سبحانه إذ يقول « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم . . الآية » .

ليس مذهب الوجودية الذى دعا به سارتر فى فرنسا فقامت حوله ضجة عالمية بين معزز له ومنكر عليه هو نسيج وحده ولا أول شىء من نوعه .

وإنما هو تمثيل للتحلل الذى ظهر فى فرنسا منذ عهد بعيد . فأضعف شوكتها وقل عزيمتها وأخرها عن مستوى الأمم . وهو تجديد لعهد التحرر الذى مر بفرنسا قبل عهد نابليون ، على أنه تجديد فكل نعرة فاشلة يقوم بها بعض ذوى البطالة من عباد الأهواء والشهوات . يريدون أن يزعموا أنها مذهب وفلسفة . وليس الهدم مذهبا ولا فلسفة وإنما هو هدم لبناء الأمم وتقويض للشعوب .

وإن شئت فقارن بين المسلمين فى ماضيهم وقد اتخذوا الدين إماما وقدوة بينهم فى حاضرهم وقد عرفوا اللهو وأغرقوا فى نسيان القرآن وإهماله وحسبك . أو قارن

بين رجل متدين يخشى الله ويحسن إلى الناس فيعرف ما له وما عليه لا يؤذى ولا يبغى ولا يحسد ولا يحقد ويلجأ إلى الله فى كل أمره ويرضى بقضائه وقدره .

ماذا يكون إنتاجه فى الحياة وكيف تكون علاقته بالناس وقرة عينه بالعيش إذا كان مؤمنا حقا ، وآخر شهوانى طماع لا يعرف إلا الأثرة والأنانية والبغى والتخبط كيف تكون مشاكله فى الحياة ، وقنوطه من رحمة الله ، وشقائه بعيشه وتعاسته فى قومه ، وغير قومه .

ولقد وصف السيد جمال الدين الأفغانى أولئك الماديين وصفا طويلا فى كتابه الرد على الدهريين فكان مما وصفهم به أنهم كثيراً ما ظهروا فى الأمم منذ القدم يتسمون بسيما رفع الظلم ويدعون تطهير الأذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات وتارة يتمثلون فى صور محبى الفقراء وحماة الضعفاء ، وأنهم فى كل صورهم صدمة شديدة على بناء قومهم ، وصدع متفاقم لبنية جيلهم ، وأطال الشيخ فى وصف أمم خضعت للذل وضرعت للضيم بعد العزة التى كانوا ينالونها بقوة المقاومة والاعتزاز بالعقيدة والتمسك بالتقاليد الرفيعة ، وذكر منهم شعب الكرنك وهم اليونان الذين كانوا من أشرف الأمم وأعرقها فثبتوا أحقابا فى مقاومة الفرس وهى أمة عظيمة ذات مجد شامخ فهدموا أركانها ثم مدوا أيديهم إلى الهند فطاولوها ثم ظهر فيهم أبيقور المشهور بمذهبه الإباحى التحللى ظهر هو واتباعه متسمين بسيما الحكماء ينكرون الألوهية ويقولون ما بال الإنسان معجبا بنفسه .

يزعم أنه أشرف المخلوقات ويدعى أن له عوالم نورانية ومعاهد قدسية وحياة أبدية بعد هـــذه الحياة ، ويتمتع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء ، ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف مخالفا لنظام الطبيعة مع أنه لا يمتاز عن سائر الحيوان بمزية ، بل هو أدنى منها جميعها ، وما زال أبيقور وأتباعه بهذه المملكة حتى استعبدوها للشهوات فوقعت أسرى فى أيدى الرومانيين وخاضعة لحكمهم وكبلوا فى قيود العبودية حتى استردوا بعض أخلاقهم فعاد إليهم بعض مجدهم .

والأمة الفارسية . كانت أمة تمجد التقاليد وترعى العهود وتعتز بالصدق والأمانة لأن التقاليد الدينيـــة كانت أساس حياتهم والمسيطرة على مجتمعاتهم فكانوا يؤثرون الصدق إلى درجة أن الواحد منهم لا يستدين مهما بلغت به الحاجة خوفا من الكذب والمطل وخلف الوعد فارتقوا فى الأسباب وبلغوا فى عزة الملك مبلغا عظيما . قال المؤرخ الفرنساوى لونورمان إن مملكة فارس على

عهد داريا الأكبر كانت إحدى وعشرين إيالة واحدة منها تحتوى مصر والقلزم ، وبلوجستان والسند حتى ظهر فيهم مزدك الطبيعي الذى ينكر الإله والرسل على عهد قباذ وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبدأ تعليمه بأن جميع الحدود والآداب التى وضعت بين الناس جور وأن الطبيعة جعلت حق المأكل والمشرب والمباضعة مشاعا بين جميع الناس . فلماذا يحمل الانسان على حرمان نفسه او حرمان غيره من مشاركته ولماذا لا تكون أم الرجل وبنته وأخته كزوجة ولماذا يتركهن لغيره يتمتع بهن دونه وأى خطر حق يستند إليه من يدعى ملكية خاصة فى مال يتصرف فيه دون سواه .

وذاعت هذه الخرافات بين الفارسيين فهتك الحياء وفشا الغدر والخيانة واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت أخلاقهم ونسفت فى الهواء ، وبددت فى الأجواء على أن أنو شروان قتل مزدك وجماعة من أتباعه ولكنه لم يستطع محو هذه الأوهام الفاسدة فى سهولة ويسر فضعفت شوكة هذه الأمة ، حتى إذا ما هاجمهم العرب لم تكن إلا جولة واحدة حتى هزموهم مع أن الروم ثبتوا للعرب أزمانا طويلة .

وإنك لتعرف تاريخك الإسلامى العربى . وما كان العرب فيه قبل إلتزام الدين الحق من فوضى وبغى وعدوان وضعف وخود واضطراب إجتماعى وسياسى مع انحرافهم وتحللهم وأن الشريعة الإسلامية جاءتهم فمكنت من نفوسهم الأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة حتى صارت خير أمة أخرجت للناس وحتى أدخلوا فى دينهم مائة مليون فى قرن واحد من أمم مختلفة .

فلما كان القرن الرابع ظهر الطبيعيون بمصر تحت إسم الباطنية . وذهبوا مذاهب التدليس فى نشر آرائهم ومذاهبهم وأدخلوا من طريق التصوف المدخول . أن الأعمال الظاهرية مفروضة على المحجوبين . وأما الواصل فليس صلاة ولاصوم ولا حج ولاغيرها . وكذلك الحدود والعقوبات وهم يفسرون القرآن على أن له باطنا هو مراد الله سبحانه . ومنهم طائفة الإسماعيلية المارقة من هذا الدين وهى تنتسب إليه زوراً وبهتانا . فهم ينكرون المعلوم من الدين بالضرورة ويعبدون زعيمهم ويحرمون الحلال ويحللون الحرام وقد ظهر بعضهم بآرائهم الإلحادية إذ وقف على منبر المسلمين فى قلعة خراسان فقال : إذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الأعناق ورفعت الأحكام الشرعية جميعها والقيامة عبارة عن قيام القائم بالحق وأنا القائم بالحق . فليعمل عامل ما أراد بعد اليوم فلا حرج . وقد كان هؤلاء من أكبر

العوامل فى ضعف النخوة الإسلامية والتمكين للأعداء. فاختلفوا وسادهم القوم الظالمون وضربوا ما أمكن تخريبه من بلادهم وهم عاجزون عن الدفاع لتفرق قلوبهم وكذلك نال منهم المغول والتتر كل منال. وأهدروا دماء الملايين منهم . وقد كان القليل منهم يهزم الجيوش الجرداء باجتماع كلمتهم وكونهم كالبنيان المرصوص لا يعرفون إلا الطاعة والإنضمام إلى صفوف الجماعة .

على أننا قد بدأنا بحمد الله نستعيد مجد الإسلام والعروبة بفضل الثورة التى قامت على الأثرة والأنانية والطمع القاتل وجاءت بتمجيد الخلق الفاضل الكريم ، وحدت الحدود لكل من تحدثه نفسه بالخيانة أو الغدر أو تلين قناته للمطامع ، ولا غرو فإنك كلما تتبعت الأمم واحدة واحدة وجدت أن النصر والشوكة والعزة والبركة يقترن بالتدين الذى هو خلق متين وسلك قويم . والدين كما قلت : خير محقق لهذا المعنى ولا سيما دين الإسلام الذى يأمر كما شهد له عدوه بمكارم الأخلاق والذى هو المعاملة الكريمة ، ولهذا المعنى كان إنحطاط المسلمين إلى عهد قريب ، وبعد فما هذه النعرات القائمة ، وما هذه الظلمات القائمة كأنكم لا تعلمون . . ذلك التحلل الذى تنحدرون اليه هو أيسر وسيلة يسلكها العدو إليكم ليترككم فى الذل ولينال منكم كل غرض بعد أن يملأ نفوسكم بالمرض.

لقد علم أعداؤكم من دراسات الدول والجامعات أضعاف أضعاف ما تلوت عليكم من أن نجاح الأمم فى التمسك بدينها ، وأن إعراضها عن التدين أهدى سبيل إلى إضعاف شوكتها وتيسير مهمة أعدائها .

ولهذا قال كرومر سابقا ما دام هذا القرآن بين ظهرانى المصريين فلا سبيل لنا عليهم . لأنه رآه يعلم القوة ويدعو إلى العزة ويأمر بمكارم الأخلاق ويربى النفوس على المجد ، فإذا كان وجود القرآن أخافه وأرهبه لأنه سبيل المجد عند الانقياد لحكمه والعمل بما فى تضاعيفه . فكيف إذا عملتم بما فيه واهتديتم بهديه ، فأنى تؤفكون وإلى أين تذهبون ؟؟.

محمود النواوى

أنماط من الأدب العربى الرفيع

للأستاذ عباس طه

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير . ثم أن العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والأخبار والشعر والآثار. فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مأرب ، وقصر مارد وقصر شعوب والأبلق الفرد ، وغير ذلك من البنيان : وتصنيف الكتب أكثر حفظاً للمآثر على مر الأيام والدهور من البنيان لأن البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن إلى قرن ومن أمة إلى أمة ، فهو أبدا جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ فى تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير : وكانت العجم تجعل الكتابة فى الصخور نقشا فى الحجارة وخلقا فى البنيان، كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركبة المشعر وعلى الأبلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون إلى المواضع المشهورة والأماكن المذكورة فيضعون الخط فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مربه ، ولا ينسى على وجه الدهور، ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفزع إلى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع .

ولولا ما رسمت لنا الأوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها لما شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم .

ولو لا جياد الكتب لما تحركت همم العلماء لطلب العلم ونزعت إلى حب الكتب وخرجت من حال الجهل ، ولدخل عليهم من الضرر وسوء الحال شيء كثير .

عن محمد بن الجهم يقول إذا غشينى النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتابا فأجد اهتزازى للفوائد الأريحية التى تعترينى من سرور الاستنباء وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمير فإنى إذا استحسنت كتابا واستجديته ورجوت فائدته لم استبدل عليه عوضا ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقى من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله

وقال ابن راحة كان عبد الله بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة .

وأهدى بعض الكتاب إلى صديق له دفترا وكتب معه : هديتي هذه أعزك الله تزكوا على الإنفاق وتربو على الكر لا تفسدها العوارى ولا تخلقها كثرة التقليب وهي أنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق.

وقال بعض الحكماء : الكتب بساتين العلماء. وقال آخر: الكتاب جليس بلا مؤنة .

وقال آخر: ذهبت المكارم إلا من الكتب.

وقال الجاحظ : « وأنا أقول : الكتاب نعم الذخر والعمدة والجليس ، ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء ملىء علما وظرف حشي ظرفا وإن شئت كان أعيى من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل وإن شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه بالله من ناسك فاتك وناطق أخرس .

ومن لك بطبيب أعرابي ورومي هندي وفارس يوناني ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده ـ وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى ، آمن من في الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ولا أقل إملالا ولا إبرارا ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب، ولا أعم بيانا ولا أحسن مواساة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمراً ولا أطيب ثمراً ولا أقرب تناولا ولا أسرع إدراكا ولا أوجد في كل إبان من كتاب ، ولا أعلم إنتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده .

يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الأزمان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القويمة والتجارب الحكيمة .

ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا وورده نهلا وإن شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك، والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي يوافيك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي لا يستزيرك والجار الذي لا يستبطئك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق، والكتاب هو الذي إذا نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك وفخم ألفاظك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العام وصداقة الملوك، يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر، وهو المعلم إن افتقرت إليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلت لم يدع طاعتك وإن هبت ريح أعدائك لم تتقلب عليك.

وإن أمثل ما يقطع به الفرّاغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر في كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد في تجربة وعقل ومروءة صون عرض وإصلاح دين وتثمير مال، وابتداء إنعام، ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلا منعته لك من الجلوس على بابك والنظر إلى المار بك، مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الرديئة وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والعظة وإحراز الأصل مع استفادة الفرع، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سخف الحديث واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه.

لقد كان له بذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة، وجملة الكتاب وإن كثر ورقه فليس مما يمل لأنه وإن كان كتابا واحداً فإنه كثير في خطابه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير، وقال مصعب ابن الزبير: إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويكتبون أحسن ما يسمعون، فإذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فإنك لا ترى ولا تسمع إلا مختارا ولؤلؤا منظوما.

وقال لقمان لابنه: يا بني نافس في طلب العلم فإنه ميراث غير مسلوب، وقرين غير مغلوب، ونفيس حظ من الناس مطلوب. وقال الزهري: الأدب ذكر لا يحبه إلا الذكور من الرجال ولا يبغضه إلا مؤنثهم. وقال: إذا سمعت أدبا فاكتبه ولو في حائط.

وقال منصور بن المهدي للمأمون: أيحسن بنا طلب العلم والأدب؟ قال: والله لأن أموت طالبا للأدب خير لي من أن أعيش قانعا بالجهل قال: فإلى متى يحسن ذلك قال: ما حسنت الحياة بك.

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

الدين والسياسة فى باكستان

للأستاذ عباس محمود العقاد

كانت تصفية الاستعمار شغلانا جديداً للباحثين فى علم السياسة أو علم الدولة والحكومة ، وهو العلم الذى يبحث فى تكوين الدول وفى العناصر الاجتماعية التى تهىء مجتمعا من المجتمعات لإقامة الدولة أو الحكومة المستقلة فيه .

وقد زال الاستعمار عن بلاد كثيرة كان بعضها خليطا من الشعوب والأجناس والعقائد واللغات والمصالح الاقتصادية والمواقع الجغرافية ، بغير رابطة تجمعها إلى وحدة مشتركة غير سيطرة الدولة المستعمرة عليها جميعاً بسلطان القوة والسطوة ، فلما ارتفعت عنها هذه السيطرة تفرقت فاشتغلت كل منها بسبب من أسباب الاستقلال ، وتجدد البحث العلمى فى عناصر الوحدة التى تصلح لقيام الدولة المستقرة فى وطن من الأوطان .

هل هى وحدة الجنس والعنصر ؟ نعم . قد تكون هذه الوحدة قوام الدولة ولكنها قد تتم فى بلاد ولا تتم فى بلاد أخرى توافرت لها معالم الدولة المستقلة ، كالبلاد السويسرية التى ينتمى سكانها إلى أمم الجرمان والطليان والفرنسيين ويتكلمون اللغات الثلاث ، ويدينون بمذاهب مختلفة من المسيحية.

هل هى وحدة المصلحة المشتركة ؟ نعم أيضا ولكن البلاد قد تتولاها حكومة واحدة وهى فى قطر من أقطارها زراعية وفى القطر الآخر صناعية وفيما بينهما أو فى جوارهما تجارية تتعارض مصالحها المتفرقة فى هذه المرافق ثم تجمعها فوق ذلك مصلحة أعم منها وأدعى إلى الوفاق والاتحاد ، كالولايات المتحدة وبعض الجمهوريات الأمريكية أو الأوربية .

هل هى الوحدة الجغرافية أو الوحدة التاريخية ؟ نعم أيضا ولكن مع الاستثناء الواضح فى كثير من الحالات ، وإن « باكستان » تنقسم إلى قسمين بينهما مئات

الأميال ، والجزر البريطانية وحدة جغرافية متقاربة ولكنها أشتات من المواضى والتواريخ والسلالات البشرية .

هل هى وحدة الدين ؟

لقد سئل هذا السؤال وهم علماء السياسة بالإجابة عليه بالنفى وكادوا ينسبون مطالبة المسلمين من أهل الهند بالاستقلال إلى شذوذ (الرجعية الإسلامية) لولا أن حركة الاستقلال فى الهند كانت مقرونة بظهور اسم إسرائيل فى معترك السياسة الدولية ، فتعذر على العلماء (المنصفين) أن يتهموا إسرائيل بالرجعية الدينية كما شاءوا أن يتهموا بها طلاب الاستقلال من أبناء باكستان ، وتعذر عليهم من الجهة الأخرى أن يفرقوا بين الوحدتين فى المصطلحات العلمية ، فسمحوا بالعامل الدينى مع العوامل الأخرى التى تهىء البلاد لوحدة الدولة أو وحدة الحكومة

ولقد كان مؤسس العلم السياسى ابن خلدون يفطن لهذه العوامل ولا ينسى منها عامل الدين فى مقدمته الوافية حيث يقول عند الكلام على قوة الدين وقوة العصبية : « إن الدعوة الدينية تزيد الدولة فى أصلها ... وإن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذى فى أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار فى أمرهم لم يقف لهم شىء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم ، وهم مستميتون عليه ، وأهل الدولة التى هم طالبوها وإن كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل ... » .

ولكن الباحثين العصريين الذين يذكرون كلام ابن خلدون ولا يهملونه فى هذا الصدد يستشهدون به ثم يعرضون عنه لأنه لم يعمل على « تطوير » هذه الفكرة وإدماجها فى أبواب التقسيم العلمية ، وهكذا صنع الأستاذ ليوناردبايندر Binder : صاحب الكتاب الذى نراجعه فى هذا المقال واسمه : « الدين والشئون السياسية فى باكستان .

Religion and politics in Pakistan

إن الاستاذ (بايندر) مؤلف الكتاب عضو فى قسم الدراسات السياسية المتخصصة لمسائل الشرق الأوسط والشرق الأدنى . وله مباحث يجريها فى البلاد المصرية من قبل معهد روكفلر ، ويظهر من تعليقاته على آراء المختلفين من أصحاب البرامج السياسية والدينية فى الأمم الإسلامية أنه يجتهد فى الحيدة بينها غاية اجتهاده ، فلا يتورط فى العصبية على النحو الذى ينساق إليه خدام التبشير والاستعمار

يرجع المؤلف إلى موقف المسلمين فى الهند من الدولة البريطانية ومن الحضارة الغربية على التعميم ، فيلاحظ الحقيقة التاريخية المتفق عليها ، وهى يقظة المسلمين للدفاع عن كيانهم على أثر الاحتكاك بالسياسة البريطانية

ومظاهر الحضارة الحديثة التى كان لها جانباها من الأثر الحسن والأثر السيء فى التعليم والعادات الاجتماعية .

فاجتمعت كلمة الدعاة المسلمين على وجوب التبديل والإصلاح ، واختلفوا فى المنهج على حسب اختلافهم فى تعليل أسباب الضعف التى أصابت العالم الإسلامى بأسره ، ومنه المسلمون الهنديون .

فالذين عللوا ضعف المسلمين بإعراضهم عن العلوم الحديثة طلبوا الإصلاح من طريق العمل الحثيث على مجاراة الأوربيين فى حضارتهم وضاعفوا السعى إلى هذه الغاية بعد شعورهم بغلبة مواطنيهم عليهم ، لأنهم أقبلوا على التعليم الأوربى فكثر منهم المرشحون لوظائف الدولة والأعمال العامة .

والذين عللوا ضعف المسلمين بإعراضهم عن آداب دينهم وابتعادهم عن منهج السلف فى أخلاقهم ومسالكهم طلبوا الإصلاح من طريق حركة (الإحياء) وهى حركة التجديد الإسلامى بالعودة إلى سنن المسلمين الأولين، وقصروا جهودهم فى إحياء الماضى على تجديد تاريخ السلف الإسلامى دون السلف القريب الذى ارتبط بتاريخ دول المغول .

وقد عصم هذه الحركة أن تكون رجعة إلى الوراء أن طلاب الأحياء إنما طلبوا الرجوع إلى الأصول الأولى بغير استثناء أو تمييز بين المراجع إلا أن يقضى به الاجتهاد فى التوفيق بين السنة المختارة والضرورة العصرية ، فوجب على أصحاب هذه الدعوة - إذن — أن ينبذوا التقليد ويعتمدوا على الاجتهاد فى اتباع السنة التى يهديهم إليها التفكير المستقل والنظر فى مطالب الزمن ودواعى المصلحة الحاضرة ، وكادت هذه الدعوة المستقلة أن تقارب بين الفريقين المتعارضين ، وهما فريق التعليم الحديث وفريق الإحياء على سنة السلف مع الاجتهاد فى الاختيار والاستقلال بالتفكير ، لأن هذا الاستقلال خليق أن يعصم الحركة من جمود التقليد الأعمى وكراهة التجديد إصرارا على القديم بغير تبديل .

ولما واجهت الباكستان بالمشكلة الاقتصادية كان فريق من دعاة الإصلاح يجنح إلى نظام سماه بالديمقراطية الإسلامية وترجمه المؤلف إلى الانجليزية بكلمة الديمقراطية الالهية Theo - democracy .

وكان فريق آخر ، وعلى رأسه لياقت على خان ، يدعو إلى الاشتراكية الإسلامية ويقول فى تصريحاته السياسية إنه لا يعرف (إزما) يدين به غير الإزم الذى يلحق باشتراكية الإسلام ، ويعنى بالازم هذه الحروف الأجنبية (Zom) التى تلحق بأسماء المذاهب عند الغربيين ، فلا مذهب له فى

السياسة ولا فى الاجتماع غير مذهب الاشتراكية على حسب عقائد الإسلام ، وفسر كلمة الدولة الإسلامية بقوله إنها (هى الدولة التى سلمت من المنازعات الداخلية حيث يجزى كل إنسان بعمله ولا يحتمل بقاء الطفيليين ، وإن الواجب الأول على الحكومة الإسلامية أن تبطل كل ضرب من ضروب الاستغلال والتسخير) .

قال المؤلف : ولكن دعوة لياقت خان كانت تبدو أحيانا كأنها دعوة إلى شىء يخالف الفهم المعتاد للاشتراكية كما يخالف الفهم المعتاد للإسلام ، وخلاصة هذا المذهب أنه يسعى إلى توفير القوت والكساء ، والمأوى والعلاج والتعليم لعامة الفقراء ، ومن الصعب فى رأى المؤلف أن نذكر نظاما من النظم الاقتصادية لا يزعم أن هذا المسعى غرض مباشر أو غير مباشر من أغراضه المقصودة .

ويمضى المؤلف فيقول إن السند الإسلامى للنظام الاشتراكى يقوم على فريضة الزكاة ، وواجب الصدقات وأحكام المواريث وتحريم الربا وحماية الملكية ، واعتبار الدولة مسئولة عن توفير أسباب المعيشة لجميع رعاياها ، ومن ذلك فى صدر الإسلام فريضة الأرزاق التى كان الخليفة عمر بن الخطاب يفرضها لبعض المستحقين .

وعقب المؤلف قائلا : إن ما سماه لياقت خان اشتراكية إسلامية لا يعدو أن يكون مزيجا من نظام رأس المال ثم الضمان الاجتماعى ثم (الله) ... وإن هذه الفكرة الغامضة قد استندت إلى ركن يؤيدها من (ضرورة الرأسمالية الحكومية) وهى ضرورة محسوسة حيث تتأخر الصناعة فى البلاد كما هى الحال فى باكستان ، ولم يغفل الداعون إلى الإصلاح الاجتماعى على هذه القواعد عما يستتبعه من « الإجراءات الإدارية » عند التطبيق ، ولكنهم نظروا إليها نظرتهم إلى صعوبة تعالج فى الطريق ولا تستدعى تقرير مبدأ سابق كفرض الادخار الجبرى أو الاستيلاء أو إلغاء المصارف وما إليها .

وأشار المؤلف فى ختام الكتاب إلى طائفة من فقراء الطبقة الوسطى بين أبناء الباكستان تميل إلى إقامة « وطنية باكستانية » منعزلة عن الصبغة الدينية ، وهو اتجاه لا يستطاع الحكم على نتائجه منذ الآن ، ويتوقف التطور الديمقراطى فى البلاد ، آخر الأمر ، على تقدم الإصلاح الاقتصادى وانتشار التعليم معا على خطوة واحدة ، وبذلك يصبح النظام الإسلامى بذاته مصدرا مستقلا فى عوامله السياسية .

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

لم تقم القيامة

للأستاذ على الجندى

كذب المنجم ، ليته صدقا   وأباد رب الخلق ما خلقا

وعدا الظلام على عوالمنا   فأعاد ضوء نهارها غسقا

وانشقت الغبراء وانفلقت   من فوقها خضراؤنا فلقا

وتناثرت فى الجو أنجمها   بددا ، وطارت شمسها شققا

وهوى من الأوج الرفيع إلى   أقصى الحضيض البدر فاحترقا

وانحلت الأفلاك ، وانكدرت   منها المجرة تغمر الأفقا

فترى بها « العذراء » قد غرقت   فى نهرها ، و « الثور » قد نفقا (١)

و « القوس » لا يأتى لها وتر   فيها ، ولا « الجبار » منتطقا (٢)

و « الحوت » قد نزعت زعانفه   عنه ، وطاح « الجدى » مختنقا

و « أبو الشبول » على جراءته   خارت قواه ، وطرفه برقا (٣)

و « النسر » خانته قوادمه   فانحط من علياته صعقا (٤)

و « الشعريان » تعانقا فزعا   و « الفرقدان » تفرقا فرقا (٥)

وعرا « الثريا » ماله انفضت   ذعراً ، فألقت عقدها النسقا

و « بنات نعش » خلفه مقل   عبرى يقرح دمعها الحدقا

وصدعن جيبا ناصعا بهجا   ولطمن خدا ناعما عبقا

وتلظت النيران حاطمة   من أنكر الأديان ، أو فسقا

---

(١) العذراء : برج السنبلة .

(٢) الجبار : الجوزاء وتعرف بمنطقتها .

(٣) أبو الشبول : برج الأسد .

(٤) النسران : نجمان لامعان ، والمراد هنا : النسر الطائر لا الواقع .

(٥) الشعريان . الشعرى اليمانية والشعرى الشامية .

وأوى إلى الفردوس من سلكوا ... وضح الهدى لنعيمها طرقا
عجبي لمن طاشت حلومهم ... وتباعدت أجفانهم أرقا
أن قيل : قد حانت قيامتكم ... ونذيركم بالحين قد طرقا (١)
أو كنتمُ لا تؤمنون بها ... فجريتمُ في غيكم عنقا (٢)
أشفقتمُ من سوء صنعكم ... والسوء يكسب أهله الشفقا
أهل التقى منها على ثقة ... لكنكم لستم بأهل تقى
هل هذه الدنيا تعلقها ... إلا فتى من ربه أبقا
أصبى بنى حواء زخرفها ... فتحلقوا من حولها حلقا
نزعوا إلى الطين الذى جبلوا ... منه ، فما بسقوا ولا بسقا
ما إن ترى فردين بينهم ... صدقا الهوى ، وعلى الهدى اتفقا
وسهوا عن الأخرى كأنهمُ ... لم يبصروا ميتا بها لحقا
وعلى الخنى والرجس قد عكفوا ... ما وقروا دينا ولا خلقا
والمال قد جعلوه دينهمُ ... كل له قد بات معتنقا
فى جمعه وأدوا ضمائرهم ... حتى أباحوا السحت والسرقا
وتداولوه بينهم نهبا ... لا عين أبقوه ولا ورِقا
والزرع حازوه بلا خجل ... عن سقاه الدمع والعرقا
والضرع ، لا لحما به تركوا ... كلا ، ولا لبنا به غدقا
ما كان أحراهم وقد نعموا ... باللحم أن يدَعوا لنا المرقا
أتراهمُ بزمانهم وثقوا ... يا ويح من بزمانه وثقا
ما حرصنا أنا نعيش على ... أرض يعانى أهلها الرهقا
أقسمت ما نفسى بهائمة ... فيها ، ولا قلبى بها علقا
ووددت لو بدنى يطلقها ... ويبيت منها الروح منعتقا (٣)
سواسها متنافرون بها ... متبطنون البغض والحنقا

---

(١) الحين : الهلاك

(٢) العنق : ضرب من السير السريع .

(٣) ينفض الشاعر فى هذه الأبيات فى دنيا الشر لا الخير .

في كل قطر منهم فتن تركت به سكانه حرقا
وملاحم هوجاء ساعرة تذرو الجسوم، وتسفح العلقا (١)
لم يكفهم أن بات كوكبهم متوجسا من « ذرهم » قلقا
حتى سما صعداً — بلا رهب — شيطانهم للسمع مسترقا
واخشيتا مما يلم بنا يوماً إذا صاروخهم مرقا
وتطايرت ذراتهم ومضت قدما تمزق أرضنا مزقا
وأحاط بالأحياء مارجها عرما يبث الهلك والحرقا
ويل الكواكب من مناسرهم ما أقبح الأخلاق والخلقا
يبغون أن تمسى لهم وطنا كى ينشروا التمويه والملقا
ويلقنوا فيها رعيتهم حكم الهوى واللؤم والنزقا
ويلوثوا قوما بها طهروا ويسودوا أفقا لها يققا
قسما بها لو أنها لكمُ دانت لأطفأتم بها الفلقا
وتبدلت من حسنها بكمُ قبحا، وعاد جديدها خلقا
ومشيتم فيها أباطرة وتخذتم أبناءها سُوَقا
ونرى بها « دبا » يخاصمه « أسد ». وكل نابه زرقا (٢)

* * *

مهلا فإن العلم غركمُ فركبتمُ فى ظله الحمقا
لا تأمنوا عثراته بكمُ كم صاعد درج العلا زلقا
صان الإله سماءه ورعى ملكوته من شركم ووقى

على الجندى

عميد دار العلوم سابقا

---

(١) العلق : الدم .
(٢) إشارة إلى المعسكرين المتخاصمين .

يا شباب الفصحى

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

حضر إلى المدرسة التى أعمل فيها وفد من طلبة الأزهر للتدرب على التدريس وبعد انتهائهم من هذه المهمة أقاموا - مشكورين - حفل تكريم لهيئة التدريس بالمدرسة . وفى هذا الحفل ألقيت هذه القصيدة تحية للأزهر المجيد ولأبنائه الناهضين .

يا شباب الفصحى ، بكم تفخر الفصـــحى ، وتعتز أمة الإســلام
قد نماكم للمجد أزهرنا السا مى ، فرمتم فى المجد أسمى مرام
مهنة الأنبياء ، وهى جهاد لا يبالى بالتضحيات الجسام
أهلها الماجدون أصل الحضارا ت ، بنوها بمرهف الأقلام
قل لمن رام شأوهم ، أو تجنى منكراً حظهم من الإعظام
إن خير البناة فى ساحة المجـــد بناة النفوس والأفهام

* * *

قد نعمنا بكم زمانا قصيرا كان أشهى من أعذب الأحلام
وسعدنا بالعلم يُلقى ويُستنـــبط فى دقة وفى إحكام
ورأينا الأخلاق كالزهر ، كالعطـــر ، كنور الصباح ، كالأنسام
وسمعنا شعرا كشدو القمارىّ صفاء ، ورقة الأنغام
مرّ فى مسمعى كما مرت البشـــرى على قلب عاشق مستهام
وسمعنا نثرا رشفناه خمرا رب نثر منه رحيق المدام
زعموها بنت العناقيد جهلا وهى - لو يعلمون - بنت الكلام

* * *

قد أردتم تكريمنا ، ولأنتم أهل هذا التكريم والإكرام
غاية الفضل أن يكون لك الفضــل ، وتاق بالمدح فضل الأنام
رب شمس تقول ما أروع النو ر ، ومنها سحر السنا البسام !
وربيع يقول ما أجمل الزهــر ، ولولاه مات فى الأكمام !

* * *

يا شباب الفصحى غدا تتلاقى فى مجال رحب المدى مترام
فاجعلوا الدين فى الحياة رفيقا بل إماما ... أنعم به من إمام
واجعلوه وسيلة لحياة تملأ الكون بالهدى والسلام
واجعلوا علمكم منار اهتداء لعقول تتيه بين الظلام
وخذوا منطق القوى سلاحا يحفظ الحق من دعاوى اللئام
تعست أمة تحاول بالضعـف بلوغ المنى ، ونيل المرام
إنما منطق الضعيف ضعيف وكلام القوى حد الحسام

* * *

نضر الله عيشكم ورعاكم وحماكم من سطوة الأيام

ابراهيم محمد نجا

لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام .

حديث متفق عليه

الكتب

١ — التفسير والمفسرون :

للأستاذ محمد حسين الذهبي .

نشرت دار الكتب الحديثة بعابدين هذا الكتاب الضخم فى ثلاثة أجزاء تقع فى أكثر من ألف صفحة من القطع الكبير .

والمؤلف عالم فاضل وأستاذ بكلية الشريعة وكان رئيسا سابقا لقسم الشريعة بكلية الحقوق العراقية ، والكتاب بحث قيم نال به المؤلف شهادة العالمية من درجة أستاذ فى علوم القرآن والحديث عام ١٩٤٦ .

تناول فى الجزء الأول المرحلة الأولى للتفسير ، وهى التى كانت فى عهد الرسول ، وقد برز فى هـــذه المرحلة ابن عباس وابن مسعود ، وعلى وأبى بن كعب ، كما تناول المرحلة الثانية للتفسير ، وهى عصر التابعين ، وقد برز فيها من رجال التفسير : ابن جبير ومجاهد وعكرمة وطاوس وعطاء فى مكة ، وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظى وزيد بن أسلم فى المدينة . وعلقمة ومسروق والشعبي والبصرى وقتادة فى العراق ، أما الباب الثالث فقد تناول فيه المؤلف المرحلة الثالثة للتفسير ويعنى بها عصر التدوين ، حيث دون تفاسير الطبرى والسمرقندى والثعلبى والبغوى وابن كثير والثعالبى والسيوطى ، وجميعها من التفسير المأثور ، كما دون من التفسير بالرأى : الرازى والبيضاوى والنسفى والخازن وأبو حيان والنيسابورى والجلالين والخطيب وأبو السعود والألوسى ، ومن تفاسير المعتزلة ظهر تفسير القاضى عبد الجبار والشريف المرتضى والزمخشرى .

والجزء الثانى تناول المؤلف موقف الشيعة من التفسير ، وكيف تأثر الإمامية الإثنا عشرية بآراء المعتزلة وأثر ذلك فى تفسيرهم ، كما تأثروا بمذاهبهم الفقهية والأصولية فى تفاسيرهم ، وأهمها مرآة الأنوار للكازرانى ، وتفسير الحسن العسكرى ، ومجمع البيان للطبرسى ، والصافى للكاشى ، وبيان السعادة للخراسانى ، وكذلك تناول المؤلف موقف الإمامية الإسماعيلية (الباطنية) ، والبابية والبهائية ، ثم الزيدية ، والخوارج وفرقهم ، وكيف كان سلطان مذهبهم يغلب عليهم فى فهم نصوص القرآن .

وفى الجزء الثالث والأخير عرض المؤلف للتفسير الصوفى لكتاب الله : النظرى منه والإشارى ، كما عرض لمذهب ابن عربى فى التفسير ، ومذاهب الفلاسفة وفى مقدمتهم الفارابى وابن سينا وإخوان الصفا. كما عرض أيضا للتفسير الفقهى والتفسير العلمى ، وختم الجزء بفصل مسهب عن ألوان التفسير فى عصرنا الحاضر ، وعن مذهب الأستاذ الإمام محمد عبده، وتلميذه المراغى فى طريقتهما لتناول القرآن بالتفسير .

إن المؤلف عرض قصة التفسير عرضا قويا أمينا ، وكانت عنايته بالأمانة فى العرض أكثر من عنايته بالتحقيق فى مئات المسائل التى كان يجب الدقة فى تحقيقها ، والمؤلف يحاول جاهدا الدفاع عن روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه ويربط بينهما وبين أمثال عبد الله بن سلام وهو صحابى مخلص الإيمان فى عهد الرسول ، كما أن المؤلف - وقد بذل فى بحثه جهدا مشكورا - لم يعط ما عرضه من نماذج للتفسير حقه من التحليل ولا سيما فى توضيح مناهجها .

هذا البحث وقف به المؤلف عند عام ١٩٤٦ حيث تقدم به لنيل شهادة العالمية من درجة أستاذ ، وقد استحدث بعض التفاسير فى الهند ومصر والشام ، وكنا نود أن يناقش هذا البعض الذى ظهر فى أكثر من ربع القرن الأخير ، ويستوفى بمناقشة رسالته هذه فى التفسير ، ولو كملحق لها ، إذا كان قصده الاحتفاظ بما كتبه للغاية التى نشدها .

إن كتاب (التفسير والمفسرون) خلا من عرض آراء كتاب الغرب الذين تصدوا فى آثارهم للتفسير ومناقشتها ، ولا نكران بعد ذلك فى أن الكتاب مرجع فى موضوعه ، له تقديره ومكانته فى المكتبة الإسلامية .

• • •

٢ — مناهج تجديد :

للأستاذ أمين الخولى .

هذا الكتاب الجديد الذى نشرته دار المعرفة بالقاهرة للأستاذ أمين الخولى ، هو مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، وهذه المناهج التجديدية قدمها المؤلف فى دراسات على مستوى رفيع من التعمق وسعة الأفق وسلامة الحكم فى القضايا التى أثارها .

فى الباب الأول عرض النحو : كواحد من مقومات حياتنا يجب أن يتطور مع تطور الحياة نفسها ، وأن يخضع لمقاييس الاجتهاد إذا أريد له الخلود .

وفى الباب الثانى عرض البلاغة وأثر الفلسفة فيها وصلتها بعلم النفس ، ومكانة مصر فى تاريخها ، ثم صورة عامة عنها .

وفى الباب الثالث عرض التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم ، كواحد من العلوم الشرعية شغل ـ ولا يزال ـ يشغل الفكر الإسلامى ، حيث ارتبط ارتباطا وثيقا بكتاب الله .

وفى الباب الرابع والأخير عرض أستاذنا للأدب ، فتحدث عن علم النفس الأدبى ، وعن منهج تفكير الجاحظ : النقلى والنظرى والعلمى .

والكتاب مجموعة من الدراسات ألتى بعضها فى محاضرات ، وكتب البعض الآخر فى أبحاث هادفة . وهذه وتلك قصد منها شيئا واحدا ، هو التجديد الدائم فى قيمنا الفكرية ، والعلمية ، والأدبية ، إذ لا خلود لهذه القيم مع الجمود والتقليد وتهيب التهجم على قدسية ما خلفه الأوائل لنا من تراث فكرى ، ومن النواميس الاجتماعية ـ كما يقول أستاذنا ـ أن تعد الفكرة حينا ما ، كافرة تحرم ، ثم تصبح عقيدة تعتنق ، وقد جرى هذا أمامنا فى حياة الفقه الإسلامى حديثا » .

ويهمنا فى هذا الكتاب حين نقدمه الدراسة الخاصة بالتفسير وموضوع التفسير يمس جانبا مهما من تفكيرنا الإسلامى ، فنحن ما زلنا نقدس تفاسير القرآن ولا سيما المنقول منها ، دون محاولة لتمحيصها ، على رغم أن من اشتهر بالتفسير من التابعين أمثال عطية بن سعد والسدى والكلبى ، ومقاتل ، وابن جريج ، هؤلاء لم يبلغوا مرتبة الثقة الكاملة فيما رووا عن ابن عباس الذى نسب إليه تفسير ضخم ، ولم يثبت عنه فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث كما يروى ذلك عن الشافعى .

ثم هذه الأحاديث النبوية المكدسة فى كتب التفسير المروى ـ فاشتملت ـ كما يقول ابن خلدون فى مقدمته : على الغث والسمين والمقبول والمردود ، وتساهل المفسرون فى مل‍ء كتبهم بمنقولات عن عامة أهل التوراة ، هذه الأحاديث وغيرها من الإسرائيليات المدونة فى كتب التفسير ، يستعدى عليها أستاذنا أشياخ الأزهر لنقدها على هدى قواعد القوم فى نقد الرواية متنا وسندا .

* * *

٣ – الجانب العاطفى من الإسلام :

للأستاذ محمد الغزالى

هذا كتاب جديد للشيخ الغزالى ، جديد فى موضوعه بالنسبة لسابق مؤلفاته الإسلامية العديدة التى أصبح لها رواجها وتقديرها فى البلاد الإسلامية ، لما عرف فى كتابات الشيخ الغزالى من الجرأة والغيرة معا ، والإحساس بآلام الإسلام وشعوبه وقضاياه .

الكتاب يقع فى أكثر من ثلثمائة صفحة ، تناول فيه المؤلف جزءا من ثقافتنا الإسلامية

لم يلق من الدراسة الحصيفة ما لقيته بعض شعب الإيمان الأخرى كفقه العبادات وفقه المعاملات ، وسائر الأحكام التى نظمت العلاقات بين أفراد الأسرة وأركان المجتمع .

فى الباب الأول : (الإسلام والإيمان والإحسان) أشار المؤلف إلى أنها كلمات ثلاث لا تعدو أن تكون عناوين شتى لحقيقة واحدة . . هى الدين ، والدين هو الإسلام إن نظرنا إلى السلوك الظاهر والعمل البين ، وهو الإيمان إن نظرنا إلى اليقين الباعث والعقيدة الدافعة ، وهو الإحسان إن نظرنا إلى كال الأداء والوفاء على الغاية عند اقتران الإيمان الواضح بالعمل الصالح .

وفى الباب الثانى : (دعائم الكمال النفسى) يتحدث المؤلف عن نسبنا السماوى ، ويشير إلى أن الإنسان كائن عظيم حقا بيد أن عظمته ترجع إلى نسبه السماوى الروحى ، لا إلى نسبه الأرضى المادى ، ويتحدث عن الإلحاد كمثل الخيانة العظمى ، وعن جهاد النفس وتجارب المربين وقدرة الله سبحانه .

وفى الباب الثالث والأخير يعرض الشيخ الغزالى شارات الطريق إلى الكمال ، وليس لطريق الكمال نهاية يقف لديها المسلم ، فهو ما بقى حيا مكلف بالأمر والنهى ، مطالب بالنظر فى نفسه . وأول مراحل الطريق إلى الكمال التوبة ، ثم تتدرج هذه المراحل نحو الورع ، والعفة والقناعة ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل حتى تصل فى النهاية إلى الحب .

الشيخ الغزالى فى كتابه هذا ترك المعانى تنساب بين السطور دون تحديد معالمها ، وعلى الأخص فى الباب الثانى دعائم الكمال النفسى ، ولم يفعل ما فعله فى البابين الأول والثالث ، ومع أن الدراسة التى قدمها امتزجت بالطابع النفسى إلا أن استيعاب شىء من الأفكار الغربية للمقارنة أو الاستشهاد بما يؤيد الفكر الإسلامى كان موجزا للغاية ، ونحن حين نقدم دراساتنا الإسلامية إلى القراء يجب أن نعمل حساب القارىء المزود بالثقافة الغربية .

والكتاب أيضا ناضج التفكير من حيث الجانب الإسلامى وهو هدف الكتاب ، والموضوعات التى أثارها موضوعات حية تتصل بقيمنا النفسية والأخلاقية ، هذه القيم التى فرطنا فى جانبها فأصبحنا ـ نحن المسلمين ـ فى حال لانحسد عليها .

* * *

٤ — فهم كتابة السيرة الشعبية :

للأستاذ فاروق خورشيد والدكتور محمود ذهنى :

نشرت دار الثقافة العربية بعابدين هذه

الدراسات الواعية الناضجة بلغت صفحاته أكثر من ثلثمائة صفحة ، ومنهج هذه الدراسة يتجه إلى تصحيح وهم خاطئ يزعم أن هناك فى إنتاج أدبائنا الكبار ، وأسلافهم من أصحاب التراث الأدبى عازلا بين الفن والحياة بينما أدبنا العربى — منذ أن كان — انعكاس طبيعى لمجريات الحياة فى المجتمع الإسلامى بوجه عام ، والمجتمع العربى بوجه خاص .

وما دام الأدب الشعبي فى حقيقته قد عبر عن الشعب العربى كله بمكوناته المختلفة وعناصره الجنسية المتعددة ، والثقافات التى صبت فيه قبل الإسلام وبعد الإسلام ، فالواجب أن نوجه اهتمامنا إلى الأدب الشعبي العربى الذى يتمثل فى السيرة الشعبية التى لا زالت تحتل جزءا مهما من كياننا الأدبى ، دون أن تمحص التمحيص الذى تستحقه .

يبدأ الكتاب بدراسة عن ملامح بطل السيرة الشعبية ، الذى يعكس فى الأعمال الأدبية حقيقة العلاقات التى تربط أفراد الجماعة فى المجتمع الذى أنشىء فيه العمل الأدبى ، وبدراسة أيضا عن مكان السيرة الشعبية ، والتعريف العلمى المعاصر يحدد مكانها بين التاريخ والأدب ، فهى تاريخ من حيث تناولها لحياة فرد له أهميته كموجه للأحداث فى عصره ... وهى أدب من حيث كونها تحمل انطباعات مؤلفها ، وتتلون بثقافته ووضعه الاجتماعى وموقفه من الحياة ، ثم يتناول هـذا الباب الأول دراسة تطبيقية تحتمه علينا عنايتنا بتراثنا الأدبى ، ومما يعيب دراساتنا فى الأدب الشعبي أنها تقوم على نصوص ليست تحت أيدى الدارسين ، ومع أن النصوص موجودة فى واقع الأمر إلا أنها غير موجودة فى تصور الدارسين ، وهم قد اتخذوا فيها أحكاما جانبها التروى .

وفى الباب الثانى : يعرض الكتاب المقدمة الحجازية ، فالسيرة الحجازية تنفرد بفصل طويل يضم تمهيدا روائيا للقصة وهو تمهيد له أصالته وأهميته بما يحمل من سمات عرفت عن الرواية العربية .

وفى الباب الثالث : يعرض الكتاب فى أسلوب تحليلى شخصية عنترة بن شداد . ومرحلة الفروسية التى عاش فيها وكانت ملهما دسما للمؤلف ، ثم المرحلة الأسطورية وقد لعب فيها خيال المؤلف دوراً مهما .

وفى الباب الرابع تتحدث دراسة الكتاب عن جهد المؤلف فى قصة عنترة ، فترى أن المؤلف فرد واحد عاش فى عصر واحد ، أو مجموعة من الكتاب معاصرين ومجتمعين فيما يشبه اللجنة لتقديم هذا الجهد الفنى ، أما أهداف مؤلف السيرة الشعبية فهى أهداف سياسية أو أهداف اجتماعية ، ومشكلة اللون تلعب دورها فى السيرة الشعبية وقد

وضع هذا فى قصة سيف بن ذى يزن ، وهناك بعد ذلك الأهداف الثقافية والدينية التى كانت ممتزجة باتجاه السيرة الشعبية .

وبعد فما لا ريب فيه أن المؤلفين الأستاذ فاروق خورشيد والدكتور محمود ذهنى قد قدما عملا فنيا ، كانت المكتبة الأدبية فى حاجة ماسة إليه ، وإن كانا لا يزالان يريان جهدهما فى حاجة إلى متابعة واستكمال وأنه ليس إلا بداية الطريق .

* * *

٥ — كما تحدث القرآن :

للأستاذ خالد محمد خالد

هذا الكتاب الجديد للأستاذ خالد الذى نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، كتاب خفيف الظل ، حاول فيه المؤلف أن يجلس بنا حول مائدة القرآن نتناول منها ما لذ وطاب من المعانى الحية الرحيبة ، التى كانت المعجزات العظمى التى حققها بما شاد من عالم ، وبما رفع من قيم ، وبما أضاف إلى الحضارة الإنسانية من أرصدة لا تغنى عن طريق الدنيا المسلمة التى أيقظها .

فى الفصل الأول تحت عنوان : (تلك آيات الكتاب) ، عرض المؤلف القرآن كما تحدث عن نفسه فى أكثر من مائتين وثلاثين آية ، تحدث فيها عن نفسه وطرح خلالها كل الأسئلة التى تتعلق به ، ثم أجاب عنها ، وفى الفصل الثانى : (بالحكمة والموعظة الحسنة) عرض الأستاذ خالد منهج القرآن فى أسلوبه التى يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة ، والذى وضع أسس مبادئ العلاقات الإنسانية فى البأساء والضراء . وفى الفصل الثالث : (وما يدريك لعله يزكى) يستعرض قصة ابن أم مكتوم فى سورة « عبس وتولى » وكيف رفع القرآن بها من قدر المواطن العادى ، وأنشأ له عالمه الكبير وأعده لتسلم الراية . وفى الفصل الرابع : (والله يسمع تحاوركما) يستعرض المؤلف قصة المجادلة بين رسول الله وخولة بنت حكيم ، ويجعل منها نموذجا حيا لحرية الفكر ، وفى الفصل الخامس : (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) يعرض الأستاذ خالد قضية الدين كوحدة واحدة هدفها : الخير للبشرية جمعاء ، هكذا أراده الله ، وأراده البعض أداة منابذة وخلاف .

أما الفصل السادس والأخير : (ذلكم الله ربكم) ففيه يتحدث القرآن عن وحدانية الله ، وهو فى أروع حالات توقده ، وتألقه ، وتحفزه ، وسسناه ، والقرآن حين يتحدث عن الله ، فإنما يتحدث عن الله الأحد ، فليس الله عنده إلا واحدا أحدا .

هذه لقطات سريعة للأستاذ خالد التقطها من كتاب الله عز وجل ، وكل لقطة منها

تحمل من المعانى الحية ، والقيم الإنسانية ، والمبادئ الأخلاقية ما شاء لها أن تحمل .

* * *

٦ — قبسات من الرسول :

للأستاذ محمد قطب

المؤلف من الكتاب القلائل الذين يعنون بالدراسات الإسلامية ، التى تتسم بالدقة والعمق معا ، وكتابه هذا صورة تطبيقية لمنهجه فى الكتابة ، وهو لقطات أيضا التقطها من حول مائدة الرسول صلوات الله عليه ، ليقدمها نماذج حياة من سيرة الرسول ومنهجه فى تربية النفس والعقل والمجتمع .

فى سبيل ارتباط الانسان بالحياة وتصحيح خطأ الزاهدين فيها يعرض المؤلف حديث الرسول : إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها ، فليغرسها فله بذلك أجر » .

وفى سبيل ربط الإنسان المسلم بالعلم كوسيلة لنهضة أمته يسوق المؤلف مع التحليل حديث الرسول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

الحديث الثالث : إن الله يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم » يعرض المؤلف فيه أخطر القضايا التى يؤسس عليها كيان الجماعة ، ألا وهى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهكذا يقدم الأستاذ قطب نماذج من أحاديث الرسول ، فى صور من القضايا الكبرى التى تعيش فى واقع حياتنا ، وهو حين يقدمها فإنما يقدمها فى دراسة تحليلية منطقية ، ويحمل منها مسائل يعنى بها المسلم العادى ، والمثقف الخاص الدارس للفكر الإسلامى ، ولم ينته من تقديمه هذه النماذج الحية من توجيهات الرسول ، حتى كانت هذه الأحاديث الجامعة متفقة الهدف فى إيجاد المسلم القويم الدين الناضج الفكر معا .

* * *

٧ — ديوان شاعر آل البيت :

للأستاذ محمود جبر

الأستاذ محمود جبر منذ ربع قرن وهو شاعر خفيف الظل فى شعره ، وقد حدد لشعره طريقه حين التزم مدح آل البيت حتى انفرد اليوم بلقب (شاعر آل البيت) وليس هناك أدنى شك فى إخلاص إحساساته نحو آل البيت ، ومن بين ثنايا شعره البالغ من الكثرة مكانا ملحوظا يبدو صدق إحساساته الشاعرية نحو آل البيت رضى الله عنهم .

وديوانه هذا يبدأ بقصائد يناجى فيها ربه تحت عنوان : (رشفات من خمر التوحيد) وتحت عنوان . « نبويات » يناجى الرسول فى قصائد عديدة ألقى بعضها بالروضة الشريفة ،

وأبرز هذه القصائد النبوية قصيدته التى عارض فيها نهج البردة تناول فى بعض أبياتها المعانى والأحداث الجديدة فى العالم :

وقد عقد المؤلف فصلا مسهبا للإمام الحسين تحت عنوان «الحسينيات» وسجل قصائد للسيدة زينب بطلة كربلاء ، وكل آل البيت ، وتحت عنوان : «متفرقات» سجل فى ديوانه قصائد عن القرآن والإسلام وبعض الأحداث الإسلامية والأحداث السياسية فى بلاد المسلمين ، وفى دنيا الوفاء للإخوان والمجاهدين ورجال البر .

سجل الشاعر قصائد تنم عن خلق رفيع فيه ، لأنه لم يتجاهل أخا استحق الوفاء لصدق أخوته ، ولا مجاهداً استحق الوفاء لصدق جهاده

محمد عبد الله السمان

(بقية المنشور على صفحة ١١٧٨)

لأن أهم ما يعنى به الإنسان فى حياته إن كان ذا خلق إنسانى وذا سمو فى الإنسانية هو الهدف الرفيع فى الحياة ، ولا يكون الهدف فى الحياة هدفا إنسانيا رفيعا إلا إذا كان من أجل الإيمان بنظام معين فى الحياة ومن أجل العمل على تحقيق هذا النظام وتطبيقه .

أما احتمال العاجز عن الكسب سبيل الحصول على لقمة العيش ، واحتمال الضعيف بسبب المرض فى سبيل أمل الشفاء ، واحتمال الجائع فى سبيل انتظار ما يدفع به جوعه — فإن ذلك لون آخر ومدلول آخر للصبر ، ولكنه ليس ذلك الصبر الذى جعله الحديث الشريف نصف الايمان فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الصبر نصف الايمان) .

فإذا مال مفهوم الصبر بعد ذلك إلى هذا المدلول الأخير ، فإنه يكون قد مال إليه تحت تأثير الطابع الجديد للمجتمع الذى تحول إليه مجتمع المسلمين فى أول أمره . ولا يكون هذا الطابع للمجتمع الجديد إلا الطابع المادى الذى يحمل الناس على السعى للحصول على سد حاجات الإنسان المادية ، بعد أن ضعفت الروابط بين الأفراد ، وخف تعاون بعضها مع بعض ، وبعد انصراف أفراد المجتمع نفسه عن النظر إلى المثل والقيم العليا والانصراف بالتالى إلى السمى الإنسانى فى سبيل تحقيقها أو صيانتها .

وهنا أيضا يمكن أن يكون مفهوم الصبر معبراً عن نوعين من أنواع المجتمع الإسلامى ، كما يكون تحول المجتمع الإسلامى نفسه صاحب الأثر الأول فى نقل مفهوم الصبر من مدلوله الأولى إلى معناه الثانى . وهنا كذلك يمكن أن نقول إن المجتمع القوى يضفى على المفهوم قوة مدلوله وهدفه ، كما أن المجتمع الضعيف نفسه يستطيع أن يذهب القوة ويستبدلها بضعف لنفس المفهوم الواحد .

البقية فى العدد القادم

دكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر

آراء وأحاديث

العيد ولمن يكون

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

---

١ — حكمة الأعياد عند الناس :

الأعياد سنة فطرية ، جبل الناس عليها ، وعرفوها منذ القــدم ... منذ عرفوا الاجتماع والتقاليد والذكريات ... فكان لكل أمة أيام معلومة ، تظهر فيها زينتها وتعلن سرورها ، وتسرى عن نفسها ما يصيبها من رهق الحياة وعنتها .

وعلى هذه السنة وجد النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار فى المدينة ، بعد هجرته إليها ، يلعبون فى يومين ، ورثوا اتخاذهما عيدا من الجاهلية ، فلم ينكر أصل الفكرة ، فأباح اتخاذ العيد ، تحصيلا لمزاياه القومية والاجتماعية والدينية ، ولكنه استبدل بيومى الجاهلية يومين آخرين . ارتبط بهما ، فى تاريخ الإسلام بل فى تاريخ البشرية عامة ، ما جعلهما غرة فى جبين الدهر كله ، وهما يوم الفطر والأضحى .

٢ — نعمتا التشريع وإكمال الدين :

فيوم الفطر يذكرنا بالنعمة العظمى ، نعمة إنزال القرآن فى رمضان ، تلك النعمة التى كانت أساس التشريع لبناء دولة الإنسانية الموحدة ، دولة الهدى والرشاد ، دولة الصفاء الروحى والاستقامة العظيمة والتحاكم إلى الرحم ، دولة الحق والعدل والفضل ، دولة العلم والحكمة والتعمير والبناء ، وفى كلمة دولة العزة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة .

أما يوم الأضحى فإنه يذكرنا بنعمة الإكمال والإتمام لهذا البناء ، كما قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا » .

٣ — عيد الإسلام :

وإذا كانت الأمم الناهضــة لا تعرف فى تاريخها أعز ولا أعظم من يومها الأول الذى وضع فيه أساس بنائها ، ويومها الثانى

الذى تم فيه صرح هذا البناء ، فما أجدر اليومين بأن يكونا عيدين ، تنقش فيهما ذكرياتهما ، وآثارهما ، وإيحاءاتهما ، على صفحات القلوب ، وأن يظهر ذلك كله على ملامح الوجوه ، وعذبات الألسنة ، وحركات الجوارح .

٤ — إيحاءات يوم الفطر :

وليوم الفطر إيحاءات بنعم أخرى ، فوق ما ذكرنا ، تلازمه ، فى كل عام ، باعتبار وضعه الزمنى .

(أ) نعمة الحرية : فهو أول يوم ، بعد رمضان ، تعود فيه إلى المؤمن حريته الشخصية فى مأكله ومشربه ، بعد أن سلمها إلى مولاه خلال رمضان طائعا مختارا ... إيذانا بأنه لا يضحى بها إلا فى سبيل ما هو أعزمنها وهو رضوان الله ومغفرته ، أما فيما عدا ذلك ، فدون سلبها خرط القتاد .

(ب) فرحتان : وهو كذلك أول يوم بعد رمضان يشعر فيه المؤمن بفرحتين عظيمتين لها أكبر الأثر فى حياته وقوتها ، فرحة القيام بالواجب ، وواجب الطاعة والامتثال لأمر الله ، وفرحة الثقة بحسن الجزاء من الله ، وهو ما يشير إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

٥ — مظاهر الفرح بالعيد :

لهذه الاعتبارات كلها جعل الله يوم الفطر عيدا للمسلمين فيه يتبادلون التهانى والتزاور ، وفيه يتعاطفون ويتراحمون ، وفيه يتجملون ويتزينون ، وفيه يتمتعون بطيبات ما رزق الله ، وفيه يوثقون بينهم عرى المحبة والإخاء .

وحتى يتم كل هذا باسم الله وفى ظل رحمته ، جعل افتتاح هذا اليوم السعيد ، اجتماعا عاما للمسلمين ، يؤدون فيه جميعا ، على اختلاف طبقاتهم ، وفى صعيد واحد ، صلاة العيد ... يكبرون فيها ويهللون ويشكرون الله على ما هداهم إلى العطف على إخوانهم الفقراء والمساكين وأرباب الحاجات فأغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم ، ووفروا عليهم هم للعيش ، فشاركوهم فى الصلاة وبادلوهم التحية والمحبة والتهنئة والمودة ، ومن ثم يجمع المسلم فى يومه هذا بين اتصاله بربه عن طريق العبادة وبين الاتصال بالناس عن طريق التعاون والتراحم والإخاء .

٦ — لفتة إلى رمضان :

وإذا كنا بالأمس القريب قد استقبلنا شهر الصيام ، وتلونا قول الله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، كما خطبنا الخطباء على المنابر ، وحدثنا العلماء والكتاب فى الصحف والإذاعة شهراً كاملا عن مكانة

الصوم فى الإسلام ، وعن أسراره وحكمته ، وعن مثوبة الله للصائمين ، وعما ينبغى أن يكون عليه الصائم حتى يفوز برضاء الله ومثوبته وعن ثورة السماء على الباطل التى نزل بها القرآن ، فزلزلت عروش الفساد واهتزت صروح البغى والطغيان ... وهكذا خلقت لنا تلك الخطب والأحاديث جواً روحيا كان من حقه أن يدفع بالمسلمين جميعا ، فى ليلهم ونهارهم وفى سرهم وعلانيتهم ، إلى الصفاء والإخلاص وتطهير القلوب وصدق المراقبة وقوة العزيمة .

ولكن الواقع الذى تراه بأعيننا ، ونأسف له أشد الأسف ، ونحزن منه أشد الحزن ، أن هذا الجو الربانى الملىء بذكر الله ، وبتلاوة كلام الله ، وبالإشارة إلى أحكام الله ، لم يتأثر به المسلمون كما يجب أن يكون ... فقليل من المسلمين هم الذين أجابوا الدعوة وامتثلوا الأمر ، فصاموا ، وقاموا ، وراقبوا الله فى صومهم ، واتقوه فى قيامهم ، فعصموا أنفسهم من الشهوات ، وسموا بأرواحهم عن المدنسات ، وطهروا قلوبهم من الآفات ، وحفظوا جوارحهم من المعاصى والمخالفات.

٧ — لمن يكون العيد :

فهؤلاء النفر ، وحدهم ، هم الجديرون أن يكون لهم العيد وأن تتجه إليهم أحاديث العيد وأن يقصدوا بالتهانى فى أيام العيد ... أما أولئك الذين عبثوا بالشخصية الإسلامية فى ركن من أركان الدين ، وشعيرة من شعائره المقدسة ، وأطلقوا أنفسهم ، خلال شهر المراقبة ، على عادتها ... تدبر المكائد وتنفث سموم الفتن ، وتذيع الأراجيف ، فيفرقون قلوبا متحدة ، وصفوفا متراصة ، ويزعزعون إيمانا قويا نقيا ، ويشوهون جمالا وجلالا ، ثم يضعون الأشواك والعقبات أمام المجاهدين الصادقين ، والعاملين المخلصين ، فليس العيد لهم أبدا فى شىء من معانيه ، فالعيد إنما يكون لمن صام رمضان وأدرك أنه بصومه قد أدى شكر الله على نعمته العظمى ، التى أنعم بها على عباده فى مثل هذا الشهر ، وهى نعمة إنزال القرآن ... ثم جرد نفسه لإحقاق الحق وإقامة العدل ، وتوثيق عرى الإخاء . ثم كان بعد ذلك القدوة الحسنة والمثل الحى فى الدعوة بالعمل إلى العمل ، وبالإخلاص إلى الإخلاص ، وبالانتظام إلى النظام ، وبالجهاد إلى الجهاد ، وبالبذل إلى البذل ... وهكذا يدعو فيعمل ، ويقول فيفعل ، هذا فقط هو الذى ينبغى أن يتجه إليه بحديث العيد ، وهو وحده الذى يكون له العيد .

٨ — رجاء :

وإنى لأرجو الله أن يهب لكل من أخلصوا فى صيامهم ، وصدقوا فى قيامهم وتوجهوا

إلى الله بقلوبهم - قوة إيمانية يكافحون بها الإلحاد ، ويحطمون رأس الفساد ، بعد أن يحفظوا أنفسهم وإخوانهم من النزق والطيش والذل والعبودية لغير الله ، فيكونون بذلك مثلا حية ، وقوى مخلصة ، تقوم من شأن الآخرين ، وتسدد خطاهم ، وتأخذ بيدهم إلى الصراط المستقيم... وبذلك تتراص الصفوف وتتعانق القلوب ، ويتوحد الاتجاه ، وتتحقق الأهداف ... وحينئذ يصدق معنى العيد ، فتتم التهنئة ، ويشمل الرضى والغفران .

٩ — دعاء :

كما أسأل الله بقلب يذوب من جلاله ، ثم يعود فيتماسك من جماله ، أن يجعل هذا العيد فاتحة عهد جديد ، يعود فيه إلى الإسلام مجده ، وإلى المسلمين النصر والتمكين .

١٠ — الإسلام والعلم والسلام :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر بمكتبه الأديب اليوغسلافي مستر اندروفيتش الحائز على جائزة نوبل في الأدب وبرفقته الدكتور عبدالمحسن الخشاب ومستر بويتش الملحق الثقافي بسفارة يوغسلافيا في القاهرة وقد تناول الحديث في هذه الزيارة كثيرا من الجوانب الإسلامية في تقدير العلم والعلماء ، ودعوة الإسلام إلى الحرية والسلام .

وقال الأستاذ الأكبر : « إن الأزهر ليسر بزيارة العلماء ، لأنه يرى أن العلم أساس الحياة . فقد خلق الله الإنسان بداعيتين : داعية العلم وداعية عبادة الله وحده ، فيسر له سبل العلم وخلق له السمع والبصر والفؤاد وكل الحواس ليصل بها إلى العلم « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، لعلكم تشكرون » .

ونوه بفضل العلم في أول كلمة نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم « اقرأ باسم ربك الذي خلق . . . » .

فعلم الإنسان في أرضه طبقات الأرض ، وعلمه في سمائه طبقات السماء ليستخرج منها كل ما يحقق السعادة للبشر، والخير للإنسانية، ولهذا يدعونا ديننا إلى تكريم العلماء والأدباء لأنهم دعاة الخير . والمبشرون بالسلام ، ولو فهم الناس كلمات الله في السلام والأمان لما خرج سيف من جرابه ، ولما لجرت قنبلة لإبادة الإحياء .

وإن الأزهر ، وهو الحريص على دين الله ومبادىء الإسلام ، ليعمل ما وسعه العمل على نشر روح المحبة والسلام في جميع أنحاء العالم .

ومن أجل هذا نحييك ، ونرحب بك باعتبارك عالما ، وداعيا إلى الخير .

١١ — وحدة العقيدة :

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه وفد جماعة الدعوة والتبليغ الباكستانى ، ويضم عدداً من أساتذة مدرسة «كاشفر العلوم» وكلية التليفونات والحربية .

وقد تحدث إليهم فضيلة الإمام الأكبر عن أثر التزاور فى تقوية الروابط بين المسلمين وتعاونهم فى سبيل الحق والخير ، وأثر علماء المسلمين الباكستانيين والهنود فى خدمة الإسلام والدعوة إليه والتمسك بحبل الله .

ثم قال : « إن من أعز أمانى أن ألتقى بإخوانى المسلمين فى شتى أقطار الأرض وبخاصة إخوانى الباكستانيين الذين أرجو أن يشد الله بهم أزر المسلمين . وإن أعظم شىء يقوى الرابطة بين المسلمين هو أن يتزاوروا ، ولقد كنتم أصحاب الفضل إذ بدأتم بالزيارة .

ثم قال فضيلته : « إن النداءات التى خاطب بها القرآن المؤمنين تلتقى كلها حول وحدة العقيدة .

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة »

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ... » .

فالإسلام وحدة تجمع ولا تفرق ، وتقوى ولا تضعف وهذه رسالتى ووصيتى إلى إخوانى الباكستانيين أحملكم أمانة تبليغها .

وإن أخوة الإسلام التى تجمع بيننا جميعا دون أن يفرق بينهم اختلاف اللون أو الجنس أو اللغة لهى الأساس الذى يقوم عليه ديننا ، وعلى هذا الأساس يجب أن تكون جهود المسلمين ... ومنذ نشأة باكستان ونحن نؤمن بأنها ستكون سنداً قويا للنهضة الإسلامية وأنها ستعمل إلى جانب مصر لتنقية الدين من البدع والخرافات وإظهاره فى جوهره النقى الأصيل .

وفى ختام المقابلة أهدى الوفد إلى فضيلة الإمام الأكبر الجزء الأول من كتاب (حياة الصحابة) للشيخ أحمد يوسف العالم الإسلامى الهندى .

تعاطى الترفين والتشوق والمضمضة مفطر :

أرسل السيد الأستاذ محمد نجومه ـ نظارة معارف سبها فزان ، ليبيا ـ خطابا إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر هذا نصه :

بعد التحية ، فقد سعدنا بالاستماع إلى حديثكم القيم المذاع بالراديو مساء يوم الثلاثاء ٨ رمضان المبارك ١٣٨١ هـ الموافق ١٣ / ٢ / ١٩٦٢ م والذى أفدتم به أن كل شىء لا يدخل المعدة من المدخل الطبيعى للطعام والشراب وهو الفم ـ أفدتم أن كل

هذا لا يعد مفطراً ، وبما أن بلية التبغ المنتشرة فى البلاد تكاد تكون شبيهة بما ذكرتم ، أحببت أن أتشرف بسؤال فضيلتكم عن حكم استعمال أنواع التبغ وهى عندنا بليبيا على ثلاثة :

١ ـ التدخين : وهذا بطبيعة الحال طريقه القصبة الهوائية فالرئتان .

٢ ـ النشوق : وهو مسحوق التبغ ينشق به من الأنف فلا يتعداه .

٣ ـ المضغة : وهى قطعة من ورق التبغ تلاك فى الفم ثم يطرح الريق إلى الخارج ، وأظن أن هذه الطرق فى الاستعمال لا تدخل المعدة .

فالرجاء من فضيلتكم إفادتنا من حيث أفادكم الله وهو ولى المحسنين .

وقد أجاب فضيلته على السيد محمد نجومة بخطاب هذا نصه :

« إجابة على استيضاحكم عن أثر التدخين ومضغه وتعاطى النشوق على الصوم ، أفيدكم أنه بالرجوع إلى الأطباء والإخصائيين تبين أن هذه الأشياء الثلاثة تصل إلى المعدة عن طريق اللعاب ، فالدخان حين تدخينه أو مضغه يثير اللعاب ، ومن ثم يذوب فيه بعض أجزاء النيكوتين ، وهو المادة الفعالة فى الدخان ، ثم يحملها هذا اللعاب كما يحمل ما يتسرب إليه من أجزاء النشوق إلى المعدة عن طريق المرىء ، وإذا كان الأمر كذلك كان استعمال أى من هذه الأشياء الثلاثة خلال نهار رمضان مفطراً .

وفقنا الله وإياكم إلى الفقه بأحكام الدين وتحرى الصحيح منها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود شلتوت

بريد المجلة

ماذا صنع بنا الاستعمار ؟ :

فى العـدد الأخير من مجلة (دعوة الحق) التى تصدرها وزارة الأوقاف المغربية بالرباط للعناية بالشئون الإسلامية والعربية ، قرأنا هذا الخبر .

« أصبح الزعيم الجزائرى أحمد بن بيلا يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة ، بعد ما كان يجهلها تماما عندما اعتقله الفرنسيون وقد استغل مدة إقامته فى السجن فتعلمها . . ! »

وفى مؤتمر كتاب أفريقيا وآسيا الذى انعقد من ١٢ - ١٦ من شهر فبراير الماضى بالقاهرة ، جاء دور رئيس وفد الجزائر فى تولى رياسة المؤتمر ، ولم تمض إلا دقائق حتى أعلن تنحيه عن كرسى الرياسة لأنه لا يعرف اللغة العربية ولا يستطيع متابعة المناقشات التى تدور بها فى جلسات المؤتمر . . ! هكذا اعتذر السيد / مصطفى الأشرف رئيس وفد الجزائر . وأشهر شعراء الجزائر محمد ربيع ، وأشهر كتابها محمد ديب ما زالت قصائدهما وقصصهما تطبع باللغة الفرنسية ثم تترجم إلى العربية !

هذه أخبار قد يقرأها العربى المسلم فيتملكه العجب ، إذ كيف يناضل زعيم عربى مسلم كابن بيلا طغيان الاستعمار ، وهو أعزل من سلاح اللغة ، لغة وطنه التى أعلن الثورة على فرنسا من أجله ، وكيف كان يتسنى للزعيم أن تتجاوب روحه مع روح الشعب الجزائرى المناضل الذى دفع به إلى مقعد الزعامة ، وهو يفقد الوسيلة الكبرى للتفاهم مع الجماهير . . ؟

ولكنه الاستعمار الفرنسى الغاشم . . الاستعمار الصليبى الذى تسلل من قلب أوربا ليثأر لهزائم الجيوش الصليبية فوق أرض عربية هى قطعة من الوطن الاسلامى . . الجزائر . وليس له هدف إلا أن يأتى على أعظم مقومات شعب مسلم من دين ولغة وأدب .

استطاع أن يتعقب اللغة العربية ويطاردها حتى حصرها فى عدد ضئيل من الكتاتيب ، وبقضائه على لغة القرآن أصاب الاسلام فى الصميم . هذا الاستعمار لم يدع وسيلة لمحاربة اللغة العربية إلا توسل بها ، ومن المهازل المضحكة أنه فى شمال أفريقيا ، بينما يطارد اللغة العربية كان يعمل على إحياء لغة البربر هناك ، مع أنها لغة غير مكتوبة ، وليست قائمة على قواعد وأصول ، وهو

الذى وضع لها قواعد وأصولا من نسج خياله ليستعين بها على محو اللغة العربية . وعلى تمزيق أوصال الشعب العربى الواحد .

إننا نبعد كثيراً عن الحقيقة حين نتوهم أن هدف الاستعمار الغربى الصليبى فى بلاد المسلمين يقف عند حد السيطرة السياسية ، وابتزاز خيرات البلاد ، ونخدع أنفسنا ونتجاهل أن هدفه الأساسى القضاء على الإسلام نفسه ، وعلى اللغة العربية لغة القرآن .

فى حرب إيطاليا ضد ليبيا كان من نشيد جنود إيطاليا :

« يا أماه .. أتمى صلاتك ولا تبكى .. بل اضحكى وتأملى ...

« ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا ...

لأبذل دمى لسحق الأمة الملعونة .. !

لأحارب الإسلام الذى يجيز تعدد البنات الأبكار للسلطان .. !

سأحارب بكل قوتى لأمحو القرآن .. !

إن الألمان الذين وقعوا فى الأسر فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية جاهدوا فى سبيل تعليم اللغة الألمانية للمصريين المعتقلين معهم ، على أن يعلمهم المصريون اللغة العربية ، وقد ضربوا عصفورين بحجر : وفوا لوطنهم واعتزوا بلغتهم ، وأضافوا إليها لغة العربية التى قد يحتاجون إليها جديدة وهى اللغة فى المستقبل .

إن بعضا من أدباء الجزائر هاجروا من فرنسا أو الجزائر وهو لا يعرف عن اللغة العربية شيئا ، ولكن هذا البعض لم يدع فرصة دون أن يتلقى دروسا فى اللغة العربية حتى أتقنها ، وأصبح اليوم يجيدها قراءة وكتابة لأنه كان على يقين من أن اللغة الوطنية من أقوى مقومات الوطن ؟

محمد عبد الله السمان

مفرد شمائل :

اختلفنا فى مفرد شمائل فمن قائل إنه شميلة ومن قائل إنه شمالة فنرجو أن تعينوا المفرد الصواب منهما ولكم الشكر .

محمد رءوف

طالب بكلية آداب القاهرة

المجلة :

... مفرد الشمائل شمال بالكسر لا شميلة ولا شمالة : قال عبد يغوث :

ألم تعلما أن الملامة نفعها
قليل وما لومى أخى من شماليا

وقال لبيد وقد جمع المفرد والجمع فى شطر واحد .

وهم قومى وقد أنكرت منهم
شمائل بدلوها عن شمال

الاقتباس من القرآن :

اعتاد الكتاب والشعراء أن يضمنوا

مقالاتهم وكتبهم وأشعارهم بعض آيات من القرآن الكريم وربما لم تكن هناك أدنى صلة بين المقال والموضوع الذى نزلت الآية فيه . لذلك عد العلماء هذا النوع من الاقتباس من النوع المحرم الذى لا تسيغه الأذواق المؤمنة ... وفى ذلك يقول الإمام الحجة أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية فى كتابه « كنوز العرفان فى أسرار وبلاغة القرآن » . يقول فى مبحث الاقتباس ما يأتى : — « ... وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلة من الكتاب الفضلاء فى أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التى هى من جملة رسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموا ذلك اقتباسا من القرآن . وهذا مما قد نهى عنه جلة العلماء وأفاضل الفقهاء الأتقياء وكرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئا من ذلك أو يستشهد به فى واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجاتهم إليه — ثم جئت على قدر يا موسى — وأشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذى أريد به ... فمن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السرى حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه — لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا — بل أنتم بهديتكم تفرحون — وقال لرسوله — ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون — وأوحش من ذلك وأعظم منه قول الشاعر :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف
بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله : قل للذين كفروا
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

إلى أن قال : هذا وما أشبهه مما يعدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغى أن تعاف النفوس مساغه وهو مندرج فى التحريم لما فيه من عدم الإجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم . وكيف يليق أن يجمع بين المحدث والقديم ؟ » .

محمود حمدى زقزوق

تعليق على تعليق

قال المرحوم الأستاذ أحمد أمين إن الإسلام يطلق على الانقياد القهرى ، وعلى الانقياد الاختيارى ، فالأول يشمل كل من خضع وانقاد بحكم خلقته ، أى فهو مقهور تسرى عليه قوانين العالم ، ولا يستطيع الخروج عليها ، وفى هذا قال سبحانه « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون » . فكل من فى السموات والأرض

مسلم بهذا المعنى ، أى خاضع لله ، مطيع لما وضع فى العالم من قوانين .

ثم جاء فى الإسلام بمعنى الانقياد الاختيارى قوله تعالى « فقل أسلمت وجهى لله » وهذا يفيد أن المسلم هو الذى رضى بطاعة الله فيما كلفه من شرع ، وبهذا المعنى تطلق كلمة المسلم على كل من خضع لله طوعاً ، وأطاع أى نبى من الأنبياء . فأتباع الأنبياء كلهم مسلمون بهذا المعنى ، وفى هذا قال يعقوب « يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

ثم خصصت كلمة الإسلام أخيرا فى الدين الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم .

وكلام المرحوم الأستاذ أحمد أمين فى هذا واضح ، لا غبار عليه ، لأن الإسلام الذى معناه الانقياد لما يريد الله كرها المعبر عنه فى موضع آخر بالسجود يعم كل المخلوقات . قال سبحانه : « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب » ولا شك أن هذا المعنى الذى يشمل حتى الجمادات لابد أن يشمل الكافر قطعاً .

وقد علق الأستاذ عبد الرحيم فوده على هذا القول فأنكر أن يكون معنى الآية يفيد أن الكافر يقال له مسلم بالمعنى العام ، وقال إن سابق الآية ولاحقها يخالفان ما يقول . وقد قرأت سابقها ولاحقها فلم أجد ما يخالف كلام المرحوم أحمد أمين .

ولو صح كلام الأستاذ فوده من أن الإسلام فى آية « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرها الخ » . معناه الخضوع للشرائع طوعاً فقط لترتب على ذلك محظوران :

أولا : أن يكون جميع من فى السموات والأرض مسلمين بالمعنى الذى ذكره هو . وطبعا لا يكون فى الأرض كافر قط . وهذا خلاف الواقع .

ثانيا : أنه يلزم أن يكون الملائكة مكلفين بالشرائع ، والمعلوم أن الملائكة مجبولون على الطاعة ، ولا قدرة لهم على المعصية .

ومعنى الآية على الوجه الذى قدره المرحوم أحمد أمين هو تسفيه رأى المشركين فى اتخاذ آلهة غير الله يتقربون إليها ، وليس فى الوجود من خضع له كل شىء غيره تعالى ، ولا يستحق أن يكون إلها إلا من كان كذلك .

هذا ما بدا لى فى هذا المقام ، وفوق كل ذى علم عليم ؟

محمد فخر الدين
آداب عين شمس

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فودة

والرجال عليهن درجة :

ترى هل غبن الإسلام المرأة إذ جعل للرجل عليها درجة كان له بها رياسة الحياة الزوجية . . ؟ ألم يكن الأقرب إلى طبيعة الإسلام دين المساواة أن يسوى بين الشريكين فيجعلهما فى منزلة سواء . . ؟ فيرضى بذلك الغربيين والمتغربين فى هذا القرن العشرين — ولكن . هل المساواة المطلقة من صالح الطرفين . ؟ وهل الطبيعة ساوت بينهما فى القوى والملكات ، وفى الأعباء والواجبات حتى نطالب الإسلام برعاية هذه المساواة . ؟

أو أن الضرورة قاضية بوجود الرياسة فى المنزل كضرورة الرياسة فى كل أمر ذى بال فللقرية رئيس ، وللمدينة رئيس ، ولكل مصلحة من المصالح رئيس ، وللوزارة رئيس وللدولة رئيس ، والإسلام دائما يطلب هذه الرياسة ويحرص عليها لتحديد المسئولية ، ولو فى الأمور العارضة ، فإذا حضر اثنان أو أكثر لفريضة الصلاة أمهم واحد منهم ، وإذا خرج ثلاثة فى سفر أمروا أحدهم .

ويقضى العقل والحكمة أن تكون الرياسة لأقدرهم عليها . وأصلحهم لها ، وتفرض أمانة الإسلام ذلك وتوجبه . وفيه يقول الرسول : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله » .

ولن تكون المرأة موضع الرياسة ما لم يكن ذلك نقصا فى الرئيس الطبيعى ، لأنها بضعفها الجسمانى . وملكاتها . وغرائزها . ووظيفتها فى البيت تكلف ما ليس فى وسعها أن تحسن القيام به إذا أسند إليها تلك الرياسة .

ثم هذا الرجل . مالك البيت . والقائم بنفقته ورعايته وحمايته . كيف لا يكون صاحب الكلمة العليا فيه . ؟

فدرجة الرجال فى الإسلام هى درجة الواقع المحسوس من عالم الأحياء ، وهى درجة تضاعف الواجبات وتزيد فى الأعباء ، وهى درجة تقفهم موقف المسئولين عن أنفسهم وعمن حولهم ، وهى درجة تصلح بها الحياة ويستقيم عليها الأمر .

إن خضوع المرأة لشريكها الرجل أمر طبيعى لا غبار عليه ، إذ لابد للأسرة وهى المجتمع الصغير من رئيس مسئول يكون

الفيصل فيما يعرض من مشاكل وأزمات.
وإن هذه المسألة من الأصالة والوضوح بحيث ترى المرأة السوية لا تسرها هذه الرياسة إن سلمت إليها، ولا يرضيها من الرجل أن تكون مالكة أمره والمهيمنة عليه. ولدينا الأمثلة من الحياة كما عند الكثيرين ولا ريب، وهذه كاتبة إنجليزية تقول: « لا تتعلق المرأة بالرجل الذى تديره كيف تشاء. وما ذلك إلا لأن المرأة تعلم أنه لا يمكن الاستناد إلا إلى ما كان صلبا متينا، فلا غرابة إذا احتقرت من كان ألعوبة فى يديها:

ويقول الأستاذ هنرى ماريون فى مثل هذا المعنى: فقد تبين لنا الآن لماذا خضعت المرأة للرجل، وأيضا لماذا يتحتم عليها ذلك الخضوع إلى حد، وإلا انقلب النظام البشرى رأسا على عقب. بل لو أراد البشر خلاف ذلك لكان لهم فى طبيعة المرأة: فى تركيبها وخلقها ومزاجها. ما يحول دون تنفيذ مرادهم: ثم يقول: إن خضوع المرأة أمر مكروه متى رافقته خشونة الرجل وفظاظته ولكنه طبيعى متى عدله تقسيم العمل. ولطفته روح العدل والإنصاف، بل ليس ذلك الخضوع إهانة ومذلة، إذا نشأ عن تفاوت ضرورى للتآلف والتوافق، وكان أساس الوحدة العاملة وهى الجرثومة البدائية فى تكوين الجمعية البشرية، كما تتآلف الأعضاء وتتوافق فى خدمة الجسم البشرى ».

فهذا الخضوع إذا كان ضروريا كما رأيت فهو فى الإسلام خضوع الرأى والمشورة والسمع والطاعة، لا خضوع الذل والعبودية أو العنف والاستبداد. فالإسلام يوجب على الرجل الرفق والكياسة والعطف وينهاه أن يستبد أو يجور، بل لقد طالبه أن يحتمل من المرأة أخطاءها، وأن يغفر لها هفواتها وأن يحسن إليها. لافتا نظره إلى طبيعة المرأة وما جبلت عليه حتى لا يلح فى حسابها طمعا فى إقامتها « استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع، وإن اعوج شىء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج. فاستوصوا بالنساء خيرا» وفى رواية: « المرأة كالضلع. إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج» رواهما البخارى ومسلم.

فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم من طبيعة المرأة عذراً لها فى الصفح عن هناتها والتجاوز عن أخطائها، وليت شعرى هل يكون الخير للمرأة والرجل إلا بهذا العوج، وهل يستقيم الحال بعقل مثل عقل الرجل، وعاطفة كعاطفة الرجل، وجسم كجسم الرجل.

من كتاب المرأة فى الإسلام
للأستاذ «كمال أحمد عون»

زينة للزينة

قال بعض القدامى :

إن المليحة من تزين حليها
لا من غدت بحليها تتزين

وقال غيره :

منعمة لم تلبس الوشى زينة
ولكن أحبت أن تزان الملابس

وقال بعض المحدثين :

إن المليحة من كانت محاسنها
من صنعة الله لا من صنعة (البُدَر)

من مقال للأستاذ « على الجندى »
فى مجلة صحيفة دار العلوم

المجد فالجمال

والمجد عند الغانيات رغيبة
يبغى كما يبغى الجمال ويعشق

« شوقى »

دور الأدب فى المجتمع الاشتراكى :

أصبح طبيعيا أن يكون للأدب دور فى بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد . بل أصبحت هذه وظيفته ، وإذا كان فى أدبنا العربى قديما وحديثا أصوات متباعدة تنادى بالعدالة الاجتماعية والتعاطف الاجتماعى من مثل قول الشاعر القديم .

فلا هطلت علىّ ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

إلى الروائع المعروفة فى أدبنا الحديث ، إذا كان ذلك فإننا الآن إزاء حركة اشتراكية جذرية تنظيمية شاملة ، من ألزم الأشياء أن يعبر عنها الأدب ، ويترجم حقائقها وقيمها إلى صور جمالية تحرك النفوس وتطور الأفكار .

وحركة الأدب الاشتراكى التى تبدأ الآن بطريقة جذرية شاملة مع الحركة الاشتراكية نفسها ستأخذ طريقها بجدة صاعدة غير ملتفة إلى الواقفين ينظرون متسائلين : ما هو الأدب الاشتراكى ؟ وما علاقة الأدب بالاشتراكية .؟ وهل هناك أدب اشتراكى وأدب غير اشتراكى .؟ إلى آخر هذه الأسئلة المستنكرة التى عهدناها فى مناسبات سابقة من أنصار الفن للفن متذرعين بالحرية والجمال والصدق الفنى .

وكلمات الحرية والجمال والصدق لو تعمقنا معانيها لوجدناها فى صالح الأدب الهادف إلى بناء المجتمع وتقدم الحياة ، فالأديب مواطن كأى مواطن صالح يعمل فى خدمة المجتمع ، ويدخل الأغراض الجماعية فى وجدانه ومشاعره فيعبر عنها من داخل نفسه وبدافع حريته . فكيف تنكر على الأديب حريته فى تعبيره المتجه نحو أهداف المجتمع ، وتشيد بالحرية التى يستعملها الأديب فى الانعزال والبعد عن أغراض الجماعة . . ؟ أليس هذا الأديب مثل الجندى الذى يستعمل حريته

فى التخلف عن الدفاع . والجاهل الذى يستعمل حريته فى الامتناع عن التعلم . . ؟ ثم أليس الأديب الفردى مستعبداً لقوى الفردية فى نفسه . . ؟ ولماذا لا يكافح هذه القوى ويتحرر منها إن كان حقا يطلب الحرية . . ؟ ولماذا لا يتأمل فى نفسه ويخلصها من استعباد القوى الرجعية الكامنة فيها .

وكذلك الجمال . . فمن قال إن استهداف الأدب أو اشتراكيته معناها إهمال جمال الفن وإهدار متعته . . ؟ ولست أدرى لماذا يكون التعبير عن الوجدان الفردى جميلا وفنا أصيلا ولا يكون التعبير عن الوجدان الاجتماعى مثله على الأقل فى الجمال وأصالة الفن . . أما الصدق . . فنحن لا نريد من أحد أن يزور مشاعره ، إنما نريد من الأديب أن يشكل نفسه بحيث يتشرب المثل والقيم الاشتراكية ، بحيث يكون إنسانا ، فلست أرى فرقا بين الاشتراكية والإنسانية ، بمعنى أن كلا منهما يهدف إلى العدل والتعاطف بين الناس ، ثم يعبر بصدق عن أهداف الاشتراكية النابعة من نفسه الممتزجة بوجدانه .

وهل يعد الشاعر الذى يعبر عن آلام البعاد وتباريح الهوى . وما يصيب فؤاده من سهام النظرات ، هل يعد هذا الشاعر صادقا فى تعبيره ولا يعد كذلك من تشربت نفسه حب المواطنين وسعى لخيرهم والتعاطف معهم ، أو من خالط مشاعره حب العمل وأحب الآلة فى المصنع أو النبات فى الأرض الطيبة . أو الحبيبة التى يحبها كإنسانة تشاركه الكفاح والهناءة . . ؟

أيهما أجدر بالتقدير والاحترام . . الصدق الفردى المستغرق فى العزلة واللذات الشخصية . أم الصدق الجماعى الذى يستهدف الخير العميم . . ؟

من جريدة الأهرام
« للأستاذ عباس خضر »
عبد الرحيم فوده

ربيعك فى نفسك

كنت كلما أقبل أبريل بالربيع تاقت نفسى وفى نفسى بهجة الطفل ، وفى عينى وضاءة الجنة ، وفى قلبى صبوة العاشق ، وفى حسى نشوة الشاعر ، وعلى لسانى أغرودة البلبل ، ثم أجدنى بعد همود الشتاء وعبوسه قد تجاوبت مع الطبيعة ، فأنضر مع الغصن ، وأتفتح مع الزهر ، وأنطلق مع النسيم ، وأمرح مع الطير ، وازدان مع الروض ، وأقضى أواخر النهار على ضفاف النيل ، وأوائل الليل فى ملاهى القاهرة ، فأجد لكل شىء جمالا ، وفى كل عمل لذة ، وعلى كل منظر فتنة !

أما اليوم فإنه يقبل به علىّ فلا ألقاه ، وإذا لقيته لا أراه ! ذلك لأن ستاراً من ظلام النفس يفصل بين عيني ونوره ، وحجاباً من كآبة العيش يحول بين قلبي وسروره !

فأنا أمشى فى شارع ٢٦ يوليو - إن مشيت - فأرى حياة الربيع من حولى تتدفق باللهو ، وتتألق بالجمال ، وتتأنق بالزينة ، وأنا محمول على عبابها المضطرب ذاهل الوعى بارد الحس خامد الحركة ، كأنى جثة قتيل على سطح نهر ، تمور الأمواه تحتها بالحياة ، وتزدهى الشطئان حولها بالنضارة ، وهى تجرى إلى مصيرها المجهول لا تتصل بالكون ولا تشعر بالوجود !

وأنا أغشى مسرح اللهو - إن غشيت - فأرى الوجوه تهش ، والثغور تبسم ، والعيون تقول ، والقلوب تصغى ، وأنا جالس إلى المنضدة الرخامية لا أجد بينى وبينها فرقاً فى الجمود والبرود ! فمثلى كمثل الأصم الأصلخ فى المرقص الصاخب : يرى أفواهاً تنفخ فى مزامير ، وعصياً تضرب على طبول ، وأجساداً تلتصق بأجساد ، وشفاهاً تنفرج عن ثغور ، ثم لا يسمع أنغام العازفين فيطرب ، ولا يدرى كلام الراقصين فينتمش !

لقد خبت وقدة القلب وعادت جمرته رماداً !.

أذلك لتقدم السن ، أم ذلك لتأخر الصحة؟ لا يا صديقى ! لا تقدم السن يؤخر الربيع ، ولا تأخر الصحة يقدم الخريف . ما دامت فيك حياة ففيك شعور ، والشعور إن يبلد يدرك الحس فى جمال الطبيعة ؛ وإن يرهف يدرك الروح فى حس الجمال ، إنما هى الحياة العفنة التى نحياها اليوم فى مصر[1] ! مستنقع من الماء الآسن ، تنعقد عليه أبخرة خانقة ، وتسطع منه روائح خبيثة ، وتطن فوقه حشرات سامة . فإذا لم يؤتك الله المشاعر السحرية التى تجعل الظلام نوراً ، والبخار بخوراً ، والطنين شدواً ، والكدر صفواً ، عناك أن تجد اللذة ، وأعياك أن تسيغ العيش .

لقد كنا من قبل نبصر الحياة بالقلب والقلب فنان ، ونحن الآن نبصرها بالعقل والعقل عالم !

(من كتاب وحى الرسالة للزيات)

---

(١) نشرت هذه الكلمة فى ٩ أبريل سنة ١٩٥١

" Ye shall certainly be tried and tested in your possissions and in your personal selves; and ye shall certainly hear mnch that will grieve you; from those who received the Book before you, and from those who worship many gods. But if you perservere patiently, and guard against evil, — then that will be a determining factor in all affairs " (S. The Family of Imr'an, V. 186.) " And we shall try you untill we test those among you who strive their utmost and persevere in patience: And we shall try your reported (mettle)." (S. Mohamad, V. 31.); It intended to mobilize the spiritual powers of the believers to pass any distress or difficulty and to face it boldly.

Islam, in fact, did not intend to frighten the people when it assured that they will suffer, not only in their wealth or plenty; but also in themselves. The truthful expression and its actual existence was of a great term in their steady faith and their final success, which they scored because of patience, endurance and piety which is to follow God's instruction. The Holy Qur'an says: " It it not righteousness that yo turn your faces towards East or west; but it is righteousness, to believe in God and the Last Day, and the Angeles, and the Book, and the messengers; to spend of your substance, out of love for him, for your kin, for orphans, for the needy, for the wayfarer, for those who ask and the ransom of slaves; to be steadfast in prayer; and practise regular charity; to fulfil the contracts which ye have made; and to be firm and patient, in pain (or suffering) and adversity, and throughout all perisds of panic. Such are the people of truth, the God fearing". (S. The cow, V. 177).

Mobilization of the national power:

The final question which comes up now is: How to mobilize the national power towards the socialism? And how to orgamize that mobilization ?. Is it better to form leading units in the different sectors of the society which will completely represent all the specific power, to turn the meaning of socialism into a belief ? or to let the individuals to elect their representatives who take care of their affairs ?.

The President Gamal Abd El-Nasser's call to Revolution: who chose and guided it ? — Surely, it is a natural process found its way through a belief, then became an effective belief, and then turned to a motion. These three steps are inseparable, they also follow each other. President Gamal Abd El-Nasser and his companions were effected by the

(*Continued . . .*)

the individuals as they divided education into a religious and a civil one. They also formed the parties which opposed each other, instead of to strive towards the realization of one aim which is the reviving of the Heydays of the islamic society that embraced the human socialism.

C: *In thought* :

By thought, we mean here the way of thinking and its course. For the thought to be a directive source in mobilizing the orientation of the numerical national power and in turning the meaning of socialism into a belief; it should confirm the islamic and the historical values and not to destroy or doubt people in them.

Undoubtedly, the thinkers have the right to read the weastern and the eastern writings, but they should modify themselves with the specific national powers. This is because the repetition of some directions here and some there through our new revolutionary society; will surely disturb and cause troubles and disunity among the individuals, as it will create a feelings of suspicion towards the sincerity of the Revolution to its history and to the social values which the society is doing its utmost to defend them.

D: *In expression* :

By expression, I mean the declaration of one's idea — whether by saying or practical conducting through life — . And as the way of thinking should go with the main social values which represent some of the specifid national powers; the expression of one's ideas — whether by saying or conducting — should be modified with these values. Also, the means of information, such as the newspapers, broadcasting and television, and the means of Art, such as theatres and cinemas, and the means of publishing books and the means of preaching such as mosques; should not oppose each other or differ in their objectives. For perhaps a news or a report in a daily newspaper or in a weekly magazine causes doubt in the people's hearts — because it does not go with the main values of the society — especially those who have no knowledge but what related to the religion and aimed to God's favour. And also the methods of the expression should go with the steps of the society in its new era. So, it should not be exaggerated or abased whether in distress or abundance. When the holy Qur'an said : " Be sure we shall test you with something of fear and hunger, some loss in goods or lives or the ftuits (of your toil)." (S. The cow, verse, 155)

Al-Azhar by the revolutionary government to enable them to earn their living on one hand, and to understand Islam and to perform faithfully the islamic message on the other. Hence, there will be no distinction between one and another in the society. No man will be called a religious or a secular one, but all people will have equal opportunities.

As a matter of fact, the islamic society during its heydays did not know a religious man and a secular one, but it knew only Muslim individuals. It did not know the religious man who use his message as a mean to gain his living, but it knew the professional man who was a jurist or a guide to the people. The history tells us some examples : such as Abu Bakr who was a merchant till he was selected ruler of the muslim society, then the great friends of the Prophet "peace may be upon him" asked him to devote himself for the muslim affairs. Another example was Othman son of Affan who was also a merchant. But both of the two - Abu Bakr and Othman - were jurists. The history tells us also about : Abi Hanifa Annoman who was selling silk at the markets, inspite of his knowledge and fame as a jurist, and about Abou Al-Hassan Ahmad El-Kadouri who was a maker of pots although he was one of the greatest jurists. It tells us also about Ahmad Ben Omer Al-Khas-af who wrote the book of "Al-Kharag" and many other great books in jurisprodence, although he was earning his living from repairing shoes.

By this new system, the revolution removed the distinctions and realized equal opportunities for all the individuals of the nation. It also restored the strong picture of the learned muslims of the past, to the learned men of our present time. Hence, our revolution has the right to declare its pride - because of what it realized for Islam and the arabic nation - to the other arabic societies which embraced a certain islamic creed, and their rulers defended it one generation after the other. This certain creed was of Ibn Taymia which aimed at restoring Muslims to their glorious past and putting them face to face with the Qur'an, in order to have a clear understanding for the message of Islam and to have the powerful unity of thought and orientation. Consequently, the hateful sectarianism will be abolished, and the separation which causes weakness and interruption in the islamic society will be removed. But inspite of the existence of these principles, the forgone societies conducted against them. This was because their purpose was only to separate the unity of the people, to weaken them and to create differences among

If any observer looks into the islamic massage, studies its principles and objectives in such way, and uses it to attract the people's attention, undoubtedly, he will have a deeper influence in the field of producing more understanding towards the relation between the arabic socialism and the islamic one. This understanding will be changed into a faith and utilization in the daily life of the individuals of the society and this faith by turn, will be the protector of the new position of the arabic society. Also, there will be no need for the legislative law which is guarded and carried out by the executive authority. Hence, the national power which is represented by the individuals will have the task of protecting the new equilibrium and duration of the new arabic society to be of productive socialism.

But the message of Islam can not be understood or has its effect in reviving and turning the meaning of the socialism into a belief, except after giving guidance and orientation to those who are known as the bearers of the islamic message — The Azharites whether they are students or professors —. And on the contrary, if they have not the right understanding and the ability to rouse the general attention for turning the meaning of the socialism into belief; surely their danger will be nearer to that of those who badly use their authority. This is because, as the obsecurants invest the people's wealth and capabilities in their material production; the bearers of the islamic message who have no correct understanding affects the people's hearts and souls and leads them astray.

Our prospect now is depending upon the university of Al-Azhar in its new organization which can be considered one of the greatest revolutionary works and which will have a great influence on our society, and the other islamic. and arabic societies. Also, we hope that the revolutionists will make their utmost to turn that organization into an actual existence, in order to perform its message as a growing university — though it is the oldest — especially in guiding the arabic and the islamic nations.

Verily, the reorganiztion of Al-Azhar University will prevent the islamic guidance to be a kind of professions. It will create new kinds of kdowledge which enables one to work and earns his living, instead of to use the islamic guidance as a mean of gaining money. The new faculties which are added to the old ones-The theoritical faculties of arabic and Islamic studies - are a golden opportunity given to the students of

Therefore, the islamic society is not only the one in which justice and equilibrium are realized, but it is also the society which completely respects humanity and gives it more than it takes, and hence, the islamic society will be the one which fulfills equilibrium and kindness at the same time.

The islamic call did not strive for, correcting the social condition in the human society or for exhorting people to follow the human innate qualities only, but it also called for keeping that, as the saying of the Almighty God " God commands justice and doing of good " [S. The Bees, V. 90]. While the islamic call called people to do good, it called them to enjoin what is right and forbids what is wrong, especially when the society has an obliquity or remissness in carrying out the islamic teachings which consider only the human qualities, not wealth, not pride of honour nor dignity. glorious Qur'an says : " Ye are the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong, and believing in God ". [S. The family of Imran, V. 110].

As a matter of fact, the message of Islam is not only embodied the principles which call for the social equilibrium and its protection, and which call people to faith in God, but it embodied also the principles which call reople to make their utmsst for the benefit of their society. Moreover, it combined — beside that — the main principles which prevent corruption from being spread among the individuals of the society on the hands of the alien people. They also prohibit the individuals of the islamic society to be loyal to any one who does not share with Muslims their faith and national aims, and also prevent them to be loyal to any one except the natural ruler who guides and leads it to realize its objectives and its basic principles. The Qur'an says : " The believers, men and women, are protectors, one of another : They enjoin what is just, and forbid what is evil ". [S. The Repentance, V. 71] " O ye who believe ! take not my enemies and yours as friends (or protectors) ". [S. The women to be examined, V. 1]. " Thou wilt not find any people who believe in God and the last Day, loving those who resist God and His prophet, even though they were their fathers or their sons, or their brothers, or their kindred ". [S. The woman who pleads. V. 22,].

From these verses, we come to the conclusion that people are forbidden to be loyal to the non — Muslims and not to get outer orders or guidance from a stranger or any ruler other than that leader who shares with them their aims and guides the society to realize its objectives.

In Islam, the honour or the personal pride never adds to a person more virtues to distinguish him from any other one, but both of the two (the honour and the pride) are an external factor gives no more consideration or value. It does not give any one more advancement (in the life welfare) than the other, nor it grants him more social qualities in the society in which he lives. When Islam averts the pride of honour or greatness of the ancestors to be a kind of preferance or valuation, it makes the way wider for the whole people and cleans it from the obstacles and hindrances which were founded by those who are people of honour in order to prevent others from occupying the good position which they deserve because of their personal effeciency, as it realizes what so called in Sociology " The equality of opportunities ".

Indeed, equality of opportunities is not more than a prevention of non-personal factors-such as pride of honour, dignity or fortune—to be means of distinction for some and backwardness for the others. Hence, when Islam returns the mutual position of the wealth back again, and prevents people to use money for monopoly, bad investment or raising the honour and dignity; it surely spreads tranquility and comfort among people. So, every one will feel a safe future and will be directed to the true aim and objective of life, which is undoubtedly not the fortune nor the pride of honour nor greatness of the ancestors; but it is indeed the production of the human beings in its different shapes; it is the mental production and the physical one together.

Moreover, Muslim — from the islamic point of view — is not one who has fortune, pride of honour or dignity ; but he is who works and produces by all his human powers and activities. Also, human society is the one of production and work which are the reciprocal aspect in the islamic society. Indeed, the human production is notling but human services which benefit all the individuals of mankind, whether they took part in its performace or not. Because every one of the islamic society is a human producer, it is naturally that the work of every individual serves the benefits of common, and also the work of common serves the benefits of the individual. And this leads us to conclude that the islamic society is a socialist one. This is because the main principle of socialism is " one is for whole, and all are for one ". The islamic socialism is a human one since it depends only upon the human production, not on wealth nor any other adventitious qualities which have no effect in the human valuation.

Those who unjustly eat up the property of orphans, eat up a fire into their own bodies: They will soon be enduring a blazing fire!" (S. The women, V. 10.)

The word "orphans" in this verse does not combine those who are under age only, but it contains also the feeble people who have no ability to resist the utilization or to restore their rights which were usurped by the agressors.

Perhaps the main function of the fortune — in view of Islam — is to liberate humanity, — individuals and communities — to liberate them from the material captivity and from the slavery of a man to his brother. As a matter of fact, enslavement can be represented by many ways such as hunger, ignorance, illness and fear. Also, the main function of fortune — In Islam — may be to enable the individuals of the society to enjoy their rights equally. The most important one of these rights is freedom and also honour. The glorious Qur'an says: "Verily, we have created man into toil and struggle. Thinketh he, that none hath power over him? He may say (boastfully) wealth have I squandered in abundance! Thinketh he that none beholdeth him? Have we not made for him a pair of eyes? And a tongue, and a pair of lips? And shown to him the two highways? But he hath made no haste on the path that is steep. And what evil explain to thee the path that is steep? — (it is) freeing the bondman; or the giving of food in a day of privation. To the orphan with claims of relationship, or to the indigent (down) in the dust. Then will he be of those who believe, and enjoin patience, (constancy, and self-restraint), and enjoin deeds of kindness and compassion. Such are the companions of the Right hand." (S. The city, Vs. 4 — 18.)

As a result of what we mentioned, — the main function of the fortune is to liberate the humanity from all the different ways of slavery — Islam aims at giving the man a complete mastery over money due to his characteristics, freedom and his honour. That is because the subjection of man to the fortune is against the law of God who created him to be the master of all the other creatures, such as the wealth which lays in the botom of the earth and the money which is its price. So, when the holy Qur'an says "And He has subjected to you, as from Him, all that is in the heavens and on earth" [S. Bowing the Knee. 13.] It intends to clear that man himself is a master and that all the other creatures are harnessed to him.

standard, Islam calls people to maintain and protect it against any unexpected relapse. But if the society is compelled and forced — by a bad authority, utilization, monopoly or the different trials — to come back to its former state, Islam ordains people to call again for the correction of the society, then to guard and protect it. Undoubtedly, Islam always tries to correct the bad condition of the society, and to narrow the distinction among the people in order to enjoy themselves during their lifetime.

We previously mentioned that the message of the prophet Mohamad " peace may be upon him " had come to purify the social condition and to oblitirate the investment, whether it is performed by those who are the descendants of the great ancestors, or by those who are wealthy. This seems very obvious in the islamic attitude towards fortune, pride of honour and greatness of the ancestors. For example : Islam does not consider fortune as a private property enjoyed by those who possess it, while needy people have no share in it, but on the contrary it considers money a loan given to them and they temporarily possess it, also Islam considers those people as guardians who should carry out their guardianship completely and wiselv. Moreover, fortune in the islamic point of view belongs to God, as it is a common right for all people. This is because God's provision is to be shared by all His creatures. This islamic point of view concerning fortune is cleared in the different verses of the holy Qur'an which read " Believe in God and His prophet, and spend (in charity) out of the (substance) where of He has made you Heirs ". [S. The Iron, V. 7].

" Ye, give them something yourselves out of the means which God has given to you " [S. The Light, V. 33].

" And those in whose wealth is a recognised right. For the (needy) who asks and him who is prevented (for some reason from asking) ". [S. The ways of Ascent, V. 24-25].

Because wealth basically belongs to God, one who possesses it has no right to with holdit from others, or to badly use it, such as to enslave their souls ar to tie their future to his order by means of it. In this respect the holy Qur'an says " And do not eat up your property among yourselves for vanities, nor use it as bait for the judges with intent that ye may eat up wrongfully and knowingly a little of (other) people's property ". [S. The Cow, V. 188].

meet hindrances and obstacles, such as hunger, fear and lack of properties. In this respect the holy Qur'an says "Be sure we shall test you with something of fear and hunger some loss in goods or lives or the fruits (of your toil), but give glad tidings to those who patiently persevere,-" [S. The cow, V. 155].

These hindrances sometimes be represented by the conspiracies or the plots which are prepared by those who have no belief in the new system and principles. These plots and conspiracies sometimes cause harm to the reformers. In this connection the glorious Qur'an says "Ye shall certainly be iried and tested in your possissions and in your personal selves; and ye shall certainly hear much that will griéve you, from those who worship many gods. But if you persevere patiently, and guard against evil, - then that will be a determining factor in all affairs." [S. the family of Imran, V. 186.]

Though these difficulties may hinder the call's way, the last consequence will be the victory and the stability for the callers and the society which they are struggling to realize. The Qur'an says "This day have I perfected your religion for you, completed my favour upon you and have chosen for you Islam as your religion." [S. The Table, V. 4.]

Reviewing the history as a directive source for the struggle of our nation which aimed at realizing the methodical examples and stability of the balance among all members of the human society, it is undoubtedly possible to mobilize the national numerical power towards the belief in Arab socialism. This mobilization will be realized, if we understand the happenings of the history, which happened as a result of calling to these idologies, the hindrances which met the callers and the success which they scored at last as a result of their struggling.

B. in Religion :

As a matter of fact, Islam - by its message and through it - aims only at restoring the human and the good position to mankined. This because the human society had lost ist position pride and honour and also the differences and distinctions among its individuals were very obvious, not only in the poverty and richness nor in ignorance or learning, but also in the human qualities which are differently granted to the human beings.

After turning the situation of the society to its correct human

From this Qur'anic verse, we come to the conclusion that Islam ordains Muslims - when their society comes down to a level lower than the required one - to from a group from amongst themselves to bear the responsibility of reformation of the society. But without having a complete authority over the society, it is impossible to restore the society back to its glorious past. This is because the authority is the only mean which enables one to enjoin what is right and forbids what is wrong.

However, the holy Qur'an - in this verse or in any other verse did not point to the way of forming such group which will bear the responsibility to restore the society back to its right position. No doubt that the Qur'an never aimes at forming such a group by means of election- when the society comes down to a level lower than the level of the islamic values - because people, as a whole, in such case will have no ability to be higher than the happenings, to see the outlines of the reformation of the society, or those who gather these lines into their minds, have a complete belief in them and make their utmost to carry them out.

As a matter of fact, God chose this group of people, His selection does not mean that He sent down to them a new revelation to convey it to the people as the prophets; but it surely means that God granted them pure natures and faithful hearts by which they can be higher than the happenings and which enable them to call People to do good, enjoin what is right and forbids what is wrong, as the Qur'an states in the previous verse. Verily; with their faithful hearts and pure natures; they will realize their aim and reach their goal which is the improvement of their society and conducting according to the islamic values. This is the statement of the Qur'an at the end of the above mentioned verse which reads "They are the ones to attain felicity", the task of this group does not differ from that of the prophets and messengers, whether towards the call itself or its stages or the circumstances of the struggle : Its failure and success. No doubt that the good result — inspite of these circumstances — will be at last for those who are pious, and also they will be the winners inspite of the long time and the hindrances that they will meet.

Hence, we do not expect to find a paved way to pass over or a bright light to lighten the way in front of us, but we mostly expect to

through its history — is the Islamic call, its begining and its extention all over the world. However, the arab history before the Islamic Call, was only the history of the arab tribes, history of war and comptetion for the sake of the mastery over the arab peninsula. But after Islam, the arab history is the history of the Islamic values and ideologies, history of Arab struggle to plant these values in their life and all mankind as well.

If we have a true desire to restore our nation's glory to our new society which is the socialist one, we shall firstly centralize our desire on these values which are the arabic and the Islamic message, and also on the difficult and long periods of struggle to make a room for these values in the human beings life.

The Qur'an — it self — not only illustrates the values of the Islamic message, but it depicts the struggle for its sake also. The examples of the struggle in the holy Qur'an are not for the struggle which began and then ended, but for the sake of the struggle which will be repeated through the human generation. This is because the values of the Islamic message are requested to be followed by all people and they also asked to perform them during their life, or [at least to be nearer to them. Sometimes, humanity may come to the standard of the realization of these values, and sometimes it comes down and in this case, all the human society will be responsible to fight in the cause of the realization of these values again to inculcate them in the human being hearts.

As a matter of fact, these values are steady ones and the human beings are responsible to raise themselves to its level, so it is only the society attitude — towards these values — which changes nearer to or away from them. The Qur'an says " Let there arise out of you a band of people inviting to all that is good, enjoining what is right and forbidding what is wrong : They are the ones to attain felicity ". (S. The family of Imran, V. 104).

This verse denotes to the duties of humanity, when the society becomes away from the Islamic values, or when disruption and corruption are existed. According to this verse, it is the duty of the society to have a group of people who have a complete conviction in these islamic values to restore—by enjoining what-is right and forbidding what is wrong the glorious past of the Muslim society.

The specific national power :

As a result of the above mentioned, all the individuals of the nation — except those who badly took the proceeds and the sources of the nation's wealth, who directed its political and intellectual affairs and who weakened the nation and helped the foriegn mastery against the national struggle, indeed those are the people who took more than they gave or took but did not give — except those, the rest of people are qualified to be Arab socialists. But the question which we should face now is: How the individuals of the nation become Arab socialists — while they are forming the numerical power — in the actuality and manner ? How does the understanding of Arab socialism can be changed to a complete belief in it ? And how this belief can be utilized in the practical life to protect the nation n case of aggression or conspiracy ogainst it ?

Having the suitability for acceptation of Arab Socialism is not quite enough for the individuals of the nation, as well as it is not sufficient for them to have a numerical power, but there should be — besides that — a complete conviction which urges one to do good during his life, to carry out the principles of Arab Socialism and to fight against those who are trying to aggress on it.

Consequently, there should be another power which is unseen and immaterial one, beside the numerical power. This power is the one which drives, or rather, should drive the Socialism, as an understanding, to be a complete conviction, then to a behaviour according to that conviction.

Hence, we may call this power, the specific national power. This is to face the numerical natinal one. And if we examined these specific national power which turn the understanding of Socialism to a complete belief in it, we shall find out that they are represented in following of the sources of powers :

A. The history.

B. The religion.

C. The thought.

D. The expression.

Undoubtedly, these means and sources of power can be a perfect guide, if they are well understood and practised. The practical role of the leaders of Arab Socialism, is to declare the values of these sources of power and to materialize it in our new society.

A. In the history :

We mean here by history, the history of our arabic nation which —

The teaher will also be an arabic socialist, if he gives more favour in addition to his work. This favour can be represented by giving help to the students who need such help, performing his duties thoroughly, or by sharing the task of giving free education to the people in a public schools. Not only the teaher, but also the teachers syndicate will be an arabic socialist, if it gets out of the circle of serving only its members in return for their subscribtions and strives to serve all people. It can, for example, build schools and produce free scholarships for the intelligent students or to spread konwledge and culture to enlighten people and oblitirate illiteracy.

The agricultural engineer can be also an arabic socialist, if he freely shares by his expertness in some technical fields for the benfit of the people, such as to show farmers how to cultivate lands, to visit their farms and houses periodically, and to give them more advices to indicate his active readiness for help and his human noble feelings towards them.

Also, the agricultural syndicate can be an arabic socialist, if it widens its services to benefit, not its members only, but all people also, For example : To establish methodical houses for farmers in different villages, to improve animal production and its exhibitions, or [to] offer any other help to denote that it does not confine its services to its members, but it does its utmost for the benefits of all.

The Governmental employer can be an arabic socialist, if he gives more favour or human services beside what he is compelled to do according to his job. For example : To accomplish the needs of the people as soon as he can, to save their time and to offer them other services which are not due to his official work, but for only humanity and kindness.

Therefore, Arab Socialism combines two aspects :

* Justice and balance between taking and giving with regard to the individual relation.

* An exceeding favour beside that justice which reflects its influence upon the society.

Hence, the fact that the individual is working for the benefit of all will be realized. This is because his services are not equal to his wage, but they are more than it. And also that all are working for the benefit of the individual. This is because they make their utmost to happy him irrespective of the value of their wages, and this of course is the essence of Arab Socialism.

passes his examination successfully in return for his parents, teachers and professors care ? Is the wife an arabic socialist when she takes care of her family's affairs and carries out her duty as a mother in return for her husband carefulness ? Is the husband an arabic socialist when he accomplish his duty towards the family in return for the services which family offers to him ?

Surely, if the Arab Socialism is mere giving in return for taking, or a service apt to a recompense, every one will be, therefore, an arabic socialist. In my openion, Arab socialism is not only an act of moving inside the sycle of giving and taking or, in other words, that work should be equal to its recompense. But Arab socialism is that " One for all and all for one ". And here questions will rise : How one be for all ? How all be for one ?

It is impossible for one to work for all, or all to work for the benefit of one as long as the work is only in the circle of giving and taking or at least the work is equal to the wage. Therefore, every one should offer an additional work beside the equality of taking to the giving or rights to the duties. This additional work is a human service that can be explained as a manly effort whether it is a material or immaterial one. For instance the worker wili be an arabic socialist if he — beside his daily work — offers an additional service, as to do his work thoroughly, to help the weak workers, to guide and advise those who have no experience . . . . etc.

The medical man will be an arabic socialist, if he gives an exceeding favour beside the medical care for which he takes the fees. This exceeding favour can be represented by giving free medical advice to the patient who has no ability to pay fees. The medical man can also represent his exceeding favour by giving a precise description or an exact advice and also never to produce it, unless he studies the patient condition thoroughly. Consequently, the patient will not be exposed to any harm or pain. This favour also can be materialized in the fields of offering guidance to those who badly need it and in many other fields.

Undoubtedly, the Doctors Syndicate can be an arab socialist, if it gives an exceeding favour beside, the services which it offers to its members in return for what they pay. For instance : It can help in establishing new free hospitals for the needy people, in giving free medical advices and also in teaching people, especially the uneducated and the peassant classes how to protect themselves against diseases and in any other free human and medical services.

that the working class — the factory workers in particular — is the only class which should have complete authority over society, and this of course will be the last ring of the historical events chain.

The system of the society — in the communism point of view — had changed to its contrary in the past, and now it differs from what was in the past, and it will be also changed to its contrary in the future till the society becomes a worker one. For instance, the royal society — in which the different kinds of properties belonged to the king himself and the people were similar to slaves — was changed from the royal system to feudal one in which the rulers — who were appointed by the king's will — owned the fields and rented them to the cultivators. Again that society was changed from the feudal system to the capitalistic one in which money was entirely invested in the factories as the feudalists prefer factories on land cultivation to get more interest. This capitalistic society was also changed to a worker one after long conflicts between the capitalists and the workers of the factories. Hence, communism considers that the workers of the factories are only the communists and the socialists.

But is the Arab Socialism, the same communist one? No,.. It is not, because Arab socialism protects the individual properties, which are forbidden in the worker or the communist societv. The personal properties are existed and will remain because they form the private section, beside the public one in which some lands, factories and stores are belonging to State.

Again, we will come back to ask about the meaning of the Arab Socialism and the fields in which it can be materialized. Is it a kind of exchange or substitution? Is it the performance of person's duties in return for having fully his rights? Are the farmer in return for having fully his rights? Are the farmer in the farm and the worker in the factory, arabic socialists when they perform certain works and take their wages? Is the employer in his office an arabic socialist because he performs the duty of his employment and in return for, he charges his salary? Is the medical man - when he discribes medicine for the ill and takes fees for his work - an arabic socialist?

Are the teacher of the school and the professor of the university arabic socialists when they carry out their duties and get their salaries? Is the student of the school or university an arabic socialist when he carefully attends his lessons and

THE NATIONAL POWER

HOW TO BE MOBILIZED TOWARDS THE ATTAINMENT OF ARAB SOCIALISM

BY

Dr. Mohammed El-Bahay
Vice chancellor of Al-Azhar University

This is a valuable philosophical research, in which the writer has demonstrated the national power and how they are to be mobilized towards realizing Arab Socialism. He also analyses its different specific fundamentals, especially from the aspect of history, religion, thought and expressions. The task of Al-Azhar in its new era is to inculcate the new revolutionary thought and understanaing in the people's minds.

To define suitably, the national power, it would be better before discussing the meaning of Arab socialism, to explain or declare what the National power is? Is it a certain number of individuals of different classes? or is it a discriminative power conferred on certain individuals who can possess it, while the rest of them have the ability to bear it and to carry out its principles.

The Arab Socialism :

In this respect I wish to ask the question " Is the one who works in a factory socialist, only because he is a worker ? " If so, the Socialism will be an inseparable quality for the worker, wheresoever he will be. Or, does socialism bear another meaning and essential quality which stands for that worker or any other individual, if such meaning or quality is planted in him ?

Indeed, Communism looks at the worker as a Communist and a socialist because he is a worker. This is because it rests upon certain intellectual fundamentals which' mean

best nation of mankind. So, it is our duty - in that condition - to carry out the instructions of the holy Qur'an which was revealed to be as a constitution and system of life. Hence, the enmity among Muslims should be removed and replaced with love and peace. And consequently, our nation will restore its glory and honour, as well as it will had the ability to perform its duty towards the message of Islam till the tumult and oppression be removed and justice and faith in God be prevailed.

In the occasion of the coming of the month of Ramadan, I gladly direct these words to all Muslims everywhere as I like to put in their consideration — as a conclusion — the saying of God (exalted be He) " O ye who believe! give your response to God and His prophet, when He calleth you to that which will give you life, and know that God cometh in between a man and his heart, and that it is He to whom ye shall (all) be gathered. And fear tumult or oppression, which affecteth not in particular (only) those of you who do wrong and know that God is strict in punishment. " (S. The spoils of war, Vs. 24 — 25.) " O ye who believe! Perserve in patience and constancy : vie in such perseverance, strengthen each other; and fear God; that ye may prosper." (S. The Family of Imran, V. 200.)

In the end, I prey God to guide all of us to the straight path and to do good for the benefit of our nation and our religion. Also, I hope them to receive Ramadan of the next year with faithful and united hearts. And now, let us hear and read the following verses of the Almighty God (exalted be He) " In the name of God, most gracious, most merciful. By (the taken of) time (through the ages). Verily, man is in loss, except such as have faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of truth, and of patience and constancy." (S. Time through ages.)

---

be like those who say, " we hear " but listen not. " (S. The spoils of war, Vs, 20 — 21.) " And hold fast all together by the Rope which God (stretches out for you) and be not divided omong yourselves. " " Be not like those who are divided amongst themselves and fall into disputions after receiving clear signs : For them is a dreadful penalty, — On the Day when some faces will be (lit up with) white, and some faces will be black. " (S, the family of Imran, Vs. 103 — 105 — 106.)

" Let not the believers take for friends or helpers unbelievers rather than believers : If any do that, in nothing will there be help from God" (S. The family of Imran, V. 28.)

" Your (real) friends are (no less than) God, His prophet and the (fellowship of) believers, — those who establish regular prayers and regular charity, and they low down humbly (in worship). As to those who turn (for friendship) to God, His Prophet and the fellowship of believers, — It is the fellowship of God that must certainly triumph. " (S. The table, Vs. 58 — 59.)

Verily, if they completely understood the meaning of these verses, they would know what they order them to do, they would come to the conclusion that they are the followers of the religion which enjoins love and co-operation and forbids hostility and conflicts. The religion which always calls for unity and brotherhood. Undoubtedly, people who are like that, should stick themselves to the unity and not to cut the links of fraternity which join them to each other, as they prevent insult and hatred, because these are against the requested character of the believers whom God says about them "The believers, man and women, are protectors, one of another; they enjoins what is just, and forbid what is evil' (S. The Repentance, V. 71.)

This means that unity in loyalty and devotion, should leap Muslims to be united, to support and help each other in the righteous deeds and piety.

Now, we are passing through the time in which Muslims are separated and in which the factors of corruption are spreading among the individuals of the Muslim society. And as a result of that, imperialists occupied their lands and usurped their properties, and Muslim also failed to reach the goal which God had chosen for them. This goal is to lead mankind to the straight path. For this reason, God revealed to them his guidance and religion, as He supplied them the means of being good conductors in order to be the

full well all that ye conceal and all that ye reveal. And any of you that does this has strayed from the straight path. IF they work to get the better of you, they would behave to you as enemies, and stretch forth their hands and their tongues against you for evil; and they desire that ye should reject the truth." [The woman to be examined Vs. 1 — 2] .

"O ye who believe ! Take not into your intimacy those out side your ranks : They will not fail to corrupt you. They only desire your ruin : Rank hatred has already appeared from their mouths : What their hearts conceal is far worse, we have made plain to you the signs, if you have wisdom. Ah ! you are those who love them, but they love you not." (S. The family of Imran, V. 118.)

Surely, Muslims forgot all these meanings. It bloods the faithful hearts to observe the hostility and separation widely spread among the individuals and the governments of the Muslim nations, to notice that the Islamic society had divieded into many sections and to see Muslim countries had beon subjected to the imperialists who usurped their wealth and induced one to fight against his brother. Here we should repeat the following verse, "Has not the time arrived for the belivers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the truth which has been revealed (to them), and that they should not become like those to whom was given revelation aforetime, but long age, passed over them and their hearts grew hard ? " (S. The Iron, V. 16.)

Has not the time arrived for the muslim people to liberate themselves from the deception of the imperialists and their supporters who strive hard to create hostility among one and his brother, to extend the period of their occupation in the Muslim's land ? Has not the time arrived for them to be guided by the tenets of the month of Ramadan which is the month of devotion and Qur'an, and to take it a point for revolution against the imperialists and the dishonest citizens who put the obstacles and the hindrances in the way of their unity, dignity and honour ? Has not the time arrived for them to repeat attentively reading of the following verses : " And obey God and his Prophet; and fall into no disputes, lest ye lose heart and your power depart; and be patient and persevering : For God is with those who patiently persever. " (S. The spoils of war, V. 46) "O ye who believe ! obey God and His Prophet and turn not away from him when you hear (him speak). Nor

may notice from all its principles and regulation : We can observe that in the fasting as we above mentioned, in the prayer which is a repeated devotion. For instance : All Muslims direct their faces towards one direction (one keblah), they perform their prayer behind one leader (Imam), their movements are the same, they read one Qur'an and they repeat the same praises through their bowing (Sobhana Rabbia Al-Azeem) " praise be to great God ", and through their prostration (Sobhana Rabbia Al-Aàla) " glory be to God the Almighty ".

Unity is the aim of Islam in Zakat also. Zakat is the tie which links all the individuals of the society to each other, spread among them, love, faithfulness and cooperation. Surely, alms giving removes the distinctions among the classes and replaces them with love and brotherhood. Hence, the rich man feels the pains of the poor one, and he may make his utmost to please him, and the poor man offers his assistance to the rich one when he afficted by a calamity.

In pilgrimage, unity is very obvious, especially at the time of " Ihram " when all pilgrims put off th:ir ordinary clothes and put on clothes of a similar kind, material, parts, colour and the same making. At that time, one can not distinguish rich man from the poor one. This of course teaches Muslims the meanings of unity, instill in their hearts fraternity, tidiness, love and co-operation. Hence, Muslims become one group against their enemies.

But unfortunately, it is very painful for the faithful hearts to know that Muslims - during a period of the islamic history - forgot the facts of their religion. They were involved in the material fascinations of the world and forgot the constitution and the guidance of God, some of them become affectionate with God's enemies and their detractors, as they accepted them as their supporters other than God. The holy Qur'an says "And incline not to those who do wrong, or the fire will seize you; and ye have no protectors other than God, nor shall ye be helped." [S. Houd, V. 113.] "O ye who believe ! Take not my enemies and yours as friends (or protectors) offering them (your) love, even though they have rejected the truth that has come to you, and have (on the contrary) driven out the prophet and yoursselves (from your homes), (Simply) because ye believe in God your Lord ! If you have come out to strive in my way, and to seek my good pleasure. (Take them not as friends), holding secret converse of love (and friendship) with them : For I Know

RAMADAN IS ONE OF TENETS OF THE ISLAMIC UNITY

by
His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar

Dear Muslim brothers and sons all over the world : Assalamu Alikum wa - Rahmatu Allah wa - Barakatoh (peace from God be upon you). Now, the month of Ramadan has come " Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong). " (S. The cow, verse 185.)

It is the great month which God imposed upon every Muslim to fast it, to be as an Islamic tenent declares the unity of Muslims everywhere. An Islamic unity with infinite time, place, geographic borders, — natural or political — race, colour or language. In this respect the holy Qur'an says " O mankind ! we created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that ye may know each other (not that ye may despise each other). Verily, the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you. " (S. The Rooms, V. 13.)

The Prophet Mohamad " peace may be upon him " said : There is no preferance between the Arab and the non-Arab or the white and the black except by piety. This is because all of you are the sons of Adam, and Adam was created of dust. "

Surely, it is the unity which basically stands on the faith of Islam which followed and embraced by those who Fasting Ramadan is imposed upon them. The unity of Muslims plainly becomes evident during the month of Ramadan, especially in the times of eating and drinking which are from sunset till the dawn time. It seems also in prayer, fasting, alms giving, praising God, rehearsing Qur'an and also in awakening and sleeping.

Verily, the month of Ramadan and of unity has come. And Islam aims at the Muslim's unity as we

their eyes from looking to the prohibitions, their tongues from saying bad words, the ears from hearing the hateful speaking and prevent their hands from causing harm to the others. They also do good and follow the traditional instructions of Ramadan : The drankard lets his wine, the gambler lets his gambling the wrongdoer lets evil and the criminal forgets his crime, then the fasters will invite the poor people to eat with them and to give them a share in their money and possissions. Hence, all Muslims will feel that their hearts are in one place inspite of the long distance which separates one from the other. This is because they have the same feelings and the same spirit.

This divine spirit takes its place inside the hearts of the fasting people as a faith and a heritage. If one believes in patriotism as he believes in his faith, and find a reformation in the example as the same in the traditional love of reformation, therefore Muslims will be socialist citizens. Every one will make his utmost for the benefits of the common as if they were his own benefits, as he will prefare a better life for his citizens as he likes it for himself. He also will be faithful to his country as the same of the english to his empire.

At that time, the egyptian will be similar to the english who can live in a long distance away from his homeland in order to serve his nation. While he is working for his own benefit, he always puts his republic in front of his sight : Represents it at the best of his ability, offers it his best service and gains people's respect for it because of his good deeds, his faithful heart and his good conduct. Hence, you will not hear that the arabic or the egyptian man is living in the foreign contry in a complete loneliness, but in a permanent contact with his homeland and its people. He will not be a bad propagandist for his nation, as he will not speak badly about his brothers. This is because the socialist spirit receives its light from the spirit of God, and this leads man to change his individuality into a nationality, his selfishness into a philanthropic liking.

---

beings — which is the best kind of the living creatures — is making his utmost, firstly, to benefit himself, then to please his wife and sons. On the other hand, we find that the relation between man and the others looks like the relation between the hunter and his prey or the murder and his victim. This means that man strives hard to interest himself and his family, whether it is a legal action or a prohibited one. He wants his body to be healthy and his house to be full of nice properties, but he will be careless about any loss or distruction which may happen to the other people.

Surely, God does not grant man this kind of the materialistic socialism, but He makes it a part of His constitution and a section of the book which He revealed. So, one who tries to reform the corruption of the society, should spread these spiritual aspects everywhere to lighten the way in front of the people, otherwise his reformation will be useless.

According to the nature and the message of the Islamic religion, God promulgated it a socialist one. Indeed, God had revealed it due to his knowing and Distiny to guide people to the straight Path during their lifetime in the world. God is the owner of all money and properties, people are His bondmen and they will return back to Him after death. Because of the spiritual contact between creator and His creatures, the great Islamic family should be together in a unit. In this unit, people are equal, and the appointment of their government should be according to their will, the brotherhood is their faith and the money and properties are belonging to all of them.

If you think over the pillars of Islam and the regulations of its constitution, you will find out that socialism which unifies the hearts of the people, imposes on the rich man to help the poor one, as it makes all the Muslim society as one body which feels pain because of the diseased part. Here, I shall mention one example from one thousand, and it will be about the Fast of Ramadan. Is not the month of Ramadan which represents the spiritual unity among all Muslims everywhere ? Surely, it is. Muslims perform fasting during one time, break their fast at another one and perhaps they eat one food. They do not repose their tangible delights or desires, because they devoted themselves for the worship of God. Hence, they prevent themselves from doing ill deeds, prevent

FASTING RAMADAN IS A SPIRITUAL SOCIALISM

By

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

It is quite impossible for the materialistic Socialism — which we call people to carry it out — to lead its way, without a strong foundation which is the spiritual Socialism. This is because the spirit is God's secret which he created inside the heart of every human being, every system and every society. This secret is near to bring to life the dead as it unifies those who are separated from each other. As a matter of fact, we call this secret " love, attraction or unity ". It urges people to worship one God, to like their country, to respect one motto and to obey one leader. But if this secret left the hearts and went out of minds, there would be no brotherhood or help between one and the other, and no cooperation among the individuals of the society. Hence, the socialist laws and the co-operative systems would be in vain.

Verily, without the divine spirit, the human society will become looks like the animal one. For instance : one who takes care of his son is urged by his instinct which obliges him to keep his kind. But when this son comes to the age of youth, he will become as an enemy for his father, many conflicts and fights will happen between the two and the emotion of motherhood or fatherhood will become a tyrannical individuality.

In fact, the instinct of keeping the race is sometimes promoted among the animals such as the Bees and the ants till it becomes an ideal socialism which the human society makes its utmost to carry it out. This ideal socialism among the individuals of these two kinds of animals, means that " The whole are for one and the one is for all ". Hence, we find that the bee or the ant is working for the benefit of its society as a whole.

As it is also impossible to find this kind of sacrificing and co-operation among the individuals of another society like flies, monkeys or people. But every one of the human



مديرُ المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الحادى عشر — ذو القعدة سنة ١٣٨١ هـ — أبريل ١٩٦٢ م — المجلد الثالث والثلاثون



بسم الله الرحمن الرحيم

الشخصية الدينية لجماعة المسلمين

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

إننا ونحن الآن في أشهر الحج المبارك ، نقدم للأمة الإسلامية ، وللإنسانية جمعاء — مستعينين بالله سبحانه — بعض ما جاء به القرآن فيما يتصل بهذا الموضوع من حيث الطريق ، والإقامة ، وما يتصل بذلك ، ولذا فإننا سنعنى بالكلام في هذا الموضوع ، ببيان عن :

النداء الثاني في سورة المائدة :

وقد جاء فيه : « يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهرَ الحرامَ ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيتَ الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، وإذا حللتم فاصطادوا ، ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدُّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

وكما تضمن النداء الأول تشريعا كليا يركز مسئولية الالتزام التعاقدى ، وتشريعا جزئيا ينص على ما أحله الله للإنسان وما حرم عليه من الحيوان ، يتضمن هذا النداء الثانى تشريعا كليا يقرر المحافظة على الشخصية الدينية لجماعة المسلمين وتشريعا جزئيا ينص على

وجوب الاحتفاظ بأشياء معينة تتصل بما قدس الله من المكان والزمان .

المحافظة على الشخصية الدينية للمسلمين

بإيجاب التمسك بالشعائر

وفى الكلى يقول : « لا تحلوا شعائر الله » شعائر الله : هى ما نصبه الله عنوانا على هديه وهى عند التحقيق ترجع إلى مظاهر ما فرض الله من فرائض وحد من حدود ، وشرع من تشريع وهو بعمومه يشمل فى جانب الفعل : الفرض والمسنون والمندوب ، وفى جانب الترك : المحرم والمكروه وما لا ينبغى وإحلالها وانتهاكها وتركها وإهمالها فيما طلب فعله وفعلها وإظهارها وإشاعتها بين الناس فيما طلب تركه ، ومن هنا يتبين أن الشخصية الدينية تتكون من عنصرين : فعل مطلوب ، وترك منهى عنه ، فإذا اجتمعتا كلت الشخصية الدينية وإذا عدما أو عدم أحدهما عدمت الشخصية الدينية للجماعة وحرمت مكانة السمو التى تحظى بها ذات الشخصية الكاملة « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ؛ وما الله بغافل عما تعملون » .

فالأذان ، وصلاة الجماعة فى الأوقات الخمس ، وصلاة الجمعة فى كل أسبوع ، وصلاة العيدين فى كل عام وأداء الحج فى العمر ، وزكاة المال والزروع فى أوقاتها ، كل ذلك ونحوه من العناصر الإيجابية للشخصية الإسلامية . والابتعاد عن شرب الخمر وأكل الخنزير والاتجار بها وغلق أبواب اللهو والفسوق وبيوت الدعارة والقمار ومنع خروج المرأة متزينة متعطرة عارية كاسية من العناصر السلبية للشخصية الدينية ووجودها هدم لهذه الشخصية .

تقديس ما قدس الله :

وبعد أن ركز هذا النداء فى نفوس المؤمنين وجوب المحافظة على شخصيتهم التى بها يعرفون وعن غيرهم يتميزون ، ويتضح للناس مسلكهم وصراطهم الذى يسلكون ، عنى النداء بالنص على أشياء خاصة كانت موضع انتهاك القوم لها وقت التنزيل ، وربما كان لإحلالها فى نفوس البعض ما يبرره ، فحذر بوجه خاص من إحلالها .

الشهر الحرام :

ومن ذلك : « الشهر الحرام » والمراد به الجنس ، فيشمل الأشهر الأربعة المذكورة فى قوله تعالى من سورة التوبة : « إنَّ عدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعةٌ حُرُم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهنَّ أنفسكم » وقوله : « إنما النسىء زيادة فى الكفر

يُضَلُّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرّم الله. زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ».

الهدى :

ومن ذلك « الهدى » وهو ما يهدى إلى بيت الله من الأنعام للتوسعة على عباد الله العاكفين فيه والبادين .

القلائد :

ومنه « القلائد » وهي ما يوضع على الهدى إشعاراً بأنه هدى إلى الله وقربان .

قاصدوا البيت الحرام :

ومنه ما أشار إليه بقوله : « ولا آمين البيت الحرام » وهم الذين يقصدون البيت يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ...

وإحلال الأشهر الحرم ، يكون باستباحة الدماء والقتال وارتكاب المظالم فيها .

وإحلال الهدى حبسه عن أن يبلغ محله ، وهو بيت الله الحرام ، أو ذبحه . قهراً عن أصحابه . وإحلال القلائد يكون بانتزاعها من الهدى فيجهل الناس أنه هدى ، ويتعرضون له بالغصب أو النهب ، وإحلال قاصدي البيت التعرض لهم بسوء ، وهم لا يريدون السوء بأحد ، وإنما يريدون فضل الله ورضوانه ، فهم إذن ضيوف الله وفي جواره فلا يقاتلون ولا يساءون ، ولا يعنف عليهم في معاملة أو بيع أو شراء . وقد عرض القرآن الكريم البيت الحرام وبين قدسيته القديمة ومناسك الحج وشعائره في سورة البقرة ، وآل عمران ، والمائدة ، وسورة الحج ، وبيّن في كل ذلك أنه شأن ديني قديم نزلت به شريعة السماء ، ودانت به الأمم من عهد إبراهيم وإسماعيل إلى عهد محمد خاتم الأنبياء إلى يوم الدين .

ومما جاء بشأنه وشأن احترامه وتقديس ما يتصل به أو يدخل فيه حتى الصيد والأنعام قوله تعالى في سورتنا هذه : « يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام . أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ، واتقوا الله الذي إليه تحشرون . جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، وأن الله بكل شيء عليم » .

تقديس بعض الأماكن والأزمان

يتبع المناسب نوعا من الهدنة والتحصن

ومبدأ احترام بعض الأماكن وبعض

الشهور مبدأ سام، شرعه الله فى القديم وأقره فى الإسلام ، كيف لا وهو فرصة تعين المتخاصمين على حسن التفاهم وإقرار الأمن والسلام ، هو بمثابة هدنة الهيبة يغرس الاعتراف بها فى قلوب الناس جميعا ويمنحونها حقها من الكف عن المظالم والعدوان ، فتشعر بلذة الأمن والطمأنينة ، وتسعى فى إزالة أسباب التدابر والتقاتل والخصام بوازع دينى تمتلىء به القلوب وتخشى فى مخالفته سطوة المالك للرقاب ، المهيمن بقدرته وجبروته على القوى المتجبر ، وبرحمته وعطفه على الضعيف المستعبد .

ومن غريب أمر هذه الهدنة أنها أقرت الأمن فى هذه الأماكن حتى بالنسبة للأشجار الصامتة والحيوان الأعجم الذى يغشاها ويتنقل فى أرجائها ويطير فى أجوائها « وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما » .

كلام القرطبى فى هذا :

قال القرطبى فى تفسيره : والحكمة من جعل الله تعالى هذه الأشياء قواما للناس وسبيلا لأمنهم أن الله تعالى خلق الخلق على سليقة التحاسد والتقاطع والتدابر والسلب والغارة والقتل والثأر ، فلم يكن بد فى الحكمة الإلهية من كاف يدوم معه الحال ووازع يحمد معه المآل ، ومن هنا جعل الخليفة والإمام لتجرى على رأيه الأمور ويكف الله به عادية الأمور ، وعظم فى قلوبهم البيت الحرام وأوقع فى نفوسهم هيبته ، وعظم حرمته فكان من لجأ إليه معصوما به ، وكان من اضطهد محميا بالكون فيه «أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم» ، ولما كان البيت الحرام فى مكان مخصوص لا يدركه كل مظلوم ، ولا ينال حظه من الأمن فيه كل خائف ولا يمكن أن يجتمع سكان المعمورة فيه جعل الله الأشهر الحرم ملجأ آخر ، تنشر على الناس وهم فى أقاليمهم وأقطارهم ألوية الأمن والاطمئنان ويدخلون بها فى هدنة الرحيم المنان ، فقرر فى القلوب حرمتها : لا يروع فيها سرب ، ولا يطلب فيها دم ، ولا يتوقع فيها ثأر وفيها تسكن السيوف فى أغمادها وتتجه القلوب إلى ربها فيفيض عليهم من رحمته ما يطهرها من النوازع المادية التى تدفع الإنسان لأنهلك الحرث والنسل ويعرض الكون للخراب والدمار .

ولا ريب أن الإنسان إذا استمر فى هذه الهدنة وعالج نفسه فى ظلها وهى أربعة أشهر من اثنى عشر شهرا ، ثلث الحياة كان (فى فسحة وراحة ومجال للسياحة والاتصال

وتسوية الحال) بما يجعله فى حصن ووقاية من الرجوع إلى طرق باب الشرور والتنازع والخصام وبذلك يصير مع إخوته بنى الإنسان إخوانا متعاونين على البر والتقوى بعيدين عن الإثم والعدوان .

ختام النداء الثانى وما يوحى به

من المعانى السامية :

هذا تشريع الله لعباده المؤمنين وقد ذيله بقوله : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » . ليأخذ بهم إلى السمو عن مواطن الأهواء والنزغات ، والترفع عن معانى الأثرة والأنانية ، وسبل الشر والفساد ويجعل منهم قوة موجهة إلى الخير ، متعاونة على البر .

فمتى يخضع المسلمون لتعاليم ربهم وإرشاده وهو يأمرهم أن يكونوا جميعا أمة واحدة لا تعرف النزاع ولا الشقاق ولا التقاذف ولا التقاطع ، ولا العصبية الجنسية ، ولا العصبية المذهبية ؟ . وفيم هذه الخلافات المستحكمة التى لفتتهم عن قصدهم ولوتهم عن سبيلهم وفرقت كلمتهم وجعلتهم شيعا وأحزابا ؟ وفيم هذه التفرقة وهم على كلمة سواء فى توحيد الله والإيمان بوحيه ورسله ، والإيمان بيوم البعث والجزاء ، والإيمان بأصول الأحكام التى قررها كتاب الله الخالد وجعل منها معتصما للجميع ، إذ يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

إلا أن هذه الخلافات قد صرفتنا عن النافع العملى ، واستغرقت جهودنا الفكرية فى مختلف الأزمان والأوطان ، ولو أن المسلمين كانوا قد تخففوا منها ، أو هونوا شأنها فلم يضخموه ولم يحرصوا على تلقينه لأجيالهم جيلا بعد جيل لوجدت العقول مجالا غير مجاله فأثمرت ثمرات طيبات مباركات ، ولوطدت أواصر المحبة والتعاون بين أهل الدين الواحد والأصول الأساسية المتفق عليها ، ولما وجد أعداؤنا منفذا إلينا لا فى أفكارنا وعقولنا ولا فى أوطاننا وأعمالنا . .

إنه لو حسبت الأوقات التى ضاعت وتضيع فى الخلافات النظرية ، والجهود التى بذلت وتبذل فى كل شعب قديما وحديثا لدراسة موقف كل طائفة من الأخرى فيما تقول به من كذا ، أو فيما تنكره من كذا ، لهالتنا كثرتها ، ولعز علينا أنها ذهبت هباء لم تفد منها الأمة شيئا إلا بقاء العداوات والأضغان بل تثبيتها وتنميتها .

فاللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا ، وألف بين قلوبنا . . .

محمود شلتوت

أسلوب الدرعيات

للأستاذ عباس محمود العقاد

يضمن القارئ المعنى بأبي العلاء المعري أنه ينتهي من كل قراءة له، أو عنه، إلى بحث من بحثين كلاهما أصيل في تحصيل الثقافة الرفيعة : وهما البحث في حقائق النفس الإنسانية أو البحث في حقائق اللغة .

فإن هذا الأديب الكبير، كان على فرط اشتغاله بالتنقيب عن حقائق الفكر والعقيدة يفرط مثل هذا الإفراط في استطلاع أسرار اللغة وتقليب وجوه الألفاظ ومعانيها والمعارضة بين أقوال البلغاء فيها، ويصحب ذلك بامتحان قدرته على الإتيان بمثل ما أتى به الأوائل، من بلاغتها الممتنعة ومن مواطن الإعجاز فيها، على حد قوله :

وإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

وكل ذلك ظاهر في شعره ونثره وفيما التزم به بعض قيود اللفظ أو انطلق فيه من قيوده ليخلفها ببعض الشرائط التي تستعصي على غيره ممن يقنعون بالقليل الشائع في باب الثقافة اللغوية .

وقد عرض الباحثون في مؤتمر اللغة العربية لدراسة المعري من غير جانب واحد، وكأن آخر هذه الدراسات بحث الأديب السوداني النابغ الدكتور «عبد الله الطيب» عن درعياته التي ألحقها بديوانه سقط الزند وهي إحدى وثلاثين قصيدة ومقطوعة شعرية كلها في وصف الدرع وما يصح أن ينسب إلى الدرعيات، نظر فيها الأستاذ الطيب من جانب التاريخ واللغة وأسلوب النظم فاستقصى وجهات النظر في هذه الجوانب، وانتهى من المقابلة والموازنة بين أشعار المعري إلى تقرير هذه الحقيقة عن أسلوبه في هذا الباب من أبواب النظم، فقال . إنه مخالف لأسلوبه في سقط الزند مخالفته لأسلوبه في اللزوميات، ولكنه يميل تارة إلى نهج الشعر العاطفي في قصائد الوصف والغزل ويميل تارة أخرى إلى نهج الشعر الفلسفي، أو الحكمي، في اللزوميات ... وعلل ذلك بما يفهم منه أن هذا الاختلاف راجع إلى نظم الدرعيات في وقت وسط بين الوقت الذي نظم فيه شعر صباه والوقت الذي استقر فيه على العزلة وعكف فيه على نظم اللزوميات .

وفي التعليق على بحث الدكتور الطيب يقول العالم اللبناني الدكتور عمر فروخ :

« إنه من قراءة الدرعيات بإمعان نظر يتبين أن المعرى أراد أن يلتزم فيها حرفى روى ولكن ذلك لم يتأت له على الوجه الأكمل ... وتتفق الدرعيات مع اللزوميات من حيث الغرض فى أن الزهد بارز فيها وأن ذم الدنيا فيها كثير » .

وفيما نرى أن هذا الاختلاف يفسره لنا اختلاف الموضوع ولا تفسره لنا كل التفسير على الأقل مسألة اختلاف الوقت أو مسألة المحاولة الناقصة ، لأننا نرجع إلى الحالة النفسية التى هى العامل المهم فى تكوين بواعث المشاعر فنرى أنها تشترك فى قصائد من الدرعيات وقصائد من اللزوميات كما لاحظ الدكتور عمر فروخ ، ولكننا نستبعد أن يكون المعرى قد خطر له يوما أن يعالج التزام مالا يلزم فى القافية فعجز عنه وتركه ليعود إلى محاولته بعد ذلك عند نظم اللزوميات ، لأن حظه من المعرفة اللغوية فى نحو الأربعين من عمره لا يقصر به عن إتمام قصيدة واحدة على نهج اللزوميات إذا خطر له خاطر الالتزام عند نظمها ، وما كان ليرضى لنفسه مظنة الإقرار بالعجز عن نظم قصيدة إلى نهايتها على هذا النهج فيترك الالتزام فى هذه القصيدة ثم يتركه فى غيرها إلى أن يحاوله بعد حين فيستقيم له فى قصائد اللزوميات .

أما اختلاف الموضوع فهو كاف لتفسير الاختلاف بين أسلوب الدرعيات وأسلوب سقط الزند واللزوميات ، وهو الذى يفسر لنا اختلاف نظم الشعراء الآخرين فى قصائدهم الغزلية أو الوصفية ونظمهم فى قصائدهم « الطردية » حين ينظمون فى أغراض الطرديات ... لأن الطرديات والدرعيات كلاهما موضوع واحد يتردد فيه الكلام على مقاصد متشابهة : وهى أوصاف السلاح وعدة الصيد والفرس وطراد الوحش والحيوان ؟ .

ومن خصائص أبى العلاء « النفسية » أن نبحث عن اختياره « الدرعيات » موضوعا بدلا من هذا الموضوع الذى عرف عند غيره باسم الطرديات ، وظهر فيه اختلاف الأسلوب عند الشعراء الآخرين حين يطردون وحين يصفون أو يتغزلون .

فأبو العلاء كان يعارض البلغاء ويحب أن يأتى بما لم تأت به الأوائل كما قال ، ولا يستهويه باب من أبواب المعارضة كما يستهويه ذلك الباب الذى اختاره الشعراء لإظهار علمهم بغريب اللغة ودرايتهم بالحياة « الأعرابية » أو حياة الفروسية البدوية وهو باب « الطرديات » .

فهل كان من المعقول — وهو على غرامه بمعجزات اللغة — أن يقرأ للشعراء الأولين

منظوماتهم الطردية ولا يخطر له أن يعارضهم فيها ؟ .

ولكن هل كان من المعقول - مع هذا - أن ينظم فى الطرديات كما نظموا وأن يقصد القصيد ليقول لنا إنه ركب الفرس وسدد السهم وعدا خلف الطريدة وأصاب وأدمى وعاد بقنائص الطير ومصائد الوحش وصرائع الحيوان ، ليدخل بها على حليلة تنتظره فى الخباء كما ينتظر فرسان الهيجاء ؟ .

وهل يأذن للمعرى وقاره المطبوع ، الموروث ، أن يتقبل السخرية التى تخامر نفوس قرائه وهم يتخيلونه على حاله ويتخيلونه على دعواه ؟ .

إن الفزع من هذه السخرية فى ذهن المعرى تمثله لنا لمحة عابرة نقرأ حاله فى رسالة الغفران وهو يتخيل ابن القارح على ظهر فرس من أفراس الجنة بعد أن عرض عليه « أن تركب فرسين من خيل الجنة فتبعثهما على صيدانها وخيطان نعامها وأسراب ظبائها وعانات حمرها ؟ .

فيقول الشيخ كما ألقى المعرى على لسانه : « إنما أنا صاحب قلم وسلم ولم أكن صاحب خيل ؛ ولا ممن يسحب طويل الذيل » ... وما يؤمننى إذا ركبت طرفا ... رتع فى رياض الجنة ... وأنا كما قال القائل ...

لم يركبوا الخيل إلا بعد ما كبروا
فهم ثقال على أكتافها عنف

أن يلحقنى ما لحق ... صاحب المتجردة لما حمل اليحموم ... وكذلك ولدك علقمة حلت فى العاجلة به النقمة لما ركب الصيد فأصبح كجده زيد ... » .

فالمعرى يتخيل الوهم الذى يوقع صاحبه ابن القارح فى سخرية أهون من سخرية الناس برهين المحبسين وهم يتمثلونه راكبا للطراد ، فيستكثر هذه الصورة الهازلة عليه ... فهل يسلم مقاده للساخرين بيديه لينظم لهم فى الطراد ويتبذل للداجنين عجزه وسكونه وهو الذى كان يستر طعامه عن الناظرين إليه مخافة أن يبصروه على غير ما يرضاه ...

إذن لا سبيل إلى النظم فى أغراض الطراد ولا سبيل كذلك إلى اجتناب هـــذا الباب الوحيد الذى أولع به أناس من الشعراء أقل منه علما بغريب اللغة وأخبار الفروسية البدوية ، فليكن له - إذن - باب غير باب الطراد ولكنه شبيه به فى أغراضه وفى اتساعه لغرائب اللغة وأحاديث الفروسية البدوية ! وهو باب الدرعيات .

فالدرعيات هى « طرديات » أبى العلاء ، وعدوله عن « الطرديات » إلى الدرعيات إنما كان على سنته فى كل معارضته للأقدمين :

وهي سنة الإتيان بما لم يأت به أولئك الأقدمون الأولون .

إن الطرديات كانت تنظم في بحر الرجز فلينظمها هو في سائر البحور وليملأها من غرائب الأخبار بما لم يعلمه قبله أحد من السابقين إلى هذا الباب ، لأن أبا العلاء قد كان يستخف بالرجز ويحسبه طبقة من طبقات النظم دون طبقة القصيد في سائر أوزان العروض ، ومن هنا جعل للرجاز جنة خاصة في رسالة الغفران ، دون جنة الشعراء .

ولم يكن وقار أبي العلاء الذي أخافه من سخرية الركوب للصيد خلقا طارئا عليه من أخلاق الهرم بعد الشباب ، أو أخلاق الحلم بعد الجهل ، أو أخلاق القناعة بعد الأشر والطماح ... بل هو خلقه الذي لازمه في عهد سقط الزند كما لازمه في عهد اللزوميات ، وبهذا الوقار رثى أباه ، فاستعظم أن يتوهمه مهرولا في موقف الحشر كما يهرول المبعوثون حول الحوض :

ويا ليت شعري هل يخف وقاره
إذا صار أحد في القيامة كالعهن
وهل يرد الحوض الروى مزاحما
مع الناس ، أم يأبى الزحام فيستأني

فلا جرم يختار لطردياته مجالا غير مجال الطراد والسباق ، وغير المجال الذي يقحمه على الفروسية إقحام المدعى لأمر يركبه مركب السخرية والمجون .

ودراسة الأبواب الشعرية هي في جميع الشعراء دراسة لغوية نفسية ، ولكن المعرى ـ خاصة ـ بين هؤلاء الشعراء أجدرهم أن يعطينا من تفسيرات علم النفس أضعاف ما يعطينا من تفسيرات علوم اللغة كافة ، على وفرة غريبة في هذه التفسيرات .

عباس محمود العقاد

قال نصر بن سيار صاحب خراسان يصف الحرب ومبتدأ أمرها :

أرى خلل الرماد وميض جمر
فيوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها الكلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام

التجديد في الدعوة الإسلامية يبتدئ من المفاهيم

للأستاذ الدكتور محمد البهي

— ٢ —

٣ — التوكل :

وعلى نحو ما وجدنا فى مفهوم الإحسان ومفهوم الصبر نجد أيضا فى مفاهيم أخرى كانت لها مدلولات محددة فى أول أمرها ثم تغيرت هذه المدلولات تبعا لعوامل التغير التى غيرت المجتمع وغيرت هدفه وطابعه .

والتوكل من النماذج الواضحة لهذا القانون . فإذا استعرضنا آيات القرآن التى تطلب من الإنسان أن يتوكل على الله نجدها لا تحيد إطلاقا عن ذلك المعنى : وهو اقتران السعى البشرى واستخدام الإمكانيات التى يملكها الإنسان بطلب المعونة من الله جل شأنه . وليس هناك فى القرآن معنى للتوكل فصل فيه بين السعى البشرى وبين طلب العون الإلهى ، فإذا قرأنا مثلا قول الله تعالى : « وما لنا إلا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » وقوله تعالى لرسوله الكريم : « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » - إذا قرأنا مثل هذه الآيات نجد القرآن الكريم ربط فى معنى التوكل بين حقيقتين ، بين المجهود البشرى وطلب العون الإلهى ، ففى الآية الأولى ربط بين المجهود البشرى فى الصبر على الإيذاء وطلب المعونة من الله فى الاستمرار حتى تتحقق النتيجة المرجوة لنصر المثل والقيم التى تخطط سبيل الله فى الحياة . وفى الآية الثانية ربط بين المجهود البشرى فى عدم الإذعان للكافرين والمنافقين وفى تحمل أذاهم والانصراف عن الاهتمام به بطلب العون الإلهى حتى يتحقق أيضا نصر المؤمنين . وهكذا لو انتقلنا إلى آية ثالثة فى قوله تعالى فى سورة النحل : « الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » . أو فى قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » نجد ذلك الازدواج الذى لا يكون التوكل فضيلة

ومطلوبا فى نظر الإسلام إلا إذا تحقق واقترن أحد طرفيه بالآخر .

فإذا انفصل هذا الاقتران فى وقت آخر بعد ذلك وأصبح التوكل عبارة عن انتظار عون الله دون تقديم مجهود بشرى ودون استخدام الطاقات التى يملكها الإنسان - فإن هذا المعنى يكون طارئا على مفهوم التوكل فى بدء أمره ويكون تخصيصا له لعامل أو لعوامل طرأت على المجتمع الإسلامى فغيرته وتغير تبعا لذلك هذا المفهوم .

وإذا فتشنا عن ذلك العامل أو تلك العوامل التى طرأت على المجتمع الإسلامى فغيرته وغيرت معه مفهوم التوكل بحيث أصبح موازيا لمعنى التواكل — وجدنا نفس الشىء الذى وجدناه سابقا ، وهو ما صار إليه المجتمع الإسلامى من ضعف وتفكك فى الروابط وانصراف عن المثل والسعى إليها إلى الارتباط بتحصيل المطالب اليومية التى من شأنها أن تعين الإنسان على البقاء المادى كـكائن تدفعه غريزة حب البقاء إلى الحرص عليه . ولو استرسلنا فى تحليل العناصر الخاصـة لظواهر الضعف والتفكك والانصراف عن المثل العليا ربما وجدنا هذه العناصر فى شيوع الفردية والأنانية ، التى تسيطر على أفراد المجتمع بعد توالى الأزمات عليه وبعد فقدانهم الثقة فى أنفسهم وفى علاقات بعضهم مع بعض .

والمجتمع الإسلامى - كأى مجتمع إنسانى - مرت به أزمات كثيرة وفقد أفراده الثقة بأنفسهم وأصبحوا ينظر بعضهم إلى بعض نظرة ريبة وشك ، وبالتالى ركزوا سعيهم فى الحياة على الاستقرار الذاتى أو بعبارة أخرى على المحافظة على البقاء الفردى والشخصى .

ومفهوم التوكل هذا فى تطوره وفى تحوله ينبئ بدوره عن تحول المجتمع نفسه من قوة إلى ضعف ، كما كان تحوله هو ذاته نتيجة لتحول المجتمع .

٤ — التواضع :

ولا يشذ مفهوم التواضع عن تلك المفاهيم السابقة فى تحول مدلولها وفى تأثر هذا التحول بطابع المجتمع نفسه . فقد كان مدلوله الأول - وإذا كان فضيلة - حمل النفس على عدم الغرور بأسباب القوة وبمصدر العزة الذى يتوفر للإنسان فى وقت من الأوقات . ولم يكن يتصل بهذا المدلول من قريب أو بعيد معنى الذلة أو معنى القبول للمهانة فى أى صورة من صورها . والقرآن الكريم فى

آياته يوضح هذا المدلول على نحو جلى لا لبس فيه ، فيقول فى سورة المائدة : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » . ويقول فى سورة الإسراء : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » . ويقول فى سورة الحجر مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم : « واخفض جناحك للمؤمنين » . ويقول كذلك فى سورة الشعراء « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » . وفى سورة آل عمران « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

كل هذه الآيات تطلب فى واقع الأمر ألا يدفع الإنسان المؤمنين - بسبب ماله من تفوق أى تفوق - إلى أن يكون سلوكه بالنسبة لقرنائه أو بالنسبة لمن لهم فضل عليه كالآباء والأمهات سلوك المترفع المتكبر . وإنما يجب أن يكون مهذبا فى تصرفه معهم . وهذا التهذيب هو ما يشير إليه التعبير بقوله : « أذلة » وبقوله : « واخفض جناحك » . وبقوله أيضا : « واخفض لهما جناح الذل » .

فإذا مال التواضع إلى معنى آخر وهو — مثلا — الرضا بالمهانة ، أو البقاء فى الذل ، مع العجز عن دفع أسباب المهانة أو الخروج عن نطاق الذل — فان ذلك معنى طارىء على المدلول الأول ، حمل عليه وضع المجتمع الإسلامى نفسه الذى صار إليه . وهو وضع الضعيف أو المستضعف ، أو وضع الذليل أو المستذل ، لأسباب لا تتصل بالإسلام وإنما تتصل بالمسلمين أنفسهم فى علاقات بعضهم ببعض أو فى صلات أمتهم بالأمم الأخرى .

٥ - العفو :

وعلى هذا النحو « العفو » فى مدلوله وفى تطور هذا المدلول من معنى كان له أولا إلى معنى آخر لحقه ثانيا . فاذا قرأنا مثلا قول الله تعالى فى وصف المؤمنين « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » يتأكد لدينا أن مدلول العفو الذى اعتبر فضيلة من الفضائل التى يجب أن يتصف بها المؤمنون : هو ترك توقيع الجزاء مع القدرة على مباشرته والصفح عن الأخذ بالمثل مع الاستطاعة عليه وتأكيد ذلك يوضحه التعقيب فى هذه الآية فى قوله : « والله يحب المحسنين » فليس الإحسان هنا إلا الصورة المثلى من صور الإنسانية الكريمة ، وهى التى تمثلت فى ضبط النفس والعفو عند المقدرة .

ويزيد في هذا المعنى وضوحا قول الله سبحانه وتعالى في آية أخرى في سورة الشورى « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، فهذه الآية ربطت الأمر بمثله في الجزاء وأباحت القصاص بما لا يجاوز المثل ولكن طلبت من المؤمن أن يكون ذا مستوى إنساني أرفع فيترك جزاء السيئة بمثلها لأنه أليق بالإنسان المحسن المهذب . وإذا ذكرت هذه الآية في عقبها قوله تعالى : « فأجره على الله ، كجزاء للشرط في قوله « ومن عفا وأصلح » — فإن ذلك فقط لدفع المؤمن دفعا نفسيا على أن يتخلق بخلق العفو وهو الصورة الإنسانية الكريمة التي شرحناها ، حتى يصير العفو بعد ذلك خلقا له يصدر عنه دون أن ينتظر أجرا من الله عليه .

هذا العفو إذا صار إلى معنى التسامح عند العجز عن رد المثل وعدم القدرة على جزاء السيئة بمثلها فإنه يكون معنى آخر طارئا على فضيلة العفو التي جعلها الإسلام من فضائل التهذيب والسلوك الإنساني الكريم ، ويكون السبب الذي دعا إلى طرو هذا المعنى هو ذلك السبب الذي يتصل بالطابع العام الذي صار إليه المجتمع الإسلامي وهو طابع الضعف والاستكانة ، وطابع العجز الذي أوصل إليه تفكك الروابط بين الأفراد ونزول الهدف من الاحتفاظ بالمثل العليا أو السعي نحو تحقيقها إلى الحرص على الحياة الفردية والبعد عن الأزمات أو عن مجال الكفاح في الحياة .

* * *

وهكذا لو تتبعنا المفاهيم التي تمثل الفضائل الإسلامية والتي يقوم عليها المنهج المستقيم للسلوك العملي للإنسان المؤمن ، لوجدناها تغيرت وآلت تقريبا إلى أضداد مدلولاتها الأولى ، ووجدنا كذلك أن السبب في تغييرها هو المجتمع نفسه ، ثم لو فتشنا في طابع المجتمع الذي أوحى بهذا التغيير في المفاهيم من مدلولاتها الأولى إلى أضدادها لوجدنا أن الفرد في المجتمع الإسلامي قد تغير عما كان عليه أول أمر هذا المجتمع ، ولا يخرج هذا التغير عن كون أن الإيمان الذي كان للمسلم الأول في نوعه وفي امتلاء القلب به خف وزنه أو تحول أمره من المقدسات والمثل العليا إلى مطالب دنيوية أو أهداف قريبة في الحياة الإنسانية .

ولذلك لا يمكن أن ترد هذه المفاهيم إلى مدلولاتها الأولى إلا إذا ربي الفرد المسلم تربية إسلامية ، ونشئ على الإحساس بالقيم

التى جاءت بها الرسالة الإسلامية ، ثم تمثلت فى نفسه فى إيمانه وفى سلوكه معا ، ثم من جهة أخرى لا يمكن أن يربى الفرد المسلم هذه التربية الإسلامية وينشأ على عشق القيم العليا وتمثلها فى إيمانه وفى سلوكه إلا إذا حلت هذه المفاهيم من جديد مدلولاتها الأولى ، ووضعت أمامه فى الحياة الإسلامية كى يعيها ويتدبرها ثم يؤمن بها ويتصرف على غرارها.

وهنا طريق الإصلاح طريق مزدوج ، ولكنه طريق يمكن أن يبتدأ فيه فى وقت واحد ، فى الوقت الذى تعاد المدلولات الأولى للمفاهيم الإسلامية وتقدم للأفراد فى المجتمع وهى حاملة لهذه المدلولات ، والسبيل إلى ذلك هو العودة إلى القرآن والتزام مدلولات آياته دون أن يحكم فى تفسيره قاموس تكون بعد نزوله وحددت مصطلحاته تحت تأثير عصبية مذهبية أو طائفية ، ودون أن يحكم فيه لون معين من التفسير خضع لعوامل الضعف أو توجيه الذين حاولوا أن يستذلوا الأمة الإسلامية فى مقوماتها وفى قيمها التى تميزت بها كأمة لها تاريخ ولها رسالة وفرض عليها كفاح من أجل هذه الرسالة .

وهذا كله يدعو من جديد إلى إعادة النظر فى الكتب والرسائل التى تعرض الإسلام وتقدم للمسلمين فى مدارسهم ومعاهدهم أو فى حياتهم العامة ، كما يدعو إلى إعادة النظر فى ثقافة المساجد التى تقدم للمترددين عليها ، بحيث تكون هذه الثقافة تعبيراً عن الأصالة فى رسالة الإسلام كنظام صالح للحياة الإنسانية الكريمة . ومن عناصر الحياة الإنسانية الكريمة أن يكون الإنسان قويا فى كل ما يتصل بالجوانب الإنسانية ، ولكنه فى الوقت نفسه مهذب فى كل ما يتصل بالسلوك والمعاملة مع غيره .

ونقطة البداية إذاً هى رد المفاهيم الإسلامية إلى مدلولاتها الأولى ، واستشارة القرآن الكريم والحديث النبوى الصحيح فى تحديد هذه المدلولات دون غيرهما مما نسب للمسلمين وتأثر بالأوضاع الإنسانية المختلفة التى تبعد كثيراً أو قليلا عن أهداف الرسالة الإسلامية .

الدكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر

ابراهيم مصطفى
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

بقلم: أحمد حسن الزيات

لم يكد الخالدون الفانون يكفكفون دموعهم على فقد زميلين عزيزين هما المؤرخ شفيق غربال، و العالم إسماعيل مظهر، حتى عادت فتقاطرت على فقد زميل عزيز ثالث هو الأديب إبراهيم مصطفى. والأسرة المجمعية يحزنها أمض الحزن أن ترى المنايا السود يتخطفن أبناءها واحدا بعد واحد فى أزمان متقاربة وهى لا تملك لهم إلا عبرات تجف على حر الأسى، وذكريات تمحى على كر السنين.

نعم إن المجمعيين كالأنواء فى السماء كلما سقط نجم منها فى المغرب طلع بحياله نجم آخر فى المشرق، فلا يزال العالم الأدبى منهم فى ضوء مستمر وغيث متصل، ولكن غروب الغارب ينسى شروق الشارق ويسلم النفس إلى ليل من الحزن طويل موحش. والناس أمواج فى خضم الحياة، تتولد من بعيد، ثم تتعاقب وتتدافع. فترتفع و تنخفض، وتضطرب وتصطفق، وترغى وتزبد، حتى تبلغ الساحل فتنكسر على صخوره أو تغيب فى رماله! ونحن الشيوخ نرى بأعيننا الكليلة صخور الشاطئ ورمال القفر على مدى قريب، فنجد فى أنفسنا الرضا بحلول أصدق المواعيد لأنه العاقبة التى لا مفر منها والغاية التى لا معدى عنها. وسنة الله فى خلقه أن يشيخ الشاب ويهيج الزرع ويجىء الأجل، ويموت الحى ولكن الإيمان بيقين الموت والاطمئنان إلى نهاية الحياة لم يستطيعا أن يحبسا فى العين دمعة الحزن. ولا أن يخففا عن القلب لوعة الفراق.

والحزن على نوابغ الشيوخ هادئ ولكنه عميق، لأن مبعثه فكرة، والفكرة ولود. أما الحزن على نواضر الشباب فهو ثائر ولكنه ضحل، لأن مبعثه عاطفة والعاطفة عقيم.

الحزن على فقد الشاب الجميل حزن على زهر ذوى وزرع آف وأمل خاب وسند تحطم؛ ولكن الحزن على الشيخ العظيم حزن على ثروة ضخمة من العلم والخلق والمواهب والتجارب والمرانة، عمل فى تكوينها مع

نص الكلمة التى ألقيت فى حفل التأبين الذى أقامه مجمع اللغة العربية بداره للفقيد فى يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٦٢.

الطبيعة الحرة والزمان الطويل عوامل جمة وأحوال مختلفة حتى أصبحت قوة فى طاقة الإنسانية وقطعة من ثروة العالم ، يحدث فقدها فى سير الحياة من الخلل ما يحدثه فقد الضرس الصغير فى الدولاب الكبير .

وإذا قال أبو تمام :

إن الفجيعة فى الرياض نواضرا

لأشد منها فى الرياض ذوابلا

فقد صور الحزن العاطفى على جميل فقد ، ولم يصور الحزن العقلى على نافع ذهب . إن فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار ألوفا من الأنفس تبتلعها القبور فلا يعقب فقدهم فراغا ولا دهشة ، ولكن فقد عظيم واحد فى العلم أو الأدب أو الفن أو السياسة أو الإصلاح يحدث فى العالم من الخسران ما عبر عنه عبدة بن الطبيب بقوله فى قيس ابن عاصم :

فما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما

لم يكن إبراهيم مصطفى علما على شخص وإنما كان علما على ثروة . كان ثروة ضخمة من علوم القرآن وفنون اللسان تجمعت بالحفظ والدرس والتحصيل والتمحيص والدأب والصبر والإيمان فى خمس وسبعين سنة من يوم مولده إلى يوم وفاته .

نشأ الفقيد فى بيت من بيوت القرآن ، فقد كان أبوه رحمه الله قارئا لكتاب الله مقرئا إياه ، فأخذه منذ الحداثة بحفظه وتجويد لفظه وقراءته على الأحرف السبعة التى أنزل عليها . ثم غرس فى ذهنه البكر أصول العلوم . فحفظه الألفية فى النحو والتلخيص فى البلاغة والكنز فى الفقه والشاطبية فى القراءات . عرف ذلك منه لدته فى العمر ورفيقه فى الدرس المرحوم أحمد أمين حين تلاقيا أول مرة بأحد المساجد الكبرى فى السنة الأولى من هذا القرن ، وكانا مجاورين بالأزهر ، أحمد فى سن الخامسة عشرة ، وابراهيم يصغره بسنة. فعجم كل منهما عود صاحبه بسؤاله عما يحفظ وعما يعلم . فلما وقف أحمد أمين على مقدار تحصيله قال : « فأكبرته واستصغرت نفسى » . ومن ذلك الحين تصادقنا ، وكان موطن الصداقة أول الأمر هذا المسجد لسعته وهدوئه . وكنا نجتمع لمذاكرة الأدب نحفظ من مقامات بديع الزمان ومما نختار من رسائله ، ونستظهر ما نختار من أمالى القالى ، ونقرأ فى بلوغ الأرب من أحوال العرب للالوسى ، وأمثال الميدانى ، وما إلى ذلك من غير معلم يعلمنا ، ولا مرشد يرشدنا إلى ما نقرأ وما لا نقرأ . ثم تفرقت بنا السبل وإن لم تتفرق صداقتنا . فاتجه إلى مدرسة اللغة والأدب والصرف والنحو وهى مدرسة دار العلوم . واتجهت إلى مدرسة الفقه والقانون وهى مدرسة القضاء الشرعى ،

ولكننا كنا نجتمع فى الأجازات الصيفية فنتم ما بدأناه من دراسة الأدب » .

من هذا الجذر الغليظ العميق من فنون العلم تفرعت فى ذهن إبراهيم شجرة المعرفة ؛ وبهذه الحصيلة الأولية القوية من مختلف المحفوظ دخل إبراهيم دار العلوم ، فلم يكد يظفر بالملكة الموهوبة بالمعلم الصالح والجو الملائم والمنهج المؤدى حتى نمت فى ذهنه تلك البذور ، وانشعبت من أصلها هذه الفروع ، وأصبح إبراهيم بين أقرانه ورفاقه الغصن الذى يطول والزهرة التى تعد .

قال زميله وزميلنا الأستاذ زكى المهندس - مد الله فى عمره - « كان من حظى أن أزامل الفقيد فى الدراسة خمس سنوات كوامل ، يضمنا فصل واحد ، وتجمعنا آمال مشتركة . وأشهد أنه كان أجودنا حفظا لمتون اللغة وفن التجويد وعلم القراءات ، وأشدنا شغفا بالبحث فى كتب النحو والصرف ، وأكثرنا إلماما بنصوصها وشواهدها وشروحها وحواشيها . فما من مسألة لغوية عويصة عرض لها الأساتذة إلا كان له فيها جولة تنم عن اطلاع واسع وذكاء ملحوظ حتى دعاه أستاذنا المرحوم سلطان محمد بسيبويه الصغير . ولقد ظهرت فى الفقيد بواكير الحرية فى التفكير والنزعة إلى التجديد فى هذه الفترة من حياته ، فلم يكن كغيره من الطلاب يسلم بما يقوله الأساتذة من غير نقاش ولا بحث ،

وما زلت أذكر نقاشا حادا جرى بينه وبين أستاذ الأدب المرحوم الشيخ علام سلامه حين قرر ان أمدح بيت قالته العرب قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

فقد فند هذا الرأى المأثور وأخذ يدلل على خطئه بأبيات من شعر حسان وغيره .

وكذلك كان أمره مع سائر الأساتذة فى قضايا النحو والصرف ولعل صوت الطالب إبراهيم مصطفى كان أول صوت ارتفع فى دار العلوم بالدعوة إلى تحقيق المأثور عن القدامى من هذه التعليلات الفاسدة والأقوال الخاطئة . وكان من أعز أمانيه وهو فى دار العلوم أن يكون يوما مدرسا بها . وكانت الخطوة الأولى فى سبيل هذه الغاية أن تبعثه الدار إلى انجلترا ليستفيد ويستزيد . وقد رشحته فعلا للبعثة ، ولكن فشله فى الفحص الطبى حال بينه وبين ما تمنى . لم يرض لنفسه أن يكون هذا التخلف القهرى عن الدراسة فى الخارج سبيلا إلى تخلفه عن أنداده المبعوثين فى العلم والمكانة .

وإنما رضى لها أن يكون حافزا ألهب طموحه إلى التفوق وأرهف عزمه على التكمل فأنف أن يسلك سبيل المتخرج العادى البادى فلم يعمل فى المدارس الأميرية وإنما عمل فى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ليكون الأفق من أمامه أرحب ، والأرض من تحت

أقدامه أثبت ، والحرية فى تطبيق أحكامه أطلق ، والمكافأة على جهوده أجزل ، فكان معلما فناظرا فمفتشا ، حتى إذا عاد أقرانه من انجلترا وجدوه فى المنصب المرموق بالمرتب المضاعف ، ثم سمت به كفايته إلى كرسى الأستاذية بكلية الآداب من جامعة القاهرة ، فسطع فيها نجمه . وتجلى بها نبوغه . تخصص فى تدريس النحو فاستقصى أطرافه واستجلى غوامضه ، وأولع بقراءة كتاب الحجة لأبى على الفارسى فى القراءات يستوعبه ويستوحيه ويجد فيه جلاء لما تخالج فى صدوره منذ صغره من اختلاف القراءات وتعدد اللهجات وتنوع العلل . لجره ذلك إلى النظر فى فلسفة النحو وإصلاح ما أفسده النحاة المناطقة منه فبدأ بالعامل . والعامل كما تعلمون هو المحرك لسكون الكلمات ولا محرك غيره . فالاسم مثلا يرفع لعامل وينصب لعامل ويخفض لعامل ويجزم لعامل . فإذا لم يكن العامل ظاهرا قدروه ، وإذا لم يكن موجودا أولوه . ولما سئلوا عن العامل فى رفع المبتدأ قالوا إنه الابتداء ، وعن العامل فى رفع المضارع قالوا إنه التجرد من الناصب والجازم . فقيل لهم إن فى جعل الابتداء عاملا فى رفع المبتدأ تكلف لا يسيغه ذوق ولا يسوغه منطق ، وإن تجرد المضارع من الناصب والجازم عدم والعدم لا يعمل فردوا على ذلك بكلام لا غناء فيه ولا طائل من ورائه .

هدم الفقيد هذه القاعدة وأنكر أن يكون الرفع والنصب والجر أثر العامل ، وقرر أن العربى حين يرفع الاسم يلحظ فيه أنه مسند إليه أو مخبر عنه وأنه أساس الجلة . فإذا جره ، لحظ فيه الإضافة إما بأداة أو بغير أداة ، أما إذا نصبه فلأن الفتحة هى الحركة المستحبة عند العرب يستخفونها إذا لم يدعهم داع الى الرفع والجر .

وعلى هذا الأساس بنى نظريته فى إعراب الاسم ، وعلى هذه النظرية وضع كتابه (إحياء النحو) .

لم يجد هذا الرأى مساغه فى عقول النحاة المصريين فردوه وفندوه ، ولكنه كان صيحة فيهم لإصلاح هذا النحو وتيسيره لا يزال رجعها يدوى فى دار العلوم والأزهر والمجمع حتى اليوم .

مضى إبراهيم فى جهاده اللغوى المرهق المثمر ، يحاضر الطلاب ويوجه المعلمين ويعاون فى وضع الكتب ، ويشارك فى رسم المناهج ، حتى تولى العمادة فى دار العلوم فأعطاها أكثر مما أخذ منها . وأبلغها فوق ما بلغ بها . وفى سنة ١٩٤٩ انتخب عضوا فى مجمع اللغة العربية ليجلس على كرسى المرحوم على الجارم فاستوى عليه استواء الند الكريم والخلف الصالح ، واضطلع بأعبائه فى لجنة الأصول وفى لجنة المعجم الوسيط وفى لجنة تيسير الإملاء وفى لجنة معجم ألفاظ

القرآن فنهض بها نهوض الكفى الضليع لا يتحفف منها لأنها رسالة حياته ، ولا يتبرم بها لأنها حاجة نفسه ولقد قال فى خطبة استقباله بالمجمع : « لقد أمضيت سنوات فى مسألة من النحو قبل إنى رأيت فيها رأيا واتخذت فى دربها نهجا . والآن أستبشر أنى فى ظل المجمع أستطيع أن أخطو خطوة ثانية ، وأن أجد ما أحتاج من التسديد والإرشاد والعون » . وكانت هذه الخطوة الثانية أن تبنى فى المجمع المشروع الذى وضع قواعده فى لجنة تيسير النحو بوزارة المعارف وكانت مؤلفة منه ومن زملائه طه حسين وأحمد أمين وعلى الجارم فجادل عنه بالحجة ، ودعا إليه بالحكمة ، حتى أقره المجمع ومؤتمره .

وكان لهذا التيسير أثره فى تعديل المنهج وتأليف الكتاب وتوجيه المعلم ، فأخذته صيحة من النقد العاصف فى القاهرة وفى دمشق ، وكان وليه ونصيره يومئذ يقاسى دورا من أدوار علته المزمنة ، فلم يستطع رد الكيد عنه ولا صد الهجوم عليه ، فقتل فى القاعة التى ولد فيها من قاعات دار العلوم .

ثم وجه همه إلى تيسير الكتابة العربية ، وهى المشكلة الثانية من مشكلات اللغة بعد النحو ، فكان له رأى فى رسم الهمزة واقتراح فى كتابة الألف اللينة واشتراك فى اختصار حروف الطباعة ، أما فى لجنة المعجم الوسيط فقد عمل فيها على هدى ما تأصل فى نفسه من هوى الإصلاح والتجديد ، كان يبالغ فى حذف المهجور من الألفاظ والتراكيب ، ويغير من بعض المأثور من الأمثلة والتعاريف ، وربما نقف فى إثبات الجديد من الألفاظ عند قرارات المجمع وإجماع الناس وضرورة الحاجة ، فيثبت هو إذا ما انفرد بالعمل فى بعض الحرف ، بعض الكلمات الخالصة فى العجمة : كالبكس والنياترو والتايبريتر ، وكان الكتاب قد ارتضوا من قبل ذلك الملاكمة والمسرح والآلة الكاتبة ، ولكنها النزعة الطاغية التى استبدت بالفقيد فى مجال التقريب بين الفصحى والعامية ، وفى لجنة معجم ألفاظ القرآن كان قطبا من أقطابها الذين يدور عليهم البحث ويرجع إليهم الحكم ، وبحسبكم دليلا على مكانته منها وحسن بلائه فيها أن الشيخين الأكبرين إبراهيم حمروش ، ومحمود شلتوت وهما ماهما بين أعضاء هذه اللجنة ، جاءاه يوما وهو جالس معى فى قاعة المجلس يعتبان عليه أن ينقطع عن العمل معهم فى المعجم لخلاف فى الرأى لا يصعب الاتفاق فيه ، ويرجوان منه فى إلحاح أن يصل ما انقطع من مشاركته ، وكان إبراهيم يلتى المعاذير ويظهر التأبى ، فقال لى الشيخ شلتوت عافاه الله : ما الحكم فيمن يهجر مجلس القرآن ويصر على الهجر ؟ فقلت له مازحا : يدخل فى منطوق حكم الله الذى قضاه بقوله : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا » ، فأخذ الشيخان يدفعان

بيديهما فى صدره ويقرآن بقية الآية الكريمة ويرددانها وهو يستغيث بى ويقول : أفتيتهما بقتلى وتضحك ؟ .

وحرص الفقيهين الكبيرين على بقائه معهما فى لجنة المعجم القرآنى شاهد على طول باعه فى تفسير الكتاب وانفساح ذرعه فى فقه مراميه ، ولهاتين الفضيلتين من فضائله اختاره الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عضواً فى مجمع البحوث الإسلامية .

أما اختلافه معهما فى النظر إلى حد الاعتزال فدليل على استقلاله فى الرأى ، واجتهاده فى الفهم ، والاستقلال والاجتهاد كانا من أخص صفات الفقيد ، فقد كان له فى كل مسألة رأى ، وعلى كل رأى اعتراض ، ومن هنا كانت حياته العامة كلها حياة تجديد ومعارضة .

سيداتى سادتى : كان إبراهيم مصطفى رجلا ظاهر الرجولية بارز الشخصية فى كل رأى رآه وفى كل عمل تولاه ، وكان مظهر رجوليته ومبرز شخصيته فى اعتداده برأيه ، واعتزازه بنفسه ، وامتيازه فى علمه .

كان من أثر اعتداده برأيه انعتاقه من عبودية النص وانطلاقه من إسار التقليد ، فهو فى الدين مجتهد ، وفى اللغة متطور ، وفى النحو متحرر .

كان على تبحره فى النحو وتخصصه فيه وتعيشه عليه لا يتعصب له ولا يتزمت فيه ، كان فى لجنة وضع المناهج للمدارس الابتدائية والثانوية يصر على حذف بعض الأبواب والأعضاء يخالفونه فى هذا الحذف .

وكان فى لجنة المعجم الوسيط يسرف فى إغفال بعض المواد والأعضاء يراجعونه فى هذا الإغفال ، وكان فى لجنة معجم ألفاظ القرآن يجتهد فى فهم معنى اللفظ والأعضاء يعارضونه فى هذا الاجتهاد . وكان غالبا ما يسفر الجدل بين التقيد والانطلاق عن رأى سليم يقف من المسألة عند حد الوسط .

على أن اعتداده برأيه كان يحمله أحيانا على أن يصطنع لهجة الأستاذية فى خطاب بعض زملائه فيكدر ذلك من صفو المودة بينهم وبينه .

وكان من أثر اعتزازه بنفسه أن اعتراه ما يشبه الحساسية المرضية لكل ما يجافى شعوره ، أو ينافى كرامته . توثقت عرى المودة بينه وبين سرى من أعيان السراة كان وليا على شئون الجمعية الخيرية الإسلامية حين كان هو موظفا بها ، فأظله السرى بعطفه ، ورعاه بجاهه وأزال الكلفة بينه وبينه . فما هو إلا أن بدرت من الرئيس المسلط كلمة تنم عن سراوته أو رياسته حتى ملكته سورة العزة فانصرف عن مجلسه وصد عن لقائه ، وكانت الحظوة لدى هذا الرئيس مطمح كل نفس ومطمع كل واصل . ولا أزال أذكر تلك القصة الرمزية التى شيع بها هذه

الصداقة ونشرها فى مجلة السفور بعنوان (وفاء كاب).

كذلك تأكدت بينه وبين الأستاذ أحمد أمين عقدة الحب فتساهما الإخاء منذ الصبا، وتقاسما الوفاء أكثر العمر، وخلط نفسه بنفسه حتى بلغ من حبه إياه أن سمى أحد ولديه باسميهما معا ليتحدا فى اللسان لفظا كما اتحدا فى القلب معنى: سماه أحمد أمين إبراهيم مصطفى. ولكن هذه المخالصة الشديدة لم تستطع أن تقاوم عزة نفسه حين حك فى صدره شىء من تعالى صديقه عليه، ولعل ذلك كان توهما منه ولدته الحساسية من اختلاف المنصب وذيوع الشهرة، ففتر الحب المضطرم، وفرغ القلب المشغول، وجرى الأمر بين الرجلين مجرى الزمالة المألوفة والصداقة العادية.

ثم كان من أثر امتيازه فى علمه أنه وصل ما انقطع من زعامة المصريين للنحو بعد ابن هشام. وكانت هذه الزعامة قد انعقدت لمصر فى القرنين السابع والثامن من الهجرة بمن نبغ فيها من أخلاف سيبويه كطاهر بن بابشاد وابن برى وابن الحاجب وابن منظور وابن هشام والدماميني والأشمونى والصبان. ولكننا إذا استثنينا من هؤلاء جمال الدين ابن هشام الذى قال فيه ابن خلدون: إنه أنحى من سيبويه لا نجد فى الباقين من نظر فى النحو نظرة إبراهيم مصطفى. نظر القدامى فى النحو على أنه غاية لا وسيلة ونظر لا تطبيق، جعلوا النحو للنحو كما جعل قوم الفن للفن، وعالجوه معالجة المنطق الفيلسوف لا معالجة اللغوى الأديب، فوسعوا أبوابه وعددوا مذاهبه وشرحوا غوامضه ومحصوا حقائقه وفلسفوا علله، وبحثوا فى كل شىء إلا فى الموضوع الذى دار عليه والغرض الذى وضع من أجله. لم ينظروا فيه نظر الناقد المصلح الذى يرى المبهم فيوضحه والمعوج فيقيمه والمشوش فيرتبه، وإنما اتخذوا منه رياضة ذهنية ومتعة جدلية تتسابق فيها الأفهام بالتقديرات الغريبة والتعليلات الباطلة، إبراهيم وحده هو أول من تمرد على هذا النهج القديم وحاول أن يجعل من النحو وسيلة مباشرة لإحسان الكلام والكتابة بأيسر جهد وفى أقصر وقت. فقضى أكثر عمره يخطط هذا النحو على النحو الذى يريد، وإلى الوجه الذى يقصد. فإذا أعجله الموت عن تنفيذ ما خطط وتحقيق ما آمل فإن الفكرة الطيبة كالبذرة الطيبة تتعهدها الطبيعة بالغذاء والرى حتى تخرج بإذن ربها نامية باقية.

كان رحمه الله عمليا يضع أمام عينيه الهدف الذى يعينه ثم يرميه من أقرب الجهات وأقصد السبل. فكر مرة أن يلغى النحو والصرف من مناهج التعليم الابتدائى والثانوى اكتفاء بتنشئة التلاميذ على النطق الفصيح

والكتابة الصحيحة بالسليقة والمحاكاة كما كان يصنع العرب الأولون ، فطلب من وزارة التربية والتعليم أن تخصص لهذه التجربة فصلا من فصول المدرسة النموذجية وكانت تسمى يومئذ الفصول التجريبية ، وظل يمارس هذه التجربة عاما بطوله ، ولا أدرى ماذا كانت النتيجة .

كان إبراهيم إذن من نحاة الطبع لا من نحاة الصنعة ، وكان علمه بالأدب وأساليبه لا يقل عن علمه بالنحو ومذاهبه . كان من النحاة الأدباء كالمبرد والزمخشرى وابن جنى ، يكتب فيجيد ، وينقد فيصيب ، ويحاضر فيمتع ، ولكنه أوتى اللسان الذلق والبديهة الحاضرة والقريحة الطيعة فطغت فيه ملكة الخطابة على ملكة الكتابة .

ذلك أيها السادة بعض الكلام فى جانب من جوانب الرجل الذى فقدناه ، وإن جوانبه الأخرى لأرحب وأخصب ، وإذا جل الخطب بفقده اليوم فإنه سيكون غداً بافتقاده أجل . لأن الغنى عن مثله عسير ، والعوض عن كفايته أعسر ، واللغة العربية فى محنتها الحاضرة يوهى من دفاعها ومنعتها أن تصاب فى أبنائها الأحرار الأبرار الذين وقفوا جهودهم عليها ، واستنزفوا أعمارهم فيها وكانوا لها وزرا فى الشدائد وجنة .

أخانا إبراهيم :

إن إخوانك لا يزالون بعد أربعين يوما من انصرافك إلى جوار ربك يغالبون الجزع عليك ويراودون العزاء عنك ، ولكن كرسيك الذى لن يشغل فى المجمع ، ومكانك الذى لن يحتل فى المجتمع ، وجهادك الذى لن يعوض فى الأدب ، يجعل الصبر على مصابك أمراً لا يدرك إلا بالزمن الطويل .

أخى إبراهيم :

دخلنا المجمع معا فى يوم واحد وخرجت منه قبلى ، والباب الذى خرجت منه مفتوح أبداً ، لا يضيق ولا ينغلق . إنه الباب الوحيد الذى فتحه الله على حدود الدنيا ليجتازه كل حى إلى حيث يفنى كالبهيم ، أو إلى حيث يبقى كالملك ! وأنت يا إبراهيم فى الحياتين خالد : خالد فى دنيا الناس بالذكر الحسن ، وخالد فى جنة الله بالعمل الصالح .

إن من بكاك فسوف يُبكى ، وإن من رثاك فعما قريب يرثى :

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا
ليل يكر عليهم ونهار

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة
أثنى عليها السهل والأوعار

وسلام الله عليك يوم فقدناك ،
وسلام الله عليك يوم نلقاك .

أحمد حسن الزيات

الحقوق الطبيعية للمواطنين كما قررها الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدنى

الحقوق الطبيعية للمواطن كثيرة ، ويمكن إرجاعها إلى أصول ذات فروع ، وهذه الأصول هى :

١ — حق المواطن فى المساواة .

٢ — حق المواطن فى الحرية .

٣ — حق المواطن فى اعتبار كرامته الإنسانية .

٤ — حق المواطن فى أن يأمن على حياته .

٥ — حق المواطن فى ان يعيش عيشة كريمة .

وقد كفل الإسلام هذه الحقوق الطبيعية للمواطنين ولم يكتف بتقريرها نظرياً ، ولكنه شرع مع ذلك من النظم والقوانين ما يضمنها عمليا ، ويكفل تنفيذها على أحسن وضع .

وإليكم البيان :

إن الإسلام قد كفل المساواة بين الناس ، واعتبرهم جميعا سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا يمتاز الغنى فى نظره عن الفقير ، ولا الحاكم عن المحكوم ، وليس هناك ما يتفاوتون به إلا السلوك القويم المعبر عنه بالتقوى ، وما يقدمه كل منهم لنفسه وأهله ومجتمعه من المنافع الإيجابية المعبر عنها بالأعمال الصالحة ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس . إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد . كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى فضل إلا بالتقوى) .

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفارى يقول لعبد زنجى أغضبه : « يا بن السوداء » . فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : « طف الصاع ! طف الصاع ! — أى تجاوز الأمر حده — ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » . فوضع أبو ذر خده على الأرض ، وقال للأسود : قم فطأ خدى !

وكذلك قرر الإسلام حق المواطن فى الحرية ، وهذه كلمة عمر المشهورة : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

والله سبحانه وتعالى يقول : « وما بكم من نعمة فمن الله » ، والإيمان بذلك يجعل الإنسان سيد نفسه ، لا يقر بالعبودية إلا لربه الذى أنعم عليه .

وحرية المواطن فى اختيار العمل الذى يعمله مكفولة بمثل قوله تعالى : « قل كل يعمل على شاكلته » ، « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها » . ولا ينبغى أن يفهم أن العمل فى مثل هذه الآيات مراد به أعمال العبادة والتقرب إلى الله فقط ، وإنما هو أوسع من ذلك ، بل إن الأعمال الإيجابية الدنيوية ، والأعمال التى يقصد بتركها معنى إصلاحى ، كلها من قبيل ما ينظر الله إليه وما يثيب به وما يحتسبه لصاحبه ، ويمنحه ثمراته فى العاجل والآجل .

والحرية الدينية مكفولة بمثل قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » ، « إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » ، « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

والذميون - وهم أهل الأديان الأخرى الذين هم فى ذمة المسلمين وعهدهم - لهم أيضا حريتهم الدينية ، ولهم فى الحقوق ما لنا ، وعليهم من الواجبات المدنية ما علينا ، ولا مانع من برهم والقسط إليهم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

وبمناسبة هذه الآية الكريمة أحب أن أستطرد ببيان مبدأ هام من مبادىء التسامح والعدل فى الإسلام :

فإن القرآن الكريم يقرر مبدأ التسامح مع مخالفيه ، ولا يرضى بأن تقوم بين الناس عداوة لمجرد اختلافهم فى الدين ، بل يصرح - كما رأينا فى هذه الآية - بأنه يحب البر والقسط عامة .

والقاعدة التى يرشد إليها القرآن الكريم فى ذلك ، يمكن أن نعبر عنها فى هذه العبارة : « لا موالاة للأعداء ، ولكن بر وقسط وإن سلف منهم الإيذاء » .

وينبغى أن نعلم أن هناك فرقا بين « الولاية » التى هى النصرة والمعاونة على تحقيق غرض مشترك ، بحيث يؤمن كل من « الوليين » أن لصاحبه عليه حقا ، هو مطالب بأدائه عن باعث قلبى ، وبين البر والقسط اللذين يجب أن يسودا المجتمع الإنسانى ، وتقوم عليهما العلاقة بين أفراده وشعوبه ، وإن لم تجمعهما فكرة ، أو تؤاخ بينهما عقيدة ، وهذا هو ما يعبر عنه فى مجتمعنا الراهن بمبدأ « التعايش السلمى » فالقرآن الكريم يقف من كل واحدة من هاتين العلاقتين موقفا يناسبها ، فهو ينهى المؤمنين أشد النهى عن اتخاذ المخالفين لهم من أهل الكتاب والمشركين « أولياء » يرتبطون بهم ارتباط المتناصرين بعضهم ببعض ،

وذلك بأن يستعينوا بهم على المؤمنين ، ويعينوهم عليهم ، بينما يبيح للمؤمنين أن يعاملوا مخالفيهم فى الدين معاملة أساسها البر والرحمة والقسط وتبادل المصالح المادية من تجارية وغيرها ، ما دام لم يصدر منهم إيذاء لهم ، ولا تحريض عليهم ولا محاولة لفتنهم عن دينهم .

اقرأ فى النهى عن اتخاذهم أولياء مثل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » ، « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » . « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير » .

واقرأ فى إباحة البر بهم والقسط فى معاملتهم قوله تعالى — وقد ذكرناه من قبل — : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .

ثم اقرأ الآية التى بعدها تجدها تذهب إلى أبعد من هذا فى التسامح ، فتبيح للمسلم أن يتخذ البر والقسط أساسا للتعامل بينه وبين مخالفه الذى آذاه ، بشرط ألا يصل الأمر بينهما إلى حد « الولاية » والنصرة ، وذلك قوله تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » . فقد صرحت هذه الآية بأن المنهى عنه — فى شأن هؤلاء — إنما هو اتخاذهم أولياء ، لا مجرد البر بهم ، والقسط إليهم .

وقبل هاتين الآيتين يقول جل شأنه : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير ، والله غفور رحيم » وفى هذا إيحاء بأن العداوات ليست دائمة ، وأن القلوب تتغير وتتحول ، وأن الرفق والإحسان قد يكونان سبيلا إلى إصلاح النفوس ، وتقريب القلوب ، وقد حدث فعلا فى تاريخ المسلمين أن كثيراً ممن كانوا أعداء لهم ، وحربا عليهم ؛ أسلموا وحسن إسلامهم ، وأبلوا فى الدفاع عن الدين بلاء حسنا .

والخلاصة : أن الله تعالى لا يرضى أن يتخذ المؤمن مخالفه فى الدين وليا ومناصرا ، ولكنه مع ذلك يعطى هذا المخالف حقه فى علاقات المعاشرة والمصاحبة والإنسانية عامة ، على أساس من البر

والرحمة والقسط ، وكلا الأمرين هو غاية الحكمة ، والدستور الطبيعى للإنسانية فى كمال وعيها ، وكمال رقيها وسموها .

ونعود إلى بيان الحقوق الطبيعية التى كفلها الإسلام للمواطنين ، فنقول :

والحرية العلمية مكفولة بمثل قوله تعالى « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » . وهى تقرر أن العقلاء هم وحدهم الذين يعطون المتكلم حق الاستماع إلى كلامه ، ويعطون أنفسهم حق التخير مما يسمعون ، وذلك هو الأسلوب العلمى الصحيح .

والحرية السياسية مكفولة ، فلكل إنسان أن ينكر المنكر الذى هو الشر والفساد ، ويأمر بالمعروف الذى هو الخير والصلاح .

وليس ذلك موجها إلى العامة فقط أو الرعية بعضها وبعض فقط ، وإنما هو حق لكل فرد يتوجه به إلى الحاكم كما يتوجه به إلى المحكومين ، ويتوجه به إلى الخاصة كما يتوجه به إلى العامة ، وله شروط وآداب مبينة فى مواضعها لو اختلت ، أو لم تراع ، عاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بضد المقصود منه ، وربما كان وبالا على صاحبه أو على المجتمع .

والحاكم فى الإسلام هو الراعى الشفيق للأمة ، وهذا أبو بكر رضى الله عنه يقول فى أول خطبة له بعد الخلافة : « إن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى » .

والإسلام يعرف للمواطن حقه فى اعتبار كرامته ، وهذا الحق مكفول بمثل قوله تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم » ، فقد اختار الله لهذه النعمة التى هى التكريم التعبير بأعم وصف جامع للناس ، وهو كونهم بنى آدم ، فلا يصح أن تضيع هذه الكرامة لأى فرد ، ولذلك حرم الله التنابز بالألقاب ، لأنه إهانة لكرامة الإنسان فى وجهه ، وحرم الغيبة لأنها خدش لكرامة الإنسان من وراء ظهره ، وحرم قذف الأعراض لأنه انتهاك للحرمات وجعل للبيوت حصانة ، فلا يدخلها أحد دون استئذان أصحابها ، وحرم التطلع والتجسس وما إليهما ، لما فى ذلك من الاقتحام على الناس حيث يكونون آمنين مطمئنين .

والإسلام يكفل حق المواطن فى الأمن على حياته ، فقد نبه إلى أهمية حياة الإنسان فى مثل قوله تعالى : « أوَمَن كانَ مَيْتاً فأحييناه » ، « هو أنشأكم من الأرض » ، « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » ، وهذا كله يلفت إلى أنه تعالى هو واهب الحياة ، فليس لأحد أن ينزعها إلا بالحق .

وكذلك حق المواطن فى أن يعيش عيشة كريمة قائمة على مايكسب من رزق حلال فى أعمال نافعة :

لحث على العمل بمثل قوله صلى الله عليه وسلم لأن يحتطب أحدكم : (خيرله من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) . (وما أكل أحد طعاما خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وقد كان نبي الله داود يأكل من عمل يده) .

وإنما نص على داود بالذات ، لأنه كان ملكا وخليفة فى الأرض ، فكان مستغنيا بملكه وخلافته عن أن يعمل ليكسب ويعيش ولكنه مع ذلك كان يعمل ويأكل من عمل يده .

وحرم الإسلام التسخير وإرهاق العامل ، وأكل أجر الأجير، بل مجرد تأخيره عن وقته.

وأباح التمتع بالزينة والطيبات من الرزق « قل من حَرَّمَ زِينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

* * *

هذه هى أسس الحقوق الطبيعية التى قررها الإسلام المواطنين ، وكل الحقوق متفرعة عنها ، راجعة إلى واحد أو أكثر منها .

وفى المقال التالى ، نبين إن شاء الله تعالى كيف أن الإسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقوق تقريرا نظريا ، وإنما وضع لها من النظم والقوانين ما يضمنها ويكفل تنفيذها على أحسن وجه .

والله المستعان ؟

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

من رسالة عمر فى القضاء الى ابى موسى الاشعرى

القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فانهم إذا أدلى إليك ، لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس فى الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرّم حلالا . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة . ثم اعرف الأشباه والأمثال . فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق .

نفحات القرآن

المكابرة فى الحق بلاء
والتمادى فى الباطل شقاء

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(أ) وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا !! لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين !!

(ب) وإذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم .

١ - كانوا عرباً فصحاء ، وخطباء بلغاء ، وأعرف من سواهم بنسق الكتاب وتوجيهاته وأدرك لمفاهيمه ، وإرشاداته .

ولكن خذلتهم عقولهم . وسيطرت عليهم ضلالتهم ، فلم يكفهم التنكر للقرآن ، ولا أخجلهم العجز عن مضاهاته بشىء مثله .

بل تطاولوا : فزعموا أنهم لو شاءوا لقالوا مثله .

ثم تطاولوا فنزلوا به عن قدره — وهم يعلمون أنه قرآن سماوى — فقالوا إنه لا يزيد عن كونه أساطير السابقين .

فكأن الأمر فى أوله أمر مشيئتهم : فيأتون بمثله ، أو لا يأتون .

وكأنه - ثانيا - أساطير موضوعة ، ومعهودة عن الأسلاف ، يتندرون بها فى مجالسهم ، ويتسلون بها مع أهليهم ، وندمائهم .

فإن يكن جدلهم صوابا عندهم ، ولم يكن محمد صادقا فيما جاءهم به ، وليس القرآن معجبا لهم . فأين الحق الذى جاءوا به ، أو أين بعضه مما يشهد لهم ؟؟ .

قالت قريش هذا ، وما هو أشنع من هذا فى جدلهم للقرآن ، وتحديهم للرسول .

وكأنهم فطنوا إلى تخاذل المكابرة ، وتساقط الأراجيف ، وازدياد القرآن وضوحا فى حقيقته ، وتمكنا فى قلوب

الكثيرين سواهم ... فسلكوا سبيلا ممعنة فى الضلال ، وعريقة فى التضليل .

٢ ـ وصاروا يجهرون فى القوم بطلب السوء والدمار ، ينزل عليهم من السماء إن كان القرآن حقا كما يقول محمد ! !

يريدون من ذلك إعلان تأكدهم أن القرآن غير حق ، وإيهام الناس بدرايتهم وخبرتهم بهذا ! وإلا لما طلبوا لأنفسهم الهلاك .

ذلك إسرافهم :

وربما كان الإسراف فى العناد ، والتمادى فى تجاهل الحق شهادة واقعية فى تزكية القرآن وإن لم تكن شهادة مقصودة ، ولا عن نية محمودة .

وكثيراً ما تكون الخصومة مؤيدة لعدوها الذى تريد أن تغلبه .

قالوا : إن كان هـذا القرآن حقا كما يدعى محمد فأمطر علينا حجارة من السماء ، أى : كما نزلت على أصحاب الفيل ، أو ائتنا بعذاب الاستئصال على أى لون آخر ، كما عرفوا عن عاد ، وثمود ، ونحوهم . ثم لم ينزل عذاب الاستئصال ، فهل يكون ذلك تأييدا لهم ؟ ؟

وهل كانوا يطمعون فى استجابة الله لدعائهم ويتصدون للعذاب حقا ؟ ؟

هو إيهام كما قلنا ، ولو استجاب الله دعاءهم وأنزل بهم ما طلبوا لزعم زاعم مبطل أنهم مقربون إلى الله ، وأن دعاءهم مقبول ، وأن الهلاك حصل صدفة ، أو لسبب آخر ، فإن حماقتهم وحماقة أمثالهم لا تقف عند حد فى المحاولات .

٣ ـ وكان امتناع العذاب فى حكمة الله ، لأسباب أخرى ، غير تصديقهم فى إنكارهم أحدها ـ ما نطقت به الآية ـ أن الرسول يعيش فيهم « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، فقد جرت سنة الله حين إهلاك قوم يكذبون رسولهم ، أن يأمر رسوله فيخرج بالمؤمنين معه قبل حصول الهلاك لغيرهم فجأة ، كما خرج نوح ومن آمن معه .

وكما خرج هود ، وصالح ، وموسى ، عليهم السلام ـ قبل أن يحدق العذاب بمكذبيهم .

ولم يؤمر النبى محمد صلى الله عليه وسلم أن يبرح قومه الآن ، لأنه سبحانه يستبقيه فيهم ثابتا على دعوته ، صابرا على جهاده ، متحملا لأذاهم ، حتى يمكن الله لدينه ، ويركز دعوته رغم ما فى سبيلها من صعاب .

وما دام محمد فى القوم لحكمة الله فلن يأخذهم ربهم بعذاب الاستئصال ، مع أن عدم إهلاكهم أمارة على تكريم محمد ، ولكن القوم لا يفقهون .

وقد كان فيهم رجل أسرف معهم ، ولما توفى النبى أسلم ، وأخلص فى عبادته ، فقال له بعض المؤمنين ، لو فعلت هذا والنبى صلى الله عليه وسلم لفرح بك كثيرا .

فقال الرجل : كان لى أمانان من عذاب الله : مضى واحد ، وبقى الآخر : يريد أن الرسول كان أمانا حين وجوده ، فلما توفى لم يبق إلا الإسلام لمن يسلم .

السبب الثانى — لعدم الإهلاك — وقد نطقت به الآية كذلك .

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » فاستغفار المستغفرين وقاية من الشر كما تبشر الآية — وهل كان فى قريش مستغفرون » .

قال العلماء : كان فيهم أفراد يستغفرون أحيانا من بعض ذنوبهم ، والله لا يبخل على الداعى ، وإن كان كافرا . . لا لأن الداعى كريم مستجاب عند ربه ، ولكن : إظهارا لكرم الله ، وسعة فضله ، وأنه لا يضيق فى تفضله حتى على من لا يستحقونه ، كما أنه يرزقهم ، ويعافيهم من أمراض ، وينصرهم فى حروب ويتيح لهم من نعيم الدنيا مايثير العجب ، فالله يستجيب دعوة المستغفرين منهم ويرحم بها الآخرين معهم .

ولعل فى هذه الاستجابة تنبيها للكافرين من غفلتهم ، وتوجيها إلى ربهم ، فيكون هذا لونا من ألوان رحمته بالناس فى هديهم .

أو يكون الاستغفار حاصلا من المؤمنين ، وهم بعض من قريش فأكرم الله الجميع بسبب ما حصل من بعضهم ، ونسب الاستغفار إلى الجميع كما ينسب كثير أعمال البعض إلى الكل ، وكما ينسب أحيانا عمل الكل إلى البعض باعتبارهم جماعة واحدة على أنه لا مانع أن يراعى استغفار هؤلاء ، وهؤلاء : مؤمنهم وكافرهم .

السبب الثالث : لم يستجب الله دعوتهم بالهلاك ، ولم يأخذهم به كما جرت سنته فى أمم سابقة لأن الله ـ تعالى ـ أباد تلك الشعوب ليخلى الأرض منهم ، ويشغلها بآخرين بعدهم ، حتى يصل الأمر إلى مستقره فى تقدير الله وتنظيمه للكون .

ولم يفعل ذلك بأمة محمد ، لأنها الخاتم ، ولأن دعوته عامة ودائمة ، وسوف لا يخلفه نبى غيره بدعوة جديدة ، ولا تأتى أمة غير أمته لتستقبل دعوته هذه ...

فعدم إهلاك قريش يعتبر مسايرة لحكمة الله فى إستبقاء أمة هذه الدعوة العامة .

ولقد ظهرت حكمة الله هذه فى دعوة النبى لأمته كما ورد فى حديثه ما معناه .

« دعوت ربى فى ثلاث : ألا تجتمع أمتى على ضلالة ـ ألا يأخذها بالعذاب ـ ألا يجعل بأسهم بينهم شديدا ، فاستجاب الله فى اثنين ولم يجبنى إلى الثالثة » .

فمصداق هذا الحديث أن الله حفظ أمة محمد من الإجماع على منكر كما كانت أمم سابقة ـ بل إذا وجد منكر ، وجد بيننا من يحاربه ، ولا يرضى به ، فلسنا مثلا كبنى إسرائيل .

وثانيا : أن الله لم يعاجل أمة محمد بالهلاك المستأصل بل أبقاها لما ذكرنا من حكمة ، وأما الثالثة ـ لحكمة الله منعت الإجابة فيها ، لما يعلمه بين المسلمين من تصدعات لأسباب ترجع إلى دنياهم ، ومطامعهم فيها ، لا إلى دينهم الحق ، ولا من طريقه فى شىء .

٤ ـ ويمكنك أن تثير شبهة فى هذا : فإن الله ـ سبحانه ـ يحدثنا فى كتابه وعلى لسان رسوله أنه أهلك أمما بذنوبها ، وأن هذه سنته فى خلقه ، وأن سنته لا تبديل فيها فكيف تخلفت سنته فلم يهلك الكافرين بمحمد وهم أمم تملأ الأرض طولا وعرضا ؟ ؟

وكيف لم يهلك الكثير من أمم الإسلام ، وهم على غير استقامة ؟ ؟

والجواب الذى أفهمه ـ كما سلف ـ أن سنة الله قامت على إهلاك من هلك ، وعلى إبقاء أمة الدعوة المحمدية إلى الوقت الموعود فبقاؤها تنفيذ لسنته فيها ، ولم تتبدل السنة فى ذلك .

وليس هذا محاباة لأمة على أمة ، وإنما هى حكمة ، لبقاء الدنيا إلى موعدها ولو كفروا .

وذلك لا يمنع من نزول بلاء كريه بين المسلمين بسبب تقاعدهم كثيراً عن حق الدين عليهم ؛ فالأمراض ، والقحط وهزيمة الحروب ، والانقسام والتفرق بينهم ، وانحياز بعض ملوك المسلمين إلى أعداء المسلمين : كل هذا عذاب يصيب الله به المسلمين ، كما يصيب غيرهم ، وبهذا البلاء الشديد تكون السنة (جارية فيهم حقا) ولو على وجه من وجوهها ، إلى أن يحين وعد الله باليوم الآخر .

٥ ـ والقرآن نفسه يؤيدنا فى هذا التوجيه ، فالله تعالى يقول « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى » « ولو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا » إلخ .

وبهذا تزول الشبهة المفروضة ، ويستقر الأمر على أن سنة الله لا تتبدل .

ثم نعود إلى الحديث عن قريش :

٦ ـ فالله ـ سبحانه ـ يعيب عليهم استعجال العذاب ، ويسجل شؤمهم على أنفسهم فيقول فى آية ثالثة « ومالهم ألا يعذبهم الله » ، يعنى وماذا يفيدهم أن يرجىء الله هلاكهم فى حين أنهم يمعنون فى مناوأة الدعوة ، ويستحقون أكثر مما يستحقه متخلف عن الإجابة » ـ .

(١) يصدون عن المسجد الحرام وينفرون الناس من اللياذ به ؛ والتقريب بزيارته ؛ وربما كانت الزيارة عادة تهديهم إلى الإيمان ، ولكن قريشا تخاف من تحقق هذا ، فتبعد الناس عنه .

(٢) وفى حين أنهم أولياء البيت، يقومون بخدمته، ورعايته، وسقاية الحجيج وإطعامهم ؟؟.

فكيف يتوارثون هذا المجد فى تعظيم البيت الحرام، ثم يذودون الناس عنه ؟؟

لم يكونوا حينئذ أهلا لولاية البيت حقا، وإنما يستحق ولايته المتقون لربهم، دون هؤلاء المتناقضين، ولكنه الجهل المطبق، والكفر الطامس.

(٣) وفى حين أن مظاهر احترامهم لبيت الله كانت ضروبا من السخرية، والمخازى، وسوء الغفلة عن حسن التفكير.

فقد كانوا يعبدون الأصنام فيه، ويجعلونه مباءة للشرك.

وكانوا يطوفون به عراة الأجسام كما تختلط البهائم، والوحوش.

وكانت صلاتهم عند البيت حركات هستيرية فى صفير، وتصفيق، وليس فيها أدنى ظاهرة من خشوع، ولا ضراعة، ولا ذكر صحيح لله رب البيت.

٧ — والقرآن يواجههم بهذا كله، ويسمعونه فى قوله تعالى: «وهم يصدون عن المسجد الحرام، وما كانوا أولياءه، إن أولياؤه إلا المتقون، ولكن أكثرهم لا يعلمون. وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ـ صفيرا وتصفيقا ـ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»، يسمعون هذا، ويسمعون آيات أخرى فى معايبهم، ثم لم يزدادوا إلا غلوا، وشططا، حتى لينفقون أموالهم فى ترويج الأباطيل ويضاعفون الجهود فى مجافاة الحق، والتشاغل عن الهداية، حتى ولو هددهم القرآن، وقرع أسماعهم بقوله: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها، ثم تكون عليهم حسرة، ثم يُغلبون ـ بضم الياء ـ وهذا عذابهم فى دنياهم ـ والذين كفروا إلى جهنم يحشرون».

وقصارى الحديث فى مقامنا هذا أن المكابرة فى الحق شؤم، أو هى الشؤم كله، وأن الاستغفار وقاية من المهالك، وطهرة من الذنوب، ومعونة على إصلاح الأنفس.

وأن أخلاقنا ـ وفى المجتمع الإسلامى خاصة ـ على غير ما رسم لنا ديننا، وفى بعد بعيد عما يقصه الكتاب العزيز للعبرة، والإفادة، وأن السبيل ميسرة لمن أراد سلوكها فى غير تردد، ولا مشقة، وأن دعوة الله جهيرة ومفهومة، وأن الحياة غير خالدة، ولا مأمونة فى انطوائها أى ساعة !!

فهل لنا أن نستجيب ؟؟ اللهم وفق ؟.

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

من معاني القرآن

« ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

الشيء الكريم هو النفيس العزيز ، وكرائم الأموال نفائسها وخيارها وهي لهذا موضع التقدير والحرص من الإنسان ، وتقول كرمت فلانا وأكرمته بمعنى عظمته واحترمته .

والطيبات ما تطيب به النفس وتجد فيه ارتياحا وانشراحا ولذة .

الكرامة : الوثيقة الأولى

من هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن الكرامة الآدمية حق لكل إنسان ، وأنها من الله لا من أحد سواه وان الناس جميعا يستوون في هذا الحق ، فقد كرمهم الله وجعلهم بالنسبة إلى غيرهم من خلقه شيئا نفيسا عزيزاً ، منحهم العقل والنطق وخلقهم في أحسن تقويم وزودهم بكثير من المواهب والقوى ، واستخلفهم في الأرض يعمرونها ويستثمرونها وسخرلهم كل ما حولهم في الأرض التي تقلهم والسماء التي تظلهم ، خلق لهم في البر دواب تحملهم ووفقهم إلى اختراع غيرها من السيارات والقطارات والطائرات وما إليها وسخر لهم البحر يركبونه ويصنعون السفن والبواخر التي تحملهم عليه ، ورزقهم بما تطيب به نفوسهم من الثمرات وشتى ألوان الطعام والشراب وما إليهما من مجملات الحياة .

وقد فضلهم الله على من سواهم من سائر مخلوقاته حتى الملائكة كما فهم أهل السنة . فإنهم يفسرون الكثير من قوله تعالى « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا » بأنه ما عدا الإنسان من المخلوقات وهم كثير .

ومن ثم نرى في القرآن الوثيقة الأولى لحقوق الإنسان ، وأولها الكرامة فلا يحق لإنسان أن يمتهن آخر أو يستذله أو يستعبده وقد يسر الله للناس جميعا أسباب الخير في البر والبحر . ووفر لهم الرزق الطيب الحلال بما يخرجه لهم من الأرض وينزله عليهم من السماء فينبغي أن يقابلوا فضله بما ينبغي من الشكر ، وألا يكون منهم الشح المتبع والهوى المطاع ، والاستئثار بالخير دون الغير فإن ذلك لا يستقيم مع ما يجب لله ولإخوانهم في الإنسانية وللمجتمع الذي يعيشون فيه .

عبد الرحيم فوده

كيف تحج أيها المسلم ؟

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

تقدمة : سيكون مسلكي في هذا البحث الاعتماد على ما صح في السنة ولا سيما حديث جابر الطويل الذي حكى فيه حجة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وسأتوخى القصد في ذكر الخلافات والاستدلال ما استطعت حتى لا يشكل الأمر على جمهرة المسلمين ، فإنهم في حاجة ماسة إلى معرفة المناسك وشعائر الحج بطريقة سهلة ميسرة لا غموض فيها ولا تعقيد ومن الله أستمد العون والتوفيق .

فريضة الحج :

الحج في الشرع قصد البيت الحرام لأداء النسك والمشاعر في أشهر معلومة وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وقيل ذو الحجة كله ، والحج ركن من أركان الإسلام ، وفريضة محكمة من فرائضه باقية إلى يوم القيامة وهو من أعظم القربات ، والوسائل لغفران الذنوب ، والفوز بالنعيم المقيم .

روى الشيخان في صحيحهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، وقال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . والحج المبرور هو الذي لم يقارف فيه الحاج إثما ولم يرتكب معصية سواء أكانت مما يتعلق بمحظورات الإحرام أم لا ، وأمارته الاستقامة والصلاح ، وأن يكون حال مؤديه بعد الحج خيرا من حاله قبله .

وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع : أما الكتاب فقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين »[1] . أما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج » أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي .

وقد أجمع المسلمون قاطبة على فرضيته ، ولم يخالف في ذلك أحد .

---

[١] آل عمران الآية ٩٧ .

وهو فرض فى العمر مرة ، وما زاد فهو تطوع ، ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو قلت : نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ذرونى ما تركتم ، فإنما هلك من كان قبلكم ، بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه ، ورواه الإمام أحمد والنسائى بزيادة «الحج مرة فما زاد فهو تطوع» .

والأئمة وإن اختلفوا فى أنه فرض على الفور أو على التراخى فالأولى والأفضل التعجيل به للمستطيع عند عدم الموانع الشرعية ؛ لأن الآجال غير معلومة لنا ، والأليق بالمسلم اغتنام الخير والمسارعة إليه . فقد يمرض الصحيح ، وتضل الراحلة ، ويقطع الطريق ، وتعرض الحاجة المانعة .

حد الاستطاعة :

وحد الاستطاعة القدرة على الزاد والراحلة فمن كان حرا بالغا عاقلا صحيحا قادرا على الزاد والنفقة وأجرة الذهاب والإياب وكل ما يلزم الحاج من أجور ومكوس [1] ، وكان ذلك فاضلا عن حوائجه الأصلية ، ونفقة من يعول من حين ذهابه إلى إيابه فقد صار الحج لازما فى حقه .

ويدخل فى حد الاستطاعة ، أمن الطريق ، بحيث يغلب على ظنه السلامة على نفسه وماله .

ثم إن من كان قادراً على الحج بنفسه فلا يجوز أن يستنيب فى حجة الفرض إجماعا قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على أن من عليه حجة الإسلام وهو قادر على أن يحج لا يجزىء عنه أن يحج غيره عنه .

وأما المريض الذى يرجى برؤه وشفاؤه والسجين فعليهما الانتظار حتى يبرأ المريض ويخرج السجين . وأما المريض مرضا مزمنا والمقعد والشيخ الفانى الذى لا يقدر على مشاق السفر فعليهم الإنابة ما داموا مستطيعين ، ففى الصحيحين عن ابن عباس : أن امرأة من خثعم قالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : « نعم » وذلك فى حجة الوداع .

حج المرأة : ويشترط فى وجوب الحج على المرأة عدا الشروط الماضية أن يكون معها زوج أو ذو رحم محرم بنسب أو سبب (رضاع) كأبيها وابنها وأخيها وذلك عند الإمامين أبى حنيفة وأحمد [1] ففى الحديث

---

[١] جمع مكس وهو ما يؤخذ من رسوم ونحوها .

[١] شرط أبو حنيفة ذلك فى سفر ثلاثة أيام فما فوق ، وأطلق أحمد ذلك فى أى سفر قليلا كان أم كثيراً .

الصحيح عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعهما محرم ، ولا تسافر امرأة إلا ومعها محرم فقام رجل فقال : يا رسول الله إنى اكتتبت[1] فى غزوة كذا ، وانطلقت امرأتى حاجة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « انطلق فاحجج مع امرأتك » رواه البخارى ومسلم ، وروى الدارقطنى بإسناده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحجن امرأة إلا ومعها ذو محرم » ، وهذا نص صريح .

وقال الأئمة مالك والشافعى والأوزاعى ليس المحرم شرطا فى حجها ويجوز لها الخروج فى رفقة النساء المسلمات كما قال مالك والشافعى وفى قول للشافعى الاكتفاء برفقة حرة مسلمة ثقة وقال الأوزاعى: يجوز لها الخروج فى الحج مع قوم عدول ثقات مع التحرز عن الاختلاط وهو مذهب فيه يسر لمن ليس معها محرم وليس برفقتها نساء والشأن فى المسلمين العدول الثقات أن يحافظوا على حرمة المسلمة محافظتهم على حرماتهم وأعراضهم .

على الحاج الاخلاص وتخير النفقة :

وعلى من يريد الحج أن يتوب توبة نصوحا من المآثم ويتحلل من المظالم وحقوق العباد ويعطى كل ذى حق حقه حتى يكون ذلك أدعى إلى قبول حجته وغفران ذنوبه ، وأن يطهر قلبه من العقائد الفاسدة ، والمذاهب الضارة ، ومن الحقد والحسد والبغضاء ، وأن يقصد بحجته وجه الله سبحانه وأداء فريضته لا الرياء والسمعة والجاه والألقاب فإنها مما يحبط الأعمال ويذهب بالثواب ، وأن يحرص ما استطاع على تحقيق الحكم التى أرادها الله من الحج ولا سيما توثيق علاقته بإخوانه المسلمين والتعرف على أحوالهم حتى يشاركهم فى السراء والضراء ، والبذل والعطاء فى غير إسراف ولا تقتير .

وأيضا ينبغى لمن يريد أداء فريضة الحج أن يتخير نفقته من خير ماله وأطيبه ويتجنب الخبيث الحرام ففى الكتاب الكريم « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد » [1] وفى الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، وقال : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء « يا رب . يا رب » ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى

---

[١] أى كتبت نفسى فى أسماء من يخرج فى هذه الغزوة .

[١] البقرة الآية ٢٦٧ .

يستجاب له ، رواه مسلم فاحرص أيها المسلم الراغب فى الحج على هذه الوصايا فإنها مما يقربك إلى الله ، ويحل عليك رضوانه ، ويجعل حجك مقبولا مبرورا .

الاحرام من الميقات :

ها أنت قد عزمت أمرك ، وشددت رحلك ، وتوجهت إلى بلد الله الحرام سواء أكنت فى البر أم فى البحر أم فى الجو ، وشارفت على الميقات .

والميقات هو المكان الذى لا يجوز لك تجاوزه إلا وأنت محرم بحج أو بعمرة [١] أو بهما معا وهو لأهل المدينة وما جاورها ذو الحليفة « تسمى الآن آبار على » ، ولأهل الشام ومصر وشمال إفريقيا ومن على شاكلتهم الجحفة « رابغ الآن » ، ولأهل نجد « قرن المنازل » ، ولأهل اليمن « يلم » ، ولأهل العراق ومن حاذاهم « ذات عرق » هذه المواقيت لأهل هذه البلاد ولمن أتى عليها من غيرهم .

فإذا قاربت الميقات فاخلع ما عليك من ثياب ومخيط واغتسل وتعطر بما شئت من طيب ثم البس إزاراً ورداء [١] جديدين أو غسيلين ثم صل ركعتين وهما سنة الإحرام ثم قل : « اللهم إنى أريد الحج فيسره لى وتقبله منى » ، ثم ارفع صوتك بالتلبية ناويا بها الحج والتلبية أن تقول : « لبيك اللهم لبيك [٢] ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » هذا إذا كان حاجا .

وإن كان معتمرا قال : « اللهم إنى أريد العمرة فيسرها لى وتقبلها منى » ، ثم يلبى .

وإن كان قارنا قال : « اللهم إنى أريد الحج والعمرة فيسرهما لى وتقبلهما منى » .

وبالإحرام أصبحت ملزما أن تكون على سمت خاص واتباع هدى خاص ، وحرم عليك بعض ما كان حلالا لك قبل هذا .

ما يحل للمحرم وما لا يحل :

ها أنت قد أحرمت بالحج أيها المسلم فاجعل جل همك فى التلبية ، والتكبير والتهليل سواء أكنت فى البر أم فى البحر أم فى الجو ، وعليك الإقلال من الكلام إلا فيما ينفع وتجنب لغو الحديث ولا يجوز للمحرم لبس المخيط ولا القميص ولا السراويل ولا العمامة

---

[١] العمرة لغة : الزيارة وشرعا : زيارة البيت بقصد الطواف حوله والسعى بين الصفا والمروة وإذا كان للحج أشهر مخصوصة فالعمرة لا تتقيد بزمان خاص وهذا من رحمة الله فقد جعل للمسلم الذى قد لا يتمكن من حج البيت فى أشهره المخصوصة سعة فى الاعتمار متى شاء كى يتمتع بجلال البيت ، ويحظى ببركاته ، ويطفىء لهيب الشوق ، ويروى النفس الظامئة ، ثم إن من أحرم بالحج فحسب يسمى حاجا ، ومن أحرم بالعمرة يسمى معتمراً ، ومن أحرم بهما معا يسمى قارنا ، ومن أحرم بالعمرة ثم تحلل منها وأحرم بالحج يسمى متمتعا .

[١] كبشكيرين أو ملاءتين أو ما شابههما .

[٢] لبيك يعنى نجيبك ياربنا إجابة بعد إجابة وليس المراد بالتثنية حقيقتها بل المراد : التكثير .

ولا القلنسوة ولا الخفين إلا إذا لم يجد إزارا فليلبس السروال للضرورة ، وإلا إذا لم يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين ، ولا يقتل صيدا ولا يدل عليه محرما أو حلالا ، ولا يقتل الهوام إلا أن يجد منها أذى ، ولا يقص أو يقلع أو ينتف شيئا من شعره ، ولا يقلم ظفره ، ولا يغطى رأسه ووجهه بملاصق لها ، أما إن استظل بمظلة أو حائط أو شجرة فلا بأس بل هو مطلوب وقت اشتداد الحر حتى لا يصاب بأذى . ولا يمس طيبا ، أو يغسل رأسه وبدنه بما فيه طيب كالصابون المعطر او النباتات ذات الرائحة الطيبة كالسدر ، أما غسل الرأس والجسد بالماء القراح ولو لغير جنابة فلا شىء فيه فقد ثبت عن ابن عباس القول بجوازه كما فى صحيح مسلم ، فإن اضطر المحرم إلى حلق شعر رأسه لمرض أو كثرة قمل يؤذيه ، فله أن يحلق وعليه الفدية ، وهى ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين كل مسكين نصف صاع وهو بالخيار بين هذه الثلاثة ، لقوله سبحانه : « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » . وفى الصحيحين عن كعب بن عجرة قال : حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهى فقال : « ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى ، أتجد شاة ؟ قلت : لا . قال : فصم ثلاثة أيام أو اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع . ومن المحرم على المحرم ، قطع شجر الحرم وعشبه ، وصيد طيره أو حيوانه ، أو إهاجته ، والرفث ، والفسوق والجدال ، قال تعالى : « فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .

و « الرفث » الجماع ودواعيه من لمس أو قبلة أو نحوهما ، وقيل كل ما يستقبح ذكره عند النساء . وقد أجمع الأئمة على أن المباشرة التامة ـ ولو بين الزوجين ـ تفسد الحج ، قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على أن الحج لا يفسد باتيان شىء فى حال الإحرام إلا الجماع ، أما المباشرة الناقصة كالقبلة واللمسة ونحوهما فهى لا تفسد الحج ، ولكنها جناية يلزم بسببها دم (شاة أو بدنة) ، والفسوق المعاصى ، وهى وإن كانت حراما مطلقا ، لكنها فى حق الحاج أعظم حرمة ووزرا ، والجدال المماراة مع الإخوان ، ومع الحمالين ، والأجراء وفى البيع والشراء ، ورحم الله عبدا سمحا إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اكترى » .

« البحث موصول إن شاء الله »

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مرحبا بالجزائر...!

للأستاذ فتحي عثمان

كما يكون العيد تتويجا لعمل مجيد، ورمزا لحياة سعيدة ...

كذلك يكون يوم إبرام اتفاق الجزائر... تتويجا لكفاح ورمزا لكيان.

أما الكفاح نفسه فكم احتفلنا به من قبل نضالا يتلوه نضال، وشهداء في إثر شهداء.. نضال لم ينقطع طيلة قرن وثلث قرن، ودارت معركته الأخيرة سبع سنين دأبا، وعليها مزيد نصف عام!!.

وشهداء يتواكبون بأرقام مهولة، مئات وآلاف وعشرات الآلاف، يقتلون ويقتلون، وآخر موكب في حرب السنوات السبع، عدته مليون شهيد!!! وأما الكيان...

فقد أعلن عن نفسه عملاقا شامخا في خلال النضال، وفي مواكب الشهداء. وكيف تكون «الأمة» أمة بجميع مقوماتها، إذا لم تكن هي الأمة المتميزة المتحفزة في جبال أوراس وصحراء الجزائر، التي تتربص بعدوها قرنا وثلث قرن، وتكيل له الضربات من الأمام ومن الخلف!!

دعوا فرنسا تحاول أن تحفظ شيئا من ماء وجهها بدعوى ترقب إجراء «الاستفتاء»! إن الاستفتاء قد مهره دم مليون شهيد... وإن فرنسا تعرف هذا وتصريحات «ديجول» هي تصريحات «الوداع».

ولكنه «الانسحاب النظيف»... كما يقول العسكريون!! إن بقي للنظافة في سياسة الاستعمار مجال!!.

* * *

كان كفاح الجزائر.«آية» في الكفاح! شعب يطبق عليه المستعمر ليستأثر به... به هو، وبالذات... فيقيم حوله الأسوار ويحكم رتاجا بعد رتاج!.

يحتجز المغرب العربي عن سائر ديار العروبة، ثم يستصفي الجزائر دون ديار المغرب... ثم يواصل الطرق في هذا الشعب الأبي، ليستهلك رواسب ماضيه، ويسكب في روحه من روح «فرنسا»، من لسانها وثقافتها وتقاليدها!!

ويختل التوازن أمام الطرق العنيف بين لسان ولسان، وبين ثقافة وثقافة. ولكن هيهات أن تهتز شعرة من كيان الجزائر

الأصيل أمام الدق والطرق العنيف ! !
ويهاجم الجزائريون فرنسا ...
يهاجمونها بلغة فرنسا ، وثقافة فرنسا ، وعلم فرنسا ، « وتكنيك » technique فرنسا ، يهاجمون بهذا كله ، فرنسا ذاتها ...
ويخرج المتعلمون الجزائريون من مدارس فرنسا ليهاجموا فرنسا ... ويخرج الموظفون الجزائريون من إدارة فرنسا ليهاجموا فرنسا ... ويخرج الجنود والضباط الجزائريون من جيش فرنسا ليهاجموا فرنسا ...
كل هذا بعد استعمار قرن وثلث ! !
الله أكبر ... أين تكون الأمة إذن إن لم تكن فى أرض الجزائر ! !
رددوا مع الكاتب الجزائرى الفيلسوف مالك بن نبى حكمته الرائعة : لا تلعنوا الاستعمار وحده ... هناك مع الاستعمار وقبل الاستعمار حالة « القابلية للاستعمار » اجعلوا لها نصيبا من لعناتكم ! !

* * *

كان كفاح الجزائر ... آية فى الكفاح ! !
كان مدرسة .. ما أجمعها وأروعها مدرسة !
كان مدرسة تعلم العالم أن الأمة « كيان » اجتماعى روحى ، قبل أن تكون « تخطيطا » سياسيا لحدود يثور حول تخطيطها الجدل ، ويحدد مدها وجزرها الزمن والقوة ! !
لقد وجدت الجزائر أمة ، ولم تغب لحظة خلال قرن وثلث كان يرتفع على هامتها فيه علم فرنسا ، وسلاح فرنسا ، ولسان فرنسا !
وجابهت الجزائر كأمة ، أمما أكثر عددا ومالا وعتادا ... فرنسا ، وحلفاء فرنسا ، من أمم تجرجر وراءها أساطيل البر والبحر والجو والصواريخ ... وتداعت على الجزائر القوى الباغية ، وبقيت الجزائر ، وعادت القوى الباغية أدراجها بعد قتال ما يزيد عن سبع سنوات ! !
إن فى هذا الكون معايير لقوى مذخورة هائلة ... قوى غير المال والعتاد ، وغير الأعداد التى تلبس الحلل الصفراء ...
قوى فى « الإنسان » ... رصدها الانتصار الجليل فى معركة « الجزائر » ... لقد جاء انتصار الجزائر ... انتصارا للإنسان ! !

* * *

كان كفاح الجزائر آية فى الكفاح ! !
كان الشعب كله جيشا ... والشعب كله بطلا والشعب كله يقدم النموذج الفريد فى التضحية والفداء ! ! .
وكانت القيادة كلها نبلا وكانت كلها وحدة ... وكانت آية فى إنكار الذات !
ظنت فرنسا أن الأمر أمر أشخاص أو أفراد فاختطفت أحمد بن بللا ورفاقه فى مؤامرة كمؤامرات القرصنة . وعاش بن بللا فى السجن وبقيت ثورة الجزائر ! ! .

وجاء عباس فرحات رئيسا للوزراء ... واختير كريم بلقاسم نائبا لرئيس الوزراء .. ثم جاء يوسف بن خدة رئيسا للوزراء ... وتفاوض بلقاسم باسم الجزائر .

وكان بن بللا يطالب بتصريحات عن رأيه فيترك الموقف لبن خده ورفاقه ، ويقول إنه لا يستطيع إعطاء تصريحات لأنه في السجن لا يتابع الأحداث ! !

وما كاد يوقع الاتفاق ، ويعلن عن إطلاق سراح القائد الأسير ، حتى هرع رئيس حكومة الجزائر إليه وهو يقول : « أنا ذاهب للقاء رئيسى بن بللا » ! !

حيوا بطولة القادة ... بجانب بطولة الجماهير ! ! .

حيوا بطولة القادة ... الذين عاشوا على أعصابهم ، بين « القاهرة » مقر حكومتهم المؤقتة ، و « تونس والمغرب » منطلق جيوشهم الضاربة ، ومقر مهاجريهم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ! ! .

حيوا بطولة القادة ... الذين أقاموا مركز دعايتهم فى « الولايات المتحدة » ، وزارت وفودهم الصين الشيوعية ، وساحت فى أرجاء آسيا ، واتصلوا بالشرق والغرب اتصال الشرفاء ، المطالبة بحقهم وكفاحهم ونظافة سياستهم ! !

حيوا بطولة القادة ... وشدوا على أيديهم فالطريق أمامهم ما زال طويلا ، والامتحان ما زال عسيرا ... و « النبل » يغرى الشيطان بالإصرار على الإغراء والإغواء ... والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

* * *

يقول جوتييه E. F. Gau ter فى كتابه « ماضى إفريقيـة الشمالية » Le Passé de L, Afrique du Nord .

« لا زالت النتائج التى وصل إليها العرب فى الشمال الإفريقى تدهشنا إلى الآن ... لقد عرب المغرب إلى حد كبير ، وتحول إلى الإسلام تحولا تاما عميقا ، وهذه نتيجة تدعو إلى الإعجاب ما فى ذلك شك ، ولم توفق إلى مثل هذه النتيجة حركة استعمارية (كذا !) قامت على وجه الأرض . ولنكرر القول إن هذا الفتح أحدث خلال القرن السابع ثورة كبرى . لقد انهار الحاجز المغلق إغلاقا محكما من كل ناحية ـ الذى كان يفصل الشرق عن الغرب ! ولو أننا قارنا هـذه القفزة الواسعة نحو المجهول بثوراتنا الفرنسية أو الروسية ـ لبدت لنا هاتان الأخيرتان صغيرتين جدا ! . . » .

ولقد كان كفاح الجزائر الأخير ، آية مجردة فى القرن العشرين ، على أصالة هذا الشعب العريق . . وإيمانه العميق ! ! .

لقد أسلم الجزائريون عن جد ... فوفوا للإسلام فى صدق ! !

لم يسلموا رهبة فهم المحاربون الأشاوس .

ولم يسلموا رغبة فهم الأشداء الأصلاء النبلاء ، ولم يكن للمسلمين خزائن ينثرون دنانيرها لاجتذاب الأقطار والأمصار ! !

يقول جوتييه : « إذا دفعنا تطلعنا إلى فهم الأسلوب الذى تمت به هذه الثورة الكبرى والإحاطة بتفاصيلها ، استبنا أن الفتح العربى كان طويلا جدا وعنيفا جدا ، إذ قاومتهم البلاد مقاومة عنيدة » ! !

ولندع جوتييه يقارن على طريقته ومفهومه بين فتح وفتح :

« كان الفتح الفرنسى للجزائر طويلا مؤلما ، وكانت قيادته سيئة ، وليس لنا الحق فى أن نفخر به كثيرا ! ولكن لنقارنه بالفتح العربى . ولنفرض أنه بين عامى ١٨٣٠ ، ١٩٠٠ طرد الفرنسيون من البلاد طردا تاما ثلاث مرات ، وأنهم لم يحتفظوا فى أحسن هذه المرات إلا بالجزائر وضواحيها ـ إذا استطعنا تصور ذلك أخذنا فكرة عما حدث أثناء الفتح العربى ... » .

ويغفل جوتييه عن الفارق الضخم الكبير .

الفارق بين « رسالة الإسلام » التى حملها العرب ، وبين ما يحمله الفرنسيون ! إن العرب حملوا معهم نداء الفطرة ، ورسالة الحق ، فوافقوا بالإسلام طبائع النفوس ، ولبوا احتياجات المجتمعات .

وحملت فرنسا « كلمات » مضيئة لا تصل إلى الأعماق ، ظاهرها « آمال » حقودة سوداء ! .

وعرفت فرنسا أنها لم تقتلع المغرب باقتلاع راياته وحكامه ، ومحاربة لسانه .

إن أمامها « كيانا » راسخا ، لا بد من الضرب فى جذوره وأصوله ورواسيه !!

وعرفت أن عليها أن تشهد حربا أخرى ، غير حرب المدافع والدبابات والطيارات .. حربا تستهدف « تمييع » العقول لا إسالة الدماء !

وكتب لى شاتليه A. Lechatelier : فى كتابه « الغارة على العالم الإسلامى » :

La Conqete du Monde Musulmane

« ينبغى لفرنسا أن يكون عملها فى الشرق مبنيا قبل كل شىء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته ! ومن هنا يتبين لنا أن إرساليات التبشير الدينية التى لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتى بالنفع الكثير فى البلاد الإسلامية من حيث أنها تبث الأفكار الأوربية ... ولا شك فى أن إرساليات التبشير من بروتستنتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية ، إذ يحتك الإسلام بثقافة أوربا وتتمهد السبيل لتقدم إسلامى مادى » .

ونفذت فرنسا الخطة ...

ونطق الجزائريون بالفرنسية ...

فلعنوا فرنسا ، وحاربوا فرنسا ...

وانتصرت الجزائر ... وثبت الإسلام .

وكتب مالك بن نبي بالفرنسية فى كتابه L'Afro Asiatisme « ... فى الإطار الثقافى العربى يصبح تعبير (النجاح الصناعى) مقصوداً به (النجاح) فى كل شىء ، وترد المشكلة الإنسانية إلى (مبادئ ميكانيكية) تأخذ صفة مقاييس ، والواقع أنه من الصعب أن نهرب من سيطرة (الوهم الميكانيكى) فى هذا الإطار !! ...

وفضائل الغرب ليست سوى فضائل داخلية أنانية لا إشعاع لها ...

والعقل الغربى هو نفسه ذاتى أنانى من الوجهة الأخلاقية ... والغربى لا يحمل فضائله خارج عالمه هو ، فخارج حدوده الأوربية لا يكون إنساناً ، بل أوربياً .

وهو حيثما ذهب ، سواء كان صانعاً أو صحفياً أو مجرد سائح فى بلد متخلف ، ينشئ عن قصد أو غير قصد ، حالة استعمارية situation colonial ...

وإن إخفاق أمريكا فى هذه المشكلة ذات الطابع الإنسانى والأخلاقى ، لا يساوى فى دويه شيئاً سوى نجاحها فى المشاكل ذات الطابع الصناعى !! ...

إن المشكلات الإنسانية لا تظهر فى العواصم الغربية ، لأن ذكاء العقل الفنى يدركها فى ضوء خاص ، يعريها عن مظهرها الإنسانى ، ولا ينظر إليها إلا فى شكلها الكمى — أعنى من الوجهة الاقتصادية والاستراتيجية !!!...

وحجم الإنسان فى نظر الإسلام ينتج عن (اللانهائية) التى خصه الله بها ؛ عندما نشهد فى حديث القرآن عن الخلق سجود الكون لآدم ، ثم يطرد الله إبليس لأنه رفض السجود له ، ونحن ندرك كم يكون هذا الأساس مهما لتشييد بناء إنسانية عالمية ، مهما فى اللحظة التى لم تعد تستطيع فيها الإنسانية خلاصاً من مأزقها حيث أقحمتها إرادة القوة إلا عن هذا الطريق : طريق الحضارة الذى يهب للإنسان حرياته وأصالته وألوان اختياره جميعاً . ولو أننا أدركنا كم يكون من المفيد فى هذا الطريق أن نأخذ بهذه المبادئ الإسلامية ، فسنرى ضرورة تنشيط هذه المبادئ بإنشاء ثقافة مناسبة لحال المجتمع الإسلامى لتطبيقها بمفهومها الاجتماعى ، وعلاقاتها التاريخية الجديدة ... » !

والمجال صالح أمام استنبات المجتمع الإسلامى الجديد ، والفكر الإسلامى الرشيد والدولة الإسلامية العصرية ... فى الأرض التى أنبتت البطولات ...

ومرحباً بالجزائر ... مرحباً « بالإيمان » فى أصوله وثماره ...

فتحى عثمان

الإمام الغزالى والفلسفة

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

والفلسفة التى نعنيها هنا ، إنما هى المحاولات المستمرة ، التى بدأت منذ العهد اليونانى القديم ولا تزال - لبناء « ماوراء الطبيعة » على العقل ، إنها هى المحاولات العقلية ، لاختراع ما وراء الطبيعة وابتداعه ، بحيث يأخذ العقل حريته فى الإثبات والنفى ، غير متأثر إلا بمقاييسه هو التى يفرضها وإذا كان العقل قد اشتغل بالطبيعة والرياضيات ، وإذا كانت الطبيعات والرياضيات قد أدخلت فى الفلسفة كأجزاء لها . فإن الهدف الأول للإمام الغزالى ، إنما هو جانب ماوراء الطبيعة .

ومما لا شك فيه ، أن العقل قد أنتج ثمارا يانعة فى الطبيعيات والرياضيات : لقد أقام القواعد المحكمة ونظم المبادئ المتقنة وانتهى به الأمر إلى أن شيد الطبيعيات والرياضيات على أسس متينة : وكان الأمر كذلك فى هذين الميدانين لأن العقل يعمل فى دائرة اختصاصه ، ودائرة اختصاصه ، إنما هى الماديات والمحسوسات ، أوما يتمثل فيهما حينما يوجد خارج الذهن ، كالرياضيات .

وغر هذا النجاح قوما ، فاعتقدوا أن فى استطاعة العقل . أن يجول فى كل ميدان : فى استطاعته أن يجول فى الطبيعة وما فى وراء الطبيعة ، فى العالم وفى ماوراء العالم ، فى المادة وفى المجردات ، فى عالم الشهادة وفى عالم الغيب وكانت النتيجة أن أقحموا العقل فى عالم ماوراء الطبيعة : فكانت الفلسفة الإلهية العقلية ، وكان الإخفاق التام للعقل فى هذا الميدان .

وهذه الفلسفة العقلية . التى تبحث فى الغيب ، إنما هى انحراف عن الطريق المستقيم وهذا الانحراف حديث العهد نسبيا ، فهو يبتدئ كما قلنا بالعهد اليونانى ، وأشهر من تولى كبره فى ذلك العهد ، إنما هو « أرسطو » .

وأرسطو هذا الذى يعتبره بعض المؤرخين أكبر عقلية فلسفية ظهرت على وجه التاريخ ، هو أيضا أشهر الذين انهار مذهبهم فى عالم ما وراء الطبيعة وكان إخفاق عقله هذا الكبير فيما يختص بمعرفة الغيب من أوضح الأدلة على أن عالم الغيب أسمى من أن يتناوله العقل البشرى الخطاء ولقد كانت الاعتراضات على مذهبه قوية عامة شاملة حتى إن تلاميذه وهم فلاسفة دب اليأس فى نفوسهم من إقامة عالم ما وراء الطبعية على أساس العقل لم يمكنهم أن يردوا على الاعتراضات ورأوا أنه إذا كان أستاذهم قد أخفق هذا الإخفاق فى مذهبه عن عالم الغيب فإنهم سيخفقون من باب أولى لو حاولوا إقامة مذهب فى الإلهيات جديد يقول : الأستاذ سانتلانا بعد أن ذكر الاعتراضات على مذهب أرسطو :

إن ذلك « حمل التلامذة بعد موته على الإياس من الإلهيات والتفرغ إلى علم الطبيعة ، وعلم الأخلاق ، اختصوا بهما فى القرن الثالث قبل الميلاد ، حتى لقبوا بالطبيعيين سماشيمة « ثاوفرسطيس » ، و « استوائون » ، الذين خلفا أرسطو فى رياسة « دار العلم » التى كانت المشائين بأثينا » اهـ :

انصرف إذا تلاميذ أرسطو ـ بأثسين ـ عن عالم ما وراء الطبيعة ، إلى عالم الطبيعة والأخلاق وإذا كان مذهب زعيم العقليين قد انهار ، فمن باب أولى ينهار مذهب غيره ممن هم أقل منه ، ولكن هذا الانهيار المتتابع للمذاهب العقلية فى الإلهيات ، لم يصرف الناس عن هذا النمط من المحاولات ، التى مآلها دائماً الإخفاق .

وتتابعت هذه المحاولات فى الشرق والغرب إلى عهد الإمام الغزالى .

ورأى الإمام الغزالى ببصيرته النقادة ، وبحدسه الملهم ، أن هذا الطريق ، الذى انحرفت إليه الفلسفة وسارت فيه . إنما هو طريق مسدود ، ولابد إذاً من محاربة هذا العبث الذى يسمونه « الفلسفة العقلية » لابد من محاربته لأسباب عدة : فهو إضاعة للوقت ، وهو تشكيك للبشرية ، وزعزعة للإيمان وليس له من نتيجة إلا التفرق والاختلاف ، وتوهين المقدسات .

على أنه إذا كان يلتمس لليونان العذر فى معالجة هذا الموضوع ، لعدم وجود الوحى المعصوم ، الذى يهديهم الطريق ، وينير لهم الجادة . فليس هناك من عذر للمسلمين وبين يديهم رسالة السماء ممثلة فى « القرآن » .

وهو « كتاب . أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

« لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وقد تكفل الله بحفظه «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» .

ليس للمسلم إذاً ـ فيما يرى الإمام الغزالى ـ أن يحاول ابتداع عالم ما وراء الطبيعة ، أو اختراعه عقليا ، ولكن المسلمين ، أخذوا فيما أخذ فيه اليونان واعتمدوا على العقل وألقوا قيادهم إليه فتفرقوا مذاهب شتى ، وطرائق قددا . وأصبح للفلسفة رغم هذا بريق يخطف الأبصار ، ولمعان كالسراب يجذب الكثيرين .

لابد إذاً من التشمير عن ساعد الجد ، وهدم هذا الزيف ، وإبطال هذا السحر حتى يعود الناس إلى الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق .

وحمل الإمام الغزالى على الأساس ، الذى تقوم عليه الفلسفة وهو « العقل » حملة عنيفة وهجم عليه هجوما قويا ، ولم يفتر قط عن مهاجمته منذ أن ألف كتابه القيم « تهافت الفلاسفة » إلى أن انتهت به الحياة ، ولقد كان كتابه « تهافت الفلاسفة » محاولة موفقة كل التوفيق ، جريئة كل الجرأة ، طريفة كل الطرافة ، وما كان المقصد الأول ، والهدف

الأساسى لهجومه ، هدم الآراء فى نفسها ، فبعضها صحيح ، موافق للدين ، ومع ذلك فقد هدم الإمام الغزالى ، المنهج العقلى ، الذى استندت إليه هذه الآراء ، و خلود النفس ، مثلا . رأى يقول به الغزالى ، ويقول به الفلاسفة ، ولكن الإمام الغزالى ، حمل معوله على طريقة الفلاسفة فى إثبات خلود النفس ، وهدم أدلتهم ، وضرب بمعوله فيها فانهارت وتهافتت ومع ذلك ، فقد كان هو مؤمنا بهذا الخلود ، إنه لم يلتزم فى هذا الكتاب (إلا تكدير مذهبهم ؛ والتغيير فى وجه أدلتهم بما يبين تهافتهم) .

ومقصوده : تنبيه من حسن اعتقاده فى الفلاسفة ، وظن أن مسالكهم نقية عن التناقض ، ببيان وجوه تهافتهم .

ويقول : (أنا لا أدخل فى الاعتراض عليهم ، إلا دخول مطالب منكر ، لا دخول مدع ، مثبت ، فأبطل عليهم ما اعتقدوه ، مقطوعا بإلزامات مختلفة : —

فألزمهم : تارة مذهب المعتزلة .

وأخرى : مذهب الكرامية .

وطورا : مذهب الوقفية .

ولا أنتهض ذابا عن مذهب مخصوص .

ويقول الأستاذ « بلاسيوس » بحق « إن الغزالى حينما سمى كتابه (تهافت الفلاسفة) : كان يريد أن يمثل لنا ، أن العقل الإنسانى ، يبحث عن الحقيقة ، ويريد الوصول إليها كما يبحث البعوض عن ضوء النهار ، فإذا أبصر شعاعا يشبه نور الحقيقة انخدع به ، فرمى بنفسه عليه وتهافت فيه ، ولكنه يخطئ مخدوعا بأقيسة منطقية خاطئة ، فيهلك كما يهلك البعوض .

فكأن الغزالى ، يريد أن يقول : « إن الفلاسفة ، خدعوا بأشياء أسرعوا إليها بلا إعمال روية فتهافتوا وهلكوا الهلاك الأبدى » اهـ

وفى كتاب التهافت هدم الإمام الغزالى عقليا ما بناه الفلاسفة معتمدين على عقولهم وتهافتت الآراء تحت قلمه ، ومن الحق أن نقول ، إن أدلة الإمام الغزالى فيها من القوة ، ومن الرسوخ بحيث لا تقل . من وجهة النظر العقلية ، عن أدلة الفلاسفة العقليين .

وما من شك فى أن حملة الإمام الغزالى ، إنما كانت موجهة أولا وبالذات إلى العقل والقضية المتنازع عليها هى قضية استطاعة العقل الوصول إلى المعرفة اليقينية فى عالم « ماوراء الطبيعة » . الإمام الغــزالى ينكر ، ويثبت إنكاره بالإخفاق المتتابع للفلاسفة . ويثبته أيضا بهدم العقل لكل ما بناه العقل نفسه فى هذا الميدان . والتعارض إذاً بين الإمام الغزالى والفلاسفة إنما هو تعارض كلى : ولذلك فإن المحاولات الكثيرة المتعددة ، لتصحيح آراء الفلاسفة ، أو لتصحيح بعضها ، ونقد الإمام الغزالى فى حملته على هذا الرأى أو ذاك . والانتصار لوجهة النظر الفلسفية فى هذه أو تلك . . . . إن ذلك كله غير مجد فى القضية التى أثارها

الإمام الغزالى ، وهى محاولات جهل القائلون بها موضوع النزاع على حقيقته أو تجاهلوه .

ومن هنا كانت محاولة ابن رشد - وهو أكبر المدافعين عن الفلاسفة - تصويب آراء الفلاسفة فى كتابه « تهافت التهافت » عملا غير مفيد فى حسم النزاع : إذ أن دائرة النزاع الحقيقية إنما هى الأساس الذى بنيت عليه الآراء وليست الآراء نفسها . والواقع أن فكرة الإمام الغزالى لا تزال الآن تتسم بالسهولة والوضوح والقوة : لقد أخفقتم أيها العقليون والدليل على إخفاقكم اختلافكم المستمر ، هذا الاختلاف الذى أصبح وكأنه القاعدة والمبدأ العام .

وإذا أردنا فى النهاية تقدير مدى الآثار التى كانت ولا تزال ثمرة لفكرة الإمام الغزالى هذه فإن خير ما نفعل فيما يتعلق بذلك ، وخير ما نختم به هذه الكلمة هو أن ننقل رأى الدكتور محمد إقبال ، وهو رأى يتسم بالرصافة والعمق : يقول محمد إقبال فى كتابه « تجديد التفكير الدينى فى الإسلام » :

على أنه لا سبيل إلى إنكار أن الدعوة التى نهض لها الغزالى تكاد تكون دعوة للتبشير بمبدأ جديد ، مثلها فى ذلك مثل الدعوة التى قام بها « كانت » فى ألمانيا فى القرن الثالث عشر :

ففى ألمانيا ظهر المذهب العقلى لأول عهده حليفا للدين ، ولكن سرعان ما تبين أن جانب العقيدة من الدين لا يمكن البرهنة عليه حسيا فكان الطريق الوحيد إذن : أن تمحى العقيدة الدينية من سجل المقدسات .

وقد جاء مع محو العقيدة مذهب المنفعة فى فلسفة الأخلاق ولذا مكن المذهب العقلى من سيادة الإلحاد .

تلك كانت الحال فى ألمانيا ، عندما ظهر « كانت » ، وكشف كتابه : « العقل الخالص » عن قصور العقل الإنسانى ، فهدم بذلك ما بناه أصحاب المذهب العقلى من قبل وصدق عليه القول بأنه كان أجل نعم الله على وطنه .

وإن التشكك الفلسفى الذى اصطنعه الغزالى على تطرفه بعض الشىء قد انتهى إلى النتيجة نفسها فى العالم الإسلامى إذ قضى ذلك على المذهب العقلى الذى كان موضع الزهو ، على الرغم من ضحالته ، وهو المذهب الذى سار فى نفس الاتجاه إليه المذهب العقلى فى ألمانيا قبل ظهور « كانت » .

غير أن هناك فارقا هاما بين « الغزالى » و « كانت » ، فإن « كانت » تمشى مع مبادئه تمشيا لم يستطع أن يثبت أن معرفة الله ممكنة ، أما الغزالى فعندما خاب رجاؤه فى الفكر التحليلى ، ولى وجهه شطر الرياضة الصوفية ، وألفى فيها مكانا للدين قائما بنفسه .

وبهذه الطريقة وفق لأن جعل للدين حق الوجود مستقلا عن العلم ، وعن الفلسفة الميتافيزيقية ؟

الدكتور عبد الحليم محمود
رئيس قسم التوحيد والفلسفة بجامعة الأزهر

دراسة عن على مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوى

تعريف بعلم الدين :

أما صاحب الاسم ، وصاحب الرحلة المتخيلة ، فهو صبى من قرى مصر . كان أبوه رجلا من فقهاء الريف يؤم الناس فى صلاتهم ، ويعلم أطفالهم كتاب الله ، وهو رجل تقى صالح ، رزقه الله ، على الكبر ، ولداً سماه « علم الدين » عسى أن يجعله الله من أعلام العلماء المجتهدين . ثم علمه ورباه فى « كتابه » لحفظ القرآن وبعض ملخصات العلوم اليسيرة — المتون — وعلمه مبادئ بعض الفنون أيضاً . فلما ظهرت على علم الدين دلائل النجابة والفهم أرسله أبوه إلى الأزهر حيث العلم والفضائل والبركات : وبعث الشيخ مع فتاه شيئا من الزاد يسيرا ، ومكتوبا إلى صديق له من التجار يوصيه به ، وقبل أن ينطلق الفتى من قريته وصاه أبوه بطاعة شيوخه ، والعكوف على العلم والتحصيل ، واجتناب المناهى وأماكن الملاهى . وأن يصحب فى كل وقته ، أهل الصلاح . ثم أراد الشيخ أن يفصل لفتاه وظائف طالب العلم وما يلزمه من الآداب التى يتوقف عليها كمال الوصول إلى المطلوب ، والحصول على تمام المرغوب ، فأجمل له ذلك فى عشر وصايا ، من المثابرة والصبر وتقويم النفس والتجرد للعلم والتواضع والبعد عن التفاخر والمباهاة، ونحو ذلك .

فلما أتم وصية ولده ، دعا أمه العجوز العمياء ، وجمع أهله فتحدث إليها وإليهم عن عزمه ، ورفعت الأم رأسها إلى السماء تدعو لولدها بالفلاح والسلامة والعودة ، ثم أنزل الفتى إلى سفينة من تلك التى تسير فى النيل إلى القاهرة ، فسارت به على بركة الله.

ثم يتنقل بعد ذلك فى فصول ، يسميها المسامرات ، يتنقل مع هذا الفتى الريفى حيثما سار ، يصور أحاسيسه وهو على ظهر هذه السفينة الصغيرة القلقة ، أو فى جوفها . وحزنه على فراق أهل ، وإشفاقه من هذه السفينة ومما سيلقى من القاهرة ، وهو لا يعرف عنها ولا عن أهلها شيئاً ، حتى يتعرف إلى رفيق له شيخ يركب معه السفينة ويعرف عن القاهرة وأهلها وعن الأزهر وعلمائه شيئاً كثيراً يتحدث به إلى الفتى ، فيفارقه ما كان يجد من إشفاق وخوف .

ويظل الفتى فى الأزهر سنين يبدى فى قليل منها كثيراً من التفوق ويحفظ غير قليل من العلم فى فنونه المختلفة المتباينة حتى يجيئه نبأ موت أبويه فيعود إلى قريته ثم يرجع إلى الأزهر وقد أحضر معه شقيقات له ثلاث . وباع فى قريته ما خلفه أبوه له ولهن ، وكان حمارة واحدة وبعض أعنز وآنية من الفخار وشيئاً يسيراً من الأثاث ، تلقى فى ذلك كله ثمنا أربع جنيهات .

ثم تزوج الفتى ، وقد صار شابا ، تزوج فتاة اسمها « تقية » ، وظلت تقية هذه ، بعد أن أنجبت له ، تشجعه وتدفعه لأن يقتحم فى الحياة الواسعة ويخرج من الحدود الضيقة التى وضع نفسه فيها بالتزامه علوم الأزهر ومجلس علمائه ، ظلت زوجه تقية تدفعه وتشجعه حتى ألقت إليه المقادير برجل انجليزى قدم مصر ليدرس فيها علوم اللغة وليطبع فيها كتابا أعجبه هو لسان العرب ، فيصل الشيخ حياته بحياة هذا الانجليزى ويلتصق به حتى يسافر معه إلى أوربا ، وقد صحب معه ابنه برهان الدين .

ومنذ ركب الشيخ وابنه القطار ، لأول مرة ، طفق يسأل صديقه الانجليزى عن كل شىء سأله لماذا يدق الجرس ثلاث مرات قبل أن يبدأ القطار سيره ، وسأله عن المتر والسنتيمتر والكيلوجرام والجرام ، أى شىء هى ، وكان عجيباً ، مخيفا بعض الشىء ، أن يركب هذا المركب من الحديد فيسير به سريعا حتى يسأله صديقه الانجليزى : ماذا ترى ؟ فيقول الشيخ « أرى أن الأرض تطوى كطى السجل للكتب » ، وهذه العربات بما عليها كما قال الله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » . وهذا الدخان قد انتشر فى الجو كالسماء إذا انفطرت ، وتطاير الشرر فى الهواء كالنجوم إذا انتثرت ، وكثرة الزحام كالخلائق إذا حشرت وقد فتشت أوراق المسافرين ـ تذاكر السفر ـ كالصحف إذا نشرت، فتذكرت بهذه الأحوال أهوال القيامة .

ثم يتطرق الشيخ وصديقه إلى حديث طويل يفصل فيه الانجليزى للشيخ كيف يسير البخار هذا القطار ، وكيف ومتى عرف الناس فى أوربا هذه النظرية واخترعوا هذه السكك الحديدية وما تم منها فى بلاد الغرب والشرق وكم حملت من الناس والأنعام والبضائع ، وما أفادت منها البلاد التى أنشأتها ، والشركات التى قامت على إنشائها ، وطال منه هذا الحديث فى النظريات العلمية والأرقام ، والشيخ يستزيده ويشاركه فى ذلك مشاركة الذى يعرف من ذلك شيئا غير قليل .

حتى وقف بهم القطار فى طنطا فيحدث الشيخ صديقه الانجليزى عن أصل هذه التسمية

فى اللغة المصرية القديمة ، وأنها كانت «طنطاء» أو «طندتا» ثم حرفت إلى طنطا ، بل نجد عند ذلك ، الشيخ يحدث صديقه عن كل شيء ، ويكاد يعرف كل شيء ، فهو يحدثه بعد ذلك عن السيد البدوى ومنشئه وحياته وموته ومولده ، كما يحدثه عن أعياد مصر المسيحية قبل الإسلام وبعده .

ولو أن الشيخ تحدث هذا الحديث بعد عودته من أوربا، وبعد أن تعلم من رحلته فيها شيئا كثيراً ، لكان حديثه عندئذ ممكنا أو معقولا ولكن على مبارك ، على ما أعتقد ، وضع على لسان الشيخ هذا الحديث ليجعل الحوار مشاركة بينه وبين صديقه الانجليزى ، فيخرج بذلك من الإملال ، ويجدد نشاط القارئ قبل أن يبلغ به الفتور .

وفى هذا الحديث الذى جرى بين علم الدين وصديقه الانجليزى وهما فى طريقهما بين القاهرة والإسكندرية ، نجد فوائد لغوية كثيرة . كالبحث فى كلمة « وابور » وهما يتحدثان عن سكة الحديد ، وكلمة دست ومعانيها الخمسة عشر ، وكلمة « قدر » وأيهما عربى وأيهما فارسى . وإلى هذه الفوائد بحوث أخرى فى اللغة ، ونوادر من الشعر والأثر والأمثال . ومع أنه يجعل هذا الانجليزى يصف نفسه بأنه قليل الحظ من المعرفة باللغة العربية [1] فهو يرينا إياه فى حديث القطار هذا عالماً بهذه اللغة علماً واسعا عميقاً . نراه يتحدث إلى صديقه علم الدين فى هذا البيت من الشعر لابن عبيد :

وقِدْرٍ كرأل الصَّحْصحان وثيّة
أنخت لها ، بعد الهدوء ، الأثافِيا

ويروى للشيخ من محفوظه هذا الشعر :

وقدر كمثل الفيل فى القدر ، أشرفت
على منصب كالفيل فى دست منصب

ويروى من حفظه :

وقدر جاع كاليفاع دميمة
زوازية سوداء غير صلود

ثم يتحدث إلى الشيخ فى معانى هذه الزيوزية أو الزوازية ، ثم فى الطنجرة والدمام ، والبرمة ، والهيطلة ، والزازية ، والملكية ، وغير ذلك . ويتحدث إلى الشيخ أو يستمع منه وهو يروى هذا الشعر ، لامرئ القيس يصف به فرسا :

على القصب جياش ، كأن اهتزامه
إذا جاش فيه حميه ، غلى مرجل

وهذا الشعر :

رأيت قدور الصاد حول بيوتنا
قنابل دهما فى المحلة صيبا

يتحدث الشيخ والانجليزى فى هذا ومثله

[1] ص ٨٠ من الجزء الأول .

مما نجده عند ابن سيدة وسيبويه وابن دريد وابن جني وغيرهم من أصحاب كتب اللغة وأصولها وأمهاتها التي لا يفهمها أولا يقتحمها إلا الراسخون في علم هذه اللغة .

وفي هذا الحديث يسمي علي مبارك «رأس الرجاء الصالح» باسم آخرهو «رأس العشم» .

ويعرف الشيخ صديقه الانجليزي ، عند الحديث عن رياح البحر ، أن الرياح لها في اللغة العربية كثير من الأسماء ، تختلف باختلاف أحوالها ومظاهرها وآثارها . فهي العواصف ، واللواقح ، والحواسك[1] والبوارح ، والبشرات ، التي تبشر بالمطر ، والمعصرات ، أي التي تجيء مع المطر ، والأعاصير ، والسوافي ، ومنها كذلك الريدة والريدانة ، أي اللينة ، والرخاء ، والحنون ، التي لها صوت كحنين الإبل ، والناخة والسيهج والسيهوج ، وكلها تعني تلك الريح التي تبدأ شديدة ، والزفرات التي لها صوت شديد . والحاصب التي تحمل الحصباء ، أي الحصى . والهبوة ، والهوجاء ، والصرصر ، والحرور ، والسموم . إلى آخر هذه الأسماء التي نجدها في فقه اللغة وأشباهه .

يتحدث الشيخ إلى صديقه الانجليزي هذا الحديث ، ويحدثه صديقه الانجليزي عن أعماق البحار وتياراتها الحارة والباردة ، وعن المد والجزر ، وأثر القمر والكواكب فيها وعن الأمواج وارتفاعها وطرقها وسرعتها . وما في قاع البحار من الغابات الواسعة والوديان المطمئنة والجبال الشاهقة والبراري الهائلة والصخور والمغارات والأعشاب ، والحيوان والمعدن وما إلى ذلك من شيء كثير عجيب . فإذا ركبا البحر وبانت لعيونهما أضواء بركان إتنا في جزيرة صقلية أو سيلسيا ، كما يسميها ، تحدثا عن البراكين وآثارها ، وتكوينها وهيجانها وبرودتها . وأسبابها ، وعددها ، وأماكن وجودها على سطح الأرض كلها ، ما طفئ منها وما يزال ملتهباً .

الشرق وحضارة الغرب :

ومن الأمور التي يبدو أن علي مبارك قصد إليها من هذا الكتاب ، تعريف الحضارة الغربية إلى أهل الشرق . فنحن نراه في هذا الكتاب يبسط شيئاً كثيراً من تاريخ الحضارة ومقوماتها ويتحدث بشيء كثير من الإفاضة عن هذه الأسباب التي رفعت حياة الغربيين ودفعتهم دفعاً إلى هذه الرفعة والعزة والمنزلة التي بلغوها دون الشرقيين ، وجعلت لهم على هذه الأرض وعلى أهلها السيادة ، يتحدث عن علوم الغرب وعن حرص أهله على المعرفة

---

[١] الريح المختلفة الشديدة .

وبذلهم وكفاحهم ليعرفوا ويتعلموا ويسيحوا في كل ركن من أركان هذه الأرض .

وهو إلى تعريفه حضارة الغرب إلى أهل الشرق ، وما يبدو واضحاً جلياً من تحريضهم على أن ينهجوا هذا النهج ويسلكوا هذا السبيل ، ليصلوا إلى ماوصل إليه الغربيون ، هو إلى ذلك يعرّف أهل الشرق بثقافة الغرب وفنونه . فهو يجعل السائح الانجليزى يتحدث عن « التياتر » الأوربى . ويجعل الشيخ يسأله ويصغى إلى حديثه ذلك عن المسرح وتاريخه ونظمه ومكانته فى الحياة الأوربية وغاية الغربيين منه وإفادتهم من عبره ودروسه وحرصهم عليه وبذلهم فى سبيله المال الكثير وتعلقهم به وحرصهم على شهوده . وهو فى ذلك أيضا يحرض أهل الشرق على اقتباس هذه الثقافة ودراسة فنونها والتأثر بها واتخاذها سبيلا إلى التقدم والمعرفة وتهذيب الأذواق ، كما يفعل الأوربيون . وهو يؤمن بأن ما كان يعرفه المصريون أو الشرقيون من أنواع التمثيل ، مثل « خيال الظل » وما يشبهه ، هو سخف لا ذوق فيه ولا معرفة ولا تهذيب . ويؤمن بأن المسرح الأوربى كله فن وذوق ومعرفة وتهذيب . ولا يرى بأسا من أن يصور هذا المسرح « طوفان نوح » و « يوم القيامة » ولا يرى الشيخ بأسا فى ذلك أيضا

ولا يرى أى بأس ، من الناحية الدينية ، فى أن يشهد الناس التمثيل . بل يراه خادما للشريعة « التى تأمر بالمعروف وتنهى عن الشر » .

علوم ومعارف شتى :

يسير على مبارك فى كتابه هذا « علم الدين » على نهج المعلم ، فهو إذا انتهى من حديثه ذاك عن المسرح الأوربى ، أخذ يتحدث عن البلاد التى يزلها مع صديقه الشيخ وابنه ، هذه مرسيليا ، فهو يذكر تاريخها القديم وما مر بها من الأحداث والتطورات حتى انتهى بها الأمر إلى ما هى عليه عند ما نزلوا بها ، فإذا انتهى من حديث مرسيليا انتقل إلى المدينة التى تقابلها على البحر الأبيض المتوسط ، مدينة الإسكندرية ، فذكر تاريخها أيضاً وشيئاً من تاريخ مصر القديمة ، ودخولها تحت حكم الفرس واليونان ، بفتح الإسكندر لها ، واستطرد إلى ما بعث به الإسكندر من رسائل إلى أستاذه أرسطاطاليس ، وما كان من الحرب بين الإسكندر ودارا . وهو فى حديثه عن تاريخ هذه البلاد يذكر مصرام ابن بيصر بن حام بن نوح ، وإخوته فارق ، وماج ، وياج ، ونحو هذه الأسماء ، كأنها حقيقة من حقائق التاريخ . ويروى بعد ذلك قصة الزباء وما فعله جذيمة بأبيها وملكه . وما ثارت به هى لأبيها وملكه من جذيمة ، وما تحيّل به عليها قصير الذى

جدع أنفه ليأخذ منها ثأر مولاه جذيمة ، إلى آخر هذا الحديث الذى نعرفه من التاريخ العربى القديم .

لا نستطيع ، كما ذكرنا ، أن نقول إن « علم الدين » كتاب فى الأدب أو فى التاريخ أو فى علوم اللغة أو الشريعة . ولكنه كتاب جمع بين طرف من هذه الأشياء جميعاً ، وضم إليها أطرافاً أخرى كثيرة فى شتى المعارف والعلوم ، ومن مختلف الثقافات والأزمنة وعن جميع الأمم . هو « كشكول » ينتقل فيه الحديث بين السائح الانجليزى وصديقه الشيخ وابنه الشيخ الصغير ، ورفيقهما يعقوب ، ينتقل الحديث بينهم جميعاً أو بين بعضهم وبعض فى فنون شتى ، ويجمع طرائف عدة . فبينا نجده يتحدث عن اللؤلؤ والمرجان والأسماك وأشباه ذلك مما يعيش أو يوجد فى الماء ، إذا به ينتقل إلى مسامرة أخرى يتحدث فيها عن كلمة « الدينار » من أين جاءت فى اللغة العربية ، وقيمة هذه العملة النقدية عند العرب . ثم ينتقل من ذلك إلى النصاب الشرعى فى الزكاة ، ثم إلى « المثقال » وقيمته وما صنع به عمر ، وهو فى هذا وذاك ينقل عن صاحب القاموس إذا تحدث فى اللغة ، وعن الطحطاوى فى شرحه على حاشية الدر ، والدهبى الشافعى المصرى إذا تحدث فى الفقه ، ثم يعود بحديث الدرهم إلى عهد اليونان فينقل فى ذلك عن ابن الرفعة ، والمروجى والسيوطى والمقريزى وعبد القادر الصوفى ، ويستطرد إلى ذكر الحبة والخردلة والقيراط ، وعملة الرومان والفرس التى كان يتعامل بها المسلمون فى الصدر الأول حتى ضرب عبد الملك بن مروان أول درهم إسلامى .

وهكذا نجد على مبارك فى كتابه علم الدين ينتقل من علم إلى علم ومن فن إلى غيره ، ومن خبر إلى ما يتصل به أو يلابسه أو يجره إليه السياق والحديث والمناسبة ، وهذا المثل عن الدرهم والمثقال واللؤلؤ والمرجان ، نستطيع أن نطبقه على جميع ما يتحدث به الشيخ علم الدين وأصدقاؤه ، وفى جميع ما يتناوله هذا الكتاب ، ولكنه يجمع إلى العلم القديم ، من اللغة والفقه والتاريخ ، شيئاً كثيراً من العلم الحديث ، وما كشفه العلم الغربى من حقائق شتى ومن نظريات وآراء . كما نجد له أحاديث شتى ، فيها من الإفادة والتشويق شىء كثير ، عن طبائع الحيوان والحشرات ، وحياتها وما أودعها الله من حكم وأسرار ، ومنها حديث طويل شيق عن طبائع النمل وفصائله وأنواعه ونظم حياته ومعيشته .

وليس كتاب علم الدين كتاب سياحة وتاريخ وعلم مدنى فقط . بل فيه شىء غير قليل من العلوم الدينية أو الشرعية أيضاً . فهو يتحدث

عن الخمر وحكمة تحريمها فى الإسلام ، وما نزل فيها من الآيات ، وعن الميسر والأنصاب والأزلام . وعن أحكام الفقهاء فى لعب الشطرنج والنرد ، وأشباه ذلك من حديث الدين . إلى جانب أحاديثه العلمية عن النمل والسمك والمحار والودع واللؤلؤ والأحياء المائية الكثيرة المختلفة .

فإذا أراد أن ينقل الحديث من التاريخ والأحياء والعلوم والشريعة أنطق «يعقوب» صديق الشيخ ورفيقه ، بقصة شيقة رحل فيها للتجارة مرة بعد مرة ، حتى غرقت به السفينة هو ورفقاؤه فى رحلة من هذه الرحلات . ونجا وحده ليجد نفسه فى أرض لا يعرفها ولا يعرف أهلها ولا لغتهم . وهى قصة تذكرنا برحلات روبنسن كروزو وجلفر . وكان القوم الذين أقام بينهم يعقوب قوم سود يعرف منهم يعقوب صيد الفيلة ويتحدث عن حياتها وطبائعها حديثا مفيدا شيقا . كما يتحدث عن الذهب وموطنه فى هذه البلاد واشتغال الناس فيها بجمعه واستخلاصه من الرمال والماء ومبادلته بالملح والخرز والسلع التافهة التى هى عندهم أغلى وأحلى من الذهب . ويتحدث عن الأسد والنمر وابن آوى وغير ذلك من حيوانات إفريقيا . ثم يتحدث عن طبائع هؤلاء القوم وعاداتهم ودياناتهم أيضاً حديثا لا يقل إمتاعا ولا إفادة عن أحاديثه تلك . فهو بذلك ، فى قصة يعقوب أيضا ، يعود إلى حديث العلم والأحياء .

ومن أجمل وأجود ما كتب على مبارك فى «علم الدين» حديثه عن الرق فى إفريقيا [1] وعن تجارة الأوربيين فى الرقيق ، فهو فى هذا الحديث إنسان متحضر مرهف الحس . يسخط أشد السخط على هذه التجارة التعسة المذلة ، وهو إلى هذه العاطفة الكريمة يورد بعض الإحصاءات الهامة ، فهو يقول: إن ما نقل من العبيد ليباع فى أوربا وأمريكا قارب عدده مائة ألف ، وإن هذا العدد الكبير نقل من بلد إفريقى واحد هو ساحل الذهب . وفى سنة واحدة ، هى سنة ١٨٢٢ وإن السفن الانجليزية وحدها حملت من هذا العدد ستين ألفا . ويقول إن عدد العبيد فى إفريقيا يبلغ ضعف عدد الأحرار فيها . وإن كنت أعتقد أنه من العسير أن يحدد الإنسان أرقاما دقيقة يثق بصدقها وصحتها عن هذه القارة ، وفى القرن التاسع عشر بخاصة . وكذلك من أجمل الأحاديث وأجودها حديثه عن عادات الإفريقيين السود .

آداب الحياة الأوربية :

وليس ذلك كله هو ما نجده فى «علم الدين» فقط من ألوان الثقافة والمعرفة المختلفة

[١] ص ٧١٢ — ٧٢٣ من الجزء الثانى .

المنوّعة الشيقة . فقد أورد فيه على مبارك ، على لسان السائح الانجليزى ، أو يعقوب ، كثيرا من آداب الحياة الاجتماعية ، كما يلتزمها الأوربيون. وساق ذلك مساقا لطيفا لبقاً فى أحاديث هذين الصديقين مع الشيخ وابنه . ولكن القارئ يدرك أنه لم يقصد فقط إلى ذكر هذه العادات والآداب التى يحرص الأوربيون على التزامها حرصاً شديداً . بل قصد أيضاً إلى أن يحتذى بهم الشيخان الشرقيان فى ذلك . وهى عادات وآداب يلتزمها الأوربيون فى حركتهم وحديثهم ونظافتهم وملبسهم وخطاب بعضهم لبعض . نعرفها نحن الآن ونعجب بها، ولكن كثيرين منا ، مع إعجابهم هذا ، لا يلتزمونها .

بل نستطيع أن نقول ، إن على مبارك يدعو الشرقيين فى « علم الدين » دعوة واضحة قوية لفهم الحياة الأوربية والاقتباس منها والاقتداء بالغرب فيها . والأخذ بأسباب الحضارة الغربية ونمط الحياة التى يحياها أهله . ويدعوهم أيضاً للخروج من العزلة التى يعيشون فيها ويلتزمونها إزاء الغرب — وهو اتجاه كان واضحاً قوياً منذ سيطر محمد على على مقادير مصر — وفى « علم الدين » فهم جيد مستنير للإسلام والقرآن . ومعرفة وافية بعلوم الدين والتفسير .

وهكذا ينتقل على مبارك بالشيخ علم الدين وابنه وصديقهما الانجليزى ورفقتهم ، من حديث إلى حديث . حتى ينتهى بهم إلى المسامرة الخامسة والعشرين بعد المائة . فنجد أنفسنا قد انتهينا من قراءة مجلدات أربعة ضخام . جمعت كثيراً جداً من ألوان المعرفة . وأنواعا مختلفة كثيرة جداً من العلم القديم والجديد . ومن التاريخ والقصص واللغة والشريعة والشعر والحياة والطبيعة . وهذه المجلدات الأربعة الكبار ، مع هذا كله ، لا تملّنا ، ولا تزهدنا فى القراءة والمتابعة . بل نجد فيها . تشويقاً كثيراً ويسراً ولذة وترغيبا فى أن نستمع إلى حديث هؤلاء الجماعة المؤتلفة من الأصدقاء .

محمود الشرقاوى

قال الحسن البصرى : لسان العاقل من وراء قلبه ، فإن عرض له القول نظر فإن كان له أن يقول قال ، وإن كان عليه القول أمسك ، ولسان الأحمق وراء قلبه ، فإذا عرض له القول قال ، كان عليه أو له .

المعرفة الصوفية عند ابن سينا

للدكتور محمد غلاب

مس ابن سينا التصوف فى بضع رسائل من مؤلفاته مسا يتفاوت خفة وعمقا، ووضوحا وغموضا بتفاوت الأحوال والظروف التى ألف فيها تلك الرسائل، فجعل يحدثنا عن المعرفة البشرية، وعن طبيعة النفس وعلاقتها بالملأ الأعلى، ومصيرها فى الحياة الآخرة. وهذه الرسائل كلها لا تعالج إلا نتائج المعارف الصوفية والثمرات الناتجة عن تلك المعارف التى هى مقصورة على من كشفت عنهم الحجب، وتمزقت دونهم الأستار، ولكنها لا تعرض لكيفية الوصول إلى المعرفة ولا لمراحل الحصول عليها. يضاف إلى ذلك أن كثيراً من هذه الرسائل قد فقد. ولهذا سوف لا نقف عندها، بل سنجتازها إلى كتاب الإشارات الذى بسط فيه هذه المراحل وتلك الدرجات فنقف بك عنده وقفة بسط وتفصيل كافيين لإعطائك فكرة - ولو إجمالية - عن هذا الجانب الهام من إنتاج الشيخ الرئيس.

صدر ابن سينا فى مذهبه الصوفى عن مبدأ المعرفة الإلهية: فقرر بديا أن الطريقة الصوفية الحقيقية هى التى تنهى بصاحبها إلى معرفة البارى جل وعلا معرفة رفيعة لا نظير لها، ولكنها ليست عقلية عن طريق الأقيسة المنطقية، بل عن طريق النور الذى ينعكس فى مرآة النفس.

بيد أنه لكى يفهم الباحث هذه الفكرة من أفكار ابن سينا، يجب عليه أن يتتبع - ولو فى تبسط واختصار شديدين - كيف يتمثل هذا الفيلسوف عملية إنتاج المعرفة فى العقل البشرى الدارج. لأننا عن طريق هذه الوسيلة، سنرى كيف أن المعرفة الصوفية قد صارت عنده بمثابة مرتبة الكمال لتلك المعرفة العقلية وأنها بالتالى لا يمكن انفصالها عن تعاليمه الفلسفية التى تعتبر المعرفة الصوفية تاجا متمما لكمالها.

يرى ابن سينا أن العقل البشرى هو قوة قابلة منفعلة تتلقى العون على المعرفة من سواها، وأنها وحدها غير قادرة على تحصيل المعرفة المجردة، وأنها تتلقى هذا العون الضرورى من لدن العقل المضىء أو الملهم أو الفعال أو المفارق الذى هو واحد بالقياس إلى جميع

النفوس البشرية ، وهو ما يدعوه ابن سينا بواهب الصور ، وهو الجوهر العقلى النقى ، أو هو العقل المفارق المنبثق عن البارى .

وإذن فعن هذا العقل المفارق ، انبثق عالمنا بما فيه من النفوس والعقول البشرية التى هى مشخصة بواسطة أجسامها ، ولكن هذه النفوس وتلك العقول البشرية تظل غير قابلة للفساد من حيث مبدئها وطبيعتها . وهذا يستلزم أنها - حين تكون مشخصة فى الأبدان - يجب أن تتعلم كيف تتخلص من المحسات الدائرة القابلة للفناء ، لكى تعود إلى طبيعتها الحقيقية أو إلى حياتها الصحيحة التى هى من نوع عقلى محض .

ولا ريب أن كل معرفة عقلية فى هذا الصدد تكون وسيلة الوصول إلى تلك الغاية ، لأن المعرفة العقلية هى دائما نور مسكوب فى النفوس الإنسانية بوساطة العقل المفارق المنير أو الملهم . وعن هذا الطريق ذاته تتعلم النفس التغلغل فى منزلة الاتصال بالعقل الفعال ، مختارة فى هذا الشأن درجات عدة تتفاوت كمالاتها ، وفوق ذلك أن العقل الفعال هو من نفس الطبيعة التى منها العقول الأخرى المفارقة ، فإذا كانت النفس البشرية فى اتصال تام مع العقل الفعال استطاعت أن تتغلغل ، بسبب هذا الاتصال ذاته ، فى العالم العقلى كله ، لأن ابن سينا يحدثنا أن العقول المفارقة هى كل لا يتجزأ ، وهى لهذا لا تنقسم من حيث الجواهر ، وإنما التعدد والانقسام عارضان لها ، ويطلق الشيخ الرئيس على هذه الوحدة العقلية أو على مجموعة العقول التى لم تتعدد إلا عرضا اسم « العقل العام » .

وعنده أن النفس البشرية — فى جميع حالات المعرفة العقلية العادية — لا تكون على اتصال إلا بالعقل الفعال . غير أن هذا الاتصال يظل ناقصا ، لأن النفس البشرية لا تزال مرتبطة بروابط المادة . مثقلة بغواشى الحس ، وحسبها أن تتخلص من هذا كله ليكون الاتصال كاملا ، فإذا فعلت تغلغلت فى العالم العقلى كله ، وكشفت عنها حجبه ، وتمزقت دونها أستاره ، وطلع عليها نهاره ، وحين ذاك تحيا هذه النفس حياة العالم العقلى النقى ، وتتلقى مثله إشعاع النور الذى هو منبع كل نور ، وهو الصادر عن الموجود الأول الذى هو الكامل من كل وجه ، الواحد من كل وجه . والذى عنه انبثق كل ما عداه ، وهو المستغنى عن كل ما عداه .

تلك هى المعرفة العليا أو المعرفة الإلهية أو عرفان الحق عند ابن سينا ، ومنها يتضح اتضاحا تاما أنه لا يوجد فرق عند هذا الفيلسوف بين أسس المعرفة الفلسفية والمعرفة الصوفية ، وأن النفس فى الحالتين منفعلة

متلقية أنوار العالم العقلي ، غاية ما هنالك أن التلقي في حالة التصوف أقوى وأكمل منه في حالة التأمل الفلسفي ، وإليك بيان هذا التلقي أو ذلك الاتصال .

مراحل العرفان :

تبع في مسلكه الصوفي إلى المعرفة العليا ، طريقة صعودية ذات مراحل ومنازل تبتدئ ثانيتها على أثر انتهاء أولاها كأنها حلقات سلسلة رأسية صاعدة في نظام وانسجام . ويمتاز بعض مراتبها على البعض الآخر بمقدار بعدها عن الحسيات وتقدمها في العالم العقلي . ويلاحظ الناظر في المعرفة الصوفية عند ابن سينا أنها منذ المرحلتين الأولى والثانية تبدأ النفس تتقدم نحو المجردات بخطوات واسعة بوساطة تطهر خلقي وعقلي مزدوج .
وقبل أن يشرع في صعود سلم هذه المراحل الأولية أخذ يفرق بين الزاهد والعابد والعارف ، فقرر أن الزاهد هو من يتخلى عن لذائذ الحياة الدنيا ، وأن العابد هو من يقوم بطاعة الله وعبادته وتنفيذ تعاليم الكتاب والسنة وأن العارف هو من يتجه نحو الباري قصد عرفانه لذاته فحسب . وأولى مميزاته أنه لا يرى من وراء معرفته إلى أى هدف آخر سوى هذه المعرفة .

ولقد أمعن الشيخ الرئيس في احترام توحيد غاية العرفان إلى حد أن أعلن أن من قصد في معرفته لله غاية أخرى — ولو كانت هي المعرفة ذاتها - كان كأنه قد ثنى أو أشرك بالباري ، وهو في هذا يقول : « من طلب العرفان للعرفان فقد قال بالثاني » .

ومهما يكن من الأمر فإن المراحل التي يجب أن تجتازها النفس لتتلقى الإشعاع الإلهي تبتدئ عنده كما عند الفارابي : « بمرحلة الإرادة ، إذ أن المريد يشرع في اتجاهه نحو ربه ، بالإرادة الشخصية التي لا بد من أن تنبع إما من عقيدة دينية صادقة صادرة عن إيمان راسخ ، وإما عن معرفة فلسفية وصلت إلى الحق الأسمى إذ أن العقيدة والمعرفة كلتيهما تدفعان صاحبهما إلى السير في سبيل الكمال والتقدم نحو الملأ الأعلى .

وبعد الإرادة يصل المريد إلى المرحلة الثانية ، أي « مرحلة الرياضة ، ولها ثلاث غايات : أولاها تخليص النفس من علائقها بكل الدوائر الفانية ، أو نبذ كل ما يشغل عن الباري . وهذا ينال بالزهد ، والغاية الثانية هي تطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة » ، ونتيجة هذا هي العمل على تنقية قواه الداخلية مستعينا في ذلك بأوامر الدين وإقامة شعائره حسب الكتاب والسنة ، وتلك هي مهمة العابد ، وثالثة تلك

الغايات : هى تصفية الجانب الباطنى من النفس ، أى السر ، وجعله ـ بوساطة التأمل والطهر والعفاف والميول النقية ـ جديراً باليقظة الدائمة ، والتنبه الحازم المتين .

ولا ريب أن ابن سينا فى هاتين المرحلتين الإعداديتين متأثراً تارة بالمعانى الإسلامية المحضة . وأخرى بمن سبقوه من صوفية المسلمين ، وثالثة « بالتاسوعات الأفلوطينية » التى أثرت فيه عن طريق الفارابى من جهة ، ومن طريق كتابى « ربوبية أرسطو » و« التفاحة» اللذين عزيا زيفا إلى غير مؤلفيهما الحقيقيين وهما مفعمان بآراء متأخرى الأفلاطونية الحديثة ، واللذين كانا من أهم أسباب الأخطاء الفادحة التى وقع فيها فلاسفة المسلمين ومؤرخو الحركة العقلية العربية .

وعندما تتمكن النفس من امتلاك قواها والتغلب على العلائق الحسية على هذا النحو الذى أشرنا إليه ، فإنها تستطيع أن تلق بذاتها صوب العالم العقلى . ولا جرم أن المراحل الآتية ستصور لنا تلك الترقيات الناشئة عن الإلهامات المتلقاة بعد مرحلتى الإعداد السالفتين اللتين يسرتا لها الانفلات من ربقة المادة وقيود الشهوات . وينبغى أن نعلم أن ذلك التصوير هو من وجهة نظر النفس البشرية لا من وجهة نظر العالم الأعلى .

المرحلة الثالثة وهى « مرحلة الحد » وفيها تكون النفس قد أعدت تمام الإعداد لتلقى أول الأنوار المعنوية وطليعة الإلهامات العلوية وهى تبدو أول الأمر خلسات كأنها ومضات تعقبها ظلمات ، ثم يعود الومض سيرته ويستأنف الظلام أوبته ، وتظل الحال على هذا المنوال إيابا وذهابا وظهورا وخفوتا متعاقبين دواليك حتى يتبدل الأمر ، ويتحول الشأن .

غير أن هذه اللمحات القدسية ، وتلك النفحات الربانية ـ وإن كانت تبدو حائلة متحولة ـ لا تذهب عبثا ولا تضيع هباء بل إن النفس تستفيد من كل ومضة ، وتسترشد بكل إشعاعة ، فيتكون لديها من الضوء الخالد ما يجعلها قمينة بأن تساهم فى ذلك النور الإشعاعى وتلك المجردات التى تفيض من الموجود الأول ثم تتدلى فى انسجام واتساق حتى تغمر ذلك الكائن المتواضع المتطلع إلى الفيض الأسمى الذى هو بغيته المرموقة ، وغايته الموموقة .

على أن هذا المتطلع إلى رضوان ربه لا يكون فى هذه الحالة ظافرا بالسكينة القلبية ولا فائزا بالسلام النفسى ، وهو لهذا يظل فى شوق يعذبه ، وهيام يضنيه حتى يصير أهلا للمرحلة الرابعة ، وهى « مرحلة السكينة » التى تنزل على قلبه ، فتحول قلقه هدوءا ،

وتبدل عذابه راحة وسعادة . ولكن هذه السكينة لا تدوم دواما غير منقطع ، نعم إن لحظات النور فيها أطول مدى وأعمق إشعاعا بيد أنه ، كما يغمر المتصوف طولها فى السرور والحبور ، كذلك يغمسه انقطاعها عنه فى الحزن والانقباض حتى تعود ، وبالإجمال : هى لا تزال فى هذه المرحلة سكينة نسبية لأن النفس أثناء هذه المرحلة لا تزال فى حالة سلبية خاضعة لما تتفضل به عليها السماء من تقدم ورضوان ، وإجادة وإحسان وفيض بالعرفان : « رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير » . ولكن الصوفى لا يلبث أن يرقى فى سلسلة السمو حتى يصير جديراً بالانخراط فى سلك المرحلة الخامسة ، وهى « مرحلة الملكة » التى تصل فيها النفس البشرية إلى منزلة الاتصال بالعالم المجرد ، أو بالعقول المفارقة أو بالعقل العام ، وإذ ذاك تأخذ فى الرقى درجة بعد درجة بصورة إيجابية لا سلبية كما كانت المرحلة السالفة ، ومعنى هذا أن ارتقاءها يكون إراديا أى كلما شاءت سمت ، ومتى أرادت ارتقت ، دون مانع ولا عائق ، وذلك لأن الفيض الربانى قد منحها السلطان الذى بفضله تستطيع أن تزيل من أمامها العقبات والذى به تملك أن تلتفت إلى العالم الأعلى كلما عن لها ذلك .

وأخيراً يجب أن يجتاز الصوفى بالضرورة مرحلة الملكة ، وأن يصل إلى الحد النهائى الذى لا بد له فيه من المعرفة ، والذى لا تملك فيه إرادته إلا أن تعرف ولا تستطيع أن تعدل عن أن تعرف ، كما كانت الحالة فى المرحلة السابقة ، بل إن تلقى المعرفة فى هذه الحالة يصبح هو الحالة الثابتة الدائمة التى لا تتخلف ولا تفتر عن الصوفى . ومنشأ ذلك أن السر الباطنى للنفس قد صفى وأضحى شبيها بمرآة مصقولة متجه نحو الحق الأول الذى منح كل حق وجوده إذا أمكن أن يتجه نحوه متجه وذلك لا يمكن قطعا إلا تصويرا للمعقول ، وترويضا للنفوس على قبول هذه العبارات وتسهيلا على الأذهان ، فهمها واستساغتها ، لأن الله ليس فى جهة حتى يتجه إليه .

على أن هذا الحد النهائى هو ذاته مؤلف من مرتبتين ، ففى المرتبة الأولى يكون الصوفى موزعا بين حالتين ، إذ هو ينظر تارة إلى نفسه التى هى المرآة ، وأخرى ينظر إلى انعكاس النور الإلهى الأبهر على صفحة هذه المرآة . وفى المرتبة الثانية ينصرف الصوفى عن كل شىء حتى عن نفسه ، بل عن سر نفسه الأعلى ، ولا ينظر إلا إلى انعكاس أنوار الجلال الإلهى ، وفى هذه النظرات الثابتة الدائمة الفانية يتحقق « الوصول » . الذى يحقق معه ـ عن غير قصد ولا إرادة ولا طلب ـ أسمى قمم السعادة .

الدكتور محمد غلاب

السبعة الأحرف
التي أنزل عليها القرآن

للأستاذ محمد محمد الشرقاوي

أرجح ما تطمئن إليه النفس فى استعراضها للأدلة . حين تستغرق فى بحث هذا الموضوع أن المراد من الأحرف السبعة هو تأدية المعنى الواحد ، للكلمة الواحدة من كلمات القرآن الكريم بسبعة ألفاظ مترادفة وإن اختلفت أسلوبا من خبر إلى إنشاء ، وذلك فى دائرة محدودة من لغات مضر السبع على الراجح ، سواء كان ترادفها فى لغة واحدة كما حدث لعمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضى الله عنهم — وهما من قريش ولغتهما واحدة حيث اختلفا فى كلمات من سورة الفرقان . . قرأها هشام — وكان إماما — بغير قراءة عمر وكان مأموما له — فتصبر عمر إلى نهاية الصلاة ثم لبب هشاما ، وقاده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . . فلما استمع الرسول إلى قراءتيهما صوب كلامنهما — أو كان ترادفها ضمن لغات متعددة وذلك كخلاف عمر وابن مسعود حين قرأ الثانى بلغة هذيل « عتى حين » ، « أى حتى حين » بلغة قريش فأنكر عليه الأول ، وأمره أن يقرأ بلغة قريش ، قال ابن حجر : « ويمكن الجمع بين الروايات بأن يكون المراد بالأحرف تغاير الألفاظ مع اتفاق المعنى مع انحصار ذلك فى سبع لغات ، وقال ابن عبد البر : « أنكر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف اللغات . . لما تقدم من اختلاف عمر وهشام ولغتهما واحدة . . وقالوا إنما المعنى سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالألفاظ المختلفة نحو : أقبل ، وتعال ، وهلم » .

ولم يعرف على وجه التحديد أية كلمات تلك التى نشب فيها الخلاف بين عمر وهشام وهو من القليل الذى ضل فى غياهب التاريخ ، وقد اعترف بذلك ابن عبد البر حين قال : « الله أعلم بما أنكر عمر على هشام ، وما قرأ به عمر . . فقد يمكن أن يكون هناك حروف أخرى لم تصل إلى ، وليس كل من قرأ بشىء نقل ذلك عنه ، ولكن إن فات من ذلك شىء فهو النزر اليسير » . أما ما كان من نهى عمر لابن مسعود عن القراءة بلغة هذيل . فذلك حين يتصدى ابن مسعود لتعليم الناس القرآن

بتلك اللغة ـ لا حين يتلو لنفسه ، ولذا كتب إليه عمر وهو فى الأمصار : « أقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل » . وكان عمر فى هذا حصيفا كالعهد به . . إذ أنه أراد جمع الناس على لغة واحدة خشية تصدع الوحدة ، بظهور الفرقة التى ذر قرنها فعلا زمن عثمان نتيجة تعدد القراءات ، وسمعت الكلمة المشئومة : قرآننا خير من قرآنكم » فلذا سارع عمر إلى الوحدة فى معدن التوحيد قال ابن عبد البر : « يحتمل أن يكون عمر قد نهى ابن مسعود بطريق الاختيار . . لا أن الذى قرأ به ابن مسعود لا يجوز . . لأن محل الترخيص هم العرب الذين يثقل عليهم الانتقال من لغة إلى لغة ، فأما من أراد أن يقرأه من غير العرب فالأفضل أن يقرأه بلسان قريش لأن جميع اللغات بالنسبة إلى لسانه سواء ، فإذا كان لابد من واحدة فلتكن بلغة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى لغة قريش » .

وفى رأى ابن حجر العسقلانى : « أن السبعة الأحرف . . هى السبعة الأوجه التى قرئت بها الكلمة الواحدة ، بمعنى أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءة فى الكلمة الواحدة هو سبع قراءات ، لا بمعنى أن كل كلمة من كلمات القرآن وكل جملة قرئت على سبعة أوجه وإن كانت هناك كلمات قرئت بأكثر من ذلك فرجع هذا إلى الاختلاف فى كيفية الأداء كما فى المد والإمالة ، أو يقال : إن أكثر الكلمات لا تثبت فيها هذه الزيادة ، وإن ثبتت فى الأقل ، والحكم للغالب » .

وهذا الاتجاه يحدد كلمة السبعة بمفهومها العددى الحقيقى ، بلا زيادة ولا نقصان ، وهناك من أئمة القراءة من ذهب به اجتهاده إلى حد القول بأن كلمة سبعة يراد بها الكثرة قال عياض : « إن السبعة هنا لا تفيد التحديد بل معناها التكثير ، وأن القرآن قرئ بأوجه لا حصر لها ، وهدف الشريعة من هذا التيسير على قارئه ، ومن المألوف فى اللغة العربية إرادة الكثرة فى الآحاد بلفظ سبعة ، والكثرة فى العشرات بلفظ سبعين ، والكثرة فى المئين بلفظ سبعمائة ، ولا يراد العدد المعين » ونرى أن عياضا قد خالف الجمهور فى هذا لأن أهل الأداء قد اتفقوا على أن الكلمة الواحدة من القرآن لا يمكن أن تؤدى بأكثر من سبعة وجوه مترادفة من اللغات الفصحى وحينئذ يبدو القائل بالتحديد أدنى إلى الصواب ، وأقرب لواقعية اللغة .

قال ابن حجر : وحاصل ما قالوه فى ذلك : أن معنى إنزال القرآن على سبعة أوجه أى أنزل موسعا على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه ، أى يقرأ بأى حرف أراد على البدل من صاحبه لئلا يشق عليهم لسان واحد » .

وما تقدم ذكره أولى مما قيل : إن المراد

بالأحرف السبعة سبع من اللغات العربية المعاصرة لنزول القرآن وفى ذلك يقول ابن عبد البر : « قول الرسول فى بعض الروايات « فاقرءوا ما تيسر منه » يقول قول من قال : المراد بالأحرف تأدية المعنى باللفظ المرادف ولو كان من لغة واحدة ، لأن لغة هشام وعمر بلسان قريش ومع ذلك اختلفت قراءتهما ، ونقل عن أكثر أهل العلم أن هذا هو المراد بالأحرف السبعة » .

وما ذكر أيضا . . أولى مما ذهب إليه البعض من أن السبعة الأحرف هى سبعة أصناف من الكلام مثل : الوعد والوعيد ، والأمر والنهى ونحو ذلك محتجين بما أخرجه أبو عبيد عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال . « كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد ، على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف ، زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا « آمنا به كلٌّ من عند ربنا » .

ويقدح فى هذا الرأى . . أن هذا الحديث الذى ارتكز عليه الاستدلال لم يتقبله نقاد الحديث ، واعتبروه غير ثابت ـ كما قال ابن عبد البر ـ لأنه من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ، وأبو سلمة هذا لم يلق ابن مسعود ، وقد رده كذلك أبو جعفر أحمد بن عمران ، وأطنب الطبرى فى مقدمة تفسيره فى الرد على من قال به ، وحاصل ما قاله : إنه يستحيل أن يجتمع فى الحرف الواحد هذه الأوجه السبعة ، وقال فيه البيهقى : وعلى فرض صحة هذا الحديث فمعناه سبعة أوجه من الأنماط المذكورة مثل الوعد والوعيد . . لا أنها الأحرف السبعة المذكورة فى أحاديث أخرى . بل إن الأحاديث الأخرى ظاهرة فى أن الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين وثلاثة وأربعة إلى سبعة تهوينا وتيسيرا ، والشىء الواحد لا يكون حراماً وحلالا فى حالة واحدة ، وقال الماوردى : « هذا خطأ لأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل حرف وإبداله بحرف آخر ، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام » .

فالذى يراه النظر جديراً بالاعتبار : هو تفسير الأحرف السبعة ـ كما سبق ـ بالمترادفات السبعة للكلمة الواحدة ومن أمثلة ذلك : قراءة البعض « فاسعوا إلى ذكر الله » ، وقراءة البعض الآخر : « فامضوا إلى ذكر الله » ، « العهن المنفوش » ، و « الصوف المنفوش » ، والهذلى يقول : « عتى حين » ، والقرشى : « حتى حين » ، وهذا يقرأ : « قد أفلح »

بنقل فتح الهمزة إلى الدال وذاك يتلو : « قلُ أوحى » بنقل ضم الهمزة إلى اللام ، ومنهم من يقول سميعاً عليا بدلا من عزيزاً حكيما ، ومن يقرأ موسى وعيسى ودنيا بالإمالة ، وغيره يلطف أى يقرأ بالتعليل وهو التوسط بين الإمالة والفتح ، ومن يقرأ عليهُـم وفيهُـم بضم الهاء .

والآخر يقول : عليهمو ، ومنهمو ، والتيمى يهمز ، والقرشى لا يهمز ... وهكذا ولو أراد كل فريق أن يتنحى عن لغته ، وما درج عليه لسانه طفلا ، وكهلا لشق عليه غاية المشقة ... فيسر عليهم بجعله مطواعا للغاتهم ، متسلسلا مع ليات ألسنتهم ، على سبعة مترادفات ، وكأنه انتهى إلى سبعة ولم يزد عليها لعلمه تعالى أنه لا تحتاج لفظة من ألفاظه إلى أكثر من ذلك العدد غالبا على حد تعبير ابن قتيبة — وقد أيده ابن عبد البر بقوله : وهذا مجمع عليه ... بل هو غير ممكن ... بل لا يوجد فى القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا الشىء القليل مثل « عبد الطاغوت » « أرجه »...« هيت » ، وزاد ابن الانبارى : «ولا تقل لهما أف» ، جبريل ، وأما ابن قتيبة فقد أنكر هذا وليس بشىء .

والمروى عن عمر فى هذا المقام روايتان ظاهرهما التعارض ... بيد أنهما فى واقع الأمر يعبران عن الطورين اللذين مرت لغة القرآن فيهما وإحدى الروايتين : « أن القرآن نزل بلغة قريش » والثانية : « أنه نزل بلغة مضر » ولقد حكى ابن عبد البر قبائل مضر السبع فقال : إنها هذيل ، وكنانة ، وقيس وضبة ، وتيم الرباب ، وأسد بن خزيمة ، وقريش .

وتفسير هذا : أن القرآن نزل أول ما نزل بلغة قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، وذلك إبان إقامة الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة . . ثم أبيح للعرب بأن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والإعراب ، بشرط الاتفاق فى المعنى . وعلى هذا يفهم اختلافهم فى القراءة مع تصويب الرسول لكل منهم ، ويدل على ذلك . . أن ذلك التيسير كان بعد ما كثر دخول العرب فى الإسلام فقد ثبت أن هذا التخفيف بدأ بعد الهجرة ويشهد لذلك حديث أبى بن كعب وفيه « أن جبريل عليه السلام لقى الرسول عليه الصلاة والسلام عند أضاة بنى غفار — وهو موضع للماء بالمدينة — وعلمه الأحرف السبعة » ، فلما تذللت ألسنة العرب ، وكان توحد لسانهم يسيرا عليهم ، وأوفق لهم أجمعوا على الحرف الذى كان فى العرضة الأخيرة التى عرضها النبى صلى الله عليه وسلم على جبريل فى السنة التى قبض

فيها . . وهو الذى كتب به المصحف العثمانى الإمام ، ونسخ ما سوى ذلك . .

وبيان هذا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل مرة فى كل عام . إلى أن كان العام الأخير من حياته صلى الله عليه وسلم فعرضه مرتين وشهد عبد الله مسعود وزيد بن ثابت العرضة الأخيرة ، وعلما ما نسخ فيها ، وما بدل منها ، ولهذا سميت قراءة ابن مسعود فى عرف الصحابة « الأخيرة » قال ابن عباس سألت زر بن حبيش : أى القراءتين تقرأ ؟ فقال زر : الأخيرة ، وهو يعنى قراءة ابن مسعود .

فالقرآن فى تلك العرضة نسخ منه وغيّر فيه ، وقد صح النقل فى ذلك عن غير واحد من الصحابة ، رضوان الله عليهم حين دونوا القرآن فى مصحف عثمان اعتمدوا فى هذا التدوين على قاعدتين أساسيتين ـ على ما قرره العلامة المحقق الحافظ ابن الجزرى ـ .

أولاهما : ما تحققوا من عدم نسخه فى العرضة الأخيرة على وجه الخصوص .

ثانيتهما : ما تحققوا صحته عن النبى مما لم ينسخ ، ولو لم يكن بتلك العرضة الأخيرة ، وهذا هو السر فى تجريد الخط الذى كتب به القرآن من النقط والشكل ، الأمر الذى يجعل هذا الخط مرنا لاحتمال هذين الأمرين ، حتى يدل اللفظ الواحد بدون الشكل والنقط على كلا المعنيين المتلوين . . فتكون دلالة الخط الواحد كدلالة اللفظ الواحد ،

وهذا هو منشأ الخلاف الذى وقع فى بعض المصاحف إذ لو كان أساس كتابة المصحف هو العرضة الأخيرة فحسب ـ كما نقل عن الكثير ـ لما وقع الاختلاف بين مصاحف عثمان بزيادة أو نقصان أو غير ذلك ، ولقد قال على كرم الله وجهه حين ولى الخلافة : « لو وليت من أمر المصاحف ما ولى عثمان لفعلت كما فعل » .

قال أبو عبيدة السلمانى : القراءة التى عرضت على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الذى قبض فيه هى القراءة التى يقرؤها الناس اليوم ، وفى شرح السنة للبغوى : « أن زيد ابن ثابت شهد العرضة الأخيرة للقرآن التى بين فيها ما نسخ ومالم ينسخ ، واستكتبه الرسول إياها وقرأها عليه . وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولذا اعتمد أبو بكر وعمر جمعه ، وولاه عثمان كتب المصاحف » .

والذى وقر فى أفهام الصحابة الذين عاصروا هذا التيسير فى قراءة القرآن ـ أن ذلك لا يتأتى بالتشهى فى انتقاء المترادفات ، أو الاختيار الشخصى فى تطويع القرآن للغة . . ولو قد كان ذلك لما قال كل من عمر وهشام حين تجادلا فى الموضوع « أقرأنى النبى » بل المرجع الأول والأخير فى ذلك

(البقية على صفحة ١٣٦٩)

حول ليلة القدر :

أول أضـــواء الفجر

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوى

فى ليلة من رمضان ، ومحمد وحده فى غار حراء يتأمل هذا الكون البديع ويستغرق فى تفكير عميق . الكون من حوله هادئ ساكن ، لا يقطع سكونه فى هذا المكان النائى ضوضاء تشل التفكير ، أو تعوق دون التأمل .

الليل ساج يلف الكون فى ردائه ، وتلمع النجوم فى سمائه وتنهض قمم الجبال حول مكة هنا وهناك . بينما ضوء خافت ينبعث من الكعبة ، حيث تجمع القوم حول أصنام دعوها آلهة يعبدونها من دون الله .

محمد يستغرق فى تفكيره ، ويسائل نفسه أيمكن أن يكون هذا الكون الكبير الذى يتعاقب عليه الليل والنهار ، أيمكن أن تكون هذه الأرض المنبسطة أمام العين أيمكن أن تكون هذه الجبال الراسخة الشاهقة . أيمكن أن يكون هـذا الإنسان الجميل فى تكوينه ، أيمكن أن تكون الإبل رفيقة الإنسان فى الصحراء المترامية الأطراف ، أيمكن أن يكون الشجر المتنوع الألوان والأشكال ، أيمكن أن تكون هذه المخلوقات كلها ، ومن بينها ، الإنسان ذو العقل المفكر والقلب الحساس أيمكن أن يكون ذلك كله من صنع أصنام لا تشعر ، وأحجار لا تحس ؟

لقد طال بمحمد التفكير وطالت خلواته إلى نفسه ، وطال بعده عن الناس ، منفردا بتأملاته ، يقلب الأمر على وجوهه ، مؤمنا بأن ما فيه قومه خطأ وضلال ، ملتمسا طريق الحق ، وسبيل الهداية ، حتى نزل عليه الوحى فى ليلة سماها القرآن : ليلة القدر . يقول له « إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم » .

لقد هداه الله إلى حل المشكلة التى أرقته ، وهى خلق هذا الكون . فخالقه هو الله ، خالق الإنسان من دم يتجمد .

وكانت أولى آيات القرآن تمجيدا للمعرفة ، ودعوة إلى العلم ، ودعوة إلى العقل ؛ لكى يصل إلى المجهول الذى لم يكن له علم به من قبل ، ودعوة إلى تقييد العلم بالقلم .

كان محمد الأمى بذلك أول داعية لقومه إلى أن يأخذوا بنصيبهم من العلم ؛ وكأن هذا

الدين فى أول لحظة من لحظات حياته يعلن أنه مؤسس على العقل ، ومبنى على العلم . ولو لم تكن هذه الآيات من عند الله ، لستر محمد الأمى على نفسه ، ولم يفتح عيون الناس ليروه أميا لا يعرف كيف يقرأ ، ولا كيف يكتب .

كان أول ما مجد القرآن هذا القلم ، الذى علم الله به الإنسان ما لم يعلم .

وكأن القرآن عندما طلب إلى محمد أن يقرأ ، وهو يعلم أنه أمى لا يكتب ، ولا يقرأ ، يطلب إليه أن يوجه أمته إلى تعلم القراءة ، ومكانة القلم فى الثقافة ، وكشف المجهول .

تلك كانت ليلة القدر ، وتلك هى الآيات الأولى التى هبطت فيها على الرسول الكريم ؛ فأخذ محمد يرددها ، وقد ملكته رهبة ملأت نفسه من أقطارها ، فمضى مسرعا إلى زوجه خديجة ، يرتعش وينتفض ، طالبا إليها أن تجلب له الدفء والهدوء ، بثياب يرتديها فوق ثوبه . قائلا « دثرونى دثرونى » ، وإذا بالوحى ينزل عليه ، محددا له المهمة التى : حددها ،وهى مهمة إنذار قومه ، فى لهجة قاطعة ، وجمل قصيرة مؤثرة تحمل خيوطا من الضياء ، تبدد غياهب الظلمات المتكاثفة ، وتنذر الناس بيوم يبعثون فيه بعد الموت ، ويحاسبون على ما قدمت أيديهم ، من خير وشر ، ولنصغ إلى تلك الآيات المؤثرة ، وهى : « يأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر » .

ليس هناك تردد ولا انتظار ، لقد وضحت المهمة الملقاة على عاتق الرسول محمد ، وهى أنه رسول إلى قومه يحذرهم وينذرهم .

وإنما كان الإنذار أول مهمة ألقيت عليه لأنه يراد منه أن يهدم عقيدة بالية ، ليبنى على أنقاضها عقيدة جديدة صالحة ، فهو مطالب أولا بأن يبين لهم ما فى عقيدتهم من زيغ ، وما هم فيه من ضلالة ، وأن يوجه أنظارهم إلى أن هذه الآلهة التى يعبدون من دون الله ، لا يستطيعون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون ؛ ومن أجل هذا كان الإنذار أول ما يوجه إلى أولئك القوم الذين أرسل إليهم الرسول الكريم .

وكان أول ما نزل من قواعد هذا الدين الجديد الدعوة إلى الإيمان بعظمة الله وجلاله ولذلك قيل له . « وربك فكبر » لأن الإيمان بهذه العظمة ، وذلك الجلال يمهد لطاعة أوامره ، والخضوع له ، واجتناب ما ينهى عنه من ناحية ، ثم استصغار كل شىء فى هذا الوجود إلى جانب عظمة الله ؛ وفى ذلك ما يملأ القلب عزة وكرامة ، ويرفع الإنسانية أن تذل لغير الله خالقها .

[١] الرجز : العذاب ، وعبادة الأوثان .

كما عنى الدين أول ما عنى بأن يكون مظهر المؤمن محببا فيه ، داعيا إلى أن يؤتنس به ويؤلف ؛ فدعاه إلى النظافة ، وطهارة الثوب .

وأرشدت الآيات إلى أن هناك أمورا سينهى عنها ، وهى إثم يؤدى إلى العذاب ، وواجب المؤمن أن يحذرها ، وينصرف عنها ولذلك أمر أن يهجر الرجز ، وهو : العذاب أى أمر بأن يهجر كل إثم يؤدى إلى العذاب .

إن إنذار القوم ، ودفعهم إلى الطريق الصحيح عمل جليل ، وأثر محمد ، ولكن القرآن يبادر ، فيدعو محمدا إلى ألا يستكثر ما سوف يقوم به من خدمات لهذه الأمة ، عندما يدعوها إلى سواء السبيل .

ولم يخف القرآن عن الرسول أن هذه المهمة ثقيلة تتطلب من الرسول جلدا وصبرا ؛ فلن يتقبلها الناس فى يسر ، ولن يستجيبوا إليها فى سهولة ؛ ولذا أمر بالصبر فى الدعوة إلى الإيمان بالله ، إذ قال سبحانه : « ولربك فاصبر » .

وأول ما أراد القرآن أن يغيره من عقائدهم هو عقيدتهم أن الموت هو النهاية التى لا حياة بعدها ، وأن النشور وهم لا يتحقق ، وأن ليس ثمة يوم آخر يرجعون فيه إلى الله ، ويحاسبون على ما قدموا من عمل ؛ فقال : « فإذا نقر فى الناقور » أى فإذا نفخ فى الصور « فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير » .

وإنما كان ذلك أول ما عنى القرآن بتغييره من عقيدتهم ؛ إذ كانوا يؤمنون بأن الدهر هو الذى يهلكهم ، ويستكثرون أن يعودوا إلى الحياة بعد أن يصيروا عظاما نخرة ، ويتحولوا إلى تراب — كان ذلك ؛ لأن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الأول الذى تقوم عليه العقيدة الدينية ، وبدون الإيمان بذلك اليوم ، لا يستجيب المرء إلى إيمان ، ولا يلزم نفسه بالخضوع لعقيدة ؛ لأنه يعمل كما يهوى ، آمنا أن يحاسب على ما قدم .

ولكى ينبه القرآن إلى أهمية هذه الدعوة الجديدة يخالف نسقه الأول فى الفاصلة ، إذ تراه يقول : « يأيها المدثر ، قم فأنذر » ويجرى على هذا النسق ، حتى إذا جاء إلى ذكر اليوم الآخر قال : « فإذا نقر فى الناقور » متخذا من هذا التغيير فى النسق وسيلة إلى توجيه النظر إلى أن أمرا جديدا يراد التنبيه إليه ، واسترعاء النظر له .

وقام محمد يريد أن ينهض بالعبء ، ويؤدى الرسالة ؛ فدعا قومه ، وألقى فيهم أول خطبة له حمد فيها الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الرائد [1] لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ، ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو ، إنى لرسول الله إليكم حقاً ، وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون

[١] الرائد : الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه .

والقرآن يقابل هذا العناد الذى لا وجه له من الحق ، ويقابل ذلك الإنكار الذى لا سند له من العقل بالوعيد والتهديد ، إذ يقول : « سأصليه سقر[١] ، وما أدراك ماسقر ؟ لا تبقى ولا تذر ، لواحة للبشر[٢] » .

وتمضى الآيات واصفة خزنة جهنم ، وعدد هؤلاء الخزنة ، مقسمة بالقمر ، وبالليل ، وبالصبح ، وهى كلها من آثار قدرة الله ، على أن جهنم إحدى البلايا الكبر ، وأن القرآن ينذر بها البشر ، فعلى كل فرد أن يقدم على الخير إذا شاء ، وأن يتأخر عنه إذا أراد ، لأن كل إنسان رهين بما كسب من خير أو شر .

ولنصغ إلى القرآن يتحدث عن جهنم ، فيقول : « كلا والقمر ، والليل إذا أدبر[٣] ، والصبح إذا أسفر[٤] ، إنها لإحدى الكبر ، نذيراً للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ، كل نفس بما كسبت رهينة » .

ويضع القرآن أمام أعينهم منظراً من مناظر يوم القيامة ؛ فيصور لهم المؤمنين ، ناعمين فى جناتهم ، يسألون المجرمين عن الأسباب التى ألقت بهم فى النار . ولنستمع إلى هذا النقاش يصوره القرآن قائلا :

« إلا أصحاب اليمين ، فى جنات يتساءلون ، عن المجرمين : ما سلككم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين » .

ويسجل القرآن فى تلك السورة الكريمة أن الناس لم يستقبلوا تلك الدعوة الجديدة بالتدبر فى أمرها ، أو الإصغاء إليها ، وإنما استقبلوها فى نفرة وإعراض ، ويصور القرآن نفورهم فى صورة ساخرة ؛ إذ جعلهم كأنما هم حمر جدت فى نفارها ؛ لأن أسداً يتعقبها ، وصور لنفسك هذه الحمر النافرة ، تهرب على غير نظام ، فى هيئة تبعث السخرية والاستهزاء .

ومن أعجب ما سجله القرآن عليهم أنهم أعلنوا عدم إيمانهم حتى يرد إلى كل واحد منهم رسالة من السماء ، يؤمر فيها باتباع الرسول ، يقول سبحانه : « بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة » ؛ وفى ذلك تصوير لعنتهم فى مقابلة هذه الدعوة الجديدة .

وبعد ، فقد كان أول ما نزل من القرآن داعيا إلى العلم والمعرفة ، محرضا على الأخذ من الثقافة ، واحترام القلم .

ولم تكن هناك تكاليف أمر الرسول

---

[١] سقر جهنم .
[٢] لواحة للبشر : مسودة للجلود ، ومحرقة لها .
[٣] أدبر : ذهب .
(٤) أسفر : أضاء .

البنين ذوى الغنى ، وأن له جاها ورياسة ، ويطمع أن يزداد من ذلك كله ، وهو كافر عنيد

لقد أذهلت الآيات التى نزلت على الرسول العرب ، إذ وجدوا فيها لونا جديداً من المعانى ، وأسلوبا جديداً من القول ، وقد أخبر الرسول أنها من عند الله ، ولكن ذلك المعارض ، ويقول المفسرون : إنه الوليد بن المغيرة - يفكر فى هذه الآيات الجديدة ، ويطيل التفكير ؛ ثم ينتهى من ذلك بإعلانه أن تلك الآيات ليست سوى كلام إنسان ، وأنها لا تتصل إلى الله بسبب .

والقرآن يصور ذلك المعارض إذ يقول : « ذرنى ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا ممدوداً ، وبنين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيدا » ؛ وإنما جعل بنيه شهوداً ؛ لأنهم حاضرون فى مكة معه ، مستغنون عن السفر والضرب فى الأرض سعيا وراء الرزق .

لقد عدد القرآن النعم التى أسبغها الله على هذا المعارض ، والتى كان من شأنها أن يستجيب إلى الدعوة الكريمة التى دعاه إليها الرسول ، ولكنه بدلا من ذلك وقف موقف المعاند المعارض ؛ فأوعده الله بأن سيصيبه بشدائد الأمور ، ويعلل القرآن سبب ذلك الإيعاد بهذا التصوير المؤثر . إذ يقول : « إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر [1] . ثم أدبر واستكبر ، فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر » .

يصور القرآن ذلك المعارض لطلائع النور ، رجلا مغيظا محنقا ، قد أذهله هذا القرآن الجديد ، فبدلا من أن ينقاد له ، ويؤمن به ، مضى يفكر فى وسيلة يصرف الناس بها عنه ، وأخذ يفكر طويلا ، مقدراً ما سيقابل به كلامه من السامعين ، محاولا أن يصل إلى فكرة تقنع الناس بالانصراف عن القرآن ؛ وهنا يصوره القرآن مستغرقا فى تفكيره ، مغيظا غاية الغيظ ، مقطب الجبين عابس الوجه ؛ ولم يهده هذا التفكير العميق إلى الخضوع للحق ؛ فبرغم أن تفكيره قد هداه إلى أن لهذا الكلام أثراً فى النفس يشبه السحر ، وأن ذلك لا يمكن أن يكون كلام إنسان ، فقد عرف كلام الناس : من شعر ، وخطب ؛ فلم يجد هذا القرآن ، شبيها بشىء منها . وبرغم اهتدائه إلى هذه الحقيقة ، أبى أن يذعن لها ، بل ولى مستكبراً ، ناسبا قوة تأثير القرآن لا إلى سببه الحقيقى ، ولكن إلى أنه سحر جاء به محمد ، وفاته أن تأكيده لسحر القرآن ، اعتراف منه بأن للقرآن أثراً فى النفس بالغا عميقا غاية العمق .

---

[1] عبس : قطب وجهه ، وبسر : زاد فى التقبض .

ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءاً ، وإنها الجنة أبداً . أو النار أبداً ، وإنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شديد » .

ويلحظ فى هذه الخطبة الأولى للرسول الكريم ، كما لحظنا فى الآيات السابقة أن أول مادعى القوم إلى الإيمان به كان الإيمان باليوم الآخر ، يؤكده الرسول بكل وسائل التوكيد التى تملكها اللغة ؛ يؤكده بالقسم ، ويؤكده باللام ، ويؤكده بنون التوكيد ؛ وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر هو الدعامة التى يرتكز عليها الدين كله .

وسجل التاريخ المعارضة التى لقيها الرسول بعد خطبته الأولى فقد أنكر عليه بعض سامعيه أن يدعوهم ليسمعهم مثل ذلك الأمر الذى ينكرون

كما سجل القرآن تلك المعارضة ؛ فنى سورة « اقرأ » ، التى كانت أول ما نزل من القرآن يتحدث عن معارضة الرسول ، وينذر صاحبها إذ يقول : « كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ؛ إن إلى ربك الرجعى ؛ أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ؟ أرأيت إن كان على الهدى ، أو أمر بالتقوى ؟ أرأيت إن كذب وتولى ؟ ألم يعلم بأن الله يرى ؟ » .

ويذكر المفسرون أن تلك الآيات نزلت فى أبى جهل .

والآيات تبين هنا سبب المعارضة لهذا الجديد ، وأن طغيان الإنسان عندما رأى نفسه قد استغنى ؛ والقرآن يهدده بأنه سيرجع إلى الله ؛ ليحاسبه على طغيانه . وهنا يتساءل القرآن فى رفق . أهذا الناهى على حق ، ويأمر بالهدى ؟ أم هو مكذب بالحق معرض عنه ، ويتوعده بأن الله يراه ؛ ويشتد فى إيعاده إذ يقول : « كلا ، لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا ، لا تطعه ، واسجد ، واقترب » .

لغة فيها تهديد ووعيد ، وفواصلها تختلف عن نهج الفواصل الأخرى ؛ لتبيان أن هنا تهديداً آخر غير ما سبقه من تهديد ، وهو تهديد يصور إلى أى مدى سيصيبه العذاب ؛ إذ يسحب بناصيته لأنها ناصية كاذبة مخطئة ، ولن ينفعه قومه ومن يلتفون حوله فى ناديه ، لأن الزبانية ، وهم الشرطة ، سيدفعونه دفعا عنيفا ؛ لكى يحاسب ، وينال ما يستحق ؛ وذلك تصوير لمنتهى ما يصيبه من الإذلال عندما تتخيله مسحوبا من ناصيته . ولقد دعى الرسول إلى ألا يأبه بنهيه ، وأن يستمر فى عبادته يتقرب بها إلى الله .

وتأخذ هذه الآية الكريمة نهجا فى الفاصلة منفرداً بها ، يميزها عن باقى الآيات ؛ لأنها أمر للرسول ، بعد أن هدد هذا المعارض .

إن سورة « اقرأ » تصور معارضا لمظاهر الدين الجديد ، وكان أهم ماعارضه هو الصلاة .

أما سورة « المدثر » التي أمر الرسول فيها بالإنذار ، كما سبق أن تحدثنا ، فتصور معارضا من نوع آخر ، يشترك مع الأول في بسطة الرزق ، كما يصفه القرآن بأن له عديدا من أن يأخذ بها المسلمون ، وإنما هي صلاة يتقرب بها المطيع إلى الله ، وربما كانت هذه الصلاة دعاء لله ، واتجاها إليه ، وتفكيرا في عظمته وقدرته ، وكانت هناك دعوة إلى ترك الآثام بوجه عام .

ولكن الذي عني القرآن بإبرازه في تلك المرحلة هو إبراز اليوم الآخر ، وما فيه من جنة ونار ، وجعل من أسباب دخول النار ترك الصلاة ، وعدم العطف على المسكين . وكأن القرآن يبادر ، فيجعل أساس هذا الدين حسن صلة المرء بربه ، ويتمثل ذلك في الصلاة ، وحسن صلة المرء بمجتمعه ، ويكون ذلك بالتعاطف بين أبناء المجتمع ، فيعطف الغني على الفقير .

وأظهر القرآن الرسول قويا بربه ، ينصره ويؤيده ، ويحاسب من يكذب به ، تكذيبا لا يستند إلى حق ، بل ينبني على الطغيان والعناد ، ولذا كثر الزجر « بكلا » في السورتين .

إذاً فقد كانت ليلة القدر التي نزل فيها القرآن فاتحة عهد جديد للإنسانية ، فيها بدأ ظهور الإسلام ، وفيها بدأت رسالة محمد ، وفيها وضع الأساس لمجابهة الشرك والطغيان ، وفيها بدأ نور جديد يحاول أن ينشر السلام في الأرض ، وأن تسود فيها عدالة اجتماعية ، وأن تكون الصلة بين الناس صلة حب وعطف

فلا غرو أن عظم القرآن تلك الليلة ، وأن جعلها خيرا من ألف شهر ؛ ولم لا تكون كذلك وقد نزلت فيها ملائكة الله بالقرآن إلى رسوله المختار ، وسوف يكون في القرآن بيان كل أمر من أمور الدين . ولم لا تكون كذلك وهي تحمل إلى العالم دعوة السلام ، يقول الله سبحانه : « إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر » .

دكتور أحمد أحمد بدوي
وكيل كلية دار العلوم

قال أبو الطمحان القيني :

وإني من القوم الذين هم هم ... إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب ... بدا كوكب تأوي إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كانوا مسود ... تسير المنايا حيث سارت كتائبه

مفردات قرآنية :

التجارة في القرآن

للأستاذ أحمد الشرباصي

أصبحت النواحي الاقتصادية تشغل بال الناس في الشرق والغرب، وتستحوذ على أغلب اهتمامهم وعنايتهم، فلو قلنا إن الصبغة الأساسية للمجتمعات الآن هي الصبغة الاقتصادية لما بعدنا عن تصوير الحقيقة والواقع. والتجارة هي عصب الشئون الاقتصادية وعمادها، وللتجارة في القرآن حديث يحسن أن نستمع إليه، بعد أن نعرف معنى التجارة في اللغة والاصطلاح.

يقول القرطبي: إن «التجارة في اللغة عبارة عن المعارضة» ويقول أيضا: «اعلم أن كل معاوضة تجارة، على أي وجه كان العوض» ويقول أيضا: «التجارة هي البيع والشراء» ويقول الراغب الأصفهاني: «التجارة التصرف في رأس المال طلبا للربح». ويقول الطبرسي: «التجارة التعرض للربح في البيع». ويقول الرازي: «التجارة عبارة عن التصرف في المال سواء كان حاضرا أو في الذمة، لطلب الربح». ويقول أيضا: «التجارة عبارة عن معاوضة الشيء بالشيء». ويقول الزمخشري: «والتجارة صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح» [١].

ونلاحظ ـ من ناحية الاستعمال اللغوي ـ أن كلا من كلمة «البيع» و «الشراء» تطلق بمعنى أختها، فيقال: اشترى، والمراد باع، ويقال: باع، والمراد اشترى، ولعل السبب في هذا أن كلا من البائع والمشتري يأخذ شيئا ويعطي في مقابله شيئا فما أعطاه يكون ثمنا لما أخذه، وما أخذه يكون أيضا ثمنا ومقابلا لما أعطاه، والثمن اسم لما يأخذه البائع في مقابلة المبيع عينا كان أو سلعة، وكل ما يكون عوضا عن شيء فهو ثمنه.

لذلك قال ابن الأثير: «البيع بمعنى الشراء تقول: بعت الشيء بمعنى اشتريته» [٢] وقال الراغب الأصفهاني: «الشراء والبيع يتلازمان، فالمشتري دافع الثمن وآخذ المثمن

---

[١] انظر لمراجعة هذه التعريفات على التوالي: تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٥١ و ١٥٢. ومفردات القرآن ص ٧٢. وتفسير الطبرسي ج ١ ص ٥٣. وتفسير الرازي ج ٢ ص ٣٧٥ و ج ٨ ص ١٤٦. وتفسير الكشاف، ج ا ص ٣٧ و ج ٣ ص ٧٨.

[٢] النهاية لابن الأثير، ج ا ص ١٠٥.

والبائع دافع المثمن وآخذ الثمن [1] . هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناض (أى ما كان عينا وله مادة) وسلعة ، أما إذا بيع سلعة بسلعة صح أن يتصور كل واحد منهما مشتريا وبائعا ، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما فى موضع الآخر ، وشريت [2] بمعنى بعت أكثر ، وابتعت بمعنى اشتريت أكثر [3]

وفى حديث الزبير بن العوام أنه قال لابنه عبد الله : « والله لا أشرى عملى بشىء ، وللدنيا أهون على من منحة ساحة [4] » . فقوله : لا أشرى ، معناه لا أبيع [5] . ومن ذلك قوله الله تبارك وتعالى عن يوسف : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين » [6] .

ومن المقررات المعلومة أن الإسلام دعا إلى العمل وحث عليه ، وجعله الصبغة الغالبة على المجتمع الإسلامى الفاضل ، والشعب الرئيسية للعمل هى : الزراعة والصناعة والتجارة وبما نلاحظه أن التجارة دخلا كبيرا فى الزراعة والصناعة ، بل إن القيام بعمليات الزراعة والصناعة يستلزم التعرض للتجارة أو الارتباط بها ، كما أن التجارة هى التى تحقق الثمرة المرجوة من نتائج الزراعة والصناعة ، ومن هنا تبدو أهمية التجارة ، ويبدو مدى تغلغلها فى ميادين العمل الأخرى .

ولو رجعنا إلى حديث القرآن الكريم عن التجارة لوجدناه يعرض علينا ثلاثة أنواع من التجارة ، منها ما هو حسى ، ومنها ما هو معنوى ، ومنها ما يلتقى فيه الحس بالمعنى ، والتجارة الأولى التى يعرضها القرآن هى تجارة الإنسان مع الإنسان ، والثانية هى تجارة الإنسان مع الرحمن ، والثالثة هى تجارة الإنسان مع الشيطان . ونفهم بسرعة فى أول الأمر أن تجارة الإنسان مع الإنسان مباحة فى أصلها ، وتجب على طائفة من الأمة على سبيل فرض الكفاية ، ولها ثمراتها وفوائدها ، ونفهم أن تجارة الإنسان مع الرحمن واجبة لازمة مطلوبة من كل مسلم ، وثوابها جليل وجزاؤها عظيم ، ونفهم أن تجارة الإنسان مع الشيطان محرمة ممنوعة لا يجوز لأى مسلم أن يباشرها أو يقترب منها ، وهى تؤدى إلى أسوأ النتائج وأوخم العواقب .

---

(١) وفى معجم مقاييس اللغة لابن زكريا : « الثمن عوض ما يباع » . ج ١ ص ٣٨٦ .

(٢) يقول ابن قتيبة فى كتابه تفسير غريب القرآن عن كلمة (اشترى) : وهذا حرف من الأضداد ، ص ٣١٤ وانظر أيضا الأضداد لابن الأنبارى ص ٥٩ و ٦١ .

(٣) المفردات للراغب ص ، ٢٦١ .

(٤) أى شاة ممتلئة سمنا ، النهاية ج ٢ ص ١٤٩ .

(٥) النهاية ج ٢ ص ٢١٨ .

(٦) سورة يوسف ، آية ٢٠

ونعود إلى تجارة الإنسان مع الإنسان فنقرر أن الأصل فيها الإباحة ، بدليل قوله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا [١] » ، والبيع أحد طرفى التجارة الأساسيين ، وبدليل قوله تعالى أيضا فى آية المداينة : « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم » [٢] .

ويقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما [٣] » . فى هذه الآية ينهى الله تعالى عباده عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضا بالباطل ، أى بأنواع المكاسب التى ليست مشروعة كالربا والقمار وما جرى مجراهما من صنوف الحيل ، فيجب عليهم أن يمتنعوا عن اتباع الأسباب المحرمة فى اكتساب الأموال ، ولكن المتاجر المشروعة التى تكون عن تراض من البائع والمشترى ، فلا بأس فى إتيانها والتسبب بها لتحصيل المكاسب ، ولا تقتلوا أنفسكم أى بارتكاب محارم الله وتعاطى معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل [٤] .

[١] سورة البقرة ، آية ٢٧٥ .
[٢] سورة البقرة ، آية ٢٨٢ .
[٣] سورة النساء ، آية ٢٩ .
[٤] تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٨٠ .

وفى تفسير المنار عن هذه الآية : « والمعنى : لا تقصدوا إلى أكل أموال الناس بالباطل ، ولكن اقصدوا أن تربحوا بالتجارة التى تكون صادرة عن التراضى منكم ، وتخصيصها بالذكر دون سائر أسباب الملك لكونها أكثر وقوعا ، وأوفق لذوى المروءات [١] » .

ولكن التجارة تصبح « فرض كفاية » فى الأمة ، لأنها تحتاج إليها ، وتفسد أمور الناس إذا أهملوا التجارة ، فإذا لم يقم بها بعضهم أثموا جميعا ، وإذا قام بها البعض سقطت التبعة عن الجميع ، وهذا حجة الإسلام الغزالى يقول : « الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق ، فانتظام أمر الكل بتعاون الكل ، وتكفل كل فريق بعمل ، ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقى وهلكوا ، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم : (اختلاف أمتى رحمة) أى اختلاف هممهم فى الصناعات والحرف » [٢] .

وهذا النص له أهمية كبرى فى عصرنا الحاضر لأن العصر الحاضر يأخذ بمبدأ « التخطيط » فى كثير من الدول ، وأساس التخطيط هو أن تتوزع الهمم والطاقات على مختلف الحرف والصناعات ، حتى يتحقق التكامل الاقتصادى

[١] تفسير المنار ، ج ٥ ص ٤١ .
[٢] إحياء علوم الدين ، ج ٢ ص ٧٦ .

وحتى تستطيع الدولة أن توجد ما تحتاج إليه وأن تقف فى وجه ما لا تحتاج إليه أو ما يضر اقتصادها ومجتمعها ، ولذلك تفسح الدولة المجال أمام صناعات معينة أو حرف بذاتها ، لأنها محتاجة إليها ، وتسد الطريق على صناعات أخرى ، لأنها متوافرة عندها أو هى غير محتاجة إليها . فلو تركت الأمر بدون تخطيط ، لكانت النتيجة أحيانا أن يتكاثر صنف لا نحتاج إليه فيكسد ويبور وتضيع فيه جهود وطاقات ، وأن يقل صنف أو ينعدم مع شدة حاجتنا إليه ، وفى ضوء هذا التفسير العاجل للتخطيط ندرك ألمعية الغزالى المتوفى سنة خمس وخمسمائة ، فى عبارته السابقة حينما أشار إلى وجوب توزيع الناس وهممهم فى المجتمع على الصناعات والحرف المختلفة ، بل ندرك ما فى حديث الرسول من رمز بليغ وإشارة دقيقة ، وما فى تفسيره السابق من براعة وذكاء ، فلولا اختلاف الناس فى مذاهب العمل ومسالك الحياة لتعطلت شئون وفسدت للمعايش وجوه وأسباب !.

وللتجارة فى الإسلام ــ مع هذا ــ فضل ومكانة :

جاء فى كتاب « الخراج » ليحى بن آدم القرشى : أخبرنا إسماعيل قال حدثنا الحسن قال حدثنا يحى قال حدثنا عبد السلام ابن حرب وابن مبارك عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فى قوله عز وجل : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » قال : من التجارة .

وقال يحى : حدثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » قال : من التجارة « ومما أخرجنا لكم من الأرض » قال النخل [1] .

ونفهم من هذين النصين أن ما يأتى من رزق عن طريق التجارة يكون كسبا طيبا محمودا ، وذلك لأنها تتضمن مجهودا يبذله صاحبها من جهة ، وفيها تيسير للمطالب وحاجات الناس من جهة أخرى ، فيكون القيام بها أمرا محمودا ويكون كسبها جميلا .

وإذا انتقلنا إلى روضة السنة النبوية المطهرة وجدنا فيها طائفة من الأحاديث تنوه بشأن التجارة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق). ولعل الزمخشرى قد فسر هذا الحديث حينما قال : « إن أكثر أسباب الرزق متعلق بالتجارة » [2] .

---

[1] كتاب الخراج ليحى بن آدم ص ١٣٢ وفى رواية أخرى : « من الثمار » بدل النخل ذكر ذلك السيوطى فى الدر ، جـ ١ ص ٣٤١ . والآية فى سورة البقرة رقم ٢٦٧ .

[2] تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٦٤ .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : (التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء) وفى رواية : (التاجر الصدوق الأمين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة) [١]

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى » وقال قتادة : « التجارة رزق من رزق الله ، وحلال من حلال الله ، لمن طلبها بصدقها وبرها . وقد كنا نحدث أن التاجر الأمين الصدوق مع السبعة فى ظل العرش يوم القيامة » [٢] . وقال الحسن البصرى : « الأسواق موائد الله تعالى ، فمن أتاها أصاب منها » . والغزالى يروى هذا النص على أنه حديث نبوى [٣] .

وقد يقال إن هناك نصوصا دينية تطعن التاجر وتحمل عليه ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن التاجرين ، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [٤] » ، وكقوله : « إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتق الله وبر وصدق » .

يقول ابن الأثير إنه سماهم فجاراً لما فى المال من الأيمان الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذى لا يتحاشاه أكثرهم ولا يفطنون له [١] .

ويجاب بأن أمثال هذه الأحاديث النبوية لا يراد منها ذم التجارة من حيث إنها تجارة ، ولا يراد منها تعميم الحكم بالسوء على كل تاجر ، وإنما هى تحذير من الانحراف فيها أو الانحراف بها عن سواء السبيل ، بدليل أن النبي قد قال : « إلا من اتق الله وبر وصدق » ، وقد سبقت أحاديث فى فضل التجارة وحمد التاجر القويم ، فيكون التوفيق بين نصوص المدح ونصوص الذم أن يقال إن التجارة عمل شريف ، وإن التاجر المستقيم رجل محمود مثاب ، ولا يتعرض للعقاب هنا إلا من انحرف أو اعتسف أو أسرف ، فمال بالتجارة إلى مذموم أو حرام .

وقد قالوا إن التجارة المذمومة فى نظر الإسلام هى ما استغنى عنها صاحبها ، ومع ذلك أصر على الاشتغال بها - لا لمنفعة من منافع العباد المشروعة أو المطلوبة - بل سعيا

---

[١] تفسير القرطبى ، ج ٥ ص ١٥٦ .
[٢] تفسير الطبرى ، ٥ ص ٣٢ طبعة الحلبي .
[٣] إحياء علوم الدين ، ج ٢ ص ٥٧ .
[٤] الحديث رواه ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين .

[١] النهاية فى غريب الحديث ، ج ١ ص ١٠٩ و ١١٠ .

للجمع والكنز ، دون صرف فى الخيرات والصدقات ، لأنها تكون حينئذ من باب الحرص الكريه على الدنيا ، فإذا دخلها بعد هذا الغش والربا والتطفيف ونحوه كانت سوءاً على سوء ، وبلاء فوق بلاء .

وللإمام الغزالى فى هذا المجال مقال ضمن حديثه عن التجارة فى كتابه « الإحياء » يقول : « فإن قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم : (ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ، وقيل لسلمان الفارسى : أوصنا ، فقال : من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غازيا أو عامراً لمسجد ربه فليفعل ، ولا يموتن تاجراً ولا خائنا .

فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال ، فنقول : لسنا نقول : التجارة أفضل مطلقا من كل شىء ، ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية ، أو الثروة والزيادة على الكفاية ، فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره . لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات ، فهى مذمومة ، لأنه إقبال على الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة [1] ، فإن كان مع ذلك ظالما خائنا فهو ظلم وفسق ، وهذا ما أراده سلمان بقوله : لا تمت تاجراً ولا خائنا ، وأراد بالتاجر طالب الزيادة ، فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده ، وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال ، فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل ، وإن كان لا يحتاج إلى السؤال ، وكان يعطى من غير سؤال ، فالكسب أفضل ، لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ، ومناد بين الناس بفقره ، فالتعفف والتستر أولى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية . وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ، أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب فى علوم الأحوال والمكاشفات [1] أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع به الناس فى دينهم ، كالمفتى والمفسر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضى والشاهد ، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء ، فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ؛ ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، ولم يوح إليه أن كن من التاجرين ، لأنه كان جامعا لهذه المعانى إلى زيادات لا يحيط بها الوصف .

---

[١] ينبغى أن يراد من الحب هنا ما كان مشتطا أو منحرفا .

[١] قد نتوقف فى موافقة الغزالى هنا موافقة مطلقة.

ولهذا أشار الصحابة على أبى بكر رضى الله عنهم بترك التجارة ، لما ولى الخلافة ، إذ كان ذلك يشغله عن المصالح ، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ، ورأى ذلك أولى ، ثم لما توفى أوصى برده إلى بيت المال . ولكنه رآه فى الابتداء أولى » .

ولو رجعنا إلى تاريخ هذه الأمة المؤمنة لوجدنا أن التجارة كانت عملا شريفا يقوم بها أئمتها . ويرون فيه خيرا وفضلا . ورسول الله عليه الصلاة والسلام قد تاجر قبل الرسالة فى مال خديجة ، وهذا أبو بكر قد تاجر ، وغيره من الخلفاء والصحابة والأئمة قد تاجروا ، حتى قال الغزالى فى مجال حديثه السابق : « وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ، ويعملون فى نخيلهم ، والقدوة بهم » .

فللتجارة فى الإسلام إذن شأنها ومكانها ، ولا تعاب إلا إذا خرجت عن سواء السبيل ، وأما إذا استقامت كانت ركنا من أركان هذا المجتمع المؤمن . « للبحث صلة »

أحمد الشرباصى

(بقية المنشور على صفحة ١٣٥٥)

هو السماع والتلقى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد غلط بعض الباحثين حين نسب إلى بعض الصحابة ومنهم ابن مسعود قراءة كلمات من القرآن بالتشهى فى اختيار المرادف ولو لم يكن مسموعا له . . وفى هذا يقول ابن الجزرى :

« وأما من يقول : إن بعض الصحابة كابن مسعود كان يجيز قراءة القرآن بالمعنى فقد كذب عليه لأنه روى عنه قوله : « نظرت القراءات فوجدتها متقاربة ، فاقرءوا كما علمتم » نعم . . إنهم كانوا يقحمون التفسير فى غضون كلمات القرآن لأنهم فى ذلك العصر كانوا فى أمن من الالتباس لقرب العهد ، وشدة العناية والضبط . . لكن ابن مسعود كان من رأيه كراهة هذا الصنيع ، وقال قولته المأثورة : « جردوا المصاحف » وفى رواية « جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه » ، وعلى هذا فما نسب إلى ابن مسعود من أنه كان يقرأ « للذين آمنوا انظرونا أمهلونا أخرونا » ، وأنه أقرأ رجلا يوما : « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم » فقال الرجل : طعام اليتيم . فردها عليه فلم يستقم لسانه بها . . حتى قال له : أتستطيع أن تقول . طعام الفاجر . . قال نعم ، قال : فافعل ، كل هذا وأمثاله محمول على سنة الترسم لقراءات الرسول ، ولا ينبغى أن يقال غير ذلك بالنسبة إلى الرجل الذى أمر بتنزيه القرآن عما ليس منه .

محمد محمد الشرقاوى

نهج البردة في شعر البارودي

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

من يوم أن ظهرت قصيدة « البردة » للإمام البوصيري [١] في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قبلة الكثيرين من شعراء العروبة إلى يومنا هذا ، قد اتخذوا من موضوعها ، وبحرها ، وقافيتها ، نبراسا ينسجون على منواله ، على تفاوت بينهم في استيفاء موضوعات السيرة النبوية ، وعدد الأبيات ، والأسلوب ، وتضمين المعارف الإسلامية ، والمقدرة على التصوير .

وفي شعرنا الحديث ، كثير من القصائد قد نحا الشعراء فيها منحى البوصيري ، مثل : « نهج البردة » للمرحوم أحمد شوقي ، وهي تلك القصيدة الكبرى التي نظمها عام ١٩٠٩ ، وأهداها للخديو عباس بمناسبة حجة في ذلك العام . ومما يذكر لشوقي بالفضل في هذا المقام أنه لم يشر إلى مدح عباس في هذه القصيدة على طولها إذ بلغت أبياتها تسعين ومائة بيت ، في حين أن الشعراء حينذاك كانوا ينتهزون فرصة المناسبات الدينية المختلفة لينفذوا إلى مدح الولاة والحاكمين ، وشوقي نفسه كان معروفا بأنه شاعر القصر وله الكثير في مدح السلاطين وأمراء البيت الحاكم . ولقد كان لخلو هذه القصيدة من أي مدح إلا للرسول الكريم ، ثم ما تضمنته من دفاع عن الإسلام ، وإبراز لمزاياه . . أكبر الأثر في ذيوعها وشهرتها ، ولا سيما بعد أن صارت ألحانا ترددها أم كلثوم على موجات الأثير .

وهناك « ظل البردة » للمرحوم محمد عبد المطلب من ثلاثة وعشرين ومائة بيت ، و « بردة محفوظ » للشاعر أحمد محفوظ من مائتي بيت وبيت ، و « وقربي » للشاعر محمود جبر شاهر آل البيت من تسعة وخمسين ومائة بيت . . إلى غير ذلك .

---

[١] هو الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد البوصيري ، أو الأباصيري . توفي عام ٦٩٥ هـ في عصر المماليك . ومن أهم الأسباب التي ضمنت لهذه القصيدة الذيوع والخلود ، هو ما روى عن مناسبة إنشادها : ذلك أن البوصيري رأى النبي عليه الصلاة والسلام في منامه وقد خلع عليه بردته الشريفة ، فكان ذلك سببا في إبرائه من علة مزمنة — ولذلك تسمى قصيدته أيضا : البرأة — فاستيقظ وهو أصفى ما يكون نفسا ، فأنشأ هذه الدرة الخالدة .

ولقد سبق البارودى [1] رحمه الله تعالى سائر شعراء عصرنا الحديث فى هذا المضمار، إذ أنشأ قصيدة كبرى على نهج بردة البوصيرى، تكاد تكون ملحمة مستقلة، إذ بلغت أبياتها سبعة وأربعين وأربعمائة بيت، سماها: «كشف الغمة فى مدح سيد الأمة». وهى ليست بالديوان المطبوع، لأن جامعى هذا الديوان قد رتبوه أبجديا بحسب القوافى، وآخر ما وصل إليه الجزء الثانى هو حرف «الكاف» [2].

تضمنت هذه القصيدة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم من حين مولده الشريف، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، وقد توسع البارودى فى كثير مما أجمله البوصيرى، وأكمل بعض الموضوعات التى لم يذكرها سلفه مثل الهجرة إلى الحبشة، وبيعة الأنصار، والوفود التى تدفقت على المدينة مسلمة مبايعة بعد فتح مكة.

وقد جعل البارودى لهذه القصيدة مقدمة قال فيها:

«حمد الله لذاته آية الإيمان والإخلاص. والصلاة والسلام على النبى الأمى، وآله، محجة الخلاص. وبعد: فهذه قصيدة ضمنتها سيرة النبى صلى الله عليه وسلم من حين مولده الكريم، إلى يوم انتقاله إلى جوار ربه، وقد بنيتها على سيرة ابن هشام، وسميتها: «كشف الغمة فى مدح سيد الأمة». ورغبتى إلى الله أن تكون لى ذريعة أمت بها يوم المعاد وسلما إلى النجاة من هول المحشر. اللهم حقق رغبتى إليك، واكسها بفضلك رونق القبول آمين».

ولم أعثر فيما قرأت من مراجع عن البارودى على إشارة ما تبين تاريخ إنشاء هذه القصيدة، وأكثر الذين كتبوا عن هذا الشاعر العظيم لم يشيروا إليها فى قليل ولا كثير. لذلك عولت على استنباط الفترة التى أنشئت فيها من نفس أبياتها، غير أنى لم أصل إلى نتيجة حاسمة فى ذلك.

فللبارودى أشعار تمثل أطوار حياته وقت صباه وشبابه، قبل أن يدخل معترك السياسة، وأشعار تمثل طور كهولته، حين انخرط فى عداد المحاربين ثم الوزراء، وأشعار تمثل طور شيخوخته فى منفاه.

وقد ذكر فى بعض أبياتها - حين أخذ يتوسل إلى النبى عليه الصلاة والسلام ما يفيد أنه أنشأها فى أخريات عهد الشباب -:

[١] هو محمود سامى بن حسن حسنى بك أمير المدفعية فى عهد محمد على. وجده لأبيه عبد الله بك الجركسى ولد عام ١٨٣٤ وتوفى عام ١٩٠٤. والبارودى نسبة لإيتاى البارود إذ كان أحد أجداده ملتزما بها. والبارودى صاحب الفضل فى بعث شعرنا الحديث، ومدرسته تعتبر أولى مدارس التجديد.

[٢] مطبوعة مستقلة عام ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م بمطبعة الجديدة.

هذى مناى ، وحسبى أن أفوز بها
بنعمة الله قبل الشيب والهرم

ولكنه عاد بعد ذلك فقال :

شكوت بثى إلى ربى لينصفنى
من كل باغ عتيد الجور ، أو هكم
وكيف أرهب حيفا وهو منتقم
يخافه كل جبار ومنتقم
لا غرو إن نلت ما أملت منه فقد
أنزلت معظم آمالى بذى كرم
يامالك الملك : هب لى منك مغفرة
تمحو ذنوبى غداة الخوف والندم

وقد تشير هذه الأبيات إلى أنه قالها فى المنفى . وكيفما كان الأمر فإن القصيدة فى مجموعها توحى إلى أنه أنشأها فى مرحلة متأخرة من حياته إذ أنها تضمنت كثيرا من الحكم ، والإشارات إلى أحداث الزمن وشماتة الحساد ، والاستعداد ليوم الرحيل والحساب ...

ولما كان البارودى من أصل شركسى ، ولم يمت إلى العروبة بصلة النسب ، فإنه اتخذ من إيمانه وحبه للرسول الكريم وسيلة ينتسب بها إليه أسوة بسلمان الفارسى ، فقد ورد أن النبى عليه الصلاة والسلام قال عن سلمان ـ وهو فارسى ـ « سلمان منا أهل البيت » ، ولم يستأهل سلمان هذا الشرف إلا لإيمانه ومحبته للرسول الكريم ، فما على البارودى إذاً أن يقتدى به فى التماس شرف الانتساب ؟ قال :

ياسيد الكون : عفواً إن أثمت ، فلى
بحبكم صلة تغنى عن الرحم
كفى بسلمان لى فخراً إذا انتسبت
نفسى لكم مثله فى زمرة الحشم

ونعرض الآن هذه القصيدة القيمة عرضا سريعا :

بدأ القصيدة بمقدمة غزلية من ثلاثة وعشرين بيتا ، ومطلعها :

يا رائد البرق : يمم دارة العلم
واحدُ الغمام إلى حى بذى سلم
وإن مررت على الروحاء ، فامر لها
أخلاف سارية هتانة الديم

ثم يذكر ما كان من كرامات سبقت مولد النبى فى ثلاثة عشر بيتا ، ينتقل بعدها إلى ذكر المولد الشريف ثم الرضاع وشق الصدر والرحلة إلى الشام وزواجه من خديجة فى ستين بيتا ومنها :

ومذ أتى لوضع ، وهو الرفع منزلة
جاءت بروح بنور الله متسم
ضاءت به غرة الاثنين . وابتسمت
عن حسنه فى ربيع روضةُ الحرم
وأرضعته ـ ولم تيأس حليمة ـ من
قول المراضع : إن البؤس فى اليتم

ثم انتقل إلى بدء الرسالة ونزول الوحى فى اثنين وعشرين بيتا ومنها :

وحين أدرك سن الأربعين وما
من قبله مبلغ للعلم والحكم
حياه ذو العرش برهانا أراه به
آيات حكمته فى عالم الحلم

ونلاحظ فى هذه الأبيات تأثر الشاعر بالسرد التاريخى ، وتفصيل الأحداث بما يجعل قوة الشاعرية تفتر بعض الشىء .

وبعد أن تحدث عن هجرة الحبشة . وما كان من أمر صحيفة قريش فى واحد وعشرين بيتاً ، انتقل إلى الإسراء والمعراج فى اثنى عشر بيتا ومنها :

وحبذا ليلة الإسراء حين سرى
ليلا إلى المسجد الأقصى بلا أتم

ولكن أين هذا من بيت البوصيرى :

سريت من حرم ليلا إلى حرم
كما سرى البدر فى داج من الظلم

وبعد ذلك ينتقل إلى دعوة الأنصار وبيعتهم وموقف قريش من ذلك فى أربعة وعشرين بيتا ، ومن ذلك :

ولم يزل سيد الكونين منتصبا
لدعوة الدين لم يفتر ولم يجم
يستقبل الناس فى بدو وحاضرة
وينشر الدين فى جهل وفى علم
حتى استجابت له الأنصار واعتصموا
بحبله عن تراض خير معتصم
فاستكملت بهم الدنيا نضارتها
وأصبح الدين فى جمع بهم تمم

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الهجرة وأحداثها ، ثم مسجد قباء ، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فى اثنين وأربعين بيتا .

ونقف قليلا عند أبيات الهجرة لما فيها من طرافة ودقة فى الوصف ونكتفى بذكر وصف غار ثور إذ استغرق وحده ستة عشر بيتا :

وجاء الإذن إيذانا بهجرته
فيمم الغار بالصديق فى الغسم
فما استقر به حتى تبوأه
من الحمائم زوج بارع الرنم
بنى به عشه ، واحتله سكنا
يأوى إليه غداة الريح والرهم
إلفان ، ما جمع المقدور بينهما
إلا لأمر بصدر الغار مكتتم
كلاهما ديدبان فوق مربأة
يرعى المسالك من بعد ولم ينم
إن حن هذا غراما أو دعا طربا
باسم الهديل ، أجابت تلك بالنغم
يخالها من يراها وهى جاثمة
فى وكرها ، كرة ملساء من أدم
إن رفرفت سكنت ظلا ، وإن هبطت
روت غليل الصدى من حائر شبم

مرموقة الجيد من مسك وغالية
مخضوبة الساق ، والكفين بالعنم
كأنما شرعت فى قانئ سرب
من أدمعى ، فغدت محمرة القدم

* * *

وعشّش العنكبوت الغار مختفيا
بخيمة حاكها من أبدع الخيم
قد شد أطنابها ، فاستحكمت ورست
بالأرض ، لكنها قامت بلا دعم
كأنها سابرى حاكه لبق
بأرض سابور فى بحبوحة العجم
وارت فم الغار عن عين تلم به
فصار يحكى خفاء وجه ملتثم
فياله من ستار دونه قمر
يجلو البصائر من ظلم ، ومن ظلم
فظل فيه رسول الله معتكفا
كالدر فى البحر ، أو كالشمس فى القسم

هذا هو تصوير البارودى للغار وتظليل العنكبوت وتعشيش الحمام ، وكأنى بالبارودى هنا يصور الاستعدادات العسكرية التى تسبق المعركة ، فهو يذكر الديدبان يحرس المسالك من فوق مرتفع ، ثم يتحدث عن الخيمة تشد أطنابها حتى لتبدو كأنها بنيان راسخ الأسس . . كما نراه يصور مافى بيئة الأغنياء من مظاهر الترف من مسك وخضاب وحرير . ومجالس طرب . وقد صرفت هذه العناية بالوصف البارودى عن الاهتمام بما فى هذا المقام من عبرة ، وما كان من موقف أبى بكر فى اقتداء الرسول بنفسه حين خرجت عليهما حية فاتكة .

نعم : لقد أحسن البارودى فى هذا التفصيل وأبرز صورة فنية رائعة المشهد ، غير أنه إن فاق البوصيرى فى هذا التصوير فإن البوصيرى قد فاقه فى سمو المعنى عندما تحدث عن هذا الأمر مع أنه لم يزد على أربعة أبيات :

قال البوصيرى :

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عم
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع ، وعن عال من الأطم

وقد حاول الشيخ محمد عبد المطلب أن يحاكى البيت الأخير من هذه الأبيات الأربعة فلم يدرك . وذلك حينما قال :

من يحمه الله ساوى فى حمايته
فعل الجمادات فعل الناس والبهم

ثم ينتقل البارودى بعد ذلك إلى ذكر السرايا والغزوات ، فيذكرها جميعا فى ثلاثة

وثلاثين ومائة بيت ، مجملا حينا ، ومفصلا حينا آخر ، من أول غزوة « وَدّان » أو الأبواء ، إلى غزوة تبوك آخر غزواته صلى الله عليه وسلم :

هذا ، وقد فرض الله الجهاد على
رسوله ، ليبثَّ الدين فى الأمم

فكان أول غزو سار فيه إلى
« ودان » ، ثم أتى فى غير مصطدَم

ثم استمرت سرايا الدين سابحة
بالخيل جامحة ، تشتد باللجم

إلى أن يقول :

وحين أوفى على وادى تبوك سعى
إليه ساكنها طوعا بلا رَغَم

ثم ينتقل إلى ذكر الوفود التى جاءت إلى المدينة بعد الفتح ؛ ثم البعوث والرسائل إلى الملوك :

وأمَّ طيبة مسروراً بعودته
يطوى المنازل بالوخادة الرُّسُم

ثم استهلت وفود الناس قاطبة
إلى حماه ، فلاقت وافر الكرم

فكان عام وفود : كلما انصرفت
عصابة أقبلت أخرى على قدم

وأرسل الرسل تترى للملوك بما
فيه بلاغ لأهل الذكر والفهم

إلى أن يختم موضوعات القصيدة بالتوسل وطلب الشفاعة ، ومن ذلك :

فهذه الغزوات الغُرّ شاملة
جمع البعوث ، كعقد لاح فى نظم

جمعتها راجياً نيل الشفاعة من
خير البرايا ، ومولى العرب والعجم

هو النبى الذى لولاه ما قبلت
رجاة آدم لما زل فى القدم

حسبى بطلعته الغراء مفخرة
لما التقيت به فى عالم الحُلُم

* * *

وبعد : فتلك هى إحدى غرر البارودى ، وهى على أهميتها ما تزال مجهولة من كثير من أدبائنا ونقادنا المعاصرين على كثرة ما تناولوا من دراسات فى أدب البارودى .

ولنا بعد هذا العرض السريع بعض الملحوظات :

١ - لم يصرح البارودى بأخذه عن البوصيرى كما فعل شوقى فى « نهج البردة » ولكن مع هذا تجد وحدة الموضوع والبحر والقافية والاشتراك فى روح كثير من الآيات ، فالبوصيرى يقول فى فضل النبى عليه الصلاة والسلام ورجاء شفاعته :

إن لم يكن فى معادى آخذاً بيدى
فضلا ، وإلا فقل : يا زلة القدم

والبارودى يقول فى ذلك :

هو النبى الذى لولاه ما قبلت
رجاة آدم لما زل فى القدم

ويقول البوصيرى :

إن آت ذنبا ، فما عهدى بمنتقض
من النبى ، ولا حبلى بمنصرم

ويقول البارودى :

ياسيد الرسل : عفواً إن أثمت فلى
بحبكم صلة موصولة الرحم

٢ - كثيراً ما كان يعمد البارودى إلى إرسال الحكمة عقب ذكر الأحداث ، فمثلا نجده بعد وصف إيذاء قريش للنبى عليه الصلاة والسلام ، وما كان من كيد أبى جهل يقول :

لا يسلم القلب من غل ألم به
ينقى الأديم ، ويبقى موضع الحلم

والحقد كالنار ، إن أخفيته ظهرت
منه علائم فوق الوجه كالحمم

لا يبصر الحق من جهل أحاط به
وكيف يبصر نور الحق وهو عم ؟

٣ - كشفت الأبيات عن عقيدة سليمة فيما يتعلق بالحساب والجزاء والخير والشر :

كل امرئ واجد ما قدمت يده
إذا استوى قائما من هوة الأدم

والخير والشر فى الدنيا مكافأة
والنفس مسئولة عن كل مجترم

فلا ينم ظالم عما جنت يده
على العباد ، فعين الله لم تنم

٤ - ولما كانت هذه القصيدة تعالج موضوعا تاريخيا يقيد انطلاق الشاعر أحيانا ، كان لا بد أن نجد من بعض الأبيات ما يكاد يكون مجرد نظم مثل :

فبينما هو يرعى البهم طاف به
شخصان من ملكوت الله ذى العظم

، هذا . وقد فرض الله الجهاد على
رسوله ، ليبث الدين فى الأمم

، هذا . وقد فرض الله الصلاة على
عباده ، وهداهم واضح اللقم

٥ - تصور هذه القصيدة مدى سعة اطلاع البارودى على التاريخ الإسلامى ودراسته لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومقدرته الفنية على التصوير وتأثره ببيانه العسكرية .

ولقد كانت هذه القصيدة من أوائل المطولات الإسلامية فى شعرنا الحديث ، ولا غرابة فى ذلك ، فإن شعر البارودى بعامة يعتبر نقطة تحول فى الشعر المصرى الحديث .

ونرجو أن تتاح فرصة أخرى للموازنة بين هذه القصيدة وقصيدتى شوقى وعبد المطلب لبيان خصائص كل منهم فى هذا المضمار مع بيان ما بين البارودى وصاحبيه من تغير الزمن وتطور الأحداث .

وفقنا الله إلى الصواب ؟

دكتور سعد الدين الجيزاوى

دراسات في علم المعنى

« السيمانتيك »

للدكتور كمال بشر

علم المعنى فى الدراسات اللغوية

— ٣ —

لم يعد علماء اللغة المعاصرون يشغلون بالهم بتوجيه أنظار الناس إلى أهمية علم المعنى ، أو ترويج بضاعته فى البيئات اللغوية ، فذلك أمر قد فرغوا منه منذ أمد بعيد ، وصار الكلام فيه ضربا من فضول القول ، ونوعا من الإسراف فيه ، أما ما يشغل بالهم اليوم فيتمثل فى الإجابة عن السؤالين التاليين :

١ — هل مشكلات المعنى وقضاياه جديرة أن تفرد لها بحوث خاصة تقوم بدراستها وتحليلها تحليلا دقيقا ، يرقى إلى مستوى التحليل العلمى ؟

٢ — وإذا كانت هذه المشكلات وتلك القضايا تستحق هذه البحوث الخاصة ، فما « مكانة » هذه البحوث فى الدراسات اللغوية أو ما « منزلتها » بالنسبة للفروع الأخرى فى علم اللغة الحديث ؟ .

أما فيما يتعلق بالسؤال الأول ، فإن بعض اللغويين فى الوقت الحاضر لا يزالون يتبعون العرف القديم الذى كان يجرى على تقسيم علم اللغة إلى فروع ثلاثة فقط هى :

(١) علم الأصوات التنظيمى phonology [1]

---

[١] نلاحظ أن هؤلاء اللغويين قد اقتصروا على « علم الأصوات التنظيمى » phonology ، ولم يذكروا « علم الأصوات العام » phonetics فى هذا التقسيم الذى اختاروه . وهذا المنهج فى الواقع إنما يتمشى مع رأى القائلين بالتفريق بين ما سموه « اللغة » language وما سموه « الكلام » speech . وعندهم أن اللغة عبارة عن مجموعة القوانين والنظم اللغوية المخزونة فى ذهن الجماعة التى تملك هذه اللغة . أما الكلام فى رأيهم فهو الأحداث اللغوية الفعلية الصادرة من المتكلم الفرد وقت الكلام الفعلى نفسه . وتمشيا مع مذهبهم هذا ، رأى هؤلاء القوم ومن سلك مسلكهم أن « علم الأصوات العام » phonetics إنما يختص بدراسة أصوات « الكلام » أما « علم الأصوات التنظيمى » phonology فهو خاص بدراسة الحقائق والنظم الصوتية للغة . (يتبع)

(٢) علم الصرف morphology .

(٣) علم النحو syntax .

ومن الواضح أن هذا الاتجاه قد أهمل مشكلات المعنى اللغوى إهمالا تاما ، وأغلق دونها أبواب الدراسات اللغوية . أو على الأقل ، يمكن القول بأن هؤلاء العلماء قد قللوا من قيمة هذه المشكلات وهونوا من شأنها ، إذ ضنوا عليها ولم يفردوا لها بحوثا خاصة تقوم على معالجتها وتتوافر على دراستها دراسة علمية ذات منهج خاص ، وكل ما فعله هؤلاء - أو بعبارة أدق - كل ما فعله نفر قليل منهم أنهم قنعوا بالتعرض « للمعنى اللغوى » تعرضا خفيفا فى مناقشات متناثرة هنا وهناك فيما قاموا به من بحوث عامة ، كما حدث فعلا فى ذلك البحث الذى دبجه الأستاذ « رايسج » خاصا بعلم اللغة اللاتينية ، حيث كان يعرج من آن إلى آخر على مشكلات المعنى فى أثناء دراسته لقواعد هذه اللغة .

على أن افتراض أن هؤلاء العلماء قد اكتفوا بما يجرى فى المعجمات من دراسة معانى مفردات اللغة - هذا الافتراض لا يشفع لهم ولا يعفيهم من النقد . وذلك لسببين اثنين أولهما : أن دراسة « المعنى » بالمفهوم الذى يرتضيه اللغويون المعاصرون دراسة أشمل وأعمق مما تقوم به المعجمات من تفسير عام سطحى لمعانى المفردات والألفاظ . وحقيقة الأمر أن دراسة المعنى على مستوى المعجم إن هى إلا جزء أو جانب واحد فقط من جوانب دراسات المعنى . بل إن بعض الدارسين المحققين - أمثال فيرث وغيره - يذهبون إلى أن بحوث المعنى على مستوى المعجم لها فرع مستقل من فروع علم اللغة : فرع تختلف مبادئ الدراسة وأسس البحث فيه عن مبادئ وأسس ذلك الفرع الذى اختص بدراسة « المعنى » بالمفهوم الجديد الذى أشاروا إليه بالمصطلح المشهور ، « السيمانتيك » la sémantique

---

وهذا هو سر اقتصار هذا الفريق من اللغويين على هذا العلم الأخير ، وإهمالهم العلم الأول فى تقسيمهم المذكور ؛ إذ هم بصدد ذكر فروع ذلك العلم العام الذى وظيفته البحث فى « اللغة » لا « الكلام » . أما التفريق بين علم الأصوات العام وعلم الأصوات التنظيمى - على حسب ما يفهم من كلام أصحاب هذا الرأى ، وعلى حسب ما يتمشى مع مذهبهم فى الفرق بين اللغة والكلام - فهو أن الأول إنما يدرس الأصوات اللغوية من حيث كونها أحداثا فعلية حقيقية ، معتمدا فى ذلك على الناحيتين المادية والميكانيكية للأصوات ، وذلك بطريق وصفها من حيث نطقها ومخارجها وتأثيرها على السمع . أما الثانى - وهو علم الأصوات التنظيمى - فوظيفته تنظيم هذه الأحداث الصوتية وإخضاعها لقوانين عامة ، مراعيا فى ذلك الآثار والصور الذهنية التى تطبعها الأحداث الفعلية للأصوات وتتركها فى الذهن .

السبب الثانى : قد نقبل من هؤلاء القوم اكتفاءهم بدراسة المعنى فى المعجمات وما إليها ولكننا مع ذلك نوجه إليهم النقد من جهة أخرى وهى إهمالهم للمعجمات وصناعتها ، فهم لم يعدوها من فروع علم اللغة مخالفين بذلك ما سار عليه أكثر اللغويين فى الوقت الحاضر

كل هذه المآخذ وغيرها قد وعتها الأغلبية الساحقة من علماء اللغة ، وتحاشوا الوقوع فيها ، ومن ثم استقر الرأى فيما بينهم على جدارة المعنى ومشكلاته بدراسة مستقلة ، وأفردوا له منهجا خاصا فى الدراسات اللغوية ، ذلك المنهـــج هو ما اتفقوا على تسميته « بالسيمانتيك » أو علم المعنى غير أن هؤلاء اللغويين اختلفوا فيما بينهم على درجة الأهمية التى يستحقها هذا المنهج ، وعلى « منزله » من فروع علم اللغة الأخرى وسوف نحاول فى السطور التالية أن نبين أشهر الآراء فى هذه النقطة الأخيرة واملنا نخاص من ذلك إلى الإجابة عن السؤال الثانى المذكور فيما سبق.

يرى الأستاذ « جراى » Gray أن اللغة لهـا جانبان جانب عضوى أو ميكانيكى physiological or mechanical ، وجانب نفسى أو غـير ميكانيكى psychological or non - mechanical . فالجانب الأول يقابله فرعان من فروع علم اللغة هما : علم الأصوات التنظيمى [1] ، وعلم الصرف . أما الجانب الثانى ــ وهو الجانب النفسى أو غير الميكانيكى ــ فيقابله النحو وعلم المعنى ، ثم يضيف جراى إلى هذه الفروع الأربعة فرعا خامسا هو « علم تاريخ الكلمات وأصولها » etymology .

---

[١] يتضح من هذا التقسيم أن « جراى » قد اتفق مع أصحاب الرأى السابق فى الاقتصار على علم « الأصوات التنظيمى » phonology وإخراج « علم الأصوات العام » phonetics من فروع علم اللغة وفى هذا ما يشير إلى أنه يسلك مسلك القائلين بالتفريق بين « اللغة » و « الكلام » ذلك التفريق الذى يستتبع تخصيص أحد علمى الأصوات باللغة والآخر بالكلام . انظر ص(١٣٧٧) الملحوظة (١) . على أن نظرة جراى إلى جوانب اللغة توجب عليه أن يعكس القضية ، فالمناسب للجانب الآلى أو الميكانيكى للغة إنما هو عـــلم الأصوات العام لا علم الأصوات التنظيمى ، إذ أن الأول هو الذى يدرس الأصوات من الناحية الآلية والميكانيكية . أما الثانى فيدرس وحداتها وصورها الذهنية وهذا ما صرح به فعلا كثير من أتباع مذهب التفريق بين اللغة والكلام ، وهذا التفريق هو أساس هذه النظرة إلى علمى الأصوات ومع ذلك ، من الجائز أن يكون جراى قد استعمل المصطلح phonology (عـــلم الأصوات التنظيمى) مكان المصطلح phonetics (علم الأصوات العام) وهذا ما يفعله أحيانا بعض الدارسين ، وبخاصة أولئك الذين يتبعون المدرسة الفرنسية التى كثيرا ما تستعمل هـذين المصطلحين كما لو كانا مترادفين .

ويتضح من هذا التقسيم أن جراى قد قنع بالنص على أهمية علم المعنى فى الدراسات اللغوية ؛ إذ أنه قد خصص له منهجا قائما بذاته من مناهج هذه الدراسات ، ولكنه لم يشأ أن يصرح بنوع هذه الأهمية أو « درجتها » . ويبدو من طريقة عرضه لهذه المناهج أنه ينظر إليها جميعا نظرات متساوية ، وأنه لا يفضل بعضها على البعض الآخر ، وإنما يعدها أطرافا متعددة لشيء واحد ذى وظيفة واحدة . هى البحث فى اللغة ، وإن كان ذلك من وجوه مختلفة .

على أن أولمان لا يرى هذا الرأى الذى ذهبنا إليه فى تفسير كلام جراى ، ويعتقد أن هذا الأخير لم يأت بجديد فى منهجه المذكور ؛ إذ أن كل ما قام به هو أنه « ألحق علم المعنى بنظام التقسيم القديم الموجود بالفعل » . كما أنه يوجه اعتراضا آخر ، مضمونه أن الأساس الذى اعتمد عليه جراى فى تقسيمه لفروع علم اللغة لا يستتبع - من الناحية المنطقية - اعتبار « علم تاريخ الكلمات وأصولها » جانبا من جوانب هذا التقسيم[1] . ونحن وإن كنا ندرك قيمة هذا الاعتراض الأخير ، لا نعتقد أن أولمان قد أصاب فى اعتراضه الأول الذى يتضمن أن جراى إنما جعل علم المعنى تابعا فقط لعلوم موجودة بالفعل .

أما الاعتراض الذى نعتقد أنه أهم مما أثاره أولمان فى هذا المقام ، والذى نرى أنه أجدر بالتسجيل هنا فهو أن نظرة جراى إلى اللغة نظرة تتضمن فكرة « الثنائية » فى الأحداث اللغوية dualism of speech - events .

وهذه الفكرة هى ما تعنيه بعض المدارس اللغوية من أن أحد جانبى اللغة « عضوى أو ميكانيكى » (أو مادى أو جسمانى كما يحلو لبعضهم أن يدعوه) وأن الجانب الآخر « نفسى أو غير ميكانيكى » (أو عقلى على حد تعبير بعض الدارسين) . وفى رأينا أن هذا التقسيم لجوانب اللغة يتضمن أن الأحداث اللغوية مكونة من عنصرين متميزين ، يمكن الفصل بينهما أو عزلها بعضهما عن بعض . والحق أن هذا الاتجاه يفهم صراحة من تقسيم جراى لعلوم اللغة على الوجه السابق . وإلا فماذا يعنى تخصيصه على الأصوات التنظيمى والصرف بالناحية الميكانيكية ، وعلى النحو والمعنى بالناحية النفسية ؟ إن هذا لا يعنى إلا شيئا واحدا ، هو إمكانية الفصل بين العناصر المكونة للأحداث اللغوية ، بل وجوب هذا الفصل .

ونحن لا نذهب هذا المذهب ولا نأخذ به ؛ إذ أن رأينا فى هذه القضية - بل وفى كل قضايا

(1) See Ullmann, The Principles of Semantics, p. 24.

اللغة ومشكلاتها - ينبنى على أساس أن الأحداث اللغوية وحدة متكاملة : وحدة قد تتضمن عناصر ميكانيكية وأخرى نفسية ، ولكنها مرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، بحيث لا يمكن لجانب منها أن يستقل بذاته أو أن يكون بنفسه وحدة متميزة ، ومن ثم لا يجوز لنا أيضا أن نفرد فرعا معينا من فروع علم اللغة لدراسة جانب معين من هذه العناصر وفرعا ثانيا لدراسة الجانب الآخر أضف إلى ذلك أن الاعتراف « بثنائية » الأحداث اللغوية فيه اعتراف ضمنى « بثنائية » الإنسان الذى تصدر عنه هذه الأحداث dichotomy of man ، أى اعتراف بإمكانية الفصل بين عنصريه : المادى ، والروحى ، أو الجسمى والعقلى . وهذه قضية إن صحت فى بعض العلوم - لا تصح فى علم اللغة ولا يؤخذ بها فى البحوث الخاصة به . والواقع أن الرأى السائد الآن بين المحققين من العلماء هو العمل على وضع قواعد العلوم الإنسانية ونظمها على أساس الوفاء بحاجات الإنسان المادية والروحية جميعا : حاجاته بوصفه إنسانا متكامل العناصر والجوانب ، وهم بذلك يستهدفون سعادته ورفاهيته ، بعد أن أيقنوا أن الاهتمام بأحد الجانبين وإهمال الآخر لابد أن يقود فى النهاية إلى الشقاء وعدم الاستقرار فى مجالات الحياة الإنسانية على اختلاف ضروبها وأنواعها .

ويرى الأستاذ بلومفيلد Bloomfield رأيا مخالفا لما ذهب إليه جراى ، ويعتقد أن علم المعنى جدير أن يلقى أهمية بالغة من الدارسين ، وخليق أن يحظى بمنزلة تفوق منزلة غيره من علوم اللغة . ولعل فى طريقة تقسيمه لهذه العلوم مايعبر عن ذلك أوضح تعبير وأصرحه . يذهب هذا الباحث الأمريكى إلى أن « الطريقة المثلى » تقتضينا أن نقسم علم اللغة إلى فرعين رئيسيين هما :

علم الأصوات phonetics وعلم المعنى .

ولم يكتف بلومفيلد بأن جعل علم المعنى وحده يمثل نصف الدراسات اللغوية (بل وأكثر من النصف كما سيتبين فيما بعد) وإنما عده كذلك أساسا لفروع أخرى وأصلا لها . وهذه الفروع الأخرى تتمثل فى « علم القواعد » grammar وفى « المعجم » lexicon . ولا غرابة فى هذا التقسيم الذى ابتكره هذا الباحث ، إذ أنه يتمشى مع فهمه لعلم المعنى : ذلك الفهم الذى جعله يتوسع فى مدلول هذا العلم وفى دائرة اختصاصه وبحوثه بحيث يصير مساويا أو معادلا « البحوث علم القواعد والمعجم مجتمعة » . أو بعبارة أخرى ، إن اختصاص علم المعنى عند بلومفيلد ليس هو البحث فى المعنى

بقطع النظر عن الصيغ اللغوية ، وإنما وظيفته - عنده - البحث في « الصيغ اللغوية ومعانيها معا » [1] .

وهذا الرأى الذى رآه بلومفيد فيما يختص بمفهوم علم المعنى يمكن ربطه من جهة أخرى بمذهبه في اللغة نفسها وفي دراستها بوجه عام . إنه يعتقد أن دراسة اللغة إنما تتم على مستويين رئيسيين فقط . المستوى الأول مستوى صوتى محض ، وفيه يقصر الباحث اهتمامه على الناحية المادية للأصوات ، ولا يعير التفاتا من أى نوع إلى المعنى الذى قد تحمله هذه الأصوات أو ترتبط به . وهذا النوع من البحث يتولاه « علم الأصوات » الذى يكرس جهوده حينئذ في دراسة خصائص الأصوات ومميزاتها من الناحية الصوتية الصرفة ، وذلك بطريق النظر في مخارجها وتأثيرها على السمع وفي الموجات الصوتية التى تحدثها في الهواء . أما المستوى الثانى فهو مستوى البحث في المعنى ، وفي هذه الحالة توجه الدراسة إلى البحث في علاقة هذه الأصوات بمعانيها وارتباطها بها . وهذه الدراسة يقوم بها الفرع الرئيسى الثانى من فروع الدراسات اللغوية ، وهو « علم المعنى » .

(1) See Bloomfield, Language, PP. 74, 137-138, 513.

ووظيفة هذا العلم الأخير - كما حددها بلومفيلد - تنحصر في بيان « أن مجموعة معينة من الأصوات اللغوية قد نطقت في مواقف معينة ذات طابع خاص ، وحملت السامع على أن يقوم بأداء نماذج معينة من السلوك أو أن يستجيب استجابات معينة » [1] .

ثم يذهب بلومفيلد بعد ذلك إلى أبعد من هذا ؛ فيجعل « علم المعنى » شاملا لكل من علم القواعد والمعجم . وذلك لأنه يرى أن بحوث كل من هذين الفرعين « الثانويين » تقوم بدراسة المعنى بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور . أما بالنسبة للمعجم فالأمر ظاهر ، إذ أنه من المعروف أن وظيفة المعجم البحث في معانى مفردات اللغة ، أو - على حد فهم بلومفيلد لمعنى « المعنى » - وظيفته بيان أن هذه الكلمة أو تلك تناسب هذا الموقف أو ذاك ، وتقتضى السامع أن يقوم بعمل معين أو بآخر . وأما بالنسبة

(١) انظر بلومفيلد المرجع السابق ص ٧٤ . والذى جعل بلومفيلد يفسر وظيفة هذا العلم على هذا النحو هو مذهبه في معنى « المعنى » نفسه . إنه يفسر المعنى على أساس ميكانيكى سلوكى ؛ إذ يعتقد أن الأحداث اللغوية - كلمة كانت أو عبارة - إنما هى مثيرات تدفع السامع إلى القيام بنوع معين من السلوك أو إلى الاستجابة بطريقة معينة . أو بعبارة أخرى إن معنى الكلمة أو الجملة عنده عبارة عن الأحداث العملية السابقة التالية لهذه الكلمة أو الجملة .

انظر المرجع نفسه ، ٢٧ ، ١٣٩ .

لعلم القواعد ، فالقضية تحتاج إلى شىء من التوضيح . إن علم القواعد Grammar يتكون عند بلو مفيلد ــ وعند عدد آخر من العلماء ــ من علمين اثنين هما :

الصرف Morphology والنحو Syntax

فهذان العلمان يتعاونان فيما بينهما على الوصول إلى قواعد اللغة الصرفية والنحوية ، ووضعها فى مجموعة معينة من النظم العامة التى تميز اللغة المدروسة من غيرها من اللغات . كما أن كلا من هذين العلمين يقوم فى الوقت نفسه بأداء دوره المخصص له فى بيان « معنى » الأحداث اللغوية التى يتعرض لها بالبحث والدراسة . فالصرف يدرس المعنى على مستوى « الصيغة »[١] . وبيان ذلك أن هذا العلم إذ ينص على أن هذه الكلمة أو تلك اسم أو فعل أو حرف ، أو أنها مفرد أو مثنى أو جمع إلخ يكون فى الوقت نفسه قد وجه نظرنا إلى أن هذه « الصيغة » إنما تناسب موقفاً معينا وتقتضى السامع أن يقوم بعمل معين أو بعبارة أخرى ، إن الصرف بعمله هذا يكون قد ربط الأصوات المكونة لهذه الصيغة المعينة بالموقف المناسب والاستجابة المناسبة من السامع ، وبهذا يكون قد قام بوظيفته نحو المعنى على الوجه الذى يراه بلو مفيلد .

أما النحو فيبحث فى المعنى على مستوى العبارة والجملة . فالنحو حين يختبر صحة نظم « الصيغ » أو عدم صحة ذلك النظم ، أى حين يختبر مواقع هذه الصيغ وترتيبها على نسق معين ووضع خاص ، وحين يبحث فى العلاقات بينها طبقا للمألوف والمتعارف عليه فى البيئة اللغوية المعنوية ــ إنه عند ما يقوم بذلك يكون قد أرشدنا فى الحال إلى ما يناسب هذه العبارة أو الجملة من المواقف الكلامية والاستجابات التى قد يستجيبها السامع . ومعنى ذلك أن النحو حينئذ يكون قد بين نوع العلاقة بين العبارة أو الجملة وبين الموقف الذى يمكن أن « تنطق » فيه والسلوك الذى نتوقع حدوثه من السامع حسب خبرتنا « بعادات » اللغة القومية . وبهذه الطريقة يتم لنا إدراك « معنى » الجملة أو العبارة ؛ بالمفهوم الذى ذهب إليه بلو مفيلد فى معنى « المعنى »[١] .

---

(١) « الصيغة » مصطلح اخترناه فى هذا المقام ليقابل الكلمة الإنجليزية (form) ، ويقصد بها الكلمة بعد أن نتعرف على قيمتها الصرفية ، أى بعد أن نعرف أهى اسم أم فعل أم حرف مثلا .

(١) من الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن دراسة المعنى على مستوى النحو ــ بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور ــ معروفة لدى العرب منذ زمن بعيد ، ومن هذا القبيل ما خلفه لنا عبد القاهر الجرجانى من آراء تتعلق « بنظم الكلام » . وهذه القضية سوف نتعرض لها فى بحث مقبل ، خصصناه لمعالجة « علم المعنى عند العرب » .

تلك خلاصة القول فيما رآه بلومفيلد بالنسبة إلى مكانة علم المعنى فى الدراسات اللغوية.

والواقع أن هذا الرأى الذى رآه بلومفيلد فيما يتعلق بمكانة علم المعنى ، وفيما يختص بفروع علم اللغة بوجه عام — يضطرنا إلى مخالفته من عدة وجوه ، يمكن تلخيصها فى نقطتين رئيستين .

أولاهما : أننا لاننكر على بلومفيلد اهتمامه بعلم المعنى ، ولكننا ننكر أن يكون هذا الاهتمام على حساب علوم أخرى لاتقل عن علم المعنى نفسه فى الأهمية والمنزلة ، أو أن يكون سببا فى زحزحة هذه العلوم عن بيئاتها الطبيعية ، وفى حشر بحوثها ضمن بحوث تختلف عنها فى المنهج ، ولا تتفق معها فى الوظيفة . والرأى عندنا — كما هو رأى الدارسين المحققين — وجوب استقلال كل من علمى القواعد والمعجم ، وتخليصهما من تلك « التبعية » التى فرضها عليهما بلومفيلد ، إذ أن الكل منهما وظائفه وميادينه الخاصة به فى الدراسات اللغوية .

فالمعجم يدرس المعنى على مستوى الكلمة المفردة ، وقليلا ما يعنى بغير المعنى العام لهذه الكلمة ، بخلاف علم المعنى - بالمفهوم الدقيق المأخوذ من المصطلح « السيمانتيك » - فموضوعه البحث فى المعنى على مستوى الكلمة والعبارة والجملة جميعا ، ولا يكتفى بتسجيل المعنى العام، بل لا بد له من التعرض للألوان والظلال المعنوية الأخرى التى تستفاد من السياق والمقام أضف إلى ذلك أن السيمانتيك يراعى فى بحوثه دائما ظروف الموقف الكلامى وملابساته : تلك الظروف والملابسات التى ربما لا يتسنى للمعجم مراعاتها . بل التى كثيرا ما يهملها ولا يعيرها التفاتا .

على أنه قد يكون من القبول أن يعد المعجم داخلا فى دائرة علم المعنى وتابعا لمباحثه . على أساس أن كلا منهما يقوم بدراسة المعنى على وجه من الوجوه [1] ، ولكننا لا نقبل مطلقا تطبيق هذه « التبعية » على علم القواعد . فهذا العلم الأخير قد اختص — فى الدراسات اللغوية الحديثة — بدراسة المميزات الصرفية والنحوية للغة ، معتمدا فى ذلك على منهج معين : ذلك المنهج هو المنهج الشكلى . formal approach الذى تسير خطوات البحث فيه على أساس وصف الخصائص الموجودة بالفعل فى الكلمة أو العبارة والجملة ، وليس من شأنه بعد ذلك أن تكون

---

(١) ذهب إلى هذا الرأى عدد من اللغويين الذين يرون أن مباحث المعجم تمثل فرعا أو جانبا من جوانب علم المعنى أو السيمانتيك ، بل إن هناك من اللغويين من لا يرى التفريق بين مباحث المعجم ومباحث السيمانتيك . ونحن لا نرى رأى هؤلاء أو أولئك ، وسوف نعرض فى مقال آخر للفرق بين وظيفة المعجم ووظيفة علم المعنى بشىء من التفصيل ، وكذا الفرق بين المعنى المعجمى والمعنى السيمانتيكى على الوجه الذى نراه .

هذه الكلمة أو العبارة أو الجملة قد أثارت السامع أو دفعته إلى القيام بعمل معين ، على نحو ما يفهم بلومفيلد من معنى المعنى وهكذا نرى أن مسلك بلومفيلد فى جعله علم القواعد بطرفيه — وهما الصرف والنحو — تابعا لعلم المعنى يؤدى إلى الخلط بين علمين متميزين: علم القواعد الشكلى .

formal grammar وعلم المعنى الذى يجرى البحث فيه على أساس استخلاص معانى الكلمات والعبارات والجمل من السياقات المختلفة على مستوى اجتماعى .

وليس معنى ما تقدم على أية حال أن علم القواعد منفصل انفصالا تاما عن علم المعنى : إن جميع فروع علم اللغة بلا استثناء يتصل بعضها ببعض اتصالا من نوع ما ، وكلها تستهدف هدفا عاما واحدا ، هو بيان الحقائق اللغوية للكلام المدروس وعلم القواعد بالذات من شأنه أن يمهد الطريق لدراسة المعنى دراسة دقيقة على مستوى اجتماعى ، ولكنه مع ذلك ليس تابعا لعلم المعنى وإنما هو نده وقرينه .

أما النقطة الثانية : التى نختلف فيها مع بلومفيلد فتتمثل فى تقسيمه علم اللغة قسمين اثنين رئيسين ، هما علم الأصوات وعلم المعنى . إن هذا التقسيم يتضمن فكرة « الثنائية » فى الكلام الإنسانى ، تلك الفكرة التى تعنى أن الأحداث اللغوية لها جانبان متميزان ، هما جانب الصوت أو اللفظ أو الشكل أو القالب ، وجانب المضمون أو المحتوى أو المدلول أو المعنى . وهذه الثنائية تنبىء علنها صراحة تلك « الثنائية » الأخرى التى ذهب إليها بلومفيلد فى تقسيم علم اللغة . فعلم الأصوات — طبقا لهذا التقسيم — يقابل الجانب الأول ، ويقوم فى الوقت نفسه بدراسة هذا الجانب والنظر فيه ، أما علم المعنى فيقابل الجانب الآخر الذى يمثل موضوع البحث فى هذا العلم ، وهذا كله يعنى - بالتضمين أو بالتصريح - إمكانية الفصل بين جانبى الأحداث اللغوية ، وإمكانية دراسة كل جانب منهما على حدة .

ونحن — وإن كنا لا ننكر وجود هذين الجانبين فى الكلام الانسانى — لا نرى إمكانية الفصل بينهما أو جواز عزل أحدهما عن الآخر فى الدراسات اللغوية بوجه خاص . إننا — كما قررنا فيما سبق — ننظر دائما إلى الحدث اللغوى — كلمة كان هذا الحدث أو عبارة أو جملة — على أنه وحدة متكاملة لا انفصام بين عناصرها أو أجزائها المكونة لها ، ودراستنا لهذا الحدث لا تحيد عن هذا الأساس فى كل مراحل الدراسة وعلى كل المستويات اللغوية ، من صوتية وصرفية ونحوية ؟ « وللبحث بقية »

دكتور كمال بشر
مدرس علم اللغة العام بكلية دار العلوم

القيمة الحقيقية للفنون الشعبية فى العصور الإسلامية

للأستاذ عبد المجيد وافى

جرت عادة المشتغلين بالفنون أن يقسموا الإنتاج الفنى إلى نوعين :

النوع الأول : هو إنتاج الفنان الذى تعمق ودرس وتخصص ، فأصبح له لون من الفن يعرف به وينسب إليه .

ويمثل هذا اللون من الإنتاج ، ما احتوته القصور بين جنباتها فى كل العصور ، من تحف قائمة بذاتها - صورة أو تمثالا ، أو أداة صيغت صياغة خاصة جمعت الجمال والمنفعة ، أو أعمالا زخرفية أو تشكيلات دخلت فى تصميم البناء نفسه ، أو ما أنتج للدولة معبرا عن مرحلة من مراحل تاريخها ، مصورا فترة من حضارتها .

والنوع الثانى : ما أنتجه الفنان الذى لم يدرس دراسة خاصة ، ولم يتعمق فى خواص المواد أو الألوان ، وإنما دفعه إلى ما أبدع من فن ، انفعاله بالبيئة وعناصر الجمال فيها ، وهذا النوع من الفن التلقائى هو ما يعرف بالفنون الشعبية .

ويمثل هذا اللون ما صوره البدائيون على جدران الكهوف ، وما نراه فى عصرنا الحاضر من إنتاج الفنان الريفى ، أو البدائيين من شعوب آسيا وإفريقيا .

والفن الإسلامى ، منذ أن استوى على سوقه خلال المائة الثانية للهجرة ، تحقق فيه هذان اللونان من ألوان التعبير الفنى ، رغم اختلاف البقاع التى ولدت فيها نماذج الفن الإسلامى ، من أقصى الشرق فى الصين والهند ، إلى بلاد المغرب والأندلس ، فترى الأعمال الفنية الخالدة لفنانين متفرغين فى المساجد والخانات وقصور الخلفاء ، وما حوته الكتب من صور توضيحية رائعة ، أو ما روته تلك الكتب من أخبار الروائع التى عكف عليها الفنانون شهورا أو سنوات لإبداعها ومساجد الفاطميين فى مصر ، ومساجد الأيوبيين والمماليك فى مصر والشام ، وما حوته المتاحف من آثار القصور ومخلفاتها مثال لذلك .

وترى ذلك أيضا ما عثر عليه فى حفريات الفسطاط والقطائع والعسكر بالقاهرة ، من أعمال فنية لم تصل إلى حد روعة تلك

التحف التي ذكرتها في المثال السابق، ولكنها لم تفقد طراوتها وبساطة التعبير، وجد من ذلك بعض الأواني الخزفية، والرسم على الجدران، والنسيج والبسط مما صنعته سيدات الخدور شغلا لوقت فراغهن فيما ينفع.

* * *

والمتأمل في فنون الأمم الأخرى يرى فرقا كبيرا بين النوعين - الفن الشعبي والفن الخاص - في القوة الفنية ودقة التعبير والخبرة في استعمال الخامات، مما يجعله يحكم بانفصال المستويات.

بينما لو تأمل فنون الإسلاميين لوجد أن الفرق بين طابع العمليين لا يكاد يذكر، إلا إذا اعتبرنا تنوع الخامات من ذهب وفضة يكفت بهما النحاس، أو العاج يطعم به الخشب، أو الديباج والذهب في النسيج، في مقابل الكتان والقطن، والنحاس العاطل من الذهب أو الفضة، وإن لم يخل من نقوش جميلة، والخشب الذي زخرف دون تطعيم، دليلا على الفرق بين النوعين، وما عدا ذلك فالأسلوب واحد أو متقارب في معالجة الرسوم أو الزخرفة، وإن اختلف الموضوع، فقد تجد رسما لفتى جالس بين خاصته وخلانه في ثياب حسنة وسمت جميل، على وعاء خزفي ذي بريق معدني مجلوب من أحد القصور، وقد تجد رسما لاثنين يتقابلان بالعصي في رياضة «التحطيب» في حركة رشيقة وتعبير بسيط واضح، على وعاء خزفي آخر، ولكنه ليس مجلوبا من قصر، ولم يصنعه فنان صناع، بل هو من صنع عامل تأثر بهذا الشكل فسجله تسجيلا بديعا.

وأطلق اسم الفنون الإسلامية على هذين النوعين من أنواع الإنتاج ولم يفرق المشتغلون بذلك بينهما كما يفعل المعاصرون في أنواع الفنون غير الإسلامية، ودرج المؤرخون على اعتبار ذلك تنوعا في مدارس الفن أو الإنتاج.

وقد لفت النظر إلى حقيقة هذا التنويع أستاذنا العلامة الكبير حسن عبد الوهاب، الذي أشار إلى هذا الفرق في بحث من بحوثه الأخيرة.

* * *

وإذا كان المؤرخون للفنون الإسلامية قد فاتهم ذلك الأمر، فإنه قد فات أيضا نقاد الفنون المعاصرة، ولكن لسبب آخر: — هو نظرتهم إلى طبيعة الفن الشعبي.

فهؤلاء النقاد يهللون للعمل المنسوب إلى الفن، وإن كان شديد التعقيد بعيدا عن عرف الناس وذوقهم، مفرقا في التشويش والبدائية ويعدون ذلك عملا شعبيا حقا.

وأكثر من ذلك أنهم ينظرون نظرة الإكبار والتقدير إلى الفنان المتخصص الذي

يتخلى عن حصيله دراساته ، وينحدر إلى هذا اللون من التشويه — رغم اصطناعه لهذا الأسلوب مما يجعل فنه متكلفا فى بدائيته ، ويعرضون عن العمل العفوى الذى وافق الذوق ونبع عن فطرة سليمة وذوق حساس.

وهنا نقف لنناقشهم الحساب فى هذا المبدأ ، فإن الفن إما أن يكون فكرة جميلة أو موضوعا استثار شاعرية الفنان فتناوله بالأصول المتعارفة . فيكون كالشاعر المجيد الذى هزه الموضوع وحركته اللمحة فصاغ ذلك فى قصيد من بحر معين وروى خاص ، هذا هو الفن الأصيل .

كذلك يقال فى الفن العفوى الذى هو وإن خلا عن الأدوات التى تجمله يرتفع إلى مستوى الفنان الأصيل ، فإنه فن أيضا يمثل تلقائية الفنان الشعبي .

أما أن يتجرد الفن حتى عن الفكر وعن الإعداد وعن الذوق والحساسية الفنية ، حتى ولو كان تلقائيا فليس ذلك بفن بل هو عبث لا يرقى إلى أى مستوى من مستويات الفنون .

* * *

وهنا نعود إلى الفن الإسلامى الشعبي الذى امتاز عن غيره من الفنون الشعبية الأخرى بالدقة واحترام القيمة الفنية ، لنقرر أنه حقيق أن يعرف له مكانه الحقيق بين الفنون الشعبية .

بقى أن نبحث عن السبب الذى أدى إلى وجود الفرق الشاسع بين مستويات الفنون ، شعبيها وخاصها ، عند الأمم الأخرى ، وأدى إلى التقارب الملموس بين مستوى الفن الشعبي الإسلامى والفنون الرفيعة .

وفى رأيى أن سبب الاختلاف هناك هو انفصال المجتمعات عندهم انفصالا بينا ، فالعامة فى واد والخاصة فى واد ، لا يحس أحدهم بما يحس به الآخر ، لا يجمع الحب أو الفرح بينهم بل فرقتهم أحقاد الطبقات ، حجزت بينهم الفردية وباعدت بينهم .

بينما المسلم يجمعه وأخاه المسلم وحى عقيدة واحدة ، قربت بين طوائف الأمة ، ووحدت بين أهل الإسلام على ترامى بلادهم ، فى الاجتماع لعيد واحد أحيانا ، وجمعة واحدة أحيانا أخرى ويتجهون إلى قبلة واحدة ، يصومون شهراً واحداً ، وتلزمهم الزكاة فتؤلف بين الأمة على تفرقها فى مطالبها .

هذا هو المعنى الذى قارب بين الفنان الشعبي المسلم وأخيه المتخصص ، اتحدت رؤاهم واشتركوا فى منابع خيالهم فتقاربت أذواقهم فى الجملة وإن لم يتحدوا فى التفاصيل .

ذلك هو أثر الإسلام يقرب بين أبناء الأمة حتى فى عناصر الوحى الفنى وإلهامه .

عبد المجيد وافى

المثل العليا في التشريع الإسلامي

للأستاذ عباس طه

جاء الإسلام والناس في جهالة عمياء وضلالة شاملة، وتنكب عن طريق الحق، وتشبث بأهداب الباطل واتباع لحماقة الهوى، وابتعاد عن هداية العقل.

فمن تأليه للأصنام، وعبادة للأوثان، وتعظيم للأنصاب، واتخاذ للطواغيت - إلى استقسام بالأقداح، واعتقاد في الكهانة، والعرافة، وزجر الطير والعيافة.

ومن تقديس للموروثات والتقاليد، وثقة في الخرافات والأوهام وانحطاط في النظر والفكر، وتعويل على الأقاصيص والأساطير، إلى عصبية قبلية ونعرة جنسية وتفاضل بالأحساب وتفاخر بالأنساب.

ومن فهم للأخلاق الفاضلة على غير وجهها وإسراف في سوء تقديرها وإباحية مطلقة وتبذير لا حد له. إلى أكل الميتة، وإتيان الفواحش، وقطع الأرحام، وإساءة الجوار، وقسوة في الانتقام، وإفراط في الأخذ بالثأر، واعتداء القوى على الضعيف، وشن الغارات لأقل حدث، وأتفه سبب.

نقول: جاء الإسلام وحال الناس على ما وصفنا من طغيان الجهالة وشيوع الضلالة وانتشار المنكرات فلم تقتصر مبادئه السامية، وقوانينه الوافية، على أن تقرر من النظم، وتسن من الأحكام ما ينتشلهم من مهاوى الرذيلة ويقضى على سوء أثرها وما يخرجهم من ظلمات الجهل ويبدد سحبه الكثيفة، بل رسم من محكم التعاليم وأنشأ من أقوم المناهج، وأهدى السبل، ما هو أعلى مثل في كل فكرة نادى بها، وكل دعوة دعا إليها وما هو أكبر شاهد له على أنه خير دين تعبد الله به عباده، واختتم به شرائعه الأولى وجعله دستوراً كاملا متسعاً لشئون الناس جميعاً، وشاملا لكافة حاجاتهم وصالحا لكل زمان ومكان.

اتجهت التعاليم الإسلامية في تشريعها ثلاثة اتجاهات رئيسية:

الاتجاه الأول:

العقائد، فأسسها الإسلام على أوطد دعائم وأعلى مثل في التوحيد الخالص، والألوهية الحقة.

انظر إلى القرآن الكريم تجده يقرر في كثير من آياته وحدة الألوهية، ويبطل التعدد، قال تعالى: «فاعلم أنه لا إله إلا الله»، وقال: «وما من إله إلا إله واحد»، وقال: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً».

ثم انظر إليه فى آيات أخرى تجده يقرر شمول الألوهية وعمومها وإحاطتها ويبين أنه تعالى ليس إله قبيلة من القبائل، ولا إله أمة من الأمم، ولا إله عنصر من العناصر ولا إله معنى من المعانى، كالإنس والجن والملائكة وكالخير والشر والجمال، بل هو إله كل شىء ورب كل موجود، وأن جميع ما فى الكون من أسرار ومظاهر، وكل ما يحتويه من معالم ورسوم مملوك له تعالى، وصادر عنه، ومسخر بأمره، وأنه قادر على كل شىء وأنه قد أحاط بكل شىء علما، قال تعالى: « الله ربكم ورب آبائكم الأولين، وقال تعالى: « لله ما فى السموات وما فى الأرض »، وقال: « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره »، وقال: « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه، وقال: « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون »، وقال: « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما فى البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ».

وهكذا حينما تتبعنا آيات القرآن الكريم نجد أنها قد اهتمت اهتماما عظيما بأمر العقيدة وركزتها فى التوحيد الصرف، ووصف الله تعالى بكل كمال، وتنزيهه عن كل نقص، كما أنها قد اهتمت أيضا بما وراء هذه الحياة من حياة أخرى، من ثواب أو عقاب.

قال تعالى: « يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ».

الاتجاه الثانى:

محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، فقد عنى الإسلام بها عناية شديدة، وطلب إلى المسلمين أن يتخلقوا بأنبلها، ويأخذوا بأفضلها ويخالقوا الناس بأحسنها وأجملها، وأن يكونوا جميعا أمثلة حية، وصورا ناطقة للعدل والإحسان، والوفاء بالعهد، والصبر فى الشدائد، والعفو عند المقدرة، والشعور بالواجب، وعزة النفس وعلو الهمة وطهارة الضمير، وما إلى ذلك من الخصال الجليلة والخلال الكريمة، قال تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى »، وقال « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا »، وقال « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ». وقال « خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين »، وقال « إدفع بالتى هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ».

فهذا النمط العالى من التهذيب الكامل ، والأدب السامى ، والخلق الرفيع ، هو الذى دعا إليه الإسلام ، ورغب فيه ، وحرصت عليه تعاليمه ، وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه ما جاء إلا لإتمامه وإكماله فقال « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

الاتجاه الثالث :

الأعمال المتعلقة بأفعال المكلفين ، فقد شرع الإسلام منها ما هو خير مظهر من مظاهر الانقياد لله تعالى ، والإخلاص له والإقرار بنعمه والشكر عليها ، وما هو أبلغ تعبير عما يكنه العبد فى نفسه من عاطفة الإجلال والتعظيم لخالقه كما شرع ما يعتبر — بآثاره ونتائجه — أرقى نظام ، وأكفل وسيلة لمساعدة الفقراء والمعوزين ، والترفيه عنهم ، وللمساهمة فى مصالح المسلمين عامة . والقيام بأعباء ما تتطلبه حالة الجماعة . وذلك كفريضتى الصلاة والزكاة ، وما إليهما من بقية ما شرعه الإسلام من أحكام وأعمال كثيرة ، تختلف فى صورتها وأدائها باختلاف الغرض المقصود منها ، والحكمة الداعية إلى تشريعها ، وآيات القرآن الكريم فى هذا الصدد كثيرة ، لا تحتاج إلى ذكرها .

* * *

من مجموع هذه الاتجاهات الثلاثة التى ألممنا إليها فى وجازة وتلخيص ، تتجلى دقة التشريع الإسلامى ، وتظهر متانة أصوله ، وقوة تعاليمه ويتبين فى وضوح أنه فى كل ناحية من هذه النواحى الأساسية ، قد أتى بأرقى النظم ورسم أعلى المثل ، ووضع خير الأسس وأتمها ، موافقة لطبيعة العمران ، وروح الاجتماع .

ولا غرو فى ذلك ، فهو يرافق الإنسان فى جميع أطواره ، ويتعهده فى كل أحواله بالتربية والتهذيب ، ويعلمه فى كل مرحلة من مراحل حياته كيف ينظم شئونه ، ويدبر أموره .

فعلاقة المرء بربه يضع لها أقوى الروابط وأوثق العرا ، وحياته البيئية وما يتعلق بها من زوجية ونظام أسرة ، وتربية أولاد ، يؤسسها على ما يكفل لها السعادة ، ويضمن لها الطمأنينة والراحة ، ويجعل جوها نقيا صافيا ، لا يلوح فيه شىء من قتامة الظنون وكدورة الريب والشكوك .

ووسائل الكسب والحصول على المال ، يبين له طرقها المشروعة ، وأبوابها التى لا ضرر فيها ولا ضرار ، وموارده‍ا التى لا غبن فيها ولا اعتداء .

وصلاته الاجتماعية العامة والخاصة يبنيها على أمتن القواعد ، وأنشأ لها من النظم وشرع لها من الأحكام ما هو خير كفيل بسعادة الناس وهناءتهم فى الدنيا والآخرة .

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

إفريقية التي لا تقبل التصديق

للأستاذ عباس محمود العقاد

بعد خمسة قرون من بدء اهتمام الغربيين بالرحلة إلى الشرق ، أصبحت كتابة هذه الرحلات مذاهب متفرقة، وأصبح كل مذهب منها ذا طرائق مختلفة ، على حسب كتابها وأغراضهم منها ، أو قدرتهم على كتابتها .

وقد التقينا على هذه الصفحات بكثير من هذه المذاهب وكثير من هؤلاء الكتاب وأولهم وأسبقهم أصحاب مذهب الإغراب الذين يجتذبون قراءهم برواية الأعاجيب والخوارق المجهولة، ويحسبون أنهم مطالبون بإعطاء اولئك القراء صورة يدهشون لها بديلا من كل صورة يألفونها فى بلادهم ، ولو عمدوا إلى المبالغة والاختلاق .

ومن هؤلاء الرحالين أناس مطبوعون على تشويه كل صورة يلقونها فى البلاد الشرقية والبلاد الإسلامية على التخصيص، وقد تبدو لهم مشوهة منكرة وهى لا تشويه ولا نكر فيها، ولكنهم يكرهون الاعتراف بالحسنات بينهم وبين أنفسهم فيحيلونها إلى سيئات توافق ماعندهم من سوء الظن وسوء الدخلة ، وقد يعترفون بالحسنة ولكنهم يقصدون تشويهها لاعتقادهم أنه أقرب إلى هوى قرائهم وأوفق لخدمة التبشير أو الاستغلال وهم يعملون لحسابه .

ولقد رأينا بعض هؤلاء الرحالين يصدقون فى النقل والوصف لأنهم يتحرون الدقة الجغرافية والتاريخية ، ويعلمون أن هذه الدقة أنفع لهم وأجدى على قرائهم وأوطانهم ، إذ كان تضليل هذه الأوطان عن فهم الواقع على جليته تفويتا لهم عن سبل المنفعة التى يسلكها من يواجهون الحقيقة بغير تضليل .

ولا يندر بين الرحالين ممن يصدقون النقل والوصف أن يكون منهم من يصدرون عن عاطفة حسنة تعطفهم نحو البلاد الشرقية ويبعثها فيهم أنهم ناقمون على ولاة الأمر فى بلادهم ثائرون على سلطان رؤساء الدين فيها ، معتقدون أن اطلاع إخوانهم على حسنات الشرق وسيلة أخرى من وسائل الاطلاع

على سيئات المسئولين فى بلادهم عن عيوبها وأوزارها .

وربما أضيف إلى أولئك وهؤلاء فى الزمن الأخير جماعة الباحثين العلميين الذين يعلمون أن الطريق إلى الشرق مفتوح أمام الكثيرين من طلاب السياحة والاستطلاع ويحذرون على سمعتهم « العلمية » من الخلط والتزيد فى الأمور التى يتناقلها الناس وتتواتر أنباؤها مع أحاديث البرق والإذاعة ولا يصعب على قاصد التحقيق أن يهتدى إلى وجه الصواب فيها .

وكنا نحسب أن مذهب هؤلاء الباحثين العلميين قد غلب على جماعات الرحالين فى الزمن الأخير فضاقت على المغربين مذاهب الإغراب واستغنى قراؤهم عن غرائبهم بالجديد من أخبار البلاد التى تكفل لقارئها الجـــدة والطرافة وإن لم تكفل له الدهشة ومباينة المألوف كل المباينة .

ولكن الظاهر من متابعة الرحلات الأخيرة أن طريقة الإغراب لم تنقطع بعد وأنها عند بعض الكتاب ضرورة لا يملكون اختيارهم فيها ، وهى على حال من اثنتين فى أكثر الأحايين : ضرورة المزاج الشعرى الذى يضفى على الواقع تزويق الخيال ولو كان من مشاهد وطنه وما ألف بصره وسمعه . وضرورة العجز عن كتابة ما يشوق القارئ ويطيب له بغير تهويل أو تحريف أو مبالغة فى عرض الصحيح من كل مألوف مطروق .

ولا بد أن يكون صاحب الكتاب الذى بين أيدينا واحداً من هؤلاء المغربين توافر له السببان : سبب التزويق الشعرى وسبب العجز عن التشويق بغير خبر غريب لا يقبل التصديق . لأنه جعل عنوان كتابه (إفريقية التى لا تقبل التصديق : Incredible Africa) ليروى فيه ما لا يصدقه القارئ ويلقى الذنب على القارة وأبنائها ولا يلقيه على قلمه ولا على القراء .

ولعله لو استطاع أن يجتذب قراءه بأسلوب غير هذا الأسلوب لما ارتضاه للكتابة عن عقائد المسلمين فى مراكش وهى أقرب إلى معظم الأوربيين من معظم البلاد الأوربية وسياحهم فيها أكثر من سياحهم فى بعض ربوعها

روى عن أحد الفرنسيين فى طنجة أنه قال له ولصحبه : « إن طنجة عصرية بالقياس إلى بعض مدن الأقطار الداخلية . ولنضرب مثلا ببلدة فاس ... فإنى لم أكد أفرغ من مطالعة كتاب ظهر خلال القرن الرابع عشر ووصفها كما كانت فى تلك الحقبة ، ولم تتغير اليوم عادات أهلها التى وصفها فى كتابه ، فلو طبع الكتاب وعليه تاريخ هذه السنة لعده القارئ من تصانيف آخر ساعة » .

« وعلى أثر تناول القهوة بعد الغداء قالت لى فتاة انجليزية : انى سمعت ذلك الرجل يقول عن طنجة إنها عصرية متمدنة ... انظر إلى هذا ... ورفعت ذيلها لترينا ساقها وهما مسودتان مزرقتان من أثر الضربات عليهما .

« ومضت الفتاة تقول : إنى كنت ألتقط بعض الصور فى القصبة ولم تكن غير صور عادية للبيوت والطرقات وفيها اطبيعة الحال أناس من عابرى الطريق ، فأخذ النسوة فى الصياح وأقبل الرجال والأطفال الصغار فأوسعونى ضربا ورفسا بالأقدام ... » .

قال المؤلف معقبا على حديث الفتاة :

« إنها الخرافة القديمة . فإنهم يعتقدون أن آلة التصوير تلتقط أرواحهم مع أشباحهم ... وقد كاد أحدهم أن يحطم مصورتى حين جئت إلى مراكش لأول مرة لأنه حسب أنى ألتقطت صورته ، ولم أكن قد فعلت وإن كان هو موقنا أن الصورة هناك وأصر على ردها إليه ، فلم يسعنى إلا أن أجاريه على وهمه وأخذت أزمزم وأدمدم وأردد بعض الكلمات التى لا معنى لها ، ثم استخرجت روحا متخيلة من الحقيبة وناولته إياها ، فتناولها ومضى فى طريقه وهو يلفظ باللغة العربية المتواترة : خنزير يهلك على قبر جدك ... » .

واسترسل الكاتب قائلا : « إن خرافة التقاط المصورة الأرواح مع الأشباح شائعة فى أرجاء العالم . ولكن الأمر فى بلاد المسلمين يداخله عامل آخر من عوامل كراهة التصوير ، فليس فى الفن الإسلامى المشروع صور للخلائق الآدمية ، وإنما يسمح هذا الفن بتمثل الرسوم الهندسية ليس إلا ، لأن القرآن يحرم تمثيل الإنسان لكون الإله الأعلى نفسه غير منظور ، ولا ينبغى للإنسان أن يظهر والله الذى خلقه غير ظاهر . وشرحت ذلك للفتاة فلم تقنع بهذا التفسير وأجابتنى قائلة إنها ترى صور السلطان فى كل مكان ، وعلى رأس البواب فى هذا الفندق واحد منها ... فقال الفرنسى الذى حدثنا من قبل : إن السلطان مستثنى من هذا التحريم ؛ لأنه نصف إله ، ولا تسرى عليه الأحكام التى تسرى على سائر المخلوقات ... » .

إن عنوان القارة « التى لا تقبل التصديق » ليس بالتعويذة التى تحمى المؤلف من الشك الكبير فيما رواه ، وهبه شهد فى طنجة ما لم نشهده معه فأين هو كلام القرآن الذى يحرم على الإنسان أن يظهر والله غير ظاهر ؟ وأين هو المسلم الذى يطيق أن يسمع بتأليه حاكم أو تشبيهه بالإله وهو يتلو فى الكتاب أن نبيه صلوات الله عليه بشر لا يميزه عن غيره من أبناء آدم وحواء إلا أنه بشر يوحى إليه ؟

[البقية على صفحة ١٣٩٧]

مختار من الشعر القديم والحديث

المكفوف

للأستاذ حسن جاد

من لسار فى الليل طال سراه ومحا نور ناظريه دجاه

كل ليل يمضى فياليت شعرى ليله السرمدى ما منتهاه ؟

الضحى والأصيل والصبح والليـ ـل تساوت فكلها أشباه

وضروب الألوان متفقات فى سـواد تحسه مقلتاه

لا يرى جلوة الربيع إذا اختا ل ولا البدر حين يبدو سناه

لا ولا يجتلى سنا الشمس رقرا قاً إذا فضض الوجود ضحاه

وإذا ذهب الأصيل روابيـ ـه عدا طرفه اجتلاء رباه

وإذا الطير ردد اللحن فى الدو ح مضى لا يحس إلا صداه

كل ما فى الوجود من فتن الدنيا لوته عن سحره دنياه

أبداً يحتويه سجن لياليه وما فيه من سجين سواه

* * *

إن مشى سار مرعش الخـ ـطو وئيداً تخشى الأذى قدماه

وإذا لم يجـد رفيقاً وفياً أرشدته إلى الطريق عصاه

أودع الله نفسه دقة الحـ ـس ففى حسه الدقيق هداه

وجلا سمعه فلا يخطئ الهمـ ـس ونجوى النسيم فى مسراه

يرهف الأذن حين لا تسـ ـعف العين خطاه ، فعينه أذناه

وإذا ضل راح يفغر فاه مستغيثاً ولوحت كفاه

لو تراه محلقاً مصغى الجيد رأيت العجيب فيما تراه

لهفة للرؤى تثير أمانيه فيرجو اجتلاءها ناظراه

ثم يرتد شوقه حسرات يا لشوق الأعمى ويا لمناه
ليس أشقى من فاقد نور عينيه وأغلى ما فى الفتى عيناه
أى طعم للعيش إن لم ير الدنيا ؟ وما حظه ؟ وماذا جناه ؟

* * *

هون الخطب يا أخى إن هذا زمن لم تعد تسر رؤاه
حسبك العزلة التى أنت فيها حين شاهت دنيا بنيه وشاهوا
إن فى نفسك الجيلة دنيا من جمال يغنيك عما عداه

* * *

لك يا رب فى النوازل سر عى فهم العباد عن معناه
كل خطب قدرته يا رحيما لك فيه لطف يدق خفاه
قد سلبت الأعمى وأعطيت حتى صح عدل القضاء فيما قضاه
إن تكن قد حرمته نور عينيه ففى قلبه يشع ضياه
ليس بالعين مبصر أو كفيف بصر المرء قلبه أو عماه
رب أعمى منحته منك نورا ورفعت الحجاب حتى رآه
وسكبت الذكاء فى حسه المرهف حتى أنسيته ما دهاه
يدرك الخاطر الخفى بحس يسمع النمل فى دبيب خطاه
وأديب ماضى اليراع براه خالق النابغين حين براه
ومجل فى شعره عبقرى ينفث السحر أو يفض رقاه
وصناع تجيل أنمله النسول على لحمة الكسا أو سداه
وشجى الألحان إن رتل الذكر أتى الله تائبا من عصاه
وفتاة غطى الجمال عماها وكساها من سحره وحلاه
نعم هانت المصائب فيها وعزاء يندى المصاب أساه

* * *

أيها الناعمون بالحدق النجل وما فاتهم غنى أو جاه
اذكروا نعمة الإله عليكم وأعينوا الأعمى على بلواه

أطلعوا صبح ليله بالأماني ... وأصيخوا إلى صرير نداه

وانشلوه من بحره المائر الموج ... ومن لجه الذى قد طواه

وكلوه فربما صار يوماً ... علما يهتدى الحمى بهداه

شر ما يقتل المواهب إغفال ... وداء النبوغ أن تنساه

لا يضيع الإله حسن صنيع ... فاغنموا شكره وحوزوا رضاه

حسين جاد
مدرس بكلية الدراسات العربية
بجامعة الأزهر

(بقية المنشور على صفحة ١٣٩٤)

وكيف يستطيع مسلم أو غير مسلم أن يفهم أن تمثيل الإنسان مستكثر عليه ولكن هذا التمثيل الظاهر لا يستكثر على الحيوان والجماد ؟ .

إن إفريقية التى لا تقبل التصديق هى إفريقية على صفحات هذا الكتاب وليست إفريقية كما خلقها الله ظاهرة للأعين قبل أن تظهر مصورة على الخرائط أو على الصفائح الشمسية ، وليست القصة التى نقلناها هنا غير مثل واحد من أمثلة شتى رويت عن البلاد الإسلامية وسائر البلاد المعروفة من أقطارها ، وقد يكون شفيعاً للكاتب أنه سلك هذا المسلك للتهويل على ولده بما يستغربه من عظمة مراكش بالأمس كما سلكه للتهويل عليه وعلى عامة القراء بغرائب العقائد والعادات فيها اليوم ...

فإن ابنه كان يسأله عن المراكشيين : هل هم مستوحشون ؟ فيقول له : إنهم إن لم يكونوا متمدنين حق التمدن فهم الذين علموا الأوربيين المدنية قبل حين .

وتصيح به زوجته : لا تبلبل دماغ الغلام يا صاح ، فيدفع هذا البلبال عن دماغها ودماغ وليدها وليده بصفحة وافية يشرح فيها فضل العرب على حضارة الغرب ، بعد زوال الحضارة من ربوع اليونان والرومان ؟

عباس محمود العقاد

علمتنى الحياة

علمتنى الحياة أن أتغنى   بجمال الحياة كل صباح
فأرانى قد عدت طيراً سعيداً   يتسامى بين السنا الوضاح
وأرانى قد صرت روحا طليقاً   يتهادى فى عالم الأرواح
وأحس الحياة تَفْـتَرّ فى نفسـ   ى ، وتخضر كالربيع المتاح
وأرى قلبىَ الرقيق ... من الفر   حة يشدو كالبلبل الصداح
قل لمن يملأ الحياة بكاء   وهو ثاو فى ظلمة الأتراح
إن من يزرع المدامع يوما   ليس يجنى غير الأسى والنواح
فازرع الفرحة العميقة فى نفـ   ـسك تُنبتْ حديقة الأفراح

* * *

علمتنى الحياة أن عبير الـ   ـود يُهدى للروح عطر الصفاء
فطلبت الوداد فى كل قلب   من قلوب الأصحاب والنظراء
ومنحت الوداد صفوا من القلـ   ـب بلا منة ، ودون رياء
غير أنى — ويا لشقوة نفسى —   قد عدمت الوفاء فى أصدقائى
بعضهم خاننى لتنعم بالغد   ر نفوس كالحية الرقطاء
وفريق قد شام مجدى سماء   فأثار الرعود حول سمائى
أترانى ألومهم ؟ هل ألوم الـ   ـبوم إن ساءها بريق الضياء ؟
إن أردت الوفاء يا قلب فانعم   فى الأمانى بطيفه الوضاء

* * *

علمتنى الحياة أن أتمنى   فتغنى نفسى بسحر الأمانى
إن — المنى يحيل حياتى   جنة شاعرية الألوان
هو — المجهول يذهب عنه   كل سحر إذا بدا للعيان

رب أمنية قضيت حياتى أشتهيها بمهجتى وكيانى
ثم جاءت وقد خبت نار شوقى حين جاءت إلىّ بعد الأوان
أى نفع فى نسمة الصيف تأتى إذ يكون الشتاء فى العنفوان ؟
حسب نفسى من الأمانى نداء دائب الشوق ، دائم التحنان
ولقاء فى جنة الوهم إن عزّ (م) لقاء فى عالم الإنسان

* * *

علمتنى الحياة أن عذاب النفس (م) أقسى من نار كل عذاب
فى فؤادى الحزين جرح عميق عاش فيه من قبل عهد الشباب
أى جرح هذا ؟ أجرح غرام من عيون كحيلة الأهداب ؟
ذاك سرى ، وإن أبوح به ما عشت ... حتى للأهل والأصحاب
أنا وحدى سأكتوى بلهيبى من عذابى وحيرتى واضطرابى
إنما الناس يا فؤادى ، عدو شامت لو درى بسر مصابى
أو حبيب يأسى لما بى ، وإنى لا أسوق الأسى إلى أحبابى
ولهذا سأختنى بدموعى حين أبكى ، وأرتمى خلف بابى

* * *

علمتنى الحياة أن ليس فيها أى شىء يبقى مدى الأيام
كم عزيزاً كنا نراه منى العمر ، فلو مات لم نعش بعض عام
وقضى نحبه فقلنا سنقضى عمرنا فى الدموع والآلام
ومضت فترة ، فضاع أسانا فى غمار الأحداث ، بين الزحام
ومضت فترة . فصرنا نغنى للحياة سحرية الأنغام
لو تدوم الأحزان فى هذه الدنيا ، لكانت حياتنا كالحطام
أو تدوم الأفراح فيها ، سئمنا كل شىء فى عمرنا البسام
آفة العيش أن يكون رتيبا رب فوضى تضم روح النظام

إبراهيم محمد نجا

الكتب

نقد وتعريف : للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ - الفكر الإسلامى الحديث :

للدكتور محمد البهى مدير جامعة الأزهر

هذه هى الطبعة الثالثة لكتاب : الفكر الإسلامى الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربى ، والتى قامت بنشرها مكتبة وهبة بعابدين .

فى قائمة الكتاب يعرض الدكتور تسلل الاستعمار الغربى إلى العالم الإسلامى منذ بداية منتصف القرن التاسع عشر ، كما يعرض نظرة الغرب المستعمر إلى العالم الإسلامى ، ثم يقدم صوراً من وسائل هذا الاستعمار فى إضعاف المسلمين فى إسلامهم ، وأبرز هذه الصور :

* قيام بعض مفكرى المسلمين بحركة تقدمية فى الإسلام لتقرير سلطة المستعمر ...

* قيام بعض مفكرى الغرب بحركة تهدف إلى بعث الخلافات المذهبية فى الإسلام ...

وفى مقابل هاتين الصورتين تبرز صورة ثالثة ، هى حركة المقاومة للاستعمار الغربى .

فى الباب الأول يناقش الدكتور الاتجاه الفكرى الموالى للاستعمار لحمايته ، فيسلط أضواء على حركة « السيد أحمد خان » وحركة « ميرزا غلام أحمد » مؤسس « الحركة القاديانية » وكلتا الحركتين نشأت بالهند ، وكانت بمثابة أداة انجليزية طيعة لخدمة الاستعمار الغربى ، وبموالاته على حساب الفكر الإسلامى .

أما الصورة الأخرى لموالاة الاستعمار ، فتتمثل فى الدراسات الاستشراقية التى تستهدف إضعاف القيم الإسلامية ، وتمجيد القيم الغربية المسيحية ، وفى مقدمتها دراسات المستشرقين الفرنسيين : رينان وكيمون .

وفى الباب الثانى يعرض الدكتور البهى اتجاه مقاومة الاستعمار الغربى ، والمقاومة هنا مزدوجة ، تقوم على النقد النظرى ، والمنهج العملى ، فنرى نقداً لحركتى أحمد خان وميرزا غلام أحمد ، ونقداً الدراسات الاستشراقية ، والناقدون لهذه العناصر من أمثال الأفغانى ومحمد عبده ، وإقبال ، لم يفتهم أن يضعوا منهجاً فكرياً آخر لتقوية المسلمين فى معارضتهم للاستعمار .

وفى الباب الثالث : يناقش الكتاب « التجديد فى الفكر الإسلامى » وكيف اعتبره بعض المتأثرين من المسلمين محاولة لا احتياط

فيها — لمتابعة التفكير الأوربى فى اتجاهه ، وكيف تأثر بعض المجددين فى مصر بالفكر الغربى إلى حد بعيد ، ففكرة بشرية القرآن التى حفلت بها دراسة المستشرق الانجليزى « جب » والتى تعتبر القرآن انطباعا فى نفس محمد ، وتعبيرا عن الحياة التى عاش فيها ، هذه الفكرة تجلت واضحة فى كتاب « الشعر الجاهلى » للدكتور طه حسين ، وفكرة فصل الدين عن الدولة ، والتى بدت واضحة فى كتاب « الإسلام وأصول الحكم » للأستاذ على عبد الرازق ، إنما هى فكرة مستمدة من تفكير الغرب فى فصل الكنيسة عن الدولة دون ما نظر إلى الفرق بين طبيعة المسيحية وطبيعة الإسلام.

وإذا كانت فكرتا « بشرية القرآن وإبعاد الدين عن الدولة » . تمثلان اتجاه الاستشراق الغربى ونفوذه فى تفكير « المجددين » فى تاريخ الفكر الإسلامى ، فإن هناك اتجاها آخر تناول فكرتين أخذتا طابع الرواج فى الشرق الإسلامى ، هما : « خرافة الدين ، والدين مخدر » الأولى وليدة الفكر المادى السابق على ظهور الشيوعية ، والأخرى شعار الشيوعية أو الماركسية ، وهاتان الفكرتان واضحتان بعض الوضوح فى كتابى : « من هنا نبدأ » للأستاذ خالد محمد خالد ، والله والإنسان « للدكتور مصطفى محمود ، والأول فى « فصل الدين والكهانة » تأثر بكتاب الغرب الماديين الاشتراكيين ضد الكنيسة الكاثوليكية ، والأخير تأثر ببعض الفلاسفة الوضعيين ومنهم الفيلسوف الألمانى « فيرباخ » ، أما تسلل الماركسية فى التجديد فى الفكر الإسلامى ، فقد وضح فى الأدب العربى أو أدب ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد اتسعت صفحات الصحف لهذا التسلل وكذلك السلاسل الدورية .

وفى الباب الرابع : يتحدث الكتاب عن الإصلاح الدينى ، فى مجال الإسلام ، وهو تفكير ومنهج ، يقوم على نقد وبناء ، وقد ظهر على مسرح الإصلاح الدينى شخصيتان ، إحداهما عربية مسلمة هى شخصية الإمام محمد عبده ، والأخرى آرية هندية هى شخصية « محمـــد إقبال » أولهما كان يعى من الثقافة الإسلامية بقدر ما كان يعى الآخر من الثقافة الغربية ، وإن كانت محاولة الإمام قريبة من منطق الإسلام ، ومحاولة إقبال قريبة من منطق الفكر الغربى والدافع لإقبال فى الحركة الإصلاحية هو تخلف المسلمين عن المشاركة فى السيطرة على الطبيعة والواقع

وإقبال صاحب تجديد الفكر الدينى فى الإسلام . يعرض المؤلف منهجه كمسلم أولا ، ومفكر غربى فى الصناعة والمنهج ثانيا ، ويلاحظ عليه ملاحظات ، فيما يتعلق بالبحث

والخلود فى النار أو الجنة ، وفى حسن ظنه بدراسات المستشرقين ، وتأثره بالمذهب الوضعى « لأوجست كومت » وإن لم يرض عما فيه من إلحاد .

وفى الباب الأخير « الإسلام غدا » يرى الدكتور أن العالم الإسلامى اليوم يواجه الصليبية والماركسية معا . وأنه قد أصاب الإسلام منهما كما أفاد الإسلام منهما أيضا فى إيقاظ الوعى الإسلامى وإيجاد المحاولات الفكرية الإسلامية الواعية .

وبعد — فالدكتور بهذا الكتاب القيم يزجى للفكر الإسلامى خدمة جليلة والشجاعة الأدبية التى وضحت من خلال هذه الدراسة تعتبر مثلا أعلى لمن يتصدون للكتابة عن الفكر الإسلامى ليدفعوا عنه غوائل العدوان من الصليبية الباغية ، التى لا تمت إلى روح المسيحية الأصيلة بصلة ، ومن الماركسية المادية التى لا تمت إلى العقل بسبب ، والتى لا زال لها أتباع فى الشرق الإسلامى يحترفونها احترافا ، لينالوا الثمن الأدبى والمادى على السواء .

٢ — التفسير البيانى للقرآن :

للدكتورة بنت الشاطىء .

هذا الكتاب الجديد نشرته دار المعارف بالقاهرة للدكتورة بنت الشاطىء ، وهو محاولة جديدة وجدية أيضا ، هى إيجاد تفسير بيانى لكتاب الله عز وجل « حيث ظل التفسير الأدبى له حتى اليوم محصورا فى نطاق مادة التفسير دون أن ينتقل إلى مادة الأدب العربى مع المعلقات والمفضليات والنقائض ، والمقامات والرسائل والأمالى » .

فالأصل فى منهج التفسير كما ترى الدكتورة هو التناول الموضوعى الذى يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، وقد طبق بعض الأساتذة هذا المنهج تطبيقا ناجحا فى موضوعات قرآنية اختاروها فى دراسات لهم .

والدكتورة بنت الشاطىء اختارت لهذه المحاولة بعض السور المكية القصار « الضحى . الانشراح ، الزلزلة ، النازعات ، العاديات ، البلد ، التكاثر » واستطاعت أن تعرض تفسير هذه السور تفسيرا بيانيا ذا قيمة أدبية لها تقديرها ، فهى تناقش أسباب النزول أولا ، وتناقش آراء المفسرين ثانيا ، ثم تبرز فى النهاية نصيب البيان من آيات القرآن .

وهى حين تعرض هذا وذاك تستبعد الآراء التى لا تتفق وذوق القرآن فى إعجازه البيانى ، سواء فى أسباب النزول أو فى أغراض المعانى ، وليس بمستساغ مثلا أن يكون سبب انقطاع الوحى فترة ، هو وجود « كلب » تحت سرير الرسول ، لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو تمثال .

كما عنيت الدكتورة بإحصائيات مقبولة لبعض الألفاظ القرآنية ، فى محيط دراستها هذه السور ، والهدف من ذلك إيجاد وحدة تربط بين معانيها ، وعنيت أيضا بالربط بين السورة والأخرى تارة ، وبين الآيات وما يقابلها أو ما يجانسها تارة أخرى ، لتبرز أيضا الإعجاز البيانى للقرآن .

والمهمة الشاقة التى اضطلعت بها الدكتورة بنت الشاطىء هى مناقشتها لآراء المفسرين القدامى - وهى مهمة ليست باليسيرة ، فالمفسرون مثلا اختلفوا فى تفسير « والنازعات غرقا » ومعظمهم فسر النازعات بشىء معنوى ، إلا الزمخشرى الذى فسرها « بالخيل » والمؤلفة ترى أن السور المفتتحة بواو القسم ، نلحظ أن القرآن يتجه فيها غالبا إلى أن يلفت إلى مادى محسوس وواقع مشهود ، ويجب أن ينطبق على « والنازعات » وأن تفسر بالخيل المغيرة دون تحديد لها بخيل الغزاة كما رأى الزمخشرى وغيره .

والدكتورة فى منهجها هذا ، تطرح جانبا ، الخلافات الشكلية التى زخر بها كثير من كتب المفسرين ، فمدة انقطاع الوحى عن الرسول ، لا تعنينا بالمرة ، وكان من الحشو الذى لا جدوى منه ، أن يقحم هؤلاء المفسرون عقولهم فى تحديد فترة انقطاع الوحى بالأسابيع أو الشهور ، ما دام القرآن سكت عن تحديدها ، وكان الأفضل أن تلتزم أدب القرآن فى هذا . وتعتز المؤلفة بالراغب الأصفهانى الذى اتجه إلى شىء من الاهتمام بتتبع اللفظ ، بينما أهمله معظم المفسرين من القدامى .

والدكتورة بنت الشاطىء اكتفت بعدد قليل من تفاسير المفسرين القدامى ، ولعلها أبرزها ، وتجاهلت بقيتها ، مع أن لهذا الجزء المهمل مذهبه فى التفسير ، واكتفت أيضا من التفسير الحديث بآراء الإمام محمد عبده ، مع أن بعضا من التفاسير ظهر بعد الإمام ، ولعل أبرزها « فى ظلال القرآن » للأستاذ سيد قطب ، وكتابات المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف فى مجلة لواء الإسلام ، وغيرها .

كما أن سيادتها قد جانبها التوفيق فى قليل من آرائها ، فهى فى صفحة ٥٩ تعقب على الزمخشرى فى قوله « ومعنى اصطحاب اليسر والعسر أن الله أراد أن يصيبهم - يعنى المؤمنين - بيسر بعد عسر ... » تعقب بقولها : هو ملحظ دقيق وإن كان التعبير عنه قد خان الزمخشرى فى موضعين : الأول حين قال : يصيبهم بيسر ، واستعمال الإصابة فى مقام البشرى غير مقبول ... » .

وحسبنا أن نذكر سيادتها ببعض من آيات القرآن :

« نصيب برحمتنا من نشاء » يوسف ، « إن تصبك حسنة تسؤهم » التوبة ، « فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون » أى المطر « الروم » « فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه » الخ .

فأنت ترى أن الإصابة تستعمل فى مقام البشرى وضدها .

هذه لمنة لا تمس هذه المحاولة القيمة فنحن فى حاجة إلى أمثالها ، ولعل الدكتورة بعد هذه المحاولة الموفقة تتبعها بمحاولات ، فالقرآن سيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فى مسيس الحاجة إلى إبراز إعجازه البيانى . .

٣ — قضية الألوهية بين الفلسفة والدين :

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

هذا الكتاب الجديد للأستاذ الخطيب والذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة ، دراسة تناولت قضية لها شأنها وخطورتها وأثرها فى سير التفكير فى العالم بأسره .

غاية هذه الدراسة : الدعوة إلى الإيمان بالله ، والوقوف فى جبهة المدافعين عن الدين فى وجه المذاهب الإلحادية .

هذه الدراسة بحق على مستوى رفيع ، جاءت بمثابة جولة عقلية ممتعة مجردة من جفاف الأسلوب وعنت اللفظ ، وقد تناولت « الله » ذاتا وموضوعا ، فناقشت ماهية الدين كصلة روحية بين الإنسان وربه ، وكغريزة ضرورية وحيوية لاستكمال وجود الإنسان ، واستقرار حياته ، كما ناقشت مجالات البحث عن الله ، وحركة العقل فى مواجهة الحقيقة الكبرى ، ومدركاته فيما وراء الطبيعة ، وقصوره فى مواجهة هذه الحقيقة الكبرى . . الله ، وتهافت الفلاسفة فى هذا الصراع الفكرى ، كما ناقشت نظرية وحدة الوجود بين الفلاسفة والمتصوفة ، وموقف الإسلام منها ـ ومعارضته إياها ، وكذلك ناقشت هذه الدراسة ، وحدانية الله وتجسيد الذات وتجريدها ـ حيث لا تجسيد ولا تجريد ، ومفهوم هذه الذات عند الفلاسفة الأقدمين كسقراط وأرسطو وفيثاغورث ـ والمحدثين كبرجسون ووليم جيمس .

وفى الباب الأخير عرض الكاتب الأديب قضية الألوهية فى الإسلام ، تحدث عن المنهج السماوى فى الدعوة إلى الله ، وعن أسلوب القرآن فى الدعوة إلى الله ، وعن مفهوم الإلهية فى شريعة الإسلام ، ومفهوم الذات عند المعتزلة والأشاعرة ، والفلاسفة الإسلاميين : كالغزالى وابن سينا وغيرهما ممن لم يرتضوا أن يكونوا مع المعتزلة أو أن يكونوا مع الأشاعرة ، فاتخذوا لأنفسهم

موقفا خاصا بهم ، أرادوا أن يوفقوا فيه بين مختلف الآراء المتنازعة فى صفات الله عز وجل ، بين نفى وإثبات ، أو فى ذات الله بين تجريد وتجسيد .

الحق - أن الكتاب دراسة عميقة فى أخطر قضية عقلية ، والمجهود الذى بذله المؤلف مجهود واضح فيه الإجهاد الذهنى ، إلا أن عنوان الدراسة « قضية الألوهية » يفهم منه الشمول لا الخصوص ، فالجانب الفلسفى وفاه حقه ، وأما الجانب الدينى فيكاد يكون قاصراً على الإسلام وحده ، دون ما تعرض واضح لهذه القضية فى الأديان السماوية أو الأديان الوضعية . وهى قضية البشرية عامة فوق ظهر البسيطة .

كما أن المؤلف أسهب فى النقل عن فلاسفة الغرب ، وأوجز فى النقل عن فلاسفة المسلمين ، ونصيب التحليل والتعقيب على آراء هؤلاء الفلاسفة جميعا متواضع ، لأن معظمها مؤيد لدراسة الكتاب نفسها ...

والكتاب بعد ذلك جدير بكل تقدير ...

٤ — شاعر العروبة والإسلام :

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى .

نشرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ الجيوشى عن شاعر العروبة والإسلام « أحمد محرم » ، والمؤلف من شباب علماء الأزهر ، وهو مدير الشئون الدينية بالإذاعة ، ومنذ أربع سنوات وهو يتابع البحث عن حياة الشاعر وشعره ، معتمدا أولا على ديوانه المطبوع منه الجزءان الأول والثانى ، ثم على ديوانه المخطوط « مجد الإسلام » ، وقد ألزمته الأمانة العلمية الانتقال إلى بيئة الشاعر ، ولقاء معارفه وذويه والاطلاع على الصحف المعاصرة له ، والتى طالما غذاها بأدبه فى الشعر والنقد معاً .

جاء الكتاب فى بابين : فى الأول تناول أهم وأبرز الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية التى كان لها صدى فى شعر محرم ، كما تناول ترجمة وافية عن الشاعر نفسه ، أما الباب الثانى فتناول فيه شعر محرم ورسالة الشعر فى نظره ، ومصادر شعره ، ثم الموضوعات التقليدية التى سار الشاعر فيها على منوال من سبقه ، ثم الموضوعات التجديدية التى أوحى بها العصر ، وفى الفصل الأخير من هذا الباب ، عقد المؤلف موازنات بين حافظ وشوقى من جهة ، وبين محرم من جهة أخرى ، خاصة فى حقل الوطنية والإسلام .
كما عرض للسمات الفنية لشعر محرم ، وعرض لرأى النقاد فيه ، ومكانته فى الشعر المصرى الحديث .

ثم عقد فى الخاتمة فصلا لخص فيه الدراسة ، الحقائق الجديدة فيها .

يرى المؤلف أن من الأحداث التى أثرت فى الشاعر، الاحتلال البريطانى لمصر، ودعوة الأفغانى إلى الجامعة الإسلامية، ودعوة الإمام عبده إلى الإصلاح الاجتماعى عن طريق الدين، وحركة مصطفى كامل لتحرير البلاد من وصمة الاحتلال الأجنبى، ودعوة قاسم أمين إلى تحرير المرأة، ومقتل بطرس غالى، الذى نتج عنه إهاجة الفتن بين المسلمين والأقباط، فانبرى لها الشاعر يطفىء لهيب الفتنة بشعره، ومن الأحداث كذلك ثورة ١٩١٩ الوطنية، وقضية فلسطين والجامعة العربية والحرب العالمية الثانية.

وأنت ترى هذه الأحداث تكاد تكون محلية إذا استثنينا قضية فلسطين، مع أن هناك أحداثا ضد الوطن الإسلامى عاصرها الشاعر، أبرزها عدوان إيطاليا على ليبيا، وفرنسا على المغرب العربى والشام، وانجلترا على العراق وشرق الأردن، والهندوكية على مسلمى الهند وغير ذلك.

المؤلف ينفرد بهذه الدراسة المستقلة عن شاعر العروبة والإسلام، أحمد محرم، وخفف قليلا من وصمة الجحود لهذا الشاعر الفحل، وكنت أود أن ينال تحليل المؤلف لشعر محرم نصيبا أوفى حتى يتبين بوضوح منهجه ومذهبه الشعرى، كما كنت أود أن لا يفوت المؤلف عقد موازنة واسعة بين ديوانى الشاعر: المطبوع والمخطوط، ليتجلى بوضوح انتقال الشاعر بشعره من مرحلة إلى مرحلة.

والدراسة بعد ذلك مجهود له تقديره والاعتزاز به.

إلى السادة القراء

بهذا العدد ينتهى المجلد الثالث والثلاثون، وبه فهرس أبجدى عام لموضوعاته.

وسيصدر عدد المحرم فى موعده.

بريد المجلة

الجفرى والعرب فى أندونيسيا :

فى أثناء زيارة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ محمود شلتوت لمدن أندونيسيا استقبل بمدينة صولو الأستاذ عبد القادر عبد الله الجفرى وسأله عن أحوال المسلمين والأندونيسيين بوجه عام . وعن شئونهم الدينية والاجتماعية بوجه خاص . ثم طلب منه أن يفصل حديثه فى دراسة شاملة تبين مقدار حظهم من التعليم ومبلغ فهمهم لرسالة الإسلام ، وتكشف عما يعوزهم من الوسائل لبلوغ الغاية المرجوة من فقه الدين وتحصيل العلم وجهادهم فى الحياة .

فقام السيد الجفرى بهذه الدراسة وبعث بها إلى الإدارة الثقافية بالأزهر ، وعن طريق هذه الإدارة جاءت المجلة فنشرتها معتمدة على سعة اطلاع الكاتب وحسن نيته وسمو غرضه ، نشرت من هذه الدراسة الطويلة قسمين فى عددين متتاليين ثم كفت عن نشر الباقى ، لأن القراء فى أندونيسيا نبهونا على أن الكاتب كتب ما كتب متأثرا بعلويته لا بأندونيسيته وكان المفروض فى مثل هذا المقام أن يكون لسان صدق لجميع مواطنيه يعبر عن آمالهم وآمالهم بالكلمة الجامعة والحقيقة الواقعة ، لا أن يتبع غير سبيل المصلحين من إثارة العصبية وإحياء الطائفية . أنكر عليه القراء تعصبه لقومه وتحامله على قوم آخرين . وكان مظهر هذا الإنكار جملة من الردود اخترنا منها ردين أحدهما للأستاذ شوكت البحرى الأستاذ بجامعة شكرو أمينوتو والآخر للأستاذ عمر سليمان ناجى من جاكارتا نشرناهما فى عدد شعبان من هذه المجلة وقدمنا لهما بقولنا :

« وردت إلى المجلة تعقيبات على هذه الدراسة التى كتبها الأستاذ عبد القادر الجفرى . وسنكتفى بنشر كلمتين من هذه الكلمات نرى فيهما غناء . ونرجو أن ينزه كل مسلم لسانه وقلبه عن العصبية البغيضة التى فرقت كلمة المسلمين فى الماضى فإن ديننا الحنيف يقوم على التوحيد والوحدة ، ويدعو إلى الوئام والمحبة ، وليس منا من دعا إلى عصبية » .

وبعد فلعل فى هذا بلاغا لقوم لا يزالون يعيشون فى البيئة الإسلامية بالعقلية الجاهلية فينسبون لأنفسهم ما ليس لهم ، ويرمون

غيرهم بما ليس فيهم ، وينسون أن الإسلام أخوة بين الناس ومساواة بين الأجناس ووحدة بين الشعوب ، وعسى أن تكون فى هذه الكلمة تعزيراً لمن أخطأ ومعذرة لمن غضب) .

هل كانت الأحرف السبعة لضرورة زالت ؟ :

قال الأستاذ محمد زاهد الكوثرى أستاذ علوم القرآن فى معهد التخصص ، الآستانه تواترت الأحاديث فى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، لكن اختلفوا فى تفسيرها إلى نحو أربعين قولا لا تعويل إلا على القليل الأقل منها : وقال الطحاوى فى مشكل الآثار إنما كانت السبعة للناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم موسعا لهم فى اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقا فكانوا كذلك حتى كثر فيهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدروا بذلك على حفظ ألفاظه فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها . ا هـ قال القرطبى : « قال ابن عبد البر : فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت فى وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك . ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد » اهـ » وقد أطال الطحاوى النفس فى (مشكل الآثار ج ٤) فى تمحيص هذا البحث بما لا تجد مثله فى كتاب سواه ومما قاله هناك : إن ذلك توسعة من الله تعالى عليهم لضرورتهم إلى ذلك وحاجتهم إليه وإن كان الذى نزل على النبى صلى الله عليه وسلم إنما نزل بألفاظ واحدة » : فإقامة المرادف مقام اللفظ المنزل كانت لضرورة وقتية نسخت فى عهد المصطفى صلوات الله عليه بالعرضة الأخيرة المشهورة .

عبد الله معروف

تعليق على تعليق :

لم أقل فيما كتبت فى تعليقى على كلمة الأستاذ المرحوم أحمد أمين فى كتابه فجر الإسلام إن معنى قوله تعالى : « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها » الخضوع للشرائع طوعا وكرها كما نسب إلى الأستاذ محمد فخر الدين حتى يرتب على ذلك ما رتب مما قرأه القراء فى العدد السابق وإنما قلت بالنص : إن المؤلف الفاضل لم يذكر الآية بتمامها وهى « أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » وليس فيها بتمامها ما يشعر بإطلاق كلمة الإسلام على الكافرين . كما قال رحمه الله وغفرله وإنما يفهم منها أن التمرد على دين الله نشاز فى النظام العام لا يخرج به المتمرد عن قدرة الله وحكمه لأن مآله إليه . ولأن الله

قادر عليه إن يشأ يذهبه أذهبه وإن يشأ يعذبه عذبه . وإن يشأ يمهله أمهله ثم يحاسبه ويعاقبه يوم يرجع إليه بعد الموت » .

هذا ما قلته . أرجو أن يتأمله الكاتب مرة أخرى. فسيعرف بعد التأمل أن قوله: « وله أسلم من فى السموات والأرض » تشنيع عليهم أن يبتغوا غير الإسلام دينا وإنكار عليهم أن يكونوا بتمردهم على الإسلام نشازاً فى النظام العام ، وهذا القدر يكفى فى معرفة أنهم لم يطلق عليهم كلمة الإسلام ، وحسبنا هذا القدر من الكلام ؟

عبد الرحيم فودة

صلات . . مصرية صومالية

صلات عريقة خالدة تضرب جذورها فى أعماق تاريخنا القديم ... ثم تمتد عبر فترات التاريخ المتعاقبة حيث عاش آباؤنا وأجدادنا هنا وهناك على ظهر الأرض الطيبة من قارة إفريقيا الحبيبة يكدون ويكدحون ويصنعون للدنيا أصول الحضارة .

هنا فى الصومال وهناك على ضفاف النيل الخالد حيث قامت حضارة مصر العريقة ...

ونرجع إلى أغوار التاريخ نستشرف قمة تلك الروابط الأصيلة فنجد (حتشبسوت) الملكة المصرية القديمة فى أزهى عصور تاريخنا القديم تمد يد الأخوة والصداقة إلى أشقائها فى الصومال فترسل بعثة تجارية بحرية تسير عبر البحر الأحمر إلى الخليج ثم تلقى مراسيها عند أول ميناء صومالى فى « بوصاصو » ...

ويخرج حاكم الصومال فى ذلك الوقت مع زوجته وحاشيته لمقابلة تلك البعثة المصرية ، ويتقبل الهدايا التى حملتها السفينة الكبيرة وقلوب الجميع تخفق بالود والإخلاص ... ثم يكرم الوفد ويحييه ... وتمتلىء المراكب بالعطور والبخور والتحف وتعود أدراجها فى أمان وسلام ويكون ذلك الغرس أول بذور الود والإخلاص والصداقة التى تنمو مع الأيام ، وتسجل الملكة تلك الرحلة الخالدة على جدران (معبد الدير البحرى) حيث تظل مكتوبة إلى الآن تقرؤها الأجيال ويذكرها الأبناء والأحفاد ، ويفخر كل مصرى وصومالى بذلك اليوم المجيد :

يوم أن كانت وفود حرة
تعبر الشاطىء فى عز وجاه
فتنادى ها هنا إخوتنا
ها هنا أبناء إفريقيا الحماه
فليبع التاريخ ودا خالداً
لبنى الصومال والنيل الأباه

ثم يبزغ فجر الإسلام الحنيف ، وينتشر نوره فى الآفاق هنا وهناك وتصبح العقيدة المقدسة رباطا وثيقا طاهرا يشد القلوب ، ويجمع الأفئدة ويوحد الأهداف .

رباط شده الله بإخلاص وإيمان .

وتزدهر الصداقة المصرية الصومالية مع ازدهار الإسلام فى مصر والصومال معا وتقوى معها الروابط التجارية والوطنية وتجد المصنوعات المصرية فى الصومال سوقا رائجة ...

يقول المؤرخ الإسلامى الرحالة ابن بطوطة : إنه لما نزل الصومال أنعم سلطانها عليه بكسوة تشريفة — وهى فوطة من الحرير يلفها على وسطه وذراعه وهى من صنع مصر وأنعم عليه بعمامة مصرية أيضاً وقال له باللسان العربى : « قدمت خير مقدم ، وشرفت بلادنا » ...

ويقول الرحالة أيضاً : إنه رأى فى الصومال تجارة واسعة وتجارا أمناء وإن التجارة المصرية رائجة وإنهم يعتزون بما يرد إليهم من المصنوعات المصرية ...

القضاء فى أندونيسيا :

أندونيسيا دولة آسيوية — تقع فى الشرق الأقصى — تحررت من الاستعمار الهولاندى بعد كفاح طويل ، وهى الآن تعتنق سياسة الحياد الإيجابى ، وأندونيسيا هذه تتكون من ثلاثة آلاف جزيرة تقريبا لكل منها عاداتها وتقاليدها ولغتها الخاصة ، ففى أندونيسيا خمسة وعشرون لغة تقريبا ومائتان وخمسون لهجة ولكن الآن تجمعها لغة واحدة هى لغة أندونيسيا — وهى اللغة الرسمية للبلاد ، ويربطها رباط واحد وهو الإسلام فسكان أندونيسيا تسعون مليونا تقريبا ، تسعون فى المائة منهم مسلمون وخمسة فى المائة ديانات مختلفة والخمسة الباقية لادين لهم .

وعلى الرغم من كل ذلك فالقضاء فى أندونيسيا قسمان : قضاء شرعى ، وآخر مدنى أما القضاء الشرعى فهو يتمثل فى المحاكم الشرعية المنتشرة فى المدن وقليل من المحاكم الشرعية العليا وهو يختص بالفصل فى شئون الزواج والطلاق والميراث والنفقة والحضانة .

وليست لهذا القضاء سلطة تنفيذية ؛ ولكن إذا رفض أحد المتخاصمين تنفيذ الحكم يرفعه المتخاصم الآخر إلى المحكمة المدنية لتقوم بالموافقة على الحكم السابق أو تغييره ثم تنفيذه .

وبالقرى والمدن أيضا موظف حكومى مهمته توثيق عقود الزواج ، والصلح بين الزوجين المتخاصمين فإن لم يمكن فيقوم بعملية فسخ العقد عند الطلاق — لأن الطلاق لا يتم بدونه — وإذا رفضت الزوجة الطلاق لسبب من الأسباب كأن يكون لها على زوجها بعض المال أو غير ذلك فلها أن ترفع الأمر إلى المحكمة الشرعية لتفصل فى الموضوع .

وهناك عادة غريبة وهى أن الرجل إذا طلق

زوجته يصبح لها الحق فى أخذ نصف المال أو العقار الذى جمعاه بعد الزواج ـ ولو كان هذا المال اكتسبه الرجل وحده ـ وكذلك إذا مات أحد الزوجين فللآخر نصف ما جمع أثناء فترة الزواج والنصف الآخر يقسم تقسيما شرعيا . أما المال المملوك قبل الزواج فليس لأحد الزوجين أخذ نصفه عند الطلاق أو الوفاة .

كما يوجد أمر غريب آخر : وهو : أنه لو حدث أن تزوجت مسلمة ـ وهذا نادر ـ من غير مسلم فإن القضاء الشرعى لا يملك التدخل وكذلك القضاء المدنى لا يتدخل حيث إن الدستور لم ينص على علاج تلك المشكلة . كما أنه لم ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام .

بقى أن تعرف ـ أيها القارئ الكريم ـ أن القضاء الشرعى يتبع وزارة الشئون الدينية .

أما القضاء المدنى فإنه يتبع وزارة العدل وهو يختص بشئون الحياة الأخرى التى لم يتناولها القضاء الشرعى ، وهذا القضاء متأثر لحد بعيد بالقضاء الهولندى وبعض القوانين الفرنسية والانجليزية والرومانية كما أنه يقتبس قليلا من القوانين الإسلامية ولهذا فكليات الحقوق بأندونيسيا تدرس بعض أبواب الفقه الإسلامى كالميراث والزواج والطلاق والنفقة وغير ذلك كما أنها تدرس التاريخ الإسلامى باختصار أيضا .

هذه خلاصة موجزة عن القضاء فى أندونيسيا الشقيقة الحبيبة المسلمة المكافحة .

محمود جاد عطارى

مراسل مجلة الأزهر بأندونيسيا

تصويب :

كتب لنا الأستاذ إسماعيل عبد الحميد برغوث مراقب معهد شبين الكوم أنه وقع خطآن فى مقال الأستاذ محمود الشرقاوى : « ربكم أعلم بما فى نفوسكم » المنشور فى عدد رمضان الأخير من المجلة .

والخطأ المطبعى وقع فى آيتين كريمتين نعيد تصحيحهما فيما يلى :

١ ـ « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » .

٢ ـ « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » .

قراءة القرآن من أواسط السور :

فى تعقيب على مقالى : « قراءة القرآن من أواسط سوره » ، نشرت مجلة الأزهر رأيين :

الأول لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد اللطيف السبكى مؤداه أن فى قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك » ما يغنينا فى الاستدلال

على البداءة بالبسملة عن التماس ذلك فى حديث « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أقطع » ، ومن ثم لا داعى للبحث عما فى الحديث من ضعف وصحة ورفع وإرسال .

وفى الآية أيضاً غناء عن الاستناد إلى قواعد أصولية مذهبية لا إجماعية فى تقرير الاستدلال بآية « وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » ورد على هذا أنه لم ترو عن الرسول صلى الله عليه وسلم رواية واحدة تدل على أنه بسمل مرة واحدة حين قرأ القرآن من أواسطه وهذا محل إجماع بين القراء ، كما أن الآراء فى تفسير الآية التى استند إليها فضيلته فى تقرير البسملة فى أواسط السور كثيرة ، والوجه الذى اعتمده فى فهم الآية لبعض المفسرين عورض بأوجه كثيرة لمفسرين آخرين ، فضلا عن اصطدام هذا الوجه بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم

أما التعقيب الآخر فهو للأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم ، ويعتمد فيه السيد المعقب وراء ما تقدم من الاستدلال بالآية السابقة على معارضة القاعدة الأصولية التى أوردتها بقاعدة أصولية أخرى : وهى « أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال»

ولو سلمت له هذه المعارضة ، واجهته بدليل آخر وهو فعل الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا يسوغ بعده قياس مخالف أو رأى مضاد ، فلنترسم طريقته صلى الله عليه وسلم فى القراءة من أواسط السور باعتباره المبين لما أجمله القرآن والموضح لما أشكل من أمره ، وكتب القراء على اختلافها وتباين أفهامها تقرر ما أقول وتؤكد أن ذلك لم يثبت رواية والسبب الأول والأخير لهذا إنما هو اليمن والبركة ، والأصل بقاء المعدوم على عدمه حتى تقوم البينة بإثبات جديد . أما ردى على ما أورده السيد المعترض من قصة سليمان عليه السلام فهو أنى لا أعارض فى بدء الأعمال أى أعمال بالبسملة ؛ ولكنى هنا بصدد تخطيط قرآنى محدد لطريقة قراءة القرآن . وبعد :

فإن الفكرة فى ذاتها قديمة وهى فى الوقت نفسه حية ماثلة فى أعراف أهل نجد والصومال وغيرهم كثيرا وأختم هذه المناقشة بأن الخير كل الخير فى ترسم أعمال الرسول وأقواله ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

محمد محمد الشرقاوى

المدرس بمعهد الإسكندرية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق — عبد الرحيم فوده

تعالوا أيها الاشتراكيون ، فاعرفوا نبيكم الأعظم

... وجاء (صلى الله عليه وسلم) من سفر فدخل على ابنته فاطمة رضى الله عنها ، فرأى على بابها ستراً . وفى يديها قلبين من فضة ، فرجع : فدخل عليها أبو رافع وهى تبكى ، فأخبرته برجوع أبيها ، فسأله فى ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : من أجل الستر والسوارين.

فلما أخبرها أبو رافع هتكت الستر ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت : قد تصدقت به ، فضعه حيث ترى . فقال لبلال : اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة . فباع القلبين بدرهمين ونصف (نحو ثلاثة عشر قرشا) وتصدق بها عليهم .

يا بنت النبى العظيم . ! وأنت أيضاً لا يرضى لك أبوك حلية بدرهمين ونصف وإن فى المسلمين فقراء لا يملكون مثلها ... ؟

أى رجل شعبى على الأرض كمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيه للأمة كلها غريزة الأب ، وفيه على كل أحواله اليقين الذى لا يتحول ، وفيه الطبيعة التامة التى يكون بها الحقيقى هو الحقيقى . . !

يا بنت النبى العظيم . . ! إن زينة بدرهمين ونصف ، لا تكون زينة فى رأى الحق إذا أمكن أن تكون صدقة بدرهمين ونصف ، إن فيها حينئذ معنى غير معناها : فيها حق النفس غالبا على حق الجماعة ؛ وفيها الإيمان بالمنفعة حاكما على الإيمان بالخير ، وفيها ما ليس بضرورى قد جار على ما هو الضرورى ؛ وفيها خطأ من الكمال إن صح فى حساب الحلال والحرام لم يصح فى حساب الثواب والرحمة .

تعالوا أيها الاشتراكيون فاعرفوا نبيكم الأعظم ؛ إن مذهبكم ما لم تحيه فضائل الإسلام وشرائعه — إن مذهبكم لكالشجرة الذابلة تعلقون عليها الأثمار تشدونها بالخيط ... كل يوم تحلون ، وكل يوم تربطون ، ولا ثمرة فى الطبيعة . .

مصطفى صادق الرافعى

من كتاب وحى القلم

إيضاح :

(١) القلب بضم القاف سوار من الفضة غير ملوى هو الذى يقال له اليوم : الغويشة . وهو خفيف .

(٢) أهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه .

قاعدة نظام الحكم

كانت القاعدة الأساسية التى أقام أبو بكر وعمر عليها نظام حكمهما هى أن يسيرا سيرة النبى فى المسلمين ما وجدا إلى ذلك سبيلا ، وسيرة النبى فى المسلمين معروفة إلى أبعد حد ممكن ، وكان قوام هذه السيرة تحقيق العدل الخالص المطلق بين الناس ، وما نحتاج فيما نظن أن نقيم على ذلك دليلا ، وحسبنا أن نذكر من لا يذكر أن الإسلام إنما جاء قبل كل شىء بقضيتين اثنتين : أولاهما التوحيد ، وثانيتهما المساواة بين الناس ، والله عز وجل يقول : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . وكان أغيظ ما غاظ قريشا من النبى ودعوته أنه كان يدعو إلى هذا العدل وإلى هذه المساواة ولم يكن يفرق بين السيد والمسود ، ولا بين الحر والعبد ، ولا بين القوى والضعيف ، ولا بين الغنى والفقير ، وإنما كان يدعو إلى أن يكون الناس جميعا سواء كأسنان المشط ، لا يمتاز بعضهم عن بعض ، ولا يستعلى بعضهم على بعض . وقد يقال : إنه لم يلغ الرق ولم يمنع الناس من أن يملك بعضهم بعضا ، ولكن الذين يفقهون الإسلام ويعرفونه حق معرفته لا ينكرون أن هذه الخطوة الهائلة التى خطاها الإسلام حين سوى بين الحر والعبد أمام الله كانت وحدها حدثا خطيرا فى تاريخ الناس ، وحدثا خطيرا له ما بعده لو مضت أمور المسلمين على وجهها ولم يعترضها ما اعترضها من الفتن والمحن والخطوب فالله فرض الصلاة على الأحرار والرقيق ، كما فرض عليهم الصوم . وكما فرض عليهم أن يخلصوا قلوبهم له ، والله قد عصم دماء أولئك وهؤلاء على السواء ، والله قد شرع دينه واحدا لأولئك وهؤلاء ، لم يشرع بعضه للأحرار وبعضه للعبيد ، وهذا وحده خليق لو مضت الأمور على وجهها أن يمحو الرق محوا ويحرمه تحريما ، فكيف وقد جعل الله فك الرقبة وإعتاق الرقيق من الأمور التى يتنافس فيها المسلمون يدخرون بها الأجر من الله والمثوبة عنده ، وكيف والله قد فتح فى الدين أبوابا كثيرة لا يكاد يلجها الرقيق حتى يعتق ، والله قد مد فى أسباب الإعتاق والتحرير لمن شاء أن يتصل بها ، فجعل الإعتاق كفارة لبعض الخطايا ، ولم يدع وسيلة تيسر الإعتاق وتغرى به وتعين عليه وتفرضه على الناس فرضا إلا دعا إليها ورغب فيها وشرعها للمسلمين .

وقد سخطت قريش أشد السخط وأعنفه

على النبي لما أظهر من ذلك ، حتى لا كاد أعتقد أنه لو قد دعاها إلى التوحيد دون أن يعرض النظام الاجتماعي والاقتصادي ، ودون أن يسوى بين الحر والعبد وبين الغني والفقير وبين القوى والضعيف ، ودون أن يلغي ما ألغي من الربا ، ودون أن يأخذ من الأغنياء ليرد على الفقراء — أقول لو قد دعاهم النبي إلى التوحيد وحده دون أن يمس نظامهم الاجتماعي والاقتصادي لأجابته كثرتهم في غير مشقة ولا جهد ، فما كانت قريش مؤمنة بأوثانها إيمانا خالصا ، ولا كانت قريش حريصة على آلهتها حرصا صادقا ، وما كانت قريش إلا شاكة ساخرة ، تتخذ الأوثان وسيلة لا غاية ، وسيلة إلى استهواء العرب واستغلالها ، أو لأجابه من قريش من أجاب ، وامتنع عليه منها ما امتنع ، دون أن يلقى في ذلك مشقة أو عنتا ، إلا أن يكون حرص قريش على آلهتها نتيجة حرصها على مكانتها من العرب وانتفاعها بما كان يجلب إليها من الثمرات ، ومهما يكن من شيء فقد سخطت قريش على النبي لأنه عرض لنظامها الاجتماعي وفرض عليها نوعا من العدل لا يلائم منافع ساداتها وكبرائها أكثر مما سخطت عليه لأنه عاب آلهتها ودعاها إلى أن تلغي الوساطة بينها وبين الله .

الدكتور طه حسين

من كتاب الفتنة الكبرى وعثمان

تعليق :

لم يهدر الإسلام مكانة « البيت » الذي كان العرب يحجون إليه وكانت قريش تنتفع بما يجبى إليه من ثمرات بل لقد أعلى الإسلام مكانته وجعله « قياما للناس » لا للعرب وحدهم . ولم يكن حرص قريش على مكانتها من العرب هو السبب الأكبر فيما كانت تبديه من سخط على النبي . فقد كان النبي من قريش ثم كان الأئمة من قريش ، وإن لم نجد في القرآن ولا في حديث النبي عليه الصلاة والسلام ما يدل دلالة قاطعة على ضرورة أن تكون الإمامة في قريش ، ولم يكن الإسلام قد اكتمل نزوله حتى يفسر سخط قريش عليه بأنه كان لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرض لنظامها الاجتماعي وفرض عليها نوعا من العدل لا يلائم منافع سادتها وكبرائها ، إنما كان سبب سخطها لذلك ولكثير من الأسباب غير ذلك كما يفهم من قول وفدها لأبي طالب :

« يا أبا طالب . إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا . وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا . فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلاف فنكفيكه » . وكما يفهم من قول جعفر ابن أبي طالب للنجاشي :

« أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية . نعبد

الأصنام . ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش . ونقطع الأرحام . ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات » ... إلخ .

فالظاهر من هذه النصوص أن الإسلام كان ثورة عامة على كل ما كان عليه العرب من عرف فاسد جامد ، وفساد فى العقل والشعور والضمير والسلوك ، وأنه كذلك كان ثورة على الوضع الاقتصادى والاجتماعى الذى كان قائماً على الظلم والإثم والعدوان بل كان ثورة عالمية على الذين يعبدون الأصنام والأوثان من العرب ، والذين يعبدون النار من المجوس ، والذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، والذين يعبدون الكواكب والجن والملائكة من أولئك وهؤلاء وغير أولئك وهؤلاء . ، وقد وجه الإسلام بكل هذه القوى فصبر وانتصر ، وكأنما كان صلى الله عليه وسلم يشعر بهذه القوى ويسخر منها ويتحداها حتى أجاب عمه أبا طالب بهذه الكلمات وهو فرد أعزل لا يملك غير إيمانه بدعونه : « ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

ولا غبار بعد ذلك على كل ما قاله الدكتور فى هذا الفصل الرائع الممتع من كتاب « عثمان » .

إباء شاعر :

كان « محرم » يتحرق غيظا من زمانه الذى تأخر به عن أقرانه ، ووقف به دونهم ، وربما فاقهم فى الطاقة الشعرية . وسبقهم فى محراب الفن .

وسارت الحياة بمحرم سيرة قلقة مجحفة ، فلم تلن قناته ، ولم يتخل عن مثله ، أو يتنكر لمبادئه ، بل ظل وفيا لها . حفيظاً عليها حتى لقى ربه .

وكثيراً ما كان هذا الإباء وعلو النفس سبباً فى حرمانه من خير كثير كان يستحقه بماله من مكانة أدبية وقدم راسخة فى فقه العربية وآدابها ، فقد حدثنى ابنه سليمان محرم ، أن اتجهت النية فى العقد الرابع من هذا القرن إلى الانتفاع بمواهب محرم فى المجمع اللغوى ، وسار الأمر فى طريقه الطبيعى ، وكان فى حاجة إلى توقيع من رئيس الحكومة ـ وكانت حكومة ... إذ ذاك ـ فتأخر القرار

عن موعده كثيراً ، ولما ذهب ابنه يستطلع الخبر ، ويقف على سبب هذا التأخير ، - وكان يومئذ طالباً بكلية الآداب بجامعة - القاهرة - أخبره وزير المعارف أن اعتماد القرار متوقف على التوقيع ، وأن أبياتاً معدودة من الشعر يهنئها الشاعر ، ويطرى فيها الحكومة كفيلة باعتماد القرار على الفور ، فذهب الطالب إلى أبيه فى دمنهور ، وخيال النعمة ورياح الاستقرار تطوف على أحلامه ، وحاول أن يظفر من أبيه بهذه الأبيات المنشودة فكان جوابه ابتسامة مشفقة ساخرة ، وربت الوالد على كتف الابن المشوق إلى برد الراحة من عناء الحياة ومشقاتها وقال : محال أن يكون هذا يا بنى .

ومن هذا القبيل فى حياة الشاعر ، أن حاول بعض رجال الأحزاب استغلال شاعريته ، ورأوا أن ينتزعوا منه بعض الأبيات يحيي بها زعيمهم الذى اعتزم زيارة مدينة دمنهور فأبى عليهم ذلك ، فأغروه بالمال - وهو الفقير - ولوحوا له بالذهب - وهو المعدم - وجعلوا له على كل بيت ينشده « جنيهاً » أملا منهم أن يسيل لعابه . ويزله المال عن كبريائه ، ويفارق عناده ، فرفض فى اعتزاز وشمم ، وقال قولة مشهورة حينما أكثروا عليه . تعبر عن روح الشاعر الذى لا يهتف بالشعر إلا استجابة لإحساسه ووجدانه (يأبى على الشعر ولا يطاوعنى) ،

وما كاد الحفل ينتهى ، وينفض سامره ، حتى خرجت الصحف فى اليوم التالى وفى إحداها قصيدة لمحرم يسخر فيها من المحتفين وأساليبهم سماها : (الموكب الذائب فى دمنهور) ومطلعها :

ها هنا الأعلام كانت تنصب
ها هنا بالأمس كان الملعب

من كتاب شاعر العروبة والإسلام
« أحمد محرم »
للأستاذ
محمد إبراهيم الجيوشي

عرق نزعه :

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه أعرابى فقال : يا رسول الله . إن امرأتى ولدت غلاما أسود . فقال : هل لك من إبل . . ؟ قال نعم . قال : ما ألوانها . . ؟ قال : حمر قال أفيها أورق . . ؟ قال : نعم . قال : فأنى ذلك . . ؟ قال : أراه عرق نزعه . قال فلعل ابنك هذا نزعه العرق .

قال صاحب الإصابة : وقد قدم بعد ذلك عجائز من عجل - قبيلة المرأة - فشهدن بأنه كان للمرأة جدة سوداء .

من كتاب المرأة العربية
للأستاذ المرحوم
عبد الله عفيفى

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد الثالث والثلاثين

(ب)

سقط فى طباعة بعض أعداد المجلة التى صدرت للقراء الإشارة إلى أنه استؤنس فى تقسيمات الفقرات ٤ ، ٥ ، ٦ من هذا الموضوع بما جاء فى كتاب (اشتراكية الإسلام) للدكتور مصطفى السباعى من ص ١٩١ — ٢٣٤ طبع الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦١ الحلقة ١٠٨ من سلسلة اخترنا لك .

وجدت هذه القصاصة في الصفحة ٩١٣

THE NATIONAL POWR

HOW TO BE MOBILSIZED TOWARDS THE ATTAINMENT OF ARAB SOCIALISM

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

chancellor of Al-Azhar University

— 2 —

corrupted condition of the past. They were able to raise their belief to be above the level of the happenings — without being involved in its direction or by its impression — and this will enable them to observe the happenings and to put plans to face them, then to turn them to the side of welfare, to restore the social equilibrium or to realize the arabic Socialism.

Leaders, mostly, are those who naturally elected, in the atmosphere which has its effect on some people and has no effect on the others.

The work which should be done now is to prepare an intellectual and spiritual atmosphere for directing the specific national towards the arabic socialism.

In fact, I do not believe neither in what so called in west " Democrotic " nor in its way. West had illustrated it as the true and the correct system, inspite of the fact that a little number of the individuls direct and take care of the affairs of the selection, they control and tur n it to right side or to the left one, according to their will. So, in my openion, the european coun'ries have no freedom or abstract policy from the external Infleuce, and consequenty, they turn in the sycle of subordination as that their production is of no human services, Therefore, the people of these countries cannot be at all discribed as human sobieties. because they permanently involved in a friction, cold and hot war. These features denote that the human values have a little share among these societies. In these countries, the authority is given to those who have wealth, and not to those who have human values. If there is freedom in these societies, it will be nothing but selfistness. But as a matter of fact, the human civilization is the consequence of the human relations which aro based on peace, security, fraternity and co-operation.

either repeated or obsecure. This was because he studied in the second stage the same that he studied in the first one, in spite of the fact that his thinking is growing as any other human being.

But indeed, the reorganization of Al-Azhar gives the society complete opportunities in order to get a strong scientific and educational studies which can steadily face all the various differentiations, as it will surely give a permanent shelter to those who receive its studies.

Really, it is a new law for a new life with a new organization. Its results will surely be to bear the pure heritage and restore the advantage of the islamic values in their heydays.

Praise be to God for the advent of the revolution and its leader, and we beseech Him to support Al-Azhar in order to perform its duty towards the Islamic message and its principles.

United Arab Republic is as similar as any other student who comes as a delegate student from both Asian and African countries.

The university of Al-Azhar — according to the new law — has become the holder of the higher studies in all the islamic and the arabic fields, and also in all the different aspects of the human knowledge under various names of colleges. The new law also imposed itself on the azharite institutes in its three stages to, strongly and clearly, prepare the students for such standard of studies. Hence, the graduates of these institutes and then of the university of Al-Azhar, will have a clear knowledge and a pure belief in Islam and its message. The new law also imposed on the Academy of the islamic researches. in its different aspects, whether by means of reviving haritage, writing books and essays, translation, publishing reseaches, sending missions of the learned men to abroad or receiving delegates students to receive education in both islamic and arabic studies.

These are the three united organizations which aim at one objective. This objective is the revival of the islamic values, calling to them, guiding people according to their teachings and declaring them in a modern style. Therefore, the society will be benefitted by the guidance of Al-Azhar which leads it to be a human one in it's aims, in the relation between the individuals, in carrying out their duties and understanding their rights. Doing that, our society will be a strong and a united one which works hard to fulfill its supreme goals and removes the causes of weakness, such as : Selfishness of the souls, illness of the bodies, stupidity of the minds and emptiness of the hearts from the belief in God.

Surely, what had happened — before the reorganization of Al-Azhar- was only as a painting for a weak building which could not face the various differentiation, or at least to protect those who get shelter through it. It was not more than a kind of keeping certain style or ways of research and studies, and keeping certain books with a specific way for the mental arguments, and a certain direction in selecting problems and clearing how to solve them. These books were nothing but repeated pictures to each other. The stages of education which student spends a long time of his life to pass them were nothing but repeated stages as it was the state of the books since they were similar to each other. Consequently the knowledge of the student of Al-Azhar was

duty in this concern, is to call people to that society. And our laxness in perfo·ming that duty will be considered as a laxness in performing our duty towards preaching the islamic message itself.

The Re-organization of Al-Azhar :

Because the leadership of the to revolutionarv society conceives the importance of Al-Azhar in calling that revolutionary and socialist society; it promulgated the law No, 103 o 1961, concerning the re-organization of Al-Azhar. This was to enable it to perform perfectly its message and to revive the islamic values on which stands the society. The aim of the re-organization of Al-Azhar is to perepare its graduates, and scholars to have a full understanding for Islam and its message, and also to be of powerful ways in preaching that message and guiding the society. On the other hand, its purpose is to restore the heydays of the islamic message and the position of the preacher at the time of the prophet. The preacher who fully understands his message, lives for the sake of the call and who does not use it as a mean to earn his living. Its aim also is to remove the separateness and the loneliness which were caused by the stagnation of the past relations between Al-Azhar and the society. Consequently, the society misundertood the message of Al-Azhar and its scholars who also misunderstood the society, and this by turn led to the creation of the sectarianism which was followed by the fanaticism and this also led man to turn the back upon the other people.

Thence, the new law of Al-Azhar contains the establishment of new scientific and practical colleges beside the theoretical ones which should be applied solely to the arabic and the islamic studies, in order to realize the objectives that we previously mentioned. Such colleges will be established to enable the students of Al-Azhar to have more studies — besides that which they accustomed to receive at Al-Azhar — in order to help them to penetrate the different fields of which they cannot do by means of preaching and sermons alone. Getting throug that, the student of Al-Azhar will he an active member of the society who produces scientific and practical services, while in the same time, he will be a preacher and caller to truth and the islamic value by means of his character, behaviour, deeds and talking. In this connection, the student of the

moment, by means of misusing fortune which surely leads to slavery or to the social injustice which is represented by the prevalent needs of the majority of people. But how socialism can be realized ? It will be realized, if the production of the individual becomes — in its value — more than what he charges as a recompense for it.

As a matter of fact, the professional people, whether they work in the educational, medical, engineering or industrial fields, will not be true socialists; unless they produce a free human services to those who badly need them. The renters, workers and farmers will not be true socialists; unless they save some of their production to cover the needs of the other individuals who lack the technical experiences in the industrial and the agricultual fields. Hence, the needy people can use the excessive production to cover their needs, and it can be said that the community gives the individuals. And also every person who has the ability to work will give the spare goods which he produces to the others, so we can say that the individual gives the community. Consequently, if the aim of the socialism is to realize equilibrium in the society and covers the needs of the needy people" Surely the society will be a co-operative and united one.

Our socialist society is a human one :

The aim of the socialist society is to realize a human society which looks after the human values and utilizes them in its practical life. If the society is not an Islamic one; it will be at least a human society which revives the picture that Islam has called people to it since its advent, such as : to liberate the slaves, to remove the social injustice and to restore the human consideration to those who were deprived of it by means of misusing fortune and properties.

Our socialist society is an Islamic one :

If the socialism of our society is an arabic one which based on religion and considered Islam as the source of the human values; it will be indeed an Islamic one.

The attitude of Al-Azhar :

The attitude of the Azharite people towards the mobilization of the national power, in order to realize the aims of the arabic socialist society, is surely the attitude of those who recall the islamic values and their advantage in the human life to the memories of the people. Our

reconciled (to truth); for those in bondage and in debt; in the cause of God; and for the wayfarer." [S. The Repentance, V. 60.], its purpose was to pave the way to the human consideration for those who were deprived of it, by means of anther factor beyond the humanity itself, such as : misusing fortune in order to enslave the human kind, and monopolizing money which led to the slavery and wide-spread poverty. Consequently, the misusing of fortune led to the humiliation of the slaves and the poor people. So, when Islam calls to manumission, it intends to restore the slaves humanism. And when it calls to alms giving, it intends to restore the poor consideration after the humility of neediness.

Verily, Islam ordains fasting, prayer and pilgrimage to create readiness and abilities in the hearts of the Muslim people, in order to achieve gladly its teachings and principles, especially with regard to manumission, alms giving and modification with the other people in a mutual understanding and co-operation to realize the good and remove the harm. In fact, the Islamic treatments are the fields of the mutual feelings in their relations with each other.

In this concern, we can say that ordaining these worships — though it seems in a coercitive way — leads at the end to a human meaning which urges one to do an active work needless to any external observance. Consequently, the obligation of worship in Islam differs from that of the modern legislative laws. As a matter of fact, these laws mostly deals with the external surface of the human life without going deeper into the individual's soul. But gradually the human souls accept them and carry them out too.

The new society is a socialist one :

Since July 23rd, 1962, the revolutionary society has described itself as a socialist one. It also used the term " Socialism " to be going with the terms which are used by the thinkers in our present time. But is the describtion of " The socialist society " changes it from being a revolutionary society which was existed to restor the human consideration, especially for those who were deprived of it ?

Really, the socialism, by which this revolutionary society called itself, can be explained as follows : " One is for all, and all are for one " or in other words, solidarity and unity in order to prevent the demolition of the human consideration at any

for the benefits of the wealthy people. The Revolution did not arise to prevent the individuals to own, to express their ideas freely or to impose on them a certain belief, but it stood for organizing their freedom, to direct them towards the common welfare and to prevent them to gain an illegal fortune or to suppress the openions of the others, in order to force them to follow a certain policy which will be against the interest of the society.

Further more, it did not stand to bless the sectarianissn and the partiality of the people into classes, or to confirm the separation among the people; but it stood for removing that partiality and sectarianism, and to realize the attainment of equality according to work and ability.

Lastly, this Revolution only arose to restore the consideration to those who lost it, or those who were prevented from it. It did not happen to realize equality among people in properties, the power of production or opportunities of work because they are out of the human capacity and against the nature of man. And though the individuals of the society may be nearer in their views of life or in their tenacity and co-operation for realizing aims and purposes of their society; they surely differ in understanding and mentality, in determination and activity, in comprehension and impressionability, in hope and expectation and also differ in abilities and energy which help them to perform their duties. Thence, the stages—through which they pass in order to realize their aim — are different, and the results which they acquire are also different according to the kind and the easiness or the difficulty of the individual's striving. Consequently, it is rarely to find similarity in the human struggle in its various stages and kinds.

So, the aim for which arose the egyptian revolution at July 23, 1952; is actually the equality in the human consideration and values, not equality in what the human beings gain by means of their personal qualities and abilities.

If we come back to the previous Islamic society and the Islamic message too, we will find that its aim was to realize and keep the consideration of the individuals. So, when Islam called for manumission " And what will explain to thee the path that is steep. (it is) freeing the bondman. " (S. The city, Vs. 12 — 13.) and when it superimposed alms giving " Alms are for the poor and needy, and those employed to administer the (funds); for those whose hearts have been (recently)

aspects of the islamic society: When it calls to Islam, when it stands upon the examples of the islamic message, when it strives hard to realize these examples and when it revives the principles of Islam and the human values. Surely, the Message of Al-Azhar is the message of the human values. It is the message of Islam which clarifies these values and calls people to put them into practice whether in one's belief, thought or behaviour. The Azharite man is only a caller and a preacher makes his utmost to clarify the Islamic values, whether by means of saying or by action.

As a matter of fact, Al-Azhar is nothing but a pioneer and a guide of the society to realize its objectives which will be very useful to the while, if it has a full understanding for its message. But if Al-Azhar grows weak in preaching these values, it will be a dangerous guide for the society and also for the values.

The Part of Al-Azhar in our new society :

The first question which we should now ask is: What is the socialist society? Is it differs from the diviated one which is wanted to be revived and be become a human one?

In order to have a clear answer to these questions, we should review the history of the Egyptian revolution, since its brith up till now, to know its objectives.

Actually, the Revolution of 23rd July 1952, had arisen for nothing, but to remove the corruption and the deviations: disruption of tyranny, and obliquity of richness, capitalism and the political parties which aimed at realizing only the personal needs of their members, and which neglected the benefits of the society as a whole.

Moreover, the Revolution stood up against the despotism of royalty and the arbitrariness of capitalism in misleading the governing policy, and misusing the authorities in order to gain richness on the account of the majority of people. It aimed at the liberation of the egyptian society from the hindrances and the obstacles which prevented people to be equal to each other, and which prevented them to enjoy the fruits of their struggle.

Surely, the Revolution did not only stand to remove the royalty and to put it in the bands of the state and the society; but also to prevent it from being a mean of despotism and tyranny, or to become a mean of domination which leads

in the different ages and places and who were supported and helped by the believers and suffered from the obstinates. Of course they are well known stories and they still preach and give sermons to every one. Moreover, Islam did not neglect to use the happenings, which took place in the heydays of Islam, to confirm the advantage of belief in God and human values and utilizing them in the practical affairs of life. In this respect, the holy Qur'an says about Badr campaign and its result " God had helped you at Badr, when ye were a contemptible little force; then fear God; thus may ye show your gratitude. " (S. The Family of Imran, V. 123,), and about " Al-Ahzab" parties campaign and its results " And God turned back the unbelievers for (all) their fury : no advantage did they gain; and enough is God for the believers in their fight, And God is full of strength, able to enforce His will. " (S. The Angels, V. 25.). This is actually to clarify the superiority of the belief, and how it leads people to success, victory, spiritual mastery, security and settlement of the socitey and individuals.

The glorious Qur'an also tells us the happenings which took place in OHOD compaign and its results "Behold ! Ye were climbing up the high ground, without even casting a side glance at any one, and the messenger in your rear was calling you back. There did God give you one distress after another by way of requital, to teach you not to grieve for (the booty) that had escaped you and for (the ill) that had befallen you. For God is well aware of all that ye do." (S. The family of Imran, V. 153.), and the happenings of Honain campaign and its results " Assuredly God did help you in many battle — fields and on the day of Hunain : Behold ! your great mumbers elated you, but they availed you naught : The land, for all that it is wide, did constrain you, and ye turned back in retreat. " (S. The Repentance, V. 25.), which illustrate the obstract influence that emanated from the belief in another thing beside the human values.

Thinking in the verses in which the Qur'an relates Honain compaign, we shall observe that the mumerical power is not as valuable as the specific one which mostly represented in the sincere belief in God and the values.

Al-Azhar and the islamic values :

Undoubtedly, the Azharite people have a full understanding of the whole

to believe in justice, co-operation, unity in doing good and removing aggression "Held ye one another in righteousness and piety, but help you not one another in sin and rancour" (S. The Table. V. 3.), and also to believe in the mutual kindness, amity and in the other significances of the humanity in its supreme level. This is because, it is quite impossible to find an actual belief in the Almighty God; where no justice and co-operation are existed.

Really, Justice is one of the main attributes of God who supports righteous people to do good, to remove harm, danger and evil. Sura " Omul ketab " which is the first chapter of the holy Qur'an — and which every Muslim repeats it several times a day during prayers — illustrates the main human values which are actually extracted from the attributes of the Almighty God. Consequently, when Muslim reads in this sura the verse " Thee do we worship and thine aid we seek ", surely he asks God to help him in doing good, and in the same time he should help himself and support the others to do good. Also when he reads "Show us the straight way", he asks God to guide him to be just—whether in saying or in action — owing to the fact that the straight path is not something other than justice, balance and non-inclination to one side more than the other.

So, belief in God is the main prop on which stands the belief in the human values. Therefore, belief in God is not separable from belief in the human values. One who separates between belief in God and human values in understanding or utilizing, his belief is not of his heart but it is only mere expression in words The desert Arabs say, "we believe" say, " Ye have no faith; but you (only) say ' we have submitted our wills to God ', for not yet has faith entered your hearts" [S. The Rooms, V. 14.]. This verse really means : O Mohamad, say to them " surely you are not believers, so do not say " we are believers " but say " we are Muslims " related to this nation. In order to enable Muslims to have a deep and hearty belief in it, Islam used history and the happenings of the past wich show that the belief in God and His message, is the way which leads humanity to happiness and security. These happenings show also that the rejection of faith is the way which leads mankind to hostility, anxiety and confusion. In several verses, the holy Qur'an details the novels of the different messengers and prophets who bore the responsibility to convey the divine message to their people

THE DUTY OF AL-AZHAR

Towards the Mobilization of the National Power

by

Dr. Mohammad El-Bahay

The chancellor of Al-Azhar University

The National power is a specific one :

The national power is not only a quantity; but it is also a quality, it is not only individuals; but it is also activities. It is the factor and the motive power which realizes the aims and the objectives.

In fact, every society composes of individuals, but in its unionization, duration and struggle; it really needs a power other than the numerical one in order to create an attentive society and to help in materializing its aims.

The specific power differs in its definitiveness according to the aim and the purpose of the society. For instance : the islamic society — since its existence — had devoted itself for the revival of the human values, as it urges people to utlilize them through their practical life. Actually, the message of Islam — in its main principle — is a human one which expresses these values, and calls people to embrace them.

In the islamic society :

Since the main purpose of Islam was the revival of the human values, it used the belief in these values as a way to realize that goal. Then it assured that belief in the hearts of the people by the history of humanity and the previous natiens, as well as by the happenings and the occurances which successively took place in the islamic society as they are mentioned in the history of the islamic wars.

Islam, when it discussed the human values, and the belief in them; it used only the belief in God as a way to attain a complete understanding for these values and also a way to carry them out through the practical life of the human beings. Therefore, the belief in God entails belief in the human values, such as

"For the scum disappears like forth cast out; while that which is for good of mankind remains" (S. The Thunder, V. 17). He shows His faithful bondmen, how to protect themselves and their call against the lies of the unbelievers. He promised that He will support them if they follow His right way and fight in His cause "And those who strive in our (cause), We will certainly guide them to our paths" (S. The Spider, V. 69.). God asserted that all what the unbelievers will do in order to weaken Islam or to cause harm to its followers, they will surely gain its wicked results, He says : "The unbelievers spend their wealth to hinder (men) from the path of God, and so wilt they continue to spend; but in the end they will have (only) regrets and sighs." (S. The Spoils of war, V. 36).

He also asserted that the believeres - because of their true belief, faithfulness and patience - will be always the victorious " God is with those who restrain themselves, and those who do good." (S. The Bees, V. 128.) " In the case of those who say " our Lord is God " and, further, stand straight and steadfast, the angels descend on them (from time to time) "fear ye not " (they suggest), " nor grieve ! but receive the glad tidings of the garden (of bliss,) that which ye were promised. " [S. Fussilat, V. 30]. Then God guided the believers to their super position because of their sacrifice for the sake of the call "Who is better in speech than one who calls (men) to God, works righteousness, and says " I am of those who bow in Islam ?" (S. Fussilat, V. 33.)

As a matter of fact, the call of truth has many aspects, for instance : The call of people to believe in the oneness of God, the struggle against tyranny doing justice, purifying the souls and the societies of the bad habits, the liberty of their countries from the imprialists, accomplishing right and prohibiting wrong and not to be loyal to the unbelievers, all that is a call for truth. To call people to deny their personalities and to make their utmost in order to benefit the common, and to preach Islam and its teachings faithfully among mankind, is a call for truth. The call to truth is a call to God whatsoever it will be, and those who call people to God are his faithful bondmen who had been promised to be supported and helped by God. This was the way of God towards the first Muslims and it will last to the Day of judgement, the holy Qur'an says : " Already has our word been passed before (this) to our servants sent (by us,) that would certainly be assisted. And that our forces, they surely must conquer." (S. Those who ranged in ranks, V. 171 : 173.)

nature, correct conception and pureness of souls. Hence, before Truth people are divided into two sections: The first one are those who do righteous deeds and those who in order to satisfy God, they guide people into the correct way of life and call them to believe in Truth and to be far away from the falshood. The second section are those who have bad spirits. They are similar to the wild animals; opress people and steal their money and properties — They make their utmost to lead the other people astray and to inculcate doubts in their hearts. Verily, people are of two sections : The first guides people to the right way " Of those we have created are people who direct (others) with truth and dispense justice therewith." (S. The Heights, V. 181.) And the second leads them a chase "Yet there is among men such a one as disputes about God, without knowledge, without guidance and without a book of enlightenment. (Disdainfully) bending his side in order to lead (men) astray from the part of God : For him there is disgrace in this life, and on the day of judgement we shall make him taste the penalty of hurning (Fire) (S. The Pilgrimage, Vs. 8 — 9.)

In the different ages, God's messengers and their followers were the representatives of the first section. They knew truth, beleived in it and, faithfully. made their utmost to call people to it. But the hypocrites and those who rejected faith were the representatives of the second section. Periodically, the Almighty God examined his faithful bondmen by such people who rejected faith in truth and induced people not to belive in. In the Qur'an, God explains : how they rejected Faith " They Say : " our hearts are under veils, (concealed) from that to which thou dost invite us, and in our ears is a deafness and between us and thee is a screen." [S. Fussilat, V. 5.], how they prevented people from following the islamic call " The unbelievers say : " listen not to this Qur'an, but talk at random in the midst of its (reading) that ye may gain the upper hand." [S. Fussilat, V. 26.], or the messengers " They are the ones who say : " spend nothin on those who are with God's messenger. " (S. The Hypocrites. 7).

In all the different ages, the unbelievers denied the truth and tried to frighten people lest they should follow it as they also fought against those who believed in it. Hence, the conflicts happened especially between truth and the falsehood. In fact, God is the Truth, and truth is His call. Also the Satan is the falsehood, and falsehood is his call. God gives an example for truth and falsehood

religion of both spirit and material, heart and mind, individual and society and this world and the Hereafter. So, we call all humanity to embrace it and to carry out its worships and treatments and its systems and morals. The Qur'an says : " O mankind ! Verily there hath come to you a convincing proof from your God : For we have sent unto you a light (that is) manifest. Then those who believe in God and hold fast to Him, soon will He admit them to mercy and grace from Him and guide them to Himself by a straight way. " [S. The women, Vs. 174 — 175.]

Peoples before the truth :

" Say " O ye men ! Now truth hath reached you from your God ! Those who receive guidance, do so for the good of their own souls, those who stray, do so to their own loss : and I am not (set) over you to arrange your affairs. " (S, Younis, V. 108.)

Verily, the instructions and the teahings of Islam — which is the general religion of God that all messengers were ordered to convey it and all the holy books were revealed to clarify it — are turning around one word. That is the Truth of which the pure natures only admit, the faithful hearts trust and by which the life of those who are righteous people will be calm.

Actually, Truth is devided into many kinds such as : Truth in faith " Say : " He is God, the one and only; God the eternal. absolute; He begetteth not, nor is He begotten, and there is none like unto Him. " (S, purity of faith). Truth in worship " That is God , your Lord ! there is no God but He, the creator of all things : then worship ye Him : and He hath power to dispose of all affairs. " [S. The Cattle, V. 102.]. Truth in treatment " O ye who believe ! stand out firmly for justice, as witnesses to God, even as against yourselves. " (S. The women, V. 135). Truth in conduct " It is part of the mercy of God that thou dost deal gently with them. Wert thou severe or harsh — hearted, they would have broken away from about thee : so pass over (their faults), and ask for (God's) forgiveness for them and consult them in affairs (of moment). " (S. The family of Imran, V. 159.) " Nor can goodness and evill be equal. Repel (Evil) with what is qetter : Then will be between whom and thee was hatred become as it were Thy friend and intemate ! " (S. Abbreviated letters, V. 34.). in souls, furthest regions of the earth and societies: There are signs that distinguish Truth from false and guide people to follow it. But people are not alike, there are some differences among them in goodness of

As a result of what we obove mentioned, Islam orders Muslims to establish the prayers in their fixed times, and to empty their hearts — during their performance — from all the worldly affairs to declare their faithfulness to God. The Qur'an says: "Guard strictly your (habit of) prayers, especially the middle prayer' and stand before God in a devout (frame of mind). [S. The cow, V, 238.]

The effect of patience and prayer on soul's rectification :

The glorious Qur'en states that patience and prayer are of a great effect in rectifying the souls of people, as they purify them from the state of despair in facing difficulties, and from at receiving wide provisions. In the tyranny respect of patience Godsays in the holy Qur'an : "IF we give man a taste of mercy from ourselves, and then withdraw it from him, behold! he is in despair and (falls into) blasphemy. But if we give him a taste of (our) favour after adversity hath tauced him, he is sure to say "all evil has departed from me : " behold! he falls into exultation and pride. Not so do those who show patience and constancy and work righteousness; for them is forgiveness (of sins) and a great reward." [S. Houd, vs. 9 : 11]. And with regard to prayer, He says also "Verily, man was created very impatient; fretful when evil touches him, and neggardly when good reaches him : Not so those devoted to prayer, those who remain steadfast to their prayer." [S. The ways of Ascent, vs. 19 : 23].

In fact, patience and prayer are the strongest articles of the believer in his life. By them wishes can be realized and distress may be removed as well as the believer will gain and score the support of God "Verily God supports those who are Patient" and this is enough for man to keep him in a permanent happiness because he feels always that God is with him.

This is the actuality of the religion, and that is its blessed effects which purify the soul, please the human being and direct the affairs of life to the good direction. Surely, religion is one of the human necessities which neither an intellectual idea, nor a civil law can replace it Actually, man in the present time, is in need of religion. This is because he failed to realize happiness and security, although he succeeded in conquering the universe's space. This scientific advancement led to distructive and international wars, and will lead to another great one with unimaginative results. Verily, no salvation to humanity, unless it has a faith in the true religion which is Islam (the last message). It is the

perservere, their reward according to the best of their actions." [S. The Bees, V. 96.]

An excellent reward for those who do (good). Those who perservere in patience, and put their trust in their God and cheersh." (S. The Spider, V. 58.)

God ordered His prophet to give glad tidings to those who patiently face the hateful results and the bad events, He did not explain what are these tidings to show that they combine all what please the human being. He also showed how to know those who are patient in His sayinh " Who say, when afflicted with calamity", wheter it was great or simple, they receive it with faithful hearts and have a consolation when they repeat the saying of God " To God we belong" who is our creator and provider " And to Him is our return". The next verse cleared their merit " They are those on whom (descend) blessings from God, and Mercy, and they are the ones that receive guidance."

The Prayer :

Ii is the second factor which helps one to face the difficulties of life. It is the prayer which is mentioned in the following verse " And establish regular prayer : For prayer restrains from shameful and unjust deeds" [S. The spider, V. 45.]. As a matter of fact, the prayer is a divine Journey which God superimposed his bondmen to perform it five times a day. It is the worship in which man departs from the enjoyments of the world, and communicates with his God to ask Him support and guidance. It was the habit of the prophet Mohamad " peace may be upon him" to establish prayer if he met any difficulty, and to repeat the saying " I used prayer as a factor of tranquility".

Hence, the prayer has become one of the five pillars of Islam as it is the first worship known with the religion, the Qur'n says : " And remember We took a covenant from the children of Isreal (to this effect): Worship none but God, treat with kindness your parents and kindred, and orphan and those in need; speak fair to the people; be steadfast in prayer; and practise regular charity." [S. The cow, V. 83.]

Actually, through prayer man presents the greatness of God and be frightened of His punishment· then he will obey him and carries out faithfully his constitution and instructions. This, by turn, will purify the souls, fill the minds with conception and improve the condition of the society.

order to enjoin the right and to forbid the wrong, not to transgress the limits that which God " exalted be He " ordained, to make their utmost to realize the happiness for their nation and to sacrifice their souls and properties in the cause of their society's security, stability and freedom. The glorious Qur'an says " And fight them on until there is no more tumult or oppression and there prevail justice and Faith in God" [S The cow, v. 193.]

The calamities of the life and its problems :

The believer-as the other people-may be exposed to the calamities and the problems of life, such as : death after life, illness after health, poverty after richness and humiliation after honour. But the struggle among one's wishes will leave him alone facing these calamities and problems. Unless man was supplied with the guidance of God - which he believe in - in case of his failure in overcoming the problems of l fe, he would lose his position to be the vicegerent of God on the earth and to be the bearer of the deposit which skies, earth and mountains refused to bear it. Therefore, God supported his faithful bondmen, inculcated in them the spirit of work and guided them to what helps them towards the performance of their social duties and what enables them to face the difficulties of life. In this respect the glorious Qur'an says : " O ye who believe ! Seek help with patient perseverance and prayer : For God is with those who patiently persevere. And say not of those who are slain in the way of God : "they are dead" Nay, they are living, though ye perceive (it) not. Be sure we shall test you with something of fear and hunger, some loss in goods or lives or the fruits (of your toil) but give glad tidings to those who patiently persevere. Who say when afflicted with calamity : " To God we belong, and to Him is our return" : They are those on whom (descend) blessings from God and mercy and they are the ones that receive guidance." [S. The cow, vs 153 : 157.]

The patience :

It is to face the difficulties of life with a bold heart and to perfrom the social duties and the religious, obligations without despair. God "exalted be He" guides people not to be hopeless, because despair is one of the qualities of those who reject faith. The Qur'an says : " And never give up hope of God's truly soothing mercy, no one despairs of God's soothing Mercy, except those who have no faith. " [S. Yousof, V. 87.] In the holy Qur'an, God mentioned work following the patience through many verses : " And We will certainly bestow, on those who patiently

the fact that no one can conquer it. So make it easy not difficult and give glad tidigs not seary ones."

It was the duty of those who misunderstood the religion to look into its partial legislations to be assured of its facility and easiness. For instance : In belief, to be a true believer, it is enough to raise one finger as to denote the belief that their is no God but one. In worship, if Muslim can not use water for the ablution, Islam gives him permission to use dust instead of water "Taiamom". In preyer, Muslim can perform it sitting or by means of moving his head up and down instead of bow and prostration if this causes him troubles. In Fasting, Islam allows the ill person and the traveller one to break their fast. From all what we mentioned above, we come to the conclusion that the Islamic religion is very easy and that its legislations and regulations are based upon facility and at the same time Islam calls Muslim to complete himself and to maintain his dignity and honour.

The aim of the religion :

In fact, religion intends to purify souls and hearts, to clarify the spirit of obediance and feeling of the greatness of God and to affirm the goodness and the piety on earth on a strong base that links man to his creator. The religious legislations have mentioned that, and the religion does not oblige people to carry out all its partial legislations, but it gives them a chance to put law in order to control their affairs according to their needs and circumstances, and the common welfare. With regard to these laws, religion asks Muslims to do nothing but to issue them after consultation, and mutual understanding among themselves. This will realize equality, justice, mercy and goodness. In this respect, the prophet Mohamad "peace may be upon him" said : "Verily, God superimposed the oblegations, and it is your duty to obey Him, He ordained limits, so do'nt neglect them, He prohibited some other things, so do'nt disobey Him and He does not mention somethings — not because of forgetfulness, but as a mercy for you — so, do'nt seek them" The holy Qur'an says : "But God knows the man who means mischief from the man who means good. And if God had wished, He could have put you into difficulties : He is indeed exalted in power, wise." [S. The cow, V. 220.]

The demands of belief :

As a matter of fact, believer — by the regulations of their religion — have been ordered to keep their faith away and pure from doubt, to purify their souls and to avoid any bad inclination, to strive hard in

Actuality of the Religion is very obvious :

It was the duty of those who misunderstood Religion and who led people astray to 'purely' think in two aspects :

Firstly, to behold all that is in the universe and what God "exalted be He " Created and harnessed for them, such as ainmals, plants planets and other things. Actually, God had created the universe and what it contains and He also had revealed the religion in which He ordered people to seek the secrets of that universe to benefit themselves and the others too. It is impossible that the universe was created in such way that induce every one to think on its marvels, and at the same time be prevented by the regulatons of the religion to think upon it and knows its secrets to benefit himself and his society. It is impossible also that God who created the universe and brought man into being and provided him with the mind which is the article of thinking, to prevent him from thinking. knowing, moving. and also from completing himself Hence, it is one of the necessities of the religion - which is the guidance of God - to direct people to think upon the universe and its wonders. The glorious Qur'an urges people tc use their minds and to think on that universe and to seek its secrets for the advantages of themselves and their societies.

Secondly, they should deeply think upon the true sources of the religious teachings, to know if they prohibit man to enjoy his life or they do not, and to rerlize whether all the instructions of the religion are going with the nature of the human beings or not. Verily, these sources are taking a moderate position in responsing the needs of people, the Qur'an says : " Say : who hath forbidden the beautiful (gifts) of God, which He hath produced for his servants, and the things clear and pure, (which He hath provided) for sustinance ? " [S. The Heights, V. 32]. It was the duty of those who misunderstood the religion to know the basic fundamentals on which religious legislations were built and to read the sayings of God " exalted be He " " On no soul doth God place a burden greater than it can bear. " [S. The cow, V. 286.] " God intends every facility for you; He deos not want to put you to difficulties. " [S. The cow, V. 185.] " He had chosen you, and has imposed no difficulties on you in religion " [S. The pilgrimage, V. 78.] It was their duty to hear the saying of the prophet Mohamad " peace may be upon him " " Verily, religion causes no difficulties, in spite of

this connection the holy Qnr'an says : "Verily, this Qur'an Doth guide to that which Is most right (or stable) and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward" [S. The children of Israil, V. 9.]

From what we above mentioned, we come to conclusion that religion is one of the human being life necessities. But what is the religion which has this effect in the life of man ? Some people are of the openion that the religion is the facts which revealed to them in a form of the divine message. And other people claimed that it is something other than that. The latter openion is the consequence of different intellectual aspects which lead people astray and take them away from the right way. Verily, it is not God that has wronged them, but they wrong themselves.

The misunderstanding of Religion :

During certain ages, people misunderstood " the Religion ". They prevented themselves from receiving education, free thinking and also from enjoying a better life. They lived in a complete loneliness where no mercy or kindness for themselves. They subjected themselves to the happenings and humiliated thier bodies and souls. Consequently, some people claimed that the religion is of no use to the human being in the world, but it will benefit him only in the Hereafter, and hence, they called people not to take the religion as a constitution or as a system for their life. They asked them to enjoy themselves irrespective of the instructions of the religion and to spend their life according to their wishes. This is because they believed that the religion and revelation are only for the heaven, while power and wantonness are for the earth. As a result of that, people considered the human estimation as a reckoning, and this by turn exposed the world to a confusion and conflicts and led people to be ill-mannared and to the disintegration. In this respect the holy Quran says : " But whosoever turns away from My Message, verily for him is a life narrowed down and we shall raise him up blind on the Day of judgement. He will say : " O my Lord ! why hast thou raised me up blind, while I had sight (before)?" God will say. "Thus didst thou, when Our Signs came unto thee, disregard them : So wilt thou, this day be disregarded. And thus do we recompense him who transgresses beyond bounds and believes not in the signs of his God : and the penalty of the Hereafter is far more grievous and more enduring." [S. Taha, vs. 124 : 127.]

The religious conscience is the base of goodness :

Surely, God knows that the religious conscience is the sole factor which leads people to the straight path and which shows them the right way. It is the factor that God " exalted be He " intended when He said to the angels " surely I know what ye know not ". God has considered it as the fundamintal of the human life since he created the first human being "Then learnt Adam from his God words of inspiration, and his God turned towards him; for He is oft-Returning, Most merciful. We said : Get ye down all from here; and if, as is sure, there comes to you guidance from Me, whosoever follows My guidance, on them shall be no fear, nor shall they grieve." [S. the cow, Vs. 37 — 38] " But if, as is sure, there comes to you guidance from Me, whosoever follows My guidance, will not lose his way, nor fall into misery. But whosoever turns away from My message, verily, For him is a life narrowed down, and we shall raise him up blind on the day of judgment. " [S. Taha, Vs. 123 — 124,]

Abraham, the great father of the Arab people, and his son Ismail believed in the religious conscience. To create happiness for their predecessors, so they prayed to God in order to send one from among themselves as to guide them in the straight path and to teach them God's signs and teachings, the holy Qur'an says : "Our God ! Send amongst them a Messenger of their own who shall rehearse Thy signs to them and instruct them in Scripture and wisdom and sanctify them for thou art the exalted in Might, the wise" [S. The Cow, V. 129.]

Surely, they knew that their sons have minds to think and to put laws to control the different affairs of their life, but they were also sure that the human thinking-whatsoever it might be-is very weak, as it is also in need to be supported by the divine power. Hence God took care of the human beings through the different stages of their life and directed them to the right way : He sent to them His Messengers, revealed to them books and prepared them to receive the great Message of Islam which combined all what man needs, whether in the present time or in the future. This Message was revealed to Mohamad "peace may be upon him". To guide His bondmen to the straight path and to grant them His blessings, God revealed the holy Qur'an to them to be the last book sent down to the last Prophet. As a matter of fact, the way of happiness is very evident in the glorious Qur'an to those who have a faithful vow. In

and the people who promulgated them claimed that the aim of these laws was to maintain peace and to keep on the human rights. But as a matter of fact, they were issued for nothing but to realize personal wishes and special aims. And to deceive people the promulgators claimed that the laws were for the benefits of all people.

3 — Because the minds are of a limited conception, they have no ability to foretell what will be the needs and the happenings of the future which God " exalted be He " prepared. For instance: we notice that many laws were issued, then their weakness obviously appeared and other laws replaced them, but also their weakness appeared and so on. This led the nation to live in a confusion and the promulgation of the laws put the hindrances in the way of the people's superiority and completeness.

4 — As the people always believe in the law which they optionally put it, they will respect and carry it out faithfully. But if they are obliged to secure it, they will pay no respect or oppreciation to it. This is because they carry out the regulations only to avoid the punishment. So, if they know that there is no eye to wach them, they will act against that law. Hence, the laws which are issued on the basis of the intellectual idea do not prevent man to commit crimes at all, but they may prevent him only to commit them openly.

From all what we above mentioned, we come to the conclusion that the dependance upon the human idea in organising the international affairs, surely means a dependance on nothing. Moreover, it will lead to an international calamity and wordly distruction. So it is our duty to seek other basis than the intellectual idea. And this basis should have the ability to affect man within and without.

The Religious Conscience :

It is the only basis which humanity should depend upon it, because it links the human being to the attentive Observer who never sleep, the most knower who does not ignore and the strong who all people believe in His indefinite power " God exalted be He ". Surely, God supplied man with the systems of life, and man respects these systems as he appreciates their source. He makes his utmost to satisfy God, and hence he accomplishes the good deeds, as he performs his duties without treachery or deception and spends his life in security and peace.

prophecy of the angels when God said to them " I will create a vicegerent on earth, " they said " wilt thou place therein one who will make mischief therein and shed blood ? whilst we do celebrate The praises and glorify thy holy (name) ?" [S. The cow, V. 30.]

But to realize the divine wisdom of the ceation of the human beings and to declare the meaning of God's words to His angels "Veriy I know what you do not know", the goodness power of the human beings is in need of a support in order to help it against tyranny and the evil power on one hand, while on the other hand to use the two powers of desire and anger in the cause of his own benefits. But what is supposed to support goodness against evil ? We suppose that it is the intellectual idea which man put its measurements and uses it to demonstrate right from wrong and good from bad. Besides, man considers this intellectual idea as the constitution of his life which he follows whether choicefully or compulsory - according to the will of his society - This hypothesis is that which the civilized nations are following now and which philosophers, thinkers, rich and strong people are using as a way to enslave people and to organize the human life according to their wishes.

As a matter of fact, the intellectual idea can not realize the reason of the human being creation as to be the vicegerent of God on the earth and to establish security and peace everywhere. This is because humanity tried it during a period of its history and this led it to spend its life in a complete darkness : Permanent wars, tyranny and slavery. Actually these were the consequences of following the intellectual idea for the next reasons :

1 — There is a distinction among the minds which are the source of this idea. Also, some minds accept what the others refused. In our present time, we notice many aspects of the intellectual idea which cause peoples to spend their life in astonishment and confusion. For example : There are the systems of communism, capitalism, Democracy and Dectatorship. These systems are of bright in appearance but they are implicitly false.

2 — The minds in their thinking are exposed to be conquered by the human lusts and to be influenced by the other personalities, nationalities or by the other factors which existed in the human souls and which neither science nor phylosophy can purify souls from them. For instance, many laws were issued on the basis of the intellectual idea,

PEOPLE AND RELIGION

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

People in need of Religion :

It was the will of God to create the human bieng — according to His knowledge about the nature of His bondmen — and to supply him with two immaterialistic powers. The first power is that which urges him to do evils, as to commit adultery crimes, to usurp the rights of the others or to shed blood. The other power is that which guides him to the straight path, as to call him to do Justice, to spread equality, to help the needy people, to support the helpless ones and to direct the society to the way of success and goodness.

As a matter of fact, man is standing in a moderate position between these two powers. But the beauty of the world, its decorations and lusts induce him to do wrong or to incline to evil. In this respect the glorious Qur'an says : " Nor do I absolve my own self (of blame) : The (human soul) is certainly prone to evil, unless my God do bestow Him mercy : But surely my God is oft — forgiving, most merciful. " [S. Jousef, V. 53.].

" By (the token of) time (through the ages). Verily, man is in loss. Except such as have faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of Truth and of patience and constancy." [S. Time through the ages] "Truely, man was created verily impatient. Fretful when evil touches him. And niggardly when good reaches him. Not so those devoted to prayer. " [S. The way of Ascent, V. 16 — 22.].

Consequently, if man had been left alone to himself, under the effect of these two powers, he would fail in realizing balance between them. And hence, his sentimentals would conquer his mind and the inclination towards evils would defeat his good one, and this by turn would reflec tthe wisdom of the human being creation and realize the